فتح الرحمن في تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧هـ)

رحمه الله تعالى

اعتنى به

تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا

نور الدين طالب

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبعَةُ الأُولَى
مِنْ إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبعَةُ الثَّانِيَة
مِنْ إِصْدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ :ISBN

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارِ النَّوَادِرِ م.ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة - ذ.م.م - الكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَامُّ وَالرَّئِيسُ التَّنْفِيذِيّ

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الأول

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة التَّحقِيق

الحمد لله الذي أنزل على نبيه ﷺ الكتاب، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ـ ٤٢]، فنقلهم من الكفر والعَمَى، إلى الضياء والهدى، وبيَّن فيه ما أحلَّ؛ منًّا بالتوسعة على خلقه، وما حرَّم، لِمَا هو أعلم به من حظِّهم في الكف عنه في الآخرة والأولى.

وابتلى طاعتهم بأن تعبَّدهم بقول وعمل، وإمساك عن محارم حَمَاهُمُوها، وأثابهم على طاعته من الخلود في جنته، والنجاة من نقمته، ماعَظُمت به نعمتُه، جلَّ ثناؤه.

وأعلمهم ما أوجب على أهل معصيته من خلاف ما أوجب لأهل طاعته.

ووعظهم بالأخبار عمَّن كان قبلهم، ممن كان أكثرَ منهم أموالاً وأولاداً، وأطولَ أعماراً، وأحمدَ آثاراً، فاستمتعوا بخَلاقهم في حياة دنياهم، فأذاقهم عند نزول قضائه مناياهم دون آمالهم، ونزلت بهم عقوبته عند انقضاء آجالهم، ليعتبروا في أُنُف الأَوان، ويتفهَّموا بجَلِيَّة التبيان، ويتنبَّهوا قبل رَيْن الغفلة، ويعلموا قبل انقطاع المدة، حين لا يُعْتِبُ مذنبٌ،

ولا تُؤخذ فدية، و﴿ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

فكلُّ ما أنزل في كتابه ـ جل ثناؤه ـ رحمة وحجة، عَلِمَه مَنْ عَلِمَه، وجَهِلَه مَنْ جَهِلَه، لا يَعْلَم مَنْ جَهِلَه، ولا يَجْهَلُ مَنْ عَلِمَه.

والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به.

فَحُقَّ على طلبة العلم بلوغُ غايةِ جُهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه؛ نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه.

فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالاً، ووفَّقه الله للقول والعمل بما علم منه، فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونوَّرت في قلبه الحكمةُ، واستوجب في الدين موضعَ الإمامة.

فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ

وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] [الشورى: ٥٢].

ولمَّا كانت مقاصدُ القرآن ومعانيه ذاتَ أفانينَ كثيرة، قصد كلٌّ واحد من المفسرين بعضَ تلك الأفنان، فنحا بعضُهم إلى آيات الأحكام، وبعضُهم إلى قصص القرآن التي اشتملت على أخبار الأمم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبعضهم قصد نِكات علوم العربية من البلاغة والأدب وغيرهما.

وفي تضاعيف تفاسيرهم تجد ذكرَ مكيِّ القرآن ومدنيِّه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ومشكل القرآن ومتشابهه، وذكر مفرداته ومعانيها، وفقه الأئمة واختلافاتهم في تفسير الآيات، وذكر خلاف القراء أصحاب القراءات المشهورة، ودقائق اللغة والبلاغة، وذكر الآداب والقصص والأخبار، وغيرها.

والإمام مجير الدين العُلَيميُّ الحنبليُّ ـ رحمه الله ـ في تفسيره هذا «فتح الرحمن» قد كان له حظ وافر في كل فن من تلك الأفنان المذكورة:

* فقد اعتنى فيه ـ رحمه الله ـ بذكر القراءات، واختلاف القراء فيها، وتوجيهها، وذكر معانيها.

* وذكر فيه عقائدَ أهل السنَّة والجماعة على وجه مختصر مفيد.

* وسَرَد فيه فقهَ الأئمة الأربعة وفق منهج قويم، بعيدٍ عن التعصب والتقليد.

* واعتمد على الصحيح الراجح من أقوال المفسرين.

---

(١) من أول النص اقتباس من كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي (ص: ١٧ـ٢٠).

إلى غير ذلك مما سيُذْكَرُ في منهج المؤلف رحمه الله.

وبالجملة: فتفسير الإمام العليمي تفسيرٌ جليل يشبه تفسيرَ القاضي البيضاويِّ، كما قال الغَزِّيُّ ـ رحم الله الجميع ـ.

ويصفه العلاَّمةُ ابنُ بدرانَ الحنبليُّ بأنه «تفسير متوسط، يذكر القراءات، وإذا جاءت مسألة فرعية ذكر أقوال الأئمة الأربعة فيها، وفيه فوائد لطيفة».

فالله يجزي مؤلفه خير الجزاء، ويثيبه أعظمَ النَّوال والعطاء.

هذا، وقد تمَّ لنا بفضل الله تعالىٰ وكرمه الوقوف على أربع نسخ خطية للكتاب، خرج بها النصُّ ـ بحمد الله ـ صحيحاً مستقيماً.

ثم تم التقديم للكتاب بفصلين؛ اشتمل أولهما على ترجمة للإمام العُليمي رحمه الله، وكان الآخر لدراسة الكتاب.

ثم ذُيِّل الكتاب بفهارس علمية متنوعة.

«فنسألُ اللهَ المبتدئَ لنا بنعمه قبلَ استحقاقها، المديمَها علينا، مع تقصيرِنا في الإتيان على ما أَوجب به من شكره بها، الجاعِلَنا في خير أُمَّةٍ أُخرجت للنَّاس، أن يرزُقَنا فهماً في كتابه، ثم سنَّة نبيه، وقولاً وعملاً، يؤدِّي به عنَّا حقَّه، ويُوجب لنا نافلةَ مزيدهِ»[1].

هذا وصلى الله على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

وكَتَبَ

نور الدين طالب

دومة الحنابلة / ١٤٣٠هـ

---

(١) اقتباس من كلام الإمام الشافعي في كتابه «الرسالة» (ص: ١٩).

الفصل الأوّل

ترجمة الإمام العليمي

المبحث الأول
اسمه ونسبه وولادته، ونشأته وطلبه للعلم

*** اسمه ونسبه وولادته:**

هو الإمام، المؤرخ، المفسر، الفقيه، القاضي، أبو اليمن، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف العليمي[1]، العمري[2]، مجير الدين، المقدسي، الحنبلي[3].

ولد كما أخبر عن نفسه يوم الأحد، ثالث عشر ذي القعدة، سنة (٨٦٠ هـ) بالقدس الشريف[4].

---

(١) العُلَيمي: بضم العين المهملة، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر الميم. نسبة إلى الشيخ علي بن عُلَيل، المشهور عند الناس بعلي بن عليم، والصحيح أنه عليل باللام، كذا في نسبه الثابت. انظر: «الأنس الجليل» للمؤلف (٢/ ٢٦٦)، و«المنهج الأحمد» له أيضاً (٥/ ٢٦٩).

(٢) نسبة إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ. وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ سلسلة نسبة المتصلة بعمر ـ رضي الله عنه ـ في كتابيه: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٦)، و«المنهج الأحمد» (٥/ ٢٦٩).

(٣) أول من اشتغل بالعلم على هذا مذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من أسرته هو والده الشيخ الإمام محمد بن عبد الرحمن، وكل أسلافه شافعية، لم يكن منهم من هو على مذهب الإمام أحمد سواه. انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٢)، و«المنهج لأحمد» (٥/ ٢٦٢).

(٤) انظر: «الأنس الجليل» للمؤلف (٢/ ١٨٩)، و«السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٥١٧).

* **نشأته وطلبه للعلم:**

نشأ ـ رحمه الله ـ في حجر والده العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، وتفقه عليه، وأخذ عنه جملة من العلوم النافعة[1].

وبدت عليه ـ رحمه الله ـ مخايل النجابة منذ الصغر؛ فقد حفظ: «ملحة الإعراب» للحريري، وعرضها على الشيخ محمد بن عبد الله القرمشندي، وله ست سنين[2]، ثم حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره على الشيخ علاء الدين علي بن عبد الله الغزي، وكرر عليه ختم القرآن مرات كثيرة، وأحضره مجلس شيخه محمد بن موسى بن عمران في الحديث، واعتنى له بتحصيل الإجازة منه[3].

ثم حفظ كلاً من «المقنع»، و«الخرقي»، وعرضهما على علماء بلده؛ كالكمال بن أبي شريف، وأبي الأسباط أحمد بن عبد الرحمن الرملي، والنجم ابن جماعة، وغيرهم.

ودخل القاهرة سنة (٨٨٠ هـ)، وأقام بها عشر سنين، وحل على شيخه القاضي بدر الدين السعدي، وتفقه به، وسمع الحديث على جماعة، منهم: الحافظ السخاوي، والقطب الخيضري، والجلال البكري، وغيرهم.

وولي قضاء القدس، وكان من أمثل القضاة فيها[4]، والرملة، والخليل،

---

(١) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٥١٧)، و«النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٣).

(٢) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ١٨٩).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ٢٣٧).

(٤) انظر: «السحب الوابلة» (ص: ٥١٦) نقلاً عن الحافظ السخاوي.

ونابلس مدة إحدى وثلاثين سنة، لم يتخلل له منها عزل[١].

وقد حج سنة (٩٠٨ هـ)، وأقام بمكة نحو شهر، ملازماً للتلاوة والعبادة، ثم انقطع بعد انفصاله عن القضاء بالمسجد الأقصى يدرس ويفتي ويؤلف[٢].

* * *

(١) إلا قضاء نابلس، فإنه تركه باختياره بعد سنتين.

(٢) انظر: «السحب الوابلة» (ص: ٥١٧ ـ ٥١٨).

المبحث الثَّاني

شُيُوخُهُ

١ـ والده الخطيب، الفقيه، المحدث، قاضي القضاة، شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي.

ولد بمدينة الرملة سنة(٨٠٧ هـ)، وولي قضاءها سنة (٨٣٨ هـ)، ولم يعلم أن حنبلياً قبله وليها في هذه الأزمنة، ثم ولي قضاء القدس، والخليل، وصفد، وباشر نيابة الحكم بدمشق، وكان صحيح الاعتقاد، متبعاً للسنة، ينكر على المبتدعة وينافرهم، ويصرح في خطه ـ في كثير مما يكتبه ـ بالتبرؤ إلى الله تعالى ممن يعتقد خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، ولا يرى الكلام في علم الكلام، ويرى التسليم أسلم.

توفي بالطاعون سنة (٨٧٣ هـ) بالرملة[١].

٢ـ شيخ الإسلام، حافظ العصر، كمال الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي، الشافعي.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: عرضت عليه في حياة الوالد ـ رحمه الله ـ قطعة من كتاب «المقنع في الفقه» على مذهب الإمام أحمد ـ رضي الله

---

(١) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٢٦٢)، و«المنهج الأحمد» (٥/ ٢٦٢)، و«الدر المنضد» (٢/ ٦٦٤) ثلاثتها للمؤلف ـ رحمه الله ـ ولم يُشِر فيها إلى أنه والده، وهو عجيب وقوعه عند المصنفين. وانظر: «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٩٣٢).

عنه، ثم عرضت عليه مرة ثانية ما حفظت بعد العرض الأول، وأجازني في شهور سنة (٨٧٣ هـ)، وحضرت بعض مجالسه من الدروس والإملاء بالمدرسة الصلاحية. وحضرت كثيراً من مجالسه بالمسجد الأقصى الشريف، وحصلت الإجازة منه غير مرة؛ خاصة، وعامة.

وله تصانيف منها: «الإسعاد بشرح الإرشاد» في الفقه، و«الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع» في الأصول، وكتب قطعه على «صحيح البخاري»، وغير ذلك.

توفي سنة (٩٠٠ هـ)[١].

٣ـ الإمام، العالم، العلامة، شيخ الإسلام، بدر الدين، أبو المعالي، محمد بن محمد بن أبي بكر بن خالد السعدي المصري، الحنبلي.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ شيخنا، وأستاذنا، وعالم عصرنا، سمع على الحافظ ابن حجر، وابن هشام، وعز الدين الكناني، وغيرهم.

قال المؤلف: ولقد أكرم مثواي عند تمثلي بين يديه، لمّا قدمت عليه إلى القاهرة سنة (٨٨٠ هـ)، وأقمت تحت نظره للاشتغال بالعلم الشريف، فأحسن إليَّ، وتفضَّل عليَّ، وأفادني العلم، وعاملني بالحلم، ومكثت بالديار المصرية نحو عشر سنين إلى أن سافرت منها في سنة (٨٨٩ هـ)، وأنا مشمول منه بالصِّلات، ومتصل من فضله بالحسنات.

توفي سنة (٩٠٢ هـ)[٢].

---

(١) انظر: «الأنس الجليل» (٢/ ٣٧٧).

(٢) انظر: «المنهج الأحمد» (٥/ ٣١٥)، و«الدر المنضد» (٢/ ٦٩٥)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٥٨).

٤ـ علاَّمة الزمان، عبد الله بن محمد بن إسماعيل، تقي الدين، أبو بكر القرمشندي الشافعي، سبط الحافظ أبي سعيد العلائي.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: شيخنا، الإمام، العلامة، الحبر، الفهامة، أجازه جمع من العلماء والحفاظ، وأفتى ودرَّس، وناظر وحدَّث، وسمع عليه الرحالون، وساد بيت المقدس.

قال المؤلف: وقد عرضت عليه «ملحة الإعراب» سنة (٨٦٦ هـ) بمنزله، ولي دون ست سنين، وهو أول شيخ عرضت عليه، وتشرفت بالجلوس بين يديه، وأجازني بالملحة وبغيرها من كتب الحديث الشريف، وما يجوز روايته، وكتب والدي الإجازة بخطه، وكتب الشيخ خطه الكريم عليها.

توفي سنة (٨٦٧هـ)[١].

٥ـ الإمام، العالم، قاضي القضاة، علي بن إبراهيم البدرشي، نور الدين أبو الحسن المصري المالكي.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: شيخنا، كان من أهل العلم، وقد قرأت عليه قطعة من آخر كتاب «الخرقي» قراءة بحث وفهم، ثم قرأت قطعة من أول «المقنع» قراءة بحث وفهم، فكان يقرر في العبارة تقريراً حسناً، لعل كثيراً من أهل المذهب لا يقرره، وقرأت عليه في النحو، ولازمت مجالسته، وترددت إليه كثيراً، وحصل لي منه غاية الخير والنفع.

توفي سنة (٨٧٨ هـ)[٢].

---

(١) «الأنس الجليل» (٢/ ١٨٨).

(٢) «الأنس الجليل» (٢/ ٢٥٠).

هذا وللمؤلف ـ رحمه الله ـ عدد كبير من الشيوخ الذين أخذ عنهم، ذكر منهم جملة في كتابه «الأنس الجليل»، فممن ذكره:

٦ـ أحمد بن عبد الرحمن الرملي، شهاب الدين، أبو الأسباط الشافعي، المتوفى سنة (٨٧٧ هـ)[١].

٧ـ أحمد بن علي اللُّدِّي الشافعي، سبط العلامة جمال الدين بن جماعة الكناني، المتوفى سنة (٨٨٠ هـ)[٢].

٨ـ أحمد بن عمر العميري، شهاب الدين، أبو العباس الشافعي، المتوفى سنة (٨٩٠ هـ)[٣].

٩ـ إبراهيم بن عبد الرحمن، برهان الدين أبو إسحاق الأنصاري الخليلي الشافعي، المتوفى سنة (٨٩٣ هـ)[٤].

١٠ـ علي بن عبد الله بن محمد، علاء الدين الغزي الحنفي، المعروف بابن قاموا، المتوفى سنة (٨٩٠ هـ)[٥].

١١ـ محمد بن عبد الوهاب، شمس الدين، أبو مساعد الشافعي، المتوفى سنة (٨٧٣ هـ)[٦].

---

(١) «الأنس الجليل» (٢/ ١٩٥).

(٢) «الأنس الجليل» (٢/ ١٩٦)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (٢/ ١٩).

(٣) «الأنس الجليل» (٢/ ٢٠٣).

(٤) «الأنس الجليل» (٢/ ٢٠٦).

(٥) «الأنس الجليل» (٢/ ٢٣٧).

(٦) «الأنس الجليل» (٢/ ١٩١).

١٢ـ محمد بن موسى بن عمران الغزي، شمس الدين، أبو عبد الله المقدسي الحنفي، المتوفى سنة (٨٧٣ هـ)[١].

كما أخذ المؤلف ـ رحمه الله ـ عن الحافظ السخاوي، وطلب منه الإجازة.

قال ابن حُميد ـ نقلاً عن السخاوي ـ: كتب إليَّ سنة (٨٩٦ هـ) يلتمس مني أن أُذيِّل له على «طبقات الحنابلة» لابن رجب، وأن أجيز له، ثم قال: وقد دخل القاهرة، وجلس بها شاهداً[٢].

* * *

(١) «الأنس الجليل» (٢/ ٢٢٩).

(٢) «السحب الوابلة» لابن حميد (ص: ٥١٦).

المبحث الثالث
تلاميذه

لم تذكر لنا المصادر التي ترجمت للإمام العليمي الآخذين عنه، والمتتلمذين على يديه، ما خلا ما ذكره جار الله بن فهد المكي الشافعي المسند المؤرخ، المتوفى سنة(٩٥٤هـ)؛ حيث ذكر أنه أخذ عن العليمي بعض مؤلفاته، وأجاز له روايتها[١].

وأفاد الدكتور عبد الرحمن العثيمين: أنه وقف على إجازة للإمام العليمي يجيز بها أحد تلامذته، وهو إبراهيم بن خليل القاقوني[٢] الحنبلي، بكتاب: «التسهيل» في الفقه الحنبلي[٣].

* * *

---

(١) انظر: «السحب الوابلة» لابن حميد(ص: ٥١٨).

(٢) كذا ذكره الدكتور العثيمين واستفهم عنده، ورأيت في «شذرات الذهب» لابن العماد (٨/ ٢٢) ترجمة غرس الدين أبي القاسم خليل بن خليل الفراديسي الصالحي الحنبلي، المتوفى سنة (٩١٤هـ)، فلعل هذا هو والد المجاز الذي ذكر، والله أعلم.

(٣) انظر: مقدمة «الدر المنضد» (ص: ٢٦).

المبحث الرابع
تَصَانِيفُهُ

١ـ «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»(١).

٢ـ «ملخص من كتاب الأنس الجليل»(٢).

٣ـ «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد»(٣).

٤ـ «الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد»(٤).

٥ـ «الإعلام بأعيان دول الإسلام»(٥).

---

(١) قال ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص:٥١٨): وهو عظيم في بابه، أحيا به مآثر بلاده. وقال الغزي في «النعت الأكمل» (ص:٥٥): الحاوي لكل غريبة وفائدة، وبتراجم البلدين كافل. وقد طبع الكتاب عدة طبعات، كان أولها في المطبعة الوهبية بمصر سنة (١٢٨٣هـ)، ثم طبع بعدها طبعات كثيرة لم تسلم من التصحيف والتحريف.

(٢) كذا نسبه إليه غير واحد من المحققين، وإنما هو قطعة من «الأنس الجليل»، وليس مختصراً، وتقع هذه القطعة في (٧١) ورقة، ضمن مجموع رقم (٢٤٠)، في المكتبة الظاهرية بدمشق.

(٣) طبع سنة (١٩٩٧م) بتحقيق مجموعة من المحققين، ونشرته دار صادر في بيروت، في ستة مجلدات.

(٤) وقد طبع الكتاب سنة (١٤١٢هـ ١٩٩٢م) بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ونشرته مكتبة التوبة بالرياض في مجلدين.

(٥) ذكره ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨).

٦ـ «التاريخ المعتبر في أنباء من غبر»[١].

٧ـ «تصحيح الخلاف المطلق في المقنع» لابن قدامة[٢].

٨ـ «الإتحاف» مختصر «الإنصاف» للمرداوي[٣].

٩ـ «إتحاف الزائر وإطراف المقيم والمسافر»[٤].

---

(١) ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٣٠٥) و(٢/ ١٧٣١)، ولدي صورة عن الأصل المخطوط في برنستون مجموعة جاريت ضمن مجموع برقم (٢٢٦٣)، يحتوي على الجزء الثاني من الكتاب، ويقع في (٧١) ورقة، نسخت سنة (٩٤٥هـ). وقد ذكر في هذا الجزء تراجم الأئمة الأربعة، وغيرهم من التابعين، والعلماء الأعلام، والرؤساء، والوزراء، والشعراء، والأعيان، وقضاة الشرع الشريف، وطلبة العلم، وحملة القرآن، على وجه الاختصار.

(٢) ذكره ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨).

(٣) ولم يعمل منه إلا النصف، كما ذكر ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨): وقال عنه المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه: «المنهج الأحمد» (٥/ ٢٩٠): وهو من كتب الإسلام، فإنه ـ أي: المرداوي صاحب «الإنصاف» ـ سلك فيه مسلكاً لم يسبق إليه، بيَّن فيه الصحيح من المذهب وأطال فيه الكلام، وذكر فيه كل مسألة ما نقل منها من الكتب وكلام الأصحاب، فهو دليل على تبحر مصنفه، وسعة علمه، وقوة فهمه، وكثرة اطلاعه.

(٤) كذا نسبه إليه البغدادي في «هدية العارفين» (١/ ٥٤٤). ونسبه حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٦) إلى أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي الدمشقي المتوفى سنة (٦١٣ هـ). **قلت**: ولأبي اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب المعروف بابن عساكر كتاب: «إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر» حققه حسين شكري، ونشرته دار الأرقم سنة (٢٠٠٠م). فلعله اختلط على صاحب «كشف الظنون»، حيث ذكر أولاً: «إتحاف الزائر» للشيخ الإمام ابن عساكر، هكذا، ثم ذكر بعده: «إتحاف الزائر وإطراف المقيم المسامر» للشيخ أبي اليمن زيد بن الحسن. . . . إلخ. أما صاحب «هدية العارفين»، فكثيراً ما يقع عنده =

١٠ـ «فتح الرحمن في تفسير القرآن»، وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

١١ـ «الوجيز» مختصر «فتح الرحمن»[1].

قال الغزي: وله غير ذلك من التآليف والفوائد، وكلها عليها الرونق والبهجة؛ لحسن إخلاصه، ومزيد اختصاصه[2].

* * *

= الخلط بين أسماء المؤلفين، ونسبة المؤلفات، وأسمائها.

(١) ذكره ابن حميد في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨).

(٢) انظر: «النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٥).

المبحث الخامس
ثناء العلماء عليه، ووفاته

١ ـ **قال الحافظ السخاوي**: أَمْثَلُ قضاةِ القدس، حسن السِّيرة، له شهرة بالفضل والإقبال على التاريخ، مع خطٍّ حسن ونَظْم(١).

٢ ـ **قال الغزي**: هو الإمام، العلامة، المسند، المؤرخ، الفقيه، المتفنن في سائر العلوم، المتحلي بقلائد المنطوق والمفهوم... ثم قال: الخطيب، الفقيه، المحدث، الأثري.

* وكان قد توفي ـ رحمه الله ـ ببيت المقدس سنة (٩٢٨ هـ)، رحمه الله تعالى، ورضي عنه(٢).

* * *

---

(١) انظر: «السحب الوابلة» (ص: ٥١٦)، نقلاً عن «الضوء اللامع» للسخاوي، ولم أقف للسخاوي في «الضوء اللامع» على ذكرٍ للمؤلف ـ رحمه الله ـ.

(٢) انظر: «النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٢).

المبحث السادس
مَصَادِر تَرجَمَتِهُ

١ـ «النعت الأكمل» للغزي (ص: ٥٢).

٢ـ «السحب الوابلة» لابن حُميد (ص: ٥١٦).

٣ـ «مختصر طبقات الحنابلة» للشطي (ص: ٨١).

٤ـ «رفع النقاب عن تراجم الأصحاب» لابن ضويان (ص: ٣٥٢).

٥ـ «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ١٧٧، ٣٠٥)، (٢/ ١٧٣٢).

٦ـ «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ٥٤٤).

٧ـ «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٣١).

٨ـ «معجم المؤلفين» لكحالة (٥/ ١٧٧).

٩ـ «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٥/ ١٣٤).

* * *

الفصل الثّاني

دِرَاسَةُ الكِتَابِ

المبحث الأول

تحقيق اسم الكتاب

جاء على طرة النسخة الخطية للمكتبة السليمانية للمجلد الأول والثاني من الكتاب:

«فتح الرحمن بتفسير الفرقان». جمع الفقير إلى رحمة الله: عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي الحنبلي، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه، آمين.

وكذا جاءت تسميته في نهاية المجلد الأول من نسخة شستربتي، وعلى ظاهر المجلد الأول من النسخة الظاهرية.

وجاءت تسميته على ظاهر النسخة الخطية (ن): «فتح الرحمن بتفسير القرآن».

وجاءت تسميته في «السحب الوابلة» (ص: ٥١٨) بـ«فتح الرحمن».

أما الزركلي في «الأعلام»، وكحالة في «معجم المؤلفين»، فقد أسمياه: «فتح الرحمن في تفسير القرآن». وقد عزا الزركلي اسم الكتاب إلى مكتبة شستربتي، وقد علمتَ ما جاء على ظاهرها.

وقد تم اعتماد التسمية الأشهر للكتاب، والتي جاءت في نسخة «ن»، وهي أقدم النسخ الخطية للكتاب.

* * *

المبحث الثاني
بيان صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه

* تقدم ذكر الإمام العليمي، وإثبات نسبة الكتاب إليه في طرة النسخة الخطية للمكتبة السليمانية، والظاهرية، ونسختي الخطية «ن»، وكذا ما جاء في نهاية النسختين الخطيتين للمكتبة السليمانية، وشستربتي من ختم المؤلف للكتاب، والتصريح باسمه، ومكان جمعه، وسنة تأليفه.

* ثم إن كل من ترجم له نسب إليه هذا التفسير، سواء مصرحاً باسمه «فتح الرحمن»، أو بذكر كتاب له في التفسير فقط.

* ثم إني رأيت الإمام السفاريني في كتابه «كشف اللثام شرح عمدة الأحكام» نقل عن تفسير العليمي هذا في موضعين من كتابه، فلتراجع فيه.

* * *

المبحث الثالث
منهج المؤلف في الكتاب

أبان المؤلف ـ رحمه الله ـ في ديباجة كتابه هذا عن منهجه فيه، وما قصد له من تأليفه، فقال: «هذا كتاب لخصته مختصراً، وهذبت لفظه محرراً، يتضمن نبذة من تفسير القرآن العظيم، وتأويل ما فيه من الآيات والذكر الحكيم، اعتمدت في نقله على كتب أئمة الإسلام، وانتقيته من فوائد العلماء الأعلام».

* ثم قال: «وذكرت فيه خلاف القراء العشرة المشهورين، الذين تواترت قراءتهم،واشتهرت روايتهم من طرق الرواة الثقات، والأئمة الأثبات.

* وذكرت فيه أربعة وقوف: التام، والكافي، والحسن، والقبيح.

* ثم قال: وإن كان في الآية الشريفة حكم متفق عليه، أو مختلف فيه بين الأئمة الأربعة، ذكرته ملخصاً، ولم ألتزم استيعاب الأحكام، بل أذكر المهم حسب الإمكان، ولم أتعرض لاختيار غيره من الأئمة المتقدمين، وحيث أقول في الحكم: بالاتفاق، فالمراد: اتفاق الأئمة الأربعة المشار إليهم».

* قال: «وربما ذكرت مذاهبهم في شيء من أصول الدين والفقه على سبيل الاختصار في محلٍّ يناسبه».

وقد قدّم المؤلف ـ رحمه الله ـ قبل الشروع في التفسير بعشرة فصول

ضمَّنها فوائد مما يتعلَّق بفضائل القرآن العظيم، وما ورد في تفسيره، وجمعه، وكتابته، وذكر الأحرف السبعة، وغير ذلك.

فإذن التزم المؤلف ـ رحمه الله ـ:

١ـ ذكر اختلاف القرَّاء العشرة، وذكر الوقوف في الآيات.

٢ـ ذكر المسائل الفقهيَّة ملخصة، مقتصراً على المهم فيها، وذلك بين الأئمة الأربعة فقط.

٣ـ ذكر المسائل العقدية على سبيل الاختصار أيضاً.

٤ـ ذكر الفوائد واللطائف المتعلِّقة بالآية.

* **أمَّا القراءات**: فقد التزم المؤلِّف بذكر الخلاف بين القرَّاء حيثما وجد، وذكر قواعدهم في ذلك، وتوجيه القراءة عند كل واحد، وما يبنى عليها من المعاني.

مثال: قول الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ . . . ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال المؤلف: ـ رحمه الله ـ (١/ ٢٩٨): (ليحكم) قرأ أبو جعفر: بضم الياء وفتح الكاف؛ لأن الكتاب لايحكم في الحقيقة، وإنما يحكم به. وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الكاف؛ أي: يحكم الكتاب؛ كقوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وقد تقدم عملُ المؤلف ـ رحمه الله ـ في القراءات على غيره في هذا الباب، بذكر الوقوف الأربعة؛ التام، والكافي، والحسن، والقبيح، على

رؤوس الكلمات مما اختاره الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ـ رحمه الله ـ، وغيره.

* **وأما الأحكام الفقهيّة**: فقد اقتصر المؤلف ـ رحمه الله ـ على المهم من المسائل المطروحة في آيات الأحكام وغيرها؛ ملخِّصاً الاتفاق والاختلاف بين الفقهاء الأربعة، معتمداً في غالب نقوله على «تفسير البغوي»، و«المحرر الوجيز» لابن عطية، و«المغني» لابن قدامة، وغيرها. مُعْرِضاً عن ذكر أدلتهم في أكثر المسائل المذكورة في هذا الكتاب.

* **وأما المسائل العقدية**: وهي التي قصدها المؤلف ـ رحمه الله ـ بقوله: وربما ذكرت مذاهبهم في شيء من أصول الدين والفقه على سبيل الاختصار في محل يناسبه.

وقد التزم المؤلف ـ رحمه الله ـ بذكر مذهب أهل السنة في غالب المسائل التي ذكرها، على وجه الاختصار والإيجاز، وذلك كقوله (٦/ ١٧٦) عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: المراد من (مثله): ذاته، والشيء: عبارة عن الموجود. قال ابن عباس: ليس له نظير. فالتوحيد: إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات، ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظِ اللفظَ، وجلَّت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة، وحيث تراءى في مرآة القلب صورة، أو خطر بالخاطر مثال، أو ركنت النفس إلى كيفية، فليجزم بأن الله بخلافه؛ إذ كل ذلك من سمات الحدوث؛ لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوق، المنزَّه عنهما الخالق تعالى.

وقال (٢/ ٥٢٩) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]:

استواء يليق بعظمته بلا كيف، وهذا من المشكل الذي يجب عند أهل السنة على الإنسان الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله ـ عز وجل ـ، وسئل الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ عن الاستواء، فقال: الاستواء معلوم ـ يعني: في اللغة ـ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وسئل الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، قال: هو كما أخبر، لا كما يخطر للبشر.

وقال (٢/ ٢٣٢) في قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾: مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان قول من يقول: خلق بنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون فيه المتكلم متكلماً. وكلام الله تعالى للنبي موسى دون تكييف ولا تحديد، فإنه سبحانه موجود لا كالموجودات، معلوم لا كالمعلومات، فكذلك كلامه لا كالكلام(١).

إلا أن المؤلف ـ رحمه الله ـ لم يَسر على الجادة نفسها، فوقعت منه بعض المخالفات لِمَا التزمه من حكاية مذهب السلف، ومن ذلك قوله (٥/ ٥٠٨) في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢]، على قراءة من قرأ بضم التاء من قوله: ﴿عجبت﴾: والتعجب من الله ليس كالتعجب من الآدميين؛ لأنه من الناس إنكار وتعظيم، ومن الله قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا. ثم قال: وهي عبارة عما يظهره الله تعالى في جانب المتعجب منه من التعظيم أو التحقير، حتى يصير الناس متعجبين منه(٢).

---

(١) وانظر أمثلة أكثر على ذلك: (١/ ١٣٣، ١٦٢، ١٩٤)، (٢/ ٣١٩)، (٦/ ٤٦).

(٢) والتحقيق في هذا: أن نسبة التعجب إليه ـ سبحانه وتعالى ـ كنسبة سائر الصفات=

وفي قوله (٢/ ٣٧٩) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨]: المراد بـ«فوق»: علو القدرة والشأن.

هذا ـ على وجه الإجمال ـ المقاصدُ الكبرى التي قصدها المؤلف ـ رحمه الله ـ في تفسيره هذا، ونبه على ذكرها في مقدمة الكتاب.

وفي تفاصيل الكتاب يَلحظ المطالع أموراً عدة، من ذلك:

١ـ التزامه بذكر مكي السور ومدنيها، وعدد آيات السورة وكلماتها وحروفها في أول كل سورة يفسرها.

٢ـ ذكر أسباب النزول عند كل آية ورد بخصوصها سبب، وذكره أهل التفسير في كتبهم.

٣ـ سرد قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة، مع ذكر أسماء الأشخاص والأماكن وتاريخ وقوع الأحداث، وغالب ذلك يكون من الإسرائيليات.

٤ـ تفسير المفردات من حيث الوضع اللغوي والشرعي في غالب الأحيان.

= والأفعال إليه، فإنه تعجب لا يماثل ولا يشابه تعجب المخلوقين، كما أن الرضا والغضب والحب والفرح وغير ذلك مما ورد في القرآن أو السنة الصحيحة لا تماثل ما للمخلوقين من ذلك. كما أن ذاته ـ سبحانه وتعالى ـ لا تشبه ذوات المخلوقين، وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم. ثم إن هذا التأويل ـ أعني: تأويل التعجب من الله بمعنى الإنكار أو الذم، أو بمعنى الرضا والاستحسان ـ لا يرفع الإشكال، إذ ما يستشكل من نسبة التعجب يلزم مثله من الرضا والذم ونحو ذلك، فإن قيل: رضا ليس كرضا المخلوقين، واستحسان ليس كاستحسان المخلوقين، فليُقل: تعجب ليس كتعجب المخلوقين، وعلى هذا جميع ما يرد في هذا الباب، وبالله التوفيق.

٥ـ إيراد الأمثلة الدائرة على ألسنة الناس مما يوافق معنى الآية التي يفسرها، وذلك كقوله (٣/ ١٩٢) عند قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]: وفي معنى قوله تعالى من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: للحيطان آذان.

وقال (٣/ ٢٨٥) في معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩]، من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: من جهل شيئاً عاداه.

٦ـ التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في القرآن العظيم؛ كالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وغيرهم.

٧ـ تلخيص الآية بعد تفسيرها؛ كقوله (١/ ٤٠٦) في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] المعنى: اجتنبوا معصية الله يعرفكم طرقَ فلاحِكم. تلخيصه: من راقب الله، أرشده.

وكقوله (١/ ٣٢٠) في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. تلخيصه: استقرَّ للمؤمنين تربُّص أربعة أشهر.

٨ـ الإتيان بالفوائد واللطائف والإشارات الدقيقة، وذلك كقوله (١/ ١١٥) في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٢٢٦] قال: الفقر، سمي الفقير مسكيناً؛ لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة، فترى اليهود ـ وإن كانوا أغنياء ـ كأنهم فقراء، فلا يرى في أهل المال أذل وأحرص على المال من اليهود.

٩ـ تحري الصواب والراجح من أقوال المفسرين في تفسير الآيات.

* * *

المبحث الرابع
مَوَارِدِ المؤلِّف في الكِتَابِ

أولاً: التفسير وما يتصل به:

١ـ تفسير ابن جرير الطبري.

٢ـ «التنزيل» لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، المتوفى سنة (٤٠٦هـ)[١].

٣ـ «معالم التنزيل» للبغوي.

٤ـ «الكشاف» للزمخشري.

٥ـ تفسير النسفي.

٦ـ «أحكام القرآن» لابن العربي.

٧ـ تفسير الرازي.

٨ـ «زاد المسير» لابن الجوزي.

٩ـ تفسير الثعلبي.

١٠ـ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي.

١١ـ «المحرر الوجيز» لابن عطية.

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٢٣٧).

١٢ـ تفسير الثعالبي.

١٣ـ تفسير الكَوَاشي[(١)].

١٤ـ «البحر المحيط» لأبي حيان.

*** القراءات:**

١٥ـ «اللوامح في شواذ القراءات» لأبي الفضل الرازي، المتوفى سنة (٤٥٤ هـ).

١٦ـ «الإيضاح في علم القراءات» لأحمد بن أبي عمر الأندرابي، المتوفى سنة (٤٧٠هـ).

١٧ـ «الشاطبية في القراءات».

١٨ـ «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري.

١٩ـ «إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربعة عشر» لشمس الدين القباقبي[(٢)].

*** غيرها:**

٢٠ـ «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي.

٢١ـ «الدر النظيم في فضائل القرآن الكريم» لأبي السعادات اليافعي، المتوفى سنة (٧٥٠ هـ).

---

(١) لأبي العباس الكواشي الشافعي ـ المتوفى سنة (٦٨٠ هـ) ـ تفسيران، أحدهما كبير، ويسمى: «التبصرة»، والثاني صغير. انظر: «معرفة القراء الكبار» للذهبي (٢/ ٦٨٥).

(٢) للإمام شمس الدين محمد بن خليل القباقبي الحلبي، ثم المقدسي الشافعي، المتوفى سنة (٨٤٩ هـ) نظم كثير منه: «جمع السرور ومطلع البدور»، و«إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز»، وغيرهما. انظر: «الأنس الجليل» للمؤلف (٢/ ١٧٩).

ثانياً: الحديث وما يتصل به:

٢٢ـ صحيح البخاري.

٢٣ـ صحيح مسلم.

٢٤ـ مسند الإمام أحمد.

٢٥ـ «شعب الإيمان» للبيهقي.

٢٦ـ «سيرة ابن هشام».

٢٧ـ «شرح السنة» للبغوي.

٢٨ـ «فتح الباري» لابن حجر.

٢٩ـ «الشفا» للقاضي عياض.

٣٠ـ «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» لابن الجوزي.

٣١ـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان.

ثالثاً: الفقه:

٣٢ـ «المغني» لابن قدامة.

٣٣ـ «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٤ـ «الإنصاف» للمرداوي.

٣٥ـ «روضة الطالبين» للنووي.

٣٦ـ «مختصر الشيخ خليل» في الفقه المالكي.

*** غيرها:**

٣٧ـ شرح مقامات الحريري، لأبي العباس الشريشي، المتوفى سنة (٦١٩هـ).

* * *

المبحث الخامس
مَنزِلَةُ الكِتَابِ العِلْمِيَّة

وفيه مطلبان:

*** المطلب الأول: أهمية الكتاب ومزاياه:**

يعد هذا الكتاب من تفاسير الحنابلة التي سلمت من الضياع، والتي لم يخرج منها إلا النزر القليل[(١)]، ومؤلفه الإمام مجير الدين العليمي من أئمة الحنابلة في القرن العاشر الهجري، قد اعتنى فيه:

بذكر القراءات، واختلاف القراء فيها، وتوجيهها، وذكر معانيها.

وذكر فيه عقائد أهل السنة على وجه مختصر مفيد.

---

(١) فمن كتب الحنابلة المشهورة والمتداولة في التفسير: «زاد المسير» لابن الجوزي، و«رموزالكنوز في تفسير الكتاب العزيز» للإمام عبد الرزاق الرسعني المتوفى سنة (٦٦١ هـ)، و«تفسيراللباب» لابن عادل الحنبلي، و«مجموع تفاسير» شيخ الإسلام ابن تيميّة، وتلميذه الإمام ابن القيّم ـ رحمهم الله أجمعين ـ. ومن تفاسير الحنابلة المعاصرة التي لاقت قبولاً عند الناس كافة: تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي المسمى: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، ولشيخنا العلامة محمد بن صالح بن عثيمين ـ رحمه الله ـ في الدروس التفسيرية، والتي صدرت في مجموعة مطبوعة بعنوان: «تفسير القرآن العظيم». هذا وقد جمع الدكتور سعود الفنيسان «آثار الحنابلة في علوم القرآن»، فَيَسَّرَ على نحو كبير تقريب تراث الحنابلة وجهودهم في التفسير.

وسرد فيه فقه الأئمة الأربعة وفق منهج قويم، بعيد عن التعصب والتقليد.

واعتمد على الصحيح الراجح من أقوال المفسرين.

وجاءت عبارته سهلة ميسرة قريبة من كل العقول والأفهام.

ومن هنا امتدحه الإمام الغزي بقوله: وقفت له ـ أي: الإمام العليمي ـ على تفسير جليل على القرآن العظيم يشبه تفسير القاضي البيضاوي(١).

وقال فيه العلامة ابن بدران الحنبلي: وقد رأيته في مجلد، يفسر تفسيراً متوسطاً، ويذكر القراءات، وإذا جاءت مسألة فرعية، ذكر أقوال الأئمة الأربعة فيها، وفيه فوائد لطيفة(٢).

*** المطلب الثاني: المآخذ على الكتاب:**

١ـ نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ بعض المخالفات والإسرائيليات والاعتقادات التي لم ترد فيها نصوص صحيحة من كتب التفسير وغيرها، وإثباتها في كتابه هذا دون التنبيه إليها، ومن ذلك قوله: من قرأ حين يخاف مضرة الحيَّة والعقرب ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩] ما ضرتاه(٣).

وقوله: إن آخر آية من سورة محمد قد حوت كل حروف المعجم، ومن دعا بها الله، استجيب له(٤).

---

(١) انظر: «النعت الأكمل» للغزي (ص: ٨٢).
(٢) انظر: «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» لابن بدران (ص: ٤٧٦).
(٣) انظر: (٣/ ٣٤٢) من هذا الكتاب.
(٤) انظر: (٦/ ٣٥٧)، وانظر: (٢/ ٤٦ـ٤٧).

ومن ذلك قوله في قبر لقمان: وأنه مقصود للزيارة[1].

وكذا ما ذكره في قصة أصحاب الكهف، وغيرها.

٢ـ إغفال المؤلف ـرحمه الله ـ للموارد التي ينقل عنها في غالب الأحيان، فقد أكثر النقل من تفسيري: «البغوي»، و«ابن عطية»، وغيرهما، ولم يصرح بالنقل عنهما إلا في مواضع قليلة جداً.

* * *

(١) انظر: (٥/ ٣٠٤). وقد رأيت له من ذلك كثيراً في كتابه الآخر: «الأنس الجليل»، انظر على سبيل المثال: (٢/ ١٧٥ـ ١٧٦ـ ١٧٧).

المبحث السادس

وَصْفُ ٱلنُّسَخِ ٱلخَطِّيَّةِ ٱلْمُعتَمَدَةِ فِي ٱلتَّحْقِيقِ

تم الوقوف ـ بحمد الله ـ في تحقيق هذا السِّفر على أربع نسخ خطية:

أولاها: نسخة المكتبة السليمانية في تركيا.

وثانيتها: نسخة تشستربتي في مدينة دبلن بإيرلندا.

وثالثتها: نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق.

ورابعتها: نسخة خاصة من خزانة مخطوطاتي الأصلية ـ عمرها الله بكل نفيس مفيد، وحفظها بحفظه الدائم ـ.

وهذا وصف لكلٍّ واحدة منها:

*** النسخة الأولى:**

وهي من محفوظات المكتبة السليمانية بتركيا، ضمن مجموع تحت رقم (١٤٣)، وتتألف من جزأين في (٣٧٩) ورقة:

أما الجزء الأول: فيقع في (١٩٤) ورقة، في كل ورقة وجهان، وفي الوجه (٣١) سطراً، وفي السطر (١٨) كلمة تقريباً.

أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده، حمداً يليق بجلال عظمته، ورفيع مجده...

وآخره عند سورة الإسراء. وجاء في نهايته: وقد وافق الفراغ من هذا الكتاب ثامن عشر شهر رمضان المعظم قدره، من شهور سنة ست عشرة وألف. أحسن الله ختامها، على يد أضعف العباد، الراجي عفو مالك المحامد، الفقير يحيى بن حامد، وذلك بالمسجد الأقصى الشريف المعظم قدره، . . . والحمد لله رب العالمين.

وأما الجزء الثاني: من هذه النسخة، فيقع في (١٨٥) ورقة، ويبتدىء من أول سورة الكهف، وينتهي بآخر سورة من القرآن الكريم، وجاء في آخره: قال جامعه ـ عفا الله عنه بكرمه ـ: وكان الفراغ من جمع هذا الجزء، عقب صلاة الظهر من يوم الخميس، الثالث والعشرين من شهر صفر، ختم بالخير والظفر، سنة أربع عشرة وتسع مئة، من الهجرة الشريفة النبوية المحمدية. . . وكان جمعه بالمسجد الأقصى الشريف ـ شرفه الله وعظمه ـ بقبة موسى ـ عمرها الله بذكره ـ. ووافق الفراغ من تبييضه عقب صلاة الظهر من يوم السبت، السابع والعشرين من جمادى الأولى، سنة سبع عشرة وتسع مئة وألف، الحمد لله وحده. . .

فهذه النسخة إذن قريبة العهد بمؤلفها، إذ ناسخها السيد يحيى بن حامد قد انتسخها سنة (١٠١٦ هـ).

وقد جاء على طرة الكتاب: اسم الكتاب ومؤلفه، وفهرست لأسماء السور وأرقام اللوحات الواردة فيها.

وعلى هذه النسخة عدة أختام، وقد لونت فيها الفصول وأسماء السور والآيات باللون الأحمر، ووضعت على الآيات الرموز التي التزمها المؤلف من الوقف وغيره.

وجاء على هوامشها تنبيهات إلى بداية ونهاية الأجزاء، وكذا أسماء السور، وفيها تنبيهات لما كرره المؤلف في بعض المواضع، وذكر المهمات التي أوردها المؤلف؛ كقول الناسخ: فائدة عزيزة، أو غريبة، أو مفيدة، ونحو ذلك. ويذكر أحياناً توضيحات للمبهمات عند المؤلف، وإحالات على مراجع أُخر لزيادة على ما ذكره المؤلف.

وهذه النسخة نسخة جيدة في مجملها، معتمدة في إثبات نص مؤلفها، ولولا ما تخللها من بعض الأسقاط القليلة[1]، وبعض التحريفات والتصحيفات، لأغنت في بابها عن كل نسخ الكتاب الموجودة.

وقد رُمز لهذه النسخة بالرمز «ت».

*** النسخة الثانية:**

وهي من محفوظات مكتبة تشستربتي في مدينة «دبلن» بإيرلندا، وتقع في (٣١٤) ورقة، تتألف من جزأين:

أما الجزء الأول: فهو يتألف من (١٤٥) ورقة، في كل ورقة وجهان، الوجه (٢٧) سطراً، وفي السطر (٢٢) كلمة تقريباً.

وهو مخروم في أوله، يبدأ عند قوله: الأربعة المشار إليهم، وربما ذكرت مذاهبهم في شيء من أصول الدين والفقه... إلى أن ذكر: في ذكر ما ورد في فضائل القرآن العظيم.

وآخره ينتهي عند قوله في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]: واستعارة الشفاء للقرآن هو

---

(١) وهذه مواضع الأسقاط كما أثبتت في المطبوع: (١/٢٢٣)، (٢/١٧٧)، (٥/٢٣٦، ٣٧٠، ٣٩٣).

بحسب إزالته للريب، وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات. وبعد هذا سقط إلى نهاية سورة الإسراء.

وأما الجزء الثاني: فيقع في (١٦٩) ورقة، ويبدأ من سورة الكهف بقوله: سورة الكهف مكية في قول جميع المفسرين.

وآخره: قال جامعه الفقير إلى رحمة ربه عبد الرحمن بن محمد العمري الحنبلي ـ ستره الله بحلمه، ولطف به ـ . . . : جمعته بالمسجد الأقصى الشريف ـ شرفه الله ـ في قبة موسى ـ عمرها الله بذكره ـ تجاه باب السلسلة، أحد أبواب المسجد الأقصى، في نحو ثمانية عشر شهراً، وكان الفراغ منه في غرة يوم الجمعة الغراء من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته من شهور سنة أربع عشرة وتسع مئة من الهجرة.

وجاء بعده اسم ناسخه ابن عادل المرعشي الحنفي، الذي انتهى من نسخه سنة (٩٦٦ هـ)؛ أي: بعد وفاة المؤلف ـ رحمه الله ـ بثمان وثلاثين سنة.

وهذه النسخة لا بأس بها في المقابلة، إلا أنه قد كثر فيها التصحيف والتحريف، وتكررت فيها الأسقاط[1].

وقد رُمز لهذه النسخة بالرمز «ش».

*** النسخة الثالثة:**

وهي من محفوظات المكتبة الظاهرية بدمشق، برقم (٩٢٨٧)، وتحتوي على المجلد الأول فقط من الكتاب، ويقع في (٣٢٢) ورقة، في

(١) وهذه مواضع الأسقاط كما أثبتت في المطبوع: (٢/ ١١، ٨٢، ٣٣٦)، (٣/ ٤٩٥)، (٤/ ٤٠)، (٤/ ١٤٢)، (٦/ ٣٥٧، ٤٦٦)، (٧/ ٤٥٣).

كل ورقة وجهان، وفي الوجه (٢٥) سطراً، وفي السطر (١٤) كلمة تقريباً.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده، حمداً يليق بجلالة عظمته، ورفيع مجده...

وآخرها: نهاية سورة الإسراء عند قوله: قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: قول العبد: الله أكبر، خير من الدنيا وما فيها، وهي أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال، ثم أكدها...

وقد كتب في هوامشها أوائل الأجزاء، وآخرها، وأقسامها، كما ألحقت بعض الاستدراكات التي سقطت أثناء النسخ.

وهذه النسخة أفضل من سابقتيها؛ لضبط أكثر الكلام فيها بالشكل، ولخلوها من الأسقاط الموجودة في النسختين السابقتين، لولا أنها ناقصة المجلد الثاني، وإهمال رموز الوقف وغيرها التي وضعها المؤلف في أول الكتاب.

وقد رُمز لهذه النسخة بالرمز «ظ».

*** النسخة الرابعة:**

وهي تتألف من جزء واحد فقط، وتقع في (٢٧٠) ورقة، وفي الورقة وجهان، وفي الوجه (٢٦) سطراً، وفي السطر (١٢) كلمة تقريباً.

جاء على ظاهرها: الجزء الأول من «فتح الرحمن بتفسير القرآن» جمع القاضي مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العمري العليمي، صاحب التاريخ، نفعنا الله تعالى به.

وكتب عليه أيضاً: من أول القرآن إلى سورة يوسف، وقد كمل بحمد الله سبحانه في مجلدين آخرين.

وقد كتب على ظاهرها بعض التملكات.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده حمداً يليق بجلال عظمته، ورفيع مجده.

وآخرها: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. . . ويلهو. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: بالنون فيهما، وابن كثير: بكسر العين من (يرتع).

وهذه النسخة جيدة معتمدة أكثر من غيرها لو أنها كانت كاملة، فقد لونت فيها الآيات باللون الأحمر، وأسماء السور باللون الأخضر، والرموز التي التزمها المؤلف باللون الأصفر، إلا أنها أهملت عند نهاية سورة الأنعام، كما أثبت على هوامشها تقسيمات الأجزاء والأحزاب، وذكر العناوين والتنبيهات التي أوردها المؤلف في تفسيره. ولم يقع فيها إلا سقط واحد كما بين في (٢/ ١٥٦) من هذا الكتاب.

وقد رمز لهذه النسخة بالرمز «ن».

* * *

المبحث السابع
بيان منهج التحقيق

١ـ نسخ النسخة الخطية لمكتبة تشستربتي، وذلك بحسب رسم وقواعد الإملاء الحديثة.

٢ـ معارضة المنسوخ بالأصول الخطية المعتمدة في التحقيق، وهي نسخة المكتبة السليمانية ونسخة الظاهرية ونسختي الخاصة.

٣ـ إثبات الفروق المهمة بين النسخ الخطية باعتماد الصواب في النص، والإشارة إلى الأسقاط الموجودة في النسخ كافة.

٤ـ الزيادة في مواضع عدة ما كان النص لا يقوم إلا به، وجعل هذه الزيادة بين معكوفتين.

٥ـ إدخال علامات الترقيم المعتادة على النص، وتفقير الكتاب.

٦ـ إدراج الآيات القرآنية كاملة في بداية تفسير كل آية يتكلم عليها المؤلف برسم المصحف الشريف على رواية حفص، ملونة باللون الأخضر.

٧ـ ضبط الأحاديث النبوية بالشكل، وكذا ضبط نص الكتاب بالشكل شبه الكامل، تيسيراً وتسهيلاً على مطالعه.

٨ـ تخريج الأحاديث النبوية الواردة لدى المؤلف، فإن كان الحديث

في «الصحيحين» أو أحدهما، فإنه يكتفى بالعزو إليهما دون غيرهما، وإلا، فمن باقي الكتب الستة، وذلك بذكر رقم الحديث والباب والكتاب اللذين ورد فيهما الحديث، مع الإشارة إلى اسم الصحابي الذي روى الحديث، فإن لم يكن فيها، تم تخريجه من غير الكتب الستة بذكر المصدر، ورقم الحديث، أو الجزء والصفحة.

٩ـ عزو أسباب النزول التي ذكرها المؤلف إلى مصادرها ـ ما أمكن ـ.

١٠ـ عزو القراءات إلى الكتب التي اعتنت بذلك؛ لتيسير الرجوع إلى مظانها.

١١ـ عزو الآثار الواردة؛ بذكر اسم المصدر، ورقم الأثر، أو الجزء والصفحة.

١٢ـ التنبيه إلى بعض القصص والأخبار والإسرائيليات في غالب الأحيان.

١٣ـ عزو النقول والأقوال التي يصرح المؤلف ـ رحمه الله ـ بذكرها.

١٤ـ كتابة مقدمة للكتاب، مشتملة على ترجمة للمؤلف، ودراسة للكتاب.

١٥ـ تذييل الكتاب بفهارس علمية مشتملة على:

ـ فهرس الآيات القرآنية.

ـ فهرس الأحاديث النبوية.

ـ فهرس الآثار والأقوال.

ـ فهرس الإسرائيليات.

- فهرس موضوعات الكتاب .

- فهرس القراء .

- فهرس الأعلام .

- فهرس السور وما يحتوي الكتاب .

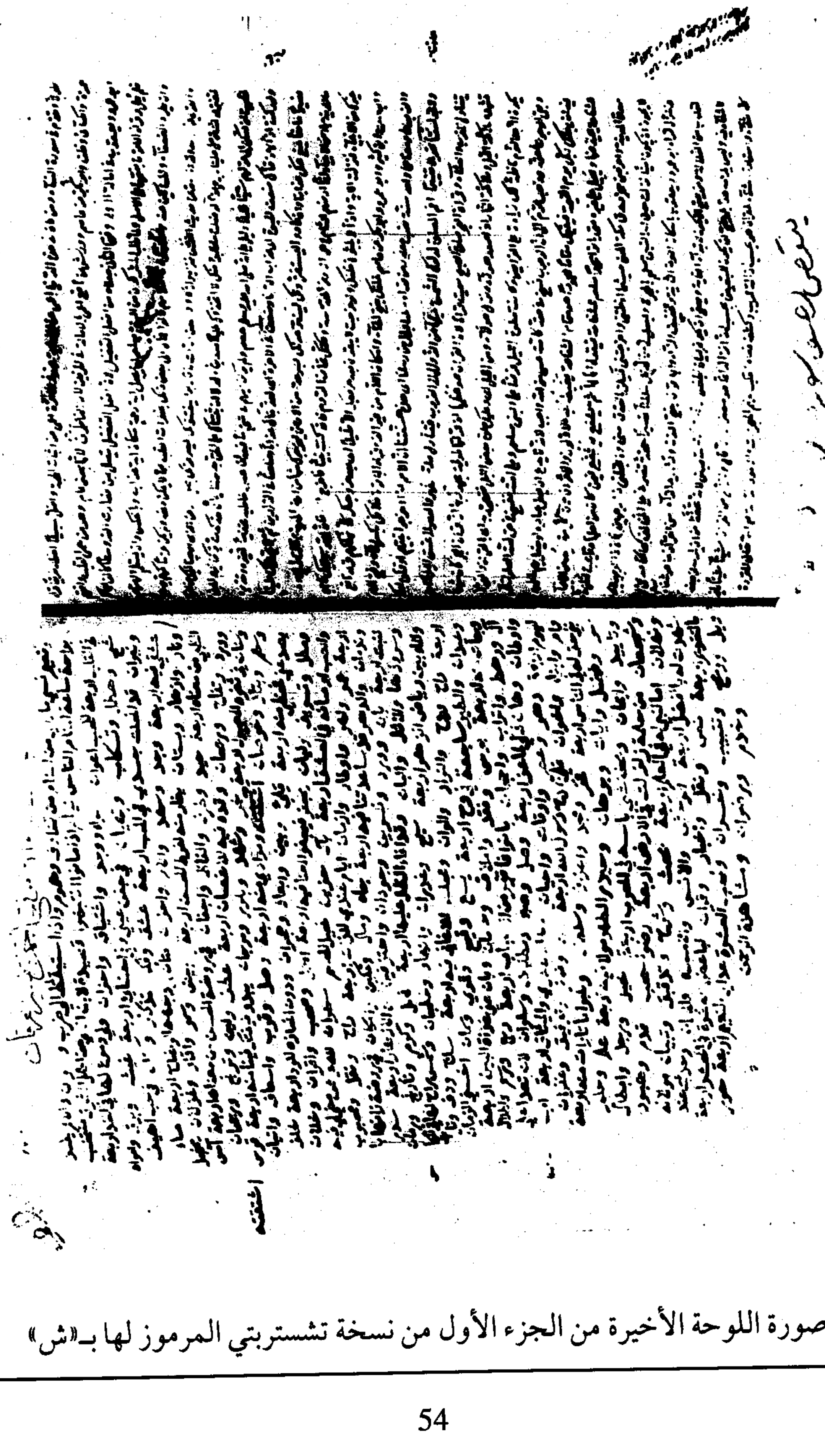
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

* * *

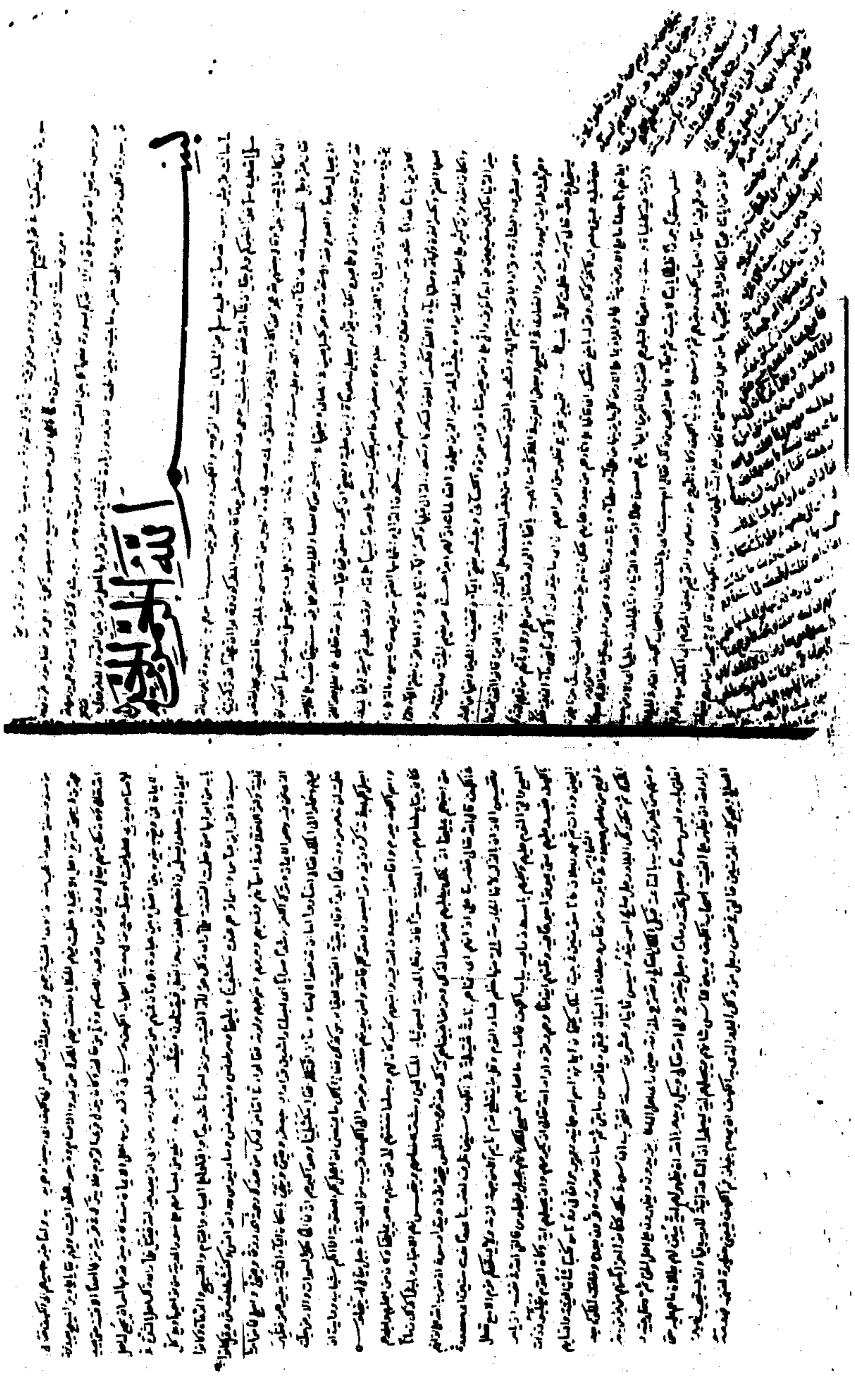
صور المخطوطات



صورة اللوحة الأولى من الجزء الأول من نسخة تشستربتي المرموز لها بـ«ش»



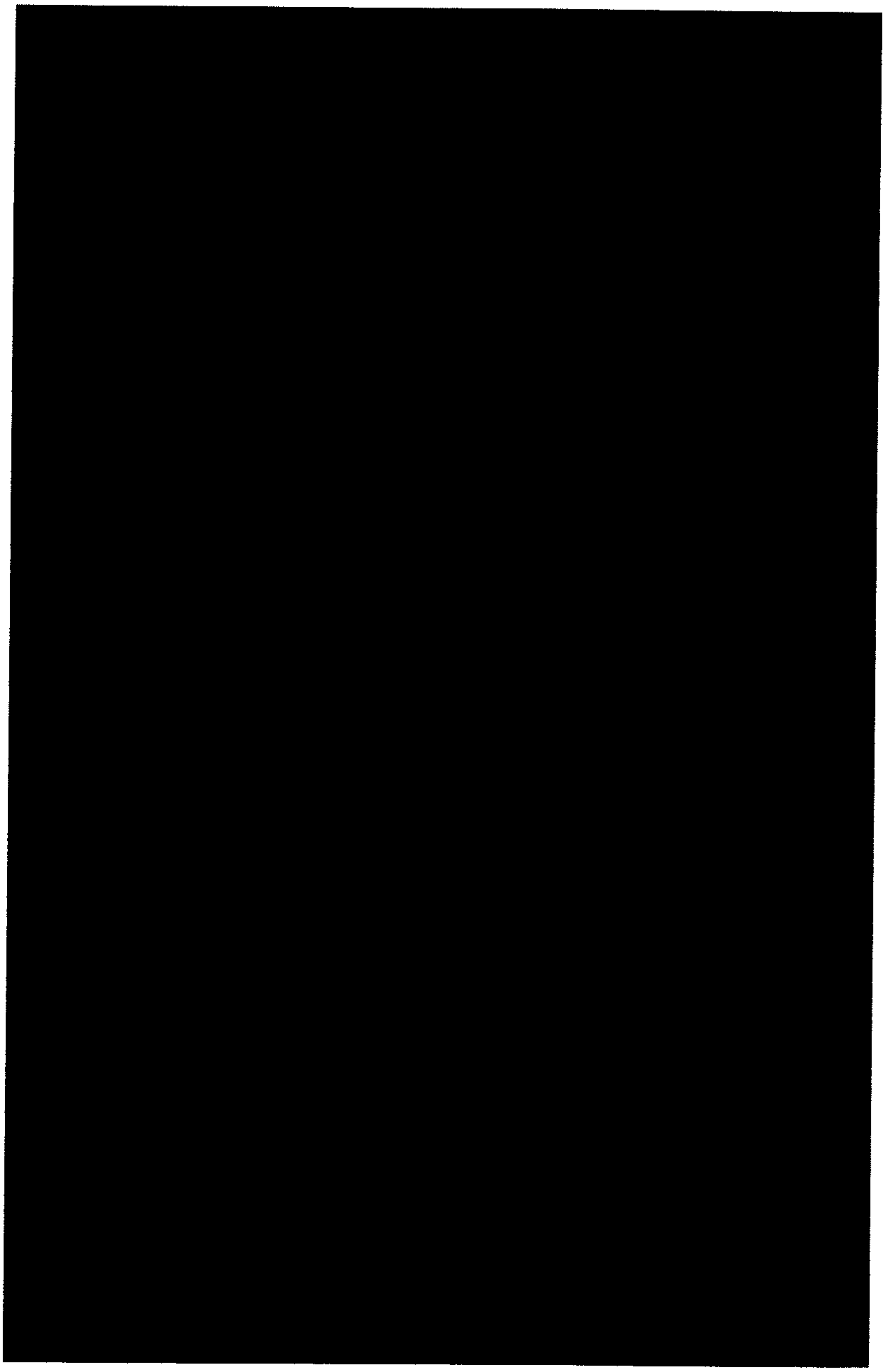
صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من نسخة تشستربتي المرموز لها بـ«ش»



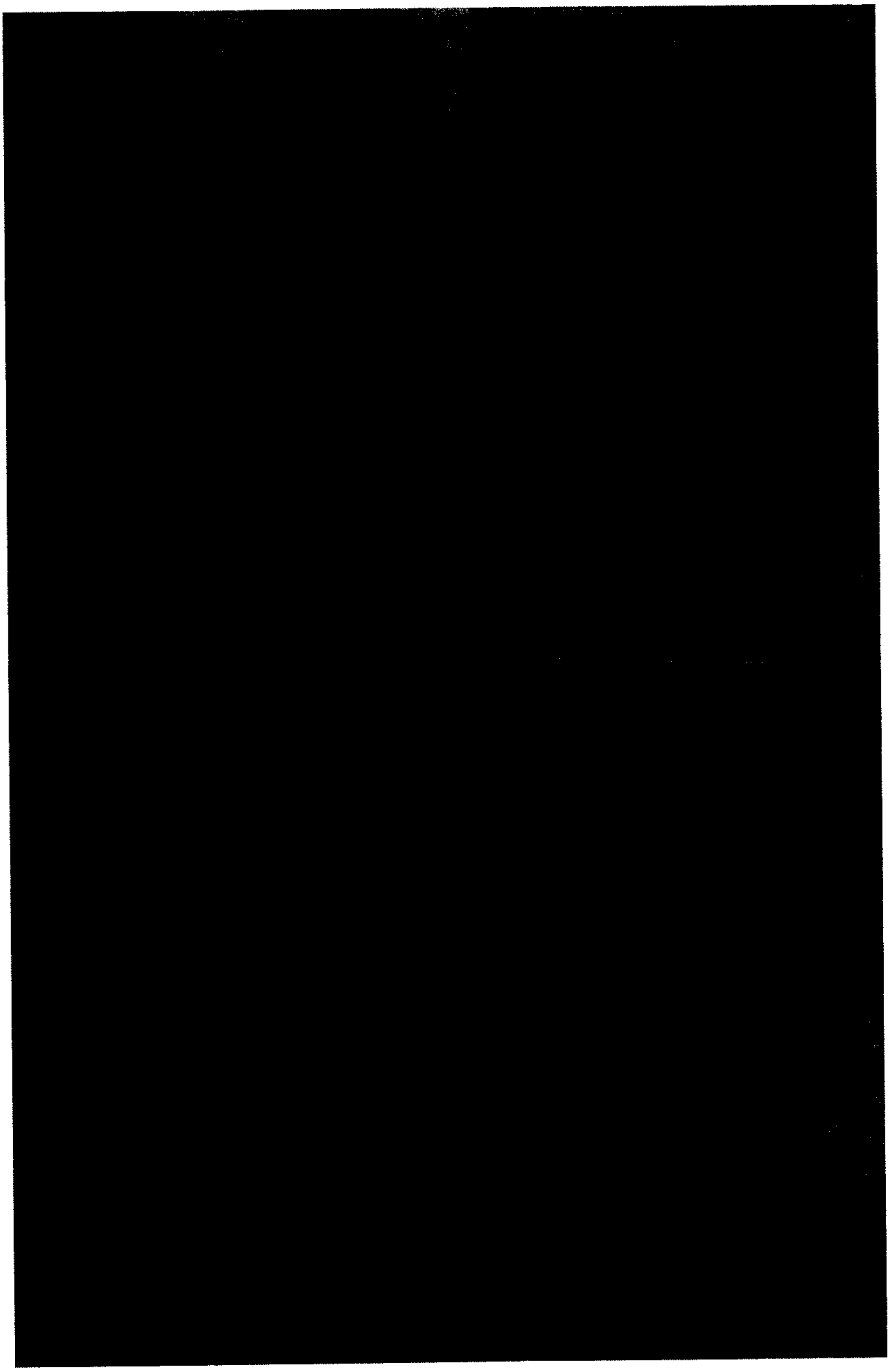
صورة اللوحة الأولى من الجزء الثاني من نسخة تشستربتي المرموز لها بـ«ش»



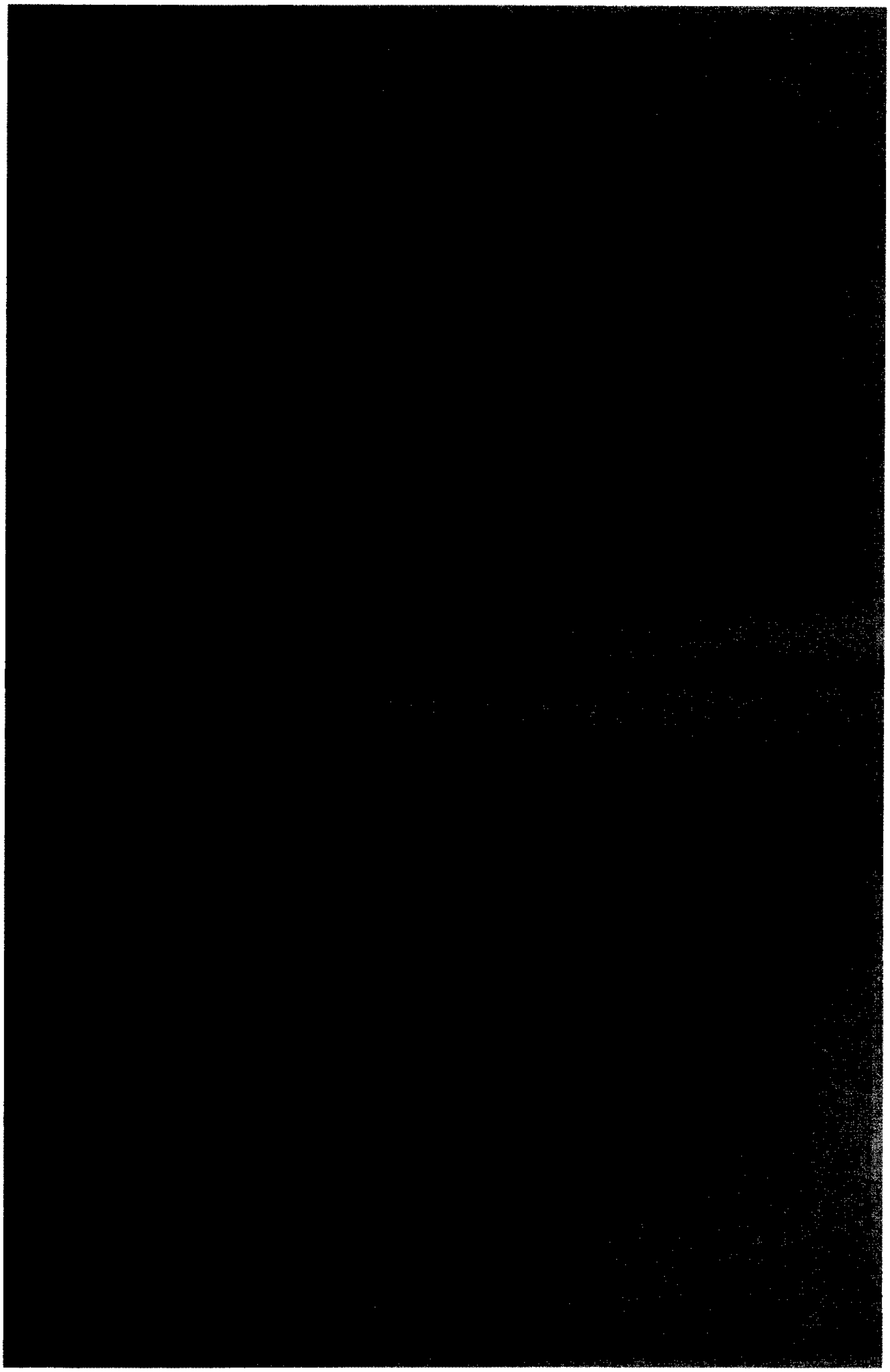
صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الثاني من نسخة تشستربتي المرموز لها بـ«ش»



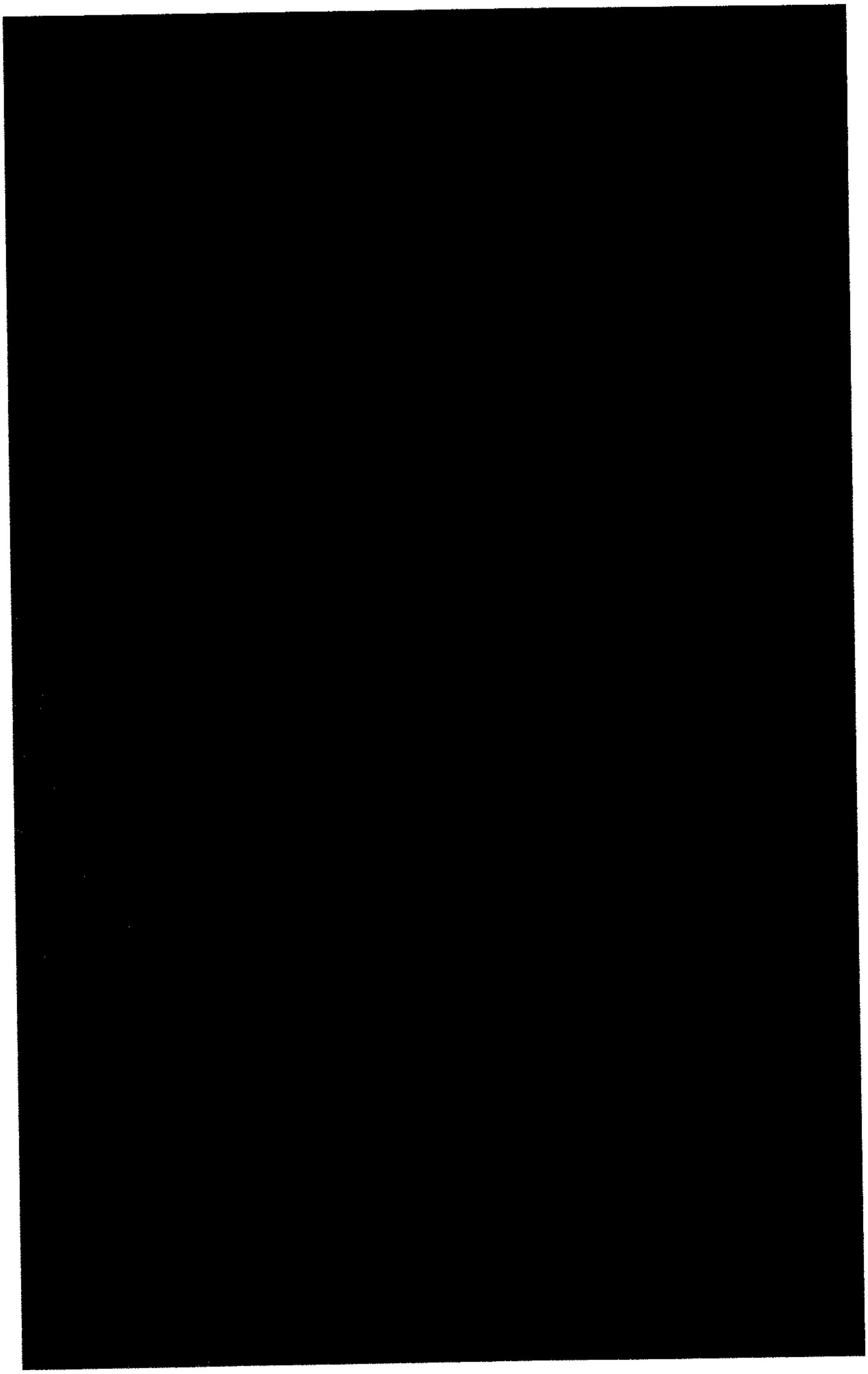
صورة غلاف الجزء الأول من النسخة الخطية للمكتبة السليمانية بتركيا المرموز لها بـ«ت»



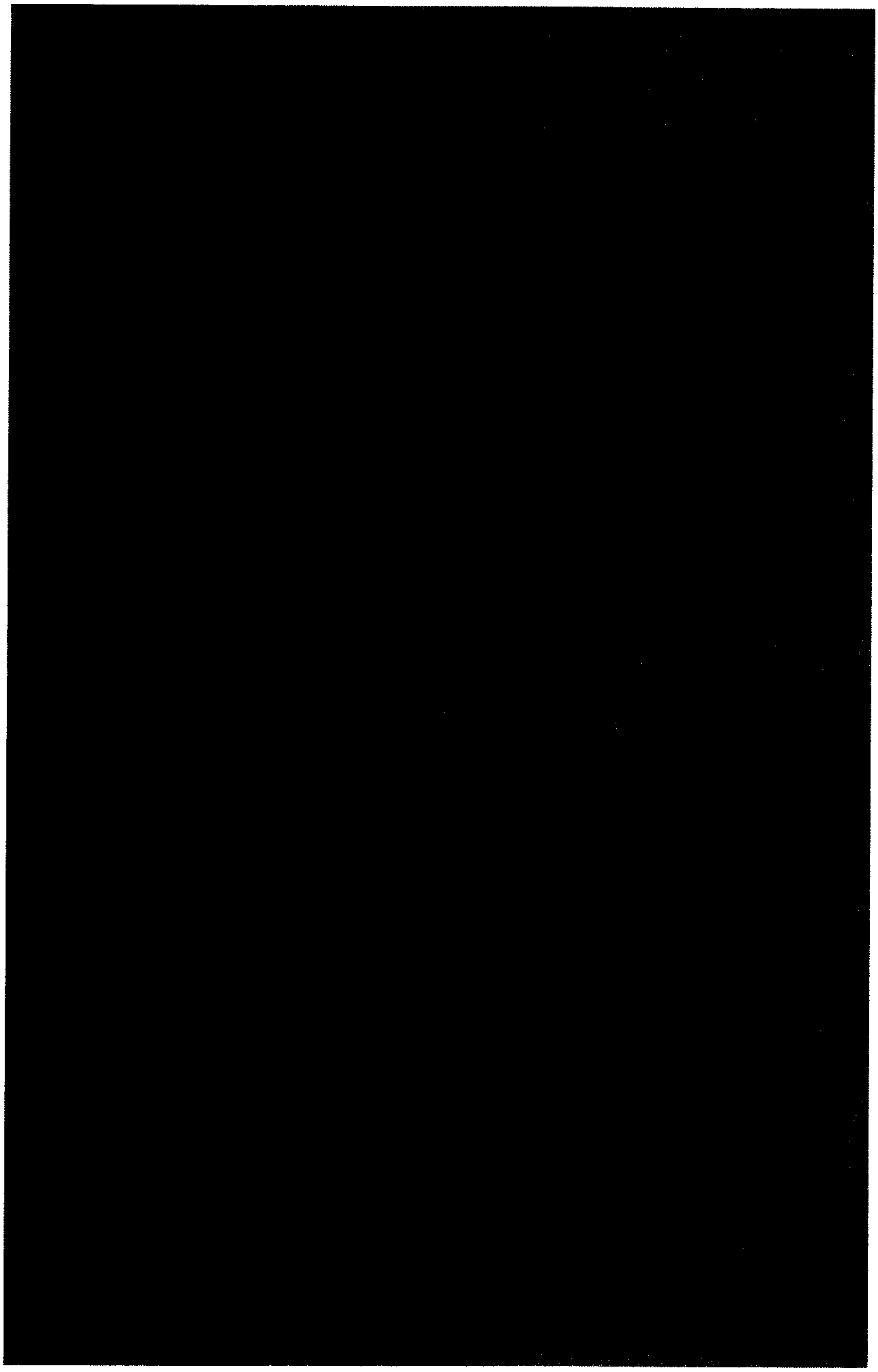
صورة اللوحة الأولى من الجزء الأول من النسخة السليمانية المرموز لها بـ«ت»



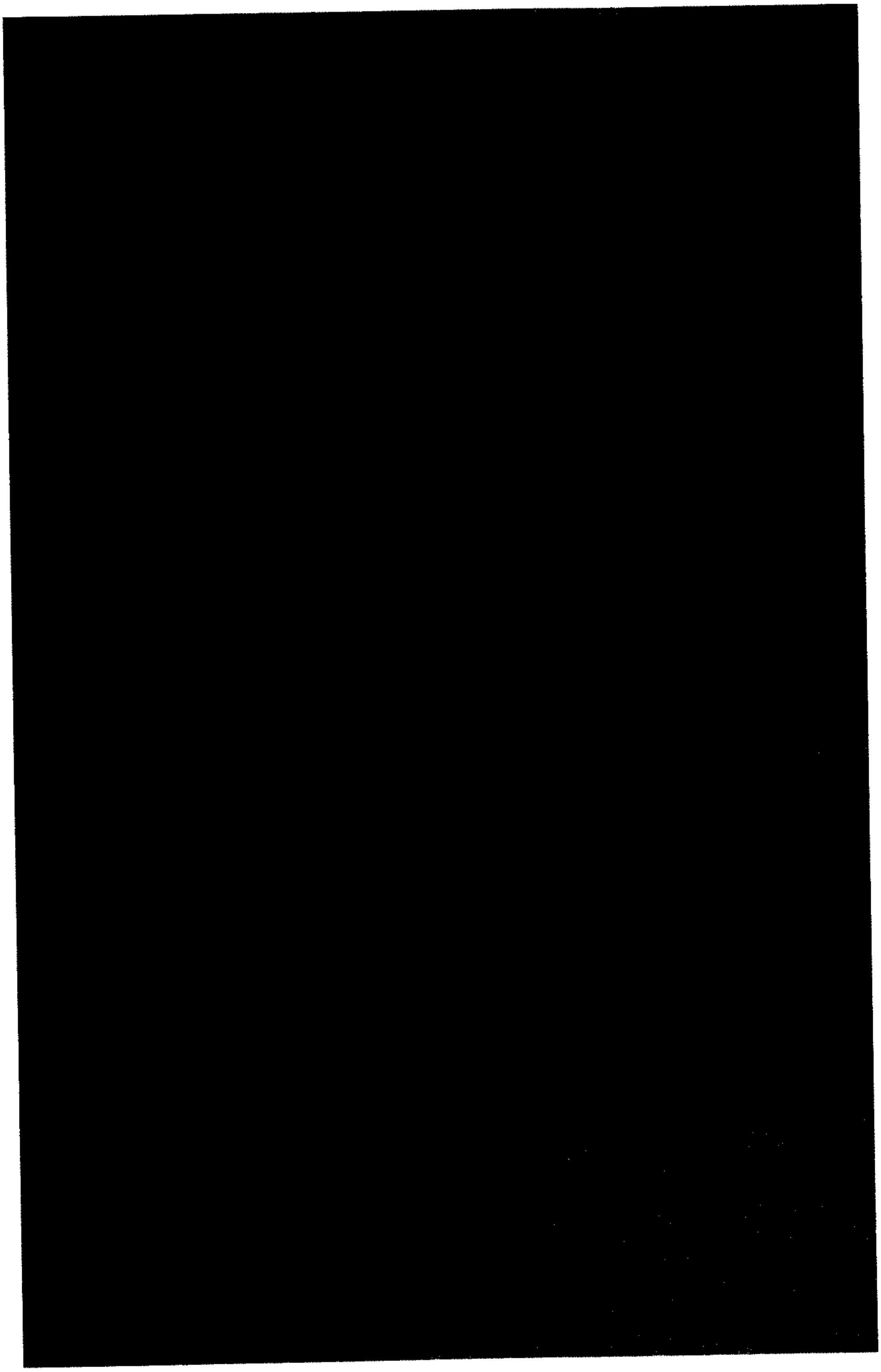
صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة السليمانية المرموز لها بـ«ت»



صورة غلاف الجزء الثاني من النسخة الخطية للمكتبة السليمانية المرموز لها بـ«ت»



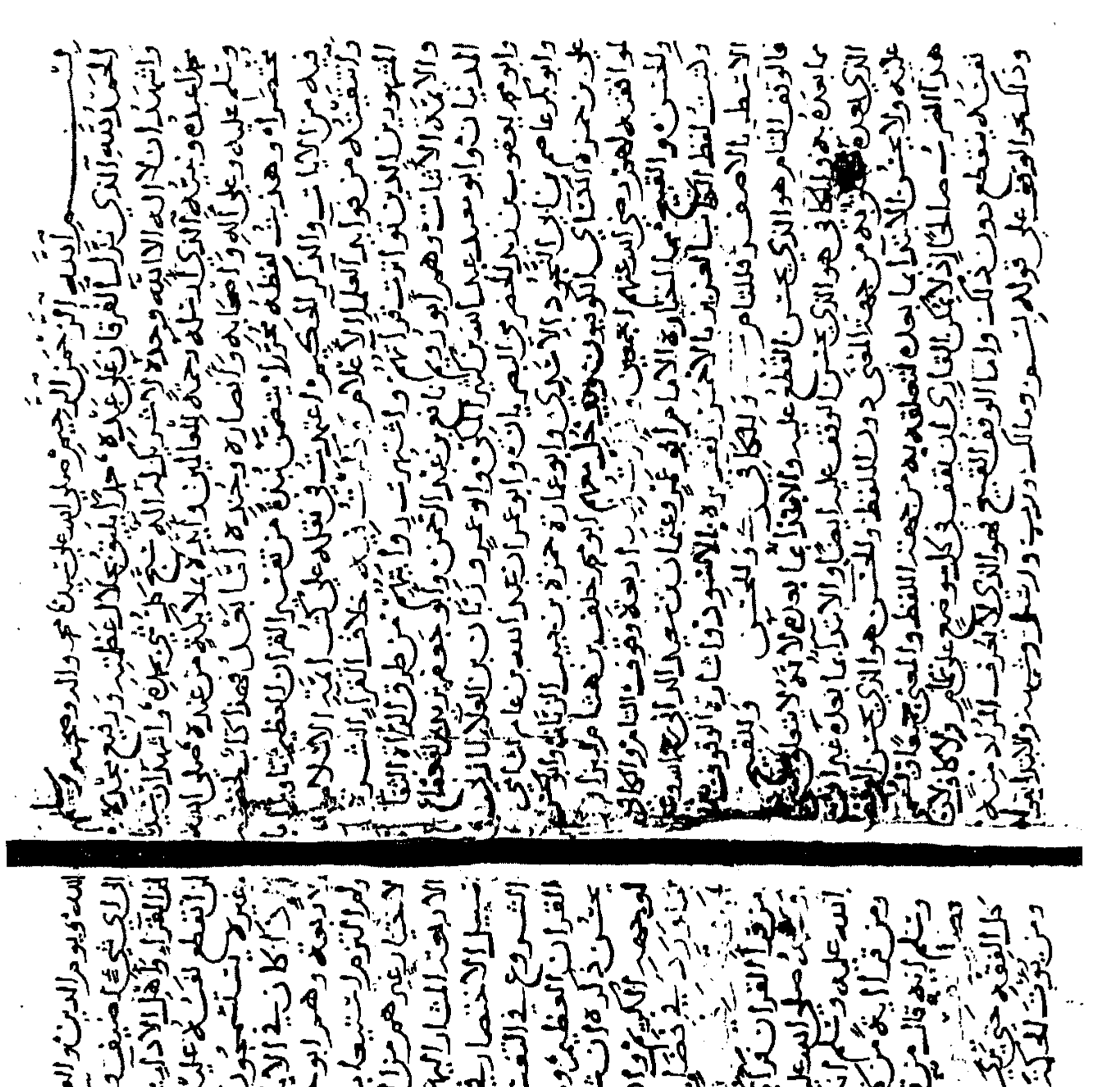
صورة اللوحة الأولى من الجزء الثاني من النسخة السليمانية المرموز لها بـ«ت»



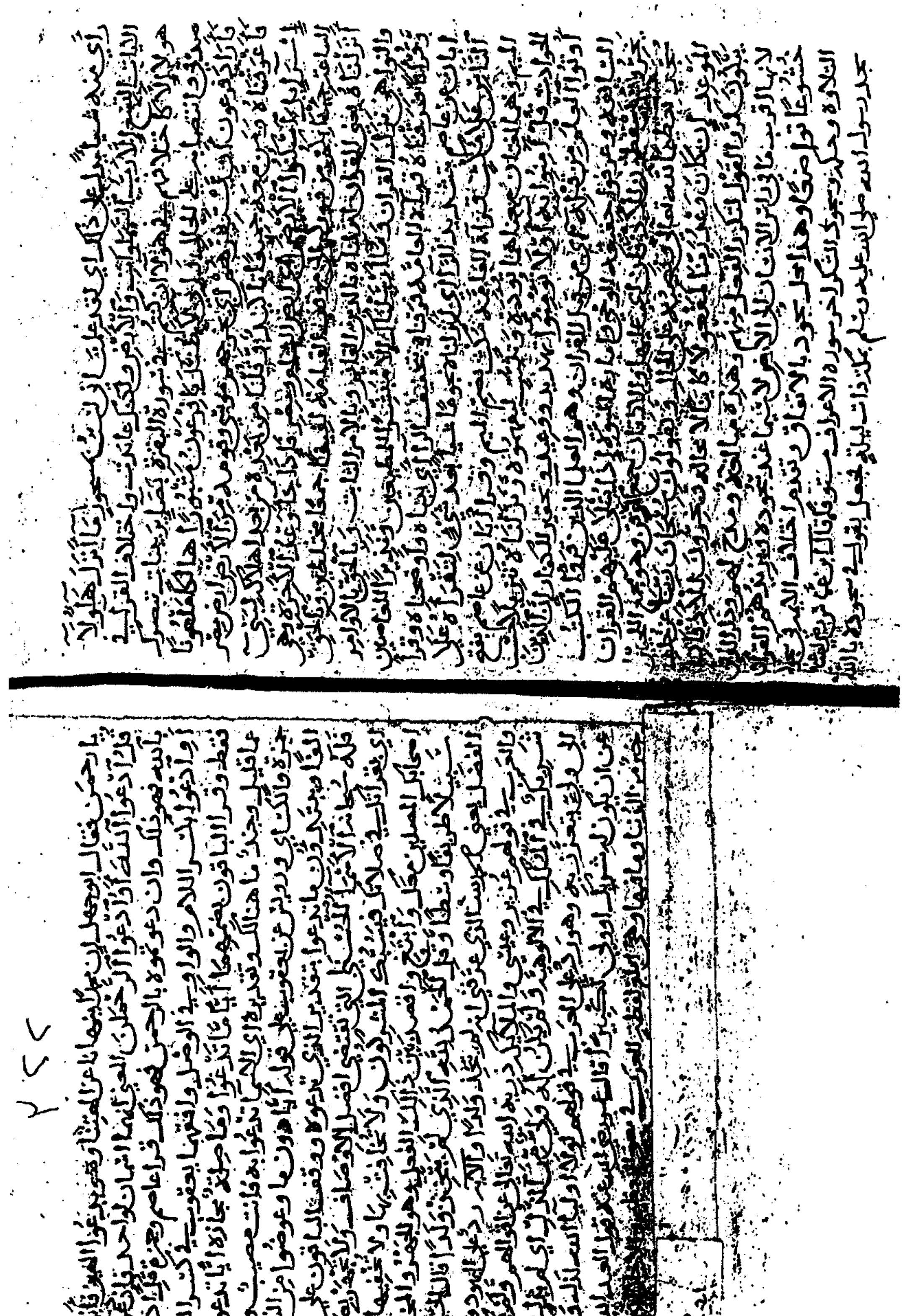
صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الثاني من النسخة السليمانية المرموز لها بـ«ت»



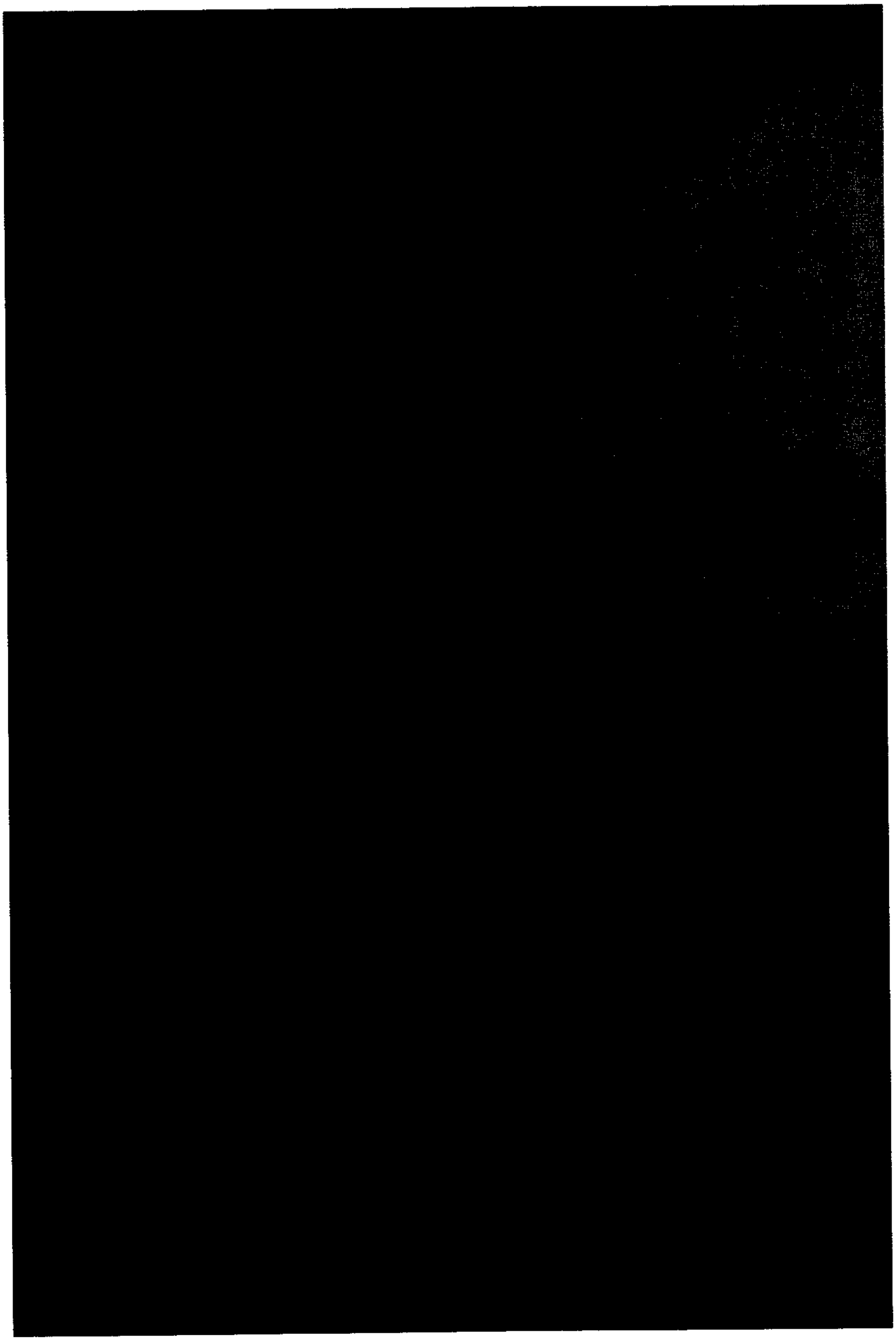
صورة غلاف الجزء الأول من نسخة المكتبة الظاهرية المرموز لها بـ«ظ»



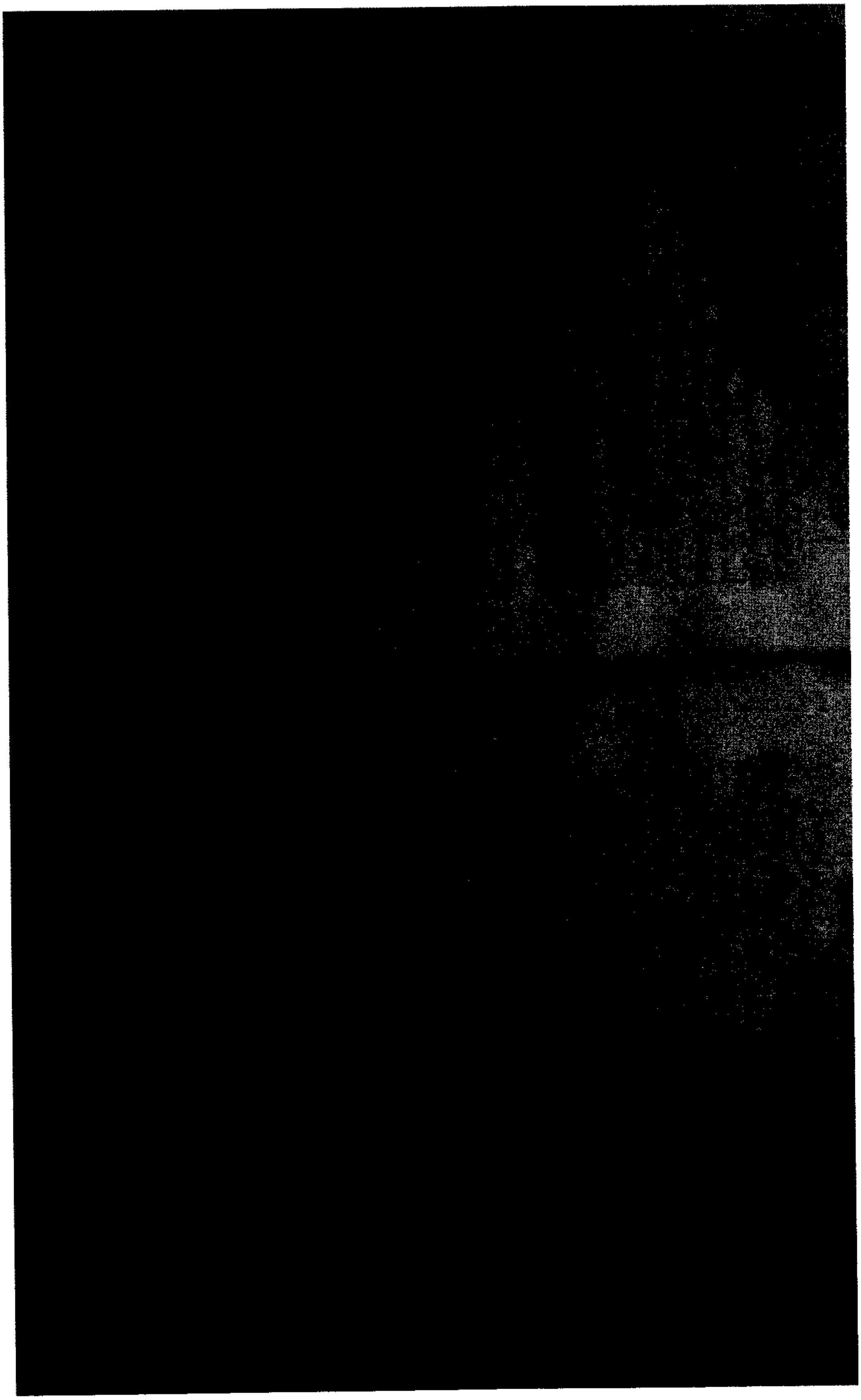
صورة اللوحة الأولى من الجزء الأول من نسخة الظاهرية المرموز لها بـ«ظ»



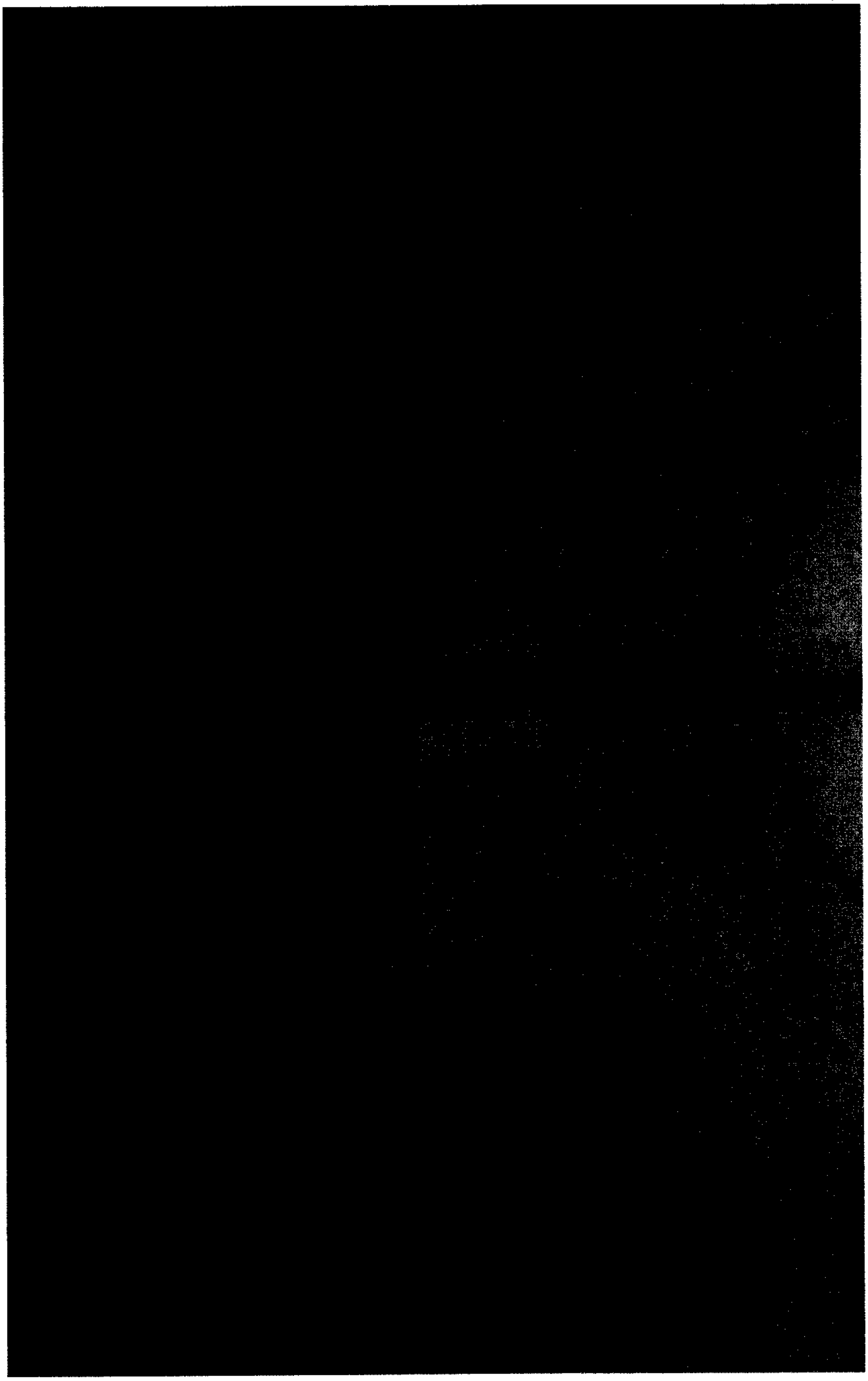
صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من نسخة الظاهرية المرموز لها بـ«ظ»



صورة غلاف الجزء الأول من نسختي الخطية، المرموز لها بـ«ن»



صورة اللوحة الأولى من الجزء الأول من نسختي الخطية المرموز لها بـ«ن»



صورة اللوحة الأخيرة من الجزء الأول من نسختي الخطية المرموز لها بـ«ن»

فتح الرحمن في تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمدُ للهِ الذي نزَّل الفرقانَ على عبدِه، حمداً يليقُ بجلالِ عظمتِه ورفيعِ مجدِه.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، إلهٌ سَبَّحَ كلُّ شيءٍ بحمدِه.

وأشهدُ أن سيدَنا محمداً عبدُه ونبيُّه الذي أرسلَه رحمةً للعالمين وأَيَّدَهُ بملائكةٍ من عندِه، وصلَّى اللهُ وسلَّم عليهِ وعلى آلِه وأصحابِه وأنصارِه وجندِه.

أمّا بعد:

فهذا كتابٌ لَخَّصْتُهُ مختصراً، وهَذَّبْتُ لفظَهُ محرَّراً، يتضمَّنُ نبذةً من تفسيرِ القرآنِ العظيمِ، وتأويل ما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم.

اعتمدْتُ في نقلِه على كتبِ أئمةِ الإسلام، وانتقيتُه من فوائدِ العلماءِ الأعلام.

وذكرتُ فيه خلافَ القراءِ العشرةِ المشهورينَ الذين تواترتْ قراءتُهم، واشتهرت روايتُهم من طرقِ الرواةِ الثقاتِ، والأئمةِ الأثباتِ.

وهم: أبو رُوَيْمٍ نافعُ بنُ عبدِ الرحمنِ، وأبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القَعْقاعِ المدنيَّان، وأبو معبدٍ عبدُ اللهِ بنُ كثيرٍ المكيُّ، وأبو عمرٍو زبانُ بنُ العلاءِ المازنيُّ، وأبو محمدٍ يعقوبُ بنُ زيدٍ الحضرَميُّ البصريَّان، وأبو عمرانَ

عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ الشاميُّ، وأبو بكرٍ عاصمُ بنُ أبي النجودِ الأسديُّ، وأبو عمارةَ حمزةُ بنُ حبيبٍ الزيَّاتُ، وأبو الحسنِ عليُّ بنُ حمزةَ الكِسائيُّ الكوفيون.

ويدخلُ معهم أبو محمدٍ خلفُ بنُ هشامٍ البزاز؛ لموافقِته لهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

وذكرتُ فيهِ أربعةَ وقوفٍ: التامُّ، والكافي، والحسنُ، والقبيحُ مما اختارَه الإمامُ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ سعيدٍ الداني ـ رحمه الله ـ وغيرُه. وكتبتُ لفظَ الكتابِ العزيزِ بالأحمرِ، وتفسيرَه بالأسودِ، وإشارةَ الوقوفِ بينَ الأسطرِ بالأصفرِ، فللتامِّ (ت)، وللكافي (ك)، وللحسن (ح) وللقبيح (ق)[1].

فالوقفُ التامُّ هو الذي يحسُنُ القطعُ عليهِ والابتداءُ بما بعدَهُ؛ لأنه لا يتعلَّق بشيء مما بعدَه[2].

والكافي هو الذي يحسُنُ الوقفُ عليه أيضاً، والابتداءُ بما بعدَه، غيرَ أنَّ الذي بعدَه متعلِّقٌ به من جهةِ المعنى دونَ اللفظ.

والحسنُ هو الذي يحسُنُ الوقفُ عليه، ولا يحسُنُ الابتداءُ بما بعدَه؛ لتعلُّقه به من جهةِ اللفظِ والمعنى جميعاً، ويسمَّى هذا الضربُ: صالحاً؛ إذ لا يمكنُ القارئَ أن يقفَ في كلِّ موضع على تامٍ ولا كافٍ؛ لأنَّ نَفَسَهُ ينقطعُ دونَ ذلكَ.

وأما الوقفُ القبيحُ، فهو الذي لا يُعرف المرادُ منه، وذلكَ نحوُ الوقفِ

---

(١) وهذه الرموز ظاهرة في النسخة التركية (ت)، وقد تم إغفالها في عملنا هنا، نظراً لصعوبة إدخالها على رسم المصحف الحالي، ولعل الله تعالى يهيئ لنا إدخالها بطريقة فنية معينة في الطبعات القادمة، إن شاء الله تعالى.

(٢) في «ن»: «لا يتعلق شيء مما بعده به».

على قوله: (بِسْمِ) و(مَالِكِ) و(رَبِّ) و(رُسُلِ) وشبهِه، والابتداءُ بقوله: (اللهِ) و(يَوْمِ الدِّينِ) و(الْعَالَمِينَ) و(السَّمَوَاتِ) و(اللهِ)؛ لأنه إذا وقفَ على ذلك لم يعلمْ إلى أَيِّ شيءٍ أُضيف، وهذا يسمَّى وقفَ الضرورة؛ لتمكنِ انقطاعِ النفسِ عندَه، والجُلَّةُ[1] من القراءِ وأهلِ الأداء ينهَوْنَ عن الوقفِ على هذا الضرب، وينكرونه، ويستحبُّونَ لمنِ انقطعَ نفسُه عليه أن يرجعَ إلى ما قبلَه حتى يصلَه بما بعده، وغيرُه يستسمِجون الوقفَ على القبيحِ؛ لأنَّ القارىءَ يقدرُ على تفقُّدِه وتجنُّبِه.

وإذا كانَ في الآيةِ الشريفةِ حكمٌ متفَقٌ عليه، أو مختلَف فيه بينَ الأئمةِ الأربعةِ، وهم: أبو حنيفةَ، ومالكٌ، والشافعيُّ، وأحمدُ ـ رضي الله عنهم ـ ذكرتُه ملَخَّصاً، ولم أَلتزم استيعابَ الأحكامِ، بل أذكرُ المهمَّ حسبَ الإمكان، ولم أتعرَّض لاختيارِ غيرِهم من الأئمةِ المتقدِّمين، وحيثُ أقولُ في الحكم: بالاتفاقِ، فالمرادُ: اتفاقُ الأربعةِ المشارِ إليهم.

وربما ذكرتُ مذاهبَهم في شيءٍ من أصولِ الدينِ والفقه على سبيلِ الاختصار في محلٍّ يناسبهُ، والله الموفق.

وقد جعلتُ في أولِه قبلَ الشروعِ في التفسيرِ عشرةَ فصولٍ ضَمَّنْتُها فوائدَ مما يتعلَّقُ بفضائلِ القرآنِ العظيم، وما وردَ في تفسيرِه وجمعِه وكتابتِه، وغيرِ ذلكَ مما يحسُنُ ذكرُه إنْ شاءَ الله تعالى.

واللهُ سبحانَه المسؤولُ أن يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعَ بهِ بِمَنِّهِ وكرمِه، إنَّه مَنَّانٌ كريمٌ.

* * *

---

(١) في «ن»: «الجل».

فَصْلٌ فِي ذِكْرِ مَا وَرَدَ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَتَعْلِيمِهِ وَتِلَاوَتِهِ وَوَعِيدِ مَنْ قَالَ فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

روي عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللهُ»(١).

وعنه ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: «مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ، كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٧٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ١٥٩ ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٩٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٨/ ٢٢٥)، عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ. قال الهيثمي: فيه إسماعيل بن رافع، وهو متروك.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٨١)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وعنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٩٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٨٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٣)، وغيرهم، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

فَصْــلٌ
في فَضْلِ تَفْسِيرِ القُرْآنِ

رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «لاَ يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهاً كَثِيرَةً»(١).

وقالَ أبو العاليةِ في تفسيرِ قولِه ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قالَ: الحكمةُ: الفهمُ في القرآن(٢).

وقال إياسُ بنُ معاويَة: مثلُ الذينَ يقرؤونَ القرآنَ وهم لا يعلمونَ تفسيرَهُ، كمثلِ قومٍ جاءَهم كتابٌ من مَلِكِهم ليلاً، وليسَ عندَهم مصباحٌ، فتداخَلَتْهم روعَةٌ و(٣)لا يَدْرونَ ما في الكتابِ، ومثلُ الذي يعرفُ التفسيرَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ جاءَهم بالمصباحِ، وقرؤوا ما في الكتابِ(٤).

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٦٣)، لكن عن أبي الدرداء موقوفاً عليه من قوله.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩٠).

(٣) «و» سقط من «ن».

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢٦)، و«تفسير الثعالبي» (١/ ١١)، و«فتح القدير» للشوكاني (١/ ١٤).

فَصْـــلٌ
في ٱلكَلَامِ في تَفْسِيرِ ٱلقُرآنِ ٱلكَرِيمِ

التفسيرُ أصلُه: الكشفُ والإظهارُ، وهو علمُ نزولِ الآيةِ وشأنِها وقصتِها والأسبابِ التي أنزلَتْ فيها، والأقوامِ الذينَ أريدوا بها.

والتأويل: مِنَ الأَوْلِ، وهو الرجوعُ، يقال: أَوَّلْتُهُ فآلَ؛ أي: صرفْتُهُ فانصرَفَ، فتأويلُ الآيةِ: صرفُها إلى معنىً تحتملُه موافِقاً لما قبلَها أو ما بعدَها.

ويروى أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ تَكَلَّمَ[1] فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ»[2].

* * *

---

(١) في «ن»: «من تعلم».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٢)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، وغيره، عن جندب بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

فَصْــــلٌ

في مَعنَىٰ قَولِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ هَٰذَا ٱلقُرآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»

اختلفَ العلماءُ في معنى هذا الحديثِ، وأكثرهُم على أنَّ المرادَ به: أُنزلَ على سبعِ لغاتٍ؛ أي: فيهِ عبارةُ سبعِ قبائلَ، بلغةِ جملتِها نزلَ القرآنُ، فيعبَّرُ عن المعنى فيه مرةً بعبارةِ قريشٍ، ومرةً بعبارةِ هُذَيلٍ، ومرةً بعبارةِ أسدٍ، ومرةً بغيرِ ذلكَ بحسبِ الأفصحِ والأوجزِ في اللفظِ.

وقد وَهِمَ بعضُ الناسِ فظنَّ أن المرادَ بالسبعةِ أحرفٍ الواردةِ في الحديثِ الشريفِ هي: قراءةُ الأئمةِ السبعةِ المشهورينَ، وهم: نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وهو خطأٌ؛ فإنَّ أئمةَ القراءةِ خلقٌ كثيرٌ، ومن جملتِهم هؤلاءِ السبعةُ، وأولُ من جمعَ قراءتَهم الأستاذُ الرُّحَلَةُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ موسى بنِ مجاهدٍ التميميُّ البغداديُّ بعدَ المئةِ الثالثةِ، واقتصرَ عليهم فقط، فظنَّ مَنْ لا علمَ له أنَّ هذهِ هي السبعةُ المذكورةُ في الخبر النبويِّ لا غيرُ، وليسَ الأمرُ كذلك، بل هي لغاتٌ للعربِ متفرقَةٌ في القرآنِ، مختلفةُ الألفاظِ، متفقةُ المعاني.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٠٦)، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومسلم (٨١٨)، كتاب، صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

فالقراءات السبعُ متواترةٌ بالاتفاقِ، وكذا الثلاثُ الزائدةُ عليها على الصحيح، وما لم يتواترْ، فليسَ بقرآنٍ، وهو ما خالفَ مصحفَ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ، وتكرهُ قراءةُ ما صحَّ منه، ولا تصح الصلاةُ به بالاتفاق، ويجوزُ عندَ أبي حنيفة أن يقرأ بالفارسيةِ إذا أدتِ المعانيَ على كمالها من غيرِ أن يخرمَ منها شيئاً، وعنهُ: لا تجوزُ القراءةُ بالفارسيةِ إلا للعاجزِ عن العربيةِ، وهو قولُ صاحبيهِ، وعليهِ الاعتمادُ، وعندَ الثلاثة: لا تجوزُ بغيرِ العربيةِ، والله أعلمُ.

ومصحفُ عثمانَ أحدُ الحروفِ السبعةِ، وهو قولُ أئمةِ السلفِ ـ رضي الله عنهم ـ.

والتواترُ لغةً: التتابُعُ بمُهْلةٍ، واصطلاحاً: خبرُ جمعٍ مفيدٌ للعلم.

والآحاد: ما لم يتواترْ.

وللراوي شروطٌ منها: الإسلامُ والعقلُ والبلوغُ والضبطُ بالاتفاق، وكذا العدالةُ، وهي: صفةٌ راسخةٌ في النفس تحملُ على ملازمةِ التقوى والمروءةِ، وتركِ الكبائرِ والرذائلِ بلا بدعةٍ مغلَّظةٍ.

وعن(١) أبي حنيفةَ: تُقبَلُ روايةُ مجهولِ العدالةِ، واللهُ أعلم.

* * *

---

(١) في «ن»: «عند».

فَصْلٌ
فِي ذِكْرِ جَمْعِ ٱلْقُرْآنِ وَكِتَابَتِهِ

كانَ القرآنُ في مدَّةِ رسولِ الله ﷺ متفرِّقاً في صدورِ الرجال، وقد كتبَ الناسُ منهُ في صُحُفٍ، وفي جَريدٍ، وفي خَزَفٍ وغيرِ ذلكَ، فلما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ، وقامَ بالأمرِ بعدَه أَحَقُّ الناسِ بهِ أبو بكرٍ الصدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ، وقاتل الصحابةُ ـ رضوانُ الله عليهم ـ أهلَ الردَّةِ، وأصحابَ مسيلمةَ، وقُتِلَ من الصحابةِ نحوُ الخمسِ مئةٍ، أُشير على أبي بكرٍ بجمعِ[1] القرآنِ في مصحفٍ واحدٍ خشيةَ أن يذهبَ بذهابِ الصحابةِ، فتوقَّفَ في ذلك من حيثُ إنَّ النبيَّ ﷺ لم يأمرْ[2] في ذلك بشيء، ثم اجتمعَ رأيُه ورأيُ الصحابةِ على ذلكَ، فأمرَ زيدَ بنْ ثابتٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ بتتبُّعِ القرآنِ وجمعِه، فجمعَهُ في صحفٍ غيرَ مرتَّبِ[3] السُّوَرِ بعدَ تعبٍ شديدٍ منه.

وكانتِ الصحفُ عندَ أبي بكرٍ رضي الله عنه حتى تُوُفِّيَ، ثم عندَ عمرَ ـ رضي الله عنه ـ بعدَه، ثم عندَ حفصةَ ـ رضي الله عنها ـ في خلافةِ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ، وانتشرت في خلالِ ذلك صحفٌ في الآفاق كُتبتْ عن

---

(١) في «ن»: «جمع».

(٢) في «ن»: «يأمره».

(٣) في «ن»: «مرتبة».

الصحابةِ؛ كمصحفِ ابنِ مسعودٍ، وما كُتِبَ عن الصحابةِ بالشام، ومصحفِ أُبَيٍّ ـ رضي الله عنه ـ، وغير ذلك، وكان في ذلك اختلافٌ حسب السبعةِ الأحرفِ التي أُنزل القرآنُ عليها.

ولما كانَ في حدودِ سنةِ ثلاثينَ من الهجرةِ النبوية[1] الشريفةِ في خلافةِ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ حضرَ حذيفةُ بنُ اليمانِ فتحَ أرمينيةَ وأَذربيجانَ، فرأى الناسَ يختلفونَ في القرآنِ، ويقولُ أحدُهم للآخَرِ: قراءتي أصحُّ منْ قراءتِكَ، فأفزعَهُ ذلكَ، وقدمَ على عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وقال: أدركْ هذه الأمةَ قبل أن يختلفوا اختلافَ اليهودِ والنصارى، فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة؛ أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخُها، ثم نردُّها إليك، فأرسلَتْها إليه، فأمرَ زيدَ بنَ ثابتٍ وعبدَ الله بنَ الزبير، وسعيدَ بنَ العاص، وعبدَ الرحمن بنَ الحارث بنِ هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيدٌ في شيء، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزلَ بلسانهم، فكتب منها عدةَ مصاحفَ؛ فوجَّه بمصحفٍ إلى البصرة، ومصحفٍ إلى الكوفة، ومصحفٍ إلى الشام، وتركَ مصحفاً بالمدينة، وأمسكَ لنفسِهِ مصحفاً الذي يقال له: الإمام، ووجَّه بمصحفٍ إلى مكة، وبمصحفٍ إلى اليمن، وبمصحفٍ إلى البحرين، وأمرَ بما سواها من المصاحف أن تحرق ـ بحاء مهملة ـ، أو تخرق ـ بخاء معجمة على معنى، ثم تدفن[2].

---

(١) «النبوية» زيادة من «ن».

(٢) رواه البخاري (٤٧٠٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ نحوه.

قال ابن عطية: ورواية الحاء غير منقوطة أحسنُ[1].

ولما جمعت المصاحف وعُرضت، نظر فيها عثمان رضي الله عنه، فقال: قد أحسنتم وأجملْتم، غير أنا نرى فيها لحناً، وسنُقيمه بألسنتنا[2].

ووجه ذلك: أنه وجدهم كتبوا حروفاً على خلاف ما اقتضاه اللفظ.

ومنها ما كان على الأصل، ولو تلفظ به لكان لحناً.

ومنها ما كان من طغيان القلم بحيثُ علمَ عثمانُ أنه لا يعرض في مثله ريبٌ، من نحو ما كتبوا: (الرّبوا) بالواو في جميع القرآن، إلا ما في سورة الروم، من قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ [الروم: ٣٩] وهو في الأصل من ربا يربو، وتظهر الواو في التثنية، فيقال: رِبَوان، وكأنه كان في الأصل رِبَوٍ على وزن فِعَلٍ، فكُرهت الحركةُ على الواو، وطُلبَ منها السكون، فإذا سُكِّنت، التقَتْ مع التنوين، وهو ساكن، فتسقط الواو؛ لسكونها وسكونِ التنوين.

فكأن الكاتب حملَ ما هو الأصلُ، فخرجَ عَمَّا يطابقُه اللفظ، وكذلك: (الصلوةُ والزكوةُ) كُتبتا بالواو، وهي الأصل، والجمعُ يُظهر ذلك، إذا قيل: صلوات وزكوات، كأنها كانت في الأصل صَلَوَةً وزَكَوَةً، ولكنه لما كُرهت حركةُ الواو، وكانت قبلها فتحةٌ، انقلبتْ ألفاً، وكذلك (الحيوة) كتبت بالواو، وهي الأصل، ولكنَّ اللفظ المعروف في أهل اللسان يخالف ذلك.

وأُسقطت الألفُ في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]، وحُذفت

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٤٩).

(٢) رواه أبو داود في «المصاحف» (٢/ ٧٤٥ ـ «الدر المنثور» للسيوطي).

في قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وكُتب الحرفان بغير ألف، ولو قُرىء به لكان لحناً، ثم أُثبتت الألف في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧] بزيادة الألف بعد (لا) وكذلك كُتب[1] في بعضِ المصاحف في سورةِ النمل: ﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ [النمل: ٢١] بزيادة ألفٍ بعد (لا)، ولو قرىء به، لكان لحناً فاحشاً.

وكتبوا في سورة الكهف: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ ﴾ [الكهف: ٢٣] بألف بين الشين والياء، ولم يكتبوا ذلك في سائر القرآن.

وكتبوا في الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] بياء بعد الألف المهموزة، وفي سائر القرآن بغير ياء.

وكتبوا في النحل: ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠] بياء بعد الألف، وفي الشورى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١] بالياء، وفي الأحزاب: ﴿ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] بغير ياء، وكتبوا في النور: ﴿ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ ﴾ [النور: ٣٧]، وفي يونس: ﴿ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓۖ ﴾ [يونس: ١٥] بياء بعد الألف؛ وذلك كله سبقُ القلم، أو لعلَّ الكاتب قصدَ تقويةَ الهمزةِ المكسورةِ بالياء، وليسَ يحسُنُ ذلك؛ لأنه يشتبهُ بالإضافةِ إلى النفس.

وكتبوا (سَمَوتِ) بغير ألف بين الواو والتاء، إلا في موضعٍ واحد في حم السجدة قوله: ﴿ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢]، فهذه ونحوُها هو اللحنُ الذي قالَ عثمانُ ـ رضي الله عنه ـ: سَنُقيمه بألسنتنا.

ولا يُظن به أنه رأى لحناً يُخاف فيه الغلطُ، ثم تركَهُ في المصحف.

---

(١) في «ن»: «كتبت».

[وأما الحروف التي كُتب بعضُها على خلاف بعضٍ في المصحف][1]، وهي في الأصل واحدٌ:

فأول ذلك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كُتبت بحذفِ الألف التي قبل السين، وكُتبت: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ﴾ [العلق: ١]، و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، و﴿بِئْسَ الِاسْمُ﴾ [الحجرات: ١١].

و﴿مِنْهُ اسْمُهُ﴾ [آل عمران: ٤٥] بالألف، والأصلُ في ذلك كلِّه واحدٌ، وهو: أن يُكتب بالألف، وإنما حُذفت من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فقط؛ لأنها ألفُ وصلٍ ساقطةٌ من اللفظ، كثُرَ استعمالُ الناس إياها في صدور الكتب، وفواتحِ السُّوَر، وعندَ كلِّ فعل يُبتدأ فيه من مأكلٍ أو مشربٍ أو ملبسٍ أو غيرِ ذلك، فأَمِنوا أن يجهلَ القارىء معناها، فحذفوها إيجازاً، ولو كُتبت: باسمِ اللهِ، بالألف، لكانَ صواباً؛ لأنهم لم يحذفوا ألفها لعلَّة موجبةٍ لحذفها، بل تخفيفاً.

ومما كتب: في سورة يوسف: ﴿لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] بالألف، وفي الطول: ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] بالياء، وفي مصحف الشام في سورة البقرة [٢٢١]: ﴿ولا أمة مؤمنة﴾ بزيادة ألف، وكتب ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في النور [٣١]، و﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ في الزخرف [٤٩]، و﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ في الرحمن [٣١]؛ بغير ألف، وما سواها: ﴿ياأيها﴾ و﴿ياأيتها﴾ بالألف.

ومن غرائب الهجاء ونوادره: ما كتب في الفرقان: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١] بغير ألف، وفي سبأ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ﴾ [سبأ: ٥] بغير ألف أيضاً، وفي الحشر: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ﴾ [الحشر: ٩] بواوين من غير ألف، وفي آخر

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

عم: ﴿ كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] بغير ألف، وفي القلم: ﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦] بياءين، وفي آل عمران: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] بالياء، وفي الأنبياء [٣٤]: ﴿أفإن مت﴾ بغير ياء، واختلف فيه، وفي يس [١٩]: ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ بغير ياء، وفي التوبة [٣٨]: ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ ونحوه بالألف، وفي البقرة: ﴿ فَٱدَّٰرَٰءْتُمْ ﴾ [البقرة: ٧٢] ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء ألف في جميع المصاحف.

وكتب في الحاقة لبيان الحركة: (كِتَابِيَهْ، حِسَابِيَهْ، مَالِيَهْ، سُلْطَانِيَهْ)، وفي القارعة: (ما هيه) بإثبات الهاء، واختلف في قوله تعالى: (لَمْ يَتَسَنَّهْ) و(فَبِهُدَيهُمُ اقْتَدِه) أن الهاء فيهما لبيان الحركة أو لغير ذلك.

وكتب في سورة النساء: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾ [النساء: ٧٨]، وفي الكهف: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي الفرقان: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ [الفرقان: ٧]، وفي المعارج: ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المعارج: ٣٦] كتبت هذه الأربعةُ الأحرفِ اللامُ مع (ما) مقطوعة مما بعدها؛ وسنذكر كلَّ شيء من ذلك في محله عند تفسيره ـ إن شاء الله تعالى ـ.

واعلم أن هجاءاتِ المصاحفِ واختلافَ كتابتِها أكثرُ من أن يؤتى عليها كلِّها، وفيما ذكرتُه كفاية، وإنما كتبتْ هذه الحروفُ بعضُها على خلافِ بعض، وهي في الأصلِ واحدة؛ لأن الكتابةَ بالوجهينِ فيها كانت جائزةً عندهم، فكتبوا بعضَها على وجه، وبعضَها على وجهٍ آخرَ، إرادةَ الجمع بين الوجهين الجائزينِ فيها في الكتاب عندهم، على أنهم كتبوا أكثرها على الأصل، فالواجبُ على القرَّاءِ والعلماءِ والكتَّابِ والأدباءِ: أن يعرفوا هذا الرسْم في خط المصحف، وَيتَّبعوه، ولا يُجاوزوه؛ فإنه رسمُ زيدِ بنِ ثابتٍ ـ رضي الله عنه ـ، وكان أمينَ رسولِ الله ﷺ، وكاتبَ وحيِهِ، وعلمَ من هذا

العلم بدعوةِ النبيِّ ﷺ ما لم يعلمْهُ غيرُه، فما كتبَ شيئاً من ذلك، إلا لعلَّةٍ لطيفةٍ، وحكمةٍ بليغة.

وفي خط المصحفِ عجائبُ وغرائبُ تحيرتْ فيها عقولُ العلماء، وعجَزَتْ عنها آراءُ الرجال البلغاء، والله الموفق.

وأجمعتِ الأمةُ المعصومةُ من الخطأ على ما تضمَّنته هذهِ المصاحفُ المنسوخةُ بأمرِ عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وتركِ ما خالفَها من زيادةٍ ونقصٍ، وإبدالِ كلمةٍ بأخرى؛ مما كان مأذوناً فيه توسعةً عليهم، ولم يثبت عندَهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن.

وجُرِّدت هذه المصاحفُ جميعها من النقط والشكل؛ ليحتملَها ما صحَّ نقلُه، وثبتتْ تلاوتُه عن النبي ﷺ، إذ كانَ الاعتمادُ على اللفظ لا على مجرَّدِ الخطِّ، وكان من جملةِ الأحرفِ السبعةِ التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «أُنْزِلَ القرآنُ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1]، فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقرَّ عليه في العَرْضَةِ الأخيرة عن رسول الله ﷺ، فإن النبيَّ ﷺ كان يعرضُ القرآنَ على جبريلَ ـ عليه السلامُ ـ في كل عام مرةً، فعرض عليه القرآنَ في العام الذي قُبض فيه رسول الله ﷺ مرتين، ونُسخ منه، وغُيِّرَ فيه في العرضةِ الأخيرة، واستقرَّ منه ما كُتب في المصاحف العثمانية.

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: لو وَلِيتُ في المصاحف ما وَلِيَ عثمانُ، لفعلتُ كما فعل[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٢٤٣ـ ٢٤٤).

وقرأ أهلُ كلِّ مِصْر بما في مُصحفهم، وتَلَقَّوا ما فيه عن الصحابة الذين تَلقَّوه مِنْ في رسولِ الله ﷺ.

قال شيخُ الإسلام ابنُ حَجَر ـ رحمه الله ـ في «شرح البخاري»: واختلفَ هل رتَّبَ القرآنَ الصحابةُ بتوقيفٍ عن النبي ﷺ، أو باجتهاد منهم؟ قال القاضي أبو بكر: الصحيحُ: الثاني، وأما ترتيب الآيات، فتوقيفيٌّ بلا خلاف، وحكاه ابنُ عطية في «تفسيره»، والله أعلم[١].

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٢٥٧).

فَصْــــلٌ
في ذِكرِ شَكْلِ القُرآنِ وَنَقْطِهِ

قد تقدم أن المصاحفَ العثمانيةَ كانت مجرَّدة من النَّقْطِ والشَّكْلِ، فلم يكنْ فيها إعرابٌ، وسببُ تركِ الإعرابِ فيها ـ واللهُ أعلمُ ـ: استغناؤهم عنه؛ فإنَّ القوم كانوا عَرَباً لا يعرفون اللَّحْنَ، ولم يكن في زمنهم نَحْوٌ.

وأولُ مَنْ وضعَ النحوَ، وجعلَ الإعرابَ في المصاحف: أبو الأسودِ الدُّؤَليُّ التابعيُّ البصريُّ، حُكي أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢] بكسر اللام، فأعظَمهُ ذلكَ، وقال: عزَّ وجهُ اللهِ أن يبرأَ من رسوله(١). ثم جعلَ الإعرابَ في المصاحف، وكانتْ علاماتُه نقطاً بصبغٍ لونُه غيرُ لونِ المِداد، وهو الحُمْرَة؛ فكانت علامةَ الفتحةِ نقطةٌ فوق الحرف، وعلامة الضمة نقطةٌ في نفسِ الحرف، وعلامة الكسرة نقطةٌ تحت الحرف، وعلامة الغنة نقطتان.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١٩٢)، والقراءة التي سمعها أبو الأسود، هي قراءة الحسن، كما في «الكشاف» للزمخشري (٢/ ١٧٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (٢/ ٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨)، وقد وجَّهها بعض الأئمة بأنَّ الواو للقسم، ومع كل التوجيهات فهي غاية في الشذوذ.

ثم أحدثَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ بعد هذا هذهِ الصُّور: الشدَّةَ، والمدَّةَ، والهمزةَ، وعلامةَ السكونِ، وعلامةَ الوصل، ونقلَ الإعرابَ من صورةِ النقطِ إلى ما هو عليه الآن.

وأما النُّقط: فأولُ من وضعها بالمصحف نصرُ بنُ عاصم الليثيُّ بأمرِ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ أميرِ العراقِ وخراسانَ، وسببُه: أن الناس كانوا يقرؤون في مُصحفِ عثمانَ نَيِّفاً وأربعينَ سنةً إلى أيام عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، ثم كَثُرَ التَّصحيفُ، وانتشرَ بالعراقِ، فأمر الحجاجُ: أن يضعوا لهذه الأحرف المشتبهةِ علاماتٍ، فقام بذلك نَصْرٌ المذكورُ؛ فوضعَ النقطَ أفراداً وأزواجاً، وخالفَ بينَ أماكنِها، وكان يقال له: نَصْرُ الحروف.

وأول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأسَ به، هو نورٌ له، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتحَ والخواتمَ.

فأبو الأسودِ الدؤليُّ هو السابقُ إلى إعرابه، والمبتدىء به، ثم نصرُ بن عاصمٍ وضع النقطَ بعدَه، ثم الخليلُ بنُ أحمدَ نقلَ الإعرابَ إلى هذه الصور.

وكان مع استعمال النقط والشكل، يقعُ التصحيفُ، فالتمسوا حيلةً، فلم يقدروا فيها إلا على الأخذِ من أفواهِ الرجال بالتلقين؛ فانتدَبَ جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، وبالغوا في الاجتهاد، وجمعوا الحروفَ والقراءات، حتى بيَّنوا الصوابَ، وأزالوا الإشكال ـ رضي الله عنهم ـ.

* * *

فَصْلٌ
فِي ذِكْرِ عَدَدِ سُوَرِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ وَحُرُوفِهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَحْزَابِهِ وَنُقَطِهِ

أما عدد سور القرآن، فهو: مئة وأربعَ عَشْرَةَ سورةً.

وعدد آياته ستةُ آلافٍ ومئتان وستٌّ وثلاثون آية.

وعدد حروفه: ثلاثُ مئةِ ألفِ حرفٍ وأحدٌ وعشرون ألفَ حرفٍ، ومئتانِ وخمسون حرفاً.

روي ذلك كله عن علي بن أبي طالب ـ رضي لله عنه ـ عن النبي ﷺ، ذكره الإمام أبو عبد [الله][1] أحمدُ بنُ أبي عمر الأندراني في كتابه «الإيضاح في علم القراءات» في الباب العاشر. وعددُ كلماتِه في قولِ عَطاءِ بنِ يَسارٍ ـ رحمه الله ـ: سبعٌ وسبعونَ ألفَ كلمةٍ، وأربعُ مئةِ كلمةٍ، وتسعٌ وثلاثونَ كلمة[2].

وأحزابه: ستون حزباً.

قيل: إن الحجاج لما جدَّ في نَقْط المصحف، زاد تحزيبَهُ، وأمر الحسنَ ويحيى بن يعمرَ بذلك.

---

(١) لفظ الجلالة سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٨).

وأما وضعُ الأعشارِ فيه، فحُكي: أن المأمون العباسيَّ أمر بذلك.

وقيل: إن الحجاج فعل ذلك.

وهذا الذي ذكرتُه من العدد جملة، وأما عددُ آي كل سورة وحروفها وكلمها، فسأذكره عند أولها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وأما عددُ كلِّ حرفٍ من حروف المعجم:

فالألف: ثمانية وأربعون ألفاً، وتسع مئة وأربعون.

والباء: أحدَ عشرَ ألفاً، وأربعُ مئة وعشرون.

والتاء: عشرة آلاف، وأربع مئة وثمانون.

والثاء: ألفٌ، وأربعُ مئةٍ وأربعةٌ.

والجيم: ثلاثةُ آلافٍ، وثلاثُ مئةٍ واثنانِ وعشرونَ.

والحاء: أربعة آلاف، ومئةٌ وثمانيةٌ وثلاثون.

والخاء: ألفانِ، وخمسُ مئةٍ وثلاثةٌ.

والدال: خمسةُ آلافٍ، وتسعُ مئةٍ، وثمانيةٌ وتسعون.

والذال: أربعةُ آلافٍ، وتسعُ مئةٍ، وأربعةٌ وثلاثون.

والراء: ألفان، ومئتان، وستة.

والزاي: ألفٌ، وستُّ مئةٍ وثمانونَ.

والسين: خمسةُ آلافٍ، وسبعُ مئة، وتسعةٌ وتسعون.

والشين: ألفان، ومئة، وخمسة عشر.

والصاد: ألفان، وسبع مئة، وثمانون.

والضاد: ألفٌ، وثماني مئة، واثنان وثمانون.

والطاء: ألف، ومئتان وأربعة.

والظاء: ثماني مئة، واثنان وأربعون.

والعين: تسعة آلاف، وأربع مئة وتسعون.

والغين: ألفٌ ومئتان، وتسعة وعشرون.

والفاء: تسعةُ آلافٍ، وثماني مئة، وثلاثة عشر.

والقاف: ثمانيةُ آلافٍ، وتسعةٌ وتسعونَ.

والكاف: ثمانية آلاف، واثنانِ وعشرون.

واللام: ثلاثةٌ وثلاثون ألفاً، وتسعُ مئة، واثنان وعشرون.

والميم: ثمانية وعشرون ألفاً، وتسع مئة، واثنان وعشرون.

والنون: تسعةٌ وعشرون ألفاً، وتسع مئة، وخمسة وخمسون.

والواو: خمسةٌ وعشرون ألفاً، وخمسُ مئةٍ وستةٌ.

والهاء: سبعةَ عشرَ ألفاً.

ولامُ الألف: أربعةَ عشرَ ألفاً، وسبعُ مئةٍ، وسبعةٌ.

والياء: خمسة وعشرون ألفاً، وسبع مئة، وخمسة عشر.

قال ذلك الإمام نجم الدين النسفي، ونظمه الشيخ شمس الدين القباقبي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وعدد نقطه مئةُ ألفٍ، وستون ألفاً، وثلاثة آلاف، وسبع مئة، وتسع وعشرون نقطة؛ قاله القباقبي في نظمه.

وقد اختلف علماءُ القراءة في عدد الآيِ والكلماتِ والحروفِ، وليس ذلك باختلافٍ على الحقيقة، وإن كان اختلافاً في اللفظِ.

قال بعض أهل العلم: يصرف الأمل فيما اختلفوا فيه من الحروف والكلمات، إلا أن بعضهم كان يَعُدُّ كلَّ حرف مشدَّدٍ حرفين، وبعضهم لم يفعلْ ذلك؛ فصار عددُ حروفِ من لم يفعلْ ذلك أقلَّ، وعدَّ بعضهم (في خَلْقِ) كلمتين، و(في السموات) كلمتين؛ كأنه يقول: (في) كلمة، و(خلق) كلمة، وبعضهم لم يفعل ذلك، بل عدَّ (في خلق) و(في السموات) وما أشبه ذلك، كلمة كلمة؛ فصار عدد من فعل ذلك أقلَّ من عدد كلمات من لم يفعلْ ذلك، وإلى هذا يُصرف اختلافُهم في عدد الحروف والكلمات، والله أعلم.

* * *

فَصْــــلٌ
في ذِكْرِ مَعْنَى ٱلمصْحَفِ وَٱلكِتَاب وَٱلقُرآنِ وَٱلسُّوَرِ وَٱلآيَاتِ وَٱلكَلِمَةِ وَٱلحَرف

* **أما معنى المصحف]**[1]: فهو مُفْعَل، من أُصْحِفَ؛ أي: جُمع فيه الصحفُ، واحدتُها صحيفة؛ كمدينة ومدن. وروي أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما أمر بجمع القرآن، وكتبوه، استشار الناس في اسمه، فسماه مُصْحفاً، وذلك لمعنيين:

أحدهما: أن القرآن كان في صُحف متفرقة، فلما جمعوه في موضع واحد، سموه مُصْحفاً، أي: جُمع فيه الصحف.

والآخر: أنه جُمع فيه علمُ الصحف الأولى، وأنه يَعْدِلُها، وهي: التوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ.

ومعنى الصحيفة: القطعةُ من جلدٍ أو رقّ، وجمعُها صُحف، فلما ضُمَّ بعضُها إلى بعض، سمي مصحفاً.

* **وأما الكتابُ**: فهو ضَمُّ الحروف الدالَّةِ على معنىً بعضها إلى بعض، لأنه مصدرُ كَتَبَ، ومعناه: جمعَ، ومنه قوله ـ عز وجل ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أي: جمع، حتى آمنوا بجميع ما يجب عليهم.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

وقد سمى الله تعالى القرآنَ كتاباً، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

* **وأما القرآن**: فهو اسمُ الكتاب الذي أنزله الله تعالى على محمدٍ عبدِه ورسولِه ﷺ خاصَّةً، لم يُسَمَّ به شيءٌ غيرُه من الكتب؛ كما أن التوراةَ اسمُ الكتاب المنزلِ على موسى، والإنجيلَ اسم الكتاب المنزل على عيسى، والزبورَ اسم الكتاب المنزل على داود ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

وهو: منزَلٌ غيرُ مخلوقٍ بإجماعِ أهل السُّنةِ، واتفاقِ الأئمة، معجزٌ، مُتَعَبَّدٌ بتلاوتِه، مكتوبٌ في مصاحِفِنا، محفوظٌ في صدورنا، مقروءٌ بألسنتِنا.

وإنَّما سمي قرآناً؛ لأنه: جَمَعَ السُّوَرَ وضَمَّها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] أي: تأليفَه، وضمَّ بعضِه إلى بعضٍ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] أي: إذا ألَّفناه وضَمَمْناه، فخذْهُ واعملْ به.

وسمي أيضاً: الفرقان؛ لأنه: فرقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، والمؤمنِ والكافرِ، فَرْقاً وفُرْقاناً.

وسمي: الذكر؛ لأنه: ذَكَّرَ الناسَ آخرَتَهم وإلَهِهم، وما كانوا في غفلةٍ عنه.

* **وأما السُّورَةُ** من القرآن: فهي اسمٌ لآيٍ جُمعت، وقُرنت بعضُها إلى بعض؛ حتى تَمَّتْ، وكَمُلَتْ، وبَلَغَتْ في الطول المقدارَ الذي أرادَ الله تعالى، ثم فصلَ بينها وبين سورةٍ أخرى ببسم الله الرحمن الرحيم، ولا تكونُ السورةُ إلا معروفَ المبتدأ معروفَ المنتهى.

* **وأما الآية**: ففيها خلاف، فقيل:

معنى الآية من القرآن: كلامٌ متصلٌ إلى انقطاعه، وانقطاع معناه فصلاً فصلاً.

وقيل: معنى الآية: العلامة؛ كقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ [مريم: ١٠] أي: علامة.

وإنما سميت الآية آية؛ لأنها: علامة تدل على نفسها بانفصالها عن الآية التي تقدَّمَتْها، أو تأخَّرَتْ عنها، فكلُّ آيةٍ كأنها علامةٌ.

* **وأما الكلمةُ**: فهي الواحدةُ من جملةِ الكلام، وجمعُها كَلِم، وتجمعُ أيضاً على: كَلِمات، فالكلام: اسمُ جنس يقعُ على القليلِ والكثيرِ من جنسِه.

* **وأما الحَرْفُ**: فهو الواحد من حروف المعجم، سمي: حرفاً؛ لقلته ودقته، ولذلك قيل: حرف الشيء لطرفه؛ لأنه آخرُه، والقليلُ منه، والحرفُ أيضاً: القراءةُ بكمالها، والحرفُ أيضاً: اللغةُ، ومنه قول النبي ﷺ: «أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»[1] أي: على سبعِ لغاتٍ للعرب متفرقةٍ في القرآن مختلفةِ الألفاظِ متفقةِ المعاني.

وقولهم لمكتَسَبِ الرجل وطُعْمَته: الحِرْفَة، كأنها الجهةُ التي انحرفَ إليها عما سواها.

والتحريفُ في الكلام: تغييرُه عن معناه، كأنه ميلٌ به إلى غيره، وانحرفَ عنه، كما قال الله تعالى في صفة اليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]؛ أي: يغيرون معاني التوراة بالتَّمْويهاتِ، والله أعلم.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).

فَصْــــلٌ
وَأَمَّا كَيْفَ يَقْرَأُ ٱلقُرآن؟

فإن كلام الله يقرأ: بالتَّحقيق، وبالحَدْر، وبالتَّدوير الذي هو التوسُّط بين الحالتين، مُرَتَّلاً مُجَوَّداً بلُحون العربِ وأصواتِها، وتحسينِ اللفظِ والصوتِ بحسب الاستطاعةِ.

* **أما التحقيق**: فهو المبالغةُ في الإتيان بالشيء على حَقِّه من غير زيادةٍ فيه ولا نقصان، وهو نوعٌ من الترتيل، وهذا النوعُ من القراءة ـ وهو التحقيق ـ مذهبُ حمزةَ، ووَرْشٍ، والكِسائِيِّ، وأبي بكرٍ، وحَفْصٍ، وهِشامٍ، وابنِ ذَكْوانَ.

وفرق بعضُهم بين الترتيل والتحقيق؛ إذ التحقيقُ يكون للرياضة والتعليم والتمرين، وأما الترتيلُ يكون للتدبُّرِ والتفكُّر والاستنباط، فكل تحقيقٍ ترتيلٌ، وليس كل ترتيلٍ تحقيقاً.

* **وأما الحَدْرُ**: فهو عبارةٌ عن إدراجِ القراءةِ وسرعتِها، وتخفيفِها بالقصرِ والتسكينِ والاختلاسِ، والبدلِ، والإدغامِ الكبيرِ، وتخفيفِ الهمز، ونحو ذلك مما صحَّت به الروايةُ، ووردتْ به القراءة، وهو ضدُّ التحقيق، وهذا النوعُ مذهبُ ابنِ كَثيرٍ، وأبي جَعْفَرٍ، وأبي عمرٍو، ويعقوبَ، وقالونَ، ووَرْشٍ، ورُوي عن حفصٍ، وهشامٍ.

* **وأما التَّدْويرُ**: فهو التوسُّطُ بين المقامين من التحقيق والحدر، وهو مذهبُ سائر القراء، وصحَّ عن جميع الأئمة، وهو المختارُ عن أكثر أهل الأداء.

* **وأما التَّرْتيلُ**: فهو مصدرٌ من رَتَّلَ فلانٌ كلامَه؛ إذا أتبعَ بعضَه بعضاً على مُكْثٍ وتفَهُّمٍ، من غير عَجَلةٍ، وهو الذي نزلَ به القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، فقال: الترتيلُ تجويدُ الحروف، ومعرفةُ الوقف[١].

والصحيحُ بلِ الصوابُ: أن الترتيلَ والتدبُّرَ مع قلةِ القراءة، أفضلُ من السرعةِ مع كثرتها.

* **والتَّجْويدُ**: هو حليةُ التلاوةِ وزينةُ القراءة، وهو: إعطاءُ الحروف حقوقَها، وترتيبَها مراتبَها، وردُّ الحرفِ إلى مخرجه وأصلِه، من غير إسرافٍ ولا تعسُّف، ولا إفراطٍ ولا تكلُّف.

قال الحبرُ العلامةُ أبو زكريا النووي ـ رضي الله عنه ـ: وإذا ابتدأ القارىء بقراءة شخصٍ من السبعة، فينبغي أن لا يزالَ على تلك القراءة، ما دام للكلام ارتباطٌ، فإذا انقضى ارتباطُه، فله أن يقرأ بقراءةِ آخرَ من السبعة، والأَوْلى دوامُه على تلكَ القراءةِ في ذلك المجلس[٢].

وقال الأستاذ أبو إسحقَ الجعبريُّ ـ رحمه الله ـ: والتركيبُ ممتنعٌ في

---

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢٢١).

(٢) انظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي (ص: ٣٧).

كلمةٍ، وفي كلمتين؛ إن تعلَّقَ أحدُهما بالآخَرِ، وإلاَّ كُرِهَ.

وأجازها أكثرُ الأئمة مطلقاً، وجعل خطأً مانعي ذلك مُخَفَّفاً.

قال الحافظ العلامة ابن الجزريِّ ـ رحمه الله ـ: والصوابُ في ذلك عندنا[1] التفصيلُ، والعدول بالتوسُّط إلى سواء السبيل، فنقول: إن كانت إحدى القراءتين مترتبةً على الأخرى، فالمنعُ من ذلك منعُ تحريم؛ كمن يقرأ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] بالرفع فيهما، أو بالنصب، آخذاً رفعَ (آدَمُ) من قراءة غير ابن كثير، ورفعَ (كَلِمَاتٌ) من قراءة ابن كثير[2]، ونحو: (وكَفَّلَها زَكَرِيَّاءُ) بالتشديد مع الرفع، أو عكس ذلك[3]، ونحو: (وَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ) وشبهِه مما يُرَكَّب بما لا تجيزُه العربية، ولا يصحُّ في اللغة، وأما ما لم يكنْ كذلك، فإنا نفرِّق فيه بين مقامِ الرواية وغيرها:

فإن قرأَ بذلك على سبيل الروايةِ، فإنه لا يجوزُ أيضاً، من حيثُ إنه كذبٌ في الرواية، وتخليطٌ على أهلِ هذهِ الدراية.

---

(١) في «ن» و«ظ»: «عندنا في ذلك».

(٢) قراءة ابن كثير: ﴿فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ﴾، والباقون برفع آدم، انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٣)، و«التيسير» للداني (ص٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١) و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٨)، ووجَّه البغوي ـ رحمه الله ـ قراءة ابن كثير بقوله: يعني: جاءتِ الكلماتُ آدمَ من ربه، وكانت سببَ توبته.

(٣) انظر: توجيه المؤلف لقراءات هذه الآية، في تفسير سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

وإن لم يكنْ على سبيلِ النقلِ والرواية، بل على سبيل القراءةِ والتلاوة، فإنه جائزٌ صحيحٌ مقبولٌ، لا منعَ منه، ولا حَظْرَ، وإن كنا نَعيب على أئمة القراءات والعارفينَ باختلافِ الروايات، من وجه تساوي العلماءِ بالعوامِّ، لا من وجهِ أنَّ ذلكَ مكروهٌ أو حَرام، إذ كلٌّ من عندِ الله نزلَ به الرُّوحُ الأمينُ على قلبِ سَيِّدِ المرسلين؛ تخفيفاً عن الأمَّةِ، وتهويناً على أهلِ هذه الملَّة، فلو أوجَبْنا عليهم قراءةَ كلِّ روايةٍ على حِدَةٍ، لَشَقَّ عليهم تمييزُ القراءةِ الواحدةِ، وانعكسَ المقصودُ من التخفيفِ، وعادَ الأمر بالسهولةِ إلى التكليف، وقد تقدَّم لفظُ الحديثِ الشريفِ: «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ نَزَلَ على سبعةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا ما تَيَسَّرَ منهُ»(١) .

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٠).

فَصْلٌ
فِي ٱلاسْتِعَاذَة

قال الله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

معناه: إذا أردتَ أن تقرأ، وشَرَعْتَ، فأوقعَ الماضي موقع المستقبل؛ لثبوته.

وأجمع العلماءُ على أن قول القارئ: أعوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم ليس بآيةٍ من كتاب اللهِ تعالى، وأجمعوا على استحسانِ ذلكَ، والتزامِه في كل قراءة في غير صلاةٍ.

ويجهرُ بها عند جميع القراء قبل القراءة.

ورُوي عن حمزةَ إخفاؤها قبلُ حيث قرأ.

ورُوي عنه الإخفاء في غير الفاتحة.

وروي عن قالون إخفاءُ الاستعاذة في جميع القرآن.

ويجوز الوقفُ على الاستعاذة، ووصلُها بما بعدها، بَسْمَلَةً كانَ أوغيرَها من القرآن.

ومعنى (أعوذ بالله) أي: أستجيرُ وأمتنعُ بعظمة الله (من الشيطان) هو إبليسُ، فَيْعالٌ منْ شَطَنَ؛ أي: بَعُدَ من رحمةِ الله. (الرَّجيمِ)؛ أي:

المرجومِ بالشُّهُبِ عندَ استراقِ السمعِ، فصار المعنى: أستجيرُ وأمتنعُ بعظمة اللهِ من المرجومِ المطرودِ عن رحمةِ اللهِ.

والمختارُ لجميع القراءِ من حيثُ الروايةُ: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، كما ورد في سورة النحل، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء؛ كالشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل[١]، وغيرهم.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قرأتُ على رسول الله ﷺ: أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ، فقالَ لي: «قُلْ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَإِنِّي قَرَأْتُ عَلَى جِبريلَ: أَعُوذُ باللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ، فَقَالَ لِي: قُلْ: أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ثُمَّ قالَ لِي جِبْرِيلُ: هَكَذَا أَخَذْتُ عَنْ مِيكَائِيلَ، وَأَخَذَ مِيكائِيلُ عَنِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ» رواه الحافظُ ابنُ الجزريِّ في «النشر»[٢].

والمختار عند أئمة القراءة الجهرُ بها كما تقدَّم، ومحلُّها قبلَ القراءة إجماعاً، وهي مستحبةٌ في القراءة بكل حال، في الصلاةِ وخارجَها ندباً، وهي في الصلاة للقراءة لا للصلاة، وهو مذهب الأئمة الثلاثة، وأما الإمام مالك، فإنه قال: لا يُستعاذ إلا في قيام رمضان فقط، والله أعلم.

* * *

---

(١) «بن حنبل» ساقطة من «ش» و«ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري ( ).

الكَلامُ في تفسيرِ البَسْملَةِ

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مِفْتاحُ القُرْآنِ التَّسْمِيَةُ»(١).

وقال ابنُ عباس ـ رضي الله عنهما ـ «إجلالُ القرآن: أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، ومفتاحُ القرآنِ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم»(٢).

ورُوي أن أولَ ما جرى به القلمُ في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمن الرحيم.

وروي أن رجلاً قال بحضرة النبي ﷺ: تَعِسَ الشيطانُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تَقُلْ ذَلِكَ، فإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ أَقَلَّ مِنْ ذُبابٍ»(٣).

وقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباءُ في محلِّ نصبٍ؛ لأنها في موضعِ

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، لكن روى الخطيب البغدادي في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٢٦٤) عن أبي جعفر محمد بن علي معضلاً: «بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب»، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير»، والمناوي في «فيض القدير» (٣/ ١٩٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٨٢)، كتاب: الأدب، باب: (٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٨٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٥٩)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

مفعولٍ به، تقديرُه: أبدأُ بسمِ الله، أو: بدأتُ بسم الله، أو في محلٍّ رفعٍ؛ لأنها في موضعِ خبرِ الابتداء، تقديرُه: مفتاحُ كلامي بسم الله، وكُسرت باء الجر ليناسبَ لفظُها عملَها، وحذفت الألفُ من بسم الله في الخط؛ طلباً للخفة؛ لكثرة استعمالها، وطولت الباء ليكونَ افتتاحُ كتاب الله بحرفٍ معظم.

والاسمُ: هو المسمَّى وعينُه وذاتُه، وقيل: الاسمُ غيرُ المسمَّى، وإنما هو يدلُّ على المسمَّى، وهو مشتق من السمو، وهو العلو.

واللهُ: هو اسمٌ تَفَرَّدَ به الباري سبحانه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهو اسمُ الله الأعظمُ، ومعناه: السيدُ.

واختُلف في اشتقاقه، فقال جماعةٌ من العلماء: هو غيرُ مشتق؛ كأسماءِ الأعلامِ للعباد مثل زيدٍ وعمرٍو.

و(١)قال آخرون: هو مشتقٌّ من أَلِهَ إلاهَةً؛ أَيْ عبدَ عبادةً، معناه: أنَّهُ المستحقُّ للعبادة دون غيره.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ صفةُ مبالغةٍ من الرحمة، معناها: أنه انتهى إلى غاية الرحمة، وهي صفةٌ تختصُّ بالله، ولا تطلق على البشر.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ عظيمِ الرحمةِ، والرحمةُ إرادةُ الخيرِ لأهلِه، وأصلُها الرقَّةُ والتعطُّف.

واختلف العلماءُ والقراء فيها، فقيل: هي آيةٌ من الفاتحة فقط، وهو مذهب أهل مكة، والكوفة، ومن وافقهم.

وقيل: آية من الفاتحة، ومن أول كل سورة سوى براءة، وهو الصحيح من مذهب الإمام الشافعي ومن وافقه، فيجهر بها في صلاة الجهر.

---

(١) «و» زيادة من «ن» و«ظ».

وقيل: آيةٌ فاصلةٌ بين كل سورتين سوى براءة، فيكره ابتداؤها بها، وهو مذهب الإمامين أبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، ومن وافقهما، فتقرأ سراً في صلاة الجهر.

وقيل: ليست بآية، ولا بعض آية من الفاتحة، ولا من غيرها، وإنما كتبت للتيمُّن والتبرُّك، وهو مذهب الإمام مالك، ومن وافقه، ونقل جماعة عن أبي حنيفة كمذهب مالك، وعند مالك تكره قراءتها في صلاة الفرض، مع إجماعهم على أنها بعضُ آية من سورة النمل، وأن بعضها آية من الفاتحة. وليست من القرآن أول براءة؛ لنزولها بالقتال الذي لا تناسبه[1] البسملة المناسبة للرحمة والرفق.

وأما مذاهبُ القراءِ فيها، فقد أجمعَ القراءُ على إثبات البسملةِ أولَ الفاتحة، سواء وُصلت بسورة الناس قبلَها، أو ابْتُدِىءَ بها، واختلفوا فيها.

فأما ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، فإنهم يعتقدونها آية من الفاتحة، ومن كل سورة، وافقهم حمزةُ على الفاتحة فقط، وصحَّ عن نافع أنه قال: أشهد أنها من السبع المثاني، وأن الله أنزلها.

وقيل: إن أبا عمرٍو، وقالونَ، ومن تابعَ الثاني من قراء المدينة لا يعتقدونها آية من الفاتحة، ولم يرضَ ابنُ الجزريِّ هذا القول.

وأما الفصلُ بالبسملة بين كلِّ سورتين، فاختلف القراء في ذلك، ففصلَ بها بين كلِّ سورتين إلا بينَ الأنفالِ وبراءة: ابنُ كثير، وعاصمٌ، والكسائيُّ، وأبو جعفرٍ، وقالونُ، والأصبهانيُّ عن ورشٍ.

---

(١) في «ت»: «لا يناسبه».

ووصلَ بينَ كلِّ سورتين: حمزةُ، وكان يقول: القرآنُ عندي كسورةٍ واحدةٍ، فإذا قرأتُ: بسم الله الرحمن الرحيم في أول فاتحة الكتاب، أجزأني.

قال ابن الجزري: كلامُ حمزةَ يُحمل على حالة الوصل، لا الابتداء؛ لإجماع أهل النقل على ذلك، والله أعلم.

واختلف عن خلف في اختياره بين الوصل والسكت.

واختلف أيضاً عن الباقين وهم: أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوبُ، وورشٌ من طريق الأزرق بين الوصل والسكت والبسملة.

ثم إن الآخذين بالوصل لمن ذُكر من حمزةَ، أو أبي عمرٍو، أو ابن عامرٍ، أو يعقوبَ، أو ورشٍ، اختارَ كثيرٌ منهم لهم السكت بين المدَّثر والقيامة، وبين الانفطار والمطفِّفين، وبين الفجر والبلد، وبين العصر والهُمَزَة، وكذا الآخذون بالسكت لمن ذُكر من أبي عمرو، وابن عامر، ويعقوبَ وورشٍ، اختار كثير منهم لهم البسملة في هذه الأربعة مواضعَ، وإنما اختاروا ذلك؛ لبشاعة وقوع مثل ذلك إذا قيل: ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] ﴿لَآ﴾ [القيامة: ١]، أو ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠] ﴿لَآ﴾ [البلد: ١]، أو ﴿لِلَّهِ﴾ [الإنفطار: ١٩] ﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: ١]، أو ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] ﴿وَيْلٌ﴾ [الهمزة: ١] من غير فصل، ففصلوا بالبسملة للساكت، وبالسكت للواصل، ولم يمكنهم البسملة له؛ لأنه ثبت عنه النصُّ بعدمها، فلو بَسْمَلوا، لصادموا النصَّ بالاختيار، وذلك لا يجوزُ.

والأكثرون على عدم التفرقة بين الأربعة وغيرها، وهو اختيار المحققين.

والمشترَطُ في السكت أن يكون من دون تنفُّس.

ولا خلاف في حذفها بين الأنفال وبراءة، وكذلك في الابتداء ببراءة، وأما الابتداء بالآي وسط براءة، ففيه خلاف، ولا يجوز القطع عليها إذا وصلت بآخر السورة، ويجوز بين الأنفال وبراءة كلٌّ من الوصل والسكتِ والوقفِ لجميع القراء إذا لم يقطع على آخر الأنفال.

فالقطعُ: هو قطعُ القراءة رأساً، فهو كالانتهاء.

والوقف: هو قطعُ الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنيةِ استئنافِ القراءة.

والسكتُ: هو قطعُ الصوت زمناً دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

مكيةٌ، وآيُها سبعُ آيات، وحروفُها بالبسملةِ والتشديداتِ لمن قرأ: (مَالِكِ) مئةٌ وستٌّ وخمسون حرفاً، وكلمُها تسعٌ وعشرون كلمةً، وبغير البسملةِ حروفُها مئةٌ وأربعةٌ وثلاثونَ، وكلمُها خمسٌ وعشرون.

فمن قال إنها سبعُ آيات غير البسملةِ جعلَ ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ١ آية ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ ٢ آيـة ﴿ٱلدِّينِ﴾ ٣ آيـة ﴿نَسْتَعِينُ﴾ ٤ آيـة ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ ٥ آية ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ٦ آية ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ٧ آية.

ومن قال: إن البسملةَ منها، وعدَّها من الآيات السَّبعِ، جعلَ البسملةَ آيةً، ولم يجعلْ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وليست فيها سبعةُ أحرفٍ من حروف المعجم، وهي الثاءُ والجيمُ والخاءُ والزايُ والشينُ والظَّاءُ والفاءُ.

وفي بعض الآثار: أن الحكمة فيها أن الثاءَ من الثُّبور، والجيمَ من الجحيم، والخاءَ من الخوف، والزايَ من الزَّقُّوم، والشينَ من الشَّقاوة، والظَّاء من الظُّلمة، والفاءَ من الفِراق، ومعتقِدُ هذه السورة وقارئُها على التعظيم والحرمة آمِنٌ من هذه الأشياء السبعة.

وأما أسماءُ الفاتحةِ، فهي[1] ثلاثةُ أسماءٍ معروفةٍ:

الأول: فاتحةُ الكتاب؛ لأن القرآنَ افتُتِحَ بها.

والثاني: أُمُّ القرآنِ؛ لأن القرآن يُبْدَأُ منها؛ كقولهم لمكة: أمُّ القرى، ولتقدُّمها في المصحف، وفي الصلاة.

والثالثُ: السبعُ المثاني؛ لأنها سبعُ آيات بإجماع، ولأنها تُثَنَّى في الصلاة.

واختلف الأئمةُ فيها، هل هي فرض في الصلاة؟ فقال أبو حنيفةَ: ليست فرضاً، فلو قرأ آية في كل ركعة، صحَّتْ صلاته، وقال صاحباه: ثلاثُ آيات قِصار، أو آيةٌ طويلة تَعْدِلُها؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] من غير تقييدٍ، وفرضُ القراءة عندهم إنما هو في الركعتين الأُولَيين من الرُّباعية، وأما في الأُخْرَيين، فسنةٌ، فلو سبَّحَ أو سكتَ فيهما، أجزأهُ.

وقال الأئمةُ الثلاثةُ: هي ركنٌ في كلِّ ركعةٍ من الرباعية وغيرها، وتبطل الصلاةُ بتركها عمداً أو سهواً؛ لقوله ﷺ: «لا صلاةَ إلا بفاتحةِ الكتابِ»[2]، والله أعلم.

* * *

(١) في «ن» و«ظ»: «فلها».

(٢) رواه البخاري (٧٢٣)، كتاب: صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، ومسلم (٣٩٤)، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ.

التفسير :

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبرٌ، كأنه يخبر أن الله هو المستحقُّ للحمدِ، وهو بمعنى الأمرِ؛ أي: احمدوه، والحمدُ: هو الثناءُ الكاملُ، وهو أعمُّ من الشكر؛ لأن الشكرَ إنما يكون على فعلٍ جميلٍ يُسْدَى إلى الشاكر، والحمدُ المجرَّدُ هو ثناءٌ بصفاتِ المحمود من غير أن يُسْدِيَ شيئاً، واللام في (لله) للاستحقاق، كما يقال: الدارُ لزيدٍ، وهو اسمٌ خاصٌّ لله ـ عز وجل ـ، وتقدم تفسيرُه مستوفىً في البسملة، واتفق القراء على تغليظ اللام من اسمِ الله تعالى إذا كان بعدَ فتحةٍ أو ضمةٍ نحو: (شَهِدَ اللهُ) و(رُسُلُ اللهِ)، فإن كان قبلَها كسرةٌ، فلا خلافَ في ترقيقها، نحو (بسمِ اللهِ) و(الحمدُ للهِ)، فإن فُصل هذا الاسمُ مما قبله، وابتُدِىءَ به، فتحت همزةُ الوصل، وغُلِّظت اللامُ من أجل الفتحة.

﴿رَبِّ﴾ أي: مالك، كما يقال لمالكِ الدار: ربُّ الدار، ويقالُ لربِّ الشيء إذا ملكَه، ويكونُ بمعنى التربية والإصلاح؛ فالله سبحانَهُ مالكُ العالَمين ومُرَبِّيهم، ولا يقال للمخلوق: هو الربُّ، معرفاً، إنما يقال: ربُّ كذا، مضافاً؛ لأن الألف واللام للتعميم، وهو لا يملك الكل.

﴿ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ أصنافِ الخلائق، فكلُّ موجودٍ سوى الله يقال لجملته: عالَمٌ، واشتقاقه من العَلَم، وهو العلامةُ، سُمُّوا به، لظهور أثر الصنعةِ فيهم، وعَلَمُهم وجودُ الصانعِ ـ جلَّت قدرتُه ـ.

***

﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾.

[٣] ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تقدم تفسيرُهما في البسملة.

***

﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿مَـٰلِكِ﴾ قرأ عاصم والكسائيُّ ويعقوبُ وخلفٌ (مَالِكِ) بألف بعد الميم، والمعنى أن الله تعالى يملك ذلكَ اليومَ أن يأتيَ به كما يملكُ سائرَ الأيام، لكن خصَّصه بالذكر؛ لعظمهِ في جمعه وحوادثه. وقرأ الباقون (مَلِكِ) بغيرِ ألفٍ[١]. المعنى: أنه ملكُ الملوكِ في ذلك اليوم، لا مُلْكَ لغيره. وقرأ أبو عمرو (الرَّحِيم مَّلِكِ) بإدغام الميم في الميم[٢]، وكذلك يدغم كلَّ حرفين، سواءٌ كانا مثلين، أم جنسين، أم متقاربين، إذا لم ينون الأول نحو: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، أو يشدّد نحو: ﴿فَتَمَّ مِيقَـٰتُ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، أو تاء متكلم نحو: ﴿كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، أو مخاطَبٍ نحو:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٤)، و«الحُجَّة» لابن خالويه (ص: ٦٢)، و«التيسير» للدَّاني (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥)، «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦).

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ﴾ [يونس: ٩٩]، وشبهِه، وسيُذْكَر كلُّ شيءٍ في محلِّه إن شاءَ الله تعالى.

واختلف الآخذون بوجه الإدغام فيما إذا كان الأول مجزوماً، وذلك في قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، و﴿ يَخْلُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩]، و﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا ﴾ [غافر: ٢٨]، وكذلك اختلفوا في ﴿ ءَالَ لُوطٍ ﴾ [القمر: ٣٤]، وفي الواو إذا وقع قبلها ضمة، نحو: ﴿ هُوَ وَٱلَّذِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، و﴿ هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، واتَّفقوا على إظهارِ ﴿ يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ [لقمان: ٢٣] من أجل الإخفاء قبلُ. ومعنى المثلين: ما اتفقا مخرجاً وصفة، نحو: ﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ ﴾ [صٓ: ٤٤]، و﴿ رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦]، وشبهه. والجنسين: ما اتفقا مخرجاً، واختلفا صفةً، نحو: ﴿ قَالَت طَّآئِفَةٌ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿ أَثْقَلَت دَّعَوَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وشبهه. والمتقاربين: ما تقاربا مخرجاً أو صفةً، نحو: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، و﴿ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ ﴾ [النور: ٤٥]، وشبهه.

﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: الجزاء، ومنه قولُهم: كما تدينُ تُدان.

* * *

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ إِيَّاكَ ﴾ كلمة ضمير خُصَّت بالإضافة إلى المضمر، وتستعمل مقدَّماً على الفعل، فيقالُ: إياكَ أعني، ولا تُستعمل مؤخَّراً، ولا منفصلاً، فيقالُ: ما عنيتُ إلا إياك، وتقديمُها اهتماماً، وشأنُ العرب تقديمُ الأهم.

﴿ نَعْبُدُ ﴾ أي: نوحِّدك ونُطيعك خاضعين، والعبادةُ: الطاعةُ مع التذلُّل والخضوع، وسُمِّي العبدُ عبداً؛ لذلَّته وانقياده.

﴿ وَإِيَّاكَ ﴾ كرَّرها تأكيداً للاختصاص.

﴿ نَسۡتَعِينُ ﴾ نطلبُ منك المعونة على عبادتك، وعلى جميع أمورنا، تلخيصه: نخصُّك بالعبادة وطلب المعونة، وهذا كله تبرٍّ من الأصنام.

***

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ ٱهۡدِنَا ﴾ أي: أرشدنا، وهذا الدعاءُ من المؤمنين ـ مع كونهم على الهداية ـ بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية.

﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ الطريقَ الواضحَ، وهو الإسلام، أو القرآن. قرأ قنبلٌ عن ابن كثير، ورويسٌ عن يعقوبَ (السِّرَاطَ) حيثُ وقعَ، وكيف أتى: بالسين، وهو أصلُ اللفظة، وأشمَّ الصادَ الزايَ حيث وقعَ: خلفٌ عن حمزة، وافقه في (الصِّرَاطَ) هنا خاصة: خلاَّدٌ عن حمزة[١]، وكلُّها لغات صحيحة، والاختيارُ الصادُ عندَ أكثرِ القراء؛ لموافقة المصحف.

***

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ ﴾ الذين مَنَنْتَ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١)، ووقع في «تفسير البغوي»: عن أويس، بدل: عن رويس. والذي ذكر قراءة الإشمام (الزراط) أبو زرعة، وابن مجاهد، والبغوي.

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ عليهم بالهداية والتوفيق، وهم كلُّ من ثبته اللهُ على الإيمان من النبيين والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين. قرأ حمزةُ ويعقوبُ (عَلَيْهُمْ) بضم الهاء حيث وقع، والباقون بكسرها، ومنهم: ابنُ كثير، وأبو جعفرٍ، وقالونُ بخلاف عنه (عَلَيْهِمُ) بضم الميم وصلتها بواوٍ حالةَ الوصل، والباقون بإسكان الميم في الحالين[1]، فمن ضمَّ الهاءَ، ردَّها إلى الأصل؛ لأنها مضمومة عند الانفراد، ومن كسرَ لأجلِ الياءِ الساكنةِ، والياءُ أختُ الكسرة.

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: غيرِ صراط الذين غضبتَ عليهم، وهم اليهودُ، والغضبُ من الله تغييرُ النعمة، وغضبُ الله لا يلحقُ عُصاةَ المؤمنين، إنما يلحق الكافرين.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: وغيرِ الضالين عن الهدى، وهم النصارى، والضلالُ: الذهابُ عن الصواب في الدين؛ لأن الله تعالى حكم على اليهود بالغضب، فقال: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وحكم على النصارى بالضلالة، فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: ٧٧].

ويسن للقارىء أن يقولَ بعد فراغه من قراءة الفاتحة: آمين مفصولاً عنها

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٤٣-٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢).

بسكتة، وهو مخفَّف، ويجوز ممدوداً ومقصوراً، ومعناه: اللهمَّ اسمعْ واستجبْ.

روى أبو هريرةَ وغيرُه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قالَ الإمامُ: ولا الضَّالِّينَ، فقولوا: آمين، فإنَّ الملائكةَ تقولُ في السماءِ: آمين، فمن وافقَ قولُه قولَ الملائكة، غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبِه»[1].

وليس التأمينُ من القرآن بالاتفاق، بدليل أنه لم يثبت بالمصاحف.

واختلف الأئمةُ في الجهر به في الصلاة الجهرية، فعند أبي حنيفة: يخفيه الإمامُ والمأموم، وعند مالك: لا يؤمِّنُ الإمام في الجهرية، وهو الأفضل عنده، وروي عنه: يؤمِّن ويُسِرُّ كالمأمومِ والمنفردِ، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ: يجهرُ به الإمامُ والمأموم، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، ومسلم (٤١٠)، كتاب: الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

سُورَةُ البَقَرَةِ

مدنيةٌ، وآيها مئتان وثمانون وستُ آيات، وحروفُها خمسةٌ وعشرون ألفَ حرفٍ وخمسُ مئةِ حرف، وكلمُها ستةُ آلاف ومئةٌ وإحدى وعشرون كلمةً.

ويقال لسورة البقرة: فُسْطاطُ القرآن، وذلك[1] لعظمِها وبهائها، وما تضمنت من الأحكام والمواعظ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اختلف في سائر حروف الهجاء من فواتح السور، فقيل: هي من المتشابهِ الذي انفرد الله بعلمه، وهي سرُّ القرآن، ولا يجب أن يُتكلَّم فيها، ولكن نؤمن بها، وتُمَرُّ كما جاءت، وقال الجمهور من العلماء: بل يجب أن يُتكلَّم فيها، وتُلتمس الفوائدُ التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها، واختلفوا فيها، فقيل: هي اسم الله الأعظم، وقيل: أسماءٌ أقسم الله بها، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معنى (الم):

---

(١) في «ت»: «ولذلك».

أنا الله أعلم، ومحل ذلك من الإعراب: أن (الم): ابتداء، و(ذلك) خبره، و(الكتاب) صلةُ خبرِهِ؛ كقولك: زيدٌ ذلكَ الرجلُ لا تشكَّ[1] فيه. **قرأ** أبو جعفر بتقطيع الحروف، يسكت على[2] كل حرف سكتة يسيرةً في جميع أحرف الهجاء من فواتح السور، ويلزم من سكته إظهارُ المدغَم منها، والمخفىٰ وقطعُ همزة الوصل بعدها.

* * *

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا.

﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو القرآن؛ لأن الله سبحانه كان قد وعد نبيَّه ﷺ أن يُنزل عليه كتاباً لا يمحوه الماء، فلما أنزل القرآن، قال: هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك بإنزاله، و(هذا) للتقريب، و(ذلك) للتبعيد، وأصل الكَتْبِ الضمُّ والجمع، فسمي الكتابُ كتاباً لأنه جمعُ حرف إلى حرف.

﴿لَا رَيْبَ﴾ أي: لا شك.

﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله تعالى، وأنه الحقُّ والصدق. **قرأ** حمزة: (لا ريب) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع، وكذلك ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١] ﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود: ٢٢] ﴿۞ لَّا خَيْرَ﴾ [النساء: ١١٤] ﴿لَا ضَيْرَ﴾[3] [الشعراء: ٥٠]، وابنُ كثير يصلُ هاء الكناية الساكن قبلها بياء في الوصل إن كانت مكسورة، وبواو إن كانت مضمومة نحو (فيهي هُدًى)

---

(١) في «ت»: «لا شك».

(٢) في «ت»: «في».

(٣) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١٥)، النوع الثاني والثلاثون، المد والقصر.

و(شروهو بثمن) ونحوه حيث وقع[١]. وقرأ أبو عمرو: (فيه هدى) بإدغام الهاء في الهاء[٢].

﴿هُدًى﴾ أي: هو رشد وبيان لأهل التقوى، والهدى: ما يهتدي به الإنسان.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للمؤمنين وهم من يتقي الشرك والكبائر والفواحش، وهو مأخوذ من الاتقاء، وأصله الحجزُ بين شيئين، والوقايةُ: فرط الصيانة، وتخصيصُ المتقين بالذكر تشريف[٣] لهم.

***

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدقون، وحقيقة الإيمان: لغةً: التصديق بما غاب، وشرعاً: عند أبي حنيفة: تصديقٌ بالقلب، وعملٌ باللسان، وعندَ الثلاثة: عَقدٌ بالجنان، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، فدخلَ كلُّ الطاعات، ويأتي ذكرُ الخلاف في زيادته ونقصانه، والاستثناء فيه في سورة

---

(١) انظر: قراءة ابن كثير (فيهي) في «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٢٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠)، و«إتحاف فضلاءالبشر» (ص: ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

(٣) في جميع النسخ «تشريفاً»، وظاهره خطأ، لأنها خبر للمتبدأ «تخصيص».

الفتح إن شاء الله تعالى. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ عن نافع، وأبو جعفرٍ: (يومنون) حيث وقع بواو ساكنة بغير همز، والآخرون يهمزونه[١].

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ هو مصدر، وضع موضع الاسم، فقيل للغائب: غَيب، كما قيل للعادل: عَدل، والغيبُ ما كان مُغَيَّباً عن العيون؛ المعنى: يؤمنون بما غَاب عنهم مما أخبر الله عنه.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يديمونها، ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها وأركانها وهيئاتها، والمراد بها الصلوات الخمس. والصلاة في اللغة: الدعاء. قرأ ورش عن نافع (الصَّلاَةَ) بتغليظ اللام حيث وقع[٢].

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أعطيناهم، والرزقُ: اسم لكل ما يُنتفَع به، حتى الولدُ والعبدُ، وأصله في اللغة الحظُّ والنصيب. قرأ ابن كثيرٍ، وأبو جعفر، وقالونُ بخلافٍ عنه: (رزقناهمو) بواو بعد الميم.

﴿يُنفِقُونَ﴾ يُخرجون عن أيديهم ما فيها في طاعة الله، وأصل الإنفاق: الإخراجُ عن اليد والملك، فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب.

* * *

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣، ١٥ـ١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي: (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من التوراة والإنجيل وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بقصر المد المنفصل حيث وقع[١]، واختلف عن قالون، وورش، وأبي عمرو، ويعقوبَ، وهشامٍ، وحفص، فروي عنهم القصرُ، والباقون يطولونه، وأما المتصل، فاتفق جمهورُ القراء على مده قدراً واحداً مشبَعاً من غير إفحاش، وذهب آخرون إلى تفاضل مراتبه، فأطولُهم مدّاً في نوعي المتصل والمنفصل: ورشٌ وحمزةُ، ودونهما: عاصمٌ، ودونه: ابنُ عامرٍ، والكسائيُّ وخلفٌ لنفسه، ودونهم: قالونُ، والدُّوريُّ عن أبي عمرو، ويعقوبُ، وأقلُّهم مداً: ابنُ كثير وأبو جعفرٍ، والتفاوتُ بينهم لا يكاد ينضبط، والمدُّ: هو زيادة المطِّ في حروف المدِّ، وهي الألفُ مطلقاً، والواو الساكنة المضمومُ ما قبلَها، والياءُ الساكنةُ المكسورُ ما قبلها، فالمتصلُ أن تكون الهمزة مع حرف المد في كلمة واحدة؛ نحو: (أُولَئِكَ) و(شاءَ اللهُ)، وشبهِه، والمنفصلُ أن تكونَ الهمزةُ أولَ كلمةٍ وحرفُ المد آخرَ كلمةٍ أخرى، نحو: (بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ)، و(يا أَيُّها)، و(قَالُوا آمَنَّا)، ونحو ذلك، والقَصْرُ: هو تركُ تلكَ الزيادة، وهذه الآيةُ في المؤمنين من أهل الكتاب.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي: وبالدار الآخرة، وسميت بالآخرة؛

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨-١٩).

لتأخرها عن الدار الأولى؛ كما سميت الدنيا دنيا لدنوِّها من الخلق الأول.

قرأ ورشٌ عن نافع: (وبالآخرة) بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبله، وترقيق الراء حيث وقع[1]، وحمزةُ يسكت في لام التعريف حيث أتت، نحو (الأَرْض) و(الآخِرَة) سكتةً من دون تنفُّس، وإذا وقف له النقل بخلاف عنه[2]، ويسكت رُويس على ذلك دونَ سكتِهِ. وقرأ الكسائي (وبالآخرة) بالإمالة حيث وقف على هاء التأنيث[3]، وقيل للكسائي: إنك تُميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: هذا طباع العربية.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يستيقنون أنها كائنة، من الإيقان، وهو العلمُ الحاصلُ، وهو طُمأنينة القلب على حقيقة الشيء.

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: أهلُ هذه الصفة، و(أولاءِ) كلمةٌ معناها الكنايةُ عن جماعة نحو: هم، والكافُ للخطاب كما في حرف ذلك.

﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ أي: على رشد وبيان وبصيرة.

﴿مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ الناجون والفائزون، فازوا بالجنة،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩).

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٢٣٢-٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩).

ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء؛ أي: الباقون في النعيم، وأصل الفلاح: القطعُ والشقُّ، ومنه سمي الزرَّاع فلاحاً؛ لأنه يشق الأرض، فهم المقطوعُ لهم بالخير في الدنيا والآخرة. روي عن يعقوبَ الوقفُ بالهاء على النون المفتوحة نحو (العالمينَ)، و(الذينَ)، و(يؤمنونَ)[1]، و(ينفقونَ)، و(المفلحونَ)، وشبهِه، حيث وقع[2].

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: مشركي العرب، أو اليهود، والكفر: هو الجحود، وأصلُه، من الستر، ومنه سمي الليل كافراً؛ لأنه يستر الأشياء بظلمته، وسمي الزرَّاع كافراً؛ لأنه يستر الحبَّ بالتراب، والكافرُ يستر الحقَّ بجحوده، والكفرُ على أربعة أنواع: كفرُ إنكار، وهو ألا يعرف الله أصلاً، ولا يعترف به، وكفر جحود، وهو: أن يعرف الله بقلبه، ولا يقر بلسانه؛ كإبليس، وكفر عناد: أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به؛ كأبي طالب، وكفر نفاق، وهو: أن يقر باللسان، ولا يعتقد بالقلب.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: متساوٍ عندهم، وقد تقدم في الفاتحة مذهبُ يعقوبَ في ضمِّ هاء (عَلَيْهُم)، وكذلك يضم كل هاء وقعت بعد ياء ساكنة، نحو: (إليهُم)، و(لديهُم) و(عليهُما)، و(إليهُما)، و(فيهُما)، و(عليهُن)،

---

(١) في «ت»: «والذين يؤمنون».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

و(إليهُن)، و(فيهُن)، و(أبيهُم)، و(صياصيهُم)، و(بجنتيهُم)، و(ترميهُم)، و(ما نريهُم)، و(بين أيديهُم)، وشبه ذلك، وافقه حمزة في (عليهُم) و(إليهُم)، و(لديهُم) فقط، وتقدم[1] مذهبُ ابن كثير وأبو جعفرٍ وقالونُ في صلة ميم الجمع بواو في اللفظ حيث وقع، وافق ورشٌ على الصلة عند همز القطع لمن وصل الميم في نحو (عليهمو) (أأنذرتهمو أم لم)، وشبهه حيث وقع.

﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ أعلمتهم محذِّراً، والإنذارُ: إعلامٌ مع تخويف وتحذير. **قرأ** أبو عمرٍو وابنُ كثير وأبو جعفرٍ وقالونُ عن نافعٍ، ورُويس عن يعقوبَ (ءأنذرتهم) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو وقالونُ وأبو جعفرٍ يفصلون بين الهمزتين بألف، وورشٌ يبدلها ألفاً خالصةً، ورُوي عنه التسهيل بينَ بينَ. **وقرأ** الباقون، وهم الكوفيون، وابن ذكوان، ورَوْحٌ بتحقيق الهمزتين[2]، من غير فصل بينهما كل القرآن. واختلف عن هشام في الفصل مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بينَ بينَ وتحقيقها، وزعم بعضُهم أن من قلبَ الهمزة الثانية ألفاً على أحد الوجهين لورش لاحنٌ؛ لجمعه بين ساكنين على غير حدِّه. قال الكواشيُّ: وفي زعمه نظرٌ، ثم بَيَّنَ وجهَ القراءة بذلك، وجوازَ الجمع

(١) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٣٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه(ص: ٦٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٣١-٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١١/ ٢١).

بينَ ساكنين، وملخَّصه أنه يجوز الجمعُ بين ساكنين مطلقاً إذا صحَّ نقلُه، وقد صحَّ، ومتى اجتمعت همزتان في كلمةٍ الثانيةُ ساكنةٌ، والأولى متحركةٌ بأية حركة كانت، فأجمع القراء أن الأولى محققة، والثانية مسهلة تُبدل واواً إذا انضم ما قبلها، وألفاً إذا انفتح، وياء إذا انكسر؛ كآدمَ وأُوتي وإيمان.

﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ المعنى: إن الذين كفروا مستوٍ لديهم إنذارُك وعدمُه، والألف في قوله (ءأنذرتهم) ألفُ التسوية؛ لأنها ليست كالاستفهام، بل المستفهِم والمستفهَم مستويان في علم ذلك، وهذه الآية في أقوام حَقَّتْ عليهم كلمةُ الشقاوة في سابق علم الله.

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال:

* * *

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: طبع الله.

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ فلا تعي خيراً، ولا تفهمه، وحقيقة الختم: الاستيثاقُ من الشيء، ومنه الختمُ على الباب.

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ أي: على موضع(١) سمعهم، فلا يسمعون الحقَّ، ولا ينتفعون به، وأراد: على أسماعهم؛ كما قال: على قلوبهم.

﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ وهذا ابتداء كلام.

﴿غِشَٰوَةٌ﴾ أي: غطاء، فلا يرون الحق. قرأ أبو عمرو، وورش عن

---

(١) في «ت»: «مواضع».

نافع، والدوريُّ عن الكسائي (أبصارهم) و(ديارهم) وشبهه بالإمالة حيث وقع[1]، والباقون بالفتح، فالفتح بلغة أهل الحجاز، والإمالة لغةُ عامةِ أهلِ نجدٍ من تميم وأسدٍ وقيسٍ، والفتحُ عبارةٌ عن فتح القارىء لفيه بلفظِ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر، والإمالة: أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، والعذابُ: كلُّ ما يُعَنَّى به الإنسان ويشقُّ عليه. قرأ حمزة برواية خلف (غِشَاوَة وَّلَهُمْ) بإدغام التنوين بغير غنة[2].

***

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ نزلت في المنافقين: عبدِ الله بنِ أُبيٍّ ابن سلولَ، وسلولُ أُمُّهُ، وبها يُعرف، وحارثِ بنِ عمرٍو، وعمر بنِ زيدٍ، ومُعَتِّبِ بنِ قُشير، وجَدِّ بنِ قيسٍ، وأصحابِهم؛ حيثُ أظهروا كلمةَ الإسلام ليسلَموا من النبيِّ وأصحابه، واعتقدوا خلافَها، وأكثرُهم من اليهود[3]. والناسُ: جمعُ إنسان سمي به؛ لأنه عُهِد إليه فنسيَ كما قال

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢)، حيث ذكرت عن أبي عمرو والكسائي.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١١٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٤٢)، و«الدر =

تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥]. **قرأ** أبو عمرٍو والكسائيُّ (وَمِنَ النَّاسِ) بالإمالة حيث وقعَ هذا الاسمُ مجروراً في جميع القرآن[1]. **وقرأ** خلفٌ عن حمزة، والدوريُّ عن الكسائي (مَن يَّقُول) بإدغام النون بغير غنة.

﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: بيوم القيامة، قال الله تعالى:

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ نظراً إلى معناها؛ لأن (مَنْ) لفظٌ مفردٌ للعقلاء يعمُّ الواحدَ والجمعَ، والذَّكَرَ والأُنثى.

* * *

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾.

[٩] ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: يخالفون الله، أصل الخَدْع في اللغة: الإخفاءُ، ومنه المَخْدَعُ للبيت الذي يُخفى فيه المتاعُ، فالمخادعُ هو الذي يُظهر خلافَ ما يُضمر، والخدعُ من الله تعالى في قوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: يُظهر لهم، ويُعَجِّل لهم من النعيم في الدنيا خلافَ ما يُغَيِّبُ عنهم من عذابِ الآخرة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم: آمنَّا، وهم غير مؤمنين.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرٍو: (وَمَا يُخَادِعُونَ)

= المنثور» للسيوطي (١/ ٧٣).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٤).

بالألف مع ضمِّ الياء وفتح الخاء وكسر الدال، على موافقة الكلمة الأولى. وقرأ الباقون: (وَمَا يَخْدَعُونَ) بغير ألف مع فتح الياء والدال وإسكان الخاء(١).

﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لأن خدعَهم أنفسَهم لا يعدُوهم. وقالَ بعضُ أهلِ اللغةِ: يقالُ: خادَعَ: إذا لم يبلُغْ مُرادَهُ، وخَدَعَ: إذا بلغَ مرادَه، فلما لم ينفذْ خداعهم فيما قصدوه، كان مخادعةً، فلما وقع ضررُ فعلِهم على أنفسهم، كان في حقِّ أنفسِهم خِداعاً، وتفسيره: فلا ينفُذُ خداعهم فيمن قصدوه، فكأنهم خدعوا أنفسَهم؛ كما يقال: فلانٌ سخرَ بفلانٍ، وما سخرَ إلا بنفسِه، والنفسُ: ذاتُ الشيء وحقيقتُه.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ الشعور: علمُ حِسّ؛ أي: لا يعلمون أنهم يخدعونَ أنفسَهم، وأنَّ وبالَ خداعِهم يعودُ عليهم.

* * *

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شكٌّ ونِفاق، والمرضُ في اللغة: العلَّة،

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٢٤ـ٢٢٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٥)، قال البغوي عن قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو: وجعلوه من المفاعلة التي تختص بالواحد.

سمي الشكُّ في الدين مرضاً؛ لأنه يُضعف الدينَ؛ كالمرضِ يضعفُ البدنَ.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أي: أمدَّهم اللهُ بمرضٍ آخرَ تنميةً لمرضهم؛ لأن الآياتِ كانت تنزل تتراً آيةً بعدَ آيةٍ، فكلما[1] نزلتْ آية، فكفروا بها، ازدادوا شكاً ونفاقاً. **قرأ** حمزةُ، وابنُ ذكوان: (فَزَادَهُمْ) بالإمالة، والباقون بالفتح[2].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلم.

﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ أي: بتكذيبهم اللهَ ورسولَه في السرِّ. **قرأ** أهل الكوفة: (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء والتخفيف؛ أي: بكذبهم إذ قالوا: آمنا، وهم غير مؤمنين، والكذبُ: إخبارٌ بما لم يقع. **وقرأ** الباقون: بضم الياء والتشديد على المعنى الأول[3].

* * *

(١) في «ت»: «فلما».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٤٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٢٧ـ٢٢٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٧ـ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: قال المؤمنون للمنافقين أو لليهود. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ، ورويسٌ: (قِيلَ، وغَيضَ، وَجِيَء، وَحِيَل، وَسِيق، وَسِيَء، وَسِيئَتْ) بإشمامِ الضمِّ كسر أوائلِهنَّ، وافقهم ابنُ ذكوان في (حِيلَ، وَسِيَء، وَسِيئَتْ)، ووافقهم المدنيان في (سِيَء وَسِيئَتْ) فقط. وقرأ الباقون بإخلاصِ الكسرِ(١).

﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفرِ وتعويقِ الناس عن الإيمان بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ، والفسادُ: خروجُ الشيءِ عن حالِ الاستقامة.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يقولون هذا القول كذِباً؛ كقولِهم: آمنا وهم كاذبون.

* * *

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿أَلَآ﴾ كلمة تنبيه يُنَبَّهُ بها المخاطَبُ.

﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ أنفسَهم بالكفر، والناسَ بالتعويقِ عن الإيمان.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٢٩ـ٢٣٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٧).

﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: لا يعلمون أنهم مفسدون؛ لأنهم يظنون أنَّ الذي هم عليه من إبطانِ الكفرِ حقٌّ صلاحٌ.

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي: المنافقين واليهود:

﴿ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ عبدُ الله بنُ سلام وغيرُه من مؤمني أهل الكتاب.

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ أي: الجهَّال، وهذا القولُ كانوا يُظهرونه فيما بينهم، لا عندَ المؤمنين، فأخبرَ الله نبيَّهُ والمؤمنينَ بذلك، وقال رَدّاً عليهم:

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ لا يدرون أنهم كذلك، والسفيهُ: خفيفُ العقل، رقيقُ الحِلْم، من قولهم: ثوبٌ سفيهٌ؛ أي: رقيق. **قرأ** الكوفيون وابنُ عامرٍ، وروح: (السُّفَهَاءُ أَلَا) بتحقيق الهمزتين، والباقونَ: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تُبدل واواً محضةً، وما ذكر من تسهيلِ إحدى[١] الهمزتين إنما هو في حالة الوصل، فإذا وقفتَ على الكلمة الأولى، أو[٢] بدأتَ بالثانية، حَقَّقْتَ الهمزَ[٣] في ذلك لجميع القراء[٤].

* * *

---

(١) في «ت»: «أحد».

(٢) في «ن»: «و».

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٣٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٤)، =

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ﴾ يعني: هؤلاء المنافقين.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: المهاجرين والأنصار.

﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ كإيمانكم.

﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ ﴾ رجعوا.

﴿ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ أي: رؤسائِهم وكَهَنَتِهم، والشيطانُ: المتمرِّدُ العاتي؛ أي: الطويلُ الجسمِ من الجنِّ والإنسِ ومن كلِّ شيء.

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي: على دينِكم.

﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ساخرون بمحمدٍ وأصحابهِ بما نُظهر من الإسلام. قرأ أبو جعفر: (مُسْتَهْزُونَ، ومُتَّكُونَ) وشبهه حيثُ وقعَ بتركِ الهمزة[١].

* * *

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ أي: يجازيهم جزاءَ استهزائِهم، وهو أن يُفْتَحَ

= و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٧ـ٢٨).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٩).

لهم بابٌ من الجنة، فإذا انتهوا إليه، سُدَّ عنهم، ورُدُّوا إلى النار.

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يُطيلُ مدة غَيِّهم، والمدُّ والإمدادُ واحدٌ، وأصلُه الزيادةُ، إلا أن المدَّ أكثرُ ما يأتي في الشرِّ، قال الله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، والإمدادُ في الخير، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦].

﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ أي: ضَلالتِهم، والطُّغيانُ: الغلوُّ في الكفرِ. قرأ الدوريُّ عنِ الكسائيِّ (طغيانهم وآذانهم) بالإمالة حيثُ وقع[1]، وأمالَ حمزةُ والكسائيُّ وخلَفٌ جميعَ ما رُسِمَ بالياء من الأسماء، نحو: (الهُدَى، وَالهَوَى، والعَمَى)، وما أشبهَ ذلكَ[2]، والأفعالِ نحو: (أَتَى، وَأَبَى، وَسَعَى)، وما أشبهَ ذلكَ، وافقهم[3] أبو عمرٍو على ما كان فيه راءٌ بعدها ألفٌ ممالة بأيِّ وزنٍ كان، نحو: (ذِكْرَى، وَبُشْرَى، وَأَسْرَى)، وما أشبهَ ذلك، واختلِفَ في ذلك كلِّه عن ابنِ ذكوانَ، واختلِفَ عن وَرْشٍ فيما فيه راءٌ، فرُوِيَ عنه الإمالةُ بينَ بينَ، ورُوي عنه الفتحُ[4]، والوجهانِ صحيحانِ عنه. وقرأ الباقون بالفتح.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي: حائرون متردِّدون[5].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الآلوسي»، في تفسيره سورة البقرة، الآية (١٦).

(٣) في «ن»: «ووافقهم».

(٤) «الفتح» سقط من «ت».

(٥) انظر: «اللباب» لابن عادل الحنبلي، في تفسيره سورة يوسف، الآية (١٩).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: استبدلوا الكفرَ بالإيمان. والضلالةُ: الجورُ عن القَصْدِ.

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ أي: فما ربحوا في تجارتهم.

﴿ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ ناجين من الضلالة.

* * *

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ أي: شبههم. والمثلُ: قولٌ سائرٌ في عُرْفِ الناس، يُعرف به معنى الشيء.

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ﴾ يعني: الذين؛ بدليل سياق الآية.

﴿ ٱسْتَوْقَدَ ﴾ أي: أوقد.

﴿ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ ﴾ النارُ.

﴿ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ أي: حولَ المستوقِدِ.

﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ أي: أزاله.

﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ طرحهم.

﴿ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ نزلت في المنافقين، يقول: مثلُهم في نفاقِهم كمثلِ رجلٍ أوقدَ ناراً في ليلةٍ مظلمةٍ في مفازةٍ، فاستدفأ، ورأى ما حولَه،

واتَّقى ما يخافُ، فبينا هو كذلك إذْ طُفئت نارُه، فبقيَ في ظلمة خائفاً متحيِّراً، فكذلك المنافقونَ بإظهارِ كلمةِ الإيمان أمِنُوا على أموالهم وأولادِهم، وناكَحُوا المؤمنينَ، ووارثوهم، وقاسموهم الغنائمَ، فذلك نورُهم، فإذا ماتوا، عادوا إلى الظلمة والخوف.

***

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ صُمٌّ ﴾ أي: هم صمٌّ عن الحق، لا يقبلونه، وإذا لم يقبلوا، كأنهم لم يسمعوا.

﴿ بُكْمٌ ﴾ خُرْس عن الحقِّ لا يقولونه.

﴿ عُمْىٌ ﴾ أي: لا بصائرَ لهم، ومَنْ لا بصيرةَ له كمنْ لا بَصَرَ له.

﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ عن الضلالة إلى الحق.

***

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: كأصحابِ صَيِّبٍ؛ فهذا مثلٌ آخرُ ضربَهُ الله تعالى للمنافقين، معناه: إن شئتَ مَثِّلْهم بالمستوقِدِ، وإن شئتَ بأهلِ الصَّيِّبِ (أو) بمعنى الواو، يريد: وكصيِّبٍ من السماء. والصَّيِّبُ: المطرُ، وكلُّ ما نزلَ من الأعلى إلى الأسفلِ، فهو صيِّبٌ؛ أي: نزلَ من السماء؛ أي: من السحاب.

﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ ﴾ جمع ظلمة.

﴿ وَرَعْدٌ﴾ اسم مَلَكٍ، وهو الذي يُسمع صوتُه من السحاب، وهو الذي يسوقُهُ.

﴿ وَبَرْقٌ﴾ لمعانُ سوطٍ من نورٍ يزجُرُ به الملكُ السّحاب.

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ جمع صاعقة، وهي الموتُ، وكلُّ عذابٍ مُهْلِكٍ. وعن رسولِ اللهِ ﷺ: أنه كانَ إذا سمعَ صوتَ الرعدِ والصواعقِ قالَ: «اللَّهُمَّ لا تَقْتُلْنا بِغَضَبِكَ، وَلا تُهْلِكْنا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنا قَبْلَ ذَلِكَ»[1].

﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: مخافةَ الهلاكِ.

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ عالمٌ بهم، لا يفوتونه. وأصلُ[2] الإحاطةِ: الإحداقُ بالشيءِ من جميعِ جهاتهِ، ومنه الحائط. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، والدوريُّ عن الكسائي ورويس: (بالكافرين) بالإمالةِ حيثُ وقعَ في محلِّ النصبِ والخفضِ[3].

***

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٥٠)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا سمع الرعد، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٦٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٠)، وغيرهم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) في «ت»: «والأصل».

(٣) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٣).

[٢٠] ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾ أي: يقربُ. يُقال: كادَ يفعلُ: إذا قَرُبَ ولم يفعلْ.

﴿ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ يختلِسُها، والخطفُ: استلابٌ بسرعةٍ.

﴿ كُلَّمَآ ﴾ (كُلَّ) حرفُ جملةٍ ضُمَّ إلى (ما) الجزاء، فصار أداةً للتكرار، ومعناها: متى ما.

﴿ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾ أي: كلما أنارَ البرقُ لهم الطريقَ، ساروا في ضوئه.

﴿ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾ أي: وقفوا متحيرين، فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مَفازةٍ في ليلةٍ مظلمة، أصابهم مطرٌ فيه ظلماتٌ من صِفَتِها أنَّ الساريَ لا يمكنه المشيُ فيها، ورعدٌ من صفتِهِ أنه يضمُّ السامعون أصابعَهُم إلى آذانهم من هَوْلِهِ، وبرقٌ من صفتِهِ أنْ يَقْرُبَ أنْ يخطَفَ أبصارهم ويُعميها من شدَّةِ توقُّده، فهذا مثلٌ ضربَهُ اللهُ للقرآنِ وصنيعِ الكافرينَ والمنافقينَ معه، **فالمطرُ**: القرآنُ؛ لأنه حياةُ الجَنَان، كالمطرِ حياة الأبدان، **والظلماتُ**: ما في القرآنِ من ذكرِ الكفرِ والشركِ، **والرعدُ**: ما خُوِّفوا به من الوعيد، وذكرِ النار، **والبرقُ**: ما فيه من الهدى والبيانِ والوعدِ وذكرِ الجنة، فالكافرون يسدُّون آذانَهم عندَ قراءةِ القرآن مخافةَ ميلِ القلبِ إليه؛ لأن الإيمانَ عندَهُم كفرٌ، والكفرُ موتٌ، وقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾؛ أي: القرآنُ يبهَرُ قلوبهم.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أمالَ حمزةُ (شَاءَ، وَجَاءَ، وَخَابَ، وَطَابَ، وَخَافَ، وَحَاقَ، وَضَاقَ، وَزَالَ، وَزَاغَ) حيثُ وقع، سوى (زَاغَتْ) وافقهُ ابنُ ذكوانَ

وخَلَفٌ في (شَاءَ، وَجَاءَ) حيثُ وقع[1].

﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ﴾ أي: بأسماعِهم وأبصارِهم الظاهرةِ كما ذهبَ بأسماعِهم وأبصارِهم الباطنةِ. **قرأ** أبو عمرو، ورويسٌ: (لذهب بسمعهم) بإدغامِ الباءِ في الباءِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: فاعلٌ لِما يشاء، ولا يُوصَفُ غيرُ الله تعالى بالقدير.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: يا أَيُّها الناسُ خطابُ أهلِ مكَّةَ، ويا أَيُّها الذينَ آمنوا خطابُ أهلِ المدينة[2]، وهو هاهنا عام إلا من حيثُ إنه لا يدخلُه[3] الصغارُ والمجانين.

﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ وَحِّدُوا.

﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ الخَلْقُ: اختراعُ الشيءِ على غيرِ مثالٍ سبقَ. **قرأ** أبو عمرو: (خلقكم) بإدغام القاف في الكاف، ورويَ عن يعقوبَ إدغامُ كُلِّ ما أدغمَه أبو عمرٍو من المِثْلَين، والمتقارِبَيْنِ[4].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٨٤ ـ ٨٥).

(٣) في «ت»: «يدخل».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ أي: وخلقَ الذين من قبلِكم.

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ لكي تنجو من العذاب. قال سيبويهِ: لعلَّ، وعَسَى حَرْفا تَرَجٍّ، وهما من اللهِ واجبان.

* * *

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾:

[٢٢] ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ ﴾ أي: صَيَّرَ.

﴿ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ أي: بساطاً. قرأ أبو عمرٍو: (وَجَعَل لَّكُمْ) بإدغام اللام في اللام، ورُوي عن رُويسٍ موافقتُه على ذلك.

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ أي: سقفاً محفوظاً مرفوعاً.

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: من السحاب.

﴿ مَآءٗ ﴾ وهو المطر.

﴿ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ وأنواع النبات.

﴿ رِزۡقٗا ﴾ أي: طعاماً.

﴿ لَّكُمۡ ﴾ وعَلَفاً لدوابكم.

﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ أي: أمثالاً تعبدونهم كعبادةِ الله.

﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنه واحدٌ خالقُ هذهِ الأشياءِ.

* * *

= (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٦).

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي: في شكٍّ. معناه: وإذْ كنتم؛ لأن الله علمَ أنَّهم شاكُّون.

﴿ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ محمدٍ، يعني: القرآن.

﴿ فَأْتُوا ﴾ أمرُ تعجيزٍ.

﴿ بِسُورَةٍ ﴾ والسورةُ: قطعةٌ من القرآنِ معلومةُ الأولِ والآخِرِ.

﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ أي: مثلِ القرآن، و(مِنْ) صِلَةٌ؛ كقوله: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم ﴾ جمعُ شاهدٍ؛ أي: واستعينوا بآلهتِكُم التي تعبدونها.

﴿ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن محمداً يقولُه من تِلْقاءِ نفسِه، فلمَّا تحدَّاهم، عَجزوا، فقال:

* * *

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ فيما مضى.

﴿ وَلَن تَفْعَلُوا ﴾ أي: لن تقدروا عليه فيما بقي أبداً، وإنما[١] قالَ ذلكَ؛

---

(١) في «ت»: «وإن».

لبيان الإعجازِ؛ فإنَّ القرآنَ كانَ معجزةً للنبيِّ ﷺ؛ حيثُ عجزوا عن الإتيان بمثله.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ أي: فآمنوا، واتقوا بالإيمان النار.

﴿ ٱلَّتِى وَقُودُهَا﴾ أي: حَطَبُها.

﴿ ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ يعني: حجارةَ الكبريت؛ لأنها أكثرُ التهاباً، وقيل: الأصنام، وقرنَ الناسَ بالحجارةِ؛ لأنهم نحتوها، واتَّخذوها أرباباً من دون الله. وقيل: من النار نوعٌ لا يَتَّقد إلا بالناسِ والحجارة كاتقادِ هذه النار بالحطب.

﴿ أُعِدَّتْ﴾ أي: هيئت.

﴿ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فبعدَ ذكرِ وعيدِ الكافرين ذكرَ وعدَ المؤمنين تطييباً لقلوبهم مخاطباً رسولَه ﷺ فقال:

***

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والبشارةُ: كلُّ خبرٍ صدقٍ تتغير به بشرةُ الوجهِ، ويُستعمل في الخيرِ والشرِّ، وفي الخيرِ أغلبُ.

﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: الفعلاتِ الصالحةَ، يعني: المؤمنينَ من أهل الطاعة.

﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ جمع جَنَّة، والجنةُ: البستان الذي فيه أشجارٌ مثمرةٌ،

سميت به؛ لاجتنانها وتستُّرِها بالأشجار.

﴿ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ﴾ أي: من تحت أشجارِها ومساكنِها.

﴿ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ أي: المياه في الأنهار؛ لأن النهر لا يجري، والأنهارُ جمعُ نهر، سمي به لسعتِه وضيائه، ومنه النَّهارُ.

﴿ كُلَّمَا ﴾ يعني: متى ما.

﴿ رُزِقُوا۟ ﴾ أُطْعِموا.

﴿ مِنْهَا ﴾ أي: من الجنة.

﴿ مِن ثَمَرَةٍ ﴾ أي ثمرة، و(مِنْ) صلة.

﴿ رِّزْقًا ﴾ طعاماً.

﴿ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ و(قَبْلُ) رُفِعَ على الغاية، قال الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم:٤]، فإذا رُزِقوا ثمرةً بعدَ أخرى، ظنوا أنها الأُولى.

﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي: بالرزق.

﴿ مُتَشَـٰبِهًا ﴾ في الألوان، مختلفاً في الطعوم.

﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ ﴾ أي: في الجنات.

﴿ أَزْوَٰجٌ ﴾ نساء وجوارٍ من الحورِ العِينِ.

﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ من الأقذار.

﴿ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ دائمون، لا يموتون، ولا يخرجون.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ ﴾ الحياءُ: تغيُّرٌ وانكسارٌ يلحقُ الشخصَ خوفاً مما يُعابُ به، واشتقاقُه من الحياة؛ فإنه انكسارٌ يعتري القوى الحيوانيةَ، ويردُّها عن أفعالها، والله سبحانه منزَّهٌ عن ذلك. وسببُ نزولِها: أن الله تعالى لما ضربَ المثلَ بالذُّبابِ والعنكبوتِ فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، قالتِ اليهودُ ما أرادَ اللهُ بذكرِ هذهِ الأشياءِ الخسيسةِ؟ فأنزلَ اللهُ ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾(١) أي: لا يتركُ تركَ مَنْ يستحيي (أنْ يضربَ مثلاً) يذكر شَبَهاً (ما بعوضةً) (ما) صلة؛ أي: مثلاً بالبعوضة، و(بعوضةً) نصبٌ بدلٌ عن المثل. والبعوضُ: صغارُ البقِّ، سميت بعوضةً كأنها بعضُ البقِّ، (فَمَا فَوْقَها) يعني: الذبابَ والعنكبوتَ.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بمحمد والقرآن.

﴿ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ﴾ يعني المثلَ هو(٢).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/١٧٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/٦٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/١٠٣).

(٢) «هو»: ساقطة من «ت».

﴿ ٱلۡحَقُّ﴾ والصدق.

﴿ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾ أي: بهذا المثل، ثم أجابهم فقال:

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا ﴾ من الكفار، لأنهم كانوا يكذبونه، فيزدادون ضلالاً.

﴿ وَيَهۡدِي بِهِۦ﴾ أي: بهذا المثل.

﴿ كَثِيرٗاۚ ﴾ من المؤمنين، فيصدقونه. والإضلالُ: هو الصَّرْفُ عن الحقِّ بالباطل.

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ الكافرين. والفسقُ: الخروجُ عن أمر الله. ثم وصفهم فقال:

***

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ أي: يخالفون ويتركون. وأصلُ النقضِ الكسر.

﴿ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ أمرَ اللهِ الذي عهدَ إليهم يومَ الميثاق بقوله: ﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ توكيده. والميثاقُ: العهدُ المؤكَّدُ.

﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ يعني: الإيمانَ بمحمدٍ وبجميعِ الرسلِ ـ عليهم السلام ـ؛ لأنهم قالوا: ﴿ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ ﴾ [النساء: ١٥٠]، وقالَ المؤمنون: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي، وتعويقِ الناسِ عن الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ، والقرآن.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ المغبونون. ثم قال لمشركي العرب على وجه التعجب:

* * *

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ بعدَ نصبِ الدلائل ووضوحِ البراهين. ثم ذكرَ الدلائلَ فقالَ:

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ نُطَفاً في أصلابِ آبائِكم.

﴿ فَأَحْيَٰكُمْ ﴾ في الأرحامِ والدنيا. قرأ الكسائيُّ: (فَأَحْيَاكُمْ، أَحْيَا، أَحْيَاهَا، فَأَحْيَا، وَأَحْيَا) بالإمالةِ حيثُ وقعَ، وافقه حمزةُ في (وَأَحْيَا) حيثُ وقع[١].

﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاءِ آجالِكم.

﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ بالبعثِ.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ تُرَدُّون في الآخرةِ، فَيَجزيكم بأعمالِكم. قرأ يعقوبُ: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم حيثُ وقع إذا كانَ من رجوع

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٠).

الآخرة، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١)، ولم يختلفوا فيما كانَ من الرجوعِ إلى الدنيا؛ كقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]؛ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، ونحوِ ذلك أنه بفتح أوله وكسر ثالثه.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾.

[٢٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لكي تعتبروا وتستدلوا.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصد إليها؛ لأنه خلق الأرض أولاً، ثم عمدَ إلى خلقِ السماء.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ أي: خلقهنَّ مستوياتٍ لا فُطورَ فيها ولا صَدْعَ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ وخلفٌ: (اسْتَوَى) (فَسَوَّاهُنَّ) بالإمالةِ(٢)، ووقفَ يعقوبُ (فَسَوَّاهُنَّهْ) بزيادة هاء السكت.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفُ،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٥٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٠).

ووَرْشٌ، ويعقوبُ: (وَهُوَ، وَهِيَ، فَهُوَ، فَهِيَ، لَهُوَ، لَهِيَ) بتحريكِ الهاءِ حيثُ وقعَ[١]، ووقفَ يعقوبُ على جميعِها بزيادةِ هاءِ السكتِ[٢].

***

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ أي: واذكرْ إذْ قالَ ربُّك. و(إذْ) و(إذا) حرفا توقيتٍ، إلا (إذ) للماضي، و(إذا) للمستقبل، وقد توضع إحداهما موضعَ الأخرى. قرأ أبو عمرٍو (قَال رَّبُّكَ) بإدغام اللام في الراء.

﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ جمع مَلَكَ. قيل: مشتقٌّ من المُلْك، وهو الشدَّةُ والقوةُ، والمرادُ: الملائكةُ الذين كانوا في الأرض، وذلك أن الله خلق السماءَ والأرضَ، وخلقَ الملائكةَ والجانَّ، وأسكنَ الملائكةَ السماءَ، وأسكنَ الجانَّ الأرضَ، فعبدوا دهراً طويلاً في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسدُ والبغيُ، فأفسدوا، واقتتلوا، فبعث الله إليهم جُنداً من الملائكة يقال لهم: الجنُّ، وهم خُزَّانُ الجِنان، اشتقَّ لهم اسمٌ من الجنة، رأسهم إبليسُ، وكانَ رئيسَهُم، ومن أشدِّهم وأكثرِهم علماً، فهبطوا إلى الأرضِ، وطردوا الجانَّ إلى شعوبِ الجبالِ وبطونِ الأوديةِ وجزائرِ البحورِ، وسكنوا الأرضَ، وخَفَّفَ الله عنهُم العبادةَ، وأعطى اللهُ إبليسَ ملكَ الأرضِ وملكَ سماءِ

---

(١) ووافقهم عاصم في ذلك أيضاً.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤١).

الدنيا، وخزانةَ الجنة، وكان يعبدُ الله تارةً في الأرض، وتارةً في السماء، وتارةً في الجنة، فدخلَهُ العُجْب، وقال في نفسِه: ما أعطاني اللهُ هذا الملكَ إلا لأني أكرمُ الملائكةِ عليه، فقال الله له ولجنده:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ أي: مُصَيِّرٌ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي: بدلاً منكم، وأرفعُكُم إليَّ، فكرهوا ذلكَ؛ لأنهم كانوا أهونَ الملائكة عبادةً، والمرادُ بالخليفة هاهنا: ـ آدم عليه السلام ـ؛ لأنه خليفةُ الله في الحُكْم بينَ عبادِه بالحقِّ، ومَنْ قامَ مقامَه بعدَه من ذريته، والخليفةُ: من استُخلِفَ مكانَ مَنْ كان قبلَه، مأخوذ من أنه خَلَفٌ لغيره، يقومُ مقامَهُ في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكرٍ خليفةُ رسول الله ﷺ. قرأ الكسائي (خليفة) بإمالةِ الفاء حيثُ وقف على هاء التأنيث[١].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي، والمراد: ذريَّتُه.

﴿وَيَسْفِكُ﴾ أي: ويصبُّ.

﴿ٱلدِّمَآءَ﴾ بغيرِ حقٍّ؛ أي: كما فعلَ بنو الجانِّ، فقاسوا بالشاهدِ على الغائبِ، وإلاَّ فَهُم ما كانوا يعلمون الغيبَ.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نقول: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ. والتسبيحُ: تبعيدُ اللهِ من السوء. قرأ أبو عمرٍو: (وَنَحْن نُّسَبِّحُ) بإدغامِ النون في النون.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي: نثني عليك بالقُدُّوس والطهارة عما لا يليقُ بجلالك. قرأ أبو عمرٍو: (وَنُقَدِّسُ لَك قَّالَ) بإدغام الكاف في القاف،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤١).

وكذلك: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، و﴿لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠] حيثُ تحرَّكَ ما قبلَها، فلو سكن ما قبلَ الكاف، لم يدغمْها نحو: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ﴾(١) [الإسراء: ١٩] و﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥]، وشبهه.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة فيه. قرأ المدنيان، وابنُ كثير، وأبو عمرٍو (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون بإسكانها، وأبو عمرٍو: (أَعْلَم مَّا) بإدغام الميم في المَيم(٢).

* * *

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ سُمِّي آدمَ؛ لأنه خُلِقَ من أديمِ الأرضِ، وهو وَجْهُها، مشتَقٌّ من الأُدْمَةِ: السُّمْرَة، وكنيتهُ: أبو البَشَر، عاش تسعَ مئةٍ وثلاثين سنةً باتفاقٍ، وقبرُه في مغارةٍ بينَ بيتِ المقدسِ ومسجدِ إبراهيمَ الخليلِ، رِجْلاهُ عند الصخرة، ورأسهُ عند مسجدِ إبراهيم، وفي ذلك خلاف كثير.

---

(١) وردت هذه الآية في جميع النسخ «أولئك قال»، وهو خطأ ظاهر.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٢).

﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ لما خلقه الله ـ عز وجل ـ علمه أسماءَ الأشياء، وذلك أن الملائكة قالوا لما قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ ليخلقْ ربُّنا ما يشاءُ، فلن يخلقَ خَلْقاً أكرمَ عليه منَّا، وإن كانَ، فنحنُ أعلمُ منه؛ لأنا خُلقنا قبلَه، ورأينا ما لم يَرَهُ، فأظهرَ اللهُ فضلَه بالعلمِ، وفيه دليلٌ على أن الأنبياءَ أفضلُ من الملائكة، وإن كانوا رسلاً كما ذهبَ إليه أهل السنة.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي: عرض المسمَّيات؛ لأن عرض الأسماء لا يصحُّ، والعرضُ: إظهارُكَ الشيءَ، وأن تمرَّ به عَرْضاً؛ لتعرفَ حالَه، وإنما قال: عَرَضَهم، ولم يقل: عَرَضَها؛ لأن المسمَّياتِ إذا جَمَعَتْ من يعقلُ ومن لا يعقلُ، يكنى عنها بلفظ مَنْ يعقلُ؛ كما يكنى عن الذكورِ والإناثِ بلفظ الذكور.

﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي﴾ أخبروني، أمر تعجيز.

﴿بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنِّي لا أخلقُ خلقاً إلا كنتم أفضلَ وأعلمَ منه. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وأبو عمرٍو بإسقاطِ الهمزةِ الأولى، وتحقيق الثانية، **وقرأ** قالون، والبزي: بتسهيل الأُولى بينَ بينَ، مع تحقيق الثانية، وأبو جعفرٍ ورويسٌ: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختلف عن قنبل وورش، فروي عن الأول جعلُ الهمزةِ الثانيةِ بينَ بينَ، وروي عنه إسقاطُ الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهورُ من أصحابه، وروي عن الثاني إبدالُ الهمزةِ الثانيةِ ياءً مكسورةً، وروي عنه تسهيلُها بينَ بينَ[1].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٥٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٠)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٧)، و«التبيان» للطوسي =

﴿قَالُوا۟﴾ يعني: الملائكة إقراراً بالعجز.

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لكَ.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ معناه: أنك أجلُّ من أن نحيطَ بشيء من علمِك.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقك.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمرك. والحكيمُ له معنيان: أحدُهما: الحاكم، وهو القاضي العدلُ، والثاني: المحكِمُ لأمره كيلا يتطرَّقَ إليه الفسادُ، وأصلُ الحكمةِ في اللغة: المنعُ، وهي تمنعُ صاحبَها من الباطل، ومنها حَكَمَةُ الدابّة؛ لأنها تمنعُها من الاعوجاج. فلما ظهرَ عجزُهم:

* * *

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه:

﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أخبرهم.

﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ فسمَّى آدمُ كلَّ شيء باسمه، وذكرَ الحكمةَ التي لأجلها خُلق.

﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ الله:

﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يا ملائكتي:

= (١/ ١٤١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥ـ١٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٣ـ٤٤).

﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ ﴾ تقدم مذاهبُ[1] القراء في فتح الياء وإسكانها من (إنِّي) في الحرف المتقدم قريباً.

﴿ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ما كان منها، وما يكون؛ لأنه قد قال لهم: ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ ﴾ أي: تظهرون، يعني قولهم: ﴿ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾.

﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ تُسِرُّون، يعني قولهم: لن يخلقَ اللهُ ربُّنا خَلْقاً أكرمَ عليه منا.

* * *

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٣٤) ﴾.

[٣٤] ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ﴾ مذهب العرب أن الرئيسَ يخبرُ عن نفسِه بضمير الجمع.

﴿ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِلْمَلائِكَةُ) بضمِّ التاءِ حالةَ الوصلِ إتباعاً، ورُويَ عنهُ إشمامُ كسرتها الضمَّ، والوجهان صحيحان عنه، ووجهُ الإشمام أنه أشارَ إلى الضمِّ تنبيهاً على أن الهمزةَ المحذوفةَ التي هي همزةُ الوصلِ مضمومةٌ حالةَ الابتداءِ، ووجهُ الضمِّ أنهم استثقلوا الانتقالَ من الكسرةِ إلى الضمة إجراءً للكسرةِ اللازمةِ مجرى العارضة، وعللها أبو البقاءِ أنه نوى الوقفَ على التاء، فسكنها، ثم حَرَّكها بالضمِّ إتباعاً لضمةِ الجيم،

---

(١) في «ت»: «مذهب».

وهذا من إجراء الوصل مجرى الوقف، وقد اعترضَ جماعةٌ على أبي جعفر في قراءته لذلك، فردَّ ابنُ الجزريِّ اعتراضَهُ، وانتصرَ لأبي جعفرٍ، وصوَّبَ قراءته، وقال: إنه لم ينفردْ بهذه القراءة، بل قرأ بها غيرُه من السَّلَف. وقرأ الباقون: بإخلاصِ كسرةِ التاءِ(١). وهذا الخطابُ مع جميع الملائكة على الصحيح، والأصحُّ أن السجودَ كانَ لآدمَ على الحقيقة، وتضمَّنَ معنى الطاعة لله تعالى لامتثالِ أمرِه، وكانَ ذلكَ سجودَ تعظيمٍ وتحيَّةٍ، لا سجودَ عبادةٍ، ولم يكن فيه وضعُ الوجهِ على الأرض، إنما كانَ الانحناء، فلما جاء الإسلامُ أبطلَ ذلك. والسجودُ في الأصل: تذلُّلٌ مع تَطامُنٍ.

﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ وكان اسمُه عزازيل بالسريانية، وبالعربية: الحارثُ، فلما عصى، غُير اسمه وصورتُه، فقيل: إبليسُ؛ لأنه أبلسَ؛ أي: يئس من رحمة الله، والأصحُّ أنه كانَ من الملائكة لا من الجنِّ، وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]، أي: من الملائكةِ الذين هم خَزَنة الجنة.

﴿أَبَىٰ﴾ امتنع فلم يسجد.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ أي: تكبر عن السجود لآدم.

﴿وَكَانَ﴾ أي: وصار.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٨)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٥-٤٦).

﴿ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال أكثر المفسرين: وكان في سابق علم الله من الكافرين الذين وجبتْ لهم الشقاوة.

* * *

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ وهي جنةُ الخلد في السماء السابعة، وذلك أن آدمَ لم يكنْ له في الجنةِ مَنْ يجالسُه، فنام نومةً، فخلقَ اللهُ زوجتَهُ حَوَّاءَ من قصيراهُ من شقِّه الأيسر، وسُمِّيت حواءَ؛ لأنها خُلقَتْ من حَيٍّ، خلقها الله تعالى من غير أن أحسَّ بها آدمُ، ولا وجدَ لها ألماً، ولو وجد لها ألماً، لما عطفَ رجلٌ على امرأة قَطُّ، فلما استيقظَ من نومه، رآها جالسةً عندَ رأسِه كأحسنِ ما خلقَ الله، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ فقالتْ زوجتُكَ، خلقني الله لكَ؛ لتسكنَ إليَّ، وأسكنَ إليكَ[١].

﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ واسعاً كثيراً.

﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ كيف شئتما، ومتى شئتما، وأين شئتما. **قرأ** أبو عمرٍو: (حَيْث شِّيتُمَا) بإدغام الثاء في الشين، وإبدال الهمز[٢] بياء ساكنة[٣]، ووافقه على الإبدال أبو جعفرٍ وورشٌ.

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ يعني: للأكل، واختُلِف في الشجرة، فقيل:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٣٠).

(٢) في «ن»: «الهمزة».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٦).

هي السنبلة، وقيل: العنب، وقيل: التين، وقيل: شجرة الكافور، وقيل: شجرة العلم، وفيها من كلِّ شيء. قال ابنُ عطية: وإنما الصوابُ أن يُعتقَدَ أن الله نهى آدمَ عن شجرة، فخالفَ هو إليها، وعصى في الأكل منها، قال: وفي حظرِه تعالى على آدمَ ما يدلُّ على أن سكناه في الجنة لا يدومُ؛ لأن المُخَلَّد لا يُحظر عليه شيءٌ، ولا يؤمرُ ولا يُنهى[1].

﴿فَتَكُونَا﴾ أي: فتصيرا.

﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الضارِّينَ بأنفسِكما بالمعصيةِ. وأصلُ الظلم: وضعُ الشيء في غيرِ موضعه.

* * *

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يعني: استزلَّ آدمَ وحواءَ؛ أي: دعاهما إلى الزلَّة. قرأ حمزةُ (فَأَزَالَهُمَا) بألفٍ مخففاً؛ أي: نَحَّاهما عن الجنة. وقرأ الباقون: بغير ألف مشدَّداً على المعنى الأول[2].

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ تقدم تفسيره في الاستعاذة.

﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الجنة.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٣٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٧).

﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ من النعيم، وذلك أن إبليسَ أرادَ أن يدخلَ الجنةَ ليوسوسَ لآدمَ وحواءَ، فمنعَتْهُ الخزنَةُ، فأتى الحيَّةَ، وكانت صديقاً لإبليسَ، وكانتْ من أحسنِ الدوابِّ، لها أربعُ قوائمَ كقوائمِ البعيرِ، وكانتْ من خُزَّانِ الجنة، فسألها إبليسُ أن تُدخلَه في فَمِها، فأدخلَتْه، فمرَّتْ به على الخزنَةِ وهم لا يعلمون، فلما دخل الجنةَ، وقفَ بينَ يدَيْ آدمَ وحواءَ، وهما لا يعلمان أنه إبليسُ، فبكى وناحَ نياحة أحزنهما، وهو أولُ مَنْ ناحَ، فقالا له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما، واغتمَّا، ومضى إبليسُ، ثم أتاهما فقال: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾؟ [طه: ١٢٠] فأبى أن يقبل منه، فقاسَمَهما بالله إنَّه لهما لمن الناصحين، فاغترَّا، وما ظَنَّا أن أحداً يحلفُ بالله كاذباً، فبادرتْ حواءُ إلى أكلِ الشجرةِ، ثم ناولتْ آدمَ حتى أكلها، فلما أكلا منها، فُتَّتْ عنهما ثيابُهما، وبدَتْ سوءاتهما، وأُخرجا من الجنة[1]، فذلك قوله تعالى:

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ ﴾ أي: انزلوا إلى الأرض، يعني: آدم وحواء وإبليس والحية، والهبوطُ: الانحطاطُ من عُلُوٍّ إلى سُفْلٍ، فهبطَ آدمُ بِسَرَنْديبَ من أرضِ الهندِ على جبل يقال له: نَوْد، وحواء بجدة، وإبليس بأيلةَ، والحيةُ بأصفهان.

﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أراد: العداوة التي بين ذرية آدم والحية، وبين المؤمنين من ذرية آدم وإبليس.

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ موضعُ قرار.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٣٥).

﴿وَمَتَٰعٌ﴾ بُلْغَةٌ ومُسْتَمْتَع.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ آخرِ أعمارِكم، فكلُّ إنسانٍ له مكانٌ في الأرضِ يستقرُّ فيه مدَّةَ حياتِه وبعدَ مماته.

***

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ التلقِّي: هو قبولٌ عن فِطْنَةٍ وفَهْم؛ أي: قَبِلَ وأخذَ.

﴿ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ هي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقيل غير ذلك. قرأ أبو عمرٍو، ورُويسٌ: (آدَم مِّن ربِّهِ) بإدغام الميم في الميم[١]، وقرأ ابنُ كثير: بنصبِ (آدَمَ) مفعولاً، ورفعِ (كَلِمَاتٌ) على أنها استقبلته وبلَغَتْهُ، والباقون برفعِ (آدَمُ)، ونصبِ (كَلِمَاتٍ) بكسر التاءِ مفعولاً[٢]، قال ابن عباس: «بكى آدمُ وحَوَّاءُ على ما فاتَهُما من نعيمِ الجنةِ مئتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ولم يقربْ آدمُ حواءَ مئةَ سنة»[٣]. ورُوي أن آدم لما هبط إلى الأرض، مكثَ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٨).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٥ ـ ٣٦)، ومن طريقه ابن عساكر في=

ثلاثَ مئة سنة لا يرفعُ رأسه حياءً من الله تعالى.

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فتجاوز عنه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ المتفضل بقبولِ توبةِ عبادِه.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بخلقه. قرأ أبو عمرٍو (إنَّه هُّو) بإدغام الهاء في الهاء[1].

* * *

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ يعني: هؤلاءِ الأربعةَ قيل: الهبوطُ الأولُ من الجنة إلى السماء الدنيا، والهبوطُ الثاني إلى الأرض، وكان هبوطُهم وقتَ العصر. وبينَ هبوطِ آدمَ والهجرةِ الشريفة الإسلامية ستةُ آلافِ سنةٍ، ومئتان، وستَّ عشرةَ سنة، وبين المؤرخين في ذلك خلافٌ.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ أي: فإن يأتِكُم يا ذريةَ آدم، فـ(إنْ) شرطٌ ضُمَّتْ[2] إليها (ما) تأكيداً للفعل، وأُدغمت (إنْ) فيها وقلَّما وقعَ فعلُ الشرطِ بعدَ إمّا إلا مؤكداً بـ«ما» والنون، فـ«ما» تؤكِّدُ أولَ الفعل، والنونُ تؤكِّدُ آخرَه. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (يَاتِيَنَّكُمْ) بالإبدال بغير همز، والباقون بالهمز.

﴿مِّنِّى هُدًى﴾ رشدٌ برسولٍ أبعثُه إليكم، وكتابٍ أنزله عليكم.

= «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢٦٨).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٢٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٩).

(٢) في «ت»: «ضمنت».

﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾ قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (هُدَايَ) بالإمالة[1].

﴿ فَلَا خَوْفٌ ﴾ قرأ يعقوب: (فَلاَ خَوْفَ) بفتحِ الفاءِ وعدم التنوين حيثُ وقَع، والباقون: بالرفع والتنوين[2].

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبلُهم. وتقدَّم[3] مذهبُ حمزةَ ويعقوبَ في ضمِّ الهاء من (عليهُم)، ومذهبُ ابنِ كثيرٍ وأبي جعفرٍ وقالون في صلةِ ميمِ الجمع بواو في اللفظ.

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما خَلَّفوا.

* * *

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾.

[٣٩] ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ جحدوا.

﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ القرآنِ.

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ يومَ القيامة.

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٩).

(٣) عند تفسير الآية رقم (٧) من سورة الفاتحة.

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها.

* * *

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يا أولادَ يعقوبَ! ومعنى إسرائيل: [عبدُ الله، فإسرا: عبد، وإيل: هو الله. وقيل: هو صفوة الله. قرأ أبو جعفرٍ: (إِسْرَايلَ)][(١)] بتسهيل الهمزة حيث وقع[(٢)].

﴿ٱذْكُرُواْ﴾ احفظوا، والذكرُ يكونُ بالقلب، ويكونُ باللسان.

﴿نِعْمَتِيَ﴾ أي: نعمي، لفظُها واحد، ومعناها جَمْعٌ.

﴿ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على أجدادِكم وأسلافِكم، وهي النعم التي خُصَّت بها بنو إسرائيل؛ من فلقِ البحرِ، وإنجائهم من فرعون، وإغراقه، وتظليلِ الغمامِ عليهم في التيه، وإنزالِ المنِّ والسَّلْوى، وإنزالِ التوراةِ، في نعمٍ كثيرةٍ لا تُحصى.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ بامتثالِ أمري، وقيل: بعثِ محمدٍ والإيمانِ به.

﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بالقبول والثواب.

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أي: فخافونِ في نقض العهد. قرأ يعقوبُ: (فَارْهَبُونِي) بإثباتِ الياء، والباقونَ: بحذفها[(٣)].

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤١)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٠).

(٣) المصادر السابقة

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ موافقاً.

﴿ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني: التوراةَ، في التوحيدِ والنبوَّةِ والأخبارِ، ونعتِ النبيِّ ﷺ. نزلتْ في كعبِ بنِ الأشرفِ وأصحابِه من علماءِ اليهود ورؤسائهم.

﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآنِ، يريد: أهلَ الكتاب؛ لأن قريشاً كفروا قبلَ اليهود بمكة، معناه: ولا تكونوا أولَ مَنْ كفر بالقرآن، فتتابعكم اليهودُ على ذلك، فتبوؤوا بآثامكم وآثامهم. **قرأ** حمزة: (ولا تكُونُوا) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغُ الإشباعَ.

﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ ﴾ أي: ولا تستبدلوا.

﴿ بِـَٔايَٰتِى ﴾ بالقرآنِ والإيمانِ بمحمدٍ ﷺ.

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي: عَرَضاً يسيراً من الدنيا، وذلك أن رؤساءَ اليهود وعلماءهم كانت لهم مآكلُ يُصيبونها من سَفَلَتِهم وجُهَّالهم، يأخذون منهم[١] كلَّ عامٍ شيئاً معلوماً من زَرْعِهم وضُروعِهم ونُقودهم، فخافوا إن هُمْ بيَّنوا صفةَ محمد ﷺ، وتابعوه، أن تفوتهم تلكَ المآكلُ، فغيَّروا نعتَهُ، وكتموا اسمَهُ، واختاروا الدنيا على الآخرة.

﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ أي: فاخشَونِ، والوقاية لغةً: حفظُ الشيءِ مما يؤذيه،

---

(١) في «ت»: «من».

وشرعاً: حفظُ النفس عَمَّا يُؤْثمها. قرأ يعقوبُ: (فَاتَّقُونِي) بإثباتِ الياء كما تقدَّم في قوله تعالى: (فارهبونِ)[1].

***

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ﴾ أي: لا[2] تَخْلِطوا.

﴿ ٱلْحَقَّ ﴾ الذي أُنزل عليكم من صفةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ الذي تكتبونه بأيديكم من غير تغيير صفته.

﴿ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ أي: لا تكتموه يعني: محمداً ﷺ.

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه نبيٌّ مرسَلٌ.

***

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: أديموا الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودِها.

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ وأدُّوا زكاةَ أموالكم المفروضةَ، مأخوذٌ من زكا الزرعُ: إذا نما وكثر.

﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي: صَلُّوا مع المصلينَ محمدٍ وأصحابِه، وذُكر بلفظِ الركوع؛ لأن الركوعَ ركنٌ من أركان الصلاة، وكذا السجودُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤١)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٢).

(٢) «لا» سقطت من «ت».

بالاتفاق، وصلاةُ اليهودِ لم يكن فيها ركوعٌ، فكأنه قال: صَلُّوا صلاةً ذاتَ رُكوعٍ، وأصلُ الركوعِ: الانحناءُ.

* * *

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ﴾ بالطاعة. نزلت في علماء اليهود، وذلك أن الرجل منهم كان يقولُ لقريبِهِ وحليفِهِ منَ المسلمين إذا سألَهُ عن أمرِ محمدٍ: اثبُتْ على دينه؛ فإن أمرَهُ حقٌّ، وقولَه صدقٌ(١).

﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أي: وتتركون.

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تتبعونه.

﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تقرؤون التوراةَ فيها نعتُه وصفتُه.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنه حَقٌّ، فتتبعونه، والعقلُ يمنعُ صاحبَه من الكفر والجحود.

* * *

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ أي: اطلبوا في قضاء حوائجكم المعونة.

﴿ بِٱلصَّبْرِ﴾ أراد: حبسَ النفس عن المعاصي.

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: وبالصلاة على نَيْل الرضوان وحَطِّ الذنوب.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٥٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٥٦).

﴿ وَإِنَّهَا﴾ ولم يقل: وإنهما ردَّ الكناية إلى كلٍّ واحدٍ منهما؛ أي: وإنَّ كلَّ خَصْلَةٍ منهما.

﴿ لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: ثقيلة.

﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ يعني: المؤمنين المتواضعين، وأصلُ الخشوع: السكون.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يستيقِنون، والظنُّ من الأضداد، يكونُ شكّاً ويقيناً؛ كالرجاء يكونُ أمناً وخوفاً.

﴿ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ﴾ معاينوا.

﴿ رَبِّهِمْ ﴾ في الآخرة، وهو رؤيةُ الله تعالى، ويأتي الكلام على رؤيته سبحانه في الآخرة في سورة الأنعام.

﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ فيجزيهم بأعمالهم.

* * *

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ﴾ أي: ميزتكم؛ أي: اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم.

﴿ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: عالَمَيْ زمانِكم، وذلك التفضيلُ وإن كانَ في حقِّ الآباء، ولكن يحصل به الشرفُ للأبناء.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَٱتَّقُواْ ﴾ واخشوا.

﴿ يَوْمًا ﴾ أي: عذاب يومٍ.

﴿ لَّا تَجْزِى ﴾ أي: تقضي.

﴿ نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ أي: حقاً لزمَها.

﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ (تُقْبَلُ) بالتاء؛ لتأنيث الشفاعة، وقرأ الباقون: بالياء[1]؛ لأن الشفيع والشفاعة بمعنى واحد؛ أي: لا تقبل منها شفاعة إذا كانت كافرة.

﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ أي: من المشفوع لها.

﴿ عَدْلٌ ﴾ أي: فداء، سُمِّي به؛ لأنه مثلُ العدلِ، والعدلُ: المِثْلُ.

﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يُمنعون من عذاب الله.

* * *

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣) و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٤).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ يعني: أسلافكم وأجدادكم، عَدَّها مِنَّةً عليهم؛ لأنهم نَجَو بنجاتهم.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومِه وأتباعِه وأهلِ دينه، وهو الوليدُ بنُ مُصْعَبِ بنِ الريَّانِ، وكانَ من القِبْطِ من العمالقةِ، وكان قصيراً طويلَ اللحية، أشهلَ العينين، صغيرَ العينِ اليسرى، أعرجَ، وكان شجاعاً ساحراً كاهناً كاتباً حكيماً، متصرفاً في كلِّ فنٍّ، واسمُه عندَ القِبْطِ ظُلْما، وعُمِّر أكثرَ من أربعِ مئةِ سنةٍ، وفرعونُ عَلَمٌ لمن ملكَ مصر.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم.

﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أَشَدَّهُ وأَسْوأَهُ، وذلك أنَّ فرعونَ جعلَ بني إسرائيل خَدَماً وخَوَلاً، وصَنَّفَهم في الأعمال، فصنفٌ يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يخدمونه، ومن لم يكنْ منهم في عمل، وضعَ عليه الجزية.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أصل الذبح: الشقُّ، والتشديدُ للتكثير.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يتركونَهُنَّ(١) أَحياءً، وذلكَ أن فرعونَ رأى في منامِه كأن ناراً أقبلتْ من بيتِ المقدسِ، وأحاطَتْ بمصرَ، وأحرقَتْ كلَّ قبطيٍّ بها، ولم تتعرضْ لبني إسرائيل، فهالَهُ ذلكَ، وسأَلَ الكَهَنَةَ عن رؤياه، فقالوا: سيولَد في بني إسرائيل غلامٌ يكونُ على يده هلاكُكَ، فأمر فرعونُ بقتل كلِّ غلامٍ يولَد في بني إسرائيل، ووكل بالقوابِل، فكنَّ يفعلْنَ ذلك.

(١) في جميع النسخ «يتركوهن»، والصواب ما أثبت.

قيل: إنه قتلَ في طلب موسى اثني عشرَ ألفَ صبيٍّ، وقيل: تسعين ألفَ وليدٍ. وأسرعَ الموتُ في مشيخةِ بني إسرائيلَ، فدخل رؤوسُ القبطِ على فرعونَ، وقالوا: إنَّ الموتَ وقعَ في بني إسرائيل، فتذبح صغارُهم، ويموت كبارُهم، فيوشك أن يقعَ العملُ علينا، فأمرَ فرعونُ أن يُذبحوا سنة، ويُتركوا سنة، فوُلِدَ هارونُ في السنة التي لا يُذْبحون فيها، ووُلِدَ موسى في السنة التي يُذْبحون فيها[1]. قرأ أبو عمرٍو (ويستحيون نساءكم) بإدغام النون في النون.

﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ ﴾ اختبار.

﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ قيل: البلاء: المحنة؛ أي: في سومهم إياكم سوءَ العذاب محنةٌ عظيمة، وقيل: البلاء: النعمة؛ أي: وفي إنجائي إياكم منهم نعمةٌ عظيمة، والبلاء يكون بمعنى النعمة، وبمعنى الشدة، والله تعالى قد يختبرُ على النعمة بالشكر، وعلى الشدة بالصبر.

* * *

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ معناه: فرقنا البحرَ بدخولكم إياه، والفَرْقُ: الفصلُ؛ أي: اذكروا أيضاً مِنَّتي عليكم بأنْ جعلتُ لكمُ البحرَ أفراقاً؛ أي: اثني عشر فِرْقاً، و(بكم) للباء وجهان: أحدهما: لكم، والباء قد تجيء بمعنى اللام، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الحج: ٦٢]؛

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٦)، عن السدي.

أي: لأن الله، والثاني: أي: بدخولِكم، فتكون الباءُ على حقيقتها. وسُمِّي البحرُ بحراً؛ لاستبحاره؛ أي: اتساعِه وانبساطِه، ومنه قيلَ للفرس: بحرٌ، إذا اتَّسَعَ في جَرْيه، وذلك أنه لما دنا هلاكُ فرعونَ، أمر الله تعالى موسى أن يسريَ ببني إسرائيل من مصرَ ليلاً، فأمر موسى قومَهُ أن يُسْرِجوا في بيوتهم إلى الصُّبح، وأخرجَ الله كُلَّ ولدِ زِناً في القبطِ من بني إسرائيل إليهم، وكلَّ ولدِ زِناً في بني إسرائيل من القِبْطِ إلى القبطِ، حتى رجعَ كُلٌّ إلى أبيه، وألقى الله الموتَ على القبط، فمات كلُّ بِكْرٍ لهم من شابٍّ وشابة، فاشتغلوا بدفنهم حتى أصبحوا، وخرج موسى في ستِّ مئةِ ألفٍ وعشرينَ ألفَ مقاتلٍ، لا يعدُّونَ ابنَ العشرينَ لصغره، ولا ابنَ الستين لكبره، وكانوا يومَ دخلوا مصرَ مع يعقوب اثنين وسبعين إنساناً ما بينَ رجلٍ وامرأة، فلما أرادوا السيرَ، ضُرب عليهم التيهُ، فلم يَدْروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخةَ بني إسرائيل، وسألهم عن ذلك، فقالوا: إن يوسف ـ عليه السلام ـ لما حضره الموتُ، أخذ على إخوته عهداً ألا يَخْرجوا من مصر حتى يُخْرجوه معه، فلذلك استدَّ عليهم الطريقُ، فسألهم عن موضع قبره، فلم يعلموا، فقام موسى ينادي: أنشد الله كُلَّ من يعلمُ أينَ موضعُ قبر يوسفَ إلا أخبرني به، ومن لم[1] يعلم به، فَصُمَّتْ أُذناه عن قولي، فكان يمرُّ بين رجلين ينادي، فلا يسمعان صوته حتى سمعَتْهُ عجوزٌ لهم، فقالت: أرأيتكَ إن دللتُكَ على قبره، أتعطيني كلَّ ما سألتُكَ؟ فأبى عليها وقال: حتى أستأذِنَ رَبِّي، فأمره الله ـ عز وجل ـ بإيتاء سؤلها، فقالت: إني عجوزٌ كبيرةٌ لا أستطيعُ المشيَ، فاحملْني وأخرجْني من مصَر، هذا في الدنيا، وأما في

(١) في «ت»: «لا».

الآخرةِ فأسألك ألاَّ تنزل غرفةً من الجنة إلا نزلتُها معكَ، قال: نعم، قالتْ: إنه في جوفِ الماء في النيل، فادعُ اللهَ حتى يحسرَ عنه الماء، فدعا الله، فحسر عنه الماء، ودعا الله أن يؤخر طلوعَ الفجرِ إلى أن يفرغ من أمر يوسفَ، فحفر موسى ذلك الموضعَ، واستخرجه من صندوق من مَرْمَرٍ، وحمله حتى دفنه بحبرون[1] بجوارِ قبرِ أبيه يعقوب، ففتح لهم الطريقُ، فساروا وموسى على ساقَتِهِمْ وهارونُ على مقدِّمَتِهم، وندر بهم فرعونُ، فجمعَ قومَه، وأمرَهم ألاَّ يخرجوا في طلبِ بني إسرائيلَ حتى يصيحَ الديكُ، فلم يَصِحِ الديكُ تلكَ الليلة، فخرج فرعونُ في طلب بني إسرائيلَ وعلى مقدمته هامانُ في ألفِ ألفٍ وسبعِ مئةِ ألفٍ، وكان فيهم سبعون ألفاً من دُهْم الخيل، سوى سائِر الشِّيآتِ، وكان فرعونُ يكون في الدُّهم، فسار بنو إسرائيلَ حتى وصلوا إلى البحر، والماء في غاية الزيادة، ونظروا فإذا هم بفرعونَ حين أشرقتِ الشمسُ، فبقُوا متحيِّرين، وقالوا: يا موسى! كيف نصنعُ؟ وأينَ ما وعدتَنا؟ هذا فرعونُ خلفَنا، إن أدركَنا قتلَنا، والبحرُ أمامَنا، إنْ دخلناه غرقْنا، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله تعالى إليه أَنِ اضربْ بعصاكَ البحر، فضربَهُ فلم يُطِعْه، فأوحى الله إليه أنْ كَنِّهِ؛ أي: كلِّمْهُ بالكُنية، فضربهُ وقالَ: انفلِقْ يا[2] أبا خالدٍ بإذن الله ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وظهر فيه اثنا عشَر طريقاً، لكل سِبْطٍ طريقٌ، وارتفعَ الماءُ بينَ كلِّ طريقينِ كالجبلِ، وأرسلَ اللهُ الريحَ والشمسَ

(١) في «ن» «بجهرون».

(٢) «يا» سقطت من «ظ».

على قَعْرِ البحرِ حَتَّى صارَ يَبَساً، فخاضَتْ بنو إسرائيلَ البحرَ، كلُّ سبطٍ في طريقٍ، وعن جانبيهم الماءُ كالجبلِ الضَّخم، ولا يرى بعضُهم بعضاً، فخافوا، وقالَ كلُّ سبطٍ قد قُتل إخوانُنا، فأوحى الله تعالى إلى جبالِ الماءِ أنْ يتشبَّكْنَ، فصارَ الماءُ شبكاتٍ كالطَّاقاتِ يرى بعضُهم بعضاً، ويسمعُ بعضُهُم كلامَ بعضٍ حتى عبروا البحَر سالمين، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾(١).

﴿ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ ﴾ من آلِ فرعونَ ومن الغرقِ.

﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: فرعونَ وجيوشَه، وذلك أنَّ فرعونَ لما وصل إلى البحر، فرآه منفلِقاً، قالَ لقومِه: انظُروا إلى البحرِ انفلقَ من هَيْبَتي حتى أُدْرِكَ عَبيدي الذين أَبَقُوا، ادخُلوا البحرَ، فهاب قومُه أن يدخلوه، وقالوا له: إن كنتَ ربّاً، فادخلِ البحرَ كما دخلَ موسى، وكانَ فرعونُ على حصانٍ أَدْهَمَ، ولم يكنْ في خيلِ فرعونَ فرسٌ أُنثى، فجاء جبريلُ في صورة هامانَ على أُنثى وَدِيقٍ؛ أي: شَهِيٍّ، وهي التي في فرجِها بَلَلٌ، فتقدَّمَهُ وخاضَ البحرَ، فلما شمَّ أدهمُ فرعونَ ريحَها، اقتحمَ البحرَ في أثرِها، ولم يملكْ فرعونُ من أمره شيئاً، وهو لا يرى فرسَ جبريلَ، واقتحمتِ الخيولُ خلفَه في البحر، وجاء ميكائيلُ على فرسٍ خلفَ القوم يشحذُهم ويسوقُهم حتى لا يشذَّ رجلٌ منهم، ويقولُ لهم: الحقوا بأصحابِكم، حتى خاضوا كلُّهم البحرَ، وخرجَ جبريلُ من البحر، وهمَّ أولُهم بالخروج، أمرَ اللهُ البحرَ أن يأخذَهم، فالتَطَمَ عليهم، وغرَّقَهم أجمعينَ، وكان بينَ طرفي البحرِ أربعةُ فراسخَ، وهو بحر قُلْزُم طرف من بحر فارس، والقُلْزُمُ ـ بضم القاف

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، عن السدي وابن زيد.

وسكون اللام وضمِّ الزاي وميم ـ: بُلَيدةٌ كانت على ساحل البحر من جهةِ مصرَ، وبينها وبين مصرَ نحوُ ثلاثةِ أيام، وقد خَرِبَت، ويعرف اليوم موضُعها بالسُّوَيس تجاه عجرود، منزلٍ ينزلُه الحاجُّ المتوجِّه من مصرَ إلى مكة، وبالقربِ منها غرقَ فرعونُ، وذلك بمرأى من بني إسرائيل(١)، فذلك قوله عز وجل.

﴿ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى مصارعهم.

***

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (وَعَدْنَا) بقصِر الألفِ من الوعدِ، والباقون: (وَاعَدْنَا) بألفٍ(٢)، منَ المواعدة.

﴿ مُوسَىٰٓ ﴾ اسم عبري عُرِّب، سُمِّي به لأنَّ تابوتَه وُجد بينَ الماءِ والشجر، والماءُ في لغتِهم مو، والشجرُ شا، ثم قلبتِ الشينُ المعجمةُ سيناً في العربية. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (مُوسَى) بالإمالة

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٧٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١/ ٧٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٩٣، ٢٤٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٥).

حيث وقع[1]، وهو موسى بنُ عمرانَ بنِ يصهر بنِ قاهث بنِ لاوي بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ ـ عليهم السلام ـ، عاش موسى مئةً وعشرين سنةً، ومات في سابعِ آذارَ لمضيِّ ألفٍ وستٍّ مئةٍ وستٍّ وعشرينَ سنةً من الطوفان، وبينَ وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلامية ألفان، وثلاثُ مئةٍ، وثمانٍ وأربعون سنةً، وقبرُه شرقيّ بيتِ المقدس، بينهما مرحلة.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أي: انقضاءها. قرأ الكسائيُّ (لَيْلَةً) بإمالة اللام حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيثِ، وقُرن بالليلِ دونَ النهار؛ لأن شهورَ العرب وُضِعَتْ على سيرِ القمر، وذلك أن بني إسرائيل لما أَمِنوا من عدوِّهم، ودخلوا مصرَ، لم يكن لهم كتابٌ ولا شريعةٌ ينتهون إليها، فوعدَ الله موسى أن يُنزل عليهِ التوراةَ، فقال موسى: إني ذاهبٌ لميقات ربي آتيكُم بكتابٍ فيه بيانُ ما تأتونَ به وما تَذَرون، وواعدَهم أربعين ليلةً: ثلاثينَ من ذي القعدة، وعشراً من ذي الحجَّة، وقيل: ذو الحجة، وعشرٌ من المحرَّم، واستخلفَ عليهم أخاه هارون، فلما أتى الوعدُ، جاء جبريل ـ عليه السلام ـ على فرس يقال له: فرسُ الحياة، لاتُصيب شيئاً إلا حَيِيَ؛ ليذهبَ بموسى إلى ربه، فلما رآه السامريُّ، وكان رجلاً صائغاً من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: سامُرَّة، واسمه مِيْخَا ـ بكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف، وفتح الخاء المعجمة وبعدها ألف ـ، وكان منافقاً، أظهرَ الإسلام، وكان من قوم يعبدون البقرَ، فلما رأى جبريلَ على تلكَ الفرس، ورأى موضعَ قدمِ الفرس يخضَرُّ في الحال، قال: إن لهذا شأناً، وأخذ قبضةً من تربةِ حافرِ فرسِ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٦).

جبريلَ. قال عِكْرمة: أُلقي في رُوعِهِ أنه إذا أُلقي في شيءٍ، غيَّرهُ، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حُلِيّاً كثيرةً من قوم فرعون؛ حين أرادوا الخروج من مصرَ بعلَّة عرسٍ لهم، فأهلكَ الله فرعونَ، وبقيت تلك الحليُّ لهم في أيدي بني إسرائيل، فلما فصل موسى، قال السامري لبني إسرائيل: إن الحليَّ التي استعرتموها من قومِ فرعونَ غنيمةٌ لا تَحِلُّ لكم، فاحفِروا حفرةً وادفنوها فيها حتى يرجعَ موسى، فيرى فيها رأيه، فلما اجتمعتِ الحليُّ صاغها السامريُّ عِجْلاً في ثلاثة أيام، ثم ألقى فيها القبضةَ التي أخذها من ترابِ فرسِ جبريلَ، فخرج عجلاً من ذهبٍ مُرَصَّعاً بالجواهر كأحسنِ ما يكونُ، وخار خَوْرَةً، فقال السامري: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]، أي: فتركه هاهنا، وخرج يطلبه، وكان بنو إسرئيل قد اختلفوا الوعد، فعدوا اليومَ مع الليلة يومين، فلما مضى عشرون يوماً، ولم يرجعْ موسى، وقعوا في الفتنة، وعبدوا العجلَ كلُّهم إلا هارونَ مع اثني عشرَ ألفَ رجل(١)، فذلك قولُه تعالى:

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه إلى الطور. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ، ورويسٌ: (اتَّخَذْتُم) حيث وقع بإظهار الذال، والباقون بإدغامها.

﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ضارُّون لأنفسِكم بالمعصيةِ، واضعونَ العبادةَ في غير موضعها.

***

---

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٢).

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا ﴾ محونا.

﴿ عَنكُمْ ﴾ ذنوبَكُم.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ من بعد عبادتكم العجلَ لمَّا تبتم. قرأ أبو عمرٍو: (مِنْ بَعْد ذَّلِكَ) بإدغام الدال في الذال[١]، وشبهه حيث وقع.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لكي تشكروا، وشكرُ كلِّ نعمةٍ ألاَّ يُعصى اللهُ بعدَ تلك النعمة[٢].

* * *

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: التوراةَ.

﴿ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ هو التوراةُ أيضاً، ذكرَها باسمينِ، وكرَّر المعنى لاختلافِ اللفظ، ولأنه زاد في معنى التفرقة بينَ الحقِّ والباطل، ولفظة الكتابِ لا تُعطي ذلك.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ بالتوراةِ.

* * *

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٠).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عبدوا العجل:

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي[١]: أضرَرْتم[٢].

﴿أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً، قالوا: فما نصنعُ؟ قال:

﴿فَتُوبُوٓا۟﴾ أي: فارجعوا.

﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالِقكم. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (بارِيكُم) بإمالة الألف في الموضعين، واختُلِفَ عن أبي عمرو في اختلاس كسرة الهمزة، وإسكانها من (باريكم) في الحرفين، فقرأ الدوريُّ عنه بالاختلاس، وقرأ السوسيُّ بالإسكان، وقرأ الباقونَ بإشباع الحركة[٣]. قالوا: كيف نتوب؟ قال:

﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: ليقتلِ البريءُ منكم المجرمَ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: القتلُ.

---

(١) «أي»: سقطت من «ن».

(٢) في «ط»: «صررتم».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٥)، و«الكشف» لمكي (٢٤٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٤، ١١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٧).

﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ فلما أمرهم موسى بالقتل، قالوا: نصبرُ لأمر الله، فجلسوا بالأَفْنِيَة مُحْتَبين؛ أي: مُنْتَصبين رُكَبَهم، وقيل لهم: من حَلَّ حبوتَهُ، أو مَدَّ طَرْفَه إلى قاتله، أو اتَّقى بيدٍ أو رجلٍ، فهو ملعونٌ مردودةٌ توبتهُ، وأصلتَ القومُ عليهم الخناجرَ، فكان الرجلُ يرى ابنَه وأخاه وأباه وقريبَه وصديقَه وجارَه، فلم يمكِنْهم إلا المضيُّ لأمر الله، قالوا: يا موسى! كيف نفعل؟ فأرسل اللهُ عليهم ضبابةً وسحابةً سوداءَ لا يُبصر بعضُهم بعضاً، وكانوا يقتلونهم إلى المساء، فلما كثر القتلُ، دعا موسى وهارونُ، وبَكَيا وتضرَّعا، وقالا: يا ربّ! هلكتْ بنو إسرائيل البقيةَ البقيةَ، فكشف الله السحابةَ، وأَمرهم أن يَكُفُّوا عن القتل، فتكشَّفَتْ عن ألوفٍ من القتلى، فاشتدَّ ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: أما يرضيكَ أن أُدخلَ القاتلَ والمقتولَ منهم الجنة؟ فكان من قُتل منهم شهيداً، ومن بقي منهم مُكَفَّراً عنه ذنوبُه(١)، فذلك قوله تعالى:

﴿فَتَابَ﴾ أي: إن فعلتم ذلك فقد تاب.

﴿عَلَيۡكُمۡۚ﴾ تجاوزَ عنكم.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ القابل للتوبة.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ قرأ أبو عمرٍو: (إنَّهْ هُّو) بإدغام الهاء في الهاء.

* * *

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾.

---

(١) وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١١١).

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لأجل قولك.

﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وذلك أن الله ـ عز وجل ـ أمرَ موسى ـ عليه السلام ـ أنْ يأتيَه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادةِ العجل، فاختار موسى سبعينَ رجلاً من قومِه من خيارِهم، وقال لهم: صوموا، وتَطَهَّروا، وطَهِّروا ثيابَكُم، ففعلوا، فخرج بهم موسى إلى طورِ سيناءَ لميقاتِ ربِّه، فقالوا لموسى: اطلبْ لنا نسمع كلامَ رَبِّنا، فقال: أفعلُ، فلما دنا موسى إلى طورِ سيناءَ من الجبل، وقع عليه عمودُ الغمام، وتغشى الجبلَ كلَّه، فدخلَ في الغمام، وقال للقوم: ادنو، فدنا القوم حتى دخلوا في الغمامِ، وخروا سُجَّداً، وكان موسى إذا كلَّمه ربُّه، وقعَ على وجهه نورٌ ساطعٌ لا يستطيعُ أحدٌ من بني آدمَ أن ينظرَ إليه، فضُربَ دونَه الحجابُ، وسمعوه وهو يكلم موسى، يأمره وينهاه، وأسمعَهُم اللهُ: إني أنا اللهُ لا إلهَ إلا أنا ذو بَكَّةَ؛ أي: صاحبُ مكةَ، أخرجتُكم من أرضِ مصرَ بيدٍ شديدةٍ، فاعبدوني ولا تعبدوا غيري، فلما فرغَ موسى، وانكشفَ الغمامُ، أقبلَ إليهم، فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ معايَنَةً[١]، وذلك أن العربَ تجعلُ العلمَ بالقلبِ رؤيةً، فقال: جهرةً؛ ليُعلم أنَّ المرادَ منه العيانُ.

﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي: الموتُ، وقيل: جاءت نارٌ من السماء فأحرقتهم.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: ينظر بعضُكم إلى بعض حينَ أخذَكُم الموتُ، فلما هَلَكوا، جعل موسى يبكي ويتضرَّع ويقولُ: ماذا أقولُ لبني إسرائيل إذا

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٥١).

أتيتُهم، وقد أَهلكتَ خيارَهم، ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فلم يزلْ يناشدُ ربَّه حتى أحياهم الله رجلاً بعدَ رجل بعد ما ماتوا يوماً وليلة، ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ كيف يُحْيون، وذلك قوله:

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم ﴾ أحييناكم، والبعثُ: إثارةُ الشيءِ عن مَحلِّه، يقال: بعثتُ البعيرَ، وبعثتُ النائمَ فانبعثَ.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ قال قتادة: أحياهم ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقِهم(١)، ولو ماتوا بآجالهم، لم يبعثوا.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فِعَالي.

* * *

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ في التيه يَقيكم حرَّ الشمسِ، والغَمامُ جمعُ غمامةٍ، من الغَمِّ، وأصلُه التَّغْطِيَةُ والسَّتْرُ، سُمِّي السحابُ غماماً؛ لأنه يغطِّي وجهَ الشمس، وذلك أنه لم يكنْ لهم في التيه كِنٌّ يسترُهم، فشكَو إلى موسى ـ عليه السلام ـ، فأرسل الله غماماً أبيضَ رقيقاً أطيبَ من غمام

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٢).

المطر، وجعل لهم عموداً من نور يضيء لهم الليلَ إذا لم يكنْ قمرٌ.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ أي: في التيه، والأكثرون على أن المنَّ هو التَّرَنْجَبينُ، وقيل: هو شيءٌ يتساقطُ على الشجر كالصَّمغ، حلوُ الطعم، فكان هذا المنُّ كل ليلةٍ يقعُ على أشجارهم مثلَ الثلج، لكلِّ إنسانٍ منهم صاعٌ، فقالوا: يا موسى! قتلَنا هذا المنُّ بحلاوته، فادعُ لنا ربك أن يطعِمَنا اللَّحْمَ، فأنزل الله عليهمُ السَّلوى، وهو طائرٌ يشبه السُّمَّانَ، فكان اللهُ يُنزل عليهم المنَّ والسلوى كلَّ صباحٍ من طلوع الفجر إلى طلوعِ الشمسِ، فيأخذُ كلُّ واحدٍ منهم ما يكفيه يوماً وليلة، وإذا كان يومُ الجمعة، أخذَ كلُّ واحد منهم ما يكفيه ليومين؛ لأنه لم يكنْ ينزلُ يومَ السبت.

﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا.

﴿مِن طَيِّبَاتِ﴾ أي: حلالات.

﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدَّخروا لغدٍ، ففعلوا، فقطع الله ذلك عنهم، ودَوَّدَ وفسدَ ما ادَّخروا، فقال الله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ وما بَخسوا حقنا.

﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ باستيجابهم عذابي، وقطعِ مادة الرزقِ الذي كان ينزلُ عليهم بلا مُؤْنة في الدنيا، ولا حسابٍ في العقبى.

* * *

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم لما رجعوا من التيه:

﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ سميت القرية قريةً؛ لأنها تجمعُ أهلَها، ومنه: المِقْراةُ للحَوْض؛ لأنها تجمعُ الماء، والقريةُ: بيتُ المقدس، وقيل غيره.

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ موسَّعاً عليكم. **قرأ** أبو عمرٍو (حَيْث شِّئْتُمْ) بإدغام الثاء في الشين، **وقرأ** أيضاً هو وأبو جعفرٍ وورشٌ: (شِيتُمْ) بياء ساكنة بغير همز.

﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ يعني: باباً من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب، وقيل: باب المسجد.

﴿سُجَّدًا﴾ أي: رُكَّعاً خُضَّعاً مُنْحَنين.

﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي: حُطَّ عنا خطايانا، أُمروا بالاستغفار.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ من الغَفْر، وهو السَّتْر، فالمغفرةُ تسترُ الذنوب. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (يُغْفَرْ) بالياء آخر الحروف مضمومة، وابنُ عامر: (تُغْفَرْ) بتاء مضمومة، واتفقوا على فتح الفاء، والباقون: بنون مفتوحة وكسر الفاء[1]، ورُوي عن أبي عَمْرٍو إدغامُ الراء في اللام من (نَغْفِر لَّكُمْ)[2]، وروي عنه إظهارُها، والوجهان عنه صحيحان، **وقرأ** الكسائي:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«الكشف» لمكي (٢٤٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٩).

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

(خَطَايَاكُمْ، وَخَطَايَانَا) بإمالةِ فتحةِ الياء حيث وقع[1].

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ثواباً من فضلنا.

* * *

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ﴾ فغيَّر.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسَهم وقالوا:

﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا بلغتهم حِطَاءُ سمقاثاً استهزاءً؛ أي: حنطةً حمراءَ، وروي أنهم قالوا: حبَّة في شَعْرَة. قرأ أبو جعفر: (قَوْلاً غَيْرَ) بإخفاء التنوين عند الغين، وأبو عمرٍو (قِيل لَّهمْ) بإدغام اللام في اللام[2]، وتقدَّم[3] ضمُّ الهاء وصلةُ الميم من (عَلَيْهُم وإِلَيْهُمْ) ونحوِهما.

﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾ أي: عذاباً.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: أرسلَ اللهُ عليهم طاعوناً، فهلك منهم في ساعةٍ واحدةٍ سبعون ألفاً.

= ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«تفسير الرازي» (١/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٠).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦١).

(٣) عند تفسير الآية (٧) من سورة الفاتحة.

﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ ﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

* * *

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُوا۟ وَٱشۡرَبُوا۟ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡا۟ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ طلبَ السُّقيا.

﴿ لِقَوۡمِهِۦ ﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه، فسألوا موسى أن يستسقيَ لهم، ففعلَ، فأوحى الله إليه كما قال:

﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ ﴾ وكانت العصا من آسِ الجنة، طولُها عشرةُ أذرع على طولِ موسى، ولها شُعْبتان تتَقِدان في الظلمة نوراً، واسمها عُلَيْق، حملها آدمُ من الجنة، فتوارثها الأنبياءُ حتى وصلت إلى شُعيب، فأعطاها موسى. وأما الحجرُ، فقال ابنُ عباس: كانَ حجراً خَفيفاً مربَّعاً على قدرِ رأس الرجل، كان يضعُهُ في مِخْلاته، فإذا احتاجوا إلى الماء، وضعَه وضربَه بعصاته، فإذا فرغوا، وأراد موسى حملَهُ، ضربه بعصاته، فيذهبُ الماء، وكان يسقي كلَّ يومٍ ستَّ مئةِ ألفٍ. وقال سعيد بن جبير: هو الحجرُ الذي وضعَ موسى ثوبَهُ عليه ليغتسلَ، ففرَّ بثوبه، ومرَّ به على ملأٍ من بني إسرائيل حينَ رَمَوْهُ بالأُدْرَةِ، فلما وقف، أتاه جبريلُ فقالَ: إن الله تعالى يقولُ لكَ: ارفعْ هَذَا الحجرَ؛ فإنَّ لي فيه قدرةً، ولك فيه معجزةٌ، فرفعَهُ ووضعَهُ في مِخْلاته[1].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٧).

﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ أي: سالت.

﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عدد الأسباط.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ لا يدخلُ سبطٌ على غيرِه في شربه.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا من المنِّ والسلوى، واشربوا من الماء، فهذا كله:

﴿مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ الذي يأتيكم بلا مشقة.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والعُثِيُّ(١): أشدُّ الفساد.

* * *

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ وذلك أنهم كرهوا وسئموا من أكل المنِّ والسَّلوى، وإنما قال: طعام واحد، وهما اثنان؛ لأن العربَ تُعَبِّرُ عن الاثنين بلفظ الواحد، كما تعبِّرُ عن الواحدِ بلفظِ الاثنين؛ كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرجُ من المالح دونَ العذب.

---

(١) في «ت» و«ط»: «العيث»، وجاء على هامش «ظ»: «وصوابه: العثي».

﴿ فَٱدۡعُ لَنَا﴾ فاسأل لأجلنا.

﴿ رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا ﴾ والفوم: الخبز، أو الحنطة، وقيل: الثوم.

﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ﴾ لهم موسى:

﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ﴾ أَخَسُّ وَأَرْدأُ.

﴿ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ أشرفُ وأفضلُ، وجعل الحنطةَ أدنى في القيمةِ، وإن كانَ هو خيراً من المنِّ والسلوى، وأرادَ بهِ أسهلُ وجوداً على العادة.

﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا ﴾ يعني: وإن أبيتُم إلا ذلكَ، فانزلوا مصراً من الأمصار.

﴿ فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ من نبات الأرض.

﴿ وَضُرِبَتۡ﴾ جُعِلَتْ.

﴿ عَلَيۡهِمُ﴾ وأُلزموا.

﴿ ٱلذِّلَّةُ﴾ الذُّلُّ والهوَان بالجِزْية، وهو ضِدُّ العزِّ.

﴿ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ الفقر، سُمِّيَ الفقيرُ مسكيناً؛ لأن الفقرَ أسكنَهُ وأقعدَهُ عن الحركةِ، فترى اليهودَ ـ وإن كانوا أغنياءَ ـ كأنَّهم فقراءُ، فلا يُرى في أهل المالِ أذلُّ وأحرصُ على المالِ من اليهود. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ) و﴿ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] وشبهَه: بضم الهاء والميم في الوصل حيث وقع، ووافقَهم يعقوبُ في (عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ) وشبهه، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ يكسرون الهاء، ويضمون الميمَ، وأبو عمرو

يكسرهما، ووافقه يعقوبُ في ﴿بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] وشبهه[1].

﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا.

﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ولا يقال: باءَ إلا إذا رجعَ بشر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الغضب.

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بصفة محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجم في التوراةِ، ويكفرون بالإنجيلِ والقرآنِ.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كشعيا وزكريا ويحيى. **قرأ** نافعٌ (النَّبِيئِينَ، وَالنَّبِيؤون، ونَبِيئُهُمْ، وَالْأَنْبِئَاء، والنُّبُوءَة، والنَّبِيء) بالمدِّ والهمز حيث وقع، فيكون معناه المخبر من أنبأ ينبىءُ؛ لأنه إنباءٌ عن الله، وخالفَه قالونُ في حرفين في الأحزاب يأتي ذكرُهما في محلِّهما ـ إن شاء الله تعالى ـ. **وقرأ** الباقون: بترك الهمز[2]، وله وجهان: أحدهما: هو أيضاً من الإنباء، تُركتِ الهمزةُ فيه تخفيفاً؛ لكثرةِ الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفع، مأخوذٌ من النَّبْوَةِ، وهو المكانُ المرتفع.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بلا جرم.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون أمري، ويرتكبون مَحارِمي.

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٤ـ٦٥، ١٣٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٩٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٠ـ٨١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٥).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على الحقيقة.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ يعني: اليهود، سموا به[١] لقولهم: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ أي: ملنا إليك، وقيل[٢]: لأنهم هادوا؛ أي: تابوا عن عبادةِ العجل، وقال أبو عمرِو بنُ العلاء: لأنَّهم يتهوَّدون؛ أي: يتحرَّكون عندَ قراءةِ التوراةِ، ويقولون: إنَّ السمواتِ والأرضَ تحرَّكت حينَ آتى الله موسى التوراةَ.

﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ سُمُّوا بهِ؛ لقولهم: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤]، وقيل: لأنَّهم نزلوا قريةً، وقالوا لها: ناصِرَة، وقيل: لاعتزائِهم إلى نَصْرَةَ، وهي قريةٌ كان يَنْزِلها عيسى ـ عليه السلام ـ[٣].

﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ جمع صابىء، أصلُه الخروجُ، يقال: صَبَأَ فلانٌ: إذا خرجَ من دينٍ إلى دينٍ آخَرَ، وهم قومٌ عدلوا عن اليهوديةِ والنصرانيةِ، وعبدوا الملائكةَ، ويستقبلون القبلةَ، ويوحِّدون اللهَ، ويقرؤون الزَّبورَ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (والنَّصَارَى) حيث وقعَ بالإمالة، والباقونَ بالفتح، فمن قرأ بالإمالة رَقَّق الراءَ، ومن قرأ بالفتح، فَخَّمَها[٤]،

---

(١) في «ت»: «بهم».

(٢) «وقيل» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٩).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

وقرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ: (الصَّابِينَ وَالصَّابُونَ) بغير همزٍ، والباقون بالهمز[1].

﴿مَنْ﴾ شرطٌ محلُّه رفع مبتدأ، خبره:

﴿ءَامَنَ﴾ أي: من الكفار.

﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ بالقلب واللسان.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ وجواب الشرط.

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الذي يستوجبونه امتناناً.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. تلخيصُه: من أخلصَ إيمانَه، وأصلحَ عملَه، دخلَ الجنَّةَ.

* * *

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ أي: عهدكم يا معشرَ اليهود.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وهو الجبل بالسريانية، رفع الله فوقَ رؤوسهم الطورَ، وذلك أن الله تعالى أنزلَ التوراةَ على موسى، فأمرَ موسى قومَهُ أن

= (ص: ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٥).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٦).

يَقْبلوها ويَعْملوا بأحكامها، فَأَبَوْا؛ لما فيها من الآصارِ والأثقالِ، وكانتْ شريعةً ثقيلةً، فأمر اللهُ جبريلَ ـ عليه السلام ـ فقلعَ جبلاً على قدرِ عسكرهم، وكان فَرْسَخاً في فرسخ، فرفعه فوقَ رؤوسهم مقدارَ قامةِ الرجل كالظُّلَّة؛ أي: كالسحابة، وقال لهم: إن لم تقبلوا التوراة، أرسلتُ هذا الجبلَ عليكم، وبعثَ ناراً من قِبَل وجوههم، وأتاهم البحرُ المالح من خلفِهم.

﴿ خُذُواْ ﴾ أي: وقلنا لهم: ﴿ خُذُواْ ﴾.

﴿ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم ﴾ أعطيناكم.

﴿ بِقُوَّةٖ ﴾ بجد واجتهاد ومواظبة.

﴿ وَٱذۡكُرُواْ ﴾ واعلموا وادرسوا.

﴿ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ لكي تَنْجو من الهلاك في الدنيا، والعذاب في العقبى، فإن قبلتم، وإلا رَضَخْتُكم بهذا الجبلِ، وَغرَّقْتُكم في البحر، وأحرقْتُكم بهذه النار، فلما رأوا أنْ لا مهربَ لهم منها، قبلوا، وسجدوا، وجعلوا يلاحظون الجبلَ وهم سجود، فصارَتْ سُنَّةً في اليهود، لا يسجدون إلا على أنصاف وُجوههم، ويقولون: بهذا السجودِ رُفع العذاب عنا[1].

* * *

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤ ﴾.

[٦٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم ﴾ أي: أعرضتم.

﴿ مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: من بعد ما قَبِلتم التوراة.

---

(١) «عنا» سقطت من «ن».

﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بالإمهال وتأخير العذاب عنكم.

﴿لَكُنتُم﴾ أي: لصرتم.

﴿مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ أي: المغبونين بالعقوبة، وذهابِ الدنيا والآخرة، كأنه رحمَهُم بالإمهال.

* * *

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ أي: جاوزوا الحدَّ، وأصلُ السَّبتِ: القطع، وسمي بذلك يوم السبت، لأن الله تعالى قطعَ فيه الخلقَ، وقيلَ: لقطعِ أشغالِهم فيه، وتعظيمِه بترك العاداتِ، والإتيانِ بالعبادات.

واختُلف هل للقاضي أن يُحضر اليهوديَّ[1] إلى مجلسِ الحكمِ في يومِ السبتِ لسماعِ دعوى خصمِه، وإلزامِه بما يثبتُ عليه؟ فمذهبُ الشافعيِّ: يُحْضَر يومَ السبت، ويُكسر سبتُه عليه، وهو ظاهرُ عبارة الحنفية في كتبهم؛ لإطلاقهم أن القاضيَ يحكمُ بينَ أهل الذمَّةِ إذا ترافعوا إليه بحكمِ الإسلام.

واختُلف في مذهب مالك في كراهةِ طلبه، فقيل: يُكْره طلبُه وتمكينُ خصمِه من ذلك، وقيل: يجوزُ من غيرِ كراهة، واختار البساطيُّ من علماء المالكيةِ أنه يُمنع المسلمُ من طلبه، إلا أن تقوم القرائنُ أن المسلمَ اضْطُرَّ إلى ذلك، ولم يقصد ضرراً.

---

(١) في «ت»: «اليهود».

وعند أحمدَ: ليس للقاضي إحضارُه يومَ السبت؛ لبقاء تحريمِه عليه، وروى أحمدُ عن النبي ﷺ حديثاً منه. «وَأَنْتُمْ يَهُودُ عَلَيْكُمْ خَاصَّةً أَلاَّ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»(١)، ولهذا لا يُكره امرأته على إفساده، مع تأكُّدِ حقِّه.

والقصَّةُ في السبت أنهم كانوا في زمانِ داودَ ـ عليه السلام ـ بأرضٍ يُقال لها: أيلة، حَرَّمَ اللهُ عليهم صيدَ السمكِ يومَ السبت، فكانوا إذا دخلَ عليهم السبتُ، لم يبقَ حوتٌ في البحرِ إلا اجتمعَ هناك، حتى يُخرجْنَ خراطيمهنَّ من الماء؛ لأمنِها، حتى لا يُرى الماءُ من كثرتها، فإذا مضى السبتُ، تفَرَّقْنَ، ولَزِمْنَ مقلَ البحر، فلا يُرى شيءٌ منها، فذلك قولُه تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾(٢) [الأعراف: ١٦٣]، ثمَّ إنَّ الشيطانَ وسوسَ إليهم، وقال: إنما نُهيتُم عن أخذِها يومَ السبتِ، فعمَدَ رجالٌ فحفروا الحِياضَ حولَ البحرِ، وشَرَّعوا منه إليها الأنهارَ، فإذا كانت عشيةُ الجمعة، فتحوا تلكَ الأنهارَ، فأقبلَ الموجُ بالحيتانِ إلى الحِياض يومَ السبت، فلا يقدرونَ على الخروجِ، لبعدِ عمقِها، وقلَّةِ مائها، فإذا كانَ يومُ الأحد، أخذوها، ففعلوا ذلك زماناً، ولم تنزلْ عليهم عقوبة، فتجرؤوا على الذنب، وقالوا: ما نرى السبتَ إلا قد حلَّ لنا، فأخذوا وأكلوا، ومَلَّحوا وباعوا، وأَثْرَوا، وكَثُرَ مالُهم، فلما فعلوا ذلك، صارَ أهلُ القرية ـ وكانوا نحواً من سبعينَ ألفاً ـ ثلاثةَ أصنافٍ: صنفٌ أمسكَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٩)، والنسائي (٤٠٧٨)، كتاب: تحريم الدم، باب: السحر، والترمذي (٣١٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل، وقال: حسن صحيح، وغيرهم، عن صفوان بن عسَّال ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٢)، عن السدي.

ونهى، وصنفٌ أمسكَ ولم يَنْهَ، وصنفٌ انتهكَ الحرمةَ، فلما أبى المجرمون قَبولَ نُصْحِهم، قالوا: واللهِ لا نُساكِنُكُم في قرية واحدة، فقسموا القريةَ بجدار، واستمروا كذلك سنينَ، فلعنَهُمْ داودُ، وغضبَ الله عليهم؛ لإصرارهم على المعصية، فخرج الناهون ذاتَ يوم من بابهم، ولم يخرجْ من المجرمين أحدٌ، ولم يفتحوا بابَهم، فلما أبطؤوا، تَسَوَّروا عليهمُ الحائطَ، فإذا هم جميعاً قِرَدَةٌ لها أذنابٌ يَتَعاوَوْنَ، فمكثوا ثلاثةَ أيام، ثم هلكوا، ولم يتوالدوا[١]، قال الله تعالى:

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾ أمرُ تحويل وتكوين؛ أي: صيروا.

﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مبعَدين مطرودين، والخساءُ: الطردُ والإبعاد. قرأ الكسائيُّ (قِرَدَةً) بإمالة الدال حيثُ وقفَ على هاء التأنيث.

* * *

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)﴾.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: عقوبتهم بالمسخ.

﴿نَكَالًا﴾ أي: عقوبةً وعبرةً[٢]، والنَّكالُ: اسمٌ لكلِّ عقوبةٍ يَنْكُلُ الناظرُ من فعل ما جُعلت العقوبةُ جزاءً عليه، ومنهُ النُّكولُ عن اليمين، وهو الامتناعُ، وأصلُه من النِّكْل، وهو القيدُ، وجمعه أَنْكال.

﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أي: جعلنا تلك العقوبةَ جزاءً لما تقدَّم من ذنوبهم قبلَ نهيهم عن أخذِ الصيد.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٣٢).

(٢) «وعبرة» سقطت من «ت».

﴿ وَمَا خَلْفَهَا﴾ وما حضرت من الذنوب التي أُخِذوا بها، وهي العصيانُ بأخذ الحيتان.

﴿ وَمَوْعِظَةً﴾ أي: تذكرة.

﴿ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ للمؤمنين من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ، فلا يفعلون مثلَ فعلِهم.

ويأتي ذكرُ أيلة ومحلِّها في سورة الأعراف عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إن شاء الله تعالى.

واختلف الأئمةُ في جوازِ الحيلة، وهو فعلُ ما ظاهرُه مُباحٌ ويُتوصَّلُ به إلى محرَّمٍ، فَسَدَّ الذرائعَ مالكٌ وأحمدُ، ومنعا منه، وأباحه أبو حنيفةَ والشافعيُّ.

والحيلةُ: اسمٌ من الاحتيال، وهي التي تحوِّلُ المرءَ عمَّا يكره إلى ما يُحِبُّ.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (يَامُرُكُمْ) بغير همز، والباقون بالهمز، واختُلِف عن أبي عمرٍو في اختلاس ضمَّةِ الراءِ وإسكانِها من (يَأْمُرُكُمْ، ويَأْمُرُهُمْ، ويَنْصُرُكُمْ، ويُشْعِرُكُمْ) حيثُ وقع ذلك، فقرأ الدوريُّ عنه بالاختلاس، وقرأ السوسيُّ بالإسكان، وقرأ الباقون بإشباع

الحركة[1]، والهاء في (بقرة) ليست للتأنيث، وإنما هي لتدلَّ على أنها واحدةٌ من جنسٍ؛ كالبطة، والدجاجة، ونحوهما، وهي مأخوذة من البَقْرِ، وهو الشَّقُّ، سميت به؛ لأنها تشقُّ الأرض للحراثة.

والقصة فيه أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ غني، وله ابنُ عمٍّ فقيرٌ لا وارثَ له سواه، فلما طال عليه موتُه قتلَه ليرثَه، وحملَه إلى قريةٍ أخرى، فألقاه بِفِنائهم، ثم أصبحَ يطلبُ ثأرَهُ، وجاء بناسٍ إلى موسى يدَّعي عليهِمُ القتلَ، فسألهم موسى، فجحدوا، فاشتبهَ أمرُ القتيل على موسى، وذلك قبلَ نزول القَسامَةِ في التوراة، فسألوا موسى أن يدعو الله؛ ليبيِّنَ لهم بدعائه، فدعا موسى ـ عليه السلام ـ فأمرهم بذبح بقرة، فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ أي: تستهزىء بنا، نحن نسألك عن أمر القتيل، وتأمرُنا بذبح البقرة، وإنما قالوا ذلك؛ لبعدِ ما بينَ الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمةُ فيه. قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (هُزْؤاً) بجزم الزاي، وقرأ الباقون بضم الزاي، وحفصٌ بإبدال الهمزة واواً[2].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٨)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٢٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيَّان (١/ ٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٧ـ٦٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٧ـ١٥٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨١ـ٨٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، =

﴿قَالَ﴾ موسى:

﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ أمتنع بالله.

﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ المستهزئين؛ لأن الهزء من أفعال الجاهلين، فلما علمَ القومُ أن ذبحَ البقرة عزمٌ من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ استوصفوه، ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها، لأجزأَتْ عنهم، ولكنهم شدَّدوا، فشدَّد اللهُ عليهم، وكانت تحته حكمةٌ، وذلك أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ صالحٌ له ابنٌ طفلٌ، وله عِجْلَةٌ أتى بها إلى غَيْضَة، وقال: اللهمَّ أَستودعُكَ هذه العجْلَة لابني حتى يكبرَ، وماتَ الرجلُ، وصارت العجلةُ في الغيضة عَواناً، وكانت تهربُ من كلِّ من رآها، فلما كبر الابنُ كان باراً بوالدته، وكان يقسِّمُ الليلَ ثلاثةَ أثلاثٍ، يصلِّي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عندَ رأسِ أمه ثلثاً، فإذا أصبحَ انطلقَ فاحتطبَ على ظهره، فيأتي به إلى السوق، فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه، ويأكل بثلثه، ويعطي لوالدته ثلثه، فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورَّثَكَ عجلةً استودَعَها الله في غَيْضَةِ كذا، فانطلقْ فادعُ إلهَ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ أن يردَّها عليكَ، وعلامتُها أنك إذا نظرتَ إليها، يخيَّلُ إليكَ أنَّ شعاعَ الشمسِ يخرجُ من جلدها، وكانت البقرةُ تسمَّى المذهبةَ؛ لحسنِها وصفرتها، فأتى الفتى الغيضةَ، فرآها ترعى، فصاح بها، وقال: أعزمُ عليكِ بإلهِ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ، فأقبلَتْ تسعى حتى وقفَتْ بينَ يديه، فقبضَ على عنقها يقودُها، فتكلمت البقرةُ بإذنِ اللهِ تعالى، فقالتْ: أيها الفتى البارُّ بوالدتِه! اركبني؛ فإن ذلكَ أهونُ عليكَ، فقال

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٨).

الفتى: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالتْ: خُذْ بعنقها، فقالت البقرةُ: وإِله بني إسرائيلَ لو ركبتَني ما كنتَ تقدرُ عليَّ أبداً، فانطلقْ؛ فإنَّكَ لو أمرتَ الجبلَ أن ينقلعَ من أصلِه وينطلقَ معك، لفعلَ؛ ببرك بأمك، فسار الفتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير، ولا مالَ لك، ويشقُّ عليكَ الاحتطابُ بالنهارِ والقيامُ بالليل، فانطلقْ فبعْ هذه البقرةَ، قال[1]: بكمْ أبيعُها؟ قالتْ بثلاثةِ دنانيرَ، ولا تبعْ بغيرِ مَشُورتي، وكان ثمنُ البقرةِ ثلاثةَ دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله مَلَكاً ليُرِيَ خلقَهُ قدرتَهُ، وليختبرَ الفتى كيفَ بِرُّهُ بوالدته، وكان الله به خبيراً، فقال له الملَكُ: بكمْ تبيعُ هذهِ البقرةَ؟ قال: بثلاثةِ دنانيرَ، وأشترطُ عليكَ رضا والدتي، فقال الملَكُ له: ستةُ دنانيرَ ولا تستأمرْ والدتَكَ، فقال الفتى: لو أعطيتَني وزنَها ذهباً، لم آخذْه إلا برضا أُمّي، فردَّها إلى أمه، فأخبرها بالثمن، فقالت: ارجعْ فبعْها بستةِ دنانيرَ على رضاً مني، فانطلقَ بها الفتى إلى السوق، فأتى الملَكُ فقال: استأمَرْتَ أُمَّك؟ فقال الفتى: إنها أمرتني ألاَّ أنقُصَها من ستةِ دنانيرَ، على أن أستأمرَها، فقال الملكُ: فإني[2] أُعطيك اثني عشرَ ديناراً على ألاَّ تستأمرَها، فأبى الفتى، ورجعَ إلى أمه، فأخبرها بذلك، فقالت: إنَّ الذي يأتيك ملَكٌ يأتيكَ في صورةِ آدمي ليجرِّبَكَ، فإذا أتاك، فقل له: أتأمرُنا أن نبيعَ هذهِ البقرة أم لا؟ ففعل، فقال له الملكُ: اذهبْ إلى أمك، وقل لها: أمسكي هذه البقرة؛ فإن موسى بنَ عمران يشتريها منكُم لقتيلٍ يُقتل في بني إسرائيلَ، فلا تبيعوها إلا بملء مَسْكِها دنانيرَ، فأمسكوها، وقدَّر الله على

---

(١) في «ت»: «فقال».

(٢) في «ت»: «إني».

بني إسرائيل ذبحَ تلكَ البقرة بعينِها، فما زالوا يستوصفون حتى وصفَ لهم تلكَ البقرةَ مكافأةً له على بِرِّهِ بوالدته، فضلاً منه ورحمةً[1]، فذلك قوله تعالى:

* * *

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ ﴾ أي: ما شيتُها؟ فسأل اللهَ تعالى.

﴿ قَالَ ﴾ موسى.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ يعني: إن الله.

﴿ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ أي: لا كبيرة ولا صغيرة، والفارضُ: المُسِنَّةُ التي لا تلدُ، والبكرُ: الفتاةُ الصغيرةُ التي لم تلدْ قَطُّ، وحُذفت الهاءُ منهما للاختصاصِ بالإناث؛ كالحائض.

﴿ عَوَانٌۢ ﴾ نَصَفٌ.

﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بين الشيئين، يقال: عَوَّنَتِ المرأة تَعْويناً: إذا زادتْ على الثلاثين.

﴿ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ من ذبح البقرة، ولا تكرروا السؤال. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (تومَرُونَ) بسكون الواو بغير همز، والباقون بالهمزة[2].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨٢ ـ ٨٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٦٩).

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ أي: خالصُ الصُّفرة، يقال: أصفرُ فاقعٌ، وأسودُ حالِكٌ، وأحمرُ قانٍ، وأخضرُ ناضِرٌ، وأبيضُ ناصعٌ؛ للمبالغة.

﴿ تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ إليها، ويُعجبهم حسنُها وصفاءُ لونها.

* * *

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ أسائمةٌ أم عاملة؟

﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ ولم يقل: تشابهتْ؛ لتذكير لفظِ البقر؛ أي: التبسَ واشتبهَ أمرُه علينا، فلا نهتدي إليه.

﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ إلى وصفها، قال رسول الله ﷺ: «وَايْمُ اللهِ! لَوْ لَمْ يَسْتَثْنُوا، لَمَا بُيِّنَتْ لَهُمْ إِلَى آخِرِ الأَبَدِ»[١]. قرأ حمزةُ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ: (إِنْ شَاءَ اللهُ) بالإمالةِ[٢].

* * *

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٧)، عن ابن جريج معضلاً.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ مذلَّلَةٌ بالعمل، يقال: رجلٌ ذليل بَيِّنُ الذُّلِّ، ودابَّةٌ ذَلولٌ: بينةُ الذلِّ.

﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة.

﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ بالسَّانِيَةِ أو غيرِها من الآلات، والحَرْثُ: ما حُرِثَ وزُرِعَ؛ أي: تحرثُ ولا تَسْقي، وقيل: معناه: لم تُذَلَّلْ للكرابِ وإثارةِ الأرضِ، ولا هي من النواضحِ التي يُسْنَى عليها لسقي الحرثِ، و(لا) الأولى للنفي، والثانية مزيدةٌ لتأكيد الأولى، والفعلانِ صفتان لذلول، كأنه قيل: لا ذلولٌ مثيرةٌ وساقيةٌ.

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ بَرِيَّةٌ من العيوب.

﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا لمعةَ فيها تخالفُ لونَها. قرأ حمزةُ: (لا شِيَةَ) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغُ الإشباع[١]، والكسائيُّ يُميل الياءَ حيثُ وقفَ على هاء التانيث.

﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالبيان التام الشافي الذي لا إشكالَ فيه، فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها إلا مع الفتى، وكان اسمه ميشا، فاشتروها بملء مَسْكِها ذهباً. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (جِيتَ) بياء ساكنة بغير همز، والباقون بالهمز[٢].

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ من غلاء ثمنها، واضطرابِهم فيها، و(كادَ) من أفعالِ المقاربة.

---

(١) انظر: تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٢)، وقد ذكراها من قراءة السوسي.

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ هذا أولُ القصة، وإن كانت مؤخرةً في التلاوة، واسمُ القتيل عاميل.

﴿ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾ أصلُه تدارأتم، فأُدغمت التاء في الدال، وأُدخلت الألف، مثل قوله: ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ [التوبة: ٣٨]. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ بغير همزٍ، والباقون بالهمز، ومعناه: اختلفتم فيها(١).

﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ ﴾ أي: مظهر.

﴿ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ فإن القاتلَ كان يكتم القتل.

* * *

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ ﴾ يعني: القتيلَ.

﴿ بِبَعْضِهَا ﴾ أي: ببعضِ البقرة، وذلكَ البعضُ هو العظمُ الذي يلي الغضروفَ، وهو المقتل في قول ابن عباس، وأكثرِ المفسرين، وقيل: بذنبها، ففعلوا ذلك، فقام القتيلُ حياً بإذن الله تعالى، وأوداجُهُ تَشْخَبُ دماً، وقال: قتلني فلان، ثم سقط ومات مكانَه، فَحُرم قاتلُه الميراث وقتله موسى قصاصاً(٢)، ثم أمرهم موسى بسلخ البقرةِ، فلما سلَخوها، ملؤوا

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٢).

(٢) «وقتله موسىٰ قصاصاً» سقط من «ظ».

جلدَها ذهباً، وأعطاهُ موسى لميشا، وفي الخبر «ما وَرِثَ قاتلٌ بَعْدَ صَاحِبِ الْبَقَرَةِ»[1]، وفيه إضمارٌ تقديره: فَضُرِبَ، فَحَيِيَ.

﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما أحيا عاميل.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ المراد منكم، فتمنعون نفوسَكم عن هواها.

أما حكمُ هذه المسألة في الإسلام إذا وُجد قتيلٌ في موضعٍ لا يُعرف قاتلُه، فإن كانَ ثمَّ لَوْثٌ على إنسان، وهو العداوةُ الظاهرةُ كما بينَ القبائل، أو ما يغلبُ على القلبِ صدقُ المدَّعي؛ بأن اجتمعَ جماعةٌ في بيتٍ أو صحراءَ فتفرقوا عن قتيل يغلبُ على القلب أن القاتلَ فيهم، أو وُجد قتيلٌ في محلَّةٍ أو قريةٍ كلُّهم أعداءُ القتيل، لا يخالطُهم غيرُهم، فيغلبُ على القلب أنهم قتلوه، فادَّعى الوليُّ على بعضِهم، فعندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ: يحلفُ المدَّعي خمسين يميناً، وإن كانَ الأولياءُ جماعةً، فتقسَمُ الأيمان بينَهم بالحساب، ثم بعد حلفِهم يأخذونَ الديةَ من عاقلةِ المدَّعَى عليه إنِ ادَّعوا قتلَ خطأ، وإن ادَّعَوا قتلَ عمد، فمن مالِ المدَّعى عليه، ولا قودَ على الجديدِ من قولي الشافعي.

وقال مالكٌ وأحمدُ بوجوبِ القَوَد.

ومن اللوثِ عندَ مالكٍ قولُ المجروحِ الحرِّ البالغِ المسلمِ: دمي عندَ

---

(١) روى عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٧٩٤)، عن عبيدة قال: أول ما قضي أن لا يرث القاتل في صاحب بني إسرائيل. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩١٥)، عن ابن سيرين قال: أول ما منع القاتل الميراث؛ لمكان صاحب البقرة.

فلانٍ عمداً، واستدلَّ بهذه النازلة في قصة البقرة على تجويز قولِ القتيلِ، وأن تقع مع القَسامة، وإن لم يكنْ على المدَّعى عليه لوثٌ، فالقولُ قولُه مع يمينهِ، ويُحلَّف يميناً واحدة عند مالك، ولم يُحلَّفْ عندَ أحمدَ على المذهبِ المشهور عنه، وعنه رواية ثانية: يحلفُ يميناً واحدةً، وهو أظهرُ، واختاره جماعةٌ من أصحابه، والأظهرُ من مذهبِ الشافعيِّ تغليظُ اليمينِ بالعَدَد؛ لأنه يمينُ دمٍ، فيحلف خمسينَ يميناً، وعندَ أبي حنيفةَ لا حكْمَ للَّوْثِ، ولا يبدأُ بيمين المدعي، بل إذا وُجد قتيلٌ في محلة، يختارُ الوليُّ خمسين رجلاً من صُلَحائهم، فيحلِّفهم أنهم ما قتلوه، ولا عرفوا له قاتلاً، ثم يأخذ الديةَ من سكانها، وإن ادَّعى على غيرهم، ولا بينةَ، لزم المدَّعى عليه يميناً واحدة كسائر الدعاوى، وتسقطُ القسامَةُ عن أهل المحلة.

***

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ يبست وجفَّت، وجفافُ القلب: خروجُ الرحمةِ واللينِ عنه.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ من بعد ظهور الدلالات، وما تقدَّمَ من أمر القتيل، وهي عبارةٌ عن خُلُوِّها من الإنابة والإذعان لآياتِ الله تعالى.

﴿ فَهِىَ ﴾ في الغلظة والشدة.

﴿ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ ﴾ بل.

﴿ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ وإنما لم يشبهها بالحديد، مع أنه أصلب من الحجارة؛

لأن الحديد قابل للّين؛ فإنه يلينُ بالنار، وقد لان لداودَ ـ عليه السلام ـ، والحجارةُ لا تلينَ قطُّ، ثم فَضَّلَ الحجارةَ على القلب القاسي فقالَ:

﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ قيل: أراد به جميعَ الحجارةِ وقيل: أرادَ به الحجرَ الذي كان يضربُ عليه موسى للأسباط.

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ﴾ أراد به عيوناً دون الأنهار.

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ ﴾ ينزل من أعلى الجبل إلى أسفله.

﴿ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ وقلوبُكم لا تَلينُ ولا تخشعُ يا معشر اليهود، فإن قيل: الحجرُ جمادٌ لا يفهم، فكيف يخشى؟ قيل: اللهُ يُفهمها ويُلهمها فتخشى بإلهامه، ومذهبُ أهلِ السنةِ أن لله علماً في الجمادات وسائرِ الحيوانات سوى العقلاء، لا يقف عليه غيرُه، فلها صلاةٌ وتسبيحٌ وخشيةٌ، قال الله: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النور: ٤١]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ الآية [الحج: ١٨]، فيجبُ على المرء الإيمانُ به، ويَكِلُ العلمَ إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ. قرأ ابنُ كثيرٍ: (يَعْلَمُونَ) بالغيب.

والباقون بالخطاب مناسباً بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾(١).

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ أفترجون؟ يريد: محمداً ﷺ وأصحابه، وأصلُ الطمعِ: نزوعُ النفسِ إلى شيءٍ ما شهوةً.

﴿ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ ﴾ يصدقكم اليهودُ بما تخبرونهم به. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (يُومِنُوا) بغير همز، والباقون بالهمز(١).

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي: طائفة من اليهود.

﴿ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ يغيِّرون ما فيها من الأحكام.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ علموه؛ كما غيروا صفةَ محمدٍ ﷺ وآيةَ الرَّجم.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون، ثم أخبرَ عن صنعهم فقال:

* * *

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يعني: منافقي اليهود الذين آمنوا بألسنتهم، إذا لَقُوا المؤمنين المخلِصين.

= ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٥).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨).

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ كإيمانكم.

﴿ وَإِذَا خَلَا ﴾ رجع.

﴿ بَعْضُهُمْ ﴾ الذين لم ينافقوا.

﴿ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الذين نافقوا، وهم رؤوساء اليهود، لاموهُم على ذلك.

و﴿ قَالُوٓاْ ﴾ منكرين عليهم:

﴿ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ بما قضى الله عليكم في كتابكم، وأعطاكم من العلم أن محمداً حقٌّ، وقولَه صدقٌ؟!، ويقال للقاضي: الفتَّاح، وأصلُ الفتح: إزالةُ الإغلاق.

﴿ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ ﴾ ليخاصموكم، يعني: أصحابَ محمد ﷺ، ويحتجوا بقولكم عليكم، فيقولون: قد أقررتُم بأنه نبيٌّ حقٌّ في كتابكم، ثم لا تتبعونه، وذلك أنهم قالوا لأهل المدينة حينَ شاوروهم في اتباع محمد ﷺ: آمنوا به؛ فإنه حق، ثم قال بعضُهم لبعض: أتحدثونهم بما فتحَ الله عليكُم ليحاجُّوكم به لتكونَ لهم الحجةُ عليكم[1].

﴿ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنهم إذا علموا ذلك احتجوا به عليكم؟! ثم استفهَمَ فقال:

* * *

﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

---

(١) في «ت»: «لهم الحجة عليهم»، وفي «ن»: «لهم حجة عليكم».

[٧٧] ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ يخفون.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يبدون، يعني: اليهود. قرأ أبو عمرٍو: (يعلم ما) بإدغام الميم في الميم[١].

***

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ أي: من اليهود لا يحسنون القراءة ولا الكتابة، جمع أمّي، منسوبٌ إلى الأم، كأنه باقٍ على ما انفصلَ من الأم، لم يتعلم قراءة ولا كتابة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ وهي جمعُ الأُمْنِيَّة، وهي التلاوةُ حفظاً من غير معرفةِ معناه. قرأ أبو جعفرٍ: (أَمَانِي) بتخفيف الياء كلَّ القرآن، حذفَ إحدى الياءين استخفافاً، والباقون بالتشديد[٢]، والمراد بها الأشياءُ التي كتبها علماؤهم من عندِ أنفسهم، ثم أضافوها إلى الله ـ عز وجل ـ من تغيير نعت النبي ﷺ وغيرِه.

﴿وَإِنْ هُمْ﴾ أي: وما هم.

﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظناً وتوهماً لا يقيناً.

---

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٦٤)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٦).

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ هي كلمة يقولها كلُّ واقع في هَلَكَةٍ بمعنى الدعاء على النفس بالعذاب.

﴿ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: المحرَّف.

﴿ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴾ وذلك أن أحبار اليهود خافوا ذهابَ مَأْكُلَتِهم، وزوالَ رياستِهم حينَ قدمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، فاحتالوا في تعويقِ اليهود عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفته في التوراة، وكان صفتُه فيها: حسن الوجه، حسن الشعر، أكحلَ العينين، رَبَعَةً فغيروها، وكتبوا مكانها: طوالَ أزرقَ سَبْطَ الشَّعرِ، فإذا سألهم سفْلَتُهُم عن صفتِه، قرؤوا ما كتبوا، فيجدونه مخالفاً لصفته، فيكذبونه[١]، قال الله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني: كتبوا بأنفسهم اختراعاً من تغيير نعته ﷺ.

﴿ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ من المآكل. قرأ أبو عمرٍو، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (الْكِتَاب بِّأَيْدِيهِمْ) بإدغام الباء الأولى في الثانية[٢].

---

(١) انظر: «تفسيرأبي السعود» (١/ ١٢٠).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٦).

﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ يعني: اليهود:

﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ لن تصيبنا النار.

﴿ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ قدراً مقدَّراً، ثم يزولُ عنا العذابُ، يعنون: أربعين يوماً التي عبد آباؤهم فيها العجلَ، وقيلَ غيرُ ذلك، فقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ تكذيباً لهم:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد:

﴿ أَتَّخَذْتُمْ ﴾ ألفُ استفهامٍ دخلت على ألفِ الوصل، أصلُه اِتخذتم، وزنُه افتعلتُم من الأخذ، سُهِّلَتِ الهمزةُ الثانية؛ لامتناع جمع همزتين، فاضطربت الياء في التصريف، جاءت ألفاً في ياء تخذ، فبُدلت بحرف التاء، وأدغمت، فلما دخلت ألف التقرير، استُغْني عن ألف الوصل.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ أي: موثقاً ألاَّ يعذِّبكم إلا هذه المدَّةَ.

﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ أي: وعده.

﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تلخيصُه: إن كان لكم عندَهُ عهدٌ فلا يُنْقَضُ، ولكنكم تتخرَّصون، ولما قالوا: لن تمسَّنا النارُ، ردَّ ذلكَ عليهم، فقال:

* * *

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿بَلَىٰ﴾ وبلى وبل حرفا استدراك، ومعناهما نفيُ الخبر الماضي، وإثباتُ الخبر المستقبَل. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (بَلَى) بالإمالة(١).

﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ يعني: الشركَ.

﴿وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ أي: استولت عليه، والإحاطةُ: الإحداقُ بالشيء من جميع نواحيه، وهي الشركُ يموتُ عليه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ (خَطِيئاتُهُ) على الجمع، والباقون على الإفراد(٢)، وعن أبي جعفرٍ وجهٌ ثانٍ: (خَطِيَّاتُهُ) بتشديد الياء بغير همز(٣).

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةَ، والكسائي: (النَّارِ) بالإمالة حيث وقَع مجروراً(٤). ثم بشر المؤمنين بالجنة فقال:

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).

(٣) وذكرها الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، عن حمزة، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمون.

* * *

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ في التوراةِ، إخبارٌ في معنى النهي، والميثاقُ: العهدُ الشديدُ.

﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ: (لا يَعْبُدُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب[1]؛ لقوله: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ معناه: ألا تعبدوا، فلما حذف (أن)، صار الفعلُ مرفوعاً.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ أي: ووصيناهم بالوالدين.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٩-٢٥٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٨).

﴿ إِحْسَـٰنًا ﴾ بِرّاً بهما، وعطفاً عليهما، ونزولاً عندَ أمرِهما فيما لا يُخالفُ أمرَ الله تعالى.

﴿ وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: وبذي القربى، والقربى مصدرٌ كالحسنى. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (القُرْبَى) بالإمالة.

﴿ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ جمع يتيم، وهو الطفل الذي لا أبَ له، وأصلُ اليتمِ: الانفرادُ. قرأ الدوريُّ عن الكسائي: (وَالْيَتَامَى) بالإمالة[1].

﴿ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾ يعني: الفقراء.

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ صِدْقاً وحَقّاً في شأنِ محمدٍ ﷺ، فمن سألكم عنه، فاصدُقوه، وبيِّنوا له صفتَهُ، ولا تكتُموا أمرَه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (حَسَناً) بفتح الحاء والسين[2]؛ أي: قولاً حسناً.

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ وذلك أن قوماً منهم آمنوا.

﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ كإعراضِ آبائِكم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٠) و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٠).

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤﴾.

[٨٤] ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ على نحو ما سبقَ من الإخبار في معنى النهي.

﴿لَا تَسۡفِكُونَ﴾ لا تريقون.

﴿دِمَآءَكُمۡ﴾ أي: لا يسفكْ بعضُكم دمَ بعض.

﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ أي: لا يخرج بعضُكم بعضاً من داره.

﴿ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ﴾ بهذا العهد أنه حقٌّ، وقبلتم.

﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ اليوم على ذلك يا معشرَ اليهود، وتعترفون بالقبول.

* * *

﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾.

[٨٥] ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: يا هؤلاءِ اليهود! وهؤلاءِ للتنبيه.

﴿تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: بعضُكم بعضاً.

﴿وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ﴾ قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ (دِيَارِهِمْ)

بالإمالة، واختلف عن ابنِ ذكوان، ورُوي عن ورشٍ الإمالةُ بينَ بينَ، وكذلك رُوي عن حمزةَ، وقرأ الباقون بالفتح[١].

﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ بتشديد الظاء؛ أي: تتظاهرون، أدغمتِ التاءُ في الظاء. وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَظَاهَرُونَ) بتخفيف الظاء[٢]، ومعناهما: تتعاونون، والظهيرُ: العون.

﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ بالمعصية والظلم.

﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (يَاتُوكُمْ) بغير همز، والباقونَ بالهمز[٣]، وقرأ حمزةُ: (أَسْرَى) بفتح الألف الأولى وسكون السين وإسقاط الألف بعدَها، وهما جمع أَسير، ومعناهما واحد.

﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ بالمال، وتنقذوهم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٌ، وعاصمٌ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (تُفَادُوهُمْ) بضم التاء وألفٍ بعد الفاء[٤]؛ أي:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨١) وقد ذكرها عن أبي عمرو وورش.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٦٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٢٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٠ـ٢٥١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨١).

(٣) ذكر الصفاقسي في «الغيث» (ص: ١٢٢) قراءة ورش وهي (ياتوكمو)، بإبدال الهمزة، وضم الميم مع مدها، وانظر: «معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥١ـ٢٥٢)، =

تبادلونهم[1]، أرادَ: مفاداةَ الأسيرِ بالأسيرِ، وأصلُ الفِداءِ: حفظُ الشيءِ بما تبذلُه[2] عنهُ صيانةً له، ومعنى الآية: إن الله تعالى أخذَ على بني إسرائيل في التوراة ألاَّ يقتلَ بعضُهم بعضاً، ولا يخرجَ بعضُهم بعضاً من ديارِهم، وأيُّما عبدٍ أو أمةٍ وجدتموهُ من بني إسرائيلَ، فاشتروهُ بما قامَ من ثمنه، وأَعتقوهُ، وكانتْ قريظةُ حلفاءَ الأوسِ، والنضيرُ حلفاءَ الخزرجِ، وكانوا يقتتلون في حرب سُمَير[3]، فإذا اقتتلا، عاونَ كلُّ فريق حلفاءه في القتلِ وتخريبِ الديار وإجلاءِ أهلها، وإذا أُسر رجلٌ من الفريقين، جمعوا له حتى يَفْدوه، وإن كانَ الأسيرُ من عدوِّهم، فتعيِّرُهُم العربُ، وتقول: كيفَ تُقاتلونهم وتَفْدونهم؟ قالوا: إنا أُمرنا أن نَفْديَهم، فيقولون: لمَ تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحيي أنْ يُسْتَذَلَّ حلفاؤنا، فعيَّرَهم الله تعالى، فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾[4].

وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، ونظمُها: وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم تَظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وهو محرَّم عليكم إخراجهم، وإن يأتوكم أُسارى تَفْدوهم، فكأنَّ الله أخذَ عليهم أربعةَ عهودٍ: تركَ القتلِ،

= و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢ـ٨٣).

(١) في «ت» و«ظ»: «تباذلونهم».

(٢) في «ن»: «يبدله».

(٣) في «ن»: «سَمير».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٩٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٦٣).

وتركَ الإخراج، وتركَ المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداءَ أُسرائهم، فأعرضوا عن الكُلِّ إلا الفداءَ، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: بالفداء؛ لأنه من جملة ما أُخذ في الميثاق.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ بالقتل والإخراج. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (أَفَتُومِنُونَ) بغير همز، والباقون بالهمز، قال مجاهد: يقول: إن وجدْتَه في يدِ غيرِكَ، فديتَهُ، وأنت تقتلُه بيدِكَ.

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ يا معشر اليهود.

﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾ عذاب وهوان.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وكان خزيُ قريظة القتلَ والسبيَ، وخزيُ بني النضير الجلاءَ والنفيَ عن منازلهم إلى أَذرعات وأَريحا من الشام.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو عذاب النار.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ: (يَعْمَلُونَ) بالغيب، والباقون بالخطاب(١).

ثم أخبرهم متهدداً أن عذابَي الدنيا والآخرة لا يُفَتَّرُ عنهم ولا مانع لهم منه بقوله:

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٢ـ٢٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٤).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ﴾ استبدلوا.

﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ﴾ أي: يُهَوَّنُ عليهم.

﴿ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: يُمنعون من عذاب الله عزَّ وجلَّ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾ أعطينا.

﴿ مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة جملة واحدة.

﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ أتبعنا.

﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ ﴾ رسولاً بعدَ رسول.

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ عيسى: اسمٌ عبرانيٌّ أو[1] سريانيٌّ، والبيناتُ: الدَّلالاتُ الواضِحاتُ، وهي ما ذكر الله تعالى في سورة آل عمران والمائدة. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (عِيسَى) بالإمالة حيثُ وقع[2].

---

(١) في «ت»: «و».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٤).

﴿وَأَيَّدْنَهُ﴾ قوَّيناه.

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (القُدْسِ) بسكون الدال، والباقونَ بضمِّها، وهما لغتان مثل: الرُّعْب، والرُّعُب[1]، وروحُ القدسِ: هو جبريلُ ـ عليه السلام ـ والقدُس: الطهارةُ: وُصِفَ جبريلُ بها لأنه لم يقترفْ ذنباً، وقيلَ غيرُ ذلك، فلما سمعت اليهودُ ذكرَ عيسى، قالوا: يا محمدُ! لا مثلَ عيسى ـ كما تزعُم ـ فعلْتَ، ولا كما تقُصُّ علينا من الأنبياء فَعَلْتَ، فائتِنا بما أتى[2] به عيسى إنْ كنتَ صادقاً، قال الله تعالى:

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ﴾ يا معشر اليهود.

﴿رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تحبُّ.

﴿أَنفُسُكُمُ﴾ والهوى: هو ميلانُ القلب إلى ما يستلذُّ به.

﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم، وتعظمتم عن الإيمان.

﴿فَفَرِيقًا﴾ طائفةً.

﴿كَذَّبْتُمْ﴾ مثل عيسى ومحمد.

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ أي: قتلتم، مثل زكريا ويحيى وشعيا وسائرِ مَنْ قَتَلوا من الأنبياءِ ـ عليهم السلام ـ، ولم يقل: قتلتم، وإن أريدَ الماضي؛

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٩٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٥).

(٢) في «ن»: «أوتي».

تعظيماً لهذه الحالة، فكأنها ـ وإن مضت ـ حاضرةٌ؛ لشناعتِها، ولثبوتِ عارِها عليهم وعلى ذريتهم بعدَهم.

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ جمع أغلاف؛ أي: هي في أكِنَّةٍ، معناه: عليها غِشاوةٌ، فلا تَعي، ولا تَفْقَهُ ما تقول، قال الله تعالى:

﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أبعدَهم من كلِّ خير.

﴿ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: لا يؤمنُ منهم إلا قليل؛ لأن من آمنَ من المشركين أكثرُ ممن آمنَ من اليهود، ونصب (قليلاً) على الحال.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ موافق.

﴿ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ وَكَانُوا۟ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ مبعث محمد ﷺ.

﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ يستنصرون.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا حَزَبهم أمرٌ، أو دَهَمهم عدوٌّ: اللهمَّ انصُرْنا عليهم بالنبيِّ المبعوثِ في آخرِ الزمان الذي نجدُ صفتَهُ في التوراةِ، فكانوا يُنْصَرون، وكانوا يقولون لأعدائِهم من المشركين: قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ يخرجُ بتصديقِ ما قلنا، فنقتلُكم معَهُ قتلَ عادٍ وإِرَم(١).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ يعني: محمداً ﷺ من غيرِ بني إسرائيل، وعرفوا نعتَهُ وصِدْقَه.

﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ بغياً وحسداً.

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، ورُوَيسٌ: (الْكَافِرِينَ) بالإمالة حيثُ وقعَ بالياء(٢)، مجروراً كان أو منصوباً، واختُلف عن ابنِ ذكوان في الإمالة والفتحِ، وأماله ورشٌ بينَ بينَ، وفتحَه الباقون، وجوابُ لما ولما الثانية في قوله: (كفروا)، وأعيدت لما الثانية؛ لطولِ الكلام، ويفيدُ ذلك تقريراً للذَّنب وتأكيداً له.

* * *

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (بِيسَ)

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٤)، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢١٥ـ٢١٦).

(٢) «بالياء» سقطت من «ن».

بغير همز[1]، وبِئْسَ ونِعْـمَ فعـلانِ مـاضيـان وُضِعـا للمـدح والـذَّمِّ، ولا يتصرَّفان تصرُّفَ الأفعال، معناه: بئسَ الذي اختاروا لأنفسِهم حينَ استبدلوا[2] الباطلَ بالحق.

﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: القرآن.

﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً، وأصلُ البغي: الفسادُ، والبغيُ الظلمُ، وأصلُه الطلبُ؛ فالباغي طالبٌ[3] للظلمِ، والحاسدُ يظلمُ المحسودَ جهدَهُ طلباً لإزالةِ نعمةِ الله عنه.

﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ النبوة والكتاب. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (يُنْزِلَ) بالتخفيف مع إسكان النون[4]، والباقون بفتح النون والتشديد[5].

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿فَبَآءُو﴾ رجعوا.

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) في «ت»: «استبدوا».

(٣) في «ن»: «الطالب».

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٦).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٦).

﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي: مع غضب، الغضبُ الأولُ بتضييعِهم التوراةَ وتبديلِهم، والثاني بكفرِهم بمحمدٍ ﷺ.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ الجاحدين بنبوة محمد ﷺ من الناس كلِّهم.

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مُخْزٍ يُهانون فيه.

* * *

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: القرآن. قرأ أبو عمرٍو: (قِيل لَّهُمْ) بإدغام اللام في اللام[١].

﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ يعني: التوراةَ، يكفينا ذلك.

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: بما سواهُ من الكتب.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿مُصَدِّقًا﴾ نصب على الحال.

﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد.

﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قتَلَ آباؤكُم، ولمّا رضيتُم بفعلهم، فكأنكم قد قتلتم.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٧).

﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ﴾ ولِمَ أصلُه (لما)، فحذفت الألف فرقاً بين الخبر والاستفهام؛ كقولهم: فيمَ، وبمَ. وقفَ البزيُّ ويعقوبُ، بخلافٍ عنهما: (فَلِمَهْ) بالهاء، وكذلك (لِمَهْ، وفِيمَهْ، وبِمَهْ، وعَمَّهْ، ومِمَّهْ) حيثُ وقع.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بالتوراة، وقد نُهيتم فيها عن قتل الأنبياء عليهم السلام.

* * *

﴿۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ﴿۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالدلالات الواضحة، والمعجزات. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وابنُ ذَكوانَ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ) بإظهارِ الدال عند الجيم، وكذلك عند السين والشين والصاد حيث وقع، والباقون بالإدغام(١).

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ بما صدرَ منكم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ (اتخذتم) بإظهار الذال عندَ التاء، واختُلف عن رُويسٍ، والباقون بالإدغام(٢).

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (ص: ١/ ١٧٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٧).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وقلنا:

﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ في التوراة.

﴿بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ﴾ أي: استجيبوا وأطيعوا، سميت الطاعةُ والإجابةُ سمعاً على المجاوزة؛ لأنه سببُ الطاعة والإجابة.

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قولَك بالآذان.

﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرَكَ بالقلوب، والمعصيةُ: مخالفةُ الأمر قَصْداً. قالَ أهلُ المعاني: إنهم لم يقولوا هٰذا بألسنتهم، ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان، نُسب ذلك إلى القولِ اتِّساعاً.

﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ﴾ أي: حُبَّه، معناه: أُدْخِل في قلوبهم حبُّ العجل وخالَطَها.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ أن تعبدوا العجلَ من دونِ الله؛ أي: بئسَ إيمانٌ يأمرُ بعبادةِ العجل.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بزعمكم، وذلك أنهم قالوا: نؤمنُ بما أُنزل علينا، فكذبهم الله ـ عزَّ وجل ـ.

* * *

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وذلك أن اليهود ادَّعَوْا دَعاوى باطلةً مثلَ قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] و﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ فكذبهم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وألزمهم الحجَّةَ، فقالَ: قُلْ لهم يا محمدُ: إنْ كانَتْ لكمُ الدارُ الآخرةُ؛ يعني: الجنةَ عندَ اللهِ.

﴿خَالِصَةً﴾ خاصَّةً.

﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: اطلبوه وسلوه؛ لأن من علمَ أن الجنةَ مأواه، حَنَّ إليها، ولا سبيلَ إلى دخولها إلا بعدَ الموت، فاستعجلوه بالتمني.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم. وعن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ، لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرِيقِهِ، وَمَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلاَّ مَاتَ»(١). قال الله تعالى:

* * *

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾ لعلمهم أنهم كاذبون في دعواهم، وأراد بما قدمت أيديهم: ما قدَّموا من الأعمال، وأضافَ إلى اليد؛ لأن أكثرَ جناياتِ الإنسانَ تكونُ باليد.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٥)، عن ابن عباس موقوفاً عليه.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تهديدٌ شديد؛ لأن علمَه بهم كعلمِه بغيرهم، ثم قال مخاطباً لنبيه ﷺ:

* * *

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ اللامُ لامُ القسم، والنونُ تأكيده، تقديرُه: واللهِ لتجدنَّهم يا محمدُ؛ يعني: اليهود.

﴿ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ متطاولةٍ، وهي حياتهم التي هم فيها.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: وأحرصَ من الذين أشركوا، والمراد بالذين أشركوا: المجوسُ، سُمُّوا مشركين؛ لأنهم يقولون بالنور والظلمة.

﴿ يَوَدُّ﴾ يتمنى.

﴿ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ﴾ يعني: يعيشُ.

﴿أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ وهي تحيَّةُ المجوس فيما بينهم: عشْ ألفَ سنةٍ، يقول الله تعالى: اليهودُ أحرصُ على الحياة منَ المجوسِ الذين يقولونَ ذلك.

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ بمباعده.

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ من النار.

﴿ أَن يُعَمَّرَ﴾ أي: طولُ عمرِه لا يُنقذه من العذابِ.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم. قرأ يعقوبُ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون بالغيب[1].

* * *

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾.

[٩٧] ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (جَبْرِيلَ) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (جَبْرَئِيلَ) بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، وأبو بكرٍ: (جَبْرَئِلَ) بفتح الجيم والراء وحذف الياء بعد الهمزة، والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز، كلُّها لغات[2].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «إنَّ حبراً من أحبارِ اليهودِ يُقال له: عبدُ الله بنُ صوريا قالَ للنبيِّ ﷺ: أَيُّ ملكٍ يأتيكَ من السَّماء؟ قال: «جِبْرِيلُ»، قال: ذاكَ[3] عدوُّنا من الملائكة، ولو كانَ ميكائيلَ، لآمنَّا بكَ؛

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٠ـ٢٠١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٦ـ١٦٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٨٠ـ٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٩ـ٩٠).

(٣) في «ت»: «ذلك».

إن جبريلَ ينزلُ بالعذاب والقتالِ والشدَّة، وإنَّه عادانا مِراراً، وكانَ أشدَّ ذلك علينا أنَّ الله أنزلَ على نَبِيِّنا أنَّ بيتَ المقدِسِ سَيُخَرَّبُ على يدِ رجلٍ يُقال لهُ: بُخْتَ نَصَّر، وأخبرَ بالحين الذي يخربُ فيه، فلما كانَ وقتُه، بعثْنا رجلاً من أقوياءِ بني إسرائيل في طلبه ليقتلَهُ، فانطلقَ حتى لقيَه ببابل غلاماً مسكيناً، فأخذَهُ ليقتلَه، فدفعَ عنه جبريلُ، وكبر بخت نصّر وقوي، فغزانا وخَرَّبَ بيتَ المقدس، فلهذا نتَّخِذُه عدواً، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾[١].

﴿ فَإِنَّهُۥ ﴾ يعني: جبريل.

﴿ نَزَّلَهُۥ ﴾ يعني: القرآن؛ كنايةً عن غير مذكور.

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ بأمرِ الله.

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ موافقاً.

﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لما قبلَه من الكتب.

﴿ وَهُدًى ﴾ أي: هداية.

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَبُشْرى) بالإمالة[٢]، وتقدَّم الاختلاف في إبدال الهمز[٣] في (المؤمنين)[٤].

---

(١) انظر «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩١).

(٣) في «ن»: «الهمزة».

(٤) عند تفسير الآية (٣) من سورة البقرة.

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ خَصَّهما بالذكر من جملة الملائكة، مع دخولهما في قوله: وملائكته[(١)]؛ تفضيلاً وتخصيصاً؛ كقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن: ٦٨] خَصَّ النخلَ والرمانَ بالذكر معَ دخولهما في ذكرِ الفاكهةِ، والواو فيهما بمعنى (أو)؛ يعني: من كان عدواً لأحد هؤلاء؛ لأن الكافرَ بالواحد كافرٌ بالكل. **قرأ** أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وحفصٌ (مِيكَالَ) بغير همزة[(٢)] ولا ياء بعدها. **وقرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (مِيكَائِلَ) بهمزة من غير ياء بعدها. **وقرأ** ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ: (وَمِيكَائِيلَ) بهمزةٍ بعدها ياءٌ، وتقدم الخلاف في (جبريل)[(٣)].

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ تلخيصُه: من عاداهم، عاداه الله، ومن عاداه الله، عذَّبه.

وقد روي أن جبريل ـ عليه السلام ـ نَزَلَ على آدمَ اثنتي عشرة مرة، وعلى إدريس أربعَ مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى يوسفَ أربع مرات، وعلى موسى أربعَ مئةِ مرةٍ، وعلى عيسى عشرَ مرات، وعلى محمدٍ أربعةً وعشرينَ ألفَ مرَّةٍ ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، ولم يُذكر في القرآن من الملائكة باسمه سوى أربعة:

---

(١) «وملائكته» سقطت من «ن».

(٢) في «ن»: «همز».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨١)، عند تفسير الآية (٩٧) من هذه الآية.

جبريل، وميكايل، والرعد، ومالك في قوله في سورة الزخرف: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الآية: ٧٧]، وأُشير إلى إسرافيلَ في سورة ق قوله: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية: ٤١]، وأُشيرَ إلى عزرائيلَ في الم السجدة: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية: ١١]، وبقيةُ الملائكة ذُكروا إجمالاً، وأُشير إلى بعضهم كالحفظةِ والسائقِ والشهيدِ، ومعنى جبريل وميكائيل: عبد الله، فجبر وميك: هما[1] العبد، وإيل وآل: هو الله، وكذلك إسرافيل، فقال ابن صوريا: ما جئتنا يا محمدُ بشيءٍ نعرفه، فأنزل الله تعالى:

* * *

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾ واضحاتٍ مفصَّلاتٍ بالحلالِ والحرامِ، والحدودِ والأحكامِ.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله ـ عز وجل ـ.

* * *

﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَ﴾ واو العطف دخلَتْ عليها ألفُ الاستفهام، تقديره: أكفروا بالبينات.

---

(١) في «ن»: «فجبر وهماميك».

و﴿كُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ يعني: اليهودَ عاهدوا: لئنْ خرجَ محمدٌ، لنؤمننَّ به، فلما خرجَ محمدٌ كفروا به. قال ابنُ عباسٍ: لما ذكرَ رسولُ الله ﷺ لهم ما أخذَ اللهُ عليهم، وعَهِدَ إليهم في محمدٍ أن يؤمنوا به، قال مالكُ بنُ الصيفِ[(١)]: واللهِ ما عهدَ إلينا في محمدٍ عهداً، فأنزل الله هذه الآيةَ[(٢)].

يدلُّ عليه قراءةُ أبي رجاء العطارديِّ: (أَوَ كُلَّمَا عُوهِدُوا) فجعلهم مفعولين[(٣)].

﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طرحَهُ ونقضَه.

﴿فَرِيقٌ﴾ طوائفُ.

﴿مِّنْهُمۚ﴾ من اليهود.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراةِ، ولا يبالون بالدين، فلا يعتدُّون بنقض العهد.

* * *

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

---

(١) في «ت» و«ظ»: «الضيف».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٨٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٨٥)، و«تفسير الرازي» (١/ ٤٢٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيَّان (١/ ٣٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٣).

[١٠١] ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ يعني: التوراةَ، وقيل: القرآنَ؛ أي: لم يعملوا بما فيها.

﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كانوا يقرؤون التوراة ولا يعملون بها.

* * *

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ يعني: اليهود.

﴿ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ أي: ما تلتْ؛ أي: تكلمتْ به. والعربُ تضعُ المستقبل موضعَ الماضي وعكسه.

﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: على زمنِ ملكه، وهو سليمانُ بنُ داودَ ـ عليهما السلام ـ، عاش اثنتين وخمسين سنة، ومدَّةُ ملكِه أربعون سنة، ووفاتُه في أواخر سنةِ خمسٍ وسبعين وخمسِ مئةٍ لوفاةِ موسى ـ عليه السلام ـ وبين وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ ألفٌ وسبعُ مئةٍ وثلاثُ

وسبعون سنةً، ونُقل أنَّ قبرَه بالبيت المقدَّس[1] عند الجيسمانية، وأنه هو وأبوه داودُ في قبرٍ واحد.

وقصةُ الآيةِ: أن الشياطينَ كتبوا السحرَ والنيرِنْجيَّاتِ على لسانِ آصَف: هذا ما علَّمَ آصَفُ بنُ برخيا سليمانَ الملكَ، ثم دفنوها تحت مصلاَّه حين نزعَ اللهُ الملكَ عنه، ولم يشعرْ سليمانُ بذلك، فلما ماتَ، استخرجوها، وقالوا للناس: إنما مَلَكَكم سليمانُ بهذه، فتعلَّموها، فأما علماءُ بني إسرائيل وصلحاؤهم، فقالوا: معاذ اللهِ أن يكون هذا من علمِ سليمانَ، وأما السِّفْلَةُ، فقالوا: هذا علمُ سليمان، وأقبلوا على تعلُّمه، ورفضوا كتبَ أنبيائهم، وفَشَتِ الملامةُ لسليمانَ، فلم يزل هذا حالهم حتى بعثَ اللهُ محمداً ﷺ، وأنزلَ عليه براءةَ سليمان، فقال:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ بالسحر وعملِه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ باستعمالِ السحر وكَتْبِه. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنْ) خفيفةَ النون (الشَّيَاطِينُ) رفعٌ، والباقون: (وَلَكِنَّ) مشدَّدَةَ النون (الشَّيَاطِينَ) نَصْبٌ[2].

ومعنى (لكن) نفيُ الخبر الماضي، وإثباتُ المستقبَلِ.

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ والسحرُ عبارةٌ عن التَّمويهِ والتخييل، ووجودُه

---

(١) في «ن»: «ببيت المقدس».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٤).

حقيقةٌ عندَ أهل السنَّةِ، وعليهِ أكثرُ الأممِ، وهو محرَّمٌ بالإجماع.

واختلف الأئمةُ فيمن يتعلَّمُ السحرَ ويستعملُه، فقال أبو حنيفةَ ومالك: يكفرُ بذلك، وبعضُ أصحابِ أبي حنيفةَ فصَّل، فقال: إن تعلَّمه ليتقيَهُ، أو ليتجنبَهُ، فلا يكفرُ، وإن تعلَّمه معتقِداً لجوازِه، أو أنه ينفعهُ، فإنه يكفرُ.

وقال الشافعي: إذا تعلَّمَ السحرَ قلنا له: صِفْ سحرَكَ، فإن وصفَ ما يوجبُ الكفرَ، مثل ما اعتقدَهُ أهلُ بابلَ من التقرُّب إلى الكواكبِ السبعةِ، وأنها تفعلُ ما يُلتمس منها، فهو كافرٌ، وإن كانَ لا يوجبُ الكفرَ، فإن اعتقدَ إباحتَهُ، كفر، وإلاَّ فلا.

وقال أحمدُ: الساحرُ الذي يركبُ المِكنسةَ، فتسيرُ به في الهواء، ونحوه؛ كالذي يدَّعي أن الكواكبَ تخاطبهُ، يكفرُ، ويقتلُ هو ومن يعتقدُ حلَّه، فأما الذي يسحرُ بالأدويةِ والتَّدخين[1] وسَقْيِ شيءٍ يضرُّ، فلا يكفر، ويعزَّرُ.

ويقتل بمجرد تعلُّمه واستعمالِه عند مالكٍ، وإن لم يقتلْ به.

وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: لا يُقتل بذلك، فإن قتلَ بالسحر، قُتل عندَهما، إلا أن أبا حنيفة قال: لا يُقتل حتى يقرَّ بأني[2] قتلتُ إنساناً بعينِه.

وقال الشافعي: لو قالَ: قتلتُه بسحري، وسحري يقتلُ غالباً، فقد أقرَّ بقتلِ العَمْدِ، وإن قال: وهو يقتلُ نادراً، فهو إقرارٌ بشبهِ العمدِ، وإن قال: أخطأتُ من اسمِ غيرِه إلى اسمه، فهو إقرارٌ بالخطأ، ثم ديةُ شبهِ العمدِ،

---

(١) في «ت»: «التسخين».

(٢) في «ت»: «أني».

وديةُ الخطأ مخففة، كلاهما في مال الساحر، لا تُطالَبُ العاقلةُ بشيء إلا أن يصدِّقوه؛ لأن إقرارَه عليهم لا يُقبل.

وقال أحمد: إن قتلَ بفعلهِ غالباً اقْتُصَّ منه، وإلا الديةُ.

ويقتل حدّاً عندَ أبي حنيفةَ، ومالك.

وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُقتل قصاصاً، وتقبل توبتُه عند الشافعيِّ.

وقال مالكٌ وأبو حنيفةَ ـ في المشهور عنه ـ، وأحمدُ في أصح روايتيه: لا تُقبل.

وأما ساحرُ أهلِ الكتابِ، فقال مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ: لا يقتل، وقال أبو حنيفة: يُقتل.

وأما المسلمةُ الساحرةُ، فقال الثلاثة: حكمُها حكمُ الرجل، وقال أبو حنيفةَ: تُحبس ولا تُقتل.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ أي: ويعلِّمون الذي أُنزل على الملكين؛ أي: أُلهما وعُلِّما، فالإنزالُ بمعنى الإلهامِ والتعليم، وبابلُ: هي بابلُ العراق، سميت به لتبلبلِ الألسُنِ بها عند سقوطِ صرحِ نمرود؛ أي: تفرُّقِها.

والأصحُّ مما قيل في ذلك: أن الله سبحانه امتحنَ الناس بالملَكين في ذلك الوقت، فالشقيُّ بِتَعَلُّمِه[1] فيكفرُ، والسعيد بِتَرْكِهِ[2] فيبقى على الإيمان.

﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ اسمان سريانيان، وهما في محل الخفض على

---

(١) في «ن» و«ظ»: «يتعلمه».

(٢) في «ظ»: «يتركه».

تفسير الملكين، إلا أنهما نُصبا لعجمتِهما وتعريفِهما، وكانت قصتهما أن الملائكة رأوا ما يصعدُ إلى السماء من أعمالِ بني آدم الخبيثةِ في زمن إدريس ـ عليه السلام ـ فعيروهم، وقالوا: هؤلاء الذين جعلتَهُم في الأرض واخترتَهُمْ، فهم يعصونك، فقال الله ـ عز وجل ـ: لو أنزلتُكم[1] إلى الأرضِ ورَكَّبْتُ فيكم ما رَكَّبْتُ فيهم، ارتكبتُمْ مثلَ ما ارتكبوا، فقالوا: سبحانَكَ ما ينبغي لنا أن نَعصيَك، قال الله تعالى: فاختاروا مَلَكَينِ من خِياركم أهبطهُما إلى الأرضِ، فاختاروا هاروتَ وماروتَ، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدِهم، فركَّبَ الله فيهما الشهوةَ، وأهبطَهما إلى الأرض، وأمرَهما أن يحكما بينَ الناس بالحقِّ، ونهاهُما عن الشِّرْكِ، والقتلِ بغير الحقِّ، والزنا، وشربِ الخمر، فكانا يقضيان بين الناس يومَهُما، فإذا أمسيا ذكرا اسمَ الله الأعظم، وصَعِدا إلى السماء، فما مرَّ عليهما شهرٌ حتى افتتنا جميعاً، وذلك أن الزُّهْرَةَ ـ امرأة من أجمل النساء ـ جاءتهما تخاصمُ زوجَها إليهما، فوقعتْ في أنفسهما، فراوداها عن نفسها، فأبت وانصرفت، ثم عادت في اليوم الثاني، ففعلا مثلَ ذلك، فأبت وقالت: لا، إلا أن تعبُدا ما أعبد، وتصلِّيا لهذا الصنم، وتقتلا النفسَ، وتشربا الخمر، فقالا: لا سبيلَ إلى هذه الأشياء؛ فإن الله قد نهانا عنها، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث، ومعها قدحٌ من خمر، وفي أنفسِهما من الميل إليها ما فيها، فراوداها عن نفسها، فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاةُ لغيرِ الله عظيمٌ، وقتلُ النفس عظيم، وأهونُ الثلاثةِ شربُ الخمر، فشربا الخمرَ، فانتشَيا، ووقعا بالمرأة فزنيا، فلما فرغا، رآهما إنسانٌ فقتلاه،

---

(١) في «ت»: «نزلتكم».

وسجدا للصنم، فمسخَ الله الزُّهرةَ كوكباً، وحُكي غيرُ ذلك، فلما أمسى هاروت وماروت بعدَما قارفا الذنب؛ أي: اكتسباه، هَمَّا بالصعود إلى السماء، فلم تطاوعْهما أجنحتُهما، فعلما ما حلَّ بهما، فقصدا إدريسَ النبي ـ عليه السلام ـ، فأخبراه بأمرِهما، وسألاه أن يشفعَ لهما إلى الله، وقالا له: إنا رأيناكَ يصعدُ لكَ من العبادة مثلُ ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاستشفعْ لنا إلى ربك، ففعلَ ذلك إدريسُ، فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذابَ الدنيا؛ إذ عَلِما أنه ينقطع، فهما ببابلَ يعذَّبان إلى قيام الساعة[١].

وروي أن رجلاً قصدَ هاروتَ وماروتَ لتعلُّم السحر، فوجدهما معلَّقينِ بأرجلهما، مزرقَّةً أعينُهما، مسودَّةً جلودُهما، ليس بينَ ألسنتِهما وبينَ الماء إلا أربعةُ أصابعَ، وهما يعذَّبان بالعطش، فلما رأى ذلك، هالَهُ مكانُهما، فقال[٢]: لا إله إلا الله، فلما سمعا كلامه، قالا له: من أنتَ؟ قال: رجلٌ من الناس، قالا: من أي: أمة؟ قال: من أمةِ محمدٍ ﷺ، قالا: وقد بُعث محمدٌ ﷺ؟ قال: نعم قالا: الحمدُ لله، وأظهرا الاستبشارَ، فقال[٣] الرجل: بم استبشارُكما؟ قالا: إنه نبيُّ الساعة، وقد دنا انقضاءُ عذابنا[٤].

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ يعني: الملكين.

﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحداً، و(مِنْ) صلة.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) في «ت»: «فقالا».

(٣) في «ن»: «فسأل».

(٤) المرجع السابق: (١/ ١٠١).

﴿ حَتَّىٰ ﴾ ينصحاهُ أولاً.

و﴿ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ ﴾ أي: ابتلاءٌ ومحنةٌ.

﴿ فَلَا تَكۡفُرۡۖ ﴾ أي: لا تتعلم السحرَ لتعملَ به فتكفرَ، وأَصلُ الفتنة: الاختبارُ والامتحانُ، فإن أبى إلا التعلم[1]، قالا له: ائتِ هذا الرمادَ فَبُلْ عليه، فيخرجُ منه نورٌ ساطع في السماء، فتلكَ المعرفةُ، وينزل شيء أسودُ شبهُ الدخان حتى يدخلَ مسامعه، وذلك غضبُ الله ـ عز وجل ـ.

قال مجاهد: إن هاروتَ وماروتَ لا يصلُ إليهما أحدٌ، ويختلفُ فيما بينَهُما شيطانٌ في كلِّ مسألةٍ اختلافةً واحدةً.

﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ ﴾ وهو أن يؤخذَ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه، ويُبَغَّضَ كلُّ واحدٍ إلى صاحبه، قال الله تعالى:

﴿ وَمَا هُم ﴾ أي: السحرةُ أو الشياطينُ.

﴿ بِضَآرِّينَ بِهِۦ ﴾ أي: بالسحر.

﴿ مِنۡ أَحَدٍ ﴾ أي: واحداً.

﴿ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي: بقضاء الله وقدره ومشيئته.

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ ﴾ يعني: السحرُ يضرهم.

﴿ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ ﴾ أي: اختارَ السحرَ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (اشْتَرِيه) بالإمالة[2].

---

(١) في «ن»: «التعليم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، =

﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: في الجنة.

﴿مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ نصيبٍ، خبرٌ.

﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ﴾ أي: باعوا.

﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: حظَّ أنفسِهم؛ حيثُ اختاروا السحرَ والكفرَ على الدينِ والحقِّ.

﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ يعني: اليهود، وقولُه: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ بعدَ قولِه ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ أي: لما لم يعملوا بما علموا، فكأنهم لم يعلموا.

وقد أنكر القاضي عياضٌ ـ رحمه الله ـ قصةَ هاروتَ وماروتَ، ونسبَ ما قيل فيها من الأخبار إلى كتب اليهودِ وافترائهم كما نَصَّهُ الله أولَ الآيات من افترائهم بذلك على سليمان، وتكفيرهم إياه، وحَكى عن خالدَ بنِ أبي عمرانَ أنَّه نزَّههما عن تعليم السحر، وحكى قولاً: أن هاروتَ وماروتَ عِلجان[1] من أهل بابل، وقيل: كانا ملكين من بني إسرائيل، فمسخهما الله، والله أعلم[2].

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٦).

(١) في «ن»: «علمان».

(٢) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ٨٥٣). قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٢): وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصَّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ=

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمدٍ ﷺ، والقرآنِ.

﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ اليهوديةَ والسحرَ.

﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ لكانَ ثوابُ الله إياهم.

﴿خَيْرٌ﴾ لهم.

﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن ثوابَ الله خيرٌ مما هم فيه.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعِنا يا رسول الله؛ من المراعاة؛ أي: أَرْعِنا سمعَكَ؛ أي: فَرِّغْ سمعَك لكلامنا، وكانت هذه اللفظة شيئاً قبيحاً بلغة اليهود؛ بمعنى الحمقِ والرعونة، فإذا أرادوا أن يحمِّقوا إنساناً، قالوا له: راعِنا؛ أي: يا أحمق، فلما سمع اليهودُ هذه اللفظةَ من المسلمينَ، قالوا فيما بينهم: كنا

= ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال.

نسبُّ محمداً سرّاً، فأعلنوا به الآن، وكانوا يأتونه ويقولون: راعِنا يا محمدُ، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعدُ بنُ مُعاذٍ، ففطنَ لها، وكان يعرفُ لغتَهم، فقال لليهود: لئن سمعتُها من أحدٍ منكم يقولُها لرسول الله ﷺ، لأضربنَّ عنقَهُ، فقالوا: أولستُمْ تقولونها؟ فأنزل الله هذه الآية نهياً للمؤمنين عن التشبُّه بهم، وقطعاً للذريعة لكيلا يجد اليهود والمنافقون بذلك سبيلاً إلى شَتْم رسولِ الله ﷺ(١).

﴿ وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾ أي: انظرْ إلينا.

﴿ وَاسْمَعُواْ﴾ ما تؤمرون به؛ أي: وأطيعوا.

﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني: الذين تهاونوا بالرسولِ ﷺ وسَبُّوه، وهم اليهود.

***

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)﴾.

[١٠٥] ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، وذلك أن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد، قالوا: ما هذا

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٢)، و«العجاب» (١/ ٢٤٤)، و«فتح الباري» كلاهما لابن حجر (٨/ ١٦٣)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٤). قال ابن حجر: رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» عن ابن عباس بسند ضعيف جداً.

الذي تدعوننا إليه بخير مما نحنُ عليه، ووددْنا[1] لو كان خيراً، فأنزل الله تكذيباً لهم[2]:

﴿مَّا يَوَدُّ﴾ أي: ما يحب ويتمنَّى.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: اليهود.

﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ جرُّهُ بالنسق على (مِن)، والمرادُ: مشركو العرب؛ كأبي سفيانَ وغيرِه، والشركُ: وضعُ الشيءِ معَ مثله.

﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ﴾ أي: خيراً ونبوةً، و(مِنْ) صلة. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوب: (يُنْزَلَ) بالتخفيف مع إسكان النون، والباقون بالتشديد مع فتح النون[3].

﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ أي: بنبوته.

﴿مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والفضلُ: ابتداءُ الإحسان بلا عِلَّة.

* * *

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قرأ العامَّةُ: بفتح النون والسين من

---

(١) في «ن» و«ت»: «وودنا».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٣)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٨).

النسخ؛ أي: نرفعها. وقرأ ابنُ عامرٍ: (نُنْسِخْ) بضم النون الأولى، وكسر السين؛ من الإنساخ؛ أي: نجعله من المنسوخ[1]، وذلك أن المشركين قالوا: إن محمداً يأمرُ أصحابَه بأمرٍ، ثم ينهاهم عنه ويأمرُهم بخلافه، ما يقولُه إلا من تلقاء نفسه، يقول لهم اليومَ قولاً، ويرجعُ عنه غداً؛ كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: ١٠١]، وأنزلَ: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾، فبيَّنَ وجهَ الحكمةِ في النسخ بهذهِ الآية.

﴿أو ننسئها﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بفتحِ النونِ والسين، وهمزةٍ ساكنة بين السين والهاء؛ أي: نُؤَخِّرْها في اللوح المحفوظ. وقرأ الباقون: (نُنْسِها) بضم النون وكسر السين من غير همز؛ أي: نجعلْها منسيَّةً، أي: متروكةً[2].

﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي: بما هو أنفعُ لكم، وأسهلُ عليكم، وأكثرُ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٨). غير أنه وقع من مطبوعة «تفسير البغوي»: قراءة العامة بفتح النون وكسر السين. والصحيح أنها بفتح السين، كما مرَّ في مراجع القراءات آنفاً.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٠٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٩).

لأجركم، لا أن آيةً خيرٌ من آية؛ لأنَّ كلامَ الله واحدٌ كلُّه خيرٌ.

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في المنفعةِ والثوابِ، فكلُّ[1] ما نُسخَ إلى الأيسر، فهو أسهلُ في العمل، وما نُسخ إلى الأشقِّ، فهو في الثوابِ أكثرُ.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النسخِ والتبديلِ، لفظُه استفهامٌ، ومعناهُ تقريرٌ؛ أي: إنك تعلم. والنسخُ لغة: الرفعُ والإزالةُ، ومنه نسختِ الشمسُ الظلَّ، والنقلُ نَسَخْتُ الكتاب، وشرعاً: رفعُ حكمٍ شرعيٍّ متراخٍ، والمنسوخُ: الحكمُ المرتفعُ بالناسخِ، والناسخُ حقيقةً هو اللهُ، وأهلُ الشرائعِ على جوازه عقلاً، ووقوعِهِ شرعاً، وخالفَ أكثر اليهودِ في الجواز، ويجوزُ النسخُ قبلَ الفعلِ بعدَ دخولِ الوقتِ بالاتفاق، ويجوز نسخُ التلاوة دونَ الحكم، وعكسُه، وهما بالاتفاق، ويجوزُ نسخُ قرآنٍ وسنَّةٍ متواترةٍ بمثلِهما[2]، وسُنَّة بقرآنٍ بالاتفاق، ولا حكمَ للناسخِ معَ جبريلَ ـ عليه السلام ـ اتفاقاً، فإذا بلغه، لم يثبتْ حكمُه في حقِّ من لم يبلغه. وزيادةُ عبادةٍ مستقلَّةٍ من غيرِ الجنسِ ليستْ نسخاً، وكذا من الجنس، بالاتفاق.

* * *

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم﴾ يا معشرَ الكفار عندَ نزولِ العذاب.

---

(١) في «ت»: «وكل».

(٢) في «ن»: «بمثلها».

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مما سِوى الله.

﴿مِن وَلِيٍّ﴾ قريبٍ ولا صديقٍ.

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ناصرٍ يمنعُكم من العذاب.

* * *

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ نزلَتْ في اليهود حينَ[١] قالوا: يا محمدُ ايتنا بكتابٍ من السماءِ جملةً كما أتى موسى بالتوراة، قال الله تعالى:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ يعني: أَتُريدون، والميمُ صلةٌ.

﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ محمداً ﷺ.

﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ﴾ سألَهُ قومُه، فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، ففيه منعُهم عن السؤالات المقترحَةِ بعدَ ظهورِ الدلائل والبراهين.

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ﴾ أي: أخطأ.

﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق. قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (فَقَدْ ضَلَّ) بإظهار دال (قد) عند الضاد، وكذلك عند الظاء والذال والزاي حيث وقع، ووافقهم وَرْشٌ عند الذال والزاي[٢].

---

(١) في «ن»: «حيث».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٣).

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ نزلت في نفرٍ من اليهود قالوا لحذيفةَ بنِ اليمانِ وعمَّارِ بنِ ياسرٍ بعدَ وقعةِ أُحُدٍ: لو كنتم على الحقِّ، ما هُزمتم، فارجعا إلى ديننا، فنحن أَهْدى سبيلاً منكم، فقال لهم عمار: وكيفَ نقضُ العهدِ فيكم؟ قالوا: شديدٌ، قال: فإنّي عاهدتُ اللهَ ألا أكفرَ بمحمدٍ ﷺ ما عشتُ، فقالت اليهود: أما هذا، فقد صبأَ، وقال حذيفةُ: أما أنا[١] رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالكعبة قبلةً، وبالمؤمنينَ إخواناً، ثم أتيا رسولَ الله ﷺ فأخبراه بذلك، فقال: «أَصَبْتُمَا الخَيْرَ وَأَفْلَحْتُمَا»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ ﴾[٢] أي: تمنى، وأرادَ: أهلَ الكتابِ من اليهود.

﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ يا معشرَ المؤمنين.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: يحسدونكم حسداً.

﴿ مِّنْ عِندِ ﴾ أي: من تِلْقاء.

﴿ أَنفُسِهِم ﴾ لم يأمرْهُمُ اللهُ بذلك.

---

(١) «أما أنا» سقطت من «ن».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧).

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ في التوراةِ أنَّ قولَ محمدٍ ﷺ صدقٌ، ودينَهُ حَقٌّ.

﴿فَٱعۡفُواْ﴾ أي: فاتركوا.

﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾ أي: تجاوزوا، فالعفوُ: المحوُ، والصفحُ: الإعراضُ، وكان هذا قبلَ آيةِ القتال.

﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ بعذابِه: القتلُ والسبيُ لبني قريظةَ، والجلاءُ والنفيُ لبني النضير.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ فيقدر على الانتقام منهم.

* * *

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾.

[١١٠] ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ﴾ أي: تُسْلِفوا.

﴿لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾ طاعةٍ وعملٍ صالحٍ.

﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: تجدوا ثوابَهُ.

﴿عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ لا يَضيعُ عندَه عمل.

* * *

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾.

[١١١] ﴿وَقَالُواْ﴾ عطفٌ على ﴿وَدَّ﴾، والضميرُ لأهلِ الكتابَيْنِ.

﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ أي: يهودياً، واليهودُ جمعُ هائدٍ.

﴿أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: لن يدخلَ الجنةَ[1] إلاَّ من كانَ يهوديّاً، ولا دينَ إلا اليهوديةُ، وقالت النصارى: لن يدخلَ الجنةَ إلا من كان نصرانيّاً، ولا دينَ إلا النصرانيةُ، نزلتْ في وفدِ نجرانَ، وكانوا نصارى، اجتمعوا في مجلسِ رسولِ اللهِ ﷺ معَ اليهودِ، فكذَّبَ[2] بعضُهم بعضاً، قال الله تعالى:

﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾ شهواتُهم الباطلةُ التي تمنَّوْها على اللهِ بغيرِ الحقِّ. قرأ أبو جعفرٍ: بسكون الياء والتخفيف، مع كسر الهاء، والباقون: بتشديد الياء، وضم الهاء[3].

﴿قُلۡ﴾ يا محمدُ.

﴿هَاتُواْ﴾ أصلهُ: آتوا.

﴿بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ حُجَّتكم على ما زعمتُمْ.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في دَعْواكم، ثم قال رداً:

* * *

﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

---

(١) «الجنة» سقطت من «ت».

(٢) في «ت»: «فكذبت».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٤).

[١١٢] ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: ليس كما قالوا، بل الحكمُ للإسلام، وإنما يدخلُ الجنةَ من أسلم.

﴿وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: أخلص دينه لله، وأصل الإسلام: الاستسلامُ والخضوعُ، وخُصَّ الوجهُ؛ لأنه إذا جادَ بوجهِه في السجود، لم يبخلْ بسائرِ جوارِحه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عملِه.

﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، وإلاَّ فاليومَ المؤمنونَ أشدُّ خوفاً وحُزْناً من غيرهم؛ لنظرهم في مصيرهم، ولما قدمَ وفدُ نجرانَ على النبيِّ ﷺ، أتاهم أحبارُ اليهودِ، فتناظروا حتى ارتفعتْ أصواتُهم، فقال لهم اليهود: ما أنتم على شيء من الدِّينِ، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقال لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى:

***

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: أمرٍ يصحُّ ويُعْتَدُّ به.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وكلا الفريقين يقرؤون الكتابَ، معناه: ليس في كتابهم هذا الاختلافُ، فدلَّ تلاوتُهم الكتابَ ومخالفتُهم ما فيه على كونهم على الباطل.

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يعني: آباءَهُم الذين مضوا.

﴿ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ يقضي بينَ المحقِّ والمبطِل.

﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ من الدين. قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (يَحْكُمْ بَيْنَهُمْ)(١) (أَعْلَمْ بِالشَّاكِرِينَ) (مَرْيَمْ بُهْتَاناً) (آدَمْ بِالْحَقِّ) وشبهه حيث وقع: بإسكانِ الميم عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً؛ لتوالي الحركات، فتخفى إذ ذاك بغنة، فإن سكن ما قبلها، تُرِكَ ذلك إجماعاً.

* * *

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾.

[١١٤] ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ أي: أكفرُ وأعتى.

﴿ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ يعني: بيتَ المقدس ومحاريبَهُ.

﴿ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ﴾ عملَ.

﴿ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ هو بُخْتَ نَصَّرُ وأصحابُه، غزوا اليهودَ، وخَرَّبوا بيتَ المقدسِ، وأعانَهم على ذلك النصارى: طَيْطُوسُ الروميُّ وأصحابُه، فغزوا بني إسرائيل ثانياً، فقتلوا مقاتلتَهم، وسبوا ذراريَّهم، وحرقوا التوراة، وخَرَّبوا بيتَ المقدس، وقذفوا فيه الجِيَفَ، وذبحوا فيه الخنازيرَ، فكان

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٥).

خراباً إلى أن بناه المسلمون في أيامِ عمرَ بنِ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ، فأنزل الله تعالى الآية[1] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[2].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ أي: على وجهِ التهيُّبِ، وذلكَ أنَّ بيتَ المقدسِ موضِعُ حَجِّ النَّصارى، ومحلُّ زيارتهم، قال ابن عباس: لم يدخلْها بعد عِمارتها روميٌّ إلا خائِفاً، لو عُلِمَ به، قُتِلَ.

﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ عذابٌ وهَوان، قال قتادةُ: هو القتلُ للحربيِّ، والجزيةُ للذميِّ.

﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو النارُ.

وقيل: نزلت في مشركي مكَّةَ، وأراد بالمساجد: المسجدَ الحرامَ، منعوا رسولَ الله ﷺ وأصحابَه من حجِّهِ والصلاةِ فيه عامَ الحُدَيبيةِ، وإذا مَنَعُوا مَنْ يَعْمُرُهُ بذكر الله، فقد سَعَوْا في خرابه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ يعني: أهلَ مكةَ، يقول: أَفْتَحُها عليكم حتى تَدْخلوها، وتكونوا أَوْلى بها منهم، ففتحَها عليهم، وأمرَ النبيُّ ﷺ منادياً ينادي: «أَلاَ لاَ يَحُجَّنَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ»[3]، فهذا خوفُهم، وثبتَ الشرعُ أن

---

(١) «الآية» سقطت من «ن».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٩٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٧)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٥٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٦٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦٢)، كتاب الصلاة، باب: ما يستر من العورة، ومسلم (١٣٤٧)، كتاب: الحج، باب: لا يحج البيت مشرك...، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لا يُمَكَّنَ مشركٌ من دخولِ الحرم ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ الذُّل والهوانُ والقتلُ والسبيُ والنفيُ[1].

واختلف الأئمةُ في دخولِ الكفارِ المساجدَ، فقال أبو حنيفةَ وأصحابُه: يجوزُ للذميِّ دخولُ المسجدِ الحرامِ[2] وغيرِه بالإذنِ، ومنعَهُ مالكٌ وأحمدُ مطلقاً، والشافعيُّ يمنعُه في المسجدِ الحرام، ويُجيزه في غيرِه، ويأتي ذكرُ اختلافِهم في دخولِ الذميِّ حرمَ مكةَ، ومنعهِ من استيطانِ الحجازِ في سورة التوبة عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: ٢٨].

* * *

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ تُحَوِّلوا وُجوهَكُم.

﴿فَثَمَّ﴾ هناك.

﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: جهتُه التي أمر بها. قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: خرجَ نفرٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ في سفرٍ قبلَ تحويلِ القبلةِ إلى الكعبةِ، فأَصابهم الضَّبابُ، وحضرت الصلاةُ، فتحرَّوا القبلةَ، وصلَّوا، فلما ذهبَ الضَّبابُ، استبانَ لهم أنهم لم يصيبوا، فلما قَدِموا، سألوا رسولَ الله ﷺ عن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٧).

(٢) «الحرام» سقطت من «ن».

ذلك، فنزلت هذه الآية[1]. وقال عبدُ الله بنُ عمرَ: نزلت في المسافرِ يصلِّي التطوُّعَ حيثما توجَّهَتْ به راحلتُه[2]، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ أي: غنيٌّ يعطي من السَّعَة.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنِيَّاتهم حيثما صلَّوا ودَعَوا.

***

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (قَالُوا) بغير واو، وقرأ الباقون بالواو[3]. [و][4]نزلتْ في يهود المدينة؛ حيث قالوا: عزيرٌ ابنُ الله، وفي نصارى نجران حيثُ قالوا: المسيحُ ابنُ الله، وفي مشركي العرب حيث قالوا: الملائكةُ بناتُ الله[5].

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٨).

(٢) رواه مسلم (٧٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٦).

(٤) زيادة من «ن».

(٥) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٨)، =

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزَّهَ وعظَّمَ نفسَهُ.

﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عَبيداً ومُلْكاً.

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ أي: طائعون.

* * *

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أبدعَ؛ أي: اخترعَ بلا مثالٍ سَبَقَ.

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: قَدَّرَهُ، وأصلُ القضاءِ: الفراغُ، ومنه قيل لمن مات: قُضِي عليه؛ لفراغِه من الدنيا، ومنه قضاءُ الله وقدرُه؛ لأنه فُرِغَ منه تقديراً وتدبيراً، وقد وردَ لفظُ القضاءِ في القرآن على عشرةِ أوجُهٍ سيأتي ذكرُها في سورة الزخرف ـ إن شاء الله تعالى ـ.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: احْدُثْ فيحدُث. قرأ ابن عامر: (كُنْ فَيَكُونَ) بنصب النون في جميع المواضع، إلا في آل عمران: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ـ ٦٠]، وفي الأنعام: ﴿كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وإنما نصبَها؛ لأن جوابَ الأمرِ بالفاءِ يكونُ منصوباً. وقرأ الباقونَ: بالرفع[1] على معنى: فهو يكون، فأما

= و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر(١/ ٣٦٦).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، =

حرفُ آل عمران، فإن معناه: كنْ، فكانَ، وأما حرفُ الأنعامِ، فمعناهُ الإخبارُ عن القيامةِ، وهو كائنٌ لا محالةَ، ولكنه لما كانَ ما يُراد في القرآنِ من ذكرِ القيامة كثيراً يذكر بلفظ الماضي؛ نحو: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الحاقة: ١٥-١٦]، ونحوِ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، ونحو ذلك، فشابه ذلك، فرُفع، ولاشك أنه إذا اختلفت المعاني اختلفت الألفاظ. قال الأخفشُ الدمشقيُّ: إنما رفعَ ابنُ عامر في الأنعام على معنى سين الخبر؛ أي: فسيكون.

***

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝١١٨﴾.

[١١٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم الجهلَةُ المشركون، نفَى العلمَ عنهم؛ لعدمِ انتفاعهم به.

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا.

﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ عياناً أنَّكَ رسولُه.

﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ دلالةٌ وعلامةٌ على صدقك، قال الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ أي: كفارُ الأمم الخالية.

﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبهَ بعضُها بعضاً في الكفرِ والعمَى.

= و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٦).

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أنَّها آياتٌ يجبُ الاعترافُ بها والإيمان، ثم أوضح الآياتِ فقال:

***

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

[١١٩] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالصدق، وهو القرآن.

﴿بَشِيرًا﴾ أي: مبشراً لأوليائي وأهلِ طاعتي بالثوابِ الكريم.

﴿وَنَذِيرًا﴾ أي: منذراً مخوِّفاً لأعدائي وأهلِ معصيتي بالعذابِ الأليمِ.

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ قرأ نافعٌ ويعقوبُ: (وَلا تَسْأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام على النهي، قال ابن عباس: وذلك أن النبي ﷺ قالَ ذاتَ يومٍ: «لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ أَبَوَايَ»، فنزلت(١). وقرأ الباقون (وَلاَ تُسْأَلُ) بالرفعِ على النفي؛ أي: ولستَ بمسؤولٍ(٢).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٥١٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠ ـ ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٦٨)، و«الدر المنثور» (١/ ٢٧١)، و«لباب النقول» كلاهما للسيوطي (ص: ٢٨).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩٨ـ٩٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٠٧).

﴿عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ما لهم لم يوقنوا بعدما بَلَّغْتَ، والجحيمُ: مُعْظَمُ النار.

* * *

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾.

[١٢٠] ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ وذلك أنهم(١) كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنةَ، ويُطْمِعونه أنه إن أمهلَهم، اتبعوه، فأنزل الله هذه الآيةَ(٢)، معناه: إنك وإن هادَنْتَهم، فلا يرضَوْنَ بها، وإنما يطلبون ذلك تعَلُّلاً، ولا يرضَوْنَ منك إلا باتِّباع ملَّتهم، والملَّةُ: الطريقةُ.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام.

﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ الذي لا زيادةَ عليه.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ الخطابُ مع النبي ﷺ، والمرادُ به الأمةُ؛ كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: البيانِ بأنَّ دينَ الله هو الإسلامُ، والقبلة قبلَةُ إبراهيمَ، وهي الكعبةُ.

﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

---

(١) «أنهم» سقطت من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص: ٢٨).

ونزلَ في أهل السفينةِ الذين قَدِموا مع جعفرِ بنِ أبي طالبٍ، وكانوا أربعين رجلاً: اثنانِ وثلاثون من الحبشة، وثمانيةٌ من رهبان الشام، منهم بحيرا الراهبُ. وقيل: فيمن آمنَ من اليهود: عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه، وقيلَ: في أصحابِ محمدٍ ﷺ، وقيل: في جميع المؤمنين[1].

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[١٢١] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ أي: يقرؤونه كما أُنزل، ولا يُحرِّفونه.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ ﴾ من المحرِّفين[2].

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ لاستبدالِهم الضلالةَ بالهدى.

* * *

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١).

(٢) في «ن»: «المجرمين».

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ ومعنى ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ أي: ليستْ ثَمَّ، وليس المعنى أنه يشفَعُ فيهم أحدٌ فيُرَدُّ.

* * *

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾.

[١٢٤] ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ ﴾ أي: واذكر إذا ابتلىٰ، والابتلاءُ: الاختبارُ، وابتلاءُ اللهِ العبادَ ليسَ ليعلمَ حالَهم بالابتلاء؛ لأنه عالِمٌ بهم، ولكن ليُعلِم العبادَ أحوالَهم حتى يعرفَ بعضُهم بعضاً.

﴿ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ هو اسمٌ أعجميٌّ، ولذلكَ لا يُجرُّ، ومعناه بالسريانية: الأبُ الرَّحيمُ، وهو إبراهيمُ بنُ تارحَ بنِ ناحورَ، وكانَ مولدُه بكوثا، ولكن نقلَهُ أبوه إلى بابلَ أرضِ نمرودَ بنِ كنعانَ، عاش إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ مئة وخمساً وسبعين سنةً، وقيل غيرُ ذلك، وبين وفاته والهجرةِ الشريفةِ الإسلامية ألفان وسبعُ مئةٍ وثماني عشرة سنةً، ودفن بمغارةِ حبرون[١] بجبلِ بيلُون تُجاهَ بيتِ المقدس مما يلي القبلةَ بمسافةٍ[٢] تقربُ من بَريدين، فقيل: إنها ثلاثةَ عشرَ ميلاً، وقيل: ثمانيةَ عشرَ ميلاً، ثم بنى سليمانُ ـ عليه السلام ـ على المغارة حيِّزاً بأمر الله تعالى، ولم يثبتْ قبرُ نبيٍّ من الأنبياء سوى قبرِ

(١) في «ن»: «جبرون».

(٢) في «ن»: «من مسافة».

نبيِّنا محمدٍ ﷺ بداخلِ الحُجْرَةِ الشريفةِ بِطَيْبَةَ المشرَّفَةِ، وقبرِ الخليلِ ـ عليه السلام ـ بداخلِ الحيِّزِ السُّليمانيِّ، وما عداهما من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فمحل قبورهم بالظنِّ لا بالقَطْع. قرأ هشامٌ: (إبْرَاهَام) بالألفِ جميعَ ما في هذه السورة، وجملتُه خمسةَ عشرَ موضعاً، واختُلِف عن ابنِ ذكوانَ، وكذلك رُوي عنهما في مواضعَ أخرَ يأتي ذكرُها في محلِّها، جملتُها ثمانيةَ عشرَ موضعاً غيرَ ما في هذه السورة، ووجهُ خصوصيَّةِ هذه المواضعِ، وهي ثلاثةٌ وثلاثون موضعاً: أنها كُتبت في المصاحف الشامية بحذفِ الياء منها خاصَّةً، وكذلك وُجدت في المصحفِ المدنيِّ، وكُتب في بعضها في سورة البقرة خاصَّةً، ورُوي عن ابن عامرٍ الألفُ في جميع القرآن[1].

﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ هنَّ شرائعُ الإسلام.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: أدَّاهُنَّ وعملَ بهنَّ.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يُقْتدى بكَ في الخير.

﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: من أولادي أيضاً، فاجعلْ منهم أئمةً يُقْتدى بهم.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى:

﴿لَا يَنَالُ﴾ لا يصيب.

﴿عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: مَنْ كان منهم ظالماً لا يصيبُه عهدي؛ أي: الإمامةُ. ونصب (الظَّالمين)؛ لأن العهدَ يَنالُ كما يُنال. قرأ حمزةُ، وحفصٌ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١-٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٠).

(عَهْدِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[١]، ومعنى الآية: لا ينالُ ما عهدتُ إليك من النبوةِ والإمامةِ من كان ظالماً من ولدِك.

* * *

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ ﴾ عطفٌ على (إذ) المتقدمة.

﴿ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ ﴾ يعني: الكعبة. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، وابنُ ذكوانَ، والكسائيُّ، وخَلَّادٌ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (وَإِذْ جَعَلْنَا) بإظهارِ ذالِ (إذ) عندَ الجيم حيثُ وقع، والباقون: بالإدغام[٢].

﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: مرجِعاً لهم.

﴿ وَأَمْنًا ﴾ يأمَنون فيه من إيذاء المشركين؛ فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون: هم أهلُ الله، ويتعرَّضون لمن حولَهُ.

﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: بفتح الخاء على الخبر، والباقون: بكسرها على الأمر[٣].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١١).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: =

﴿ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ والصحيحُ أن مقام إبراهيم هو الحجرُ الذي في المسجد يصلِّي خلفَه الإمامُ المقلِّدُ لمذهب الشافعيِّ، وذلك الحجرُ الذي قامَ عليه إبراهيمُ عندَ بناءِ البيت.

وعن عمرَ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «وافقتُ اللهَ في ثلاثٍ، ووافَقَني ربي في ثلاث: قلتُ: يا رسولَ الله! لو اتخذتَ من مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾، وقلتُ: يا رسول الله! يدخلُ عليك البَرُّ والفاجِرُ، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنينَ بالحجاب[1]، فأنزل الله آيةَ الحجاب، قال: وبلغني معاتبةُ النبيِّ ﷺ بعضَ نسائِهِ، فدخلتُ عليهنَّ، قلتُ: إنِ انتهيتنَّ أو ليبدلَنَّ اللهُ رسولَه خيراً منكُنَّ، فأنزلَ الله ـ عز وجل ـ: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾[2] [التحريم: ٥].

وأما قصةُ المقامِ، فروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «لما أتى إبراهيمُ بإسماعيلَ وهاجرَ، ووضعَهما بمكَّةَ، وأتت على ذلكَ مدَّةٌ، ونزلَها الجُرْهمِيُّون، وتزوَّجَ إسماعيلُ منهم امرأةً، وماتتْ هاجَرُ، استأذنَ إبراهيمُ سارةَ أن يأتيَ مكَّةَ، فأذنتْ له، وشرطَتْ ألاَّ ينزلَ، فقدمَ إبراهيمُ فذهبَ إلى بيتِ إسماعيل، فقال لامرأته: أينَ صاحِبُك؟ قالت:

= ١٩٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١١).

(١) في «ن»: «الحجاب».

(٢) رواه البخاري (٤٢١٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ عن أنس. ورواه مسلم (٢٣٩٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ، عن ابن عمر مختصراً.

ذهبَ يتصيَّدُ، وكان إسماعيلُ يخرج من الحَرِمِ فيصيدُ، فقال لها إبراهيم: هل عندَكِ ضيافةٌ؟ قالت: ليسَ[1] عندي، وسألها عن عَيْشِهم، فقالت: نحنُ في ضِيقٍ وشدَّةٍ، وشكت إليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجُكِ فأقرئيه السَّلامَ، وقولي له: فليغيرْ عتبةَ بابه، وذهبَ إبراهيمُ فجاءَ إسماعيلُ فوجدَ ريحَ أبيه، فقالَ لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالت: جاءني شيخٌ من صفتِه كَذا وكَذا؛ كالمستخفَّةِ[2] بشأنِه، قالَ: فما قالَ لكِ؟ قالتْ: قالَ: أَقرئي زوجَكِ السلامَ، وقولي له يغيرْ عتبةَ بابه، قال: ذاكَ أبي، وقد أمرني أَنْ أفارقَكِ، الحَقِي بأهلِك، فطلَّقَها، وتزوَّجَ منهم أخرى، فلبثَ إبراهيمُ ما شاءَ الله، ثم استأذنَ سارةَ أن يزورَ إسماعيلَ، فأذنتْ له، وشرطَتْ عليه ألاَّ ينزلَ فجاءَ إبراهيمُ حتى انتهى إلى بابِ إسماعيل، فقال لامرأته: أينَ صاحبُك؟ قالت: ذهبَ يتصيَّدُ، وهو يجيءُ الآن إن شاءَ الله، فانزلْ يَرْحَمْكَ الله، قال: هلْ عندَكِ ضيافةٌ؟ قالتْ: نعم، فجاءت باللبنِ واللحمِ، وسألها عن عَيْشِهم، فقالت: نحنُ بخير وسَعَة، فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذٍ بخبز أو بُرٍّ أو شعيرٍ أو تمرٍ، لكانت أكثرَ أرضِ الله بُرّاً وشعيراً وتمراً، فقالت له: انزلْ حتى أغسلَ رأسَكَ، فلم ينزلْ، فجاءته بالمقام، فوضعَتْه عن شِقِّهِ الأيمن، فوضع قدمَه عليه، فغسلت شِقَّ رأسِهِ الأيمنَ، ثم حَوَّلَتْه إلى شِقِّه الأيسرِ، فغسلت شِقَّ رأسِه الأيسرَ، فبقيَ أثرُ قدميه عليه، فقال لها: إذا جاءَ زوجُك، فأقرئيهِ السلامَ، وقولي له: قدِ استقامتْ عتبةُ بابِكَ، فلما جاء إسماعيلُ، وجدَ ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحدٌ؟ قالتْ: نعمْ شيخٌ أحسنُ

---

(١) في «ت»: «ليست».

(٢) في «ن»: «كالمستخفية».

الناسِ وجهاً، وأطيبُهم ريحاً، وقال لي: كذا وكذا، وقلت له: كذا وكذا، وغسلتُ رأسه، وهذا موضع قدميه، فقال: ذاك إبراهيمُ، وأنتِ العتبةُ، أمرني أَنْ أُمْسِكَكْ».

وعن ابن عباسٍ أيضاً قال: «ثم لبثَ عنهم ما شاءَ الله، ثم جاء بعدُ وإسماعيلُ يَبْري نَبْلاً تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه، قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالدُ بالولد، والولدُ بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل! إن الله أمرني بأمرٍ تُعينني عليه؟ قال: أُعينك، قال: إن الله أمرني أن أبنيَ هاهنا بيتاً، فعندَ ذلكَ رفعَ القواعدَ من البيتِ، فجعل إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ، وإبراهيمُ يبني حتى ارتفعَ البناءُ، جاءَ بهذا الحجر، فوضعه له، فقام إبراهيمُ على حَجَر المقام، وهو يبني وإسماعيلُ يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]»[(١)].

وفي الخبر: «الرُّكْنُ والمَقَامُ يَاقُوتَتَانِ مِنْ يَوَاقِيتِ الجَنَّةِ، وَلَوْلاَ مَا مَسَّتْهُ أَيْدِي المُشرِكِينَ، لأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٤)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَزِفُّونَ﴾. وانظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٣).

(٢) رواه الترمذي (٨٧٨)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، وقال: حديث غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٧٥)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ـ بلفظ: «إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب». وما ذكره المؤلف من لفظ الحديث، فإنما نقله عن البغوي في «تفسيره» (١/ ١١٤).

﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي: أمرناهما، وأوصينا إليهما، وسُمِّي إسماعيل؛ لأن إبراهيمَ كان يدعو اللهَ أن يرزقَه ولداً، ويقولُ: اسمعْ يا إيل، وإيلُ هو الله، فلما رُزق، سماه به[1]، وقيل: معناه بالعبراني مطيعُ الله، وأمُّه هاجرُ، وُلد لمضيِّ سِتٍّ وثمانينَ سنةً من عُمْرِ إبراهيمَ، وأرسله الله إلى قبائلِ اليمنِ وإلى العماليقِ، وعاش مئةً وسبعاً وثلاثين سنةً، ومات بمكةَ، ودفنَ عندَ قبرِ أمِّهِ بالحِجْر، وكانت وفاتُه بعدَ وفاة أبيه إبراهيمَ بثمانٍ وأربعين سنةً.

﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ يعني: الكعبةَ، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً؛ أي: ابنياه على الطهارة والتوحيد. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وهشامٌ، وحفصٌ (بَيْتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ الدائرين حولَهُ.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمينَ والمجاوِرين.

﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾ جمعُ راكعٍ.

﴿ٱلسُّجُودِ﴾ جمع ساجدٍ، وهم المصلُّون.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٤).

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٢).

﴿مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ يعني: المكانَ.

﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: ذا أمنٍ يأمنُ فيه أهلُه.

﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ إنما دعا بذلك؛ لأنه كان بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ، وفي القصص أن الطائفَ كان من مدائنِ الشام بِأُرْدُنَّ، فلما دعا إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ هذا الدعاءَ أمرَ اللهُ جبريلَ ـ عليه السلام ـ حتى قلعَها من أصلِها، فأدارَها حولَ البيت سبعاً، ثم وضعَها موضعَها الذي هي الآن فيه، فمنها أكثرُ ثمراتِ مكةَ(١).

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ دعا للمؤمنين خاصَّةً.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى.

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ أي: أَمُدُّ له؛ ليتناول من لذات الدنيا؛ إثباتاً للحجة عليه، وأصلُ المتوع: الامتداد. قرأ ابنُ عامرٍ: (فَأُمْتِعُهُ) بسكون الميم وتخفيف التاء، والباقون: بفتح الميم وتشديد التاء(٢)، ومعناهما واحد.

﴿قَلِيلًا﴾ إلى منتهى أجلِه، وذلك أن الله تعالى وعدَ الرزقَ للخلق كافَّة، مؤمنِهم وكافرِهم، وإنما قيد بالقلة؛ لأن متاعَ الدنيا قليل.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٥).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٢).

﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ أي: أُلجئه في الآخرة.

﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المرجعُ الذي يصير إليه. قرأ أبو جعفرٍ، وقالونُ، وأبو عمرٍو (بِيسَ) بغير همز، والباقون بالهمز(١).

* * *

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي: واذكرْ إذ.

﴿ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ وتعطفُ على إبراهيمَ.

﴿ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ روي أن الله خلقَ موضعَ البيت قبلَ الأرضِ، بألفي عامٍ، وكانت زَبَدَةً بيضاءَ على الماء، فَدُحِيَتِ الأرضُ من تحتِها، فلما أهبطَ اللهُ آدمَ إلى الأرض، استوحشَ، فشكا إلى الله تعالى، فأنزل الله البيتَ المعمورَ من ياقوتةٍ من ياقوتِ الجنةِ له بابان من زُمُرُّدٍ أخضرَ، له بابٌ شرقيٌّ، وبابٌ غربي، فوضعَه على موضع البيت، وقال: يا آدمُ! إني أهبطتُ إليك بيتاً تطوفُ به كما يُطاف حولَ عرشي، وتصلي عنده كما يُصَلَّى عندَ عرشي، وأنزلَ الحجرَ، وكان أبيضَ، فاسودَّ من لمسِ الحُيَّضِ في الجاهلية، فتوجه آدمُ من أرضِ الهندِ إلى مكة ماشياً، وقَيَّضَ اللهُ له مَلَكاً يدلُّه على البيت، فحجَّ البيتَ، وأقامَ المناسكَ، فلمَّا فَرَغَ، تلقَّتْهُ الملائكةُ وقالوا: بَرَّ حَجُّكَ يا آدمُ، لقد حججْنا هذا البيتَ قبلَك بألفي عامٍ.

---

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٤).

قالَ ابنُ عباس: حجَّ آدمُ أربعينَ حجَّةً من الهندِ إلى مكة على رجليه، وكان على ذلك إلى أيامِ الطوفان، فرفعه الله إلى السماء الرابعة، يدخلُه كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ لا يعودون إليه، وبعثَ اللهُ جبريلَ حتى خَبَأَ الحجرَ الأسودَ في جبل أبي قُبيس؛ صيانةً له من الغرق، وكان موضعُ البيتِ خالياً إلى زمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ثم إن الله تعالى أمر إبراهيم بعدَ ما وُلد له إسماعيلُ وإسحاقُ ببناء بيتٍ يُذْكَر فيه، فسأل الله ـ عز وجل ـ أن يبين له موضعَهُ، فبعثَ اللهُ سبحانَه سحابةً على قَدْرِ الكعبة، فجعلتْ تسيرُ وإبراهيمُ يمشي في ظِلِّها إلى أن وافَتْ مكةَ، ووقفتْ على موضع البيتِ، فَنُودي منها: يا إبراهيم! أن ابنِ على ظِلِّها لا تزدْ ولا تنقصْ، فبنى إبراهيمُ وإسماعيلُ البيتَ، فكان إبراهيمُ يبنيه، وإسماعيلُ يناولُه الحجارة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: الأساسَ، جمعُ قاعدةٍ، فلما انتهى إبراهيمُ إلى موضعِ الحجرِ الأسودِ، قال لابنهِ إسماعيلَ: ائتني بحجرٍ حَسَنٍ يكونُ للناسِ عَلَماً، فأتاه بحجرٍ، فقال: ائتني بأحسنَ من هذا، فمضى إسماعيلُ[1] يطلبه، فصاحَ أبو قُبيس: يا إبراهيمُ! إن لكَ عندي وديعةً فخذْها، فأخذَ الحجرَ الأسودَ فوضعَه مكانَه.

وقيل: أولُ مَنْ بنى الكعبةَ في الأرض الملائكةُ بأمرِ اللهِ بحيالِ البيتِ المعمورِ في السماءِ على قدرِه ومثالِه، وقيلَ: أولُ من بنى الكعبَة آدمُ، واندرسَ زمنَ الطوفان، ثم أظهرَه الله لإبراهيمَ حتى بناه[2].

---

(١) في «ت»: «إبراهيم».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٦٥).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ فيه إضمار؛ أي: ويقولان: رَبَّنا تقبلْ منا بناءَنا البيت.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائِنا.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنياتنا.

* * *

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي: صَيِّرْنا موحِّدَيْنِ مطيعَيْن مخلِصين خاضعين لك، وكانا كذلك، وإنما أرادا[١] التثبيتَ والدوامَ، والإسلامُ في هذا الموضعِ الإيمانُ والأعمالُ جميعاً.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أي: ومن أولادنا.

﴿أُمَّةً﴾ جماعةً، والأمةُ: أتباعُ الأنبياء.

﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ خاضعةً لك، و(من) هنا للتبعيض، وخص من الذرية بعضاً؛ لأن الله تعالى أعلمَهُ أن منهم ظالمين.

﴿وَأَرِنَا﴾ عَلِّمْنا. قرأ ابنُ كثيرٍ ويعقوبُ: (وَأَرْنا) بإسكان الراء، وأبو عمرو: بالاختلاس، والباقون: بكسرها[٢]، وأصلُها: أَرينا، فحذفت

---

(١) في «ن» و«ت»: «أراد».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٦-١٠٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٥).

الياء للجزم، ونقلَتْ حركةُ الهمزة إلى الراء، وحُذفت تخفيفاً، ومن سكن قال: ذهبت الهمزةُ، فذهبت حركتُها.

﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائعَ ديننا، وأعلامَ حَجِّنا، وأصلُ النسكِ: العبادةُ، والناسكُ: العابد، فأجاب الله دعاءهما، وبعث جبريل ـ عليه السلام ـ فأراهما المناسكَ في يومِ عرفةَ، فلما بلغَ عرفاتَ، قال: عرفتَ يا إبراهيم؟ قال: نعم، فسمي الوقتُ عرفةَ، والموضعُ عرفاتٍ[1].

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ وتجاوزْ عنا.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب.

***

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٢٩)﴾.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: في الأمة المسلمة من ذرية إبراهيمَ وإسماعيلَ.

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ أي: مرسَلاً، وأراد به محمداً ﷺ. قال ابنُ عباس: «كلُّ الأنبياءِ من بني إسرائيل إلا عشرةً: نوحٌ، وهودٌ، وصالحٌ، وشعيبٌ، ولوطٌ، وإبراهيمُ، وإسماعيل، وإسحقُ، ويعقوبُ، ومحمدٌ ـ صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين ـ»[2].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٧).
(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٧٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣).

﴿يَتْلُوا۟﴾ يقرأ.

﴿عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ كتابَكَ يعني: القرآنَ، والآيةُ من القرآنِ: كلامٌ متصلٌ إلى انقطاعه، وتقدم الكلامُ على ذلك بأتمَّ من هذا في أولِ التفسير عندَ الكلام على معنى السورةِ والآيةِ.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: القرآنَ.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: مواعظَه وما فيه من الأحكام، وقيل: الشريعة.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهِّرُهُم من الشِّركِ والذُّنوبِ.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يَقْهَرُ ولا يُقهر، والعزَّةُ: القوةُ.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ المصيبُ مواقعَ الفعلِ، المحكِمُ لها. ثم استفهمَ منكراً بقوله:

* * *

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

[١٣٠] ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ وذلك أنَّ عبدَ الله بنَ سلامٍ دعا ابني أخيه سلمةَ ومهاجراً إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتُما أن الله ـ عز وجل ـ قال في التوراة: إني باعثٌ من وَلَدِ إسماعيلَ نبياً اسمُه أحمدُ، فمن آمنَ به، فقد اهتدى، ومن لم يؤمن به، فهو ملعونٌ، فأسلمَ سلمةُ، وأبى مهاجرٌ أن يسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾(١) أي:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩)، و«لباب النقول» للسيوطي (١/ ٢٩).

يتركُ دينَه وشريعتَه، يقال: رغبَ في الشيء: إذا أرادَه، ورغبَ عنه: إذا تركه، والمعنى: ما يرغبُ عن ملة إبراهيمَ.

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: خسرَ نفسَه، وامتهنَها، والسفاهةُ: الجهلُ وضعفُ الرأي، وكلُّ سفيهٍ جاهلٌ، وذلك أن من عبدَ غيرَ الله، فقد[1] جهل نفسَه، لأنه لم يعرفِ اللهَ خالقَها، وقد جاء: مَنْ عرفَ نفسَهُ، فقد عَرَفَ رَبَّهُ.

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخترناه.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني: مع الأنبياء في الجنة.

* * *

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾.

[١٣١] ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أي: اسْتَقِمْ على الإسلام، واثبتْ عليه؛ لأنه كان مسلماً، والعاملُ في (إذ) اصطفيناه.

﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أي: فوَّضْتُ أموري.

﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقد حَقَّقَ ذلكَ حينَ لم يستعنْ بأحدٍ من الملائكة حين أُلقي في النار.

* * *

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي: بالملة ﴿إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ﴾ وهم[2]: إسماعيلُ

---

(١) «فقد» سقطت من «ت».

(٢) في «ن»: «وهو».

من هاجرَ القبطية، وإسحاقُ من سارةَ، وستةٌ من امرأةٍ تزوَّجها من الكنعانيين بعدَ موتِ سارة اسمها قُطورا بنتُ يَقْطن[1]، وهم: مَدْيَنُ، ومَدَانُ، ويَقْشان، وزُمْرانُ، ويَشْبُق، وشُوَح. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (وَأَوْصَى) بالألف، وكذلك هو في مصاحفِ المدينةِ والشام، والباقون: مشدداً بغير ألف، وهما لغتان مثل نَزَّلَ وأَنزلَ[2].

﴿وَيَعۡقُوبُ﴾ ورفعُ (يعقوب) عطفٌ على إبراهيم، معناه: ووصَّى إبراهيمُ بنيهِ، ويعقوبُ بنيه الاثني عشر؛ كما وصَّى إبراهيمُ بنيهِ الثمانيةَ، وسيأتي ذكرُ أسماءِ بني يعقوبَ أولَ سورةِ يوسفَ، ويعقوبُ سمي بذلك؛ لأنه والعيصَ كانا توأمينِ، فتقدَّم عيصٌ في الخروج من بطن أمه، وخرج يعقوبُ على إثره آخذاً بعقبه، وعاشَ مئة وسبعاً وأربعينَ سنةً، ومات بمصرَ، وأوصى أن يُحمل إلى الأرض المقدَّسة، ويدفنَ عندَ أبيه وجدِّه، فحمله ابنُه يوسفُ ودفنَهُ عندَهما بمغارة حبرون[3].

﴿يَٰبَنِيَّ﴾ معناه: أن[4]: يا بني.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ﴾ اختار.

---

(١) في «ن»: «يقطف».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٠٩)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٦).

(٣) في «ن»: «جبرون».

(٤) في «ن»: «أي».

﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: دينَ الإسلام.

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: مؤمنون، والنهيُ في ظاهر الكلام وقعَ على[1] الموت، وإنما نُهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، معناه: داوموا على الإسلامِ حتى لا يصادفَكم الموتُ إلا وأنتم مسلمون.

* * *

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾.

[١٣٣] ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾ أي: أَكُنتم.

﴿شُهَدَآءَ﴾ جمعُ شهيدٍ بمعنى الحاضرِ، يريد: ما كنتم حضوراً.

﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: حينَ قربَ يعقوبُ من الموت. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ: (شُهَدَاءَ إِذْ) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تجعل بينَ بينَ[2]. نزلتْ إنكاراً على اليهود حينَ قالوا للنبي ﷺ: ألستَ تعلمُ أن يعقوبَ يومَ ماتَ أوصى بنيهِ باليهودية؟[3].

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدلٌ من (إذ) قبلَها، العاملُ فيهما (شُهَداءَ). ورُوي أنه

---

(١) في «ن»: «عند».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٧).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٠).

لما دخلَ يعقوبُ مصرَ، ورآهم يعبدونَ الأصنامَ، فخافَ على ولده، فقال لهم وقد جمعَهم: قد حضر أجلي[1].

﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي ﴾ أي: بعدَ موتي، و(ما) هنا بمعنى (مَنْ) يدلُّ عليه (أن).

﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ وكان إسماعيلُ عَمّاً لهم، والعربُ تسمِّي العمَّ أباً، كما تسمي الخالةَ أُمّاً، قال النبي ﷺ: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»[2]، وقال في عمه العباس: «رُدُّوا عَلَيَّ أَبِي؛ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَفْعَلَ بِي قُرَيْشٌ مَا فَعَلَتْ ثَقِيفٌ بِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ»[3]، وذلك أنهم قتلوه.

وإسحاقُ هو ابنُ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ، وأمه سارةُ، ولدتْهُ ولها تسعونَ سنةً، ولأبيهِ إبراهيمَ مئةٌ وعشرون سنةً، وكانَ إسحقُ ضريراً، وكان هو وإسماعيلُ ولوطٌ ويعقوبُ أنبياءَ على عهدِ إبراهيمَ[4] ـ صلواتُ الله عليهم أجمعين ـ، وعاش إسحاقُ مئةً وثمانين سنة، ودُفن عند أبيه بمغارة حبرون[5].

﴿ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا ﴾ نصبٌ على البدلِ من قوله: (إِلَٰهَكَ).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٠).

(٢) رواه مسلم (٩٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٩٠٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣١٤)، عن عكرمة مرسلاً. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٨٩).

(٤) في «ن»: «أبيهم».

(٥) في «ن»: «جبرون».

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ قرأ أبو عمرٍو: (وَنَحْن لَّهُ) بإدغام النون في اللام[1].

ثم أشار إلى إبراهيمَ وأولادِه المذكورينَ الموحِّدين إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ بقوله:

* * *

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ جماعةٌ.

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضتْ.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل.

﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تلخيصُه: لا يُسأل أحدٌ إلا عن عمله فقط، لا عن عملِ غيرِه.

* * *

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾.

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ نزلتْ في رؤوس يهودِ المدينة: كعبِ بنِ الأشرفِ، ومالكِ بنِ الصَّيْفِ[2]، ووَهْبِ بنِ يهوذا،

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٩).

(٢) في جميع النسخ: «الضيف».

وأبي ياسرِ بنِ أخطبَ[1]، وفي نصارى أهلِ نجرانَ: السيدِ والعاقبِ وأصحابِهما، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كلُّ فرقة تزعم أنها أَحقُّ بدين الله، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا التوراةُ أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتْ بعيسى والإنجيلِ، وبمحمدٍ ﷺ والقرآنِ، وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضلُ الأنبياء، وكتابنا الإنجيلُ أفضلُ الكتب، وديننا أفضلُ الأديان، وكفرتْ بمحمدٍ والقرآن، وقال كلُّ واحدٍ من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا، فلا دينَ إلا ذلك[2]، فقال الله ـ عزوجل ـ:

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي: بل نتبعُ ملَّةَ إبراهيمَ.

﴿حَنِيفًاۖ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: مائلاً عن الباطل إلى الحقِّ، وأَصلُه من الحَنَفِ، وهو مَيْلٌ وعِوَجٌ يكون في القدم.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهذا توبيخٌ للكفارِ أهلِ الكتاب؛ لأنهم كانوا يَدَّعون أنهم على ملَّته، وهم على الشرك.

ثم علَّم المؤمنين طريقَ الإيمان، فقال تعالى:

* * *

---

(١) في «ن»: «الأحطب».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

[١٣٦] ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾ يعني: القرآن.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ وهو عشرُ صُحُفٍ.

﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ يعني: أولادَ يعقوبَ، واحدُهم سبطٌ، وهم اثنا عشرَ سِبْطاً، سُمُّوا بذلك؛ لأنه وُلد لكلِّ واحدٍ منهم[1] جماعةٌ، وسبطُ الرجلِ: حافِدَتُهُ، ومنه قيل للحسن والحسين: سِبْطا رسول الله ﷺ، فالأسباطُ من بني إسرائيل كالقبائلِ من العرب من بني إسماعيلَ والشعوبِ من العجم، وكان في الأسباط أنبياءُ، وسنذكرُ أولادَ يعقوبَ الذين هم آباءُ الأسباطِ في سورة يوسف ـ إن شاء الله تعالى ـ.

﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ يعني: التوراة.

﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ يعني: الإنجيل.

﴿ وَمَآ أُوتِيَ ﴾ أُعْطِيَ.

﴿ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ من الكتبِ والآيات.

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعض كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ تقدَّمَ مذهبُ أبي عمرٍو في إدغام (وَنَحْن لَّهُ).

* * *

(١) «منهم» سقطت من «ن».

﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

[١٣٧] ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ أي: بما آمنتم به، والمثلُ صلةٌ؛ كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ [الشورى: ١١]؛ أي: ليسَ كهوَ شيءٌ.

﴿ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: أعرضوا عما تدعونهم إليه من الإيمان.

﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ ﴾ أي: خلافٍ وعداوةٍ.

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ يا محمدُ؛ أي: يكفيكَ شرَّ اليهودِ والنصارى، وقد كُفي بإجلاءِ بني النَّضيرِ، وقَتْلِ بني قُرَيظةَ، وضَرْبِ الجزيةِ على اليهود والنصارى.

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالهم.

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأفعالهم.

* * *

﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ أي: دينَ الله، وهو نصبٌ على الإغراء؛ يعني: الزموا دينَ الله، وإنما سماه صبغةً؛ لأنه يظهرُ أثرُ الدين على المتديِّنِ كما يظهرُ أثر الصّبْغِ على الثوب، قال ابنُ عباس: «هي أنَّ النصارى إذا وُلد لهم ولدٌ، فأتى عليه سبعةُ أيام، غمسوه في ماءٍ لهم أصفر يقال له: المعموديَّةُ، وصبغوه به، ليطهروه بذلكَ مكانَ الخِتان، فإذا فعلوا به ذلك، قالوا: الآنَ صار نصرانياً حَقّاً، فأخبرَ الله تعالى أن دينه الإسلامُ، لا ما يفعلُه النصارى(١).

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٣)، =

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ أي: ديناً.

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ مُطيعون.

* * *

﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ (١٣٩) ﴾.

[١٣٩] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لليهود والنصارى:

﴿ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾ في دينِ اللهِ، والمحاجَّةُ: المجادلةُ لإظهار الحُجَّة، وذلك أنهم قالوا: إن الأنبياءَ كانوا منا، وعلى ديننا، ودينُنا أقدمُ، فنحن أَوْلى بالله منكم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ ﴾.

﴿ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ أي: نحن وأنتم سواءٌ في الله؛ فإنه ربُّنا وربُّكم.

﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ أي: لكلِّ واحدٍ جزاءُ عملِه.

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾ يعني: كيف تدَّعون أنكم أَوْلى بالله، ونحن له مخلصون، وأنتم به مشركون؟! والإخلاصُ: أن يخلصَ العبدُ دِينَهُ[(١)] وعملَه لله، فلا يشركُ به في دينه، ولا يرائي بعمله.

* * *

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ

= و«زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ١٥١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

(١) في «ن»: «العبودية» بدل «العبد دينه».

﴿كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾.

[١٤٠] ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ يعني: أيقولون؟ صيغتُه صيغةُ الاستفهام، ومعناه التوبيخُ. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ، ورُويسٌ: (تَقُولُونَ) بالخطاب؛ لقوله: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ﴾، وقالَ بعده[1]: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾، وقرأ الباقونَ بالغيب؛ يعني: يقولُ اليهودُ والنصارى[2].

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدينهم.

﴿أَمِ ٱللَّهُ﴾ وقد أخبرَ الله تعالى أنَّ إبراهيم لم يكن يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وهذا تقريرٌ على فسادِ دعواهم؛ إذ لا جوابَ لمفطورٍ ـ [أي: مخلوق][3] ـ إلا أن الله تعالى أعلمُ. وتقدَّم اختلاف القراءة في حكم الهمزتين من كلمة عند قوله تعالى: (ءَأَنْذَرْتَهُمْ)، وكذلك اختلافُهم في قوله: (ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ).

---

(١) في «ت»: «بعد».
(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٠).
(٣) «أي: مخلوق» سقطت من «ن».

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾ أي: أخفى. قرأ أبو عمرٍو: (أَظْلَم مِّمَّنْ) بإدغامِ الميمِ في الميم[1].

﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ وهي علمُهم بأن[2] إبراهيمَ وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً حَقٌّ ورسولٌ، أشهدَهُم اللهُ عليه في كتبهم، لفظُه الاستفهامُ، والمعنى: لا أحدَ أظلمُ منهم، وإياهم أرادَ الله تعالى بكتمان الشهادة، ثم تهدَّدَهم فقال:

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ثم كرر:

* * *

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ تأكيداً.

* * *

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾.

[١٤٢] ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي: الجهَّالُ من الناس وهم مشركو مكة، واليهودُ.

﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ صرفَهم وحوَّلَهم.

---

(١) عند تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) في «ت»: «أن».

﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ يعني: بيت المقدس، والقبلةُ فِعْلَةٌ من المقابلة، سميت قبلةً؛ لأن المصلي يُقابلها وتُقابله. نزلت في الفريقين لما طعنوا في تحويلِ القبلةِ من بيتِ المقدس إلى مكةَ، فقال مشركو مكة: قد تردَّدَ على محمدٍ أمرُهُ، واشتاقَ إلى مولده، وقد يرجعُ نحوَ بلدِكم، وهو راجعٌ إلى دينكم، وقالت اليهودُ: اشتاقَ الرجلُ إلى وطنه، فقال الله تعالى:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾ بما فيهما، المعنى: إنكم تصلُّون إلى الكعبةِ وهي بالمشرق، وإلى بيتِ المقدس وهو بالمغرب، وكلها له.

﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فيوجِّهُه تارةً إلى مكةَ، وتارة إلى بيتِ المقدس، لا اعتراضَ عليه؛ لأنه المالكُ وحدَهُ. **قرأ** نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، ورُوَيْسٌ: (يَشَاءُ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، واختُلِفَ في كيفية تسهيلها، فذهب جمهورُ المتقدمين إلى أنها تبدلُ واواً خالصةً مكسورةً، وذهبَ بعضُهم إلى أنها تُجعل بينَ الهمزة والياء، وهو مذهبُ أئمةِ النحو والمتأخِّرين من القرَّاء، وهو الأَوْجَهُ في القياس. **وقرأ** الباقون، وهم الكوفيون، وابنُ عامرٍ، وروحٌ: بتحقيق الهمزتين(١).

***

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ

---

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٢).

﴿ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾.

[١٤٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ نزلت لما قال رؤساء اليهود لمعاذِ بنِ جَبَلٍ: ما تركَ محمدٌ قبلتَنا إلاَّ حسداً، وإنَّ قبلتنا قبلةُ الأنبياء، وقد علم محمدٌ أنا عدلٌ بين الناس، فقال معاذ: إنا على حقٍّ(١) وعدلٍ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾(٢)؛ أي: ومثلَ ذلكَ الجعلِ الصالحِ الذي جعلْنا إبراهِيمَ وذريتَهُ جعلناكم أمةً وَسَطاً؛ أي: عَدْلاً خِياراً، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي: خيرُهم وأعدلُهم، وخيرُ الأشياءِ أَوْسَطُها.

﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يومَ القيامة أنَّ الرسلَ قد بلَّغتهم.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ معدِّلاً مزكِّياً لكم، وذلك أن الله تعالى يجمعُ الأوَّلين والآخِرين في صعيدٍ واحدٍ، ثم يقُول لكفارِ الأمم: ألم يأتِكُمْ نذيرٌ؟ فيُنكرون ويقولون: ما جَاءَنا مِنْ بَشِيرٍ ولا نَذِير، فيسأَلُ الأنبياءَ(٣) ـ عليهم السلام ـ، فيقولون: كَذَبوا، قد بلَّغناهم، فيسألُهم البينةَ، وهو أعلم بهم؛ إقامةً للحجَّة، فيؤتى بأمة محمدٍ ﷺ، فيشهدون(٤) لهم أنهم قد بَلَّغوا، فتقولُ

---

(١) في «ن»: «الحق».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٤)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٨٩ـ٣٩٠).

(٣) «الأنبياء» ساقطة من «ت».

(٤) في «ظ»: «ليشهدون».

الأممُ الباقيةُ: من أينَ عَلِموا وإنهم أَتَوا بعدَنا؟! فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلتَ إلينا رسولاً، وأنزلتَ علينا كتاباً أخبرْتَنا فيه بتبليغ الرسل، وأنتَ صادقٌ فيما أخبرتَ، ثم يؤتىٰ بمحمدٍ ﷺ، فيسألُ عن حال أمته، فيزكِّيهم، ويشهدُ بصدقِهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أي: تحويلَها؛ يعني: بيت المقدس، فيكون من بابِ حذفِ المضاف.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ قالَ أهلُ المعاني: معناه إلا لعلمِنا، وقيل: معناه: ليعلمَ رسولي والمؤمنون به، وجاء الإسنادُ بنون العظمة إذ هم حزبُهُ وخالصتُه.

﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيوافقُه ويصدِّقه. قرأ أبو عمرٍو: (لِنَعْلَم مَّنْ) بإدغامِ الميم في الميم[1].

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ﴾ أي: يرجعُ ناكِصاً.

﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فيرتدُّ، كأنه سبقَ في علمِ الله تعالى أن تحويلَ القبلةِ سببٌ لهدايةِ قومٍ وضلالةِ آخرين، والرجوعُ على العقب أسوأ حالاتِ الراجع في مشيِه عن وجهه، فلذلك شُبِّهَ المرتدُّ في الدين به، وظاهرُ التشبيهِ أنه بالمتقهقرِ، وهي مشيةُ الحيرانِ الفازع من شَرٍّ قد قربَ منه، وفي الحديث: أنَّ القبلةَ لما حُوِّلَت، ارتدَّ قومٌ من المسلمين إلى اليهودية، وقالوا: رجعَ محمدٌ إلى دين آبائه[2]. ورُوي أنَّ أحبارَ اليهود قالوا للنبي ﷺ: إنَّ بيتَ المقدس هو قبلةُ الأنبياء، فإن صَلَّيْتَ إليها، اتبعناكَ،

---

(١) كما هو المعروف من مذهبه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٦).

فأمره الله بالصلاة إليه امتحاناً لهم، فلم يؤمنوا، والجمهورُ على أن أمرَ قبلةِ بيتِ المقدسِ كان بوحيٍ غيرِ مَتْلُوٍّ.

﴿ وَإِن كَانَتْ ﴾ أي: وقد كانت التوليةُ إلى الكعبة.

﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ أي: لثقيلةً شديدةً.

﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ أي: هداهم الله، وهم التائبون المخلصون.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ وذلك أن حُيَيَّ بنَ أخطبَ وأصحابَه من اليهود قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحوَ بيتِ المقدس، إن كانت هُدًى، فقد تحوَّلْتم عنها، وإن كانت ضَلالةً، فقد دِنْتُمُ اللهَ بها، ومَنْ مات منكم عليها، فقد ماتَ على الضلالة، فقال المسلمون: إنما الهدى ما أَمر اللهُ به، والضلالة ما نهى اللهُ عنه، قالوا: فما شهادتُكم على مَنْ مات منكُمْ على قبلتنا، وكان قد ماتَ قبلَ أن تُحَوَّلَ القبلةُ من المسلمينَ أسعدُ بنُ زُرارةَ من بني النجَّار، والبراءُ بنُ مَعْرورٍ من بني سَلِمَةَ، وكانوا من النقباء، ورجالٌ آخرون، فانطلق عشائرُهم إلى النبي ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! قد صرفَكَ اللهُ إلى قبلةِ إبراهيمَ، فكيفَ بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾(١)؛ يعني: صلاتِكم إلى بيتِ المقدس، وسمَّى الصلاةَ إيماناً لما كانت صادرةً عن الإيمان والتصديق في وقت بيتِ المقدس، وفي وقتِ التحويل.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ والرأفةُ: أشدُّ الرحمة، وخاطبَ الحاضرين، والمرادُ: مَنْ حضرَ ومن ماتَ؛ لأن الحاضر يُغَلَّبُ كما تقول

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٦)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٣٩٣).

العرب: ألم نقتلْكُم في موضع كذا؟ ومن خوطبَ لم يُقْتل، ولكنه غُلِّبَ لحضوره. **قرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وابن عامر، وحفصٌ: (لَرَؤوفٌ) بالإشباعِ على وزن فَعول، **وقرأ** الآخرون: بالاختلاس على وزن فَعُل[1].

***

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

[١٤٤] ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ والمقصدُ تقلُّب البصر، وذكر الوجه؛ لأنه أعمُّ وأشرفُ، وهو المستعمَلُ في طلب الرغائب، تقول: بذلْتُ وجهي في كذا، أو فعلتُ لوجهِ فلان، وهذه الآيةُ متأخرةٌ في التلاوة، متقدمةٌ في المعنى؛ فإنها رأسُ القصة، وأمرُ القبلة أولُ ما نُسخ من أمور الشرع، وذلك أن رسولَ الله ﷺ وأصحابه كانوا يصلُّون بمكةَ إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة، أمرَهُ الله أن يصلِّي نحوَ صخرةِ بيتِ المقدسِ كما تقدَّمَ؛ ليكونَ أقربَ إلى تصديق اليهود إياه إذا صلَّى إلى قبلتهم، مع ما يجدون من نعتِه في التوراة، فصلَّى من بعدِ الهجرةِ ستةَ عشرَ أو سبعةَ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١/ ١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٣).

عشرَ شهراً إلى بيت المقدس، وكان يحبُّ أن يتوجَّهَ إلى الكعبة؛ لأنها كانتْ قبلةَ أبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وكان اليهودُ يقولون: يخالفُنا محمد في ديننا، ويتبعُ قبلَتَنا، فجعلَ ينظرُ إلى السماءِ رجاءَ أن ينزلَ عليه الوحيُ بالتوجُّه إليها، فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ فلَنُحوِّلَنَّكَ.

﴿ قِبْلَةً ﴾ أي: إلى قبلة.

﴿ تَرْضَىٰهَا ﴾ أي: تحبُّها.

﴿ فَوَلِّ ﴾ فحوِّلْ.

﴿ وَجْهَكَ شَطْرَ ﴾ أي: نحوَ.

﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وأراد به الكعبةَ، والحرامُ: المحرَّمُ.

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾ من برٍّ أو بحرٍ، شرقٍ أو غربٍ.

﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ عندَ الصلاة، وكان تحويلُ القبلة في رَجَبٍ بعدَ زوالِ الشمسِ من السنةِ الثانيةِ من الهجرة قبلَ قتالِ بدرٍ بشهرين، ونزلتْ هذه الآيةُ ورسولُ الله ﷺ في مسجدِ بني سَلِمَةَ، وقد صلَّى بأصحابِه ركعتين من صلاة الظهرِ، فتحول في الصلاة، واستقبل الميزابَ، وحوَّلَ الرجالَ مكانَ النساء، والنساءَ مكانَ الرجال، فَسُمِّي ذلك المسجدُ مسجدَ القِبْلَتين، وأهلُ قُباء وصل الخبرُ إليهم في صلاة الصبح[2].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠)، عن مجاهد.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٨). قال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ١٩٣): «وهذا تحريف للحديث، فإن قصة بني سلمة لم يكن فيها النبي إماماً، ولا هو الذي تحول في الصلاة».

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «بَيْنا الناسُ بِقُباءَ في صلاةِ الصُّبْح إذْ جاءهم آتٍ، وقال لهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلةَ قرآنٌ، وقد أُمِرَ أَنْ يستقبلَ الكعبةَ، فاستقبِلُوها»، وكانت وجوهُهم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة[1]، فلما تحولت القبلةُ، قالت اليهود: يا محمَّدُ! ما هو إلاَّ شيءٌ تبتدعُه من تلقاء نفسك، فتارةً تصلِّي إلى بيتِ المقدس، وتارةً إلى الكعبة، ولو ثبتَّ على قبلتِنا، لكنَّا نرجو أن تكون صاحِبَنا الذي ننتظره[2]، فأنزل الله تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ﴾ يعني: أمرَ الكعبةِ.

﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ﴾ لأنه في بشارةِ أنبيائهم أنه يصلِّي إلى القبلتين، ثم هَدَّدهم فقال:

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، ورَوْحٌ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، يريد: إنكم يا معشر المؤمنين تطلبونَ مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم. وقرأ الباقونَ بالغيب؛ يعني: ما أنا بغافل عما يفعلُ اليهود، فأجازيهم في الدنيا والآخرة[3].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٥)، كتاب: أبواب القبلة، باب: ما جاء في القبلة، ومسلم (٥٢٦)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٨).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٢)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات =

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

[١٤٥] ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: اليهودَ والنصارى.

﴿ بِكُلِّ ءَايَةٍ ﴾ أي: معجزةٍ وبرهانٍ على صدقك في أمر القبلةِ وغيرِها.

﴿ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ ﴾ يعني: الكعبةَ.

﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ ﴾ لأنك على الحقِّ، وقبلتُكَ غيرُ منسوخةٍ أبداً.

﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ ﴾ لأن اليهود تستقبل بيت المقدس، وهو المغرب، والنصارى تستقبل المشرق، وقبلةُ المسلمين الكعبةُ، وكل طائفة تعتقد أن الحقَّ دينُها، ثم خوطبَ ﷺ والمرادُ غيرُه بقوله:

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ مرادَهم.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ ﴾ أي: وصلَ إليك.

﴿ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ اليقينِ من أمرِ القبلةِ وشرائعِ الإسلام.

﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وتمَّ الوقفُ هنا.

عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ»(١)، والمرادُ بالمشرِقِ: مشرقُ الشتاء في أقصرِ يوم في

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٤).

(١) رواه الترمذي (٣٤٤)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء أن ما بين المشرق والمغرب قبلة، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٠١١)، كتاب: الصلاة، باب القبلة، وغيرهما.

السنة، وبالمغربِ: مغربُ الصيفِ في أطولِ يومٍ في السنة، فأقصرُ الأيام في الشتاء يومُ آخِرِ القوسِ، وهو انسلاخُ فصلِ الخريف، وكذلكَ اليومُ الذي يليه، وهو أولُ الجَدْي افتتاحُ فصلِ الشتاء، ويأتي ذلك في شهر كيهَك من السنة القبطية، وفي شهر كانون الأول من السنة السريانية، وأطولُ الأيام في الصيف يومُ آخرِ الجَوْزاء، وهو انسلاخُ فصلِ الربيع، وكذا اليومُ الذي يليه، وهو أولُ السَّرَطانِ افتتاحُ فصلِ الصيف، ويأتي ذلك في شهر بؤنة من السنة القبطية، وفي شهر حَزيرانَ من السنة السريانية، فمن جعلَ مغربَ الصيفِ في هذا الوقتِ عن يمينه، ومشرقَ الشتاء في ذلك الوقتِ عن يساره، كان وجهُه إلى القبلة، وهذا لمن يكونُ في المدينة الشريفة ـ على الحالِّ بها أفضلُ الصلاةِ والسلام ـ، وبيتُ المقدس ومصرُ والشامُ وما والاها ممن يستقبلُ الجدارَ الشاميَّ من الكعبةِ الشريفة، وهو الذي يليه حِجْرُ إسماعيلَ ـ عليه السلام ـ وبأعلاه الميزابُ.

ومن دلائلِ القبلةِ القطبُ، وهو نجمٌ، وقيلَ نقطةٌ إذا جعلَه المصلِّي وراءَ ظهرِه بالشامِ وما حاذاها، وخلفَ أُذنه اليمنى بالمشرقِ، وعلى عاتقِهِ الأيسرِ بإقليم مصر وما والاه، كان مستقبلاً للقبلة[1]، والله أعلم.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

[١٤٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مبتدأٌ، خبره:

---

(١) في «ن»: «القبلة».

﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ والمراد: أن مؤمني أهل الكتاب عبدَ الله بنَ سلامٍ وأصحابَه يعرفون محمداً أنه نبيٌّ حقٌّ بما شاهدوه في كتبِهم.

﴿ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ من الصِّبيان، قال عبدُ اللهِ بنُ سلام: «لقدْ عرفتُ محمَّداً حينَ رأيتُهُ كمعرفةِ ابني، ومعرفتي له أشدُّ من معرفةِ ابني؛ لأن نَعْتَهُ في كتابنا، ولا أَدري ما تصنعُ النِّساءُ لولا النعتُ»(١).

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: من جُهَّالهم ومعانِديهم.

﴿ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: نعتَه ﷺ وأمرَ الكعبة.

﴿ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ وتمَّ الوقفُ هنا.

***

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾.

[١٤٧] ﴿ ٱلۡحَقُّ﴾ مبتدأ، وخبرُه:

﴿ مِن رَّبِّكَۖ﴾ أي: هذا الحقُّ.

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ الشاكِّين فيما أُخبرتَ به.

***

﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١١٩ ـ ١٢٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٣٩٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٥٧).

[١٤٨] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ أي: لكلِّ أهلِ[(١)] مِلَّة[(٢)] قبلةٌ، والوِجْهَةُ: اسمٌ للمتوجَّه إليه.

﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قرأ ابن عامر: (مُوَلَّاهَا) بفتح اللام وألف بعدها؛ أي: المستقبلُ مصروفٌ إليها، والباقون: بكسر اللام وياء بعدها على معنى مستقبِلُها[(٣)].

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ بادِرُوا بالطاعات.

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ أنتم وأعداؤكم.

﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يومَ القيامة، فيجزيكم بأعمالِكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)﴾.

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ أي: أيِّ مكانٍ.

[﴿خَرَجْتَ﴾ لسفرٍ.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ نحوَ.

---

(١) في «ت»: «أهله».

(٢) «ملة»: ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«الحجة» لابن خالويه، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٦).

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَإِنَّهُۥ﴾ أي: التولِّي.

﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو عمرٍو بالغيب، والباقون بالخطاب(١)](٢).

* * *

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

[١٥٠] ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ التكريرُ تأكيد النسخ؛ ليعلمَ أن ذلك عزمةٌ لا بدَّ من فعلِها، ثم أومأ إلى علَّة ذلك فقال:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ المعنى: أن التولية عن الصخرة إلى الكعبة يدفعُ احتجاجَ اليهود بأن المنعوتَ في التوراة قبلتُه الكعبةُ، وأن محمداً يجحدُ ديننا، ويتبعُنا في قبلتنا، والمشركينَ بأنه يدَّعي مِلَّةَ إبراهيم، ويخالف قبلته. قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ: (لِيَلاَّ) بفتح الياء بغير همز(٣).

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٦).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، «الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ استثناءٌ من الناس، وهم اليهودُ ومشركو العرب، والمرادُ بالحجة: الاعتراضُ والمجادلةُ، لا الحجةُ حقيقةً، والمجادلةُ الباطلةُ قد تسمَّى حُجَّة؛ كقوله[1]: ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى: ١٦]، أما قريشٌ تقولُ: رجعَ إلى الكعبة؛ لأنه علمَ أنها الحقُّ، وأنها قبلةُ آبائه، فهكذا يرجعُ إلى ديننا، وأما اليهودُ تقول: لم ينصرفْ عن بيتِ المقدسِ معَ علمِه أنه حقٌّ إلا أنه يعملُ برأيه.

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ ﴾ في توجُّهكم إلى الكعبة، وتظاهُرِهم عليكم؛ فإني وليُّكم بالحجَّةِ والنُّصْرَة.

﴿ وَٱخْشَوْنِي ﴾ بامتثالِ أمري؛ ثم عطفَ على قولِه ﴿ لِئَلَّا ﴾ قولَه:

﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾ بهدايتي إياكم إلى الكعبة[2] وغيرِها، ومن تمامِ النعمة الموتُ على الإسلام. ثم عطفَ على ما تقدَّم قولَه:

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ من الضلالة، ولعل وعسى[3] من اللهِ واجبان؛ لأنهما للرجاء والإطماع، والكريمُ لا يُطْمِعُ إلا فيما يفعل.

* * *

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

= (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٧).

(١) في «ت»: «لقوله».

(٢) في «ن»: «إلى الكعبة إياكم».

(٣) في «ن»: «وعسى ولعل».

[١٥١] ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ ﴾ هذهِ الكافُ للتشبيه ترجعُ إلى ما قبلَها، معناه: ولأتمَّ نعمتي عليكم كما أرسَلْنا فيكم يا معشرَ العرب.

﴿ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ أي: محمداً ﷺ.

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآنَ.

﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾ يحملُكُم على ما تصيرونَ به أَزْكِياء.

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ.

﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ السُّنَّةَ.

﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ من الأحكامِ وشرائعِ الإسلام.

* * *

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾.

[١٥٢] ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ ﴾ بطاعتي.

﴿ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ بمغفرتي. قرأ ابنُ كثيرٍ: (فَاذْكُرُونِيَ) بفتحِ الياء[١].

﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِي ﴾ بالطاعة.

﴿ وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ بالمعصية، فشكرُ المنعمِ وهو الثناءُ على الله على إنعامِه واجب شَرْعاً بالاتفاق، لا عقلاً، فمن لم تبلُغْه دعوةُ نبيٍّ، لا يأثمُ بتركِه، خلافاً للمعتزلة. قرأ يعقوبُ (تَكْفُرُونِي) بإثبات الياء[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص:٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء =

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾.

[١٥٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ على تركِ المعاصي.

﴿ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ بالعَوْنِ والنُّصْرَة.

***

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ ﴾.

[١٥٤] ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ ﴾ أي: هم أمواتٌ.

﴿ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ نزلتْ في قتلى بَدْرٍ من المسلمين، وكانوا أربعةَ عشرَ رجلاً، ستةٌ من المهاجرين، وثمانيةٌ من الأنصار، فقيل: ماتَ فلانٌ وفلانٌ، وانقطع عنهم نعيمُ الدنيا، فأنزلها الله(١)، كما قالَ في شهداء أحد: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

***

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾.

[١٥٥] ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم ﴾ لنختبرَنَّكُمْ يا أمةَ محمد؛ ليظهرَ لكم منكمُ

= البشر» للدمياطي (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٦).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣)، وانظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٢٤)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٤٠٣).

المطيعُ من العاصي، لا لنعلمَ شيئاً لم نكنْ عالمين به.

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ أي: خوفِ العدوِّ.

﴿وَٱلْجُوعِ﴾ أي: القَحْطِ.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بالخسرانِ والهلاكِ.

﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالقتلِ والموتِ.

﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالجائِحَةِ، وهي ما يستأصِلُ الشيءَ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يا محمدُ على البلايا والرزايا، ثم وصفهم فقال:

* * *

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

[١٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي: نائبةٌ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ عَبيداً ومُلْكاً.

﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخرة، وفي الحديثِ: «مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصِيبَةِ، جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ»(١).

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

[١٥٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهلُ هذهِ الصِّفَةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٨٩)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي: رحمةٌ؛ فإنَّ الصلاةَ من الله رحمةٌ، وجمع[1] الصلوات؛ أي: رحمةٌ بعدَ رحمةٍ.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ذكرها تأكيداً. قرأ الكسائيُّ: (وَرَحْمِهْ) بإمالة الميم حيث وقف على هاء التأنيث[2].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الاسترجاعِ، وإلى سعادةِ الدارين.

* * *

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

[١٥٨] ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا﴾ جمعُ صَفاةٍ، وهي الصخرةُ الصُّلبة الملساءُ.

﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الحجرُ الرخْوُ، والمراد بهما: المكانان المعروفان بطرَفي المسعَى بمكةَ المشرفة. قرأ الكسائيُّ: (وَالمَرْوِهْ) بإمالةِ الواو حيثُ وقف على هاء التأنيث.

﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أَعلام دينِه فالمطافُ والمواقفُ والمناحرُ كلُّها شعائرُ[3]، ومثلُها المشاعر، والمرادُ بالشعائر هاهنا: المناسكُ التي جعلها الله أَعلاماً لطاعته.

﴿فَمَنْ﴾ شرطٌ محلُّها رفعٌ ابتداءً.

﴿حَجَّ﴾ أي: قصدَ.

﴿ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ أي: زارَ، فالحجُّ في اللغةِ: القصدُ، وفي الشرع:

---

(١) في «ن»: «وجميع».

(٢) انظر «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٨).

(٣) في «ن»: «من شعائر».

اسمٌ لأفعالٍ مخصوصةٍ، والعمرةُ في اللغة: الزيارةُ.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ فلا إثمَ.

﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ أي: يدورَ.

﴿بِهِمَا﴾ وأصل الطواف المشيُ حولَ الشيء، والمرادُ هنا: السعيُ بينَهما، وسببُ نزولِ هذه الآية: أنه كان على الصفا والمروةِ صنمانِ يَسافُ ونائلةُ، وكان يسافُ على الصَّفا، ونائلةُ على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينَ الصفا والمروة تعظيماً للصَّنمين، ويمسحونهما، فلما جاء الإسلامُ، وكُسرت الأصنام، فتحرَّجوا السعيَ بينَ الصفا والمروة لأجل الصنمين، فأذنَ الله فيه، وأخبرَ أنه من شعائر الله(١).

واختلفَ العلماءُ في حكم هذه الآية ووجوب السعي بينَ الصفا والمروة في الحجِّ والعمرة، فعند مالكٍ والشافعيِّ وأحمَد أنه ركنٌ لا يتمُّ الحجُّ إلا به، وعند أبي حنيفة أنه واجبٌ، وليس بركنٍ، وعلى من تركَهُ دمٌ.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: من تبرَّع بما لم يجبْ عليه، وتقديرُه: بخيرٍ، فلما حُذفَ الجارُّ، تعدَّى الفعلُ، فنصبَ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يَطَّوَّعْ) بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، بمعنى يتطوَّعْ(٢). وقرأ الآخرون: بالتاء وفتح العين على الماضي(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٥٦١)، كتاب: الحج، باب: وجوب الصفا والمروة، ومسلم (١٢٧٧)، كتاب: الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلاَّ به، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) في «ت»: «يطوع».

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس =

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ أي: مجازٍ له.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته، والشكرُ من الله أن يعطيَ فوق ما يستحقُّ، يشكرُ اليسيرَ، ويعطي الكثيرَ.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

[١٥٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ﴾ نزلت في علماء اليهود، كتموا صفةَ محمدٍ ﷺ، وآيةَ الرجم، وغيرَها من الأحكام التي كانت في التوراة[١].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يُبعدهم الله عن رحمته، وأصلُ اللعنِ: الطردُ.

﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ أي: يسألون الله أن يلعنهم يقولون: اللهم العنهم، واللاعنون الثقلان والملائكة، ثم استثنى فقال:

***

= (٢/ ٢٢٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٠)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣٩، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٢٩).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٠)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٤١١).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾.

[١٦٠] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ من الكفرِ، وأسلَموا.

﴿ وَأَصۡلَحُواْ ﴾ الأعمالَ بينهم وبينَ الله.

﴿ وَبَيَّنُواْ ﴾ أي: أظهروا ما كَتَموا.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ أتجاوزُ عنهم، وأقبلُ توبتَهم.

﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ﴾ الرَّجَّاعُ بقلوبِ عبادي المنصرفةِ عني إليَّ.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بهم بعدَ إقبالهم عليَّ، والتوبة: حلُّ عَقْدِ الإصرارِ على الذنب وربطُ العزيمةِ بالقلبِ على البعدِ عن مقاربتهِ، مع الندمِ عليه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾.

[١٦١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من الكاتمين، ولم يتوبوا.

﴿ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ لأن الله تعالى يلعنُهم يومَ القيامة، ثم يلعنُهم الملائكةُ، ثم يلعنُهم الناسُ، والظالمُ يلعنُ الظالمينَ، ومن لعنَ الظالمين وهو ظالمٌ، فقد لعنَ نفسَه.

* * *

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾.

[١٦٢] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ ﴾ مقيمينَ في اللعنةِ، أو في النارِ.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: لا يُرفع عنهم.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُمْهَلون[1] فيعتذرون.

ولما قالَ كفارُ قريشٍ لمحمدٍ ﷺ صِفْ لنا ربَّكَ، نزلَ:

* * *

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾.

[١٦٣] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿إِلَٰهٌ﴾ وصفة الخبر:

﴿وَاحِدٌ﴾ فردٌ لا نظيرَ له في ذاته، ولا شريكَ له في صفاته.

﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ تلخيصُه: الألوهيةُ مختصَّةٌ به.

ولما سمعَ المشركون هذهِ الآيةَ، قالوا له ﷺ: إن كنتَ صادقاً، فَأْتِ بآية يُعْرَفُ[2] بها صِدْقُك، فنزل:

* * *

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[3] جمعَ السمواتِ؛ لأن كلَّ

---

(١) في «ن»: «لا يجهلون».

(٢) في «ن»: «نعرف».

(٣) انظر: «شعب الإيمان للبيهقي» (١٠٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٥)، =

سماء ليست من جنس الأخرى، ووحَّدَ الأرضَ؛ لأنها من جنسٍ واحد، وهو الترابُ.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: تَعاقُبهما في الذهابِ والمجيء، والزيادةِ والنقصانِ، والنورِ والظلمة.

﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السُّفُن، واحده وجمعه سواء، فإذا أُريدَ به الجمعُ يؤنَّثُ، وفي الواحدة يُذَكَّر، قال الله تعالى في الواحدةِ والتذكير: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٤٠]، وقال في الجمعِ والتأنيثِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ﴾ [يونس: ٢٢].

﴿ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ مُوقَرَةً لا ترسُبُ؛ أي: لا تجلس تحت الماء.

﴿بِمَا﴾ أي: بالذي.

﴿يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الحمل فيها، والركوبِ عليها.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ أي: مطر.

﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ أي: بالماء.

﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يبسها.

﴿وَبَثَّ﴾ أي: فرَّقَ.

﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأن بثَّ الدوابِّ يكونُ بعدَ حياةِ الأرضِ بالمطر؛ لأنهم ينمونَ بالخصب، ويعيشون بالمطر، والدابَّةُ: كُلُّ ما يَدُبُّ.

﴿وَتَصْرِيفِ﴾ أي: وتَنْقيلِ.

= و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٣٩٥).

﴿ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ من مهابِّها قَبولاً ودَبوراً، وجَنوباً وشَمالاً، وحارةً وباردةً، وعاصفةً ولَيِّنَةً، وعَقيماً ولاقِحاً، وغير ذلك. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرِّيحِ) بغير ألف على التوحيد. والباقون: بالألف على الجمع[1]. والريحُ أعظمُ جندِ الله تعالى، وتذكَّرُ وتؤنَّثُ، وسُمِّيت ريحاً؛ لأنها تريح النفوس، والرياحُ ثمانية: أربعةٌ للرحمة، وهي: المبشِّراتُ، والناشِراتُ، والذارياتُ، والمرسَلاتُ، وأربعة للعذاب: وهي: العقيمُ، والصَّرْصَرُ في البرِّ، والعاصِفُ والقاصِفُ في البحر.

﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ ﴾ أي: المقيمِ المذَلَّلِ للرياح، سُمِّيَ سَحاباً؛ لأنه يُسْحَبُ؛ أي: يسيرُ في سرعة كأنه ينسحبُ؛ أي: يُجرُّ.

﴿ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ تقلِّبه في الجوِّ كيفَ شاءتْ بمشيئة الله تعالى، فيمطِرُ[2].

﴿ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ينظرونَ بعقولهم، فيعلمون أنَّ لهذه الأشياء خالِقاً وصانِعاً، فيوحِّدونه، فبعدَ ثُبوتِ الألوهيةِ عَنَّفَ الكفارَ أَنْ عبدوا غيرَهُ، ووصفَ الأبرارَ فقال:

***

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣١).

(٢) في «ن»: «فتمطر».

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾.

[١٦٥] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: المشركين.

﴿ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: أصناماً يعبدونها.

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ أي: يحبون آلهتهم كحبِّ المؤمنين لله تعالى، ثم فضَّلَ محبةَ المؤمنين[١] بقوله:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من حبِّ الكفارِ الأندادَ؛ لأن المؤمنين لا يعدِلُون عن الله تعالى بكلِّ حالٍ، والكافرون يَعْدِلون عن أربابهم في الشدائد إلى الله تعالى، وإذا اتَّخذوا صَنَماً، ثم رأوا أحسنَ منه، طرحوا الأولَ، واختاروا الثاني.

﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (تَرَى) بالتاء خطاباً للنبي ﷺ، معناه: لو ترى يا محمدُ الذين ظلموا؛ أي: أشركوا، في شدةِ العذاب، لرأيتَ أمراً عظيماً. وقرأ الباقون: (يَرَى) بالياء، معناه: ولو يرى الذين ظلموا أنفسَهم عندَ رؤية العذابِ، لعرفوا مَضَرَّةَ الكفر[٢].

---

(١) في «ن»: «المؤمنين محبة».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١١٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٢٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (١٧٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢).

﴿ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾ بالعينِ يومَ القيامة. قرأ ابنُ عامرٍ: (يُرَوْنَ) بضمِّ الياء مجهولاً، والباقون: بفتحها معلوماً[1]، و(إذ) للماضي، ووقعت هنا للمستقبَل؛ لأنَّ خبر الله عن المستقبَل في الصحة كالماضي.

﴿ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ﴾ أي: القدرةَ الإلهيةَ والغلبةَ.

﴿ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ معناهُ: لرأوا وأيقنوا أنَّ القوةَ لله. قرأ أبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (إِنَّ القُوَّةَ)، و(إِنَّ الله) بكسر الألف فيهما على الاستئناف[2].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ وتبدلُ من ﴿ إِذۡ يَرَوۡنَ﴾.

* * *

﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ (١٦٦)﴾.

[١٦٦] ﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم الرؤساءُ المقتدَى بهم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[3].

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ هم الأتباع، وأصل التبرؤ: التخلُّص.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٢٨)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٢).

(٣) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٣).

﴿ وَرَأَوُا۟ ﴾ أي: تبرؤوا في[1] حالِ رؤيتِهم.

﴿ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ﴾ أي: عنهم.

﴿ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ الوصُلاتُ التي كانت بينهم في الدنيا؛ من القرابات، والموالاة، والمخالَّةِ، وصارتْ عداوةً.

***

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ ﴾ يعني: الأتباع.

﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ رجعةً إلى الدنيا.

﴿ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ أي: من المتبوعين.

﴿ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ﴾ اليومَ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما أراهم العذاب كذلك.

﴿ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ كتبرُّؤ[2] بعضِهم من بعض.

﴿ حَسَرَٰتٍ ﴾ نداماتٍ.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ جمعُ حَسْرة.

﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ لأنهم خُلِقوا لها.

---

(١) في «ن»: «أي».

(٢) في «ن»: «كتبري».

ونزلَ في ثقيفٍ وخُزاعةَ وغيرِهم ممَّنْ حَرَّمَ على نفسِه الوصيلةَ والبَحِيرةَ وغيرَهما:

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾.

[١٦٨] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (مِنْ) تبعيض؛ لأن ليس كلُّ ما فيها يؤكَلُ.

﴿حَلَـٰلًا﴾ الحلال: ما لا يُعاقَبُ عليه، وهو ما أطلقَ الشرعُ فعلَه، مأخوذٌ منَ الحلِّ، وهو الفتحُ.

﴿طَيِّبًا﴾ طاهراً من جميع الشُّبَهِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ آثارَه وطرقَه. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وحفصٌ، ويعقوبُ، وقنبلٌ (خُطُوَاتِ) بضم الطاء حيثُ وقع، والباقون: بسكونها[1].

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ مظهرُ العداوةِ بيِّنُها، ثم ذكر عداوته فقال:

* * *

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٣).

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾.

[١٦٩] ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ أي: الإثمِ، وأصلُه: ما يَسُوءُ صاحِبَهُ.

﴿ وَٱلْفَحْشَآءِ ﴾ وهي أقبحُ المعاصي وأخبثُها.

﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من تحريمِ الحرثِ والأنعامِ وغيرِهما؛ لأنه لا علمَ لكم بذلك.

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

[١٧٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ في تحليلِ ما حَرَّموا على أنفسِهم من الحرثِ والأنعامِ والبَحيرةِ والسائبةِ، والهاءُ والميم في (لَهُمْ) عائدةٌ على الناس في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ﴾.

﴿ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ ﴾ قرأ الكسائيُّ: (بَل نَّتَّبِع) بإدغام اللام في النون(١).

﴿ مَآ أَلْفَيْنَا ﴾ وجَدْنا.

﴿ عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ في التحريم والتحليل، قال الله تعالى:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ أي: كيف يَتَّبعون آباءهم، وآباؤهم ﴿ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا ﴾ من الدِّين.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٥).

﴿ وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ للصواب، المعنى: أيتبعونهم ولو كانوا ضلالاً؟!

ثم ضرب لهم مثلاً، فقال ـ جل ذكره ـ:

* * *

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ﴾ النَّعيقُ: صوتُ الراعي بالغنم، وهي لا تسمعُ إلا صوتاً وزَجْراً، ولا تفقهُ شيئاً آخَرَ، وكذلك الكفارُ في دعاءِ النبيِّ لهم إلى الهداية، فمعنى الآية: مثلُكَ يا محمدُ في دعائِكَ الكفارَ إلى الهداية، وعدمِ هدايتهم، كمثلِ الذي يُصَوِّتُ.

﴿ بِمَا لَا يَسۡمَعُ﴾ منه كالبهائم.

﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ﴾ تلخيصُه: لا ينتفعُ الكفارُ بشيء من وَعْظِكَ يا محمدُ، وإن سمعوا صوتَكَ.

﴿ صُمُّۢ﴾ تقول العرب لمن يسمعُ ولا يعقلُ: كأنه أصمُّ.

﴿ بُكۡمٌ﴾ عن الخيرِ لا يقولونه.

﴿ عُمۡىٌ﴾ عن الهدى لا يُبْصرونه.

﴿ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ الموعظةَ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

[١٧٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ أي: حلالاتِ.

﴿ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ أي: كلوا رزقكم.

﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾ على نعمه.

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

ثم بين المحرَّماتِ فقال:

* * *

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) ﴾.

[١٧٣] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ وهي ما لم تُدْرَكْ ذكاتُها مما[١] يُذْبَحُ. قرأ أبو جعفرٍ: (الميِّتَةَ) بالتشديد في كلِّ القرآن[٢].

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾ أي: واستثنى الشارعُ من الميتةِ السمكَ والجرادَ، ومن الدَّمِ الكبدَ والطِّحالَ، فأحلَّهما.

﴿ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ أي: جميعَ أجزائِه، فعبَّرَ عن ذلكَ باللحم؛ لأنه معظَمُهُ.

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ذُكِر عليه اسمُ غيرِ الله، وهو ما ذُبِحَ للأصنامِ والطواغيتِ، وأصلُ الإهلالِ: رفعُ الصوتِ، وكانوا عندَ ذبحِهم لآلهتِهم يرفعون أصواتَهم بِذِكْرِها.

---

(١) في «ن»: «بما».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٦).

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: أُلْجِىء وأُحْوِجَ إلى أكلِ الميتة، وحَدُّ الاضطرارِ أن يخافَ على نفسِه، أو على بعضِ أعضائِه التلفَ، فليأكُلْ. **قرأ** نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَمَنُ اضْطُرَّ) بضمِّ النون، وأبو جعفر: بكسر الطاء[١].

﴿غَيْرَ﴾ نصبٌ [على][٢] الحال.

﴿بَاغٍ﴾ أي: خارجٍ على السلطان، وأصلُ البغيِ: الفسادُ.

﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: عاصٍ بسفره، روي عن يعقوبَ الوقفُ بالياء على (بَاغِي) وَ(عَادِي)[٣]، وأصلُ العدوانِ: الظلمُ، فلا يجوزُ للعاصي بسفرِهِ أكلُ الميتةِ للضرورة، ولا الترخُّصُ برُخَصِ المسافرينَ عند الشافعيِّ، ومالكٍ، وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفة، واختلفوا في مقدارِ ما يحلُّ للمضطرِّ أكلُه من الميتة، فقال مالكٌ: يأكل حتى يشبعَ، وقالَ الثلاثةُ: يأكلُ مقدارَ ما يُمسِكُ رمقَهُ، وجوابُ (فَمَن):

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ أي: لا حَرَجَ عليه في أكلِها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن أكلَ في حالِ الاضطرار.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣)، «معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٦).

(٢) «على» لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٣١).

﴿رَّحِيمٌ﴾ بترخيصه ذلكَ.

ونزل لمّا غيَّرَ علماءُ اليهودِ صفةَ محمدٍ ﷺ؛ خوفاً على فواتِ رياسَتِهم ومآكلِهم التي كانوا يصيبونها من سِفْلَتِهم رجاءَ أن يكونَ النبيُّ المبعوثُ منهم[1]:

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾.

[١٧٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: صفةَ محمدٍ ﷺ ونبوَّتَهُ.

﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالمكتوبِ.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضاً يسيراً، يعني: المآكلَ التي يصيبونها من سِفْلَتهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا﴾ ما يُؤَدِّيهم.

﴿ٱلنَّارَ﴾ وهو الرِّشْوَةُ والحرامُ، فلمَّا كان ذلكَ يُفضي بهم إلى النار، فكأنهم أكلوا النارَ.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالرحمة، وبما يَسُرُّهم إنما يكلِّمُهم بالتوبيخِ.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يُطَهِّرُهم[2] من دَنَس الذنوب.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: مؤلِم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

(٢) في «ن»: «تطهيرهم».

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ﴾.

[١٧٥] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ أي: استبدلُوا الكفر بالإيمان.

﴿ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ ﴾ قرأ السوسي، ورُوَيْسٌ (وَالعَذَاب بِّالمَغْفِرَةِ) (الكِتَاب بِّالحَقِّ) بإدغامِ الباء في الباء(١)، ثم أعجبَ من حالهم وملازمتِهم ما يُوجبُ لهم النارَ، فقال:

﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ وأصلُ الصبرِ: الإمساكُ في ضيقٍ.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦ ﴾.

[١٧٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: العذابُ مبتدأ، خبرُه:

﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي: بسببِ أنَّ الله.

﴿ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: الكتبَ.

﴿ بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ بما لا شكَّ فيه ولا تناقضَ، فاختلفوا فيها، فآمنوا ببعضٍ، وكفروا ببعض.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍ ﴾ خلافٍ.

﴿ بَعِيدٖ ﴾ عن الهدَى.

---

(١) انظر: تفسير الآية (٢٠) من سورة البقرة.

ولما صَلَّى اليهودُ نحوَ المغربِ، وادَّعَوْا أنه البِرُّ، والنصارى نحوَ المشرقِ، وادَّعَوْا أنه البِرُّ، نزلَ ردّاً عليهم:

***

﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

[١٧٧] ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ وهو كلُّ عملِ خيرٍ يُفضي بصاحبِه إلى الجنة، وأصلُه: التوسُّعُ في فعلِ الخير. قرأ حمزةُ، وحفصٌ: (البِرَّ) بنصبِ الراء، والباقون: برفعها، فمن قرأ بالرفع، جعل البرَّ اسمَ ليس، وخبرُها (أن تولوا)، ومن قرأ بالنصب، جعلَ (أن تولوا) الاسمَ[١].

﴿أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ المعنى: ليس البرُّ صلاتِكم إلى غيرِ القبلة.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي: وإنما البر. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ بتخفيفِ النون[٢]، ورفعِ الراء مبتدأ، خبرُه:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٦٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٢)، و«الكشف» =

﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني: الكتبَ المنزلةَ.

﴿ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ أجمعَ.

﴿ وَءَاتَى ﴾ أي: أعطى.

﴿ ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ أي: حبِّ المال في حال صِحَّته ومَحَبَّتِهِ.

﴿ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أهلَ القرابة، وقدَّمهم؛ لأنهم أحقُّ.

﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ هو المسافرُ، سُمِّي به لملازمتِهِ الطريقَ.

﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ المستطْعِمين.

﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ المكاتَبين.

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ﴾ أي: أعطى ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ ﴾ فيما بينَهم وبينَ الله ـ عز وجل ـ، وفيما بينَهم وبينَ الناس.

﴿ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ إذا وَعَدُوا[1] أَنْجزوا، وإذا حَلَفوا أو نَذَروا أَوْفَوا، وإذا قالوا صَدَقوا، وإذا ائْتُمِنوا أَدَّوْا.

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ منصوبٌ على المدح، والعربُ تنصبُ الكلام على المدح والكرم؛ كأنهم يريدون إفرادَ الممدوحِ والمذمومِ، ولا يُتبعونه أولَ الكلام وينصبونه.

= لمكي (١/ ٢٨١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٧).

(١) في «ن»: «توعدوا».

﴿ فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الشدَّةِ والفقرِ.

﴿ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرضِ والزَّمانةِ.

﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ﴾ القتالِ والحربِ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾ فيما عاهدوا ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ محارمَ الله.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

[١٧٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾ فُرِضَ.

﴿ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ المساواةُ.

﴿ فِي ٱلْقَتْلَىۖ ﴾ والقصاصُ: المماثلةُ في الجراحِ والدِّيات، وأصلُه من قَصَّ الأثرَ: إذا تَبِعَهُ، وهو أن يُفعل بالجاني مثلُ ما فَعل، وسببُ نزولها أنه كان بين حَيَّين في الجاهلية جراحاتٌ ودياتٌ لم تُسْتَوْفَ حتى جاءَ الإسلام، فأقسمَ أحدُ الحيينِ ليقتلنَّ[١] بالرجلِ الواحد الرجلينِ، فنزلَت[٢].

﴿ ٱلْحُرُّ﴾ مبتدأ، خبرُه تقديره: مأخوذ.

---

(١) في «ن»: «ليقتل».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٣٨).

﴿بِٱلْحُرِّ﴾ كذلك ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ اختلفَ الأئمةُ في حكم الآية، فمالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ ـ رضي الله عنهم ـ لا يقتلون الحرَّ بالعبد، ولا المؤمنَ بالكافر، ويجعلون هذه الآيةَ مفسِّرَةً للمبهَم في قوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، ولأن تلكَ حكايةُ ما خوطبَ به اليهودُ في التوراة، وهذه خطاب للمسلمين، وما فرض عليهم فيها، واستثنى مالك فقال: إلا أن يقتلَ المسلمُ الكافرُ غيلةً، فيُقتلُ به، وأبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ يقتلُ الحرُّ بالعبدِ، والمؤمنَ بالكافر، يجعلُ(١) هذه الآية منسوخَةً بقوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، وبدليل ما رُوي: «المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ»(٢)، ولأنَّ التفاضُلَ في الأنفسِ(٣) غيرُ معتبَرٍ؛ بدليلِ قتلِ الجماعةِ بالواحدِ بالاتفاق، واتفقوا على أنه يُقْتَل الذكرُ بالأنثى، وعكسُه، والصغيرُ بالكبير، والصحيحُ بالأعمى، وبالزَّمِنِ، وبناقِصِ الأطرافِ، وبالمجنونِ.

ونقل الزمخشريُّ في «كَشَّافِه» أنَّ مذهبَ مالكٍ والشافعيِّ لا يقتل الذكرُ بالأنثى؛ أخذاً بهذه الآية(٤)، وهو وهمٌ؛ فإن مذهبَهما يُقْتَلُ الذكرُ بالأنثى، وعكسُه، وقد صرَّحَ بذلك علماءُ المذهبَيْنِ في كتبِهِم المبسوطاتِ والمختصراتِ.

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ أي: تُرِكَ له، وصُفِحَ عنهُ من الواجِبِ عليه،

---

(١) في «ن»: «ويجعل».

(٢) رواه أبو داود (٢٧٥١)، كتاب: الجهاد، باب: في السرية ترد على أهل العسكر، وابن ماجه (٢٦٨٥)، كتاب: الديات، باب: المسلمون تتكافأ دماؤهم، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) في «ت»: «النفس».

(٤) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٤٦).

وهو القصاصُ في قتل العمد، ورُضي منه بالدية، وأصلُ العفوِ: المحوُ والتجاوزُ، وقولُه: (مِنْ أَخيهِ)؛ أي: من دم أخيهِ المقتولِ، وقولُه: (شيءٌ) دليلٌ على أن بعض الأولياء إذا عَفَا، سقطَ القَوَدُ، وتَعَيَّنَتِ الدِّيَةُ؛ لأنَّ شيئاً من الدم قد بطلَ، وهو قولُ الثلاثة، وقال مالكٌ: إن عَفَا بعضُ مَنْ له الاستيفاءُ، فإن كانَ الجميعُ رجالاً، سقطَ القودُ، وإن كُنَّ نساءً، نظرَ الحاكمُ، فإن كانوا رجالاً ونساءً، لم يسقطْ إلا بهما، أو ببعضِهما، وإلا فالقولُ قولُ المقتصِّ، ومهما سقطَ البعضُ، تعيَّنَ لباقي الورثة نصيبُهم من ديةِ عمدٍ.

﴿فَٱتِّبَاعُۢ﴾ أي: على الطالبِ للدياتِ الاتباعُ.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فلا يأخذُ منه أكثرَ من الدية، ولا يطالبُه بعنفٍ.

﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ﴾ أي: على المطلوبِ منه أداءُ الديةِ إلى وليِّ الدمِ.

﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ بلا مماطلةٍ ولا بَخْس، وهذا تأديبٌ للقاتل، ولوليِّ الدمِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكورُ من العفوِ وأخذِ الدية.

﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لأن القصاص كان حتماً على اليهود، وحُرِّمَ عليهِمُ العفوُ والديةُ، وكانتِ الديةُ حَتْماً على النصارى، وحُرِّمَ عليهم القصاصُ، فَخيِّرَتْ هذه الأمةُ بينَ الأمرين تخفيفاً ورحمةً.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ أي تجاوزَ ما شُرِعَ، فقتلَ الجانيَ بعدَ العفوِ وقَبولِ الدية، أو قتلَ غيرَ القاتلِ.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدَ أخذِ الدية.

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

[١٧٩] ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أي: بقاءٌ؛ لأنه يزجُرُ عن القتل.

﴿ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ العقولِ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي: تنتهونَ عن القتل مخافةَ القَوَد. وفي معنى قولِه تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسُنِ الناس: القَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ.

***

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

[١٨٠] ﴿ كُتِبَ ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ أي: أسبابُه من الأمراضِ.

﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ أي: مالاً.

﴿ ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ والفاءُ مقدرة؛ أي: فالوصيةُ رفع مبتدأ، خبرُه:

﴿ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ كانت فريضةً في ابتداء الإسلام، ثم نُسخت بآيةِ الميراثِ، وبقولِ النبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»(١) ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي: بالعدلِ، لا يزيدُ على الثلثِ، ولا يوصي لغنيٍّ ويدعُ الفقيرَ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٧٠)، كتاب: الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوارث، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٧١٣)، كتاب: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وغيرهم عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿حَقًّا﴾ نصبٌ على المصدَر؛ أي: جَعَلَ الوصيةَ حقاً.

﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ.

***

﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾.

[١٨١] ﴿فَمَنۢ﴾ شرطٌ مبتدأ.

﴿بَدَّلَهُۥ﴾ غيَّرَ الإيصاءَ.

﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي: قولَ الموصي، والجوابُ:

﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي: حرجُ الإيصاءِ المبدَّلِ.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ والميتُ بريءٌ منه ثم تهدَّدَ المبدِّلَ بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِما وَصَّى به الموصي.

﴿عَلِيمٌ﴾ بتبديل المبدِّلِ.

***

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: علم.

﴿مِن مُّوصٍ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (مُوَصٍّ) بفتح الواو وتشديد الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقرأ الباقون: بسكون

الواو وتخفيف الصاد؛ لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾[1] [النساء: ١١].

﴿جَنَفًا﴾ أي: عُدولاً عن الحقِّ، وأصلُه: الميل.

﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ظلماً.

﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الموصَى لهم.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الحاضر أو وليِّ أمورِ المسلمينَ أن يأمرَ الموصِيَ بالعدل بينَ الموصَى لهم، أو يصلحَ بعدَ موتِهِ بينَ ورثَتِهِ وبينَ الموصَى له، ويردَّ الوصيةَ إلى العدلِ والحقِّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وعدٌ للمصلح.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.

[١٨٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ أي: فُرِضَ.

﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ وأصلُه في اللغة: الإمساكُ، وفي الشرعِ: إمساكٌ عن أشياءَ مخصوصةٍ بنيَّةٍ في زمنٍ معيَّنٍ من شخصٍ مخصوصٍ. ثم بيَّنَ أن

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٠).

هذا الصيام؛ أعني: ثلاثين يوماً، كان مفروضاً على من تقدَّمنا، ولم نُخَصَّ به بقوله:

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء والأممِ، وكان صيامُ مَنْ تقدَّمنا من العتمة إلى الليلة القابلة، وكان النصارى قد يقع صيامهم في الحرِّ الشديد، فيشُقُّ عليهم، فجعلوه في الربيع، وزادوه عَشْراً كفارةً لِما صنعوا، ثم مرض ملكُهم فبرئ، فأتمَّهُ خمسين.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ما لم يَجُزْ شرعاً.

***

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾ ظرفٌ لكُتِبَ؛ كقولك(١): نويتُ الخروجَ يومَ الجمعة.

﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ مُوَقَّتاتٍ بعددٍ، وكان في ابتداء الإسلام صومُ ثلاثةِ أيام من كلِّ شهرٍ واجباً، وصومُ عاشوراء، فَنُسِخَ بصيام رمضان، وأولُ ما نُسِخَ بعدَ الهجرةِ أمرُ القبلةِ والصومِ، وفُرِضَ رمضانُ في السنة الثانية من الهجرة إجماعاً، فصام ـ عليه السلام ـ تسعَ رمضاناتٍ إجماعاً.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: راكب سفر.

---

(١) في «ت»: «كقوله».

﴿فَعِـدَّةٌ﴾ مبتدأ، خبرُه محذوف، تقديره، ومعناه: فأفطرَ، فعليه صيامُ عددِ أيامِ فطرِه.

﴿مِّنْ أَيَّامٍ﴾ نعتٌ لعِدَّة.

﴿أُخَرَ﴾ غيرِ أيامِ مرضِه وسفرِه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: على الذين يقدرون على الصيام، وهم مَنْ[1] لا عذرَ له في الفطر، فعليه إن أفطر:

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لأنهم كانوا قد خُيِّروا في ابتداء الإسلام بينَ أن يصوموا وبينَ أن يفطروا ويفتدوا، فَنُسِخَ التخييرُ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامر: (فِدْيَةُ طَعَامِ) بالإضافة (مَسَاكِينَ) على الجمع بألف[2] بعدَ السين، وافقهم هشامٌ في جمع مساكين. وقرأ الباقون: (فِدْيَةٌ) منونةً (طَعَامُ) رفعٌ (مِسْكِينٍ) على التوحيد، فمن جمعَ، نصبَ النونَ، ومن وحَّدَ، خفضَ النونَ، ونوَّنَها[3]، وهي ثابتةٌ في حقِّ مَنْ كان يطيقُ في حالِ الشبابِ، ثم عجزَ لكبرِه، فله أن يُفطرَ ويفتديَ عندَ الثلاثة، وعندَ مالكٍ يفطرُ ولا فديةَ

---

(١) في «ن»: «ممن».

(٢) في «ن»: «بالألف».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٢ـ٢٨٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٢).

عليه، لكنْ تستحَبُّ. والفديةُ: الجزاءُ، وهو أن يُطعمَ عن كلِّ يومٍ أفطرَ مسكيناً مُدّاً مِنْ بُرٍّ، وهو رِطْلٌ وثُلُثٌ بالعراقيِّ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ نصفُ صاعٍ بُرّاً، أو صاعٌ من غيره، وقدر الصاعِ عندَه ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقيِّ.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: زادَ على مسكينٍ واحدٍ، أو زادَ على الواجبِ عليه.

﴿فَهُوَ﴾ أي: فالتطوُّعُ.

﴿خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلف: (يَطَّوَّعْ)[1] أي: يَتَطَوَّعْ، ومحلُّ ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ رفعٌ مبتدأ، خبرُه:

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: والصيامُ خيرٌ من الفديةِ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ، والحاملُ والمرضِعُ إذا خافتا على وَلَدَيهما وأَنْفُسِهما، أَفْطَرتا، وقَضَتا[2] بالاتفاق، ولا فديةَ عليهِما عندَ أبي حنيفةَ، والمشهورُ عن مالكٍ وجوبُ الفديةِ على المرضِعِ دونَ الحاملِ، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ إنْ أفطرتا خَوْفاً على أنفسِهما، فلا فديةَ، أو على الولدِ لزمَتْهما الفديةُ، وأما المريضُ والمسافرُ والحائضُ والنفساءُ، فعليهِمُ القضاءُ دونَ الفديةِ بالاتفاق.

ثم بين اللهُ تعالى أيامَ الصيام فقال:

---

(١) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٩-٢٧٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٣).

(٢) في «ن»: «وقضيا».

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

[١٨٥] ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ سُمِّيَ الشهرُ شهراً؛ لشهرتِه، وسُمِّيَ رمضانَ من الرَّمْضاء، وهي الحجارةُ المُحَمَّاةُ. قرأ أبو عمرٍو (شَهْر رَّمَضَانَ) بإدغام الراء في الراء(١)، ورفْعُهُ مبتدأ، خبرُه:

﴿ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ جملةً واحدةً في ليلةِ القدرِ من اللَّوْحِ المحفوظِ إلى بيتِ العِزَّةِ في سماءِ الدُّنْيا، ثم نزلَ به جبريلُ ـ عليه السلام ـ نجوماً في نَيِّفٍ وعشرينَ سنةً، وتقدَّمَ تفسيرُ معنى القرآن في الفصلِ الثامنِ أولَ التفسيرِ. قرأ ابنُ كثيرٍ (القُرَان) (وقُرَاناً) حيثُ وقعَ بفتحِ الراءِ غيرَ مهموزٍ(٢).

وعن أبي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي ثَلاَثِ لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتْ تَوْرَاةُ مُوسَى فِي سِتٍّ لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ إِنْجِيلُ عِيسَى فِي ثَلاَثَ عَشْرَةَ مَضَيْنَ مِنْ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٧)، و«إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٤).

رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ زَبُورُ دَاوُدَ فِي ثَمانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً[1] مَضَتْ[2] مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ لِستٍّ بَقِينَ بَعْدَهَا»[3].

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ من الضلالة.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ دلالاتٍ واضحاتٍ.

﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ذكر أولاً أنه هُدًى للناس، ثم ذكر ثانياً أنه بيناتٌ من الهدى؛ ليؤذن أنه من جملةِ ما هَدَى الله تعالى به.

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ المفرِّقِ بينَ الحقِّ والباطِلِ.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ أي: كان[4] مقيماً في الحضر.

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ وأعاد قولَهُ:

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ليعلمَ أنَّ هذا الحكمَ ثابتٌ في الناسخِ ثبوتَهُ في المنسوخ، واختلفوا في المرض الذي يُبيحُ الفطرَ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يُباحُ بمطلَقِ المرضِ، وقالَ الشافعيُّ وأحمدُ: يُباحُ إذا خافَ ضَرَراً بزيادةِ مرضِه أو طولِه، والسفرُ المبيحُ للفطرِ

---

(١) «ليلة» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «مضين».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٠٢)، عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٧): فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات.

(٤) «كان» ساقط من «ن».

عندَ أبي حنيفة مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ، وعندَ الثلاثةِ سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخاً [وهي][1] أربعةُ بُرُدٍ، وهي يومانِ قاصدانِ، واختلفوا في أفضلِ الأمرينِ، فقال الثلاثة: الصومُ أفضلُ، [وإنْ جهدَهُ الصومُ كانَ الفطرُ أفضلَ، وقالَ الإمامُ أحمدُ: الفطرُ أفضلُ][2]؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»[3].

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ حيثُ أباحَ الفطرَ بالمرضِ والسفرِ، واليُسْرُ: ما تسهل.

﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [العُسْرُ: ضدُّ اليسر، تلخيصُه: يريدُ أن يُيَسِّرَ عليكم ولا يُعَسِّرَ][4]. قرأ أبو جعفر (اليُسُرَ والعُسُرَ) ونحوَهما بضمِّ السين حيثُ وقعَ، والباقون: بالسكون[5].

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ تقديرُهُ: يريدُ بكمُ اليسرَ، ويريدُ بكم لتكْمِلوا.

﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ بقضاءِ ما أفطرتُم في مرضِكم وسفرِكم. قرأ أبو بكرٍ،

---

(١) لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) رواه البخاري (١٨٤٤)، كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر: «ليس من البر الصوم في السفر»، ومسلم (١١١٥)، كتاب: الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٥٦)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١١٤)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٤).

ويعقوبُ: (ولِتُكَمِّلُوا) بتشديد الميم، والباقون: بالتخفيف، وهو الاختيار؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[1] [المائدة: ٣].

﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: تُعَظِّموه حامِدينَ.

﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ أرشدَكم إلى ما رَضِيَ به من صومِ شهرِ رمضان.

﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ لله ـ عز وجل ـ على نعمِه، والمرادُ بهذا التكبيرِ: هو تكبيرُ ليلةِ الفطرِ، وهو مستحَبٌّ، واختلفَ الأئمةُ في مُدَّته، فقال مالكٌ: يكبِّرُ في يومِ الفطرِ دون ليلته، وابتداؤه من أولِ اليوم إلى أن يخرجَ الإمامُ إلى الصلاة، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ من غروبِ الشمسِ ليلةَ الفطر، وانتهاؤه عندَ الشافعيِّ إلى أن يُحْرِمَ الإمامُ بالصلاة، وعندَ أحمدَ إلى فراغِ الخطبة، وقال أبو حنيفة: يكبِّرُ للأَضْحى، ولا يكبِّرُ للفطر، وعند صاحبيه يُكَبِّرُ إذا توجَّهَ للصلاة، فإذا انتهى إلى المصلَّى، سقطَ عنه التكبيرُ، والتكبيرُ في الفطرِ مطلَقٌ غيرُ مقيَّدٍ بوقتٍ ولا مكانٍ، فيكبر في المساجد، والمنازل، والطرق، وغيرها، ولا يكبر عقبَ الصلواتِ المكتوبةِ، وأما صلاةُ العيدين، فهي[2] فرضُ كفايةٍ عندَ أحمدَ وسُنَّةٌ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ، وعندَ أبي حنيفةَ واجبةٌ على الأعيان، وليستْ فرضاً، ويأتي الكلامُ على

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٣٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٥).

(٢) في «ت»: «فهو».

التكبيرِ للأضحى وصفةِ التكبيرِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وأما وقتُ صلاةِ العيدِ وصفتُها وأحكامُها، فقد اتفقَ الأئمةُ على أنَّ أولَ وقتِها إذا ارتفعتِ الشمسُ، وآخرَهُ إذا زالتِ الشمسُ[1]، وسُمِّيَ عيداً؛ لاعتيادِ الناسِ له كلَّ حينٍ، ومعاودَتِهِمْ إياه، والسُّنَّةُ أن يُنادى لها: الصَّلاةَ جامعةً، ويُشْتَرَطُ لها إذنُ الإمام، والمِصْرُ عندَ أبي حنيفة، خلافاً للثلاثةِ، كما في الجمعة، ويشترطُ الاستيطانُ، وحضورُ أربعين عند الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومحمدٍ تنعقدُ بثلاثةٍ سوى الإمام، وعند أبي يوسفَ اثنانِ سوى الإمامِ، وعندَ مالكٍ ليسَ لهم حدٌّ محصورٌ كما قالَ كلٌّ منهم في الجمعة، وهي ركعتان يجهرُ فيهما بالاتفاق، وصفتُها[2] عندَ أبي حنيفة أن يكبِّرَ تكبيرةَ الافتتاحِ، وثلاثاً بعدَها، فإذا قامَ للثانيةِ، بدأ بالقراءةِ، ثم يكبِّرُ ثلاثاً، وأُخرى للركوع، فيوالي بينَ القراءتين في الركعتين، ويسكتُ بينَ كلِّ تكبيرتينِ قدرَ ثلاثِ تسبيحاتٍ، ويرفعُ يدَيه في الزوائدِ، وعندَ مالكٍ يكبِّرُ في الأولى بعدَ تكبيرة الإحرام سِتّاً، وفي الثانيةِ بعدَ القيامِ خمساً، ويرفَعُ يديه في الأولى خاصَّةً، وليس عندَه بينَ التكبيرتين قولٌ، ولا للسكوتِ بينَهما حَدٌّ، وعندَ الشافعيِّ يكبِّرُ في الأولى بعدَ الافتتاحِ سَبْعاً، وفي الثانيةِ قبلَ القراءةِ خَمْساً، وعندَ أحمدَ في الأولى بعدَ الافتتاحِ سِتّاً؛ كقولِ مالكٍ، وفي الثانية بعدَ القيام خَمْساً؛ كقولِ الشافعيِّ، واتفقَ الشافعيُّ[3] وأحمدُ على رفعِ اليدينِ مع كلِّ تكبيرةٍ، وعلى

(١) «الشمس»: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «وصفتهما».

(٣) «واتفق الشافعي» ساقطة من «ن».

التكبيرِ والتحميدِ والتسبيحِ بينَ كلِّ تكبيرتينِ، فإذا فرغَ من الصلاةِ، خطبَ خُطْبتينِ، وهما سُنَّةٌ بالاتفاقِ، يفتتحُهما بالتكبيرِ، يحثُّهم في الفطرِ على الصدقة، ويبينُ لهم ما يُخرجون، وفي الأضحى على الأُضْحية، ويبينُ حكمَها، والتكبيراتُ الزوائدُ سُنَّةٌ بالاتفاق.

***

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

[١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ منهُم بالعلمِ والإجابة. عن ابنِ عباسٍ قال: قالَ يهودُ المدينةِ: يا محمدُ! كيفَ يسمعُ دعاءنا ربُّنا وأنتَ تزعُم أن بيننا وبينَ السماء خمسَ مئةِ عامٍ، وأنَّ غلظَ كلِّ سماءٍ مثلُ ذلك؟ فنزلَتْ هذهِ الآيةُ، وفيه ضمارٌ تقديرُه: فقل لهم: إني قريب.

﴿أُجِيبُ﴾ أسمعُ للإجابة.

﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي) بإثبات الياء فيهما وَصْلاً، بخلافٍ عن قالون. وقرأ يعقوبُ: بإثباتهما وَصْلاً ووَقْفاً، والباقون: بحذفِهما في الحالين[١].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦٩، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٦).

قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ».

وروي أن أعرابياً قالَ: يا رسولَ الله! أقريبٌ ربُّنا فَنُناجِيهِ، أَمْ بعيدٌ فَنُنادِيه؟ فنزل:

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ أي: فَلْيُجيبوا إذا دعوتُهم إلى الإيمان، والإجابة في اللغة: الطاعةُ، فالإجابةُ من الله: العطاءُ، ومن العبدِ: الطاعةُ، وحقيقتُه: فليطيعوني.

﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لكي يهتدوا، والرُّشْدُ ضِدُّ الغَيِّ. قرأ وَرْشٌ: (وَلْيُؤْمِنُوا بِيَ) بفتح الياء[1].

وكانَ في ابتداءِ الإسلامِ يحرمُ[2] الأكلُ والشربُ والجماعُ في رمضانَ بعدَ النوم وبعدَ صلاةِ عشاءِ الآخرةِ، ثم إنَّ عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ واقعَ أهلَه بعدَ ما صلَّى العشاء، فلمَّا اغتسلَ، أتى النبيَّ ﷺ، واعتذرَ إليه، ثم قامَ رجالٌ فاعترفوا بمثلِه، فنزلَ في عمرَ وأصحابِه:

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٦).

(٢) في «ن»: «تحريم».

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

[١٨٧] ﴿أُحِلَّ﴾ أي: أُبيحَ.

﴿لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ ظَرْفٌ لـ«أُحِلَّ».

﴿ٱلرَّفَثُ﴾ الجماعُ ومقدِّماتُه.

﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ قال الزَّجّاجُ: الرَّفَثُ: كلمةٌ جامِعَةٌ لكلِّ ما يريدُ الرجلُ من النساءِ(١).

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ أي: سترٌ منَ النارِ بالتعفُّفِ.

﴿وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ واللباسُ: اسمٌ لكلِّ ما يستُرُ، فكأن كلَّ واحدٍ منهما ستراً لصاحبِهِ عمّا لا يحلُّ، وجاءَ في الحديث: «مَنْ تزَوَّجَ، فقَدْ أَحْرَزَ ثُلُثَيْ دِينهِ»(٢).

---

(١) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ١٥٤)، (مادة: رفث).

(٢) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٤٧٦): رواه ابن الجوزي في «العلل» عن أنس مرفوعاً، وقال: لا يصح. وهو عند الطبراني في «الأوسط» (٧٦٤٧)، بلفظ: «فقد استكمل نصف الإيمان....»، وقال: لم يروه عن عصمة إلا زافر. ورواه البيهقي في «الشعب» (٥٤٨٦)، من حديث الخليل بن مرة، عن الرقاشي، ولفظه: «إذا تزوج العبد فقد كمل نصف دينه، فليتق الله في=

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونونَ.

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ وتظلمونَها بالمجامعةِ بعدَ العشاء.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ تجاوزَ عنكُمْ.

﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ مَحا ذنوبَكُمْ.

﴿فَٱلْـَٰٔنَ﴾ ظرفٌ لقول:

﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ جامِعُوهُنَّ، وسُمِّيَتِ المجامعةُ مباشرةً لالتصاقِ بَشَرَتَيْهِما.

﴿وَٱبْتَغُواْ﴾ اطلُبوا.

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في اللَّوْحِ المحفوظِ منَ الولدِ، وكان في ابتداءِ الإسلام إذا نامَ الإنسانُ أو صلَّى العشاءَ حَرُمَ عليهِ الطعامُ والشرابُ في صيامِ رمضانَ، فنزلَ رخصةً:

﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ ليالِيَ الصِّيامِ.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ تبَيَّنَ الشيءُ: ظهرَ.

﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ هو أولُ ما يبدو من بَياضِ النهار كالخيطِ الممدود.

﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ هو ما يمتدُّ من سواد الليل مع بَياض النهار، وشُبِّهَا بخيطين أبيضَ وأسودَ لامتدادِهما، والمرادُ: الفجرُ الثاني.

= النصف الباقي»، ومن حديث زهير بن محمد، عن أنس مرفوعاً، بلفظ: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي»، وكذا هو عنده شيخه الحاكم في «مستدركه» (٢٦٨١)، وقال: إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه، انتهى مختصراً.

﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ بيانٌ للخيطِ الأبيضِ، واكتفى ببيان الخيطِ الأبيضِ عن بيانِ الأسودِ؛ لدلالتِهِ عليه، ولما أنزلت: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾، ولم ينزلْ منَ الفجر، كان رجالٌ إذا أرادوا الصوم، ربطَ أحدُهم في رِجْليه الخيطَ الأبيضَ والخيطَ الأسودَ، ولا يزالُ يأكلُ ويشربُ حتى يتبينَ له رؤيتُهما، فأنزل الله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾، فعلموا أنَّما يعني الليلَ والنهارَ[(١)]، والفجرُ فجرانِ: كاذبٌ، وصادقٌ، فالكاذبُ يطلُعُ أولاً مستطيلاً يصعَدُ إلى السماء، فبطلوعِهِ لا يخرجُ الليلُ، ولا يحرُمُ الطعامُ والشرابُ على الصائم، ثم يغيبُ فيطلُعُ بعدَهُ الصادقُ، ينتشرُ سريعاً في الأفق، ولا ظلمةَ بعدَه، فبطلوعِه يدخلُ النهار، ويحرمُ الطعامُ والشرابُ على الصائم.

﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»[(٢)].

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ المباشرةُ: الجِماعُ، نزلَتْ فيمَنْ كان يعتكِفُ في المسجد، فإذا عَرَضَتْ له حاجةٌ إلى امرأته، خَرَجَ فجامَعَها، ثُمَّ اغتسلَ فرجعَ إلى المسجد.

---

(١) رواه البخاري (١٨١٨)، كتاب: الصوم، باب: قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ. . . .﴾، ومسلم (١٠٩١)، كتاب: الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر. . . ، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (١٨٥٣)، كتاب: الصوم، باب: متى يحل فطر الصائم، ومسلم (١١٠٠)، كتاب: الصيام، باب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

رُوِيَ عن يعقوبَ: الوَقْفُ على النون المشدَّدَةِ من جمعِ الإناثِ بالهاءِ[1] نحو: (هُنَّهْ) (وَمِنْهُنَّهْ) (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّهْ) وشبهِه حيثُ وقعَ.

﴿وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ﴾ مقيمون ناوونَ الاعتكافَ.

﴿فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ ولا يجوزُ الاعتكافُ في غيرِ المساجد[2]، وهو سنَّةٌ بالاتفاق، وهو لزومُ مسجدٍ لطاعةِ الله تعالى على صفةٍ مخصوصةٍ من مسلمٍ عاقلٍ ولو مميزاً، طاهرٍ مما يوجبُ غسلاً، ولو ساعةً، ويجوزُ غيرَ صائمٍ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ ـ رضي الله عنهما ـ. المعنى: الجماعُ محرَّمٌ عليكم مدَّةَ اعتكافِكُمْ ليلاً ونهاراً، وهو مُفْسِدٌ له بالاتفاق، وما دونَ الجماعِ من المباشراتِ؛ كالقبلةِ واللمسِ بالشهوةِ، فمكروهٌ، ولا يفسِدُ الاعتكافَ عندَ الشافعيِّ، وقال مالكٌ: يبطل اعتكافه، وعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ: إنْ أنزلَ، بطلَ، وإلاَّ فلا.

﴿تِلْكَ﴾ أي: الأحكامُ المذكورةُ وجميعُ المحرَّماتِ.

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: موانعُه، وأصلُ الحدِّ في اللغة: المنعُ، ومنهُ قيلَ للبواب: حَدّادٌ؛ لأنه يمنعُ الناسَ منَ الدخولِ. قرأ أبو عمرٍو (المَسَاجِد تِّلْكَ) بإدغام الدال في التاء.

﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: فلا تأتوها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا.

---

(١) انظر: «إتحاف الفضلاء» للدمياطي (ص: ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٧).

(٢) في «ن»: «المسجد».

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ لكي يتقوها فينجوا من العذاب.

* * *

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

[١٨٨] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم ﴾ أي: لا يأكلْ بعضُكم من مالِ بعضٍ.

﴿ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ من غيرِ الوجهِ الذي أباحَهُ اللهُ، وأصلُ الباطلِ: الشيءُ الذاهبُ. نزلَتْ في رجلين تخاصَما إلى النبي ﷺ في أرضٍ بينَهما، فأرادَ أحدُهما أن يحلِفَ على أرضِ أخيه[1].

﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ ﴾ أي: لا تُلْقوا بالأموالِ الرشوةِ، وأصلُ الإدلاءِ: إرسالُ الدَّلْو وإلقاؤه في البئر، يقال: أدلَى دَلْوَهُ: إذا أرسلَهُ.

﴿ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ قضاة السوء بإقامة شهادة الزور.

﴿ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا ﴾ أي: طائفةً.

﴿ مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ ﴾ أي: الظلمِ.

﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنكم مُبْطِلون.

* * *

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (حديث رقم: ١٣٩).

[١٨٩] ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ ﴾ نزلَتْ في مُعاذِ بنِ جَبَلٍ وثعلبةَ بنِ غنمٍ الأنصارِيَّيْنِ قالا: يا رسولَ الله! ما بالُ الهلالِ يبدو دقيقاً، ثم يزيدُ حتى يمتلىء نوراً، ثم يعودُ دقيقاً كما بدأ، ولا يكون على حالة؟ فأنزل الله الآية[١]، والأهلةُ: جمعُ هلالٍ، سُمِّي بذلك؛ لرفعِ الناسِ أصواتَهُمْ عندَ رؤيته، وهو هلالٌ، إلى الليلةِ الثالثةِ[٢]، ثم يُقْمِرُ.

﴿ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ ﴾ جمعُ ميقات؛ أي: معالِمُ.

﴿ لِلنَّاسِ ﴾ يعلمون بها أوقات زراعتهم ومتاجرهم.

﴿ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾ أي: يعلمون أوقات الحجِّ والعمرةِ والصيامِ والإفطارِ وغيرِها، فلهذا خالف بينَهُ وبينَ الشمسِ التي هي دائمةٌ على حالةٍ واحدةٍ.

﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ كان المحرمُ جاهليةً وإسلاماً لا يدخُلُ بيتاً من بابه، بل يدخلُه من خلفِهِ، فإن كانَ حائطاً، نقبَهُ، أو يَتَّخِذُ سُلَّماً يصعَدُ منه حتى يُحِلَّ من إحرامِه، ويرونَ ذلك بِرّاً، إلا أنَ يكون من الحُمْسِ، وهم قريشٌ وكِنانةُ، فأنزل الله الآيَةَ، وسُمِّيت قريشٌ حُمْساً؛ لشجاعتِهم وتصلُّبِهم في دينهم[٣]. قرأ ابنُ كثيرٍ، وقالونُ، وابنُ عامرٍ وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفُ (البِيُوتَ) و(بِيُوتاً) و(بِيُوتكم)[٤]

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٥)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بسند ضعيف، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٠).

(٢) «الثالثة» ساقطة من «ن».

(٣) انظر «تفسير الطبري» (٢/ ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٢).

(٤) في «ن»: «بيوتهم».

وشِبْهَهُ بكسرِ الباء حيثُ وقع، والباقون: بالضمِّ على الأصل[1]. المعنى: ليس البرُّ ما تفعلونه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ذلكَ وتجنَّبَهُ.

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ حالَ الإحرامِ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تظفروا بالهدى والبر.

وأولُ ما نزلَ في أمرِ القتال:

* * *

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾.

[١٩٠] ﴿وَقَٰتِلُوا۟﴾ أي: و[2]جاهدوا.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعتِهِ.

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كانَ في ابتداء الإسلام أُمِرَ رسولُ الله ﷺ بالكَفِّ عن قتالِ المشركين، ثم بعدَ الهجرةِ أُمر بقتالِ مَنْ قاتلَه منهم بهذه الآية.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٤ـ٢٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٨).

(٢) الواو زيادة من «ت».

﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ لا تبدؤوهم بالقتال، ثم نُسخت بعدَ ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٤].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ﴾ أي: لا يرضى فِعْلَ.

﴿ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ المتجاوِزينَ الحلالَ إلى الحرام.

* * *

﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾.

[١٩١] ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أي: وجدتُموهم، وتمكَّنتم منهُم، وأصلُ الثقافة: الحذقُ في إدراكِ الشيءِ وفعله.

﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ من مكَّةَ؛ لأنهم أخرجوا المسلمين أولاً منها، ثم أَخرجَ ﷺ ثانياً منها من لم يؤمنْ منهم يومَ الفتح، وكانوا يستَعْظِمون القتلَ في الحرمِ، ويُعَيِّرونَ بهِ المسلمينَ، فنزل:

﴿ وَٱلْفِتْنَةُ ﴾ أي: شِرْكُهم بالله.

﴿ أَشَدُّ ﴾ أي: أعظمُ.

﴿ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ الذي يحلُّ بهم منكم في الحرَمِ والإحرامِ.

﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (ولا تَقْتُلُوهُمْ حتَّى يَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ) بغير ألفٍ فيهن على معنى: ولا تقتلوا بعضَهم، تقولُ العرب: قتلْنا بني فلانٍ،

وإنما قتلوا بعضَهم. وقرأ الباقون: بالألف[1]، من القتال[2]. كان في ابتداء الإسلام لا يحلُّ بِدايَتُهم بالقتال في البلدِ الحرام، ثم صارَ منسوخاً؛ بقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يفعل بهم مثل ما فعلوا.

* * *

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ ﴾.

[١٩٢] ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾ عنِ الشركِ والقتالِ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لما سلَفَ من ذنوبهم.

﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بعباده.

* * *

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

[١٩٣] ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ ﴾ أي: المشركين.

﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ أي: شركٌ، يعني: حتى يُسْلموا.

---

(١) في «ن»: «عن».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٤٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٤٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٩ـ١٥٠).

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ أي: العبادة.

﴿لِلَّهِ﴾ وحدَه، فلا يُعبد سواه، فلا يُقبل من غير الكتابي إلا الإسلامُ أو القتلُ.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشركِ.

﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ لا ظلمَ.

﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المعنى: لا تظلموا إلا الظالمين غيرَ المنتهين، وسُمِّي جزاءُ الظالمينَ ظلماً؛ لازدواجِ الكلام؛ كقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤] تلخيصُه: من آمنَ سَلِمَ، ويسمَّى الكافرُ ظالماً؛ لوضعِه العبادةَ في غير محلِّها.

* * *

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

[١٩٤] ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ أي: المحرم.

﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مقابَلٌ به وبما فيه من قتالٍ وحجٍّ وغيرِهما. سببُ نزولها: أن رسولَ الله ﷺ خرجَ معتمِراً في ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ، فصَدَّه المشركون عن البيت بالحُدَيبية، فصالح أهلَ مكَّةَ على أن يرجعَ عامَهُ ذلكَ، ثم رجعَ فقضَى عُمرتَهُ في ذي القعدة أيضاً سنةَ سبعٍ من الهجرةِ، فنزلَتْ(١). تلخيصُه: هذا الشهرُ بذلكَ الشهرِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٨)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٧).

﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾ جمعُ حُرْمَةٍ.

﴿ قِصَاصٌۚ ﴾ مساواةٌ. المعنى: من هتكَ حرمةً، اقْتُصَّ منه بمثلِها، والهتكُ: خرقُ السترِ عمَّا وراءه.

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ وقاتلوه.

﴿ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ ﴾ أي: جازوه بعقوبةٍ مماثلةٍ عقوبته، قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ إذا انتصرتم ممَّنْ ظلمكم، فلا تظلموهُم بأخذِ أكثرَ من حَقِّكم.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيصلحُ شأنَهم.

***

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾.

[١٩٥] ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجهاد. سببُ نزولها البخلُ وتركُ الإنفاقِ في سبيل الله حينَ قالَ ناسٌ: لو أنفقْنا أموالنا، بقينا بلا أموال(١).

﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ أصلُ الإلقاءِ: طرحُ الشيءِ حيث تراه، وعُبِّر عن الأنفسِ بالأيدي. المعنى: لا تطرحوا أنفسَكم.

﴿ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ ﴾ أي: الهلاكِ بتركِ الإنفاقِ في سبيل الله، والعربُ لا تقولُ: ألقى بيدِهِ إلاَّ في الشرِّ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٧١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٩٩).

﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ باللهِ الظنَّ، وفي الإنفاقِ من غيرِ إسرافٍ ولا تقتيرٍ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيما يصدُرُ منهم.

* * *

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

[١٩٦] ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ وإتمامُهما أن يؤتَى بهما تامين بمناسِكِهما[١] وسُنَنِهما، واتفقَ الأئمةُ على وجوبِ الحجِّ على مَنِ استطاعَ إليهِ سبيلاً، واختلفوا في العُمرة، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: هي واجبةٌ؛ لأنها قرينةُ الحجِّ في كتاب الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: هي سُنَّةٌ، وتأوَّلا قولَه تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ معناه: أَتِمُّوها إذا دخلتُم فيها، أما ابتداءُ الشروعِ[٢] فيها، فتطوُّعٌ.

واتفقَ الأئمةُ على جوازِ أداءِ الحجِّ على ثلاثةِ أوجُهٍ: الإفراد، والتمتُّع، والقِران.

فصورةُ التمتُّع: أن يعتمرَ في أشهرِ الحجِّ، ثم بعدَ الفراغ من أعمالِ

---

(١) في «ن»: «مناسكهما».

(٢) في «ن»: «الشرع».

العُمرة يُحرِمُ بالحجِّ من مكةَ، فيحجُّ في ذلكَ العامِ، وهو الأفضلُ عندَ الإمامِ أحمدَ.

وصورة الإفرادِ: أن يحجَّ، ثم بعدَ الفراغِ منه يعتمرُ من خارجِ مَكَّةَ من أدنى الحِلِّ، وهو الأفضلُ عندَ مالكٍ والشافعيِّ.

وصورةُ القِرانِ: أن يحرمَ بالحجِّ والعمرةِ معاً، أو يحرمَ بالعمرةِ ثم يُدخلُ عليها الحجَّ قبل أن يطوفَ، فيندرج أفعالُ العمرةِ في أفعال الحجِّ، وهو الأفضلُ عندَ أبي حنيفة.

ويأتي الكلامُ على وجوبِ الحجِّ وشيءٍ من أحكامِه في سورة الحج عندَ تفسيرِ قوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧].

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أصل الإحصارِ: المنعُ، والمانعُ المبيحُ للمحرمِ التحلُّلَ ما كان بعدوٍّ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ ومالكٍ، وعندَ أبي حنيفةَ كلُّ ما صَدَّ عن الوصول إلى البيت؛ كعدوٍّ، ومرضٍ، وذهابِ نفقةٍ وراحلة، وتقديرُه: إن صُدِدتم عن الوصول إلى البيت.

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليه ما تيسرَ.

﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ جمعُ هَدِيَّة، والهديُ: ما يُهْدَى إلى الحَرَم من نَعَمٍ وغيرِها تقرُّباً إلى الله تعالى، والمرادُ هنا: النَّعَمُ، فأيسرُهُ شاةٌ، وأوسطُه بقرةٌ، وأعلاه بَدَنَةٌ، فيتحلَّلُ المحرِمُ بذبحِ الهدي وحَلْقِ الرأسِ حيث أُحْصِرَ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ مالكٍ أن المحصَرَ بعدوٍّ لا يجبُ عليه هَدْيٌ، ويتحلَّلُ بدونه، وقال أبو حنيفةَ: يبعثُ بهديه إلى الحَرَمِ، ويُقيم على إحرامِهِ، ويواعدُ مَنْ يذبحُهُ عنهُ، ثم يُحِلُّ. تلخيصُه: فإنْ مُنِعْتُم عن البيت مُحْرَمين، فعليكم إذا أردتم التحلُّلَ ما تَسَهَّلَ من الهَدْي.

﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ﴾ في حالِ الإحرام، فالحلقُ والتقصيرُ مشروعٌ في الحجِّ بالاتفاقِ، فعندَ الشافعيِّ هو ركنٌ على الأصحِّ، وعندَ الثلاثةِ واجبٌ.

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ﴾ مَنْحَرَهُ الذي يُذْبح فيه، فيذبحُه حيثُ يحلُّ، وتقدَّم قريباً ذكرُ اختلافِ الأئمة في محلِّهِ.

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ في جَسده.

﴿أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ من هَوامّ أو صُداعٍ صراع[1] أو جراحةٍ[2]. المعنى: يثبتُ علىٰ إحرامِه من غيرِ حلقٍ حتى يذبَحَ هَدْيَه، إلا أن يُضْطَرَّ إلى الحلق، فإن فعلَ ذلك[3] للضرورةِ ﴿فَفِدۡيَةٞ﴾ أي: فعليه فديةٌ، نزلتْ في كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ حينَ رآه رسولُ الله ﷺ وَهَوامُّهُ تسقطُ على وجهه، فقال: «أَيُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟»، فأمره رسولُ الله ﷺ بالحلق والفدية، وهو بالحديبية[4].

﴿مِّن صِيَامٍ﴾ أي: صيامِ ثلاثةِ أيامٍ بالاتفاق.

﴿أَوۡ صَدَقَةٍ﴾ يُطعمها لستةِ مساكينَ، لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من طعام عندَ الثلاثة، وعندَ أحمدَ مُدُّ بُرٍّ، أو نصفُ صاعِ تمرٍ أو شعيرٍ.

﴿أَوۡ نُسُكٖۚ﴾ جمعُ نَسيكة، وهي ذبيحةُ شاةٍ بالاتفاق، واتفقوا على أنه مخيَّرٌ بين الصيام والذبح والتصدُّق؛ لأن (أو) للتخيير.

---

(١) «صراع» زيادة من «ن».

(٢) «جراحة» ساقطة من «ن».

(٣) «ذلك» زيادة من «ن».

(٤) رواه البخاري (٣٩٢٧)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم (١٢٠١)، كتاب: الحج، باب: جواز حلق الرأس للمحرم.

واختلفوا في الدماء المتعلِّقَةِ بالإحرام بمن تختصُّ تفرقتُها؟ فقال أبو حنيفة: لا يجوزُ الذبحُ إلا بالحرم، ولا يختصُّ تفرقتهُ بأهله، وقال مالكٌ: ليس شيءٌ منها مخصوصاً، وجائز أن يفعلَها حيثُ شاء بمكةَ وغيرِها، والاختيارُ أن يأتيَ بالكفارة حيثُ وجبتْ عليه، فإن أتى بها في غيره، أجزأت عنه، وقال الشافعيُّ: الدمُ الواجبُ بفعلِ حرامٍ أو تركِ واجبٍ لا يختصُّ بزمانٍ، ويختصُّ ذبحُه بالحرم، ويجب صرفُ لحمِه إلى مساكينه؛ إلاَّ دمَ الإحصار فحيث أُحصِرَ، وقال أحمدُ: كلُّ هديٍ أو إطعامٍ فهو لمساكين الحرم، إلا فديةَ الأذى والإحصار، فحيث وجدا، ولهُ تفرقتُها في الحرم أيضاً، أما الصومُ فيجزىء بكلِّ مكانٍ بالاتفاق.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من خوفكم، وبرئْتُم من مرضِكم.

﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ ومعنى التمتع ﴿بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ في قول ابن عباسٍ وعطاءٍ وجماعةٍ: هو الاستمتاعُ بعدَ الخروجِ من العمرةِ بما كان محظوراً عليه في الإحرام إلى وقتِ إحرامِه بالحج، وقيل: هو الاستمتاعُ والانتفاعُ بالتقرُّبِ بها إلى الله تعالى قبلَ الانتفاعِ بالتقرُّب إلى الله تعالى بالحج[1]، ﴿فَمَن﴾ شرطٌ محلُّه رفعٌ ابتداء، وجوابُه:

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ أي: عليه دمٌ، شاةٌ يذبحُها، لأنه ترفق بأداء النُّسكين في سَفْرَةٍ واحدةٍ، وكذا القارنُ بشرطِ ألاَّ يكون[2] من حاضري المسجدِ الحرامِ بالاتفاق، ويلزمُ دمُ التمتُّع بطلوعِ الفجرِ يومَ النحر عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ، وعند مالكٍ والشافعيِّ بإحرامِ الحجِّ، وإذا وجبَ، جازَ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٧٩).

(٢) في «ن»: «أن يكون».

إراقتُهُ، ولم يتوقَّتْ بوقتٍ عند الشافعيِّ، والأفضلُ عندَه إراقتُه يومَ النحر، وهو مذهبُ الثلاثة.

ولوجوب الدم على المتمتع عند أَحمدَ سبعةُ شروط: أحدهما: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، والثاني: أن يعتمرَ في أشهر الحجِّ، والعبرةُ بالشهرِ الذي أحرم فيه، لا بالذي حَلَّ فيه، الثالث: أن يحجَّ من عامِهِ، الرابع: ألاَّ يسافر بين العمرة والحج مسافةَ قصرٍ فأكثرَ، الخامسُ: أن يحلَّ من العمرة قبلَ إحرامه بالحجِّ، السادسُ: أن يحرمَ من الميقات أو من مسافةِ قصرٍ فأكثرَ من مكةَ، السابع: أن ينويَ التمتُّعَ في ابتداء العمرة، أوْ أثنائها، ولا يُعتبر وقوعُ نسكين عن واحدٍ، فلو اعتمر لنفسِه، وحجَّ عن غيره، أو عكسه، أو فعل ذلك عن اثنين، كان عليه دمُ المتعة.

وعندَ الشافعيِّ أربعةُ شروطٍ: الثلاثةُ الأُوَلُ، والرابعُ: ألاَّ يعود إلى ميقاتِ بلدِه لإحرامِ الحجِّ.

وعند مالكٍ خمسةُ شروط: ألاَّ يكونَ من حاضري المسجد الحرام، الثاني: أن يخرجَ من العمرة ولو آخرها في أشهر الحج، ولو أحرمَ قبلَها؛ كما لو أحرمَ في رمضانَ، وأكملَ سعيَهُ بدخولِ شوال، الثالث: ألاَّ يعود إلى أُفُقِه أو مِثله؛ بخلاف لوْ عاد مثلُ[1] المصريِّ إلى نحوِ المدينة، الرابع: أن يكونا عن واحد؛ بأن تكونَ العمرةُ والحجُّ عن نفسه، أو عمَّن استنابَه، أما لو كان أحدُهما عن نفسه، والآخر عن غيره، سقط الهدي، الخامس: أن يكونا في عامٍ.

---

(١) «مثل» ساقطة من «ن».

وعند أبي حنيفة أربعة: أن يحرم من الميقات، الثاني: أن يفعل أفعالَ العمرةِ أو أكثرَها في أشهر الحج، فلو طاف أقلَّ أشواطِ العمرة قبلَ أشهر الحجِّ، وأتمها فيها، وحجَّ، كان متمتعاً، وعكسه لا، لأن للأكثر حكمَ الكلِّ، الثالث: أن يحجَّ من عامِه، الرابع: ألاَّ يرجع إلى وطنه، فلو خرج من الحرم، ولم يجاوز الميقات، أو خرجَ من الميقات، ولم يرجعْ إلى وطنه، فهو متمتع، وخالفه صاحباه في الثاني[1]، فقالا: إذا خرجَ من الميقات، بطلَ التمتُّعُ.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي.

﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيامُ.

﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي: في وقته وأشهُرِه، فيصوم يوماً قبلَ التروية، ويومَ التروية، ويومَ عرفةَ، وهذا هو الأفضلُ عند أبي حنيفة وأحمدَ، وعند مالكٍ والشافعيِّ يُستحبُّ أن يصومَ الثلاثة قبلَ يوم عرفة؛ لأن صومه يُضعفه عن الدعاء، فإن صامه، أجزأه، ويجوزُ الصومُ قبلَه بعد الإحرام بالعمرة عندَ أبي حنيفة وأحمدَ، وعند مالكٍ والشافعيِّ بعدَ الإحرام بالحج، ولا يجوزُ صومُ هذه الثلاثةِ في أيام التشريق عندَ أبي حنيفةَ والشافعيِّ، وقال مالكٌ وأحمدُ: يجوز؛ لأن نهيه ـ عليه السلام ـ عن صيام أيام منى معناهُ التطوعُ، وهذا واجبٌ.

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهليكم وبلدكم، فلو صامها قبلَ الرجوع، لم يجزْ في الأظهر من مذهبِ الشافعيِّ، وقالَ الثلاثةُ: يجوزُ صومُها قبلَ

---

(١) في «ت»: «الباقي».

الرجوع، لكن لا يصحُّ عندَهم صومُها في أيام التشريق، ويجوزُ صيامُها بعدَ الفراغ من أعمال الحجِّ إذا توطَّنَ بمكةَ بالاتفاق.

﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ في الثوابِ والأجرِ، أو ذكرَها على وجه التأكيد، وهذا لأنَّ العربَ ما كانوا يهتدون إلى الحساب، فكانوا يحتاجون إلى فَضْلِ شرحٍ وزيادةِ بيانٍ، وكلُّ واحدٍ من صومِ الثلاثةِ والسبعةِ لا يجبُ فيه التتابعُ بالاتفاق، وإذا فاتَ صومُ الثلاثة أيامٍ حتى أتى يومُ النحر، فعندَ أبي حنيفة لم يجزهِ إلا الدمُ، ولا يجوزُ أن يصومَ الثلاثةَ ولا السبعةَ بعدَها.

وعند مالكٍ والشافعيِّ إذا فاتَ صومُها في الحج لزمه قضاؤها ولا دم عليه، وعند أحمد إن لم يصمها في أيام منى صام بعد ذلك عشرة أيام وعليه دم مطلقاً، ويلزمه التفريق من الثلاثة والسبعة عند الشافعي، وعند أحمد لا يلزمه، وعند مالك إن شاء وصل الثلاثة بالسبعة، وإن شاء فرقها منها.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الحكم الواجب من الهدي أو الصيام عند مالك والشافعي وأحمد.

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ وذلك عند أبي حنيفة وأصحابه، إشارة إلى التمتع، فلا متعة ولا قران عندهم لحاضري المسجد الحرام، فمن تمتع وقرن منهم فعليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه، واختلفوا في حاضري المسجد الحرام؛ فعند أحمد: هم أهل مكة، ومن كان من آخر الحرم دون مسافة القصر، وعند الشافعي: من كان وطنه من الحرم أقل من مسافة القصر، وعند أبي حنيفة: أهل المواقيت فما دونها، وعند مالك: أهل مكة فقط.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أداء الأوامر.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ على ارتكاب المناهي.

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ .

[١٩٧] ﴿ ٱلْحَجُّ ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ ﴾ أي: وقته أشهر وهو شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند الشافعي: وتسعة من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر، وعند مالك: وجميع ذي الحجة، فمن قال: عشر، عبَّر به عن الليالي، ومن قال: تسعة، عبَّر به عن الأيام، فإن آخر أيامه يوم عرفة وهو التاسع، وإن من قال: أشهر بلفظ الجمع وهي شهران وبعض الثالث على قول الأئمة الثلاثة لأنها وقت والعرب تسمي الوقت تاماً بقليله وكثيره، فتقول: زرتك العام، وإنما زاره في بعضه، فالميقات: زماني ومكاني، فالزماني للحج وهو ما تقدم آنفاً، وأما العمرة: فتصح في جميع السنة بالاتفاق فلو أحرم بالحج قبل أشهر صح، وانعقد عند الثلاثة، وقال الشافعي ينعقد عمرة مجزية عن عمرة الإسلام، وأما المكاني: فميقات أهل المدينة من ذي الحليفة، وهو اسم لجميع الوادي وهو من المدينة على نحو ستة أميال وبينه وبين مكة نحو عشرة أيام، وميقات أهل الشام ومصر والمغرب الجحفة، واسمها في الأصل: مهيعة، وسميت جحفة لأن السيل جحف أهلها؛ أي: استأصلهم، وهي قرية بينها وبين مكة نحو أربعة أيام، وميقات أهل نجد اليمن ونجد الحجاز والطائف قَرْنه بإسكان الراء، ويُسمىٰ قرن المنازل، وقرن الثعالب، وهو جبل مشرف على عرفات، وميقات أهل اليمن يلملم، وميقات أهل المشرق كخراسان

والعراق ذات عرق، وهذه الثلاثة بين كل واحد منها وبين مكة ليلتان وهذه المواقيت يجب الإحرام على من مر بها أو حاذاها براً أو بحراً إذا كان قاصداً مكة مريداً للنسك من حج أو عمرة بالاتفاق، فإن لم يرد نسكاً لم يلزمه الإحرام عند الشافعي، كله يستحب. وعند الثلاثة لا يجوز دخول مكة بغير إحرام، واستثنى أبو حنيفة مَنْ منزله في الميقات أو داخله، وأباح القائلون بوجود الإحرام الدخول لمن شأنه التردد؛ كحطاب ونحوه، ويباح لقتال مباح وخوف من عدو عند الشافعي وأحمد، فإن لم يحرم من وجب عليه الإحرام فقد أساء ولا شيء عليه؛ لأن دخول محل الفرض لا يوجب الدخول في الفرض، ولا قضاء عليه لفواته، كما لا تقضى تحية المسجد إذا جلس قبل أن يصليَها، ولا فدية عليه، وهذا قول الأئمة الثلاثة خلافاً لأبي حنيفة في قوله يجب أن يأتي بحجة أو عمرة، فإن أتي بحجة الإسلام أو عمرة أجزأه عن عمرة الدخول، ومَنْ منزله دون الميقات فميقاته من موضعه بالاتفاق، وميقات أهل مكة للحج عند الشافعي نفس مكة فقط، وعند أبي حنيفة من حيث شاؤوا من الحرم، وعند مالك وأحمد من مكة، ويصح من الحل، وميقاتهم للعمرة من الحل كالتنعيم وغيره بالاتفاق، فلو أحرم من الحرم صح وعليه دم بالاتفاق، فلو خرج إلى الحل قبل طوافه سقط الدم عنه[1] عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة: إن خرج محرماً ملبياً سقط الدم، وعند صاحبيه: يسقط بعدده إلى الميقات، لبى أو لم يلبِّ، وإن رجع بعد طوافه لم يسقط الدم بالاتفاق، وعند مالك: يعيد طوافه وسعيه لكونهما وقعا بغير شرطهما، وإن حلق أعادهما أيضاً وأهدى لكونه حلق في إحرامه.

---

(١) «عنه» زيادة من «ن».

﴿فَمَن فَرَضَ﴾ أي: أوجب على نفسه.

﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالإحرام والتلبية.

﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: لا جماع فيه.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ كل أنواع المعاصي فسوق.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا خصام.

﴿فِي ٱلْحَجِّ﴾ بأن يقول بعضهم: الحج اليوم، ويقول بعضهم: الحج غداً. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب ﴿فلا رفثٌ ولا فسوقٌ﴾ بالرفع والتنوين فيهما ﴿ولا جدالَ﴾ بالنصب من غير تنوين. وقرأ أبو جعفر الثلاثة بالرفع والتنوين. وقرأ الباقون بالنصب من غير تنوين في الثلاثة، فالقراءة بالرفع والتنوين إخبار بمعنى النهي؛ أي: لا ترفثوا ولا تفسقوا، وبالنصب من غير تنوين نفي، تلخيصه: لا تفعلوا ما نهيتم عنه.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: برٍّ وطاعة.

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ أي: لا يخفىٰ عليه.

﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ما تتبلغون به ويقيكم عن السؤال وغيره. نزلت فيمن كان يحج بلا زاد ويقل على الناس.

﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: اجعلوا زاد الحج الطعام، وزاد الآخرة التقوى.

﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُولِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ يا ذوي العقول، فمن من لم يتقه فليس بذي لبٍّ، قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر (واتقوني) بإثبات الياء حالة الوصل، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون فيهما.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾.

[١٩٨] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي: إثم، وأصله من الجنوح، الميل عن القصد.

﴿أَن تَبْتَغُواْ﴾ أي: تقصدوا.

﴿فَضْلًا﴾ أي: رزقاً وتفضلاً، وهو الربح في التجارة.

﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج. نزلت لما تأثم المسلمون من التجارة أيام الحج.

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم، أصل الإفاضة الدفع بكثرة، من أفاض الرجل ماءه.

﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ جمع عرفة، جمع بما حولها، وإن كانت بقعة واحدة، وهي اسم علم للموقف، سميت به لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام، فلما رآها عرفها. وقيل: إن آدم ـ عليه السلام ـ لما أهبط وقع بالهند وحواء بجدة، فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة، وتعارفا، فسمي اليوم عرفة، والموضع عرفات، وقيل غير ذلك.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالدعاء والتهليل والتلبية.

﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: بالقرب منه، وهو ما بين جبلي مزدلفة من مأزمي عرفة إلى محسر، وجميع المزدلفة موقف إلا المحسر،

وقيل: هو جبل قزح، وسمي مشعراً، من الإشعار، الإعلام لأنه من معالم الحج، وأصل الحرام: المنع فلا يفعل فيه ما نهي عنه، والإفاضة من عرفات بعد غروب الشمس، ومن المزدلفة قبل طلوعها يوم النحر، وسمي المزدلفة جمعاً؛ لأنه يجمع فيه بين صلاتي العشاء، والمزدلفة لازدلاف الناس إليها؛ أي: دنوُّهم منها.

﴿وَٱذْكُرُوهُ﴾ بالتوحيد ذكراً حسناً.

﴿كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لدينه ومناسك حجه.

﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: قبل الهدى.

﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ الجاهلين بعبادته وذكره.

* * *

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٩﴾.

[١٩٩] ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمْس يقفون بالمزدلفة ترفعاً على الناس لئلا يساووهم في الموقف والناس بعرفات، فنهوا عن ذلك بقوله ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ والمراد بالناس: جميع الناس إلا الحمْس.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفر ذنب المستغفر وكان رسول الله ﷺ من الحمْس، ولكنه يقف مُذْ كان بعرفة هداية من الله.

* * *

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى الْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

[٢٠٠] ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾ جمع منسك، أي: إذا فرغتم من عباداتكم، وذبحتم ذبائحكم بعد رمي جمرة العقبة، **قرأ** أبو عمرو ﴿مناسككم﴾ بإدغام الكاف الأولىٰ في الثانية، ولم يدغم من المثلين في كلمة إلا موضعين لا غير، أحدهما هذا، والثاني في المدثر ﴿ما سلككم﴾ وأظهر ما عداهما نحو ﴿جباههم﴾ و﴿وجوههم﴾ و﴿بشرككم﴾ و﴿أتحاجوننا﴾ و﴿أتعدانني﴾ وشبهه.

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾ بالتكبير والثناء عليه.

﴿ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ لأن العرب كانت إذا فرغت من حجها وقفت مفاخر آبائها.

﴿ أَوْ أَشَدَّ ﴾ أي: وأكثر.

﴿ ذِكْرًا ۗ ﴾ ثم أومأ إلى اختلاف أغراض الخلق بقوله تعالى:

﴿ فَمِنَ النَّاسِ ﴾ يعني المشركين.

﴿ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا ﴾ كانوا لا يسألون الله في الحج إلا الدنيا، يقولون: اللهم أعطنا غنماً وإبلاً وبقراً وعبيداً وغير ذلك.

﴿ وَمَا لَهُۥ فِى الْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ نصيب خير.

* * *

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

[٢٠١] ﴿ وَمِنْهُم ﴾ يعني المؤمنين.

﴿ مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ العلم والعبادة، قرأ أبو عمرو ﴿يقول ربنا﴾ وشبهه حيث وقع بإدغام اللام في الراء.

﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ الجنة. وعن علي رضي الله عنه: «الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحوراء».

﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ كل ما يبعد عن الله؛ لأنه سبب العذاب، وقيل: امرأة السوء. وتلخيصه: أكثروا ذكر الله، وسلوه سعادتكم في داريه.

* * *

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾.

[٢٠٢] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ أي المؤمنين.

﴿ لَهُمْ نَصِيبٌ ﴾ حظ.

﴿ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ دعوا، ويسمىٰ الدعاء كسباً؛ لأنه عمل، والعمل يوصف بالكسب، المعنى: لهم جزء من جنس عملهم.

﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ إذا حاسب لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا نظر وفكر، بل أسرع من لمح البصر سبحانه وتعالى.

* * *

﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

[٢٠٣] ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بالتكبير عقب الصلوات، وعند رمي الجمرات يكبر مع كل حصاة.

﴿ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ هي أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر، سميت معدودات لقلتهن كقوله: ﴿ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠].

والتشريقُ: التكبيرُ، وهو في الأضحى[١] مطلَقٌ كما تقدَّمَ في الفِطْر، ومقيَّدٌ عَقِبَ الصلواتِ، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يكبر دُبُرَ كُلِّ فريضةٍ صَلاَّها في جماعة، وعندَ مالكٍ يكبرُ عقبَ الفرائضِ، ولو منفرداً، وعندَ الشافعيِّ عقبَ كلِّ صلاةٍ، فريضةً كانتْ أو نافلةً، منفرداً صلاها أو في جماعة.

وهذا التكبيرُ مسنونٌ عندَ الأئمةِ الثلاثة، واجبٌ عندَ أبي حنيفةَ.

واختلفوا في ابتدائه وانتهائه، فقال أبو حنيفةَ: يبتدىءُ عقبَ صلاةِ الفجرِ يومَ عرفةَ إلى أن يكبرَ لصلاةِ العصر يومَ النحر، ثم يقطعُ.

وقال مالك: يبتدىء عقبَ صلاةِ الظهر من يوم النحر، ويختمُ بعدَ الصبح من آخر أيام التشريق.

ولا فرق عندهما بينَ المحرِمِ وغيرِه.

وقال الشافعيُّ: يكبرُ الحاجُّ من ظهر النحر، ويختمُ بصبح أيام التشريق، وأما غيرُ الحاجِّ، ففيه خلاف، والذي عليه العملُ عند المحققين

---

(١) في «ن»: «في الأضحى وهو».

من الشافعية أنه يكبرُ من صبحِ عرفةَ إلى العصرِ من آخرِ أيام التشريق.

وقال أحمد: ابتداؤه للمُحِلِّ من صلاةِ الفجرِ يومَ عرفةَ، وللمُحْرِم من صلاةِ الظهرِ يومَ النحر؛ لأنه كان مشغولاً قبلَ ذلك بالتلبية، وانتهاؤه عقبَ صلاةِ العصر من آخر أيام التشريق مطلقاً.

وتقدم اختلافُهم في التكبير للفطر عندَ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما صفةُ التكبيرِ، فعندَ الشافعيِّ: الله أكبرُ ثلاثاً نَسَقاً في الأول، ثم يهلِّلُ، ويشفَعُهُ، ثم يقول: ولله[1] الحمد.

وعند أبي حنيفةَ وأحمدَ: يشفعُ التكبير في أوله وآخرِه، وصفتُه: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

وعن مالك كالمذهبين، وكلاهما جائز عنده، والله أعلم.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: فمن عَجِلَ وطلبَ الخروجَ من مِنًى.

﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ نفرَ في اليوم الثاني من أيام التشريق، فتركَ المبيتَ بمنىً في الليلة الثالثة، وهذا النَّفْرُ الأول.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتعجيلِه؛ لأنه مرخَّص له في ذلك.

﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ حتى نفر في اليوم الثالِث، وهو أفضلُ، وهذا النَّفْرُ الثاني.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بتركِ الترخُّصِ. تلخيصُه: هم مخيَّرون بينَ نفرين، وإن كان المتأخِّرُ أفضلَ.

---

(١) «ولله» ساقطة من «ن».

﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ المناهيَ، أي: جوازُ التخيير، ونفيُ الإثم لمن اتقى شيئاً نهاه اللهُ عنه.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاءِ، وأصلُ الحشرِ: الجمعُ وضَمُّ المتفرِّقِ.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ يَروقُكَ ويعظُمُ في قلبكَ.

﴿قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: يَسُرُّكَ ما يقولُه في معنى الدنيا؛ لأن دعواهُ مَحَبَّتَكَ إنما هو لطلب حَظٍّ من الدنيا. قرأ أبو عمرٍو: (يَعْجِبُك قَوْلُهُ) بإدغام الكاف في القاف. نزلتْ في الأخنسِ بِن شَرِيقٍ الثقفيِّ، وكان حلوَ الكلامِ، يَلْقى النبيَّ ﷺ ويحلِف له أنه يحبُّهُ، ويظهر الإسلامَ، وكان منافقاً(١).

﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي: يقول: اللهُ شاهدٌ على ما في قلبي من مَحَبَّتِكَ، ومن الإسلامِ.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ أي: هو شديدُ الجِدالِ والعداوةِ للمسلمين.

* * *

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٣١٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٧١).

[٢٠٥] ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ أدبرَ عنكَ .

﴿ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بعمل المعاصي .

﴿ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ بقطعِ الرَّحِمِ وسفكِ دماءِ المسلمين .

﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ ﴾ الزَّرْعَ .

﴿ وَٱلنَّسْلَ ﴾ ولدَ آدمَ والحيوانَ .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ﴾ أي : لا يرضى .

﴿ ٱلْفَسَادَ ﴾ فاحذروا غضَبه عليه .

***

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ .

[٢٠٦] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ أي : خَفِ اللهَ .

﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ ﴾ حملَتْهُ النَّخْوَةُ والتكبُّرُ على العمل .

﴿ بِٱلْإِثْمِ ﴾ أي : الظلم .

﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ أي : كافيهِ جزاء .

﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ الفراشُ .

***

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ .

[٢٠٧] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ أي : يبيعُها .

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: طلبَ رضوانِ الله. قرأ الكسائي: (مَرْضَاةِ) بالإمالة، ووقف بالهاء حيثُ وقع[١]. سببُ نزولِها أن المشركين كانوا[٢] أَسَروا خُبَيْبَ بنَ عَدِيٍّ الأنصاريَّ وصلبوه بالتَّنْعيم، فلما بلغ[٣] النبيَّ ﷺ هذا الخبرُ، قال لأصحابه: «أَيُّكُمْ يُنْزِلُ خُبَيْباً عن[٤] خَشَبَتِهِ وَلَهُ الجَنَّةُ؟ فقال الزبيرُ بنُ العوَّام: أنا وأخي المقداد بنُ الأسودِ، فخرجا يمشيان بالليل، ويَكْمُنان بالنهار، حتى أتيا التنعيمَ ليلاً، وأنزلاه، وقَدِما على رسولِ الله ﷺ وجبريلُ عندَهُ، فقال: يا محمدُ! إن الملائكةَ لَتُباهي بهذين مِنْ أصحابِكَ، فنزل فيهما: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ حينَ شَرَيا أنفسَهما لإنزالِ خُبيب من خَشَبته، وقيلَ غيرُ ذلك، والقصةُ فيها طولٌ واختلافٌ بين المفسرين[٥].

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أَن كلَّفهم الجهادَ لحصولِ الثوابِ لهم.

***

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٢٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٤ـ٩٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٥).

(٢) «كانوا» ساقطة من «ن».

(٣) «بلغ» ساقطة من «ت».

(٤) في «ن»: «من».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٢٧).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾.

[٢٠٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ أصلُه: الاستسلامُ والانقياد، والمرادُ: الإسلامُ، ويقالُ للصلح: سلْم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وأبو جعفرٍ: (السَّلْمِ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[1].

﴿كَآفَّةٗ﴾ أي: جميعاً، وأصلُها من الكفِّ: الجمع. نزلت في مؤمني أهلِ الكتاب عبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه، وذلك أنهم كانوا يُعَظِّمونَ السبتَ، ويكرهون لحومَ الإبل بعدَما أسلموا، وقالوا: يا رسول الله! إن التوراةَ كتابُ الله، فدعْنا فَلْنُقِمْ بها صلاتَنا بالليل، فأنزل الله تعالى الآية[2].

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: آثارَه فيما زَيَّنَ لكم من تحريمِ السبتِ ولحومِ الإبلِ وغيرِه.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهر العداوة.

* * *

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٥/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٧)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٢٩).

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾.

[٢٠٩] ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾ أي: مِلْتُم عن الإسلامِ مجتمعين.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ أي: الدَّلالاتُ على أنَّ ما دعيتم إليه حقٌّ.

﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ أي: غالبٌ قادرٌ على الانتقام.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا ينتقمُ إلا بالحق.

* * *

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾.

[٢١٠] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون، النظرُ والانتظارُ: الإمهالُ. المعنى: ما ينتظرُ تاركو الدخولِ في الإسلام.

﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ ﴾ جمعُ ظُلَّةٍ، وهي ما أَظَلَّ.

﴿ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ وهو السحابُ الأبيضُ الرقيقُ سُمِّيَ غماماً؛ لأنه يَغُمُّ؛ أي: يَسْتر.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: ﴿والملائكةِ﴾ بالخفضِ عطفاً على الغمام، تقديرُه: معَ الملائكة، وقرأ الباقون: بالرفعِ على معنى: إلا أنْ يأتيهم اللهُ والملائكة في ظُلَلٍ من الغمام(١)، والأَوْلى في هذه الآيةِ وفي

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥١)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٢٦١)، =

ما شاكَلَها أن يؤمنَ الإنسانُ بها، ويُمِرَّها كما جاءت بلا كيفٍ، ويَكِلَ علمَها إلى الله سبحانه، وهو مذهبُ أئمةِ السلف وعلماءِ السنة، قال سفيانُ بنُ عُيينةَ: كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسَه في كتابه، فتفسيرُهُ قراءتُه، والسكوتُ عنهُ، ليسَ لأحدٍ أن يفسِّرَهُ إلا اللهُ ورسولُهُ[1].

﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فُرِغَ من حسابهم، ووجبَ العذابُ، وذلكَ فصلُ اللهِ[2] القضاءَ بالحقِّ بينَ عبادِهِ يومَ القيامةِ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: بضمِّ التاءِ وفتحِ[3] الجيم[4].

* * *

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾.

= و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٧ـ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٥٩ـ١٦٠).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٩٨).

(٢) «الله» لفظ الجلالة لم يرد في «ت».

(٣) في «ن»: «ورفع».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦١).

[٢١١] ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: يا محمدُ! سلْ يهودَ المدينة.

﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ أعطينا آباءهم وأسلافَهم.

﴿مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ دلالةٍ واضحةٍ على نبوةِ موسى ـ عليه السلام ـ، وقيل: معناه: الدلالاتُ التي في التوراة والإنجيلِ على نبوةِ محمدٍ ﷺ.

﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾ يُنْكِرْ ويغيِّرْ.

﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: الدلائل على نبوة محمد ﷺ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ أي: بعد ما عرفَها وصَحَّتْ عنده.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فيعاقبُه(١) أشدَّ عقوبة.

* * *

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

[٢١٢] ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ نزلَتْ في مشركي العرب: أبي جهلٍ وأصحابِه، كانوا يتنعمون بما بُسِطَ لهم في الدنيا من المال، ويُكَذِّبون بالمعادِ، والمزيِّنُ اللهُ تعالى بأنْ خلقَ الأشياءَ العجيبةَ، فنظروا إليها فأعجبتهم، فَفُتِنوا بها(٢).

﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: يستهزئون بالفقراء من المؤمنين؛ كعبدِ الله بن مسعود، وعمارِ بنِ ياسر، وصُهيبٍ، وخُبيبٍ، وبلالٍ، وغيرهم.

---

(١) في «ن»: «فيعاقبون».

(٢) «بها» ساقطة من «ن».

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ لأن هؤلاءِ الفقراءَ في أعلى عليين في الجنة، وهؤلاء الكفارَ في أسفلِ السافلين في النار.

﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ رزقاً واسعاً من غيرِ تقتير.

***

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) ﴾.

[٢١٣] ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ متفقين على دينٍ واحدٍ وهو الإسلامُ، من آدمَ إلى نوحٍ، ثم اختلفوا.

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وجملتُهم مئةُ ألفِ نبيٍّ وأربعةٌ وعشرونَ ألفَ نبيٍّ، والمرسلون منهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عَشَرَ، والمذكورون في القرآن باسم العَلَم ستةٌ وعشرون نبياً، وهم: محمدٌ، وآدمُ، وإدريسُ، ونوحٌ، وهودٌ، وصالحٌ، وإبراهيمُ، ولوطٌ، وإسماعيلُ، وإسحاقُ، ويعقوبُ، ويوسفُ، وأيوبُ، وذو الكِفْلِ، وشُعيبٌ، وموسى، وهارونُ، وداودُ، وسليمانَ، وعُزَيْرٌ، ويونُسُ، وزكريّا، ويحيى، وإلياسُ، واليسعُ، وعيسى ـ صلواتُ الله عليهم أجمعين ـ، وأُشير إلى أشموئيلَ بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وأُشير إلى أَرْميا بقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وأُشير إلى يوشَعَ في سورة الكهف بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٦٠]، وأُشير إلى إخوةِ يوسفَ بقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ

كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٧]، ويأتي ذكرُ أسمائِهم عندَ تفسيرِ الآية، والأسباطُ ذُكروا إجمالاً، وهم من ذريةِ أولادِ يعقوبَ الاثني عَشَرَ، وكانَ فيهم أنبياءُ، وفي لقمانَ وذي القَرْنينِ خلافٌ كالخَضِر.

﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالثوابِ للمؤمن.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقابِ للعاصي.

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ المرادُ: الجنسُ، لا أنه معَ كلِّ نبيٍّ كتابٌ؛ لأن منهم من لم يكن له كتابٌ، وإنما أخذ بكتبِ مَنْ قبلَه.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الصدق.

﴿لِيَحْكُمَ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِيُحْكَمَ) بضم الياء وفتح الكاف؛ لأنَّ الكتابَ لا يحكمُ في الحقيقة إنما يُحْكَمُ به، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الكاف؛ أي: لِيَحْكُم الكتابُ؛ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾(١) [الجاثية: ٢٩].

﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في دينِ الإسلام.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الحقِّ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: أُعطوا الكتابَ المنزلَ.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ على صدقِ الكتبِ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٠)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٣).

﴿ بَغۡيَۢا﴾ حَسَداً.

﴿ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: بينَ المختلفينَ؛ بأن كذَّبَ بعضٌ[1] بعضاً، وكتموا صفة محمدٍ ﷺ على حُطامِ الدنيا ورياستِها.

﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ وقولُه: ﴿ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ بيانٌ للمختلَفِ فيه. تلخيصُهُ: فهدى اللهُ المؤمنين إلى الحقِّ [المختلَف فيه من الحقِّ][2].

﴿ بِإِذۡنِهِۦ﴾ بعلمِه وإرادته. قيلَ في هذه الآية: اختلفوا في القِبْلَة، فمنهم من يصلِّي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب، ومنهم من يصلي إلى بيت المقدس، فهدانا اللهُ للكعبةِ، واختلفوا في الصيام، فهدانا الله لشهر رمضان، واختلفوا في الأيام، فأخذتِ اليهودُ السبتَ، والنصارى الأحدَ، فهدانا الله للجمعة، واختلفوا في إبراهيم، فقالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً، فهدانا الله للحق من ذلك، واختلفوا في عيسى، فجعله اليهودُ لغيرتهم ولدَ زِنًى، وجعلَه النصارى إلهاً، فهدانا الله للحقِّ فيه[3].

﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ لا يَضِلُّ سالِكُه. واختلافُ القراء في الهمزتين من قوله: (يشاء إلى) كما تقدَّم في قوله: و﴿ لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [البقرة: ١١٥].

***

---

(١) في «ت»: «بعضهم».

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٠١).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾.

[٢١٤] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ نزلَتْ في غزوةِ الخندق لما أصابَ المسلمين الجهدُ؛ تطييباً لقلوبهم، وقيل: في حرب أُحد(١). تلخيصُه: أَظَننتم أنكم تدخلون الجنةَ من غيرِ مَشقَّةٍ.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾ و(لما) فيه معنى التوقُّع. المعنى: إن إتيانَ ذلكَ متوقَّع منتظَرٌ.

﴿ مَّثَلُ ﴾ أي: شَبَهُ.

﴿ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ ﴾ أي: مضوا.

﴿ مِن قَبْلِكُم ﴾ منَ النبيينَ والمؤمنين.

﴿ مَّسَّتْهُمُ ﴾ أصابَتْهُم.

﴿ ٱلْبَأْسَآءُ ﴾ الفقرُ.

﴿ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ المرضُ.

﴿ وَزُلْزِلُوا۟ ﴾ أُزعجوا بأنواعِ البلاء.

﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ المعنى: إن الأهوال اشتدَّت عليهم إلى غايةٍ قالَ فيها الرسولُ والمؤمنونَ استبطاءً للنصرِ لا شَكّاً:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٣٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٥٨٤).

﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ الذي وَعَدناه؟ قال الله تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ غيرُ متأخِّر. قرأ نافعٌ: (حَتَّى يَقُولُ) بالرفع على أنه في معنى الحال، نحو: شربتِ الإبلُ حتى يجيءُ البعيرُ يجرُّ بطنَه، فهيَ حالٌ ماضيةٌ مَحْكِيَّةٌ، وقرأ الباقون: بالنصب بإضمارِ (أن)، وجعلِ الفعلِ مستقبَلاً؛ أي: إلى أن يقول[1].

***

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾.

[٢١٥] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ نزلتْ في عَمْرِو بنِ الجَمُوح، وكان شيخاً ذا مال، فقال: يا رسول الله! بماذا نتصدَّقُ، وعلى من ننفق؟ فأنزلها الله تعالى[2]، و(ما) استفهامٌ. المعنى: أيُّ شيء الذي يُنفقونَهُ؟.

﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم﴾ وقوله:

﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ بيانٌ للمنفَقِ، ثم بَيَّنَ مَصْرِفَ النفقةِ بقوله:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٥ـ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٨٩ـ٢٩١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٢)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٥٣٤).

﴿ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ تلخيصُه : ما أنفقتُم من حلالٍ ، فهو خيرٌ كلُّه إذا كان على هؤلاء المذكورينَ .

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ يجازيكم به ، ثم نُسخت بفرض الزكاة .

* * *

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) ﴾ .

[٢١٦] ﴿ كُتِبَ ﴾ فُرِضَ .

﴿ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ أي : الجهادُ ، وهو قتالُ الكفار ، وهو فرضُ كفايةٍ إذا قامَ به من يَكْفي ، سقطَ عن الباقين الفرضُ ؛ كصلاةِ الجنازةِ ، وردِّ السلامِ بالاتفاق .

﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ أي : شاقٌّ عليكم .

﴿ وَعَسَىٰٓ ﴾ من أفعال المقارَبَةِ فيهِ طَمَعٌ .

﴿ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لأن في الغزو إحدى الحسنيين : إما الظَّفَرُ والغَنيمةُ ، وإما الشهادةُ والجنةُ .

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا ﴾ يعني : القعودَ عن الغزْوِ .

﴿ وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ لما فيه من فَواتِ الغَنيمةِ والأجر .

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ مصالحَكُمْ .

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلكَ .

روي أن النبيَّ ﷺ بعثَ عبدَ اللهِ بنَ جَحْشٍ، وهو ابنُ عمةِ النبيِّ ﷺ في آخِرِ جُمادى الآخرةِ قبلَ بَدْرٍ بشهرينِ في سَرِيَّةٍ على رأسِ سبعةَ عشرَ شَهْراً من مقدِمِه المدينةَ؛ ليرصُدوا عِيراً لقريشٍ فيها عمرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ وثلاثةٌ معهُ، وهم الحَكَمُ بنُ كَيْسانَ، وعثمانُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ المغيرةِ، ونَوْفَلُ بنُ عبدِ اللهِ المخزومِيَّانِ، فقتلوا عَمْرَو بنَ الحضرميِّ، فكانَ أولَ قتيل من المشركين، واستأسروا الحكمَ وعثمانَ، فكانا أولَ من أُسِرَ في الإسلام، وأَفْلَتَ نوفلُ، فأعجزَهم، وكانت الوقعةُ ببطنِ نخلةَ بينَ مكةَ والطائفِ، وجاء عبدُ اللهِ وأصحابُه النبيَّ ﷺ بالعِيرِ والأسيرينِ، وقالوا: يا رسول الله! قتلنا ابنَ الحضرميِّ، ثم أمسينا فرأينا هلالَ رَجَبٍ، فما ندري أفي رجبٍ أصبناهُ أم في جُمادى؟ قال ابن عباس: كانوا يحسبونَ تلكَ الليلةَ من جُمادى، وكانتْ من رجبٍ، فوقف رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيرين، وامتنع عن أخذِها، فعظمَ ذلكَ على أهلِ السريَّةِ، وسُقِطَ في أيديهم، وقال المشركون: قد استحلَّ محمدٌ الشهرَ الحرام، فنزل:

***

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾.

[٢١٧] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[(١)] يعني: رجباً، سُمِّيَ بذلك لتحريمِ القتالِ فيه.

﴿ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ ﴾ يا محمدُ.

﴿ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ عظيمٌ، تمَّ الكلامُ هاهنا، ثم ابتدأه فقال:

﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: وصدُّكم المسلمينَ عن الإسلام.

﴿ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ ﴾ أي: باللهِ.

﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي: مكةَ، عطفٌ على سبيل الله.

﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ ﴾ أي: أهلِ المسجد.

﴿ مِنْهُ ﴾ وهم النبيُّ ﷺ والمؤمنون.

﴿ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أعظمُ وِزْراً من القتال في الشهر الحرام.

﴿ وَٱلْفِتْنَةُ ﴾ أي: الشركُ.

﴿ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ أي: من قتلِ ابنِ الحضرميِّ في الشهرِ الحرام، فلما نزلَتْ أخذَ رسولُ الله ﷺ العيرَ، فعزلَ منه الخمسَ، وقسمَ الباقيَ بينَ أصحابِ السريةِ، وكانتْ أولَ غنيمةٍ في الإسلام، وبعثَ أهلُ مكةَ في فداءِ أسيريهم، فقال: بل نَقِفُهُمْ حتى يَقْدُمَ سعدٌ وعُتبةُ، فإن لم يقدما، قتلناهما بهما، فلما قدما، فاداهم، فأما الحكمُ بنُ كيسان، فأسلمَ وأقامَ مع النبيِّ ﷺ بالمدينة، فقتل يومَ بئرِ مَعونةَ شَهيداً، وأما عثمانُ بنُ عبد الله، فرجع إلى مكةَ، فماتَ بها كافراً، وأما نوفلٌ، فضربَ بطنَ فرسِه يومَ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٤٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

الأحزاب ليدخلَ الخندقَ، فوقعَ في الخندقِ مع فرسه، فتحطَّما جميعاً، وقتلَه اللهُ، فطلب المشركون جِيفَتَهُ بالثمن، فقالَ رسول الله ﷺ: «خُذُوهُ؛ فَإِنَّهُ خَبِيثُ الجِيفَةِ خَبِيثُ الدِّيَةِ»[1]، قال الله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار.

﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون.

﴿حَتَّىٰ﴾ أي: كي.

﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ أي: يصرِفوكم.

﴿عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ قَدَروا، ثُمَّ تهددهم بقوله:

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾ أي: يرجعْ.

﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ إلى دينِهم.

﴿فَيَمُتْ﴾ عطفٌ على ﴿يَرْتَدِدْ﴾.

﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾ أي: مرتداً و(من) رفع ابتداء، خبرُه:

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ أي: بَطَلَتْ حسناتهم.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ لأن عباداتهم لم تَصِحَّ في الدنيا، فلم يُجَازوا عليها في الأخرى.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ في هذا دليلٌ للشافعي

---

(١) انظر: «مسند الإمام أحمد» (١/ ٢٤٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٩٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥ ـ ٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٥٣٧).

وأحمد أن الردَّةَ لا تحبطُ العمل حتى يموتَ مرتدّاً، وأبو حنيفةَ ومالكٌ يبطلانه بالردَّة، وإن رجعَ مسلماً.

واختلفوا في حكم المرتدِّ، وهو الذي يكفرُ بعد إسلامه ـ والعياذ بالله ـ، فقال أبو حنيفةَ: يجبُ قتلُه في الحال، ولكن يُستحبُّ أن يُحبس ثلاثةَ أيامٍ، ويُعرض عليه الإسلامُ، وتُكشف شُبْهَتُهُ، فإن أسلمَ، وإلا قُتل، ويُكره القتلُ قبلَ العرض.

وقال مالكٌ وأحمدُ: يجب أن يُستتابَ ثلاثاً، فإن تابَ، وإلاَّ قتل.

وقال الشافعيُّ: تجبُ استتابتُه في الحال، فإن أَصرَّ، قُتل، وإن أسلم، صَحَّ وتُرِك.

واختلفوا في المرأة إذا ارتدَّتْ، فقال أبو حنيفة: تُحبس وتُخرج في كل أيام، ويُعرض عليها الإسلامُ، وتُضربُ حتى تسلم، ولا تُقتل.

وعند الثلاثة: حكمُها كالرجل في الاستتابة والقتل.

ولما أنزلت الآية، قال أصحابُ السرية: يا رسول الله! أنؤجَرُ على فعلنا هذا؟ فأنزل الله تعالى:

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ﴾.

[٢١٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾ لأنهم فارقوا أهلَهم ومنازلَهم.

﴿ وَجَٰهَدُواْ ﴾ فجعلَها جهاداً، جمعَ بينَ هذه الخصالِ ترغيباً، وإن كان الثوابُ حاصلاً بكلٍّ واحدةٍ منها.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعةِ الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ أخبرَ أنهم على رجاء الرحمة، و(رَحْمَتَ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يغفرُ الخطأ، ويُجْزِلُ الثوابَ والأجرَ.

وكانت الخمرُ حلالاً إجماعاً، وكان المسلمون يشربونها، فجاء معاذُ بنُ جَبَلٍ وعُمرُ بنُ الخطاب بجماعة، فقالوا: يا رسول الله! أَفْتِنا في الخمرِ، فإنها مَذْهَبَةٌ للعقل، مَسْلَبَةٌ للمال، ورُوي أنه سُئل عن الخمرِ والميسرِ معاً فنزلت[1]:

* * *

﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾.

[٢١٩] ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ وهو المُسْكِرُ؛ لأنه يَخْمُرُ العقلَ؛ أي: يسترُهُ.

﴿وَٱلْمَيْسِرِۖ﴾ القِمارُ؛ لأنه يأخذ مال غيره بسهولة ويُسر؛ أي: يسألونك عن جوازِ تناولهما واستعمالهما؛ لأن السؤالَ لم يكن عن أعيانهما.

---

(١) في «ن»: «فنزل». وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٦٠٥).

﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ أي: وزر. قرأ حمزة والكسائي: (إِثْمٌ كَثِيرٌ) بالثاء المثلثة، والباقون: بالباء[1]، فتركَها قوم لقوله: ﴿إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾، وشربها قومٌ لقولِه:

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ بلذَّةِ الشربِ والفرح، وإصابةِ المالِ من غيرِ كَدٍّ ولا تعب.

ثم دعا عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ جماعةً، فَسَكِروا، فأَمَّهم بعضُهم في المغربِ، فقرأ: قل يا أيها الكافرون. أعبدُ ما تعبدون، بحذف (لا) فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فتركوها في حالِ السُّكر.

ثم دعا عتبانُ بنُ مالكٍ جماعةً، فشربوا الخمرَ، فأنشدَ سعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ قصيدةً فيها هجاءُ الأنصار، فضربَ بعضُ الأنصار رأسَ سعدٍ بِلَحْيِ جمل، فشجَّهُ مُوضِحَةً، فشكا إلى النبيِّ ﷺ، فقال عمرُ: اللهمَّ بَيِّنْ لنا في الخمرِ بيانَ شِفاء، فنزل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ في المائدة إلى ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، فقال عمرُ: انتهينا، فَحُرِّمَتِ الخمرُ، وأُريقت[2].

والخمرُ ما غَلَىٰ واشتدَّ وقذَف بالزَّبَدِ من غيرِ طبخِ النار، من عصيرِ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٣٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩١ـ٢٩٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

العنبِ والرُّطَبِ، ونقيعِ الزَّبيبِ والتمرِ، وغيرِها، يُحَدُّ شاربُهُ، ويُفَسَّقُ، ويَكْفُرُ مُسْتَحِلُّها باتفاقِ الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: إنما يكفرُ باستحلالِ ما اتخذ من عصيرِ العنب فقط، ولا يُحَدُّ عندَه بشربِ غيرِه حتى يسكرَ.

وقدرُ الحدِّ للحرِّ أربعون جلدةً عندَ الشافعيِّ، وثمانون عندَ الثلاثة، ويتنصَّفُ[1] بالرِّقِّ باتفاقِهم.

والميسرُ: قالَ ابنُ عباسٍ: كان الرجلُ في الجاهليةِ يخاطِرُ الرجلَ على أهله وماله، فأيُّهما قمرَ صاحبَهُ، ذهبَ بأهلِه ومالِه، فأنزل اللهُ الآيةَ[2].

وكان أصلُ الميسر أنَّ أهلَ الثروةِ من العرب يشترونَ جَزُوراً، ويُجَزِّئونها عشرةَ أجزاء، ثم يقتسمونَ[3] عليها بعشرةِ قِداح يقالُ لها: الأزلامُ لسبعةٍ منها أنصباءُ، وثلاثةٌ لا أنصباءَ لها، فمن خرجَ سهمُه من السبعة، أخذَ نصيبَه، ومن خرج سهمُه من الثلاثة، لا يأخذ شيئاً، ويغرمُ ثمنَ الجزورِ كلِّه، ثم يدفعون ذلكَ الجزورَ إلى الفقراء، ولا يأكلون منه شيئاً، وكانوا يفتخرون بذلك، ويذمُّون مَنْ لم يفعلْه.

﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ بعدَ التحريم.

﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ قبلَه.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: في الصدقة، وذلك أن رسول الله ﷺ حَثَّهم على الصدقة، فقالوا: ماذا ننفقُ؟.

﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ هو ما فضلَ عن الحاجة. قرأ أبو عمرٍو: (العَفْوُ) بالرفع،

---

(١) في «ت»: «وينتصف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٥٨).

(٣) في «ن»: «يقسمون».

معناهُ: الذي تنفقون هو العفوُ. وقرأ الباقون: بالنصب؛ أي: قلْ أنفقوا العفوَ[1]، ثم نُسخ بآية الزكاة، ثم خاطبَ النبيَّ ﷺ والمرادُ: الأمةُ، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾.

[٢٢٠] ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المعنى: هكذا يبينُ الله لكم الآياتِ في أمر الدنيا والآخرة لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ في أمرهما، فتسعَوْنَ فيما هو صلاحُكم فيهما، ولا وقفَ على (تتفكرون) لئلاَّ يفصل بين العامل ومعموله.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ لما نزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]، فتركوهم، واجتنبوا مُؤاكلتهم، فاشتدَّ ذلك عليهم، فسألوا رسولَ الله ﷺ، فنزل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: الإصلاحُ لأموالهم من غيرِ أجرةٍ، ولا أخذِ عِوضٍ خيرٌ وأعظمُ أجراً.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٢-٢٩٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٦٩).

﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ ﴾ أي: تَخْلِطوا أموالَكُم إلى أموالهم، وتشاركوهم فيها.

﴿ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ أي: فهم إخوانُكم في الدين؛ لأن الأخَ يصيبُ من مال أخيه، ويعينُ بعضُهم بعضاً.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ ﴾ لأموالِهم.

﴿ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ لها.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إعناتَكُم.

﴿ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ أي: لضيَّقَ عليكم، والعَنَتُ: المشقَّةُ. قرأ البزيُّ (لأَعْنتكُمْ) بتسهيل الهمزة، بخلافٍ عنه، والباقون: بتحقيقها[1].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ آمِرٌ بعِزَّةٍ، سَهُلَ على العبادِ أو صَعُبَ.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعِه.

* * *

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾.

[٢٢١] ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ﴾ أي: لا تتزوَّجوا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٧).

﴿ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ والمرادُ: الوثنياتُ: بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله ﷺ: «نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا»(١)، فلا يجوزُ لمسلمٍ نكاحُ الوثنيَّات، ولا المجوسيَّات، ولا غيرِهن من أنواعِ المشركاتِ اللاتي لا كتابَ لهنَّ بالاتفاق، وسببُ نزولِها: أن أبا مَرْثَدٍ سألَ النبيَّ ﷺ عن تزويجِ عَناقَ، وكانت مشركةً، فنزلت(٢):

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ بجمالِها ومالِها. نزلَتْ في خَنْساءَ: وَليدةٍ سوداءَ كانَتْ لحذيفةَ بنِ اليمان، قالَ حذيفةُ: يا خنساء! قد ذُكِرْتِ في الملأِ على سوادِكِ ودهامَتِكِ، فأعتقَها وتزوَّجها(٣)، والمرادُ: كلُّ امرأةٍ مؤمنةٍ، حُرَّةً كانت أو أَمَةً.

﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لا تُزَوِّجوهم.

﴿ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ فلا يجوزُ تزويج مسلمةٍ بكافرٍ إجماعاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٨)، وقال: هذا الخبر وإن كان في إسناده ما فيه، فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به.

(٢) رواه أبو داود (٢٠٥١)، كتاب: النكاح، باب: في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ والنسائي (٣٢٢٨)، كتاب: النكاح، باب: تزويج الزانية، والترمذي (٣١٧٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النور، وقال: حسن غريب، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ. قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ١٣٦): فظهر أن هذا الحديث ليس في هذه الآية التي في البقرة، وإنما هو في الآية التي في النور، لكن ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٧) في هذه الآية التي في البقرة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢١٣).

﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ لأنَّ الخلقَ كلَّهم عبيدُ الله وإماؤه، و(لو) هنا بمعنى (إن).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ يعني: المشركين.

﴿ يَدْعُونَ إِلَى ﴾ أعمالِ أهلِ.

﴿ ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ ﴾ على لسانِ رسلِهِ[1].

﴿ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ أي: إلى أعمالِها.

﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بإرادتِه.

﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أوامرَهُ ونواهِيَهُ.

﴿ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتَّعِظون.

* * *

وكانتِ اليهودُ إذا حاضَتْ منهم المرأةُ، لم يؤاكِلوها، ولم يشارِبوها، ولم يجالِسوها، فسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾.

[٢٢٢] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾[2] هو مصدرُ حاضَتْ تحيضُ حَيْضاً

---

(١) في «ت»: «رسوله».

(٢) رواه مسلم (٣٠٢)، كتاب: الحيض، باب: الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

ومَحيضاً، وأصلُه: الانفجارُ والسيلانُ. والمعنى: يسألونك عن الوطء في زَمَنِ المحيضِ.

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ أي: مستقذَرٌ يؤذي مَنْ يقربُه مُجامِعاً.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ فاتركوا مجامعتَهُنَّ أيامَ حيضِهن.

﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ مجامِعينَ، فيحرم وَطْءُ الحائضِ، ويعصي فاعلُه بالاتفاقِ، أما الملامسةُ والمضاجَعَةُ معها، فجائزٌ بالاتفاقِ. واختلفَ الأئمةُ في وجوبِ الكفارةِ على من وَطِئَ الحائضَ، فذهبَ أكثرُهم أنه لا كفَّارةَ عليه، منهم: مالكٌ، والشافعيُّ، وأبو حنيفةَ، قالوا: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ إليه، ويُستحبُّ عندَ الشافعيِّ أن يتصدَّقَ بدينارٍ إن جامعَ في إقبالِ الدمِ، أو بنصفِ دينارٍ إن جامعَ في إدبارِهِ، وذهب قوم إلى وجوب الكفارة عليه، منهم: الإمامُ أحمدُ ـ رضي الله عنه ـ، فيجب عندَهُ على مَنْ جامعَ ـ ولو بحائلٍ ـ قبلَ انقطاعِ الحيضِ في الفرجِ دينارٌ أو نصفُه على التَّخْييرِ، ويجزىءُ إلى مسكينٍ واحدٍ؛ كنذرٍ مطلقٍ، وتسقط بالعجز، وكذا هي إن طاوعَتْهُ ـ ولو كانَ ناسِياً أو مُكْرَهاً أو جاهِلَ الحيضِ أو التحريم، أوهما ـ، واللهُ أعلم.

﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ أي: ينقطعَ الدمُ. وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ: (يَطَّهَّرْنَ) بفتح الطاء والهاء وتشديدهما، يعني: يغتسلْنَ[1].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (١/٢١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =

﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي: اغتسلْنَ.

﴿ فَأْتُوهُنَّ ﴾ أي: جامعوهن.

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ والمرادُ: الفرج.

قال ابن عباس: طَؤُوهُنَّ في الفَرْجِ، ولا تَعْدُوه إلى غيرِه[1]؛ أي: اتَّقوا الأدبارَ.

ولا يجوز وطءُ الحائضِ حتى ينقطعَ دمُها وتغتسلَ عندَ الشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ، وعند أبي حنيفة يجوزُ وطؤها إذا انقطعَ دمُها نهايةَ حيضِها، وإن لم تغتسلْ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ من الذنوبِ، ولا يعودون إليها.

﴿ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ من الشرك، وبالماءِ من الأحداثِ والنجاساتِ.

* * *

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾.

[٢٢٣] ﴿ نِسَآؤُكُمْ ﴾ مبتدأ، خبرُه:

﴿ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ أي: مَزْرَعٌ ومَنْبَتٌ للولدِ بمنزلةِ الأرضِ للنباتِ؛ تشبيهاً لما يلقىٰ في أرحامِهِنَّ من النُّطَفِ بالبذْرِ.

﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ ﴾ نساءكم.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧١).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٣٠٩).

﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ مُقبلاتٍ ومُدْبِرات. المعنى: جامِعُوهنَّ من أيِّ شِقٍّ شئتُم في المأتَى، وكانت اليهودُ تقولُ في الذي يأتي امرأتَهُ[1] من دُبرِها في قُبلها: إن الولدَ يكونُ أحولَ، فنزلتْ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ ولا يجوزُ إتيانُ المرأةِ في دُبُرِها بالاتفاق، وعن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ أنه قيلَ له: إنه نُقِلَ عنكَ أنك أَبَحْتَهْ، فقال: كَذَبُوا عليَّ، كذبوا عليَّ[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا»[3].

وعن أبي هريرةَ أيضاً عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى حَائِضاً، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فقد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[4] رواهُنَّ كُلَّهن الأثرُم. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: (شِيتُمْ) بغير همز، والباقون: بالهمز[5].

﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ التسميةُ عندَ الجماع.

وعن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا

---

(١) في «ت»: «المرأة».

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٤٠٥).

(٣) رواه أبو داود (٢١٦٢)، كتاب: النكاح، باب: في جامع النكاح، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٠١٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٤)، وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ١٨٠).

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٠١٧)، والترمذي (١٣٥)، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض، وابن ماجه (٦٣٩)، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن إتيان الحائض، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٨).

(٥) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٢)، حيث ذكرا القراءة عن أبي عمرو فقط.

الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»[(١)].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ على كلِّ حالٍ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ صائِرونَ إليه، فاستعِدُّوا له.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمدُ.

***

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

[٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ جمعُ يمينٍ. نزلتْ فيمن حلفَ ألاَّ يفعلَ شيئاً، وكانَ حنثهُ أولى، والعُرْضَةُ أصلُها: الشدَّةُ والقوَّةُ. معنى الآية: لا تجعلوا الحلفَ باللهِ سبباً مانعاً لكمْ من البرِّ والتَّقْوى، يُدْعى أحدُكم إلى صلةِ رحمٍ أو برٍّ فيقولُ: حلفتُ باللهِ ألاَّ أفعلَهُ، فيعتلُّ بيمينِهِ في تركِ البرِّ.

﴿أَن تَبَرُّوا﴾ أي: ألاَّ تبروا؛ كقولِه: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لئلاَّ تضلوا.

﴿وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا﴾ أي: لا تجعلوا الحلفَ باللهِ شيئاً مانعاً لكم من البِرِّ والتقوى والإصلاحِ ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾.

قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا،

---

(١) رواه البخاري (١٤١)، كتاب: الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع، ومسلم (١٤٣٤)، كتاب: النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»[1].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتكم.

***

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾.

[٢٢٥] ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ أي: لا[2] يعاقِبُكم.

﴿ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ اللَّغْوُ: كُلُّ مطروحٍ من الكلام لا يُعْتَدُّ به، وأصلهُ: الباطلُ، واللغوُ في اليمين: ما سبقَ إليه اللسانُ من غير قصدِ اليمين؛ نحو: لا واللهِ، وبلى والله عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ هو أن يحلفَ على شيء يرى أنه صادقٌ، ثم يظهرُ خلافُ ذلك، ولا كفارةَ فيه ولا إثمَ بالاتفاق، وقوله:

﴿فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ حالٌ من اللغو؛ أي: باللغو كائناً في أيمانكم.

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم﴾ أي: يعاقبُكم.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: نَوَتْ.

﴿قُلُوبُكُمْ﴾ وفُهْتُمْ به. قرأ ورشٌ، وأبو جعفرٍ: (يُوَاخِذُكُمْ) بفتح الواو بغير همز[3].

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٠)، كتاب: الأيمان، باب: ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «لا» ساقطة من «ن».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يَعْجَلُ بالمؤاخذةِ.

وتنعقدُ اليمينُ باللهِ وبأسمائهِ وصفاتِه بالاتفاق، وعند الثلاثةِ تنعقدُ إذا حلفَ بكلامِ اللهِ، أو بالمصحفِ، أو بالقرآنِ، خلافاً لأبي حنيفةَ، وتنعقدُ عندَ الإمامِ أحمدَ بالنبيِّ ﷺ خاصَّةً؛ خلافاً للثلاثة، فإذا حلفَ على أمرٍ مستقبَلٍ، فَحَنِثَ، فعليه كفارةٌ بالاتفاق، وإن حلفَ على أمرٍ ماضٍ أنه كانَ، ولم يكنْ، أو بالعكسِ، عالماً كان أو جاهلاً، فَحَنِثَ، فهيَ[1] اليمينُ الغموسُ؛ لغمسِهِ في الإثم، فتجبُ الكفارةُ عندَ الشافعيِّ، ولا تجبُ عندَ الثلاثةِ؛ لأنه إنْ كان عالماً، فهي كبيرةٌ، ولا كفارةَ في الكبائر، وإن كان جاهلاً، فهي يمينُ اللغو.

وقد رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ حلَفَ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، نَازَعَ اللهَ فيها حَوْلَهُ وقُوَّتَهُ، عَجَّلَ اللهُ لَهُ العُقُوبَةَ قَبْلَ ثَلَاثٍ»، وصفةُ اليمينِ أن يقولَ: تقلَّدْتُ الحولَ والقوَّةَ دونَ حولِ اللهِ وقُوَّتِهِ، إلى حَوْلي وَقُوَّتي إنْ لَمْ يَكُنْ ما قُلْتُه حَقاً. ونُقل أَنَّ بعضَ الناسِ حلفَ بهذهِ اليمين، وكان كاذباً، فهلكَ في يومِهِ، ذُكر ذلكَ في «شرح المقامات» للشريشي[2] بأبسطَ من هذا.

* * *

= (ص: ١٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٢).

(١) في «ن»: «فهو».

(٢) هو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى أبو العباس الشريشي الأندلسي المالكي النحوي، المتوفى سنة (٦١٩هـ)، له ثلاثة شروح على «مقامات الحريري» أصغر وأكبر وأوسط. انظر: «هدية العارفين» للبغدادي (١/ ٤٧).

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

[٢٢٦] ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ ﴾ يُقْسِمون.

﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ المعنى: يَبْعُدُون من نسائِهم مُؤْلِينَ.

﴿ تَرَبُّصُ ﴾ أي: انتظارُ.

﴿ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ تلخيصهُ: استقرَّ للمؤلين تربُّصُ أربعةِ أشهرٍ. والإيلاءُ من المرأةِ عندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ: أنْ يحلفَ ألاَّ يقربَها أكثرَ من أربعةِ أشهرٍ، فإذا مضتْ، وقفَ، فإما أن يجامِعَ، أو يطلِّقَ، فإن امتنعَ، طلَّقَ عليه القاضي، وإن عجزَ عن الجماعِ، فاءَ بلسانِهِ، فيقولُ: إذا قَدَرْتُ جامَعْتُ، وعند[1] أبي حنيفةَ: هو أن يحلفَ ألاَّ يقربَها أربعةَ أشهرٍ فصاعداً، أو ألاَّ يقربها مطلَقاً، وعليه كفارةٌ إن وَطِئَها قبلَ المدةِ، فإنِ انقضتِ الأربعةُ أشهر[2]، وقعتْ تطليقةٌ بائنةٌ عندَ أبي حنيفةَ.

ومدةُ الإيلاءِ في الحرِّ والعبدِ سَواءٌ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ يتَنَصَّفُ[3] بالرِّقِّ، فأبو حنيفةَ يعتبرُ رِقَّ المرأة، ومالكٌ يعتبرُ رِقَّ الزوجِ؛ كما قالا في الطلاق، ويأتي ذكرُه قريباً.

﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ رَجَعُوا عن اليمين.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ للمؤمنين.

﴿ رَّحِيمٌ ﴾ لهم.

---

(١) في «ت»: «وعن».

(٢) «أشهر» زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: «تتنصف».

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

[٢٢٧] ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ أي: أوقعوه، وأصلُ العزمِ والعزيمةِ: عَقْدُ القلبِ على إمضاءِ شيءٍ يريدُ فعلَه، والطلاقُ: هو حَلُّ قيدِ النكاحِ أو بعضِه بوقوعِ ما يملكُهُ من عددِ الطلقات، أو بعضِها، وأصلُه من الإطلاق.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لقولهم.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتهم.

* * *

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾.

[٢٢٨] ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ ﴾ أي: المُخَلَّياتُ من حبالِ أزواجِهِنَّ بعدَ الدخولِ بهنَّ.

﴿ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ ينتظرْنَ، وهذا خبرٌ معناه: أَمْرٌ؛ أي: لِيَتَرَبَّصْنَ.

﴿ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ فلا يَتزَوَّجْنَ.

﴿ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ جمعُ قَرْءٍ ـ بفتح القاف، وقد يضم ـ، ومعناه في اللغة: الوقتُ المعتادُ تَرَدُّدُهُ، وهو الحيضُ عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ، والطهرُ عند مالكٍ والشافعيِّ، وفائدةُ الخلافِ أن المعتدَّةَ إذا شَرَعَتْ في الحيضةِ الثالثةِ، انقضَتْ عِدَّتُها عندَ مَنْ يجعلُه الطهرَ، ويحسبُ بقيةَ الطهرِ الذي وقعَ فيه الطلاق قَرْءاً، وعندَ مَنْ يجعلُه الحيضَ لا تنقضي عِدَّتُها حتى تطهُرَ من

الحيضةِ الثالثةِ، وزادَ الإمامُ أحمدُ: حتى تغتسلَ، أو يمضيَ وقتُ صلاة.

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ من الحيضِ والحبلِ، وهو أن يريدَ الرجلُ مراجعتَها، فتقول: قد حضتُ الثالثةَ، أو تنكرُ الحبلَ ليبطلَ حقُّ الزوجِ من الرجعةِ والولدِ، وربما أسقطَتِ الولدَ خوفاً ألاَّ تعودَ.

﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ لأن المؤمنَ يخافُ هذا الفعلَ.

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾ جمعُ بَعْلٍ، وهو الزوجُ، سُمِّيَ بذلك لقيامِهِ بأمرِ الزوجةِ، وأصلُ البعلِ: السيدُ والمالكُ، والبِعالُ النِّكاحُ.

﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ أَوْلى برجعتِهِنَّ.

﴿ فِى ذَٰلِكَ ﴾ في العِدَّةِ.

﴿ إِنْ أَرَادُوٓا۟ ﴾ أي: الزوجُ والزوجةُ والوليُّ بالرجعَةِ.

﴿ إِصْلَـٰحًا ﴾ بينَهُما وحُسْنَ عشرةٍ.

﴿ وَلَهُنَّ ﴾ على الرِّجالِ.

﴿ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾ للرجال من الحقوق.

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بما عُرِفَ شَرْعاً. قال ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»(١).

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ بالمَهْرِ وإنفاقِ المال. **قرأ** يعقوبُ: (عَلَيْهُنَّ) بضم الهاء حيثُ وقع(٢).

---

(١) رواه الترمذي (١١٦٢)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» (٤١٧٦)، وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: (ص: ٢٣) من هذا الجزء.

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قال ﷺ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(١).

* * *

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩) ﴾.

[٢٢٩] ﴿ ٱلطَّلَٰقُ ﴾ تقديرُه: عَدَدُ الطلاقِ الذي يملكُ الزوجُ بعدَهُ الرَّجْعَةَ.

﴿ مَرَّتَانِۖ ﴾ كانَ الناس في الابتداءِ يُطَلِّقونَ من غيرِ حَصْر ولا عَدَدٍ، وكانَ الرجلُ يطلِّقُ امرأتَهُ، فإذا قاربَت انقضاء عِدَّتها، راجعَها، ثم طَلَّقَها كذلكَ، ثم راجعَها، يقصدُ بذلك مُضارَّتَها، فنزلتِ الآيةُ، وقولُه مَرَّتان؛ أي: مرةً بعدَ مرةٍ، ولم يُرِدِ الجمعَ بينهما، فإن راجعَها بعدَ الثانيةِ.

﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ ﴾ شرعاً؛ أي: يُمسكُها بما عُرِفَ من الحقوق، ولا يراجعُها بقصدِ تطويلِ العِدَّةِ مضارَّةً لها.

﴿ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ أصلُ التسريحِ: الإرسالُ؛ كالطلاقِ من الإطلاق. المعنى: يتركُها، ولا يقصدُها بسوء.

---

(١) رواه الترمذي (١١٥٩)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة، وقال: حسن غريب، وفي الباب: عن عائشة، وابن عباس، وابن أبي أوفى، وأنس، وابن عمر، ومعاذ، وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ.

وصريحُ اللفظِ الذي يقعُ به الطلاقُ من غير نيةٍ عندَ مالكٍ والشافعيِّ ثلاثةٌ: الطلاق، والفِراقُ، والسَّراحُ، وعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ هو لفظُ الطلاقِ.

واختلف الأئمةُ فيما إذا كان أحدُ الزوجين رقيقاً، فقال مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ: يعتبَرُ عددُ الطلاق بالزوج، فيملكُ الحرُّ على زوجتِهِ الأمةِ ثلاثَ طلقاتٍ، والعبدُ لا يملكُ على زوجته الحرَّةِ إلا طلقتينِ، وقال أبو حنيفةَ: الاعتبارُ بالمرأةِ، فيملكُ العبدُ على زوجتِهِ الحرَّةِ ثلاثَ طلقاتٍ، ولا يملكُ الحرُّ على زوجتِهِ الأمةِ إلا طلقتين.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج.

﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور.

﴿شَيْـًٔا﴾ ثم استثنى الخُلْعَ، فقال:

﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ تقديره: إلاَّ أَنْ يخافا تركَ حدودِ اللهِ المعروفةِ شرعاً من حُسْنِ الصحبةِ. قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (يُخَافَا) بضمِّ الياء؛ أي: يُعْلَمَ ذلك منهما؛ يعني: يعلم المسلمون والقاضي ذلك من الزوجين؛ بدليل قوله:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فجعلَ الخوفَ لغيرِ الزوجين، ولم يَقُلْ: فإن خافا. وقرأ الباقون: بفتح الياء[1]؛ أي: يعلم الزوجانِ من أنفسِهما.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٤_٢٩٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في =

﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾ نزلت في جميلةَ بنتِ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سلولَ وزوجِها ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شماس، وكان يحبُّها، وهي تُبْغِضُه، وكان قد أعطاها حديقةً، فافتدَتْ بها نفسَها منهُ، وهو أولُ خُلْعٍ في الإسلام[1].

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾ أي: على الزوج فيما أخذ، ولا على الزوجة.

﴿فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ نفسَها من المال؛ لأنها ممنوعةٌ من إتلافِ المالِ بغيرِ حقٍّ، وهذه الآيةُ دليلُ جوازِ الخُلْعِ بسؤالِ الزوجةِ على مالٍ تفتدي به نفسَها.

واختلفَ الأئمةُ في الخلع، فقال الثلاثةُ: هو تطليقةٌ بائنةٌ، وقال أحمدُ: هو فَسْخُ عِصْمَةٍ إذا وقعَ بلفظِ خُلْعٍ، أو فَسْخٍ، أو مفاداةٍ لا يُنقصُ عددَ الطلاقِ، وهو قولُ ابن عباسٍ، وعبدِ الله بنِ عمَر، واحتجَّ ابنُ عباس بقولِهِ تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ ثم قال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ فذكرَ تطليقتينِ والخلعَ وتطليقةً بعدها، ولم يَكُ للخُلْعِ حكمٌ يُعْتَدُّ به، فلو كان الخلعُ طلاقاً، لكانَ الطلاقُ أربعاً، ولأنَّها فُرْقَةٌ خلَتْ عن صريح الطلاقِ ونيتهِ، فكانتْ فسخاً كسائر الفُسوخِ، ومن قالَ: هو طلقةٌ، جعل الطلقة الثالثة: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾.

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه أوامرُه ونواهيه.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٤).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٢٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٦٧٠).

﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ لا تتجاوزوها.

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ يتجاوزُها.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

***

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾.

[٢٣٠] ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ الطلقةَ الثالثةَ.

﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ ﴾ أي: بعدَ الطلقةِ الثالثةِ.

﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ غيرَ مطلِّقِها، فيجامِعُها. والنكاحُ شرعاً: يتناولُ العَقْدَ والوَطْءَ جميعاً، فهو حقيقةٌ فيهما عندَ الإمامِ أحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ هو حقيقةٌ في الوطءِ، مَجازٌ في العقدِ، وعندَ الشافعيِّ بالعكس، وهو في اللغةِ الضَّمُّ والجمعُ، فعلى القول بأنه حقيقةٌ في العقد، فهو ضمٌّ وجمعٌ بالنسبة إلى الإيجابِ والقَبولِ؛ فإنَّ القبولَ يُضَمُّ ويُجْمَعُ إلى الإيجاب، وعلى القولِ بأنه حقيقةٌ في الوطءِ، فهو ضَمٌّ وجمعٌ بالنسبةِ إلى جمعِ أحدِ الفَرْجينِ إلى الآخر وضَمِّهِ إليه؛ لأن الزوجينِ حالةَ الوطءِ يجتمعانِ، وينضَمُّ كلُّ واحدٍ منهما[1] إلى صاحبِه حتى يصيرا كالشَّخْصِ الواحدِ، والحقيقةُ: اللفظُ المستعملُ فيما وُضِعَ له، والمجازُ: اللفظُ

---

(١) «منهما» زيادة من «ن».

المستعمَلُ في غير ما وُضع له على وجهٍ يصحُّ، والحقيقةُ لا تستلزمُ المجازَ، والمجازُ يستلزمُها بالاتفاق.

عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: جاءتِ امرأةُ رفاعةَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقالت: كنتُ عندَ رفاعةَ، فطلَّقني فَبَتَّ طلاقي، فتزوَّجْتُ بعدَه عبدَ الرحمنِ بنَ الزَّبِيرِ، وإنما معهُ مثلُ هُدْبَةِ الثوبِ، فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ، وقال: «تُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ، وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»(١).

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوجُ الثاني.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي: على الزوجِ الأولِ والزوجةِ بعدَ انقضاءِ العِدَّةِ.

﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ أي: يرجعَ كلٌّ واحدٍ منهما إلى صاحبه بنكاحٍ جديدٍ.

﴿إِن ظَنَّآ﴾ أي: رَجَوَا.

﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ الواجبةَ في حقِّ الزوجيةِ، وقال مجاهد: إنْ عَلِما أنَّ نكاحَهُما على غيرِ دلسة، وهي التَّحليل.

واختلف الأئمةُ في الرجلِ إذا تزوَّجَ امرأةً طُلِّقَتْ ثلاثاً لِيُحِلَّها للزوجِ الأولِ، فقالَ مالكٌ وأحمد: النكاحُ باطِلٌ، ولا تحلُّ للأولِ، وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: النكاحُ صحيحٌ، ويحصُلُ بهِ التحليلُ إذا لم يُشْتَرَطْ في النكاح مع الثاني أن يفارقَها، غيرَ أنه يُكْرَه إذا كانَ في عزمِهما ذلك.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما أَمَرَهُمْ به.

---

(١) رواه البخاري (٥٠١١)، كتاب: الطلاق، باب: إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها، ومسلم (١٤٣٣)، كتاب: النكاح، باب: لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: قَرُبْنَ من انقضاءِ العدةِ. نزلتْ في ثابتِ بنِ يسارٍ الأنصاريِّ، طلقَ امرأتَهُ، فلمَّا دَنَتْ عِدَّتُها، راجَعَها، ثم طلقَها مُضارَّةً(١).

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ راجِعُوهُنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غيرِ طلبِ ضِرارٍ بالمراجعةِ.

﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ﴾ أي: اتركوهنَّ.

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حتى تنقضيَ عدتُهنَّ، فيكُنَّ أملكَ بأنفسِهِنَّ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي: لا تقصِدوا بالرجعةِ المضارَّةَ.

﴿لِّتَعْتَدُواْ﴾ لتظلموهُنَّ بتطويلِ الحبسِ.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ قرأ: الليث عن الكسائي (يفعل ذلك) بإدغام الذال في اللام حيث وقع.

﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضِهِ إلى عذابِ الله. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَقَد ظَّلَمَ) حيثُ وقعَ بإدغامِ الدالِ في الظاء، والباقونَ بالإظهار(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٦).

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ ﴾ بأن يطلِّقَ ويقولَ: كنتُ لاعباً، ويعتقَ وينكحَ ويقولَ: كنتُ لاعباً، قال ﷺ: «ثَلاثَةٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: الطَّلاقُ وَالنِّكَاحُ وَالْعِتَاقُ»(١).

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بالإيمان (نعمت) رُسمت بالتاء في أحدَ عشرَ موضعاً، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: القرآنِ.

﴿ وَٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ يعني: السنَّةَ.

﴿ يَعِظُكُم بِهِۦۚ ﴾ بالنازِلِ عليكم.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ تأكيدٌ وتهديدٌ.

ثم خاطبَ الأزواجَ والأولياءَ فقال:

* * *

﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٢٣٢) ﴾.

[٢٣٢] ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: انقضَتْ عدَّتهن. نزلتْ في جميلةَ بنتِ يسارٍ أختِ مَعْقِلِ بن يَسارٍ المزنيِّ، كانت تحتَ أبي البراح

(١) رواه أبو داود (٢١٩٤)، كتاب: الطلاق، باب: في الطلاق على الهزل، والترمذي (١١٨٤)، كتاب: الطلاق واللعان، باب: ما جاء في الجد والهزل في الطلاق، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢٠٣٩)، كتاب: الطلاق، باب: من طلق أو نكح أو راجع لاعباً، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

عاصمِ بنِ عديٍّ بنِ عَجلانَ، فطلَّقها، فلما انقضتْ عدَّتُها، جاء يخطبُها، فقالَ له أخوها: زَوَّجْتُكَ وفَرَشْتُكَ وأكرمتُكَ، فطلَّقْتَها، ثم جئتَ تخطبُها! لا واللهِ لا تعودُ إليكَ أبداً، وكان رجلاً لا بأسَ به، وكانت المرأةُ تريد أن ترجعَ إليه، فأنزل الله تعالى:

﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ [(١)] أصلُ العَضْلِ: المنعُ والشدَّةُ. المعنى: لا تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الذين يرغَبْنَ فيهم، ويصلحون لهنَّ.

﴿ إِذَا تَرَاضَوْا﴾ أي: الخطَّابُ والنساء.

﴿ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ بعقدٍ حلالٍ ومهرٍ جائز.

﴿ ذَٰلِكَ﴾ أي: النهيُ.

﴿ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ﴾ أيها الجمع.

﴿أَزْكَىٰ﴾ أي: خير.

﴿ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم من الرِّيبةِ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في قلبِ أحدِهما من حبِّ الآخَرِ.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ، فلما نزلت الآية، قال أخوها: الآن أَفعلُ يا رسول الله.

***

(١) رواه البخاري (٤٢٥٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ...﴾.

﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾.

[٢٣٣] ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ ﴾ أي: المطلَّقاتُ اللاتي لهنَّ أولاد من أزواجهن.

﴿ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾ خبرٌ، ومعناه: أَمْرُ استحبابٍ.

واختلف الأئمةُ هل تُجبر الأمُّ على إرضاعِ ولدِها؟ فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا تُجبر، إلا أن يُضطرَّ إليها، ويُخْشى عليه.

وقال مالكٌ: تُجبر إن كانَتْ تحتَ الأبِ، أو رجعيةً، إلا أن تكون عَلِيَّةَ القَدْرِ، فلا تُجبر إلا أَلاَّ يقبلَ ثَدْيَ غيرِها، أو يكونَ الأبُ معسِراً، أو ميتاً، وليس للولدِ مالٌ.

وقال الشافعيُّ: يجبُ عليها إرضاعُه اللِّبَأَ، ثم بعدَهُ إن لم يوجدْ إلا هي، أو أجنبيةٌ، وجبَ إرضاعُه، فإن وُجِدتا، لم تُجبرِ الأمُّ.

واختلفوا فيما إذا طلبت الأمُّ أجرةَ مثلِها في إرضاعِ ولدها، فقال أبو حنيفة: لها ذلك بشرطِ ألاَّ تكونَ في عصمة الأب، ولا عِدَّتِه، فإن وَجَدَ متبرعةً، أو من تُرضعُ بدون أجرةِ المثلِ، كان للأبِ أن يسترضعَ غيرَ الأمِّ، بشرطِ أن تكونَ المرضعةُ عندَ الأمِّ؛ لأن الحضانةَ لها.

وقال مالك: لها طلبُ أجرةِ المثلِ بعد البينونةِ، ولو في العدَّة، فإن وُجد من يُرضعُهُ بدونِ أجرةِ المثل، فإن كان ذلكَ عندَ الأم، فتُخَيَّرُ بينَ إرضاعِه بذلك، أو تسليمِه للظِّئْرِ، وليس لها طلبُ أجرةِ المثلِ، فإن لم يكن عندَها، فليس له ذلك، ولو كانتِ المرضعةُ متبرعةً، وعليه أن يرضعَه عندَ أمِّه، ولا يخرجَهُ من حَضانتها؛ كقولِ أبي حنيفة.

وقال الشافعيُّ: لها أخذُ الأجرةِ في العصمةِ والبينونةِ، فإن وجَدَ متبرعة، أومن يرضى بدونِ أجرةِ المثلِ، فله انتزاعُ الولدِ منها.

وقال أحمد: هي أحقُّ بأجرةِ مثلها، ولو وجدَ متبرعةً، سواءٌ كانت في حبالِ الزوجِيَّة، أو مطلَّقَةً.

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ يعني: أربعة وعشرين شهراً، ثم جاء بالتخفيف فقال:

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ﴾ أي: يكمل.

﴿ٱلرَّضَاعَةَ﴾ أي: هذا منتهى الرضاع، وليس فيما دون ذلك حَدٌّ محدود، وإنما هو على مقدار إصلاحِ الصبيِّ أو ما يعيشُ به.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي: الأبِ.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾ طعامُهن.

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ لباسُهن.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: قدر اليُسْرَةِ.

﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ لا تُحَمَّلُ.

﴿نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتَها.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ فينزع منها بعدَ رضاها بإرضاعه. قرأ: ابن

كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (تُضَارُّ) برفع الراء نَسَقاً على قولِه: ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾، وأصلُه: تُضارَرُ، فأُدغمتِ الراء في الراء. قرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ: بنصبِ الراءِ، وقالوا: لما أُدغمت الراءُ في الراء، حركت إلى أخفِّ الحركات، وهو النصب، وأبو جعفرٍ: بإسكانِ الراء[1].

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ بأن تلقيَ الولدَ إلى أبيه بعدَما أَلِفَها تضارُّه بذلكَ.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ أي: وارثِ الصبيِّ عندَ فقدِ أبيه.

﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ أي: مثلُ الذي كان على أبيه في حياته.

واختلف الأئمة في وجوبِ النفقة على القريب، فعند مالكٍ والشافعيِّ: لا نفقةَ للصبيِّ إلا على الوالدينِ فقط، وعندَ أبي حنيفةَ تجبُ إلاّ على مَنْ ليس بذي رَحِم محرمٍ؛ كابن العمِّ، وعندَ أحمدَ تجبُ على كلِّ وارثٍ على قدرِ ميراثِه.

﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ الوالدانِ.

﴿فِصَالًا﴾ فِطاماً للصغير قبلَ الحولينِ، فليكنْ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٦٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٣٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٤١)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ١٦٧ـ ١٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧ـ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٨ـ١٧٩).

﴿ عَن تَرَاضٍ ﴾ اتفاقٍ.

﴿ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ﴾ بأن يستخرجَ الوالدانِ رأيَ العلماءِ أنَّ الفطامَ لا يضرُّهُ، واعتبرَ اتفاقُهما، لِمَا للأبِ من الولايةِ، وللأمِّ من الشفقة.

﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ أي: لا حَرَجَ.

﴿ عَلَيْهِمَا ﴾ في الفطام قبلَ الحولين. قرأ يعقوبُ: (عَلَيْهُما) بضمِّ الهاء[1].

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ أي: لأولادكم مراضعَ غيرَ أمهاتهم إذا أبتْ أمهاتُهم أن يُرْضِعْنَهم، أو تعذَّرَ لعلَّةٍ بهنَّ؛ كانقطاعِ لبنٍ، أو أردْنَ النكاحَ.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم ﴾ إلى أمهاتهم.

﴿ مَّآ ءَاتَيْتُم ﴾ ما سَمَّيتم لهنَّ بقدرِ ما أرضعن. قرأ ابنُ كثيرٍ: (مَا أَتَيْتُمْ) بقصر الألف، ومعناه: ما فعلتم، والباقون بالمدّ[2].

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي: سلمتم الأجرةَ إلى المراضعِ بطيبِ نفسٍ وسرور.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ حَثٌّ وتهديدٌ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٦_٢٩٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٠).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾.

[٢٣٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ قائمٌ مقامَ المبتدأ المحذوف؛ أي: وأزواجُ الذينَ[(١)].

﴿ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾ أي: يتوفَّى آجالُهم، والتوفِّي: أخذُ الشيءِ وافياً.

﴿ وَيَذَرُونَ ﴾ أي: يتركون.

﴿ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ أي: يَعْتَدِدْنَ[(٢)].

﴿ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴾ أي: ليال باتفاقٍ؛ لأن التاريخ بالليلة؛ لأنها أول الشهر، واليومُ تَبَعٌ، فإن كانت حاملاً، فانقضاءُ عدتها بوضعِ الحملِ بالاتفاق.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: انقضَتْ عدتهنَّ.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ أيها الأولياء.

﴿ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ ﴾ من اختيارِ الأزواجِ، والتزيُّنِ.

﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فيجازيكم عليه.

ويجبُ الإحدادُ على المعتدَّةِ من الوفاةِ باجتنابِ الطيبِ و[(٣)] الزينةِ

---

(١) «أي وأزواج الذين» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «يعتدون».

(٣) «الطيب و» ساقطة من «ن».

والادِّهان بالمطيَّبِ بالاتفاق، وجَوَّزَ أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ الاكتحالُ بالأسودِ للضرورة، وعند الشافعي تكتحلُ به[1] ليلاً، وتمسحُه نهاراً للضرورة، وأما المطلقة، فإن كان طلاقُها رجعياً، فلا إحدادَ عليها بالاتفاق، وإن كان بائناً، فقال أبو حنيفة: يجبُ عليها الإحدادُ، وقال مالكٌ وأحمد: لا يجبُ عليها، وعندَ الشافعيِّ يُستحبُّ، وعنه قولٌ يجبُ.

* * *

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾.

[٢٣٥] ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: المعتدَّات، والتعريضُ: التلويحُ بالشيء، وهو ما يلوحُ؛ أي: يبين منه المرادُ من غيرِ تصريحٍ، فالتعريضُ بالخِطبةِ مباحٌ في العدَّةِ من الوفاةِ والطلاقِ البائنِ بالاتفاق، نحو قوله: إنِّي في مثلِكِ لراغبٌ، ولا تفوتيني بنفسِكِ، وتجيبُه: ما يُرْغَبُ عنكَ، وإن قُضي شيءٌ كانَ، ونحوهما، ولا يجوز التعريضُ للرجعية، ولا التصريحُ للبائن قبلَ انقضاءِ العدةِ بالاتفاق، والخِطْبَةُ: التماسُ النكاح، فإذا خطبَ الرجلُ امرأةً، وأُجيب، حَرُمَ على غيره أن يخطبَ على خِطبته بالاتفاق، فلو خالفَ وفعلَ، صحَّ

(١) «به» ساقطة من «ن».

النكاحُ، ولزمَ عندَ الثلاثة، وقال مالكٌ: يُفْسخ قبل الدخولِ لا بعده.

﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ﴾ أي: أَضْمَرْتم. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ عن يعقوبَ (النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ) وشبهه حيثُ وقعَ بتحقيق الهمزتين والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وهي أن تبدل ياء[1].

﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ في قلوبِكم. تلخيصُه: لا تَبِعَةَ عليكم في التلويح بالنكاح.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾ ولكم ميلٌ إليهنَّ، فاذكروهُنَّ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ والسرُّ: الجِماعُ؛ أي: لا تَصِفوا أنفسَكُم لهنَّ بكثرةِ الجِماع، وإنما قيلَ للجماعِ: السِّرُّ؛ لأنه يكون في خُفْيَةٍ بينَ الرجل والمرأة.

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًاۚ﴾ وهو التعريضُ بالخِطبةِ.

﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ﴾ أي: تنْووا.

﴿عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ في العدَّةِ.

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ بانقِضائِها، وسُمِّيتِ العدَّةُ كِتاباً؛ لأنها فرضٌ في الكتاب، فعَقْدُ النكاحِ في العدَّةِ لغيرِ المطلِّقِ دونَ الثلاثِ باطلٌ بالاتفاق.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ فخافوه عقابه.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨ ـ ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨١).

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يغفرُ.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجِّلُ بالعقوبة.

* * *

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾.

[٢٣٦] ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: تُجامعوهنَّ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُمَاسُّوهُنَّ) بالألفِ في الموضعينِ على المفاعَلَة، لأن بدنَ كلِّ واحدٍ يلاقي بدنَ[1] صاحبه كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ [المجادلة: ٣]، وقرأ الباقون: (تَمَسُّوهُنَّ)؛ لأن الغِشيانَ يكونُ من فِعل الرجل؛ لقوله تعالى حكايةً عن مريم: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾[2] [مريم: ٢٠].

﴿أَوۡ تَفۡرِضُواْ﴾ أي: تُسَمُّوا.

﴿لَهُنَّ فَرِيضَةٗ﴾ مَهْراً. نزلتْ في رجلٍ من الأنصار تزوَّج امرأةً من بني حنيفةَ، ولم يُسَمِّ لها مَهْراً، ثم طلقها قبلَ أن يمسَّها، فنزلتْ هذه الآيةُ، فقالَ

---

(١) «بدن» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٣ ـ ١٨٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٢).

لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَتِّعْهَا، وَلَوْ بِقَلَنْسُوَتِكَ»[1] ونَفْيُ الجُناحِ عن المطلِّقِ؛ لأنَّ الطلاقَ مكروهٌ، وجاء في الحديث: «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلاقُ»[2]. تلخيصه: لا تَبِعَةَ عليكم إن أردتُم الطلاقَ قبلَ الدخولِ والمسيسِ، فطلِّقوهُنَّ.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أصلُ المتعةِ والمتاعِ: البلاغُ؛ أي: أعطوهُنَّ ما يتبلَّغْنَ وينتفعْنَ به.

﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ أي: ذي السعة منكم.

﴿قَدَرُهُۥ﴾ أي: بقدر[3] وُسْعِهِ.

﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ الضَّيِّقِ الحالِ.

﴿قَدَرُهُۥ﴾ بقدرِ ضِيقه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ، وأبو جعفرٍ (قَدَرُهُ) بفتح الدال فيهما، والباقون: بسكونها، وهما لغتان[4].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٥٩٦).

(٢) رواه أبو داود (٢١٧٨)، كتاب: الطلاق، باب: في كراهية الطلاق، وابن ماجه (٢٠١٨)، كتاب: الطلاق، باب: حدثنا سويد بن سعيد، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) في «ن»: «قدر».

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٩٨-٢٩٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٢).

﴿مَتَٰعًا﴾ نصبٌ على المصدر.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بما أمركم الله به من غيرِ ظلمٍ.

﴿حَقًّا﴾ مصدرُ حَقَّ.

﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلى المطلَّقاتِ بالتمتُّع، فمن تزوَّجَ امرأةً، ولم يفرضْ لها مهراً، ثم طلَّقَها قبلَ المسيسِ، فلها المتعةُ بالاتفاق، وإن طلَّقها قبلَ المسيسِ، وقد فرضَ لها، فلها نصفُ المفروض، ولا متعةَ لها بالاتفاق.

واختلف الأئمةُ في المطلقةِ بعدَ الدخول، فقال الشافعيُّ: تستحقُّ المتعةَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٤١]؛ لأن استحقاقَها المهرَ بمقابلةِ ما أتلفَ عليها من منفعةِ البُضْعِ، فلها المتعةُ على وحشةِ الفراق.

وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ: لا متعةَ لها، واختلفوا في قدر المتعة، فقال أبو حنيفةَ: مبلغُها إذا اختلفَ الزوجانِ قدرُ نصفِ مهرِ مثلِها لا يجاوز، وقال الشافعيُّ: يُستحبُّ ألاَّ تنقصَ عن ثلاثين درهماً، فإن تنازعا، قَدَّرَها[1] القاضي بنظرِهِ معتبراً حالَهما، وقال أحمدُ: أعلاها خادمٌ، وأدناها كسوةٌ تجزئها الصلاةُ فيها، وقال مالكٌ: ليس لها حدٌّ محصور، وإنما يعطيها شيئاً يجري مجرى الهبةِ بحسبِ ما يحسُنُ على قدرِ حالِه من يُسرٍ وعُسرٍ.

***

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟

(١) في «ن» و«ت»: «قدره»، والتصويب من «ظ».

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

[٢٣٧] ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: قبلَ الدخول.

﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: سميتم لهنَّ مهراً.

﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فيجبُ عليكم نصفه، والمرادُ بالمسِّ: الجِماعُ، وإن ماتَ أحدُهما قبلَ المسيسِ، استقرَّ المهرُ كاملاً بالاتفاق، واختلفوا فيما إذا خلا الرجلُ بامرأته، ثم طلقها قبلَ المسيسِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لها كمالُ المهر، وعليها العِدَّةُ، وقال الشافعيُّ: لها نصفُ الصَّداقِ، ولا عِدَّةَ عليها، وقال مالكٌ: عليها العدَّةُ، ولها نصفُ المهرِ، فإن طال مقامُها معه، وقد تلذَّذَ بها وابتذلَها، فلها جميعُ المهر[1]، وقد حدَّه ابنُ القاسمِ بالعامِ.

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ أي: الزوجاتُ، وأصلُ العفوِ: التركُ؛ أي: إلا أن تتركَ المرأةُ نصيبَها، فيعودُ جميعُ الصداقِ إلى الزوج.

﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الوليُّ عندَ مالكٍ، فيجوزُ عفوُه إن كانَتْ بكراً، أو غيرَ جائزةِ الأمر، وعند أبي حنيفةَ وأحمدَ، والشافعيِّ في الجديد: هو الزوجُ، وقالوا ـ أعني الثلاثة ـ: لا يجوزُ لوليها تركُ شيء من صَداقها، بكراً كانت أو ثيباً، كما لا يجوزُ له ذلكَ قبلَ الطلاق، بالاتفاق، وكما لا يجوزُ له أن يهبَ شيئاً من مالها. المعنى: تعفو المرأةُ بتركِ نصيبِها للزوجِ، ويعفو الزوجُ بصرفِ جميعِ الصَّداق إليها.

---

(١) «المهر» ساقطة من «ت».

﴿ وَأَن تَعۡفُوٓاْ ﴾ محلُّه رفعٌ بالابتداء؛ أي: والعفوُ.

﴿ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ أي: العفوُ أقربُ من أَجلِ التقوى، والخطابُ للرجالِ والنساءِ، معناه: ويعفو بعضكم عن بعض أقربُ للتقوى.

﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ أي: لا تنسَوا تفضُّلَ بعضِكم على بعض بإعطاءِ الرجلِ جميعَ الصداق، وتركِ المرأةِ نصيبَها منه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ خبرٌ في ضمنِه الوعدُ للمحسنِ، والحرمانُ لغيره.

* * *

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ (٢٣٨) ﴾.

[٢٣٨] ﴿ حَٰفِظُواْ ﴾ داوموا.

﴿ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ أي: المكتوباتِ بمواقيتِها وحدودِها.

﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ وخُصَّتْ بالذِّكر تفضيلاً، وهي العصر عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه قالَ يومَ الخندقِ: «شَغَلُونَا عَنْ صَلاَةِ الْوُسْطَى صَلاَةِ الْعَصْرِ، مَلأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَاراً»(١)؛ ولأنها بينَ صلاتَي نهارٍ وصلاتَي ليلٍ، وقد خَصَّها النبيُّ ﷺ بالتغليظ.

وعندَ مالكٍ والشافعيِّ هي صلاةُ الفجرِ؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ

---

(١) رواه البخاري (٢٧٧٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ومسلم (٦٢٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

قَـٰنِتِينَ﴾ والقنوتُ: طول القيامُ، وصلاةُ الصبحِ مخصوصةٌ بطولِ القيامِ، وبالقُنوتِ؛ ولأنَّها بينَ صلاتَي جمعٍ، وهي لا تُقْصر ولا تُجمع إلى غيرها.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في صلاتكم.

﴿قَـٰنِتِينَ﴾ طائعين خاضعين، والقنوتُ في صلاة الصبح عندَ مالكٍ قبلَ الركوع سراً، وعند الشافعيِّ بعدَه جهراً، وسيأتي ذكر مذهبِ أبي حنيفة وأحمدَ في القنوتِ في صلاةِ الوترِ في سورةِ الفجر ـ إن شاء الله تعالى ـ. وأصلُ القنوتِ: الطاعةُ، رُوي عن زيدِ بنِ أرقمَ أنه قال: «كُنَّا نتكلَّمُ في الصَّلاةِ إلى أن نزل: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾، فَأُمِرْنا بالسُّكوت، ونُهِينا عنِ الكلامِ»[1].

* * *

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

[٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ وغيرِه.

﴿فَرِجَالًا﴾ أي: فصلُّوا رجالاً، جمعُ راجِلٍ.

﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ على دوابِّكُم، جمعُ راكبٍ. المعنى: إن لم تمكنْكُم الصلاةُ قانتين، فصلُّوا رجالةً ورُكباناً، وهذا في حال القتالِ والمُسايَفَةِ[2] ـ

(١) رواه البخاري (١١٤٢)، كتاب: العمل في الصلاة، باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة، ومسلم (٥٣٩)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة.

(٢) في «ن»: «المسابقة».

أي: الضرب بالسيف[1] - يصلِّي حيثُ كان وجهُه إلى القبلةِ وغيرِها، يومىء بالركوع والسجود على قَدْر الطاقة، ويجعل السجودَ أخفضَ من الركوع، وبذلك قالَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ، وقال أبو حنيفةَ: لا يصلِّي ماشِياً ولا مُسايِفاً إذا لم يمكن الوقوفُ، ولا ينقصُ عددُ الركعات عندَهم بالخوف، وسيأتي في سورة النساء بيانُ أقسامِ صلاةِ الخوف، وصفتها عقبَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١].

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ أي: زالَ الخوفُ.

﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: صلُّوا الصلواتِ الخمسَ، واشكروهُ على الأمنِ وأداءِ الصلاة.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ من صلاةِ الخوفِ وغيرِها.

﴿مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ ذكرَهُ.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾.

[٢٤٠] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ يا معشرَ الرجال.

﴿وَيَذَرُونَ﴾ يتركون.

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: زوجاتٍ.

﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ قرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفص:

---

(١) «أي: الضرب بالسيف» زيادة من «ظ».

(وَصِيَّةً) بالنصب؛ أي: يوصون وصيةً، والباقون: بالرفع؛ أي: فعليهم وصيةٌ[1].

﴿مَّتَـٰعًا﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: مَتِّعوهنَّ متاعاً.

﴿إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ أي: يوصي لها بنفقةِ حولٍ كاملٍ، وهي مدَّةُ العِدَّةِ في ابتداءِ الإسلام.

﴿غَيْرَ إِخْـرَاجٍ﴾ فإن خرجتْ من منزلِ زوجِها، سقطتْ نفقتُها، ثم نُسِخَ الحولُ بأربعةِ أشهرٍ وعشر، والنفقةُ بالميراثِ.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من قِبَلِ أنفسِهِنَّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياءَ الميت.

﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ يعني: التزيُّنَ والنكاحَ، ولرفعِ[2] الجناحِ عن الرجالِ وجهان: أحدهما: لا جناحَ عليكم في قطع النفقةِ عنهنَّ إذا خرجْنَ قبلَ انقضاءِ الحولِ، والآخرُ: لا جناحَ عليكم في تركِ منعِهِنَّ من الخروج؛ لأنَّ مقامَها في بيتِ زوجِها حولاً غيرُ واجبٍ عليها، خَيَّرَها الله تعالى بينَ أن تقيمَ حولاً، ولها النفقةُ والسُّكْنى، وبين أن تخرجَ إلى أن نُسختْ بأربعةِ أشهرٍ وعَشْرٍ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٦).

(٢) في «ن»: «لدفع».

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ راعي مصالحهم.

* * *

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾.

[٢٤١] ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ﴾ لما نزل ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ إلى ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال رجلٌ من المسلمين: إن أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أُردْ لم أفعلْ، فنزلت هذه الآية[1]، وجعلَ الله المتعةَ لهنَّ بلامِ التمليك، ثم أكَّد ذلك بقوله:

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ للشركِ، وتقدم ذكرُ الخلاف في الآية المتقدمة.

* * *

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.

[٢٤٢] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمونها.

* * *

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾.

خرج جماعةٌ من قريتهم داوَرْدانَ قِبَلَ واسط خوفَ الطاعون، فنزلوا وادياً أَفْيَحَ؛ أي: أوسعَ، فلما استقروا فيه، ماتوا جميعاً، وبقوا موتى ثمانية أيام، فسأل حزقيلُ النبيُّ فيهم ربَّهُ، فأحياهم فعاشوا بعدَ ذلكَ دهراً

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٤)، عن ابن زيد.

لا يلبسون ثوباً إلا عادَ رميماً كالكفن، قال ابنُ عباس: «فإنها لَتوجدُ اليومَ في ذلك السِّبْطِ من اليهودِ تلكَ الريحُ»[1] فنزل تعجُّباً من حالهم:

[٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: تعلمْ؛ لأنها من رؤية القلب، وكذا كلُّ ما لم يعايَنْ.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمعُ ألفٍ، أي: جماعاتٌ كثيرةٌ، واختُلف في مبلغ عددِهم، فورد فيه أقوال كثيرة، أولاها: قولُ من قالَ: كانوا زيادةً على عشرة آلاف.

﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ﴾ على لسان مَلَكٍ:

﴿مُوتُوا۟﴾، فماتوا، ثم عطف على قوله: ماتوا المقدَّرة قولَه:

﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ﴾ ليعلموا أنْ لا فرارَ من القدر، وهذا تبكيتٌ[2] لمن يفرُّ من قضاءِ اللهِ المحتومِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ كافَّةً في الدنيا، وخاصة على المؤمنين في الأخرى.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على ذلك، أما الكفارُ، فلم يشكروا، وأما المؤمنون، فلم يبلغوا غايةَ شكرِه، ثم عطف ما بعد على محذوف مخاطِباً للذين أُحيوا، وتقديره: لا تحذروا الموت.

* * *

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٧).

(٢) في «ن»: «تنكيت».

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ﴾.

[٢٤٤] ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في طاعتِه أعداءَه.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ بالضمائرِ. أَمَرَهم أن يجاهِدوا، هذا قولُ أكثرِ المفسرين، وقيل: هو خطابٌ لهذه الأمة، والله أعلم.

* * *

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾.

[٢٤٥] ﴿ مَّن ﴾ استفهامٌ ابتداء.

﴿ ذَا ﴾ خبرُه.

﴿ ٱلَّذِي ﴾ صفةُ الخبر، وصِلَةُ الذي.

﴿ يُقْرِضُ ٱللَّهَ ﴾ ينفقُ في طاعته.

﴿ قَرْضًا ﴾ أي: إقراضاً.

﴿ حَسَنًا ﴾ حلالاً، وأصلُ القرضِ لغةً: القطعُ؛ لأنه يقطعُ له من مالِه شيئاً يعطيه ليرجعَ إليه مثلُه.

﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ ﴾ قرأ عاصم: (فَيُضَاعِفَهُ) بنصبِ الفاء، وقرأ ابنُ عامرٍ، ويعقوب: (فَيُضَعِّفَهُ) بالتشديد ونصبِ الفاء، وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو جعفرٍ: (فَيُضَعِّفُهُ) بالتشديد وضم الفاء، والباقون: (فَيُضَاعِفُهُ لَهُ) بالألف مخففاً وضمِّ الفاء، وهما لغتان، فالقراءةُ بنصبِ الفاءِ على جواب الاستفهام، وبالضمِّ نَسَقاً على قوله. (يُقْرِضُ)[١]، ودليلُ التشديد قولُه:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/٢٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: =

﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ لأنَّ التشديدَ للتكثير، وهذا التضعيفُ لا يعلمُ عددَه إلا اللهُ، وأصلُ التضعيفِ: أن يُزاد على الشيء مثلُه أو أمثالُه. تلخيصه: مَنِ المعطي عبادَ اللهِ من حلالِ مالهِ بطيبِ نفسٍ وغيرِ مِنَّةٍ؟ فإنَّ الله يُثيبُه على ذلك أفضلَ ثواب.

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ﴾ بإمساك الرزقِ.

﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾ بتوسيعِه على خلقه. قرأ خلفٌ لنفسِه، وعن حمزةَ، والدوريُّ عن أبي عمرٍو، وهشامٌ عن عامرٍ، ورُوَيْسٌ عن يعقوبَ: (وَيَبْسُطُ) بالسين؛ لأنها الأصل. وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بالصاد إبدالاً من السين[1]، واختلِفَ عن قنبل، والسوسيِّ، وابنِ ذكوانَ، وحفصٍ، وخلاد، ورسمها بالصاد.

﴿وَإِلَيۡهِ﴾ أي: إلى الله.

﴿تُرۡجَعُونَ﴾ فيجازيكم.

= ١٣٨-١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٤-١٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٠-٣٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨ و٢٩١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٨-١٨٩).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٣٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٠٣-٢٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨٩).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾.

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الملأُ من القوم: وجوهُهم وأشرافُهم، وأصلُ الملأ: الجماعةُ من الناس.

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ موت.

﴿مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو أشموئيل، ومعناه بالعبرانية إسماعيل، مولدُه بقرية يقال لها: شيلوا، ويقال: إنها المشهورةُ يومئذٍ بالسيلةِ من أعمالِ نابُلُسَ، بعثه الله نبياً لما صار له أربعون سنةً، فدبَّرَ بني إسرائيل، ولبثوا أربعين سنةً بأحسنِ حال، وكان قوامُ أمر[١] بني إسرائيل بالاجتماع على الملوك، وكان ملوكُهم يطيعون أنبياءهم، فظهر لهم عدوٌّ عظيم، وهم قومُ جالوتَ، وهم العمالقة، كانوا يسكنون ساحلَ بحرِ الروم بينَ مصرَ وفلسطين، فظهروا على بني إسرائيل، وغلبوا على كثير من أرضهم، وسَبَوا منهم، وأسروا، فقالوا لنبيهم أشموئيل:

﴿ٱبْعَثْ﴾ أي: آثِرْ وأرسلْ.

﴿لَنَا مَلِكًا﴾ أي: معنا سلطاناً يتقدَّمُنا.

﴿نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فلما قالوا له ذلك.

---

(١) «أمر» ساقطة من «ت».

﴿قَالَ﴾ لهم:

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ استفهامُ شَكٍّ، يقول: لعلكم. قرأ نافعٌ: (عَسِيتُمْ) بكسر السين؛ كخشيتم، والباقون: بالفتح كرميتُم، وهي اللغة الفصيحة[1].

﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ مع ذلكَ الملكِ.

﴿أَلَّا﴾ تقوموا بما تقولون، ولا ﴿تُقَاتِلُوا﴾ معه. تلخيصُه: أنتم جبناءُ عن القتال، فكيف تقاتلون؟ فثمَّ استفهموا منكرين، و:

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المعنى: أيُّ عذرٍ لنا في تركِ الجهاد.

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ المعنى: أُخرجَ بعضُنا؛ لأن القائلين كانوا في ديارهم.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الجهاد، وضَيَّعوا أمرَ الله.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عَبَروا النهرَ مع طالوت، واقتصروا على الغَرْفةِ، وكانوا ثلاثَ مئةِ رجلٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً كأهلِ بدرٍ، ثم تهدَّدَهم فقال:

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ بتركِ الجهاد.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٢٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٠).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾.

[٢٤٧] ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ ﴾ وكانَ طالوتُ اسمُه بالعبرانيةِ شاولُ بنُ قيس من سِبْطِ بِنْيامين، ولم يكنْ من أعيانهم، قيل: كان راعياً، وقيل: سَقّاءً، وقيل: دبّاغاً، فلما عرَّفَهم نبيُّهم أن طالوتَ ملكُهم.

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ منكرين:

﴿ أَنَّىٰ ﴾ أي: كيف.

﴿ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ وليسَ من بيتِ الملك؛ لأن الملكَ كانَ في سِبْطِ يهوذا بنِ يعقوبَ، والنبوة في سبطِ لاوي بنِ يعقوب.

﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ لأنه فقيرٌ.

﴿ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً ﴾ أي: كثرةً.

﴿ مِّنَ ٱلْمَالِۚ ﴾ تلخيصُه: بعيدٌ تملُّكُه علينا؛ لعدمِ استحقاقِهِ للملكِ لوجود مستحقِّه، وفقره، فثم ﴿ قَالَ ﴾ نبيُّهم راداً عليهم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ ﴾ اختارَهُ.

﴿ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ ﴾ نفَّلَهُ.

﴿ بَسۡطَةً ﴾ سَعَة .

﴿ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ بالحرب .

﴿ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ بالطول، قيل: سُمِّيَ طالوتَ لطولِه، وكان أعلمَ بني إسرائيلَ بالحرب، وأطولَ من كلِّ إنسان برأسه ومنكبه، وكان أجملَ رجل في بني إسرائيل .

﴿ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ ﴾ لأنه مختصٌّ بالملْكِ .

﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ ذو السعة .

﴿ عَلِيمٞ ﴾ بما يصنع .

ثم قالوا لنبيهم: فما آيةُ ملكهِ؟ فأجابهم:

* * *

﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨ ﴾ .

[٢٤٨] ﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾ وهو صندوقُ التوراة، ومن قِصَّته أن الله أنزلَ تابوتاً على آدمَ من خشبِ الشِّمشارِ نحواً من ثلاثةِ أذرُع في ذراعينِ، فكان عندَ آدمَ، ثم عند شيثٍ، ثم توارثه أولادُ آدمَ إلى أن بلغَ إبراهيمَ، ثم كانَ عندَ إسماعيل، ثم عندَ يعقوب، ثم كان في بني إسرائيل إلى أن وصلَ إلى موسى، فكان موسى

يضعُ فيه التوراة، ومتاعاً من متاعه إلى أن مات، ثم تداولَه أنبياءُ بني إسرائيل، وكان كما ذكر[1] الله تعالى:

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: طُمَأنينة وحكمةٌ؛ لأنهم كانوا يسكنون إليه أينما كان، وإذا حضروا القتال، قَدَّموه بينَ أيديهم يَسْتنصرون به، وقيل: كانَ فيه شيءٌ كرأس الهرةِ إذا سمعوا صوتَهُ أيقنوا بالنصر، وإذا اختلفوا في شيء، تكلَّمَ وحكمَ بينهم.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي: موسى وهارون نفسُهما، وكان فيه لوحانِ من التوراة، ورضاضُ المنكسرِ من ألواحِها، وعصا موسى ونعلاه، وعِمامةُ هارون، وخاتمُ سليمانَ، وقفيزٌ من المنِّ الذي أُنزل على بني إسرائيل.

﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال ابن عباس: «جاءتِ الملائكةُ بالتابوتِ تحملُه بينَ السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعَتْه عندَ طالوتَ، فأقروا بملكه، قال ابنُ عباس: التابوتُ وعصا موسى في بحيرة طبرية يخرجان قبلَ يوم القيامة[2].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرة.

﴿لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فلما رأوا التابوتَ، أيقنوا بالنصر، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوتُ: لا أبتغي إلا الشابَّ النشيطَ الفارغَ[3]، فاجتمعَ له ثمانون ألفاً من شرطه.

---

(١) في «ت»: «ذكره».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٩).

(٣) في «ن» و«ت»: «الفارع».

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾.

[٢٤٩] ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ ﴾ أي: خرجَ من بيت المقدس.

﴿ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ ﴾ وكان حراً شديداً، فشكوا قلةَ الماءِ بينهم وبين عدوهم.

﴿ قَالَ ﴾ طالوتُ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم ﴾ مختبرُكُم ليرى طاعَتكم، وهو أعلمُ.

﴿ بِنَهَرٍ ﴾ هو الأُرْدُنُّ نهرُ الشريعة شرقي بيتِ المقدس، وقيل غيره.

﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ ﴾ أي: كرعَ فيه.

﴿ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ أي: من أتباعي وأهل ديني.

﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ ﴾ لم يذقْه.

﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (مِنِّي إلاَّ)[1] بسكون الياء، وقرؤوا أيضاً:

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٣ـ٣٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٥٩)، =

(غُرْفَةً) بضمِّ الغين، ووافقهم ابنُ كثير في (مِنِّي إلاَّ). والغرفةُ بالضَّمِّ: اسمٌ لما يحصل في كفِّ الغارفِ، وبالفتحِ: الاغترافُ. تلخيصُه: الغرفةُ مباحةٌ لكم دونَ الشربِ منها، وكانت الغرفةُ تكفي الرجلَ لشربه ودوابِّهُ.

﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ استثناء مِنْ (فَشَرِبوا)، والقليلُ الذين لم يشربوا كانوا ثلاثَ مئةٍ وبضعةَ عشرَ على الصحيح، فمن اغترف غرفة كما أمرَ اللهُ قوي قلبه، وصحَّ إيمانُه، وعبر النهرَ سالماً، والذين شربوا وخالفوا أمر الله، اسودَّتْ شفاهُهم، وغلبَهم العطشُ، وجَبُنوا عن لقاء العدو، فلم يجاوزوا، ولم يشهدوا الفتح.

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ ﴾ يعني: النهرَ.

﴿ هُوَ ﴾ يعني: طالوتَ.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ يعني: القليل.

﴿ قَالُواْ ﴾ يعني: الذين شربوا، وخالفوا أمر الله، وكانوا أهل شك ونفاق:

﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾ فانحرفوا ولم يجاوزوا.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يستيقنون.

﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾ وهم مَنْ ثبت مع طالوت.

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ ﴾ طائفةٍ.

= و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٢).

﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ بقضاء الله[1] وإرادتِهِ.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصرِ والمعونة[2].

***

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾ يعني: طالوتَ وجنودَه المؤمنين.

﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ المشركين، ومعنى برزوا: أي: صاروا في بَرازٍ من الأرض، وهو الفضاء.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ أنزلْ.

﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ قلوبنا.

﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كانَ جالوتُ من جبابرةِ[3] الكنعانيينَ من العماليقِ من ولدِ عمليقِ بنِ عادٍ، وكان ملكه[4] بجهاتِ فلسطينَ، وكان من الشدةِ وطولِ القامةِ بمكانٍ عظيمٍ، فلما تصافُّوا، قال جالوتُ لطالوتَ: إما أن تَبرزَ إليَّ، أو تُبرِز إليَّ أحداً، فإن قتلني، استحوذْتَ على ملكي، وإن قتلتُهُ، استحوذتُ على ملكِكَ، فخافه طالوتُ؛ لأنه كان يهزمُ الجيوش وحدَهُ، وكان في بيضَتِهِ ثلاثُ مئةِ رطلِ حديدٍ.

---

(١) في «ش»: «بقضائه».

(٢) في «ن»: «والعون».

(٣) في «ن»: «جبارة».

(٤) في «ش»: «ملكهم».

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾.

[٢٥١] ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ وكانَ من خبرِهم أنهم لما برزوا للقتال، طلبَ طالوتُ داودَ ـ عليه السلام ـ، وكان أصغرَ بني أبيه، وكان عمره ثلاثين سنة، وأمرهُ بمبارزةِ جالوتَ بعد أن رأى فيه العلائمَ التي يستدَلُّ بها على أنه هو الذي يقتل جالوتَ، وهي دهنٌ كان يستديرُ على رأسِ مَنْ يكون فيه السرُّ، وأحضر أيضاً تنُّوراً حديداً، وقال: الشخصُ الذي يقتلُ جالوتَ يكون ملءَ هذا التنور، فلما اعتبر داود ملأ التنورَ، واستدارَ الدهنُ على رأسه، فلما تحقق ذلك منه بالعلامة، أمرَهُ طالوتُ بمبارزةِ جالوتَ، فبارزه.

﴿ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ بثلاثةِ أحجارٍ كانتْ في مِخْلاةٍ، وهو متقلِّدٌ بها، وأخذ مِقْلاعاً بيدِه، وكان جالوتُ على فرسٍ أبلقَ عليهِ السلاحُ التامُّ، فلما نظرَ إلى داودَ، أُلقي في قلبِه الرعبُ، فقال له: أنتَ تبرزُ إلي؟ قال: نعم، قالَ: فأتيتَني بالمقلاعِ والحجرِ كما يُؤْتى الكلب؟ قال: نعم، أنت شرٌّ من الكلب، قال: لا جرمَ لأقسمنَّ لحمَكَ بينَ سِباعِ الأرضِ وطيرِ السماء، قال داودُ: أو يقسمُ اللهُ لحمَك، فقال داود: باسم اللهِ إلهِ إبراهيمَ، وأخرجَ حجراً، ثم أخرج الثاني، فقال: باسم الله إلهِ إسحقَ، ووضعَهُ في مقلاعه، ثم أخرجَ الثالثَ وقال: باسمِ اللهِ إلهِ يعقوبَ، ووضعَهُ في مِقْلاعه، فصارت كلُّها حجراً واحداً، ودَوَّرَ المقلاعَ ورمى به، فسخَّرَ اللهُ لهُ الريح حتى أصابَ

الحجرُ أنفَ البيضةِ، فخالط دماغَه، وخرجَ من قفاه، وقتل من ورائِه ثلاثين رجلاً، وهزمَ الله الجيشَ، وخرَّ جالوتُ قتيلاً، فأخذه يجرُّهُ[1] حتى ألقاه بين يَدَيْ طالوتَ، ففرحَ المسلمون فرحاً شديداً، وانصرفوا إلى المدينةِ سالمين، ثم بعد ذلك ماتَ أَشموئيل وله اثنتان وخمسون سنةً، فدفنه بنو إسرائيلَ في الليل، وناحوا عليه، وقبرُه بقريةٍ ظاهر بيتِ المقدسِ من جهةِ الشَّمالِ على الطريقِ السالكِ إلى رملةِ فلسطينَ على رأسِ جبلٍ، وهو مشهورٌ، واسمُ القرية عند اليهود رامةُ، وأهل الإسلام يسمونها باسم النبيِّ المشارِ إليه، وتزوج داودُ ابنةَ طالوتَ، وأحبَّهُ الناسُ، ومالوا إليه، فحسدَه طالوتُ، وقصدَ قتلَه مرةً بعد أخرى، فهرب داودُ منه، وبقي داودُ متحرِّزاً على نفسِه، ثم ندمَ طالوتُ على ما كان منه من قصدِ قتلِ داودَ، وتابَ إلى الله، ثم إن طالوتَ قصدَ الفلسطين للغزاة، وقاتلَهم حتى قُتل هو وأولادُه، وانتقل الملكُ إلى داودَ ـ عليه السلام ـ.

﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: النبوةَ، ولم تجتمع السلطنةُ والنبوةُ لأحدٍ قبلَ داودَ، بل كانَ الملْكُ في سبط، والنبوةُ في سبط.

﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ من صنعةِ الدروع، فكان يصنعُها ويبيعها، ولا يأكلُ إلا من عمل يده، ومنطقِ الطيرِ والصوتِ الطيبِ والألحانِ، فلم يُعْطِ اللهُ أحداً من خلقِه مثلَ صوتِه، كان إذا قرأ الزبورَ، تدنو الوحوشُ حتى يؤخذَ بأعناقها، وتُظِلُّه الطير، ويركدُ الماءُ الجاري، ويسكنُ الريح، وسيأتي ذكرُ داود ـ عليه السلام ـ ووفاتُه في أواخر سورة النساء ـ إن شاء الله

(١) في «ن»: «وجرَّه».

تعالى ـ. قرأ أبو عمرو: (وَقَتَلَ دَاوُد جَّالُوتَ) بإدغام الدال في الجيم[1].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ أصلُ الدفعِ: صرفُ الشيء، والمعنى: لولا أن يصرف الله.

﴿ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ أي: المفسدين.

﴿بِبَعْضٍ﴾ بالمؤمنين. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (دِفَاعُ) بألف، والباقون: بغير ألف[2]؛ لأن الله تعالى لا يُغالبه أحدٌ، وهو الدافعُ وحدَه، ومن قرأ بالألف قال: قد يكونُ الدفاعُ من واحد، مثل قولِ العربِ: أحسنَ الله عنكَ الدفاع.

﴿لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بقتل المسلمين، وظهورِ الفسادِ، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ـ عز وجل ـ لَيَدْفَعُ بِالمسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِئَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ»[3].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١٢)، النوع الحادي والثلاثون.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٤ـ٣٠٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٠٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٨٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٠٨٠)، وغيرهم عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بإسناد ضعيف.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: الأخبارُ المذكورةُ.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

***

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

[٢٥٣] ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ المذكورةُ قِصَصُها.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ يعني: موسى ـ عليه السلام ـ.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ يعني: محمداً ﷺ، ولم يصرِّحْ باسمِه تفخيماً له. المعنى: إنه ساوى الأنبياءَ في فضلِهم، وفضل عليهم بأشياءَ كثيرةٍ، منها: أنه بُعث إلى الأحمرِ والأسود، وأُحِلَّت له الغنائمُ، وغيرُ ذلك ـ صلواتُ اللهِ عليهِ وعليهم أجمعين ـ.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (القدْس) بإسكانِ الدال[١].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٤).

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ أي: من بعدِ الرسلِ.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ في دينِهم.

﴿ فَمِنْهُم ﴾ أي: الذين بقُوا بعدَ الرسل.

﴿ مَّنْ ءَامَنَ ﴾ ثبَتَ على إيمانِه.

﴿ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ ارتدَّ.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ كرَّرَهُ تأكيداً.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ يوفِّقُ مَنْ يشاءُ فَضْلاً، ويخذُلُ من يشاء عَدْلاً.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٥٤) ﴾.

[٢٥٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ هي الزكاةُ المفروضةُ.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ أي: لا فداءٌ فيه؛ لأن الفداءَ شراءُ نفسه. قرأ أبو عمرٍو: (أَنْ يَأْتِي يَّوْمٌ) بإدغام الياء في الياء[١].

﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ لا صَداقةٌ.

﴿ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ إلاَّ بإذن الله. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لاَ بَيْعٌ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ) بالرَّفْع والتنوين، والباقونَ: كلّها بالنصب[٢]. تلخيصُه: تأهَّبوا للحساب قبلَ الموتِ.

---

(١) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١١)، النوع الحادي والثلاثون.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: =

﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ بوضعِهِمُ العبادةَ في غيرِ محلها.

* * *

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾.

[٢٥٥] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هي أعظمُ آيةٍ في كتاب الله، قال ﷺ: «وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ! إنَّ لَها لَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ المَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ»(١) وَ«مَنْ قَرَأَهَا حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ حَافِظاً، وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»(٢).

﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ الذي لا يلحقُه الفناءُ ولا يموتُ.

﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ القائمُ بتدبيرِ خلقِه.

= ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٥-٣٠٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٤).

(١) رواه مسلم (٨١٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤١)، عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ، وهذا لفظ أحمد.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٣)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ هي النعاسُ، وهي أولُ النوم. قرأ الكسائيُّ (سِنَةٌ) بإمالةِ النونِ حيثُ وقفَ على هاء التأنيث.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ هو غَشْيَةٌ ثقيلةٌ تقع على القلب، فتمنعُهُ معرفةَ الأشياء. تلخيصُه: هو منزَّهٌ عن جميعِ التغييرات.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنه خلقَها بما فيهما.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ لأن أحداً لا يقدرُ على الكلامِ يومَ القيامة. قرأ أبو عمرٍو (يَشْفَع عِّنْدَهُ) بإدغام العين الأولى في الثانية، و(يَعْلَم مّا) بإدغامِ الميمِ في الميم[1].

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ بأن يأذن في الكلام والشفاعة لمن شاء فيمن شاء.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بينَ أيدي ما فيهما، والمرادُ: ما وُجِدَ قبلَ خلقِ ما فيهما؛ كالملائكة.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يوجَدُ بعد ما فيهما. قرأ يعقوبُ: (أَيْدِيهُمْ) بضم الهاء، وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (أَيْدِيهِمُو) واختُلِفَ عن قالون (وَمَا خَلْفَهُمْ) كذلك[2].

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: من معلوماتِه.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ مِمَّا[3] أخبرَ بهِ الرسلَ.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال ابنُ عباس: كرسِيُّهُ: علمُه[4]، وقالَ الحسنُ: هو

---

(١) انظر: تفسير الآية (٤) من سورة الفاتحة، والقراءة ثمة.

(٢) انظر: الآية (٧) من سورة الفاتحة.

(٣) في «ن»: «فيما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٩).

العرشُ نفسُه[1]، وقالَ ابنُ عطيةَ[2]: والذي تقتضيهِ الأحاديثُ أن الكرسيَّ مخلوقٌ عظيم بينَ يَدَيِ العرشِ، والعرشُ أعظمُ منهُ، قال أبو ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إلاَّ كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ»[3] ومعنى قوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي: سَعَةً مثلَ سَعَةِ السمواتِ والأرضِ في العظم.

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾ لا يُثْقِلُهُ، ولا يَشُقُّ عليه.

﴿ حِفْظُهُمَا ﴾ أي: حفظُ السماواتِ والأرضِ.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ المتعالي عن الأشباهِ والأندادِ.

﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الذي ليسَ شيْءٌ أعظمَ منه.

* * *

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾.

[٢٥٦] ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ نزلَتْ في أهلِ الكتابِ إذا قَبِلوا الجزيةَ، وذلكَ أن العربَ كانت أمةً واحدة[4] أُميةً، فلم يكن لهم كتابٌ، فلم يُقبل منهم إلا الإسلامُ، فأسلموا طوعاً أو كرهاً، فلما أُنزل: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٤٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٧).

(٤) «واحدة» زيادة من «ن».

أُمِرَ بقتالِ أهلِ الكتابِ إلا أَنْ يُسْلِموا، أو يُقِرُّوا بالجزية، فمن أعطى منهم الجزيةَ، لم يُكْرَهْ على الإسلامِ(١)، ويأتي ذكرُ حكمِ الجزيةِ في سورةِ التوبة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ﴾ الحقُّ.

﴿مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ الضلال. المعنى: ظهرَ الإيمانُ من الكفرِ بالدلائلِ الواضحةِ.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو ما عُبِدَ من دونِ الله.

﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ أي: تمسَّكَ واعتصَم.

﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ﴾ بالعَقْدِ الثابتِ والحُجَّةِ.

﴿ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ المحكَمَةِ الموصلةِ إلى رِضا اللهِ تعالى.

﴿لَا ٱنفِصَامَ﴾ لا انقطاعَ.

﴿لَهَاۗ﴾ وأصل الفَصْمُ: انصداعٌ من غيرِ فصلٍ.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لدعائِكَ إياهم إلى الإسلام.

﴿عَلِيمٌ﴾ بحرصِكَ على إيمانهم.

* * *

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٢)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٦١٤).

[٢٥٧] ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾ أي: ناصرُ.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ومُغيثُهم.

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الكفرِ.

﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمانِ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ يعني: اليهودَ.

﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه.

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ الإيمان بمحمدٍ ﷺ.

﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفرِ به؛ بأن أنكروهُ، ومنعوا من اتِّباعه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وعيد وتحذيرٌ.

***

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ المعنى: هل انتهى إليكَ خبرُ الذي خاصمَ وجادلَ.

﴿إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ وهو نمرودُ بنُ كنعانَ بنِ كوش بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وهو أولُ من وضعَ التاجَ على رأسه، وتجبَّرَ في الأرض، وادَّعى رُبوبيَّةً.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ والعاملُ في (أن) حاجَّ، تقديره: حاجَّ لأنْ أعطاه الله الملكَ، فطغى، فكانت المحاجَّةُ من بطرِ الملكِ وطغيانِه، قال

مجاهد: ملكَ الأرضَ مؤمنانِ: سليمانُ بن داود[1]، وذو القرنينِ، وكافران: نمرودُ وبُخْتَ نَصَّر.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ ظرفٌ لـ«حاجَّ»، وهذا جوابُ سؤالٍ غيرِ مذكورٍ، قال له: من ربُّكَ؟ قال:

﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ قرأ حمزةُ: (رَبِّي الَّذِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[2].

﴿قَالَ﴾ نمرود:

﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ فعمدَ إلى رجلينِ، فقتلَ أحدَهما، وتركَ الآخرَ، فجعلَ تركَ القتلِ إحياءً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أُحْيِي) بالمدِّ في هذا الحرف وشبهِه حيثُ وقَع[3]. فانتقلَ إبراهيمُ إلى حجَّةٍ أخرى، لا عجزاً؛ فإن حُجَّتَه كانت لازمةً؛ لأنه أرادَ بالإحياءِ إحياءَ الميتِ، فكان له أن يقولَ: فَأَحْيِ مَنْ أَمَتَّ إنْ كنتَ صادقاً، فانتقلَ إلى حجَّةٍ أوضحَ من الأولى.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: تَحَيَّرَ ودُهِشَ.

---

(١) «بن داود» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٧).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٧).

﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ وانقطعتْ حُجَّتُهُ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أنفسَهُمْ بعدمِ قبولِ الهداية، وفي انتقالِ إبراهيمَ دليلٌ على جوازِ الانتقالِ من دليلٍ إلى دليل.

* * *

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾.

[٢٥٩] ﴿أَوْ كَٱلَّذِى﴾ هذهِ الآيةُ منسوقةٌ[١] على الآية الأولى، تقديره: ألم ترَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ، أو إلى الذي.

﴿مَرَّ﴾ هو أرميا النبيُّ ـ عليه السلام ـ على الأصحِّ، وقيلَ: هو عُزير ـ عليه السلام ـ.

﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هي بيتُ المقدسِ حينَ خرَّبَهُ بُخْتَ نَصَّر ملكُ بابلَ بالعراقِ[٢].

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطةٌ.

﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفِها، معناه: أن السقوفَ سقطَتْ، ثم وقعتِ الحيطانُ عليها. وملخَّصُ القصةِ على اختلافٍ فيها أنَّ أَرْميا ـ عليه السلام ـ

---

(١) في «ن»: «مسبوقة».

(٢) في «ن»: «العراق».

كان في أيام صدقيا آخرِ ملوكِ بني إسرائيل، وكانوا قد أحدثوا المعاصيَ والطغيان، ونقضوا التوبةَ، فبقي أرميا يعظُهم ويهدِّدهم ببختَ نَصَّرَ عاملِ لهراسفَ على بابلَ، ولهراسفُ هو ملكُ فارسَ، وهم لا يلتفتون إلى وَعْظه، وكان أرميا قد رأى بختَ نَصَّرَ قديماً وهو[1] صبيٌّ أقرعُ، ورآه يأكلُ ويتغوَّطُ ويقتلُ القملَ، فقال له: ما هذا؟ فقال: أَذًى يخرجُ، ومنفعةٌ تدخلُ، وعدوٌّ يُقتل، فقال له: سيكونُ لكَ شأنٌ، فأخذ أرميا من بُخْتَ نَصَّر أماناً لبيتِ المقدسِ ومَنْ فيه، وكتبَ لهُ الأمانَ في جلدٍ، فلما صارَ الملكُ إلى بختَ نَصَّرَ، عصى عليه صدقيا، فقصد بُخْتَ نَصَّرُ بيتَ المقدسِ، فلما بلغَ سهولَ الرملة، وأُعلم أرميا بذلك، سار إليه، وأعطاهُ الأمان، فنظره وقالَ: هو أماني، ولكني مبعوثٌ، وقد أُمرت أن أَرميَ بسهمي، فحيثُ وقعَ سهمي، طلبتُ الموضعَ، فرمى بسهمٍ فوقعَ في قبةِ بيتِ المقدس، فرجع أرميا إلى أهل القدس، وأخبرهم بذلك، وفارقهم، واختفى، ثم سار[2] بخت نَصَّرُ بالجيوشِ، وكان معه ستُّ مئةِ ألفِ رايةٍ، ودخل بيتَ المقدسِ بجنوده، ووطىء الشامَ، وقتل بني إسرائيلَ، وأَسَرَ منهم، وسَبى ذَراريَّهُمْ، وخَرَّبَ بيتَ المقدسِ، وأمرَ جنوده أن يملأ كلُّ رجلٍ منهم ترسَهُ تراباً، ثم يقذفَه في بيتِ المقدس، ففعلوا حتى ملؤوه، وبينَ تخريبِ بيتِ المقدسِ على يدِ بختَ نَصَّرَ والهجرةِ النبويةِ الشريفة ألفٌ وثلاثُ مئةٍ وخمسونَ سنةً، فكانت هذه الواقعةُ الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بظلمِهم بعدَ أن لبثَ

(١) في «ت»: «وهي».
(٢) في «ن»: «وسار».

بيتُ المقدسِ على العِمارةِ السُّلَيمانية أربعَ مئةٍ وثلاثاً وخمسينَ سنةً، ثم إن الله أوحى إلى أَرميا أني عامرٌ بيتَ المقدسِ، فاخرج إليها، فخرج أرميا، وقدم إلى القدس وهي خرابٌ، فلما رآها.

﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ أي: كيف.

﴿يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قالَهُ تعجُّباً لا شَكّاً بالبعثِ، ثم وضعَ رأسه فنام.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ ألبثَهُ ميتاً.

﴿مِاْئَةَ عَامٍ﴾ فلما مضى من موته سبعون سنةً، وهي مدةُ لبثِ بيتِ المقدس على التخريب، أرسل الله مَلَكاً إلى مَلِكٍ من ملوك الفرسِ اسمُهُ كُورَشُ، وكان مؤمناً، وأمره بعمارةِ بيتِ المقدس، فعمَره، وعاد إليه بنو إسرائيل، وعمروها ثلاثين سنة، وكثروا حتى كانوا على أحسنِ ما كانوا عليه، وأهلكَ الله بختَ نَصَّرَ ببعوضةٍ دخلتْ في دماغِه، ولما أماتَ الله أرميا، كان معه حمارُه وسَلَّةٌ فيها طعامٌ، وهو تينٌ وركوةٌ فيها عصيرُ عنبٍ.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أي: أحياه، وعمَّرَ اللهُ أرميا، فهو الذي يُرى في الفَلَوات، وبعثه الله على السنِّ الذي توفَّاه عليه بعدَ مئةِ سنة، وهو أربعون سنةً، ولابنِه عشرٌ ومئةٌ، ولابنِ ابنِه تسعونَ، وأنشدَ في ذلك:

وَأَسْوَدَ رَأْسٍ شَابَ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ ... وَمِنْ قَبْلِهِ ابْنُ ابْنِهِ فَهْوَ أَكْبَرُ
تَرَى ابْنَ ابْنِهِ شَيْخاً يَأُبُّ عَلَى عَصاً ... وَلِحْيَتُهُ سَوْدَاءُ وَالرَّأْسُ أَشْقَرُ
وَمَا لِابْنِهِ حَيْلٌ وَلاَ فَضْلُ قُوَّةٍ ... يَقُومُ كَمَا يَمْشِي الصَّبِيُّ فَيَعْثُرُ
يَعُدُّ ابْنُهُ فِي النَّاسِ تِسْعِينَ حِجَّةً ... وَعِشْرِينَ لا يَجْرِي وَلا يَتَحَيَّرُ

وَعُمْـرُ أَبِيـهِ أَرْبَعُـونَ أَمـرَّهَـا وَلِابْنِ ابْنِهِ في النَّاسِ تِسْعُونَ غُبَّرُ
فَمَا هُوَ فِي المَعْقُولِ إِنْ كُنْتَ دارياً وَإِنْ كُنْتَ لا تَدْرِي فَبِالجَهْلِ تُعْذَرُ[1]

فلما بعثه الله ﴿قَالَ﴾ له ملَكٌ:

﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ ميْتاً.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ لأنه كانَ قدْ ماتَ أولَ النهارِ، وأحياه اللهُ بعدَ مئةِ عامٍ آخِرَ النهارِ قبلَ غيبوبةِ الشمس، فلما رأى بقيةً من الشمس قال:

﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ﴾ له الملَكُ:

﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ، (لَبِثْتَ لَبِثْتُمْ) حيثُ وقعَ بالإظهار، والباقون بالإدغام[2]، وقرأ أبو جعفرٍ (مِئَةً، ومِئَتَيْنِ، وفِئَةً، وفِئَتَيْنِ) حيث وقع بغير همز[3] بخلاف عنه.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التينِ.

﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصيرِ.

﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يتغيرْ، كأنه لم يأتِ عليه السنون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (يَتَسَنَّ) بغير هاءٍ في الوصل، فمن أسقط الهاء جعلها صلةً زائدةً، وقال: أصلُه (لم يَتَسَنَّي)، فحذفَ الياء للجزم،

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠/ ٣٢٥).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٨).

(٣) «همز» ساقطة من «ش».

وأبدل منه هاءً في الوقف، ومن أثبتَ الهاءَ، جعلها أصليةً للامِ الفعل[1].

﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾ فنظرَ، فإذا عظامٌ بيضٌ، فركَّبَ اللهُ العظامَ بعضَها على بعض، وكساهُ اللحمَ والجلد، وأحياه وهو ينظر. تقديره: أريناكَ ذلكَ لتعلمَ قدرتَنا. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، والدوريُّ عن الكسائيِّ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (حِمَارِكَ) و(الحمار) بالإمالة حيثُ وقع[2].

﴿ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ أي: عبرةً ودلالةً على البعثِ بعدَ الموت.

﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ: (نُنْشِزُهَا) بالزاي المعجمة؛ أي: نرفعُها من الأرض ونردُّها إلى مكانها من الجسد، يقال: نشزتُه فنشزَ؛ أي: رفعتُه فارتفع، والباقون: بالراء المهملة، معناه: نُحييها، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾[3] [عبس: ٢٢].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٧ـ٣٠٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩٩).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٠ـ٣١١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٠).

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فعادت العظامُ كهيئتها حيةً. اختُلف في معنى الآية، فقال الأكثرون: المرادُ عظامُ الحمار، وقال قوم: أرادَ به عظامَ الميتِ نفسِه، وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرها: وانظرْ إلى حمارك، وانظرْ إلى العظام كيف ننشرها، ولنجعلك آية للناس.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك عياناً.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ (قَالَ اعْلَمْ) موصولاً مجزوماً على الأمر، معناه: قالَ اللهُ لهُ: اعلم، وقرأ الباقون: (أَعْلَمُ) بقطع الألفِ ورفعِ الميم على الخبر أنه لما رأى ذلك، قالَ: أعلمُ[1].

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾.

[٢٦٠] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكرْ إذ.

﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لأزداد بصيرةً، وإذا سئلتُ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٢ـ٣١٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠١).

هل رأيتَ إحياءَ الموتى؟ فأقولُ: نعم. قرأ ابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ والسوسيُّ عن أبي عمرٍو: (أَرْنِي) بسكون الراء[1].

﴿قَالَ﴾ الله:

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ مع علمِه بإيمانه ليظهر إيمانه لكلِّ سامعٍ.

﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ يا ربِّ قد علمتُ فآمنتُ.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ أي: ليسكن[2].

﴿قَلْبِي﴾ ويصيرَ علمُ اليقينِ بالاستدلال عينَ اليقينِ بالمشاهدةِ. تلخيصُه: آمنتُ وأريدُ مشاهدةَ ذلك لإيمانِ غيري، وفي معنى قولِه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ من الأمثال الدائرة على ألسنِ[3] الناس: ليسَ المُخْبَرُ كالمعاينِ، وقد رُوي الحديثِ الشريفِ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ» رواه الإمام أحمدُ وغيرُه[4].

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ نسراً وطاوساً وغراباً وديكاً.

﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قَطِّعْهُنَّ. قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ، ورُويسٌ: (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد؛ أي: أَمِلْهُنَّ، والباقون: بضمِّها على

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٢).

(٢) في «ن»: «يسكن».

(٣) في «ت»: «ألسنة».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٥٠)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

المعنى الأول[1]، والمعنى: أملهنَّ إليك واعتبرهُنَّ، ثم قَطِّعْهُنَّ، ثم اخلِطْ لحمَهُنَّ بعضَه ببعض، ثم أمسكْ رؤوسهن، ثم جَزِّئْهُنَّ أجزاءً.

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضِك، وكانت سبعة.

﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (جُزُؤاً) بضم الزاي والهمز حيثُ وقعَ، وقرأ أبو جعفرٍ: بتشديدِ الزاي بغير همز، والباقون: بالجزم والهمز[2].

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ قلْ لَهُنَّ تعالَيْنَ بإذنِ الله.

﴿يَأْتِينَكَ﴾ ففعل، فعاد كلُّ جزء إلى جسده، ثم أتينَ إلى رؤوسهن.

﴿سَعْيًا﴾ سريعاً.

﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزُ عما يريدُ[3].

﴿حَكِيمٌ﴾ في كلِّ ما يفعله.

* * *

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٥٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٤٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٣).

(٣) في «ش»: «يريده».

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

[٢٦١] ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: مثلُ نفقاتِ المنفقين في الجهادِ، أو جميعِ أبوابِ الخير.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ أي: نفقاتُهم تشبهُ حبةً.

﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (أَنْبَتَتْ سَبْعَ) وشبهَه حيثُ وقعَ بإظهار التاءِ عندَ السين، والباقون: بالإدغام[1]، المعنى: يتشعَّبُ من أصلِها سبعُ شعبٍ، في كل شعبةٍ سنبلةٌ.

﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ يزيدُ الثوابَ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (يُضَعِّفُ) بتشديد العين بغير ألف[2].

﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من المنفقين إلى ما يشاء.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ غنيٌّ يعطي من سَعَةٍ.

﴿عَلِيمٌ﴾ بنيةِ مَنْ ينفقُ.

* * *

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٢)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٥٩)، «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٤).

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾.

[٢٦٢] ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ نزلتْ في عثمانَ بنِ عفانَ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ـ رضي الله عنهما ـ حين أنفقا أموالَهما في طاعةِ الله[١].

﴿ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ ﴾ لا يَمُنُّ على المنفَقِ عليه، ولا يُعَيِّرُهُ.

﴿ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ أي: ثوابُهم.

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فلهم الأَمْنُ مع الفرحِ[٢].

* * *

﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾.

[٢٦٣] ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ ردٌّ جميلٌ.

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أن تسترَ عليه.

﴿ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ ﴾ مَنٌّ وتعييرٌ.

﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ عن صدقةِ من يَمُنُّ.

﴿ حَلِيمٌ ﴾ عن معاجلتِه بالعقوبة.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٨٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٦٢١).

(٢) في «ظ» و«ن»: «الفرج».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾.

[٢٦٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم ﴾ أي: أُجورَها.

﴿ بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ ﴾ أي: كإبطال الذي ينفقُ.

﴿ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ ليقال: كريم. قرأ أبو جعفرٍ: (رِيَا النَّاسِ) بغير همز.

﴿ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ يريدُ أنَّ النفقةَ مع الرياء لا تكونُ فعلَ المؤمن، وهذا للمنافق(١).

﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ أي: مثلُ نفقةِ المرائي بها.

﴿ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ ﴾ حجرٍ أملسَ.

﴿ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ ﴾ مطرٌ شديدٌ.

﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ ﴾ نَقِيّاً من التراب الذي كان عليه. المعنى: مثلُ المانِّ والمنافِقِ في(٢) صدقاتِهما يومَ القيامةِ كحجرٍ عليهِ ترابٌ أزالَه عنهُ المطرُ.

﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ ﴾ أي: المراؤون.

﴿ عَلَىٰ شَيۡءٖۗ ﴾ أي: على ثوابِ شيءٍ.

---

(١) في «ش»: «المنافقين».

(٢) «في» ساقطة من «ش».

﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ عملوا في الدنيا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ إلى الخير.

عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، قالوا: يا رسولَ الله! وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرِّيَاءُ يَقُولُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمُ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»(١).

***

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾.

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: طلبَ رضوانِ الله.

﴿وَتَثۡبِيتٗا﴾ أي: تصديقاً.

﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ أي: يُخرجون الزكاةَ طَيِّبَةً بها نفوسُهم على يَقينٍ بالثوابِ وتصديقٍ بوعدِ الله، يعلمون أنَّ ما أخرجوا خير لهم مما تركوا. والمعنى: مثلُ نفقةِ هؤلاء ونموِّها عندَ الله.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ أي: بستان.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١)، عن محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾ هي المرتَفِعُ المستوي من الأرض، لا يعلوه الماء، ولا يعلو عن الماء، فيكون نبتُه حسناً. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: بفتح الراء، والباقون: بالضم[1].

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطرٌ شديدٌ كثير.

﴿فَـَٔاتَتْ﴾ أعطَتْ.

﴿أُكُلَهَا﴾ جَناها. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (أُكْلَهَا) بجزم الكاف، والباقون: بالضم[2].

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: حملَتْ في سنة ما يحملُ غيرها في سنتينِ.

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ هو المطرُ الخفيفُ الدائمُ. المعنى: إن هذه الجنةَ تَريعُ، قلَّ المطرُ أو كَثُرَ، كذلك صدقةُ المؤمنِ المخلصِ تنفعُه، قَلَّتْ أو جَلَّتْ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٢)، و«معجم القراءات لقرآنية» (١/ ٢٠٦).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٣-٣١٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٧).

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحذيرٌ عن الرياء.

ويتصلُ بقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ قولُه تعالى:

* * *

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾.

[٢٦٦] ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ﴾ جمعُ نخلٍ.

﴿وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ رزقٌ.

﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وخُصَّ النخيلُ والأعنابُ بالذِّكرِ تفضيلاً لهما.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ﴾ أي: أولادٌ.

﴿ضُعَفَآءُ﴾ صغارٌ.

﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ﴾ ريحٌ عاصفٌ ترتفعُ إلى[1] السماء كالعمودِ.

﴿فِيهِ نَارٞ﴾ المعنى: أيحبُّ أحدُكُم أن يملكَ جنةً في غايةِ الجَوْدَةِ يدَّخِرُها لفاقتِه، فأَحْوَجَ ما كانَ إليها[2] أصابَتْها نار.

﴿فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾ فبقيَ مُتحيراً مُحتاجاً، لا يجدُ ما يعودُ به عليه، كذلك

---

(١) «إلى» ساقطة من «ش».

(٢) «إليها» ساقطة من «ش».

المرائي بعمله، أحوجَ ما يكونُ إليه لا ينفعُه. تلخيصُه: من عملَ لغيرِ الله، ندمَ حينَ لا ينفعُ[1] الندم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا البيانِ الذي بُيِّنَ فيما تقدَّمَ.

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: الدلالاتِ التي تحتاجون إليها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾.

[٢٦٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالاتِ.

﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ بالتجارةِ والصنعةِ.

قال ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»[2]، واستدلَّ الإمامُ أحمدُ ـ رضي الله عنه ـ بهذا الحديث، وبقوله ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ»[3] على أن للرجلِ أن يأخذَ من مالِ ولدِه ما شاءَ، ويتملَّكَهُ،

---

(١) في «ت»: «لا ينفعه».

(٢) رواه النسائي (٤٤٥٢)، كتاب: البيوع، باب: الحث على الكسب، وابن ماجه (٢١٣٧)، كتاب: التجارات، باب: الحث على المكاسب، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣١)، وغيرهم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) رواه أبو داود (٣٥٣٠)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، وابن ماجه (٢٢٩٢)، كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٩)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

مع حاجتِه وعدِمها، في صغرِ الولدِ وكبرِه، بشرطِ ألاَّ تتعلق حاجةُ الابنِ به، وألا يعطيَه لولدٍ آخر، وهو من مفرَداتِ مذهبِه التي خالفَ فيها الثلاثةَ.

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوبِ والثمرِ.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾ تقصِدُوا. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: بتشديد التاء في الوصل(١).

﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الرديء.

﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ يعني: الخبيثَ.

﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ أي: تتسامحوا في أخذِه، وأصلُ الإغماضِ: غَضُّ البصرِ. المعنى: إنكم لا تأخذونَه إلا في حالِ الإغماض.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن صدقاتِكم.

﴿حَمِيدٌ﴾ محمودٌ في أفعاله.

***

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾.

[٢٦٨] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾ يُخَوِّفُكم.

﴿ٱلْفَقْرَ﴾ بأن يقولَ: إنْ تصدَّقْتُم، افتقرتُم، والفقرُ: شرُّ الحالِ، وقِلَّةُ ذاتِ اليد.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٤_٣١٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٠٨).

﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ بالبخلِ ومنعِ الزكاة، وكلُّ فحشاءَ في القرآنِ فهو الزنا إلا هذا.

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبِكم.

﴿وَفَضْلًا﴾ خَلَفاً مما أنفقتُم.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غنيٌّ.

﴿عَلِيمٌ﴾ بما ينفَق.

* * *

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾.

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أي: العلمَ النافعَ، وقيلَ غيرُه.

﴿مَن يَشَاءُ﴾ وأصلُ الحكمة: المنعُ، ثم استعمِلَتْ للمنع مع إصلاحٍ.

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قرأ يعقوبُ: (وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ) بكسرِ التاء[1]؛ أي: من يؤتِه اللهُ الحكمةَ، وإذا وقفَ، أثبتَ الياء. تلخيصُه: من أعطى ما يُدخلُه الجنةَ ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتَّعظ.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٣)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٠).

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوو العقول.

***

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾.

[٢٧٠] ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ في طاعةٍ أو معصيةٍ.

﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ أَوْجَبْتُموه على أنفسكم، والنذرُ: هوُ إلزامُ مكلَّفٍ مختارٍ نفسَهَ للهِ تعالى شيئاً بقولٍ غيرِ لازمٍ بأصلِ الشرعِ، فإذا نذرَ في طاعة، انعقدَ ولزمَه فعلُه بالاتفاق، وإذا نذرَ في معصيةٍ، لم يَجُزِ الوفاءُ به بالاتفاق، ويلزمُه عند أحمدَ كفارةُ يمينٍ؛ خلافاً للثلاثةِ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ يحفظُه، فيَجْزيكم به.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الواضعينَ الصدقةَ في غير محلِّها.

﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ أعوانٍ يدفعونَ عذابَ الله عنهم.

***

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

[٢٧١] ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ أي: تُظْهروا.

﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي: نعمَ الخصلةُ. قرأ أبو عمرٍو، وقالونُ، وأبو بكرٍ: بكسر النون، واختلاسِ كسرة العين، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتح النون، وكسر العين، وأبو جعفرٍ، بكسر النون،

وسكون العين، وتخفيف الميم، والباقون: بكسر النون والعين، وكلها لغاتٌ صحيحة[1].

﴿ وَإِن تُخْفُوهَا﴾ تستُروها.

﴿ وَتُؤْتُوهَا﴾ أي: تعطوها.

﴿ ٱلْفُقَرَآءَ﴾ سِرّاً.

﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وأفضلُ، في الحديث: «صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ»[2] قيل: هذا في صدقة[3] التطوع، وأما الزكاةُ، فإظهارُها أفضلُ؛ ليقتدَى به.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٦ـ١٤٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٥ـ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٠ـ٢١١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٢١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٢)، عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٤١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٩)، عن جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. وروى الترمذي (٦٦٤)، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «إن الصدقة لتطفيء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء» وقال: حسن غريب. وفي الباب: عن أبي سعيد الخدري، وأبي أمامة ـ رضي الله عنهما ـ. وأسانيدها ضعاف، انظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ١١٤).

(٣) في «ت»: «الصدقة».

﴿وَيُكَفِّرُ﴾ يخففْ.

﴿عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يعني: الصغائرَ من الذنوب. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وأبو بكرٍ: بالنون، ورفعِ الراء؛ أي: ونحنُ نكفرُ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ: بالياءِ والرفع؛ أي: ويكفرُ الله، ونافعٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو جعفرٍ: بالنون وجزم الراءِ نسقاً على الفاء التي في قوله: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ لأن موضعها جزمٌ بالجزاء[1].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ترغيبٌ في الإسرار.

قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: كانوا يتصدَّقونَ على فقراءِ أهلِ الذمَّةِ، فلما كثُرَ فقراءُ المسلمينَ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تتصدقوا إلاَّ عَلَى أَهْلِ دينِكُم» فنزلَ قولُه تعالى[2]:

* * *

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٧ـ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٦ـ٣١٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٤)، و«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٣٥ـ٣٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«تفسير الرازي» (٢/ ٣٥٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٢ـ٢١٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٩٥)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٦٣١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٨٧).

﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾.

[٢٧٢] ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ ﴾ أي: لا يلزمُك.

﴿ هُدَىٰهُمْ ﴾ هُدى التوفيق، وعليك هُدى البيان، فلا تمنعْهُمُ الصدقةَ لِيُسْلِموا.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ فأعطَوْهم بعدَ نزول الآية.

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ أي: مالٍ.

﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ ثوابُه لا لغيركم.

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ ﴾ (ما) بمعنى النهي؛ أي: لا تنفقوا.

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ في أهل الذمة، (ما) هذه شرط كالأول، ولذلك حذف النون منها.

﴿ يُوَفَّ ﴾ أي: يؤدَّ.

﴿ إِلَيْكُمْ ﴾ ثوابُه.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ تُنْقَصون من ثواب أعمالكم شيئاً، هذا في صدقة التطوّع توضَع في المسلمين وأهلِ الذمّة بالاتفاقِ، أما المفروضةُ فلا توضَعُ إلا في المسلمينَ في الأصنافِ الثمانيةِ، وجَوَّزَ أبو حنيفةَ وحدَه وضعَ صدقةِ الفطرِ في أهل الذمَّةِ.

* * *

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾.

[٢٧٣] ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ أي: صدقاتُكم للفقراءِ.

﴿ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ ﴾ أي: حَبسوا نفوسَهم عن التصرُّف للتعبُّدِ.

﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وهم أهل الصُّفَّةِ كانوا زهاءَ أربعِ مئةٍ يسكنونَ المسجدَ، يَرْضَخون النوى نهاراً؛ أي: يكسرونَه ويأخذونَ عليه الأجرةَ، ويصرفونَها في النفقة، ويقرؤون القرآنَ ليلاً، يخرجون في كلِّ سَرِيَّةٍ يبعثُها النبي ﷺ.

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا ﴾ سيراً.

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لكثرةِ أعدائِهم من كثرةِ ما جاهدوا.

﴿ يَحْسَبُهُمُ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ: بفتح السين، والباقون: بالكسر(١).

﴿ ٱلْجَاهِلُ ﴾ بحالهم.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٧ـ٣١٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٤).

﴿أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ عن السؤالِ وقناعتِهم، والعِفَّةُ: هي حصولُ حالةٍ للنفس تمتنعُ بها عن غلبةِ الشهوةِ.

﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ بعلامتهم التواضُعِ.

﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ أي: إلحاحاً.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ وعليه مُجازٍ.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾.

[٢٧٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ نزلَتْ في عليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، كانت عندَه أربعةُ دراهمَ لا يملكُ غيرَها، فتصدَّقَ بدرهم ليلاً، وبدرهمٍ نهاراً، وبدرهمٍ سراً، وبدرهمٍ علانيةً[(١)].

﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ تلخيصُه: من أنفقَ للهِ يُثَبْ مع الأمنِ والفرحِ.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٨)، و«العجاب» لابن حجر (١/ ٦٣٤).

وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾.

[٢٧٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يعامِلُون به، وخُصَّ بالأكل؛ لأنه معظمُ المقصود، والربا لغةً: الزيادةُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرِّبَا) بالإمالةِ حيثُ وقع[1].

﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورِهم.

﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ﴾ أي: إلا قياماً مثلَ قيامِ.

﴿ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ أي: يضربُهُ ويصرعُهُ.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ والخبطُ: الضربُ على غيرِ استواء.

﴿مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ أي: الجنون. ومعناه: أن آكلَ الربا يُبْعَثُ يومَ القيامةِ وهو كمثلِ المصروعِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: العذابُ النازلُ بهم.

﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ﴾ أي: بسببِ قولِهم:

﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ لأنه كانَ إذا حَلَّ على رجلٍ مالٌ، يقولُ لغريمه: زِدْني في الأَجَل، وأَزيدُك في الربحِ، فيفعلانِ ذلكَ، ويقولان: سواءٌ علينا الزيادةُ في أولِ البيعِ وعندَ المحلِّ لأجلِ التأخير، فكذَّبهم الله تعالى بقوله:

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ هذا تصريحٌ أن القياسَ يبطلُه النصُّ؛ لأنه

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير الرازي» (١/ ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٥).

جعلَ الدليلَ على بطلانِ قياسِهم تحليلَ الله وتحريمَه.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ أي: بَلَغَهُ موعظةُ تذكيرٍ وتخويفٍ.

﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكلِ الربا.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ أي: مضى من ذنبه قبلَ النهي مَعْفُوٌّ عنه.

﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ فيما يأمره وينهاه، وليس له شيء من أمر نفسه.

﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى الربا بعدَ النهي.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ عن جابر قالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ»[1]، وقد اتفقَ الأئمةُ على تحريم الربا، وجوازِ البيع؛ لنصِّ الكتابِ والسنةِ فيهما، والبيعُ مصدرُ بعتُ، يقال: باعَ يبيعُ بمعنى: ملكَ، واشتقاقُهُ من الباع؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من المتعاقِدَين يمدُّ باعَه للأخذِ والعطاء، ومعناهُ لغةً: إعطاءُ شيءٍ، وأخذُ شيء، وشَرْعاً: مبادَلَةُ المالِ بالمالِ لغرضِ التملُّكِ، ويصحُّ بالإيجابِ والقَبُول بالاتفاق، فيقولُ البائعُ: بعتُكَ، أو مَلَّكْتُكَ، ويقولُ المشتري: ابْتَعْتُ، أو قَبِلْتُ ونحوهما، واختلفوا في المعاطاة مثلَ أن يقول: أَعْطِني بهذا الدينار خُبْزاً[2]، فيعطيه ما يُرضيه، أو يقولُ البائعُ: خذْ هذا بدرهم، فيأخذهُ، فقال الشافعيُّ: لا يصحُّ، وقال الثلاثة: يصحُّ؛ لأنه يدلُّ على الرضا المقصودِ من الإيجابِ والقبول.

***

---

(١) رواه مسلم (١٥٩٨)، كتاب: المساقاة، باب: لعن آكل الربا ومؤكله، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «خبزاً» ساقطة من «ش».

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾.

[٢٧٦] ﴿ يَمْحَقُ ﴾ أي: ينقصُ.

﴿ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ ويُذْهِبُ بركَتَه.

﴿ وَيُرْبِي ﴾ أي: يزيدُ.

﴿ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ ويُبارِكُ فيها. في الحديثِ: «ما نَقَصَتْ زكَاةٌ مِنْ مَالٍ قَطُّ»[١].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ ﴾ بتحريمِ الربا.

﴿ أَثِيمٍ ﴾ مُصِرٍّ على الإثمِ[٢]، فاجرٍ بأكلِه.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾.

[٢٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من آتٍ.

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فائتٍ.

***

ونزلَ في المنعِ من المطالبةِ ببقايا الربا قولُه تعالى:

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال».

(٢) في «ن»: «الربا».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾.

[٢٧٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي كاملي الإيمان.

***

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾.

[٢٧٩] ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ ﴾ تَذَروا ما بقيَ من الربا.

﴿ فَأْذَنُواْ ﴾. قرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (فَآذِنُوا) بالمدِّ على وزنِ آمِنوا؛ أي: فأَعْلِموا غيرَكم أنكم حربُ اللهِ ورسولِه، وقرأ الباقون: مقصوراً بفتح الذال؛ أي: فاعلموا أنتم وأَيقنوا(١).

﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ عن ابن عباس: «يُقَالُ لِآكِلِ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: خُذْ سِلاَحَكَ لِلْحَرْبِ»(٢)، وَحَرْبُ اللهِ النَّارُ، وَحَرْبُ رَسُولِهِ السَّيْفُ.

﴿ وَإِن تُبْتُمْ ﴾ عن الربا.

﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ التي أَرْبَيْتُمْ بها.

﴿ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ بطلبِ الزيادة.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٢)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٠).

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بأن تنقصوا عن رأسِ المالِ، وهذا خبرٌ بمعنى النهي.

فلمّا نزلت هذه الآية، قال المُرْبونَ: لا طاقةَ لنا بحربِ اللهِ ورسولِه، ورَضُوا برأسِ المال، فشكا بنو المغيرةِ العسرةَ، وقالوا: أَخِّرونا إلى أن تدركَ الغلالُ، فأَبَوا، فأنزل الله[1]:

***

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾.

[٢٨٠] ﴿وَإِن كَانَ﴾ أي: الذي عليه الدينُ.

﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ يعني: معسراً، والعسرُ: ضدُّ اليُسر. قرأ أبو جعفرٍ: بضم السين، والباقون: بالجزم[2].

﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: إمهال.

﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ إلى وقتِ يُسْرٍ. قرأ نافعٌ: بضم السين، والباقون: بالفتح[3].

﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ بتركِ رؤوسِ الأموالِ، أو بعضِها للمعسرِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٨).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢١٩).

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه خيرٌ لكم، فتعملون به، فجعلَ من علمَ ولم يعملْ كمن لم يعلمْ. قرأ عاصمٌ: (تَصَدَّقُوا) بتخفيفِ الصاد، والباقون: بتشديدها[(١)]، قال ﷺ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَنْجَاهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٢)]، فإذا أقامَ المفلسُ البيِّنَةَ بإعسارِه، فقال أبو حنيفة: لا يحولُ القاضي بينَهُ وبينَ غُرمائه بعدَ خروجِه من الحبس، ويلازمونه، ولا يمنعونه من التصرُّفِ والسفر، ويأخذونَ فضلَ كسبِه بينهم بالحِصَص، وقال صاحباه: إذا فَلَّسَهُ القاضي، حالَ بينهَ وبينَ الغرماء، وهذا بناءً على صحةِ القضاءِ بالإفلاس[(٣)]، فيصحُّ عندَهما؛ خلافاً لأبي حنيفة؛ لأن الإفلاسَ عندَه لا يتحقَّقُ، وقال الأئمةُ الثلاثةُ كقولِ الصاحبين، ولا تُقبل بينةُ الإعسار عندَ أبي حنيفة إلا بعدَ الحبس، وعند الثلاثة: تُقبل قبلَه.

***

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾.

[٢٨١] ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِۖ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٠).

(٢) رواه مسلم (١٥٦٣)، كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر، عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ش»: «بالفلاس».

(ترْجِعُونَ) بفتح التاء؛ أي: تَصيرون إلى الله، وقرأ الباقونَ بالضم وفتحِ الجيم؛ أي: ترُدُّون إلى الله(١).

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ ثوابٍ، وتضعيفِ عقاب. قال ابنُ عباس: «هَذِهِ آخرُ آيةٍ نزلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»(٢)، فَقَالَ جِبْرِيلُ: ضَعْهَا عَلَى رَأْسِ مِئَتَيْنِ وَثَمانِينَ آيَةً مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ(٣)، وعاشَ بعدَها رسولُ الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً، وماتَ يوم الإثنين لاثنتي عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ من ربيعِ الأولِ حينَ زاغتِ الشمسُ سنةَ إحدى عَشْرَةَ من الهجرة، وله ثلاثٌ وستون سنةً.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٤٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣١٩ـ٣٢٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٢٧٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٠٦).

إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾.

[٢٨٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ تعامَلْتُم.

﴿بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدةٍ معلومةٍ، قال ابنُ عَبَّاسٍ: «لَمَّا حَرَّمَ اللهُ الرِّبَا، أَبَاحَ السَّلَمَ، وقالَ: أَشْهَدُ أَنَّ السَّلَفَ المضمونَ إلى أجلٍ مسمًّى قد أحلَّه اللهُ في كتابِهِ وأذِنَ فيه»(١)، واختلفَ الأئمةُ في السلم على حكم الحلول، فقال الشافعي: يصحُّ، وقالَ الثلاثةُ: لا يصحُّ إلا مؤجَّلاً، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يكونُ الأجلُ له وقعٌ في الثمن؛ كالشهرِ ونحوِهِ، وعندَ مالكٍ إلى مدَّةٍ تختلفُ فيها الأسواقُ عُرْفاً؛ كخمسةَ عشَرَ يوماً.

﴿فَٱكْتُبُوهُ ۚ﴾ دَيْناً كانَ أو قَرْضاً، وهذا أمرُ استِحْباب عندَ الأكثر.

﴿وَلْيَكْتُب﴾ كاتبُ الدَّينِ.

﴿بَّيْنَكُمْ﴾ أي: بينَ الخصمَيْن.

﴿كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ أي: بالحقِّ.

---

(١) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ١٣٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٤٠٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٣٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨/٦).

﴿ وَلَا يَأْبَ﴾ لا يمتنعْ .

﴿ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ هذا نهيٌ عن الامتناع من الكتابة .

﴿ فَلْيَكْتُبْ﴾ تلكَ الكتابةَ .

﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ بأن يُقِرَّ بلسانِه ليعلمَ ما عليه .

﴿ وَلْيَتَّقِ﴾ المُمْلي .

﴿ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ﴾ أي : لا ينقِصْ .

﴿ مِنْهُ﴾ أي : من الحق .

﴿ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ أي : جاهلاً بالإملاء .

﴿ أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغرٍ أو كبرٍ .

﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرسٍ أو عُجْمة ونحوِ ذلك، المعنى : إذا عجزَ مَنْ عليه الحقُّ عن الإملاءِ. قرأ أبو جعفرٍ : (أَنْ يُمِلَّ هْوَ) بسكون الهاء[١] .

﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ أي : قَيِّمُهُ أو تَرْجُمانُه .

﴿ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ بالصدقِ، والحقّ، وقيل : وليُّه : صاحبُ الحقِّ ؛ لأنه أعلمُ[٢] بحقِّهِ .

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾ اطلبوا .

---

(١) انظر : «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٦٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٢).

(٢) «أعلم» ساقطة من «ش».

﴿شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ الأحرارِ البالغينَ العقلاءِ المسلمينَ يَشْهدان على الدَّينِ، وجَوَّزَ أحمدُ شهادةَ العبدِ حَتَّى في حَدٍّ وقَوَدٍ، وشهادةَ الذمِّيِّ على المسلمِ، والذميِّ في الوصيةِ في السفرِ، وسيأتي في سورة المائدة ـ إن شاء الله تعالى ـ، وجوز أبو حنيفةَ شهادةَ الكفارِ بعضِهم على بعضٍ على اختلافِ مِلَلِهِم، وخالفهما مالكٌ والشافعيُّ.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: الشاهدان.

﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ﴾ أي: فليشهدْ رجلٌ.

﴿وَامْرَأَتَانِ﴾ وشهادةُ النساءِ مع الرجالِ في الأموالِ جائزةٌ بالاتفاقِ، وعند الثلاثةِ يثبتُ المال بالشاهدِ واليمين؛ خلافاً لأبي حنيفةَ، وعند مالكٍ يثبتُ المالُ بشهادةِ امرأتينِ ويمينِ المدَّعي؛ خلافاً للثلاثة، ومئةُ امرأةٍ عندَه كامرأتين، وتقبلُ شهادة أحدِ الزوجين للآخر عندَ الشافعي؛ خلافاً للثلاثة، وأما في غير الأموال، فتجوز شهادةُ النساءِ مع الرجال في غيرِ العقوبات؛ كالنكاح ونحوه عند أبي حنيفة فقط، وما لا يطَّلعُ عليه الرجالُ غالباً؛ كعيوبِ النساء تحتَ الثياب، والرَّضاع، والاستهلالِ، والبكارةِ، والثيوبة، ونحوِها يثبتُ عند الشافعيِّ بشهادةِ رجلٍ وامرأتين، وشهادةِ أربعِ نسوةٍ، وعند مالكٍ بشهادةِ امرأتين، ويثبت ما عدا الرضاعَ عندَ أبي حنيفة بشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ، وأما الرضاعُ، فلا يُقبل فيه شهادةُ النساءِ منفرداتٍ، ويثبتُ الجميعُ حتى الرضاعُ عندَ أحمدَ بشهادةِ امرأةٍ واحدةٍ، ولو كانت هي المرضعةَ، واتفقوا على عدم جواز شهادةِ النساءِ في العقوباتِ.

﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أي: من كان مَرْضِياً في ديانته وأمانِته.

﴿أَن تَضِلَّ﴾ أي: لأن تَضِلَّ، أي: تنسى.

﴿إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ المعنى: إذا نسيت إحداهما، ذَكَّرَتْها الأخرى. **قرأ** عاصمٌ، وابن عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وروحٌ عن يعقوبَ (الشُّهَدَاءِ أَنْ) بتحقيقِ الهمزتين، **وقرأ** نافعٌ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثانية بأن تبدلَ ياءً محضةً، **وقرأ** حمزةُ: (إِنْ) بكسرِ الألف، (فَتُذَكِّرُ) برفع الراءِ مشدداً، ويعقوبُ: (فَتُذْكِرَ) بالتخفيف وفتح الراء، **وقرأ** نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَتُذَكِّرَ) بفتح الذال والتشديد وفتح الراء، مع اتفاقهم على فتح الألف في: (أَنْ تَضِلَّ) سوى حمزةَ كما تقدَّم[1].

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ لتحمُّلِ الشهادة. **قرأ** عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ عن يعقوبَ: (الشُّهَدَاءُ إِذَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بالتسهيل، وهو إبدال الثانية واواً خالصة مكسورة[2]، فتحمُّلُ الشهادةِ فرضُ كفايةٍ، وأداؤها إذا تعينت فرضُ عينٍ، ولا يحلُّ أخذُ أجرةٍ عليها بالاتفاق.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٠ـ٣٢١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٠ـ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٠٩ـ٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٢ـ٢٢٤). وضبط في «معجم القراءات» قراءة يعقوب: فَتُذْكِرَ، بضم التاء.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٤).

فعند أبي حنيفة إذا طلبَه المدَّعي، وكان قريباً من القاضي، لزمه المشيُ إليه، وإن كان بعيداً أكثرَ من نصفِ يوم لا يأثمُ بتخلُّفه؛ لأنه يلحقُه الضررُ، وإن كان الشاهدُ يقدر على المشي، فأركبه المدَّعي من عنده، لا تُقبل شهادتُه؛ وإن كان لا يقدر، فأركبه، لا بأس به.

وعند مالكٍ يلزمُه الأداء من نحوِ البريدين، وإن كانا اثنين، ولا تحلُّ إحالتُهُ على اليمين، وإن لم يجتزِ الحاكمُ باثنين، فعلى الثالث، ولا يلزمُ مِنْ أبعدَ، ولا يجوز أن ينتفع منه فيما يلزمه إلا في ركوبِ إن لم يكن له دابةٌ، وعسرَ مشيُه، ويجوزُ فيما لا يلزمُه(١) أن يقامَ بما يتكلفه من دابةٍ ونفقةٍ، عجزَ أو لم يعجز.

وعند الشافعيِّ إن كان القاضي معه في البلد، لزمه المشيُ إليه، وإن كان يأتيه من مسافة العَدْوى فما فوقها، فله طلبُ نفقةِ المركوب.

قال البغويُّ من أصحابه: وكذا نفقةُ الطريق.

وعند أحمدَ إذا دُعي إليها وقدرَ بلا ضررٍ يلحقُه، لزمَهُ الأداءُ، فعليه أن يقومَ بها على القريب والبعيد، و(٢)لا يسعهُ التخلفُ عن إقامتها، ويحرمُ أخذُ أُجرة وجُعْلٍ عليها مطلَقاً، ولكن إن عجزَ عن المشي، وتأذَّى به، فله أَخذُ أجرةِ مركوبٍ(٣).

وتشترطُ عدالةُ الشاهدِ(٤) عندَ الثلاثة.

---

(١) في «ش»: «ويجوز فيما يلزمه».

(٢) الواو زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «مركب».

(٤) في «ن»: «العدالة للشاهدين».

وقال أبو حنيفة: يقتصرُ في المسلم على ظاهرِ عدالتِه إلا في الحدودِ والقصاص، فإن طعنَ الخصمُ فيه، سأل عنه.

وقال صاحباه: يُسْأَلُ عنهم في جميع الحقوق سِراً وعلانيةً، وعليه الفتوى.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ أي: تملُّوا.

﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي: الحقَّ.

﴿صَغِيرًا﴾ كانَ الحقُّ.

﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً كانَ أو كثيراً.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ المعلومِ.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الكتابُ.

﴿أَقْسَطُ﴾ أعدلُ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأنه أمرَ بهِ.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: أَعْوَنُ؛ لأن الكتابةَ تُذَكِّرُ الشهودَ.

﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾ أقربُ.

﴿أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ تَشُكُّوا في الشهادةِ.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾ قرأ عاصمٌ: بالنصب فيهما على خبر كان؛ أي: إلا أن تكونَ التجارةُ تجارةً.

وقرأ الباقون: بالرفع، وله وجهان: أحدهما: أن يُجْعَلَ الكونُ بمعنى الوقوع، معناه: ألاَّ تقعَ تجارةٌ، والثاني: أن يُجعلَ الاسمُ في التجارة،

والخبرُ في الفعل[1]، وهو قوله:

﴿ حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا ﴾ المعنى: إلا أن تكونَ التجارةُ حاضرةً يداً بيدٍ تُديرونها.

﴿ بَيْنَكُمْ ﴾ ليسَ فيها أَجَلٌ.

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ يعني: التجارةَ.

﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ ﴾ على التبايُع.

﴿ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ فإنَّه أدفعُ للاختلاف، وهذا أمرُ ندبٍ عندَ الأكثر.

﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ نهيٌ عن مُضارَّةِ الكاتبِ[2] والشَّهيدِ، المعنى: إذا كانا مشغولينِ ويوجَدُ غيرُهما، فلا يُضارَّانِ بإبطالِ شُغْلِهما. قرأ أبو جعفرٍ (يُضَارْ) بإسكان الراء، والباقون: بالنصبِ والتشديد[3].

﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ ﴾ الضِّرارَ.

﴿ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ ﴾ أي: معصيةٌ.

﴿ بِكُمْ ﴾ وخروجٌ عن الأمرِ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٠٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢١ـ٣٢٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٥).

(٢) في «ت»: «الكتاب».

(٣) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٥).

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ المعنى: اجتنبوا معصيةَ الله يُعَرِّفْكُمْ طُرَقَ فلاحِكُم. تلخيصُه: من راقبَ اللهَ، أرشدَه.

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ كرَّرَ لفظَ الله في الجمل الثلاث لاستقلالها؛ فإن الأولى حَثٌّ على التقوى، والثانيةَ وَعْدٌ بإنعامِه، والثالثةَ تعظيمٌ لشأنه.

***

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨٣﴾ ﴾.

[٢٨٣] ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ ﴾ مسافِرين.

﴿ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ ﴾ أي: فالتوثُّقُ رُهُنٌ.

﴿ مَّقۡبُوضَةٞۖ ﴾ مسلَّمَةٌ إلى المرتهن، ولا بدَّ من القبضِ، فلا يتمُّ الرهْنُ بدونه، بالاتفاق، واستدامةُ القبضِ شرطٌ للُّزُومِ عند مالكٍ وأحمدَ، فمتى خرجَ عن يدِ المرتهنِ باختياره، زالَ لزومه، وبطلَ الرهنُ، وعندَ أبي حنيفةَ والشافعيِّ إذا أعادَهُ المرتهنُ مع بقاءِ الرهنِ، فلزومُه باقٍ، والرهنُ صحيحٌ، ونقلَ الزمخشري في «كَشَّافه» عن مالكٍ: أنه يصحُّ عندَه الارتهانُ بالإيجاب والقَبول بدونِ القبضِ(١)، وهو وهم. قرأ ابنُ كَثيرٍ، وأبو عمرٍو: (فَرُهُنٌ) بضم الراء والهاء من غير ألف، والباقون: (فَرِهانٌ) بكسرِ الراءِ وفتحِ الهاءِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٧).

وألفٍ بعدَها، وهو جمعُ رَهْنٍ؛ كبَغْلٍ وبِغالٍ[1].

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: وَثِقَ إليه لأمانتِهِ.

﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ أي: فليقضِ المديونُ ما عليهِ من الدَّينِ، وسُمِّيَ أمانةً؛ لتعلُّقِه بالذمَّة؛ كتعلُّقِ الأمانةِ.

﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أداءِ الحقِّ، ثم التفتَ مخاطباً للشهود فقال:

﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دُعيتم إلى إقامتِها، ثم تهدَّدَهم فقال:

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾ أي: يأثمُ.

﴿قَلْبُهُۥ﴾ لأنَّ الكتمانَ يُقَرُّ فيهِ، ولأنَّ القلبَ هو رئيسُ الأعضاءِ، والمضغةُ التي إن صلحَتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإن فسدَتْ، فسدَ الجسدُ كلُّه، فكأنه قيل: قد تمكَّنَ الإثمُ في أصلِ نفسه، ومَلَكَ أشرفَ مكان فيه، والقلبُ هو محلُّ تحمُّلِ الشهادةِ والعقائدِ والنياتِ.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: «أَكْبَرُ الكبائرِ الإشْراكُ باللهِ، وشَهادةُ الزورِ، وكَتْمُ الشَّهادَةِ»[2] والشهادةُ حجَّةٌ شرعيةٌ تُظْهِرُ الحقَّ ولا تُوجِبُهُ، فهيَ الإخبارُ بما عَلِمَهُ بلفظٍ خاصٍّ.

***

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤١).

[٢٨٤] ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً.

﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ ﴾ تُعْلِنوا.

﴿ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ تُسِرُّوهُ.

﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ والصحيحُ أنَّ هذهِ الآيةَ عامةٌ، تلخيصُه: أن الله تعالى يحاسب بِكُلٍّ عَبيدَهُ.

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الذنبَ العظيمَ.

﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴾ على الذنبِ الحقيرِ، وكلُّ ما يفعلُه عدلٌ ـ سبحانه ـ. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (فَيَغْفِرُ) و(يُعَذِّبُ) برفع الراء والباء على الابتداء؛ أي: فهو يغفرُ ويعذبُ، والباقون: بالجزم عطفاً على جواب الشرط(١)، وأدغمَ الراءَ في اللام أبو عمرٍو، وأظهر الباءَ عندَ الميم بعدَ سكونها ورشٌ، وابنُ كثيرٍ، بخلافٍ عن الثاني، وأدغَمَها الباقون من أصحابِ الإسكان في الميم(٢).

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فيقدِرُ على الإحياءِ والمحاسبة.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٠٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٠).

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾.

[٢٨٥] ﴿ ءَامَنَ ﴾ صدق.

﴿ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ فهو جازمٌ في أمرِه غيرُ شاكٍّ فيه.

﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ﴾ أي: كلُّ واحدٍ منهم.

﴿ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ ولذلكَ وَحَّدَ الفعلَ.

﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ لتحقيقِ كمالِ العظمة في خلقِهم وانقيادِهم ودخولِهم في الملك، وتقديمُ الملائكةِ لا إشعارَ[1] فيه بأفضليَّتِهم على الرُّسُلِ بواسطةِ تأخيرِهم ذِكْراً؛ لأن الغرضَ المسوقَ له الكلامُ مدحُ من صَدَّقَ بالغيب، فما كانَ أدخلَ في الغيبِ كانَ تقديمُه أهمَّ، والمدحُ عليه أَتَمَّ، رعايةً للمقامِ باعتبارِ ما سِيقَ له المقالُ، فتقديمُ ما اشتدَّ فيه الغيبُ حَقُّ السياق، وصرَّحَ بالرسلِ دونَ الأنبياء، مع أن الإيمانَ بالأنبياءِ مستلزمٌ الإيمانَ بالرسل، ولا عكسَ، لأنَّ بالتبليغِ قامتِ الحجَّةُ، واستقامَتِ المحَجَّةُ، وهم المخبرونَ عن المستترِ علمُه بأمر الله لهم، فالتنصيصُ عليهم أنسبُ بالحال.

﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾ لما اشتملَتْ عليه من إرشادِ العبيد إلى معبودهم. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَكِتَابِهِ) بالألف على التوحيد، يعني: القرآن، والباقون: بغير ألف على الجمع؛ لقوله: ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾[2].

---

(١) في «ت»: «لا شعار».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٩٦)، =

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: بما جاءتْ به عن الله، فبانَ أن المصيرَ إليه سبحانَهُ في سائرِ الأشياءِ، وجميعِ الأحوالِ، فالرسولُ والمؤمنونَ يقولون:

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ؛ كاليهودِ والنصارى. قرأ يعقوبُ: (لا يُفَرِّقُ) بالياء، فيكونُ خبراً عن الرسول، ومعناه: لا يفرقُ الكُلُّ، وقرأ الباقون: بالنون على المعنى الأول[1].

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ أَجَبْنا.

﴿وَأَطَعْنَا﴾ دَخَلْنا في الطاعة، وهذا تمامُ المدحِ لهم؛ حيث ضَمُّوا إلى الاعتقاد بالجَنان النُّطْقَ باللسان، روُي أنه لما نزلَتْ هذه الآيةُ، قالَ جبريلُ للنبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ فَسَلْ تُعْطَهْ، فَقَالَ بِتَلْقِينِ جِبْرِيلَ إِيَّاهُ: غُفْرَانَكَ»[2]؛ أي: اغفر.

= و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣١).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٢).

(٢) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٥٣)، عن حكيم بن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: «آمن الرسول...» قال جبريل: «إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه، فسأل: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان عند تفسير الآية (١٣١) من سورة البقرة، و«روح البيان» للآلوسي عند تفسير الآية (٢٨٤) من السورة، وذكر الآلوسي قول الزمخشري بأنه طعن ـ على عادته ـ في القراءات =

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجعُ بعدَ الموتِ، وهي عبارةٌ عامةٌ شاملةٌ لمآلِ العبدِ في كلِّ أمرٍ وكلِّ نازلةٍ.

* * *

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

[٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتَها، والوُسْعُ: خِلافُ الضِّيقِ، وهو ما يسعُ الشيءَ ولا يضيقُ عليه، قال ابنُ عباسٍ: «هُمُ المؤمنونَ خاصَّةً، وَسَّعَ عليهم أَمْرَ دينهم، ولم يُكَلِّفْهم إلا ما يستطيعون»(١)، والتكليفُ: إلزامُ الكُلْفَةِ على المخاطَب، فلا يكلَّفُ معدومٌ حالَ عدمهِ بالاتفاق، ونَكَّرَ نَفْساً؛ لأنه أوفى بالشيوع، وأولى بالشُّمول. قرأ أبو عمرٍو: (المَصِير لاَّ يُكَلِّفُ) بإدغام الراء في اللام.

﴿لَهَا﴾ أي: للنفسِ.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من أعمالِ البرِّ.

﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من اقترافِ ما يُوقِعُها في الحرجِ، وكان بنو

= السبع إذا لم تكن على قواعد العربية، ومن قواعدهم أن الراء لا تدغم إلا في الراء؛ لما فيها من التكرار الفائت بالإدغام في اللام. ثم قال الألوسي: وقد يجاب بأن القراءات السبع متواترة، والنقل بالمتواتر إثبات علمي، وقول النحاة نفي ظني. وقد أجاب أبو حيان بأن قول الزمخشري الذي ذكره ليس مجمعاً عليه عند النجاة. والله أعلم.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣١٦).

إسرائيل إذا نَسُوا شيئاً مما أُمروا به، أو أخطؤوا، عُجِّلَتْ لهم العقوبةُ، فأُمر المسلمون بالدُّعاءِ برفعِ ذلكَ عنهم بقولِهم:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ تعاقِبْنا.

﴿إِن نَّسِينَآ﴾ غَفَلْنا.

﴿أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ جَهِلْنا.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ ثِقلاً، وأصلُ الإِصْرِ: العَقْدُ والإحكامُ.

﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ يعني: اليهودَ، فلم يقوموا به، فعذبتَهُمْ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ تُكَلِّفْنا.

﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ من الأعمالِ الشاقَّة، وهو كلُّ ما نضعُفُ عن حملِهِ.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ بمحوِ ذنوبِنا، فلا يبقى لها أثرٌ.

﴿وَٱغْفِرْ لَنَاۖ﴾ تَفْضَحْنا. قرأ أبو عمرٍو: (وَاغْفِر لَّنَا) بإدغام الراء في اللام[1].

﴿وَٱرْحَمْنَاۚ﴾ بإيصالِ فضلِك، واتِّصالِ كرمك، وعن ابنِ عباسٍ: «أَنَّ النبيَّ ﷺ لما دَعا بهذِهِ الدَّعَواتِ قِيلَ لَهُ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا: قَدْ فَعَلْتُ»[2].

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدُنا ووليُّنا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٢٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق.

﴿ فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ فما النصرُ إلاَّ من عندِكَ؛ لأنك سيدٌ، والسيدُ ينصرُ عبيدَه، وصرَّحَ بوصفهم بالكفر؛ لأنه الحاملُ على المبايَنَةِ، والداعي إلى المقاتَلَة، ولا يخفى ما في طلبِ ذلكَ من إرشادِ المؤمنِ إلى تركِ الكافرِ وموادَّته والإبعادِ عن مصادقتِه، وفي الآية إشعارٌ بأن المعاداةَ في الدين مطلوبةٌ، وأن الهجرانَ في الله ليسَ من التقاطُعِ المذمومِ، بل وردَ في الحديث: عَدُّ البُغْضِ في اللهِ من الإيمانِ.

قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ، فَلا تُقْرَأَانِ في دارٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبَهَا شَيْطَانٌ»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ، كَفَتَاهُ»(٢).

وكانَ مُعاذٌ إذا ختمَ البقرةَ يقولُ: آمين(٣)، قالَ ابنُ عطيةَ: هذا يُظَنُّ به أنه رواهُ عن النبيِّ ﷺ، وإنْ كانَ ذلكَ، فكمالٌ، وإن كانَ بقياسٍ على سورةِ الحمدِ من حيثُ هناكَ دعاءً، وهنا دعاءٌ، فَحَسَنٌ، والله أعلم(٤).

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في آخر سورة البقرة، وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٠٣)، وغيرهما عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، ومسلم (٨٠٧)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، عن أبي مسعود البدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩٧٦).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٣٩٥).

سورة آل عمران

مدنيةٌ آيها مئتا آيةٍ، وحروفُها أربعةَ عشرَ ألفاً، وخمسُ مئةٍ، وخمسةٌ وعشرون حرفاً، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وثمانون كلمةً، وحكى النقاشُ أنَّ اسمَ هذهِ السورةِ في التوراة: طَيِّبَةٌ(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قدمَ وفدُ نجرانَ(٢) من النصارى على رسولِ ﷺ، وزعموا أن عيسى ابنُ الله، فكذَّبَهم رسولُ الله ﷺ، فخاصموا جميعاً في أمره، فقطعَ حُجَّتَهم بالأدلَّةِ الواضحةِ، فأنزل الله صدرَ سورةِ آل عمران إلى بضعٍ وثمانين آيةً منها(٣)، فقال ـ عز وجل ـ:

﴿الٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تقدَّم تفسيرُه، ومذهبُ أبي جعفرٍ في تقطيعِ الحروف أولَ سورةِ البقرةِ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ١٤٠).

(٢) جاء على هامش «ظ»: «نجران» مدينة بالحجاز.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ .

[٢] ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ابتداء .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خبرٌ. قرأ أبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ، بخلافٍ عن الثاني : بسكون الميم، أَللهُ : بقطع الألف للابتداء على لغةِ من يقطعُ ألفَ الوصل[١]، وإذا قرىء (المالله) بالوصل على مذهب العامة، جاز لكلٍّ من القراء في الياء من (ميم) المدُّ والقصرُ، وفتح الميم وصلاً لالتقاء الساكِنينِ تخفيفاً[٢].

﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ نعتٌ له، وتقدَّم تفسيرُهما في آية الكرسي .

* * *

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي : القرآنَ .

﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ بالصدقِ. قرأ أبو عمرٍو : (الْكِتَاب بِّالْحَقِّ) بإدغام الباء، في الباء واخْتُلِف عن رُويس .

﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ لما قبلَه من الكتب .

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤).

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ١٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤).

﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ﴾ الضياءَ والنورَ. قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذَكوانَ: (التَّوْرَاةَ) بالإمالة كيفَ أتتْ في جميع القرآن، بخلافٍ عن قالون(١).

﴿ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾ إفعيل من النَّجْل: الأصل، فهو أصلُ العلوم والحكم، وإنما قالَ في القرآن: (نَزَّلَ) لأنه نزلَ مفصَّلاً، والتنزيلُ للتكثير، وقال في التوراة والإنجيل: (أَنزَلَ)؛ لأنهما أُنزلا جملةً واحدة(٢).

* * *

﴿ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ مِن قَبۡلُ ﴾ متعلق بـ«أنزلَ».

﴿ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ أي: هادٍ لمن تبعه، والمرادُ بالناسِ: موسى وعيسى وأتباعُهما.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ القرآنَ المفرِّقَ بينَ الحقِّ والباطلِ، وكرَّرَه تفخيماً له.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ من كتبه المنزلةِ.

﴿ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ بسببِ كفرهم.

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ﴾ غالبٌ ذَلَّ له كلُّ شيء.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٨٣-١٨٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٠).

﴿ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ عقوبةٍ شديدةٍ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ من الأشياءِ.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ عَبَّرَ عن إدراك جميعِ الأشياءِ بذكر الأرضِ والسماء؛ لأنهما محلٌّ لها.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ من الصُّورِ المختلفةِ من الذُّكورةِ والأُنوثة.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وهذا ردٌّ على وفدِ نجرانَ من النصارى حيثُ قالوا: عيسى ولدُ الله، أو اللهُ؛ لأنَّ من صُوِّرَ في الرحم يمتنعُ أن يكون إلهاً أو ولداً للهِ؛ لكونه مُرَكَّباً وحالاً في مركَّبٍ، ولتعاقُبِ الفناءِ عليه، قال ﷺ: «يَدْخُلُ المَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ في الرَّحِم بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فيقولُ: يَا رَبِّ! أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، ويَكْتُبُ عَمَلَهُ وَأَثَرَهُ وَأَجَلَهُ وَرِزْقَهُ، ثُمَّ يَطْوِي الصُّحُفَ، فَلاَ يُزَادُ فِيهَا وَلاَ يُنْقَصُ»(١).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٤)، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي، عن حذيفة بن أسيد ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ متقَنات[١] مفصَّلاتٌ، من الإحكام، فلم يدخلْ فيها شيءٌ من الاشتباه، والمُحْكَمُ: ما ازدادَ وُضوحاً على المفسَّرِ.

﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أي: أصلُه الذي تُعْمَلُ عليه الأحكام، وقولُه: ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ولم يقلْ: أُمَّهات جمعاً؛ لأن الآياتِ في الحكمِ بها بمنزلةِ آيةٍ واحدةٍ.

﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ﴾ المتشابِهُ: ضدُّ المحكَمِ، وهو ما استأثر الله بعلمه؛ لأنه اشتبهَ مرادُ المتكلمِ على السامعِ؛ لاحتمالِ وجوهِ، وحكمُهُ التوقُّفُ فيه أبداً، فإن قيل: كيف فرقَ هاهنا بين المحكمِ والمتشابِهِ وقد جعلَ كلَّ القرآنِ محكَماً في قوله: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود: ١] وجعلَ كلَّه متشابهاً في قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر: ٢٣]؟ فالجواب عن الأول: إن المرادَ أنه كلَّه حقٌّ ليس فيه عيبٌ، وعن الثاني: أنه يشبهُ بعضُه بعضاً في الحسنِ والصدقِ، وجعلَ بعضَه هنا محكَماً وبعضَه متشابهاً أراد بالمحكَمِ: الذي يُعْمَلُ به، ولا يدخلُه تغيير كالناسخِ والمتشابِهِ المنسوخِ.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ أي: ميلٌ عن الحق.

---

(١) في «ن»: «منقاة».

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ المعنى: الزائغون يتعلقونَ من المتشابهِ بما يوافقُ هواهم ظاهراً، وهم وَفْدُ نجرانَ، خاصموا النبيَّ ﷺ في عيسى، وقالوا: ألستَ تزعُم أنه كلمةُ اللهِ وروحٌ منه؟ قال: «بلى» قالوا: حَسْبُنا، فأنزل الله هذه الآيةَ[1].

﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلبَ.

﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ الشِّرْكِ.

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ أي: تفسيرِه بما يشتهون.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ أي: المتشابهَ.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والخلقُ متعبَّدُونَ في المتشابهِ بالإيمانِ به، وفي المحكَمِ بالإيمانِ به والعملِ، ويحرُمُ تفسيرُهُ برأيٍ واجتهادٍ بلا أصلٍ. والوقفُ التامُّ على قولِه: (إلا الله) عندَ الأكثرِ[2].

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ المتمَكِّنون.

﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ همُ الذين ثبتوا فيه، وتمكَّنوا منه؛ لأن أصلَ الرسوخِ الثبوتُ.

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ معناه: الراسخون لا يعلمونَ تأويلَه، بل يؤمنون به.

﴿كُلٌّ مِّنْ﴾ المحكمِ والمتشابهِ من.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٩٦)، عن الربيع.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٤).

﴿ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ يتّعِظ بما في القرآنِ.

﴿ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ذوو العقول.

* * *

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ رَبَّنَا ﴾ أي: ويقول الراسخوان: ربنا.

﴿ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ أي: ثبِّتْها على الإيمان، ولا تُمِلْنا عن الحقِّ.

﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ وَفَّقْتَنا.

﴿ وَهَبْ لَنَا ﴾ أعْطِنا.

﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ من عندِكَ.

﴿ رَحْمَةً ﴾ توفيقاً.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ لكلِّ سُؤْل.

* * *

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ ﴾ أي: في يوم.

﴿ لَا رَيْبَ ﴾ أي: لا شكَّ.

﴿ فِيهِ ﴾ وهو يومُ القيامة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ الموعدَ، وحكى البغويُّ قولاً أن الراسخَ

في العلم مَنْ وُجِدَ فيه أربعةُ أشياء: التقوى بينَهُ وبينَ الله، والتواضُعُ بينَهُ وبين الخَلْق، والزهدُ في الدنيا، والمجاهدةُ بينَهُ وبينَ نفسِه[1].

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ ﴾ تنفعَ.

﴿ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ أي: لن تدفعَ عنهم الأموالُ شيئاً من الله. يسكتُ حمزةُ في: (شَيْءٌ وشَيْءٍ وشَيْئاً) حيثُ وقعَ.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ اسمٌ لما يُوقَدُ، والمرادُ: من كفرَ بالنبيِّ ﷺ. تلخيصُه: لا مخلصَ للكفارِ منَ النار.

***

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ كَدَأْبِ ﴾ كعادة.

﴿ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ والدَّأْبُ مصدرُ دَأَبَ في العمل: جَدَّ فيه، وأصلُه الملازمةُ والدوامُ. تلخيصُه: عادةُ أولاءِ كعادةِ أولئك.

﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من كفارِ الأممِ الماضية.

﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ أي: كلُّهم كفروا.

﴿ فَأَخَذَهُمُ ﴾ أي: فعاقبَهم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٢٥).

﴿ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تهويلٌ للمخالفةِ.

* * *

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾.

[١٢] ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفارَ مكةَ.

﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالياء فيهما؛ أي: إنهم يُغلبون ويُحشرون، والباقونَ بالتاءِ على الخطاب؛ أي: قل لهم: إنكم ستُغلبون وتُحشرون[١]، والغَلَبَةُ: القهرُ، والحَشْرُ: السَّوْقُ. المعنى: إنهم يُقهرون في الدنيا يومَ بدرٍ، ويُساقون في الأخرىٰ.

﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ من الجِهنَّامِ، وهي البئرُ العميقةُ.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراشُ.

فلما نزلت هذه الآيةُ، قال لهم النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ: «إِنَّ اللهَ غَالِبُكُمْ وَحَاشِرُكُمْ إِلَى جَهَنَّمَ»[٢].

ثم خاطبَ كفارَ قريشٍ مشيراً إلى وقعةِ بدرٍ فقالَ:

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٢٥-٣٢٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥١)، و«تفسير الطبري» (٣/ ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٧).

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ ولم يقل: كانتْ، والآيةُ مؤنثةٌ؛ لأنه ردَّها إلى البيان؛ أي: قد كان لكم بيانٌ، فذهبَ إلى المعنى؛ أي: قد ظهرَ لكمْ دلالةٌ على صدقِ قولي[١]: أنَّكم تُغْلبون.

﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ فِرْقَتين. قرأ أبو جعفرٍ: (فِيَتَيْنِ) و(فِيَةٌ) بفتح الياء بغير همز[٢].

﴿ ٱلْتَقَتَا ﴾ يومَ بدرٍ، إحداهُما.

﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في طاعته، وهم النبيُّ ﷺ وأصحابُه، وكانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً، معهم فرسٌ للمقدادِ ابنِ عمرٍو، وفرسٌ لمرثدِ بنِ أبي مرثدٍ، وسبعون بعيراً، وستةُ أدرع، وثمانيةُ سيوف، وأكثرهم رَجَّالَةٌ.

﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ وهم كفارُ قريش، كانوا تسع مئةٍ وخمسين رجلاً من المقاتلة، وكانَ حربُ بدرٍ أولَ مشهدٍ شهدَه رسولُ الله ﷺ.

﴿ يَرَوْنَهُم ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: بالتاء خطاباً لليهود؛ لأن منهم من حضرَ الوقعةَ ينظرُ لِمَنِ الكَرَّةُ، وقرأ الباقون: بالغيب؛ أي: يرونهم المسلمون[٣].

---

(١) «قولي»: ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٢)، =

﴿ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ كان المسلمون يرون المشركين مثلَي عددِ أنفسهم، قَلَّلَهم اللهُ في أعينهم حتى رأوهم [سِتَّ مئةٍ وستةً وعشرين رجلاً، ثم قَلَّلَهم في أعينِهم في حالةٍ أخرى حتى رأوهم مثلَ عددِ أنفِسهم، ثم قَلَّلَهم أيضاً في أعينِهم حتى رأوهم][1] عدداً يسيراً أقلَّ من أنفسهم، وقيل غير ذلك، وهذا التأويل هو الأصح.

﴿ رَأْىَ ٱلْعَيْنِۚ ﴾ بارزاً ظاهراً.

﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ ﴾ يُقَوِّي.

﴿ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ: (يُوَيِّدُ) بفتح الواو وبغير همز، واختُلِف عن عيسى صاحبِ أبي جعفرٍ[2].

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرتُ.

﴿ لَعِبْرَةً ﴾ لاعتباراً.

﴿ لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ لذوي العقول والنظر، وتقدَّمَ اختلافُ القراء في حكم[3] الهمزتين في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ ﴾.

= و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠).

(١) ما بين معكوفتين ساقط من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١).

(٣) «حكم»: ساقطة من «ن».

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ جمع شهوة، وأصل الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده.

﴿ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ بدأ بهنَّ؛ لأنهنَّ حَبائلُ الشيطانِ.

﴿ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ﴾ جمعُ القنطار(١)، وهو المالُ الكثيرُ، وسُمِّيَ قِنْطاراً مِنَ الإِحْكامِ، يقال: قَنْطَرْتُ الشيءَ: إذا أَحْكَمْتُهُ، ومنهُ سُمِّيت القَنْطَرَةُ.

﴿ ٱلۡمُقَنطَرَةِ ﴾ المضعَّفةُ.

﴿ مِنَ ٱلذَّهَبِ ﴾ سمي ذهباً؛ لأنه يذهبُ ولا يبقى.

﴿ وَٱلۡفِضَّةِ ﴾ لأنها تنفضُّ؛ أي: تتفرَّقُ.

﴿ وَٱلۡخَيۡلِ ﴾ من الخُيَلاءِ، لا واحد له من لفظه، وواحدُها فَرَسٌ.

﴿ ٱلۡمُسَوَّمَةِ ﴾ المعلَّمةِ، والسِّيما: العلامةُ.

﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ جمعُ النَّعَم؛ أي: الإبلِ والبقرِ والغنمِ.

﴿ وَٱلۡحَرۡثِۗ ﴾ الزرعِ.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكورُ.

﴿ مَتَٰعُ ﴾ يتمتع به يسيراً في.

﴿ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ ثم يزولُ.

---

(١) في «ن»: «القناطر».

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾ المرجعُ، وهذا تزهيدٌ في الدنيا، وترغيبٌ في الأخرىٰ[1]. قرأ أبو عمرٍو: (وَالْحَرْث ذَّلِكَ) بإدغام الثاء في الذال، وأدغم النون في اللام من: (زُيِّن لِّلنَّاسِ)[2].

* * *

﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾.

[١٥] ﴿۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبرُكم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ورُويسٌ: بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين، وفصل بينهما بألف أبو جعفرٍ، واختُلِف عن أبي عمرٍو وقالونَ، وهشامٍ[3].

﴿بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ من الأقذارِ.

﴿وَرِضۡوَٰنٞ﴾ أي: رِضًا.

﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَرُضْوانٌ وَرُضْواناً) بضمِّ الراءِ

---

(١) في «ش»: «الآخرة».

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١١٣)، في النوع الحادي والثلاثين.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٤)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٧٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٣٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢).

حيثُ وقع، إلا قوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ﴾ ثاني المائدة، والباقون: بالكسر، وهما لغتان؛ كالعِدْوان والعُدْوان[1].

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيثيبُ المحسنَ، ويعاقبُ المسيء.

* * *

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا﴾ صَدَّقنا.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ اسْتُرْها علينا، وتجاوزْ عَنَّا.

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ صفةٌ للمتقين

* * *

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿الصَّابِرِينَ﴾ عن ارتكابِ المعاصي والشهواتِ.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في السرِّ والعلانيةِ.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعينَ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣).

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ أموالَهم في طاعةِ الله.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ أي: المصلِّين.

﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾ جمعُ سَحَرٍ، وهو من ثُلُثِ الليلِ الآخِرِ إلى الفَجْرِ، وأصلُه: الخفاءُ؛ للطفِهِ. المراد: الإعلامُ أن الجنة أُعِدَّت لجميعِ المذكورين.

***

ونزل في نصارى نجران:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي: بيَّنَ وأَعْلَمَ.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: وشهدَتِ الملائكةُ.

﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ هم الأنبياءُ والمؤمنونَ المثبتونَ التوحيدَ، شهدوا بذلك، وأَقَرُّوا به اعتقاداً، والعلمُ: هو إدراكُ الشيءِ على ما هوَ بِهِ.

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أي: مُقيماً بالعدلِ وتدبيرِ الخلق، ونصبُه حالٌ مؤكدةٌ من الله، ونظمُ الآيةِ: شهدَ اللهُ قائماً بالقسطِ، وتقدَّم الكلامُ على تغليظِ اللامِ منِ اسمِ الله في (شَهِدَ اللهُ) وشبهِه في أول سورة الفاتحة[١].

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فهو الموصوفُ بهما.

***

---

(١) في «ن»: «البقرة».

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ يعني: الدينَ المرضيَّ الصحيحَ، والإسلامُ هو الدخولُ في السِّلْمِ، والانقيادُ والطاعةُ. المعنى: الإسلامُ: العدلُ والتوحيدُ، وهما الدينُ عندَ الله لا غيرُ. قرأ الكسائيُّ: (أَنَّ الدِّينَ) بفتح الألف رَدّاً على أَنَّ الأولى، تقديرُه: شهدَ اللهُ أَنَّه لا إلهَ إلاَّ هُوَ، وشهدَ أَنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، وقرأ الباقون: بكسر الألف على الابتداء[١]. ونزلَ[٢] في اليهودِ والنصارى حينَ تركوا الإسلامَ:

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في نبوةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ في التوراة أنه نبيٌّ حَقٌّ، فكذَّبوا، وأشركوا؛ بأن ثَلَّثَتِ[٣] النصارى، وقالتِ اليهودُ: عزيرٌ ابنُ اللهِ.

﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ أي: طلباً للمُلْكِ والرياسةِ، فسلَّط اللهُ عليهِمُ الجبابرةَ.

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ وعيدٌ لمن كفرَ بسرعةِ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥).

(٢) في «ت»: «ونزلت».

(٣) في «ن»: «وثلث».

مجيءِ[1] يومِ القيامةِ والحسابِ؛ إذ هي متيقَّنَةُ الوقوعِ، وكُلُّ آتٍ قريبٌ.

* * *

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)﴾.

[٢٠] ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: خاصمَكَ يا محمدُ أهلُ الكتابِ في الدين.

﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: أَخْلَصْتُ عبادتي.

﴿لِلَّهِ﴾ وانقدْتُ إليه بجميع جوارحي، وخُصَّ الوجهُ بالذكرِ؛ لأنه أكرمُ جوارحِ الإنسانِ، وفيه بَهاؤه، وإذا خضعَ وجهُه، خضعَ سائرُ جوارحه. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ: (وَجْهِيَ) بفتح الياء، والباقون: بالإسكان[2].

﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ أي: أسلمَ كما أسلمتُ. أثبتَ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ في قوله: (اتَّبَعَنِي) حالةَ الوصل، وأثبتها يعقوبُ وَصْلاً ووقفاً، وحذفَها الباقون في الحالين؛ لأن رسمَها في المصحفِ بغير ياء[3].

---

(١) «مجيئ» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦).

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات =

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ اليهودِ والنصارى.

﴿ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ مشركي العربِ.

﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ استفهامٌ، ومعناه أَمْرٌ؛ أي: أَسْلِموا؛ كقوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، وتقدمَ اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦]، وكذلك اختلافُهم في قوله: ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾.

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ لخروجِهم من الضَّلالِ إلى الهدى.

﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الإيمانِ.

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ بتبليغ الرسالةِ دونَ الهداية.

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ بِمَنْ يؤمنُ ومَنْ لا يؤمن، ثم نُسِخَتْ بآيةِ السيفِ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) ﴾.

[٢١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ يَجْحَدون.

﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآنَ، وهم اليهود والنصارى.

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦).

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ قرأ حمزةُ: (وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ) بألفٍ[1] مع ضمٍّ[2] الياءِ وكسرِ التاءِ من القتالِ، وقرأ الباقون: بغير ألفٍ مع فتح الياء وضمِّ التاء، من القتل[3]، معناه: إن كفارَ بني إسرائيل قَتَلوا أنبياءهم وأتباعَهُم عِناداً.

﴿ فَبَشِّرْهُم﴾ أخبِرْهُمْ.

﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وَجيعٍ.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت.

﴿ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ بدفعِ العذابِ عنهم، فبطلانُ العملِ في الدنيا عدمُ القبولِ، وفي الآخرةِ عدمُ المجازاةِ عليه. ونزلتْ في اليهودِ لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبوا:

* * *

---

(١) «بألف» ساقطة من «ش».

(٢) «ضم» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣١٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٨ـ٣٣٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٨ـ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨).

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا ﴾ حظّاً.

﴿ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: التوراةِ.

﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ) بضمِّ الياء وفتحِ الكاف، والباقون: بفتح الياء وضمِّ الكاف[1]، وتقدم توجيهُ قراءتهم في سورة البقرة عندَ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ [الآية: ٢١٣].

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن قَبولِ الحقِّ.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: التولِّي والإعراضُ.

﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ ﴾ أي: بسببِ قولِهم:

﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ فَسَهَّلوا أمرَ العذابِ باعتقادِهِمُ الزائغِ[2].

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (٤/ ٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨).

(٢) «فسهلوا. . . الزائغ» ساقط من «ش».

﴿وَغَرَّهُمْ﴾ والغرّ: الطمعُ فيما لا يحصُلُ منه شيءٌ.

﴿فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ والافتراءُ: اختلاقُ الكذبِ.

* * *

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعونَ.

﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو يومُ القيامةِ.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهلِ الكتابِ وغيرِهم(١).

﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يُزادُ في سيئاتِهم، ولا يُنْقَص من حسناتِهم. قال ابنُ عباسٍ وأنسُ بنُ مالكٍ: «لما افتتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ، وعدَ أُمَّتَهُ مُلْكَ فارسَ والرومِ، فقالَ المنافقونَ واليهود: هَيْهاتَ هيهاتَ، منْ أينَ لمحمدٍ ملكٌ؟! فارسُ والرومُ أعزُّ وأمنعُ من ذلك، ألم يكفِ محمداً مكةُ والمدينةُ حتى طمعَ في ملكِ فارسَ والرومِ؟! فأنزلَ الله(٢):

* * *

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾.

---

(١) «وغيرهم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «أسباب النزول «للواحدي» (ص: ٥٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٧).

[٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ الميمُ عِوَضٌ من حرفِ النداء، وشدِّدَتْ لقيامِها مقامَ حرفين. معناه: يا أَللهُ.

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ أي: مالكَ العبادِ وما مَلَكوا.

﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ﴾ أي: النبوَّةَ.

﴿مَن تَشَآءُ﴾ من خلقِكَ.

﴿وَتَنزِعُ﴾ أي: تُزيلُ وتقلَعُ.

﴿ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ منهم.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالملكِ.

﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بنزعِهِ منهُ.

﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ أي: والشرُّ، فاكتفى بذكرِ أحدِهما، ولأن الآيةَ في ذكرِ ما أعدَّ للمؤمنين.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ثم أومأ إلى قدرته الباهرة بقوله:

* * *

﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿تُولِجُ﴾ تُدْخِلُ.

﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ حتى يصيرَ خمسَ عَشْرَةَ ساعةً، والليلُ تسعَ ساعاتٍ.

﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾ حتى يصيرَ خَمْسَ عَشْرَةَ ساعةً، والنهارُ تسعَ ساعاتٍ، فما نقصَ من هذا، زِيدَ في هذا.

﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ أي: الحيوانَ من النُّطْفَةِ.

﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ عكسُ الأول، وقيلَ: المؤمنُ من الكافرِ، وعكسُه، وقيل غير ذلك. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (مِنَ المَيِّتِ) (وتخرج الميت) بتشديدِ الياء حيثُ وقع[(1)].

﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ من غير تضييقٍ ولا تقتير.

* * *

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ نزلَتْ نهياً عن مباطَنَةِ من يُبْطِنُ الكفرَ ويُظْهِرُ الإيمانَ، وعن مُوالاتِهم. المعنى: اجتنبوا موالاةَ الكفارِ، فلكم غُنْيَةٌ عن موالاتهم بموالاةِ المؤمنين؛ لأنهم أعداءُ الله، ومن والاهم فقد دخلَ في عداوة الله، ثم تَهَدَّدَهم فقال:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: ولاءَ[(2)] الكفار.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٣٩-٣٤٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨).

(٢) في «ن»: «موالاة».

﴿ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من دينِه.

﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ لأنه منسلخٌ عن ولايةِ اللهِ تعالى ودينِه. قرأ الليثُ عن الكسائيِّ: (يَفْعَل ذَّلِكَ) بإدغام اللام في الذال[1]، ثم استثنى فقال:

﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ المعنى: إلا لأجلِ خوفِكم منهم أمراً يجبُ الاحترازُ منه، فيداريهم المؤمنُ بلسانِه وقلبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان. قرأ يعقوبُ: (تَقِيَّةً) بفتح التاءِ وكسر القافِ وتشديد الياء بعدَها، والباقون: بضم التاء وفتح القاف وألف بعدها، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ يُميلون الألفَ على أصلهم[2].

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ أي: يُخَوِّفُكم عقوبَتَهُ بأن يغضبَ عليكم بموالاةِ الكفار.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ تحذير أيضاً.

* * *

﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٥٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٠)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٥٧)، و«تفسير الرازي» (٢/ ٤٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٩ـ٢٠).

[٢٩] ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من مَوَدَّةِ الكفار.

﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ من موالاتِهم.

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ ويجازيكم بهِ.

﴿وَيَعْلَمُ﴾ رَفْعٌ على الاستئناف.

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكيف يَخْفَى عليه موالاتُكم الكفارَ؟

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدِرُ على عقوبتكم.

* * *

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ أي: اذكروا واتَّقوا يومَ تجدُ.

﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ لم تُبْخَسْ منه شيئاً.

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ﴾ أي: وَدَّتْ.

﴿لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾ يعني: وبين السوء.

﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ مسافةً واسعةً.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ إشارةٌ إلى أنه تعالى إنَّما نهاهُم وحَذَّرَهُمْ رأفةً بهم، ومراعاةً لصلاحهم.

* * *

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ونزلَ في اليهودِ والنصارى حيثُ قالوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة: ١٨]: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ:

﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فأنا رسولُه إليكم، فحبُّ المؤمنين للهِ اتِّباعُهم أمرَهُ، وابتغاء مرضاتَهُ، وحُبُّ اللهِ المؤمنينَ ثوابُهُ لهم، وعفوهُ عنهم، فذلكَ قولُه تعالى:

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن تَحَبَّبَ إليه بطاعته.

فلما نزلت هذه الآيةُ، قال عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ لأصحابه: إنَّ محمداً يجعلُ طاعتَهُ كطاعةِ الله، يأمرُنا أن نحبَّهُ كما أَحَبَّتِ النصارى المسيحَ، فنزل(١):

* * *

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أعرضوا عن طاعتِهما.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ لا يَرْضى فِعْلَهم، ولا يَغْفِرُ لهم.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤١).

[٣٣] قالَ ابنُ عباسٍ: قالتِ اليهودُ[(١)]: نحنُ أبناءُ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ، ونحنُ على دينه، فأنزل الله:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ اختارَ.

﴿ ءَادَمَ ﴾ وهو أبو البشر.

﴿ وَنُوحًا ﴾ واسمُهُ عبدُ الغَفَّارِ بنُ لامخ بنِ متوشلح بنِ حنوخ - وهو إدريسُ - وُلد بعدَ مضيِّ ألفٍ وستِّ مئةٍ واثنتينِ وأربعينَ سنةً من هُبوط آدمَ - عليه السلام -، وسُمِّيَ نوحاً؛ لكثرةِ نَوْحِهِ على نفسه، وهو أولُ نبيٍّ بُعث إلى كفارٍ، وهو أبونا الأصغرُ، عاشَ ألفاً وأربعَ مئةٍ وخمسينَ سنةً، وقبرُه بكركِ نوحٍ من أرضِ الشام.

﴿ وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾ أي: إبراهيمَ وعمرانَ أنفسَهُما؛ كقوله: ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقيل: آلُ إبراهيمَ: إسماعيلُ وإسحاقُ وأولادُهما، ومحمدٌ ﷺ من أولادِهما، وآلُ عمرانَ: موسى وهارونُ؛ لأنَّ موسى بنَ عمرانَ بنِ يصهرَ بنِ لاوي بنِ يعقوبَ، والآلُ في اللغة: الأهلُ والقرابةُ. المعنى: اختصَّ اللهُ آدمَ والأنبياءَ المذكورين والأنبياءَ من أولادِهم - عليهم الصلاة والسلام أجمعين - بالنبوَّةِ.

﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قرأ ابنُ ذكوانَ بخلافٍ عنه (عِمْرَانَ) بالإمالةِ حيثُ وقعَ[(٢)].

---

(١) «اليهود» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾ اشتقاقها من ذَرَأ بمعنى: خَلَقَ.

﴿بَعۡضُهَا مِنۢ﴾ ولد.

﴿بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بأقوالِ الناسِ وأعمالِهم.

***

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ العاملُ فعلٌ مُضْمَرٌ تقديره: اذكرْ إذ قالت، وامرأةُ عمران هي حَنَّةُ بنتُ فاقودَ، وعمرانُ بنُ ماثانَ، وكان زمنَ زكريا، فتزوَّجَ زكريا إيساعَ أختَ حَنَّةَ، فكان يحيى وعيسى ابني خالةٍ. و(امرأت) رُسِمَتْ بالتاء في سبعةِ مواضعَ، ووَقَفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو ويعقوب، والكسائيُّ(١)، وليس هذا بعمرانَ أبي موسى، كان بينهما ألفٌ وثمانُ مئةِ سنةٍ، فأحبَّتْ حَنَّةُ(٢) الولدَ بعدَما أَسَنَّتْ(٣)، فدعَتْ بذلك، فلما حملَتْ، قالت:

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ أي: غلاماً محرَّراً، ولم تقلْ: محرَّرَةً؛ لأنهم إنما كانوا يُحَرِّرونَ الغِلْمانَ، فنذرتْ إنْ رزقَها اللهُ ولداً،

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

(٢) «حنة» سقطت من «ن».

(٣) في «ن»: «أيست».

جعلَتْهُ من سَدَنَةِ بيتِ المقدِسِ، والنذرُ: ما يوجِبُهُ الإنسانُ على نفسِه، وتقدَّم الكلامُ عليه، والخلافُ فيه في سورة البقرة، والمحرَّرُ: المُعْتَقُ؛ من الحُرِّ، والحرُّ في الحقيقةِ الذي لم يُمْلَكْ، فأرادتْ أن تجعلَه حُرّاً من كلِّ شيءٍ عبداً مخلِصاً لله. تلخيصُه: أَوْجَبْتُ عَلَيَّ أن الذي في بطني عتيقٌ مفرَّغٌ لعبادةِ اللهِ تعالى، لا أشغلُه بشيءٍ من الدنيا.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِدُعائي(١).

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِنِيَّتي، فماتَ عمرانُ وهي حاملٌ بمريمَ، وكانَ من رؤوسِ بني إسرائيل وأحبارهم. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كَثيرٍ، ويعقوبُ (مِنِّي إِنَّكَ) (لِي آيَةً) بسكون الياء، والباقون: بفتحها(٢).

* * *

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ﴾ معتذرةً وظناً أن نذرها لا يُقبل؛ لأُنوثَتِهِ.

﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن

---

(١) في «ن»: «﴿فتقبل﴾ لدعائي ﴿مِنِّىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

عاصمٍ، ويعقوبُ: (وَضَعْتُ) بضم التاء، جعلوها من كلامِ أمِّ مريمَ، **وقرأ** الباقون: بجزم التاء إخباراً عن الله[1].

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لخدمةِ بيتِ المقدسِ؛ لضعفِها ولِما يعتريها من الحيضِ والنِّفاسِ وغيرِهما مما يلحقُ النساءَ.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومعناهُ: العابدةُ، وكانت مريمُ أجملَ النساءِ في وقتِها، ولم يُذْكَرْ في القرآنِ امرأةٌ باسمِها سوى مريمَ، وبقيةُ النساءِ أُشير إليهنَّ؛ كأزواجِ النبيِّ ﷺ، وامرأةِ إبراهيمَ، وأُمِّ موسى وأختِه، وامرأةِ نوحٍ ولوطٍ وفرعونَ، وغيرِهنَّ من نساءِ الأنبياءِ وغيرِهم.

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾ أُجيرها. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وإِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادَها.

﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ وتقدَّمَ تفسيرُهُ في الاستعاذة، قال ﷺ: «كُلُّ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٢٥)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٠-٣٤١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢).

بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِأُصْبُعَيْهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ، فَطَعَنَ فِي الحِجابِ»(١).

* * *

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾.

[٣٧] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قبلَ مريمَ من حَنَّةَ.

﴿بِقَبُولٍ﴾ أي: بأمرٍ ذي قَبولٍ.

﴿حَسَنٍ﴾ وأَصْلُ القَبول: الرِّضا؛ أي: سلكَ بها سبيلَ السُّعداء.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ سَوَّى خَلْقَها، فكانت تنبُتُ في اليوم ما ينبتُ المولود في عامٍ، ولما وضعَتْها أُمُّها حملَتْها وأَتَتْ بها إلى المسجدِ، ووضعَتها عندَ الأحبارِ وهُمْ يَلُونَ من بيتِ المقدس ما يلي الحَجَبَةُ من الكعبةِ، وقالَتْ: دونَكُم هذهِ المنذورةَ، فتنافَسوا فيها؛ لأن أباها كانَ من أَئِمَّتِهم، فقال زكريا: أنا أحقُّ بها؛ لأن خالتَها زوجتي، فقالوا: لا حتى نقترعَ، فَقَرَعَهم زكريَّا، وأخذها(٢)، فذلك قولُه تعالى:

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي: ضَمَّها إليه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (وَكَفَلَهَا) بتخفيف الفاء (زَكَرِيَّاءُ) بالرفعُ

---

(١) رواه البخاري (٣١١٢)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٤٥).

على أنه فاعلُ (وكَفَلَها)، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَكَفَّلَهَا) بتشديدِ الفاء؛ أي: جعلَهُ اللهُ كافِلاً لها، فأبو بكرٍ عن عاصمٍ ينصبُ الهمزةَ مع التشديدِ على أنه مفعولٌ به، وبقيةُ الكوفيين يقرؤون (زَكَرِيَّا) مقصوراً بغيرِ همزٍ حيثُ وقع[1]. فلما ضَمَّها زكريّا، بَنَى لها غرفةً في المسجد، وانقطعت في تلكَ الغرفةِ للعبادةِ، وكان لا يدخلُ على مريم غيرُ زكريا فقط، وكان ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ وهو ابنُ آدن بنِ مسلمِ بنِ صدوق من أولادِ سليمانَ بنِ داود عليه السلام، عاشَ أكثرَ من مئةِ سنةٍ، وقتلَهُ اليهودُ لعنةُ الله عليهم؛ لأنه لما وَلدتْ مريمُ المسيحَ من غيرِ بعلٍ، وقعَ اليهودُ في حَقِّهِ بما لا يليقُ ذكرُه، وطلبوه، فهربَ واختفى في شجرةٍ عظيمةٍ، فقطعوا الشجرةَ، وقطعوا زكريّا مَعها، وكان ذلكَ بعدَ ولادةِ المسيحِ بقليلٍ وقبره بذيلِ جبلِ طور زيتا بمقابرِ الأنبياءِ ببيتِ المقدس، وقيل: بقرية سبسطية من أرض نابلس، وقيلَ: بجامعِ دمشقَ، وبينَ وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ سِتُّ مئةٍ ونحو ثلاثينَ سنةً.

﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾ أي: الغرفةَ، والمحرابُ: أشرفُ المجالسِ، فكأنها وُضِعَتْ في أشرفِ مكانٍ من المسجدِ، وكان زكريا إذا خرجَ يغلِقُ عليها سبعةَ أبوابٍ، فإذا دخل عليها.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٢٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٥-٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤-٢٥).

﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ فاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ، وعَكْسه.

﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ ﴾ أي: من أين.

﴿ لَكِ هَٰذَا ﴾ الرزقُ، والأبوابُ مغلقةٌ عليكِ.

﴿ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من الجنة، تكلمت وهي صغيرةٌ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: بغير محاسبة.

* * *

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: عندَ ذلك.

﴿ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾ وكان قد شاخَ وأَيسَ من الولد، فلما رأى قدرةَ الله، طمعَ في الولد، و﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى ﴾ أي: أَعْطِني.

﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ أي: من عندِك.

﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ ولداً صالحاً، والذريةُ تقعُ على الواحدِ والجمعِ.

﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ سامعُه.

* * *

﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أجابَتْهُ، والمرادُ جبريلُ وحدَه، جُمِعَ تعظيماً له. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَنَادَاهُ) بألفٍ مُمالة إرادة

الجمع، وقرأ الباقونَ: بالتاء؛ لتأنيث لفظ الملائكة[1].

﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: في المسجد. قرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (المِحْرَابَ) بالإمالةِ حيثُ وقعَ بالخفضِ، وعنهُ خلافٌ في غيرِ المخفوض[2].

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (إِنَّ الله) بكسرِ الهمزة (يُبَشِّرُكَ): بضمِّ أولِه وكسرِ الشين مشدَّداً، وقرأ حمزةُ: (إِنَّ الله) كابنِ عامرٍ (يَبْشُرُكَ) بفتح الياء وضم الشين مخففاً، وقرأ الكسائي: (أَنَّ الله) بفتح الهمزة (يَبْشُرُكَ) كقراءة [حمزة، وقرأ الباقون: (أَنَّ الله) بفتحِ الهمزةِ (يُبَشِّرُكَ) كقراءةِ][3] ابنِ عامر، فالقراءةُ بكسر الألف على إضمار القول، تقديرُه: فنادته الملائكة فقالت: إن، وبالفتح بإيقاع النداء عليه، كأنه قال: فنادته الملائكة بأَنَّ، والقراءةُ بضمِّ الياءِ وفتحِ الباءِ وكسر الشين مشدداً من بَشَّرَ، وهو الأفصحُ، وبفتح الياء وضَمِّ الشين مُخَفَّفاً من بَشَرَ، وهي لغةُ تهامةَ[4].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٢_٣٤٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥_١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦_٢٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٢٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: =

﴿ بِيَحْيَىٰ ﴾ سُمِّيَ به؛ لأنه حَيِيَ به الرحمُ العاقرُ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَحْيى) بالإمالة حيثُ وقع[1].

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: مؤمناً.

﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يعني: عيسى عليه السلام؛ أي: بكلمةٍ كائنةٍ منَ الله بأنْ قالَ له: كُنْ من غيرِ أبٍ، فكانَ، فوقعَ عليه اسمُ الكلمة، وكان يحيى أولَ مَنْ آمن بعيسى وصَدَّقه، وكان أَسَنَّ من عيسى بستةِ أشهرٍ، وقيلَ: صدَّقَهُ وهو في بطنْ أُمِّه، فكانَتْ أُمُّ يحيى تقولُ لمريمَ: إني أجد ما في بطني يسجُد لما في بطنِك تحيةً له، وكانا ابنا الخالة كما تقدَّم، ثم قُتل يحيى قبلَ رفعِ عيسى عليهما السلام بسنةٍ ونصفٍ، وله نيفٌ وثلاثون سنةً، ونُبِّىء صغيراً، وكان عيسى قد حَرَّمَ نكاحَ بنتِ الأخ، وكان لهرودوس وهو الحاكمُ على بني إسرائيل بنتُ أخٍ، وأرادَ أن يتزوَّجَها كما هو جائزٌ في ملة اليهود، فنهاه يحيى عن ذلك، فأمر بذبحِ يحيى، فَذُبح ووُضع رأسُه بين يديه، فكان الرأسُ يتكلَّمُ ويقول: لا تَحِلُّ لكَ، واستمرَّ غَلَيانُ دمِه حتى بعثَ الله عليهم مَلِكاً من جهة المشرق يُقال له: حردوس، فقتلَ منهم على دمِ يحيى سبعينَ

= ٢٠٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٤٧ـ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٧ـ٢٨)، ولم يذكر البغوي القراءة عن الكسائي، وذكرتها جميع المصادر عنه بكسر الهمزة (إنَّ الله).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير الرازي» (١/ ٤٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٨٢).

ألفاً إلى أن سكنَ دمُه، وقبرُه عندَ قبرِ والدِه، على الخلافِ المتقدِّم، وبينَ وفاتِه والهجرةِ الشريفةِ الإسلاميةِ خمسُ مئةٍ ونحوُ سِتٍّ وتسعين سنةً.

﴿وَسَيِّدًا﴾ هو مَنْ سادَ قومَهُ، ويحيى سادَ قومَهُ والناسَ في أنَّه لم يرتكبْ سيئةً قَطُّ.

﴿وَحَصُورًا﴾ ممتنِعاً من الوَطْءِ معَ القدرةِ عليه، وليسَ كما قالَ بعضهم: إنه كان هَيُوباً، أو لا ذَكَرَ له؛ لأن هذه نقيصةٌ وعيبٌ لا تليقُ بالأنبياء، وإنما معناه: إنه معصومٌ من الذنوب لا يأتيها؛ كأنه حُصِر عنها.

﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

* * *

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] فلما بُشِّرَ بهِ ﴿قَالَ﴾ زكريّا:

﴿رَبِّ أَنَّىٰ﴾ أي: كيفَ.

﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ﴾ أي: نالني، وأَثَّرَ فيَّ.

﴿ٱلْكِبَرُ﴾ وكانَ ابنَ عشرينَ ومئةِ سنةٍ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ عقيمٌ لا تَلِدُ، وكانت بنتَ ثمانٍ وتسعينَ سنةً، وقولُ زكريا لم يكنْ شَكّاً في وعدِ الله، إنما شَكَّ في كيفيته؛ أي: كيف ذلك؟ يجعلُني أنا وامرأتي شابَّيْنِ، أم يرزقُنا ولداً على الكِبَرِ منَّا، أم يرزقُني من امرأةٍ أخرى؟ فقال مستفهِماً لا شَكّاً.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الفاني والعاقر.

﴿ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من خلقِ الولدِ بين هَرِمَيْنِ وغيره.

* * *

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ زكريا:

﴿رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ﴾ علامةً على وجودِ الحملِ؛ لأزيدَ في الشكر والعبادةِ، وتقدمَ اختلافُ[١] القراء في (لِي آيَةً).

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تمتنعُ عن كلامِهم.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ إشارةً، اعتُقِلَ لسانُه عمَّا سوى ذكرِ الله، وكانَتْ إشارتُه بالإصبعِ المُسبِّحَةِ، وأصلُ الرمزِ: التَّحَرُّكُ.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ وهو من زَوالِ الشمسِ إلى غُروبها.

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ وهو من طلوعِ الفجرِ الثاني إلى الضُّحى؛ أي: في وَقْتَيْهما.

* * *

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: جبريلَ عليه السلام.

﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ اختاركِ.

---

(١) في «ت»: «خلاف».

﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ من مَسِيسِ الرِّجالِ والحَيْضِ والنِّفاسِ، وكانت لا تَحيضُ.

﴿ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ عالَمِي زمانِها؛ لولادتها[1] بلا مَسٍّ.

* * *

﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي ﴾ أطيعي وأطيلي القيامَ ﴿ لِرَبِّكِ ﴾ في الصلاةِ، فقامَتْ حتى وَرِمَتْ قَدَماها وسالت قيحاً.

﴿ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي ﴾ إنما قدَّمَ السجودَ على الركوعِ؛ لأن الواوَ ليست للترتيب.

﴿ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي: صَلِّي جماعةً، ولم يقل: الراكعات، لعمومِ الراكعينَ الرجالَ والنساءَ.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكورُ من أمرِ زكريا ويحيى ومريمَ وعيسى.

﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ ﴾ نلقيه إليك.

﴿ وَمَا كُنتَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ لَدَيۡهِمۡ ﴾ أي: عندَهم. قرأ حمزةُ، ويعقوبُ: بضم الهاء، وقرأ ابنُ

---

(١) في «ت»: «لولادها».

كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وورْشٌ: (لَدَيْهِمُ إِذْ) بضمِّ الميمِ وصلتِها بواو، وكذا شبهُه حيثُ وقعَ، واختُلِفَ عن قالون.

﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أي: سهامهم في الماء للاقتراع، وسُمِّي القلمَ؛ لأنه يُقْلَمُ كالظُّفْر.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ يَحْضنُها ويُربِّيها.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كَفالَتِها.

* * *

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿إِذْ﴾ أي: واذكرْ إذ.

﴿قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (يَبْشُرُكِ) بفتح الياء وضمِّ الشين مخففاً، والباقون: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدَّداً(١).

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ وقولُه: ابنُ مريمَ إعلامٌ لها أنها تلدُ من غير أبٍ، فلا يُنْسَبُ إلا لأمه، والمسيحُ لقبٌ لعيسى، معناه: الصِّدِّيق، وقيل: معناه بالعبرانية: المبارَكُ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاهٍ وقَدْر.

---

(١) كما تقدم قريباً. انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠).

﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوَّةِ والتقديمِ على الناسِ.

﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بالشفاعةِ وارتفاعِ درجتِه في الجنةِ.

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ بارتفاعِه إلى السَّماء، وصحبتِه الملائكةَ.

* * *

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ صغيراً قبلَ وقتِ الكلامِ معجزةً.

﴿وَكَهْلًا﴾ بعدَ نزولِه من السماءِ بالوحي للرسالةِ كما سيأتي عندَ ذكرِ رفعِه إلى السماء، فالطفلُ: مَنْ لم يُمَيِّزْ، والمميِّزُ: مَنْ بلغ[1] سبعاً، والصبيُّ والغلامُ واليافعُ واليتيمُ: من لم يبلُغْ، والمراهِق: من قاربَ البلوغَ، والشابُّ والفتى: منه إلى الثلاثين، والكَهْلُ من تجاوزَ الثلاثين إلى الخمسين، وقاربَ الشيبَ، من اكتهلَ النبتُ: قاربَ اليبسَ، وحالُ الكهولة التي يستحكم فيها العقلُ، ويستنبأ فيها الأنبياء، والشيخُ: من الخمسين إلى السبعين، ثم هَرِمٌ.

﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: هو من العباد الصالحين.

* * *

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ﴾ سيدي، تقوله لجبريل عليه السلام.

---

(١) «من بلغ» ساقطة من «ن».

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ زوجٌ قالتْ تعجُّباً؛ إذْ لم تكن جرَتِ العادة بأن يولَد ولدٌ لا أبَ له.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أرادَ كونَ شيءٍ.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ كما يريد. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، وروْحٌ عن يعقوبَ: (يَشَاءُ إِذَا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تبدلَ واواً خالصةً مكسورةً[1]، وقرأ ابنُ عامرٍ: (فَيَكُونَ) بنصب النون، والباقون: بالرفع[2]، وتقدَّمَ توجيهُ قراءتهم في سورة البقرة عندَ قولِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

* * *

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ أي: الخطَّ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ (وَيُعَلِّمُهُ) بالياء؛ لقولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٤٧] وقرأ الباقون: بالنون على التعظيم[3]؛ لقوله تعالى:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، =

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾ [آل عمران: ٤٤].

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ العلمَ والفِقْهَ.

﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ علَّمَهُ اللهُ التوراةَ والإنجيلَ.

***

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾.

[٤٩] ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وكان أولُ أنبياءِ بني إسرائيل يوسفَ، وآخرُهم عيسى عليهما السلام ـ، فلما بُعِثَ قال: ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني.

﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ﴾ علامةٍ.

﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ على صِدْقي، فلما قال ذلك لبني إسرائيلَ، قالوا: وما هي؟ قال:

﴿أَنِّيٓ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بكسر الألف على الاستئناف؛ أي: قال: (إِنِّي أَخْلُقُ)، وقرأ الباقون: بالفتح على معنى بـ(أَنِّي أَخْلُقُ)(١)،

= و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢).

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٤ـ٣٤٥)، =

وقراءةُ الكوفيينَ، وابنِ عامرٍ: بإسكان الياء، والمدنيينَ، والبصريينَ، وابنِ كثيرٍ: بفتحِها[1].

﴿أَخْلُقُ لَكُم﴾ أي: أشكِّلُ شيئاً.

﴿مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ﴾ كصورةٍ.

﴿ٱلطَّيْرِ﴾ قرأ أبو جعفرٍ بخلافٍ عنه (كَهَيَةِ) بتسهيل الهمزة؛ وعنه وجهٌ آخرُ (كَهَيَّةِ) بتشديدِ الياء بغيرِ همز[2]، وقرأ أيضاً الطايرِ بألفٍ بعدَ الطاء.

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ أي: في الشيءِ المُشَكَّلِ.

﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فيصيرُ.

﴿طَيْرًا﴾ قرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ، ويعقوبُ (طَايِرا) بالألف، وسَهَّلَ أبو جعفرٍ همزةَ الطايرِ و(طَايِرا) بخلافٍ عنه[3]، فمَنْ قرأ: (طَيْرا) على

= و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٤).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٧٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في =

الجمع؛ أي: طيراً كثيرةً، ومَنْ قرأ طايراً على الإفراد؛ لأنه لم يخلُقْ سِوَى الخفَّاشِ، وإنما خَصَّ الخفَّاشَ؛ لأنه أكملُ الطيرِ خَلْقاً؛ لأنَّ لها ثَدْياً وأَسْناناً، وتحيضُ وتضحكُ، وتُرْضِعُ ولدَها، وتبولُ كما تبولُ ذواتُ الأربعِ[1].

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ﴾ أي: أشفي.

﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ هو الذي يولَدُ أعمى.

﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ هو الذي بِهِ وَضَحٌ، وخُصَّ بالذكرِ؛ لأنهما داءُ أعَياءٍ؛ لأنه بُعث زمنَ الطبِّ، وكان يداويهم بالدعاء بشرطِ بالإيمان، قالوا: أبرأ في يوم واحدٍ خمسينَ ألفاً.

﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أحيا أربعةَ أنفسٍ عازَرَ، وابنَ العجوزِ، وابنةَ العَشَّارِ، وسامَ بنَ نوحٍ، فأمَّا عازَرُ، فكان صَدِيقاً له، فانطلقَ إلى قبره، فدعا اللهَ، فخرجَ من قبرِه، وبقيَ، ووُلِدَ له، وأمَّا ابنُ العجوزِ مَرَّتْ به مَيْتاً على عيسى على سريرٍ يُحْمَلُ، فدعا اللهَ، فجلسَ على سريره، ونزلَ عن أعناقِ الرجالِ، ولبسَ ثيابَهُ، وحملَ سريرَهُ على عنقِه، ورجعَ إلى أهله، وبقيَ، ووُلِدَ له، وأما ابنةُ العَشَّارِ، كانَ رجلاً يأخذ العُشورَ، ماتت له بنتٌ بالأمس، فدعا الله عز وجل، فأحياها، فبقيت وولد لها، وأما سامُ بنُ نوحٍ، فإنَّ عيسى أتى قبرَهُ، فدعا باسمِ اللهِ الأعظمِ، فخرجَ من قبره وقد شابَ نصفُ رأسِه خوفاً

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٦).

من قيامِ الساعةِ، ولم يكونوا يَشيبونَ في ذلكَ الزمان، فقال: قد قامتِ القيامةُ؟ قال: لا، ولكنْ دعوتُكَ باسمِ اللهِ الأعظمِ، ثم قال له: مُتْ، قال: بشرطِ أن يُعيذَني اللهُ من سكراتِ الموتِ، فدعا الله، ففعل.

﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كَرَّرَها لنفيِ توهُّمِ الألوهيَّةِ فيه.

﴿وَأُنَبِّئُكُم﴾ أخبرُكم.

﴿بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ مِمَّا لم أُعايِنْهُ.

﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ أي: تُخَبِئون.

﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ كان يخبرُ الشخصَ بما أكلَ قبلُ، وبما يأكلُ بعدُ، ويخبرُ الصبيانَ وهو في المكتبِ بما يصنعُ أهلُهم، وبما يأكلون.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرتُ.

﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مُوَفَّقين للإيمان.

* * *

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حالٌ معطوفٌ على ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ أي: جئتكُم بآية، وجئتُكم مصدِّقاً.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ لما تقدَّمني.

﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ من اللُّحوم والشُّحوم.

﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كَرَّرها تأكيداً.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ لِما جئتكم به[1].

﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه. قرأ يعقوبُ: (وَأَطِيعُونِي) بإثباتِ الياء بعد النون[2].

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ هذهِ الجملةُ هي الآيةُ التي جاءهم بها.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ أي: هو الطريقُ المشهودُ له بالاستقامة.

* * *

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ أي: علم.

﴿عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ وأرادوا قتلَه، فاستنصرَ عليهم.

و﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ﴾ جمعُ نصير. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنْصَارِيَ) بفتح الياء، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (أَنْصَارِي) بإمالةِ فتحةِ الصاد.

---

(١) «لما جئتكم به» سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦ـ١٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٧).

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: من أنصاري ذاهباً إلى الله؟ أي: إلى عباده ؛ لأن عيسى مرَّ بالحواريين وهم يَصيدون، فقال: ما تصنعونَ؟ قالوا: نصيدُ السَّمَكَ، قال: أفلا تذهبون نصيدُ الناسَ؟ قالوا: من أنت؟ قال: عيسى.

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ أي: الراجعونَ إلى الله، وهم صفوةُ الأنبياءِ، وحَواريُّ الرجُلِ: خالِصَتُه[1] وقال ﷺ: «إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ حَوَارِيّاً، وَحَوَارِيِّ الزُّبَيْرُ»[2]، سُمُّوا بذلك لبياضِ ثيابِهم، وكانوا اثني عشرَ رَجُلاً، وهم: شمعونُ الصفا، وبطرسُ وأخوهُ أندراوسُ، ويعقوبُ بن زَبَدة، وفيلبس، وبرطولوماوس، وأندريوس، ومرقُص، ويوحَنَّا، ولوقا، وتوما، ومَتَّى.

﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي: أعوانُ دينِهِ.

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى.

﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لتشهدَ لنا يومَ القيامة.

* * *

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾.

[٥٣] ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من كتابِكَ.

﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسى.

﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لأنبيائِكَ بالصِّدْقِ.

---

(١) في «ن»: «خاصته».

(٢) رواه البخاري (٦٨٣٣)، كتاب: التمني، باب: بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده، ومسلم (٢٤١٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل طلحة والزبير ـ رضي الله عنهما ـ، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ أي: كفارُ بني إسرائيل الذين أحسَّ عيسى منهُمُ الكفرَ، والمكرُ: إخفاءُ الكيدِ، ومكرُهم بهِ: إرادةُ قتلِه.

﴿ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ بهم؛ أي[1]: بأن ألقى شبهَهُ على من أرادَ اغتيالَه وقَتْلَه.

﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ أقدرُهم وأقواهم.

ولمَّا أعلمَ الله المسيحَ أنه خارجٌ من الدنيا، جمعَ الحواريين تلكَ الليلةَ، وأوصاهم، ثم قال: ليكفرَنَّ بي أحدُكم قبلَ أن يصيحَ الديكُ، ويبيعُني بدراهمَ يسيرةٍ، وكان اليهودُ قد جَدُّوا في طلبه، فحضرَ بعضُ الحواريين إلى الحاكمِ على اليهود، واسمُه فيلاطوس، ولقبه هرودوس إلى جماعةٍ من اليهود، وقال: ما تجعلونَ لي إذا دَلَلْتُكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثينَ درهماً، فأخذها، ودلَّهم عليه، فرفعَ اللهُ المسيحَ إليه، وألقى شبهَهُ على الذي دَلَّهم عليه، فإنَّ اليهودَ لما قصدوه أظلمت الدنيا حتى صارَتْ كالليل، وأظلمتِ الشمسُ، وظهرتِ النجوم[2] الكواكبُ، وانشقَّتِ الصخورُ، فلذلك لم يحققوا المشبهَ من شدةِ الظلمة، وحصولِ الإرجافِ، فقتلوه وصلبوه على الخشب، وهم يظنون أنه عيسى، وأنزل اللهُ المسيحَ منَ السماءِ إلى أمه مريمَ وهي تبكي عليه، فقال لها: إن الله رفَعني إليه، ولم يُصبني إلا الخيرُ، وأمرَها فجمعَتْ له الحواريين، فَبَثَّهُمْ في الأرض دُعاة،

---

(١) «أي» زيادة من «ن».

(٢) «النجوم» زيادة من «ن».

ثم رَفَعه إليه، وتلكَ الليلةُ التي تدخِّنُ فيها النصارى.

وتفرَّقَ الحواريون حيثُ أمرهم، وكسا اللهُ عيسى الريشَ، وألبسَهُ النورَ، وقطعَ عنه لذةَ المطعمِ والمشربِ، وطارَ مع الملائكة، فهو معهم حولَ العرش.

وكان رفعُ المسيحِ ليلةَ القدرِ من شهرِ رمضانَ بعدَ نبوتِه بثلاثِ سنينَ؛ فإنه[١] نُبِّىَ على رأس ثلاثينَ سنةً، ورفعهُ الله إليه وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، وكان رفعُه لمضيِّ ثلاثِ مئةٍ وستٍّ وثلاثينَ سنةً من غلبةِ الاسكندرِ اليونانيِّ على أرضِ بابلَ، وبينَ رفعِهِ ومولدِ النبيِّ ﷺ خمسُ مئةٍ وخمسٌ وأربعون سنةً، فيكونُ بينَ رفعِه والهجرةِ الشريفةِ النبويةِ المحمديةِ خمسُ مئةٍ وثمانٍ وتسعون سنةً.

أما أمُّه مريمُ عليها السلام فإنها عاشَتْ نحو ثلاثٍ وخمسين سنةً؛ لأنها حملَتْ به لما صار لها من العمر ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً، وولدته ببيتِ لحم من أرضِ بيتِ المقدسِ، وعاشتْ مجتمعةً معهُ ثلاثاً وثلاثين سنةً وكسراً، وبقيت بعدَ رفعِه ستَّ سنينَ، وللمؤرخين في ذلك خلافٌ، والله أعلم.

وكان رفعهُ من طور زيتا جبلٍ شرقيَّ بيتِ المقدس.

وروي أنه دعا وقتَ رفعِه اللهَ بهذا الدعاءِ، وهو دعاءٌ مُستجابٌ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ القَرِيبُ في عُلُوِّكَ، المتُعَالي في دُنُوِّكَ، الرَّفِيعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ أَنْتَ الَّذِي نَفَذَ بَصَرُكَ في خَلْقِكَ، وحُسِرَتِ الأَبْصارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ، وغُشِّيَتْ دُونَكَ، وسَبَّحَ لَكَ الفَلَقُ في النُّورِ[٢]، أَنْتَ الَّذِي جَلَيْتَ الظُّلَمَ

(١) في «ت»: «وأنه».

(٢) «في النور» سقطت من «ت».

بِنُورِكَ، فتبارَكْتَ اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقُ الخَلْقِ بِقُدْرَتِكَ، مُقَدِّرُ الأُمُورِ بِحِكْمَتِكَ، مُبْدِعُ الخَلْقِ بِعَظَمَتِكَ، القَاضِي في كُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمِكَ، الَّذِي خَلَقْتَ سَبْعاً في الهَواءِ بِكَلِمَاتِكَ مُسْتَوِيَاتِ الطِّبَاقِ، مُذْعِنَاتٍ لِطَاعَتِكَ، سَمَا بِهِنَّ العُلُوُّ بِسُلْطَانِكَ، فَأَجَبْنَ وَهُنَّ دُخَانٌ مِنْ خَوْفِكَ، فَأَتَيْنَ طَائِعِينَ بِأَمْرِكَ، فِيهِنَّ المَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَكَ ويُقَدِّسُونَكَ، وجَعَلْتَ فِيهِنَّ نُوراً يَجْلُو الظَّلامَ، وضِيَاءً أَضْوَأَ مِنَ الشَّمْسِ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ مَصابِيحَ نَهْتَدِي بِهَا في ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ ورُجُوماً للشَّيَاطِينِ، فَتَبَارَكْتَ اللَّهُمَّ في مَفْطُورِ سَمَاوَاتِكَ، وفيما دَحَوْتَ مِنَ الأَرْضِ، ودَحَوْتَها عَلَى الماءِ، فَأَذْلَلْتَ لها الماءَ الطَّاهِرَ، فَذَلَّ لِطَاعَتِكَ، وأَذْعَنَ لِأَمْرِكَ، وخَضَعَ لِقُوَّتِكَ أَمْوَاجُ البِحَارِ، فَفَجَّرْتَ فِيهَا بَعْدَ البِحَارِ الأَنْهارَ وبعدَ الأَنْهارِ العُيُونَ الغِزَارَ والينابيعَ، ثم أَخْرَجْتَ مِنْها الأشجارَ بالثِّمارِ، ثم جَعَلْتَ على ظَهْرِها الجبالَ أَوْتاداً، فَأَطاعَتْكَ أَطْوَادُهَا، فَتَبارَكْت اللَّهُمَّ صفاتُك، ومَنْ يَبْلُغُ صِفَةَ قُدْرتك، ومَنْ يَنْعَتُ نَعْتَكَ؟ تُنَزِّلُ الغَيْثَ، وتُنْشِئُ السَّحابَ، وتَفُكُّ الرِّقابَ، وتَقْضِي الحَقَّ وأَنْتَ خَيْرُ الفاصِلِينَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، إِنَّما يَخْشَاكَ مِنْ عِبادِكَ العُلَماءُ، وأَشْهَدُ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَحْدَثْنَاكَ، وَلا رَبَّ لَنا سِواكَ نَذْكُرُهُ، ولا كانَ لَكَ شُرَكاءُ يَقْضُونَ مَعَكَ نَدْعُوهُمْ وَنَدَعُكَ، ولا أَعَانَكَ أَحَدٌ عَلَى خَلْقِكَ فَنَشُكَّ فِيكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً، اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً»، فلما تَمَّ دعاؤه، رفعَهُ اللهُ إليه(١).

***

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٧٣-٤٧٤)، عن وهب بن منبه.

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) ﴾ .

[٥٥] ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ ظرفٌ لـ(مَكرَ اللهُ) .

﴿ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي : مُنيمُكَ ، من : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] ، وكان عيسى قد نامَ ، فرفعَهُ اللهُ نائِماً إلى السماء .

﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ إلى سمائي ، ومَقَرِّ ملائكتي ، قال جماعة : في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ ، معناه : إني رافعُك إليَّ .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ومتوفِّيكَ بعدَ إنزالِكَ من السماء ، وقيل : بل توفاه اللهُ ثلاثَ ساعاتٍ من النهار ، ثم رفَعَهُ إليه .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ ﴾ مُنَجِّيك .

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مُخرِجُكَ من بينِهم .

﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾ هُمْ أهلُ الإسلامِ الذين صَدَّقوه واتَّبعوا دينَه في التوحيدِ من أمةِ محمدٍ ﷺ ، فهم ﴿ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ ظاهرينَ عليهم يغلبونهم بالسيفِ والبرهان ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ لأنه لا شريعةَ بعدَ شريعةِ محمدٍ ﷺ .

﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في الآخرةِ .

﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ في الدنيا منَ الدينِ ، وأمرِ عيسى عليه السلام .

* * *

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتلِ والسبيِ والجزيةِ.

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالنارِ ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ أي: جزاءَ أجورهم؛ لأنهم عملوا خيراً، فأعطاهم الجنة. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء، والباقون: بالنون[1].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ لا يرحمُ الكافرين، ولا يُثني عليهم بالجميل.

* * *

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٣٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨)، ولم يُذكر «يعقوب» في مطبوعة «تفسير البغوي»، وذكرت القراءة عنه في باقي المصادر: «فنوفيهم» بالنون.

﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: هذا الذي ذكرتُه لكَ من خبرِ عيسى ومريمَ والحواريينَ.

﴿ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ ﴾ نخبرُكَ بهِ بتلاوةِ جبريلِ عليه السلام.

﴿ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ القرآنِ المحكَمِ الممنوعِ من كُلِّ خَلَلٍ.

***

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ في كونِه خَلْقاً من غيرِ أبٍ.

﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ ﴾ في كونِه خَلْقاً من غيرِ أبٍ وأُمٍّ، وتم الكلامُ على قولِه: ﴿ ءَادَمَ ﴾ ثم قال: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ﴾ قَدَّرَهُ جَسَداً من طينٍ. نزلَتْ لما قالَ وفدُ نجرانَ للنبيِّ ﷺ: تشتمُ صاحِبَنا تقولُ إنَّه عبدٌ؟! قالَ: «أَجَلْ إنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ» قالوا: هل رأيتَ وَلَداً من غيرِ أبٍ؟! فنزلَتِ الآيةُ[١]، فَشُبِّهَ عيسى بآدمَ من حيثُ إن آدمَ خُلِقَ بغيرِ أبٍ ولا أمٍّ، وهذا من تشبيهِ الغريبِ بالأغربِ؛ لأن خلقَ آدمَ أغربُ من خَلْق عيسى؛ ليكونَ أقطعَ للخَصْم، وأوقعَ في النفس، والمعنى: خلقَ قالَبَهُ من التراب[٢].

﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ يعني: فكان؛ أي: أنشأه بشراً؛ كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٥).

(٢) في «ت»: «بالتراب»، وفي «ن»: «على التراب».

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي: هو الحقُّ.

﴿ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ أي: الشاكِّينَ، الخطابُ مع النبيِّ ﷺ، والمرادُ منه غيرُه.

***

﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ أي: جادَلَكَ من النصارى في عيسى.

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ أي: الدلالات الموجبةِ للعلم.

﴿ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ ﴾ هلُمُّوا.

﴿ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا ﴾ حَسَناً وحُسَيْناً ﴿ وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا ﴾ فاطمةَ.

﴿ وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا ﴾ النبيَّ ﷺ وعليّاً رضي الله عنه.

﴿ وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ ﴾ نتضرَّعْ في الدعاء.

﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ ﴾ تلخيصُه: لنجتمعْ نحن وأنتم جميعاً، ثم نتضرَّعْ في اللعنِ والدعاء.

﴿ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ منَّا ومنكم في شأنِ عيسى، فلما قرأها النبيُّ ﷺ على وفدِ نجرانَ، قالوا: حتى ننظرَ في أمرنا، ونأتيكَ غداً، فقالَ عبدُ المسيحِ منهم، وكان ذا رأيِهم: لقد عرفتُمْ أن محمداً نبيٌّ حَقٌّ، وأنه واللهِ ما لاعَنَ قومٌ قَطُّ نبيَّهُم فعاشَ كبيرُهُم، ولا نبتَ صغيرُهم، فوادِعُوا الرجلَ،

وانصرِفوا إلى بلادِكم، فأَتوا النبيَّ ﷺ من الغدِ، وقد غدا محتَضِناً الحسنَ[1]، آخِذاً بيدِ الحسينِ[2]، وفاطمةُ خلفَهُ، وعليٌّ خلفَها، ويقولُ لهم: «إِذَا دَعَوْت فَأَمِّنُوا»، فقالَ أسقفُ نجرانَ: يا معشرَ النصارى! إني لأرى وجوهاً لو سألوا اللهَ أن يزيلَ جبلاً عن مكانِهِ لأزاله، فلا تَبْتَهِلوا فَتَهْلِكوا ولا يَبْقى على وجهِ الأرض نصرانيٌّ، فأَبَوا المباهلةَ، فصالَحَهم ﷺ على مالٍ يؤدُّونه إليه في كلِّ عامٍ، وهو ألفا حُلَّةٍ، ألفٌ في صَفَرٍ، وألفٌ في رَجَبٍ، وانصرَفوا إلى بلادِهم، فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ العَذَابَ قَدْ تَدَلَّى عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَوْ لاعَنُوا، لَمُسِخُوا قِرَدَةً وخَنازِيرَ، ولاضْطَرَمَ عَلَيْهِمُ الوَادِي ناراً، ولاسْتَأْصَلَ اللهُ نَجْرَانَ، حَتَّى الطَّيْرَ عَلَى رُؤُوسِ الشَّجَرِ، وَلَمَا حَالَ الحَوْلُ عَلَى النَّصَارَى كُلِّهِمْ حَتَّى هَلَكُوا»[3]، وأما رَسْمُ (لعنت) هنا، وفي النور، فإنه بالتاء، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ.

***

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ أي: المذكورَ من خبرِ عيسى.

﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ أي: الخبرُ.

---

(١) في «ش» «الحسين».

(٢) في «ش»: «الحسن».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦٢-٣٦٣)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/ ٦٨٢).

﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾ الذي لا شَكَّ فيه.

﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ﴾ (من) زائدة؛ أي: وما إلهٌ.

﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ لا أحدَ يُساويه في القدرةِ والحِكمة.

***

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ الذينَ يعبدونَ غيرَ الله.

***

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ولما قدمَ وفدُ نجرانَ المدينةَ، والتقَوْا معَ اليهودِ، اختصموا في إبراهيمَ عليه السلام، فزعمتِ النصارى أنه كانَ نصرانياً، وهم على دينه، وقالت اليهودُ: بل كانَ يهودياً، ونحن على دينه، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «كِلاَ الفَرِيقَيْنِ مِنْهُ بَرِيءٌ، بَلْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً، وَأَنا عَلَى دِينِهِ» فنزل:

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[١] هم أهلُ الكتابَيْنِ.

﴿تَعَالَوۡاْ﴾ هلُمُّوا.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٦٣)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٦٨٧).

﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ العربُ تسمِّي كلَّ قصةٍ لها شرحٌ: كلمةً، ومنه سُمِّيتِ القصيدةُ كلمةً ﴿سَوَآءٍ﴾ عدلٍ.

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ المعنى: هَلُمُّوا إلى كلمةٍ يستوي طرفاها، تنصفُ بيننا وبينكم، ليعطي كُلٌّ النَّصَفَةَ من نفسه، وهي:

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا نسجدُ لغيرِ الله.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن التوحيد.

﴿فَقُولُوا۟﴾ أنتم لهم:

﴿ٱشْهَدُوا۟﴾ أي: اعلموا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

* * *

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ تزعُمون أنه على دينِكم، وقد حدثَتِ اليهوديةُ بعدَ نزولِ التوراة، والنصرانيةُ بعدَ نزولِ الإنجيل.

﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ لأن بين إبراهيمَ وموسى ألفَ سنةٍ، وبين موسى وعيسى ألفي سنةٍ، قاله البغويُّ وغيرُه، وبين المؤرخين في ذلك خلافٌ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلانَ ما تقولون؟!

* * *

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ونافعٌ: بتسهيل الهمزة بينَ بينَ، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: بتحقيقِ الهمزةِ بعدَ الألف[١]، وروي عن وَرْشٍ (هآنْتُمْ) مَدّاً بلا همزةٍ، وعنهُ وجهٌ ثانٍ: (هَأَنْتُمْ) بهمزةٍ مقصورةٍ بين الهاء والنون، مثل سألتم[٢]، وروي عن قنبلٍ كالوجه الثاني عن ورشٍ، أصلها: (أأنتم) قلبت الهمزةُ الأولى هاءً؛ كقولهم: هَرَقْتَ وأَرَقْتَ[٣].

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أصلهُ: أُولاء، دخلتْ عليه هاءُ التنبيه، وهو في موضعِ النداء، يعني: يا هؤلاء! أنتم.

﴿حَٰجَجْتُمْ﴾ جادَلْتم.

﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: فيما علمتموه من التوراة والإنجيل من أمرِ موسى وعيسى.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٤٦-٣٤٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٩-٤٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٤٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠).

(٣) انظر: مصادر التعليق رقم (١).

﴿ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ ﴾ من أمرِ إبراهيمَ، وليسَ[1] في كتابكم ذكرُهُ؛ لأنه قبلَكم؟ أي: أنتم تجادلون فيما علمتُمْ وفيما لم تعلموه.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وأنتم جاهلون به.

* * *

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ثم برَّأَ تعالى إبراهيمَ فقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا ﴾ أي: مائلاً عن الأديان كلِّها إلى الدينِ المستقيمِ.

﴿ مُّسْلِمًا ﴾ ثم وَبَّخَهُم مؤكِّداً براءته فقال: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ثم أومأَ إلى بُعدِهم عنه فقال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي: أقربَهم وأحقَّهم.

﴿ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ في زمانِه وبعدَه.

﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ من هذهِ الأمةِ.

﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ينصرُهم.

---

(١) «وليس» ساقطة من «ت».

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ونزلَ في معاذِ بنِ جَبَلٍ وحُذيفةَ بنِ اليمَانِ وعَمَّارِ بنِ ياسرٍ حينَ دعاهُمُ اليهودُ إلى دينِهم:

﴿ وَدَّت ﴾[١] تمنَّتْ.

﴿ طَّآئِفَةٌ ﴾ جماعةٌ.

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني: اليهود.

﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ عن دينكم.

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: وما يضلُّون إلا أمثالهم.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك.

* * *

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآنَ، وبيانَ نعتِ محمدٍ ﷺ.

﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أنَّ نعتَه في التوراة والإنجيل.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:٥٨). وقد مضت القصة في سورة البقرة.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ ﴾ .

[٧١] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ﴾ تخلطون.

﴿ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ الإسلامَ باليهوديةِ والنصرانيةِ.

﴿ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ﴾ أي: نعتَ محمدٍ ﷺ.

﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنه حقّ؟!

* * *

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢ ﴾ .

[٧٢] ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ فيما بينهم، وهم اليهود.

﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هو القرآنُ.

﴿ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ أولَهُ.

﴿ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ ﴾ أي: لعلَّ المسلمين يقولون: ما رجعَ هؤلاءِ عن الإسلام وهمْ أهلُ علمٍ ودرايةٍ إلا أنهم علموا بُطلانه، فيشكُّون فيه، ثم ﴿ يَرۡجِعُونَ ﴾ عنه بعدَما دخلوا فيه.

* * *

﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ ﴾ .

[٧٣] ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ ﴾ هذا متَّصِلٌ بالأول؛ أي: وقالت: لا تؤمنوا.

﴿ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ أي: وافقَ ملَّتكم.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ يهدي من يشاءُ إلى الإيمان.

﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ (أَأَنْ يُؤْتى) بهمزتين على الاستفهام، والثانية منهما مسهَّلة[1]؛ أي: ولا تصدِّقوا بأن يؤتى أحدٌ.

﴿ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ إلاَّ من تبعَ دينَكم.

﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ عطفٌ على ﴿ يُؤْتَىٰٓ ﴾ أي: يومَ القيامة تكونُ لهم الحجةُ عليكم، والغلبةُ. تلخيصُه: ما يؤتون مثلَه، ولا يحاجونكم، والكلامُ[2] كلُّه من قولِ الطائفةِ لأتباعهم، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ اعتراضٌ بين الكلامين.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ ﴾ الهدايةَ والتوفيقَ.

﴿ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ غنيٌّ.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالنيَّاتِ.

* * *

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ ﴾ أي: بنبوَّتِهِ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٠-١١١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣).

(٢) «الكلام» ساقطة من «ش».

﴿مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ رَدٌّ لما زعموا من أن نبوةَ موسى مؤبّدَةٌ، ولن يؤتيَ اللهُ أحداً مثلَ ما آتى بني إسرائيلَ من النبوَّة والشرفِ.

* * *

﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ هو المالُ الكثيرُ.

﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ هو عبدُ اللهِ بنُ سلام، استودَعَهُ[١] رجلٌ ألفاً ومئتي أوقيةٍ ذهباً، فأداه إليه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ هو القليل.

﴿لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ هو كعبُ بنُ الأشرفِ[٢]، وقيل: فنحاص بن عازوراء، استودعه قرشيٌّ ديناراً، فلم يردَّه إليه، وجحده. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، وأبو بكر: (يُؤَدِّهْ) (لا يُؤَدِّهْ) بإسكانِ الهاء، وكذلك (نُؤْتِهْ) و(نُوَلِّهْ) و(نُصْلِهْ)، واختلِفَ عن أبي جعفرٍ، وهشامٍ، وقرأ يعقوبُ، وقالونُ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عنه: بالاختلاس كسراً، والباقون: بالإشباع كسراً، فمن سكَّن الهاء، قال: لأنها وضُعت في موضعِ الجزمِ، وهو الياء الذاهب، ومن اختلسَ، اكتفى بالكسر عن الياء، ومن أشبعَ، فعلى الأصل؛ لأن الأصلَ في الهاء الإشباعُ.

---

(١) في «ت»: «استوعده».

(٢) انظر «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/ ٦٩٥).

﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ مُلِحّاً في المطالبة.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: تركُهم أداءَ الحقِّ.

﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي: بسببِ أنهم.

﴿ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ أي: العرب.

﴿ سَبِيلٌ ﴾ أي: إثم؛ لأن اليهود كانوا يستحلُّون أموالَ العرب ومن خالفَ دينَهم.

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ لادعائهم أن ذلك في كتابهم.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بكذبهم.

* * *

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ بَلَىٰ ﴾ إثباتٌ لما نَفَوْهُ من السبيل عليهم في الأميين؛ أي: بلى عليهم سبيلٌ، وتَمَّ الوقفُ هنا.

﴿ مَنْ ﴾ شرطٌ مبتدأٌ، خبرهُ:

﴿ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ ﴾ أي: بعهد الله الذي عُهِدَ إليه في التوراة من الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ وأداءِ الأمانة.

﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ الشركَ والخيانة، وجوابُ الشرطِ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ قالَ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنهن كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النفاق حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١).

---

(١) رواه البخاري (٣٤)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ومسلم (٥٨)، =

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ ﴾ يستبدِلون.

﴿ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ إليهم في أداءِ الأمانة.

﴿ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ الكاذبةِ.

﴿ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ من حُطامِ الدنيا، قيل: نزلتْ لما بدَّلَ اليهودُ نعتَ محمدٍ ﷺ، وعَهْدَ اللهِ الذي عهدَه إليهم في التوراة، وكتبوا غيرهما[1]، وقيل: أرادَ بعضُ الصحابةِ أخذَ مالٍ بيمينٍ كاذبةٍ، أو باع رجلٌ سلعةً في السوق، فحلفَ بالله لقد[2] أُعْطِيَ ما لم يُعْطَ ليوقعَ فيها مسلماً، فنزلَتْ[3].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ ﴾ لا نصيبَ.

﴿ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ونعيمِها.

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ ﴾ غَضباً عليهم.

﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ ﴾ لا يطهِّرُهم من الذنوب.

= كتاب: الإيمان، باب، بيان خصال المنافق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠).

(٢) في «ن»: «لو».

(٣) رواه البخاري (١٩٨٢)، كتاب: البيوع، باب: ما يكره من الحلف في البيع، عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ على فعلِهم، قال ﷺ: «ثلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عذابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ حَلَفَ يَميناً عَلى مَالِ مُسْلِمٍ، فاقْتَطَعَ المَالَ، ورَجُلٌ حَلَفَ يَميناً بَعْد صَلاةِ العَصْرِ أَنَّهُ أُعْطِيَ في سِلْعَتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ، وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعالى يَقُولُ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»[1].

* * *

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ ﴾ أي: اليهودِ.

﴿ لَفَرِيقًا ﴾ أي: طائفةً، منهم: كعبُ بنُ الأشرفِ، وحُيَيُّ بنُ أخطبَ، ومالكُ بنُ الصَّيْفِ، وغيرهم.

﴿ يَلْوُۥنَ ﴾ أي: يعطِفون.

﴿ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ والمرادُ: تحريفُهم؛ كآيةِ الرجمِ، وصفةِ محمدٍ ﷺ وغيرِهما ﴿ لِتَحْسَبُوهُ ﴾ أي: لتظنوا ما حَرَّفوا.

﴿ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الذي أنزل الله.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٠٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ومسلم (١٠٨)، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف..، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ المنزل.

﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ثم نَفَى ذلكَ، فقال:

﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ ثم أكَّدَ كذبَهم بقوله:

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنهم كاذبون، وعنِ ابنِ عباس: «إنَّ الآيةَ نزلَتْ في اليهودِ والنصارى جميعاً، وذلك أنهم حَرَّفوا التوراةَ والإنجيلَ، وألحقوا بكتابِ اللهِ ما ليسَ منه»[1].

***

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ الفهمَ والعلمَ.

﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ المنزلةَ الرفيعةَ[2] بالإنباء[3].

﴿ ثُمَّ يَقُولَ ﴾ نصْباً عطفاً على ﴿ يُؤْتِيَهُ ﴾.

﴿ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ نزلَتْ لما قال أبو رافعٍ القُرَظِيُّ من اليهود، والرئيسُ من نصارى أهل نجرانَ للنبي ﷺ: يا محمدُ! تريدُ أن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٧٤).

(٢) في «ن»: «المرتفعة».

(٣) في «ت» و«ن»: «بالأنبياء».

نعبدَكَ ونتَّخِذَكَ ربّاً، فقال: «مَعاذَ اللهِ أَنْ نأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي اللهُ، ومَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي»، فأنزل الله الآية[1]، والبشرُ: جميع بني آدم.

﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ علماءَ بالله فقهاءَ.

﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ أي: بما أنتم؛ كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]؛ أي: مَنْ هو في المهدِ.

﴿تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُعَلِّمُونَ) بضمِّ التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة؛ أي: تعلِّمون غيرَكم، وقرأ الباقون: بالتخفيفِ مع فتح التاء واللام وإسكان العين، من العلم؛ لقوله:

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ تقرؤون[2].

***

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٤)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ١٩١).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٦).

بنصب الراء عطفاً على قوله: ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾ والمعنى: ولا له أن يأمرَكم، وقرأ الباقون: بالرفع على الاستئناف[1]، وأبو عمرٍو على أصلِه في إسكان الراء واختلاسِها على اختلاف[2] الرواية عنه[3]، معناه: ولا يأمرَكم الله.

﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كقريشٍ والصابئين حينَ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله.

﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ كاليهود والنصارى، وقولهم في العُزير والمسيح. المعنى: ما ينبغي لمن أُعطي النبوَّةَ أن يأمرَ بعبادةِ غيرِ الله، بل يأمرُهم بمعرفتِه ومعرفةِ أحكامِه وعبادتِه.

﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ تعجُّبٌ وإنكارٌ بمعنى: لا يقولُ هذا.

* * *

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤٧)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٧).

(٢) في «ت»: «الاختلاف».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٧).

﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾.

[٨١] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذْكُرْ يا محمدُ حين.

﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ وأُمَمِهم بما تقدَّمَ، وبما يأتي.

﴿لَمَا آتَيْتُكُم﴾ قرأ حمزةُ: (لِمَا) بكسر اللام للجرِّ، وهي متعلقة بأخذ؛ أي: أخذنا الميثاق لذلك فتكون (ما) بمعنى الذي، وقرأ الباقون: بفتحها[١]، فتكون (ما) بمعنى الذي، واللام للابتداء، ودخلتْ لتؤكِّدَ معنى القسم؛ لأن أخذَ الميثاق قسمٌ في المعنى، والعائد محذوف؛ أي: الذي آتيتكموهُ، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (آتَيْنَاكُمْ) بالنون على التعظيم، وقرأ الباقون: بالتاء؛ لموافقة الخط، ولقوله: ﴿وَأَنَا مَعَكُم﴾، وخبر المبتدأ ﴿مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾، ثم عطف على (آتيتكم):

﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من العلم، وجوابُ القسم.

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ أي: بالرسولِ.

﴿وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ عطفٌ على (الرسول)، والمرادُ: محمدٌ ﷺ، والذين

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٦٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣ـ٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥١ـ٣٥٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٨ـ٤٩).

أُخذ عليهم الميثاق النبيون عليهم السلام. المعنى: أُخذ الميثاقُ على من تقدَّمَكَ يا محمدُ أن يؤمنوا بكَ، وإن أدركوك، نصروك.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى للأنبياء حين استخرجَ الذريَّةَ من صُلْبِ آدَم عليه السلام والأنبياءُ فيه كالمصابيح والسُّرُجِ، وأخذَ عليهم الميثاقَ في أمرِ محمدٍ ﷺ:

﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك؟ وتقدَّم التنبيهُ على اختلاف القراء في الهمزتين من كلمةٍ عند قوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ وكذلك اختلافهم في قوله: (أَأَقْرَرْتُمْ).

﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ أي: قبلتم. قرأ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ ورويسٌ (وَأَخَذْتُمْ) بإظهار الذال عندَ التاء، والباقون: بالإدغام[(١)].

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ عَهْدي.

﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ﴾ اللهُ تعالى:

﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسِكم وأتباعِكم.

﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكُم وعليهِم.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه ـ: «لم يبعَثِ الله نبيّاً من لَدُنْ آدمَ فَمَنْ بعدَهُ إلا أُخِذَ عليه العهدُ في محمدٍ ﷺ: لَئِنْ بُعِثَ وهو حَيٌّ، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّهُ، ويأخذ العهدَ بذلكَ على قومِه»[(٢)].

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٣٢).

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الإقرار.

﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ العاصونَ الخارجونَ عن الإيمان.

* * *

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] اختلف أهلُ الكتابَيْن، فادعى كلٌّ واحد أنه على دين إبراهيم، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «كِلاَ الفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنَ دِينِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ»، فغضبوا، وقالوا: لا نرضى بقضائِكَ، ولا نأخذُ بدينِك، فأنزل الله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾(١) دخلتِ الهمزةُ على الفاء العاطفة على محذوفٍ تقديرُه: أيتولَّونَ فغيرَ دين الله يبغون. قرأ أبو عمرٍو، وحفصٌ عن عاصمٍ، ويعقوبُ (يَبْغُونَ) بالغيب؛ لقوله: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وقرأ الباقون: بالخطاب؛ لقوله: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾(٢).

﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ خضعَ وانقادَ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٤)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥١).

﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا ﴾ بسهولةٍ[1].

﴿ وَكَرْهًا ﴾ بمشقة، فأهلُ السمواتِ يسجدون طَوْعاً، وأهلُ الأرض يسجدُ بعضُهم طَوْعاً، وبعضُهم كَرْهاً؛ كالمنافقين.

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ قرأ حفصٌ، ويعقوبُ: بالغيب، فحفصٌ: بضمِّ الياء ونصبِ الجيم، ويعقوبُ على أصلِه في فتح الياءِ وكسر الجيم، والباقون: بالخطاب مع ضمِّ الياء ونصب الجيم[2].

***

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ قُلْ ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ.

﴿ ءَامَنَّا ﴾ أي: أنا والمؤمنون.

﴿ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ مُنْقادونَ، ذكرَ المللَ والأديانَ، واضطرابَ الناسِ فيها، ثم أمرَ رسولَ الله ﷺ أن يقولَ: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ الآية.

***

---

(١) في «ت» و«ن»: «سهولة».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٧٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٥١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٢). وانظر تتمة المصادر في التعليق السابق.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: التوحيدِ.

﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ نزلتْ في جماعة ارتدُّوا عن الإسلام، وخرجوا من المدينة إلى مكةَ كفاراً، منهم الحارثُ بنُ سُويدٍ الأنصاريُّ.

﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ هذه الآية قطعتْ عمل كلَّ عاملٍ على غيرِ ملَّة الإسلام.

* * *

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ استفهامُ إنكار.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ أي: كيف يهديهم بعدَ اجتماعِ الأمرين.

﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ على صدقِ محمدٍ ﷺ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بوضعِ الكفرِ موضعَ الإيمان، فكيفَ بمَنْ عرفَ الحقَّ ثم أعرضَ(١) عنه؟

* * *

---

(١) في «ن»: «عرض».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧﴾.

[٨٧] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ.

﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾ مبتدأ ثانٍ، خبرُه:

﴿أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ والمرادُ بالناسِ: المؤمنون.

* * *

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨﴾.

[٨٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ أي: في اللعنة.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ أي: يؤخَّرون، ولا راحة إلا في التخفيف أو التأخير، فهما مرتفعان عنهم.

* * *

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٨٩﴾.

[٨٩] وكان الحارثُ بنُ سويد لما لحقَ بالكفار، ندمَ، فأرسل إلى قومه أن اسألوا رسولَ الله هل لي من توبة؟ ففعلوا ذلك، فأنزل الله:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ لما كان منهم، فحملها إليه رجلٌ من قومه، وقرأها عليه، فقال(١) الحارث: «واللهِ ما علمتُكَ إلا صَدوقاً، وإنَّ رسول اللهِ ﷺ لأصدقُ منكَ، وإنَّ اللهَ لأصدقُ

---

(١) «فقال» ساقطة من «ت».

الثلاثة»، فرجع الحارثُ إلى المدينة، وأسلم وحسن إسلامُه[1].

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ونزلَ في اليهود: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بعيسى.

﴿ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ بموسى.

﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ بمحمدٍ ﷺ.

﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ إذا وقعوا في الحشرجَةِ؛ أي: النَّزْعِ.

﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الثابتون على الضلالِ.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ﴾ قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ، (مِلْءُ الأَرْضِ) بالنقل[2]؛ أي: ما يملؤها من شرقِها إلى غربها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٧٩)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٠٨).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٢٥٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٥٣).

﴿ ذَهَبًا﴾ نصب على التمييز.

﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ المعنى: لن يُقبل من أَحدهم فديةٌ، ولو افتدى بملءِ الأرضِ ذهباً.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ في رفع العذاب، قال ﷺ: «يَقُولُ اللهُ لِأَقَلِّ أَهْلِ النَّارِ عَذاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَلاَّ تُشْرِكْ بِي، فَأَبَيْتَ إِلاَّ أَنْ تُشْرِكَ»(١).

* * *

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ الجنَّةَ.

﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ أي: من أحبِّ أموالِكم إليكُم.

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ يعلمُه ويجُازي عليه.

* * *

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۚ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

---

(١) رواه البخاري (٣١٥٦)، كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (٢٨٠٥)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

[٩٣] ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ أي: حَلالاً.

﴿لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ نزلتْ لما قالَ اليهودُ للنبيِّ ﷺ: تزعُم أنك على ملةِ إبراهيمَ، وأنت تأكلُ لحومَ الإِبلِ، وتشربُ ألبانَها، وإبراهيمُ ما كانَ كذلكَ! فنزلَتِ الآية ردّاً عليهم، وتكذيباً لهم[١].

﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾ وهو يعقوبُ عليه السلام.

﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ وهو لحومُ الإبل وألبانُها؛ فإنهما كانا أحبَّ الطعام إليه، فنذرَ تحريمَهُما إن شفاهُ اللهُ من مرضٍ أصابَهُ، وهو عِرْق النسا، ولم يأكلْهُ ولدهُ اتِّباعاً له.

﴿مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ﴾ المعنى: إن المحرَّمَ عليكم إنما حُرِّمَ بعدَ إبراهيمَ قبلَ نزولِ التوراة، فلمَّا أضافوا تحريمَه إلى الله، كذبهم الله، فقال عز وجل:

﴿قُلۡ﴾ يا محمدُ:

﴿فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ ليتبين صدقُكُم.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تزعمونَ، فبُهِتوا، ولم يأتوا بها.

* * *

﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾.

[٩٤] فقال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ بعدَ لزوم الحجَّةِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٨٢)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧١٦).

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الذين لا يُنْصِفون.

* * *

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٩٥﴾.

[٩٥] ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾ تعريضٌ بكذِبهم.

﴿ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التي أنا عليها، وهي ملَّةُ الإسلام.

﴿ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ باللهِ.

* * *

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلْعَٰلَمِينَ ٩٦﴾.

[٩٦] ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٖ﴾ أي: مسجدٍ.

﴿ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ سببُ نزولِها أن اليهودَ قالوا للمسلمين: بيتُ المقدسِ قبلَتُنا، وهو أفضلُ من الكعبةِ وأقدمُ، فأنزل الله الآية[1]:

﴿ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هي مكةَ، والباء والميم يتعاقبان، وسميت بَكَّة؛ لبكِّها؛ أي: دَقِّها أعناقَ الرجال، وسميت مكةَ؛ لقلة مائها؛ لقول العرب: مَكَّ الفَصيلُ ضَرْعَ أُمِّهِ، وامْتَكَّهُ: إذا امتصَّ كلَّ ما فيه من اللبنِ، وأهلُ مكة كانوا يمتكُّون الماءَ فيها؛ أي: يستخرجونه.

﴿ مُبَارَكٗا﴾ كثيرَ البركةِ.

﴿ وَهُدٗى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه قبلَتُهم.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٨٤)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧١٧).

﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ ﴾ ثم بيَّنَ الآياتِ فقالَ:

﴿ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾ هو الحجرُ الذي يصلَّى خلفَه ركعتا الطواف، وهو الذي قام عليه إبراهيمُ وقتَ رفعهِ القواعدَ من البيت لما طالَ البناءُ، فكان كلما علا الجدارُ، ارتفعَ به الحجرُ في الهواء، فما زال يبني وهو قائم عليه، وإسماعيلُ يناولُه الحجارةَ والطينَ حتى أكملَ الجدارَ، وكان أثرُ قدميه فيه، فاندرسَ من كثرة المسحِ بالأيدي، ومن تلك الآياتِ الحجرُ الأسودُ، والحطيمُ، وزمزمُ، والمشاعرُ كلُّها، ومنها أن الطيرَ يطيرُ فلا يعلو فوقَهُ، وقد شاهدتُ ذلك عياناً.

﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾ من أن يُهاجَ فيه؛ لدعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والضميرُ في قوله: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ ﴾ عائدٌ على البيت في قولِ الجمهور، ويفهم من معناه أن من دخلَ الحرم، فهو في الأمن؛ لأنه جزءٌ من البيت إذ هو لسببه ولحرمته.

واختلفَ الأئمةُ رضي الله عنهم في الجاني الملتجىء للحرم، فقال مالكٌ والشافعيُّ: يُقْتَصُّ منه في الحرم، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: إن جنى في الحرم، اقْتُصَّ منه، وإن جنى خارجَ الحرم، ثم لجأ إليه، لم يُقْتَصَّ منه، لكن يُضَيَّقُ عليه بتركِ البيعِ والشراءِ حتى يخرجَ إلى الحِلِّ، فيقام حينئذ.

وأما الكلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ فقد روى المحدِّثونَ عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنه قال: قُلْتُ يا رسولَ الله! أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلُ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحرامُ»، قالَ: قلتُ: ثم أيٌّ؟ قالَ:

«المسجدَ الأَقْصى»، قلتُ: كَمْ بينَهما؟ قالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ؛ فَإِنَّ الفَضْل فيهِ»[1].

وقد رُوي أن الملائكةَ بنوا المسجدَ الحرامَ قبلَ خلقِ آدمَ بألفي عامٍ، فكانوا يحجُّونه.

قال الإمامُ أبو العباسِ القرطبيُّ: يجوزُ أن يكونَ بناهُ يعني: مسجدَ بيتِ المقدسِ الملائكةُ بعدَ بنائها البيتَ بإذنِ الله تعالى[2].

وقد رُوي أن أولَ من بنى مسجدَ بيتِ المقدس وأُرِيَ موضعَه يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهم السلام، روي أن أباه إسحاقَ أمرَه ألاَّ ينكحَ امرأةً من الكنعانيين، وأمره أن ينكحَ من بناتِ خاله، وكان مسكنُ يعقوبَ بالقدس، فلما توجَّه إلى خاله لينكحَ ابنتَهُ، أدركه الليلُ في بعض الطريق، فبات متوسِّداً حجراً، فرأى فيما يرى النائمُ أن سُلَّماً منصوباً إلى بابٍ من أبوابِ السماء، والملائكةُ تعرُجُ فيه وتنزلُ، فأُوحى الله تعالى إليه: إني إلهكَ وإلهُ أبيكَ[3] إبراهيمَ، وقد وَرَّثتكَ هذه الأرضَ المقدسةَ لكَ ولذريَّتِكَ من بعدِك، وباركتُ فيكَ وفيهم، وجعلتُ لكم الكتابَ والحكمَ والنبوةَ، ثم أنا معكَ أحفظُك حتى أردَّكَ إلى هذا المكان، فاجعلْه بيتاً تعبدُني فيه أنتَ وذريتُكَ[4].

وقد تأولَ بعضُ العلماءِ معنى الحديثِ الشريفِ الواردِ أن بناءَ المسجدِ

---

(١) رواه البخاري (٣١٨٦)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿يَزِفُّونَ﴾، ومسلم (٥٢٠)، في أول كتاب: المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ١٣٨).

(٣) في جميع النسخ «آبائك»، والمثبت هو الصواب.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٨٤).

الأقصى كانَ بعدَ بناءِ المسجدِ الحرام بأربعين سنةً على أن المرادَ بناءُ يعقوبَ عليه السلام لمسجد بيتِ المقدسِ بعدَ بناءِ إبراهيمَ عليه السلام الكعبةَ الشريفةَ، والله أعلم.

وأما بناءُ داودَ وسليمانَ عليهما السلام لمسجدِ بيتِ المقدس، فإنه بعدَ ذلك بأزمنةٍ متطاولةٍ على أساسٍ قديم، فهما مجدِّدان لا مؤسِّسان.

﴿وَلِلَّهِ﴾ فرضٌ واجب.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (حِجُّ) بكسر الحاء، والباقون: بالفتح، وهي لغة أهل الحجاز، وهما لغتان فصيحتان معناهما واحد(١).

والحجُّ أحدُ أركانِ الإسلام، قال ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحج، وصَوْمِ رَمَضَانَ»(٢).

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ والاستطاعةُ: القدرةُ بالمالِ والبدنِ، فمن وجدَ الزادَ والراحلةَ ونفقَة العيال قدرَ الذهابِ والرجوع، مع التمكُّن، وجبَ

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٣-٣٥٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري (٨)، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان وقول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، ومسلم (١٦)، كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

الحجُّ عليه بالاتفاق، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يجبُ على الفَوْر، وعندَ الشافعيِّ ومالكٍ يجبُ على التراخي، وقيد مالكٌ بما إذا لم يخشَ الفوتَ، وعندَ مالك فقط يجبُ على الفقيرِ القادرِ على المشي، فلو تكلَّف غيرُ القادرِ فحجَّ، سقطَ عنه الفرض بالاتفاق، والمرأةُ كالرجلِ، واختلفوا في شرطٍ آخرَ في حَقِّها، وهو وجودُ المحرِم، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يُشترط، وهو زوجُها، أو من تحرُمُ عليه على التأبيد بنسبٍ أو سببٍ مُباحٍ؛ كرضاعٍ[1] ومصاهرة، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يُشترط إذا وجدَتْ رُفْقَةً مأمونين، قال مالكٌ: رجالٌ أو نساء، وقال الشافعي: نساءٌ ثِقاتٌ.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ جحدَ فرضَ الحجِّ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في الحديث[2]: «مَنْ أَمْكَنَهُ الْحَجُّ فَلَمْ يَحُجَّ، فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيّاً، وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيّاً»[3].

* * *

---

(١) في «ت»: «الرضاع».

(٢) «الحديث» ساقطة من «ت».

(٣) رواه الترمذي (٨١٢)، كتاب: الحج، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج، عن علي ـ رضي الله عنه ـ. وقال: حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث. ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٧٢)، والروياني في «مسنده» (١٢٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٣٤) وضعفه، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب عن غيرهما من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وانظر: «الدراية» لابن حجر (٢/ ٢٩٢).

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالَّةِ على صدقِ محمدٍ.

﴿ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ فتجازَوْنَ به؟!

***

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن دينِ الإسلام.

﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ بتغييركم صفةَ النبيِّ ﷺ ليرتابوا، وذكرِكُم وقائعَ الجاهلية ليقتتلوا.

﴿ تَبْغُونَهَا ﴾ تطلُبونها.

﴿ عِوَجًا ﴾ ميلاً عن الاستقامة.

﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ بما في التوراة من صدق محمدٍ ﷺ.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وعيدٌ لهم. يسكتُ حمزةُ قبلَ الهمز إذا كانَ الساكنُ آخرَ كلمةٍ والهمزةُ أولَ كلمةٍ أخرى، نحو (مَنْ آمَنَ) و(قُلْ إِنَّنِي) وشبهِه حيثُ وقعَ، ويسهل بالنقل إذا وقفَ بخلافٍ عنه[1].

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٨٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٦).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الذين يريدون كفركم.

﴿ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ نزلتْ في نفرٍ من الأوس والخزرج، وكانوا جلوساً يتحدثون، فمر بهم شاسُ بنُ قيسٍ اليهوديُّ، فغاظَه تألُّفُهُم واجتماعُهم بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فأمر شاباً من اليهود أن يجلسَ إليهم، ويذكِّرهم يومَ بعاث، وينشدَهم بعضَ ما قيلَ فيه من الأشعار، وكان يوماً اقتتلتْ فيه الأوسُ والخزرج، وكان الظفرُ فيه للأوس، ففعلَ، فتنازعَ القومُ وتغاضبوا، وقالوا: السلاحَ السلاحَ، فبلغَ النبيَّ ﷺ، فخرج إليهم فيمن معهُ من المهاجرينَ والأنصار، فقال: «أَتدَّعُونَ الجاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ أَكْرَمَكُمُ اللهُ بِالإِسْلامِ وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الجاهِلِيَّةِ وَأَلَّفَ بَيْنَكُمْ؟!» فعلموا أنها نزغةٌ من الشيطان، وكيدٌ من عدوِّهم فألقَوا السلاحَ، واستغفروا، وعانقَ بعضُهم بعضاً، وانصرفوا مع رسولِ الله ﷺ، فما كان[١] يومٌ أقبحَ أولاً وأحسنَ آخراً من ذلكَ اليوم[٢].

***

---

(١) «كان» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٢ـ٦٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٩٠)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٢١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٧٨).

مُحتوى المجلد الأوّل

[فتح الرحمن في تفسير القرآن]

* * *

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصدَارَاتِ
وَزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ ـ ١٦ ـ ٤١٨ ـ ٩٩٣٣ ـ ٩٧٨ :ISBN

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَّسَة دَار النَّوادِر م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَار النَّوادِر اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دَار النَّوادِر الكُوَيْتِيَّة - ذ. م. م - الكُوَيْت

سورية ـ دمشق ـ ص. ب: ٣٤٣٠٦ ـ هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ ـ فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان ـ بيروت ـ ص. ب: ٥١٨٠/١٤ ـ هاتف: ٦٥٢٥٢٨ ـ فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت ـ حولي ـ ص. ب: ٣٢٠٤٦ ـ هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِير العَام وَالرَّئِيس التَّنْفِيذِي

فتح الرحمن في تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الثاني

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة سورة آل عمران

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ﴾ استفهامُ تعجيبٍ وتوبيخٍ.

﴿تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ القرآنُ.

﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ محمدٌ ﷺ؟! المعنى: ومن أينَ لكم الكفرُ والحالُ أنَّ القرآنَ والرسولَ حاضران لديكم؟!

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ يمتنعْ به ويلتجئْ إليه.

﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريقٍ واضحٍ.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بأن يُطاع فلا يُعصى، نزلَتْ لما تفاخر الأنصارُ وأخذوا السلاحَ ليقتتلوا، فلما نزلتْ، شَقَّ ذلكَ عليهم، فقالوا: «يا رسولَ الله! ومن يقوى على هذا؟»، فأنزل الله ﴿فَٱتَّقُوا۟

﴿ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، فنسخت هذه الآية، قال مقاتل: ليس في آل عمران منسوخ غيرها[١]. قرأ الكسائيُّ: (تقَاتِهِ) بالإمالة.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: مؤمنون.

* * *

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾.

[١٠٣] ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تمسَّكوا بدينه.

﴿جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ كما افترقت اليهود والنصارى. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلا تَّفَرَّقُوا) بتشديد التاء[٢].

كان بين الأنصارِ الأوسِ والخزرج عداوةٌ بسبب قتلى، فتطاولتِ العداوةُ والحربُ بينهم مئةً وعشرين سنةً إلى أن أطفأَ الله عزَّ وجلَّ ذلك[٣] بالإسلام، فبدَّل ذلك بالأُلفة والمحبة بسببِ اتِّباعهم للنبيِّ ﷺ وانتقالِه إليهم، فنزلَ منةً عليهم:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٩١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٧٨).

(٢) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٣١٥)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٨٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٦).

(٣) «ذلك» ساقطة من «ت».

﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾[1] أي: إنعامه عليكم أيُّها الأنصار.

﴿ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ ﴾ قبلَ الإسلام.

﴿ فَأَلَّفَ ﴾ أي: جمعَ.

﴿ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ﴾ بالإسلام.

﴿ فَأَصۡبَحۡتُم ﴾ فصرتُم.

﴿ بِنِعۡمَتِهِۦٓ ﴾ أي: برحمته.

﴿ إِخۡوَٰنٗا ﴾ جمعُ أخٍ في الدين والوِلاية.

﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا ﴾ طرفِ.

﴿ حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ ما بينكم وبينَ وقوعِكم فيها إلا أن تموتوا كفاراً.

﴿ فَأَنقَذَكُم ﴾ اللهُ.

﴿ مِّنۡهَاۗ ﴾ بالإيمانِ.

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ إرادةَ ثباتِكم على الهدى.

* * *

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾.

[١٠٤] ثم جاءَ بلامِ الأمرِ تأكيداً فقالَ: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴾ أي: تكونوا أمة و(مِنْ) صِلَةٌ، ليسَ للتبعيضِ، و(الخيرُ): الإسلامُ.

﴿ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٩٣).

المخصوصون بكمال الفلاح، قال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(١).

* * *

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ همُ اليهودُ والنصارى.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾ ذُكِّر هُنا أرادَ الجمعَ.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وعيدٌ للذين تفرَّقوا، وتهديدٌ على التشبيه بهم.

* * *

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ يَوْمَ ﴾ نصبٌ على الظرف؛ أي: في يومٍ.

﴿ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ أي: وجوهُ المؤمنين يومَ القيامةِ سروراً ونوراً.

﴿ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ أي: وجوهُ الكافرين خِزْياً ودُحوراً.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ فيقالُ لهم توبيخاً:

﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ يومَ أَخْذِ الميثاقِ حينَ قالَ لهم ربُّهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ باللهِ.

---

(١) رواه مسلم (٤٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ وهم أهلُ الطاعة.

﴿ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي: جنته.

﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمون.

* * *

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ بأنْ يأخذَ بغيرِ جُرْمٍ.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ فيُجازي كُلاًّ بعمله. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (تَرْجِعُ) بنصبِ التاء وكسر الجيم[١]، وقرأ أبو عمرٍو (يُرِيد ظُّلْماً) بإدغام الدال في الظاء[٢].

* * *

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٨).

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي، النوع الحادي والثلاثون، في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب.

﴿ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾.

[١١٠] ولما قال اليهودُ للمسلمين: نحن أفضلُ منكم، ودينُنا خيرٌ مما تدعوننا إليه، أنزل الله: ﴿ كُنتُمۡ ﴾[(١)] أي: أنتم.

﴿ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ ﴾ أُظْهِرَتْ[(٢)].

﴿ لِلنَّاسِ ﴾ أي: ما أخرجَ الله للناس أمةً خيراً من أمة محمدٍ ﷺ.

﴿ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ ﴾ الإيمان.

﴿ خَيۡرًا لَّهُمۚ ﴾ من كفرِهم.

﴿ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ.

﴿ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ أي: الكافرون.

* * *

﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَۖ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١ ﴾.

[١١١] روي أن رؤوس اليهود عمدوا إلى مَنْ آمن منهم عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِهِ، فآذَوْهُم، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمۡ ﴾[(٣)] أيها المؤمنون هؤلاءِ اليهودُ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٩٣).

(٢) في «ن»: «ظهرت».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٥).

﴿إِلَّآ أَذًى﴾ باللِّسانِ؛ كالسَّبِّ والوعيدِ.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ مُنْهزمينَ.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ بل تكونُ لكُمُ النُّصْرَةُ عليهِمْ.

* * *

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ حَيْثُما وُجِدوا.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ﴾ أي: عهدٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأَنْ يُسْلِموا.

﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ من المؤمنينَ ببذلِ جزيةٍ أو أمانٍ، يعني: إلا أنْ[(١)] يعتصِموا بحبلٍ فيأْمَنوا.

﴿وَبَآءُو﴾[(٢)] رَجعُوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الكفرُ والقتلُ.

﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ فإنَّ الإصرارَ على الصغائرِ يُفْضي إلى الكبائر، والاستمرار عليها يؤدِّي إلى الكفر.

* * *

﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

---

(١) «يعني إلا أن» ساقطة من «ت».

(٢) من قوله: «يا محمد حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (١/ ٤٨٣)، الآية (٨١) .... إلى قوله ﴿وَبَآءُو﴾» سقط من «ش» بمقدار (٤) لوحات من النسخة الخطية.

[١١٣] ولما أسلمَ عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ وأصحابُه، قال اليهود: ما آمنَ بمحمَّدٍ[(١)] إلا شِرارُنا، ولولا ذلك، ما تركوا دينَ آبائهم، فأنزل الله: ﴿۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾[(٢)] أي: ليسَ أهلُ الكتابِ مستوينَ، بل منهم مؤمنون، ومنهم فاسقون، ثم ابتدأ مستأنِفاً مبيناً لقوله: ﴿۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ فقال:

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ مستقيمةٌ.

﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاتِه.

﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ أي: يصلُّون؛ لأنَّ التلاوة لا تكونُ في السجودِ.

* * *

﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾.

[١١٤] ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، وورشٌ: (يُومِنُونَ) و(يَامُرُونَ) بغير همز[(٣)].

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ والمعروفُ: ما عرفه العقلُ أو[(٤)] الشرعُ بالحُسْنِ، والمنكَرُ: ما أنكرَهُ أحدُهُما لقبحِهِ.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ متى دُعوا إلى خير، أجابوا. قرأ الدوريُّ عن

---

(١) في «ن» و«ت»: «لمحمد».

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٧٣٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٦)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٧٣٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٩٦).

(٣) انظر: «الإتقان» للسيوطي، النوع الثالث والثلاثون، في تخفيف الهمز.

(٤) في «ت»: «و».

الكسائيِّ (يُسَارِعُونَ) و(سَارِعُوا) و(نُسَارِعُ) بالإمالة حيثُ وقع[1].

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: من صَلُحَتْ أحوالُهم عندَ الله.

***

﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

[١١٥] ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (يَفْعَلُوا) (يُكْفَرُوهُ) بالغيب فيهما إخباراً عن الأمةِ القائمةِ، والباقون: بالخطاب، لقولِه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأبو عمرو يَرَى القراءتين[2]، ومعنى الآية: فلن تَعْدَموا ثوابَهُ، بل يُشْكَرُ لكم.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: لا تدفعُ أموالُهم بالفدية ولا أولادُهم بالنُّصْرَةِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٩).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٥٩).

﴿ شَيۡـًٔاۖ ﴾ من عذابِ اللهِ.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها، وجعلَهم أصحابَ النار؛ كصاحبِ الرجلِ لا يفارقُهُ.

***

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ ﴾.

[١١٧] ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ﴾ أي: الكفار.

﴿ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ على عداوةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

﴿ كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ ﴾ بردٌ شديدٌ.

﴿ أَصَابَتۡ حَرۡثَ ﴾ أي: زرْعَ.

﴿ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بالكفرِ.

﴿ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ ﴾ فلم ينتفعوا به، المعنى: نفقاتُهم هالكةٌ كالذي تُهلكه الريحُ.

﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بذلكَ.

﴿ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ بالكفر.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ ﴾.

[١١٨] قال ابنُ عباسٍ: «كانَ رجالٌ من المسلمينَ يواصلونَ اليهودَ؛ لما بينهم من القرابَةِ والصداقة»، وقال مجاهدٌ: كان قومٌ من المؤمنينَ يُصافونَ المنافقين، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً ﴾[١] أي: أولياءَ، وبطانةُ الرجلِ: خاصَّتُهُ، مأخوذٌ من بطانةِ الثوب.

﴿ مِّن دُونِكُمْ ﴾ من غيرِ مِلَّتِكم.

﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ لا يُقَصِّرون في إفسادِ أمرِكُم.

﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ يَوَدُّونَ ما يَشُقُّ عليكم.

﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ ﴾ أي: البغضُ، معناه: ظهرَتْ أَمارةُ العداوة.

﴿ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ بالشَّتْمِ والوَقيعةِ في المسلمينَ.

﴿ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ ﴾ منَ البغضِ لكُمْ وعداوتِكم.

﴿ أَكْبَرُ ﴾ أي: أعظمُ.

﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ما بُيِّنَ لكم.

* * *

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ثم أردفَ النهيَ بالتوبيخِ على مُصافاة الخادِعين، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ تقدَّمَ اختلافُ القُرَّاءِ في هذا الحرفِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٦١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٠٨-٤٠٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٩٩).

﴿ أُوْلَآءِ﴾ المرادُ: أنتم أيها المؤمنونَ.

﴿ تُحِبُّونَهُمْ﴾ أي: اليهودَ الذين نهيتكُم عن مُباطَنَتِهم لما بينَكم من القرابةِ والمصاهرةِ.

﴿ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ هم عداوةً لمخالفةِ الدين.

﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بجميع الكتب، وهم لا يؤمنون بكتابكم.

﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ﴾ فكان بعضُهم مع بعضٍ.

﴿ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ أطرافَ الأصابع.

﴿ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ ﴾ لما يرون من ائتلافِكم، ويعبَّرُ عن شدةِ الغيظ بعضِّ الأنامل، وإن لم يكنْ ثَمَّ عَضٌّ، والغيظُ: هو أشدُّ الغَضَب، وهو الحرارةُ التي يجدُها الإنسان من ثَوَرَان(١) دمِ قلبه.

﴿ قُلْ مُوتُواْ﴾ أي: ابْقَوا إلى المماتِ.

﴿ بِغَيْظِكُمْۗ﴾ ولو أرادَ الحالَ، لماتوا من ساعَتِهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوبِ، فيجازيهم عليه.

* * *

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾.

[١٢٠] ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ أي: تصبْكم أيُّها المؤمنون.

---

(١) في «ت»: «يكن» بدل قوله «ثوران».

﴿ حَسَنَةٌ ﴾ نُصْرَةٌ وغَنيمةٌ وما يحسُنُ به[1] حالُكم.

﴿ تَسُؤْهُمْ ﴾ تحزنهم.

﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ ﴾ الإصابةُ بمعنى المَسِّ.

﴿ سَيِّئَةٌ ﴾ جَدْبٌ وهزيمةٌ.

﴿ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾ تلخيصُ الآيات: اجتنبوا مُصافاةَ مَنْ هو بهذِه الصِّفاتِ.

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ ﴾ على عَداوتهم ومَشَاقِّ الدِّينِ.

﴿ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ الله في محارمِه.

﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: بكسرِ الضادِ خفيفةً من ضارَهُ يَضيرُه، وقرأ الباقون: بضمِّ الضادِ ورفعِ الراء وتشديدها، من ضَرَّهُ يَضُرُّهُ[2]. المعنى: فليسَ يضرُّكُمْ.

﴿ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ فيجازيهم، وهذه بشارةٌ بالنصرِ مع الصبرِ والتقوى.

* * *

---

(١) «به» ساقطة من «ن» و«ت».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٦١)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦١).

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[١٢١] ولما نزلَ المشركونَ بأُحُدٍ يومَ الأربعاء ليأخُذوا بثأرهم في يوم بَدْرٍ، وكانوا ثلاثةَ آلافِ رجلٍ، وسمعَ رسولُ الله ﷺ بنزولهم، استشارَ أصحابه في الخروج إلى قتالهم، فأشارَ بعضُ الصحابةِ بالخروجِ، وأشارَ بعضُهم بترك الخروجِ، وكان المشركون قد أقاموا بأُحُدٍ يومَ الأربعاءِ والخميسِ، وصلَّى رسولُ الله ﷺ الجمعةَ بأصحابه، وقد ماتَ في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار، فصلَّى عليه ﷺ، ثم خرجَ إليهم في ألفِ رجلٍ، أو تسعِ مئةٍ وخمسينَ، ونزل بالشِّعْبِ من أُحد يومَ السبت لنصفِ شوالٍ سنةَ ثلاثٍ من الهجرة، وجعلَ يقوِّم أصحابَه، إنْ رأى صَدْراً خارجاً قالَ: «تأَخَّرْ»، أو متأَخِّراً قال: «تَقَدَّمْ»، وكان نزولُه في عُدْوَة الوادي، وجعلَ ظهرَ عسكرِه إلى أُحد، وأَمَّرَ على الرُّماةِ عبدَ اللهِ بنَ جُبيرٍ، وقال: «انْضَحُوهُمْ عَنَّا بِالنَّبْلِ لا يَأْتُونَنَا مِنْ وَرَائِنَا»، فنزل قولُه تعالى:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ ﴾[١] أي: واذكرْ إذْ غدوتَ.

﴿ مِنْ ﴾ بينِ.

﴿ أَهْلِكَ ﴾ من المدينةِ.

﴿ تُبَوِّئُ ﴾ أي: تنزِّلُ.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ ﴾ مواطنَ يقفونَ فيها.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤١٠)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٢١٨).

﴿ لِلْقِتَالِۗ﴾ يقالُ: بَوَّأْتُ القومَ: إذا وَطَّنْتُهم.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ما تقولُ ويقُال لكَ، وقتَ المشاورة وغيره.

* * *

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

[١٢٢] ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ هما بنو سَلِمَةَ من الخزرج، وبنو حارثةَ من الأَوْسِ، وكانا جَناحَي العسكرِ.

﴿ أَن تَفْشَلَا﴾ أَنْ تَجْبُنا وتَضْعُفا؛ فإنَّ عبدَ اللهِ بنَ أُبي ابنِ سَلُولَ المنافقَ انخزلَ[١] بثلثِ الناسِ، فهمَّتِ الطائفتانِ بالرجوعِ معه، فَثَبَّتَهما الله تعالى.

﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ﴾ ناصرُهما ومتولِّي أمرِهما.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أمرٌ في ضمنِه التغبيطُ[٢] للمؤمنين بمثلِ ما فعلَه بنو حارثة وبنو سلمةَ من المسيرِ مع رسولِ الله ﷺ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

[١٢٣] ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ هو موضعٌ بينَ مكَّةَ والمدينةِ، ونزلتِ الآيةُ تذكيراً لهم بنعمةِ اللهِ عليهم بالنصرة[٣] في يوم بَدْرٍ، وكانت يومَ الجمعة سابعَ عشرَ رمضانَ لثمانيةَ عشرَ شَهْراً من الهجرة.

---

(١) في «ن»: «تحرك».

(٢) في «ت»: «التغليظ».

(٣) في «ن»: «بالنصر».

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليلٌ، وليس المرادُ الذلَّ والهوانَ؛ لأنهم كانوا ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً، وكان عدوُّهم ما بينَ التسعِ مئةٍ إلى الألف، فنصرهم الله مع قلَّةِ عددِهم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أمرَهم بالتقوى، ورجَّاهُم في الإنعامِ الذي يوجبُ الشكرَ.

***

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤)﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ أي: اذكرْ إذ تقولُ.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ببدرٍ.

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ الإمدادُ: إعانةُ الجيشِ بالجيشِ.

﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (مُنَزَّلِينَ) بالتشديدِ على التكثيرِ؛ لقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقرأ الباقون: بالتخفيف؛ لقولِه: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[1] [التوبة: ٢٦]

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٣).

وأبو عمرٍو، وهشامٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخَلَفٌ يُدْغِمون الذالَ في التاء مِنْ (إذ تَّقولُ)، والباقونَ يُظهرونَها[1].

قال ابنُ عباسٍ: «لَمْ يُقاتِلِ[2] الملائكةُ في المعركةِ إلاَّ يومَ بدرٍ، وفيما سواهُ يَشْهدونَ القتالَ ولا يُقاتلون، إنما يكونونَ عدداً ومَدَداً»[3] وبُشِّروا بالملائكةِ قبلَ نزولِهم تَسْكيناً لجأشِهم[4]، ثم قال:

* * *

﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ١٢٥﴾.

[١٢٥] ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ﴾ للمشركين.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾ مخالفةَ نَبِيِّكم.

﴿وَيَأۡتُوكُم﴾ المشركونَ.

﴿مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ أي: من ساعَتِهم هذهِ.

﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ لم يزدْ خمسةَ آلافٍ غيرَ الثلاثةِ المذكورةِ، بل مَعَها. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، ويعقوبُ: بكسر الواو؛ أي: مُعَلِّمينَ، من العلامةِ؛ أي: سَوَّموا خيلَهم،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦١).

(٢) في «ن»: «تقاتل».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٨٥)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٧).

(٤) في «ن»: «لحالهم».

وقرأ الباقون: بفتح الواو[1]؛ أي: سَوَّمُوا أنفسَهُمْ، قال ﷺ لأصحابه يومَ بدر: «تَسَوَّمُوا[2]؛ فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ بِالصُّوفِ[3] الأَبْيَضِ فِي قَلاَنِسِهِمْ ومَغَافِرِهِمْ»، ونزلتِ الملائكةُ على خيلٍ بُلْقٍ، عليهِمْ عَمائِمُ بِيضٌ قد أرسلوها بينَ أكتافِهم، إلاَّ جِبريلَ؛ فإنه كانَ بِعِمامةٍ صفراءَ على مثالِ عِمامةِ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ[4].

***

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

[١٢٦] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: الوعدَ والمددَ.

﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ أي: بشارةً.

﴿ لَكُمْ ﴾ لتستبشِروا بها.

﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ لتسكُنَ بالمدَدِ، فلا تجزعَ من كثرةِ عدوِّكُم وقلَّةِ عددِكم.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٥-٣٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٤).

(٢) في «ت»: «تقوموا».

(٣) في «ت»: «بالصفوف».

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٣٥٤)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٨٢-٨٣).

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فاستعينوا بهِ، وتوكَّلوا عليه؛ لأن العزَّ[1] والحكمَ له.

* * *

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أي: يُهلِكَ جماعةً.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فقُتِلَ منهم يومَ بدر سبعون، وأُسِرَ سبعونَ.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ أصلُ الكَبْتِ: الإذلالُ والصرفُ عن الشيءِ. المعنى: يُذِلَّهم ويَهْزِمَهم.

﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾ لم يظفروا بمرادِهم.

وعن أنس: أنَّ رسولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رُباعِيَتُهُ يومَ أُحدٍ، وشُجَّ في رأسِه، فجعلَ يَسْلُتُ الدمَ عنهُ ويقولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وكَسَرُوا رُبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ»، فأنزلَ الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾[2].

* * *

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيسلموا.

---

(١) في «ش»: «العزم».

(٢) رواه مسلم (١٧٩١)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ إن لم يُسْلِموا معطوفان على: ﴿ لِيَقْطَعَ ﴾ أي: ليقطعَ أو يكبتَ أو يتوبَ أو يعذِّبَ.

﴿ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ فيكونُ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ اعتراضاً بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه. المعنى: ليسَ بيدِكَ من التوبةِ والعقوبةِ شيءٌ، إنْ عليكَ إلا البلاغُ، وإنَّما ذلكَ بيدِ الله.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

[١٢٩] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ بعباده(١)، فلا تبادروا إلى الدعاءِ عليهم.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ إشارةٌ إلى تكرارِ التضعيفِ عاماً بعدَ عام. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (مُضَعَّفَةً) بالتشديد مع حذفِ الألفِ في جميع القرآن، وقرأ الباقون: بالإثبات والتخفيف(٢)، والمراد به(٣): ما كانوا يفعلونَه عندَ حُلولِ

---

(١) في «ظ»: «العباده».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ٢٠٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٥).

(٣) «به» ساقطة من«ن».

أَجَلِ الدَّينِ من زيادةِ المالِ وتأخيرِ الطلب، وتقدَّمَ ذكرُ الرِّبا وأحكامِه في سورة البقرة، و﴿أَضْعَافًا﴾ نصبٌ في موضعِ الحالِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمرِ الرِّبا فلا تأكلوهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

* * *

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾.

[١٣١] ثم خوَّفهم فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال أبو حنيفةَ: هذه أخوفُ آيةٍ في القرآنِ، حيثُ توَعَّدَ المؤمنينَ إنْ لم يتَّقوا بعقابِ الكافرينَ.

* * *

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾.

[١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي تُرْحَموا، فقرَنَ تعالى طاعةَ رسولِه بطاعتِه، واسمَه باسمِه بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التغابن: ٨]، فجمعَ بينهما بواو العطف المُشَرِّكَةِ، ولا يجوزُ جمعُ هذا الكلام في غيرِ حقِّهِ ﷺ، قال عليه السلام: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ، وَلَكِنْ: ما شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ»(١) فأرشدَهم ﷺ إلى الأدبِ في تقديمِ مشيئةِ اللهِ تعالى على مشيئةِ مَنْ سواه، واختارَها بـ(ثُمَّ) التي هي للنسقِ والتراخي، بخلافِ الواو التي هي للاشتراكِ، ومثلهُ الحديثُ الآخَرُ: أَنَّ خَطيباً خطبَ عندَ النبيِّ ﷺ

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٨٠)، كتاب: الأدب، باب: لا يقال: خبثت نفسي، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢١)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤)، وغيرهم عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

[فقال: مَنْ يطعِ اللهَ ورسولَه فقدْ رشدَ، ومَنْ يعصِهما فقد غَوى، فقال له النبيُّ ﷺ:][1] «بِئْسَ خَطِيبُ الْقَوْمِ أَنْتَ، قُمْ، أَوْ قالَ: اذْهَبْ»[2] كره منهُ الجمعَ بين الاسمين بحرفِ الكناية؛ لما فيه من التسويةِ، فالواوُ العاطفة لمطلَقِ الجمعِ بالاتفاق، والفاءُ العاطفةُ للترتيب والتعقيب، وثُمَّ للتشريكِ وللترتيبِ بمُهْلَةٍ بالاتفاق.

***

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

[١٣٣] ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (سَارِعُوا) بلا واوٍ[3]؛ أي: بادروا.

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: إلى الأعمال التي تُوجِبُ المغفرةَ.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾ أي: سَعَتُها.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ وخُصَّ العرضُ بالذِّكر؛ لأنه يكونُ غالباً أقلَّ من الطول. المعنى: بادِروا إلى ما يُوجِبُ لكمُ المغفرةَ ودخولَ جَنَّةٍ في غايةِ السَّعَةِ.

﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بُقِّيَتْ لهم.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه مسلم (٨٧٠)، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٦).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ .

[١٣٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ اليسرِ والعسرِ، فأولُ ما ذكر من أخلاقِهم الموجبةِ للجنةِ ذكرَ السَّخاوَةَ، قال ﷺ: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بعيدٌ مِنَ اللهِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ»(١).

﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ﴾ الحابسينَ.

﴿ٱلْغَيْظَ﴾ عندَ امتلاءِ نفوسِهم بهِ.

﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ الَّذين يَظْلمونَهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ .

[١٣٥] ونزلَ فيمَنْ أذنبَ ذنباً وطلبَ التوبةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ يعني قبيحةً خارجةً عمَّا أَذِنَ اللهُ فيه.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٦١)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في السخاء، وقال: غريب، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٤٠٣)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بما دونَ الزِّنا؛ كالقُبلةِ واللَّمسِ والنَّظرِ.

﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: ذكروا وعيدَه.

﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ أي: وما يغفرُ الذنوبَ.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ أي: يُقيموا.

﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ ولكن تابوا وأنابوا.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّها معصيةٌ، وأنَّ اللهَ يغفرُ الذنوب(١).

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

[١٣٦] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأٌ، خبرُه(٢):

﴿جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ أي: ونعمَ ثوابُ المطيعينَ ما أُعِدَّ لهم.

قال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْباً، فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ»(٣)، قال ثابتٌ البُنانيُّ: لما نزلَتْ هذهِ الآيةُ، بَكى إبليسُ(٤).

---

(١) في «ظ»: «الذنب».

(٢) «خبره» ساقطة من «ن».

(٣) رواه أبو داود (١٥٢١)، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار، والترمذي (٤٠٦)، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في الصلاة عند التوبة، وقال: حسن، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٢٣).

﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ ﴾.

[١٣٧] ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ ﴾ أي: مضَتْ شرائعُ وطرائقُ، وسنَّةُ الإنسانِ: الشيءُ الذي يعملُه، والخطابُ للمؤمنين. والمعنى: قد مَضَتْ وسَلَفَتْ مني فيمَنْ قبلَكُم من الأممِ الماضيةِ الكافرةِ بإمهالي واستِدْراجي إيَّاهم حَتَّى يبلُغَ الكتابُ فيهِ أَجَلي الذي أَجَّلْتُه لإهلاكي إياهم.

﴿ فَسِيرُواْ ﴾ تقديرُه: إن شَكَكْتُم، فَسيروا.

﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ﴾ أي: آخِرُ أَمْرِ ﴿ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ منهم، وهذا في حربِ أهلِ أُحد، يقول: فإنما أُمهلهم فأَستدرِجُهم حتى يبلغَ أجلي الذي أَجَّلْت في نُصْرَةِ النبيِّ وأوليائِه، وإهلاكِ أعدائِه.

* * *

﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ ﴾.

[١٣٨] ﴿ هَٰذَا ﴾ أي: القرآنُ.

﴿ بَيَانٞ لِّلنَّاسِ ﴾ عامَّةً.

﴿ وَهُدٗى ﴾ من الضَّلالةِ.

﴿ وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ خاصَّةً.

* * *

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ ﴾.

[١٣٩] ﴿ وَلَا تَهِنُواْ ﴾ لا تَضْعُفوا عن قتالِ عدوِّكم.

﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما أصابكُمْ من قَتْلٍ وجَرْحٍ بأُحد، وكان قد قُتل يومئذٍ من المهاجرين خمسةٌ، منهم: حمزةُ بنُ عبدِ المطَّلِب، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وسبعونَ رجلاً من الأنصار ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ شأناً في الآخِرَةِ بدخولِ الجنة، وفي الدنيا بأن تكونَ الغَلَبَةُ لكم.

﴿إِن﴾ يعني: إذ.

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: لأنكم مؤمنون.

***

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

[١٤٠] ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ أي: جُرْحٌ يومَ أحدٍ.

﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ﴾ أي: الكافرين ببدرٍ.

﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ فقتلَ المسلمون من المشركينَ ببدرٍ سبعين، وأَسَروا سبعين، وقتلَ المشركونَ من المسلمينَ بأحد خمساً وسبعين، وجرحوا سبعين. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ: (قُرْحٌ) بضمِّ القاف حيثُ وقعَ، والباقون: بالفتح، وهما لغتان معناهما واحد(١).

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٦)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)،=

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ أي: نجعلُها دُوَلةً.

﴿ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ المؤمنينَ والكافرين، فمرةً لهم، ومرةً عليهم.

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ علماً يتعلَّقُ به الجزاء، وهو أن يظهرَ منهم الفعلُ، فيجازَوْنَ عليه.

﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ بأن يُكْرِمَهم بالشهادةِ.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يُضمرونَ خِلافَ ما يُظهرون.

***

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾.

[١٤١] ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ التمحيصُ: تخليصُ الشيء من عَيْبٍ فيه، المعنى: يُطَهِّر المؤمنين من الذنوب.

﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يُفنيهم، المعنى: إن قتلوكُم، فهو تطهيرٌ لكم، وإن قتلتموهم، فهو مَحْقُهُم واستئصالُهم.

***

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾.

[١٤٢] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ (أَمْ) هي بمعنى الإضراب عن الكلامِ الأولِ والتركِ له، وفيها لازمُ معنى الاستفهام، و(حَسِبْتُمْ) معناه:

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٦٦).

ظننتم، وهذه الآيةُ وما بعدها تقريعٌ وعَتْبٌ لطوائفِ المؤمنينَ الذين وقعتْ منهم الهَنَواتُ[1] في يومِ أحدٍ.

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾ أي: ولم يعلم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ والقراءةُ بكسر الميم في قولِه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ لالتقاء الساكنين.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الشدائدِ، ونصبُ (يَعْلَمَ) بإضمارِ أَنْ، و(الواو) بمعنى الجمع؛ كقولِكَ: لا تأكلِ السمكَ وتشربَ اللَّبنَ.

***

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝١٤٣﴾.

[١٤٣] ثم خاطب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: الشهادة؛ لما علمتُم من فضلِ الشهداءِ ببدر. قرأ البزيُّ بخلافٍ عنه: (كُنْتم تَّمَنَّوْنَ) بتشديد التاءِ بعد الميم حالةَ الوصلِ[2].

﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ وذلكَ أن قوماً من المسلمين تمنوا يوماً كيومِ بدرٍ ليقاتِلوا ويُسْتَشْهدوا، فأراهُم اللهُ يومَ أحدٍ.

﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: رأيتُمْ سببَهُ.

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ عِياناً أسبابَهُ.

---

(١) في «ن»: و«الهفوات».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦٨/٢).

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾.

[١٤٤] رُوي أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ إلى الشِّعْبِ من أُحد بسبع مئةِ رجلٍ، وجعلَ عبدَاللهِ بنَ خَوَّاتٍ على الرجَّالة، وقال: «أَقِيمُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ، وَانْضَحُوا عَنَّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، وَلاَ تبرَحُوا مَكَانَكُمْ حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، فَلاَ نَزَالُ غَالِبِينَ مَا ثَبَتُّمْ مَكَانَكُمْ»، فجاء المشركون على مَيْمَنَتِهم خالدُ بنُ الوليد، وعِكْرِمَةُ بنُ أَبي جَهْل على مَيْسَرَتِهم، فقاتلوا حتى حَمِيَتِ الحربُ، فأخذَ رسولُ الله ﷺ سيفاً وقالَ: «مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟»، فَأَخَذَهُ أبو دُجانةَ، فأعلمَ بعمامةٍ حمراءَ، فجعل يتبخْتَرُ بينَ الصَّفَّينِ، فقالَ رسولُ الله: ﷺ «إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلاَّ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ»، ففلقَ به هامَ المشركين، فحمل ﷺ هو وأصحابهُ على المشركين، فهزمهم، فتركَ الرماةُ مركزَهم، وجاؤوا إلى المسلمينَ لأجلِ الغنيمةِ، فلما رأى خالدٌ ظهورَ المسلمين منكشفةً، صاحَ في خيلهِ، وحمل على المسلمينَ، فهزمَهم، ورمى عبدُ اللهِ بنُ قَمِيئَةَ الحارثيُّ النبيَّ ﷺ بحجرٍ، فكسرَ أنفَهُ ورَباعِيَتَهُ، وشَجَّهُ فأثقلَهُ، وتفرَّقَ عنه أصحابُه، وحملَ ابنُ قميئةَ ليقتلَ النبيَّ ﷺ، فذبَّ عنه مصعبُ بنُ عُمير صاحبُ الرايةِ يومئذ، فقتلهَ ابنُ قميئةَ وهو يُرى أنه قتلَ النبيَّ ﷺ، وصرخَ صارخٌ: ألا إنَّ محمداً قد قُتل، قالوا: كانَ إبليسَ، وانكشفَ المسلمونَ، وأصابَ فيهم العدوُّ، وكان يومَ بلاءٍ على المسلمين، ومَثَّلت هند بنتُ عُتبةَ وصواحبُها بالقتلى من الصحابة، فَجدَعْنَ الآذانَ والأُنوف، وبقرَتْ هندٌ عن كبدِ حمزةَ عمِّ النبي ﷺ، ولاكَتْها، وصَعِدَ

زوجُها أبو سفيانَ الجبلَ، وصرخَ بأعلى صوتِه: الحربُ سِجالٌ، يومٌ بيومِ بدرٍ، اعْلُ هُبَلْ؛ أي: أظهرْ دينَكَ، فأجابَه المسلمون: الله أعلى وأجَلُّ، قال: إنَّ لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فأجابه المسلمون: اللهُ مولانا ولا مولى لكم، ثم نادى: إن موعدَكُم بدرٌ العامَ القابلَ، فقال النبي ﷺ لواحدٍ: «قُلْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ»، ثم التمسَ رسولُ الله ﷺ عمَّه حمزةَ، فوجده وقد بُقِر بطنهُ، وجُدِعَ أنفُه وأذناه، فقال: «لَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَيْهِمْ، لأُمَثِّلَنَّ بِثَلاَثِينَ مِنْهُمْ». ثم أمرَ رسولُ الله ﷺ فَسُجِّيَ حمزةُ ببردةٍ، ثم صلَّى عليه، فكبَّرَ سبعَ تكبيرات، ثم أُتي بالقَتْلى يوضَعون إلى حمزةَ، فصلَّى عليه وعليهم ثنتين وسبعينَ صلاةً، وهذا دليلٌ لأبي حنيفةَ؛ فإنه يرى الصلاةَ على الشهيدِ خلافاً للشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ، ثم أمرَ بحمزةَ فدُفن، واحتُمل ناسٌ من المسلمين إلى المدينة، فدفنوا بها، ثم نهاهم رسولُ الله ﷺ وقال: «ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا»، وأصيبتْ عينُ قَتادَةَ، فردَّها رسولُ الله ﷺ بيدِه، فكانتْ أحسنَ عينيه.

ولما صرخَ الصارخُ بقتلِ النبيِّ ﷺ، قال بعضُ المسلمين: ليتَ عبدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ يأخذُ لنا أماناً من أبي سفيانَ، وقال ناسٌ من المنافقين: لو كانَ نبياً لما قُتل، ارجعوا إلى إخوانِكم وإلى دينِكم، فقال أنسُ بنُ النَّضْرِ عمُّ أَنَسِ بنِ مالك: «يا قوم! إن كانَ[1] محمدٌ قُتل، فإن ربَّ محمدٍ حيٌّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعدَ رسولِ الله؟ فقاتِلوا على ما قاتلَ عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهمَّ إني أعتذرُ إليك مما يقولُ هؤلاء، وأبرأُ إليك مما جاؤوا به»، ثم شدَّ سيفه فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

---

(١) «كان» سقط من «ت».

وعن بعضِ المهاجرين أنه مرَّ بأنصاريٍّ يتشحَّطُ[1] بدمِه، فقال: يا فلانُ! شعرتَ أن محمداً قَدْ قُتل؟ فقال: إن كان محمدٌ قُتل فقد بَلَّغَ، قاتلوا على دينِكم.

ولما انهزم أصحابهُ جعلَ ﷺ يدعوهم «إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ[2]» حَتَّى انحازت إليه طائفةٌ من أصحابه، فلامهم على هَرَبهم، فقالوا: يا رسول الله! فديناكَ بآبائِنا وأمهاتنا، أتانا خبرُ قتلِك، فرُعبت قلوبُنا، فولَّينا مدبرين، فنزلَ توبيخاً:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾[3] معناهُ: المستغرقُ لجميعِ المحامدِ، وهو الذي كثر حمدُ الحامدين له مرةً بعد أخرى، ويقال[4] حُمِدَ فهو محمَّدٌ، فتسميته ﷺ بهذا الاسم لما اشتملَ عليه من مُسَمَّاه، وهو الحمدُ، فإنه ﷺ محمودٌ عند اللهِ، وعندَ ملائكته، وعندَ إخوانِه من المرسلين، وعندَ أهل الأرض كلِّهم، وإن كفر به بعضُهم، فإنَّ ما فيه من صفاتِ الكمال محمودٌ عند كلِّ عاقل، ومحمدٌ هو المحمودُ حمداً متكرراً كما تقدم، وأحمدُ هو الذي حمدُهُ لربه أفضلُ من حمد الحامدين غيرِه، وهو الذي يحمدُه أهل الدنيا وأهلُ الآخرة، وأهلُ السماء والأرض، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوتُ عددَ العادِّين سُمِّيَ[5] باسمين من أسماء الحمد يقتضيان التفضيلَ والزيادةَ في القدر والصفة، فدلَّ أحدُ الاسمين وهو محمدٌ على كونِه

---

(١) في «ن»: «يتسخط».

(٢) «إلي عباد الله» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١١١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٢٦).

(٤) في «ت» و«ن»: «وقال».

(٥) في «ت»: «تسمى».

محموداً، ودل الاسمُ الثاني وهو أحمدُ على كونه أحمدُ الحامدين لربِّه، وأن الحمدَ الذي يستحقه أفضلُ مما يستحقه غيره، وقد أكرمه الله سبحانه بهذين الاسمين المشتقين من اسمه جل وعلا، وفيه يقول حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَ عَبْدَهُ ... بِبُرْهَانِهِ واللهُ أَعْلَى وَأَمْجَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وأما نسبُه الشريفُ، فهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيٍّ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْيَاسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ بنِ آد بنِ أددِ بنِ اليسَعِ بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ سَلامانَ بنِ نَبْتِ بنِ حملِ بنِ قَيْدار بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليهما السلامُ بنِ تارح وهو آزرُ بنِ ناحور بنِ ساروع بنِ رعون بنِ فالغ بنِ عابرِ بنِ شالحِ بن قَيْنانَ بنِ أرفَخْشَد بنِ سامِ بنِ نوحٍ عليهما السلام بنِ لامخ ويقال لامك بنِ متوشلح بنِ حنوخ وهو إدريسُ عليه السلام بن يارد بنِ مهلائيل بنِ قينان بنِ أنوش بنِ شيثِ بنِ آدم عليه السلام.

﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت.

﴿مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ لأن الرسول يموت كما مات الرسل قبله.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾ أي: رجعتم.

﴿عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ كافرين؟! إنكارٌ لارتدادهم وانقلابِهم على أعقابهم عن الدين؛ لخلوه بموتٍ أو قتلٍ بعد علمِهم بخلوِّ الرسلِ قبلَه وبقاءِ دينهم

متمسَّكاً به. المعنى: إن محمداً مضى قبلَه رسلٌ، وبقي أتباعُهم متمسِّكين بدينهم لم يرتدُّوا بعدَهم، وإن محمداً يمضي، فتمسَّكوا بدينه بعده ولا ترتدُّوا.

﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ فيرتدَّ عن دينه.

﴿ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ بارتدادِه، وإنما يضرُّ نفسَه.

﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ على نعمةِ الإسلام بالثَّبات عليه؛ كأنسٍ ونحوه.

* * *

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

[١٤٥] ثم شجَّعهم وأعلمهم أن لا موتَ إلا بمشيئتِه، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بقضائه ﴿ كِتَٰبًا ﴾ أي: كتبَ اللهُ الموتَ كتاباً.

﴿ مُّؤَجَّلًا ﴾ معلوماً، لا يتقدم ولا يتأخر ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ﴾ بطاعته.

﴿ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: جزاءَ عملِه من الدنيا.

﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ ما قُسم له، نزلتْ في الذين تركوا المركزَ يوَم أُحد طلباً للغنيمة.

﴿ وَمَن يُرِدْ ﴾ بطاعتِه.

﴿ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ جزاءَ عملِه. قيل: أرادَ الذين ثبتوا مع أميرِهم عبدِ اللهِ بنِ جُبير حتى قُتلوا.

﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ المطيعين. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (يُرِدْ ثَوَابَ) بإظهار الدال عندَ الثاء فيهما، والباقونَ: بالإدغام[1].

قال ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِيٍ ما نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[2].

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَأَيِّن﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: بألفٍ ممدودةٍ[3] بعدَ الكاف، وبعدها همزةٌ مكسورةٌ، وأبو جعفرٍ يُسَهِّلُ الهمزةَ، والباقون: بهمزةٍ مفتوحةٍ بعدَ الكاف، وبعدها ياءٌ مكسورة مشدَّدة، ووقف أبو عمروٍ، ويعقوبُ (وَكَأَيْ) بغيرِ نونٍ حيثُ وقعَ، وَوقف الباقُونَ (وَكَأَيِّنْ)، وهي كافُ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٦٩).

(٢) رواه البخاري (١)، كتاب: الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٩٠٧)، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ت»: «ممدود».

التشبيه ضُمَّتْ إلى أيِّ الاستفهام[1]، فصار المعنى: وكَمْ.

﴿ مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَـهُۥ رِبِّيُّونَ ﴾ أي: جموعٌ.

﴿ كَثِيرٌ ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (قُتِلَ) بضمِّ القاف وكسر التاء؛ أي: قُتل الربيون دون النبيِّ، قال الحسنُ وغيره: ما قُتِلَ نبيٌّ قَطُّ في قتالٍ، وقرأ الباقون: (قَاتَلَ) بفتحِ القافِ والتاءِ وألفٍ بينهما؛ أي: قاتلَ كائِناً معه ربِّيون[2].

﴿ فَمَا وَهَنُواْ ﴾ أي: جَبُنوا.

﴿ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ ﴾ عن الجهادِ.

﴿ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ ﴾ خَضَعوا لعدوِّهم.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ ومحبةُ اللهِ لهم ما يظهرُ عليهم من نصرهِ وتنعيمِه.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٦٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٧ـ٣٥٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٠ـ٧١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥٩ـ٣٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧١).

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

[١٤٧] ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾ بنصبِ اللامِ خبرُ (كان)، واسمُها:

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ أي: الصغائرَ.

﴿ وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾ أي: الكبائرَ.

﴿ وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ كيلا تزول ﴿ وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

[١٤٨] ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ النصرةَ والغنيمةَ.

﴿ وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ الأَجرَ والجنةَ.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وخُصَّ ثوابُ الآخرةِ بالحسنِ إشعاراً بفضلِه، وأنه المعتدُّ بهِ عندَه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

[١٤٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يعني: المنافقين في قولهم عندَ الهزيمةِ: ارجِعُوا إلى إخوانكم، وادخلوا في دينِهم.

﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ أي يُرْجعوكم إلى أولِ أمرِكم الشركِ باللهِ.

﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ أي: مَغْبونين.

***

﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

[١٥٠] ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ ناصرُكُم وحافظُكُم على دينِكم.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فاستعينوا به.

***

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

[١٥١] وكان المشركون قد ارتحلوا من أُحد متوجِّهينَ نحو مكةَ، ثم عزموا على الرجوع واستئصالِ المسلمينَ، فقُذِفَ الرعبُ في قلوبهم، فلم يرجعوا، فنزل: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: الخوف. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: بضم العين، والباقون: بسكونها، وهما لغتان مثلْ القدس(١).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦ـ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» =

﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ﴾ أي: بسبب إشراكهم.

﴿بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ﴾ حجّةً وبرهاناً.

﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: مقامُ الكافرين.

* * *

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

[١٥٢] ولما رجعَ رسولُ الله ﷺ من أُحد، قال المسلمون: كيفَ أُصبنا وقد وُعِدْنا بالنصر؟ فنزل: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾[١] بالنصر لكم؛ لأن النصرَ كان أولاً للمسلمين. قرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَقَد صَّدَقَكُمْ) بإدغام الدال في الصاد، والباقون: بالإظهار[٢].

﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم قتلاً ذَريعاً.

= للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٣٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٥).

﴿ بِإِذۡنِهِۦٓ ﴾ بإرادته؛ فإنهم قَتلوا من المشركين اثنينِ وعشرينَ رجلاً.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ ﴾ جَبُنْتُم، وضعفَ رأيُكم بتركِ الرُّماةِ مركزَهم لطلبِ الغنيمة.

﴿ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أي: اختلفتم في أمر النبيِّ ﷺ للرماةِ بالمقام في سفح الجبل، فقال بعضُهم: نذهبُ، فقد نُصر أصحابُنا، وقال بعضُهم: نمتثلُ أمرَ النبيِّ ﷺ، ولا نبرحُ مكانَنا.

﴿ وَعَصَيۡتُم ﴾ النبيَّ ﷺ بتركِ المركز.

﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم ﴾ اللهُ.

﴿ مَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ من الظفرِ والغنيمة.

﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وهم الرماةُ الذين تركوا المركزَ وطلبوا الغنيمةَ.

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ وهم مَنْ ثبتَ من الرماة في المركز عبدُ الله بنُ جُبيرٍ وأصحابُهُ.

﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ ﴾ أي: ردَّكم.

﴿ عَنۡهُمۡ ﴾ بالهزيمة.

﴿ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ ﴾ ليمتحِنَكم.

﴿ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ ﴾ فلم تُسْتأْصَلوا على فِعْلِكم.

﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بالعفوِ.

***

﴿ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

[١٥٣] ﴿ ۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ ﴾ يعني: ولقد عفا عنكم إذ تُصْعِدون هاربينَ، والإصعادُ: السيرُ في مستوى الأرض.

﴿ وَلَا تَلۡوُۥنَ ﴾ أي: لا تُعَرِّجون ولا تُقيمون.

﴿ عَلَىٰٓ أَحَدٖ ﴾ لا يلتفتُ بعضٌ إلى بعض.

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾ أي: خلفَكم يقولُ: «إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ، مَنْ يَكُرُّ فَلَهُ الجَنَّةُ».

﴿ فَأَثَٰبَكُمۡ ﴾ جازاكم.

﴿ غَمَّۢا ﴾ إذ هُزمتم.

﴿ بِغَمّٖ ﴾ بسببِ غَمٍّ أذقتموهُ النبيَّ ﷺ حينَ عصيتموه.

﴿ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾ من الفتحِ والغنيمة.

﴿ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ ﴾ من القتلِ والجِراح وذلِّ الانهزام وما نِيل من نبيِّكم.

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ توَعُّدٌ.

***

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ

يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ .

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ يا معشرَ المسلمينَ.

﴿مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أي: أَمْناً ﴿نُّعَاسًا يَغْشَىٰ﴾ أي: النعاسُ.

﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ﴾ وهم المؤمنون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (تُغَشِّي) بالتاء رَدّاً إلى الـ(أَمَنَةِ)، والباقون: بالياء ردّاً إلى (النعاس)[١].

قال ابن عباسٍ: «أَمَّنَهُمْ يومئذٍ بنعاسٍ يغشاهُم، إنَّما ينعسُ مَنْ يأمنُ»[٢] والخائفُ لا ينامُ، فأرادَ الله تمييزَ المؤمنين من المنافقين، فأوقعَ النعاسَ على المؤمنينَ حتى أَمِنوا، ولم يوقعْ على المنافقين، فَبَقُوا في الخوف.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ مبتدأٌ، خبرُه:

﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون، لم يكن لهم هَمٌّ بأُحُدٍ سوى أنفسِهم دونَ النبيِّ ﷺ وأصحابِه.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ﴾ الظَّنِّ.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٦)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٧٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤٠).

﴿ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ﴾ أي: ظناً مثل ظَنِّ ﴿ ٱلۡجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ والذي ظنوه أن محمداً قُتل، أو أن اللهَ لا ينصرُه.

﴿ يَقُولُونَ ﴾ للنبيِّ ﷺ.

﴿ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ ﴾ أي: من أمرِ النصرةِ.

﴿ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (كُلُّهُ) برفع اللام على الابتداءُ وخبرُه في (لله)، والباقون: بالنصب على البدل[1].

﴿ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَـٰهُنَاۗ ﴾ وذلك أن المنافقين قالوا بينهم مسارِّين: لو كان لنا عقولٌ وتُرِكْنا، ما خرجْنا مع محمدٍ، ولا قُتل رؤساؤنا، فقال تعالى لنبيه ﷺ تكذيباً لهم:

﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ ﴾ مصارِعِهم. المعنى: لو قعدتُم في بيوتكم، وفيكُم من علمَ الله أنه يُقتل، لخرجَ الشخصُ المعلوم إلى مصرعِه فَقُتل؛ لأن معلومَ الله كائنٌ حتماً.

﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: ليختبرَ.

﴿ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ ﴾ يُخْرِجَ ويُظْهِرَ.

﴿ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ بما في القلوب من خيرٍ وشرٍّ، وقد اجتمع حروف المعجم كلها التسعةُ والعشرون في هذه الآية من

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٧).

قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ وكذا في سورة الفتح في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورةَ، وليس في القرآنِ آيتان كلُّ آية حوَتْ حروفَ المعجم غيرُهما، مَنْ دعا الله بهما، استُجيبَ له.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

[١٥٥] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ﴾ يا معشرَ المسلمين؛ أي: انهزموا.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمعُ المسلمين وجمعُ المشركين يومَ أُحد، وكان قد انهزم أكثرُ المسلمين، ولم يبقَ مع النبي ﷺ إلا ثلاثةَ عشرَ رجلاً ستةٌ من المهاجرين، وهم أبو بكر، وعمرُ، وعليٌّ، وطلحةُ، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، وسعدُ بنُ أبي وقّاصٍ.

﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ طلبَ زلّتَهم بأن سَوَّلَ لهم تركَ المركز، ومخالفةَ النبيِّ ﷺ.

﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾ بسبب بعضِ ذنوبٍ كانت منهم، ثم بعدَ توبيخهم لطفَ بهم وطَيَّبَ قلوبَهم فقال:

﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ لا يعجلُ على العُصاة؛ لأنه لا يخافُ الفوتَ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ

﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

[١٥٦] ثم حذَّرهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المنافقينَ عبدَ اللهِ بنَ أُبيٍّ وأصحابَهُ.

﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الاعتقادِ.

﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لتجارةٍ أو غيرِها.

﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ أي: غزاةً جمع غازٍ.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تتشبهوا بالكافرين بالنطق واعتقاد القول.

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القولَ والظنَّ منهم.

﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ في الدنيا.

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَعْمَلُونَ) بالغيب على أنه وعيد للكفار، والباقون: بالخطاب[١].

* * *

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٧)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٧٩).

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[١٥٧] ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ في العاقبة.

﴿ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ من الغنائم. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (يَجْمَعُونَ) بالغيب؛ يعني: خير مما يجمعُ الناس، وقرأ الباقون: بالخطاب[١]؛ لقوله: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ ﴾.

* * *

﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

[١٥٨] ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ في العاقبة، فيجازيكم. قرأ نافعٌ وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (مِتُّمْ) و(مِتْنَا) و(مِتُّ) حيثُ وقعَ بكسر الميم، وافقهم في غير هذه السورة حفصٌ، وقرأ الباقون: بالضم، فمن قرأ بالضم من مات يموت، وبالكسر من مات يمات[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٠).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٣)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٨)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦١-٣٦٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٠).

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

[١٥٩] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ أي: فبرحمة.

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ و(ما) صلة؛ كقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

﴿ لِنتَ لَهُمْ ﴾ سَهَّلْتَ أخلاقَك حينَ خالفوك.

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ جافِياً.

﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ﴾ قاسِيَهُ.

﴿ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لنفروا وتفرَّقوا عنك.

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ تجاوزْ عن فِعلهم بأُحُدٍ.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ اشفعْ حتى أُشَفِّعَكَ.

﴿ وَشَاوِرْهُمْ ﴾ تطييباً لقلوبهم.

﴿ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أي: أمرِ الحربِ؛ أي: خذْ ما عندَهم من الرأي فيما عرضَ لك فيما ليس عندكَ فيه وحيٌ.

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ على فعلٍ بعدَ المشاورةِ، والعزمُ: هو عقدُ المرءِ على شيءٍ يريدُ كونَهُ.

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ لا على مشاورتهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فينصرهم.

* * *

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾.

[١٦٠] ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ يُعِنْكُم كيومِ بدرٍ.

﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ ﴾ كيومِ أُحد، والخِذلانُ: القعودُ عن النصرةِ.

﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾ بعدَ خذلانه.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ وحده.

﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فليخصُّوه بالتوكُّل.

عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ توَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَروحُ[١] بِطَاناً»[٢].

* * *

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾.

[١٦١] ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ ﴾ أي: يخونَ. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يُغَلَّ) بضم الياء

---

(١) في «ن»: «وتعود».

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، كتاب الزهد، باب: التوكل واليقين، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠).

وفتح الغين[1]؛ يعني: يُخانَ. نزلتْ في قَسْم الغنيمةِ أو سترِ شيءٍ منها.

رويَ عن عمرِو بنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّهِ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ، وأبا بكرٍ، وعمرَ رضي الله عنهما حرقوا متاعَ الغالِّ، وضربوه[2]، واستدل الإمامُ أحمدُ بذلكَ، فقال في الغالِّ، وهو الذي يكتمُ ما أخذَهُ من الغنيمة، فلا يَطَّلِعُ الإمامُ عليه، ولا يضعُه مع الغنيمة: يجبُ حرقُ رَحْلِه كلِّه، إلا السلاحَ والمصحفَ والحيوانَ ونفقتَه، ويُعَزَّرُ، ويؤخذ ما غَلَّ للمغنم، ولا يُحْرَمُ سهمَه من الغنيمةِ، وخالفه الثلاثة في ذلك، وقالوا: يعزَّرُ فقط، ولا يُحرم سهمَه.

﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ أي: بإثمه.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لأنه عادل.

* * *

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٦٢)﴾.

[١٦٢] ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ قرأ أبو بكرٍ: (رُضْوَانَ) بضم

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٧٩-١٨٠)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٣-٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨١).

(٢) رواه أبو داود (٢٧١٥)، كتاب: الجهاد، باب: في عقوبة الغال، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٩١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٠٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

الراء[1]، والآية توقيفٌ على تَبايُن المنزلتينِ، وافتراقِ الحالتينِ.

﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ متحملاً له.

﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

* * *

﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾.

[١٦٣] ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: هم ذوو درجات.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ المعنى: المثابون والمعاقَبون متفاوتون في المنازلِ والجزاءِ يومَ القيامة.

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم.

* * *

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾.

[١٦٤] ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ عربياً مثلَهم؛ ليفهموا عنه، وليَشْرُفوا به.

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ ظاهر.

* * *

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان، في تفسير الآية الثانية من سورة المائدة.

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾.

[١٦٥] ثم أدخلَ همزةَ الاستفهام على الواو العاطفةِ الجملةَ بعدَها على محذوف، فقال: ﴿ أَوَلَمَّآ ﴾ وتقديره: أفعلتم كذا، وقلتم حين ﴿ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ ﴾ بأُحد بقتل سبعينَ منكم.

﴿ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ ببدرٍ بقتلِ سبعينَ وأسرِ سبعينَ منهم.

﴿ قُلۡتُمۡ ﴾ تعجُّباً.

﴿ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ ﴾ أي: كيف خُذلنا ونحن مؤمنون.

﴿ قُلۡ هُوَ ﴾ أي: الخذلانُ.

﴿ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ لمخالفتكم النبيَّ ﷺ، وترِك المركز.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ من النصرِ ومنعِه.

* * *

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾.

[١٦٦] ﴿ وَمَآ ﴾ مبتدأ؛ أي: والذي.

﴿ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ ﴾ بأُحدٍ، خبرُه ﴿ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ أي: بعلمِه.

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ ﴾ المعنى: إن ما أصابهم كان بعلمِ الله، وليُظْهِرَ إيمانَ المؤمنين بثبوتهم على ما أصابهم، وليظهرَ نفاقَ المنافقين بقلَّة صبرهم.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ أي: الذين نافقوا، وهم عبدُ الله بنُ أُبيٍّ وحلفاؤه حين انخزلوا عن أُحد.

﴿ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أعداءَهُ.

﴿ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ ﴾ عن حرمِكم وأهليكم إنْ لم يكن للهِ.

﴿ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ ﴾ فأظهر تعالى كذبهم بقوله:

﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ ﴾ لأنهم قبل ذلك لم يظهرْ منهم ما يدلُّ على كفرهم، فلما انخزلوا، ظهر.

﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۗ ﴾ يُضمرون خلافَ ما يُظهِرون من كلمةِ الإيمان.

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (أَعْلَمْ بِمَا) بإسكان الميم عندَ الباء، وتقدم ذِكْرُ ذلك.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ﴾ يعني: ابنَ أُبيٍّ وأصحابَهُ قالوا ﴿ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ في النسبِ، لا في الدين، وهم شهداءُ أُحد.

﴿وَقَعَدُواْ﴾ أي: وقد قعدوا عن القتال.

﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ وانصرفوا عن محمد.

﴿مَاقُتِلُواْۗ﴾ قرأ هشام: (قُتِّلُوا) بتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَٱدْرَءُواْ﴾ فادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ برأيكم وحِيَلِكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن الحذرَ يُنجي من القدر.

* * *

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

[١٦٩] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ﴾ نزلتْ في شهداءِ بدرٍ، وقيل: في شهداءِ أُحدٍ: حمزةَ وأصحابِهِ. قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ بخلافٍ عنه (يَحْسَبَنَّ) بالغيب وفتح السين؛ أي: لا يحسبن النبي، وقرأ الباقون: بالخطابِ وكسر السينِ[2]، والمراد به النبيُّ ﷺ، وقرأ ابن عامر(قتلوا) بتشديد التاء[3].

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٢٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٤٧)، و«التيسير» =

﴿ بَلْ ﴾ هم.

﴿ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ من الجنة، وعنه ﷺ: «أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ كَطَيْرٍ خُضْرٍ أَوْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ أَيْنَ شَاءَتْ»(١).

***

﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

[١٧٠] ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ من الشهادة والكرامة والفضيلة على غيرهم؛ لأنهم أحياءٌ مقرَّبون.

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ إخوانِهم الذين بَقُوا بعدَهم ولم يُقْتلوا.

﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ المعنى: يفرحون يومَ القيامةِ بسلامةِ إخوانهم الذين بَقُوا بعدَهم حيثُ وصلوا إليهم آمنين.

***

﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾.

= للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(١) رواه الترمذي (٣٠١١)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة آل عمران، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٠١)، كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

[١٧١] ثم كرَّرَ تأكيداً ﴿ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ قرأ الكسائي: (وَإِنَّ اللهَ) بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ الباقون: بالفتح عطفاً على ﴿ بِنِعْمَةٍ ﴾[١] أي: يستبشرون بنعمة، وبأن الله ﴿ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال ﷺ: «لا يَجِدُ الشَّهِيدُ أَلَمَ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الْقَرْصَةِ»[٢].

***

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

[١٧٢] ولما انصرفَ أبو سفيانَ نحو مكةَ بأصحابه، ندموا حيث لم يَسْتأصلوا النبيَّ ﷺ وأصحابَه، فأرادوا العودةَ لذلك، فأحبَّ النبي ﷺ أن يُرِيَ من نفسه جَلَداً وقوةً، فانتدبَ أصحابَه الذين كانوا معه في القتال للخروج في طلب أبي سفيانَ، فخرج ﷺ بمَنْ معه حتى بلغ حمراءَ الأُسْدِ على ثمانيةِ أميالٍ من المدينة، فَجَبُنَ أبو سفيان عن العودِ، فقال لِنُعَيْمِ بنِ مسعودٍ الأشجعيِّ، أو لركبٍ مَرَّ به: إذا رأيتم محمداً وأصحابَه، فأخبروهم

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٩)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٤-٣٦٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٣).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٢٤٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٦٤)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

أنا قد أجمعنا على الكرة عليهم، فأخبروهم فقالوا:

﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فنزل:

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] أي: أجابوهما.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ أي: نالهم الجرحُ. وتقدم اختلافُ القرّاء في فتح القاف وضمِّها.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ بطاعتِهم للهِ ورسوله.

﴿مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ المعاصيَ.

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ و(من) في ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾ للتبيين، مثلها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩]؛ لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلُّهم واتقوا، لا بعضُهم.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

[١٧٣] ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ نُعيمٌ الأشجعيُّ، أو الرَّكْبُ:

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبا سفيانَ وأصحابَه.

﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ ليستأصِلوكم.

﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ﴾ القولُ ﴿إِيمَٰنًا﴾ يقيناً وقوةً؛ بأن أخلصوا النيةَ، وعزموا على الجهاد.

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافِينا.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ١٧٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٣).

﴿ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ أي: الموكولُ إليه.

* * *

﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[١٧٤] وروي أن أبا سفيان كان واعدَ النبيَّ ﷺ أن يلقاهُ ببدرٍ الصغرى، وكانت موضعَ سوقٍ لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كلِّ عام ثمانيةَ أيام، فلما كان العامُ القابل، جَبُنَ أبو سفيانَ عن الذهاب إلى بدرٍ، وذهب ﷺ بأصحابه، ومعهم تجاراتٌ، فكسبوا في[١] تجاراتهم، ولم يلقوا عدواً.

﴿ فَٱنقَلَبُواْ﴾ أي: رجعوا من بدر[٢].

﴿ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ بسلامةٍ وربحٍ.

﴿ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ شيء يسوؤهم.

﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ طاعةَ الله ورسولِه.

﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ أعطاهم ثوابَ الغزوِ، ورضيَ عنهم.

* * *

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

[١٧٥] ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي: القائلُ لكم:

---

(١) «في» ساقطة من «ن».

(٢) «من بدر» ساقطة من «ن».

﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ ترهيباً، فـ(ذلكم) مبتدأ، خبرُه:

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوِّفُكم بأوليائه.

﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾ أي: الشيطانَ وأولياءه.

﴿ وَخَافُونِ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (وَخَافُونِي) بإثباتِ الياء حالةَ الوصل، ويعقوبُ يُثْبِتُها في الحالين[1].

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ أي: مصدِّقين؛ لأن الإيمانَ يقتضي أن يقدِّمَ خوفُ الله على غيره.

* * *

﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

[١٧٦] ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ﴾ قرأ نافعٌ: بضم الياء وكسر الزاي من (أَحزنه) في جميع القرآن، إلا قولَه في الأنبياء: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الآية: ١٠٣]، وأبو جعفرٍ ضده، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي من حَزَنه يَحْزُنه[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٦).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩١-٩٢)، و«النشر في القراءات =

﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ ﴾ يقعون فيه سريعاً بمظاهرة المشركين، والمراد: كفارُ قريش. المعنى: لا تحزنْ لخوفٍ يلحقُكَ بسببِ المظاهَرةِ عليك.

﴿ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: دينَه.

﴿ شَيۡـٔٗاۗ ﴾ بمسارعتهم إلى الكفر.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا ﴾ نصيباً.

﴿ فِي ﴾ ثواب.

﴿ ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ فلذلك خذلهم، وجعلَ وبالَ كفرِهم راجعاً عليهم.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ مع الحرمان من الثواب.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٧ ﴾.

[١٧٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ﴾ استبدَلُوا.

﴿ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ وإنما يضرُّون أنفسهم.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ تكريرٌ للتأكيد.

* * *

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٦).

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

[١٧٨] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ قرأ حمزةُ هذا والذي بعده: بالخطاب وفتح السين، وقرأ الباقون: بالغيب وكسر السين، فمن قرأ بالغيب تقديرُه: ولا يحسبَنَّ الكفَّارُ، ومن قرأ الخطاب؛ يعني: ولا تحسبنَّ يا محمد[١].

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ أي: نُمهلُهم ونُخلِّيهم مع إرادتهم.

﴿ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ ﴾ والإملاءُ: الإمهالُ والتأخير.

﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ ﴾ نمهلُهم.

﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ نزلت في مشركي مكة.

قال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ»[٢].

* * *

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٧٩)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٣٠)، كتاب: الزهد، باب: (٢٢)، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٢٥٦)، عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾.

[١٧٩] ولما قال المشركون: يا محمد! تزعُم أن مَنْ خالفك فهو في النار، واللهُ عليه غضبان، وأن من اتبعك على دينك فهو في الجنة، واللهُ عنه راضٍ، فأخبرنا بمن يؤمنُ بكَ ومن[1] لا يؤمن بك[2]، أنزل الله:

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾[3] أيها المشركون من الكفر والنفاقِ.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ أي: يبينَ المنافقَ من الطيب؛ أي: المؤمِن، فبان المنافقُ يوم أَحُدُ بتخلُّفهم عن الغزو. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يُمَيِّزَ) بضم الياء الأولى وتشديد الثانية للمبالغة؛ من مَيَّزَ يُمَيِّزُ، **وقرأ** الباقون: بالفتح والتخفيف؛ من مازَ يَميزُ، وهما لغتان[4]، وأصل المَيْزِ: الفصلُ بينَ المتشابهات.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ لأنه لا يعلم الغيبَ أحدٌ غيرُه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾ فيُطْلِعهُ على ما يشاء من غيبِهِ.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ بأن تصدِّقوهم.

---

(١) في «ت»: «وبمن».

(٢) «بك» ساقطة من «ن».

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٣).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٠)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٨).

﴿ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يُقدر[1] قدرُه.

* * *

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

[١٨٠] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ ﴾ يعني: البخلَ.

﴿ خَيْرًا لَّهُم ﴾ والقراءة بالخطاب للنبيِّ ﷺ؛ أي: لا تحسبنَّ يا محمدُ بخلَ الذين يبخلون هو خيراً.

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ يعني: البخلَ.

﴿ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾ أي: المال الذي منعوا زكاته؛ بأن يجعل حَيَّةً تُطَوَّقُ في عنق مانعها.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ تنهشُه من قَرْنه إلى قدمِه.

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لأنه الدائمُ الباقي بعدَ فناءِ خلقه وزوالِ أملاكهم، فيموتون ويرثُهم.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ فيجازيهم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (يَعْمَلُونَ) بالغيب، وقرأ الباقونَ: بالخطابِ على الالتفات[2]، وهو أبلغ في الوعيد.

---

(١) في جميع النسخ «يقادر» والمثبت هو الصواب.

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٠)، =

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾.

[١٨١] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ نزلت لما قال اليهود عند سماعهم ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]: إِنَّ اللهَ فقيرٌ يستقرضُ مِنَّا، ونحن أغنياءُ، والذي قالَ هذهِ المقالةَ من اليهود فنْحاصُ بنُ عازوراءَ. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبوجعفرٍ، وقالونُ عن نافعٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (لَقَدْ سَمِعَ) بإظهار الدال عند السين، والباقون: بالإدغام(١).

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ من الكذبِ في اللوحِ المحفوظِ، فيجازيهم عليه.

﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: النار وهو معنى المُحرِق. **قرأ** حمزةُ: (سَيُكْتَبُ) بالياء وضمِّها وفتح التاء، (وَقَتْلُهُمْ): برفع اللام، (ويَقُولُ): بالياء، **وقرأ** الباقون: (سَنَكْتُبُ) بالنون وفتحها وضم التاء، (وَقَتْلَهُمْ): بالنصب، (ونَقُولُ): بالنون(٢).

= و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٩).

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٢)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٤)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٩)، =

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢ ﴾.

[١٨٢] فإذا أُلقوا في النار، يقال لهم: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النازلُ بكم من العذاب.

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ لأنه عادل لا يعاقب غير المسيء، ويثيب المحسنَ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾.

[١٨٣] ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ يعني: وسمعَ اللهُ قولَ الذين قالوا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ﴾ أمرَنا في كتبِنا.

﴿أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ﴾ أي: لا نصدق رسولاً يزعُم أنه جاء من عند الله.

﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ فيكونَ دليلاً على صدقه، والقربانُ كلُّ ما يتقرَّبُ به إلى الله، وكان إذا قُرِّبَ قربانٌ إن قُبِلَ، جاءت نارٌ بيضاءُ فأحرقته، وإن لم يُقبل، بقيَ مكانه، وسبب نزولها أن كعبَ بنَ الأشرفِ وأصحابَه أتوا النبيَّ ﷺ، فقالوا: يا محمدُ! تزعم أن الله بعثك إلينا رسولاً،

= و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٩ـ٩٠).

وأنزل عليك كتاباً، وإن الله قد عهدَ إلينا في التوراة ألاَّ نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكلُه النار، فإن جِئْتَنا به، صَدَّقناك، فأنزل الله الآية[1].

قال السُّدِّيُّ: قيل لبني إسرائيل: من جاءكم يزعمُ أنه نبيٌّ، فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكُله النار، إلا محمداً وعيسى، فإذا أتيا، فآمنوا بهما؛ فإنهما لا يأتيان بقربان، قال الله تعالى إقامةً للحجة عليهم:

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ﴾ يا معشرَ اليهود.

﴿رُسُلٌ مِّن قَبْلِي﴾ كيحيى وزكريا.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ فقتلتموهم.

﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ أي: قتلهم أسلافكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؟ معناه: تكذيبُهم مع علمِهم بصدقك؛ كقتل آبائهم الأنبياءَ مع إتيانهم بالقربان[2].

***

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾.

[١٨٤] ثم قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: الصحف، جمعُ زبور؛ كرسول.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٨٣١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٤).

(٢) في «ن»: «القربان». وانظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٥٨)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٠٩).

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ الواضحِ. قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ) بزيادة (باء)[1] بعد الواو فيهما، ووافقه ابنُ ذكوان في (وبالزبر)[2]. المعنى: إن كذبوك، فقد كذبوا الأنبياء قبلك مع قيامِ المعجز، وهذا تسليةٌ له ﷺ.

* * *

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾.

[١٨٥] ثم بَشَّرَ المؤمنين، وحذَّرَ الكافرين بقولِه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ المعنى: إن النفوس تزهقُ بملابسةِ أيسرِ جزءٍ من الموت.

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ أي: جزاء أعمالكم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ إنْ خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌّ.

﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أُبْعِدَ.

﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾ ظَفِرَ بالنجاةِ، وأصلُ الفوزِ: الظَّفَرُ

---

(١) في «ت»: «ما».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٢).

بالخير معَ حصول السلامة. **قرأ** أبو عمرٍو (وَزُحْزِح عَّنِ) بإدغام الحاء في العين، ولم يدغمها فيها في غير ذلك[1].

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الباطل. المعنى: الانتفاعُ بالدنيا يسيرٌ، ثم يزولُ عن قريب.

***

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾.

[١٨٦] ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ ﴾ لَتُخْتَبَرُنَّ و(اللام) للتأكيد، وفيه معنى القسم، و(النونُ) لتوكيد القسم.

﴿ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالجوائحِ.

﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالموتِ والقتلِ ومفارقةِ الأهل.

﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهودِ والنصارى.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ مشركي العرب.

﴿أَذًى كَثِيرًا ﴾ طعناً في دينِكم، وسبّاً كسبِّ ابنِ الأشرفِ لكم ولنبيِّكم، وتشبيبهِ بنسائكم.

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبرَ والتقوى.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٢).

﴿ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي: من خيرِ الأمور التي يُعْزَمُ عليها، ويُبالَغُ في طلبها، والعزمُ: قَصْدُ الإمضاءِ.

* * *

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

[١٨٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي: واذكر إذ ﴿ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصم: بالغيب فيهما؛ لقوله:

﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: طرحوه وضيعوه، **وقرأ** الباقون: بالخطاب؛ أي: وقلنا لهم (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ)(١).

﴿ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ ﴾ من حطامِ الدنيا.

﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ يختارون لأنفسهم. قال قتادةُ: هذا ميثاقٌ أخذَهُ الله تعالى على أهل العلم، من عَلِمَ شيئاً، فَلْيُعَلِّمْهُ، وإياكم وكتمَ العلم، قال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلجَامٍ مِنْ نَارٍ»(٢).

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٤)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٥)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٩٣ـ٩٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٥٨)، كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم، والترمذي =

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

[١٨٨] ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ ﴾ أي: بما فعلوا. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامر: بالغيب؛ أي: لا يحسبنَّ الفارحونَ فرحَهم مُنْجياً لهم من العذاب، وقرأ الكوفيون، ويعقوبُ: بالخطاب؛ أي: لا تحسبَنَّ يا محمدُ الفارحين[١].

﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾ نزلَتْ في المنافقين الذين كانوا إذا خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الغزو، تخلَّفوا عنه، فإذا رجعَ، حلفوا له، واعتذروا إليه، وأحبُّوا أن يُحْمَدوا بما[٢] لم يَفْعلوا[٣].

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بالغيبِ وضمِّ الباءِ [خبراً عن

= (٢٦٤٩)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في كتمان العلم، وقال: حسن، وابن ماجه (٢٦٦)، في المقدمة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٦ـ١١٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٦٧ـ٣٦٨)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢/ ٩٤).

(٢) في «ت»: «لما».

(٣) رواه البخاري (٤٢٩١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾، ومسلم (٢٧٧٧)، في أول كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

الفارحين؛ أي: فلا يحسبُنَّ أنفسَهم، وقرأ الباقون: بالخطاب وفتح الباء،][1] أي: فلا تحسبَّنهم يا محمدُ[2].

﴿بِمَفَازَةٍ﴾ أي: بِمَنْجاة.

﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكفرِهم وتدليسهم.

***

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾.

[١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدِرُ على عقابهم.

***

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾.

[١٩٠] ثم أومأ الله تعالى إلى الاعتبار بعجيبِ الصنعِ وكمالِ القدرةِ وتنزيهِ الخالق بما رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ إذا قامَ من الليل بعدَ[3] أن يتسوَّكَ ثم ينظرَ إلى السماء: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٥).

(٣) «بعد» سقط من «ن».

﴿وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ﴾[1] لدلالات على القدرة العظيمة.

﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ذوي العقول.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

[١٩١] ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ أي: مضطجعين. تلخيصُه: يدُيمون ذكرَهُ؛ لأن الإنسانَ غالباً يكونُ على هذه الأحوال.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يذكرونه متفكِّرين.

﴿فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وما فيهما من العجائب؛ استدلالاً على القدرةِ العظيمةِ والحكمةِ الباهرةِ، والفكرةُ تُذهب الغفلةَ، وتُحدث للقلبِ الخشيةَ، ويقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا﴾ أي: الخلقَ ﴿بَٰطِلًا﴾ أي: عبثاً.

﴿سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ **قرأ** أبو عمرٍو: (النَّارِ) بالإمالة، ويدغمُ الراءَ في الراء التي بعدها.

* * *

(١) رواه البخاري (٥٩٥٧)، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه من الليل، ومسلم (٧٦٣)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ ﴾ .

[١٩٢] ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ ﴾ دخولَ تخليدٍ .

﴿ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ ﴾ أهنْتَهُ وفضَحْتَهُ .

﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ تخلِّصُهم منها .

* * *

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ ﴾ .

[١٩٣] ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا ﴾ أي : محمداً ﷺ .

﴿ يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ لأنه لا شيءَ أعظمُ من النداءِ للإيمان .

﴿ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ اقبضْ نفوسَنا واحشُرْنا في جملةِ النبيين والصالحين . قرأ أبو عمرٍو ، والكسائيُّ ، وخلفٌ : (الأَبْرَارِ) بالإمالة ، ورواه ورشٌ من طريق الأزرق بينَ بينَ ، واختُلِفَ فيه عن حمزةَ ، وابنِ ذكوانَ[١] .

* * *

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ ﴾ .

[١٩٤] ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا ﴾ دعاء بمعنى الخبر . تلخيصُه : اغفر لنا جميعَ ذنوبنا لتؤتينا ما وعدتنا .

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ١٨٧) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ١٨٤) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٦) .

﴿عَلَىٰ﴾ ألسنةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ من الفضلِ والرحمةِ.

﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ ولا تُهِنَّا.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ بإثابةِ المؤمنِ، وإجابةِ الداعي، وتكريرُ ﴿رَبَّنَآ﴾ مبالغةٌ في التضرُّعِ والابتهال، ومؤذِنٌ بالإجابة.

وعن جعفرٍ الصادقِ: «مَنْ حَزَبَهُ أَمْرٌ فقالَ: رَبَّنا خمسَ مَرَّاتٍ، أنجاهُ اللهُ مما يخافُ، وأعطاه ما أراد، وقرأ هذهِ الآياتِ»(١).

***

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾.

[١٩٥] ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى﴾ أي: بأني ﴿لَآ أُضِيعُ﴾ لا أُهْمِلَ.

﴿عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ أيُّها المؤمنونَ.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ قالتْ أمُّ سَلَمَةَ: «يا رسولَ اللهِ! إني أسمعُ اللهَ يذكرُ الرجالَ في الهجرةِ، ولا يذكرُ النساءَ»، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ(٢).

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ في النُّصرةِ والموالاةِ.

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (١/ ٤٤٥): لم أقف عليه.

(٢) رواه الترمذي (٣٠٢٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النساء، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٢١٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٩٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٧٤).

﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي ﴾ أي: ديني وطاعتي، والمرادُ: المهاجرون؛ لأنهم أُوذوا في الله، وأُخرجوا من مكة.

﴿ وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾ أي: قاتلوا العدوَّ، ثم قُتلوا. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: (وَقُتِّلُوا) بالتشديد؛ أي: قُطِّعوا في المعركة، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ بتقديم (قُتِلُوا)؛ أي: قُتِلَ بعضُهم، وقاتلَ مَنْ بقي، وقرأ الباقونَ بالوجه الذي تقدَّم تفسيرُه أولاً[1].

﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: لأثيبنَّهُمْ ثواباً.

﴿ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ على الطاعة.

* * *

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ ﴾.

[١٩٦] ولما قال بعض المؤمنين: إن أعداءَ الله في التجاراتِ والخيرِ، ونحن في الشدةِ، نزلَ خطاباً للنبي ﷺ، والمرادُ غيرُه: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ ﴾ قرأ رسٌ عن يعقوبَ: بتخفيف النون[2].

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٧ـ١٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٢ـ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٩).

﴿ تَقَلُّبُ﴾ أي: تنقُّلُ.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ بالتجاراتِ ووجوهِ المكاسبِ.

***

﴿ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾.

[١٩٧] ﴿ مَتَـٰعٌ﴾ أي: فتقلُّبهم متاعٌ ﴿ قَلِيلٌ﴾ وبُلْغَةٌ يسيرةٌ في الدنيا.

﴿ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ﴾ مصيرُهم.

﴿ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفِراشُ.

***

﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾.

[١٩٨] ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (لَكِنَّ) بتشديد النون، والباقون: بتخفيفها(١).

﴿ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾ جزاءً وثواباً.

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ من متاعِ الدنيا.

***

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٧)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٣٩)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٩٩).

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

[١٩٩] ونزل في مؤمني أهل الكتاب؛ كعبدِ الله بنِ سلامٍ: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: القرآن.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: التوراة.

﴿ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ أي: متواضعينَ له.

﴿ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ المكتوبةِ في التوراةِ من نعتِ النبي ﷺ.

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ ﴾ من حُطامِ الدنيا خوفاً على الرئاسة كغيرهم من اليهود.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ لا يحتاجُ إلى كَتْبِ يدٍ ولا وَعْيِ صَدْرٍ.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

[٢٠٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ ﴾ على دينكم فلا تتركوه لشدةٍ ولا رَخاءٍ.

﴿ وَصَابِرُوا۟ ﴾ غالِبوا الكفارَ بالصبرِ.

﴿ وَرَابِطُوا۟ ﴾ اثبتوا في الثغور رابطينَ خيولَكُم، وأصلُ الرَّبْطِ: الشَّدُّ، ويستعملُ لكلِّ مقيمٍ في ثغرٍ يدفَع عَمَّنْ وراءه، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ خَيْلٌ.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ترَجٍّ في حقِّ البشر، قال ﷺ:

«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»[1]، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٥)، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، ومسلم (١٨٨١)، كتاب: الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ، وهذا لفظ البخاري.

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنيةٌ، وآيُها[1] مئةٌ وسبعون وست آيات، وحروفها ستةَ عَشَرَ ألفاً، وثلاثون حرفاً، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ وتسعُ مئةٍ وخمسٌ وأربعونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾.

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطابٌ لجميعِ بني آدم (يا) حرفُ نداء و(أَيُّ) منادى مفردٌ، و(ها) تنبيهٌ، و(الناسُ) نعتٌ لأيُّ، والناسُ والمؤمنون ونحوُهما تعمُّ العبيدَ عندَ أحمدَ وأصحابِه وأكثرِ أتباع الأئمة.

﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ والربُّ: المالكُ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: آدمَ. قرأ أبو عمرو: (خَلَقكُّمْ) بإدغام القاف في الكاف، ولم يدغم من المتقاربين في كلمة إلا القاف في الكاف التي تكون في ضمير الجمع المذكَّرينَ إذا تحركَ ما قبلَ القافِ لا غيرُ،

---

(١) في «ت»: «وآياتها».

وذلك نحو قوله: (خَلَقكُّمْ) و(رَزَقكُّمْ) و(وَاثَقكُّم) وشبهِه، وأظهرَ ما عداه مما قبلَ القاف فيه ساكنٌ، ومما ليس بعد الكاف فيه ميمٌ؛ نحو قولِه تعالى: (مِيثَاقَكُمْ) و(بِوَرِقِكُمْ) و(خَلَقَكَ) و(نَرْزُقُكَ) وشبهِه[1].

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: وخلق منهُ أمكم حَوَّاءَ من ضِلَعٍ من أضلاعِه اليسرى.

﴿وَبَثَّ﴾ نشرَ وأظهرَ.

﴿مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ أي: نشرَ من تلكَ النفسِ والزوجِ المخلوقةِ منها بنينَ وبناتٍ كثيرةً[2].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: تتساءلون: تقسمون. قرأ عاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وخَلَفٌ: (تَسْأَلُونَ) بتخفيف السين على حذف إحدى التاءين.

﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ القرابات، **قراءةُ** العامة: بالنصب؛ أي: واتقوا الأرحامَ أَنْ تقطعوها، **وقرأ** حمزةُ: بالخفض، أي: به وبالأرحامِ، والأولى أفصحُ[3].

---

(١) انظر قراءة أبي عمرو في: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٣).

(٢) من قوله: «لا يفلح قوم شجوا...» (ص: ٢٣) من هذا الجزء، إلى هنا ساقط من «ش»، بمقدار عشر لوحات من النسخ الخطية الأخرى.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٨٩-٣٩٠)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٨٨)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٦)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، =

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ حفيظاً مطلعاً.

* * *

﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾﴾.

[٢] ونزل في رجل من غَطَفانَ كان معه مالٌ كثيرٌ لابنِ أخٍ له يتيمٍ، فلما بلغَ، طلبَ المالَ، فمنعَه عمُّهُ.

﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾[١] سلِّموها إليهم إذا بلَغوا، واليتامى: جمعُ يتيمٍ، وهو الذي مات أبوه؛ من اليتمِ، وهو الانفراد.

﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾ أي: الحرام.

﴿ بِٱلطَّيِّبِۖ﴾ بالحلالِ؛ لأنهم كانوا يأخذون الجيدَ من مالِ اليتيم، وهو خبيثٌ في حَقِّهم، ويضعون مكانه الرديءَ من أموالهم، وهو طَيِّبٌ لهم.

﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ﴾ أي: معها.

﴿ إِنَّهُۥ﴾ أي: الأكلَ.

﴿ كَانَ حُوبٗا﴾ إثماً.

﴿ كَبِيرٗا﴾ فلما سمعَها العمُّ، قال: «أَطَعْنا اللهَ وأطعْنا الرسولَ، نعوذُ بالله من الحُوبِ الكبير»، فدفع إليه ماله.

* * *

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٣).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٧٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧١).

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣) ﴾.

[٣] ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ يا أولياءَ اليتامى.

﴿ أَلَّا تُقْسِطُوا ﴾ أي: لا تَعْدِلوا.

﴿ فِي الْيَتَامَى ﴾ إذا نكحتموهُنَّ.

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم ﴾ أي: ما حلَّ لكم غيرَهُنَّ. قرأ حمزةُ (طَابَ) بالإمالةِ(١).

﴿ مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ الغرائبِ.

﴿ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ أي: تزوَّجوا إن شئتُم مَثْنى، وإن شئتم ثُلاثَ، وإن شئتم رُباعَ، أنتم مُخَيَّرون في ذلك، وهذا إجماع أن أحداً من الأمة لا يجوزُ له أن يزيد على أربعِ نسوةٍ إذا كان حُرّاً، وأما العبدُ، فلا يجوز له أن يجمعَ بينَ أكثرَ من زوجتين عندَ الثلاثة، وقال مالكٌ: هو كالحرِّ في جواز جمعِ الأربعِ إليه، وكانت الزيادةُ على الأربع من خصائصِ النبيِّ ﷺ، لا يشاركه أحدٌ من الأمة فيه، روُي أن قيسَ بنَ الحارثِ كان تحتَه ثمان نسوة، فلما نزلت هذه الآيةُ، قال له رسول الله ﷺ: «طَلِّقْ أَرْبَعاً، وَأَمْسِكْ أَرْبَعاً»، قال:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ١٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٦).

فجعلتُ أقولُ للمرأة التي لم تلدْ مني: يا فلانة! أدبري، وللتي قد ولدت: يا فلانة! أقبلي[1].

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ بينَ هذه الأعداد.

﴿ فَوَاحِدَةً ﴾ أي: فانكحوا واحدةً. قرأ أبو جعفرٍ (فَوَاحِدَةٌ) بالرفع خبرُ مبتدأ؛ أي: فالمُقنع واحدةٌ، وقرأ الباقون: بالنصب على المعنى الأول[2].

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ من السراري؛ لأنه لا يلزمُ فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر.

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقربُ.

﴿ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ تَجُوروا.

* * *

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ ﴾ أي: مهورَهُنَّ، جمعُ صَدُقَةٍ.

﴿ نِحْلَةً ﴾ عطيَّةً عن طيبِ نفسٍ.

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ ﴾ أي: من المال؛ لأن الصدقاتِ مالٌ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير (١٨/ ٣٥٩)، والدارقطني في «سننه» (٣/ ٢٧١)، والبيهقي في «السنن الكبرى». (٧/ ١٨٣).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧٤)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٧).

﴿نَفۡسٗا﴾ نصبٌ تمييز؛ أي: إذا وهبْنَكُم شيئاً عن طيب نفس.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا﴾ طيباً.

﴿مَّرِيٓـٔٗا﴾ سائغاً لا يُنَغِّصُه شيء. قرأ أبو جعفرٍ (هَنِيّاً مَرِيّاً) بتشديد الياء منهما من غير همز، والباقون: بهمزهما[1].

* * *

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾ أي: المبذِّرين من الرجال والنساء والصبيان.

﴿أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ أي: قوامَ عيشكم. **قرأ** أبو عمرٍو، وقالونُ، والبزيُّ: (السُّفَهَا أَمْوَالَكُمْ) بإسقاطِ الهمزةِ الأولى بلا عِوَضٍ منها، ويَهْمزون الثانية، **وقرأ** ورشٌ، وقنبلٌ، وأبو جعفرٍ، ورُويسٌ: بتسهيل الثانية، فيجعلونها بين الهمزة والألف، ويفتحونها شبه مدة[2]، **وقرأ** الباقون، وهم عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ورَوْحٌ:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٧٥-٤٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٦)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٩٠) و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٠٩).

بتحقيق الهمزتين، واختلفوا في قوله: (قِياماً)، فقرأ نافعٌ وابنُ عامر: (قِيَماً) بغير ألف، والباقون: بالألف.

﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ ﴾ أي: أطعموهم واكسوهم منها لمن يجبُ عليكم رزقُه ومؤنتُه.

﴿ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ عِدَةً جميلةً تطيبُ بها نفوسُهم.

***

﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ونزل في ثابتِ بنِ رفاعةَ، وفي عمِّه، وذلك أن رفاعةَ تُوُفِّيَ وتركَ ابنَهُ ثابتاً وهو صغيرٌ، فجاء عمُّه إلى رسول الله ﷺ، وقال: إن ابن أخي يتيمٌ في حِجْري، فما يحلُّ لي من مالِهِ، وما أدفعُ إليه؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ﴾(١) أي: اختبروا.

﴿ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ في عقولهم وتصرُّفاتهم في أموالهم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ أي: صاروا أهلاً أن يَنْكِحوا أو يُنْكَحوا، ويحصلُ البلوغُ عندَ أبي حنيفةَ في حقِّ الغلامِ بالاحتلامِ والإحبالِ والإنزالِ إذا وطيء، أو إكمالِ ثماني عشرةَ سنةً، وفي حقِّ الجاريةِ بالحيضِ والاحتلامِ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٢٥٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٠).

والحبلِ، أو إكمالِ سبعَ عَشْرَةَ سنةً، وعندَ مالكٍ حَدُّ البلوغِ في حَقِّهما الاحتلامُ والإنباتُ والانتهاءُ من السنِّ إلى ما يُعلم بالعادة بلوغُ مَن انتهى إلى مثله، ولم يحدَّ مالكٌ فيه حداً، ويزيد الإناثُ بالحيضِ والحملِ، وعند الشافعيِّ وأحمدَ حَدُّه في حَقِّهما الاحتلامُ، أو إكمالُ خمسَ عشرةَ سنةً، وتزيدُ الجاريةُ بالحيضِ والحمل، وأما نباتُ الشعر، فعند الشافعيِّ يقتضي الحكمَ ببلوغِ الكافرِ دونَ المسلمِ، وعندَ أحمدَ يقتضي البلوغَ مطلقاً.

﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أي: أبصرتم.

﴿ مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ هدايةً إلى مصالحهم، والرشدُ: الصلاحُ في المال فقط عندَ الثلاثة، وعند الشافعيِّ إصلاحُ الدينِ والمال.

﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ من غير تأخير عن حدِّ البلوغ.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا﴾ أيها الأوصياء.

﴿ إِسْرَافًا﴾ بغير حَقٍّ.

﴿ وَبِدَارًا﴾ إسراعاً.

﴿ أَن يَكْبَرُوا﴾ أي: لا تبادروا بالتفريط في إنفاقها قبلَ أن يكبروا حَذَراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمُها إليهم، ثم بَيَّنَ حالَ الأوصياءِ فقال:

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: يطلبِ العفةَ من نفسِه، ويمتنعْ عن أكلها، والعِفَّةُ: الامتناع مما لا يَحِلُّ.

﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا﴾ محتاجاً إلى مال اليتيم، وهو يحفظُه.

﴿ فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يأخذْ قدرَ أجرته إذا عملَ.

﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ أمرُ إرشاد ليسَ بواجبٍ فيُشهدُ لتزولَ عنه التهمةُ.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ كافياً.

* * *

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧ ﴾.

[٧] وكانوا في الجاهلية لا يورِّثون النساءَ ولا الصبيانَ، فَتُوفي أوسُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ، وتركَ امرأتَه أُمَّ كُحَّةَ وثلاثَ بناتٍ، فأخذَ سُوَيْدُ وعَرْفَجَةُ ابنا عَمِّهِ ووصيَّاه جميعَ تركته، فنزل:

﴿ لِّلرِّجَالِ ﴾[١] أي: الذكرِ من أولادِ الميت.

﴿ نَصِيبٌ ﴾ حَظٌّ.

﴿ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ هم المتوارثون من ذوي القرابات دونَ غيرهم.

﴿ وَلِلنِّسَآءِ ﴾ أي: الوارثاتِ منهنَّ.

﴿ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ ﴾ أي: من المال.

﴿ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ حظاً مقطوعاً بوجوب تسليمِه إليهم.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨١).

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ﴾ يعني: قسمةَ الميراثِ.

﴿ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ للميتِ ممَّنْ لا يرثُ.

﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ أي: فارْضَخُوا لهم من المال قبلَ القسمةِ، وحكمُ هذهِ الآيةِ منسوخٌ.

﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ تقدَّم تفسيره قريباً.

* * *

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ثم حضَّ على الشَّفَقَةِ على الأيتام فقال:

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: بعدهم.

﴿ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا ﴾ أي: أولاداً صغاراً. قرأ حمزةُ: (ضِعَافاً) بالإمالة، بخلافٍ عن خلاد(١).

﴿ خَافُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ الفقرَ، أَمْرٌ للحاضرينَ المريضَ عندَ الإيصاء.

﴿ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ في أمرِهم الميتَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٧٤ـ٣٧٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١١).

﴿ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ عَدْلاً؛ بأن يأمروه بالتصدُّق بدونِ الثلث، ويترك الباقي لولده، ويَرْفُق باليتيم كما يرفُقُ بولده. تلخيصه: يفعلُ بالميتِ كما يحبُّ أن يُفْعلَ به لو كان هو الميتَ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ونزل في الأوصياء الذين يأكلون ما لم يُبَحْ لهم من مالِ اليتيم، وهي تتناولُ كلَّ أَكْلٍ من أولياءِ السوءِ وقُضاتِه، وإن لم يكنْ وَصِيّاً[١]:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ بغير حَقٍّ.

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ﴾ أي: ملءَ بطونهم.

﴿ نَارًا ﴾ ما يجرُّ إلى النار، ويؤُول إليها.

﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ: بضم الياء؛ أي: (يُدْخَلُونَ ناراً) مُسَعَّرَةً، وقرأ الباقون: بالفتح من صَلِيَ النارَ يَصْلاها: إذا حَلَّها وقاساها[٢].

---

(١) في «ن»: «ولياً».

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٨)، و«الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٩١)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٢).

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا (١١) ﴾ .

[١١] ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ أي: يأمرُكم، ويعهدُ إليكُم في شأن أولادكم إذا مِتُّمْ.

﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ إذا اجتمعَ مع الإناثِ بالاتفاق، وإلا فالذكرُ عصبةٌ منفرداً بالاتفاق، وفُضِّل الذكرُ على الأنثى في الميراث بجعلِ حظِّه مِثْلَي حَظِّ الأنثى؛ لأن الذكرَ في مَظِنَّةِ الحاجةِ أكثرَ من الأنثى، فإن كلَّ واحدٍ منهما في العادة يتزوَّجُ، ويكون له الولدُ، فالذكرُ يجبُ عليه نفقةُ امرأتِهِ وأولادِه، والمرأةُ يُنْفِقُ عليها زوجُها، ولا يلزمها نفقةُ أولادِها، وقد فضل الله الذكرَ على الأنثى في الميراثِ على وَفْقِ ذلك.

﴿ فَإِن كُنَّ ﴾ أي: المتروكاتُ.

﴿ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ أي: جماعةً.

﴿ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ ﴾ الميتُ بالاتفاق.

﴿ وَإِن كَانَتۡ ﴾ الوارثة.

﴿ وَٰحِدَةٗ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ (وَاحِدَةٌ) بالرفع على معنى: إن وقعتْ

واحدةٌ، وقرأ الباقون: بالنصب على خبر كان[1] ﴿فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ﴾ بالاتفاق.

﴿وَلِأَبَوَيۡهِ﴾ يعني: لأبوي الميت.

﴿لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾ أرادَ: أن الأبَ والأمَّ يكون لكلِّ واحدٍ سدسُ الميراثِ عندَ وجود الولد، أو ولدِ الابن، بالاتفاق، والأبُ يكونُ صاحبَ فرضٍ.

﴿فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾ من جميع الميراث، إلا أن يكون مع الأبوين زوجٌ أو زوجةٌ، فللأم ثلثُ ما يبقى بالاتفاق.

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ أي: اثنان فصاعداً، ذكوراً أو إناثاً.

﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ والباقي للأب إن كان معها أبٌ، فالإخوة لا ميراثَ لهم مع الأب، ولكنهم يحجُبون الأمَّ من الثلثِ إلى السدس، سواءٌ كانوا أشقاءَ، أو لأبٍ، أو لأمٍّ، بالاتفاق. قال قتادةُ: وإنما أخذهُ الأبُ دونَهم؛ لأنه يمونُهم، ويلي نكاحَهم والنفقةَ عليهم. قال ابنُ عطية: هذا في الأغلب[2]. وعن ابن عباسٍ: أن الإخوة يأخذون السدسَ الذي حجبوا الأمَّ عنه[3]. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (فَلِإِمِّهِ) بكسر الهمزة في الحرفين استثقالاً

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ١٩٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٧)، و«الحجة» لابن خالويه (ص: ١٢٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٣).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٧).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٨٩)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ٧٢).

للضمة بعدَ الكسرة، وقرأ الآخرون: بالضمِّ على الأصل(١).

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ﴾ الميتُ.

﴿أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يُوصَى) بفتح الصاد على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وكذلك الحرفُ الآتي، ووافق حفصٌ في الثاني، وقرأ الباقون: بكسر الصاد فيهما.

ثم حضَّ على تنفيذ وصايا الميت، وقضاء ديونه بقوله: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ﴾ الذين يرثونكم.

﴿لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ في الدِّينِ والدنيا والآخرة. المعنى: منكم من يَظُنَّ أن ابنَهُ أنفعُ له بأنْ يبادرَ إلى مصالحِهِ وقضاءِ ديونه، فيكونُ الأبُ أنفعَ، وبالعكس، وأنا العالمُ بمن أنفعُ لكم، وقد دبَّرْتُ أمرَكم على ما فيه المصلحةُ، فاتبعوه. ورُوي أنَّ الولدَ إن كانَ أرفعَ درجةً في الجنة، رُفع إليه والداه(٢)، وإن كان الوالدُ أرفَع درجةً، رُفع إليه ولدُه؛ لتقرَّ بذلك أعينُهم.

﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ أي: فرضَ الله الميراث فريضةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ أي: لم يَزَلْ.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٩٩ـ٤٠٠) و«الحجة»، لأبي زرعة (ص: ١٩٢ـ١٩٣)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٩ـ٣٨٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٤).

(٢) في «ن»: «والده».

﴿عَلِيمًا﴾ بأمور العباد.

﴿حَكِيمًا﴾ فيما قضى وقَدَّر، فلا يُقْسَمُ إرثٌ إلا بعدَ قضاءِ دَيْنِ الميتِ، وإخراجِ ما أوصى به، بالاتفاق.

***

﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم، أو من غيرِكم.

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ﴾ هذا في ميراثِ الأزواجِ.

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ﴾ هذا في ميراث الزوجات، للواحدةِ الربعُ أو الثمنُ، وإن كنَّ أكثرَ من واحدة، اشتركْنَ فيه، والحكم في ذلك كلِّه متفقٌ عليه.

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ ﴾ أي: الميتُ، وهو اسمُ (كان).

﴿ يُورَثُ ﴾ أي موروثٌ منه.

﴿ كَلَٰلَةً ﴾ خبرُها، والكلالةُ: مَنْ لا ولدَ لهُ ولا والدَ، فالأبُ والابنُ طرفان للرجل، فإذا ذهبا، تَكَلَّلَهُ النسبُ؛ لأنَّ الورثةَ من جميع الإخوة وغيرِهم يحيطونَ بالميت كالإكليل يحيطُ بالرأسِ من جميعِ جوانبِه، وأعلاه وأسفلُه خاليان.

﴿ أَوِ ٱمْرَأَةٌ ﴾ عطفٌ على (رجلٌ).

﴿ وَلَهُۥٓ ﴾ الضميرُ عائد على الرجل، واكتفى بإعادته عليه دون المرأة إذ المعنى فيهما واحدٌ، والحكمُ قد ضبطه العطفُ الأول.

﴿ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ أي: من الأم.

﴿ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ بالاتفاق.

﴿ فَإِن كَانُوٓاْ ﴾ أي: أولادُ الأم.

﴿ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ أي: من واحد.

﴿ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾ بالسوية، لا يزيدُ نصيبُ ذكرِهم على أنثاهم، بالاتفاق.

﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ﴾ أي: مُدْخِلٍ الضررَ على ورثته بمجاوزةِ الثلثِ، ونصب (غير) على الحال، وتقدَّم خلاف القراء في قولِه: (يوصي) في الحرفِ المتقدِّم[1].

﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ أي: يوصيكم الله وصيةً.

---

(١) في الآية رقم (١١) من هذه السورة.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ لا يعاجِلُ بعقوبته. قال قتادة: كرهَ اللهُ الضِّرارَ في الحياةِ وعندَ المماتِ، ونهى عنه[1].

* * *

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ تِلْكَ ﴾ أي: الفروضُ المذكورةُ.

﴿ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ شرائعهُ التي كالحدود المحدودة.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

* * *

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ بكفره.

﴿ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ جمعَ خالدين، وأفرد خالداً؛ نظراً إلى معنى (مَنْ) ولفظِها، ونصبَهُما على الحال. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (نُدْخِلْهُ) في الحرفين بالنون، والباقون: بالياء[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، =

﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم خاطب الحكام فقال: ﴿ وَٱلَّٰتِي ﴾ مبتدأ.

﴿ يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ أي: الزنا.

﴿ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ وخبرُ اللاتي:

﴿ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ ﴾ من المسلمين، وفيه بيانُ أن الزنا لا يثبتُ إلا بأربعةٍ من الشهودِ، بالاتفاق، فيسألُهم الحاكمُ عن ماهيته، وكيفيته، ومكانه، وزمانه، والمزنيِّ بها، فإن بينوه وقالوا: رأيناه وَطِئَها كالميلِ في المكحلةِ، وعُدِّلوا سرّاً وجهراً، حكم به بالاتفاق، ويُشترط عند أبي حنيفةَ ومالكٍ حضورُهم للشهادة مجتمعين غيرَ مفترقين، فإن افترقوا في الشهادة، كانوا قَذَفَةً.

قال أبو حنيفة: إلا أن يكونَ في مجلسٍ واحدٍ في ساعةٍ واحدةٍ. وعندَ الشافعيِّ: تصحُّ شهادتهم متفرقين؛ كما في سائر الحقوق؛ لإطلاق الآية. وعند أحمدَ: يشترط مجيئُهم في مجلس واحد، سواءٌ جاؤوا متفرقين، أو مجتمعين، فإن جاء بعضُهم بعدَ أن قام الحاكم، أو شهد ثلاثةٌ وامتنع الرابعُ، أو لم يكمِلْها، فهم قذفةٌ، وعليهم الحد.

﴿ فَإِن شَهِدُواْ ﴾ عليهنَّ بالزنا.

= و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١١٧).

﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ ﴾ أي: احبسوهن.

﴿ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ أي: ملائكةُ الموت[1].

﴿ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾ طريقاً في النكاح المغني عن السفاح، ثم نُسخ ذلك بنزول الحدِّ، وهو في حقِّ البِكْر جَلْدُ مئةٍ، وفي حَقِّ الثيِّبِ الجلدُ، والرجمُ، ثم نُسخ الجلدُ، وبقي الرجمُ، واختلف الأئمةُ في تغريبِ البكرِ الحرِّ بعدَ الجلد، فقال أبو حنيفة: لا يُغرَّبُ إلا أن يرى الإمامُ ذلك مصلحةً، فيغربُه على قدرِ ما يرى، وقال مالك: يُغَرَّبُ الرجلُ دونَ المرأة وتغريبهُ أن ينفَى سنةً إلى غيرِ بلده، فيُحْبس فيه، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُجمع في حق الزانيينِ البكرينِ بينَ الجلدِ والتغريبِ سنةً إلى مسافةِ قصرٍ، وتُغَرَّبُ المرأةُ مع مَحْرَمٍ، فإن امتنعَ، لم يُجبر.

وأما ثبوتُ الزنا بالإقرار، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ لا يثبتُ حتى يقرَّ أربعَ مراتٍ، فأبو حنيفة يشترطُ أن يكونَ الإقرارُ في أربعةِ مجالسَ، وأحمدُ لا يشترطُ المجالس، فلو أقرَّ أربعاً في مجلس واحد، أو مجالسَ، ثبتَ عليه، وعندَ مالكٍ والشافعيِّ يثبتُ بإقراره مرةً واحدة، وإذا أقرَّ بالزنا ثم رجعَ عنه، قُبِلَ رجوعُه، وسقطَ الحدُّ عندَ الثلاثة، وقال مالكٌ: إن رجعَ بشبهةٍ يُعْذَرُ بها؛ كقولِه: وطئتُ في نكاحٍ فاسدٍ ونحوِه، قُبِلَ وسقطَ عنه الحدُّ، وإن لم يرجعْ إلى شبهة، فعنه روايتان.

واختلفوا في اللوطيِّ، فقال أبو حنيفة: يُعَزَّرُ، ولا حدَّ عليه؛ خلافاً لصاحبيه، وقال مالكٌ: يجبُ على الفاعلِ والمفعولِ به الرجمُ، أحصنا أو لم يُحصنا، وعند الشافعيِّ وأحمدَ: حكمُه حكمُ الزاني على ما تقدَّم.

---

(١) في «ت»: «العذاب».

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَٱلَّذَانِ ﴾ أي: الرجلُ والمرأةُ. قرأ ابنُ كثيرٍ: (وَاللَّذَانِّ) و(اللَّذَيْنِّ) و(هَاذَانِّ) و(هَاذَيْنِّ): مشدَّدَةَ النونِ للتأكيد[١].

﴿ يَأۡتِيَٰنِهَا ﴾ أي: الفاحشةَ.

﴿ مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ عَيِّروهما باللسان. قال ابنُ عباسٍ: سُبُّوهُما، وقال: يُؤْذَى بالتعييرِ وضَرْبِ النِّعالِ[٢]، ذكر في الأولى الحبس، وهنا الإيذاء، قالوا: لأنَّ الأُولى في النساء، وهذه في الرجال.

﴿ فَإِن تَابَا ﴾ من الفاحشة.

﴿ وَأَصۡلَحَا ﴾ العملَ.

﴿ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ ﴾ لا تُؤْذوهما ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴾.

وهذا كلُّه قبلَ نزولِ الحدود، فَنُسِخَتْ بالجلدِ والرَّجْمِ، فالجلدُ في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ ﴾ [النور: ٢]، والرجمُ في السنةِ وردَ به الحديثُ الصحيحُ عن النبي ﷺ أنه قَضَى به، ويأتي الكلام على الجلد والرجم، وحكمُه، واختلافُ الأئمة فيه في أول سورة النور إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٨).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢١١).

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ ﴾ أي: قبولُ التوبةِ.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: من الله.

﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ أي: جاهلين سفهاً. قالوا: وأجمعتِ[١] الصحابة أن كلَّ ما عُصِيَ اللهُ تعالى به فهو جهالةٌ، عَمْداً كان أو سَهْواً، وكلُّ من عصى الله فهو جاهلٌ.

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أي: زمان قريب قبلَ مرضِ موته، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[٢].

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ ﴾ تأكيداً لقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ ﴾.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ يعلمُ إخلاصَ التائب، ولا يعاقبهُ.

* * *

﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾.

---

(١) في «ن»: «واجتمعت».

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٢٥٣)، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٢)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

[١٨] ثم فسرَ القريبَ بقوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المعاصيَ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: وقعَ في النَّزْعِ.

﴿قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ وهي حالةُ السوق؛ يعني: تُساقُ رُوحُه، لا يُقبلُ من كافر إيمانٌ، ولا من عاصٍ توبةٌ.

﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ سوَّى بينَ مُسَوِّفي التوبةِ إلى حضورِ الموت، وبينَ الكفار؛ تغليظاً.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيَّأْنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] كانوا في الجاهليةِ وفي أولِ الإسلام إذا ماتَ الرجلُ وله امرأةٌ، جاء ابنُه من غيرِها، أو قريبُهُ من عَصَبَةٍ، فألقى ثوبَه عليها، وقال: أنا أحقُّ بها، ثم إن شاءَ تزوَّجَها بصداقِها الأولِ، وإن شاءَ زوَّجَها غيرَهُ وأخذَ صداقَها، وإن شاءَ عَضَلَها؛ لتفتديَ بما ورثَتْ من زوجِها، وكان الزوجُ أيضاً يُضارُّ زوجَتَهُ إذا كَرِهَها لتفتديَ منه، فنزل:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ﴾[1] قرأ حمزةُ،

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٧)، =

والكسائيُّ، وخلفٌ: (كُرْهاً) بضمِّ الكاف، والباقون: بالفتح[1]، قال الفَرَّاءُ: الكَرْهُ بالفتح: ما أُكْرِهَ عليه، وبالضمِّ: ما كانَ من قِبَلِ نفسِه من المشَقَّةِ.

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: لا يحلُّ لكم أن ترثوا النساءَ، ولا أن تمنعوهنَّ عما يحلُّ لهنَّ.

﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من الصَّداقِ وغيرِه.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: لا تعضلوهن لعلَّة من العِلل إلا لعلَّةِ إتيانهنَّ بالفاحشة[2]، وهي النشوزُ، أو الزنا. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (مُبيَّنَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها[3].

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالإجمال في القول، والمبيت، والنفقة.

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ المعنى: فإن كرهتموهنَّ، فاصبروا عليهنَّ، فلعلَّ كراهَتكُم لهنَّ مع الصبرِ عليهنَّ يُحْدِثُ بينكم ولداً صالحاً، أو ألفةً ومحبةً.

* * *

= و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٤٩).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١١٩).

(٢) في «ن»: «الفاحشة».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨-٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٠).

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ونزل فيمنْ كان إذا رأى امرأةً فأعجبَتْهُ، قذفَ التي تحتَهُ؛ ليستبدِلَها بها.

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ وأرادَ بالزوجِ: الزوجةَ، ولم يكن من قبلِها نشوزٌ ولا فاحشةٌ.

﴿ وَءَاتَيْتُمْ ﴾ أعطيتم.

﴿ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ مالاً كثيراً صَداقاً.

﴿ فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ ﴾ أي: القنطار.

﴿ شَيْـًٔا ﴾ ثم بَشَّعَ الأخذَ فقال:

﴿ أَتَأْخُذُونَهُۥ ﴾ استفهامُ نهيٍ وتوبيخٍ.

﴿ بُهْتَـٰنًا ﴾ هو أن يَبْهَتَها بأمرٍ قبيحٍ يقذِفُها به.

﴿ وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ تقديرُه: تُصيبون في أَخْذِه بهتاناً وإثماً.

* * *

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ثم استفهم منكراً فقال: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ كناية عن الجِماع، والإفضاءُ: الوصول إلى الشيء من غير واسطة.

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ عهداً وثيقاً، وهو حقُّ الصحبة والممازجة.

***

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا (٢٢) ﴾.

[٢٢] ونزل نهياً عن نكاحِ نساءِ الآباء ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكنْ ما قد سَلَفَ؛ أي: مضى في الجاهلية، فإنه معفوٌّ عنه. وتقدَّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في سورة البقرة عند تفسير قوله: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا ﴾ في الموضعين، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن ﴾ [الشعراء: ١٨٧] و﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ ﴾ [سبأ: ٤٠] وشبهه حيثُ وقعَ.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: نكاحَ زوجةِ الأبِ.

﴿ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ أقبحَ المعاصي.

﴿ وَمَقْتًا ﴾ أي: بغضاً؛ لأنه يورِثُ بغضَ الله تعالى، والمقتُ: أشدُّ البغضِ، وكانوا يسمونه: نكاحَ المقتِ، وإذا وُلد لرجلٍ من امرأةِ أبيهِ يقالُ للمولود: المَقْتِيُّ.

﴿ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ قَبُحَ طريقاً، فتحرُمُ زوجةُ الأبِ على ابنِه بمجرَّدِ العَقْد، بالاتفاق.

***

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ أي: نكاحُهن؛ لقوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ [النساء: ٢٢]، وهي جمعُ أُمٍّ[١]، فيدخل فيهنَّ الجدَّاتُ من قِبَلِ الأمِّ والأبِ وإنْ عَلَوْنَ.

﴿ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ جمعُ بِنْتٍ، فيدخل فيهنَّ بناتُ الأولادِ وإن سَفُلْنَ.

﴿ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾ جمعُ أختٍ، سواءٌ كانت من قِبَلِ الأبِ والأمِّ، أو من قبل أحدِهما.

﴿ وَعَمَّٰتُكُمْ ﴾ جمعُ عَمَّةٍ، فيدخل فيهنَّ أخواتُ الآباء والأجداد وإن علونَ.

﴿ وَخَٰلَٰتُكُمْ ﴾ جمعُ خالَةٍ، فيدخل فيهنَّ جميعُ أخواتِ الأمهاتِ والجدَّاتِ.

﴿ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾ يدخلُ فيهنَّ بناتُ أولادِ الأخِ والأختِ وإن

---

(١) «جمع أم» ساقطة من «ن».

سفلْنَ، فهؤلاء المذكوراتُ محرَّماتٌ بالنسبِ بالاتفاق، وما بقيَ محرَّماتٌ بالسَّبَبِ، وهي:

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ وتحريمُ الرَّضاعِ كتحريمِ النسبِ؛ لقول النبيِّ ﷺ: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ»(١)، ولا تثبتُ الحرمةُ بالرضاعِ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ إلا أن يرتضعَ(٢) قبلَ استكمالِ الحولينِ؛ لقوله تعالى: ﴿۞وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فلو ارتضعَ بعدَهما بلحظةٍ، لم تثبتْ(٣)، وعددُ الرضاعِ المحرِّم عندَهما خمسُ رضعاتٍ متفرقاتٍ، وعندَ أبي حنيفةَ مدةُ الرضاعِ ثلاثون شهراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وعند مالكٍ تحريمُ الرضاعِ في الحولينِ وما قاربَهما، وعندَهما كثيرُ الرضاعِ وقليلُه محرِّمٌ.

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ فكلُّ مَنْ عقدَ النكاحَ على امرأةٍ حرمَتْ عليه أمهاتُها وجدّاتُها من الرضاعِ والنسبِ بنفسِ العقدِ بالاتفاق.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع رَبيبة، وهي بنتُ المرأة؛ لأن زوجَ الأمِّ يُرَبِّيها غالباً.

﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ جمعُ حِجْرٍ، والمرادُ: البيوتُ؛ لأنها بمثابة الولد في التربية غالباً.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٤١)، كتاب: النكاح، باب: ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع، ومسلم (١٤٤٤)، كتاب: الرضاع، باب: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) في «ن»: «ترضع».

(٣) في «ن»: «يثبت».

﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهن.

﴿فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ في نكاح بناتِهِنَّ إذا فارقتموهُنَّ، أو مُتْنَ فلا تحرمُ الربيبةُ عليه إلا بالدخولِ بأُمِّها بالاتفاق.

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾ جمعُ حليلةٍ، والذَّكَرُ حليلٌ؛ لأن كلَّ واحدٍ حلالٌ لصاحبه، يعني: أزواجُ أبنائكم.

﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ أي: ظهوركم، فتحرمُ زوجةُ الابنِ على أبيه بمجرَّدِ العقدِ بالاتفاق، وقولُه: ﴿مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ ليعلم أن حليلةَ المتبنَّى لا تحرُمُ على الذي تبناه بالاتفاق؛ لأن النبي ﷺ تزوَّجَ امرأةَ زيدٍ، وكان قد تبَنَّاه، وكلُّ امرأةٍ تحرمُ بعقدِ النكاح فتحرمُ بالوطءِ في ملكِ اليمين، والوطءِ بشبهةِ النكاح، فيحرُمُ على الواطىء أمُّ الموطوءة وابنتُها، وتحرُمُ الموطوءةُ على أبي الواطىء وابنِهِ بالاتفاق.

واختلفَ الأئمةُ في إثباتِ تحريمِ المصاهرةِ بالزنا المحرَّمِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يثبتُ تحريمُ المصاهرةِ، فلا يحلُّ للرجلِ أن يتزوجَ امرأةً زنى بها ابنُه، أو أبوه، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يثبتُ التحريمُ.

واختلفوا في إثباتِ التحريمِ باللِّواطِ، فقالَ الثلاثةُ: لا يثبتُ التحريمُ، وقال أحمد: يثبته، فمن تَلَوَّطَ بغلامٍ، حرمَ على كلِّ واحدٍ منهما أمُّ الآخرِ وابنتُه.

واختلفوا في المخلوقة من ماءِ الزنا، هل يجوزُ لمن خُلقت من مائِه أن يتزوَّجَها؟ فقال الشافعي: يجوزُ، وقال الثلاثة: لا يجوز.

﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ﴾ أي: وحرم عليكم الجمعُ.

﴿ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ فلا يجوزُ للرجل الجمعُ بينَ الأُختينِ من نسبٍ أو رَضاع، ولا بينَ المرأةِ وعَمَّتِها، ولا بينها وبينَ خالتِها بالاتفاق؛ لقوله ﷺ: «لا تَجْمَعْ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا»[1].

واختلفَ الأئمةُ هل يجوزُ للرجلِ أن يتزوَّجَ امرأةً والرابعةُ من نسائِه في عِدَّتِهِ من طلاقٍ بائنٍ، أو يتزوَّجَ الأختَ وأختُها في عِدَّته من طلاقٍ بائنٍ، أو يتزوَّجَ بكلِّ واحدةٍ ممن يحرُمُ عليه الجمعُ بينها وبينَ الثانيةِ وهي في العِدَّة، فقالَ مالكٌ والشافعيُّ: يجوز، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يجوزُ.

وأما إذا كان الطلاقُ رجعياً، فلا يجوزُ باتفاقهم، وكذلك لو ملكَ أُختين لا يجوز له أن يجمعَ بينَهما في الوطء، فإذا وَطِئَ إحداهُما، لم يحلَّ له وطءُ الأخرى حتى يحرِّمَ الأولى على نفسِه بإخراجٍ عن ملكِه، أو تزويجٍ، بالاتفاق.

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنْ ما مضى في الجاهلية، فإنه معفوٌّ عنه؛ لأنهم كانوا يفعلونه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

***

﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢٠)، كتاب: النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، ومسلم (١٤٠٨)، كتاب: النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ونزلَ في نساءٍ كُنَّ يُهاجِرْنَ إلى رسولِ الله ﷺ ولهنَّ أزواجٌ، فيتزوَّجُهُنَّ بعضُ المسلمين، ثم يقدُمُ أزواجُهُنَّ مُهاجرينَ: ﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ عطفٌ على ﴿أُمَّهَٰتُكُمۡ﴾ يعني: الحرائرَ المزوَّجاتِ؛ لأن الزوجَ قد أحصنَهُنَّ، لا يحلُّ للغيرِ نكاحُهن قبلَ مفارقةِ الأزواجِ، ثم استثنى فقال:

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ يعني: السبايا اللواتي سُبين ولهنَّ أزواجٌ في دار الحرب، فيحلُّ لمالِكِهِنَّ وَطْؤُهُنَّ بعد الاستبراء؛ لأن بالسبي يرتفعُ النكاح بينَها وبينَ زوجِها، بالاتفاق، وتقدَّم التنبيهُ على اختلافِ القراء في قوله: ﴿ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ عند قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ [النساء: ٢٢].

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ أي: كتبَ اللهُ ما حَرَّمَ عليكم كِتاباً، وفَرَضَهُ فَرْضاً.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (وَأُحِلَّ) بضم الألف وكسر الحاء؛ لقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾، وقرأ الباقون: بالنصب(١)؛ يعني: أَحَلَّ اللهُ لكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٣).

﴿ مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: ما سوى ذلكم الذي ذكرت من المحرمات.

﴿ أَن تَبْتَغُواْ ﴾ أي: تطلبوا النساءَ.

﴿ بِأَمْوَٰلِكُم ﴾ أي: تنكحوا بصداقِكم، أو تشتروا بثمنٍ.

﴿ مُّحْصِنِينَ ﴾ متزوِّجينَ، وأصلُ الإحصانِ: الحفظُ، والمرادُ هنا: العِفَّةُ عن الوقوعِ في الحرامِ.

﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ أي: زانِينَ، مأخوذٌ من سفحَ الماءَ وصَبَّهُ، وهو المنيُّ.

﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ أي: فالذي انتفعتم به من النساء بالنكاح الصحيح.

﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: مهورهُنَّ على الاستمتاع.

﴿ فَرِيضَةً ﴾ نصبٌ على المصدر في موضع الحال.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ ﴾ بأن تهبَ المرأةُ جميعَ مهرِها أو بعضَه لزوجِها، أو يزيدُها الزوجُ على أكثرَ منه.

﴿ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ المفروضةِ للزوجةِ.

واختلف الأئمة في الزيادة على الصَّداق المسمَّى بعدَ العقد، فقال أحمد: حكمُها حكمُ الأصل، تلحق به فيما يقرره وينصفه، وتُملك من حينها، واستدلَّ بهذه الآية، وقال أبو حنيفة: هي ثابتة إن دخل بها، أو مات عنها، فإن طلَّقها قبلَ الدخول، أو ماتتْ هي قبلَ الدخول والقبضِ، سقطت، وخالفه أبو يوسفَ، فقال كقول أحمد، وقال مالك: تستقرُّ بالدخول، وتتشطَّر بالطلاق قبلَه، فإن مات أحدُهما قبل القبض، سقطت؛

لأنها هبةٌ لم تُقبض حتى مات الواهبُ أو الموهوبُ له، وقال الشافعي: هي هبة مستأنفة، إن قبضتْها، لم تسقطْ بالطلاق قبلَ الدخول، ولا بعدَه، ولا بالموت، وإن لم تُقبض، فلا شيءَ لها مطلقاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فيما شرعَ من الأحكام. وأما تقديرُ الصَّداق فلا حدَّ لأكثره؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠]، وكان صداق أزواج النبيِّ ﷺ خمسَ مئة درهمٍ، وبناتِه أربعَ مئةٍ، فيسنُّ أن يكونَ من أربعِ مئةٍ إلى خمسِ مئةٍ، وإن زادَه، فلا بأسَ، وإن النجاشي أصدقَ أُمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيانَ عن النبيِّ ﷺ أربعَ مئةِ دينارٍ.

واختلفَ الأئمةُ في أقلِّه، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا حدَّ لأقلِّه، فكلُّ ما جاز أن يكونَ ثمناً، جاز أن يكون صَداقاً، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يتقدَّرُ بنصاب السرقة، واختلفا في قدره، فعندَ أبي حنيفةَ: عشرةُ دراهمَ، أو ما قيمتُه عشرةُ دراهمَ، وعند مالكٍ: ربعُ دينار من الذهب، أو ثلاثةُ دراهمَ من الوَرِق، أو عرضٌ يساوي أحدَهما.

واختلفوا في تعليم القرآن هل يجوز أن يكون صَداقاً؟ فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يجوزُ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: يجوزُ

واختلفوا في منافعِ الحر، فقال أبو حنيفة: لا يجوز أن تكونَ صداقاً، وقال الثلاثة: يجوزُ، إلا أن مالكاً يكرهُه.

***

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ

﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ فضلاً وسَعَةً.

﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائرَ.

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قرأ الكسائيُّ (المُحْصِنَاتِ) و(مُحْصِنَاتٍ) بكسر الصاد حيثُ وقع، سوى (وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) في هذه السورة، وقرأ الباقون: بفتح جميعها، فالقراءة بكسر الصاد؛ أي: أَحْصَنَّ أنفسَهُنَّ بالحريَّة، وبالفتح؛ أي: أحصنَهُنَّ غيرهن من زوجٍ أو وليٍّ[1].

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ إمائِكم.

﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المعنى: من لم يجدْ طولَ حرةٍ، فليتزوج أمةً مؤمنةً، وفيه دليل على أنه لا يجوز للحرِّ نكاحُ الأمةِ إلا بشرطين:

أحدُهما: ألاَّ يجد طَوْلاً لنكاح حرة.

والثاني: أن يخاف على نفسِهِ العَنَتَ، وهو الزنا؛ لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ وهو مذهبُ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ.

وجَوَّزَ أبو حنيفةَ للحرِّ نكاحَ الأمة، إلا أن يكونَ في نكاحه أو عِدَّتِهِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/٥٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/١٢٢-١٢٤).

حُرَّةٌ، أما العبدُ فيجوزُ له نكاحُ الأمة، وإن كانَ في نكاحِه حُرَّةٌ أو أمةٌ عندَ الثلاثة، وعندَ أبي حنيفة لا يجوزُ إذا كان تحته حرَّةٌ، وفي الآية دليلٌ على أنه لا يجوز للمسلم نكاحُ الأمَةِ الكتابية؛ لأنه قال:

﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وإليه ذهبَ الأئمةُ الثلاثة، وجَوَّزَ أبو حنيفةَ للمسلمِ نكاحَ الأمةِ الكتابيةِ، واتفقوا على إباحةِ وطئها بملكِ اليمين، وتقدَّمَ الحكمُ في نكاح الوثنيات والمجوسيات(١) وغيرِهنَّ من أنواعِ المشركات في سورة البقرة.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهرِ الإيمان؛ فإنه العالمُ بالسرائرِ، والمرادُ: تأنيسُهُمْ بنكاح الإماء، ومنعُهم عن الاستنكاف منه، ثم نفى التفاخر فقال:

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ كلكم ولدُ آدمَ، ودينُكم الإسلام؛ أي: هنَّ مثلُكم.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: مَواليهِنَّ.

﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهُنَّ.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ من غيرِ مطْلٍ.

﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائفَ بالنكاحِ.

﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ أي: زانياتٍ جهراً.

﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أي: أحبابٍ يزنون بهنَّ في السرِّ.

﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ أي: زُوِّجْنَ. وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ،

---

(١) في «ن»: «المجوسيات والوثنيات».

وخلفٌ: (أَحْصَنَّ) بفتح الألف والصاد؛ أي: حَفِظْنَ فروجَهُنَّ[1].

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ أي: زَنَيْنَ.

﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائرِ الأبكارِ إذا زنين.

﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الحدِّ، فيُجلد الرقيقُ خمسينَ جلدة ولو لم يكنْ تزوَّجَ، ذكراً كان أو أنثى، ولا يُرجَمُ بالاتفاق، وهل يُغَرَّبُ؟ قال الشافعي: يغرَّبُ نصفَ سنةٍ، وقال الثلاثة: لا يغرَّبُ. فإن كان بعضُه حراً، فقال أحمد: يجلَدُ ويغرَّبُ بحسابه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الأمة.

﴿لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ﴾ أي: الزنا.

﴿مِنكُمْ﴾ بغلبةِ الشهوةِ، وأصلُ العَنَتِ: الضيقُ والمشقَّةُ.

﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن النساء متعفِّفينَ.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من نكاحِ الإماء؛ لئلا يخلقَ الولدُ رقيقاً.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن رخَّصَ له.

* * *

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بما شرعَ من التحليل والتحريم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٥).

﴿ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ أي: يوضِّحَ لكم شرائعَ الإسلام.

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ يُرشدَكم.

﴿ سُنَنَ ﴾ شرائعَ.

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ من الأنبياء في تحريم الأمهاتِ والبناتِ والأخواتِ، فإنها كانت محرمةً على مَنْ قبلكم.

﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ يُوفِّقَكم للتوبة، ويتجاوزَ عنكم إن تبتم.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بمصالح عباده.

﴿ حَكِيمٌ ﴾ فيما دبَّرَ من أمورهم.

***

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ إن وقع منكم تقصيرٌ.

﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ هم الزُّناةُ والكفارُ.

﴿ أَن تَمِيلُوا۟ ﴾ عن الحقِّ.

﴿ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ بإتيانِكم ما حُرِّمَ عليكم.

***

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ بنكاحِ الإماءِ واتِّباع الشريعةِ السمحةِ السهلةِ.

﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ لا يصبرُ عن الشهوات، ولا يتحمَّلُ مَشاقَّ الطاعات.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا (٢٩) ﴾.

[٢٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ أي: الحرامِ؛ كالقمارِ والسرقةِ ونحوِهما.

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، ولكنْ تكونُ تجارةً عن تراضٍ منكم غير منهي عنه. قرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ: (تِجَارَةً) بالنصب على خبر كان؛ أي: إلا أن تكونَ الأموالُ تجارةً، وقرأ الباقون: بالرفع؛ أي: إلا أن تقعَ تجارةٌ عن تراضٍ منكم؛ أي: بطيبةِ[1] نفسِ كلِّ واحدٍ منكم[2]، ورُوي عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياء على (تَرَاضِي)، والتراضي عندَ الشافعيِّ وأحمدَ: الافتراقُ عن مجلسِ البيعِ بتمامِه، فلكلٍّ واحدٍ منهما الخيارُ ما داما في المجلس، وعند أبي حنيفةَ ومالكٍ: هو رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه، فإذا وجبَ البيعُ

---

(١) في «ن»: «بطيب».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٦).

بينهما، فليس لأحدِهما الخيار، وإن كانا في المجلس، وخَصَّ التجارةَ بالذِّكْر؛ لأنها أغلبُ أسبابِ المكاسبِ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ﴾ أي: لا[1] تهلكوا.

﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بأكل الأموالِ بالباطل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ﴾ يا أمةَ محمدٍ.

﴿رَحِيمًا﴾ لِما أمرَ بني إسرائيل بقتلِ الأنفس، ونهاكم عنه.

***

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما حُرِّمَ قبلُ.

﴿عُدْوَٰنًا﴾ تجاوزاً للحد.

﴿وَظُلْمًا﴾ وهو وضعُ الشيءِ في غيرِ محلِّه.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ أي: نُدخله.

﴿نَارًا﴾ ليحترقَ.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا عسرَ فيه.

***

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) «لا» زيادة من «ت».

[٣١] ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الكبيرةُ: كلُّ ذنبٍ رتَّبَ الشارعُ عليه حَدّاً، أو صَرَّحَ بالوعيد فيه، وعن النبيِّ ﷺ أنها سبعٌ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَة، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، والرِّبَا، وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ: «الكبائرُ إلى سبعِ مئةٍ أقربُ منها إلى سبعٍ»[2].

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ نغفرْ لكم صغائركم.

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ هو الجنةُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (مَدْخَلاً) بفتح الميم، وهو موضعُ الدخول، وقرأ الباقون: بالضم، بمعنى: الإدخال[3].

***

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ونزل نهياً عن التحاسُد: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٥)، كتاب: المحاربين من أهل الكفر، باب: رمي المحصنات، ومسلم (٨٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٨)، وذُكر في «المعجم» أنَّ قراءة «قدْ خلا» قرأ بها ـ أيضاً ـ أبو بكر وعاصم.

بَعۡضٖۚ﴾ من الأمور الدنيوية؛ كالجاه والمال، فلعلَّ عدمَه خيرٌ؛ أي: لا يحسدْ أحدٌ أحداً على ما آتاه الله تعالى؛ فإنه:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ﴾ فلا يعاقَبُ أحدٌ إلا بعمله، ولا يُجازى أحد[1] إلا به، فنهى الله عن التمني؛ لما فيه من دواعي الحسد.

﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: رزقه. **قرأ** ابن كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَسَلُوا الله) و(سَلْهُمْ) (فَسَلِ الَّذِينَ) وشبهَه إذا كان أمراً مواجَهاً به، وقبلَ السينِ واو أو فاء: بغير همزٍ، ونقل حركة الهمز إلى السين، والباقون: بسكون السين مهموزاً[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ فهو يعلمُ ما يستحقُّه كلُّ إنسانٍ فيفضِّلُ عن علمٍ وتبيان. يسكتُ حمزةُ في (شَيْءٌ) و(شَيْءٍ) و(شَيْئاً) حيثُ وقعَ.

***

﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَلِكُلّٖ﴾ أي: لكلِّ مالٍ.

---

(١) «أحد» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٨).

﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ أي: وُرَّاثاً، جمعُ مولى، وهو من يواليك.

﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ أي: ولكلٍّ تركةٍ جعلنا ورّاثاً يلونها ويحرزونها.

﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ أي: عاهدت أيديكم. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (عَقَدَتْ) بغير ألف[1]؛ أي: عقدَتْ لهم أيمانكم، والمعاقدةُ: المحالفة، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية يتحالفون، فيكون للحليف السدسُ من مال الحليف، وكان ذلك ثابتاً في ابتداء الإسلام، فذلك قوله تعالى:

﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أي: حظَّهم من الميراث، ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ أي: عالماً، وهو تهديدٌ على من منعَ نصيبهم.

* * *

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)﴾.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٩).

[٣٤] ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ مسلَّطون على تأديبهنَّ.

﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ بتفضيلِ اللهِ.

﴿بَعۡضَهُمۡ﴾ أي: الرجالَ.

﴿عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ على النساء؛ بكمالِ العقل، وحسنِ التدبير، ومزيدِ القوة في الأعمال والطاعات.

﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ في نكاحهنَّ؛ كالمهر والنفقة.

روي أن سعدَ بنَ الربيعِ أحدَ نُقباءِ الأنصار نَشَزَتْ عليه امرأتُه حبيبةُ بنتُ زيدِ بنِ أبي زهير، فلطمَها، فانطلقَ بها أبوها إلى رسول الله ﷺ، فشكا، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لِيُقْتَصَّ مِنْهُ»، فنزلت، فقال: «أَرَدْنَا أَمْراً، وَأَرَادَ اللهُ أَمْراً، وَالَّذِي أَرَادَ اللهُ خَيْرٌ»(١).

وعنه ﷺ أنه قال: «لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(٢).

---

(١) قال الحافظ الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣١٢): غريب بهذا اللفظ، وأقرب ما وجدته ما رواه ابن مردويه في «تفسيره» عن علي قال: أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له فقال: يا رسول الله! إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري، وإنه ضربها فأثر في وجهها، فقال عليه السلام: «ليس له ذلك» فنزلت ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فقال عليه السلام: «أردت أمراً، وأراد الله غيره». وذكره الثعلبي في «تفسيره»، والواحدي في «أسباب النزول» من قول مقاتل.

(٢) رواه الترمذي (١١٥٩)، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وقال: حسن غريب. ورواه ابن ماجه (١٨٥٢)، كتاب: النكاح، باب: حق الزوج على المرأة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ ﴾ مطيعاتٌ لأزواجهنَّ.

﴿ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ ﴾ أي: لفروجهنَّ وأموالِ أزواجهنَّ في غَيْبَتِهم.

﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي: بحفظِه. قرأ أبو جعفرٍ (بِمَا حَفِظَ اللهَ) بالنصب؛ أي: بحفظهنَّ اللهَ في الطاعة، وقراءةُ العامة بالرفعِ(١).

﴿ وَٱلَّـٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ عِصيانهنَّ، وأصلُ النشوزِ: التكبُّرُ والارتفاعُ.

﴿ فَعِظُوهُنَّ ﴾ بالتخويفِ من الله.

﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ اجتنبوهنَّ.

﴿ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ المراقدِ، والمرادُ: المجامعة.

﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾ إن لم يرجعْنَ ضرباً غيرَ مُبرِّحٍ، أي: شديد.

﴿ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ ﴾ لا تطلبوا عليهنَّ طريقاً بالتوبيخِ والإيذاءِ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ فاحذَروه؛ فإنه أقدرُ عليكم منكم على مَنْ تحتَ أيديكم.

***

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا ﴾ خلافاً بينَ المرأةِ وزوجِها.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٠).

﴿فَٱبۡعَثُواْ﴾ أيها الحكامُ متى اشتبهَ عليكم حالُهما ليتبيَّن الأمرُ.

﴿حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [الحَكَمُ: القَيِّمُ بما يُسْنَدُ إليه، وخُصَّ الحكمُ بالأهل؛ لأن الأقارب أَعْرَفُ بأغراضِ][1] أقاربهم، وأنصحُ لهم، وهذا على وجهِ الاستحباب، فلو نُصبا من الأجانب، جاز.

﴿إِن يُرِيدَآ﴾ يعني: الحكمينِ.

﴿إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ بينَ الزوجينِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ بالظواهرِ والبواطنِ.

وهل يجوزُ بعثُ الحكمينِ بغير رِضا الزوجين؟ قال أبو حنيفةَ والشافعيُّ وأحمدُ: لا يجوز إلا برضاهما، فليس لحكمِ الزوجِ أن يطلِّقَ إلا بإذنه، ولا لحكمِ الزوجة أن يختلعَ على مالِها إلاَّ بإذنِها، وقال مالك: يجوزُ بغيرِ رِضاهما؛ كالحاكمِ يحكمُ بين الخصمينِ، وإن لم يكنْ على وفْقِ مُرادِهما، فيطلِّقُ حكمُ الزوجِ بغير إذنِه، ويختلعُ حكمُ الزوجةِ بغير إذنها.

* * *

﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾.

[٣٦] ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدوهُ، والعبادةُ هي الطاعةُ عندَ الشافعيةِ والمالكيةِ والحنابلةِ، وعند الحنفية بشرطِ الأمر.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

﴿ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ صَنماً أو غيرَه.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ﴾ بِرّاً بهما، وعَطْفاً عليهما.

﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: أَحْسِنوا بذي القربى.

﴿ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: ذي القرابةِ.

﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ القريبِ المنزلِ منك. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (القُرْبَى واليَتَامَى) بالإمالة، وقرأ ورشٌ، والدوريُّ عن الكسائيِّ: (وَالْجَارِ) بالإمالة، بخلافٍ عن ورشٍ[1].

﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ هي الزوجةُ، أو الرفيقُ في السفر. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (وَالصَّاحِب بِّالْجَنْبِ) بإدغام الباء الأولى في الثانية[2].

﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو الضيفُ في قولِ الأكثر، وقيل: المسافر.

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ ﴾ من الرقيقِ، أحسنوا إلى جميع المذكورين تُثابوا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ تيَّاهاً متكبراً.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣١).

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ونزلَ في اليهودِ، وهم: حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ وأصحابُه حيثُ كانوا يبخلونَ، ويأمرون الصحابةَ بالبخل.

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ بما مُنِحُوا به.

﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ ﴾ به، قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (بِالْبَخَلِ) بفتح الباء والخاء[١]، والبخلُ في كلام العربِ: منعُ السائل من فضلِ ما لديه، وفي الشرعِ: منعُ الواجب.

﴿ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ من صفةِ النبيِّ ﷺ، أو العلم.

﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ شديداً يُهانون به.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: مُرائينَ، عطفٌ على ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (رِيَا النَّاسِ) بفتح الياء بغيرِ همزٍ[٢].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٢٥)، و«الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٦٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٣).

﴿ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ نزلَتْ في المشركينَ المتفقينَ على عداوةِ النبيِّ ﷺ.

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا ﴾ صاحِباً وخَليلاً.

﴿ فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ المعنى: فبئسَ الشيطانُ صاحباً؛ لأنه هو حملَهم على البُخل والرياء وكلِّ شرّ.

***

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) ﴾.

[٣٩] ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ ﴾ استفهامُ توبيخٍ؛ أي: وما الذي عليهم.

﴿ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ تلخيصُه: لو آمنوا واتقوا، لم يضرَّهم ذلك.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ وعيدٌ لهم.

***

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ أي: وزنَ ذَرَّةٍ، والذَّرَّةُ: هي النملةُ الحمراءُ الصغيرةُ.

﴿ وَإِن تَكُ ﴾ مثقال ذرةٍ.

﴿ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ اللهُ، يجعلها أضعافاً كثيرة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ،

وابنُ كثيرٍ: (حَسَنَةٌ) بالرفع، والباقون: بالنصب[1]، وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (يُضَعِّفْهَا) بالتشديد مع حذفِ الألف في جميع القرآن[2]، وقرأ الباقون: بالإثبات والتخفيف، وحذفت النون من (تَكُ) تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال.

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ أي: من عندِه على سبيل التفضُّل.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدِّرُ قدرَهُ غيرُ الله تعالى؛ لكثرتِه.

* * *

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعُ الكفارُ.

﴿إِذَا جِئْنَا﴾ المعنى: كيف يصنعونَ وقتَ مجيئنا.

﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ عليها، وهو نبيُّها.

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمدُ.

﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المذكورينَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٣).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي زرعة (ص: ٢٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٤).

﴿شَهِيدًا﴾ شاهداً على جميع الأمم.

ولما بلغَ ابنُ مسعودٍ في قراءتِهِ على النبيِّ ﷺ من أولِ السورةِ إلى هنا، بكى، وقال: «حَسْبُكَ»(١).

***

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ القيامةِ.

﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ المعنى: يودُّون أن دُفنوا فتُسَوَّى بهم الأرضُ كالموتى، وأصلُ التسويةِ: المعادلةُ. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ (تَسَّوَى) بفتح التاء وتشديد السين على معنى: تَتَسَّوى، فأُدغمت التاءُ الثانية في السين، **وقرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتح التاء وتخفيف السين على حذف إحدى التاءين؛ كقوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥] وقرؤوا بإمالة الواو، **وقرأ** الباقون: بضم التاء وتخفيف السين على المجهول(٢).

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٣)، كتاب: فضائل القرآن، باب: قول المقرىء للقارى: حسبك، ومسلم (٨٠٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٢٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٠-٣٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٤-١٣٥).

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ أي: يودون أن يُدفنوا، وأنَّهم لم يكونوا كَتموا أمرَ محمدٍ ﷺ ولا نَعْتَهُ.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (سُكَارَى) بالإمالة، بخلافٍ عنه[١]، واتفقَ الأئمةُ على أن السكرانَ الذي يُمَيِّزُ مُكَلَّفٌ، وكذا من لا يميز عندَ الثلاثة، خلافاً لمالكٍ، والمراد: السكرُ من الخمرِ عندَ الأكثر.

سببُ نزولها: أن عبدَ الرحمنِ بن عوفٍ صنعَ طعاماً، وجمعَ عليه جماعةً من الصحابة، فأكلوا وشربوا الخمرَ قبلَ تحريمها، فأخذَتْ منهم، فقدَّموا واحداً منهم، فصلَّى بهم المغربَ، فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبدُ ما تعبدون، بحذفِ (لا) إلى آخرها، فصاروا يجتنبون السكرَ وقتَ الصلاة حتى نزلَ تحريمُ الخمر[٢].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٥).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧١)، كتاب: الأشربة، باب: في تحريم الخمر، والترمذي (٣٠٢٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة النساء، وقال: حسن صحيح غريب، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَلَا جُنُبًا﴾ نصبٌ على الحال، يستوي فيه الواحدُ والجمعُ، والذكرُ والأنثى، وأصلُ الجنابةِ: البعد، وسُمِّي جُنباً؛ لأنه يجتنبُ موضعَ الصلاة.

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ مجتازي سبيلٍ.

﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ أي: لا تقربوا الصلاةَ في حالِ سكرٍ ولا جنابةٍ إلا في حالِ السفرِ عُبوراً في المسجدِ، وذلك إذا لم يجد الماء، وتيمم، وقيل معناهُ: لا تقربوا المسجدَ وأنتمْ جنبٌ إلا مجتازينَ فيه للخروجِ منه.

واختلفَ الأئمةُ فيه، فأباح الشافعيُّ وأحمدُ المرورَ فيه، ومنع منه أبو حنيفةَ ومالكٌ، وقال أبو حنيفةَ: إنِ احتاجَ إلى ذلك تَيَمَّمَ، ودخلَ، وأما اللبثُ فيه، فلا يجوزُ عند الثلاثة، وعندَ أحمد إذا توضأ جازَ له اللبثُ، فلو تعذَّرَ، واحتاجَ إليه، جازَ من غير تيممٍ، ويتيممُ لأجل لبثهِ للغسل.

وحكمُ الخلافِ في الحائضِ والنفساءِ كالجنبِ في ذلك، إلا أن الشافعيَّ لا يُبيح للحائض دخولَ المسجد إلا إذا أَمِنَتْ تلويثَهُ، وأحمدُ لا يبيح للحائض والنفساء اللبثَ فيه إذا توضَّأَتا إلا بعد انقطاعِ دَمِهما.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ مرضاً يضرُّهُ مَسُّ الماء، أو يُخشى منه زيادةُ الألم، أو تطاولُه.

واختلف الأئمة فيمن بعضُ بدنه صحيحٌ، والبعضُ جريحٌ، فقال أبو حنيفةَ: الاعتبارُ بالأكثر، فإن كان هو الصحيحَ، غسله فقط، وسقطَ حكم الجريح إلا أنه يُستحبُّ مسحُه، وإن كان الأكثرُ جريحاً، اقتصرَ على التيمم، وسقطَ الغسلُ، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يغسلُ الصحيحَ، ويتيمم للجريح، وقال مالكٌ: يغسل الصحيحَ، ويمسح الجريحَ، ولا يتيمم.

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ طويلاً كان السفرُ أو قصيراً، فيتيمم عندَ فقدِ الماء،

ولا إعادةَ عليه، بالاتفاق، وأما إذا لم يكن مريضاً، ولا في سفر، لكنه عدمَ الماءَ في موضعٍ لا يعدمُ فيه غالباً؛ كقريةٍ انقطعَ ماؤها، فإنه يصلِّي بالتيمم، ثم يعيدُ عند الشافعيِّ، وعند مالكٍ وأحمدَ لا إعادةَ عليه، وعندَ أبي حنيفةَ يؤخِّرُ الصلاة حتى يجدَ الماءَ.

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي: الحَدَثِ، والغائِطُ: المكان[1] المُطْمَئِنُّ من الأرضِ، وكانت عادةُ العربِ إتيانَ الغائطِ للحدث، فكنى به عن الحدث. وتقدَّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك اختلافهم في قوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾.

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لَمَسْتُمْ) بغيرِ ألفٍ بعدَ اللام، وقرأ الباقون: بالألف[2]، واللمسُ والملامسةُ واحدٌ، وهو عبارةٌ عن الجِماعِ عندَ بعضِهم، وقال بعضُهم: هو التقاءُ البشرتين بِجماعٍ أو غيرِه.

واختلفَ الأئمةُ في نقضِ الوضوءِ بملاقاةِ بَشَرَتي الرجلِ والمرأةِ من غيرِ حائلٍ، فقال أبو حنيفةَ: لا ينتقضُ، وقال الشافعيُّ: ينتقضُ بلمسِ غيرِ المحارمِ، وقال مالكٌ وأحمدُ: إن كان اللمسُ بشهوةٍ، نقضَ، وإلاَّ فلا.

وهل ينتقضُ وضوءُ الملموس؟ قال مالكٌ والشافعيُّ: حكمُه حكمُ

---

(١) «المكان» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٣٧).

اللامسِ، وقال أحمدُ: لا ينتقض، ولو وجد منه شهوة، وأما الصغيرةُ، فلا ينقضُ[1] لمسُها بالاتفاق.

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ فلم تتمكَّنوا من استعمالِه إِذِ الممنوعُ عنه كالمفقودِ.

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ اقصدوا.

﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهِراً، والتيمُّمُ من خصائصِ هذه الأمة، وهو مبيحٌ للمحدِثِ والجنبِ بالاتفاق.

واختلف الأئمةُ فيما يجوزُ به التيممُ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يجوز بسائر أنواعِ الأرضِ؛ من ترابِها وحجرِها ورملِها ومَدَرِها وحَصَائِها، وما ينطبعُ؛ كالنُّورَةِ والجِصِّ والزِّرْنيخِ وغيرِها من طبقاتِ الأرضِ، وقالا: الصعيدُ: وجهُ الأرض، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا يجوزُ التيمم إلا بترابٍ طهورٍ له غبارٌ يعلَقُ باليد، فإن خالطه ذو غبار؛ كالجصِّ ونحوه لم يجزِ التيممُ به.

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ أي: فامسحوا وجوهَكم وأيديَكم منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ واختلفوا في صفةِ التيمُّمِ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعيُّ: يضربُ بيديه على الصعيدِ ضربتين: إحداهما للوجهِ، والأخرى لليدين إلى المرفقين، والاستيعابُ شرطٌ، حتى يخلل أصابعَهُ، وقال أحمدُ: السنةُ في التيمُّمِ أن ينويَ، ثم يسمِّيَ، ويضربَ بيديه مُفَرَّجَتي الأصابعِ ضربةً واحدةً على التراب، فيمسحَ وجهَهُ بباطنِ أصابعه، وكَفَّيه براحتيهِ، وخالفه القاضي من أصحابه، فوافقَ الجماعةَ.

---

(١) في «ن» و«ت»: «ينتقض».

ولا يصحُّ التيممُ لصلاةٍ إلا بعدَ دخولِ وقتها، ولا يجمعُ بينَ فريضتين بتيمُّمٍ واحدٍ عند الثلاثةِ، وقال أبو حنيفة: التيممُ كالطهارةِ بالماء يجوزُ تقديمُه على وقتِ الصلاةِ، وأَن يصلِّي به ما شاءَ من الفرائض[1].

واتفقوا على أنه يجوزُ أن يصلِّي بتيمُّمٍ واحدٍ مع الفريضة ما شاء من النوافل، وأن يقرأَ القرآن إن كانَ جنباً.

واختلفوا في طلبِ الماء هل هو شرط؟ فقال الثلاثة: هو شرطٌ، وقال أبو حنيفة: ليسَ بشرطٍ، فيجوزُ التيممُ قبلَ الطلب؛ لأنه عادمٌ حقيقةً، إلا إذا غلب على ظنه أن بقربه ماءً، فلا يجوز ما لم يطلبْهُ.

واختلفوا فيمن عدمَ الماءَ والترابَ، فقال أحمد: يصلِّي، ولا إعادةَ عليه، وعن مالكٍ أربعُ روايات: إحداهنَّ كمذهب أحمدَ، والثانيةُ: لا يصلِّي حتى يجدَ الماءَ أو الصعيدَ، وهو مذهبُ أبي حنيفة، والثالثة: يصلِّي ويعيد، وهو مذهبُ الشافعي، والرابعة: لا يصلي، ولا إعادةَ عليه، وجزم به الشيخُ خليلٌ في «مختصره»، فقال: وتسقطُ صلاةٌ وقضاؤها بعدمِ ماءٍ وصعيدٍ[2]، ونقل القرطبيُّ في «تفسيره» أن هذا الصحيحُ من مذهب مالك، ثم نَقَل عن أبي عمرَ بنِ عبدِ البرِّ إنكارَه[3].

واتفقوا على أن النيةَ في التيمم واجبةٌ.

واختلفوا في التسمية فيه، فقال أحمدُ: هي واجبةٌ، وتسقط سهواً، وقال الثلاثةُ: هي غيرُ واجبةٍ.

---

(١) في «ت» «النوافل».
(٢) انظر: «مختصر الشيخ خليل» (ص: ٢٠).
(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٣٧).

واختلفوا في الترتيب والموالاة، فقال أحمد: هما واجبان[1]، وقال مالك: الموالاةُ واجبةٌ، والترتيب سنة، وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: لا يجبانِ، فلو ضربَ بيديه ومسحَ بيمينِه وَجْهَهُ، وبيسارِه يمينَهُ، جاز.

***

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم ينْتَهِ علمك.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم اليهودُ، أُعطوا حظاً من التوراة.

﴿يَشْتَرُونَ﴾ يستبدِلون.

﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ يعني: بالهدى.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ تُخْطِئُوا طريقَ السعادة أيُّها المؤمنون.

***

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم.

﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ فاحذَروهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يلي أمركُمْ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ يُعينكم.

***

(١) في «ن»: «واجبتان».

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ قومٌ.

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾ أي: يُميلونه.

﴿ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ التي وضعَهُ الله فيها، وهو تغييرُهم صفةَ محمدٍ ﷺ في التوراة.

﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ﴾ قولَكَ ﴿ وَعَصَيْنَا ﴾ أَمْرَكَ.

﴿ وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ أي: اسمعْ مِنَّا ولا نسمعُ منكَ، أي: غير[1] مُجابٍ إلى ما تدعو إليه.

﴿ وَرَٰعِنَا ﴾ يريدون نسبتَهُ ﷺ إلى الرُّعونةِ.

﴿ لَيًّۢا ﴾ تحريفاً ﴿ بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾ استهزاءً به.

﴿ وَطَعْنًا ﴾ قَدْحاً.

﴿ فِى ٱلدِّينِ ﴾ لأن قول راعِنا من المراعاة، وهم يحرِّفونه فيريدونَ الرُّعونةَ.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ ﴾ بدلَ ذلكَ[2].

---

(١) «غير» ساقطة من «ن».

(٢) في «ت»: «بذلك».

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا ﴾ أي: انظر إلينا رحمةً لنا.

﴿ لَكَانَ ﴾ ذلكَ القولُ.

﴿ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ أي: أعدلَ.

﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: خذَلهم وأبْعَدَهم.

﴿ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم؛ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ولما كَلَّمَ النبيُّ ﷺ أحبارَ اليهود عبدَ اللهِ بنَ صوريا، وكعبَ بنَ أَسَدٍ، فقال: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ! اتقُوا اللهَ، وَأَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إِنَّ الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ لَحَقٌّ» قالوا: ما نعرفُ ذلك، وأَصَرُّوا على الكفرِ، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا ﴾(١) أي: القرآنِ.

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ أي: التوراةِ.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ فنجعلَها كَخُفِّ البعيرِ بلا أَنْفٍ ولا عينٍ ولا حاجبٍ كالأقفاء، وهذا معنى:

﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ وأصلُ الطَّمْسِ: إزالةُ الأثرِ بالمحوِ. فإنْ قيلَ: قد أوعدَهُمُ اللهُ بالطَّمسِ إنْ لم يؤمنوا، ثم لم يؤمنوا، ولم يفعلْ بهم ذلك،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٩)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

قيل: هذا الوعيدُ باقٍ، ويكونُ طمسُ مسخٍ في اليهود قبلَ قيامِ الساعة، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ فنجعلَهم قردةً وخنازيرَ، وتقدَّمَ خبرُ أصحاب السبت في سورة البقرة عندَ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الآية: ٦٥].

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: قضاؤه.

﴿مَفْعُولًا﴾ نافِذاً.

***

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ولما أحبَّ وَحْشِيٌّ التوبةَ بعدَ قتله حمزة رضي الله عنه يومَ أحدُ، نزلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ مع التوبةِ، فبعثَ بها رسولُ الله ﷺ إلى وحشيٍّ بمكَّةَ، فقالَ وحشيٌّ: لعلِّي مِمَّنْ لَمْ يَشأِ اللهُ، فنزل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣]، فبعثَ بها إليه، فدخلَ في الإسلام، ورجعَ إلى النبيِّ ﷺ، فقبلَ منه، ثم قال له: «أَخْبِرْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ» فلما أخبره، قال: «وَيْحَكَ غَيِّبْ وَجْهَكَ عَنِّي»(١) فلحقَ بالشام، فكانَ بها إلى أن ماتَ.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٠٠). وانظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٥٦٤-١٥٦٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤٤).

ثم تهدَّد المشركينَ فقالَ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ قال ﷺ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شيئاً دَخلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيئاً، دَخَلَ النَّارَ»[١].

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ونزلَ فيمن زكَّى نَفْسَه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ ﴾ فأنكرَ ذلكَ عليهم بصيغةِ الإضرابِ فقالَ:

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى ﴾ أيْ: يطهِّرُ.

﴿ مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ هو ما في شِقِّ النَّواةِ طُولاً.

* * *

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمدُ.

﴿ كَيْفَ يَفْتَرُونَ ﴾ يختلقون.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ ﴾ بتغييرهم كتابَهُ.

﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ ﴾ أي: بالكذب.

﴿ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ لا يخفى كونُه مأثماً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ،

---

(١) رواه مسلم (٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

والكسائيُّ، وهشامٌ، وخلفٌ: (فَتِيلاً انْظُرْ) و(مُبِينٍ اقْتُلُوا) وشبهَهُ بضمِّ التنوين في الوصل حيثُ وقع.

***

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ولما خرج حُيَيُّ بنُ أخطبَ مع أصحابِه إلى قرُيش ليحالفَهم على النبيِّ ﷺ، فقالوا: لا نفعلُ حتى تسجُدوا لِصَنَمينا، فسجدوا، فنزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾[1] هما الصنمانِ المذكوران.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم قريشٌ.

﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنون: أبا سفيانَ وأصحابَه.

﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعنون: محمداً ﷺ وأصحابَه.

﴿سَبِيلًا﴾ ديناً. وتقدَّمَ اختلافُ القُرَّاء في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وكذلك اختلافَهم في قوله: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ﴾.

***

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤٦).

﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ يمنعُ العذابَ عنه .

* * *

﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ أَمۡ لَهُمۡ ﴾ يعني: أَلَهُمْ ﴿ نَصِيبٞ ﴾ أي: حَظٌّ .

﴿ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾ وهذا على وجهِ الإنكار، يعني: ليسَ لهم من الملكِ شيءٌ، ولو كانَ لهم حظٌّ مما يُمْلَكُ ﴿ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: أحداً منهم .

﴿ نَقِيرًا ﴾ لحسدِهِمْ وبخلِهم، والنقيرُ: هو النقطةُ التي تكونُ على ظهرِ النواةِ، ومنها تنبتُ النخلة، ويأتي تفسيرُ القِطْمير في سورةِ فاطر إن شاء الله تعالى ـ.

* * *

﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ﴾ أي: اليهودُ.

﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ العربَ، والنبيَّ ﷺ .

﴿ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ من النبوةِ والإسلامِ والتقدُّمِ عليهم، فقال: ﴿ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ داودَ وسليمانَ ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ المنزلَ عليهما .

﴿ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ النبوة .

﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴾ فلا يبعدُ أن يؤتي اللهُ محمداً مثلَ ما آتاهم .

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿فَمِنْهُم﴾ أي: اليهودِ.

﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بمحمدٍ ﷺ، وهم عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ وأصحابُه.

﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ أي: أعرض.

﴿عَنْهُۚ﴾ ولم يؤمنْ به.

﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ أي: ناراً مُسَعَّرَةً يُعَذَّبون بها.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ نُدْخِلُهم.

﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقَتْ.

﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأنْ يعُاد ذلكَ الجلدُ بعينِهِ على صورةٍ أخرى. قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وقالونُ، وورشٌ من طريقِ الأصبهانيِّ، وابنُ عامرٍ: (نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ) بإظهارِ التاءِ عندَ الجيم، والباقون: بالإدغام(١).

﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَۗ﴾ أي: ليدومَ بهم ذوقُه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ شديدَ النِّقْمَةِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٢)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٠).

﴿حَكِيمًا﴾ يعاقِبُ على وَفْقِ حكمته.

عنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنه قالَ: قُرِئ عندَ عمرَ قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، فقال معاذٌ: عندي تفسيرُها: تُبَدَّلُ في كلِّ ساعةٍ مئةَ مرة، فقال عمر: هكذا سمعتُها من رسولِ الله ﷺ[1].

* * *

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأ، خبرُه ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الأقذارِ.

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ كثيفاً، لا تنسخُهُ الشمسُ، ولا يُؤْذيهم بردٌ ولا حر. قرأ أبو عمرٍو: (الصَّالِحَات سَّنُدْخِلُهُمْ) بإدغام التاء في السين.

* * *

﴿۞إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿۞إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ قرأ أبو عمرٍو: (يَأْمُرُكُمْ) باختلاسِ الحركةِ من طريقِ البغداديين، ورُوي عنهُ من طريق

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٤٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥١٧).

العراقيين[1] وغيرِهم: بإسكان الراء، والباقون: يشبعون الحركةَ[2]. نزلت في عثمانَ بنِ طلحةَ الحَجَبيِّ من بني عبدِ الدار، وكان سادنَ[3] الكعبة، فلما دخلَ النبيُّ ﷺ مكةَ يومَ الفتح، أغلقَ بابَ الكعبة، وأبى أن يدفعَ له المفتاحَ ليدخلَ فيها، وقال: لو علمتُ أنه رسولُ الله، لم أمنعْه، فمدَّ عليٌّ يدَه وأخذَه منه، وفتح، فدخلَ رسولُ الله ﷺ، وصلَّى ركعتين، فلما خرجَ، سأله العباسُ أن يعطى المفتاحَ، ويجمعَ له السقايةَ والسدانةَ، فأمر اللهُ أَنْ يُرَدَّ إليه، فأمر علياً بأن يردَّ المفتاحَ إلى عثمانَ، ويعتذر إليه، فكان ذلكَ سبباً لإسلامه، فلما ماتَ، دفعه إلى أخيهِ شيبةَ، فالمفتاحُ والسدانةُ في أولادِهِم إلى يومِ القيامة[4].

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: بالقسط.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ أي: نعمَ الشيءُ الذي.

﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (نِعِمَّا) في سورةِ البقرة عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ

---

(١) في جميع النسخ «الرقيين»، والصواب ما أثبت، والله أعلم.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤١).

(٣) في «ت»: «سادان».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:٨٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٥٠)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٨٩٣).

عَادِلٌ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدَّهُمْ عَذَاباً إِمَامٌ جَائِرٌ»[1].

وقال ﷺ: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلونَ النَّارِ، فَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي، فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَالثَّلاَثَةُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لاَ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ مِنْ مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ» أخرجه الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه[2].

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ أي: الولاة.

﴿ مِنكُمْۖ ﴾ إذا أمروا بطاعةِ اللهِ.

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ ﴾ اختلفتم أنتم وأمراءُ العدلِ.

﴿ فِي شَيْءٖ ﴾ من أمرِ دينِكم، والتنازُعُ: اختلافُ الآراءِ.

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى كتابِه.

---

(١) رواه الترمذي (١٣٢٩)، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الإمام العادل، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٦)، وغيرهم، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مدةَ حياتِه، وبعدَ وفاتِه إلى سُنَّتِهِ.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: الردُّ إلى الكتابِ والسنَّةِ.

﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً وعاقبةً.

***

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ هو كعبُ بنُ الأشرفِ، سُمِّيَ به؛ لإفراطِه في الطغيانِ.

﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: بالطاغوت.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ لا غايةَ له، فلا يهتدون. نزلت في بشر المنافقِ ويهوديٍّ كان بينَهما حكومةٌ، فطلبَ المنافقُ الحكومةَ إلى ابنِ الأشرفِ، فطلبَ اليهوديُّ الحكومةَ إلى النبيِّ ﷺ، فحكم ﷺ على المنافقِ، فلم يرضَ، فأتيا عمرَ رضي الله عنه، فقال اليهوديُّ: إن النبيَّ حكمَ لي، فلم يرضَ، قال عمرُ للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقتله عمرُ، فقال: هكذا أفعلُ بمن لم يرضَ بقضاءِ اللهِ وقضاءِ رسوله، فنزلت الآيةُ، وقال جبريل عليه السلام: «إن عمرَ فرقَ بينَ الحقِّ والباطلِ»، فسمِّي الفاروقَ[1].

---

(١) انظر: «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (١/ ٢٣٢)، و«أسباب النزول» =

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ للتحاكُم.

﴿ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ أي: يُعرِضون عنك إعراضاً. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ، ورُويس: (قِيلَ) بإشمام القافِ الضمَّ[١].

* * *

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ فَكَيْفَ ﴾ يكونُ حالُهم.

﴿ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ من قتلِ عمرَ للمنافق.

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من التحاكُم إلى غيرِك، واتهامِكَ في الحكم.

﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ أي: يجيئونك يطلبونَ ديةَ المقتول، ثم:

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ ﴾ بالمحاكمة إلى عمرَ.

﴿ إِلَّآ إِحْسَٰنًا ﴾ في القولِ.

﴿ وَتَوْفِيقًا ﴾ بين الخصمين، ولم نردْ مخالفتَكَ.

* * *

= للواحدي (ص:٨٩)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٩٠٣ـ ٩٠٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٥٨٥ـ٥٨٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٢).

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ثم أومأ تعالى إلى كذبهم بقوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾ من النفاق.

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ لا تعاقبْهم.

﴿ وَعِظۡهُمۡ ﴾ بينَ الناسِ ليتوبوا.

﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: في الخلاء.

﴿ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم، وهو التخويف بالله تعالى، وتوعدهم بالقتل إن لم يؤمنوا.

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ يعني: بتيسيره وقضائِه؛ أي: وما أرسلْنا رسولاً قَطُّ إلا لِيُطاع، وبطاعتِه يُطاعُ اللهُ.

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بالتحاكُم إلى الطاغوت.

﴿ جَآءُوكَ ﴾ معتذرينَ.

﴿ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾ من نفاقِهم.

﴿ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ يقبلُ توبةَ التائبينَ.

* * *

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ أي: فَوَرَبِّكَ، و(لا) مزيدةٌ لتوكيدِ القسمِ.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ أي: يجعلوكَ حَكَماً.

﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: اختلفَ، وأصلُ التشاجرِ: الاختلاط والتنازعُ.

﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا ﴾ ضِيقاً.

﴿ مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ أي: لا تضيقُ صدورُهم بحكمِك.

﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ ﴾ ينقادوا.

﴿ تَسْلِيمًا ﴾ بطيبِ نفسٍ.

* * *

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا ﴾ أَوْجَبْنا.

﴿ عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ كما قُتِل بنو إسرائيلَ.

﴿ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم ﴾ كما أَمَرْنا بني إسرائيلَ بالخروجِ من مصرَ. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (أنِ اقْتُلُوا) بكسر النونِ على أصل التحريك، (أَوُ اخْرُجُوا) بضمِّ الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ﴿ وَلَا تَنسَوُا۟

﴿ٱلۡفَضۡلَ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ بكسرهما، والباقون: بضمهما[1].

﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوبَ عليهم.

﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (إلاَّ قَلِيلاً) بالنصبِ على أصلِ الاستثناء، وكذلك هو في مُصحفِ أهل الشام، وقرأ الباقون: بالرفع على ضمير الفاعل في قوله: (فعلوه) تقديره: إلا نفرٌ قليلٌ فعلوه[2]، والقليلُ جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: عمر، وعمارُ بنُ ياسر، وعبدُ الله بنُ مسعود، وثابتُ بنُ قيسٍ، قالوا: واللهِ لو أمرَنا محمدٌ بذلكَ، لفعلنا، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي رِجَالاً، الإِيمَانُ أَثْبَتُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي»[3].

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ أي: ما يؤمرونَ به من طاعةِ الرسولِ.

﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ في عاجِلهم وآجِلهم ﴿وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾ تحقيقاً لإيمانِهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر»، للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٢_١٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٦٠)، عن أبي إسحاق السبيعي. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩٥)، عن الحسن البصري.

﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] و﴿ وَإِذًا ﴾ جوابُ سؤالٍ مقدَّرٍ تقديرُه: ماذا يكونُ لهم بعدَ التثبيت؟ فقال: وإذاً لو ثبتوا.

﴿ لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ثواباً وافراً؛ لأن (إذاً) جوابٌ وجزاء.

***

﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ وَفَّقْناهم لازديادِ الخيراتِ.

***

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ونزلَ في ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ، وكانَ شديدَ الحبِّ له حينَ قالَ للنبيِّ ﷺ: «إِنِّي أخشى ألاَّ أراكَ يومَ القيامةِ لِعُلُوِّ منزلتِكَ»[١]:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ ﴾ في أداءِ الفرائضِ ﴿ وَالرَّسُولَ ﴾ في السُّنَنِ.

﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي: لا تفوتُهم رؤيةُ الأنبياءِ ومجالستُهم.

﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ هم أفاضلُ الصحابةِ المبالِغينَ في الصِّدقِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١/ ١٧٤).

﴿ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ هم شهداءُ أُحُدٍ.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ سائرِ الصحابةِ، واللفظُ يعمُّ كلَّ صالحٍ وشهيدٍ، والله أعلم. قال ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(١).

﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ أي: ما أحسنَ أولئكَ رفقاءَ في الجنةِ بأن يُستمتَعَ فيها برؤيتِهم وزيارتِهم والحضورِ معهم، وإن كانَ مقرُّهم في درجاتٍ عاليةٍ بالنسبةِ إلى غيرِهم، ومن فضلِ الله تعالى على غيرِهم أنَّه قد رُزِقَ الرِّضا بحالِه، وذهبَ عنه أن يعتقدَ أنه مفضولٌ؛ انتفاءً للحسرةِ في الجنةِ التي تختلفُ المراتبُ فيها على قَدْرِ الأعمالِ، وعلى قدرِ فضلِ الله على مَنْ يشاء.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما للمطيعينَ من الأجرِ.

﴿ ٱلْفَضْلُ﴾ صفتُهُ.

﴿ مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبرُهُ.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ بجزاءِ مَنْ أطاعَهُ، فإنَّهُ يعطيهم ما عَلِمَهُ لهم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٨١٦)، كتاب: الأدب، باب: علامة الحب في الله عز وجل، ومسلم (٢٦٤٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ أي: تيَقَّظوا لعدوِّكم، والحِذْرُ والحَذَرُ واحدٌ، وهو الاحترازُ.

﴿ فَٱنفِرُواْ ﴾ فاخرُجوا.

﴿ ثُبَاتٍ ﴾ سرايا متفرِّقينَ.

﴿ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ كلُّكم مع نبيِّكم ﷺ، وأصلُ النَّفرِ: الانزعاجُ من الشيءِ أو إلى الشيءِ.

* * *

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ واللام في (ليبطئَنَّ) لامُ القسم، والتبطئةُ: التأخُّرُ عن الأمر، والخطابُ لعسكرِ النبيِّ ﷺ. المعنى: وإن منكم؛ أي: عبدَ اللهِ بنَ أُبي وأصحابَه ليتأخَّرَنَّ عن الغزو تثاقُلاً. قرأ أبو جعفرٍ: (لَيُبَطِّيَنَّ) بفتح الياء بغير همز، والباقون: بالهمز.

﴿ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ قتلٌ أو هزيمةٌ.

﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ ﴾ بالقعودِ.

﴿ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ حاضراً، فيصيبني ما أصابَهُمْ.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ سلامةٌ وغنيمةٌ.

﴿ لَيَقُولَنَّ ﴾ هذا المنافقُ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ.

﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ متصلٌ بقوله: ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ تقديره: فإن أصابتكم مصيبةٌ، قال: قد أنعمَ الله عليَّ إذ لم أكنْ معهم شهيداً؛ كأن لم تكنْ بينكم وبينَهم مودة؛ أي: معرفة. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ، ورويسٌ: (تكُنْ) بالتاءِ، والباقون: بالياء[١]، ولئن أصابكم فضلٌ من الله ليقولن:

﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ ﴾ في تلكَ الغَزاةِ.

﴿ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ آخذَ نصيباً وافراً من الغنيمةِ (فأفوزَ) نُصب على جوابِ التمنيِّ.

* * *

﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤٥).

[٧٤] ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ﴾ أي: يشترونَ.

﴿ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ ومعناه: آمِنوا أيُّها المنافقونَ، وجاهِدوا في سبيلِ الله. وقيل: نزلَتْ في المؤمنين، فيكونُ معناه: فليقاتلْ في سبيلِ اللهِ الذين يختارونَ الأُخرى على الدنيا.

﴿ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ ﴾ يُسْتَشْهَدْ.

﴿ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ يظفرْ بعدوِّه.

﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ في كِلا الحالتين. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلادٌ: (يَغْلِب فَّسَوْفَ) و(تَعْجَب فَّعَجَبٌ) وشبهَه حيثُ وقعَ بإدغامِ الباءِ في الفاء، والباقون: بالإظهار(١).

***

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾.

[٧٥] ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في طاعةِ اللهِ، استفهامُ توبيخٍ على تركِ الجهادِ.

﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ أي: وفي سبيل المستضعفين.

﴿ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ ﴾ بمكةَ، صَدَّهم المشركونَ عن الهجرة وآذَوْهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٦).

﴿يَقُولُونَ﴾ داعِينَ.

﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ هي مكةُ.

﴿ٱلظَّالِمِ﴾ أي: التي ظلمَ.

﴿أَهۡلُهَا﴾ بكفرِهم وصَدِّهم المسلمينَ عن الهجرةِ.

﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أي: ارزقنا مَنْ يتولى أمرَنا.

﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ ينصرُنا على أعدائنا، فاستجابَ اللهُ دعاءَهم، فلما فُتحت مكةُ، ولَّى النبيُّ ﷺ عليهم عتَّابَ بنَ أُسيد، فكان ينصفُ المظلومينَ من الظالمين.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾.

[٧٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ أي: طاعته.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطانِ والأصنامِ.

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾ أيُّها المؤمنونَ.

﴿أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ جنودَه، وهم الكفارُ.

﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ مكرَه.

﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهِناً لا يثبتُ للحقِّ[1].

---

(١) من قوله «﴿وَإِذَا﴾ جواب سؤال...» (ص: ١٥١) من هذا الجزء إلى هنا سقط من «ن»، وهو بمقدار لوحة من النسخ الخطية الأخرى.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ عن القتالِ. نزلتْ في جماعةٍ من الصحابةِ كانوا يَلْقَوْنَ من المشركينَ بمكة أذًى كثيراً قبلَ الهجرة، فقالوا: يا رسول الله! ائذنْ لنا في قتالِهم؛ فإنهم قد آذَوْنا، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ بِقِتَالِهِمْ»(١).

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ فلما هاجروا إلى المدينة، وأمرهم الله بقتالِ المشركينَ، شَقَّ ذلك على بعضِهم، قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ ﴾ أي: فُرِض.

﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني: مشركي مكةَ.

﴿ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي: كخشيتِهم منَ اللهِ.

﴿ أَوْ أَشَدَّ ﴾ أكبرَ.

﴿ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ﴾ الجهاد.

﴿ لَوْلَآ ﴾ أي: هَلاَّ.

﴿ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ إلى أن نجدَ من نستنصرُ به.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦٣)، و«العجاب» لابن حجر (٢/ ٩١٨).

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: منفعتُها والاستمتاعُ بها.

﴿قَلِيلٌ﴾ سريعُ التَّقَضِّي.

﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾ أي: وثوابُ الآخرةِ.

﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشركَ.

﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو ما في شقِّ النواةِ طولاً، وتقدمَ تفسيرُه. المعنى: لا يقعُ نقصٌ في شيءٍ من الحسناتِ ثَمَّ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وروحٌ: (يُظْلَمُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[١].

* * *

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: ينزلْ بكمُ الموتُ. نزلت في المنافقينَ الذين قالوا في قَتْلَى أُحد: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فردَّ الله عليهم، وأخبرَ أنَّ الحذرَ لا ينُجي من القَدَرِ.

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ﴾ حُصونٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٦).

﴿ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ مرتفعةٍ.

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ ﴾ أي: المنافقينَ ومَنْ جرى مجراهُمْ.

﴿ حَسَنَةٌ ﴾ خصبٌ وظفرٌ يومَ بدرٍ.

﴿ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لنا.

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ جَدْبٌ وهزيمةٌ يومَ أُحُدٍ.

﴿ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ يا محمدُ؛ أي: بسبب شُؤْمِكَ، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ كُلٌّ ﴾ الحسنة والسيئة.

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ بقضائه وقَدَرِه، ثم عَيَّرَهم بالجهلِ فقال:

﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ يعني: المنافقين.

﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ والفقهُ لغةً: الفَهْمُ. وقف أبو عمرٍو، والكسائيُّ بخلافٍ عنه على الألف دونَ اللام من قوله (فَمَالِ هَؤُلَاءِ)[1]، و(مَالِ هذَا الكِتابِ) في سورةِ الكهفِ، و(مَالِ هَذَا الرَّسُولِ) في الفرقان، (فَمَالِ الَّذِينَ) في سأَلَ، ووقف الباقون (فمال) على اللام اتباعاً للخَطِّ، بخلافٍ عن الكسائيِّ، قالَ ابنُ عطية: ومنعه قومٌ جملةً؛ لأنها حرف جر، فهي بعضُ المجرور، وهذا كله بحسب ضرورةٍ أو[2] انقطاعِ نفسٍ، وأما أن يختارَ أحدٌ الوقفَ فيما ذكرناه ابتداءً، فلا، انتهى[3].

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٤٧).
(٢) في «ظ»: «و».
(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٨١).

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ثم خاطب النبيَّ ﷺ، والمرادُ غيرُه فقال:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ ﴾ يا إنسانُ.

﴿ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ خيرٍ ونعمةٍ.

﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ تفضُّلاً.

﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ بَليّةٍ.

﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ أي: بذنبِك؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وتعلَّق القدريَّةُ بظاهرِ هذه الآيةِ، فقالوا: نفى الله عز وجل السيئةَ عن نفسه، ونسبهَا إلى العبدِ، ولا متعلَّقَ لهم فيه؛ بدليل قوله تعالى:

﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ غيرَ أن الحسنةَ إحسانٌ وامتحانٌ، والسيئة مجازاةٌ وانتقامٌ.

عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ نَصَبٌ وَلاَ وَصَبٌ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا الْعَبْدُ، وَحَتَّى انْقِطَاعُ شِسْعِ نَعْلِهِ، إلاَّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللهُ أَكْثَرُ»(١).

---

(١) روى البخاري (٥٣١٧)، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المريض، ومسلم (٢٥٧٢)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، بلفظ: «ما من مصيبة يصاب بها المسلم إلا كفر بها عنه، حتى الشوكة يشاكها». وروى البخاري (٥٣١٨)، كتاب: المرض، =

﴿وَأَرْسَلْنَكَ﴾ يا محمدُ.

﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حالٌ مؤكِّدَةٌ، أي: ذا رسالةٍ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتِك وصدقِك.

* * *

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أَمَرَ به.

﴿فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ كانَ ﷺ يقولُ: «مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ أَحَبَّنِي، فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ»، فقال بعضُ اليهود: ما يريدُ محمدٌ إلا أنْ يُتَّخَذَ رَبّاً، فنزلتِ الآية[1].

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرضَ عن طاعتِه.

﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: حافظاً ورقيباً، بلْ كِلْ أمورَهُم إلى الله، قيل: نُسِخ هذا بآيةِ السيف.

= باب: ما جاء في كفارة المريض، ومسلم (٢٥٧٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة بلفظ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياه».

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٣٣٦): غريب جداً، ونقل المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٥٠٤) عن الولي العراقي أنه قال: لم أقف عليه هكذا، وعن ابن حجر: لم أجده.

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٨١) ﴾.

[٨١] ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ يعني: المنافقينَ، يُظهرونَ أنهم يطيعونَكَ.

﴿ فَإِذَا بَرَزُوا ﴾ خرجوا.

﴿ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ ﴾ أي: دبَّرَ ليلاً.

﴿ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ (بيَّت طَّائِفَةٌ) بسكونِ التاء وإدغامِها في الطاء، والباقون: بإظهار التاءِ مفتوحةً[(١)]. المعنى: جماعةُ المنافقينَ تُظهر في حضورِكَ خِلافَ ما تُضْمِرُ، وتقولُ في غَيْبَتِكَ قولاً.

﴿ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ في مجلسِك.

﴿ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ ﴾ يُثْبِتُ في صحائِفِهم للمجازاةِ.

﴿ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ يُزَوِّرونَ.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ لا تُعاقِبْهم.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: اتَّخِذْهُ وكيلاً، فهو كافيكَ.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ ناصِراً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٤٨/٢).

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يتأمَّلون القرآنَ؛ أي: لو اعتبروا القرآن، لتيقنوا أنه من عندِ الله؛ لعدمِ تناقضِه.

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا ﴾ تناقُضاً.

﴿ كَثِيرًا ﴾.

* * *

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ونزل فيمن كان يُفْشي ما يسمعُ؛ ليضعفَ قلوبَ المؤمنينَ:

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ ﴾ يعني: المنافقينَ.

﴿ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ ﴾ من الفتحِ والغنيمةِ.

﴿ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾ القتلِ والهزيمةِ.

﴿ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ ﴾ أَفْشَوْهُ.

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ ﴾ أي: الخبرَ.

﴿ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: لو لم يحدِّثوا به حتى يكونَ النبيُّ ﷺ هو الذي يحدّثُ به.

﴿ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ أصحابِ الرأيِ من الصحابةِ.

﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ يستخرجونَه، وهم العلماءُ؛ أي: لوردُّوا ما يسمعونَ من الخبرِ إلى هؤلاء، لعلموا ما يُفْشى فيُفشى، وما يُكْتَمُ فيكتمُ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلامِ.

﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالقرآنِ.

﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ أي: لضللتم باتباعِه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم، والمرادُ: الذين اهتدَوْا قبلَ مجيءِ النبيِّ ﷺ؛ كزيدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ، وَوَرَقَة بنِ نَوْفَلٍ، أو: إلاَّ اتِّباعاً قليلاً.

* * *

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] وكان النبيُّ ﷺ وعدَ أبا سفيان بعدَ حربِ أُحُدٍ موسمَ بدرٍ الصُّغرى في ذي القعدةِ، فلما بلغَ الميعاد، دعا الناسَ إلى الخروج، فكرهَهُ بعضُهم، فأنزل الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾[1] أي: قاتلِ المشركينَ، وانصرِ المستضعفينَ بمكَّةَ، ولو وحدَكَ؛ فإنَّكَ موعودٌ بالنصرِ.

﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حُثَّهم على الجهاد، فخرجَ رسولُ الله ﷺ في سبعينَ راكباً، فكفاهُمُ اللهُ القتالَ، فقال جل ذكرُه:

﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ أي: لعلَ اللهَ ﴿أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾ صولةَ وحربَ.

---

(١) عزاه المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٥٠٤) إلى ابن جرير في «تفسيره» من حديث ابن عباس، ولم أره فيه.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ وقد كفى بتخلفِ أبي سفيانَ عن الخروج إلى بدرٍ الصغرى تلكَ السنةَ.

﴿ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا ﴾ صولةً وأعظمُ سلطاناً من قريشٍ.

﴿ وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ عقوبةً، وهو تقريعٌ وتهديدٌ لمن لم يتبعْه.

***

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾ هي الإصلاحُ بينَ الناسِ.

﴿ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ وهو ثوابُ الشفاعةِ.

﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً ﴾ هيَ المشيُ بالنميمةِ بينَ الناسِ.

﴿ يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾ أي: نصيبٌ من وِزْرِها، والكِفْل: الضِّعْفُ من الشيء، واشتقاقُه من الكَفَلِ؛ لمشقَّةِ الركوبِ عليه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ مجازِياً.

***

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾ إذا قال: السلامُ عليكم، فقلْ: وعليكُمُ السلامُ ورحمةُ اللهِ، وإذا قال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، فقلْ: وعليكم السلامُ ورحمةُ الله وبركاتُه، وإذا قال: السلامُ عليكم

ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، فَرُدَّ مثلَها، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: «انتهى السلامُ إلى البركةِ»[(١)].

﴿أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ أي: رُدُّوا مثلَها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ محاسباً على السلام وغيره، والسلامُ سنةٌ على الكِفاية مرغَّبٌ فيها، وإذا سلَّم واحدٌ من الجماعةِ، أجزأَهم، بالاتفاق، والردُّ فرضٌ على الكفايةِ عندَ الثلاثةِ، وذهبَ أبو حنيفةَ إلى أنَّ ردَّ السلامِ من الفروضِ المتعيِّنَةِ، قالَ: والسلامُ خِلافُ الردِّ، لأنَّ الابتداءَ به تطوُّع، وردَّه فَريضةٌ، فإذا ردَّ واحدٌ من جماعةٍ، سقطَ عن الباقينَ باتفاقهم.

ويحرمُ بداءةُ أهلِ الذمَّةِ بالسَّلام عندَ مالكٍ والشافعيِّ، وعندَ أبي حنيفةَ يُكْرَه؛ لما فيه منْ تعظيمِهم، فإنْ سلَّمَ على ذميٍّ جاهلاً أو ناسياً، ثم علمَ، فمذهبُ مالكٍ لا يستقيلُه، واختارَ ابنُ عطيةَ المالكيُّ أن يستقيلَه سلامَه، ومذهبُ الشافعيِّ يقولُ: استرجَعْتُ سلامي تحقيراً له، ومذهبُ أحمدَ يُسَنُّ قولُه: رُدَّ عَلَيَّ سلامي، وإذا سَلَّم ذميٌّ على مسلمٍ، فعندَ أحمدَ وأبي حنيفةَ يقولُ في الرد: وعليكم، وعندَ الشافعيِّ يقول: وعليكَ، وعند مالكٍ يقول: عليكَ، بغير واو، واختارَ بعضُ أصحابه السِّلام بكسرِ السين؛ يعني به الحجارةَ.

* * *

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾.

[٨٧] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ﴾ اللامُ في (ليجمعنكم) لامُ القسم، تقديره: اللهُ واللهِ ليحشرنَّكُم.

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٩).

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: القيام من القبورِ إلى الحسابِ.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ في ذلك اليوم(١).

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: لا حديثَ أصدقُ من حديثِ الله؛ لأنه سبحانه منزَّهٌ عن الكذب. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ورويسٌ بخلاف عنه: (أَصْدَقُ) و(يَصْدِفونَ) و(تَصْدِيَةً) و(تَصْدِيق) و(فَاصْدَعْ) بإشمام الصاد الزاي حيثُ وقعَ، والباقون بالصادِ الخالصةِ(٢).

* * *

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ونزل فيمن أسلمَ، ثم ندمَ، ثم ارتدَّ:

﴿فَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين.

﴿فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ أي: اختلفْتُم فافترقْتُم فرقتينِ، ولم تقطعوا جميعاً بكفرِهم.

﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ نَكَّسَهُمْ وردَّهم إلى الكفرِ، وأصلُ الركْسِ: ردُّ الشيءِ مقلوباً.

﴿بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ بسببِ كسبِهم، وهو ارتدادُهم عن الإسلام.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أتطلبون هدايةَ مَنْ أضلَّ اللهُ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى.

---

(١) «اليوم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٠)، و«النشر في القراءات العشر»، لابن الجزري (٢/ ٢٥٠_٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٠).

﴿ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ طريقاً إلى الحقِّ.

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ وَدُّواْ ﴾ تمنوا؛ يعني: أولئكَ الذين[١] رَجَعوا عن الدين.

﴿ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ ﴾ عطفٌ على ﴿تكْفُرونَ﴾.

﴿ سَوَآءً ﴾ أي: مستوينَ أنتمْ وهُمْ في الكفرِ.

﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ وإنْ أظهروا الإيمانَ.

﴿ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ هجرةً للهِ ورسولِه، لا لأغراضِ الدنيا.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أعرَضُوا عن الإيمانِ والهجرةِ.

﴿ فَخُذُوهُمْ ﴾ أُسارى، ومنهُ يُقال للأسير: أَخيذٌ.

﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ ﴾ في الحلِّ والحرمِ.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ أي: لا تقبلوا منهم ولايةً ونصرةً.

* * *

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾.

---

(١) «الذين» ساقطة من «ن».

[٩٠] ثم استثنى من القتل، لا من الموالاة، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ ينتسبونَ ويلتجئونَ بالحِلْفِ.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهدٌ، وهم قيل(١) قومُ هلالِ بنِ عويمرٍ الأسلميِّ، كان قد وادعَهُ النبيُّ ﷺ قبلَ خروجِه إلى مكةَ ألا يُعينَه ولا يُعينَ عليه، ومن وصلَ إلى هلالٍ من قومِه وغيرِهم فلهُ من الجوارِ مثل ما لهلالٍ.

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ﴾ أي: يَتَّصلونَ بقومٍ جاؤوكم.

﴿حَصِرَتْ﴾ ضاقَتْ.

﴿صُدُورُهُمْ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، وقالونُ، وورشٌ، وهشامٌ: (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ) بإظهار التاء عند الصاد، والباقون: بالإدغام، وقرأ يعقوبُ: (حَصِرَةً) بالفتح والتنوين؛ أي: ضَيِّقَةً صدورُهم(٢).

﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ أي: ضاقت قلوبُهم عن قتالِكم وقتالِ قومِهم، وهم الذين عاهدوا النبيَّ ﷺ. تلخيصُه: إن لم يأتوا بالإسلامِ كما ينبغي، فاقتلوهم، واجتنبوهم، إلا المتَّصفينَ بهذهِ الصفاتِ، فاتركوهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ لِحكَمٍ يعلَمُها.

﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ مع قومِهم، ولم يكفُّوا عنكم.

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ ولم يتعرَّضوا لكم.

---

(١) «قيل» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥١-١٥٢).

﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ الصلحَ والانقيادَ.

﴿ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ طريقاً بالقتل.

* * *

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا (٩١) ﴾.

[٩١] ونزل في أُسْدٍ وغَطفانَ ومَنْ جرى مجراهم حيثُ أظهروا الإيمانَ وهم غيرُ مؤمنين، فلما رجعوا إلى قومهم، كفروا:

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ ﴾ بقولِهم لكم: آمنَّا.

﴿ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ بكفرِهم عندَ عودِهم إليهم.

﴿ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ ﴾ دُعوا إلى الكفرِ و(١) إلى قتالكم.

﴿ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ ﴾ عادُوا إلى الشِّركِ.

﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ ﴾ حتى يسيروا إلى مكةَ.

﴿ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ أي: الصلحَ.

﴿ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ عن قتالِكم.

﴿ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ ﴾ تمكَّنْتُم من قتلِهم.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ حجةً ظاهرةً بالقتل.

---

(١) «و» ساقطة من «ت».

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ونزل في عَيَّاشِ بنِ أبي[1] ربيعةَ أخي أبي جهلٍ من الأمِّ لما لقيَ حارثَ بنَ زيدٍ في طريقٍ، وكانَ قد أسلمَ، ولم يشعرْ به عياشٌ، فقتلَه:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾[2] أي: ما ينبغي لمؤمنٍ.

﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ استثناءٌ منقطعٌ، معناه: لكنْ إن وقعَ خطأٌ، فتحريرُ رقبةٍ، والخطأُ: ما لم يتعمَّدِ الإنسانُ.

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ﴾ أي: فالواجبُ على القاتلِ عتقُ.

﴿رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ كفارةً باتفاقِ الأئمةِ إذا كان المقتول حُرّاً مسلماً، فإن كان المقتولُ ذِمِّياً أو عبداً، قال أبو حنيفةَ والشافعيُّ وأحمدُ: تجبُ الكفارةُ في قتلِه كوجوبِها في حقِّ الحرِّ المسلمِ، وقال مالكٌ: لا تجبُ بقتلِ عبدٍ ولا كافرٍ، فإن كانَ القتلُ عمداً، فقال الشافعيُّ: تجبُ الكفارة، وقال الثلاثة: لا تجبُ، وإذا قتلَ الكافرُ مسلِماً خطأً، فقال الشافعيُّ وأحمدُ:

---

(١) «أبي» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢١٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٧٥).

تجبُ عليه الكفارة، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا كفارةَ عليه.

﴿وَدِيَةٌ﴾ هي المالُ المؤدَّى إلى مَجْنِيٍّ عليه، أو وليِّه بسببِ جنايةٍ[(١)].

﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مُؤَدَّاةٌ.

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ إلى وَرَثَةِ القتيلِ بدلَ النفسِ، والرقبةُ في مالِ القاتلِ، والديةُ على عاقلتِه، فإن لم يكن له ورثةٌ، فلبيتِ المال.

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ﴾ يعفوا ويتركوا الديةَ.

﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتولُ.

﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ أي: حربٍ للمسلمين، لا عهدَ بينَكم وبينَهم.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ محكومٍ بإسلامِها، وإن كانتْ صغيرةً، ولا ديةَ فيه بالاتفاق؛ إذ لا وراثةَ بينَه وبينَ أهله؛ لأنهم كفارٌ محاربون.

﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ذمياً، أو معاهداً.

﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ لأن حكمَهُ حكمُ المسلمِ بالاتفاق.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: لم[(٢)] يملكِ الرقبةَ، ولا يقدرُ على تحصيلِها.

﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيامُ.

﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: جعل اللهُ ذلكَ توبةً لقاتلِ الخطأ.

---

(١) في «ن»: «جنايته».

(٢) «لم» ساقطة من «ن».

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمن قتل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما أمرَ في شأنه.

واعلمْ أن القتلَ على ثلاثةِ أقسامٍ:

عَمْدٌ محضٌ: وهو أن يقتلَه بما يغلبُ على الظنِّ موته به؛ كالسيفِ ونحوِه، ففيه القصاصُ بشروطِه، أو الديةُ بالاتفاقِ.

وشِبْهُ عمدٍ: وهو أن يقصدَ الجنايةَ بما لا يقتُلُ غالباً؛ كالحجرِ والعصا ونحوِهما، ففيهِ الديةُ دونَ القصاصِ عندَ الثلاثةِ، ومالكٌ رحمه الله لا يرى شبهَ العمد، ولا يقولُ به في شيء، وإنما القتلُ عندَه عمدٌ أو خطأٌ، لا غيرُ، فإذا أصابَه بما لا يقتلُ غالباً، فماتَ، فعندَه يجبُ فيه القصاصُ.

وخطأ: وهو أن يرمي شخصاً يظنُّه صيداً أو حربيّاً، فإذا هو مسلمٌ، ففيه الديةُ، ولا قصاصَ فيه بالاتفاق.

وأما قدرُ ديةِ الحرِّ المسلمِ، فعند أبي حنيفةَ مئةٌ من الإبل، فالمغلَّظةُ: وهي التي بسببِ العمدِ المحضِ وشبهِ العمدِ تجبُ أرباعاً: خمساً وعشرينَ بنتَ مخاضٍ، وهي التي طعنَتْ في السنة الثانية، وخمساً وعشرين بنتَ لَبونٍ، وهي التي طعنت في السنةِ الثالثة، وخمساً وعشرين حِقَّةً، وهي التي طعنتْ في السنةِ الرابعة، وخمساً وعشرين جَذَعَةً، وهي التي طعنت في السنة الخامسة، والمخفَّفَةُ: وهي التي بسبب قتلِ الخطأ تجبُ أخماساً: عشرينَ ابنَ مخاضٍ، ومثلُها بناتُ مخاض، وبناتُ لَبون، وحقاقٌ، وجذعٌ، أو ألفُ دينار، أو عشرةُ آلافِ درهم، كلُّ عشرةٍ وزنُ سبعةِ مثاقيلَ.

وديةُ العمدِ المحضِ في مال القاتل مؤجَّلَةٌ في ثلاثِ سنينَ، وديةُ شبهِ العمدِ والخطأ على العاقلةِ مؤجلةٌ كذلك.

وعند مالكٍ إن كان الجاني من أهل البادية، فالدية مئةٌ من الإبل تجبُ

في العمدِ أرباعاً، وفي الخطأ أخماساً، كقول أبي حنيفةَ، إلا أنه جعلَ في الأخماسِ مكانَ ابنِ مخاضٍ ابنَ لبونٍ، والديةُ في التغليظ عندَه تجبُ أثلاثاً: ثلاثينَ حقةً، وثلاثين جذعةً، وأربعينَ خلفةً، وهي التي في بطونها أولادُها غيرَ محدودةٍ أسنانُها، والتغليظُ عنده في قتلِ أحدِ الوالدين ولدَه على وجهٍ تقارنه الشبهةُ، وإن كانَ من أهلِ الذَّهَبِ، وهم أهلُ مصرَ والشامِ والمغربِ، فهي ألفُ دينارٍ، وإن كان من أهلِ الوَرِقِ، وهم أهلُ العراقِ وفارسَ وخراسانَ، فهي اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ، وديةُ العمدِ على القاتلِ في ماله مؤجَّلَةٌ في ثلاثِ سنينَ كقولِ أبي حنيفة، وقيل: حَالَّةٌ، وديةُ الخطأ على العاقلةِ مؤجَّلَةٌ كذلك.

وعندَ الشافعيِّ مئةُ بعيرٍ مثلثةٌ في العمدِ وشبهِه؛ كقولِ مالكٍ في التغليظ، وفي الخطأ مخمسةٌ كقول مالكٍ، فلو عُدمَتْ، فالقديمُ من مذهبه ألفُ دينارٍ، أو اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ، والجديدُ قيمتُها بنقدِ بلدِه، وديةُ العمدِ على الجاني معجَّلَةٌ، وشبهِ العمدِ والخطأ على العاقلةِ مؤجَّلَةٌ.

وعندَ أحمدَ مئةٌ من الإبلِ، أو مئتا بقرةٍ، أو ألفا شاةٍ، أو ألفُ مثقالٍ ذهباً، أو اثنا عشرَ ألفَ درهمٍ فضةً، فهذه الخمسُ أصولٌ في الدية، إذا أحضرَ(١) مَنْ عليه الديةُ شيئاً منها، لزمَ قبولُه، وتجبُ الإبلُ في العمدِ وشبهِه أرباعاً، وفي الخطأ أخماساً كقولِ أبي حنيفةَ، ويؤخذ في البقر النصفُ مُسِنَّاتٌ، وهي التي لها سنتانِ، والنصفُ أَتْبِعَةٌ، وهي التي لها سنةٌ، وفي الغنم النصفُ ثَنَايا، وهي التي لها سنةٌ، والنصفُ جذعَةٌ، وهي التي لها ستة أشهر، ولا تعتبرُ القيمةُ في شيء من ذلك بعدَ أن يكون سليماً من العيب، وديةُ العمدِ المحضِ في مال الجاني حالَّةٌ، وشبهِ العمدِ والخطأ

(١) في «ن»: «حضر».

على عاقلتِه في ثلاثِ سنينَ، وديةُ المرأةِ نصفُ دية الرجل باتفاقهم.

واختلفوا في ديةِ الذمِّيِّ والمجوسيِّ، فقال أبو حنيفةَ: هي كديةِ المسلم سواء، وقال مالكٌ وأحمدُ: ديةُ الذميِّ نصفُ ديةِ المسلم، والمجوسيِّ ثمانُ مئةِ درهمٍ، وقال الشافعيُّ: ديةُ اليهوديِّ والنصرانيِّ ثلثُ ديةِ مسلمٍ، والمجوسيِّ ثلثا عُشْرِ دية[1] مسلمٍ، وديات نسائِهم نصفُ دياتِ رجالِهم بالاتفاق.

وديةُ العبدِ والأمةِ قيمتُهما بالغةً ما بلغَتْ عندَ الثلاثة، وقال أبو حنيفةَ: من قتلَ عبداً خَطَأً، فعليه قيمتُه، لا يُزاد على عشرةِ آلافٍ إلا عشرةٌ، وفي الأمةِ خمسةُ آلافٍ إلا عشرةً، وإن كانَ أقلَّ من ذلك، فعليه قيمتُه، وخالفه أبو يوسفَ، فوافق الجماعةَ.

واختلفوا في العاقلة، فقال الثلاثة: هم العصبة قَرُبوا أو بَعُدوا، ومنهم الأصولُ والفروعُ، وقال الشافعيُّ: هم عصبتُهُ إلا الأصلَ والفرعَ، يقدَّمُ الأقربُ فالأقربُ.

ولا عقلَ على الصبيانِ والنساءِ بالاتفاقِ.

فإن فُقِدَ العاقلُ، عقلَ بيتُ المالِ عن المسلمِ، فإن فُقِدَ، فكلُّ الديةِ على الجاني بالاتفاق.

* * *

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ بأنْ يقصدَ قتلَه بنيتِهِ وفعلِه مع علمِه بإيمانِه.

---

(١) «دية»: زيادة من «ن».

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ نزلَتْ في مِقْيَسِ بنِ صبابةَ، وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار، ولم يظهرْ قاتلُه، فأمرَهُم رسولُ الله ﷺ أن يدفعوا إليه ديتَهُ، فدفعوا إليه، ثم حملَ على مسلمٍ فقتلَه، ورجعَ إلى مكةَ مرتدّاً[(١)].

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ طردَهُ عن الرحمةِ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

واختلِفَ في قبولِ توبةِ القاتلِ، فجماعةٌ على أن لا تقبلَ توبتُه، والذي عليه الجمهورُ، وهو مذهبُ أهل السنَّةِ: أنَّ قاتلَ المسلمِ عمداً توبتُه مقبولةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولقولِه ﷺ: «مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٢)]، ويحملون الآيةَ على من قَتَلَ مؤمناً مستحِلاً لقتلِه ولم يتبْ.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/٢١٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/١٠٣٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٤)، و«تفسير البغوي» (١/٥٧٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/٦٢٣).

(٢) تقدم تخريجه.

[٩٤] ونزل في أسامةَ بنِ زيدٍ لما وُجِّهَ في سريَّةٍ، فسمعَ رجلاً يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، السلامُ عليكم، فقتلَهُ واستاقَ غنمَهُ، ورجعَ إلى النبيِّ ﷺ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾[١] سافرتُم للجهادِ.

﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ تأمَّلُوا. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَتَثَبَّتُوا) في الحرفين؛ من الثباتِ والتأنِّي، وقرأ الباقون: [بالياء والنون من التبيُّن، وهو التأمُّلُ[٢].

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ ﴾ وهو تحية الإسلام. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ: (السَّلَمَ) بغير ألفٍ، وهو المفاداةُ، وهو قولُ لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ الله. وقرأ الباقونَ][٣] بالأول[٤]؛ أي: إذا رأيتم أَمارةً ظاهرةً على إسلامِ شخصٍ، فلا تقتلوه، ولا تقولوا:

﴿ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ إنما تفعلُ هذا تقيَّةً لحفظِ مالك ونفسِكَ. قرأ أبو جعفر بخلافٍ عنه (مُوْمِناً) بإسكانِ الواو بغير همزٍ[٥].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٣١٥)، و«صحيح مسلم» (٣٠٢٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٤ـ٣٩٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٤).

(٣) من قوله: «بالياء والنون» إلى قوله: «وقرأ الباقون» ساقط من «ت».

(٤) المصادر السابقة.

(٥) انظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٢٩١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٥).

﴿تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ منافِعَها.

﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ﴾ أي: غنائمُ.

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾ تكتمون إيمانكم من المشركين.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالهدايةِ وإظهارِ الإسلام، ورُوِيَ أنه ﷺ قال: «أَقَتَلْتُمُوهُ إِرَادَةَ مَا مَعَهُ؟»، ووجَدَ عليه، فقالَ أسامة: استغفرْ لي يا رسولَ الله، فقال: «فكيفَ بِلا إلهَ إلا اللهُ؟» مراراً، قال أسامة: فودِدْتُ أَني لم أكنْ أسلمتُ إلا يومَئِذٍ»[1]. قرأ أبو عمرٍو: (كَذَلِك كُّنْتُمْ) بإدغام الكاف في الكاف.

﴿فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾ أن تقتلوا مؤمناً خطأً، كرَّرها تأكيداً وزجراً عن الإقدامِ على القتل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ عالماً به، فلا تُقدموا على القتلِ، واحتاطوا فيه.

* * *

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ عن الجهادِ. نزلتْ في فضلِ

---

(١) رواه مسلم (٩٧)، كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.

الجهادِ والحثِّ عليه، فلما سمعَ ابنُ أمِّ مكتومٍ ـ وكانَ أعمى ـ النبيَّ ﷺ يُمليها على زيدِ بنِ ثابتٍ قال: «يا رسولَ اللهِ! لو استطعتُ الجهادَ لجاهدْتُ» فنزل:

﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾[1] أي: المرض؛ من عمًى وغيرِه. **قرأ** نافعٌ وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ (غَيْرَ) بنصبِ الراء؛ أي: إلا أولي الضرر، **وقرأ** الباقون: برفع الراء على نعتِ (القاعِدون)[2]، يريدُ: لا يستوي القاعدونَ الذين هم غيرُ أولي الضرر.

﴿ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ ﴾ أي: لا مساواةَ بينهم وبينَ من قعدَ عن الجهاد من غيرِ عذرٍ.

﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ للعذرِ.

﴿ دَرَجَةً ﴾ فضيلةً؛ لأن المجاهدَ مباشِرٌ مع النية، والقاعدَ له نيةٌ، ولكن لم يباشرْ، فنزلوا عنهم بدرجةٍ.

﴿ وَكُلًّا ﴾ من الفريقين.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ ﴾ وهي الجنةُ.

﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ ﴾ مطلقاً.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٧٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . ﴾ عن سهل بن سعد، ومسلم (١٨٩٨)، كتاب: الإمارة، باب: سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، عن البراء.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٥).

﴿عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ بعذرٍ وغيرِه.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: أَجَرَهم أجراً عظيماً.

* * *

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ نصبٌ بدلٌ من ﴿أجراً﴾.

﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ عطفٌ على درجات.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَا أَبَا سَعِيدٍ! مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» فعجبَ بها أبو سعيدٍ، قال: أَعِدْها عليَّ يا رسولَ اللهِ، ففعلَ، قالَ رسول الله ﷺ: «وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا الْعَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَابَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» فقال: وما هي يا رسولَ الله؟ قال: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِما(٢) عساه يفرطُ منهم.

﴿رَّحِيمًا﴾ بما وعدَ لهم.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٤)، كتاب: الإمارة، باب: بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات.

(٢) في «ن»: «لمن».

مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ونزلَ في أُناسٍ من مكةَ أسلموا ولم يهاجروا حينَ كانتِ الهجرةُ واجبةً، فلما خرجَ المشركونَ إلى بدرٍ، خرجوا معهم، فقُتلوا مع الكفار:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: ملكُ الموتِ وأعوانهُ.

﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بتركِ الهجرةِ وموافقةِ الكفرةِ. **قرأ** أبو عمرٍو: (الملائكَة ظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بإدغام التاء في الظاء[١]، **وقرأ** البزي: (إِنَّ الَّذِين تَّوَفَّاهُمُ) بتشديد التاء حالةَ الوصل[٢].

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكةُ توبيخاً لهم:

﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ في أيِّ شيءٍ كنتُم من أمرِ دينِكم.

﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزينَ عن الهجرةِ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مكةَ.

﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكةُ؛ تكذيباً[٣] لهم.

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ في الرزقِ.

﴿فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ إلى قطر آخرَ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٦).

(٢) وهي قراءة البزي، كما في «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٥٦).

(٣) في «ن»: «توبيخاً».

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ لتركِهم الواجبَ.

﴿ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ أي: بئسَ المصيرُ إلى جهنمَ.

* * *

﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ثم استثنى أهلَ العذرِ منهم فقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ أي: هم عاجزونَ[١] عن الهجرةِ؛ لضعفِهم وفقرِهم ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ أي: لا يعرفون طريقاً إلى الخروج.

* * *

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ و(عسى) من اللهِ واجب؛ لأنه للإطماع.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: كنتُ أنا وأُمي ممَّنْ عذرَ اللهُ[٢]؛ يعني: من المستضعفينَ، وكانَ رسولُ اللهِ يدعو لهؤلاءِ المستضعفينَ في الصلاة.

* * *

---

(١) في «ن»: «حاجزين».

(٢) رواه البخاري (٤٣١١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ..﴾.

﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا ﴾ مُتحَوَّلاً و مُهاجَراً.

﴿ كَثِيرًا ﴾ المعنى: مكاناً يتحول به على رغمِ أنفِهم، وأصلُ الرَّغْمِ: لصوقُ الأنفِ بالرّغامِ ذُلاًّ، وهو الترابُ.

﴿ وَسَعَةً ﴾ في الرزقِ، فلما سمعَ جُنْدَعُ بنُ ضَمْرةَ هذه الآيةَ، وكان شيخاً كبيراً، خرجَ من مكةَ محمولاً على سريرِه مهاجِراً إلى المدينة، فماتَ في الطريقِ، فقالَ بعضُ المسلمينَ: لو وصلَ إلى المدينةِ، لكانَ أتمَّ أجراً، وضحكَ المشركون، وقالوا: ما أدركَ هذا ما طلبَ، فنزل:

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾(1) قبلَ بلوغِه مُهاجَرَهُ.

﴿ فَقَدْ وَقَعَ ﴾ أي: وجبَ.

﴿ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بإيجابه على نفسِه فضلاً منه سبحانه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لِما كانَ منه في الشِّركِ.

﴿ رَّحِيمًا ﴾ حينَ قبلَ توبتَهُ؛ فعندَ الإمامِ أحمدَ والأكثر: لا يجبُ على اللهِ شيءٌ، لا عقلاً، ولا شرعاً، وقال جمعٌ: يجبُ عليه شرعاً بفضلِه وكرمِه، وحكي عن أهل السُّنة، وعندَ المعتزلة يجبُ عليه رعايةُ الأصلحِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٨)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (١/ ٥١٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٥٣).

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ سافَرْتُم.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: سفراً يبيحُ القصرَ، وهو مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ بسيرِ الإبلِ ومشيِ الأقدام عند أبي حنيفةَ، ومسيرةُ يومين قاصِدَينِ، وهو ستةَ عشرَ فرسخاً أربعةُ بُرُدٍ عندَ الثلاثةِ.

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ حرجٌ ﴿ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ بأن تردُّوها من أربعٍ إلى اثنتين، وذلك في الظهرِ والعصرِ والعشاءِ، وهو عزيمةٌ عندَ أبي حنيفةَ، وشدَّد فيه حتى قَال: إذا صلَّى الظهرَ أربعاً، ولم يجلسْ بعدَ الركعتين، بطلَ ظُهره، وإن قعدَ[1] في الثانية، أجزأَتْهُ اثنتانِ عن الفرضِ، وركعتانِ عن النافلةِ، وقال الثلاثةُ: هو رخصةٌ، واتفقوا على أن القصرَ أفضلُ من الإتمام، وعلى أن المغربَ والصبحَ لا يقصران، واختلفوا في سفرِ المعصيةِ هل يبيحُ الرخصَ الشرعيةَ من القصرِ وغيرِه؟[2] فقال أبو حنيفةَ: يبيحُ، وقال الثلاثة: لا يبيحُ، وتقدَّم نظيرُ ذلك في سورة البقرة عندَ تفسير قولِه تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [الآية: ١٧٣].

﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ﴾ أي: يقتلَكُم وينالَكم بما تكرهونَ.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ فظاهرُ الآيةِ: لا يجوزُ القصرُ إلا عندَ الخوفِ، وليسَ كذلكَ، بل الصحيحُ أن الخوفَ ليسَ بشرطٍ بالاتفاق؛ لأن النبيَّ ﷺ سافرَ

(١) في «ن»: «قعده».

(٢) «من القصر وغيره» ساقطة من «ت».

بينَ مكةَ والمدينةِ لا يخافُ إلا اللهَ، فكان يصلِّي ركعتين، وقد سألَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه النبيَّ ﷺ عن قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ فقدْ أَمِنَ الناسُ، فقال ﷺ: «صدَقةٌ تصدَّقَ اللهُ بها[1] عليكُمْ، فاقبَلُوا صدَقتَهُ»[2].

﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

* * *

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] عن ابنِ عباسٍ وجابرٍ: أنَّ المشركينَ لما رأَوا رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَه قامُوا إلى الظُّهرِ يصلُّونَ جميعاً، ندموا ألاَّ كانوا أكَبُّوا عليهِم، فقالَ بعضُهم لبعضٍ: دَعوهُم؛ فإنَّ لهم بعدَها صلاةً هي أحبُّ إليهم من آبائِهم وأبنائِهم، يعني: صلاةَ العصر، فإذا قاموا إليها، فشدُّوا عليهم فاقتلوهم،

---

(١) في «ن»: «تصدق بها الله».

(٢) رواه مسلم (٦٨٦)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة المسافرين وقصرها.

فنزلَ جبريلُ عليه السلام فقالَ: يا محمدُ! إنها صلاةُ الخوفِ، وإن الله[1] عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فعلَّمه صلاةَ الخوفِ، وكان نزولُ الآيةِ بينَ الظهرِ والعصرِ[2].

قال الإمامُ أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه: صحَّ عن النبيِّ ﷺ صلاةُ الخوفِ من خمسةِ أوجهٍ أو ستةٍ، كلُّ ذلك جائزٌ لمنْ فعلَهُ[3]، فمنْ ذلكَ:

إذا كان العدوُّ في جهةِ القِبلَةِ، صَفَّ الإمامُ المسلمينَ خلفَه صَفَّينِ، فصلَّى بهم جميعاً إلى أن يسجدَ، فيسجدُ معه الصفُّ الذي يليه، ويحرسُ الآخَرُ حتى يقومَ الإمامُ إلى الثانيةِ، فيسجدُ ويلحقُه، فإذا سجدَ في الثانيةِ، سجدَ معه الصفُّ الذي حرسَ أولاً[4]، وحرسَ الآخرُ حتى يجلسَ في التشهُّدِ، فيسجدُ ويلحقُه، فيتشهَّدُ ويسلِّمُ بهم، وهذهِ صلاةُ رسولِ اللهِ ﷺ بعسفانَ.

الوجه الثاني: إذا كانَ العدوُّ في غيرِ جهةِ القبلةِ، جعلَ طائفةً حذاءَ العدوِّ، وطائفةً تصلِّي معه ركعةً، فإذا قاموا إلى الثانيةِ، ثبتَ قائماً، وأتمتْ لأنفسِها أخرى، وسلمتْ ومضت إلى العدو، وجاءت الطائفةُ الأخرى

---

(١) في «ن»: «إن ربك».

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (٨٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٨٨).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (٢/ ١٣٨).

(٤) «أولاً»: زيادة من «ن».

فصلَّت معه الركعةَ الثانيةَ، فإذا جلسَ للتشهدِ، أتمت لأنفسِها أخرى، وتشهدتْ، وسلَّم بهم.

فإن كانت الصلاةُ مغرِباً صلَّى بالأولى ركعتين، وبالثانيةِ ركعةً، وإن كانت رباعيةً غيرَ مقصورةٍ، صلَّى بكلِّ طائفةٍ ركعتين، وأتمتِ الأولى بالحمدُ لله في كلِّ ركعةٍ، والأخرى تتمُّ بالحمدُ لله وسورةٍ، وتفارقُه الأولى عندَ فراغِ التشهدِ، وينتظر الإمامُ الطائفةَ الثانيةَ جالساً، يكررُ التشهدَ، فإذا أتتْ، قامَ، وهذه صلاةُ رسولِ الله ﷺ بذاتِ الرقاع، وهي عندَ الشافعيِّ أفضلُ من صلاتِه ببطنِ نَخْلٍ على ما يأتي، وإلى هذا الوجهِ ذهبَ مالكٌ.

الوجه الثالث: أن يصلِّي بطائفةٍ ركعةً، ثم تمضي إلى العدو، وتأتي الأخرى فيصلِّي بها ركعةً، ويسلِّم وحدَه، وتمضي هي، ثم تأتي الأولى فتتمُّ صلاتَها، ثم تأتي الأخرى فتممُّ صلاتها، وهذا الوجهُ مذهبُ أبي حنيفة.

الوجه الرابع: أن يصلي بكلِّ طائفةٍ صلاةً، ويسلِّم بها، وهذه صلاةُ رسولِ الله ﷺ ببطنِ نخلٍ.

الوجه الخامس: أن يصلي الرباعيةَ المقصورةَ تامةً، وتصلي معه كلُّ طائفة ركعتين، ولا تقضي شيئاً، فتكون له تامةً، ولهم مقصورةً.

واتفقوا على أن صلاةَ الخوفِ في الحضر أربعُ ركعاتٍ غير مقصورة، وفي السفر ركعتان إذا كانت رباعيةً، وغيرُ الرباعية على عددها، لا يختلف حكمُها حضراً ولا سفراً ولا خوفاً.

فإذا اشتدَّ الخوفُ، صلَّوا رجالاً وركَباناً، إلى القبلةِ وغيرها يومئون بالركوعِ والسجودِ على قدرِ الطاقةِ، ويجعلون السجودَ أخفضَ من الركوع،

وبذلكَ قالَ الأئمةُ الثلاثةُ، وقال أبو حنيفةَ: لا يصلي ماشياً ولا مُسايِفاً إذا لم يمكن الوقوفُ، ووافقهم على جواز الصلاةِ راكباً، والإيماءِ إلى أيِّ جهةٍ قدرَ.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ يا محمدُ حاضراً في أصحابِك.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تقدَّمَ مذهبُ ورشٍ في تغليظِ لامِ (الصَّلَاة).

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ مصليةً، وطائفةٌ وِجاهَ العدوِّ.

﴿وَلْيَأْخُذُوٓاْ﴾ أي: غيرُ المصلين.

﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ وقيل: المرادُ: المصلُّونَ والآيةُ تتناول الكلَّ، ولكنَّ سلاحَ المصلِّين ما خفَّ مما لا يشغلُه عن الصلاة.

﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ أي: المصلُّون معكَ.

﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾ مكانَ الذين هم وِجاهَ العدوِّ.

﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ﴾ وهمُ الذين في وجهِ العدوِّ.

﴿فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ﴾ أي: الآتون، وقيل: المصلُّون.

﴿حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعلَ الحذرَ آلةً يتحصَّنُ بها الغازي مع الأسلحةِ.

﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يتمنى الكفارُ.

﴿لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ فيقصدونَكُم، ويحملونَ عليكم حملةً واحدةً، ورَخَّصَ لهم في تركِ السلاحِ للعذر فقال:

﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ لا إثمَ.

﴿ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ ﴾ لأن السلاحَ يثقلُ حملُه في هاتين الحالتينِ.

﴿ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ ﴾ كيلا يهجُم عليكم العدوُّ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ يُهانون فيه.

***

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ فرغتم من صلاةِ الخوفِ.

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ بالتسبيحِ والتهليلِ.

﴿ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ ﴾ أي: اذكروه في هذهِ الأحوالِ.

﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ ﴾ أي: أَمِنْتُمْ.

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾ أَتِمُّوها بأركانِها وشروطِها.

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ واجباً مفروضاً.

***

﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ولما رجعَ أبو سفيانَ وأصحابُه يومَ أُحدٍ بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ

طائفةً في آثارهم، فشكَوا ألمَ الجراحاتِ، فنزل قولُه تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ ﴾[1] تَضْعُفوا في.

﴿ ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ﴾ في طلبِ الكفارِ.

﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ ﴾ تتوجَّعونَ من الجراحِ.

﴿ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ﴾ أي: ذلكَ مشتركٌ بينكم وبينهم.

﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من الثوابَ.

﴿ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ لأنهم لا يؤمنونَ بالبعثِ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بأعمالِكم.

﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما يأمر وينهى.

* * *

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالحدودِ والأحكامِ.

﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ بما علَّمك وأوحى إليك. نزلتْ هذه الآيةُ في طُعْمَةَ بنِ أُبَيْرِقٍ الأنصاريِّ، سرقَ درعاً من قَتَادَةَ بنِ النعمان، وخبأَها عندَ زيدٍ السَّمينِ اليهوديِّ، ثم حلفَ أنه ما سرقَ شيئاً، وظهرتِ الدرعُ عند اليهوديِّ، فقال اليهوديُّ: دفعها إليَّ طعمةُ، فهمَّ النبيُّ ﷺ أن يقطعَ يدَ اليهوديِّ، فنزلت الآيةُ[2].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٦٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٦٧)، و«المستدرك» للحاكم (٤/ ٤٢٧)، و«أسباب=

﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ ﴾ طعمةَ وكلِّ خائنٍ.

﴿ خَصِيمًا ﴾ مخاصِماً عنهم.

* * *

﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ مما هممتَ به من معاقبةِ اليهوديِّ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ لمن يستغفرُه.

* * *

﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ ﴾ تخاصِمْ.

﴿ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ هم طعمةُ وقومُه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا ﴾ في الدرع.

﴿ أَثِيمًا ﴾ في رميهِ اليهوديَّ، والخطابُ مع النبيِّ ﷺ والمرادُ غيرُه.

* * *

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ يَسْتَخْفُونَ ﴾ يستترونَ حياء.

﴿ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وأصلُه: طلبُ الخفاءِ.

= النزول» للواحدي (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩٥).

﴿ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ لعلمِه لا يخفى عليه سرُّهم.

﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ ﴾ يُدبِّرون ليلاً.

﴿ مَا لَا يَرْضَىٰ ﴾ اللهُ.

﴿ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وهو حَلْفُ طعمةَ أنه ما سرقَ شيئاً، وذلك أنَّ قومَ طعمةَ قالوا فيما بينَهم: نرفعُ الأمرَ إلى النبيِّ ﷺ، فإنه يسمعُ[1] قولَه ويمينه؛ لأنه مُسلمٌ، ولا يسمعُ من اليهوديِّ؛ لأنه كافرٌ، فلم يرضَ الله تعالى منه.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ لا يفوتُ عنه شيء.

* * *

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ يا قومَ طعمةَ مبتدأ، خبرُه:

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وتقدم في سورة آل عمران اختلافُ القراء[2] في قولِه تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾.

﴿ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ خاصمتُم عن الخائنين.

﴿ فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ﴾ إذا عُذِّبوا.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ محامياً عنهم.

* * *

---

(١) في «ن»: «يستمع».

(٢) «القراء» ساقطة من «ن».

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

[١١٠] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ يعني : السرقةَ .

﴿ أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ بما يختصُّ به ولا يتعدَّاهُ بما دونَ الشِّركِ .

﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ يتوبُ إليه .

﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ فيه حثٌّ لطعمةَ وقومِه على التوبةِ والاستغفارِ .

* * *

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ ﴾ .

[١١١] ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ ﴾ فلا يتعداهُ وَبالُهُ .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بفعلِهِ .

﴿ حَكِيمًا ﴾ في مجازاتِه .

* * *

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ .

[١١٢] ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً ﴾ هي سرقةُ الدرعِ .

﴿ أَوْ إِثْمًا ﴾ ذنباً ، وهو يمينُه الكاذبةُ .

﴿ ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ ﴾ أي : بالإثمِ .

﴿ بَرِيٓـًٔا﴾ وهو نسبةُ السرقةِ لليهوديِّ.

﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾ أي: تحمل.

﴿ بُهْتَٰنًا﴾ أصلُه كلُّ ما يَبْهَتُ له الإنسانُ من ذنبٍ وغيره.

﴿ وَإِثْمًا﴾ ذنباً.

﴿ مُّبِينًا﴾ ظاهراً.

* * *

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يا محمدُ؛ بإعلامِ ما هم عليه بالوحي.

﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: قومَ طعمةَ.

﴿ أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن الحقِّ، مع علمِهم بالحال.

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبالَ أفعالِهم راجعٌ عليهم.

﴿ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ لأن الله يعصمُك منهم.

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآنَ.

﴿ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القضاءَ بالوحي.

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ ﴾ من الأحكامِ والغيبِ[1].

﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ إذ لا فضلَ أعظمُ من النبوَّةِ.

* * *

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴾.

[١١٤] ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾ أي: تَناجِيهم فيما يديرونه بينهم. قرأ حمزةُ: (لا خَيْرَ) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغ الإشباعَ.

﴿ إِلَّا ﴾ أي: إلا نجوى.

﴿ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ أي: حثَّ عليها إن لم يكنْ له مالٌ.

﴿ أَوْ مَعْرُوفٍ ﴾ وهو كلُّ ما يستحسنُه الشرعُ، ولا ينكرُه العقلُ، وجميعُ أعمالِ البرِّ معروف.

﴿ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ قال ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ؟»، قيل: بلى، قال: «إِصْلاَح ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ»[2] الَّتِي تَحْلِقُ الدِّينَ لاَ الشَّعْرَ.

---

(١) في «ن»: «بالغيب».

(٢) رواه أبو داود (٤٩١٩)، كتاب: الأدب، باب: في إصلاح ذات البين، والترمذي (٢٥٠٩)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٥٦)، وقال: صحيح، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ المذكورَ.

﴿ ٱبۡتِغَآءَ﴾ أي: طلبَ.

﴿ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: رضاه. قرأ الكسائيُّ (مَرْضَاتِ) بالإمالة، ووقف عليها بالهاء حيثُ وقع[1].

﴿ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ (يُؤْتِيهِ) بالياء؛ يعني: يؤتيهِ اللهُ، وقرأ الباقونَ: (نُؤْتِيهِ) بالنون[2].

* * *

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾.

[١١٥] ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ﴾ أي: يخالفِ[3].

﴿ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ من بعد وضوحِ الدليلِ.

﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ﴾ أي: طريقِ.

﴿ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وهو الإسلامُ.

﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نَكِلْهُ إلى ما اختارَ من الكفرِ في الدنيا. قرأ أبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، وحمزةُ: (نُوَلِّهْ) و(نُصْلِهْ) بسكون الهاء، واختلِفَ عن

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦١).

(٣) «أي: يخالف» ساقطة من «ن».

أبي جعفرٍ، وقرأ[1] قالونُ، ويعقوبُ: بكسر الهاء من غير صلتِها، واختلِفَ عن هشامٍ وأبي جعفرٍ، والباقونَ: بصلتها بخلافٍ عن هشامٍ[2].

﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ في العُقْبى.

﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ نزلتْ في طعمةَ، وذلك أنه لما ظهرتْ عليه السرقةُ، خافَ من قطعِ اليدِ والفضيحةِ، فهربَ إلى مكةَ وارتدَّ، ونقبَ حائطاً بها ليسرقَ أهلَها، فسقطَ الحائطُ عليه فقتلَه.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (١١٦)﴾.

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ بَعُدَتْ غايتُه عن كلِّ خيرٍ، فلا يُرجى له الفلاحُ.

عن ابن عباسٍ: «أنَّ هذهِ الآيةَ نزلتْ في شيخٍ من الأحزابِ جاء إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله! إني شيخٌ منهمكٌ في الذنوب، إلا أني لا أشركُ بالله شيئاً منذُ عرفتُه وآمنتُ به، ولم أتخذْ من دونِه أولياءَ، ولم أواقعِ المعاصيَ جرأةً على الله، وما توهَّمْتُ طرفةَ عينٍ أَني أُعجزُ الله هَرَباً،

---

(١) «وقرأ» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٢)، و «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٢).

وإني لنادمٌ تائبٌ مستغفرٌ، فما حالي، فأنزلَ الله الآيةَ»[1].

***

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ونزلَ في أهلِ مكَّةَ.

﴿إِن يَدْعُونَ﴾ أي: ما يعبدون.

﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: من دون الله.

﴿إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾ يعني: الأوثانَ، وكانوا يسمُّونها باسمِ الإناثِ، كمناةَ واللاتِ والعُزَّى.

﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا﴾ خارجاً عن الطاعةِ، وهو إبليسُ.

***

﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾.

[١١٨] ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعدَه اللهُ من رحمتِه.

﴿وَقَالَ﴾ إبليسُ.

﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ أي: حظاً معلوماً؛ أي: طائفةً أنهم يطيعوني.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٩٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣٦٠).

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ .

[١١٩] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ عن الحقِّ .

﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ أُلقي في أمانيّهم ركوبَ الأهواء .

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ﴾ يقطِّعُنَّ .

﴿ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ يعني : البَحائرَ ؛ لأنهم كانوا يشقُّون آذنَ الناقةِ إذا ولدَتْ خمسةَ أَبْطُنٍ ، وجاء الخامسُ ذكراً ، ويحرِّمونَ الانتفاع بها .

﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ ﴾ لَيبدِّلُنَّ .

﴿ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ بالخِصاءِ ونتفِ اللحيةِ والوَشْم ونحوِها .

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا ﴾ أي : رباً .

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يطيعُه .

﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ أي : نقصَ نفسَه ، وعَيَّبَها ؛ بأن أعطى الشيطانَ حقَّ اللهِ تعالى فيه ، وتركَه من أجلِه .

* * *

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

[١٢٠] ﴿ يَعِدُهُمْ ﴾ ما لا ينجزُ ، وهو طولُ العمرِ .

﴿ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ ﴾ ما لا ينالونَ من الدنيا .

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطلاً .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ١٢١﴾.

[١٢١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ مفرّاً.

***

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ١٢٢﴾.

[١٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت غرفِها ومساكِنها.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصبُ مصدرٌ مؤكَّدٌ.

﴿حَقًّا ۚ﴾ حالٌ من (وعد الله).

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

***

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٢٣﴾.

[١٢٣] ولما افتخرَ اليهودُ والنصارى، وقالوا للمسلمين: نبيُّنا قبلَ نبيِّكم، وكتابُنا قبلَ كتابِكم، فنحن أَوْلى بالله منكم، فقال المسلمون: نبيُّنا خاتمُ الأنبياء، وكتابنا يقضي على الكتبِ، وقد آمنَّا بكتابِكم، ولم تؤمنوا بكتابِنا، فنحن أَوْلى بالله منكم، فنزل قوله تعالى:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾[1] أيُّها المسلمونَ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/٢٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٠)، =

﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ والأمانيُّ: هي ما يَتَشهَّاهُ المرءُ ويُطمِعُ نفسَه فيه؛ أي: ثوابُ الله لا يُنال بالأماني، وإنما الأمرُ بالعمل الصالح. قرأ أبو جعفرٍ: (بِأَمَانِيكُمْ وَلاَ أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ) بسكونِ الياءِ من غيرِ تشديد[1].

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا﴾ مبتدأٌ، وهو شرطٌ جوابُه:

﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾ عاجِلاً أو آجلاً.

وهذه الآية عامة في حقِّ كلِّ عاملٍ، فأما مجازاةُ الكافرِ، فالنارُ، وأما المؤمنُ، فنكباتُ الدنيا، قال أبو بكر رضي الله عنه: لما نزلَتْ ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ قلتُ: يا رسولَ الله! ما أشدَّ هذهِ الآيةَ! فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ! أَمَا تَحْزَنُ، أَمَا تَمْرَضُ، أَمَا تُصِيبُكَ اللأْوَاءُ؟ فَهَذَا بِذَلِكَ»[2].

﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا﴾ يواليه.

﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ ينصُره في دفعِ العذابِ.

وفي قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: ما تَزْرَعْ تَحْصُدْ.

* * *

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦٠١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٦٩٤).

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧ـ٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٥٠).

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾.

[١٢٤] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ بعضها وشيئاً منها، فإن كلَّ أحدٍ لا يتمكَّن من كلِّها، وليس مكلَّفاً بها.

﴿ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ، ورَوْحٌ: (يُدْخَلُونَ) بضمِّ الياءِ وفتحِ الخاء، وقرأ الباقونَ: بفتح الياء وضمِّ الخاء[١].

﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: لا ينقصُ شيءٌ من ثوابِهم.

﴿ نَقِيرًا ﴾ هو النقطةُ التي تكونُ على ظهر النواةِ، ومنها تنبتُ النخلةُ.

***

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

[١٢٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ ﴾ أي: أحكمُ.

﴿ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي: أخلصَ عملَه لله.

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ موحِّدٌ.

﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ دينَهُ.

﴿ حَنِيفًا ﴾ حالٌ مِنْ ﴿ وَٱتَّبَعَ ﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٦).

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشامٌ: (أبراهامَ) بالألفِ في الحرفينِ[1].

﴿ خَلِيلًا ﴾ والخليلُ: الذي ليسَ في محبته خَلَلٌ، والخُلَّةُ: الصداقةُ؛ لأن الله أحبَّه واصطفاه، قال ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً، لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَخِي، وَصَاحِبِي، وَلَقَدِ اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً»[2].

***

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾.

[١٢٦] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ خَلْقاً ومُلْكاً، يختارُ منها من يشاءُ وما يشاءُ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ إحاطةَ علمٍ وقدرةٍ.

***

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾ يستخبرونَكَ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١، ٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٦٦).

(٢) رواه مسلم (٢٣٨٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾ قرأ يعقوبُ: (فِيهُنَّ) بضمِّ الهاء.

﴿وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: ويُفتيكم فيما يُتلى عليكم.

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ﴾ أي: تعطوهُنَّ.

﴿مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الصَّداقِ والميراثِ.

﴿وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي: عن أن تنكحوهنَّ؛ فإن أولياءَ اليتامى كانوا يرغبون فيهنَّ إنْ كُنَّ جميلاتٍ، ويأكلونَ مالهنَّ، وإن كانتْ مرغوبةً عنها في قلةِ المالِ والجمالِ، تركَها، وفي رواية: «هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حِجْرِ الرَّجُلِ قَدْ شركَتْهُ في مالِهِ، فَيَرْغَبُ عَنْها أَنْ يَتَزَوَّجَهَا لِذَمَامَتِهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوِّجَهَا غَيْرَهُ، فَيَدْخُلَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، فَيَحْبِسُهَا حَتَّى تَمُوتَ، فَيَرِثُهَا»، فنهاهم اللهُ عن ذلك(١).

﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ أي: ويفتيكُم في المستضعفينَ.

﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ أن تعطوهُم حقَّهم، وكانوا لا يُوَرِّثون إلا الرجالَ دون النساءِ والأطفالِ.

﴿وَأَن تَقُومُواْ﴾ أي: ويُفتيكم أن تقوموا.

﴿لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ بالعدلِ في إيتائهنَّ مهورَهُنَّ.

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ يجازيكم عليه.

***

---

(١) رواه البخاري (٤٨٣٨)، كتاب: النكاح، باب: إذا كان الولي هو الخاطب، ومسلم (٣٠١٨)، في أول كتاب: التفسير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] ونزلَ في أمرِ المرأةِ التي تكونُ ذاتَ سِنٍّ وذمامةٍ، أو نحو ذلك مما يرغِّبُ زوجَها، عنها فيذهبُ الزوجُ إلى طلاقِها، أو[1] إلى إيثارِ شابَّةٍ عليها، ونحو هذا مما يقصدُ به صلاحَ نفسِه، ولا يضرُّها هي ضِراراً يلزمُه إياها، بل يعرضُ عليها الفُرقةَ، أو الصبرَ على الأثرةِ، فتريدُ هي بقاءَ العصمةِ، فهذه التي أباحَ اللهُ تعالى بينَهما الصلحَ، ورفع الجناحَ فيه؛ إذ الجناحُ في كلِّ صلحٍ يكونُ عن ضررٍ من الزوجِ يفعلُه حتى تصالحَهُ، وأباحَ اللهُ الصلحَ مع الخوفِ وظُهورِ علاماتِ النشوزِ والإعراضِ، وهو مع وقوعِها مباحٌ أيضاً، فقال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ ﴾[2] توقَّعْتَ.

﴿ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ بُغْضاً.

﴿ أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ بوجْهِهِ وقلةِ نفقتِه والتفاتِه إليها.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا ﴾. قرأ حمزةُ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يُصْلِحَا) بضمِّ الياء وكسر اللام مخفَّفاً من أصلحَ، وقرأ الباقون: بفتحِ الياء وتشديدِ الصاد مع فتحها، وبعد الصاد ألفٌ بعدَها لامٌ مفتوحة[3].

---

(١) في «ن»: «و».

(٢) رواه البخاري (٢٣١٨)، كتاب: المظالم، باب: إذا حلله من ظلمه فلا رجوع فيه، ومسلم (٣٠٢١)، في أول كتاب: التفسير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٠٦).

﴿ بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ ﴾ مصدرٌ[1]، واصطلاحُهما: أن يتوافَقا على ما تطيبُ بها أنفسُهما؛ بأن يتركَ أحدُهما شيئاً مما يستحقُّه على صاحبِه؛ طلباً لصحبتِه.

﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ ﴾ من الفُرقةِ والنشوز.

﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ ﴾ المعنى: إن النفوسَ قد جُبلت على الشحِّ، فهي حاضرتُه لا تفارقُه أبداً؛ لأن كلَّ واحدٍ من الزوجين يُغَلِّبُ ما فيه راحتُه، والشحُّ: الإفراطُ في البخلِ.

﴿ وَإِن تُحْسِنُواْ ﴾ العشرةَ.

﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ الفُرقةَ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من الإحسانِ بالخصومةِ.

﴿ خَبِيرًا ﴾ عليماً به، والصلحُ: هو التوفيقُ والسَّلْمُ، فيكون بين مسلمينَ وأهلِ حربٍ، وبين أهلِ بغيٍ وعدلٍ، وبين زوجين إذا خيفَ الشقاقُ بينهما، أو خافتِ امرأةٌ إعراضَ زوجِها عنها، وبين متخاصِمَيْنِ في غيرِ مالٍ، وفي مال عبارةٌ عن معاقدةٍ يُتَوَصَّلُ بها إلى موافقةٍ بين مختلفين، وهو عقدٌ يرفعُ النزاعَ، وأصلُه من الصَّلاحِ، وهو ضِدُّ الفسادِ، ومعناه دالٌّ على حسنِهِ الذاتيِّ؛ بدليلِ ما نطقَ به الكتابُ العزيزُ.

واختلفَ الأئمةُ في حكمِه بينَ متخاصِمَيْنِ في مالٍ، فعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ يصحُّ مع الإقرارِ والإنكارِ والسكوتِ، وعند مالكٍ يصحُّ مع الإنكارِ والسكوتِ، ويجوز على الافتداءِ من اليمينِ بمالٍ، وعند الشافعيِّ يصحُّ مع الإقرارِ فقط.

---

(١) في «ن»: «مصدراً».

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾.

[١٢٩] ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ في القَسْمِ والنفقةِ وميلِ القلبِ.

﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ ﴾ على العدلِ، والحرصُ: شدةُ الإرادةِ.

﴿ فَلَا تَمِيلُواْ ﴾ إلى التي تحبونها.

﴿ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ في القسمةِ والنفقةِ باتِّباع أهوائِكم.

﴿ فَتَذَرُوهَا ﴾ أي: فتدَعُوا الأخرى.

﴿ كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ ﴾ التي ليستْ أَيِّماً، ولا ذاتَ بعلٍ، كان ﷺ يقسمُ بينَ نسائِه ويقول: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ»(١) يعني: حبَّهُ عائشةَ رضي الله عنها، وقال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢١٣٤)، كتاب: النكاح، باب: في القسم بين النساء، والنسائي (٣٨٤٣)، كتاب: عشرة النساء، باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، والترمذي (١١٤٠)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، وابن ماجه (١٩٧١)، كتاب: النكاح، باب: القسمة بين النساء، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٣)، كتاب: النكاح، باب، في القسم بين النساء، والترمذي (١١٤١)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، وغيرهما عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَإِن تُصۡلِحُواْ ﴾ ما مضى من الميلِ عنها .

﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ الجَوْرَ .

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ يغفرُ لكم ما مضى من مَيْلِكم .

* * *

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

[١٣٠] ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ أي : الزوجانِ .

﴿ يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا ﴾ أي : كلَّ واحدٍ منهما .

﴿ مِّن سَعَتِهِۦۚ ﴾ رزقِهِ ؛ بأن تتزوَّجَ غيرَه ، ويتزوَّجَ غيرَها .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ أي : واسعَ الفضلِ .

﴿ حَكِيمٗا ﴾ في القولِ والفعلِ .

ويجبُ على الرجلِ التسويةُ في القَسْمِ والنفقةِ ، ويعصي بتركِه ، وعليهِ القضاءُ للمظلومةِ ، ولا يلزمُ التسويةُ في الجِماع ، بالاتفاق ؛ لأنه يدورُ على النشاط ، وليسَ ذلكَ إليه ، وإذا كان في نكاحه حرةٌ وأمةٌ ، قسمَ للحرةِ ليلتينِ ، وللأمةِ ليلةً عندَ الثلاثة ، وقال مالكٌ في المشهور عنه : القسمُ بينَهما سواء ، وإذا تزوَّجَ بِكْراً وله نساءٌ سواها ، أقامَ عندَها سَبْعاً ، ثم دارَ ، وإن كانتْ ثيِّباً ، أقامَ ثلاثاً ، وبه قالَ الأئمةُ الثلاثةُ ، وقال أبو حنيفةَ : لا يفضِّلُ الجديدةَ في القسم ، بل يسوِّي بينَها وبينَ مَنْ عندَه .

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾.

[١٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾ تنبيهٌ على كمالِ سَعته وقدرتِه.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني: التوراةَ والإنجيلَ وسائرَ الكتبِ المتقدمةِ في كتبِهم.

﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ يا أهلَ القرآنِ في كتابِكم.

﴿ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ ﴾ أطيعوه.

﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ ﴾ بما وُصِّيتُم به.

﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ من الملائكةِ وغيرِهم، فهم أطوعُ منكم.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا ﴾ عن الخلقِ وعبادتِهم ﴿ حَمِيدًا ﴾ محموداً على نِعَمِهِ.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾.

[١٣٢] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مُجيراً، فلا تتوكَّلوا على غيرِه.

* * *

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

[١٣٣] ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي : يُعْدِمْكم ، تهديدٌ للكفارِ .

﴿ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴾ يوجِدْ غيرَكم أطوعَ له منكُم .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ﴾ على الإعدامِ والإيجادِ .

﴿ قَدِيرًا ﴾ لا يُعجِزه مُرادٌ .

* * *

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

[١٣٤] ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾ حُطامُها .

﴿ فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ فمَنْ أرادَ بعملِه عَرَضاً من الدنيا، آتاه اللهُ ما أراد، وليس له في الآخرة من ثوابٍ، ومن أرادَ ثوابَ الآخرةِ، آتاه اللهُ ما أحبَّ من الدنيا، وجزاؤهُ الجنةَ في الآخرة .

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ عالماً بالأغراضِ، فيجازي كلاًّ بحسبِ قصدِه .

* * *

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا

تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

[١٣٥] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ مجتهدينَ في إقامةِ العدلِ.

﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ تُقيمون شهادَتَكم بالحقِّ لوجهِ الله.

﴿وَلَوْ﴾ كانتِ الشهادةُ.

﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بأن تُقِرُّوا عليها.

﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ﴾ ولو على والدِيكم وأقارِبكم.

﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهودُ له أو عليه.

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فأقيموها، ولا تُحابُوا غنياً لغناه، ولا ترحموا فقيراً لفقره. اتفقَ القراءُ سوى أبي جعفرٍ على إظهارِ النونِ عندَ الغينِ والخاء نحو (مِنْ غِلٍّ) و(مِنْ خَيْرٍ) وشبهِه، وقرأ أبو جعفرٍ: بإخفاءِ النونِ عندَهما، واستثنى بعضُ أهلِ الأداءِ عنه: (إِنَ يَكُنْ غَنِيّاً) (والْمُنْخَنِقَةُ) في المائدة، (فَسَيُنْغِضُونَ) في الإسراء، فأظهرَ النونَ عنه في هذهِ الثلاثةِ، ورُوي عنه الإخفاءُ فيها أيضاً، والاستثناءُ أظهرُ، وعدمُه أقيسُ.

﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ منكم، فكِلُوا أمرَهما إليه.

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ إرادةَ.

﴿أَن تَعْدِلُواْۚ﴾عن الحق من العدولِ.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ تحرفُوا الشهادةَ. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ: (تَلُوْا) بضم اللام وواو ساكنة؛ من الولاية؛ أي: تَلُوا أمرَ الناس، وقرأ الباقون: بإسكان

اللام، وبعدَها واوان، أولاهما مضمومة، والأخرى ساكنة، من لَوى يَلْوي: حرَّفَ[1].

﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عن أدائِها فتكتُموها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (١٣٦)﴾.

[١٣٦] ثم خاطبَ مؤمني أهلِ الكتابِ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بموسى وعيسى عليهما السلام.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ القرآنِ.

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ المرادُ جنسُ الكتبِ المنزلةَ؛ أي: اثبتوا على الإيمان بذلك. **قرأ** ابن كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو (نُزِّلَ) و(أُنْزِلَ) بضم النون في الحرف الأول، وضم الهمزة في الثاني، وكسر الزاي فيهما، **وقرأ** الباقون: بفتح النون والهمزة والزاي فيهما؛ أي: أنزلَ الله[2]، ثم قال متهدداً:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٠-٦١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، =

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: ومن يكفرْ بشيءٍ من ذلك.

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الهداية. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وابنُ عامرٍ، وخلفٌ (فَقَد ضَّلَّ) وشبهه بإدغام الدال في الضاد، والباقون: بالإظهار(١).

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾.

[١٣٧] ثم تهدَّد المتلعِّبين بالدِّين فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى عليه السلام، وهم اليهود.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعبادتِهم العجلَ.

﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بالتوراةِ.

﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى عليه السلام.

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمدٍ ﷺ.

﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا على ذلكَ.

﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ طريقاً إلى الحقِّ.

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧٠).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧١).

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] ﴿ بَشِّرِ ﴾ أي: أخبرْ يا محمدُ.

﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ والبشارةُ: كلُّ خبرٍ تتغيرُ به بشرةُ الوجهِ، سارّاً كانَ أو غيرَ سارٍّ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾.

[١٣٩] ثم وصفَ المنافقين فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: اليهودَ والنصارى.

﴿ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ أي: يتخذونهم أنصاراً وبطانةً.

﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ يطلبونَ منهم المعونةَ والظهورَ على محمدٍ ﷺ وأصحابِه.

﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ ﴾ أي: القوةَ والغلبةَ والقدرةَ.

﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لا يتعزَّزُ إلا من أَعَزَّه.

* * *

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾.

[١٤٠] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ ﴾ قرأ عاصمٌ، ويعقوبُ: بفتح النون والزاي؛ أي:

نزلَ اللهُ، وقرأ الباقون: بضمِّ النونِ وكسرِ الزاي[1]، والكسائيُّ يُميل الزاي من (العِزَّة) حيثُ وقفَ على هاء التأنيث.

﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشرَ المسلمينَ.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿أَنْ﴾ أي: أنه.

﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ أي: إذا سمعتُم الكفرَ والاستهزاءَ بآيات الله.

﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ أي: مع الكافرين والمستهزئين.

﴿حَتَّى يَخُوضُوا﴾ يَشْرَعوا.

﴿فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أي: اجتنبوهُم حينَ استهزائِهم بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إذا قعدتُم عندَهم، وسمعتُم استهزاءَهُم، ورضيتُم به، فأنتم كفار.

﴿مِثْلُهُمْ﴾ لأن الرضا بالكفرِ كفر.

﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ تهديدٌ للخائضينَ والمستمعينَ الراضين بجمعِهم في جهنَّمَ.

***

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٧١).

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾.

[١٤١] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾ يعني: المنافقون ينتظرونَ هلاكَكُم، ولمن تكونُ العاقبةُ، لكم أم لعدوِّكم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٌ﴾ ظفرٌ وغنيمةٌ.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ في الجهادِ، فلنا نصيبٌ من الغنيمة.

﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ دولةٌ وظهورٌ على المسلمينَ.

﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: المنافقينَ للكفارِ.

﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ﴾ نستولِ.

﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ ونخبرْكم بعورةِ محمدٍ وأصحابه، ونطلعْكم على سرِّهم.

﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ ندفعْ عنكم صولةَ المؤمنين، ونخذلْهم عنكم.

﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أيها المؤمنونَ والمنافقونَ.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ حجةً شرعيةً يستظهرون بها.

فيه دليلٌ على أن الكافرَ لا يملكُ العبدَ المسلم. واختلفَ الأئمةُ، فقال أحمدُ والشافعيُّ: لا يصحُّ بيعُ عبدٍ مسلمٍ لكافرٍ، إلا أنْ يكونَ ممن يعتَقُ عليه، فيصحُّ، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يصحُّ، ويُجبر على إزالةِ ملكِهِ عنه، ولو أسلمَ عبدُ الكافرِ، أُجبرَ على إزالةِ ملكِه عنه، بالاتفاق.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾.

[١٤٢] ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ يعاملونه معاملةَ المخادِعين بإظهارِ الإيمانِ وإبطانِ الكفر.

﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ مُجازيهم جزاءَ خداعِهم.

﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ متثاقلينَ، صلاتُهم لغيرِ الله. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (كُسَالَى) بالإمالة(١).

﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ بفعلِهم.

﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا ﴾ ذكراً.

﴿ قَلِيلًا ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «لو أرادوا بذلكَ القليلِ وجهَ اللهِ، لكانَ كثيراً»(٢).

* * *

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾.

[١٤٣] ﴿ مُّذَبْذَبِينَ ﴾ مضطربينَ.

﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ بينَ الكفرِ والإيمان.

﴿ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ لا منسوبينَ إلى المؤمنينَ، ولا إلى

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٣٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٤).

الكافرينَ، قال ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ مَرَّةً إِلَى هَذِهِ، وَمَرَّةً إِلَى هَذِهِ»[1].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحقِّ والصواب.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

[١٤٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ فإنه صَنيعُ المنافقينَ.

﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حُجَّةً بينةً في عذابِكم.

***

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

[١٤٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ وهو أخفضُ مكانٍ.

﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (فِي الدَّرْكِ) بسكونِ الراءِ، والباقون: بفتحها، وهما لغتان؛ كالنَّهْرِ والنَّهَرِ[2].

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ يخرجُهم منه.

***

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٤) في أول كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٥).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾.

[١٤٦] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ من النفاقِ.

﴿ وَأَصْلَحُواْ ﴾ ما أفسدُوا من عملِهم.

﴿ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ وَثِقوا به.

﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ بقلوبِهم.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ في الجنةِ.

﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ في الجنةِ. أثبتَ يعقوبُ الياءَ في (يُؤْتِي) حالةَ الوقفِ(١).

* * *

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾.

[١٤٧] ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أيُّ شيءٍ يفعلُ.

﴿ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ ﴾ اللهَ.

﴿ وَءَامَنتُمْ ﴾ بهِ أَيتشفَّى به غيظاً، أو يدفعُ ضراً، أو يستجلبُ به نفعاً، وهو الغنيُّ المتعالي عن النفعِ والضرِّ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا ﴾ مثيباً.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٥).

﴿عَلِيمًا﴾ بحقِّ شكرِكُم وإيمانِكم.

***

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾.

[١٤٨] ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ القبيحِ.

﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فيدعو على ظالمِه، فيقولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عليهِ، اللهمَّ خذْ لي حقِّي منه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لدعائِكُم ﴿عَلِيمًا﴾ بأحوالِكُم.

***

﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾.

[١٤٩] ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾ حسنةً.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي: الخيرَ.

﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ أي: مَظْلَمةٍ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يُكثِرُ العفوَ عن العُصاة، مع قدرتِهِ على الانتقامِ منهم، فاستنوا بهِ وبرسولِه.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾.

[١٥٠] ونزلَ إخباراً عن اليهودِ وإيمانهم بموسى والتوراةِ وعُزيرٍ، وكفرِهم بعيسى والإنجيلِ ومحمدٍ صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأنْ يؤمنوا بالله، ويكفروا برسوله.

﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ نؤمنُ ببعضِ الأنبياء، ونكفرُ ببعضِهم.

﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الكفرِ والإيمانِ.

﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وَسَطاً بينَ الإيمانِ والكفرِ.

***

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾.

[١٥١] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: هم الكاملونَ في الكفر.

﴿حَقًّا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ، فالكافرُ ببعضِ الأنبياءِ كالكافرِ بجميعِهم.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لجميعِ أصنافِهم.

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ مُذِلاً.

***

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾.

[١٥٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كلِّهم.

﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ تلخيصُه: من آمنَ باللهِ وجميعِ رسلِه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۚ ﴾ بإيمانِهم باللهِ ورسلِه. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (يُؤْتِيهِمْ)[1] بالياء، والباقون: بالنون[2].

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ بتضعيفِ حسناتِهم.

* * *

﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾.

[١٥٣] ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ ﴾ نزلَتْ في اليهودِ لما قالوا للنبي ﷺ: إن كنتَ صادقاً، فَأْتِنا بكتابٍ من السماءِ جملةً[3]؛ أي: كما أُوتي به موسى عليه السلام، وكان سؤالُهم سؤالَ تهكُّم لا انقيادٍ.

﴿ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ أي: أعظمَ من سؤالك.

﴿ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ عياناً. قرأ ابنُ كثيرٍ، والسوسيُّ، ويعقوبُ: (أَرْنَا) بإسكانِ الراء، والباقونَ: بكسرها[4].

---

(١) «يؤتيهم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٦).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٧).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ١٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ نارٌ جاءتْ من السماءِ فأهلكتْهُمْ.

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بسببِ ظلمِهم.

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ المعجزاتُ.

﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ ولم نستأصِلْهم. تلخيصُه: تابَ أولئكَ فعفونا عنهم، فتوبوا أنتم، فنعفوَ عنكم.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ حجةً ظاهرةً، وهي الآياتُ التي جاء بها.

* * *

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبلَ.

﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ أي: بسبب نقضِهم الميثاقَ الذي أُخِذَ منهم، وهو العملُ بما في التوراة.

﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ على لسانِ موسى عليه السلام.

﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ على لسانِ داودَ عليه السلام: ﴿لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي: لا تعتدوا باصطيادِ الحيتانِ فيه. قرأ أبو جعفرٍ (تعدُّوا) بجزم العينِ وتشديدِ الدال، وورشٌ: بفتح العين وتشديد الدال مضمومةً، وقالون: باختلاسِ فتحةِ العينِ مع تشديد الدال، والباقونَ: بإسكانِ العينِ والتخفيف[1].

= (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، =

وتقدَّم في البقرة رفعُ الجبل ودخولُ الباب والاعتداءُ في السبت، وتفسيرُها[1].

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك، وهو قولُهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

* * *

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)﴾.

[١٥٥] ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ أي: فبنقضِهم.

﴿مِّيثَاقَهُمْ﴾ و(ما) صلةٌ؛ كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ونحوه.

﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تَعِي كلامَكَ يا محمدُ، فعلْنا بهم ما فعلْنا.

﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ﴾ أي: ختم.

﴿عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فجعلَها محجوبةً عن العلم. قرأ هشامٌ، والكسائيُّ، وخلادٌ بخلاف عن الثالث: (بَل طَّبَعَ) بإدغامِ اللام في الطاء، والباقون: بالإظهار[2].

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٧-١٧٨).

(١) في «ن»: «في تفسيرها».

(٢) انظر: «الحجة» لابن خالويه (ص: ٨٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم؛ كعبدِ الله بنِ سلامٍ وأصحابِه.

* * *

﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾.

[١٥٦] ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ ﴾ بعيسى.

﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ حينَ رموها بالزنا. قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (مَرْيَمْ بُهْتَاناً) بإسكان الميم عند الباء، وتقدمَ الكلامُ عليه في سورة البقرة.

* * *

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[١٥٧] ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ سموه رسولَ اللهِ استهزاءً بهِ، فأكذبَهم اللهُ تعالى في دَعْواهم بقوله:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾ وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى أَلْقى شبهَ عيسى على الذي دَلَّهم عليه، وتقدَّمَ الكلامُ على ذلك في سورةِ آلِ عمران.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ أي: في شأن عيسى.

﴿ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ ﴾ لأن طائفةً من اليهود قالوا: نحن قتلناه، وطائفةٌ من

= (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٧٨).

النصارى قالوا: نحن قتلناه، وقالت طائفةٌ منهم: ما قتلَه هؤلاءِ ولا هؤلاء، بل رُفع إلى السماء.

﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنْ يَتَّبِعون ظنَّهم.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ أي: عيسى قتلاً.

﴿يَقِينًا﴾ كما زعموه بقولِهم: إنا قتلْنا المسيحَ.

* * *

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

[١٥٨] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ردٌّ وإنكارٌ لقتله، وإثباتٌ لرفعِه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ لا يُغْلَبُ على ما يريدُه.

﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّرَ لعيسى، وتقدَّم في سورة آل عمران قصةُ الصلبِ ورفعِ عيسى عليه السلام إلى السماء.

* * *

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

[١٥٩] ﴿وَإِن﴾ أي: وما مِنْ أحدٍ.

﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ أي: بعيسى.

﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي: موتِ المؤمنِ عندَ معاينةِ الموتِ حينَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى.

﴿عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ فيشهد على اليهود أنهم كذَّبوه وقذفُوه وأمَّهُ، ويشهدُ على النصارى بأنهم دَعَوْهُ ابنَ الله.

* * *

﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠﴾.

[١٦٠] ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ وهو ما تقدَّم ذكرُه من نقضِهم الميثاقَ، وكفرِهم بآياتِ الله، وبهتانِهم على مريمَ، وقولهم: إنا قتلْنا المسيحَ.

﴿حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ وهي ما ذُكر في سورةِ الأنعامِ في قولِه تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ [الآية: ١٤٦]، المعنى: بظلمٍ صدرَ من اليهودِ حَرَّمْنا عليهم ذلك.

﴿وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن دينِهِ ﴿كَثِيرٗا﴾ من الناس.

* * *

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾.

[١٦١] ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ﴾ في التوراةِ.

﴿وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ من الرِّشَا في الحكم، والمآكلِ يُصيبونها من عَوامِّهم؛ أي: بمجموعِ هذهِ الأشياءِ حَرَّمْنا عليهم تلكَ الطيباتِ.

﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ دونَ مَنْ تابَ وآمنَ.

* * *

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾.

[١٦٢] ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ المتمكِّنون.

﴿ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ ﴾ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابه.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ من المهاجرينَ والأنصارِ، وقيلَ: من أهلِ الكتابِ.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي: القرآنِ.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يعني: جميعَ الكتبِ المنزلةِ.

﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ نصبٌ على المدحِ، أو بإضمارِ فعلٍ تقديرُه: أَعني المقيمينَ الصلاةَ.

﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ رفعُه عطفٌ على ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ ﴾، وكذلك.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ قدَّمَ عليهِ الإيمانَ بالأنبياءِ والكتبِ وما يصدِّقُه من اتباعِ الشرائعِ؛ لأنه المقصودُ بالآية.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه:

﴿ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ على جمعِهم بين الإيمانِ الصحيحِ والعملِ الصالحِ. قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (سَيُؤْتِيهِمْ) بالياء، والباقون: بالنون[1].

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨٠).

﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾.

[١٦٣] ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ الوحيُ: إلقاءُ المعنى في الخفاء(١)، وعَرَّفه في الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام، وذلك هو المراد بقوله:

﴿ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ جوابٌ لأهل الكتابِ عن اقتراحهم أن ينزلَ عليهم كتاباً من السماءِ، واحتجاجٌ عليهم بأنَّ أمره في الوحي كسائر الأنبياءِ، وبدأ بنوحٍ؛ لأنه أولُ نبيٍّ من أنبياءِ الشريعةِ، وأولُ نبيٍّ بُعِثَ إلى الكفارِ، وكان أطولَ الأنبياءِ عُمْراً، وجُعِلَت معجزتُه في نفسه؛ فإنَّه عُمِّرَ ألفاً وأربعَ مئةِ سنةٍ، فلم تنقصْ له سِنٌّ، ولم تَشِبْ له شعرةٌ، ولم تنقصْ له قوةٌ، وتقدَّم ذكرُه ووفاتُه في سورةِ آلِ عمرانَ عند تفسيرِ قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا ﴾ [الآية: ٣٣]، وصَرَفَ نوحاً مَعَ العُجْمَةِ والتعريفِ لِخِفَّتِهِ.

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشامٌ: (أَبْرَاهَامَ) بالألف(٢).

﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ وهم أولادُ يعقوبَ، وتقدَّم ذكرُ هؤلاء الأنبياءِ في سورة البقرة.

﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ تقدَّمَ ذكرُه في البقرة وآل عمران.

---

(١) في «ن»: «خفاء».

(٢) كما تقدم عنه. انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١ـ٢٢٢ و٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨٠).

﴿ ۞وَأَيُّوبَ ﴾ هو ابنُ موصِ بنِ رازحِ بنِ العيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، وهو من أمةِ الرومِ، وكان نبياً في عهدِ يعقوبَ، وعاشَ ثلاثاً وتسعين سنةً، ويأتي ذكرُ قصتِه في سورة الأنبياء، وفي سورة (ص) إن شاء الله تعالى.

﴿ وَيُونُسَ﴾ هو ابنُ مَتَّى، ومَتَّى أبوهُ في قولِ الأكثرِ، قيل: إنه من بني إسرائيلَ من سبطِ بنيامينَ، بُعِثَ إلى أهلِ نينوى قبالةَ الموصِلِ، بينهما دجلةُ، وسيأتي ذكرُ قصته في سورةِ الأنبياءِ إن شاء الله تعالى، وكانت وفاته في سنةِ خمسَ عشرةَ وثماني مئة لوفاةِ موسى عليهما السلام، وقبرُه في قرية تسمَّى حلحول بينَ بيتِ المقدس وبلدةِ سيدِنا الخليلِ عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَهَـٰرُونَ﴾ هو ابنُ عمرانَ أخو موسى عليهما السلام، وكان أكبرَ من موسى بثلاث سنين، وتوفي قبلَ موسى بأحدَ عشرَ شهراً، ودُفِنَ في التيه بكهفٍ في بعضِ الجبالِ على سريرٍ وجدَ به، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ ذكرُ موسى ووفاتُه، فيُعلم من ذلكَ تاريخُ وفاةِ هارون.

﴿ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ تقدَّمَ ذكرُه ووفاته في سورة البقرة.

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ ﴾ هو ابنُ بشَيٍّ بنِ عوفيد بنِ بوعزَ بنِ سَلَمُون بنِ نحشون بنِ عَمِينا ذَاب بنِ رَمْ بنِ حَصْرُون بنِ بارَص بنِ يَهُودا بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام، كان مقامُه بحبرون، ثم انتقلَ إلى بيتِ المقدسِ، وأَسَّسَ مسجدَه، وهو الأقصى، وماتَ قبل إتمامِه، وله سبعونَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلكَ، وملك أربعينَ سنةً، ودُفِنَ

بالكنيسةِ المعروفةِ بالجيسمانية[1] شرقي بيتِ المقدسِ بالوادي، ويقالُ: إنَّ قبرَه بكنيسةِ صهيون ظاهر بيتِ المقدسِ من جهةِ القبلةِ، وهو مشهورٌ عندَ الناس، وكانت وفاتُه في يوم السبت أواخر سنةِ خمسٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ لوفاة موسى عليه السلام.

﴿زَبُورًا﴾ قرأ حمزةُ، وخلفٌ: بضمِّ الزاي حيثُ وقعَ، جمع زَبْرٍ؛ كدَهْرٍ وُدُهور، بمعنى: مزبور؛ أي: مكتوبٍ، وقرأ الباقون: بالفتحِ اسمٌ للكتاب المنزَلِ عليه[2]، وهو مئةٌ وخمسونَ سورةً بالعبرانيةِ في خمسينَ منها: ما يلقونه من بُخْتَ نَصَّرَ، وفي خمسينَ: ما يلقونَهُ من الرومِ، وفي خمسين: مواعظُ وحكمٌ، ولم يكنْ فيه حلالٌ ولا حرامٌ ولا أحكامٌ، وتقدَّم في سورةِ البقرةِ ذكرُ ما آتاهُ اللهُ من الملكِ والحكمةِ وطيبِ الصوتِ والألحانِ في قراءةِ الزَّبورِ.

***

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾.

[١٦٤] ﴿وَرُسُلًا﴾ منصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ؛ أي: وأرسلْنا رسلاً؛ لأن معنى ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ﴾ أرسلْنا نوحاً.

﴿قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبلِ هذهِ السورة، أو اليومَ.

---

(١) في «ن»: «الجسمانية».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٨١).

﴿ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ أي: لم نخبرْكَ بأخبارِهم، قيلَ: لما ذكرَ الأنبياءَ في الآية، ولم يذكر موسى، قالتِ اليهود: أكلمَ الله موسى أم لا؟ فنزل:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ مصدرٌ معناهُ التأكيدُ، يدلُّ على بُطلانِ قولِ مَنْ يقول: خَلَقَ لنفسِه كلاماً في شجرةٍ، فسمعَهُ موسى، بل هو الكلامُ الحقيقيُّ الذي يكونُ به المتكلِّمُ متكلماً، وكلامُ الله تعالى للنبيِّ موسى دونَ تكييفٍ ولا تحديدٍ؛ فإنه سبحانه موجودٌ لا كالموجودات، معلومٌ لا كالمعلوماتِ، فكذلكَ كلامُه لا كالكلامِ.

* * *

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾.

[١٦٥] ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ نصبٌ على المدحِ، ثم عَلَّلَ الإرسالَ فقال:

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ﴾ إرسالِ.

﴿ ٱلرُّسُلِ ﴾ إليهم، فيقولوا: ما أرسلتَ إلينا، فكيفَ تعذبنا؟! وفيه دليلٌ على أنَّ اللهَ لا يعذِّبُ الخلقَ قبلَ بعثةِ الرسلِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾ لا يغلب فيما يريد(١).

﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دبَّرَ من أمرِ النبوةِ، وخَصَّ كلَّ نبيٍّ من الوحيِ

---

(١) في «ن»: «يريده».

والإعجازِ، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ أسماءُ الأنبياءِ الذين ذُكِروا في القرآنِ بأسمائِهم، والذينَ أُشير إليهم.

***

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾.

[١٦٦] قال ابن عباس: إن رؤساءَ مكةَ أتَوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا محمدُ! إنا سألْنا عنكَ اليهودَ، وعن صفتِك في كتابِهم، فزعموا أنَّهم لا يعرفونَكَ، ودخلَ عليه جماعةٌ من اليهودِ، فقال لهم: «وَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ»، فقالوا: ما نعلمُ ذلك، فأنزلَ الله عز وجل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ﴾[1] من الوحيِ والقرآنِ إن جحدوكَ وكَذَّبوكَ.

﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ أي: وهو عالمٌ بأنَّكَ أهلٌ لإنزالهِ عليكَ، وأنَّكَ تبلِّغُهُ.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ﴾ أيضاً على صدقِكَ.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ لو لم يشهدْ غيرُه.

***

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٢٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٧٥٠).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ ﴾ جمعوا بينَ الكفرِ والصَّدِّ.

﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عن طريقِ الهدى بكتمِ نعتِ محمدٍ ﷺ.

﴿ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ باللهِ.

﴿ وَظَلَمُواْ ﴾ بكتمِ نعتِ محمدٍ ﷺ.

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ من الطرقِ.

* * *

﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ﴾ وهو دينُ الكفرِ؛ أي: لم يجعلْهم مسلِمينَ، بل جعلَهم كافرين، وهذا فيمَنْ سبقَ حكمُه تعالى فيهم أنَّهم لا يؤمنونَ.

﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لا يصعُبُ عليه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ ﴾.

[١٧٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي: بالشرعِ.

﴿ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ ﴾ الإيمانُ.

﴿ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ فهو غنيٌّ عنكُمْ.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بأحوالِهم.

﴿ حَكِيمٗا ﴾ فيما دبَّرَ لهم.

* * *

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾.

[١٧١] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الخطابُ لليهودِ والنصارى؛ [فإنهم جميعاً غَلَوا في أمرِ عيسى، فقالَتْ طائفةٌ من النصارى][١]، وهم اليعقوبيةُ والملكائيةُ: عيسى هو اللهُ، وقالتْ طائفةٌ، وهم النسطوريةُ: عيسى ابنُ الله، وقالَتِ المرقوسيةُ: عيسى ثالثُ ثلاثةِ آلهةٍ: عيسى ومريمَ واللهِ،

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

علَّمَهم ذلكَ رجلٌ من اليهودِ يقالُ له: بولسُ، وقالتِ اليهودُ: هو ولدُ زنا، وكَذَبوا كُلُّهم.

﴿لَا تَغْلُوا۟﴾ لا تتجاوزوا الحدَّ.

﴿فِى دِينِكُمْ﴾ بزيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تشركوا، وقوله: ﴿فِى دِينِكُمْ﴾ معناه: في الدِّينِ الذي أنتم مطلوبون[1] به، وأضافَه إليهم بياناً أنهم مأخوذونَ بهِ، وليستِ الإشارةُ إلى دينِهم المضلِّلِ، ولا أُمروا بالثبوتِ عليهِ دونَ غُلُوٍّ، وإنما أُمِروا بتركِ الغُلُوِّ في دينِ الله، وأن يوحِّدوا.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾ أي: تَذْكُروا.

﴿عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القولَ.

﴿ٱلْحَقَّ﴾ يعني: تنزيهَهُ عن الصاحبةِ والولدِ.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ وهي قولُه لعيسى: كُنْ، فكانَ من غيرِ أبٍ.

﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أوصلَها إليها، وحصَّلَها فيها.

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ سُمِّي عيسى رُوحاً؛ لأنه ذو رُوحٍ وجسدٍ كغيره، وأُضيف إلى الله تشريفاً له، المعنى: لا نسبةَ ولا اتصالَ بينَ اللهِ وعيسى، وليسَ بجزءٍ منه، إلا أنه رسولُه؛ لأن عيسى مركَّبٌ، والله مُنزَّهٌ عن التركيبِ، وإنما هو ابنُ مريمَ، وهو جزءٌ منها، خُلِقَ من غيرِ أبٍ؛ لأنه مركَّبٌ مثلَها. تلخيصُه: ليسَ عيسى إلا بعضَ أمِّه لا غيرُ؛ لأن (إنما) للحصر.

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟﴾ هم.

---

(١) في «ن»: «تطلبون».

﴿ ثَلَٰثَةٌۚ ﴾ وكانت النصارى يقولون: أبٌ وابنٌ وروحُ القدس.

﴿ ٱنتَهُواْ ﴾ عن التثليثِ يكنِ الانتهاءُ.

﴿ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ بالذاتِ، لا تعدُّدَ فيهِ بوجهٍ.

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥٓ ﴾ أي: هو منزَّهٌ عن:

﴿ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ ﴾ كما تزعمونَ أيُّها النصارى.

﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ مُلْكاً وخَلْقاً، لا يماثلُه شيءٌ من ذلك فيتخذَه ولداً.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ فإنه مستغنٍ عن الولدِ المحتاجِ إليه ليكونَ وكيلاً لأبيه؛ لأنه سبحانه قائمٌ بحفظِ الأشياءِ، غيرُ محتاجٍ إلى مَنْ يُعينهُ.

* * *

﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ ﴾.

[١٧٢] ولما قال وفدُ نجرانَ للنبيِّ ﷺ: إنَّكَ تسبُّ عيسى، تقولُ: إنه عبدُ الله، فقال: «إِنَّهُ لاَ يَأْنَفُ مِنْ ذَلِكَ»، نزل:

﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ ﴾(١) أي: لن يأنفَ عِزَّةً.

﴿ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ﴾ فإن عبوديتَهُ شرفٌ يتباهى به.

﴿ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾ عطفٌ على المسيح، وهم حَمَلَةُ العرشِ لا يأنفونَ أن يكونوا عبيداً لله، واستدلَّ بهذه الآيةِ من يقولُ بتفضيلِ الملائكةِ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٧).

على البشرِ؛ لأنه تعالى ذكرَ عيسى عليه السلام، ثم ارتقى إلى الملائكةِ، والارتقاءُ إنما يكونُ إلى الأعلى، فلا يقالُ: لا يستنكفُ زيدٌ من كذا، ولا عبده، إنما يقال: لا يستنكفُ من كذا، ولا مولاه، ومن لا يُفَضِّلُهم يقول: لم يذكرِ الملائكةَ تفضيلاً لهم على البشرِ، بل رَدّاً على الذين يقولونَ: الملائكةُ آلهةٌ، كما ردَّ على النصارى قولَهم: المسيحُ ابنُ الله، وتقدَّمَ في سورة البقرة ذكرُ مذهبِ أهل السنَّةِ في تفضيلِ الأنبياءِ على الملائكةِ عندَ تفسير قولِه تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: ٣١]، ثم قالَ مُتَهدِّداً:

﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ﴾ يترفعْ عنها، والاستكبار دون الاستنكاف.

﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ فيجازيهمْ.

***

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾﴾.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ﴾ من الحسناتِ ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ وعيدٌ للذين يَدعون عبادةَ اللهِ أنفةً وتكبُّراً.

***

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾.

[١٧٤] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لهُ حجَّةٌ عليكم بالمعجزاتِ، وهو محمدٌ ﷺ.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ هو القرآنُ.

* * *

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ امتنعوا بهِ من زَيْغِ الشيطانِ.

﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ يعني: الجنةَ ونعيمَها.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الفضلِ، وهذه هداية طريق الجِنانِ.

﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ طريقاً واضحاً.

* * *

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾.

[١٧٦] عن جابرٍ قال: «عادني رسولُ الله ﷺ وأنا مريضٌ لا أعقلُ،

فتوضَّأَ وصَبَّ عليَّ من وَضوئِهِ، فعقلْتُ فقلْتُ: يا رسولَ الله! لمنِ الميراثُ؟ إنما يرثُني كَلالةٌ»، فنزل:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ يستخبرونَكَ فيسألونَكَ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ وتقدَّمَ تفسيرُ الكلالَةِ في أول السورة.

﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ المرادُ بالولدِ: الابنُ.

﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ لأبوينِ، أو لأب.

﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ لأن الابنَ يُسْقِطُ الأختَ، والبنتُ لا تسقطُها باتفاقِ الأئمة.

﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ابنٌ؛ لأن البنتَ لا تُسقطُ الأخَ بالاتفاق، وإن كانَ[1] ولدُها أنثى، فللأخِ ما فَضَلَ عن فرضِ البناتِ بالاتفاق[2].

﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي: الأختانِ.

﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ فصاعِداً.

﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فَمَنْ ماتَ وله أخواتٌ، فلهنَّ الثلثانِ بالاتفاقِ.

﴿وَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي: الورثةُ.

﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ أي: ذكوراً وإناثاً.

﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أصلُه: وإن كانوا إخوةً وأخواتٍ، فَغُلِّبَ المذكَّرُ[3].

---

(١) «كان» ساقطة من «ن».

(٢) «بالاتفاق» ساقطة من «ن».

(٣) في «ن»: «الذكر».

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ أي: ألاَّ تَضِلُّوا[١].

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات.

رُويَ أن آخرَ آيةٍ نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾[٢] ونزلَتْ في طريقِ حجةِ الوداعِ في زمنِ الصيفِ، فسمِّيَتْ: آيةَ الصيفِ، ورُوي أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عاشَ بعدَها خمسين يوماً[٣]، والله أعلم.

* * *

(١) في «ن»: «لا تضلوا».

(٢) رواه البخاري (١٩١)، كتاب: الوضوء، باب: صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه، ومسلم (١٦١٦)، كتاب: الفرائض، باب: ميراث الكلالة.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/٦٢٨).

سُورَةُ المَائِدَةِ

مدنيةٌ، ورُويَ أنها نزلَتْ مُنْصَرَفَ رسولِ اللهِ ﷺ من الحُدَيبيةِ، وآيُها مئةٌ وعشرونَ آيةً، وحروفُها أحدَ عشرَ ألفاً وسبعُ مئةٍ وثلاثةٌ وثلاثون حرفاً، وكَلِمُها ألفانِ وثماني مئةٍ وأربعُ كلمات. وعن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال: «سُورَةُ المَائِدَةِ تُدْعى فِي مَلَكُوتِ اللهِ: المُنْقِذَةَ؛ تُنْقِذُ صَاحِبَهَا مِنْ أَيْدِي مَلاَئِكَةِ الْعَذَابِ»(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾.

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ أي: العهودِ المحكمةِ، ويقال: وَفَى وأَوْفى بمعنىً واحدٍ، وهذا عامٌّ في كل واجبٍ من أمرٍ ونهيٍ وحفظِ وديعةٍ؛ أي: احفظوا شريعتَهُ(٢)، ولفظُ المؤمنين يعمُّ مؤمني أهلِ الكتابِ بينَهم وبينَ اللهِ عقدٌ في أداءِ الأمانةِ فيما في كتبهم من أمرِ

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٦/ ٣٠) دون عزو.

(٢) «أي: احفظوا شريعته» زيادة من «ظ».

محمدٍ ﷺ، ثم خاطبَ كلَّ من التزمَ الإيمانَ على وَجْهِهِ وكمالِهِ، فقال:

﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وهي الإبلُ والبقرُ والغنمُ، [وأرادَ تحليلَ ما حرمَ أهلُ الجاهليةِ على أنفسِهم من الأنعام][1]، وسميتْ بهيمةً؛ لإبهامِها من جهة نقصِ نطقِها وفهمِها، وعدمِ مَيْزِها[2] وعقلِها، وقال ابنُ عباسٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ: «بهيمةُ الأنعامِ الأَجِنَّةُ في البطنِ إذا ذُبِحَتْ أُمهاتُها»[3]، قال القرطبيُّ[4]: وفيه بُعْدٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قالَ: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ وليسَ في الأجنةِ ما يُستثنى.

واختلفَ الأئمةُ في الجنينِ الذي يوجَدُ في بطنِ أُمه مَيْتاً إذا ذُكِّيَتْ، هل تكونُ ذكاتُها ذكاةً لجنينِها، ويحلُّ أكلهُ؟ فقالَ أبو حنيفةَ: لا يحلُّ أكلُه، وقالَ صاحباه: إذا تمَّ خلقُه، حَلَّ أكلُه، وقال مالكٌ: إذا تمَّ خلقُهُ، ونبتَ شعرُه، أُكِلَ، وإلا فلا، وقالَ الشافعيُّ وأحمدُ: يحلُّ أكلُه، سواءٌ نبتَ شعرُه أو لم ينبتْ، واستحبَّ أحمدُ ذبحَهُ، فإنْ خرجَ وفيه حياةٌ مستقرَّةٌ، لم يُبحْ إلا بذبْحه، بالاتفاق.

﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ﴾ أي: يُقْرأُ.

﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ تحريمُهُ في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] استثناءً من بهيمةِ الأنعامِ.

﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ ومعنى الآية: أُحلَّتْ لكمُ الأنعامُ كلُّها إلا ما كانَ

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) في «ن»: «تميزها».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٣٤).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ٣٤).

وحشياً؛ فإنه صيدٌ لا يحلُّ لكم في حالِ الإحرامِ، فذلكَ قولُه:

﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: ما كانَ صيداً، فهو حلالٌ في الإحلالِ دونَ الإحرام، وما لم يكنْ صيداً، فهو حلالٌ في الحالينِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من تحليلٍ وتحريمٍ، لا دافعَ لمرادِهِ.

***

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمعُ شَعيرةٍ، وهي العلامةُ، والمرادُ: مناسكُ الحجِّ، وكان المشركون يحجُّون ويُهْدون، فأرادَ المسلمونَ أن يُغيروا عليهم، فنهاهمُ اللهُ عن ذلك.

واختلفَ العلماءُ في إشعارِ الهَدْيِ، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُسَنُّ إشعارُه بشَقِّ صفحةِ سنامِه اليُمْنى، أو موضعِه ممَّا لا سنامَ لهُ من إبلٍ وبقرٍ حتى يسيلَ الدمُ، وقالَ مالكٌ: في الجانبِ الأيسرِ من السنام في الإبلِ، وكذلك في البقرِ إنْ كان لها أسنمةٌ، فإن لم تكنْ لها أسنمةٌ، لم تُشْعَرْ، ومنعَ من هذا كلِّه أبو حنيفةَ، وقالَ: إنه تعذيبٌ للحيوان.

﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ اسمٌ مفردٌ يدلُّ على الجنسِ في الأشهُرِ الحرم، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّمُ، ورجَبٌ؛ أي: لا تُحِلُّوا القتالَ فيها.

﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ بنحرِه قبلَ محلِّهِ، وهو كلُّ ما يُهدى إلى الحرمِ من نَعَمٍ وغيرِها.

﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ أي: ذواتَ[١] القلائدِ من الهَدْيِ، جمعُ قِلادة، وهي ما قُلِّدَ بالهَدْيِ من نعلٍ[٢] أو غيرِه؛ كآذانِ القُرَبِ والحبلِ ونحوِ ذلك؛ ليعلمَ به[٣] أنَه هديٌ، فلا يُتَعَرَّضُ له.

واختلفَ الأئمةُ في تقليدِ الغنمِ، فقال الشافعيُّ وأحمدُ: تُقَلَّدُ، ومنعَ الشافعيُّ من تقليدِها بالنعلِ، وأباحَهُ أحمدُ، وقالَ أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا تُقَلَّدُ الغنمُ، واتفقوا على تقليدِ ما عدا الغنمِ بالنعلِ[٤] وغيرِه.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: قاصديهِ.

﴿يَبْتَغُونَ﴾ يطلبونَ.

﴿فَضْلًا﴾ رزقاً بالتجارةِ.

﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ بزعمِهم؛ لأن الكافرَ لا نصيبَ له في الرضوان، فلا تتعرضوا إليهم. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (ورُضْواناً) بضمِّ الراء، والباقون: بالكسر[٥]، وكلُّ ما في هذهِ الآيةِ من نهيٍ عن مُشركٍ، أو مراعاةِ حرمةٍ[٦] له بقلادةٍ، أو أمِّ البيتِ الحرامِ ونحوه، فكلُّه منسوخٌ بآية السيف بقوله:

---

(١) في «ت»: «ذات».

(٢) في «ن»: «فعلٍ».

(٣) «به» ساقطة من «ت».

(٤) في «ن»: «بالفعل».

(٥) تقدمت عند تفسير الآية (١٥) من آل عمران.

(٦) «حرمة» ساقطة من «ن».

﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ﴾ من إحرامِكم.

﴿فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ أمرُ إباحةٍ[1]؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾ يَحْمِلَنَّكُمْ.

﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ﴾ بُغْضُهُم. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عنهُ: (شَنْآنُ) بإسكانِ النونِ الأولى، وهما لغتانِ، والفتحُ أجودُ، وبه قرأ الباقون[2].

﴿أَن صَدُّوكُمۡ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بكسر الهمزةِ شرطاً، فيكون (صَدُّوكُمْ) مستقبلاً معنًى؛ لأنَّ الشرطَ حقُّه الاستقبالُ، والصدُّ كانَ عامَ الحديبيةِ سنةَ ستٍّ، ونزلت الآية عامَ الفتحِ سنةَ ثمانٍ من الهجرةِ، فتقديرُه: إن يقعْ منهم صدُّكم[3] فيما يُستقبل مثلما مضى منهم، فلا تعتدوا عليهم، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة[4]؛ أي: لأجل صدِّهِمْ إياكُمْ.

﴿عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ واختارَ ابنُ عطيةَ، وتبعَهُ القرطبيُّ أن القراءةَ

---

(١) في «ت»: «بإباحة».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣_٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٠_١٩١).

(٣) في «ن»: «صد».

(٤) انظر: المصادر السابقة.

بالفتحِ أمكنُ في المعنى؛ لأن الآيةَ نزلتْ بعدَ الصدِّ[1].

﴿أَن تَعۡتَدُواْ﴾ عليهم بالقتلِ وأخذِ الأموالِ.

﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾ أي: لِيُعِنْ بعضُكم بعضاً.

﴿عَلَى ٱلۡبِرِّ﴾ اتِّباعِ الأمرِ.

﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ اجتنابِ النهيِ.

﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ الكفرِ.

﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ الظلمِ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فانتقامُه أشدُّ. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلاَ تَّعَاوَنُوا) بتشديد التاء حالةَ الوصلِ[2]. ثم قالَ تعالى محرِّماً ما كانوا يُحلُّونه وهو بيان قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾.

* * *

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾﴾.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩١).

[٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وهي ما فارقه الرُّوحُ من غيرِ تذكيةٍ. قرأ أبو جعفرٍ: (الْمَيِّتَةُ) بالتشديد، والباقون: بالتخفيفِ، والكسائيُّ يُميل التاءَ حيثُ وقفَ على هاء التأنيث[١].

﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي: المسفوحُ، وكان أهلُ الجاهلية يصبونه في الأمعاء، ويشوونها.

﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي: ما ذُكر على ذبحِهِ اسمُ غيرِ اللهِ سبحانه؛ كقولِ: باسمِ اللاَّتِ والعُزَّى.

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ التي تُخْنَقُ. ورُويَ عن أبي جعفرٍ: (وَالْمُنخَنِقَةُ) بإخفاءِ النونِ عند الخاء، ورُوي عنهُ الإظهارُ كبقية القراءِ، وهو أشهرُ[٢]، وتقدَّم ذكرُ مذهبِه في ذلك مستوفًى في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا﴾ [النساء: ١٣٥].

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولةُ بالخشبِ. قرأ الكسائيُّ: (وَالْمَوْقُوذَةُ) بإمالةِ الذالِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيث[٣].

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطةُ من عُلُوٍّ فتموتُ.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ التي تنطَحُها أُخرى فتموتُ.

---

(١) كما تقدم عنهم مراراً.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٢).

﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ أي: بعضَه.

﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ إلا ما أدركتُم ذَكاتَه وفيه حياةٌ مستقرَّةٌ.

﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وهي حجارةٌ كانتْ منصوبةً حولَ البيتِ يعبدُها الجاهليةُ، ويذبحون عندَها، ويعدُّونَ ذلكَ قربةً.

﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ﴾ تطلبوا القسمَ والحكمَ.

﴿ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ جمعُ زَلَمٍ بضمِّ الزاي وفتحِها، وهي القِداحُ التي لا ريشَ لها ولا نصلَ، وذلكَ أنهم إذا قصدوا فعلاً، ضربوا ثلاثةَ قداحٍ مكتوب على أحدِها: أَمَرني ربي، وعلى الآخر: نهاني، والثالثُ: غُفْلٌ، فإن خرجَ الآمرُ، مَضَوا على ذلك، وإن خرجَ الناهي، تجنبوا عنه، وإن خرج الغفلُ، أجالوها ثانياً، فمعنى الاستقسام: طلبُ معرفةِ ما قُسِمَ لهم دونَ ما لم يقسمْ بالأزلام.

﴿ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: المحرَّماتُ في الآية، أو الاستقسامُ.

﴿ فِسْقٌ﴾ قال ﷺ: «مَنْ تَكَهَّنَ أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ تَطَيَّرَ طيرَةً يَرُدُّهُ عَنْ سَفَرِهِ، لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدَّرَجَاتِ العُلاَ مِنَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ أي: من إبطالِه ورجوعِكم عنه.

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يظهروا عليكم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٢١٠٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٧٧)، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ أَخْلِصوا الخشيةَ لي. قرأ يعقوبُ: (وَاخْشَوْني) بإثباتِ الياءِ حالةَ الوقفِ[١].

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بإتمامِ عِزِّهِ وظُهورِه ونصرِه: نزلتْ يومَ الجمعةِ يومَ عرفةَ بعدَ العصرِ في حجَّةِ الوداعِ، والنبيُّ ﷺ واقفٌ بعرفاتٍ على ناقتِهِ العَضْباءِ، فكادَتْ عَضُدُ الناقةِ تَندقُّ مِنْ ثِقَلِها[٢]، فبركَتْ، قال ابنُ عباسٍ: «لَمْ ينزلْ بعدَ هذهِ الآيةِ حلالٌ ولا حرامٌ»[٣].

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ بالهدايةِ والتوفيقِ، وبدخولِ مكةَ آمنينَ، ومنعِ المشركينَ من دخولِ الحَرمِ بعدَ العامِ.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ اخترتُه لكم.

﴿دِينًا﴾ من بينِ الأديانِ، وهو الدينُ عندَ اللهِ لا غيرُ، قال ابنُ عباسٍ: «كانَ ذلكَ اليومَ خمسةُ أعيادٍ: جمعةٌ، وعرفةٌ، وعيدُ اليهودِ، والنصارى، والمجوسِ، ولم تجتمعْ أعيادُ أهلِ[٤] المللِ في يوم قبلَه ولا بعدَه»[٥].

ولما نزلتْ هذه الآيةُ، بكى عمرُ رضي الله عنه، فقال له[٦] النبيُّ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فقال: «كُنَّا في زيادةٍ من دينِنا، وأَمَّا إذا كَمُلَ؛ فإنَّه لا يكمُل

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٩)، عن السدي.

(٤) «أهل» ساقطة من «ن».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٦).

(٦) «له» ساقطة من «ت».

شيءٌ إلا نَقَصَ» فقال: «صَدَقْتَ»[1]، وعاشَ بعدَها ﷺ أحداً وثمانين يوماً، وتُوفي يومَ الاثنين بعدَما زاغتِ الشمسُ لليلتين خَلَتا من ربيعٍ الأولِ[2]، وقال ابنُ الجوزيِّ: لاثنتي عشرةَ ليلةً خلَتْ منه سنة إحدى عشرةَ من الهجرةِ[3].

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ متصلٌ بذكرِ المحرَّمات، وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّدٌ معنى التحريم. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَمَنُ اضْطُرَّ) بضم النون، وأبو جعفرٍ: بكسر الطاء[4]، والمعنى: فمن اضطرَّ إلى تناولِ شيء من هذهِ المحرمات.

﴿فِى مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعةٍ.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائلٍ.

﴿لِّإِثْمٍ﴾ وهو الأكلُ فوقَ الشبع.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهُ ما أتى عندَ اضطراره.

﴿رَّحِيمٌ﴾ لا يؤاخذُه بأكلِه. وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ الأربعةِ في جوازِ أكلِ الميتةِ عندَ الضرورةِ، وقدرِ ما يجوز أكلُه في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٨٠)، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٥٣٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٣٧).

(٣) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٢/ ٢٨٧).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٣).

ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: ١٧٣].

* * *

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ولما تلا عليهم ما حُرِّمَ عليهم، سأل عديُّ بنُ حاتمٍ وزيدُ بنُ مهلهلٍ وهو زيدُ الخيلِ الذي سماهُ رسولُ الله ﷺ زيدَ الخير، قالا: «يا رسولَ الله! إنا قومٌ نصيدُ بالكلابِ والبُزاةِ، وإنَّ الكلابَ تأخذُ البقرَ والحمرُ والظباء، فمنه ما ندركُ ذكاتَهُ، ومنه ما تقتلُه، فلا ندركُ ذكاتَهُ، وقد حرَّمَ اللهُ الميتةَ فماذا يحلُّ لنا منها»[1] فنزل قولُه تعالى:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ﴾ مبتدأ ﴿أُحِلَّ لَهُمۡۖ﴾ خبرُه.

﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ هي الذبائحُ على اسمِ اللهِ تعالى.

﴿وَمَا عَلَّمۡتُم﴾ أي: أُحِلَّ لكم صيدُ الذي علَّمْتُم.

﴿مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ﴾ الصوائدِ من سباعِ البهائمِ والطيرِ؛ كالكلبِ، والفهدِ، والنَّمرِ، والبازيِّ، والصَّقْر، والشاهينِ، والعُقابِ.

﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مُرْسِلي الكلابِ على الصيدِ، والمُكَلِّبُ: مؤدِّبُ الجوارحِ ومُضْرِيها بالصيدِ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٧). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٥).

﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ أي: تؤدِّبونَ الكلابَ.

﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ من تأديبِ الكلابِ للصيدِ.

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ المعنى: إن الجارحةَ إذا خرجَتْ بإرسالِ صاحِبها، فقتلتِ الصيدَ، كانَ حلالاً إذا كانتْ معلَّمَةً، والمعلَّمَةُ: هي التي إذا أُرسلت، استرسلَتْ، وإذا زُجرت، انزجرتْ، وإذا أمسكَتْ، لم تأكلْ، فإذا وُجدَ ذلكَ منها، فهي معلَّمَةٌ، وبه قالَ أبو حنيفةَ والشافعيُّ وأحمدُ، وقال مالكٌ: لا يُشترط تركُ الأكل إذا كانَ معلَّماً، فيحلُّ أكلُ ما صادَهُ، وإن أكلَ منهُ الكلبُ والبازي.

واختلفَ مشترطو تركِ الأكلِ في حدِّ التعليم، فقالَ أبو حنيفةَ: لا تأقيتَ فيه، فمتى قالَ أهلُ الخبرة: هذا معلَّمٌ، حَكَمْنا بكونه معلَّماً، وقال الشافعيُّ: إذا تكررَ ذلكَ منها مراراً؛ بحيث يظَنُّ تأدُّبُ الجارحةِ، كانت معلَّمَةً، وقال أحمدُ: لا يُشترطُ التكرار، فإذا أمسكَ ولم يأكلْ، صارَ معلَّماً. واختلفوا في جوازِ الاصطيادِ بالكلبِ الأسودِ البهيمِ، وهو ما لا بياضَ فيه، فمنع منه أحمدُ؛ لقوله ﷺ: «الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»[1]، وأجازه الثلاثةُ، وأباحوا أكلَ ما قَتَل.

واختلف أيضاً مشترطو تركِ الأكلِ في ذي المخلبِ؛ كالبازي والصقرِ ونحوهما، هل يُشترطُ فيها تركُ الأكل كالكلبِ والفهدِ؟ فقال الشافعيُّ: يُشترطُ، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يُشترطُ.

واختلفوا في اشتراطِ الجرحِ في الصيدِ، فقال الثلاثةُ: لا بدَّ أن يجرح،

---

(١) رواه مسلم (٥١٠)، كتاب: الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

فإن قتلتْهُ الجارحةُ بصدمته أو خنقِه، لم يُبَحْ، وقال الشافعيُّ: إذا تحاملَتْ عليه فقتلَتْه بثقلِها، حَلَّ.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: سَمُّوا عليه عندَ إرساله.

واختلفَ الأئمةُ في التسميةِ عندَ إرسالِ الكلبِ، أو الرمي بالسهمِ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: إنْ تركَ التسميةَ عندَ إرسالِه أو رميِه على الصيدِ عامداً، لم يجزْ أكلُه، وإن تركَها ناسياً، جازَ، وكذا الحكمُ عندَهما في التسمية عندَ الذبح، وقال الشافعيُّ: يحلُّ الأكلُ، سواءٌ تركَها عامداً أو ناسياً في الصيدِ والذبحِ؛ لأن التسميةَ عندَه سُنَّةٌ، وقال أحمدُ: إنْ تركَ التسميةَ في الصيدِ عمداً أو سهواً، لم يُبَحْ، والحكمُ عندَه في الذبحِ كأبي حنيفةَ ومالكٍ.

ويُشترطُ في الذابحِ والصائدِ أن يكونَ مسلِماً أو كتابياً، فلا يحلُّ صيدُ مجوسيٍّ، ولا وثنيٍّ، ولا مرتدٍّ، ولا ذبائحُهم، بالاتفاق، والشافعيُّ يشترطُ أن يكونَ الكتابيُّ ممن تحلُّ مناكحَتُهُ، وهو أن يُعْلَمَ دخولُ قومِه في دينِ اليهوديةِ أو النصرانيةِ قبلَ نسخِه وتحريفِه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في محرَّماتِه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو أخذُكُم بما جَلَّ ودَقَّ.

* * *

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ﴾ أعادَهُ تأكيداً؛ أي: الطيباتُ التي سألتُم عنها.

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ همُ اليهودُ والنصارى، ومن دخلَ في دينهم قبلَ مبعثِ النبيِّ ﷺ.

﴿حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ﴾ أي: يحلُّ لكم طعامُهم وإطعامُهم.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ، تقديره: حِلٌّ لكمْ.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ وإن كُنَّ حربياتٍ، فيباحُ نكاحُ حرائرِ أهلِ الكتابِ بالاتفاق، والشافعيُّ على أصلِه كما تقدَّم قريباً في حكمِ الصيد والذبحِ من الاشتراطِ في الكتابيِّ.

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورَهُنَّ.

﴿مُحۡصِنِينَ﴾ أَعِفَّاءَ(١).

﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ مُجاهِرينَ بالزنا.

﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾ جمعُ خِدْنٍ، وهو الصديقُ، يطلق على الذكر والأنثى؛ أي: ولا مُسِرِّينَ بالزنا، وتقدمَ في سورةِ النساءِ اختلافُ الأئمةِ في نكاحِ الأمةِ الكتابيةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ [الآية: ٢٥].

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ أي: يُنكرْ شرائعَ الإسلامِ.

﴿فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ إن ماتْ عليه.

﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ للثواب.

---

(١) «أعفاء» ساقطة من «ن».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ أي: أردتم القيامَ.

﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردتَ القراءةَ، وظاهرُ الآيةِ يوجبُ الوضوءَ على كُلِّ قائمٍ إلى الصلاةِ، وإن لم يكنْ مُحْدِثاً، والإجماعُ على خلافِه، لأن المرادَ: إذا قمتُم إلى الصلاةِ وأنتم على غيرِ طهر[١]؛ بدليلِ أَنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى الخمسَ صلواتٍ بوضوءٍ واحدٍ يومَ الفتحِ[٢].

﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ وحدُّ الوجهِ من مَنابتِ[٣] شعرِ الرأسِ إلى ما انحدَرَ من اللَّحْيَيْنِ؛ والذَّقَنِ طولاً، ومن الأذنِ إلى الأذنِ عرضاً، فيجبُ غسلُ جميعِه بالاتفاق، فإن كان فيه شعرٌ خفيفٌ يصفُ البشرةَ، وجبَ غسلُها معه، وإن كان يسترُها، أجزأَهُ غسلُ ظاهرِها، ويستحبُّ تخليلُهُ.

---

(١) في «ظ»: «وضوء».

(٢) رواه مسلم (٢٧٧)، كتاب: الطهارة، باب: جواز الصلوات كلها بوضوء واحد، عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ظ»: «منبت».

﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ وتدخلُ المرافقُ في الغَسْل بالاتفاق؛ لورودِ السنةِ بذلك.

﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ الباءُ مزيدةٌ. واختلفَ الأئمةُ رضي الله عنهم في قدرِ الواجبِ من مسحِ الرأسِ، فقال أبو حنيفةَ: ربعُه، وقال مالكٌ وأحمدُ: جميعُه، وقال الشافعيُّ: قدرُ ما يُطلقُ عليه اسمُ المسح، وأجاز أحمدُ المسحَ على العِمامة إذا كانَ منها شيءٌ[1] تحتَ الحَنَكِ، وعلى خُمُرِ النساءِ المدارَةِ تحتَ حلوقهنَّ؛ خلافاً للثلاثة.

﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ وهما العظمانِ الناتئانِ من جانبِ القدمين، وهما مجتمعُ مفصلِ الساقِ والقدمِ، فيجبُ غسلُهما مع القدمين بالاتفاق. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وحفصٌ: (وَأَرْجُلَكُمْ) بنصبِ اللامِ عطفاً على الأيدي، وقرأ الباقون: بالخفضِ عطفاً على الرؤوس[2]، وإن كانت غيرَ ممسوحةٍ حثاً على الاقتصادِ في صَبِّ الماءِ على الرِّجْلينِ؛ لأنهما مَظِنَّةُ الإسرافِ في صبِّ الماء.

واختلفوا في الترتيبِ كما ذكرَهُ اللهُ تعالى، فقال الشافعيُّ وأحمدُ بوجوبه، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: هو سنة.

واختلفوا في الموالاة، وهي ألاَّ يُؤَخَّرَ غسلُ عضوٍ حتى ينشفَ الذي

---

(١) في «ظ»: «شيء منها».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٤٤ـ٦٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٤ـ١٩٥).

قبلَه، فقال مالكٌ وأحمدُ: هي واجبةٌ، وقال أبو حنيفةَ والشافعيُّ: هي مسنونةٌ.

واختلفوا في التسميةِ، فقال الثلاثة: هي سُنَّةٌ، وقال أحمدُ: هي واجبةٌ، لكنْ تسقطُ سهواً.

واختلفوا في المضمضةِ والاستنشاقِ، فقال أحمدُ: هما واجبان، ولا يسقطانِ سهواً، وقال الثلاثة: هما سنَّةٌ.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا۟﴾ فاغتسلوا.

واختلفوا في المضمضةِ والاستنشاقِ في الغُسْلِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: هما فرضٌ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: هما سنة كما في الوضوءِ.

واختلفوا في الدلكِ في الوضوءِ والغُسْلِ، فعند مالكٍ: هو شرطٌ، وعند الثلاثةِ: لا يُشترط إذا عَمَّ جسدَه بالماء.

واختلفوا في النيَّةِ في الوضوءِ والغُسلِ، فقال أبو حنيفةَ: هي مستحبَّةٌ، وقال الثلاثةُ: هي واجبةٌ، واختلافُهم في التسميةِ عندَ الغسلِ كاختلافِهم فيها عندَ الوضوء كما تقدم قريباً(١).

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ أي: من الصعيدِ، وتقدَّم في سورةِ النساء تفسيرُ نظيرِ هذهِ الآيةِ، واختلافُ القراء فيها، واختلافُ الأئمة في حكمِها مستوفًى.

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ بالأمرِ بالطهارةِ للصلاةِ أو الأمرِ بالتيممِ.

---

(١) «كما تقدم قريباً» سقط من «ظ».

﴿لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ ضيقٍ.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ منَ الأحداثِ والذنوبِ.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بالترخُّصِ عندَ المرضِ والسفرِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لتشكروا نعمتَهُ فتُقْبِلوا على طاعته.

ودلتِ الآيةُ على المسحِ على الخفينِ، وهو جائزٌ بالاتفاق، فعندَ الثلاثةِ: يمسحُ المقيمُ يوماً وليلةً، والمسافرُ ثلاثةَ أيامٍ بلياليها، أولُها من الحدثِ بعدَ اللبس، وعند مالكٍ: لا توقيتَ فيه لمقيمٍ ولا لمسافرٍ، وشرطُه أن يُلْبَسَ بعدَ كمالِ الطهارةِ بالاتفاق.

واتفقوا على أن المسحَ يخصُّ ما حاذى ظاهرَ القدمين، ثم اختلفوا هل يُسَنُّ، مسحُ محاذي باطنِ القدمين؟ فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: لا يسنُّ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: يُسَنُّ، و[1]اختلفوا في قدرِ الإجزاءِ من المسحِ على الخفَّينِ، فقال أبو حنيفة: مقدارُ ثلاثةِ أصابعَ من اليدِ، وقال مالكٌ: يستوعبُ محلَّ الفرضِ، وقال الشافعي: ما يقعُ عليهِ اسمُ المسح، وقال أحمدُ: يجبُ مسحُ أكثرِ أعلاه.

***

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام.

﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ أي: عهدَه الذي عهدَ إليكم.

---

(١) في «ظ»: «ثم».

﴿ إِذْ قُلْتُمْ ﴾ للنبيِّ ﷺ.

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وذلك حين بايعوا رسولَ الله عليه الصلاة والسلام على السمعِ والطاعةِ فيما أَحَبُّوا وكَرِهوا.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في نقضِ ميثاقِه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بخفيَّاتها.

***

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾.

[٨] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ لأجلِ ثوابِ اللهِ.

﴿ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: كونوا قائمينَ بالعدلِ قَوَّالينَ بالقسطِ.

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ يحملنَّكُمْ.

﴿ شَنَآنُ ﴾ بغضُ.

﴿ قَوْمٍ ﴾ يعني: المشركين. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، بخلافٍ عن الأول (شَنْآنُ) بإسكان النون، والباقون: بالتحريك(١).

﴿ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ فيهم؛ لعداوتكم إياهم، بل(٢) ﴿ اعْدِلُوا ﴾ في أوليائِكُم وأعدائِكُم ﴿ هُوَ ﴾ أي: العدلُ.

---

(١) تقدمت عند تفسير الآية (٢) من هذه السورة.

(٢) «بل» زيادة من «ظ».

﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ وإذا كانَ هذا العدلُ معَ الكفارِ، فما ظَنُّكَ بالعدلِ معَ المؤمنين؟

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

***

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾.

[٩] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ هذا موضعُ النصب؛ لأن فعلَ الوعدِ واقعٌ على المغفرةِ، ورفعُها على تقديرِ: أيْ: وعدَهُمْ وقالَ لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ.

***

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾.

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ نزلَتْ في بني النَّضِيرِ، وقيلَ: في جميعِ الكفارِ.

ونزل لما أريدَ الفتكُ برسولِ الله ﷺ، فلم يُمَكِّنِ اللهُ منه، وذلكَ أنه عليه الصلاة والسلام جاءَ إلى قومٍ من اليهود، وهم كعبُ بنُ الأشرفِ وبنو النضير يستقرضُهم ديةَ مسلِمَيْنِ قتلَهما عَمْرُو بنُ أميةَ الضَّمْرِيُّ خطأً يحسبُهما مُشرِكَينِ، فقالوا: نعم، وهَمُّوا بقتله، فمنعه الله منهم:

***

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾(١) بالدَّفعِ عنكم، و(نعمت) رُسمت بالتاء في أحدَ عشرَ موضعاً، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ.

﴿ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ بالقتلِ، يقال: بسطَ إليهِ يدَهُ: إذا بطشَ بهِ، وبسطَ إليهِ لسانَهُ: إذا شتَمَهُ.

﴿ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ ﴾ منعَها ﴿ عَنكُمْ ۖ ﴾ أن تُمَدَّ إليكم.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فإنَّه الكافي لإيصالِ الخيرِ ودفعِ الشرِّ.

* * *

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٤٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٤٩).

ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كلِّ سبطٍ نقيباً، والنقيبُ: الضَّمينُ والأمين، وهو الذي ينقبُ عن الأمور، ويتعرَّفُها.

رُوي أن بني إسرائيل لما فرغوا من أمرِ فرعونَ، واستقرُّوا بمصرَ، أمرَ اللهُ موسى وقومَه بالخروجِ إلى أريحا من أرضِ الشامِ، وكان يسكنُها الكنعانيون الجبارون ومنهم[١] عوجُ بنُ عنق وأصحابُه، ونسبته لأم عناقَ بنتِ آدمَ عليه الصلاة والسلام، وكان طولُه ثلاثةَ آلافٍ وثلاثَ مئةٍ وثلاثةً وثلاثينَ وثلثَ ذِراعٍ، وكان يَحْتَجِزُ بالسحابِ، ويشربُ منه، ويتناولُ الحوتَ من قَرارِ البحرِ فيشويهِ بعينِ الشمسِ يرفعُه إليها، ثم يأكلُه، وعاشَ ثلاثةَ آلافِ سنةٍ حتى أهلكَه الله على يدِ موسى عليه الصلاة والسلام، وذلك أنه قطع صخرةً على قدرِ عسكرِ موسى ليطرحَها عليهم، وكان العسكرُ فرسخاً في فرسخ، فبعثَ اللهُ الهدهدَ، فقوَّرَ الصخرةَ بمنقاره، فوقعتْ في عنقِه، فصرعَتْهُ، فوثب موسى عليه الصلاة والسلام، وكانت وثبتُهُ عشرةَ أذرعٍ، وطولُه مثلُ ذلك، وطولُ عصاته مثلُ ذلك، ولم يلحقْ إلا عرقوبَه، فضربَهُ فقتله، وتُرِكَ بموضعِه، وأردمَ عليه بالصخر والرمل[٢]، فكانَ كالجبلِ العظيمِ في صحراءِ مصرَ، ولما أمرَ اللهُ بني إسرائيلَ بالخروج إلى أريحا، قال لهم: إنِّي كتبتُها لكم دارَ قرارٍ، فاخرجوا إليها، وجاهدوا

---

(١) «ومنهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «بالرمل والصخر».

مَنْ فيها؛ فإني ناصرُكم عليهم[1]، واتخذَ موسى من قومِهِ اثني عشرَ نقيباً، فعاهدَهُم أن يكفلوا بقومِهم، ولا يحدِّثوهم بما يرونَ من الجبارين، فلما رأوهم وما هم عليه من عِظَمِ الأجسادِ، نقضوا العهدَ، وحدثوهم، إلا كالبَ بنَ يوقنا من سبطِ يَهوذا ختنَ موسى على أختِهِ مريمَ بنتِ عمران، ويوشعَ بنَ نون من سبطِ أَفراييمَ بنِ يوسفَ فتى موسى، وأما أسماءُ العشرةِ الذين نقضوا العهدَ من النقباء، فهم شموعُ بنُ زكور من سبطِ روبين[2]، وشافاطُ[3] بن حوري من سبطِ شمعون، ويغال بنُ يوسفَ من سبطِ يساخر، وبلطي بن رافوا من سبطِ بنيامين، وكدي بن سودي من سبطِ زبولون، وكدي بن سوسي من سبط منشا بنِ يوسفَ، وعميال بن كملي من سبط دان، وستورُ بن ميخائيل من سبطِ آشر، ونحبى بنُ وقسي من سبط نفتالي، وكوئيلُ بنُ ماخي من سبطِ كاد، فهؤلاء الذين دعا موسى عليهم، فهلكوا مسخوطاً عليهم[4].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ﴾ ناصرُكم على عدوِّكم.

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ عَظَّمتموهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاقِ في سبيل الخيرِ.

﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ﴾ أي: لأمحوَنَّ عنكمُ.

---

(١) «عليهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «روبيل».

(٣) في «ش»: «شافط».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٥٠)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٩).

﴿ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أخطأَ طريقَ الحق.

***

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾ أي: فبنقضِهم، و(ما) صلةٌ.

﴿ مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ بتكذيبِ الرسلِ بعد موسىٰ، وقتلِ الأنبياءِ، ونبذِ كتابِ الله، وتضييعِ فرائضِهِ.

﴿ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ طردْناهم من رحمتِنا.

﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ يابسةً لشوبهم الإيمانَ بموسى والتوراةِ بكفرِهم بمحمدٍ والقرآن. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (قَسِيَّةً) بتشديد الياء من غير ألف، وهما لغتان، مثل زاكِية وزَكِيَّة[١].

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾ أي: يُبدلون نعتَ محمدٍ ﷺ.

﴿ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ في كتبِهم؛ لأنَّ من قسا قلبُه، يقدمُ على فعلِ[٢] ما لا يجوزُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٩٧).

(٢) «فعل» زيادة من «ظ».

﴿وَنَسُواْ حَظًّا﴾ تركوا نصيباً وافياً.

﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ، والقرآنِ.

﴿وَلَا تَزَالُ﴾ يا محمدُ.

﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهرُ.

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ أي: خيانة.

﴿مِّنْهُمْ﴾ أي: نقضِهم العهدَ، ومظاهرتهم المشركينَ في حَرْبِكَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ هم الذين آمنوا منهم.

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ اتركْهم لا تتعرَّضْ لهم، ونُسخت بآية السيفِ.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ونزل في النصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ سمَّوا أنفسَهم بذلكَ ادِّعاءً لنُصرةِ اللهِ.

﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ أي: وأخَذْنا من النصارى ميثاقَهم على التوحيدِ والإيمانِ بالأنبياءِ مثلَ الميثاقِ المأخوذِ قديماً على اليهود.

﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ فنقضوا الميثاقَ.

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ هيَّجْنا.

﴿بَيْنَهُمُ﴾ أي: بينَ فرقِ النصارى المختلفَةِ.

﴿ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالأهواءِ المختلفةِ؛ كاليعقوبيةِ، والملكائيةِ، والنسطورية، وغيرِهم[1]، فكلُّ فرقة تكفِّرُ الأخرى، وتقدَّم اختلافُ القراءِ في حكم الهمزتينِ من كلمتينِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكذلك اختلافهم في قولِه: ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ﴾.

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ بالعقاب والجزاء[2].

* * *

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم قال مخاطباً اليهود والنصارى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وحدَّ الكتاب؛ لأنه للجنسِ.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ.

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كنعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجمِ في التوراةِ، وبِشارةِ عيسى بأحمدَ في الإنجيلِ.

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ ممَّا تُخفونه، فلا يؤاخذُكم به.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ هو محمدٌ ﷺ.

---

(١) «وغيرهم» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «بالجزاء وبالعقاب».

﴿ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ القرآنُ؛ فإنَّه يبيِّنُ الأحكامَ.

* * *

﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (١٦) ﴾.

[١٦] ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ ﴾ أي: بالقرآنِ العظيمِ، وبمحمدٍ النبيِّ ﷺ، وَحَّدَ الضميرَ؛ لأنَّ المرادَ بهما واحدٌ.

﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ ﴾ أي: ما رضيَهُ الله. قرأ أبو بكرٍ: (رُضْوان) و(رُضْوَاناً) بضمِّ الراء حيثُ وقعَ سوى هذا الحرفِ، ونُبِّهَ عليه في سورة آل عمران[1].

﴿ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ طرقَ السلامةِ الموصلةَ إلى الجنةِ.

﴿ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ من أنواعِ الكفرِ.

﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ إلى الإيمان.

﴿ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ بإرادتِه.

﴿ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ طريقٍ هو أقربُ الطرقِ إلى اللهِ تعالى.

* * *

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ

---

(١) انظر: تفسير الآية (١٥) من سورة آل عمران.

﴿وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ وهم اليعقوبيةُ والملكائيةُ من النصارى، يقولون: المسيح هو الله.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ أي: فمن يمنعُ من قدرتِه شيئاً.

﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ أعلمَ اللهُ سبحانه وتعالى أَنَّ المسيحَ بنَ مريمَ لو كانَ إلهاً، لقدرَ على دفعِ ما ينزلُ به أو بغيرِه، وقد أمات الله أُمَّه ولم يتمكَّنْ من دفع الموتِ عنها، فلو أهلكَهُ هو أيضاً، فمَنْ يدفعه عن ذلك؟

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ﴾ والمسيحُ وأُمُّهُ بينَهما مخلوقانِ محدودانِ، وما أحاطَ به الحدُّ والنهايةُ، لا يصحُّ للإلهيةِ[(١)] وقال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ﴾، ولم يقل: بينهنَّ؛ لأنه أرادَ النوعينِ.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ من ذكرٍ وأنثى، ومن أمٍّ بلا أبٍ؛ كعيسى، ومن أبٍ بلا أم؛ كحواء[(٢)]، ومن غير أب ولا[(٣)] أم؛ كآدمَ عليه السلام، لا اعتراض عليه عزَّ وجلَّ في خلقِه، ولا في ملكِه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

***

---

(١) في «ظ»: «للألوهية».

(٢) «ومن أن بلا أم كحواء» زيادة من «ظ».

(٣) «لا» زيادة من «ظ».

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ قيل: أرادوا أنَّ اللهَ لهمْ كالأبِ في الشفقةِ والرحمةِ، وهم كالأبناءِ له في المنزلةِ عندَه، والقربِ منه ـ عزَّ وجلَّ ـ، فأمر سبحانه وتعالى نبيَّه محمداً ﷺ أن يقولَ لهم مُنْكِراً عليهم ما قالوا[١].

﴿قُلْ﴾ إنْ صحَّ ما زعمتُم.

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ لأنَّ الحبيبَ لا يعذِّبُ حبيبَه، والوالدُ لا يعذبُ ولده، وقد عُذِّبْتُم بالمسخِ قديماً، واعترفتم أنه سيعذِّبُكم بالنارِ أياماً معدودةً.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ من بني آدمَ.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنونَ.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم الكفار[٢].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فلا شريكَ يعارِضُه فيهما[٣].

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: يؤولُ أمرُ العبادِ إليه في الآخرةِ.

* * *

---

(١) «ما قالوا» زيادة من «ظ».

(٢) في «ظ»: «الكافرون».

(٣) «فيهما» زيادة من «ظ».

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾ محمدٌ ﷺ.

﴿ يُبَيِّنُ لَكُمۡ ﴾ شرائعَ الإسلامِ.

﴿ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ ﴾ انقطاعِ وجودِ أحدٍ[١].

﴿ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ وكانتِ الفترةُ بينَ محمدٍ وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ خمسَ مئةٍ ونحوَ تسعين سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك، فكانت الرسلُ تَتْرى من[٢] موسى إلى عيسى ـ عليهما الصلاةُ السلام ـ، ولم يكن بعدَ عيسى عليه السلام سوى نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ لَئِلاَّ تقولوا معتذرينَ:

﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ ﴾ أي: مبشرٍ ومنذرٍ، والفاءُ بعدَها متعلقةٌ بمحذوفٍ تقديرُه: لا تعتذروا.

﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ ﴾ نزلَتْ لما قالتِ اليهودُ: ما أنزلَ اللهُ من كتابٍ بعدَ موسى، ولا أرسلَ بعدَه من بشيرٍ ولا نذيرٍ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ فيقدرُ على إرسال مَنْ شاءَ من خلقِهِ.

* * *

---

(١) «وجود أحد» زيادة من «ظ».

(٢) في «ن»: «بين».

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ ﴾ فأرشدكُم بهم، ولم يبعث في أُمَّةٍ ما بعثَ في بني إسرائيلَ من الأنبياءِ.

﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ أصحابَ حَشَمٍ وخَدَمٍ.

﴿ وَءَاتَىٰكُم ﴾ من المنِّ والسَّلْوى وتظليلِ الغَمامِ وفَلْقِ البحرِ وغيرِ ذلكَ من النِّعَمِ.

﴿ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني عالَمي زمانِكم، تبيينٌ من اللهِ تعالى أَنَّ أسلافَهم تمرَّدوا على موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وعصَوْه، فكذلكَ هؤلاءِ مع محمدٍ ﷺ، وهو تسليةٌ له ﷺ.

* * *

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ هي أرضُ بيتِ المقدسِ أو أَريحا. قرأ الكسائيُّ: (الْمُقَدَّسَةَ) بإمالةِ السينِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيثِ. المعنى: اسكنوا الأرضَ الطاهرةَ.

﴿ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ خلقِكم أَنَّكم تقتسمونها،

وتسكنونَها بعدَ أعدائكم ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ لا ترجِعوا على أعقابِكم منهزمينَ خوفَ العدوِّ.

﴿فَتَنقَلِبُوا﴾ بالخيبة ﴿خَٰسِرِينَ﴾ ثوابَ الدارَيْنِ.

وأما حدودُ الأرضِ المقدسةِ، فمنَ القِبْلَةِ أرضُ الحجازِ الشريفِ، يفصلُ بينَهُما جبالُ الشورى، وهي جبالٌ منيعةٌ بينَها وبينَ أيلةَ نحوُ مرحلةٍ، وسطحُ أيلةَ هو أولُ حدِّ الحجازِ من جهةِ الشامِ، وهي من تيهِ بني إسرائيلَ، وبينَها وبينَ بيتِ المقدسِ نحوُ ثمانيةِ أيامِ سير الأثقال، ومن الشرقِ من بعدِ دومةِ الجندلِ بريةُ السَّماوَةِ، وهي كبيرةٌ ممتدةٌ إلى العراقِ، ينزلُها عربُ الشام، ومسافتُها عن بيتِ المقدس نحوُ مسافةَ أيلةَ، ومنَ الشَّمالِ مما يلي الشرقَ نهرُ الفراتِ، ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ نحوُ عشرين يوماً سير[1] الأثقالِ، فيدخلُ في هذا الحدِّ المملكةُ الشاميةُ بكمالِها، ومن الغربِ بحرُ الرومِ، وهو البحرُ المالحُ ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ من جهةِ رَمْلَةِ فلسطينَ نحوُ يومينِ، ومن الجنوبِ رمل مصرَ والعريشُ، ومسافتُه عن بيتِ المقدسِ نحوُ خمسةِ أيامٍ سير الأثقالِ، ثم يليهِ تيهُ بني إسرائيلَ وطورُ سيناءَ، ويمتدُّ من تلكَ الجهةِ إلى تبوكَ، ثم دومةُ الجندلِ المتصلةُ بالحدِّ الشرقيِّ، ويأتي ذكرُ حدِّ حرمِ مكةَ في سورةِ التوبة، وحرمِ المدينةِ في سورةِ الأحزابِ إن شاء الله تعالى.

* * *

﴿ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) في «ن»: «بسير».

[٢٢] ولما علمَ بنو إسرائيلَ بإخبارِ نُقبائِهم أحوالَ الجبابرةِ(١)، وما هم عليه من الشدةِ والمنعَةِ وعِظَمِ الأجسادِ، جَبنُوا عن لقائِهم ودخولِ أرضِهم.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ﴾ متغلِّبينَ، والجبارُ: هو الذي يُجبر الناسَ على ما يُريد، وكانوا من العمالقةِ وبقيةِ قومِ عادٍ. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ، وورشٌ بخلافٍ عن الثاني (جَبَّارِينَ) بالإمالة(٢).

﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَاۖ فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ إذْ لا طاقةَ لنا بهم.

* * *

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ من النُّقباء هما(٣) كالبُ ويوشعُ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ اللهَ ويتقونهُ.

﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا﴾ بالإيمانِ والتثبيتِ.

﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ بابَ مدينتِهم.

﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾ لتعسُّرِ الكرِّ عليهم في المضائقِ من عظمِ

---

(١) في «ظ»: «الجبارين».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠١).

(٣) في «ت»: «هم» وهي ساقطة من «ن».

أجسامهم[1]؛ لأنهم أجسامٌ لا قلوبَ فيها، فلا يهولَنَّكُمْ منظرُهم، وعَلِما ذلكَ لأنَّ موسى عليه الصلاة والسلام أعلمهما أنَّ الغلبةَ لبني إسرائيل.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بهِ، ومصدِّقينَ لوعدِه.

***

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾.

[٢٤] ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾ نَفَوا دخولَهم على التأكيدِ والتأبيدِ.

﴿مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ ثم إنَّهم لجهلِهم واستخفافِهم بموسى عليه الصلاة والسلام قالوا له: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ جَهِلوا صفةَ الربِّ سبحانَهُ، ووصفوهُ بالذهابِ والانتقالِ، وهو مُتَعالٍ عن ذلكَ، وهذا يدلُّ على أنهم كانوا مُشَبِّهَةً.

***

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾.

[٢٥] ولما رأى موسى عليه الصلاة والسلام مخالفةَ بني إسرائيلَ وتمرُّدَهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ لا يملكُ إلا نفسه.

---

(١) في «ظ»: «أجسادهم».

﴿ فَٱفۡرُقۡ﴾ فافْصِلْ.

﴿ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ بأنْ تحكمَ لنا بما نستحقُّهُ، وتحكمَ عليهم بما يستحقُّونَ، قالَه شَكْوى بَثِّهِ وحزنِهِ إلى اللهِ تعالى لما خالفَهُ قومُه، ولم يبقَ مَعُه مرافقٌ له[1] غيرُ أخيهِ هارونَ عليه الصلاة والسلام، والرجلانِ المذكورانِ.

* * *

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ قَالَ﴾ اللهُ تعالى.

﴿ فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرضَ المقدسةَ.

﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ﴾ ممنوعةٌ منهم[2] لا يدخلونَها بسببِ عصيانِهم.

﴿ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يتردَّدون فيها متحيِّرينَ.

﴿ فَلَا تَأۡسَ﴾ تحزنْ.

﴿ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ خاطبَ بهِ موسى عليه الصلاة والسلام لما ندمَ على الدُّعاء عليهم، فلبثوا أربعينَ سنةً في ستةِ فراسخَ يسيرونَ كلَّ يومٍ جادِّينَ، فإذا أَمْسَوْا، كانوا في الموضِعِ الذي ارتحلُوا عنهُ، وكانوا ستَّ مئةِ ألفِ مقاتلٍ. والتيهُ: أرضٌ بالقربِ من أَيلةَ التي هي حدُّ أرضِ[3] الحجازِ من

---

(١) «له» زيادة من «ظ».

(٢) «منهم» زيادة من «ظ».

(٣) «أرض» زيادة من «ظ».

جهةِ الشامِ، وطولُ أرضِ[1] التيهِ نحوٌ من ستةِ أيام، والصحيحُ أنَّ موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام كانا في التيه، ولم يكنْ عقوبةً لهما، بل كانَ راحةً ورحمةً؛ كإبراهيمَ عليه الصلاة والسلام حين أُلقيَ في النار، وماتَ هارونُ عليه السلام في التيه، كما تقدَّم في أواخرِ سورةِ النساءِ، ولم يحضر بنو إسرائيلَ موتَه، فاتهموا موسى بقتلِه، فقالَ لهم: يا سفهاءَ بني إسرائيلَ! ماذا لقيتُ منكم؟ أقتلُ أخي وشقيقي وعَضُدي؟! ثم دعا اللهَ تعالى أن يبرئَهُ عندَهم من ذلك[2]، فأمر اللهُ الملائكةَ أن يحملوا سريرَ هارون الذي وُضعَ عليهِ بداخلِ الكهفِ الذي دُفنَ فيه، فحملوه في الهواء بينَ السماءِ والأرض، ونادتِ الملائكةُ: يا بني إسرائيلَ! لا تتَّهموا موسى بقتلِ أخيهِ هارونَ[3]، فهذا سريرُه قد قبضَهُ اللهُ تعالى، فحزنَ بنو إسرائيلَ على موتِه؛ لأنه كانَ محبوباً عندَهم، ولم يدخلِ الأرضَ المقدسةَ أحدٌ مِمَّنْ قالَ: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا﴾، فلما انقرضوا على رأسِ أربعينَ سنةً، سارَ موسى بالمؤمنينَ نحوَ القريةِ إلى بابِ حِطَّةَ، ومكتوبٌ عليه اسمُ اللهِ الأعظمُ، وأقبلَ المؤمنون فسجَدُوا عندَ الباب، ودخلَ أولادُ الفاسقينَ، وبدَّلوا قولاً غيرَ الذي قِيلَ لهم كما تقدَّم في سورةِ البقرةِ، وغلبَ موسى على مدينةِ أَريحا، ثم تُوفي موسى بعدَ وفاةِ هارونَ بأحدَ عشرَ شهراً.

وفي «الصحيح» من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، فَلَمَّا جَاءَهُ، صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عز

---

(١) «أرض» زيادة من «ظ».

(٢) «من ذلك» زيادة من «ظ».

(٣) «هارون» زيادة من «ظ».

وجل، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ! قَالَ[1]: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ وَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ! ثُمَّ ماذا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ، لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[2]، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ قَدْرُ عمرِه، وتاريخُ وفاتِه، ومحلُّ قبرِه عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١].

ولما تُوفي موسى عليه السلام، قامَ بعدَ وفاتِه بتدبيرِ بني إسرائيلَ يوشعُ بنُ نون، بعثَه اللهُ نبيّاً، وأمرَهُ بقتلِ الجبارين، فتوجَّهَ ببني إسرائيلَ إلى أَريحا، وأحاطَ بها ستةَ أشهرٍ، فلما كانَ الشهر[3] السابعُ، نفخوا في القرونِ، وضجَّ الشعبُ ضجةً واحدةً، فسقطَ السورُ، ودخلوا، فقاتلوهم، وهجموا على الجبارينَ فهزموهم وقتلوهم، وكان ذلكَ في[4] يومِ الجمعةِ، وقد بقيتْ منهم بقيةٌ، وكادتِ الشمسُ تغرُبُ وتدخلُ ليلةُ السبتِ، فدعا يوشعُ وقال: اللهمَّ ارْدُدِ الشمسَ عليَّ، وسألَ الشمسَ أن تقفَ، والقمرَ أن يقيمَ[5] حتى ينتقمَ من أعداءِ اللهِ قبلَ دخولِ السبتِ[6]، فوقفتِ الشمسُ،

---

(١) «قال» ساقطة من «ظ».

(٢) رواه البخاري (١٢٧٤)، كتاب: الجنائز، باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، ومسلم (٢٣٧٢)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام.

(٣) «الشهر» زيادة من «ظ».

(٤) «ذلك في» زيادة من «ظ».

(٥) في «ظ»: «يقتمر».

(٦) «قبل دخول السبت» ساقطة من «ظ».

وزِيدَ في النهارِ ساعة حتى قتلَهم أجمعينَ، وتتَبَّعَ ملوكَ الشامِ واستباحَهم، وملكَ الشامَ، وفرَّقَ فيها عمالَه، واستمرَّ يدبِّرُ بني إسرائيلَ ثماني وعشرينَ سنةً، ثم تُوفي وله مئةٌ وعشرُ سنينَ، ودُفن في كفل حارس: قريةٍ من أعمالِ نابُلُسَ، وقيل: إنه مدفونٌ في المعرَّةِ، وفي القصةِ اختلافٌ بين المفسرينَ والمؤرخين، واللهُ أعلمُ[1].

* * *

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾.

[٢٧] ثم أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى نبيه[2] محمداً ﷺ أن يقصَّ على حاسديهِ ما جرى بسببِ الحسدِ؛ ليتركوهُ ويؤمنوا، فقال:

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾ هابيلَ وقابيلَ.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ خبرهما مُتلَبِّساً بالصدق. قرأ السوسيُّ عن أبي عَمْرٍو (آدَمْ بِالْحَقِّ) وشبهَهُ بإسكانِ الميمِ عندَ الباء، وتقدَّم الكلامُ عليه في سورةِ البقرةِ.

﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ وكان سببُ قربانهما أنَّ حواءَ كانتْ تحمل[3] في كلِّ بطنٍ غلاماً وجاريةً، وجميعُ أولادِها أربعونَ ولداً في عشرينَ بطناً، إلاَّ شيثاً عليه السلام وُلِدَ منفرداً، وكان آدم عليه السلام[4] يزوِّجُ أنثى هذا البطنِ بغيرِ ذكرِه، فقالَ لقابيلَ: إن الله تعالى أمرني أن أُنكح أختَكَ إقليميا بهابيلَ،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٤١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٦١).

(٢) «نبيه» زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «تلد».

(٤) في «ظ» زيادة: «فإنه».

وأُنكحك أختَه ليودا[١]، فقبلَ هابيلُ، وأبى[٢] قابيلُ، وكانت أختُ قابيلَ أحسنَ من أختِ هابيلَ، فقالَ له أبوه: إنها لا تحلُّ لكَ، فأبى أن يقبلَ ذلك، وقالَ: إن الله لم يأمرْهُ بهذا، وإنما هو من رأيه، فقال لهما آدمُ عليه الصلاة والسلام: قَرِّبا قرباناً، فأيُّكما قُبِلَ قربانُه، فهوَ أحقُّ بإقليميا، وكانتِ القرابين إذا قُبلت، نزلَتْ نارٌ من السماءِ بيضاءُ فأكلَتْها، وإذا لم تكنْ مقبولةً، لم تنزلِ النارُ إليها[٣] وتأكلُها الطيورُ والسباعُ، فخرجا ليقربا القربانَ، وكان قابيلُ صاحبَ زَرْع، فقرَّبَ صُبْرَةً من طعامٍ من أردأ زرعِه، وأضمرَ في نفسِه، وقالَ[٤]: ما أُبالي أَتقبلُ مني أم لا، لا يتزوَّجُ أختي أبداً، وكان هابيلُ صاحبَ غَنَمٍ، فعمَدَ إلى أحسنِ كبشٍ في غنمِه، فقرب به[٥]، وأضمرَ في نفسِه رِضا اللهِ ـ عز وجل ـ، فوضَعا قربانَهما على الجبل، ثم دعا آدمُ عليه السلام، فنزلت نارٌ من السماءِ فأكلَتْ قربانَ هابيل، ولم تأكلْ قربانَ قابيل، ورُفع قربانُ هابيل، فبقيَ في الجنةِ يرعى حتى فُدِي به إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ ـ عليهما الصلاة والسلام، فذلك قوله تعالى:

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾[٦] يعني: هابيلَ

﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ يعني: قابيل، فازداد حَنَقاً في هابيلَ وتهدَّدَهُ.

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لِمَ؟ قالَ: لأنَّ اللهَ قبلَ قربانَكَ ولم يَقبلْ قُرباني،

---

(١) في «ظ»: «بيودا».

(٢) في «ظ»: «ولم يقبل».

(٣) «إليها» زيادة من «ظ».

(٤) «وقال» زيادة من «ظ».

(٥) في «ظ»: «فقربه».

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٦٢ـ٦٦٣).

وتنكحُ أختي الحسناءَ، وأنكحُ أختكَ الذميمةَ، فيتحدَّثُ الناسُ أنَّكَ خيرٌ مني.

﴿قَالَ﴾ له هابيل: لا ذنبَ لي.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وأنتَ غيرُ متقٍ.

* * *

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] وكان هابيلُ أقوى وأبطشَ من أخيهِ قابيلَ[١]، ولكنْ كانَ في شريعتِهم أنَّ الرجلَ إذا أرادَ قتلَه رجلٌ آخرُ، لا يمتنعُ عليه، فلذلك قال له:

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ﴾ مددت[٢].

﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ﴾ أي[٣]: بمادٍّ.

﴿يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يَدِي إِلَيْكَ) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[٤]، وقرأ حمزةُ، وعاصمٌ، والكسائيُّ،

---

(١) «قابيل» زيادة من «ظ».

(٢) «مددت» زيادة من «ظ».

(٣) «أي» ساقطة من «ظ».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٢٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٣).

وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَخَافُ) بإسكانِ الياء، والباقونَ: بفتحها[1].

* * *

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ولما صمَّمَ قابيل[2] على قتلِ أخيه ومخالفةِ اللهِ تعالى، وأبيه، قال له هابيلُ:

﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ ﴾ ترجع. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3].

﴿ بِإِثۡمِي ﴾ بإثم قتلي إذا قتلتني.

﴿ وَإِثۡمِكَ ﴾ بإثم معاصيك.

﴿ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ ﴾ بقتلي.

﴿ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهذا دليل على أنهم كانوا في ذلك الوقت مكلَّفين قد لحقهم الوعد والوعيد.

* * *

﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ ﴾ شَجَّعَتْهُ وَزَيَّنَتْ له.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) «قابيل» زيادة من «ظ».

(٣) انظر: المصادر السابقة.

﴿قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ فَجَأَةً اغتيالاً وهو نائم عندَ جبلِ ثورٍ بمكةَ، وقيلَ غيرُه.

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ والمقتولُ ابنُ عشرين سنةً.

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ دِيناً ودُنيا، وبقي مدةَ عمرِه مطروداً محزوناً.

* * *

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾.

[٣١] فلما قتلَه، تركَه بالعراء، ولم يدرِ ما يصنعُ به؛ لأنه كانَ أولَ ميتٍ على وجهِ الأرضِ من بني آدمَ، وقصدَهُ السِّباعُ لتأكلَه(١)، فحمله في جِرابٍ على ظهرِه أربعينَ يوماً حتى أَرْوَحَ وأَنْتَنَ(٢).

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا﴾ أي: غرابين تقاتلا(٣) فقتل أحدُهما الآخرَ، فجعلَ.

﴿يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يحفرُ فيها(٤) حُفيرةً، فوارى فيها الغرابَ المقتولَ، وفعلَ ذلك.

﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ أي: ليريَ قابيلَ.

﴿كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ أي: جيفته، فَثَمَّ قال:

---

(١) «لتأكله» زيادة من «ظ».

(٢) «وأنتن» زيادة من «ظ».

(٣) «تقاتلا» زيادة من «ظ».

(٤) «أي: يحفر فيها» زيادة من «ظ».

﴿ قَالَ يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَـٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ على حملِه، لا على قتلِه. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ بخلافٍ عنه: (يُوَارِي) (فَأُوَارِي) بالإمالةِ، ووقفَ رويسٌ بخلافٍ عنهُ: (يَا وَيْلَتَاه) (يَا أَسَفَاه) (يَا حَسْرَتَاه) بزيادةِ هاءٍ[١].

قالَ ابنُ عباس رضي الله عنهما: لما قُتِلَ ولدُ آدمَ عليه السلام وهو بمكةَ، اشتاكَ الشجرُ، وتغيرتِ الأطعمةُ، وحَمِضَتِ الفواكهُ، واغبرَّتِ الأرضُ، فقالَ آدمُ: قد حدثَ في الأرضِ حدثٌ، فكانَ قتلُ ولدِه[٢].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما أيضاً[٣]: مَنْ قالَ: إنَّ آدمَ قالَ شعراً، فقد كذبَ؛ إنَّ محمداً والأنبياءَ في النهي عن الشعر سَواءٌ، بل رثَى ولدَه بالسريانية، فأخذها يعربُ بنُ قحطانَ، وكان يتكلَّمُ بالعربيةِ والسريانيةِ، وهو أولُ مَنْ خَطَّ بالعربية، وكانَ يقولُ الشعرَ، فرتَّبَها ووزنَها شعراً، وهي:

تَغَيَّـــرَتِ الْبِـــلاَدُ وَمَـــنْ عَلَيْهَـــا ... فَـــوَجْـــهُ الأَرْضِ مُغْبَـــرٌّ قَبِيـــحُ
تَغَيَّـــرَ كُـــلُّ ذِي طَعْـــمٍ وَلَـــوْنٍ ... وَقَـــلَّ بَشَـــاشَـــةُ الْـــوَجْـــهِ الصَّبِيـــحِ

وزيدَ فيه أبياتٌ منها:

وَمَـــا لِـــي لاَ أَزِيـــدُ بِسَكْـــبِ دَمْـــعٍ ... وَهَـــابِيـــلٌ تَضَمَّنَـــهُ الضَّـــرِيـــحُ
أَرَى طُـــولَ الْحَيَـــاةِ عَلَـــيَّ غَمّـــاً ... فَهَـــلْ أَنَـــا مِـــنْ حَيَـــاتِـــي مُسْتَـــرِيـــحُ

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٦٩، ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٤ـ٢٠٥).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٦٥)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ١٣٩).
(٣) «أيضاً» زيادة من «ظ».

وبعدَ قتلِ هابيلَ بخمسِ سنينَ، ولدتْ حواءُ شيثاً، وتفسيرُه: هِبَةُ الله، يعني: أنه خلفٌ من[1] هابيلَ، وأُنزل عليه خمسونَ صحيفةً، وصار وصيَّ آدمَ ووليَّ عهدِه، وبقي نسلُه، وأما قابيلُ فإنه[2] هربَ بأختِهِ إقليميا، وعبدَ النارَ، واتخذَ أولادُه آلاتِ اللهو، وانهمكوا في اللهو[3] وشربِ الخمورِ والزنا والفواحش، وعبادةِ النار، حتى غَرَّقهم الله تعالى بالطوفان أيام نوح عليه السلام[4].

* * *

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] قال ﷺ: «لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ[5] الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[6].

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بسببِ ذلكَ القتلِ. قرأ أبو جعفرٍ: (مِنِ اجْلِ ذَلِكَ)

---

(١) في «ظ»: «عن».

(٢) «فإنه» زيادة من «ظ».

(٣) في «ظ»: «الملاهي».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٦٥)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ١٤٠).

(٥) «آدم» سقطت من «ظ».

(٦) رواه البخاري (٣١٥٧)، كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ومسلم (١٦٧٧)، كتاب: القسامة، باب: بيان إثم من سن القتل، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

بكسر النونِ وحذفِ الهمزة ونَقْلِ حركتِها إلى نون (مِن)، وهي لغة، وقراءة العامة: بجزم النونِ وفتح الهمزة مقطوعاً[1].

﴿كَتَبْنَا﴾ قضينا.

﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وخُصَّ بنو إسرائيل بالذكر؛ لأن قتل النفس فيهم كان محظوراً؛ لأنهم أولُ أمةٍ نزلَ الوعيدُ عليهم في قتلِ الأنفس بحسبِ طغيانِهم وسفكِهم الدماءَ.

﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ﴾ قتل.

﴿نَفْسٍ﴾ أي: لم يقتلها قصاصاً.

﴿أَوْ﴾ بغير.

﴿فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من كفرٍ وزِناً أو قطعِ طريقٍ ونحوِ ذلك.

﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ من حيثُ إن قتلَ الواحد والجميع سواءٌ في استجلابِ غضبِ الله، والعذابِ العظيمِ.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ أي: استنقذها من هلكة.

﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ أي: يجبُ على الكلِّ شكرُه.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات الواضحة تأكيداً للأمر. قرأ أبو عمرٍو (رُسْلُنَا) بجزم السين، والباقون: برفعها، وكذلك (رسلهم) و(رسلكم) حيثُ وقع[2].

---

(1) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٦٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٦).

(2) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٠٨)، و«الغيث» =

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: المكتوبِ عليهم.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ بالقتلِ وانتهاكِ المحارمِ، والإسرافُ: التباعدُ عن حدِّ الاعتدالِ في الأمر.

***

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله تعالى عنه: «أَنَّ قَوْماً مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، [فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرِضُوا، وَاسْتَوْخَمُوا الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ][١] بِلِقَاحٍ مِنْ الصَّدَقَةِ، وأمرهم أَنْ يشربوا من أبوالِها وأَلبانِها، فانطلقوا، وفعلوا ذلك، فلما صَحُّوا، قَتلوا الراعيَ، وساقوا النَّعَمَ، فبلغَ ذلكَ[٢] النبيَّ ﷺ خبرهم[٣] من أولِ النهارِ، فأرسلَ في إثرِهم، فما ارتفعَ النهارُ حتى جِيءَ بهم إليه، فأمر بهم فَقُطعت أَيديهم وأرجلُهم، وسمر[٤] أعينهُم، وأُلقوا في الحَرَّةِ يَسْتسقونَ فلا يُسْقَوْنَ».

= للصفاقسي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٠٧).

(١) ما بين معكوفتين سقطت من «ش».

(٢) «ذلك» زيادة من «ظ».

(٣) «خبرهم» ساقطة من «ظ».

(٤) في «ظ»: «سملت».

وحكى أهلُ التاريخِ أنهم قطعوا أيدي الراعي ورجليه، وغرزوا الشوكَ في عينيه حتى ماتَ، وأُدخلَ المدينةَ ميتاً، وكان اسمه يساراً، وكان نُوبيّاً رحمه الله، وكانَ هذا الفعل من هؤلاء[1] المرتدين سنةَ ستٍّ من الهجرةِ الشريفة[2].

قال أبو قلابةَ: فهؤلاء قومٌ سرقوا وقتَلوا وكفروا بعدَ إيمانهم، وحاربوا اللهَ ورسولَه[3]. قال[4]: فأنزلَ الله في ذلكَ:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ أي: أولياءه.

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ ومحاربةُ المسلمينَ في حكمِ محاربةِ رسولِه.

﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ أي: وَسَعوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مفسدين.

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرت من الحدِّ.

﴿لَهُمْ خِزْىٌ﴾ ذل وفضيحةٌ.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لِعظَمِ ذنوبِهم.

* * *

(١) «هؤلاء» زيادة من «ظ».

(٢) «الشريفة» زيادة من «ظ».

(٣) رواه البخاري (٦٤١٩)، كتاب: المحاربين من أهل الكفر والردة، باب: لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، ومسلم (١٦٧١)، كتاب القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين.

(٤) «قال» ساقطة من «ظ».

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: فإن جاؤوا قبلَ القدرةِ عليهم تائبينَ، استثناءٌ مخصوصٌ بما هو حقُّ الله تعالى، يدلُّ عليه قوله عزوجل: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

اتفقَ الأئمةُ رضي الله عنهم على أن حكمَ هذه الآيةِ مرتَّبٌ[1] في المحارِبين، وهم قطاعُ الطريقِ من أهلِ الإسلامِ، وإن كانتْ نزلتْ في المرتدِّين، وقد ثبتَ في «صحيح مسلم»، و«كتاب النسائي»، وغيرِهما: أن النبيَّ ﷺ إنَّما سَمَلَ أعينَ أولئكَ؛ لأنهم سملوا أعينَ الرعاء[2]، فكان هذا[3] قصاصاً منه.

واختلفوا فيمن يستحقُّ اسمَ المحاربة، فقال أبو حنيفةَ رحمه الله: لا تكونُ المحاربةُ في المِصْرِ، إنما تكون خارجاً من المصر، وخالفه أبو يوسفَ فقال: لو كانَ في المصر ليلاً، أو بينهم وبين المصر أقلُّ من مسيرة سفر، فهم قطاعُ الطريق، وعليه الفتوى؛ نظراً لمصلحةِ الناسِ، وقال مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ رحمهم الله تعالى: حكمُهم في المصرِ والصحراءِ واحدٌ.

---

(١) في «ت»: «مترتب».

(٢) رواه مسلم (١٦٧١)، (٣/١٢٩٨)، كتاب: القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين، والنسائي (٤٠٤٣)، كتاب: تحريم الدم، باب: ذكر اختلاف طلحة بن مصرف ومعاوية بن صالح على يحيى بن سعيد في هذا الحديث.

(٣) في «ظ»: «ذلك».

واختلفوا في حكمِ المحاربِ، فقال أبو حنيفةَ رحمه الله: إذا قتلَ ولم يأخذْ مالاً، قُتِلَ، وإن لم يكنِ المقتولُ مكافِئاً له، وإن أخذَ المالَ ولم يَقتلْ، قُطعت يدُه ورجلُه من خلافٍ، وإذا أخذَ المالَ وقتَل، فالسلطانُ مخيَّرٌ فيه، إن شاءَ قطع يدَه ورجلَه، وإن شاء لم يقطعْ، وقتلَه وصلَبَهُ، ولا يُصْلَبُ أكثرَ من ثلاثةِ أيام.

وقال مالكٌ: الإمامُ مخيرٌ في الحكم على المحاربين، يحكمُ عليهم بما شاءَ من الأحكامِ التي أوجبها الله تعالى؛ من القتلِ، أو الصلبِ، أو القطعِ، أو النفي، وإن لم يقتلوا ولم يأخذوا مالاً، على ما[1] يراهُ فيهم ردعاً لهم، ولا يُشترط أن يكونَ المقتولُ مكافئاً له كقول أبي حنيفة رحمه الله.

وقال الشافعيُّ رحمه الله تعالى: إذا أخذَ المالَ، قُطعتْ يدُه اليمنى ورجلُه اليسرى، فإن عادَ، فَيُسراه ويُمناه، وإذا قتلَ مَنْ يكافئه، قُتل حتماً، وإذا أخذَ المالَ وقتلَ، قُتِلَ، ثم صُلِبَ ثلاثاً.

وقال أحمد رحمه الله: إذا قتلَ مَنْ يكافئه أولا؛ كولدِه وعبدٍ، وذمّيٍّ، وأخذَ المالَ، قُتِلَ حتماً، ثم صُلِبَ المكافىءُ دونَ غيرِه، وصلبُه حتى يشتهرَ، ومن قتلَ ولم يأخذِ المال، قُتل حتماً، فلا أثرَ لعفو وليٍّ، ولم يصلبْ، ومن أخذَ المالَ ولم يقتلْ، قُطعت يدُه اليمنى ورجلُه اليسرى في مقامٍ واحدٍ، وحُسِمَتا، وخُلِّيَ، فإنْ كانتْ يمينُه مقطوعةً، أو مستحقَّةً في قصاصٍ، أو شَلاَّءَ، قطعتْ رجلُه اليسرى فقط، فإذا أخافَ السبيلَ ولم يأخذِ المالَ ولم يَقْتُلْ؛ نُفي بالاتفاق. واختلفوا في معنى النفي.

فقال أبو حنيفةَ رحمه الله: نفيُه سجنُه، فينفى من سَعَةِ الدنيا إلى

---

(١) في «ظ»: «حكم بما».

ضِيقِها، وقال مالكٌ: هو أن يُطلب أبداً[1] بالخيلِ والرَّجلِ حتى يوجد[2] فيقامَ عليه حدُّ اللهِ تعالى، أو يَخْرُجَ من دارِ الإسلام هَرَباً ممن يطلبُه.

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: يُخرجُ من بلد إلى بلدٍ، ويُطلب لتقامَ عليه الحدودُ.

وقال أحمدُ: يُشَرَّدُ، فلا يُترك يأوي إلى بلد ولو عبداً حتى تظهرَ توبتُه، وإن كانوا جماعةً نُفُوا متفرقين.

وهل يُعتبر النصابُ في المالِ الذي يأخذُه المحارِبُ كما يُعتبر في السارق؟ فقال مالك: لا يُعتبرُ، وقال الثلاثةُ: يُعتبرُ، ويأتي ذكرُ النصابِ قريباً عندَ تفسيرِ آيةِ السرقة.

واتفقوا على أن للرجلِ أن يقاتلَ عن نفسِه وأهلِه وماله، فإن كَفَّ المحارب، تركَهُ، وإن لم يكفَّ وقتلَه، فدمه هدرٌ، فإن تاب المحارِبون، وجاؤوا تائبين قبلَ القدرةِ عليهم، سقطَ عنهم ما كان حداً[3] لله تعالى، وأُخِذوا بحقوقِ الآدميين من نفسٍ وجراحٍ ومالٍ، باتفاق.

* * *

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ القربة.

---

(١) «أبداً» سقطت من «ظ».

(٢) في «ظ»: «يؤخذ».

(٣) في «ظ»: «حقاً».

وأصلُ الوسيلةِ: التوصُّلُ إلى الشيء رغبةً فيه.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ بالوصولِ إليه، والفوزِ بكرامته.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من صنوف الأموال.

﴿ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ ﴾ ليجعلوهُ فديةً لأنفسِهم.

﴿ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ ﴾ ذلكَ الفداءُ ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ تصريحٌ، المقصودُ منهُ:

* * *

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ ﴾ أي: يتمنونَ الخروجَ.

﴿ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ دائمٌ لا يزولُ.

* * *

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ مبتدأٌ، خبرهُ:

﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ أي: أيمانهما، وكذلك هو في مصحفِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، والمرادُ بأيديهما: يَدَيهما، وُضِعَ الجمعُ موضعَ الاثنين لئلا يجمعَ في كلمةٍ واحدةٍ بينَ تثنيتين نحو: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: ٤]. والسرقةُ: أخذُ مالِ الغير في خُفيةٍ.

واتفقَ الأئمةُ على أن من سرقَ نِصاباً من المالِ من حرزٍ لا شُبهةَ له فيه، تُقْطَعُ يدُه اليمنى من الكوعِ، وتُحْسَمُ، ولا يجبُ القطعُ بسرقةِ ما دونَ النصابِ بالاتفاق.

واختلفوا في قَدْرِ النِّصابِ.

فقال أبو حنيفة: هو دينارٌ، أو عشرةُ دراهمَ مضروبةٍ من النُّقْرَةِ، أو ما قيمتُه عشرةُ دراهمَ.

وقالَ مالكٌ وأحمدُ: ربعُ دينارٌ من الذهبِ، أو ثلاثةُ دراهمَ من الوَرِقِ، أو عرضٌ يساوي أحدَهما.

وقال الشافعيُّ: ربعُ دينارٍ خالصاً، أو قيمتُه من دراهمَ وغيرِها.

ثم إذا سرقَ ثانياً، تُقطعُ رجلُه اليسرى من مفصِلِ القدمِ بالاتفاق، فإن سرقَ ثالثاً ورابعاً، فقالَ أبو حنيفةَ وأحمدُ: يُحبسُ حتى يتوبَ، ولا يقطع أكثرُ من يدٍ ورجل، وقال مالكٌ والشافعيُّ: يُقطعُ في الثالثة يدُه اليسرى، وفي الرابعةِ رجلُه اليمنى، ثم إذا سرقَ بعدَه، يُعَزَّرُ ويُحبسُ حتى تظهرَ توبتُه.

واختلفوا في ثبوتِ حدِّ السرقةِ بالإقرار، فقالَ الثلاثةُ: يثبتُ بإقرارِ السارقِ مَرَّةً، وقالَ أحمدُ: لا يثبتُ إلا بإقرارٍ[1] مَرَّتينِ، وهو قولُ

---

(١) في «ن»: «بإقراره».

أبي يوسفَ وزُفَرَ، فإن رجعَ عن الإقرارِ، قُبِلَ رجوعُهُ، وسقطَ القطعُ عندَ الثلاثِة، وعندَ مالكٍ: إن رجعَ إلى شُبْهَةٍ، سقطَ عنه القطعُ، وإن رجعَ إلى غيرِ شبهةٍ، فعنه روايتان، وأما المالُ، فلا يسقطُ بالاتفاق. ولا قطعَ على المنتهِبِ والمختلسِ والغاصبِ والخائنِ بالاتفاق.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ نصبٌ على الحالِ، ومثلُه.

﴿نَكَٰلًا﴾ أي: عقوبةً ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ يقالُ: نكلْتُ به: إذا فعلتُ به ما يجبُ أن ينكلَ به عن ذلكَ الفعلِ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعله.

* * *

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ رجعَ عن ارتكابِ السرقة. قرأ أبو عمرٍو: (مِنْ بَعْد ظُّلْمِهِ) بإدغامِ الدالِ في الظاء.

﴿وَأَصۡلَحَ﴾ العملَ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ يقبلُ توبتَه، فلا يعذِّبُه في الآخرة.

فأما القطعُ، فلا يسقطُ عنه بالتوبةِ عندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ، وفي الأظهر من مذهبِ الشافعيِّ، وعندَ أحمدَ إذا تابَ قبلَ ثبُوتِه، سقطَ بمجرَّدِ التوبةِ قبلَ إصلاحِ العملِ.

وإذا قُطع السارقُ وكانَ المسروقُ قد تلفَ، فقال أبو حنيفةَ: لا يجبُ عليه ما سرقَ؛ لأنه لا يجتمعُ عندَه قطعٌ وضمانٌ، وقال الثلاثةُ: يجتمعُ، إلا عندَ مالكٍ إذا كانَ السارقُ مُعْسِراً، وأما إذا كانَ المسروقُ قائماً عندَه، يُستردُّ لمالكِهِ بالاتفاق؛ لأنَّ القطعَ حَقُّ الله، والغُرْمَ حَقُّ العبدِ، فلا يمنعُ أحدُهما الآخَر.

***

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الخطابُ مع النبيِّ ﷺ، والمرادُ بهِ الجميعُ.

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ على الصغيرةِ.

﴿ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الكبيرةَ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

***

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ونزل تسليةً للنبيِّ ﷺ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ﴾. قرأ نافعٌ: بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي، والباقونَ: بفتح الياءِ وضمِّ الزاي[١].

﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ أي: يبادرونَ إلى موالاةِ الكفار. تلخيصُه: لا تهتمَّ بمسارعةِ المنافقينَ في موالاةِ الكفار؛ فإنِّي ناصرُك عليهم. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (يُسَارِعُونَ) بالإمالةِ[٢].

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ﴾ وهم المنافقونَ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿سَمَّٰعُونَ﴾ أي: قوم سَمَّاعونَ ﴿لِلْكَذِبِ﴾ أي: قابلونَ لما يختلقُه أَحبارُهم من الكذبِ على اللهِ ورسولِه؛ كقولِه: سمعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ أي: قَبِلَ.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ﴾ أي: لأجل قوم.

﴿ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ﴾ المعنى: هؤلاءِ الجماعةُ الذين جاؤوك من اليهودِ هم جواسيسُ لطائفةٍ أخرى منهم لم تَجِئْكَ؛ لأنه كانَ قد زنى يهوديٌّ بيهوديَّةٍ، وكانا مُحْصَنَيْنِ شَرِيفين عندَ أهلِ خيبر، وكان حدُّهما الرجمَ،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٠٩).

فكرهوا رَجْمَهما، فأرسلوا بهما مع جماعةٍ من قريظةَ والنضيرِ ليسألوا النبيَّ ﷺ عن حدِّهما عندهَ، وقالوا: إنْ أَمَرَكُم محمدٌ بالجَلْدِ، فاقبلوا، وإن أمرَكُم بالرَّجْم، فاحْذَروا، فعلَى هَذا (سَمَّاعونَ) الأولى لأهلِ خيبر، والثانيةُ قريظةُ والنضيرُ، فحكمَ ﷺ بالرجم، فَرُجِما عندَ باب المسجد بعدَ إنكارِهم ذلكَ، وبعد أن أراهم عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ ذلكَ الحكمَ في التوراة، فكان الزاني بالمرأة حالةَ الرجم يَحْنَى على المرأةِ يَقيها الحجارةَ، وقالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»[1].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: يميلونه عن مواضعِهِ التي وُضع عليها من الصحةِ ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ أي: الحكمَ المغيَّرَ، وهو الجلدُ ﴿فَخُذُوهُ﴾.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ محمداً وحكمَهُ ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ إضلالَه وعذابَه.

﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ لن تقدَر على دفعِه عنه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفرِ، فيه رَدٌّ على من يُنْكِرُ القدَر.

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ هَوانٌ بالجزيةِ، ورؤيتُهم من محمدٍ ﷺ وأصحابه ما يكرهون ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الخلودُ في النار.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٧٠٠)، كتاب: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ونزلَ في كعبِ بنِ الأشرفِ وفيمَنْ كانَ مثلَه يقبلُ شهادةَ الزورِ، ويحكم ويرتشي:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ: (السُّحُتِ) بضمِّ الحاء، والباقون: بسكونها[(١)]، وهو الحرامُ الذي يلزم صاحبَه العارُ، من سحَتَهَ: إذا استأصَلَهُ؛ لأنه مسحوتُ البركة، وسُمِّيَتِ الرِّشوةُ سُحْتاً؛ لسحتِها المروءةَ والدينَ، والرشوةُ في الحكمِ: إذا رشوتَهُ ليحقَّ لكَ باطِلاً، أو يبطلَ عنك حَقّاً.

ولا خلافَ بينَ الأئمةِ أَنَّ أخذَ الرشوةِ على إبطالِ حقٍّ أو ما لا يجوزُ سحتٌ حرامٌ، ولا ينفذُ القضاءُ بالرشوة بالاتفاق، قالَ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ»[(٢)]، وفي روايةٍ: «وَالرَّائِشَ»، وهو الماشي بينهما[(٣)]،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٠).

(٢) رواه أبو داود (٣٥٨٠)، كتاب: الأقضية، باب: في كراهية الرشوة، والترمذي (١٣٣٧)، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٣١٣)، كتاب الأحكام، باب: التغليظ في الحيف والرشوة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» =

وأما إذا لم يكن للقاضي رزقٌ في بيتِ المال، فأخذَ جُعْلاً من الخصمِ، جازَ إذا قضى بالحقِّ، وهو مذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ، وعنَد أبي حنيفةَ إذا أرادَ القاضي أن يكتبَ السجلَّ، ويأخذَ على ذلك أجراً، يأخذ منه مقدارَ ما يجوزُ أخذهُ لغيرِه، وكذا لو تولَّى القسمةَ بنفسِه بأجرٍ، وعندَ مالكٍ لا ينبغي أن يأخذَ رزقَه إلاَّ من الحبسِ، أو من الجزيةِ، أو من عُشورِ أهلِ الذمَّة.

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ خيَّرَ اللهُ رسولَه ﷺ في الحكمِ بينَهم إن شاء، وإن شاءَ تركَ.

واختلفوا في حكم الآيةِ اليومَ هل للحاكمِ الخيارُ في الحكمِ بينَ أهلِ الذمَّةِ إذا تحاكموا؟ فقالَ أكثرُ أهلِ العلم: هو حكمٌ ثابتٌ، وليسَ في سورةِ المائدةِ منسوخٌ، وحكامُ المسلمينَ بالخيارِ في الحكمِ(١) بينَ أهلِ الكتابِ، إنْ شاؤوا حكموا، وإن شاؤوا لم يحكموا، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، وقالَ قومٌ: حكمُ الآيةِ منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩]، فيجبُ على حاكم المسلمينَ الحكمُ بينهم، وهو قولُ أبي حنيفةَ وأصحابِه، فأما إذا كانتِ الخصومةُ بينَ مسلمٍ وذميٍّ، فيجبُ الحكم بينَهما بالاتفاق؛ لأنه لا يجوزُ لمسلمٍ الانقيادُ لحكمِ أهل الذمة.

﴿ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أي: عن الحكم بينهم.

﴿ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ﴾ نصبٌ؛ لقيامِه مقامَ المصدرِ؛ أي: ضرراً.

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: بالعدل.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ العادلين.

= (١٤١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠٦٨)، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ.

(١) «في الحكم» ساقطة من «ن».

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ ﴾ هذا تعجُّبٌ للنبي ﷺ؛ أي: وكيفَ يجعلونك حَكَماً بينَهم.

﴿ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ وهو الرجمُ.

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ ﴾ الحكمِ.

﴿ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالمصدِّقينَ لك في الحكم.

***

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ ﴾ يكشفُ ما استُبْهِمَ من الأحكام.

﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ يعني: أنبياءَ بني إسرائيلَ ﴿ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾ وانقادوا لأمرِ اللهِ.

﴿ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ أي: يحكمون بها في تحاكُمِهم.

﴿ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ ﴾ من ولدِ هارونَ الذينَ التزموا طريقةَ النبيين، وجانَبوا دينَ اليهودِ.

﴿ وَٱلۡأَحۡبَارُ ﴾ العلماءُ، واحدُهم (حِبْرٌ) بكسرِ الحاءِ وفتحِها، وهو العالمُ المُحْكِمُ.

﴿ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ ﴾ أي: استُودِعوا.

﴿ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ وأُمروا بحفظِه من التضييع والتحريف.

﴿ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ ﴾ أي: على ما فيه من الأحكامِ.

﴿ شُهَدَآءَۚ ﴾ رقباءَ؛ لئلاَّ يبدل.

﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ ﴾ في إظهارِ نعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجمِ، والحكمِ بالحقِّ خوفَ الظَّلَمَةِ.

﴿ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ في تركِ أحكامي. أثبتَ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ في (وَاخْشَوْنِي) حالةَ الوصل، وأثبتَها يعقوبُ وَصْلاً ووَقْفاً، وأسقطها الباقونَ في الحالين(١). قالَ البيضاويُّ: نهيٌ للحكَّامِ أن يخشوا غيرَ اللهِ في حكوماتِهم، ويُداهنوا فيها خشية ظالمٍ، أو مراقبةِ كبيرٍ(٢).

﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ﴾ ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتُها.

﴿ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ ﴾ هو الرشوةُ والجاهُ.

﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ مُستهيناً به، منكِراً لهُ.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ لاستهانتِهم به، وتمرُّدِهم بأنْ حكموا

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١١).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٣٢٨).

بغيره، ولذلكَ وصفَهم بقولهِ: [(الكافرون)[1]](الظالمون) و(الفاسقون) فكفرُهم لإنكارِه، وفسقُهم بالخروج عنه، وظلمُهم بالحكمِ على خلافِه، ويجوزُ أن تكونَ كلُّ واحدةٍ من الصفاتِ الثلاثِ باعتبار حالٍ انضمَّت إلى الامتناعِ عن الحكم به ملائمةٍ لها، أو لطائفةٍ؛ كما قيل: هذهِ في المسلمين؛ لاتصالها بخطابهم، والظالمونَ في اليهود، والفاسقونَ في النصارى، انتهى تفسير البيضاوي.

وقال ابنُ عباس: «وليسَ بكفرٍ ينقلُ عن الملَّةِ، بلْ إذا فعلَ ذلكَ، فهو به كافرٌ، وليسَ كمَنْ كفرَ باللهِ واليوم الآخر»[2].

وعنه: «الكافرونَ والظالمونَ والفاسقونَ كلُّها في الكافرين»[3].

* * *

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ فرَضْنا على اليهودِ.

﴿ فِيهَآ ﴾ في التوراةِ ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ أي: نفسَ القاتلِ بنفسِ المقتول.

﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ تُفْقَأُ بها ﴿ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ ﴾ يُجْدَعُ به.

---

(١) لم ترد هذه الكلمة في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٨٠).

﴿ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾ تُقطعُ بها.

﴿ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ تُقلعُ بها، وسائر الجوارح قياسٌ عليها في القصاص.

﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ أي: ذاتُ قصاص، فبهذا تعميمٌ بعد تخصيصٍ. قرأ الكسائيُّ: (والعينُ) (والأنفُ) (والأذنُ) (والسنُّ) (والجروحُ) بالرفع على القطع مما قبلَها، والاستئنافِ بها، وافقه في (والجروح) خاصَّةً ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وقرأ الباقون الخمسةَ: بالنصب على العطف، وقرأ نافعٌ (والأُذْنَ بِالأُذْنِ) بإسكانِ الذال فيهما، والباقون: بالرفع[1].

﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: القصاصِ.

﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ للمتصدِّقِ بأن يكفِّرَ اللهُ عنه من سيئاته، قال ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ جَسَدِهِ بِشَيْءٍ، كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ بِقَدْرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ»[2].

وتقدَّمَ حكمُ القتلِ العمدِ والخطأ، وقدرُ الدِّيَةِ، وحكمُ الكفارة، واختلافُ الأئمةِ في ذلكَ مستوفًى في سورة النساء بعدَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: ٩٢]، وتقدمَ اختلافُ الأئمةِ في القِصاص بينَ المسلمِ والكافرِ، والحرِّ والعبدِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ١٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٢، ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٤٦)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٨/ ٢٩٩)، عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ بهذا اللفظ.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ وصفٌ لهم بالعتوِّ في كفرِهم حينَ ظلموا آياتِ اللهِ بالاستهانةِ، وتمرَّدوا بأنْ حكموا بغيرها.

* * *

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ وأَتْبَعْنا.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ أي: آثار النبيين المتقدِّمي الذِّكْرِ.

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا﴾ حالٌ من (عيسى).

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدَّمهُ.

﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ يعني الإنجيل.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

* * *

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ﴾ قرأ حمزة: (وَلِيَحْكُمَ) بكسر اللام ونصب الميم؛ أي: لكي يحكمَ، وقرأ الباقونَ: بسكون اللامِ وجزمِ الميمِ على الأمرِ[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، =

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الخارجونَ عن أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والآيةُ تدلُّ على أن الإنجيلَ مشتملٌ على الأحكام، وأن اليهوديةَ منسوخةٌ ببعثةِ عيسى عليه السلام، وأنه كانَ مستقلاً بالشرعِ، وحملُها على: ولْيَحْكُموا بما أنزلَ اللهُ فيهِ؛ من إيجابِ العملِ بأحكامِ التوراةِ خلافُ الظاهرِ.

* * *

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾.

[٤٨] ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ.

﴿ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: من الكتب المنزلة من قبل.

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ أي: رقيباً وشاهداً لها بالصحة، قال حَسَّانُ:

إِنَّ الْكِتَابَ مُهَيْمِنٌ لِنَبِيِّنَا ... وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبَابِ

= و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٤).

﴿فَٱحۡكُم﴾ يا محمدُ.

﴿بَيۡنَهُم﴾ أي: بينَ أهلِ الكتابِ إذا ترافَعُوا إليكَ.

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ عادلاً.

﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرُهُ: ولا تُعْرِضْ عَمَّا جاءَكَ من الحقِّ متبعاً أهواءَهُم.

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ سَبيلاً واضِحاً وسُنَّةً، وأرادَ بهذا: أن الشرائعَ مختلفةٌ، ولكلِّ أهلِ مِلَّةٍ شريعةٌ، قال قتادةُ: الخطابُ للأممِ الثلاثِ: أمةِ موسى، وعيسى، وأمةِ محمدٍ صلواتُ الله عليهم أجمعين: التوراةُ شريعةٌ، والإنجيلُ شريعةٌ، والقرآنُ شريعةٌ، والدينُ واحدٌ، وهو التوحيدُ.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على دينٍ واحدٍ.

﴿وَلَٰكِن﴾ فرَّقكم فِرَقاً.

﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾ ليختبرَكُم.

﴿فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾ من الكتبِ والشرائعِ المختلفةِ ليظهرَ لكم أَيُّكم الطائعُ من العاصي.

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ فابتدِرُوا إلى العملِ بالطاعات، وأصلُ السَّبْقِ: التقدُّمُ في السير.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئنافٌ فيه تعليلُ الأمرِ بالاستباق[1]، ووعدٌ ووَعيدٌ للمبادِرينَ والمقصِّرينَ.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاءِ الفاصلِ بينَ المحقِّ والمبطلِ، والعاملِ والمقصِّرِ.

* * *

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩)﴾.

[٤٩] ﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾ التقديرُ: وأمرنا أَنِ احكُمْ.

﴿بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ أي: واحذرْ فتنتَهُمْ.

﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أن يضلُّوكَ ويصرفوكَ عنه. رُوي أنَّ أحبارَ اليهودِ قالوا: اذهبوا بنا إلى محمدٍ نَفْتِنُهُ عن دينه، فقالوا: يا محمدُ! قد عرفتَ أنَّا أحبارُ اليهود، وإنا إن اتبعناكَ، اتبعَنا اليهودُ كلُّهم، وإنَّ بيننا وبينَ قومنا خصومةً، فنتحاكمُ إليكَ، فاقضِ لنا عليهم، ونحن نؤمنُ بك ونصدِّقُكَ، فأبى ذلكَ رسولُ الله ﷺ، فنزلت:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾[2] عن الحكمِ المنزَلِ، وأرادوا غيرَهُ.

---

(١) في «ن»: «بالاستئناف».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٧٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٥٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٠٩).

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ بأنْ يعجِّلَ لهم العقوبةَ في الدنيا ببعضِ عمَلِهم.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿ لَفَٰسِقُونَ ﴾ متمرِّدُونَ في الكفر، مُعْتَدُونَ فيه.

* * *

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ ﴾ يطلبونَ. قرأ ابنُ عامرٍ: (تَبْغُونَ) بالخطاب، والباقونَ: بالغيبِ(١).

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ خطابٌ للموقنين؛ فإنهم الذين يتبينون أنْ لا أحدَ أحسنُ حكماً من الله.

* * *

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ونزلَ نهياً عن موالاةِ الأعداءِ في الدينِ:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ فلا تعتمدوا عليهم، ولا تعاشروهم معاشرةَ الأحبابِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٦).

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في العونِ والنُّصرةِ؛ فإنهم متفقونَ على خلافِكم ومضادَّتِكم.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ ﴾ فيعينهُمْ.

﴿ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ من جملتِهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسَهُمْ بموالاةِ الكافرينَ.

***

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ (٥٢) ﴾.

[٥٢] ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شكٌّ ونفاقٌ، وهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ وأصحابُه منَ المنافقينَ.

﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ أي: في موالاتِهم ومعونَتِهم.

﴿ يَقُولُونَ ﴾ اعتِذاراً:

﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ بأنْ يدورَ الدهرُ علينا من جَدْبٍ وغَلَبَةٍ وغيرِهما، ولا يتمُّ أمرُ محمدٍ، فنزلَ توبيخاً لهم، وإيماءً إلى تتمةِ أمرِه ﷺ:

﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ بنصرِ محمدٍ ﷺ، وإظهارِ دينِه.

﴿ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ هو[1] إجلاءُ اليهودِ من ديارِهم.

---

(١) في «ت»: «من».

﴿ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من موالاةِ الكفارِ.

﴿نَٰدِمِينَ﴾ فضلاً عَمَّا أظهروهُ مما أشعر على نفاقهم.

* * *

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ أي: وحينئذٍ يقولُ.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (ويقولَ) بالواوِ ونصبِ اللام عطفاً على (أَنْ يَأْتِيَ)؛ أي: وعسى أن يقولَ الذين آمنوا، وقرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَيَقُولُ) بالواوِ ورفعِ اللامِ على الاستئناف، وقرأ الباقون، وهم ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: بغير واو، ورفعِ اللامِ، وكذلك هو في مصحفِ أهل العاليةِ[١]، واستُغني عن حرفِ العطفِ لمناسبةِ هذه الآية بما قبلَها؛ يعني: يقولُ الذينَ آمنوا في وقتِ إظهارِ اللهِ نفاقَ المنافقين:

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: حلفوا بأغلظِ الأيمانِ.

﴿ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ ﴾ مؤمنينَ مثلَكم؟ ثم قالَ المؤمنونَ داعينَ متعجِّبينَ من صنيع المنافقين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٦ـ٦٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٧ـ٢١٨).

﴿حَبِطَتۡ﴾ بَطَلَتْ.

﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الصالحةُ.

﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ الدُّنيا بافتضاحِهم، والآخرةَ بالعذابِ.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ﴾ أي: يرجعْ.

﴿مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ كافراً بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (يَرْتَدِدْ) بدالين مظهرَتين على الأصل، الثانيةُ مجزومة بـ(مَنْ)، وقرأ الباقونَ: (يَرْتَدَّ) بدالٍ واحدةٍ مشدَّدَةٍ مفتوحةٍ لالتقاء الساكنين(١).

﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ﴾ غيرهم مكانَهم.

﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ والمرادُ بالقومِ: أبو بكرٍ وأصحابُه الذين قاتلوا أهلَ الردَّةِ ومانعي الزكاةِ، ورُوي أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، وقيل: هم أحياءٌ من اليمنِ جاهدُوا يومَ القادسية أيامَ عمرَ(٢).

﴿أَذِلَّةٍ﴾ أرقَّاءَ رحماءَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤١٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٨٧).

﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هم ليِّنُونَ متواضعون لهم.

﴿أَعِزَّةٍ﴾ أشداء غلظاء.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كالسَّبُعِ على فريستِه.

﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ المعنى: إنهم الجامعونَ بينَ المجاهدةِ في سبيلِ الله، والتصلُّبِ في دينه؛ بخلافِ المنافقينَ؛ فإنهم يَخْرجون في جيش المسلمين خائفينَ ملامةَ أوليائِهم من اليهودِ، فلا يعملون شيئاً يلحقُهم فيه لومٌ من جهتِهم، واللَّوْمَةُ: المَرَّةُ من اللَّومِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: ما وُصِفَ به القومُ من لينِ جانبِهم للمؤمنين، وشدَّتِهم على الكافرين، وعدمِ خوفِهم.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يمنحُه ويوفِّقُ له.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثيرُ الفضل.

﴿عَلِيمٌ﴾ من هو أهلٌ.

***

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

[٥٥] ولما نَهى عن موالاةِ الكفَرة، ذَكَرَ عقِبَهُ مَنْ هو حقيقٌ بها، فقالَ:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وإنما قال: وَلِيُّكُمْ ولم يقلْ: أَوْلياؤكم للتنبيه على أن الولايةَ لله على الأصالةِ، ولرسولِه والمؤمنينَ على التبع، رُوي أن عبدَ اللهِ بنَ سلامٍ جاءَ للنبيِّ ﷺ وقالَ: إنَّ قومَنا قُريظَةَ والنضيرَ قد أقسموا إنهم لا يُجالسُونا، فنزلت هذه الآيةُ، فقرأها عليه رسولُ الله ﷺ

فقالَ: «رَضينا باللهِ وبرسولِه والمؤمنينَ أولياءَ»[1].

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ مُتَخَشِّعونَ في صلاتِهم وزكاتِهم، وقيل: نزلَتْ في عليٍّ رضي الله عنه حينَ سألَه سائلٌ وهو راكعٌ في صلاتِه، فطرحَ له خاتمَهُ[2]، واستدلَّ بها الشيعةُ على إمامتِه زاعمينَ أن المرادَ بالوليِّ: المتولِّي للأمورِ، والمستحقُّ للتصرُّفِ فيها.

* * *

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ومَنْ يَتَّخِذْهم أولياءَ.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ أنصارَ دينِ اللهِ.

﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لأنه تعالى ناصرهم.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ونزلَ في رفاعةَ بنِ زيدٍ وسُويدِ بنِ الحارثِ، أظهرا الإسلامَ، ثم نافقا، وكان رجالٌ من المسلمينَ يوادُّونهما:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٨٨). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٠٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ١٠٦).

﴿قَبْلِكُمْ﴾[1] هم اليهودُ؛ لأنهم كانوا يستهزئون بالدِّينِ.

﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ أي: لا تتخذوا المستهزئينَ والكفارَ.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ: (وَالْكُفَّارِ)[2] بخفضِ الراء؛ يعني: من الكفارِ، وقرأ الباقونَ: بالنصب؛ أي: لا تتخذوا الكفارَ أولياءَ[3].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركِ المناهي.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لأن الإيمانَ حقاً يقتضي ذلكَ.

* * *

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصلاةَ أو المناداةَ.

﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ لأن اليهودَ كانوا يقولونَ للمسلمينَ عندَ قيامِهم إلى الصلاة: قامُوا لا قاموا، صَلَّوا لا صلَّوا، وقالَ نصرانيٌّ من أهلِ نجرانَ لما سمعَ المؤذِّنَ يقولُ: أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله: أَحرقَ اللهُ الكاذبَ، فدخلَ خادمُه ذاتَ ليلةٍ بنارٍ، وأهلُهُ نيامٌ، فطارتْ شرارةٌ فأحرقَتْهُ معَ بيتِه وأهلِه.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٩٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٦٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٠).

(٢) «والكفار» سقطت من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢٠).

﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، خبرُه:

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فإن السَّفَهَ يؤدِّي إلى الجهلِ بالحقِّ والهزءِ به، والعقلُ يمنعُ منهُ.

* * *

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾ أي: هل تُنكرونَ منا وتَعيبونَ إلاَّ إيماننا.

﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ من الكتبِ المنزلَةِ.

﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ تلخيُصه: وما تُنكرون إلا مخالفَتنا إياكم؛ حيثُ دخلْنا الإيمانَ وأنتم خارجونَ منه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ: (هَل تَّنقِمُونَ) بإدغامِ اللام في التاء، والباقون: بالإظهارِ[١]، والآيةُ خطابٌ لليهودِ حينَ سألوا رسولَ الله ﷺ عمَّن يؤمنُ به، فقالَ: «﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ إلى قولِه: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦]»، فلما ذكرَ عيسى، جَحَدوا نبوَّتَهُ، وقالوا: لا نعلمُ ديناً شَرّاً من دينِكم[٢].

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٢)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:١١١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤١٢).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أُخبرُكم.

﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرتمُ[١]؛ يعني قولهم: لا نعلَمُ ديناً شَرّاً من دينكم.

﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاءً.

﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ والمثوبةُ به[٢] مختصةٌ بالخيرِ، كالعقوبة بالشرّ، فَوُضعت هاهنا موضعَها توسُّعاً، ونصبُها على التمييزِ.

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعدَه من رحمتِه.

﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ يعني: اليهودَ، سخطَ عليهم بكفرِهم، وانهماكِهم في المعاصي بعدَ وضوحِ الآيات.

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾ وهم أصحابُ السبت.

﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ وهم كفارُ أهلِ مائدةِ عيسى، وعن ابنِ عباس: «أَنَّ المسخينِ كلاهما من أصحابِ السبتِ، مُسِختْ شبابُهم قردةً، ومشايخُهم خنازيرَ»[٣].

---

(١) في «ن»: «ذكرتموه».

(٢) «به»: زيادة من «ن».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٩٣).

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ أطاعَ الشيطانَ. قرأ حمزةُ: (وعَبُدَ) بضمِّ الباءِ وجرِّ (الطَّاغُوتِ) إضافةً، جعلَه اسماً على فعلٍ؛ كَعَضُدٍ، فهو بناءٌ للمبالغةِ والكثرةِ، وقرأ الباقونَ: بفتح الباءِ والتاءِ، جعلوهُ فعلاً ماضياً، وعطفُه على فعلٍ ماضٍ وهو (غَضِبَ) و(لَعَنَ)(١)، والمعنى عندهم: ومَنْ عبدَ الطاغوتَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الملعونونَ.

﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ لأن مكانَهم النارُ.

﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن طريقِ الحقِّ، ولما نزلتْ هذه الآيةُ، قالَ المسلمونَ لهم: يا إخوةَ القردةِ والخنازيرِ! فنكسوا رؤوسَهم افْتِضاحاً.

* * *

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ونزلَ فيمَنْ كان يدخلُ على النبيِّ ﷺ ويُظهر الإيمانَ نفاقاً:

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ يعني: هؤلاءِ المنافقينَ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بكَ وصدَّقناك.

﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ أي: دخلوا وخرجوا كافرينَ.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ من النفاقِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٢٢).

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ ﴾ أي: الشركِ.

﴿ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ الظلمِ.

﴿ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ الرُشَا. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، وخلفٌ: (السُّحْتَ) في الحرفين بجزم الحاءِ، والباقون: بالرفع[١].

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ لبئسَ شيئاً عملوهُ.

***

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ يعني: العلماءَ.

﴿ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ﴾ ثم وبّخَ علماءهم في تركِهم نهيَهُمْ، فقال:

﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ ودلَّتِ الآية على أن تاركَ النهيِ[٢] عن المنكرِ كمرتكبِ المنكرِ، فالآيةُ توبيخٌ للعلماءِ في تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

---

(١) تقدمت عند تفسير الآية (٤٢) من هذه السورة.

(٢) «النهي» ساقطة من «ن».

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] قال ابنُ عباسٍ: إنَّ اللهَ قدْ بسطَ على اليهودِ حتَّى كانوا من أكثرِ الناسِ مالاً، فلمَّا عَصَوُا اللهَ في أمرِ محمدٍ ﷺ، كَفَّ عنهم ما بَسَطَ عليهِم من السَّعةِ، فقال فنحاصُ بنُ عازوراءَ: يدُ اللهِ مغلولَةٌ، ولم ينكرِ اليهودُ عليه مقالتَهُ، وأشركوا معه، فنزلَ:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[١] أي: محبوسَةٌ عن إدرارِ الرزقِ علينا، نسبوه إلى البخلِ.

﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أُمْسِكَتْ ومُنِعَتْ عن فعلِ الخير، وأجابهم تعالى: أنا الجوادُ وهمُ البخلاء، وأيديهم هي المغلولةُ.

﴿ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ أي: أُبْعِدوا وعُذِّبوا بسببِ قولهم.

﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وليسَ المرادُ حقيقةَ الجارحةِ المتركِّبَةِ؛ لأنه تعالى منزَّهٌ عن التركيبِ، وإنَّما هي صفةٌ من صفاتِ ذاتِه؛ كالسمعِ والبصرِ، قالَ جلَّ ذكرُه: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وقال ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[٢]، واللهُ أعلمُ بصفاته، فعلى العبادِ فيها الإيمانُ والتسليمُ، وأَنْ يُمِرُّوها كما جاءتْ بلا كيفٍ؟

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٩٣-٦٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧)، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿يُنفِقُ﴾ أي: يرزقُ.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من التوسيعِ والتضييقِ، لا اعتراضَ عليهِ. قرأ أبو عمرٍو: (يَنفِق كَّيْفَ) بإدغام القاف في الكاف

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ أي: اليهودَ.

﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآنُ.

﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ أي: كلَّما نزلَتْ آيةٌ، كفروا بها؛ لحسدِهم.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ أي: بينَ اليهودِ والنصارى، أو بينَ طوائفِ اليهودِ.

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ جعلَهم مختلفين في دينِهم، مُتباغِضين، وتقدَّمَ اختلافُ القراء في حكمِ الهمزتين من كلمتينِ في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وكذلك اختلافُهم في قوله ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ﴾.

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي: لحربِ النبيِّ ﷺ بإفسادِ أمرِه.

﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ بقهرِهم ونصر نبيِّه؛ أي: كلَّما حارَبوا، غُلِبوا.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بكفرِهم وإضلالِ غيرِهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فلا يجازيهم إلا شرّاً.

***

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمدٍ وما(١) جاءَ بهِ.

(١) في «ت»: «وبما».

﴿ وَاتَّقَوْاْ ﴾ الكفر ﴿ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ التي فعلوها.

﴿ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ولجعلناهُمْ من الدَّاخلين فيها، فيه تنبيهٌ أن الإسلامَ يَجُبُّ ما قبلَه، وأن الكتابيَّ لا يدخلُ الجنةَ ما لم يُسْلِمْ.

* * *

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾.

[٦٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾ عَمِلُوا بما فيهما.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ يعني: القرآنَ وجميعَ الكتب.

﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ بقطرِ السماءِ.

﴿ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ بالنباتِ، والمرادُ: سَعَةُ الرزقِ.

﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ عادلةٌ؛ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه.

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه.

﴿ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ بئسَ شيئاً عملُهم.

* * *

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) ﴾.

[٦٧] ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي: جميعَ المنزلِ إليك.

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تخفْ إلا اللهَ، ومن خصائصِهِ ﷺ وبرِّ اللهِ تعالى به أَنَّ اللهَ تعالى خاطبَ جميعَ الأنبياءِ بأسمائهم، فقال: (يا آدمُ) (يا نوحُ) (يا إبراهيمُ) (يا داودُ) (يا عيسى) (يا زكريا) (يا يحيى)، ولم يخاطَبْ هو إلا (يا أيُّها الرسولُ) (يا أيها النَّبيُّ)(يا أيُّها المزمِّلُ) (يا أيها المدثِّرُ).

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي: إن لم تبلغْ مجموعَهُ.

﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فما أَدَّيتَ شيئاً منها؛ لأن كتمانَ بعضِها يضيِّعُ ما أُدِّي منها؛ كتركِ بعض أركانِ الصلاة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ، ويعقوبُ: (رِسَالاَتِهِ) على الجمع، والباقون: على التوحيد[1]، ثم قالَ مشجِّعاً له:

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ أي: يحفظُكَ.

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فلا يَصِلونَ إليك بقتلٍ ولا غيرِه، ونزلت بعدَما شُجَّ وجهُه، وكُسرت رَباعِيَتُهُ، والمرادُ بالناسِ: الكفارُ؛ لقولِهِ بعدُ[2]:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

عن عائشةَ رضي الله عنها: كانَ النبيُّ ﷺ يُحْرَسُ حتى نزلتْ هذهِ الآيةُ، فأخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَهُ من القُبَّةِ وقالَ لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! انْصَرِفُوا؛ فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ»[3].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٨).

(٢) في «ت»: «بعده».

(٣) رواه الترمذي (٣٠٤٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المائدة، وقال: =

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٦٨) ﴾ .

[٦٨] ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ من الدِّينِ وما أنتم عليهِ لا اعتدادَ به، فهو كلا شيءٍ.

﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ومِنْ إقامتِها الإيمانُ بمحمدٍ ﷺ؛ فإنَّ جميعَ الكتبِ ناطقةٌ بوجوبِ الطاعةِ لهُ.

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ ﴾ فلا تحزنْ.

﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ففي المؤمنين كفايةٌ عنهم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) ﴾ .

[٦٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ على الحقيقةِ.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ تقدَّم تفسيرُه، واختلافُ القراءِ فيه في سورةِ البقرةِ.

﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ أي: ثبتَ على الإيمان.

= غريب، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٩).

﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ وفي الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرهُ: إنَّ الذين آمنوا، والذين هادوا، مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ والصابئون والنصارى كذلك. قرأ يعقوبُ: (فَلاَ خَوْفَ) بفتحِ الفاءِ وعدمِ التنوين، والباقونَ: بالرفع والتنوين(١).

***

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) ﴾.

[٧٠] ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ في التوحيدِ والنبوَّةِ.

﴿ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ﴾ ليبينوا لهم أمرَ دينِهم.

﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ ﴾ مما يخالفُ أهواءَهُمْ.

﴿ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ ﴾ كمحمدٍ وعيسى.

﴿ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ يعني: قتَلوا؛ كزكريا ويحيى.

***

﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) ﴾.

[٧١] ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ ظنُّوا أنهم لا يُعذَّبونَ بذنوبهم. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وحمزةُ، والكسائيُّ: (تكُونُ) برفعِ النونِ على معنى:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤، ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٠).

أنه لا تكونُ، وقرأ الباقون: بالنصبِ[1]، كما لو لم تكنْ قبلَه (لا).

﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ عن الحقِّ بعبادةِ العجلِ.

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قَبِلَ توبتَهم حينَ تابوا.

﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ بسؤالِ الرؤيةِ، المعنى: رَماهُم اللهُ بالعمى والصَّمَمِ.

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فمُجازيهم[2] وَفْقَ أعمالِهم.

* * *

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ يعني: الملكائيةَ واليعقوبيةَ منهم.

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي: إني عبدٌ مربوبٌ مثلُكم.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في عبادتِه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣١).

(٢) في «ن»: «فيجازيهم».

﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ يُمْنَعُ من دخولِها.

﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ فإنها المعدَّةُ للمشركين.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يَنصرونهم من النارِ.

* * *

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾.

[٧٣] ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ أي: أحدُ.

﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ يعني: المرقوسيةَ؛ لأنهم يقولون: الإلهيةُ مشتركةٌ بينَ اللهِ ومريمَ وعيسى، وكلُّ واحدٍ من هؤلاء إلهٌ، فهم ثلاثةٌ، ومن قالَ: إن الله ثالثُ ثلاثةٍ، ولم يردِ الآلهةَ(١)، لم يكفرْ؛ لقولِه تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، ولقولِه ﷺ لأبي بكرٍ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟»(٢)، ثم قالَ ردّاً عليهم:

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وما في الموجوداتِ إلاَّ إلهٌ واحدٌ متعالٍ عن الشركَةِ، و(مِنْ) مزيدةٌ للاستغراقِ.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ ولم يوحِّدوا.

---

(١) في «ن»: «الإلهية».

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ومسلم (٢٣٨١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: ليمسَّنَّ الذين بقُوا منهم على الكفرِ.

* * *

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ ﴾ أي: ألا يتوبونَ بالانتهاءِ عن تلكَ العقائدِ، ويستغفرونَ بالتوحيدِ والتنزيهِ.

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يغفرُ لهم إنْ تابوا.

* * *

﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ثم نَفَى عن عيسى الألوهيةَ، وأثبت لهُ ولأمهِ البشريةَ بقولِه:

﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ ﴾ مضتْ.

﴿ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ فهو رسولٌ من جنسِ الرسلِ الماضين، يموتُ ويمضي، ولو كانَ إلهاً، لكانَ دائماً.

﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ ﴾ كثيرةُ الصِّدْقِ.

﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ أي: يحتاجان إليه كالآدميينَ، ومَنْ هذهِ صفتهُ، كيفَ يكونُ إلهاً؟! ثم عجبَ من كفرِهم معَ قيامِ البرهانِ على بشريَّتِهما فقالَ:

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ أي: الدّلالاتِ على ذلك، ثم عجبَ ثانياً من تركِهمُ الإيمانَ معَ وضوحِ الدليلِ، فجاءَ بـ(ثم) للتراخي بينَ العجبينِ فقال:

﴿ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ كيفَ يُصْرَفون عن الحقِّ، وتقدَّم في سورةِ آلِ عمران أنَّ (ثُمَّ) للترتيبِ بمهلَةٍ.

***

﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦ ﴾.

[٧٦] ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ ﴾ هو عيسى وكلُّ معبودٍ غيرِ اللهِ.

﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ يملكُ الضرَّ والنفعَ، فهو الإلهُ على الحقيقةِ.

***

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧ ﴾.

[٧٧] ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ تتجاوَزُوا

﴿ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ والغلوُّ والتقصيرُ كلٌّ منهما مذمومٌ في الدين.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ ﴾ والأهواءُ جمع الهوى، وهو ما تدعو إليه شهوةُ النفسِ.

﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: أسلافَهم وأئمتَهم الذين ضَلُّوا قبلَ مبعثِ محمدٍ ﷺ في شريعتِهم، والخطابُ للذين كانوا في عصرِ النبيِّ ﷺ.

﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من أصحابِهم.

﴿وَضَلُّوا۟﴾ ثانياً لما بُعِثَ النبيُّ ﷺ.

﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: عن قصدِ طريقِ محمدٍ ﷺ.

* * *

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ يعني: أهلَ أيلةَ، لعنَهم داودُ، فَمُسخوا قردةً، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِهم في البقرةِ.

﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ﴾ أي: وعلى لسانِ عيسى؛ يعني: كفارَ أصحابِ المائدةِ، لعنَهم عيسى، فَمُسخوا خنازير، ويأتي ذكرُ قصتِهم أواخرَ السورة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المسخُ.

﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ أي: بسببِ اعتدائِهم بما حرَّمَ اللهُ.

* * *

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ﴾ أي: لا ينهى بعضُهم بعضاً.

﴿ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ ذمٌّ لتركِهم النهيَ.

***

﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ ﴾.

[٨٠] ﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ من اليهودِ: كعبِ بنِ الأشرفِ وأتباعِه.

﴿ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ مشركي مكةَ يستمدُّونَهم على النبيِّ ﷺ.

﴿ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ أي: لبئس شيئاً قدَّموه لمعادِهم.

﴿ أَن سَخِطَ ﴾ أي: غضبَ.

﴿ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ.

***

﴿ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ﴾.

[٨١] ﴿ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ ﴾ يعني: الكفارَ.

﴿ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ خارجونَ عن أمرِ الله تعالى.

***

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾.

[٨٢] ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ ﴾ يعني: مشركي العرب؛ لشدةِ شَكيمتِهم وتضاعُفِ كفرِهم.

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ﴾ لِلِينِ جانبِهم، وقلَّةِ حرصِهم على الدنيا، وليسَ المرادُ جميعَ النصارى، بلْ مَنْ أسلمَ؛ كالنجاشيِّ وأصحابِه لما قدمَ عليهم المسلمونَ في الهجرةِ الأولى في السنةِ الخامسةِ من مبعَثِ رسولِ الله ﷺ، واسمُ النجاشيِّ أَصْحَمَةُ، ومعناهُ بالعربيِّ عَطِيَّةُ، وإنما النجاشي اسمُ الملكِ؛ كقولِهم: قيصرَ، وكسرى.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: قربُ المودة.

﴿ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ﴾ علماءَ.

﴿ وَرُهْبَانًا ﴾ عُبَّاداً.

﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ لا يتعظَّمون عن الإيمان.

* * *

﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ محمدٍ ﷺ.

﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ ﴾ والمرادُ: وفدُ النجاشيِّ إلى النبيِّ ﷺ، لما سمعوا القرآنَ، رَقَّتْ قلوبُهم، وفاضَتْ عيونُهم بالدمعِ.

﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ المقرِّينَ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ.

* * *

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ولما عيَّرهم اليهودُ بالإيمانِ، قالوا منكِرينَ على أنفسِهم تركَ الإيمانِ بعدَ(١) قيامِ البرهانِ:

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ وحدَهُ.

﴿ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: في أمةِ محمدٍ ﷺ.

* * *

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الذين أحسنوا النظرَ والعملَ.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وهي النارُ الشديدةُ الاتِّقادِ.

* * *

---

(١) في «ن»: «مع».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ونزلَ نهياً لجماعةٍ من الصحابةِ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ حينَ حلفوا أن يترَهَّبُوا، ويَلْبَسوا المُسُوحَ، ويقوموا الليلَ، ويصوموا النهارَ، ويَجُبُّوا مذاكيرَهم، وهم: أبو بكرٍ الصدّيقُ، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ، وأبو ذرٍّ الغفاريُّ، وسالمٌ مولى [أبي][1] حذيفةَ، والمقدادُ بنُ الأسودِ، وسلمانُ الفارسيُّ، ومعقلُ بنُ مقرنٍ، وعثمانُ بنُ مظعونٍ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[2] من اللذاتِ التي تَشْتهيها النفوسُ مما أحلَّ اللهُ.

﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ لا تتجاوزوا الحلالَ إلى الحرامِ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

قالَ ﷺ: «إِنَّ خِصَاءَ أُمَّتي الصِّيَامُ، وَإِنَّ سِيَاحَتَهُمُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّ رَهْبَانِيَّتَهُمُ الْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ»[3].

* * *

---

(١) لم ترد في جميع النسخ، والصواب إثباتها.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٠٤-٧٠٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» ص: ٢٩٠)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٢/ ٣٧٠)، وفي «تفسيره» (١/ ٧٠٥)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٢٢٦)، عن عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾ حثٌّ على استعمالِ الحلالِ.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالَتْ: «كان النبيُّ ﷺ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ»(١).

* * *

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ ﴾ كائناً.

﴿ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه واختلافُ الأئمةِ فيه في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ نظيرِ هذهِ الآيةِ.

---

(١) رواه البخاري (٥١١٥)، كتاب: الأطعمة، باب: الحلواء والعسل، ومسلم (١٤٧٤)، كتاب: الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوِ الطلاق. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٠٧)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٤).

﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ: (عَقَدْتُمْ) بالقصرِ والتخفيفِ، ورواهُ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ كذلك، إلا أنه بألفٍ بعدَ العينِ، وقرأ الباقونَ: بالتشديد من غير ألفٍ، وعقدُ اليمينِ: توثيقُها باللَّفظِ معَ العزمِ عليها. المعنى: إنَّما يؤاخِذُكم بيمينِكم إذا حنثتُمْ فيها.

﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ ﴾ أي: سترُ الحنثِ.

﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ ﴾.

واختلفوا في قدرِ الكفارة وحكمِها:

فقال أبو حنيفةَ: نصفُ صاع بُرٍّ لكلِّ مسكينٍ، أو صاعٌ من شعيرٍ أو تمرٍ أو زبيبٍ، أو قيمةُ ذلكَ، والصاعُ ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقيِّ.

وقال أبو يوسف: خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ، أو يُغَدِّيهم ويُعَشِّيهم، ولا بدَّ من شِبَعِهم[1] في الأكلتينِ، ويجوزُ عندَه صرفُها إلى العبدِ والذميِّ، ولا يجوزُ عندَه التكفيرُ قبلَ الحنثِ.

وقال مالكٌ: لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ من حنطَةٍ أو غيرِها مِمَّا هو قوتٌ لهم بالمدِّ الأصغرِ بمدِّ النبيِّ ﷺ إذا أخرجَ الكفارةَ بالمدينة، وفي بقيةِ الأمصارِ وسطٌ منَ الشبع، وهو رِطْلانِ بالبغداديِّ من الخبز، وشيءٌ من الإدامِ.

وقالَ الشافعيُّ: لكلِّ مسكينٍ مُدُّ حَبٍّ من غالبِ قوتِ بلدِه.

وقالَ أحمدُ: لكلِّ مسكينٍ مُدٌّ من بُرٍّ، أو مُدَّانِ من شعيرٍ أو تمرٍ أو

---

(١) «ولا بد من شبعهم» ساقطة من «ن».

زبيبٍ[1]، وقدرُ المدِّ رطلٌ وثلثٌ عراقيٌّ، ورطلٌ وسبعُ رطلٍ وثلثُ سبع رطلٍ مصريٍّ، وثلاثُ أواقٍ وثلاثةُ أسباعِ أوقيةٍ دمشقيةٍ، وأوقيتانِ وستةُ أسباعِ أوقيةٍ حلبيةٍ، وأوقيتانِ وأربعةُ أسباعِ أوقيةٍ قدسيةٍ، ومئةٌ وواحدٌ وسبعونَ درهماً وثلاثةُ أسباعِ درهمٍ ومئةٌ وعشرونَ مثقالاً، ويأتي ذكرُ الصاعِ في سورةِ التوبةِ عندَ ذكرِ الزكاة إن شاء الله تعالى.

واتفق مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ على عدمِ جوازِ صرفِها إلى رقيقٍ وذميٍّ، وعلى عدمِ جوازِ إخراجِ القيمةِ وغداء المساكينَ وعشائهم، وعلى أنه يجوز التكفيرُ قبلَ الحنثِ وبعدَه.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ خيرِ قوتِ عيالِكم.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ فعندَ أبي حنيفةَ المقصودُ منها ردُّ العُرْيِ، فكلُّ ثوبٍ يصيرُ به مُكْتَسِياً يسمَّى كسوةً، وعندَ مالكٍ إن كانوا رجالاً، ثوباً ثوباً، وإن كُنَّ نساءً، فثوبين ثوبين، درعاً وخماراً لكلِّ امرأةٍ منهنَّ، وعندَ الشافعيِّ ما يُسَمَّى كسوةً؛ كقميصٍ، أو عِمامةٍ، أو إزارٍ، وعندَ أحمدَ للرجلِ ثوبٌ يجزئُه أن يصلِّيَ فيه، وللمرأةِ درعٌ وخمارٌ.

واختلفوا فيما إذا أطعمَ خمسةً وكسا خمسةً، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يجزئُه، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يجزئُه.

وكذلكَ اختلافُهم فيما إذا أطعمَ من جنسينِ، فأطعمَ خمسةً بُرّاً، وخمسةً تمراً، أو خمسةً براً، وخمسة شعيراً.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ سليمةٍ من كلِّ عيبٍ يَضُرُّ بالعملِ ضرراً بيِّناً بالاتفاق،

---

(١) من قوله: «القربة وأصل الوسيلة...» في الآية (٣٥) من هذه السورة، (ص: ٢٩١) إلى هنا سقط من (ش)، وهو بمقدار (٨) لوحات من النسخ الخطية الأخرىٰ.

والأئمةُ الثلاثةُ يشترطونَ الإيمانَ في عتقِ الرقبةِ قياساً على كفارةِ القتلِ، وأبو حنيفةَ جَوَّزَ عتقَ الرقبةِ الكافرةِ في جميعِ الكفاراتِ سوى كفارةِ القتلِ، فالحانثُ مخيَّرٌ بينَ الإطعامِ والكسوةِ والتحريرِ بالاتفاق إنْ وجدَ ما يفضُلُ عن قوتِه وقوتِ عيالِه.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً منها.

﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعاتٍ عندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ، وقالَ مالكٌ والشافعيُّ في الأظهر: لا يجبُ التتابعُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ.

﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحَنِثْتُمْ.

﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ فلا تَنْكُثوها إن لم تكن على تركِ مندوبٍ أو فعلِ مكروهٍ، فإن كانتْ على شيءٍ منها، فالأولى الحنثُ، قال ﷺ لعبدِ الرحمنِ بنِ سَمُرَةَ: «لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ، وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»(١). وقالَ ﷺ: «إِنِّي وَاللهِ لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا، وَتَحَلَّلْتُهَا»(٢)، وقولُه: «تَحَلَّلْتُهَا» من التحلُّلِ، وهو

---

(١) رواه البخاري (٦٢٤٨)، في أول كتاب: الأيمان والنذور، ومسلم (١٦٥٢)، كتاب: الإيمان، باب: ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها. . .، عن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٤)، كتاب: أبواب الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين، ومسلم (١٦٤٩)، كتاب: الأيمان، باب: ندب من=

التخلُّصُ من عُهْدَةِ اليمينِ، والخروجُ من حرمتِها إلى ما يحلُّ منها بالكفارةِ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلكَ البيانِ.

﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أعلامَ شرائِعه.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمةَ التعليم.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) ﴾.

[٩٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ ﴾ جمعُ نُصُبٍ.

﴿ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُ الخمرِ والميسرِ في سورةِ البقرةِ، وتقدَّمَ في صدرِ هذهِ السورةِ تفسيرُ الأنصابِ والأزلامِ.

﴿ رِجْسٌ ﴾ خبيثٌ.

﴿ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ من تزْيينِه.

﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ الضميرُ للرِّجْسِ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تُفْلِحوا بالاجتنابِ عنه.

* * *

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾.

= حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها...، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ أي: بسببِهما، أمَّا العداوةُ في الخمرِ لأنَّ الشاربينَ إذا سَكِروا، عَرْبَدُوا وتَشاجَرُوا كما فعلَ الأنصاريُّ الذي شجَّ رأسَ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِه في سورةِ البقرةِ، وأما العداوةُ في الميسرِ، قالَ قَتادةُ: كانَ الرجلُ يُقامِرُ على الأهلِ والمالِ، ثمَّ يبقى حزيناً مسلوبَ الأهلِ والمالِ.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ واختصاصُ الصلاةِ من بينِ الذكر، كأنه قيلَ: وعن الصلاةِ خصوصاً.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ استفهامٌ، ومعناهُ الأمرُ.

* * *

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ المحارمَ.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ في تحريمِ ما أمرَ بتحريمِه، وعلى المرسَلِ أن يعاقبَ ويُثيبَ بحسبِ ما يُعْصى ويُطاع، قال ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ»(١).

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٣٥٣)، في أول كتاب: الأشربة، ومسلم (٢٠٠٣)، كتاب: الأشربة، باب: عقوبة من شرب الخمر إذا لم يتب منها بمنعه إياها في الآخرة، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ونزلَ فيمن استعملَ شيئاً من الخمرِ والميسرِ من المؤمنينَ قبلَ التحريمِ:

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ أكلوا من مالِ القمارِ، وشربوا من الخمرِ قبلَ التحريم. قرأ أبو عمرٍو: (الصَّالِحَات جُّنَاحٌ) بإدغامِ التاءِ في الجيمِ[١].

﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ ﴾ الشركَ ﴿ وَّءَامَنُوا۟ ﴾ ثبتوا على الإيمانِ.

﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ ﴾ الخمرَ والميسرَ بعدَ التحريمِ.

﴿ وَّءَامَنُوا۟ ﴾ ازدادوا إيماناً.

﴿ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ ﴾ محارمَ اللهِ تعالى، وكررَ الاتقاءَ تأكيداً.

﴿ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ ﴾ طاعةَ اللهِ تعالى.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فلا يؤاخذُهم بشيء.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٦).

[٩٤] ولما كانوا محرمينَ عامَ الحُدَيبيةِ، ابتلاهُمُ اللهُ بالصيدِ، وكانتِ الوحوشُ تَغْشاهم في رحالِهم بحيثُ تمكَّنُوا من صيدِها أَخْذاً بأَيديهِم، وطَعْناً برماحِهم وهُم مُحْرِمونَ، فنزلَتْ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] ليختبرنَّكُمْ ليظهرَ المطيعُ من العاصي.

﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ إنما خصَّ فقالَ: ﴿بشيءٍ﴾؛ لأنهُ ابتلاهمُ اللهُ بصيدِ البرِّ خاصَّةٍ.

﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ ﴾ يعني: الفرخَ والبيضَ وما لا يقدرُ أن يفرَّ. قرأ أبو عمرٍو: (مِنَ الصَّيْد تَّنَالُهُ) بإدغامِ الدالِ في التاء[2].

﴿ وَرِمَاحُكُمْ﴾ تنالُ كبارَهُ.

﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ ليتميزَ الخائفُ من عقابِه باجتنابِ الصيدِ ممَّنْ لا يخافُهُ؛ لضعفِ قلبِه، وقلةِ إيمانِه.

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بصيدِه بعدَ التحريم.

﴿ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فالوعيدُ لاحقٌ بهِ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧١١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٦).

مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ونزلَ في رجلٍ يُقالُ له: أبو اليَسَرِ شدَّ على حمارٍ وحشيٍّ وهو محرِمٌ فقتلَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[١] جمعُ حَرامٍ؛ أي: محرِمونَ بالحجِّ وبالعمرةِ.

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ والمتعمدُ: القاصدُ للشيءِ مع العلمِ بالإحرامِ، والمخطئُ: هو الذي يقصدُ شيئاً فيصيبُ صيداً، والناسي: هو الذي يتعمَّدُ الصيدَ ولا يذكرُ إحرامَهُ، فيجبُ الجزاءُ في العمدِ والخطأِ والنسيانِ بالاتفاق، وعن أحمدَ روايةٌ: لا شيءَ على المخطىء والناسي؛ لأن اللهَ سبحانه لما خَصَّ المتعمِّدَ بالذكرِ، دلَّ على أنَّ غيرَه يخالفُه، قالَ: والأصلُ براءةُ الذِّمَّةِ، فمنِ ادَّعى شغلَها، فعليهِ الدليلُ، والصحيحُ من مذهبِه: وجُوبُ الجزاءِ.

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (فَجَزاءٌ) منوَّن (مِثْلُ) رَفْعٌ على البدل من الجزاء، وقرأ الباقون بالإضافة[٢]؛ أي: يجبُ عليه ما يقرُبُ من الصيدِ المقتولِ شَبَهاً بهِ من حيثُ الخلقةُ، والذي يُجزىء من الصيدِ شيئانِ: دوابٌّ، وطيرٌ، فيجزىء ما كانَ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧١٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧١٢-٧١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٧).

من الدوابِّ بنظيرِه في الخِلْقةِ والصورةِ عندَ الثلاثةِ، وقالَ أبو حنيفةَ: إنما يعتبرُ بالمثلِ في القيمةِ دونَ الخِلْقَةِ، فَيُقَوَّمُ الصيدُ بدراهمَ في المكانِ الذي قتلَه، وفي أقربِ موضعٍ إليه إنْ كانَ لا يباعُ الصيدُ في موضعِ قُتِلَ، فيشتري بتلكَ القيمةِ هَدْياً يذبُحه إن شاءَ، أو يشتري بها طعاماً، ويُطعم للمساكينِ، كُلُّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ من بُرٍّ، أو صاعاً من شعيرٍ أو تمرٍ، وإن شاءَ صامَ عن كلِّ نصفِ صاعٍ يوماً.

وقال مالكٌ: في النَّعامَةِ بَدَنَةٌ، وفي بقرِ الوحشِ وحمارِه بقرةٌ، وفي الضَّبُعِ والثعلبِ شاةٌ، وفي نحوِ الضَّبِّ والأرنبِ القيمةُ طعاماً، وفي الحمامِ كُلِّه قيمتُه، إلا حمامَ مكةَ، فإنَّ فيه شاةً اتباعاً للسلف في ذلكَ.

وقالَ الشافعيُّ: في النَّعامةِ وبقرِ الوحشِ وحمارِه كقولِ مالكٍ، وفي الغزالِ عَنْزٌ، وفي الأرنبِ عَناقٌ، واليربوعِ جَفْرَةٌ، وما لا نقلَ فيه يحكمُ بمثلِه عَدْلان، وفيما لا مثلَ لهُ القيمةُ.

وقال أحمدُ في النعامة كقولِ مالكٍ والشافعيِّ، وفي حمارِ الوحشِ وبقرِه والأَيَّلِ والثَّيْتَلِ والوعِلِ بقرةٌ، وفي الضبع كبشٌ، وفي الغزالِ شاةٌ، وفي الوَبْرِ والضَّبِّ جَدْيٌ، وفي اليربوعِ جفرةٌ لها أربعةُ أشهرٍ، وفي الأرنبِ عناقٌ، وفي الحمامِ شاةٌ، وفيما لا مثلَ له وهي سائرُ الطير قيمتُه. واتفق مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ على أنه مخيَّرٌ في الصيدِ المِثْلِيِّ بينَ ذبحِ مثلِه، والصدقةِ به على مساكينِ الحرمِ، أو بينَ أن يقوِّمَ المثلُ ويَشتري به طعاماً، فيطعمَ كلَّ مسكينٍ مُدّاً، أو يصومَ عن كلِّ مدٍّ يوماً.

واختلفوا في المحرِمِ إذا دلَّ حلالاً على صيدٍ فقتلَهُ الحلالُ، فقال مالكٌ والشافعيُّ: لا شيءَ عليه، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: عليه الجزاءُ.

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بالجزاءِ.

﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: عدلانِ من المسلمينَ، فينظرانِ أشبهَ الأشياءِ إلى المقتولِ، فيحكمان به، ويجوزُ أن يكونَ القاتلُ أحدَ العدلينِ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا يجوز.

﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي: يبلغُ بالهديِ الحرمَ، فَيُنْحَرُ فيه، ويُتصدَّقُ به على مساكينِه عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وعندَ أبي حنيفةَ يُذبحُ بالحرمِ، ويُتصدَّقُ به حيثُ شاءَ، والاختيارُ عندَ مالكٍ أن يطعمَ القاتلُ حيثُ وجبَ الجزاءُ عليه، فإن أطعمَ في مكانٍ غيرِه، أجزأَ عنه.

﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ أي: هي طعام. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ: (كَفَّارَةُ) بغير تنوين (طَعَامٍ) بالخفضِ على الإضافة، والباقون: بالتنوين، ورفعِ (طعام)[1].

﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ أو ما ساواه من الصوم، والعَدْل بالفتح: المثلُ من غيرِ جنسِه، والمراد: أن الجانيَ مخيرٌ في جزاءِ الصيدِ بينَ ذبحِ المثلِ من النَّعَمِ، والتصدُّقِ بلحمه، وبينَ أن يقوِّمَ المثلُ دراهمَ يشتري بها طعاماً، فيتصدقُ به، أو يصومُ كما تقدَّمَ ذكرُه قريباً في فقهِ الآيةِ، وله أن يصومَ حيثُ شاءَ بالاتفاق؛ لأنه لا نفعَ فيه للمساكين.

﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ جزاءَ معصيته، وأصلُ الوبالِ: الثقلُ.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ قبلَ تحريمِ الصيدِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٨).

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى ما نُهي عنه.

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ في الآخرةِ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِمَّنْ أصرَّ على عصيانِه.

***

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾.

[٩٦] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ كلُّ ما صِيدَ منه، والمراد بالبحرِ: جميعُ المياهِ.

﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ المأكولُ منهُ.

﴿مَتَٰعًا﴾ أي: تمتيعاً.

﴿لَّكُمْ﴾ بأنْ تأكلوه طَرِيّاً.

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المارَّةِ؛ بأنْ يتزوَّدوهُ لأسفارِهِمْ، فكلُّ ما صِيدَ من البحرِ مما لا يعيشُ إلا في الماءِ حلالٌ عندَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ في البحرِ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»(١)، ويحرمُ عندَ الشافعيِّ ما يعيشُ في برٍّ وبحرٍ؛ كضِفْدِعٍ، وسَرَطانٍ، وحيَّةٍ، ويحرمُ عندَ أحمدَ الضفدعُ، والحيَّةُ، والتمساحُ، ومالكٌ أباحَ جميعَهُ سواءٌ كانَ مِما له شبهٌ في

---

(١) رواه أبو داود (٨٣)، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، والنسائي (٥٩)، كتاب: الطهارة، باب: ماء البحر، والترمذي (٦٩)، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٦)، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

البرِّ، أو مما لا شبهَ لهُ، من غيرِ احتياجٍ إلى ذَكاةٍ، وسواءٌ تلفَ بنفسِه، أو بسبٍ، وتَوَقَّفَ في خنزيرِ الماءِ فقط، وقالَ أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يحلُّ مما في البحرِ إلاَّ السمكُ.

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ صيدُ البحرِ حلالٌ للمحرِم كغيرِه بالاتفاق، وأما صيدُ البرِّ، فحرامٌ على المحرِمِ، ويحرُمُ في الحرَمِ مطلَقاً بالاتفاق، والصيدُ: هو الحيوانُ الوحشيُّ الذي يحلُّ أكلُه، فلا يجوزُ للمحرِمِ أن يأكلَ مما صادَهُ، بالاتفاقِ، واختلفوا فيما اصطادَهُ الحلالُ لأجلِه، فقالَ الثلاثةُ: لا يجوزُ للمحرِمِ أكلُه، سواءٌ صِيدَ بعلمِهِ، أو بغيرِ علمِه، وقالَ أبو حنيفةَ: يجوزُ لهُ أكلُ ما صِيدَ له إذا لم يكنْ قَدْ دَلَّ عليهِ، وأما إذا لم يُصَدْ لهُ، ولا من أجلِه، فيجوزُ أكلُه، بالاتفاقِ.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تشديدٌ وتنبيهٌ عقبَ هذا التحليلِ والتحريمِ.

* * *

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧)﴾.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ سميت كعبةً؛ لتربيعها، والعربُ تسمِّي كلَّ بيتٍ مربعٍ كعبةٍ. قرأ الكسائيُّ: (الكَعْبَة) بإمالة الباء حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيث.

﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (قِيَماً) بغيرِ ألفٍ بعدَ الياء، والباقون:

بالألف؛ أي: قواماً لهم في أمرِ دينهِم ودنياهم[(١)].

﴿ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ أي: الأشهرَ الحرمَ، وهي: ذو القعدةِ، وذو الحجَّةِ والمحرَّمُ، ورجبٌ.

﴿ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَـٰٓئِدَۚ ﴾ تقدَّم تفسيرُهما في أولِ السورةِ.

﴿ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ قرأ أبو عمرٍو: (وَالْقَلاَئِد ذَّلِكَ) بإدغامِ الدالِ في الذال في هذا الحرفِ لا غيرُ.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ ﴾ من مصالِحِكم، وجميعِ الوجودِ.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ فتتقونَهُ.

* * *

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ لمن عَصاهُ.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ لمن أَطاعَهُ.

* * *

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ التبليغُ، ليسَ له الهدايةُ والتوفيقُ.

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ ﴾ أي: تظهرونَهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٣٩).

﴿ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ أي: تُسِرُّونَ وتُخفونَ من كفرٍ ونفاقٍ.

***

﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾.

[١٠٠] ونزل نهياً للمسلمين عن الإيقاعِ بحجاجِ المشركينَ، وتقدمتِ القصةُ في أولِ السورةِ:

﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ أي: الحرامُ والحلالُ.

﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ ﴾ فإنَّ المحمودَ القليلَ خيرٌ من المذمومِ الكثيرِ.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تتعرَّضُوا للحجَّاجِ، وإنْ كانوا مشركينَ.

﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ راجينَ أن تبلُغوا الفلاحَ.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١﴾.

[١٠١] ونزلَ تأديباً للمؤمنينَ لما أكثروا على النبيِّ ﷺ السؤالَ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ أي: تظهرْ لكم، وتقدَّمَ التنبيهُ على اختلافِ القرَّاءِ في حكمِ الهمزتين من كلمتينِ عندَ قولِه: (وَالْبَغْضَاءَ إِلى)، وكذلكَ اختلافهم في (أَشْيَاءَ إِنْ).

﴿ تَسُؤْكُمْ ﴾ إن أُمِرْتُم بالعملِ بها .

﴿ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا ﴾ أي : التكاليفِ الضيقةِ .

﴿ حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ أي : زمنَ الوحيِ .

﴿ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ أي : تلكَ التكاليفُ التي تسؤكم ، وتُؤْمروا بتحمُّلها .

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ أي : ما سَلَفَ من مسائِلِكم .

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ لا يُعاجِلُكُم بعقوبةِ ما يفرطُ منكم .

***

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ قَدْ سَأَلَهَا ﴾ الضميرُ للمسألة التي دلَّ عليها : (تسألوا) .

﴿ قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾ كما سألَتْ ثمودُ صالحاً الناقةَ ، وسألَ قومُ عيسى المائدةَ .

﴿ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ فأُهلكوا . قرأ أبو عمرٍو ، وحمزةُ ، والكسائيُّ ، وخلفٌ ، وهشامٌ : (قَد سَّأَلَهَا) بإدغام الدالِ في السين ، والباقون : بالإظهار(١) .

***

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

[١٠٣] ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ ﴾ أي : ما شَرَعَ .

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٢٠٥) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٢٠٣) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٠) .

﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ كانَ في الجاهليةِ إذا ولدَتِ الناقةُ خمسةَ أَبْطُنٍ، بَحَرُوا أُذُنَها؛ أي: شَقُّوها، وتُرِكَتْ، فلا تُركبُ، ولا تُحلبُ.

﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ البعيرِ يُسَيَّبُ بِنَذْرٍ يكونُ على الرجلِ، فيكونُ بمنزلةِ البَحيرةِ.

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ الشاةُ إذا ولدَتْ ذكراً، كانَ لآلهتِهم، وإن ولدَتْ أنثى، فهي لهم، فإن ولدَتْ ذكراً وأنثى، قالوا: وَصَلَتْ أَخاها، فلم تُذْبح للآلهة.

﴿وَلَا حَامٍ﴾ هو من رُكِبَ ولدُ ولدِه منَ البعيرِ، يقال: حَمَى ظهرَهُ، فلا يُركبُ. فمعنى الآية: الردُّ والإنكار لما ابتدعَهُ أهلُ الجاهلية. رُوِيَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (حَامِي)(١).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتحريمِهم ما حَرَّموا.

﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبةِ ذلكَ إليه.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحلالَ من الحرامِ، لكنَّهم يقلِّدونَ كبارَهم.

* * *

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ في تحليلِ الحرثِ والأنعامِ، وبيانِ الشرائعِ والأحكامِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤١).

﴿ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ المعنى: إذا دُعِيَ الكفارُ إلى الإيمانِ، قالوا: كافِينا دينُ آبائِنا.

﴿ أَوَلَوْ ﴾ واوُ الحالِ دخلَتْ عليها همزةُ الإنكارِ، وتقديرُه: أَحَسْبُهُمْ دينُ آبائِهِمْ ولو.

﴿ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ من التوحيد.

﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ إليه. المعنى: لا يجوزُ الاقتداء إلا بالعالمِ المهتدي.

***

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: الزموا صلاحَ أنفسِكم.

﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ وليسَتْ هذهِ الآيةُ نازلةً في تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكَرِ؛ لما رُوي أن أبا بكرٍ الصديقَ رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ»(١)، وعنِ ابنِ مسعودٍ في هذهِ الآيةِ: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ مَا قُبِلَ مِنْكُمْ، فَإِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، كتاب: الملاحم، باب: الأمر والنهي، والترمذي (٢١٦٨)، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، وقال: صحيح، وابن ماجه (٤٠٠٥)، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٥٢).

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ جميعاً، الضالُّ والمهتدي.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وعدٌ ووعيدٌ للفريقين، وتنبيهٌ على أن أحداً لا يؤاخَذُ بذنبِ غيرِه.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ولما سافرَ تميمُ بنُ أوسٍ الداريُّ، وعَدِيُّ بنُ بَدَّاءَ إلى الشام، وهما نصرانيانِ، ومعهما بُدَيْلٌ مولى عمرِو بنِ العاصِ، وكانَ مسلِماً، فلما قَدِموا الشامَ، مرضَ بديلٌ، فكتبَ كتاباً فيه جميعُ ما معه، وألقاه في متاعِه، ولم يخبرْ صاحبيهِ، فلما اشتدَّ وجعُه، أمرَهما أن يدفَعا متاعَه إذا رجَعا إلى أهلِهِ، وماتَ بديلٌ، ففتشا متاعَه، فأخذا منهُ إناءً من فِضَّةٍ منقوشاً بالذهبِ فيه ثلاثُ مئةِ مثقالٍ فضةً، فغَيَّباهُ، ثم قَضَيا حاجتَهما، وانصرَفا إلى المدينةِ، فدفعا المتاعَ إلى أهلِ الميت، ففتشوا، وأصابوا الصحيفةَ فيها تسميةُ ما كانَ معه، فجاؤوا تميماً وعديّاً، فقالوا: هل باعَ صاحبُنا شيئاً من متاعِه؟ قالا: لا، قالوا: فهل اتَّجَرَ تِجارةً؟ قالا: لا، قالوا: فهل طالَ مرضُه فأنفقَ على نفسِه؟ قالا: لا، قالوا: إنا وجدْنا في متاعِه صحيفةً فيها تسميةُ ما معه، وإنا فقدنا منها إناءً من فضةٍ مموهاً بالذهب، فيه ثلاثُ مئةِ مثقالٍ فضةً، فجحدا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فأصرَّا على الإنكار، فأنزل الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾[1] أي: فيما أُمرتم شهادةُ بينِكم، والمرادُ بالشهادة: الإشهادُ.

﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ﴾ إذا شارَفَهُ فظهَرَتْ أمارتُهُ.

﴿ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ﴾ أي: ليشهدِ اثنانِ على الوصية.

﴿ ذَوَا عَدۡلٍ ﴾ أي: أمانةٍ وعقلٍ.

﴿ مِّنكُمۡ ﴾ أي: من أهلِ دينِكم يا معشرَ المؤمنين.

﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ أو من غيرِ دينِكم ومِلَّتِكُمْ.

﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ سافرتُم فيها.

﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ أي: قاربتم الأجلَ.

﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا ﴾ أي: تَسْتَوقفونهما.

﴿ مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: صلاةِ العصرِ؛ لأنَّ جميعَ أهلِ الأديانِ يعظِّمونَ ذلك الوقتَ، ويتجنبونَ فيه الحلفَ الكاذبَ.

﴿ فَيُقۡسِمَانِ ﴾ يَحْلِفانِ.

﴿ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾ أي: شَكَكْتُم، ووقعتَ لكم الريبةُ في قولِ الشاهدينِ وصدِقهما اللَّذينِ ليسا من أهلِ ملَّتِكم، فإن كانا مسلمينِ، فلا يمينَ عليهما بالاتفاق.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٢٨)، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ . . ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٧).

﴿ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا ﴾ لا نحلفُ باللهِ كاذبينَ على عوضٍ نأخذُه، أو مالِ نذهبُ به، أو حقٍّ نجحدُه.

﴿ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ ولو كانَ المشهودُ له ذا قرابةٍ مِنَّا.

﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ وأضيفتِ الشهادةُ إلى اللهِ تعالى لأمرِه بها. وقرأ يعقوبُ: (شَهَادَةً) بالتنوين (آللهِ) ممدودٌ، جُعل الاستفهامُ عوضاً عن حرفِ القسمِ، ورُويَ عن أبي جعفرٍ: (شَهَادَةً) منونة (أَللهِ) بقطعِ الألفِ وكسر الهاءِ من غيرِ استفهامٍ على ابتداءِ اليمين؛ أي: واللهِ[1].

﴿ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴾ إنْ كتمناها، فلما نزلَتْ هذه الآيةُ، صلَّى رسولُ الله ﷺ العصرَ، ودَعا تميماً وعَدِيّاً، فاستحْلَفَهُما عندَ المنبرِ باللهِ الذي لا إلهَ إلاَّ هوَ أنهما لم يختانا شيئاً مما دُفِعَ إليهِما، فحلَفا على ذلك، وخلَّى رسولُ اللهِ ﷺ سبيلَهما.

***

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ثم ظهرَ الإناءُ، واختلفوا في كيفيةِ ظهورِه، فرُوي عن ابنِ عباسٍ: «أنه وُجدَ بمكةَ، فقالوا: اشتريناهُ من تميمٍ وعَدِيٍّ»، وقال آخرونَ: لما طالتِ المدةُ، أظهراهُ، فبلغَ ذلكَ بني سهم، فأتوهما في ذلك، فقالا: إنا كنا قد اشترينا منهُ هذا، فقالوا: ألم تزعما أنَّ صاحبَنا لم يبعْ شيئاً من

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٧).

متاعِه؟! قالا: لم يكنْ عندَنا بينةٌ، وكرهنا أن نقرَّ لكم به، فكتمْنا ذلك، فرفعوهما إلى رسولِ الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿فَإِنۡ عُثِرَ﴾[1] اطُّلِعَ، وأصلُ العَثْرَةِ: الوقوعُ على الشيءِ.

﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ أي: فَعَلا ما أوجبَ إثماً بخيانتِهما وبأيمانِهما الكاذِبة.

﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ من أولياءِ الميتِ.

﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقامَ اللَّذَيْنِ خانا.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ أي: استحقَّ فيهم ولأجلهم الإثمُ، وهم ورثةُ الميتِ، استحق الحالفانِ بسببهما الإثمَ، و(على) بمعنى (في). **قرأ** حفصٌ: (اسْتَحَقَّ) بفتح التاء والحاء، وقراءة العامة: بضمِّ التاءِ على المجهولِ و(الأَوْلَيَانِ) تثنيةُ الأَوْلى، والأَوْلى هو الأقربُ؛ أي: الأحقُّ بالشهادةِ؛ لقرابتِه ومعرفتِه، **وقرأ** حمزةُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ويعقوبُ (الأَوَّلِينَ) بالجمعِ، فيكونُ بدلاً من (الذين)[2]، والمرادُ منهم: أولياءُ الميتِ، ومعنى الآيةِ على القراءاتِ كلِّها: إذا ظهرتْ خيانةُ الحالِفَيْنِ يقومُ اثنانِ آخرانِ من أقاربِ الميتِ.

﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ أي: يمينُنا أحقُّ من

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٢٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٢١-٢٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٣-٢٤٤).

يمينِهما؛ كقوله: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ [النور: ٦]؛ أي: يمينُه.

﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ في قولِنا: إنَّ شهادتَنا أحقُّ من شهادتِهما.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ كُنَّا حلفْنا على باطلٍ، وأخذنا ما ليسَ لنا، فلما نزلَتِ الآيةُ، قام عمرُو بنُ العاصِ، والمطَّلِبُ بنُ أبي وداعةَ السَّهميانِ، فحلفا باللهِ بعدَ صلاةِ العصرِ، ودُفِعَ الإناءُ إليهما وإلى أولياءِ الميتِ، فكانَ تميمٌ الداريُّ بعدما أسلمَ يقولُ: صدقَ اللهُ ورسولُه، أنا أخذتُ الإناءَ، فأتوبُ إلى اللهِ وأستغفرُه.

* * *

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكمُ الذي تقدَّمَ.

﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقربُ.

﴿أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ على نحوِ ما تحمَّلُوها من غيرِ تحريفٍ وخيانة فيها.

﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أن تردَّ اليمينُ على المدَّعِينَ بعدَ أيمانِهم فيفضَحُوا بظهورِ الخيانةِ، واليمينِ، وإنَّما جُمعَ الضميرُ؛ لأنه حكمٌ يَعُمُّ الشهودَ كلَّهم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾ سماعَ قَبولٍ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ إلى طريقِ الجنةِ.

واختلِفَ في حكمِ الآيةِ، فقالَ قومٌ: هو منسوخٌ، ولا تُقبلُ شهادةُ الذميِّ

على مسلمٍ، وإنما جازتْ أولَ الإسلامِ؛ لقلةِ المسلمينَ، ثم نُسختْ بقولِه تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، وإليه ذهبَ أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعيُّ رضي الله عنهم، وقالَ قومٌ: حكمُها ثابتٌ، وقضى به أبو موسى الأشعريُّ بالكوفةِ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، وعملَ بهِ القاضي شُرَيْحٌ، وإليه ذهبَ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه، واستدلَّ بالآيةِ على جوازِ قبولِ شهادةِ أهلِ الكتابِ الرجالِ في الوصيةِ في السفرِ إذا لم يوجَدْ غيرُهم، وحضرَ الموصيَ الموتُ، مسلماً كانَ أو كافراً، ويحلِّفُهما الحاكمُ بعدَ العصرِ وُجوباً: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ وإنها لوصيةُ الرجلِ، فإنِ اطُّلِعَ على خيانتِهما، قامَ آخرَانِ من أولياءِ الموصي، فحلَفا باللهِ: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ ولقدْ خانا وكَتَما، ويقضى لهم، والله أعلمُ.

***

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ هو يومُ القيامةِ ظرفاً ليهدي؛ أي: لا يَهْديهم إلى الجنةِ يومئذٍ.

﴿فَيَقُولُ﴾ لهم.

﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أي: ما الذي أجابَتْكُم به أُمَمُكم حينَ دعوتُموهم إلى توحيدي وطاعتي؟ وهذا السؤالُ للأنبياءِ الرُسلِ إنما هو لتقومَ الحجَّةُ على الأمم.

﴿قَالُواْ﴾ أي: فيقولون.

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ قال ابن عباس: «معناه: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إلا علمٌ أنتَ أعلمُ بهِ مِنَّا»(١).

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فتعلمُ ما نعلمُ مما أجابونا وأظهروا لنا، وما لم نعلمْ مما أضمَرُوا في قلوبِهم. قرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (الْغِيُوبِ) بكسر الغين حيثُ وقعَ، وضَمَّها الباقون(٢).

* * *

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ هذا من صفةِ يومِ القيامة؛ كأنه قالَ: اذكرْ يومَ يجمعُ اللهُ الرسلَ، وإذْ يقولُ اللهُ لعيسى، وذكرُ النعمةِ: شكرُها، والمرادُ: النعمُ، لفظُه واحدٌ، ومعناه جمعٌ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٣٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٥، ٢٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٥).

﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ مريمَ، ثم ذكرَ النعمَ فقال:

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ يعني: جبريلَ عليه السلام.

﴿تُكَلِّمُ﴾ يعني: وتكلِّمُ.

﴿ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ صَبيّاً.

﴿وَكَهْلًا﴾ نَبيّاً، قالَ ابنُ عباسٍ: «أرسلَه اللهُ وهو ابنُ ثلاثينَ سنةً، فمكثَ في رسالتِه ثلاثينَ شهراً، ثم رفعَهُ اللهُ إليه»(١).

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الخَطَّ.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: العلمَ.

﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ﴾ كصورةِ.

﴿ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ حيّاً يطيرُ.

﴿بِإِذْنِى﴾ وتقدَّمَ اختلافُ القراءِ في (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) و(طَيْراً) في سورةِ آلِ عمرانَ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ وكذلكَ اختلافُهم هاهنا.

﴿وَتُبْرِئُ﴾ تُصَحِّحُ.

﴿ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورِهِمْ أحياءً.

﴿بِإِذْنِى﴾ وتقدَّم تفسيرُه في سورةِ آل عمران.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ منعتُ.

﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: اليهودَ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٣٠).

﴿عَنكَ﴾ حينَ هَمُّوا بقتلِك.

﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدَّلالاتِ المعجزاتِ، وهي التي ذكرنا.

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ﴾ يعني: ما جاءكُم به من البيناتِ.

﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: سَاحِرٌ بعد السينِ، فيكونُ راجعاً إلى عيسى عليه السلام[1].

***

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ أي: أَلْهَمْتُهُم، وهم[2] خواصُّ أصحابِ عيسى عليه السلام، وتقدَّمَ ذكرُهم في سورةِ آلِ عمرانَ. قرأ ابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامرٍ بخلافٍ عنه: (الْحَوَارِيِّينَ) بالإمالة.

﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾ عيسى.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ حينَ وَفَّقْتُهم.

﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ مخلِصونَ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٠-٧٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٧).

(٢) في «ن» و«ت»: «وهو».

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ والمائدةُ: الخوانُ الذي عليه الطَّعامُ. قرأ الكسائيُّ: (هَل تَّسْتَطِيعُ) بالتاء وإدغام لام (هَلْ) (رَبَّكَ) بنصبِ الباء؛ أي: هل تستطيعُ أن تدعُوَ وتسألَ ربَّكَ، وقرأ الباقون: (يَسْتَطِيعُ) بالياء (رَبُّكَ) برفعِ الباء[1]، ولم يقولوه شاكِّينَ في قدرةِ الله تعالى، ولكن معناهُ: هل يُنْزِلُ أم لا؟

﴿ قَالَ ﴾ لهم عيسى:

﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ من أمثالِ هٰذَا السؤالِ.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بكمالِ قدرته، وصِحَّةِ نبوَّتي.

* * *

﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] ﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ أكلَ تبرُّكٍ لا أكلَ حاجةٍ.

﴿ وَتَطْمَئِنَّ ﴾ تسكنَ.

﴿ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ أي: نزدادَ إيماناً ويقيناً بأنَّكَ رسولُ الله.

﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ للهِ بالوحدانيةِ والقدرةِ، ولكَ بالنبوةِ والرسالةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٧).

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

[١١٤] ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ أي: يكونُ يومُ نزولِها عيداً نُعظِّمُهُ.

﴿ لِّأَوَّلِنَا ﴾ لمن في زمانِنا.

﴿ وَءَاخِرِنَا ﴾ لمن يأتي بعدَنا، قالوا: نزلَتْ يومَ الأحدِ، فلذلكَ اتَّخذَهُ النصارى عيداً.

﴿ وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ دلالةً وحجَّةً.

﴿ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أي: خيرُ مَنْ أَعطى ورزَقَ.

* * *

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

[١١٥] ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ مُجيباً لعيسى:

﴿ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: المائدة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: (مُنزِّلُها) بالتشديد؛ لأنَّها نزلَتْ مراتٍ، والتَّفعيلُ يدلُّ على التدبيرِ مرةً بعدَ أخرى، وقرأ الباقون: بالتخفيف؛ لقوله: ﴿ أَنزِلْ عَلَيْنَا ﴾[1] .

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾ أي: بعدَ نزولِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٩).

﴿ فَإِنِّيٓ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (فَإِنِّي) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾ أي: جنسَ عذابٍ.

﴿ لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني عالَمي زمانِهم، والصحيحُ أنها نزلَتْ، رُوي أن عيسى عليه السلام لما سألوه نزولَ المائدةِ، لبسَ صوفاً وتضرَّعَ وبكى، وقالَ: ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً ﴾ الآية، فنزلَتْ سفرةٌ حمراءُ بينَ غَمامتينِ من فوقِها وتحتِها، وهم ينظرونَ، وهي تهوي مُنْقَضَّةً حتى سقطَتْ بينَ أيديهم، فبكى عيسى، وقالَ: اللهمَّ اجعلْني منَ الشاكرين، اللهمَّ اجعلْها رحمةً، ولا تجعلْها عقوبةً، فقالَ عيسى: لِيَقُمْ أحسنُكم عملاً فَلْيَكْشِفْ عنها، ويذكرِ اسمَ اللهِ تعالى، فقالَ شمعونُ رأسُ الحواريين: أنتَ أولى بذلك، فقامَ عيسى فصلَّى وبكى طويلاً، ثم كشفَ المنديلَ عنها، وقال: باسمِ اللهِ خيرِ الرازقينَ، فإذا هو بسمكةٍ ليسَ عليها فُلوسُها، تسيلُ دسماً، عندَ رأسِها ملحٌ، وعندَ ذَنَبِها خَلٌّ، وحولَها من جميعِ ألوانِ البقولِ ما خلا الكُرَّاثَ، وخمسةُ أرغفةٍ على واحدٍ زيتونٌ، وواحد عسلٌ، وواحد سمنٌ، وواحد جبنٌ، وواحد قديدٌ، فقالَ شمعونُ: أمن طعامِ الدُّنيا أمْ منْ طعامِ الآخرة؟ فقال عيسى: ليسَ منهُما، ولكنه شيءٌ افتعلَهُ اللهُ بالقدرةِ الغالبةِ، كلوا مما سألتُم يُمْدِدْكم ربكم، فقالوا: كنْ أولَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٩).

آكلٍ منها، فقال: معاذَ اللهِ أن آكلَ، لكنْ يأكلُ منها مَنْ سألها، فخافوا فلم يأكلوا، فأطعمَها أهلَ الفاقةِ، وكانوا أكثرَ من ألفٍ، فيهم المرضى والفقراءُ، فأكلوا حتى شبعوا، وإذا هي كهيئتها حينَ نزلَتْ، ثم طارتْ وما أكل منها فقيرٌ إلا استغنى، ولا مريضٌ إلا عوفيَ، [وكانتْ تنزلُ ضحًى، فيأكلُ منها الأغنياءُ والفقراءُ، فإذا فاءَ الفيءُ، طارتْ][1]، وكانت تنزلُ يوماً وتغيبُ يوماً كناقةِ ثمودَ، ترعى يوماً، وتَرِدُ يوماً، فلبثت كذلكَ أربعينَ صباحاً، وأوحى الله إليه أنِ اجعلْ رزقي في الفقراءِ دونَ الأغنياءِ، ففعلَ، فعظُمَ على الأغنياءِ، وأذاعوا القبيحَ حتى شَكُّوا وشَكَّكوا فيهِ الناسَ، فوقعتْ فيه الفتنةُ في قلوبِ المرتدِّينَ، ثم أوحى الله إلى عيسى أني آخِذٌ بشرطي من المكذِّبينَ، قد اشترطتُ عليهم أَنِّي معذبٌ من كفرَ منهم عذاباً لا أُعذِّبُه أحداً من العالمينَ بعدَ نزولِها، فقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فمُسخ منهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثونَ رجلاً، باتوا من ليلتِهم على فُرُشِهم معَ نسائِهم، فأصبحوا خنازيرَ يسعَوْنَ في الطرقاتِ، ويأكلونَ العَذِراتِ، فلما رأى الناسُ ذلكَ، فزعوا إلى عيسى، وبَكَوا، فلما أبصرتِ الخنازيرُ عيسى، بكَتْ وجعلَتْ تُطيف بعيسى، وجعلَ عيسى يدعوهُم بأسمائِهم، فيشيرونَ برؤوسِهم ويبكونَ، ولا يقدرونَ على الكلام، قال الله تعالى لمحمدٍ ﷺ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد: ٦]، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]، فسألَ

---

(١) من قوله: «وكانت تنزل ضحىً. . .» إلى قوله: «طارت» ساقط من «ن».

عيسى ربَّهُ أَنْ يُميتهُم، فأماتهم بعدَ ثلاثةِ أيام، فما رأى أحدٌ من الناسِ منهم جيفةً في الأرضِ[1].

***

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ أي: صَيِّروني.

﴿وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والصحيحُ أنَّ هذا القولَ إنَّما يُقالُ له يومَ القيامةِ؛ بدليلِ قولِه تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩]؛ لأن هذا استفهامُ توبيخٍ وإثباتِ الحجةِ على قوم عيسى؛ لأنه تعالى عالم أَنَّ عيسى لم يقلْ ذلكَ، وتقدَّمَ اختلافُ القُرَّاءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمةٍ في سورةِ البقرةِ عندَ قولِه تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، وكذلك اختلافُهم في (أَأَنْتَ). قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (وَأُمِّي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[2]، قالوا: فإذا سمعَ عيسى هذا

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٧٣٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٠).

الخطابَ، أرعدَتْ مفاصلُهُ، وانفجرت من أصلِ كلِّ شعرةٍ عينُ دمٍ، ثم ﴿قَالَ﴾ منزِّهاً مبرهناً عن نفسِه:

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك.

﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: ما ينبغي لي قولُ ما لم يثبتْ لي قولُه. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (لِي) بإسكانِ الياءِ: والباقون: بفتحها[1].

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: تعلمُ معلومي، ولا أعلمُ معلومَك.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ما كانَ وما يكون.

***

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)﴾.

[١١٧] ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ ثم فَسَّرَ ما أُمِرَ بهِ فقالَ:

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وَحِّدُوهُ، ولا تشركوا بهِ شيئاً.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ رَقيباً أَمنعُهم من الكفرِ.

﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: وقتَ دوامي فيهم.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قَبَضْتَني إليكَ.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ تحفظُ أعمالَهم.

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ من مقالَتي ومقالَتِهم.

***

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾.

[١١٨] ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ لا اعتراضَ عليكَ، وفيه تنبيهٌ على أنهم استحقُّوا التعذيبَ.

﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ أي: للمؤمنين منهم.

﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في الملكِ.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في القضاءِ، معناه: إن تعذِّبْ، فعدلٌ، وإن تغفرْ، ففضلٌ.

***

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾.

[١١٩] ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ﴾ قرأ الجميعُ سوى نافعٍ: (يَوْمٌ) برفعِ الميم على خبرِ (هذا)، وقرأ نافع: بنصبِ الميم ظرفاً لخبر (هَذا)[١]، وهو محذوفٌ تقديرُه: هذا المذكورُ من كلامِ عيسى يقعُ يومَ.

﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدنيا.

﴿صِدۡقُهُمۡۚ﴾ في الآخرةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١) و«تفسير البغوي» (١/ ٧٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢١٦).

﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت غرفِها وأشجارِها.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾ أي: الظَّفَرُ.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي عَظُمَ خيرُه وكثُرَ.

* * *

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

[١٢٠] ثم عَظَّمَ نفسَه تعالى فقالَ:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ تنبيهٌ على كذبِ النصارى، وفسادِ دعواهُم في المسيح أنَّه إلهٌ، فأخبرَ تعالى أنَّ ملكَ السمواتِ والأرضِ له دون عيسى، ودونَ سائرِ المخلوقين، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ الأَنْعَامِ

مكيةٌ، وآيُها مئةٌ وخمسٌ وستونَ آيةً، وحروفُها اثنا عشرَ ألفاً وأربعُ مئةٍ واثنانِ وعشرونَ حرفاً، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ واثنتانِ وخمسونَ كلمةً، نزلتْ ليلاً جملةً، حولها سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يُسَبِّحون، فقال النبيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ، وخرَّ ساجداً»(١).

وعنه ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأَنْعَامِ لَمْ يَقْطَعْهَا بِكَلَامٍ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ما سَلَفَ مِنْ عَمَلٍ»(٢).

وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنه: «نزَلَتْ سورةُ الأنعامِ بمكَّةَ، إلا قولَه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ إلى آخرِ ثلاثِ آياتٍ، وقولَه تعالى: ﴿ ۞قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إلى قولِه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهذه الستُّ آياتٍ مدنياتٌ»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٤٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٣٣)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب: عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٥٠)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٦٢٨).

(٢) ذكره العيني في «عمدة القاري» (١٨/ ٢١٨)، وعزاه إلى أبي القاسم عبد المحسن القيسي في كتاب «الفائق في اللفظ الرائق».

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٤٤).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بدأ سبحانهَ بحمدِ نفسِه تنبيهاً على أنَّ الحمدَ كلَّه لهُ، لا شريكَ له فيه، وتقدَّمَ تفسيرهُ في الفاتحة.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: اخترعَ وأوجدَ.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خَصَّهما بالذِّكْرِ؛ لأنهما أعظمُ الموجودات، وجمعَ السمواتِ لأنها سبعُ طباق، ووَحَّدَ الأرضَ لاتِّصالِ بعضِها ببعضٍ طولاً وعرضاً.

﴿وَجَعَلَ﴾ أي: وخلقَ.

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفرَ.

﴿وَٱلنُّورَ﴾ الإيمانَ، وجمعَ الظلمةَ ووَحَّدَ النورَ؛ لأن التوحيدَ متحدٌ، والكفرَ مِلَلٌ، وهما كنايتان عنهما، وقالَ الجمهورُ من المفسرين: المرادُ بهما سوادُ الليلِ وضياء النهارِ، قال ابنُ عطيةَ: والنورُ هنا للجنسِ فإفرادُهُ بمثابةِ جمعِهِ(١).

﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعدَ هذا البيان.

﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يُساوونَ بينهَ وبينَ أصنامهم، وأصلُ العدلِ: المساواةُ، وعن كعبٍ قالَ: «فاتحةُ التوراةِ فاتحةُ الأنعامِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٦٦).

﴿يَعۡدِلُونَ﴾ وخاتمةُ التوراةِ خاتمةُ هودٍ ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾[1] [هود: ١٢٣].

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ﴾ يعني: آدم عليه السلام، والخلقُ نسلُه، والفرعُ يضافُ إلى أصلِه، فلذلكَ خاطبَهم بالجمعِ إذ كانوا ولدَه، رُوي: «أن الله عز وجل بعثَ جبريلَ إلى الأرضِ ليأتيَهُ بطائفة منها، فقالتِ الأرضُ: إني أعوذُ باللهِ منكَ أن تنقصَ مني، فرجعَ ولم يأخذْ، قالَ: يا ربِّ! إنها عاذَتْ بك، فبعثَ ميكائيلَ فاستعاذَتْ، فرجعَ، فبعثَ اللهُ مَلَكَ الموتِ، فعاذَتْ منه بالله، فقال: وأنا أعوذُ باللهِ أن أخالفَ أمرَهُ، فأخذَ من وجهِ الأرضِ، فخلطَ الحمراءَ والسوداءَ والبيضاءَ، فلذلكَ اختلفَت ألوانُ بني آدمَ، ثم عجنَها بالماءِ العذبِ والملحِ والمرِّ، فلذا اختلفتْ أخلاقُهم، فقال اللهُ لملكِ الموت: رحمَ جبريلُ وميكائيلُ الأرضَ ولم ترحَمْها، لا جرمَ أجعل أرواحَ من أخلُقُ من هذا الطين بيدِكَ»[2].

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «خلقَ اللهُ آدمَ من ترابٍ، وجعلَه طيناً، ثم تركَهُ حتى كانَ حمأً مسنوناً، ثم خلقَهُ وصَوَّرَهُ وتركَهُ حتى كانَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٧٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٧٨)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٩٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦).

صَلْصالاً كالفَخَّارِ، ثم نَفَخَ فيهِ روحَه»(١).

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي: قدَّرَ مدةً إلى الموتِ.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ من الموتِ إلى البعثِ، وهو البرزَخُ.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تشُكُّونَ في البعثِ لاستبعادِ الإيمانِ بعدَ نصبِ الدلائلِ.

* * *

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المعبودُ.

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ المستحقُّ للعبادةِ، والمدْعوُّ بالألوهِيَّةِ.

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فلا يخفى عليه شيءٌ.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملونَ من خيرٍ وشرٍّ، فيُثيبُ عليه، ويعاقِبُ.

* * *

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ يعني: أهلَ مكةَ.

﴿مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ كانشقاقِ القمرِ وآيِ القرآنِ.

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تارِكينَ لها غيرَ ملتفتينَ إليها.

* * *

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٥٨٠).

﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ ﴾ يعني : القرآنَ .

﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ ﴾ أخبارُ ، جمعُ نبأ .

﴿ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ أي : سيعلمونَ عاقبةَ استهزائِهم إذا عُذِّبوا .

* * *

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ ﴾ أهلِ كلِّ عصرٍ ، وهم الجماعةُ المقترنون في زمانٍ واحدٍ .

﴿ مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ ﴾ أعطيناهم ما لم نُعْطِكُم .

﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم ﴾ أي : المطرَ .

﴿ مِّدۡرَارٗا ﴾ أي : داراً .

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ ﴾ أي : تحتَ بساتينهم ، فكفروا .

﴿ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا ﴾ خلقْنا .

﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ بدلاً منهم .

* * *

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ ﴾.

[٧] ولما قيلَ للنبيِّ ﷺ: لن نؤمنَ لكَ حتى تأتِيَنا بكتابٍ من عندِ اللهِ، ومعه أربعةٌ منْ الملائكةِ يشهدونَ عليه أنَّه من عندِ اللهِ، وأنَّك رسولُه، أنزلَ اللهُ تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ ﴾(١) أي: مكتوباً في صحيفةٍ.

﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ولم يقتصروا على الرؤية؛ لأن اللمسَ أنفى للشكِّ.

﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ تعَنُّتاً وعِناداً.

* * *

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي: هلا أُنزل على محمدٍ.

﴿ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ لوجبَ العذابُ؛ فإنَّ سنةَ اللهِ جرَتْ في الكفارِ بإهلاكهم عندَ وجودِ ما يقترحونَ.

﴿ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ لا يُمْهَلون طرفةَ عينٍ.

* * *

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ ﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩).

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المرسَلَ إليهم.

﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي: على صورةِ رجلٍ؛ ليتمكَّنوا من رؤيتِه؛ لأن البشرَ يضعُفونَ عن مشاهدةِ الملائكةِ.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ أي: خَلَطْنا عليهم ما يخلِطون، وشَبَّهْنا عليهم، فلا يدرون أملكٌ هو أم آدميٌّ؟!

***

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ثم قال مسلياً نبيَّهُ ﷺ:

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استُهْزِىء بكَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَقَدُ اسْتُهْزِيَ) بضم الدال حيثُ وقع، وأبو جعفرٍ: بنصب الياءِ بغيرِ همزٍ[١].

﴿فَحَاقَ﴾ أحاطَ.

﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: جزاءُ استهزائِهم من العذابِ.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٦)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣، ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٦).

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ لهؤلاءِ المستهزئينَ:

﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معتبرينَ.

﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الهالِكين قبلَكُم.

* * *

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿قُل﴾ يا محمدُ توبيخاً للكفارِ:

﴿لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ فإن سكتوا، كانت تقريراً لهم.

﴿قُل لِّلَّهِ ۚ﴾ ثم قالَ استعطافاً لهم ليؤمنوا:

﴿كَتَبَ﴾ أي: أوجبَ.

﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾ فلا يعاجلُهم بالعقوبةِ، في الحديثِ: «إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(١).

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللامُ لامُ القسم، والنونُ نونُ التوكيدِ، مجازُهُ: واللهِ لَيَجْمَعَنَّكُمْ.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٨٦)، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ومسلم (٢٧٥١)، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿إِلَىٰ﴾ أي: في.

﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فيجازيكُم على شِرْكِكُم.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ فيه.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ غَبَنُوها؛ لاختيارِهم الكفرَ.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم محكومٌ عليهم بالعذابِ.

***

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾ أي: ما استقرَّ.

﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والمراد: ما سَكَنَ وما تحرَّكَ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكلِّ مسموعٍ.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ لكلِّ معلومٍ.

***

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ولما دُعِيَ النبيُّ ﷺ إلى الشركِ، قالَ تعالى:

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ ربّاً ومعبوداً.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعِهما بلا مثالٍ.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ أي: يرزقُ ولا يُرْزَقُ.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ من هذهِ الأمةِ، وقيلَ لي:

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادةِ غيرِه.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني: يومَ القيامة. **قرأ** عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[2].

* * *

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ يعني: العذابَ. **قرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يُصْرَفْ) بضمِّ الياءِ وفتحِ الراء، **وقرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (مَنْ يَصْرِفْ) بفتح الياء وكسر الراء[3]؛ أي: من يصرفِ اللهُ عنهُ العذابَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٧ـ٢٥٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠١)، =

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني: يومَ القيامة.

﴿ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ نَجّاهُ وأنعمَ عليهِ.

﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النجاةُ الظاهرةُ.

* * *

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي: يُنْزِلْ بكَ يا محمدُ شدةً وبليةً.

﴿ فَلَا كَاشِفَ ﴾ لا دافعَ.

﴿ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ عافيةٍ ونعمةٍ.

﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من الخيرِ والضرِّ.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ القادرُ الغالبُ، والمرادُ بفَوْقَ: علوُّ القدرةِ والشأنِ؛ كقوله: ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أمرِه.

﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بالعبادِ.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٨).

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ولما أتى أهلُ مكةَ رسولَ الله ﷺ، وقالوا: أَرِنا مَنْ يشهدُ بصدقِكَ، فإنا لا نَرى أحداً يصدِّقُكَ.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾ أي: أيُّ شهيدٍ أعظمُ شهادةً؟ فإن أجابوك، وإلا.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ هو.

﴿ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهدُ لي بالحقِّ، وعليكم بالباطلِ؛ لأنه سبحانه إذا كانَ الشهيدَ، كانَ أكبرَ شيءٍ شهادةً.

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم ﴾ لأخوِّفَكُم.

﴿ بِهِۦ ﴾ يا أهلَ مكةَ.

﴿ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ أي: ومن بلغَهُ القرآنُ إلى يومِ القيامةِ، وهو دليلٌ على أنَّ أحكامَ القرآنِ تعمُّ الموجودينَ وقتَ نزولِه ومَنْ بعدَهم، وأنه لا يُؤاخَذُ بها من لم يبلغْهُ، ثم استفهمَ مُوَبِّخاً فقالَ:

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾ فإن شهدوا، فأنت.

﴿ قُل لَّآ أَشْهَدُ ﴾ مثلَ شهادتِكم.

﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ أي: بل أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا هوَ.

﴿ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ يعني: الأصنامَ. واختلفَ القراءُ في (أَئِنَّكُمْ) فقرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ورُوَيْسٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الهمزةِ الأولى، وتسهيلِ الثانيةِ بينَ بينَ؛ أي: بينَ الهمزةِ والياء،

وفصلَ بينَ الهمزتين بألفٍ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وقالونُ، واختلِفَ عن هشامٍ، وقرأ الكوفيونَ، وابنُ عامرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الهمزتين[1].

***

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) ﴾.

[٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني: التوراةَ والإنجيلَ.

﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ أي: النبيَّ ﷺ.

﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ من الصبيانِ.

﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ غبَنوها.

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لتضييعِهم ما يُكتسَبُ به الإيمانُ.

***

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢١) ﴾.

[٢١] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ الافتراءَ العظيمَ من الكذِب.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فأشركَ به غيرَه.

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ يعني: القرآنَ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٦)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٠٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٤/ ٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٩).

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فضلاً ممن لا أحدَ أظلمُ منه.

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ مَنْ عَبَدَ ومَنْ عُبِدَ.

﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ آلهتكم.

﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أنهم شركاءُ الله، فيشفعوا لكم؟ والزعمُ قولٌ بالظنِّ شبهِ الكذبِ، والمرادُ من الاستفهامِ: التوبيخُ. قرأ يعقوبُ: (يَحْشُرُهُمْ) (ثُمَّ يَقُولَ) بالياء فيهما، والباقون: بالنون فيهما[١].

* * *

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ أي: قولَهم وجوابَهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَكُنْ) بالياءِ على التذكير؛ لأنَّ الفتنةَ بمعنى الافتتانِ، وقرأ الباقون: بالتاء، لتأنيثِ الفتنة[٢]، وقرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (فِتْنَتُهُمْ) بالرفع، وجعلوهُ اسمَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٩).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٥٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٩).

كان، وقرأ الباقونَ: بالنصبِ، فجعلوا اسمَ كانَ قولَه: (إلاَّ أَنْ قَالُوا)، و(فِتْنَتَهُمْ) الخبرَ[1].

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (رَبَّنَا) بالنصبِ على النداءِ المضافِ، وقرأ الباقونَ: بالخفضِ على نعتِ (واللهِ)[2]، وجوابُ القسم.

﴿ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ فثَمَّ يُختم على أفواهِهم، وتشهدُ عليهم جوارحُهم.

***

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ثم عجبَ تعالى منهم فقالَ:

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ ﴾ باعتذارِهم بالباطلِ.

﴿ وَضَلَّ ﴾ ذهبَ.

﴿ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ يختلقونَ من الشركاءِ.

***

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦١).

[٢٥] ولما قالَ النضرُ بنُ الحارث: واللهِ ما أدري ما يقولُ محمدٌ، إلا أَني أراهُ يحرِّكُ لسانَه، ويقولُ أساطيرَ الأولين مثلما كنتُ أحدثُكم عن القرونِ الماضية، فقالَ أبو سفيان: إني أرى بعضَ ما يقولُ حقاً، نزل:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[1] حينَ تتلو القرآنَ.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطيةً، جمعُ كِنان.

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ لئلاَّ يفهموا القرآنَ.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صَمَماً وثِقَلاً.

﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ أي: دلالةٍ على صدقِكَ.

﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ﴾ أي: ما القرآنُ.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أباطيلُ.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمعُ أسطورة، وأُسطارة، وهو ما سُطِرَ، وقيل: هي التُّرَّهاتُ.

***

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)﴾.

[٢٦] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآنِ والرسولِ واتِّباعِه.

﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بأنفسِهم؛ أي: يبعدونَ، فَيَضِلُّون ويُضلون، نزلت في كفار مكة، وقال ابن عباس: نزلتْ في أبي طالبٍ، كان ينهى الناسَ عن أذى

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥).

النبيِّ ﷺ، وينأى عن الإيمانِ به، ورُوي عنه: أَنَّه ﷺ لما عرضَ عليهِ الإسلامَ، قالَ: لولا أن تُعَيِّرني قريشٌ، لأقررتُ بها عينَكَ، ولكنْ أَذُبُّ عنكَ ما حَييتُ، وقال في ذلك أبياتاً:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ ... وَابْشِرْ وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونَا
وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي ... وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينَا
وَعَرَضْتَ دِيناً قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّه ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلاَ الْمَلاَمَةُ أَوْ حَذَارَ مَسَبَّةٍ ... لَوَجَدْتَنِي سَمْحاً بِذَاكَ مُبِينَا[1]

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ أي: وما يُهلكونَ بذلك.

﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لا يرجعُ وبالُ فعلِهم إلا عليهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّ ضررَهُ لا يتعدَّاهم إلى غيرِهم.

* * *

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧)﴾.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ حُبِسوا على الصراطِ، معناه: لو تراهُمْ في تلكَ الحالةِ، لرأيتَ عجباً.

﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمنياً للرجوعِ إلى الدُّنيا.

﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ العامةُ: (وَلاَ نُكَذِّبُ)

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٨-١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٣٥).

(ونَكُونُ) بالرفع على معنى: ياليتنا نُرَدُّ ونحنُ لا نكذِّبُ ونكونُ من المؤمنينَ، وأبو عمرٍو: على أصلهِ في إدغامِ الباءِ في الباءِ، **وقرأ** حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ويعقوبُ (وَلاَ نُكَذِّبَ) (ونَكُونَ): بنصبِ الباءِ والنونِ بإضمارِ (أن) على جواب التمني؛ أي: ليتَ ردَّنا وقعَ وألا نكذبَ ونكونَ، والعربُ تنصبُ جوابَ التمنِّي بالواوِ كما تنصبُ بالفاءِ، **وقرأ** ابنُ عامرٍ: (نكذبُ) بالرفعِ إخبارٌ، (ونكونَ) بالنصبِ تمنياً؛ لأنهم تمنوا أَن يكونوا من المؤمنينَ، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يكذِّبونَ بآياتِ ربهم إن رُدُّوا إلى الدنيا[1].

* * *

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لقولهم؛ أي: ليسَ على ما قالوا: أنهم لو رُدُّوا لآمنوا، بل.

﴿بَدَا لَهُم﴾ أي: ظهرَ لهم.

﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾ يُسِرُّونَ.

﴿مِن قَبْلُ﴾ من نفاقِهم وقبائحِ فعالِهم بشهادةِ جوارِحِهم عليهم، فتمنَّوا ذلكَ ضَجَراً، لا عَزْماً على أنهم لو رُدُّوا لآمنوا.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٥٤٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦-١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٢-٢٦٣).

﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ ﴾ إلى الدنيا.

﴿ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في قولهم.

* * *

﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ عطفٌ على (لعادوا):

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾ الضميرُ للحياةِ.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ كما كانوا يقولونَ قبلَ معاينةِ القيامةِ.

* * *

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ ﴾ أي: حُبسوا للتوبيخِ والسؤال.

﴿ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا ﴾ أي: البعثُ والعذابُ.

﴿ بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ ﴾ إقرارٌ مؤكَّدٌ باليمينِ.

﴿ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ بسببِ كفركم.

* * *

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ إذا فاتهم النعيمُ، ولقاءُ اللهِ: البعثُ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ القيامةُ، وسميت ساعةً؛ لسرعةِ الحساب.

﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة.

﴿ قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا ﴾ ندامتَنا.

﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا ﴾ قصَّرْنا.

﴿ فِيهَا ﴾ في الحياةِ الدنيا.

﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ ﴾ آثامَهم.

﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ قيَّدَهُ بالظهرِ؛ لأن الحملَ غالباً يكونُ عليه.

﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ أي: بئسَ الحملُ حملوا.

***

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢) ﴾.

[٣٢] ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ باطلٌ وغرورٌ.

﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ الشركَ.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أنَّ الآخرةَ أفضلُ من الدنيا. قرأ ابنُ عامرٍ: (وَلَدَارُ الآخِرَةِ) بلام واحدةٍ وجرِّ (الآخِرَةِ) إضافةً؛ أي: دارُ الساعةِ الآخرةِ، وكذلكَ هي في مصاحفِ أهلِ الشام، وقرأ الباقون: بلامينِ وتشديدِ الدالِ للإدغام، وبالرفعِ على النعتِ، وكذا هو في مصاحِفهم[1]، وسميتْ آخرةً؛

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، =

لتأخُّرِها على الدار الأولى، كما سُميت الأولى دُنيا؛ لدنوِّها من الخلقِ الأولِ، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، وقرأ الباقونَ: بالغيب[1].

***

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ولما قالَ أبو جهلٍ: إنَّا لا نكذِّبُكَ يا محمدُ، بل نكذِّبُ ما جئتَ به، نزلَ تسليةً له، ووعداً ووعيداً لهم:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ فيكَ، وفيما جئتَ به؛ من التكذيبِ؛ لأنَّهم إذا كذَّبوا ما جاءَ به، فقد كذَّبوه. قرأ نافع: (لَيُحْزِنُكَ) بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي، والباقونَ: بفتح الياء وضمِّ الزاي[2]، وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ بعدَ العلمِ لفظةُ (إنَّ)، فهي بفتحِ الهمزةِ إلاَّ في موضعين:

أحدُهما: هنا: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ والثاني:

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ في سورةِ المنافقين، وإنما كانَ كذلكَ في هذينِ

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٤).

(١) انظر: المصادر السابقة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤، ٢٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٥).

الموضعينِ؛ لأنه يأتي بعدَهما لامُ الخبرِ، فلذا انكسرا.

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ أي: في الحقيقةِ؛ إذْ جحدُهم عنادٌ؛ أي: إنما يكذِّبونَ اللهَ بجحدِهم. قرأ نافعٌ، والكسائيُّ: (يُكْذِبُونَكَ) بسكونِ الكافِ وتخفيفِ الذالِ؛ من الإكذابِ، وهو أن يجدَه كاذباً، وقرأ الباقونَ: بالتشديدِ؛ من التكذيبِ، وهو أن ينسبَه إلى الكذب، ويقولَ له: كذبت(١).

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالةِ على صدقِك ﴿ يَجْحَدُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ثم آنسَهُ بقوله:

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ كَذَّبَهم قومُهم كما كَذَّبَكَ قومُكَ قريشٌ.

﴿ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ ﴾ الذي كُنَّا وعدْناهم به في قولنا: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ [غافر: ٥١]، وهذا تسليةٌ له.

﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ المتضمنةِ للنصرِ.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: من أخبارهم ما تسكنُ بهِ نفسُك.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٥).

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] وكان ﷺ يكرهُ كفرَهم، ويحبُّ مجيءَ الآياتِ لِيُسلموا، فنزل:

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ ﴾ عَظُمَ وشقَّ عليكَ.

﴿ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ عن الإسلامِ.

﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ ﴾ تطلبَ.

﴿ نَفَقًا ﴾ سَرَباً تستترُ فيه.

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا ﴾ مصعداً.

﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فتصعدَ فيه.

﴿ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ ﴾ فافعلْ، ثم عَرَّفَهُ تعالى أنه ليسَ بيدِه شيءٌ من أمرِهم فقالَ:

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ مشيئةَ قدرةٍ وقهرٍ.

﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ ﴾ فآمَنوا كلُّهم، وهذا ردٌّ على القدريَّةِ المفوضةِ الذين يقولون: إن القدرةَ لا تقتضي أن يؤمنَ الكافرون، وإنَّ ما يأتيه الإنسانُ من جميعِ أفعالِه لا خلقَ لله فيه، تعالى اللهُ عن قولِهم.

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ليسَ المرادُ لا تكونَنَّ ممن يجهلُ أنَّ اللهَ لو شاءَ لجمعَهم على الهدى؛ إذ فيه إثباتُ الجهلِ لصفةٍ من صفاتِ الله، وذلك لا يجوزُ على الأنبياء، وإنما المقصودُ وعظُه ألاَّ يتشبَّهَ في أمرِه بسماتِ الجاهلين.

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ثم أخبرَ أن حرصَه على هدايتِهم لا ينفعُ؛ لعدم سمعهم كالموتى بقولِه:

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ يعني: المؤمنينَ الذين يقبلونَ ما يسمعونَ فينتفعونَ به.

﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني: الكفارَ.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ فيَجزيهم بأعمالِهم.

* * *

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: رؤساءَ قريشٍ.

﴿ لَوْلَا ﴾ هلاَّ.

﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي: مما اقترحوه.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً ﴾ تضطُرهم إلى الإيمان؛ كنتق الجبل لبني إسرائيل. قرأ ابنُ كثير: (يُنْزِلَ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد(١).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٤ و٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٧).

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما عليهم من إنزالها؛ لأنها لو نزلت ولم يؤمنوا، لأُهلكوا.

* * *

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تدبُّ على وجهها.

﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ في الهواء، وقيدَ بالجناح؛ لنفيِ المجاز؛ لأنه يقالُ لغير الطائر: طارَ: إذا أسرعَ.

﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ في كونها مرزوقةً مقدراً[(١)] آجالُها.

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ أي: ما غفلْنا في اللوحِ المحفوظِ؛ لأن جميع الأشياء مكتوبةٌ فيه.

﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ قال ابن عباس: «حَشْرُهَا مَوْتُها»[(٢)]، وقال أبو هريرةَ: «يحشرُ اللهُ تعالى الخلقَ كلَّهم يومَ القيامةِ البهائمَ والدوابَّ والطيرَ وكلَّ شيءٍ، فيؤخذُ للجَمَّاءِ من القَرْناءِ، ثمَّ يُقال: كوني تُراباً، فحينئذ يتمنَّى الكافرُ أنْ لو كانَ تُراباً»[(٣)].

* * *

---

(١) في «ن»: «مقدرةً».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٦٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ مبتدأ، خبرُه:

﴿ صُمٌّ وَبُكْمٌ ﴾ لا يسمعون خيراً، ولا يقولونه.

﴿ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ ﴾ في الضلالاتِ.

﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه:

﴿ يُضْلِلْهُ ﴾ بخذلانِه.

﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ بأنْ يرشدَه إلى الهدى.

***

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤٠ ﴾.

[٤٠] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَرَأَيْتكُمْ) وَ(أَرَأَيْتُمْ) و(أَرَأَيْتَ) (أَفَرَأَيْتَ) بتسهيلِ الهمزةِ التي بعدَ الراء، وجعلِها بينَ الهمزةِ والألفِ تخفيفاً؛ لئلاَّ يجتمعَ همزتان في فعلٍ مع اتصالِ الضميرِ به، وعن ورشٍ إبدالُها ألفاً، والكسائيُّ يُسقطها أصلاً حيثُ وقعَ، والباقونَ بتحقيقِها على الأصل، والتاءُ مفتوحةٌ مع الكافِ والهاءِ في الواحدِ والاثنينِ، وجمعِ المذكرِ والمؤنث، نحو: (أرأيتَكَ) (أرأيتكُما)[١] (أرأيتكُنَّ)[٢]، ولا محلَّ =

---

(١) «أرأيتكما» ساقطة من «ش» و«ظ».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، =

للكافِ من الإعرابِ، ولا يجوزُ أن يكونَ مرفوعاً، تقديره: أرأيتُم أنفسَكم، وليس الغرضُ أن يَرَوْا أنفسَهم، إنما الغرضُ أن يروا غيرَهم، ومعنى أرأيتكُمْ: أخبروني، ومفعولُه محذوفٌ تقديرُه: أرأيتكُمْ عبادَتَكُمُ الأصنامَ هل تنفعُكُم.

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ عندَ الموتِ.

﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: القيامةُ.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ في صرفِ العذابِ عنكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ الأصنامَ تنفعُكم؟ وجوابُه محذوفٌ؛ أي: فادعوهُ.

* * *

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ثم أخبر أنهم لا يدعونَ سواهُ في الشدائدِ فقالَ:

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ بلْ تَخُصُّونَهُ بالدعاءِ.

﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: ما تدعونَ إلى كشفِه.

﴿إِن شَآءَ﴾ أن يتفضَّلَ عليهم، ولا يشاءُ في الآخرةِ.

﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ وتتركونَ آلهتَكُمْ في ذلكَ الوقتِ.

* * *

= و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٧-٢٦٨).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ فلم يؤمنوا.

﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ بالشدَّةِ والجوعِ.

﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرضِ والزَّمانةِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ أي: يتوبون، والتضرُّعُ: السؤالُ بالتذلُّلِ.

* * *

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ.

﴿ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابُنا.

﴿ تَضَرَّعُواْ ﴾ فآمَنوا، معناه: نفيُ التضرعِ؛ أي: لم يتضرَّعوا إذْ جاءهم بأسُنا.

﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فلم يؤمنوا.

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

* * *

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ تركوا ما ذُكِّروا به من المواعِظِ والإنذارِ.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من نِعَمِ الدُّنيا، وهذا فتحُ ابتلاء. قرأ ابنُ عامرٍ، وابنُ وردانَ عن أبي جعفرٍ: (فَتَّحْنَا) بتشديد التاء، والباقونَ: بالتخفيف[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟﴾ أُعْجِبوا.

﴿بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾ من النعمِ، وبَطِروا فلم يتوبوا.

﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فجأةً.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون، والإبلاسُ: الحزنُ المعترضُ من شدةِ اليأسِ، وأصلُه الإطراقُ ومن الحزنِ والندمِ.

* * *

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ المتخلفُ في أدبارِهم؛ أي: استؤْصِلوا فلم يبقَ لهم[2] باقيةٌ.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على إهلاكِهم.

* * *

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٨).

(٢) «لهم» ساقطة من «ش».

[٤٦] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أيُّها المشركون.

﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أي: أَصمَّكم.

﴿وَأَبْصَـٰرَكُمْ﴾ أعماكم.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلا تفقهونَ شيئاً.

﴿مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ بما أخذَ منكم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ الدَّالة[1] على صدقِكَ.

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يُعرضون عنها. قرأ ورشٌ (بِهُ انْظُرْ) بضم الهاء[2]، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ورويسٌ بخلافٍ عنه: (يَصْدِفُونَ) بإشمامِ الصادِ الزايَ[3].

***

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ فجأةً.

﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ معاينةً ترونَه، ثم استفهمَ مقرِّراً فقال:

---

(١) في «ش»: «والدلالات».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٦٩).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١، ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٠).

﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ هلاكَ سخطٍ وتعذيبٍ .

* * *

﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٤٨) ﴾ .

[٤٨] ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ ﴾ المؤمنين بالجنةِ .

﴿ وَمُنذِرِينَۖ ﴾ الكافرينَ بالنار .

﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ ﴾ ما يجبُ إصلاحُه .

﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ من العذابِ .

﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ بفوتِ الثوابِ .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ (٤٩) ﴾ .

[٤٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ كفروا و :

﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ﴾ يُصيبهم .

﴿ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ يكفرونَ .

* * *

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾ .

[٥٠] ونزل حين اقترحوا الآيات :

﴿قُل﴾ لهم.

﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ مقدوراتُه، فأُنزِلُ ما اقترحتُموه.

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ فأخبرُكم به.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ فأقدرُ على ما لا يقدرُ عليه البشرُ.

﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ من الله، وذلك غيرُ مستحيلٍ في العقلِ مع قيامِ الدليلِ والحججِ البالغةِ.

﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ الكافرُ.

﴿وَٱلۡبَصِيرُۚ﴾ المؤمنُ.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ أنهما لا يستويانِ؟!

* * *

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿وَأَنذِرۡ﴾ خوِّفْ.

﴿بِهِ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ﴾ يُبْعَثوا.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ واللفظُ يعمُّ كلَّ مؤمنٍ بالبعثِ من مسلمٍ ويهوديٍّ ونصرانيٍّ.

﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: من دون الله.

﴿وَلِيّٞ﴾ قريبٌ ينفعُهم.

﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفعُ لهم. تلخيصُه: خَوِّفْهم بالقرآنِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فينزجروا.

***

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٢)﴾.

[٥٢] ولما أُمِرَ ﷺ بإنذارِ غيرِ المتقين ليتقوا، أُمِرَ بعدَ ذلكَ بتقريبِ المتقينَ، ونُهي عن طردِهم؛ تكريماً لهم، وذلك أنه ﷺ كانَ قد عزمَ على إزالةِ بلالٍ وأصحابِه الفقراءِ من مجلسِه، ومجالسةِ الأقرعِ بنِ حابسٍ وأصحابِه رجاءَ حسنِ إسلامِهم، قالوا: وكتبَ لابنِ حابسٍ بذلكَ كتاباً، فنزل:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[1] يعبدونَ.

﴿رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ والمرادُ: الدوامُ على ذلك. قرأ ابنُ عامرٍ (بِالغُدْوَةِ) بضمِّ الغينِ وسكون الدال، وواوٍ بعدها، وقرأ الباقون: بفتح الغين والدال، وألفٍ بعدها[2].

﴿يُرِيدُونَ﴾ بعملِهم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٧)، كتاب: الزهد، باب: مجالسة الفقراء، عن خباب ـ رضي الله عنه ـ. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١١٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧١).

﴿وَجۡهَهُۥۖ﴾ أي: يخلصون عملَهم لله تعالى، ولما طُعِنَ في هؤلاء، وتُكُلِّم فيهم عندَ النبي ﷺ، نزلَ:

﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ إنْ حسابُهم إلاَّ على الله.

﴿وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ أي: لا تُؤْخَذُ بحسابهم، ولا هم بحسابِكَ حتى يهمَّكَ إيمانُهم بحيثُ تطردُ المؤمنين طمعاً فيه.

﴿فَتَطۡرُدَهُمۡ﴾ فتبعدَهم، جوابٌ للنفي، وهو قوله: ﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾.

﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنْ فعلتَ ذلكَ، جوابُ النهي، وهو قوله: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ﴾ فدعاهم ﷺ وهو يقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾.

[٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ أي: مثلَ ذلكَ الاختبار اختبرنا بعضَ الناسِ ببعضٍ، فابتلَيْنا الغنيَّ بالفقيرِ، والشريفَ بالوضيعِ، فإذا رأى الشرفاءُ والأغنياءُ الوضعاءَ والفقراءَ سبقوهم إلى الإيمانِ، تَكَبَّروا، فكانَ ذلكَ فتنةً لهم، فذلك قولُه:

﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ يعني: المشركين.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ أي: أهؤلاءِ الذين أُنْعِمَ عليهم

بالإسلام دوننا، ومُيِّزوا به علينا، ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف: ١١]، فقال تعالى:

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: اللهُ أعلمُ بمَنْ يشكرُ الإسلامَ إذا هداه. قرأ السوسيُّ عن أبي عمرٍو: (بِأَعْلَمْ) بإسكانِ الميم عند الباء، وتقدم الكلامُ عليه في سورة البقرة.

* * *

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾.

[٥٤] ثم أُمر ﷺ بالسلام عليهم إكراماً لهم فقيل:

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ ثم قل لهم:

﴿كَتَبَ﴾ أي: أوجبَ.

﴿رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ فكان ﷺ إذا رآهم، بدأَهم بالسلامِ وقال: «الْحَمْدُ لله الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَبْدَأَهُمْ بِالسَّلاَمِ»(١).

﴿أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ أي: جاهِلاً بتحريمِهِ.

﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعدَ عملِه المعصيةَ.

﴿وَأَصۡلَحَ﴾ أخلصَ توبتَهُ.

﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ،

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢١).

وخلفٌ: (إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ) (فَإِنَّهُ) بكسرِ الألف فيهما على الاستئنافِ، وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: بفتحِ الألفِ فيهما بدلاً من الرحمة؛ أي: كتبَ على نفسِه أنَّه من عملَ منكم، ثم جعل الثانيةَ بدلاً عن الأول؛ كقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]. وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بفتح الأولى بدلاً من الرحمة، وكسرِ الثانية على الاستئناف؛ لأنها بعدَ الفاء[١]، قال القرطبيُّ: وهي قراءةٌ بينةٌ[٢].

***

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ آياتِ القرآنِ في صفةِ المطيعين والمجرمين.

﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ أي: ليظهرَ.

﴿سَبِيلُ﴾ طريقُ.

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ العاصين. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَلِتَسْتَبِينَ) بالتاء، و(سَبِيلَ) نصبٌ على خطابِ النبيِّ ﷺ؛ أي: لتعرفَ يا محمدُ طريقَ المجرمين، يقال: استبنتُ الشيءَ وَتَبيَّنْتُه: إذا عرفتُهُ، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ (وَلِيَسْتَبِينَ) بالياءِ (سَبِيلُ) رفعٌ، وقرأ الباقون: (ولتستبينَ) بالتاء (سبيلُ) رفعٌ؛ أي: ليظهرَ ويتَّضح،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٦-٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٤٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ٤٣٦).

و[1]السبيلُ يُذَكَّر؛ لقولِه: ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ويؤنَّثُ؛ لقولِه: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[2] [آل عمران: ٩٩].

* * *

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ بما أُنزلَ عليَّ من الآياتِ في أمرِ التوحيدِ.

﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في طردِ الفقراءِ وعبادةِ الأوثان.

﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إنِ اتبعتُ أهواءكم.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ إن فعلتُ ذلك.

* * *

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ ويقينٍ.

---

(١) «و» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٣).

﴿مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ أي: بما جئتُ به، وكانوا قد استعجلوا العذابَ، فقال ﷺ:

﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذابِ.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ لا لي.

﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ من القضاءِ: الحكمِ؛ أي: يقضي القضاءَ الحقَّ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ: (يَقُصُّ الْحَقَّ) بضمِّ القاف والصادِ المهملة مشدَّداً؛ أي: يقولُ الحقَّ؛ لأنه في جميعِ المصاحفِ بغير ياء، ولأنه قالَ: (الحقَّ) ولم يقلْ: بالحق، وقرأ الباقون (يَقْضِ) بسكون القافِ وكسر الضادِ المعجمةِ[1]؛ من قضيتُ؛ أي: يحكمُ بالحقِّ؛ بدليل أنه قالَ:

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي: الحاكمين، وحذفتِ الياءُ لاستثقالِ الألف واللامِ؛ كقوله: ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]، ونحوها، وأثبتَ يعقوبُ الياءَ وقفاً. والقضاءُ شرعاً: هو الإلزامُ وفصلُ الحكوماتِ، ومنصبُ القضاءِ فرضُ كفايةٍ بالاتفاق، ويجبُ على من يصلُحُ له إذا طلبَ ولم يوجد غيرُه ممَّنْ يوثَقُ به الدخولُ فيهِ بغيرِ خلافٍ، قال الإمامُ أحمدُ: إلا أن يشغلَهُ عمَّا هو أهمَّ منه. ويُشترطُ في القاضي: العدالةُ والاجتهادُ عندَ الثلاثةِ، وقال أبو حنيفةَ: يجوزُ قضاءُ الفاسقِ، ولا ينبغي أن يُوَلَّى، ويجوزُ تقليدُ الجاهلِ؛ لأنه يقدرُ على القضاءِ بالاستفتاءِ، والأَوْلى أن يكونَ عالماً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٤).

واختلفوا في صحَّةِ قضاءِ المرأةِ، فقال أبو حنيفةَ: يصحُّ قضاؤها فيما تُقْبَلُ فيه شهادتُها، وهو ما عدا الحدودَ والقصاصَ، وقال الثلاثةُ: لا يصحُّ قضاؤها مطلَقاً.

ويجوز القضاء على الغائبِ عندَ الثلاثةِ خلافاً لأبي حنيفةَ.

ويصحُّ التحكيمُ لمن يصلحُ للقضاء بالاتفاق، واختلفوا في حكمِه، فقال أحمد: ينفُذُ حتى في حدٍّ وقَوَدٍ، فهو كحاكم الإمامِ مطلقاً، وقال مالكٌ: حكمهُ ماضٍ في الأموالِ، فلو حكمَ بقتلٍ، أو اقتصَّ أو حدَّ أو لاعَنَ أُدِّبَ ومضى ما لم يكنْ جَوْراً بيِّناً، قالَ الشافعيُّ: يصحُّ مطلقاً في غيرِ حَدٍّ للهِ تعالى، وقال أبو حنيفة مثلَهُ، لكنْ إذا رُفعَ إلى حاكمٍ آخرَ أمضاهُ إن وافقَ مذهبَهُ، وإن لم يُوافقْه أبطلَه، والحكمُ شرعاً: أمرٌ ونهيٌ يتضمَّن إلزاماً.

* * *

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ ﴾ من العذابِ.

﴿ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ ﴾ أي: لو كان عندي ما استعجَلْتُم به من العذابِ عندي، لأنزلتُهُ وتخلَّصْتُ منكم.

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: بالمشركينَ، وبوقتِ عقوبتِهم.

* * *

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ خزائنُه، جمعُ مِفْتَح بكسرِ الميم، وهو المفتاحُ، قال الكواشيُّ: وزعمَ بعضُهم أنه جمع مَفْتَحٍ بفتحِ الميم، وهو المخزنُ، ومفاتحُ الغيبِ: الطرقُ الموصلةُ إلى علمِهِ تشبيهاً بمفتاحِ الدارِ؛ لأن به يُفتح البابُ، فَيُتَوصَّلُ إلى ما فيها، والمرادُ: علمُ كلِّ ما غابَ؛ كقيامِ الساعةِ، ومتى يأتي المطرُ، وما تَغيضُ الأرحامُ، وما في غدٍ، والموتُ.

﴿ لَا يَعۡلَمُهَآ﴾ أي: الطرقَ الموصلةَ إلى الغيبِ.

﴿ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ﴾من المفاوِزِ والقِفارِ.

﴿وَٱلۡبَحۡرِۚ ﴾ من القرى والأمصارِ خَصَّهما بالذكر لأنهما أعظمُ المخلوقاتِ المجاورةِ للبشرِ.

﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ يريدُ: ساقطةٍ وثابتةٍ.

﴿ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ مبالغةً في إحاطةِ علمِه بالجزئيات.

﴿ وَلَا حَبَّةٍ﴾ من الحباتِ المعروفةِ.

﴿ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بطونِها.

﴿ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «الرَّطْبُ الماءُ، واليابسُ الباديةُ»[١].

﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في اللوحِ المحفوظِ ليعتبرَ الملائكةُ بذلكَ، لا أنه سبحانه كتبَ ذلكَ لنسيانٍ يلحقُه، تعالى عن ذلكَ المعنى، ما من شيءٍ من الأشياءِ إلا وهو يعلمُه حيثُما كان.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٧٩).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) ﴾.

[٦٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ بأن يقبضَ أرواحكم إذا نِمْتُم.

﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم ﴾ كَسَبْتُم من الآثام وغيرِها.

﴿ بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي: يوقظُكم بالنهار.

﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ أي: يتمَّ، وهو مدةُ الحياةِ.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ بعدَ المماتِ.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم ﴾ يخبرُكم.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاةِ عليه.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ﴾.

[٦١] ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه في أول السورة.

﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ ملائكةً، لكلِّ إنسانٍ مَلَكَينِ بالليلِ، ومَلَكَينِ بالنهارِ يحفظونَ أعمالَ بني آدم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ تقدَّم اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتين من كلمتين في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك[١] اختلافُهم في ﴿ جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾.

(١) في «ت»: «وكذا».

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ مَلَكُ الموتِ وأعوانُه، رُوي أن الدنيا بينَ يَدَي ملكِ الموتِ كالمائدةِ الصغيرةِ يقبضُ من هنا وهنا، فإذا كثرتْ عليه الأرواحُ يدعوها فتُجيب. قرأ حمزةُ: (تَوَفَّاهُ) بألفٍ ممالة[1].

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي: يُضيِّعون ويُقصِّرون، ومعنى فَرَّطَ: قدم العَجْزَ.

***

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ أي: جميعُ العباد.

﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ للحسابِ والجزاءِ.

﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾ أي: مالِكِهم ومتولِّي أمورِهم حقيقةً، والحقُّ: اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، والشيءُ الحقُّ: هو الثابتُ حقيقةً، ويُستعملُ في الصدقِ والصوابِ أيضاً، يقالُ: قَوْلٌ حَقٌّ؛ أي: صدقٌ وصوابٌ.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومئذٍ لا حكمَ لغيرِه فيه[2].

﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ يحاسبُ الخلائقَ في مقدارِ حلبِ شاةٍ، لا يحتاجُ إلى فكرةٍ ولا عَدٍّ.

***

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩).

(٢) «فيه» ساقطة من «ت».

[٦٣] ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ قرأ يعقوبُ: بالتخفيف، والباقون: بالتشديد(١).

﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ شدائِدهما، وكانوا إذا سافروا في البرِّ والبحرِ، وضلوا الطريقَ، وخافوا الهلاكَ، دعوا اللهَ مخلصينَ، فينجيهم، فذلك قولُه:

﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾ علانيةً.

﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً. قرأ أبو بكرٍ عن عاصم: (خِفْيَةً) بكسر الخاء، والباقون: بضمها، وهما لغتان(٢).

﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ خَلَّصنا(٣). قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَنْجَانَا) بألفٍ بينَ النونِ والجيمِ من غير تاءٍ؛ أي: لئن أنجانا اللهُ من هذهِ الظلمةِ، وقرأ الباقون: بالياء، والتاءِ المفتوحة بينَ الجيم والنون، وكذلك هو في مصاحِفهم(٤).

﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لله تعالى، والشكرُ: هو معرفةُ النعمةِ معَ القيامِ بحقِّها.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٢).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) «ت» و«ظ» و«ن»: «خلصتنا».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩-٢٦٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٩).

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[٦٤] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ. (يُنَجِّيكُمْ) بالتشديد، والباقون: بالتخفيف(١).

﴿ وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ أي: غَمٍّ.

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ الأصنامَ به، وهي لا تضرُّ ولا تنفعُ.

* * *

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ الصَّيحةُ، والريحُ، والحجارةُ، والطوفانُ؛ كعادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وقومِ نوحٍ وأصحابِ الفيل.

﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ الخسفُ والرجفةُ؛ كقارونَ وقومِ شُعيبٍ.

﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ يَخْلِطَكم فِرَقاً مختلفينَ.

﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ﴾ بالحربِ والقتلِ في الفتنةِ.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ نبيِّنُ لهم بالحجَجِ والدَّلالاتِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ يفهمونَ ما هم عليه من الشركِ والمعاصي.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٩).

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦ ﴾ .

[٦٦] ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ ﴾ أي : القرآنِ .

﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ الصدقُ لا محالةَ .

﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ بمسلِّطٍ أُلْجِئُكم إلى الإيمانِ، إنما أنا منذرٌ .

* * *

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ ﴾ .

[٦٧] ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ ﴾ خبر .

﴿ مُّسۡتَقَرّٞ ﴾ منتهى، فيتبين الصدقُ من الكذبِ، والحقُّ من الباطلِ .

﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ تهديدٌ .

* * *

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨ ﴾ .

[٦٨] ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ ﴾ بالاستهزاءِ .

﴿ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني : القرآنَ .

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ لا تجالِسْهم .

﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾ غيرِ الاستهزاءِ .

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ﴾ المعنى : إن شغلَكَ .

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بوسوستهِ حتى تنسى النهيَ . قرأ ابنُ عامرٍ (يُنَسِّيَنَّكَ) بفتح

النون وتشديد السين، من نَسَّى، وقرأ الباقونَ: بسكون النون وتخفيف السين[1]، من أَنْسَى[2].

﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: التذكرِ للنهي.

﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالتكذيبِ والاستهزاءِ.

* * *

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ولما تحرَّجَ المسلمونَ من مجالسةِ المشركينَ بعدَ النهي، نزل:

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الخوضَ.

﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ آثامِهم.

﴿مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ما يلزمُهم بمجالسَتِهم إثمٌ يُحاسَبون عليه.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي: عليهم أن يُذَكِّروهم بإظهارِ الكراهةِ لهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوضَ.

* * *

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا

---

(١) في «ن»: «النون».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٠).

شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ
لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ ﴾ أي: الذي كان يجبُ عليهم أن يَتَّخِذوه، وهو دينُ الإسلامِ والقرآنِ.

﴿ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ لأنهم كانوا إذا سمعوا القرآنَ، تلاعبوا استهزاءً ولهواً عنهُ.

﴿ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ حتى أنكروا البعثَ، المعنى: أعرضْ عن المشركينَ، ولا تلتفتْ إليهم.

﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ ﴾ أي: مخافةَ أن تُسْلَم للهلاكِ.

﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وأصلُ الإبسالِ: المنعُ، ومنهُ: أسدٌ باسلٌ، لأن فريستَه لا تُفْلِتُ منه.

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ يدفعُ عنها العذابَ.

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ ﴾ أي: تَفْتَدِ كلَّ فداءٍ.

﴿ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارةً إلى الذين اتخذوا دينَهم لعباً ولهواً.

﴿ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ ﴾ ارتهنوا.

﴿ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ شديد الحرارةِ.

﴿ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ بسببِ كفرِهم.

* * *

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] قيل: ونزلَ لما دعا أبا بكر ابنُه عبدُ الرحمنِ إلى عبادةِ الأصنامِ:

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا ﴾ إن عبدْناه.

﴿ وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ إن تركْناه.

﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ إلى الشركِ مرتدِّينَ.

﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ بإنقاذِنا منه.

﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ هَوَتْ به؛ أي: طلبتْ هُوِيَّهُ وضلالَته. قرأ حمزةُ: (اسْتَهْوَاهُ) بألف ممالة[1].

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ متردِّدٌ، لا يدري أين يذهبُ.

﴿ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ ﴾ على الطريقِ.

﴿ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾ يقولون له:

﴿ ٱئْتِنَا ﴾ ارجعْ إلينا، فلا يلتفتُ إليهم، وهذا مثلٌ ضربَهُ الله لمن يدعو إلى الآلِهة، ولمن يدعو إلى الله.

﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ يزجرُ عن عبادةِ الأصنامِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٤).

﴿ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ ﴾ أي: وقُل: وأُمِرْنا أن نسلمَ ﴿ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ ﴾ أي: وأُمِرْنا بإقامةِ الصلاةِ وتقوى الله.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ تُجمَعون يومَ القيامة.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ أي: حقاً.

﴿ وَيَوۡمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ ﴾ والمعنى: فيكونُ جميعُ ما أرادَ من موتِ الناسِ وحياتِهم.

﴿ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ أي: الواقعُ لا محالَة.

﴿ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ ﴾ يعني: ملكُ الملوك يومئذٍ زائلٌ، كقولِه: ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩]، والأمرُ للهِ في كلِّ وقتٍ، والصورُ: القَرْنُ الذي يُنْفَخُ فيه، وهو كهيئةِ البوق.

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ ﴾ أي: ما غابَ عن العبادِ وما يشاهدونَه.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ سبحانه.

* * *

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: واذكرْ إذْ قالَ.

﴿لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ واسمُه تارحُ، وآزرُ لقبٌ، ومعناهُ: المعوجُّ، واشتقاقُه من الوِزْرِ: الإثم. قرأ يعقوبُ: بضمِّ الراء؛ يعني: يا آزَرُ، وقرأ الباقون: بالنصبِ في محل الخفضِ؛ لأنه أعجميٌّ لا ينصرفُ[1].

﴿أَتَتَّخِذُ﴾ أي: تعبدُ.

﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ دونَ الله.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحقِّ.

﴿مُّبِينٍ﴾ ظاهرِ الدلالةِ. قرأ عاصمٌ، وخلفٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2].

* * *

(١) انظر: «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٤٨).

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أي: كما أريناهُ البصيرةَ في دينه، والحقَّ في خلافِ قومِه، نُريهِ.

﴿ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: خلقَهما وخلقَ ما فيهما الدَّالَّ على الربوبيةِ والوحدانيةِ، رُوي أنه رأى جميعَ السمواتِ والأرضِ وما فيهما حتى العرش، وأسفل السفل، فرأى عاصياً، فدعا عليه فهلك، ثم آخرَ فدعا عليه فهلك، ثم آخرَ فدعا عليه فهلكَ، ثم آخر فأراد أن يدعوَ عليه، فقال تعالى: أنت مُستجابُ الدعوةِ، فلم تدعُوَنَّ على عبادي، فإنما أنا من أعبدي على ثلاثِ خلالٍ(١): إما أن يتوبَ إليَّ فأتوبَ عليه، وإما أن أُخرجَ منه نسمةً تعبدني، وإما أن يُبعثَ إليَّ، فإن شئتُ عفوتُ عنه، وإن شئتُ عاقبته(٢).

﴿ وَلِيَكُونَ ﴾ عطفٌ على المعنى، معناه: نريهِ ملكوتَ السماواتَ والأرضِ؛ ليستدلَّ به.

﴿ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ من الموقنين، الموقنُ: العالمُ بالشيء عِلْماً لا يمكنُ أن يطرأَ له فيه شكٌ.

* * *

(١) «ت»: «خصال».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦-٢٥٧، ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣-١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٤-٢٨٦).

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أي: أظلمَ.

﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ، وخلفٌ، وورشٌ، وابنُ ذكوانَ: (رأى كَوْكَباً) و(رَأَى أَيْدِيَهُمْ) وشبهَه بإمالةِ الراءِ والهمزةِ حيثُ وقع، وافقَهم أبو عمرٍو في إمالةِ الهمزةِ فقط، ورُوِي عن السوسيِّ أربعةُ أوجه: فتحُ الراءِ والهمزة وكسرُهما، وفتحُ الراء وكسرُ الهمزة، وعكسُه، ورُوي عن أبي بكر وجهان: كسرُ الراءِ وفتحُ الهمزة، وكسرهما، وروُي عن حمزةَ: كسرُ الراءِ وفتحُ الهمزة، والباقون: بفتحهما وكذلك (رَأَى الشَّمْسَ)، و(رَأَى الَّذِينَ) في النحل، و(رَأَى الْمُجْرِمُونَ) في الكهف، و(رَأَى الْمُؤْمِنُونَ) في الأحزاب[١].

رُوِي أن إبراهيمَ عليه السلامُ ولد في زمنِ نمرودَ بنِ كنعانَ بن سنحاريب بن كوش بن سام بنِ نوح، وهو أولُ من وضعَ التاجَ على رأسِه، ودعا الناسَ إلى عبادته، حُكي أنه رأى له منجِّموه أن مولوداً يولد له في سنةِ كذا في عملِه يكونُ خرابُ الملكِ على يديه، فجعل يتتبع الحبالى، ويُوكِّلُ بهنَّ حُرّاساً، فمن وضعتْ أنثى تُركت، ومن وضعت ذكراً حُمل إلى الملكِ فذبحه، وإنَّ أمَّ إبراهيم حملتْ به، واسمها يُوَنَّا، وقيلَ غيرُ ذلك، وكانت شابةً قويةً، فسترتْ حملَها، فلما قربَتْ ولادتُها بعثت تارح أبا إبراهيم إلى سفر، فمضى إليه، ثم خرجت هي إلى غار، فولدت فيه إبراهيمَ وتركَتْه في الغار، وكان مولدُه عليه السلام بكوثى، من إقليم بابل، من أرضِ العراقِ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٠٢).

على أرجحِ الأقوال، في ليلةِ الجمعةِ ليلة عاشوراءَ لمضيِّ ألفٍ وإحدى وثمانين سنةً من الطوفانِ، وكان الطوفانُ بعدَ هبوط آدمِ بألفين ومئتين واثنتين وأربعين سنة، وبين مولد إبراهيم عليه السلام والهجرةِ النبويةِ المحمدية على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلامِ ألفانٌ وثمانُ مئةٍ وثلاثٌ وتسعون سنةً على اختيار المؤرخين، والاختلافُ في ذلك كثيرٌ، وتقدَّمَ ذكرُ وفاتِه وقدرُ عمرِه ومحلُّ قبرِه في سورة البقرة عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ ﴾ [الآية: ١٢٤]، وكانت تفتقدُه في الغارِ، فتجده يغتذي بأن يمصَّ أصابعَه فيخرجُ منها عسلٌ وسمنٌ ونحوُ هذا، وكان يشبُّ شباباً لا تشبُّهُ الغلمانُ، يومُه كالشهر، وشهرُه كالسنة، ولم يمكثْ في الغار إلاَّ خمسةَ عشرَ شهراً، وتكلَّم فقالَ لأمِّهِ يوماً: من ربي؟ قالت: أنا، قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن ربُّ أبي؟ قالت: نمرود قال: فمن ربُّ نمرود؟ قالت له: اسكتْ، فسكتَ فرجعَتْ إلى زوجِها، فقالت له: أرأيتَ الغلامَ الذي كنا نتحدَّثُ به أنه يغيرُ دينَ أهلِ الأرض؟ فإنه ابنُك، ثم أخبرتْه بأمره ومكانِه، فأتاه ونظرَهُ وفرَح به، فقال له إبراهيم: يا أبتاهُ! من ربي؟ فقالَ: أمك، قال: من ربُّ أمي؟ قال: أنا، قال: فمن ربُّكَ؟ قال: النمرود، قال: فمن ربُّ النمرود؟ فلطمَه لطمةً، وقال له: اسكتْ، فذلكَ قولُه عز وجل: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، ثم إن إبراهيمَ قال لأمه يوماً: أخرجيني من الغارِ، فأخرجَتْه عشياً، فلما خرجَ نظرَ وتفكَّر في خلقِ السمواتِ والأرض، ثم قال: إن الذي خلقني ورزقَني ويطعمُني ويسقيني لَرَبِّي، ما لي إلهٌ غيرهُ، ثم نظر إلى السماء فرأى كوكباً، قيل: إنه الزُّهرة، وقيلَ: المشتري(١).

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٧٧٦).

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ ثم أتبعَهُ بصرَهُ ينظرُ إليه.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غاب سَئِمَه.

﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: لا أحبُّ رباً لا يدوم، وهذا يدلُّ على إعمالِ عقلِه وعلمِه؛ إذِ الآفلُ لا يجوز أن يكون إلهاً.

* * *

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ طالِعاً أولَ طلوعِه.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فأتبعَهُ بصرَهُ.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ سئمَه ورجعَ بفكره متوجِّهاً إلى ربه، و﴿قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾ أي: يثبتْني على الهدى.

﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ استعجز نفسَه، واستعاذ بربه في دركِ الحقِّ؛ لأن الهدايةَ والتوفيقَ بيده سبحانه.

* * *

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا﴾ أي: الطالعُ.

﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ من الكواكبِ والقمر.

﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ سَئِمَها وتوجَّه إلى ربِّه بقلبٍ سليم، ووَجَّهَ وجهَه للحقِّ

بالصدقِ واليقين، و﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ من الأجرام المحدثةِ.

***

﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ (وَجْهِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ ﴾ مائلاً إلى الحقِّ.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فنقلَه اللهُ من علمِ اليقين إلى عينِ اليقين.

***

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ثم إن أباه ضمَّه إليه، فشبَّ شباباً حسناً، وروي أن القصةَ التي وقعتْ له في حال مراهقته، وأن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنامَ والشمسَ والقمرَ والكواكبَ، فأراد أن يُنبههم على الخطأ في دينهم، ويرشدَهم إلى الحقِّ من طريقِ النظرِ والاستدلال، فقاله على وجه الاستفهام والتوبيخِ لهم، وإقامةِ الحجةِ عليهم في عبادةِ الأصنامِ والكواكبِ؛ كأنه قالَ لهم: أهذا ربي بزعمكم؟! أو مثلُ هذا يكون رباً؟! ثم عرضَ إبراهيمُ عليه السلام

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٦).

عليهم في حركتهِ وأفولهِ أمارة الحدوثِ، وأنه لا يصلحُ أن يكونَ رباً، ثم في أخرى أعظم منه، ثم في الشمسِ كذلك، فكأنه يقول: فإذا بان في هذه المنيرات أنها لا تصلُحُ للربوبيةِ، فأصنامُكم التي هي خشبٌ وحجارةٌ أحرى أن يبينَ ذلكَ فيها، ولا زال ﷺ في جميعِ أحوالِه مجمِلاً مكمِّلاً حتى أكرمَه اللهُ تعالى بما أكرمَهُ من الآيات البيناتِ، والكراماتِ الباهرات، ثم ألبسَهُ خلعةَ الخلَّة، وجعلَهُ من أولي العزم من الرسل، وجعلَه أبا الأنبياء، وتاجَ الأصفياء، ونورَ أهلِ الأرضِ، وشرفَ أهل السماء، وكان أبوه آزرُ يصنعُ الأصنامَ ويعطيها له ليبيعَها، فكانَ إبراهيمُ يقول: مَنْ يشتري مَنْ يَضُرُّهُ ولا ينفعُه؟! فلا يشتريها أحدٌ، فإذا بارتْ عليه، ذهبَ بها إلى نهرٍ، فصوَّبَ فيه رؤوسَها، وقال لها[1]: اشربي؛ استهزاءً بقومِه وما هم فيه من الضلالة، حتى فشا استهزاؤه بها في قومِهِ وأهلِ قريتِهِ.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ خاصَمُوه في دينه.

﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ أتجادِلُونني في توحيدِ اللهِ.

﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ للتوحيدِ والحقِّ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (أَتُحَاجُّونِي) بتخفيف النون، بخلافٍ عن هشامٍ، والباقون: بتشديدِها إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى، ومن خَفَّفَ حذفَ إحدى النونين تخفيفاً[2]، وأثبت أبو عمروٍ، وأبو جعفرٍ الياءَ في: (هَدَانِي) وصلاً،

---

(١) «لها» ساقطة من «ت» و«ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٦).

وأثبتها يعقوبُ في الحالين، وقرأ الكسائيُّ: (هَدَانِ) بالإمالة[1].

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا﴾ أي: الذي.

﴿تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: لا أخافُ معبوداتِكم؛ لأنها لا تضرُّ ولا تنفعُ، وذلك أنهم قالوا له: احذرِ الأصنامَ؛ فإنا نخافُ أن تمسَّكَ بسوءٍ من خَبَلٍ أو جنونٍ؛ لعيبِكَ إياها، فأجابهم بذلكَ.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ أي: إلا أن يشاء أن يُلْحِقَني بشيء من المكروهِ بذنبٍ عملتُه، فتتمُّ مشيئتُه.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: أحاطَ علمُه بكلِّ شيء.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفونَ الحقَّ من الباطلِ.

* * *

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)﴾.

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يتعلقُ به ضررٌ.

﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ حجةً. المعنى: لمَ تُنكرون عليَّ الأَمْنَ في محلِّه، ولا تنكرونَ على أنفسِكم الأمنَ في محلِّ العَطَبِ لأنكم تُشركون باللهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٧).

﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ الموحِّدون أم المشركون؟ وإنما لم يقلْ: أيُّنا أنا أم أنتم؛ احترازاً من تزكيةِ نفسِه.

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ صدقَ القول.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾.

[٨٢] فقال الله تعالى قاضِياً بينَهم:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ ﴾ يَخْلِطوا.

﴿ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ بشركٍ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ فلما نزلتِ الآيةُ، شقَّ ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسولَ الله! فأيُّنا لم يظلمْ نفسَهُ؟ فقال: «ذَلِكَ إِنَّما هُوَ[1] الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾»[2] [لقمان: ١٣].

* * *

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) ﴾.

[٨٣] ﴿ وَتِلْكَ ﴾ إشارةٌ إلى ما احتجَّ به إبراهيمُ على قومِه من قوله:

---

(١) «هو» ساقطة من «ت».

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٨)، كتاب: استتابة المرتدين، باب: ما جاء في المتأولين، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ حجةً.

﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ حتى خَصَمَهم.

﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالعلمِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ يضعُ كلَّ شيء في موضعِهِ. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (دَرَجَاتٍ) بالتنوين، والباقون: بغير تنوين[1]، وتقدم اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ في سورةِ البقرةِ من تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾، وكذلك اختلافُهم في (نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ).

* * *

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٨٤)﴾.

[٨٤] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ تقدَّم ذكرُهما في سورة البقرة.

﴿كُلًّا﴾ منهما.

﴿هَدَيۡنَاۚ﴾ ووفَّقْنا وأرشدْنا.

﴿وَنُوحًا هَدَيۡنَا﴾ أي: ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ إبراهيمَ، وتقدَّمَ ذكرُه في سورةِ آل عمرانَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٨).

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ يعني: نوحاً؛ لأنه ذكرَ في جملتِهم يونسَ ولوطاً، ولم يكونا من ذريةِ إبراهيمَ و﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ تقدم ذكرُ سليمانَ في سورةِ البقرةِ، وداودَ وأيوبَ في سورةِ النساءِ.

﴿وَيُوسُفَ﴾ هو ابنُ يعقوبَ بنِ إسحقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليهم السلام، ولد لما كان لأبيه من العمر إحدى وتسعون سنةً، ووقعَ له مع إخوتِه وفي ملكِ مصرَ ما سنذكرُه في سورةِ يوسفَ إن شاء الله تعالى، وعاش مئةً وعشرينَ سنةً، وبينَه وبينَ موسى أربعُ مئةِ سنةٍ، وتوفِّيَ بمصرَ، ودُفِنَ بها في وسطِ بحرِ النيلِ في صندوقٍ من الرخامِ، وذلك أنه لما ماتَ، تشاحنَ عليه الناسُ حتى هموا أن يقتتلوا، كلٌّ يحبُّ أن يُدفنَ في محلَّتِهِ رجاءَ بركتِه، ثم رأوا أن يُدفنَ في النيل، فيمرَّ عليه الماءُ، ثم يصلُ إلى جميع مصرَ، فتعمُّهم بركتُه، ففعلوا ذلكَ، ولم يزلْ مدفوناً ثَمَّ حتى كانَ زمنُ موسى وفرعونَ، فلما سارَ موسى ببني إسرائيلَ، نبشَهُ كما تقدَّمَ ذكرُه ملخَّصاً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية: ٥٠]، وحَمَلَهُ على عجلٍ من حديدٍ، ودفنَه بحبرونَ[١] في البقيعِ خلفَ المغارةِ التي بُني عليها الحيزُ السليمانيُّ حذاءَ قبرِ يعقوبَ وجوارَ جَدَّيه إبراهيمَ وإسحاقَ عليهم السلام، وقيل: دُفن بقرب نابلسَ، والأولُ هو المشهورُ عندَ الناس، وقد استفاض فلم ينكرْ.

﴿وَمُوسَىٰ﴾ تقدَّمَ ذكرُه في سورةِ البقرةِ.

---

(١) في «ن»: «جبرون».

﴿ وَهَـٰرُونَۚ ﴾ في سورةِ النساءِ، تلخيصُه: ومن ذريةِ نوحٍ هَدَينا جميعَ المذكورينَ بعدُ.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ أي: ونجزي المحسنين جزاءً مثلَ جزاءِ إبراهيمَ برفعِ درجاتِه وكثرةِ أولادِهِ والنبوةِ فيهم.

* * *

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ تقدَّم ذكرُهم في آلِ عمرانَ، والمائدةِ، وفي ذكرِ عيسى دليلٌ على أنَّ أولادَ البناتِ من الذريَّةِ، فإذا وقفَ على ذريتِهِ، دخلَ أولادُ البناتِ، وهو مذهبُ مالكٍ، وبه قالَ أبو يوسفَ، وعن أبي حنيفةَ روايتان، والراجحُ المقدَّم من مذهبِ أحمدَ المنصوصُ عنه أنهم لا يدخلونَ إلا بقرينة؛ كقوله: من ماتَ فنصيبُه لولده ونحوه، وعنه روايةٌ ثانيةٌ أنهم يدخلون، اختاره جماعةٌ من أصحابِه، وعليه العملُ.

﴿ وَإِلۡيَاسَۖ ﴾ هو ابنُ بشرِ بنِ فنحاصِ بنِ العيزارِ بنِ هارونَ بنِ عمرانَ، أُرسل إلى أهلِ بعلبكَّ، وسيأتي ذكرُه في سورةِ الصافات إن شاء الله تعالى.

﴿ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ الكاملينَ في الصلاحِ.

* * *

﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ ﴾ هو ابنُ إبراهيمَ، تقدَّمَ ذكرُه في سورة البقرة.

﴿ وَٱلۡيَسَعَ ﴾ هو ابن أخطوبَ بن العجوزِ، استخفظَه إلياسُ على بني

إسرائيلَ، ثم استُنبئَ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (واللَّيْسَعَ) بتشديد اللام وسكون الياء، وقرأ الباقون: مخففاً بفتح الياءِ وسكون اللامِ[1]، وهما لغتانِ، فمن قرأ بلامينِ، فأصلُ الاسم: لَيْسَعُ، ثم دخلتِ الألفُ واللامُ للتعريف، ومن قرأ بلامٍ واحدةٍ، فالاسمُ يَسَعُ، ودخلت الألفُ واللام زائدتين، كزيادتهما في نحو الخمسةَ عشرَ، قال وهبٌ: اليسعُ صاحبُ إلياسَ، وكانا قبل زكريا عليه السلام.

﴿وَيُونُسَ﴾ هو ابنُ مَتَّى، وتقدَّمَ ذكرُه في سورةِ النساءِ.

﴿وَلُوطًا﴾ هو ابنُ هارانَ بنِ آزرَ، سمي لوطاً؛ لأنَّ حبَّه ليطَ بقلبِ عمِّه إبراهيمَ؛ أي: تعلَّق ولَصِقَ، وكانَ إبراهيمُ يحبُّه حباً شديداً، وكان ممن آمنَ به، وهاجرَ معه إلى مصرَ، وعادَ إلى الشام، وأرسلَهَ اللهُ إلى أهل سَدُوم، وكانوا أهلَ كفرٍ وفاحشةٍ، وسنذكر ملخَّصَ أخبارِهم في محلِّه إن شاء الله تعالى، وقبرُه في قريةِ كَفرِ بَرِيك، [تبعدُ][2] عن حبرونَ نحواً من فرسخٍ من جهةِ الشرق.

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بالنبوَّةِ.

* * *

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧)﴾.

[٨٧] ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ عطفٌ على (كلاً)؛ أي: وفضَّلْنا

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٩).

(٢) لم ترد في جميع النسخ والسياق يقتضيها.

بعضَ آبائهم وذرياتِهم وإخوانِهم؛ فإنَّ منهم من لم يكنْ نبياً ولا مَهْدِياً.

﴿وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ﴾ واخْتَرْناهم.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ أرشَدْناهم.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ تكريرٌ لبيانِ ما هُدوا إليه.

***

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٨٨﴾.

[٨٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما دانو به.

﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ دينُ الله.

﴿يَهۡدِي﴾ يرشدُ.

﴿بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ لأنه المتفضلُ بالهداية.

﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ أي: المذكورونَ مع جلالةِ قدرِهم.

﴿لَحَبِطَ﴾ لبطلَ.

﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ وكانوا كغيرِهم في سقوطِ ثوابِ أعمالهم.

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾.

[٨٩] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: الكتبَ المنزلةَ عليهم.

﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ العلمَ.

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الرسالةَ.

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بهذهِ الثلاثةِ.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: كفارَ مكةَ.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أي: بمراعاتها.

﴿قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ يعني: الأنصارَ، وأهلَ المدينة، وقيلَ: الأنبياءُ الثمانيةَ عشرَ الذين ذكرَهم هاهنا، والباء في ﴿بكافرين﴾ زائدةٌ لتأكيدِ النفي، والمعنى: جميعُ مَنْ ذُكر وَفَّقْنا للإيمانِ بهذهِ الأشياءِ، وليسوا كافرينَ بها، بل يحفظونها.

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ يعني: الأنبياءَ المتقدِّمَ ذكرُهم.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ فَبِسُنَّتِهم.

﴿ٱقْتَدِهْۗ﴾ اتبعْ طريقَتَهم في التوحيدِ والصبرِ على الميثاقِ دونَ الشرائعِ؛ لأنها مختلفةٌ، والهاءُ فيه هاء الوقف. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (اقْتَدِ قُلْ) بحذفِ الهاءِ في الوصل استغناءً به عنها، وقرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: بإشباعِ كسرةِ الهاءِ وصلتِها بياءٍ في الوصلِ، وهشامٌ: باختلاسِ كسرتها في الوصلِ بغيرِ صلةٍ تشبيهاً لها بما هو أصلٌ،

وقرأ الباقون: بإثباتها في الحالين؛ لثبوتها في المصاحف، وسَكَّنوها وَصْلاً؛ لأنها للسَّكْتِ[(١)].

﴿ قُـل﴾ يا محمدُ لهؤلاءِ الكفرةِ المعاندينَ:

﴿ لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡـهِ﴾ أي: القرآنِ.

﴿ أَجۡـرًاۖ﴾ جُعْلاً من جهتِكم كما لم يسألْ مَنْ قبلي من النبيينَ.

﴿ إِنۡ هُوَ﴾ أي: القرآنُ.

﴿ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَـٰلَمِينَ﴾ أي: تذكيرٌ وعِظَةٌ لهم.

* * *

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَـٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾.

[٩١] ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظَّموه حقَّ عَظَمته فيما وجبَ لهُ، واستحالَ عليه.

﴿ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍۗ﴾ رُوي أن مالكَ بنَ الصيفِ من أحبارِ اليهود ورؤسائهم جاء يخاصمُ النبيَّ ﷺ بزعمِه، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى! هَلْ تَجِدُ فِيهَا أَنَّ اللهَ يُبْغِضُ الحَبْرَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣)، ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٠ـ٢٩١).

السَّمِينَ؟! فَأَنْتَ الْحَبْرُ السَّمِينُ، قَدْ سَمِنْتَ مِنْ مَالِكَ الَّذِي يُطْعِمُكَ الْيَهُودُ»، فضحكَ القومُ، فغضبَ، ثم التفتَ إلى عمرَ فقالَ: ما أنزلَ اللهُ على بشرٍ من شيء، فقالَ له قومُه: وَيْلَكَ! ما هذا الذي بلغَنا عنكَ؟! فقالَ: إنه أغضبني، فقلتُ ذلك، فقالوا له: وأنتَ إذا غضبتَ تقولُ على الله غيرَ الحق؟! فَنَزعوهُ من الحبرية، وجعلوا مكانه كعبَ بنَ الأشرفِ، فنزلت الآيةُ(١)، ثم قالَ نَقْضاً لقولهم، ورَدّاً عليهم:

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ يعني: التوراة.

﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ نيِّراً وهادِياً.

﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ دفاترَ مبدَّدة.

﴿تُبْدُونَهَا﴾ تُظهرون ما تحبون.

﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ من نعتِ محمدٍ ﷺ، وآيةِ الرجم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ: (يَجْعلُونَهُ) (يُبْدُونهَا) (وَيُخْفُونَ) بالغيبِ في الثلاثة؛ لقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، وقرأ الباقون: بالخطاب فيهن(٢)؛ لقولِه: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، وقولُه:

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟﴾ بالخطابِ لليهودِ؛ أي: علمتم على لسانِ محمدٍ ﷺ ما لم تعلموا.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٢)، عن سعيد بن جبير، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٢ـ٣٩٣).

﴿أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ زيادةً على ما في التوراة، وبياناً لما التبسَ عليكم وعلى آبائِكم الذين كانوا أعلمَ منكم.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ هذا راجعٌ إلى قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، فإنْ أجابوكَ، وإلا أنتَ: فـ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزلَهُ.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ باطِلِهم وجهلِهم.

﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: لاعبينَ، ومعنىَ الكلامِ التهديدُ.

***

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

[٩٢] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثيرُ الفائدةِ والنفعِ.

﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتبِ المنزلةِ قبلَه.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ يا محمدُ. قراءة الجمهور: بالخطابِ للنبيِّ ﷺ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالغيبِ إخباراً عنه ﷺ(١).

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أصلَ البلادِ مكةَ.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم أهلُ شرقِ الأرضِ وغربِها.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالكتابِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، وباقي المصادر السابقة.

﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ ﴾ الخمسِ.

﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ يداوِمون.

***

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) ﴾.

[٩٣] ونزلَ في مسيلمةَ الكذابِ صاحبِ اليمامة حينَ زعمَ أنه نبيٌّ يوحَى إليه:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ اختلقَ.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعمَ أن اللهَ بعثَهُ نبياً.

﴿ أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ وهو عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ سرحٍ، كانَ يكتبُ لرسولِ اللهِ ﷺ، فلما نزلَتْ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ فلما بلغَ قولَه: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ قالَ عَبْدُ اللهِ: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] تعجُّباً من تفصيلِ خلقِ الإنسانِ، فقال عليه الصلاة والسلام: «اكْتُبْهَا، فَكَذَلِكَ أُنْزِلَت»، فشكَّ عبدُ الله وقال: لئنْ كانَ محمدٌ صادقاً، لقد أُوحيَ إليَّ كما أُوحي إليه، ولئن كانَ كاذباً، لقد قلتُ كما قالَ، ولحقَ بالمشركين مرتداً، ثم أسلمَ قبلَ الفتحِ والنبيُّ ﷺ بمَرِّ الظَّهرانِ[١].

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥)، =

﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ يريدُ المستهزئينَ الذين قالوا: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمدُ.

﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ شدائده، وأصلُه من: غمرَ الشيءُ.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾ لقبضِ أرواحِهم، ويقولون إزعاجاً لهم:

﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ أرواحَكم؛ لنقبضَها، والجوابُ محذوفٌ، أي: ولو تراهم في هذه الحالة لرأيت عجباً.

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ أي: الهوانِ.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ من ادِّعاء الولدِ والشريكِ له، ودعوى النبوة والوحي.

﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ تتعَظَّمونَ فلا تؤمنون.

* * *

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ وُحداناً بلا مالٍ ولا شافعٍ، جَمعَ وحدان كسَكران، هذا خبرٌ من الله أنه يقولُ للكفارِ يومَ القيامة.

﴿ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ على الهيئة التي ولِدتم عليها.

= و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣١٧).

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكُم.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغيرِ اختيارِكم.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ أي: الأصنامَ.

﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ للهِ.

﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (بَيْنَكُمْ) بنصبِ النونِ؛ أي: تقطَّعَ ما بينكم من الوصلِ، وقرأ نافع والباقون: بضم النون؛ أي: تقطع[1].

﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ ضاعَ وبطلَ.

﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنها شفعاؤكم.

***

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ﴾ أي: شاقُّهما بالنباتِ بينَ الزرعِ والنخلِ.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: البشرَ الحيَّ منَ النطفةِ الميتةِ.

﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ﴾ أي: النطفةَ الميتةَ من البشرِ الحيِّ، وكذلكَ الطيرُ منَ البيضِ، والحوتُ، وسائرُ الحيوان. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٦).

وحمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (الْمَيِّتِ) بتشديدِ الياء في الحرفين، والباقون: بالتخفيفِ[1].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: المحيي المميتُ.

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيفَ تُصرَفون عن الحقِّ إلى ضِدِّه؟

* * *

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ أي: شاقُّه حينَ يتبيَّنُ الصبحُ.

﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكنُ فيه خلقُه. قرأ الكوفيون: (وَجَعَلَ) على الماضي (اللَّيْلَ) نصباً اتِّباعاً للمُصحفِ، وقرأ الباقون: بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض (اللَّيْلِ) إضافةً[2].

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي: عَلَمي حُسبانٍ يُعْلَم بدورِهما حسابُ الأوقات.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي سَيَّرَهما.

﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بتدبيرِهما.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٨).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ﴾ أي: خلقَها لكم.

﴿ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ﴾ الليلِ في.

﴿ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ ﴾ لأن راكبَ البحرِ والسائرَ في القفارِ يهتدي بها في الليلِ إلى مقاصدِه.

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ ﴾ بيَّنَّاها فَصْلاً فَصْلاً.

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فإنَّهم المنتفعونَ به.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم ﴾ خلقَكُم، والإنشاءُ: إثباتُ شيءٍ لم يكنْ قبلَه.

﴿ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ يعني: آدمَ عليه السلام.

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وروحٌ عن يعقوبَ: (فَمُسْتَقِرٌّ) بكسر القاف؛ أي: فمنكم مستقرٌّ، ومنكم مستودَعٌ، وقرأ الباقون: بفتحهما؛ أي: فمنكم مستقَرٌّ ومستودَع، والمستقَرُّ: أرحامُ الأمهاتِ، والمستودَعُ: أصلابُ الآباء، وقيلَ غيرُ ذلك، واتفقوا على فتح الدال من مستودَع[١]؛ لأن المعنى أن اللهَ استودَعه، فهو مفعولٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٩٩).

﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ أي: بيَّنَّا.

﴿ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ والفقهُ لغةً: الفهمُ.

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٩] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من السحابِ.

﴿مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ أي: بالماءِ.

﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النباتِ.

﴿خَضِرًا﴾ أي: زرعاً رَطْباً.

﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ بعضُه فوقَ بعضٍ مثلَ سنابلِ البُرِّ والشعيرِ وسائرِ الحبوب.

﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾ والطَّلْعُ: أولُ ما يخرجُ من ثمر النخلِ.

﴿قِنْوَانٌ﴾ جمعُ قِنْوٍ، وهو العِذْقُ.

﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبةُ المتناوَلِ.

﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ قرأ العامةُ: (جَنَّاتٍ) نصباً عطفاً على (نَبَات)، وقرأ الأعشى عن عاصمٍ: (وَجَنَّاتٌ) بالرفعِ نَسَقاً على قولِه: (قِنْوَانٌ)[١].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/٤٩)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٣٠٠).

﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ أي: وأخرَجْنا شجرَتَهما.

﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ المعنى: مشتبهاً ورقُهما، مختلفاً ثمرُهما؛ لأنَّ ورقَ الزيتونِ يشبهُ ورقَ الرمان.

﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (ثُمُرِهِ) بضمِّ الثاء والميم على جمع الثمار، والباقون: بفتحهما على جمع الثمرة[(١)].

﴿ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ إذا خرجَ ثمرُه لا يكادُ ينتفعُ به.

﴿ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ نضجِه كيفَ يعودُ فخماً ذا نفعٍ ولذةٍ.

وأما الحكمُ في بيعِ الثمرةِ منفردةً عن الشجرِ، فإذا بدا صلاحُها، جازَ بيعُها مطلَقاً، وبشرطِ التبقيةِ، وبشرطِ القطعِ عندَ الثلاثةِ، وعندَ أبي حنيفةَ يجبُ القطعُ في الحالِ، فإذا شرطَ التبقيةَ، بطلَ البيعُ، وإذا لم يبدُ صلاحُها، يجوزُ بيعُها إذا كانت منتفعاً بها بشرطِ القطعِ في الحال، فإن باعَ بشرطِ التبقية بطلَ البيعُ بالاتفاق، وإن لم يشترط القطعَ، بطلَ عندَ الثلاثة، وقال أبو حنيفةَ: البيعُ صحيحٌ، ويؤمرُ بالقطعِ.

وأما الزرعُ إذا اشتدَّ حَبُّهُ، صحَّ بيعُه عند الثلاثةِ، وعندَ الشافعيِّ لا يصحُّ بيعُه دونَ سنبُلِهِ، ولامعَهُ في الجديدِ.

إذا أصابتِ الثمارَ جائحةٌ بأمرٍ سماويٍّ، وهي التي لا صنعَ لآدميٍّ فيها، فهي من ضمانِ المشتري عندَ أبي حنيفةَ، والشافعيُّ لا يجبُ له وضعَ شيءٍ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠١).

من الثمن، وعند مالكٍ إن أتلفتِ الجائحةُ ثلثَ الثمرةِ فصاعداً، سقطَ عن المشتري بقدرِ ما تَلِفَ، وإن كان دونَ الثلث، لم يرجعْ على البائع بشيء، وعند أحمدَ إن تلفتْ أو بعضُها ولو بعدَ قبضِها وتسلُّمِها رجعَ على البائع ما لم يشترِها مع أصلها، ويؤخِّرْها عن وقتِ أخذِها المعتاد، ولكن يسامحُ في الشيء اليسير الذي لا ينضبطُ، ولو تعَيَّنَتْ به، خُيِّرَ بينَ الإمضاءِ مع الأَرْشِ، وبين الردِّ وأخذِ الثمنِ كاملاً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تنبيهٌ وتذكيرٌ، ونزلَ توبيخاً لمن أشركَ باللهِ، وردّاً عليه.

***

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ يعني: الكافرينَ صَيَّروا الجنَّ شركاءَ لله.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يعني: وهو خلقَ الجنَّ.

﴿وَخَرَقُوا۟﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَخَرَّقُوا) بتشديدِ الراءِ على التكثير، وقرأ الباقون: بالتخفيف؛ أي: اختلقوا[1].

﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل تخرُّصاً؛ كقولِ اليهود: عُزيرٌ ابنُ اللهِ، وقولِ النصارى: المسيحُ ابنُ اللهِ، وقولِ كفارِ العربِ: الملائكةُ بناتُ الله، ثم نَزَّهَ نفسَهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٣).

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من وصَفْهِم الفاسدِ المستحيلِ عليه تبارَكَ وتعالى.

* * *

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾.

[١٠١] ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ أي: مبدِعُهما لا على مثالٍ سبقَ.

﴿ أَنَّىٰ ﴾ أي: كيف.

﴿ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ ﴾ زوجةٌ.

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ ﴾ من المخلوقاتِ مع عدمِ حاجتِه إليها. قرأ أبو عمرٍو: (وَخلَقَ كُّلَ شَيْءٍ) (وَخلَقَ كُّلَّ دَابَّةٍ) وشبهَه بإدغامِ القافِ في الكاف حيثُ تحرَّكَ ما قبلَها، فإن سكن ما قبلَها، لم يدغمها، نحو قوله: ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٧٦] وشبهِه.

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ لا تخفى عليه خافية.

* * *

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ ﴾.

[١٠٢] ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ إشارةٌ إلى الموصوفِ بما سبقَ من الصفاتِ، وهو مبتدأٌ.

﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أخبارٌ مترادفةٌ، تلخيصُه: ذلكُمُ اللهُ المنعوتُ بهذهِ النعوتِ لا يجوزُ أن يُعْبَدَ غيرُه.

﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ فأطيعوهُ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ رقيبٌ على أعمالِكم، فيجازيكم عليها.

***

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تحيطُ به.

﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ﴾ لا يفوتُه منها شيءٌ، فيبصرُ ما لا يبصرُ خلقُه، وخلقُهُ لا يُبصرون ما يُبصرُ، والمعتزلةُ يتمسَّكون بظاهرِ هذهِ الآية في نفي رؤيةِ الله عز وجل، ومذهبُ أهلِ السنةِ إثباتُ رؤيتِه سبحانَه في الآخرةِ، جاء به القرآنُ والسنةُ، وعليه اتفاقُ الأئمة، قال الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وقال في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَياناً»(١)، وقالَ مالكٌ: لو لم يرَ المؤمنونَ ربَّهم يومَ القيامةِ، لَمْ يُعَيِّروا الكفارَ بالحِجابِ، وقال أبو حنيفةَ: واللهُ تعالى يُرَى في الآخرةِ، يراهُ المؤمنونَ في الجنة بأعينِ رؤوسِهم بلا شُبهةٍ ولا كيفيةٍ، ولا يكونُ بينَه وبينَ خلقه مسافةٌ، وقال الشافعيُّ: لما حُجبَ قومٌ بالسخطِ، دلَّ على أن قوماً يرونه بالرِّضا، وقال أحمدُ: إنَّ الله تعالى يتجلَّى

---

(١) رواه البخاري (٦٩٩٨)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، عن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

في القيامةِ لعبادِه الأبرارِ، فيرونَهُ بالعيونِ والأبصار.

﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ الرفيقُ بعبادِه.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم.

* * *

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾ حُجَجٌ.

﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ تُبصرون بها الهدى من الضلالة.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ أي: عرفَها، وآمنَ بها.

﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عملَ.

﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنها، فلم يصدِّقْها.

﴿فَعَلَيْهَا﴾ فعلى نفسِه، ولها خسرَ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أحفظُ عليكم أعمالَكم، إنْ عليَّ إلا البلاغُ.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نُبيِّنُها.

﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ أي: لئلا يقولوا.

﴿دَرَسْتَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: بألفٍ بعدَ الدالِ وإسكانِ السينِ

وفتحِ التاء؛ يعني: قرأتَ، وقرئَ عليكَ؛ أي: قارأتَ أهلَ الكتاب بأن أعنتَهم وأعانوك، نحو: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، **وقرأ** الكوفيون، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ: (دَرَسْتَ) بغير ألف وإسكانِ السين وفتح التاء؛ أي: قرأتَ كتبَ الأولين وجئتَ بالقرآنِ منها، **وقرأ** ابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (دَرَسَتْ) بغير ألفٍ وفتحِ السينِ وإسكانِ التاءِ؛ أي: انمحَتِ الأخبارُ التي تأتينا بها(١).

﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ أي: القرآنَ.

﴿لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ الحقَّ من الباطلِ، فيسعدُ قومٌ، ويشقى آخرون.

* * *

﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾.

[١٠٦] ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ بالتديُّن به.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: منفرداً.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ لا تجادِلْهُمْ.

* * *

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ توحيدَهُمْ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٤-٣٠٥).

﴿مَآ أَشۡرَكُواْۗ﴾ وهو دليلٌ على أنه تعالى لا يريدُ إيمانَ الكافرِ.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ﴾ مُراعِياً أعمالَهم.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ مسلَّطٍ على إكراهِهم على الإسلامِ.

***

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾.

[١٠٨] قال قتادة: كانَ المسلمون يَسُبُّونَ أوثانَ الكفار، فنهاهم الله عن ذلك؛ لئلا يسبوا اللهَ؛ لأنهم قومٌ جَهَلَةٌ، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي: المدعُوِّينَ آلهةً.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا﴾ اعتداءً وظلماً.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ بجهلٍ. قرأ يعقوبُ: (عُدُوّاً) بضمِّ العين والدال وتشديد الواو[١]، فلما نزلتْ قالَ ﷺ: «لا تَسُبُّوا رَبَّكُمْ»، ونهُوا عن سبِّ الآلِهة[٢]، وإنْ كانَ طاعةً؛ لإفضائِه إلى مفسدةٍ أعظمَ منه، قال القرطبيُّ في «تفسيره»: إنَّ الحكمَ بالنهيِ باقٍ في هذهِ الأمةِ، فمتى خِيفَ أنَّ الكافرَ يسبُّ الإسلامَ والنبيَّ ﷺ واللهَ جَلَّ جلالُه، فلا يحلُّ لمسلمٍ أن يسبَّ دينَهم،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٧).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٣).

ولا صُلْبانَهم، ولا كنائِسَهُم، ولا يتعرَّضَ إلى ما يؤدِّي إلى ذلك[1].

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما.

﴿زَيَّنَّا﴾ لهؤلاء المشركين عبادةَ الأوثانِ وطاعةَ الشيطانِ.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ منَ الكفارِ.

﴿عَمَلَهُمْ﴾ وفيه ردٌّ على القدرية.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبةِ والمجازاةِ عليه.

* * *

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾.

[١٠٩] ولما طلبتْ قريشٌ منه ﷺ نزولَ الملائكةِ، وإحياءَ الموتى، وجَعْلَ الصَّفا ذهباً، وحلفوا أنهم يؤمنونَ عند ذلك، وكان المؤمنون يحبون ذلك ليؤمنَ المشركون، نزل:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مجتهدينَ في الحلفِ.

﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ يا محمدُ.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ لا عندي، وهو القادرُ على المجيء بها، لا أنا.

﴿وَمَا﴾ استفهامٌ مبتدأ، خبرُه:

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٦١).

﴿ يُشْعِرُكُمْ ﴾ أي: يدريكم أيها المؤمنون. رُوي عن أبي عمرٍو: (يُشْعِرْكُمْ) بإسكانِ الراء، وروي عنهُ باختلاسها، **وقرأ** الباقون: بإشباع الحركة، وتقدم في سورة البقرة[1].

﴿ أَنَّهَآ ﴾ أي: الآيةَ المقترحةَ.

﴿ إِذَا جَآءَتْ ﴾ الكفار[2].

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بها؛ لسبق علمِه بعدمِ إيمانهم. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وخلفٌ، وعاصمٌ بخلافٍ عن راويه أبي بكرٍ (إِنَّهَا) بكسرِ الألف على الابتداء، وقالوا: تمَّ الكلامُ عندَ قوله: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ)، **وقرأ** الباقونَ: بفتح الألف بمعنى لعلَّ، **وقرأ** ابنُ عامرٍ: (لا تُؤْمِنُونَ) بالتاءِ على خطاب الكفار، والباقون: بالياء على الخبر[3].

***

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ أي: نحولُ بينهم وبينَ الإيمان، فلا يؤمنونَ عندَ نزول الآيات.

﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ ﴾ أي: بما جاءهم.

---

(١) عند تفسير الآية (٦٧)، وانظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٦، ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٨).

(٢) «الكفار» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٠٨_٣٠٩).

﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من الآياتِ؛ كانشقاقِ القمرِ وغيرِه.

﴿وَنَذَرُهُمْ﴾ ندعُهم.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضَلالَتِهم.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتمادَوْنَ عَمَهَةً لا يبصرون.

* * *

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ فرأَوهم عياناً.

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما طَلَبوا.

﴿وَحَشَرْنَا﴾ جميعاً.

﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ طلبوهُ.

﴿قُبُلًا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: معاينةً، وقرأ الباقونَ: بضمهما؛ أي: أولاً[(١)].

﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلكَ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أنهم لو أوتوا بكلِّ آيةٍ، لم يؤمنوا، فيحلفون أنهم يؤمنونَ عندَ نزولِ الآياتِ، أو المؤمنون يجهلونَ أن الكافرينَ لا يؤمنون، فيطلبون نزولَ الآياتِ طمعاً في إيمانهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١١).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ثم سُلِّيَ رسول الله(١) ﷺ فقيلَ له:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ [أي: كما جَعْلنا لك أعداءً، فكذلكَ جعلْنا لمن تقدَّمَكَ من الأنبياء، ثم فَسَّرَهُمْ فقال:](٢)

﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ وللإنس شياطينُ كما أن للجنِّ شياطينَ، وكلُّ عاتٍ شيطانٌ، قال ﷺ لأبي ذرٍّ: «هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؟»، قال: وهل للإنسِ من شياطين؟! قال: «نَعَمْ، هُمْ شَرٌّ مِنْ شَياطينِ الْجِنِّ»(٣).

﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: يوسوس ويلقي شياطينُ الجنِّ إلى شياطينِ الإنسِ، وبالعكسِ.

﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ مموَّهَ لا معنى تحتَه.

﴿ غُرُورًا ﴾ خدعاً.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي: الإيحاءَ من الزخرفةِ والغرورِ وعداوةِ الأنبياءِ.

---

(١) «رسول الله» سقطت من «ظ».

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من «ت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٧٢١)، (٤٧٢١)، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ أمرٌ فيه معنى التهديد.

* * *

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ ﴾ لتميلَ.

﴿ إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى زخرفِ القولِ.

﴿ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾ لأنفسِهم.

﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ ﴾ يكتسِبوا.

﴿ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ من الذنبِ.

* * *

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: قل لهم يا محمد: أفغيرَ الله.

﴿ أَبْتَغِى ﴾ أطلبُ.

﴿ حَكَمًا ﴾ قاضياً بيني وبينكم؛ لأنهم قد طلبوا منه قاضياً يقضي بينهم وبينَه، فأجابهم به.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ أي: القرآنَ.

﴿ مُفَصَّلًا ۚ ﴾ أي: مُبيَّناً فيه الحقُّ من الباطلِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: علماءَ اليهودِ والنصارى الذين آتيناهم التوراةَ والإنجيلَ.

﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (مُنَزَّلٌ) بالتشديد مبالغة؛ لأنه نزلَ نجوماً متفرقةً، وقرأ الباقون: بالتخفيف، من الإنزال؛ لأنه نزلَ مرة واحدة إلى بيتِ العزة(١)، والمعنى: العالمون يعلمون أن القرآنَ منزلٌ من ربِّكَ.

﴿بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّينَ في أنهم يعلمون ذلك.

* * *

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالوعدِ والوعيدِ. قرأ الكوفيون، ويعقوبُ: (كَلِمَةُ) على التوحيد، والباقون: (كَلِمَاتُ) بالجمع(٢).

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ فيما وعدَ، وعدلاً فيما حكمَ.

﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا رادَّ لقضائِه، ولا مُغيِّرَ لحكمِه.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقولون.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يُضمرون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٣).

(٢) المصادر السابقة عدا «السبعة» لابن مجاهد.

﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: الكفارَ.

﴿ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ يَصْرِفوكَ عن دينِه.

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ وهو ظنُّهم أن آباءهم كانوا على الحقِّ.

﴿ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ يَحْزِرون.

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ ﴾ و(من) في محل نصب بنزع حرف الصفة؛ أي: بـ(مَنْ يَضِلُّ)، أو في محلٍّ رفعٍ بالابتداء، ولفظُه لفظُ الاستفهام، والمعنى: إن ربك هو أعلمُ أَيّ الناسِ يَضِلُّ عن سبيلِهِ.

﴿ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ أي: أعلمُ بالفريقين، فيجازي كلاًّ بما يستحقُّه.

* * *

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ أي: كلوا مما ذُبح على اسمِ الله.

﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾ وذلك أنهم كانوا يُحَرِّمون أصنافاً من النَّعمِ، ويُحِلُّون الأموات.

* * *

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ثم وَبَّخَهم على تركِ الأكلِ منه فقالَ:

﴿ وَمَا لَكُمْ ﴾ وأيُّ مانعٍ لكم من.

﴿ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ ﴾ شيئاً.

﴿ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ من الذبائحِ.

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو: بضم الفاءِ والحاءِ وكسرِ الصادِ والراءِ على غير تسمية الفاعل؛ لقوله: (ذُكِرَ)، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (فَصَّلَ) و(حَرَّمَ) بالفتح فيهما؛ أي: فَصَّلَ اللهُ ما حرَّمَه عليكم؛ لقولِه (اسمُ اللهِ)، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ: (فَصَّلَ) بالفتح، و(حُرِّمَ) بالضم[(١)]، وأرادَ بتفصيل المحرمات ما ذُكر في قولِهِ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ [المائدة: ٣].

﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ من هذه الأشياءِ؛ فإنه حلالٌ لكم عندَ الاضطرار. قرأ أبو جعفرٍ بخلافٍ عنهُ: (اضْطِرِرْتُمْ) بكسرِ الطاء[(٢)].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦، ٢٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥).

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ ﴾ قرأ الكوفيون: بضم الياء؛ أي: يُضِلُّون غيرَهم، وقرأ الباقون: بالفتحِ؛ أي: يَضِلُّون هم(١).

﴿ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ بِتَشَهِّيهم من غيرِ تعلُّقٍ بدليلٍ يفيدُ العلمَ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ الذين يجاوزونَ الحلالَ إلى الحرام.

* * *

﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ سِرَّهُ وعلانيتَهُ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ ﴾ في الآخرةِ.

﴿ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ﴾ يكتسبون(٢) في الدنيا.

* * *

﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾.

[١٢١] ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ من الميتاتِ وما في معناها من المنخنقةِ وغيرِها، وما ذُبح على اسمِ غيرِ الله.

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: الأكلُ منه.

﴿ لَفِسْقٌ ﴾ لمعصيةٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥).

(٢) في «ن»: «يكسبون».

واختلف الأئمةُ في ذبيحةِ المسلمِ إذا لم يذكرِ اسمَ اللهِ عليها، فقال الشافعيُّ: تحلُّ، سواءٌ تركَ التسميةَ عامداً أو ناسياً؛ لأن التسميةَ عنده سنةٌ، وقال الثلاثة: إنْ تركَها عمداً، لم تحلَّ، وإن تركها ناسياً، حلَّتْ، وتقدم اختلافُهم في التسميةِ على الصيدِ والذبيحةِ أيضاً في سورةِ المائدةِ عندَ تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: ٤].

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ ليوسْوِسونَ.

﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ المشركين.

﴿لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ بقولِهم: تأكلونَ ما قتلتُم أنتم وجوارُحُكم، وتدعونَ ما قتلَه الله؟! يعنونَ الميتة.

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ في أكلِ الميتةِ.

﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ فيه دليلٌ على أن من أحلَّ شيئاً مما حرَّمَ الله، وحرَّم شيئاً مما أحلَّ الله، فهو مشركٌ.

***

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

[١٢٢] ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفرِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (مَيِّتاً) بالتشديدِ، والباقون: بالتخفيف(١).

---

(١) وقد تقدم. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» للداني =

﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ هدَيناهُ.

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا ﴾ أي: الإيمانَ.

﴿ يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ بينَهم متبصِّراً به[1]، فيعرفُ الحقَّ من الباطلِ.

﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ أي: كمن هو في الظلماتِ.

﴿ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ يعني: في ظلمةِ الكفرِ.

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الكفرِ والمعصيةِ.

قال ابنُ عباسٍ: «﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا ﴾ يريدُ: حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه، ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ يريدُ: أبا جهلِ بنَ هشامٍ، وذلك أن أبا جهلٍ رَمَى رسولَ اللهِ ﷺ بفَرْثٍ، فأُخبرَ حمزةُ بما فعل أبو جهلٍ وهو راجعٌ من قَنْصِهِ، وبيدِه قوسٌ، وحمزةُ لم يؤمنْ بعدُ، فأقبلَ غضبانَ حتى علا أبا جهلٍ بالقوسِ وهو يتضرَّعُ إليه ويقولُ: يا أبا يَعْلَى! أَما تَرى ما جاءَ به؟ سَفَّهَ عقولَنا، وسبَّ آلهتَنا، وخالفَ آباءنا! فقال حمزةُ: ومَنْ أسفهُ منكم؟! تعبدونَ الحجارةَ من دونِ اللهِ! أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله، فأنزلَ الله هذه الآيةَ»[2].

* * *

= (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٥).

(١) «به» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٤).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ أي: كما أن فُسَّاقَ مكةَ أكابرُها، كذلك جعلْنا فساقَ كلِّ قريةٍ أكابرَها؛ أي: عظماءها، جمع أكبر، وخَصَّ الأكابرَ بالذِّكر؛ لأنهم الصادُّونَ عن الدين، ثم قالَ معللاً:

﴿ لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ ﴾ بالصدِّ عن الإيمان، ورميِ النبيِّ ﷺ بالكذبِ والسحرِ.

﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ لأن وبالَ كفرِهم راجعٌ عليهم.

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك.

* * *

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾.

[١٢٤] ولما قالَ الوليدُ بنُ المغيرةِ: لو كانتِ النبوةُ حقاً، لكنتُ أَوْلى بها منك؛ لأني أكبرُ منكَ سناً، وأكثرُ منكَ مالاً، فقال أبو جهل: واللهِ لن نرضى به، ولن نَتَّبعه أبداً إلاَّ أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزل:

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ ﴾[١] حجةٌ على صدقِ محمدٍ ﷺ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦١).

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ من النبوةِ، وتقدَّم الكلامُ على تغليظِ اللامِ من اسمِ الله في قوله (رُسُلُ اللهِ) وشبهِه في أولِ سورةِ الفاتحةِ، ثم استأنفَ منكِراً أنهم لا يصلُحون للرسالة فقالَ:

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ: (رِسَالَتَهُ) بحذفِ الألفِ بعد اللام ونصبِ التاءِ على التوحيد، وقرأ الباقون: بالألف وكسر التاء على الجمع(١)؛ يعني: اللهُ أعلمُ بمن هو أحقُّ بالرسالةِ، ثم قال متهدِّداً:

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ من الكفار.

﴿صَغَارٌ﴾ أشدُّ الذلِّ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة.

﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ الأسرُ والقتلُ ثم النار.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

[١٢٥] ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾ ينوِّرْ قلبَهُ ويفتحْهُ.

﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فيتَّسعُ به، ويفسح فيه مجاله.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٦).

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (ضَيْقاً) بالتخفيف، والباقونَ: بالتشديد.

﴿حَرَجًا﴾ وهما لغتان؛ مثل: هَيْن، وهَيِّن، حَرَجاً: أشدَّ الضيقِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ: بكسرِ الراء، والباقون: بفتحِها، وهما لغتانِ أيضاً؛ مثل: الدَّنَف، والدَّنِف؛ يعني: لا ينورُ قلبَه، ولا يفتحُه لقبولِ الإسلام.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ (يَصْعَدُ) بإسكانِ الصادِ وتخفيفِ العينِ من غيرِ ألفٍ، من الصعودِ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَصَّاعَدُ) بفتحِ الياءِ والصادِ مشدَّدةً وألفٍ بعدَها وتخفيفِ العينِ؛ أي: يتصاعَدُ، وقرأ الباقون: بتشديدِ الصادِ والعينِ من غيرِ ألفٍ؛ أي: يَتَصَعَّدُ[1]؛ يعني: يَشُقُّ عليه الإيمانُ كما يشقُّ عليه صعودُ السماء، وأصلُ الصُّعودِ: المشقةُ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا الجعلِ.

﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي: العذابَ.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأصلُ الرِّجْسِ في اللغة: النتنُ.

* * *

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: الذي أنتَ عليهِ يا محمدُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢-٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٦-٣١٨).

﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ الطريقُ الذي ارتضاه.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ لا اعوجاجَ فيه.

﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعلمونَ أن القادرَ هو اللهُ.

* * *

﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

[١٢٧] ﴿۞ لَهُمْ﴾ أي: المتذكِّرينَ.

﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الجنةُ؛ لأن كلَّ من دخلَها سَلِمَ من البلاء والرزايا.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونةٌ لهم عندَه أن يوصِلَهم إليها بفضله.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ ناصرُهم.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ يتولاَّهم في الدنيا بالتوفيق، وفي الآخرةِ بالجزاء.

* * *

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

[١٢٨] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: واذكرْ يومَ نحشرُهم جميعاً. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: (يَحْشُرُهُمْ) بالياء، والباقون: بالنون[1].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: ثم يقالُ: يا معشرَ الجنِّ؛ أي: الشياطينِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٨).

﴿ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ ﴾ أي: من إغوائِهم.

﴿ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم ﴾ أي: أولياءُ الشياطين.

﴿ مِّنَ ٱلۡإِنسِ ﴾ الذين أطاعوهُم:

﴿ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٍ ﴾ بأن وافقَ بعضُنا ببعض(١).

﴿ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ ﴾ يعني: القيامةَ.

﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ مقامكم.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي: مدةَ العرضِ والحسابِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ ﴾ في أفعالِه.

﴿ عَلِيمٞ ﴾ بأعمالِ الثقلينِ وأحوالِهم.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩ ﴾.

[١٢٩] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا ﴾ نسلِّطُ بعضَهم على بعض.

﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ من الكفرِ والمعاصي.

* * *

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾.

[١٣٠] ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ أي: يومَ نحشرُهم نقولُ:

---

(١) في «ت» و«ن»: «بعض بعضاً».

﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ ومعنى منكم: في الخلقِ والتكليفِ والمخاطبةِ، ولما كانتِ الجنُّ ممن يخاطَبُ ويعقلُ، قال: (منكم)، وإن كانتِ الرسلُ من الإنسِ، وغُلِّبَ الإنسُ في الخطابِ كما يغلَّبُ المذكَّرُ على المؤنث، ورُوي أن اللهَ تعالى أرسلَ رُسُلاً من الجنِّ كما أرسلَ من الإنسِ؛ لظاهرِ الآيةِ.

﴿ يَقُصُّونَ ﴾ يقرؤون.

﴿ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ كتبي.

﴿ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

﴿ قَالُواْ ﴾ جواباً.

﴿ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ ﴾ أنهم قد بلغوا.

﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ﴾ خدَعَتْهم.

﴿ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وظَنُّوا أنها تدومُ، فلم يؤمنوا.

﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ ذمَّهم على سوءِ نظرِهم وخطأ رأيهم.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾.

[١٣١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورُ من بعثِ الرسلِ والتعذيبِ.

﴿ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ ﴾ أي: لم يهلكْ قريةً بشِرْكٍ.

﴿ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ لم يُنْذَرُوا ببعثِ رسلٍ تنذرُهم.

* * *

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

[١٣٢] ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من العاملين.

﴿ دَرَجَٰتٌ ﴾ جزاءٌ.

﴿ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ ﴾ من الثوابِ والعقابِ.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ فيخفى عليه عمل. قرأ ابنُ عامرٍ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب(١).

* * *

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن خلْقِه.

﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾ بأوليائه.

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ يُهْلِككم، وعيدٌ لأهلِ مكةَ.

﴿ وَيَسْتَخْلِفْ ﴾ ينشىء.

﴿ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾ خَلْقاً غيرَكم أمثلَ وأطوعَ.

﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ يعني: أباءهم الماضين.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣١٩).

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ١٣٤ ﴾.

[١٣٤] ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من مجيءِ الساعةِ.

﴿ لَآتٍ ﴾ كائنٌ، رُوي عن قنبل، ويعقوب: بالوقف بالياء على (لآتِي).

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ بغائبينَ.

* * *

﴿ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥ ﴾.

[١٣٥] ﴿ قُلۡ ﴾ يا محمدُ:

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ ﴾ تمكُّنكم. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَكَانَاتِكُمْ) بالجمع؛ أي: حالاتكم، وقرأ الباقون: بالأول(١)، وهذا أمرُ وعيدٍ على المبالغةِ.

﴿ إِنِّي عَامِلٞ ﴾ ما أمرَني به ربي.

﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ ﴾ أي: الجنة. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالياءِ على التذكير؛ لأن تأنيثَ العاقبةِ غيرُ حقيقي، والباقون: بالتاء لتأنيث العاقبة(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٠).

(٢) المصادر السابقة.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: لا ينجحُ سعيُهم.

***

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي: مشركو العرب.

﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلقَ.

﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ وذلك أنهم كانوا يجعلونَ نصيباً من زُروعهم وأنعامِهم لله، ونصيب منها لأصنامِهم، فنصيبُ اللهِ للضيفانِ والمساكينِ، ونصيبُ آلهتهم لخدمِها، فما سقطَ بهبوبِ الريحِ ونحوِه من نصيبِ الله في نصيبِ آلهتهم تُرِكَ، وقالوا: إنَّ اللهَ غنيٌّ عن هذا، وما سقطَ من نصيبِ آلهتِهم في نصيبِ الله رُدَّ، ويقولون: هي محتاجة. قرأ الكسائيُّ: (بِزُعْمِهِمْ) بضم الزاي، والباقون: بفتحها، وهما لغتان[1]، وقولُه: (بزعمهم) تنبيهٌ على أنَّ ذلك مما اخترعوه، لم يأمرهم به اللهُ.

﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى الجهاتِ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢١).

التي كانوا يَصْرِفون نصيبَ اللهِ إليها.

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ﴾ إلى ما كانوا يصرفون نصيبَهم إليهم.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئسَ ما يقضونَ.

***

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

[١٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلكَ التزيينِ في قسمةِ القُرُبات.

﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾.

قراءة العامَّة: (زَيَّنَ) بفتحِ الزاء والياء ونصبِ (قَتْلَ) مفعولاً صريحاً، وجرِّ (أَوْلادِهِمْ) إضافة، ورفعِ (شُرَكَاؤُهُمْ) فاعل (زَيَّنَ)؛ أي: شياطينُهم حَسَّنوا لهم وَأْدَ البناتِ، وهو دَفْنُهُنَّ في حياتهن خيفةَ العيلةِ، وقرأ ابنُ عامرٍ: بضمِّ الزاي وكسرِ الياء مجهولاً، ورفعِ (قَتْلُ) ونصبِ دالِ (أَوْلادَهُمْ)، وخفضِ همزةِ (شُرَكَائِهِمْ) بإضافةِ (قتل) إليه[١]، كأنه قال: زُيِّنَ لكثيرٍ من المشركين قَتْلُ شركائِهم أولادَهم، فُصِلَ بينَ الفعلِ وفاعلِه بالمفعول به، وهم الأولادُ، وأُضيفَ الفعلُ وهو القتلُ إلى الشركاء، وإن لم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨ـ٦٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٥٣ـ٤٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢١ـ٣٢٢).

يتولَّوا ذلك؛ لأنهم الذين زينوا ذلكَ، ودَعَوا إليه، فكأنهم فعلوهُ، وقد اعترضَ الزمخشريُّ في «كَشَّافه» على ابنِ عامرٍ في قراءته[1]، فردَّ ابنُ الجزريِّ اعتراضَه في كتابِه «النَّشْر»، وصَوَّبَ قراءةَ ابنِ عامرٍ، وكذلكَ الكواشي في «تفسيرِه»، وكلٌّ منهما أشبع[2] الكلامَ في ذلك.

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليُهلكوهم.

﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ ليَخْلِطوا.

﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ويُدْخِلوا عليهم الشكَّ فيه.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ بيَّنَ أن كفرَهم بمشيئة الله تعالى، وهو ردٌّ على القدريةِ.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ يا محمدُ.

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكذبِ؛ فإن الله لهم بالمرصادِ.

* * *

﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)﴾.

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين.

﴿هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ أي: حَرامٌ، المعنى: إنهم كانوا يُعَيِّنون أشياءَ لآلِهتهم، ويُحَرِّمونها، ويقولونَ:

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٦٦).

(٢) في «ن»: «شنع».

﴿ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ ﴾ من النساءِ والرجالِ.

﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾ قرأ الكسائيُّ: بضمِّ الزاي كما تقدم.

﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ وهي البحائرُ والسوائبُ والحوامي، وتقدَّمَ تفسيرُها في سورة المائدة.

﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ وهي قربانُ آلِهتهم.

﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾ لأن ما قالوه تقوُّلٌ عليه.

﴿ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: بسببه.

***

﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) ﴾.

[١٣٩] ﴿ وَقَالُوا۟ مَا ﴾ أي: الذي.

﴿ فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ كانوا يقولون في أَجنَّةِ البحائرِ والسوائبِ: ما وُلد حياً، هو خالصٌ للذكور، وأَنَّثَ (خَالِصَةٌ) للتأكيد كالخاصَّةِ والعامَّةِ.

﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ ﴾ أي: نسائِنا.

﴿ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً ﴾ أي: ما وُلد مَيْتاً، اشتركَ فيه الرجال والنساء[١] الإناثُ والذكور. قرأ ابنُ كثيرٍ: (يَكُنْ) بالياءِ على التذكير (مَيْتَةٌ) بالرفع؛

(١) «الرجال والنساء» زيادة من «ن».

لأن المرادَ بالميتةِ الميتُ؛ أي: وإن وقعَ في البطونِ ميتٌ. **وقرأ** أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (تَكُنْ) بالتاءِ على التأنيثِ (مَيْتَةٌ) بالرفع، ذكر الفعل بعلامة التأنيث؛ لأن الميتةَ في اللفظِ مؤنثةٌ، وأبو جعفرٍ: على أصلِه في تشديد الياء، **وقرأ** أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (تَكُنْ) بالتأنيثِ (مَيْتَةً) نصبٌ؛ أي: وإن تكنِ الأجنةُ ميتةً، **وقرأ** الباقون: (وَإِنْ يَكُنْ) بالياء على التذكير (مَيْتَةً) نصبٌ، ردَّه إلى (ما)[1]؛ أي: وإنْ يكنْ ما في البطونِ ميتةً، يدلُّ عليه أنه قال:

﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ ولم يقل: فيها، وأرادَ: أن الرجالَ والنساءَ فيهِ شركاءُ.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: جزاءَ وصفِهم للكذبِ على الله.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في عذابِهم.

﴿عَلِيمٌ﴾ بأقوالهم.

***

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ﴾ **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٥ـ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٤ـ٣٢٥).

(قتّلُوا) بالتشديدِ على التكثير، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿سَفَهًا﴾ جهلاً.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ نزلتْ فيمن كان يئدُ[2] البناتِ أحياءً مخافةَ السبي والفقرِ.

﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ يعني: البحيرةَ والسائبةَ والوصيلةَ والحام.

﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ حيثُ قالوا: الله أمرنا بذلك.

﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحقِّ.

* * *

﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾.

[١٤١] ﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ بساتينَ[3].

﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ كالكرمِ ونحوِه.

﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ كالنخلِ ونحوِه.

﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ أي: ثمرُه وطعمُه. قرأ نافعٌ، وابنُ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٦).

(٢) في «ت» و«ظ»: «يبيد».

(٣) بساتين» ساقطة من «ن».

كثيرٍ: (أُكْلُهُ)[1] بإسكانِ الكاف، والباقون: بتحريكها.

﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ في المنظرِ[2].

﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ في الطعمِ؛ مثل الرمانينِ، ولونهما واحدٌ، وطعمُهما مختلفٌ.

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أمرُ إباحة. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (ثُمُرِهِ) بضمِّ الثاء والميم، والباقون: بفتحهما[3]، وتقدَّمَ تفسيرُ القراءتين في السورة.

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ هي الزكاةُ المفروضةُ إن جعلت[4] الآيةَ مدنيةً، وإن جعلتها مكية، فالمرادُ بحقِّه ما يُتَصَدَّقُ به على المساكين وقتَ الحصاد، والقولانِ منقولان، وكان ذلك واجباً، فنسخ بالزكاة. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: (حَصَادِهِ) بفتح الحاء، والباقون: بكسرها، ومعناهما واحد[5].

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ في التصدُّقِ بإخراج جميعِ المال؛ كقوله: ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

---

(١) «أكله» ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: «النظر».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣، ١٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠، ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٦).

(٤) في «ن»: «جعلنا».

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٧).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ولا يرتضي فعلَهم في وجوب الزكاة.

واتفقَ الأئمةُ على وجوبِ الزكاةِ في الحبوب كلِّها مما يُقتات به من القمحِ والشعيرِ والأرزِ ونحوِه، وعند مالكٍ والشافعيِّ تجبُ من الثمارِ في التمرِ والزبيبِ، وعندَ أبي حنيفةَ وأحمدَ تجبُ فيهما وفي كلِّ مَكيلٍ يُدَّخَرُ؛ كاللوزِ والفستقِ والبندقِ ونحوِها.

واتفقَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ على عدمِ وجوبِها في الفواكهِ والبقولِ والخضراواتِ، وقال أبو حنيفةَ بوجوبها فيها، وافقه[1] صاحباه في الثمار، وخالفاهُ في الخضراوات.

واختلفوا في وجوبها في الزيتونِ، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: تجبُ فيه، وقال الشافعيُّ في الجديدِ وأحمدُ: لا تجب.

واختلفوا في قدرِ النصابِ فيها، فقال أبو حنيفةَ: لا يُعتبر النصاب، وقال[2]: بل يجبُ العشرُ فيما قَلَّ أو كثرَ مما سَقَتْه السماءُ، أو سُقي بها، وما سُقِي بكُلْفةٍ؛ كالدواليبِ والدِّلاءِ وغيرِهما نصفُ العشر، وما سُقِيَ منهما يعتبرُ فيه أكثرُ السنة، فإن استويا، يجبُ نصفُ العشر، وقالَ الثلاثةُ وأبو يوسفَ ومحمدٌ: يعتبر النصابُ وقدرُه بعدَ التصفية في الحبوبِ، والجفافِ في الثمارِ خمسةُ أَوْسُق، والوسقُ ستون صاعاً، والصاعُ: خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ بالعراقيِّ، فيكونُ ذلك ألفاً وستَّ مئةِ رطلٍ عراقيٍّ، وألفاً وأربعَ مئةٍ وثمانيةً وعشرين رطلاً وأربعةَ أسباعِ رطلٍ مصريٍّ، وثلاثَ مئةٍ واثنينِ وأربعينَ رِطْلاً وستةَ أسباعِ رطلٍ دمشقيٍّ، ومئتين وخمسةً وثمانينَ

---

(١) في «ن»: «ووافقه».

(٢) «وقال» زيادة من «ن».

رِطلاً وخمسةَ أسباعِ رطلٍ حلبيٍّ، ومئتين وسبعةً وخمسينَ رطلاً وسُبْعَ رطلٍ قدسيٍّ، إلا الأرزَ والعلسَ؛ نوع من الحنطةِ يُدَّخر في قشره، فنصابُ كلِّ واحدٍ منهما عندَ الشافعيِّ وأحمدَ عشرةُ أوسُقٍ، ومالكٌ لم يستثنِ شيئاً، بل جعل النصابَ في الكلِّ خمسةَ أوسُقٍ.

واتفق القائلونَ باعتبارِ النصاب على أن الواجبَ فيما[1] سُقي بغير مؤنةٍ العشرُ، وفيما سُقي بكلفةٍ نصفُ العُشْرِ؛ كقول أبي حنيفةَ في القليلِ والكثيرِ، وفيما سُقي بهما، بحسابه، فإن سُقِيَ بأحدِهما أكثرَ من الآخر، اعتبر أكثرُهما نفعاً ونمواً للزرع[2].

واختلفوا في وقتِ وجوبِ الزكاةِ، فقال أبو حنيفةَ: عندَ ظهورِ الثمرةِ، وقال أبو يوسفَ: عندَ الإدراكِ، وقال الثلاثةُ: عندَ اشتدادِ الحبِّ وبُدُوِّ الصَّلاحِ في الثمر، ويستقرُّ الوجوبُ بجعلِها في الجرينِ والبيدَرِ والمِسْطاحِ ونحوِها.

واختلفوا في وجوبِ الزكاةِ في العسل، فقال أبو حنيفة: فيه العشرُ، قَلَّ أو كثرَ إذا أُخِذَ من أرض العشرِ، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا زكاة فيه، وقال أحمدُ: فيه العشرُ إذا بلغ نصاباً، ونصابُه عندَهُ عشرة أفراقٍ، كل فرقٍ ستة عشرَ رطلاً عراقيةً، سواءٌ أخذَه من أرضِ العشرِ أو غيرِها. والعشريةُ: ما أسلمَ أهلُها عليها؛ كالمدينةِ ونحوِها، وما اختطَّه المسلمون كالبصرة ونحوِها، وما صولح أهلُه على أنه لهم بخراج يُضْرَبُ عليهم؛ كأرضِ

---

(١) في «ن»: «في».

(٢) في «ن»: «نمو الزرع».

اليمنِ، وما فُتح عَنْوَةً وقُسم، كنصفِ خيبر، وما قطعه الخلفاءُ الراشدون من السوادِ إقطاعَ تمليكٍ.

واختلفوا هل تُضَمُّ الحنطةُ إلى الشعيرِ، والقطنياتُ بعضُها إلى بعضٍ في تكميل النصابِ؟ فأبو حنيفةَ على أصلِه في عدمِ اعتبارِ النصابِ، فيوجبُ الزكاةَ في قليلِه وكثيرِه، وقال مالكٌ: تُضَمُّ الحنطةُ إلى الشعير، والقطاني نوعٌ واحدٌ يضمُّ بعضُها إلى بعض، ويُخرج من كلِّ واحدٍ منها بحسابه، [وقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا يُضَمُّ جنس إلى آخرَ في تكميلِ النصاب][(١)].

واختلفوا في الأرضِ الخراجيَّةِ، وهي التي فُتحت عَنْوَةً، ولم تُقسمْ، وما جلا عنها أهلُها خوفاً منا، وما صُولِحوا على أنها لنا، ونقرُّها معهم بالخرَاج، هل يجتمعُ فيها العشرُ والخراجُ؟ فقال أبو حنيفةَ: لا يجتمعُ، وقالَ الثلاثةُ: يجتمع؛ لأنَّ الخراجَ في رقبتِها، والعشرَ في غَلَّتِها.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

[١٤٢] ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ أي: وأَنْشَأَ من الأنعام.

﴿حَمُولَةً﴾ وهي ما يُحمَلُ عليه من الإبلِ الكبارِ.

﴿وَفَرْشًا﴾ وهي الصغارُ من الإبلِ التي لا تحملُ، سميت بذلك للطافةِ أجسامِها، وقربِها من الفرشِ، وهي الأرضُ المستويةُ التي يطؤها الناس.

﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: مما أحلَّ لكم منه.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: لا تسلُكوا طريقَه في تحريمِ الحرثِ والأنعام. قرأ ابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وقنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (خُطُوَاتِ) بضمِّ الطاء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ظاهرُ العداوةِ.

***

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣﴾.

[١٤٣] ثم بَيَّنَ الَحمولةَ والفرشَ فقال:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ﴾ أي: وأنشأَ من الأنعامِ ثمانيةَ أزواجٍ؛ أي: أعدادٍ، يريدُ: الذكرَ والأنثى، والعربُ تسمي الواحدَ: زوجاً، إذا كانَ لا ينفكُّ عن الآخرِ، أجملَها أولاً، ثم فَصَّلَها ثانياً، فقال:

﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ الكبشَ والنعجةَ، وهي ذواتُ الصوفِ من الغنم.

﴿وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ التيسُ والعنزُ، وهي ذواتُ الشعرِ من الغنم. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ (الْمَعَز) بفتح العين، والباقون: بإسكانها(٢).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦، ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، =

﴿قُلْ﴾ يا محمدُ.

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ عليكم، يعني: ذكرَ الضأنِ والمعزِ.

﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أي: أنثى الضأن والمعز.

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ وما حملَتْ إناثُ الجنسين، ذكراً كان أو أنثى.

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ فسِّروا لي ما حَرَّمتم بتحقيق.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ اللهَ حَرَّمَ ذلك.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤)﴾.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ والكلامُ في الإبلِ والبقرِ كما سبقَ في الضأنِ والمعز. وأجمعَ القراءُ على مدِّ (آلذَّكَرَيْنِ)؛ لأنها همزةُ استفهامٍ دخلَتْ على همزةِ الوصلِ؛ لتفرقَ بينَ الاستفهامِ والخبرِ، وأجمعوا على عدمِ تحقيقِها؛ لكونها همزةَ وصلٍ، وهمزةُ الوصلِ لا تثبت إلا ابتداءً، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته، فقال كثيرٌ منهم: تُبدلُ ألفاً خالصة، وقال آخرون: تُسَهَّلُ بينَ بينَ. معنى الآية: إنكارُ أن اللهَ حَرَّمَ شيئاً

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٢٨).

من جنسَي الغنمِ والإبلِ والبقرِ، وذلك أنهم كانوا يحرِّمون ذكورَ الأنعامِ تارةً، وإناثَها تارةً، وأولادَها تارةً، ويقولون: قد حَرَّمَها الله، فأنكرَ ذلك عليهم.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ الهمزةُ للإنكار، و(أم) بمعنى (بل)، المعنى: بل أكنتم حُضوراً.

﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ التحريمِ، وهذا تجهيلٌ لهم، وتقدَّم اختلافُ القراءِ في الهمزتين من(شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فنسبَ إليه تحريمَ ما لم يحرِّمْ.

﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ والمرادُ: عَمْرُو بنُ لُحَيٍّ ومَنْ تبعَه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

***

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾.

[١٤٥] ثم بَيَّنَ أنَّ التحريم إنما يثبتُ بوحيِ اللهِ وشرعِه، فقال:

﴿قُل﴾ يا محمد:

﴿لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئاً.

﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾ آكلٍ.

﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾ يأكلُه.

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ الحرامُ والمحرَّمُ: هو الممنوعُ عنهُ، وحكمُه

ما يأثم بفعله، ويثاب على تركه بنيةِ التقربِ إلى الله تعالى، **قرأ** أبو جعفرٍ، وابنُ عامر (تكون) بالتاء على التأنيث (ميتةٌ) رفع، أي: إلا أن تقع ميتة، وأبو جعفر على أصله في تشديد الياء. **وقرأ** ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ: (تَكُونَ) بالتأنيث (مَيْتَةً) نصبٌ على تقديرِ اسمٍ مؤنثٍ؛ أي: إلا أن تكونَ النفسُ أو الجثةُ ميتةً، **وقرأ** الباقونَ: بالياء على التذكير (ميتةً) نصبٌ؛ يعني: إلا أن يكونَ المطعومُ ميتةً(١).

﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ مصبوباً.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ حرامٌ.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطفٌ على ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾، وما بينهما اعتراضٌ للتعليل.

﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ذُبح على غيرِ اسمِ الله، وسُمي ما ذُبح على غير اسم الله فسقاً؛ لتوغُّله في الفسقِ.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى أكلِ شيءٍ من هذه المحرماتِ، فأكلَ.

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطرٍ مثلِه.

﴿وَلَا عَادٍ﴾ قدرَ الضرورةِ.

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يُؤاخذه. وتقدَّم اختلافُ القراء في قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ ومذاهبُ الأئمةِ في حكمِ أكلِ الميتةِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ [الآية: ١٧٣].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٠).

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾.

[١٤٦] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ يعني: اليهودَ.

﴿ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ وهو ما ليسَ بمفرَّقِ الأصابعِ؛ كالبطِّ، والإبلِ، والنعامِ، وقيلَ: كلُّ ذي مخلبٍ من الطيرِ، وحافرٍ من الدواب، لما ذكرَ الله عز وجل ما حرَّمَ على أمةِ محمدٍ ﷺ، عَقَّبَهُ بذكرِ ما حَرَّمَ على اليهودِ تكذيباً لهم في قولِهم: إنَّ اللهَ لم يحرمْ علينا شيئاً، وإنما نحنُ حَرَّمنا على أنفسِنا ما حرَّمه إسرائيلُ على نفسِه، وهذا التحريمُ تكليفُ بلوى وعقوبةٍ، فأولُ ما ذكرَ من المحرماتِ عليهم: كلُّ ذي ظفرٍ.

﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ وهي الثروبُ، وشحمُ الكليتين.

﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾ أي: ما علقَ بالظهرِ والجنبِ من داخلِ بطونهما. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وورشٌ، وابنُ عامرٍ، وخلفٌ: (حَمَلَت ظُّهُورُهُمَا) وشبهَه بإدغامِ التاء في الظاء، والباقون: بالإظهار[(١)].

﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ وهي المصارينُ.

﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ هو شحمُ الألية؛ لما فيها من العظم، هذا كله

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣١).

دخلَ في الاستثناءِ، والتحريم مختصٌّ بالثربِ وشحمِ الكلية.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم﴾ أي: تحريمُ الطيباتِ عقوبةٌ لهم.

﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾ بسببِ ظلمِهم؛ لأنها كانت حلالاً لهم، فلما عَصَوا بقتلِهم الأنبياءَ، وأخذِهم(1) الربا، واستحلالِ أموالِ الناسِ، حُرِّمَتْ عليهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أخبرنا.

* * *

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

[١٤٧] ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئتَ به.

﴿فَقُل﴾ استعطافاً لهم.

﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيثُ لم يعاجلْكم بالعقوبةِ.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عقابُه.

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ حينَ ينزلُ.

* * *

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾.

---

(1) في «ن» و«ظ»: «وأخذ».

[١٤٨] ثم أخبر عما هم قائلوه بعدَ لزومِ الحجةِ لهم، فقال:

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ من قبلُ.

﴿ وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ من البَحائرِ والسوائبِ وغيرِها، فكأنهم جعلوا إقامتَهم على الشركِ وتحريمَهم ذلك بمشيئةِ الله، ولم يقولوا هذا القولَ تعظيماً، بلْ سخريةً واستهزاءً وهم مكذِّبون.

﴿ كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا التكذيبِ الذي كذبوكَ.

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأممِ الخاليةِ أنبياءَهم.

﴿ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ عذابَنا المنزلَ عليهم.

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ حجَّةٍ أو دليلٍ على صحةِ دعواكم.

﴿ فَتُخْرِجُوهُ﴾ فتظْهِروه.

﴿ لَنَآ﴾ ليثبتَ ما تدَّعونَ من الشركِ والتحريمِ.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ من غيرِ علمٍ.

﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذِبون.

* * *

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾.

[١٤٩] ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ التامَّةُ على خلقِه بالكتابِ والرسول.

﴿ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولكنْ شاءَ هدايةَ قومٍ وضلالَ آخرين، فيه دليلٌ على أنه لم يشأْ إيمانَ الكافرِ، ولو شاءَ، لهداه.

* * *

﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

[١٥٠] ﴿ قُلْ هَلُمَّ ﴾ كلمةُ دعوةٍ إلى شيءٍ؛ أي: أَحْضِروا.

﴿ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ ﴾ لكم.

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ ﴾ الذي حَرَّمتموه.

﴿ فَإِن شَهِدُواْ ﴾ كاذِبينَ.

﴿ فَلَا تَشْهَدْ ﴾ يا محمدُ.

﴿ مَعَهُمْۚ ﴾ لا تصدِّقْهم، فهذا أمرٌ له ﷺ، والمرادُ غيرُه.

﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ يشركون.

* * *

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

[١٥١] ولما سألوه وقالوا: ما الذي حرم الله تعالى؟ فقال تعالى:

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ ﴾ من العُلُوِّ، وأصلُها أن يقولَها مَنْ هو بمكانٍ عالٍ لمن هو بمكانٍ أخفضَ منه، فاتُّسِعَ فيه بالتعميم، المعنى: جيئوا.

﴿ أَتْلُ﴾ أقرأ.

﴿ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ عليكم يقيناً لا ظناً كما تزعمون.

﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ أي: الزموا تركَ الإشراك، وداوموا على الإسلام.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ أي: وأحسنوا بهم إحساناً.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾ فقرٍ.

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ أي: لا تَئِدُوا بناتِكم خشيةَ العَيْلَة، وكان منهم مَنْ يفعلُ ذلكَ بالإناثِ والذكورِ خشيةَ الفقرِ.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: العلانية.

﴿ وَمَا بَطَنَ ۖ﴾ يعني: السرَّ، وكان أهلُ الجاهليةِ يستقبحون الزنا في العلانية، ولا يَرَون به بأساً في السر، فحَرَّمه اللهُ سراً وعلانية.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ كقتلِ رِدَّةٍ وقصاصٍ أو رجمٍ.

﴿ ذَٰلِكُمْ﴾ الذي ذكرتُ.

﴿ وَصَّىٰكُم﴾ أَمَرَكم.

﴿ بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ترشدُون.

* * *

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾.

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: بما فيه صلاحُه.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ الحلمَ، والأشدُّ جمعُ شَدٍّ، وهو استحكامُ قوةِ شبابهِ، وفي الكلامِ حذفٌ؛ أي: فإذا بلغَ أشدَّه، وأُونِسَ رشدُه، فادفعوا إليه مالَه، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في حكمِ[1] البلوغِ والرشدِ في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [الآية: ٦].

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدلِ.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتَها، المعنى: لِمَ نكلِّفُ المعطيَ أكثرَ مما وجبَ عليه، ولا نكلِّفُ صاحبَ الحقِّ الرِّضا بأقلَّ من حقِّهِ.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ فاصدُقوا في الحكمِ والشهادةِ.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كانَ المقولُ لهُ أو عليه من ذَوي قرابتِكم.

﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ عامٌّ في جميعِ ما عهدَه اللهُ إلى عبادِه.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وحفصٌ، وخلفٌ: (تَذْكُرُونَ) بالتخفيف على حذف إحدى التاءين، والباقون: بالتشديدِ حيثُ وقعَ[2].

---

(١) «حكم» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٢).

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

[١٥٣] ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا ﴾ الذي وُصِّيتُم به.

﴿ صِرَٰطِى ﴾ طريقي.

﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾ مستوياً، ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَإِنَّ هَذَا) بكسرِ الألفِ على الاستئناف، وقرأ الباقونَ بفتحِ الألفِ، تقديرُه: ولأن هذا صراطي مستقيماً، وقرأ ابنُ عامرٍ بسكونِ النونِ، وفتحِ الياءِ من (صِرَاطِيَ) وافقه يعقوبُ في إسكانِ النونِ[١]، واختلف راوياه، فقرأ رويسٌ (سِرَاطِي) بالسين[٢]، وروحٌ: بالصاد.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ الطرقَ المختلفةَ في الأديانِ.

﴿ فَتَفَرَّقَ ﴾ تشتَّتَ.

﴿ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ دينِه الذي ارتضى. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (فَتَّفَرَّقَ) بتشديدِ التاء، والباقون: بالتخفيف[٣].

﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الضلالَ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٥).

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

[١٥٤] ﴿ ثُمَّ ﴾ أي : ثم أخبرُكم أنا .

﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعني : التوراةَ .

﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ أي : إتماماً للنعمةِ عليه ؛ لإحسانه في الطاعة .

﴿ وَتَفْصِيلًا ﴾ بياناً .

﴿ لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ يحتاجُ إليه من شرائعِ الدينِ .

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ هذا في صفةِ التوراة .

﴿ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ كي يؤمنوا بالبعث .

* * *

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ .

[١٥٥] ﴿ وَهَٰذَا ﴾ يعني : القرآنَ .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ كثيرُ النفعِ .

﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ واعملوا بما فيه .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ وأطيعوا .

﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ باتبّاعِه والعملِ به .

* * *

﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ .

[١٥٦] ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ لِئَلاَّ تقولوا:

﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا﴾ يعني: اليهودَ والنصارى.

﴿وَإِن﴾ أي: وقدْ.

﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ﴾ قراءتهم.

﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ لا نعلمُ ما هي.

* * *

﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

[١٥٧] ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾ وقد كانَ جماعةٌ من الكفارِ قالوا: لو أُنزل علينا ما أُنزل على اليهودِ والنصارى، لَكُنَّا خيراً منهم، قال الله تعالى:

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ حُجَّةٌ واضحةٌ بالغةٌ تعرفونها.

﴿وَهُدٗى﴾ بيانٌ.

﴿وَرَحۡمَةٞۚ﴾ نعمةٌ لمن اتبعه، وهو محمدٌ ﷺ.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرضَ.

﴿عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ بشدَّتِهِ.

﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ يُعرِضون.

* * *

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

[١٥٨] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون بعدَ تكذيبِهم الرسلَ، وإنكارِهم القرآنَ.

﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ لقبضِ أرواحِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَأْتِيَهُمُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث(١).

﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ هذا من المتشابِه الذي لا يعلمُ تأويلَه إلا اللهُ.

﴿ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ ﴾ طلوعُ الشمسِ من مَغْرِبِها.

﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ أي: لا ينفعُهم الإيمانُ عندَ ظهورِ الآيةِ التي تَضْطَرُّهم إلى الإيمانِ.

﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا ﴾ السابقِ لظهورِ الآياتِ.

﴿ خَيْرًا ۗ ﴾ توبةً.

﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ يا أهلَ مكةَ.

﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ وعيدٌ لهم، قال ﷺ: «ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَمْ يَنْفَعْ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ: الدَّجَّالُ، والدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ»(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٨)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه =

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

[١٥٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ أي: جعلوا دينَ إبراهيمَ أدياناً مختلفةً، فتهوَّدَ قومٌ، وتنَصَّرَ قومٌ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، (فَارَقُوا) بالألف؛ أي: خرجوا من دينِهم وتركوه، وقرأ الباقون: بغير ألف مشدَّداً على المعنى الأول[١].

﴿ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ صاروا فِرَقاً مختلفةً.

﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ ﴾ أي: لستَ منَ السؤالِ عنهم.

﴿ فِى شَىْءٍ ﴾ والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتالِ.

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يتولَّى جزاءهم.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ إذا وَرَدوا القيامةَ.

* * *

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾.

[١٦٠] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي: عشرُ حسناتٍ فَضْلاً من الله. قرأ يعقوبُ: (عَشْرٌ) منونٌ (أَمْثَالُهَا) رفعٌ على الوصفِ؛ أي: فله

= الإيمان، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٨).

حسناتٌ عشرٌ أمثالُها، وقرأ الباقون: بغير تنوين، وخفضِ (أَمْثَالِهَا) على الإضافة، وحذفتِ الهاءُ من (عَشْر) لتأنيثِ الأمثالِ في المعنى؛ لأن مثلَ الحسنةِ حسنةٌ[1].

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ الثوابِ، وزيادةِ العقابِ.

* * *

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بالوَحْيِ والإرشادِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (هَدَانِي) بالإمالة[2]، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3].

﴿دِينًا قِيَمًا﴾ منصوباً بِمُضْمَرٍ؛ أي: عَرَّفَني ديناً. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: بكسر القافِ وفتحِ الياء خفيفة، والباقون: بفتح القافِ وكسر الياءِ مشدَّدةً، ومعناهما: المستقيم[4].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦ـ٢٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٩).

(٣) كما تقدم. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٩).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، =

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بدلٌ من ديناً. قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (أَبْرَاهَامَ) بألف[1].

﴿حَنِيفًاۚ﴾ حالٌ من إبراهيمَ.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ نفيٌ للنقيصةِ عنه ﷺ.

***

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يعني: الذبيحةَ في الحجِّ والعمرةِ.

﴿وَمَحْيَايَ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ بخلافٍ عن الثاني: (مَحْيَايْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2]، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ: (مَحْيَايَ) بالإمالةِ[3].

﴿وَمَمَاتِي﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بفتح الياء، والباقون بإسكانها[4].

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: هو يُحييني ويُميتني.

***

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٣٩).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٠).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤١).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤١).

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ خالصةً له، لا أشركُ فيها غيرَه.

﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ بالإخلاصِ.

﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة؛ لأن كلَّ نبيٍّ إسلامُه يتقدَّمُ على إسلامِ أمته. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَأَنا أَوَّلُ) بالمدِّ[1].

* * *

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

[١٦٤] ولما قالَ المشركونَ للنبيِّ ﷺ: ارجعْ إلى دينِنا، فنزل:

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍۚ﴾ وما سواهُ مربوبٌ مثلي لا يصلُحُ للربوبية. ولما قالَ الوليدُ بنُ المغيرةِ: اتَّبعوني أحملْ أوزارَكُم، نزلَ:

﴿وَلَا تَكْسِبُ﴾ لا تجني.

﴿كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ﴾ إلا كانَ الإثمُ على الجاني.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ لا تحملُ حاملةٌ حملَ غيرِها، وأصلُ الوزرِ: الثِّقلُ.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يومَ القيامةِ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤١).

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ فيعلِمُكم.

﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بتمييزِ المحقِّ من المبطلِ.

* * *

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ جمعُ خليفةٍ، وهي النيابةُ عن الغيرِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ خاتمُ الأنبياء، فخلفتْ أمتهُ سائرَ الأممِ بأنْ سكنوا الأرضَ بعدَهم.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ في الخلقِ والرزقِ والعلمِ والدينِ.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبرَكُم.

﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ من المالِ وغيرِه؛ ليظهر لكم منكم المطيعُ من العاصي.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه، ووصفَ العقابَ بالسرعةِ؛ لأن ما هو آتٍ قريبٌ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ لمن تابَ وأطاعَهُ، والله أعلمُ.

* * *

سورة الأعراف

مكيةٌ غيرَ ثمانِ آياتٍ من قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى﴾ إلى قوله: ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾، آيُها سِتٌّ ومِئَتا آيةٍ، وحروفُها أربعةَ عشرَ ألفاً وثلاثُ مئةٍ وعشرةُ أحْرُفٍ، وكَلِمُها ثلاثةُ آلافٍ وثلاث مئةٍ وخمسٌ وعشرونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓصٓ﴾ قيل: معناه: أنا اللهُ الملكُ الصادقِ. قرأ أبو جعفرٍ: بتقطيعِ الحروفِ يسكُتُ على كلِّ حرفٍ سكتةً يسيرةً، وتقدَّم الكلامُ على ذلك في سورةِ البقرة[١]، وموضِعُه رفعٌ بالابتداءِ.

***

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾.

---

(١) عند تفسير الآية (١) منها، وانظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٤).

[٢] ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدأ[١] محذوفٍ؛ أي: هذا كتابٌ.

﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآنُ.

﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: ضِيقٌ. المعنى: لا يضيقُ صدرُك بالإبلاغِ مخافةَ أن تُكَذَّبَ فيه، فإنما عليك البلاغُ.

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ أي: بالكتابِ المنزلِ، فالكلامُ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: أُنْزِلَ عليك الكتابُ لتنذرَ به، فلا يكنْ في صدرِكَ حرجٌ منه.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ عِظَةٌ لهم.

* * *

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] وقل لهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعمُّ القرآنَ والسنَّةَ؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: دونِ اللهِ.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيةِ اللهِ.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتَّعِظون قليلاً؛ حيثُ تتركونَ[٢] دينَ اللهِ، و(ما) مزيدةٌ لتأكيدِ القِلَّة. قرأ ابنُ عامرٍ: (يَتَذَكَّرُونَ) بياء قبلَ التاء على أن الخطابَ بعدُ مع النبيِّ ﷺ، وكذا هو في مصاحفِ أهلِ الشام، والباقون: بتاء واحدة

---

(١) «مبتدأ» زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «تتذكرون».

من غير ياءٍ قبلَها كما هي في مصاحِفِهم، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ[1]: على أصلِهم في تخفيفِ الذال[2].

***

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكثيراً من القرى.

﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أي: أردْنا إهلاكَ أهلِها.

﴿فَجَآءَهَا﴾ أي: فجاء أهلَها.

﴿بَأْسُنَا﴾ عذابُنا.

﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً.

﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ نائِمون نصفَ النهارِ، والقيلولةُ: استراحةُ نصفِ النهارِ وإنْ لم يكنْ[3] نومٌ.

***

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي: تضرُّعُهم وقولهم.

﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بفعلِنا، اعترفوا حيثُ لم ينفعِ

---

(١) «وحفص» سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٤).

(٣) في «ن»: «يك».

الاعتراف. وقرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ: (إذ جَّاءَهُمْ) وشبهَه بإدغامِ الذالِ في الجيم، وقرأ الباقون: بالإظهار[1].

***

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: الأممَ عمَّا بلغوا؛ توبيخاً.

﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عمَّا أُجيبوا؛ تقريراً لذلكَ.

***

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾ على المسؤولين ما عَمِلوا.

﴿ بِعِلْمٍ ﴾ عالمينَ بجميعِ ما صدرَ منهم.

﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ عنهُم فيخفى علينا شيءٌ من أحوالِهم.

***

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَٱلْوَزْنُ ﴾ أي: القضاءُ.

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يومَ السؤال.

﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ العدلُ، وقيل: المرادُ: حقيقةُ الوزنِ، وقد وردَ في الحديث:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٤٥).

«أَنَّهُ يُنْصَبُ مِيزَانٌ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، كُلُّ كِفَّةٍ بِقَدْرِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَتُوزَنُ فِيهِ صُحُفُ الأَعْمَالِ»(١).

﴿فَمَن ثَقُلَتْ﴾ رَجَحَتْ.

﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ جمعُ ميزانٍ؛ لأنَّ لكلِّ عبدٍ ميزاناً، وقيلَ: جمعُ موزونٍ، وهو الحسناتُ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزونَ بالنجاةِ والثواب.

* * *

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون.

* * *

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ ملَّكْناكم.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٢/ ٩٠) في معرض شرحه لهذه الآية، فقال: وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب. واختلفوا في كيفية الوزن، فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال...

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ أسباباً تعيشون بها، جمعُ مَعِيشَةٍ، ولا تُهمزُ ياؤها؛ لأنها مَفاعِلُ من العَيْش.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيما صنعتُ لكم.

* * *

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: آدمَ.

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في ظهرِه، وذُكر آدمُ بلفظِ الجمع لأنه أبو البشرِ، ففي خَلقِه خلقُ مَنْ يخرجُ من صُلْبِه.

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ لآدمَ، وتقدَّمَ مذهبُ أبي جعفرٍ في ضمِّ التاءِ من قوله: (لِلْمَلاَئِكَةُ اسْجُدُوا)، والكلامُ عليه، وعلى تفسيرِ السجودِ مستوفىً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الآية: ٣٤].

* * *

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢]﴿قَالَ﴾ اللهُ: يا إبليسُ.

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (لا) زائدةٌ؛ أي: أيُّ شيءٍ منعَكَ من السجودِ وقتَ أمري؟ فيه دليلٌ على أن مطلقَ الأمرِ للوجوبِ، وأنه على الفَوْرِ.

﴿قَالَ﴾ إبليسُ مجيباً له:

﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لأنَّكَ ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ والنارُ خيرٌ وأنورُ من الطينِ، وقد أخطأ الخبيثُ بتفضيلِ النارِ على الطينِ، وليس كذلك، وإنما الفضلُ لما فضَّلَه اللهُ، وقد فَضَّلَ الطينَ على النارِ، ولأن الترابَ سببُ الحياةِ للنباتِ والأشجارِ، والنار سببُ الهلاكِ.

* * *

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝١٣﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنةِ؛ لأنها مكانُ المطيعين.

﴿فَمَا يَكُونُ﴾ فما ينبغي.

﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ﴾ بمخالفةِ الأمرِ.

﴿فِيهَا﴾ وفيه تنبيهٌ على أن التكبُّرَ لا يليقُ بأهلِ الجنة.

﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ الذَّليلينَ.

* * *

﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤﴾.

[١٤] ﴿قَالَ﴾ إبليسُ عندَ ذلك: ﴿أَنظِرۡنِيٓ﴾ أَخِّرْني فلا تُمِتْني.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ من قبورِهم وَقْتَ النفخةِ الآخرةِ عندَ قيامِ الساعة، قال ابنُ عباسٍ: أرادَ الخبيثُ أَلاَّ يذوقَ الموتَ(١)؛ لأنه لا موتَ بعدَها، فلم يُجَبْ، وإنما أُنْظِرَ إلى الوقتِ المعلومِ، وهي النفخةُ الأولى، فيموتُ مَعَ مَنْ يموتُ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٧٩).

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ إلى وقتِ النفخةِ الأولى، وأنظر فتنةً للعبادِ، ولبيانِ الطائعِ والعاصي، ولِيَعْظُمَ الأجرُ والوِزْرُ.

* * *

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ والغيُّ: الضلالُ والخَيْبَةُ، ومعنى الكلام القَسَمُ؛ أي: فبإغوائِك إيايَ بواسطتِهم.

﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ﴾ أي: على صراطِكَ.

﴿ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي: لأجلسنَّ لهم على طرقِ الإسلامِ والخيراتِ، وأحولُ بينَهم وبينَها.

* * *

﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم ﴾ بِوَسْوَسَتي.

﴿ مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من جهةِ الآخرةِ، فَأُشَكِّكُهم فيها.

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من جهةِ الدنيا، فأُرَغِّبُهم فيها.

﴿ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ طرقِ الحسناتِ.

﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ جمع شِمال: طرقِ السيئاتِ، رُوي أنه يأتي ابنَ آدمَ من جميعِ الجهاتِ إلاَّ من فَوْقُ؛ لئلاَّ يحولَ بينَ العبدِ والرحمةِ. تلخيصُه: أَسْعى في إغوائهم بكلِّ طريقٍ.

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ مؤمنين، قالَ الخبيثُ ذلكَ ظناً، فأصابَ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٠].

* * *

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا ﴾ بالهمز؛ أي: مَعيباً.

﴿ مَّدْحُورًا ﴾ مُبْعَداً.

﴿ لَّمَن ﴾ بفتح اللام؛ لأنها مُوَطِّئَةٌ لقسمٍ محذوفٍ تقديره: واللهِ لَمَنْ.

﴿ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ أي: من بني آدمَ، وجوابُ القَسَم:

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ ﴾ أي: منكَ ومن أتباعِك من الجنِّ والإِنْسِ.

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تلخيصُه: هذا الوعيدُ لمن تبعَكَ.

* * *

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ﴾ أي: قلنا: يا آدمُ.

﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فتصيرا(١) من الذين ظلموا أنفسَهم، تقدَّم اختلافُ القراءِ في قولهِ (حَيْثُ شِئْتُما) و(حَيْثُ شِئْتُمْ) في سورة البقرة.

---

(١) في «ن»: «فتصير».

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ ألقى في أنفسِهما سِرّاً.

﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ ﴾ بواوين، الأولى مضمومةٌ، المعنى: زَيَّنَ لهما ما نُهيا عنه ليكشفَ لهما ما سُتِرَ.

﴿ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ عَوْراتِهما؛ أي: فعلَ ذلكَ بهما ليريَهما ما يَسوءُهما، ولذلك سُميت سوءَةٌ، وفي هذا دليلٌ على[1] أن كشفَ العورةِ في غايةِ القُبْحِ في كلِّ زمانٍ، ثم بين الوسوسة فقال:

﴿ وَقَالَ ﴾ يعني: إبليسُ لآدمَ وحواءَ.

﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا ﴾ أي: إلا كراهةَ أن تكونا.

﴿ مَلَكَيْنِ ﴾ روحانِيَّيْنِ.

﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ الباقينَ في الجنةِ لا تموتان، واستدلَّ بعضُ الناسِ بهذه الآية على فضلِ الملائكةِ على الأنبياءِ، قالَ ابنُ فُوْرَك: لا حجَّة في هذهِ الآيةِ، لأنه يُحتمل أن يريدَ مَلَكَين في ألاَّ تكونَ لهما شهوةٌ في طعامٍ[2]، وتقدَّمَ ذكرُ مذهبِ[3] أهلِ السنَّةِ في تفضيلِ الأنبياءِ على الملائكةِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١].

---

(١) «على» زيادة من «ن».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ١٧٨).

(٣) «مذهب» ساقطة من «ن».

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ حلفَ لهما يميناً مُوثَّقةً.

﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ بحلفي، وإبليسُ أولُ مَنْ حلفَ كاذِباً.

***

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ حَطَّهما عن منزلتِهما.

﴿ بِغُرُورٍۚ ﴾ بباطلٍ؛ أي: خَدَعَهما بحلفِه، والغرورُ: إظهارُ النصحِ مع إبطانِ الغِشِّ.

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ ﴾ ليتَعرَّفاها.

﴿ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ ظهرتْ لهما عوراتُهما، وتهافتَ عنهما لباسُهما حتى أبصرَ كلٌّ منهما ما تَوارى عنهُ من عورةِ صاحبِه، وكانا لا يريان ذلك من أَنفسِهما، ولا أحدٌ منهما من صاحِبه، وكانَ لباسُهما نوراً يسترُهما، فاستحييا.

﴿ وَطَفِقَا ﴾ أَخذا ﴿ يَخۡصِفَانِ ﴾ يُلْصِقان ورقةً بعدَ ورقةٍ.

﴿ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ ﴾ وهو ورقُ التينِ حتى صارَ كالثوبِ؛ ليستَتِرا به، وهو يتهافتُ عنهما، وأصلُ الخَصْفِ: وَصْلُ الشيءِ بالشيءِ يسيرٍ أو غيرِه.

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾ عتاباً وتوبيخاً.

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ العداوةِ بيِّنُها، فيه دلالةٌ أنهما كانا قد عَرَفا عداوةَ إبليسَ لهما، وحُذِّرا منه.

* * *

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿قَالَا﴾ معتذرين ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ ضَرَرْناها بالمعصيةِ.

﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الهالكين.

* * *

﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ يا آدمُ وحواءُ وإبليسُ.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ متعادينَ، فَيُعادِيانِ إبليسَ ويُعاديهما.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى تَقَضِّي[1] آجالِكم، وتقدَّمَ ذكرُ هبوطِ آدمَ وحواءَ وإبليسَ والحيةِ في سورةِ البقرةِ.

* * *

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ يعني: فيها تعيشون.

﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا﴾ أي: من الأرض.

---

(١) في «ن»: «أن تقضىٰ».

﴿ تُخْرَجُونَ﴾ للبعثِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ويعقوبُ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء[1].

***

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) ﴾.

[٢٦] ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: خلقنا لكم.

﴿ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ التي قصدَ الشيطانُ إبداءها، ونُغنيكم عن خصفِ الورقِ، رُوي أن العربَ كانوا يطوفون بالبيتِ عُراةً، ويقولون: لا نطوفُ في ثيابٍ عَصَيْنا الله فيها، فكان الرجالُ يطوفونَ بالنهارِ، والنساءُ بالليل عراةً، فنزلَتْ[2]؛ أمراً بالستر. قرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ بخلافٍ عنه: (يُوَارِي) بالإمالة[3]، وهذه الآيةُ دليلٌ على وجوبِ سترِ العورةِ، ولا خلافَ بينَ الأئمةِ في وجوبِ سترِها عن أعينِ الناسِ.

واختلفوا في العورةِ ما هي؟ فقال أبو حنيفةَ: عورةُ الرجلِ ما تحتَ سُرَّتِهِ إلى تحتِ ركبتِه، والركبةُ عورةٌ، ومثلُه الأَمَةُ، وبالأولى بطنُها وظهرُها؛ لأنه موضعٌ مشتهىً، والمكاتبَةُ وأمُّ الولدِ والمُدَبَّرَةُ كالأمَةِ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٥).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٠).

وجميعُ الحرةِ عورةٌ إلا وجهَها وكَفَّيْها، والصحيحُ عنهُ أن قَدَميها عورةٌ خارجَ الصلاةِ لا في الصلاةِ، وقالَ مالكٌ: عورةُ الرجلِ فَرْجاه وفَخِذاهُ، والأَمَةُ مثلُه، وكذا المدبَّرَةُ والمعتقَةُ إلى أَجَلٍ، والحرَّةُ كلُّها عورةٌ إلا وجهَها ويديها، ويُستحبُّ عندَه لأمِّ الولدِ أن تَستر من جسدِها ما يجبُ على الحرةِ سترُه، والمكاتَبَةُ مثلُها. وقال الشافعيُّ وأحمدُ: عورةُ الرجلِ ما بينَ السُّرةِ والركبةِ، وليستِ الركبةُ من العورةِ، وكذا الأمَةُ، والمكاتَبَةُ وأمُّ الولدِ والمدبَّرَةُ والمعتَقُ بعضُها، والحرَّةُ كلُّها عورةٌ سوى الوجهِ والكفَّين عندَ الشافعيِّ، وعندَ أحمدَ سوى الوجهِ فقط على الصحيح، وأما سُرَّةُ الرجلِ، فليستْ من العورةِ بالاتفاق.

﴿وَرِيشًاۖ﴾ لباسَ زينةٍ تتجمَّلُون بها، فهي للأناسيِّ كالريشِ للطائرِ، المعنى: أنزلَ لكم لباسينَ: أحدُهما لسترِ عوراتِكم، والآخرُ لجمالكم.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هو خشيةُ الله والتورُّعُ، وقيلَ: هو ما يُلْبَس من الدروع ويُتَّقى به.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابن عامرٍ، والكسائيُّ: (وَلِبَاسَ) بنصبِ السين عطفاً على قولِه: ﴿لِبَاسًا﴾، وقرأ الباقونَ: بالرفع على الابتداء، وخبرُه (خَيْرٌ)، وجعلوا (ذَلِكَ) صِلَةً في الكلام(١).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إنزالُ اللباسِ.

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالَّةِ على فضلِه ورحمتِه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرفونَ نعمتَه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥١).

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ﴾ لا يُضِلَّنَّكُم.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بأنْ يمنعَكُم دخولَ الجنةِ.

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم ﴾ آدمَ وحوَّاءَ.

﴿ مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ بفتنتِه، النهيُ في اللفظِ للشيطان، والمعنى: نهيُهم عن اتِّباعه.

﴿ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ ليريَ كلَّ واحدٍ سوءةَ الآخَر؛ أي: أخرجهما نازعاً ثيابَهما؛ لكونه سببَ النزعِ، ثم حذَّر منه مُعَلِّلاً فقالَ:

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ جموعُه وأعوانُه ﴿ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾ لأن اللهَ سبحانه خلقَهم خَلْقاً لا يُرَوْنَ فيه، وإنما يُرَوْنَ إذا نُقِلُوا عن صورتهم.

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾ أعواناً ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يزيدون في غَيِّهم.

* * *

﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ ﴾ كعبادةِ الصنمِ، وكشفِ العورةِ في الطوافِ.

﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا ﴾ ولم يَكْفِهِمْ تقليدُهم حتى قالوا مفترين: ﴿ وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ لاستحالتِها في حقِّه؛ لأن عادتَهُ جرتْ على الأمرِ بمحاسنِ الأفعال.

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ إنكارٌ يتضمَّنُ النهيَ عن الافتراءِ على الله، وتقدَّم اختلافُ القراء في الهمزتين من كلمتين في سورةِ البقرة[1] عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وكذلك اختلافُهم في قوله: (بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ).

* * *

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ بالعدلِ والتوحيدِ.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ أي: صَلُّوا.

﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ متوجِّهينَ للكعبةِ حيثُما صَلَّيتم، ولا تُؤَخِّروها حتى تعودوا إلى مساجِدِكم.

﴿ وَٱدْعُوهُ ﴾ اعبدوه.

﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ ﴾ العبادةَ، ولما أنكروا البعثَ، قالَ محتجاً عليهم:

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ ﴾ أنشأَكُمْ حُفاةً عُراةً.

﴿ تَعُودُونَ ﴾ بإعادتِه، فيجازيكم على أعمالِكم.

* * *

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

---

(١) في جميع النسخ «النساء» والصواب ما أثبت.

[٣٠] ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾ أي: هداهم اللهُ بأنْ وَفَّقهم للإيمانِ ﴿ وَفَرِيقًا حَقَّ ﴾ أي: وجبَ ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾ بمقتضَى القضاءِ السابقِ؛ أي: وخذلَ فريقاً.

﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ تعليلٌ لخذلانِهم.

﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ يدلُّ على أن الكافرَ المخطئَ والمعاندَ سواءٌ في استحقاقِ الذنبِ. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، وأبو جعفرٍ: (وَيَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[1].

* * *

﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾.

[٣١] قالَ أهلُ التفسير: كان بنو عامرٍ يطوفونَ بالبيتِ عُراة، فأنزلَ اللهُ عز وجل: ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ ﴾[2] لباسَكُم.

﴿ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ كُلَّما صَلَّيتم أو طُفْتم، وفيه دليلٌ على وجوبِ سترِ العورةِ في الصلاةِ، والحكمُ كذلكَ بالاتفاق.

﴿ وَكُلُوا۟ ﴾ اللحمَ والدسمَ.

﴿ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ اللبنَ؛ لأن طائفةً كانوا في حَجِّهم لا يأكلونَ إلا قوتاً.

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ في شيءٍ ما.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: لا يرضَى فعلَهم، وفي معنى قولِه

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٩٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٣٦).

تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسُنِ الناسِ: الحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّواءِ.

* * *

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ هي ما سترَ العورةَ، وكلُّ ما يُتَجَمَّلُ به الإنسان[١] من الثيابِ وغيرِها حلالاً.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالاتِ ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ من المآكلِ والمشاربِ.

﴿قُلْ هِىَ﴾ أي: الزينةُ والطيباتُ.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيه حذفٌ تقديره: هي للمؤمنين والمشركين في الدنيا، وللمؤمنين.

﴿خَالِصَةً﴾ أي: مختصَّةً بهم.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا يُشاركهم فيها غيرُهم. قرأ نافعٌ: (خَالِصَةٌ) بالرفع على أنها خبرٌ بعدَ خبرٍ، أو خبرُ ابتداءٍ تقديرُه: وهي خالصةٌ يومَ القيامة، وقرأ الباقون: بالنصب على الحال و[٢]القطع؛ لأن الكلام قد تمَّ دونه[٣].

---

(١) «الإنسان» زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: «أو».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٣).

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: كتفصيلنا هذا الحكمَ نفصلُ سائرَ الأحكامِ لهم.

* * *

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾.

[٣٣] ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ ما قَبُحَ فحشُه، ويعمُّ كلَّ فاحشةٍ، قرأ حمزة: (ربِّي الْفَوَاحِشَ) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحها[1].

﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ جهرَها وسرَّها.

﴿ وَٱلْإِثْمَ ﴾ الذنبَ ﴿ وَٱلْبَغْيَ ﴾ الظلمَ والكِبْرَ.

﴿ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ حُجَّةً وبرهاناً.

﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من التحريمِ والتحليلِ.

* * *

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مُدَّةٌ، وهو وعيدٌ لأهلِ مكةَ.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ انقضَتْ مُدَّتُهم.

﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ لا يتأخَّرونَ، ولا يتقدمونَ، وقُيِّدَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٤).

بساعةٍ؛ لأنها أقلُّ ما يُستعملُ في الإمهال، وذلكَ حينَ سألوا العذابَ، فأنزلَ اللهُ هذهِ الآيةَ، ويُستدَلَّ بهذا على أن المقتولَ إنما يُقْتَلُ بأَجَلِهِ، وأجلُ الإنسانِ هو الوقتُ الذي يعلمُ الله أنه يموتُ الحيُّ فيه لا محالةَ، كما أن أَجَلَ الدَّيْنِ هو وقتُ حُلولِه، وتقدَّم اختلافُ القراء في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ في سورةِ النساء عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك اختلافُهم في قولِه: (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ).

***

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ الخطابُ في هذه الآيةِ لجميعِ الأممِ، و(إن) الشرطيةُ دخلَتْ عليها (ما) لتأكيدِ معنى الشرط، لذلكَ جازَ دخولُ (النون الثقيلة) على الفعلِ، وإذا لم تكنْ (ما)، لم يجزْ دخولُ (النون الثقيلة)؛ أي: إنْ يَأْتِكُم، أخبرَ أنه أرسلَ إليهم الرسلَ منهم؛ لتكونَ إجابتُهم أقربَ، وتَحَصَّلَ من هذا الخطابِ لحاضري محمدٍ ﷺ أنَّ هذا حكمُ اللهِ في العالَم منذُ أنشأه، وَ(يَأْتِيَنَّكُمْ) مستقبلٌ وُضعَ موضعَ ماضٍ؛ ليفهمَ أن الإتيانَ باقٍ وقتَ الخطابِ؛ لتقوى الإشارةُ بصحةِ النبوةِ إلى محمدٍ ﷺ.

﴿يَقُصُّونَ﴾ والقصصُ: إتباعُ الحديثِ بعضِه بعضاً.

﴿عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أحكامي، وجوابُ الشرطِ:

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشركَ.

﴿وَأَصْلَحَ﴾ العملَ.

﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خافَ الناسُ.

﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا حَزِنوا.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ﴾ تكبَّروا عن الإيمانِ بها.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وإدخالُ الفاءِ في الخبرِ الأولِ دون الثاني للمبالغةِ في الوعدِ، والمسامحةِ في الوعيد.

* * *

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ جعلَ له شريكاً.

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ بالقرآنِ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ﴾ أي: ما قُدِّرَ لهم من خيرٍ وشَرٍّ في اللوحِ المحفوظِ.

﴿ حَتَّىٰٓ﴾ غاية لما يصلُ إلى الكفار.

﴿ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ عندَ انقضاءِ ذلك.

﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحَهم؛ يعني: ملكَ الموتِ وأعوانَه.

﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: الرسلَ للكفارِ: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ يعني: أين آلهتُكم فيذبُّونَ عنكم؟ سؤالُ تبكيتٍ وتقريع.

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ غابوا فلم نرَهُمْ.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ عندَ معاينةِ الموتِ.

﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ اعترفوا بالضلالِ فيما كانوا عليه.

* * *

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ يعني: يقولُ اللهُ لهم يومَ القيامةِ: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ﴾ أي: معَ جماعاتٍ ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾ مضتْ.

﴿مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ يعني: كفارَ الأممِ الخاليةِ.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ أي: المماثلةَ لها؛ لضلالِها بها[١].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعٗا﴾ واجتمعوا في النارِ.

﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ السفلةُ والأتباعُ.

---

(١) في «ت»: «به».

﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ القادَةِ والرؤساءِ، ومعنى لأُولاهم؛ أي: لأجلِ أولاهم؛ لأنَّ خطابَهم مع اللهِ لا مَعهم.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ عن الهدى، وتقدَّم التنبيهُ على اختلافِ القراءِ في الهمزتينِ عند قولِه: (لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتقُولُونَ) [الأعراف: ٢٨]، وكذلك اختلافُهم (هَؤُلاَءِ أَضَلُّونا).

﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مُضاعَفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لأنهم ضلُّوا، وأَضلُّوا.

﴿قَالَ﴾ اللهُ: ﴿لِكُلٍّ﴾ من القادةِ والأتباعِ.

﴿ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكلٍّ واحدٍ من العذابِ. قراءة[1] الجمهورِ: (تَعْلَمُونَ) بالخطاب، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ بالغيب[2]؛ أي: لا يعلمُ الأتباعُ ما للقادةِ، ولا القادةُ ما للأتباعِ.

***

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ﴾ القادةُ ﴿لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ للأتباع:

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: نحن وأنتم في الكفرِ سواءٌ، فثَمَّ تعالى يقولُ لهم جميعاً: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

***

---

(١) في «ن»: «قرأ».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٧).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: لا يصعَدُ لهم عملٌ صالح. قرأ أبو عمرٍو (تُفْتَحُ) بالتأنيثِ والتخفيف، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالتذكير والتخفيف، والباقون: بالتأنيثِ والتشديدِ[1].

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ﴾ يدخل.

﴿ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ ثُقْبِ الإبرةِ، المعنى: هؤلاء لا تُجاب أدعيتُهم، ولا يدخلون الجنةَ أبداً.

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: ومثلَ ذلكَ الجزاءِ.

﴿ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المشركينَ.

***

﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ﴾ فِراشٌ. قرأ أبو عمرٍو، ورويسٌ عن يعقوبَ: (جَهَنَّم مِّهَادٌ) بإدغام الميم في الأولى في الثانية[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ جمعُ غاشيةٍ؛ وما يُغَطِّيهم من أنواع العذابِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكفارَ، رُوي عن يعقوبَ الوقفُ بالياء على (غَوَاشِي).

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ طاقتَها من الخيرِ والعملِ الصالحِ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

* * *

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] عن عليٍّ رضي الله عنه قال: فينا واللهِ أهلَ بَدْرٍ نزلَتْ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقدٍ كانَ بينَهم في الدنيا، وإن كانتْ نازلةً في الصحابة رضي الله عنهم، فهي عامةٌ في جميعِ أهلِ الجنة؛ لأنهم لا يتحاسدون ولا يتباغضون، وقال علي أيضاً: «إِنِّي لأرجو أن أكونَ أنا وعثمانُ وطلحةُ والزبيرُ مِنَ الذينَ قالَ لهم اللهُ عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾»[1].

= (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦١).

(١) انظر: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» (٢/ ٢٢٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٤٧٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٥٧).

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ زيادة في لَذّتِهم وسرورِهم.

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا ﴾ وفَّقنا.

﴿ لِهَٰذَا ﴾ لما جزاؤه هذا ﴿ وَمَا كُنَّا ﴾ قرأ ابن عامرٍ: (مَا كُنَّا) بغير واو[1].

﴿ لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ وجوابُ (لولا) محذوفٌ؛ أي: فلولا هدايةُ الله، ما كنا نهتدي، فعندَ معاينةِ أهلِ الجنةِ صدقَ إخبارِ الرسلِ ﷺ، قالوا: سروراً.

﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ فثَمَّ أُكرِموا ﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا ﴾ أُعطيتُموها.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بسببِ أعمالِكم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامرٍ: (أُورِثْتُمُوهَا) بإظهارِ الثاءِ، والباقون: بالإدغام[2].

***

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ من الثوابِ ﴿ حَقًّا ﴾ صِدْقاً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٢).

﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العقابِ.

﴿حَقًّا﴾ تقديرُه: وعد ربُّكم، فحذفَ (كُمْ) لدلالة (نا) الأول عليه؛ لأن وعدَ يُستعملُ في الخيرِ والشرِّ.

﴿قَالُواْ نَعَمْ﴾ وأجاب الكفار بنعم دون بلى؛ لأنَّ (نعم) جوابُ استفهامٍ دخلَ على إيجاب، وهو (وَجَدْتُم)، و(بلى) جوابُ استفهامٍ دخلَ على نفي؛ نحو: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قرأ الكسائيُّ: (نَعِم) بكسر العين حيثُ وقعَ، والباقون: بفتحها، وهما لغتان[١].

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: نادى منادٍ أسمعَ الفريقين.

﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين. قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ: (مُوَذِّنٌ) بفتح الواو بغيرِ همز[٢]، وقرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وعاصمٌ: (أَنْ لَعْنَةُ اللهِ) بإسكانِ النونِ مخففةً، ورفعِ (لَعْنَةٌ)، واختلفَ عن قنبلٍ راوي ابنِ كثير، وقرأ الباقون: بتشديد النون، ونصبِ (لَعْنَةً)[٣].

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يَصْرِفون الناسَ ﴿عَن سَبِيلِ﴾ طاعةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٣).

﴿ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ يطلبون اعوجاجَها، ويذُمُّونها، فلا يؤمنون بها ﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

* * *

﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَبَيۡنَهُمَا﴾ أي: بينَ الجنةِ والنارِ.

﴿ حِجَابٞۚ ﴾ مانعٌ ليمنعَ وصولَ أثرِ إحداهما إلى الأُخرى، وهو السورُ المعروفُ بالأعراف، جمعُ عُرْفٍ؛ سُمِّي بذلكَ؛ لارتفاعه، ومنهُ عُرفُ الديكِ؛ لارتفاعِه على ما سواهُ من جسدِه.

﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ أي: أعالي الحجاب، وهو السورُ الذي ذكره اللهُ في قولِه: ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾ [الحديد: ١٣].

﴿ رِجَالٞ ﴾ هم قومٌ استوَتْ حسناتُهم وسيئاتُهم، فقصرتْ بهم سيئاتُهم عنِ الجنة، وتجاوزت بهم حسناتُهم عن النار، فوقفوا هناكَ حتى يقضيَ الله فيهم ما شاءَ، ثم يُدخلُهم الجنةَ بفضلِ رحمتِه، وهم آخرُ من يدخلُ الجنةَ.

﴿ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ من أهلِ الجنةِ والنارِ ﴿ بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ بعلامَتِهم، وهي بياضُ الوجهِ للمؤمنين، وسوادُه للكافرين.

﴿ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ أي: إذا نظروا إليهم، سَلَّموا عليهم، وقيل: المعنى: سَلِمْتُم من العقوبة.

﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا﴾ أي: أصحابُ الأعرافِ لم يدخلوا الجنةَ.

﴿ وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ في دخولِها، فيدخلونها بعد، قالَ الحسنُ: «واللهِ

ما جعلَ اللهُ ذلكَ الطمعَ في قلوبهم إلا لخيرٍ أرادهُ بهم»[1].

* * *

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ ﴾ أبصارُ أهلِ الأعرافِ.

﴿ تِلْقَآءَ ﴾ ظَرْفٌ؛ أي: تُجاهَ.

﴿ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ فعرفوهم، ﴿ قَالُوا۟ ﴾ مستعيذينَ داعينَ:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ يعني: الكافرين في النار، وتقدَّم اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمتين في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء: ٥]، وكذلك اختلافُهم في ﴿ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ﴾.

* * *

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ ﴾ من رؤساءِ الكفرةِ.

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ المالُ والولدُ في الدنيا.

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن الإيمان.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق الصنعاني في «تفسيره» (٢/ ٢٣٠)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٨). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٦٦).

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ثم يقولون للكفار، وهم الوليدُ بنُ المغيرةِ، وأبو جهلِ بنُ هشامٍ ونحوُهما؛ تنبيهاً على الأبرارِ ممن دخلَ الجنةَ، وهم سَلْمانُ(١)، وصُهَيْبٌ، وخَبَّابٌ، وبلالٌ وأشباهُهم الذين كانوا يحتقرونهم لفقرهم:

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ حلفتُم.

﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ﴾ أي: لا يدخلون الجنةَ؛ ثم يقالُ لأصحابِ الأعراف:

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ لا تخافونَ على ما يأتي، ولا تحزنون على ما فات. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ بخلافٍ عن ابنِ ذكوانَ راوي ابنِ عامرٍ: (بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا) (خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ) بضم التنوين في الوصل(٢).

***

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ ﴾ صُبُّوا.

﴿ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ ﴾ وَسِّعوا علينا.

---

(١) في «ن»: «سليمان».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٣، ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٥).

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من طعام الجنة، وفيه دليلٌ على أنَّ الجنةَ فوقَ النار، وتقدَّم التنبيه على اختلافِ القراءِ في حكم الهمزتين من كلمتين عندَ قولِه تعالى: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وكذلك اختلافهم في ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ يعني: الماءَ والطعامَ.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ منعَهما عنهم.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ كتحريمِ البَحيرةِ وأخواتِها، والمُكَاءِ والتَّصْدِيَةِ حولَ البيتِ، وغيرها مما كانوا يفعلونَ[١] في الجاهلية.

﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نفعلُ بهم فعلَ[٢] الناسين، فنتركُهم في النار ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ فلم يُخْطِروه ببالِهم.

﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ يُنكرون أنها من عند الله.

* * *

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

---

(١) في «ن»: «يفعلونه».

(٢) في «ن»: «كما فعل».

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ يعني: القرآنَ.

﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ أحكاماً وقصصاً.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: عالِمينَ بتفصيلِه.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ أي: جعلناه هادياً وذا رحمةٍ.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم المنتفعونَ به.

* * *

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرونَ.

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ ما يؤول إليه من[١] أمرهم يومَ القيامةِ من الوعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ جزاؤه.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ اعترافاً حينَ لا ينفعُ.

﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾ حقيقةً.

﴿بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا﴾ اليومَ.

﴿مِن شُفَعَآءَ﴾ استفهامٌ فيهِ معنى التمنِّي.

﴿فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا.

﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وجوابُ الاستفهامِ.

---

(١) «من»: زيادة من: «ت».

﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أهلكوها.

﴿وَضَلَّ﴾ بطلَ.

﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ فلمْ ينفعْهم.

* * *

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدارها؛ لأن اليومَ من لَدُنْ طلوعِ الشمسِ إلى غروبها، ولم يكنْ يومئذٍ يومٌ ولا شمسٌ، وخلقَهُنَّ فيهنَّ تعليماً لخلقه التثبُّتَ والتأنِّي؛ لأنه سبحانه كان قادراً على خلقهنَّ في لمحةٍ(١)، وقد جاءَ في الحديث: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»(٢).

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليقُ بعظمتِه بلا كيفٍ، وهذا من المشكِلِ الذي يجبُ عندَ أهل السُّنَّةِ على الإنسانِ الإيمانُ به، ويَكِلُ العلمَ فيه إلى الله عز وجل، وسُئِلَ الإمامُ مالكٌ رضي الله عنه عن الاستواءِ فقالَ: «الاستواءُ معلومٌ؛ يعني: في اللغة، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ بهِ واجبٌ، والسؤالُ

---

(١) في «ن»: «كلمحة».

(٢) رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٨٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٢٥٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٠٤)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

عنهُ بِدْعَةٌ»[١]، وسُئِل الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه عن قولِه تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال: «هُوَ كما أخبرَ، لا كما يخطرُ للبشَرِ»[٢]، والعرشُ في اللغة: هو السريرُ، وخُصَّ العرشُ بالذكرِ تشريفاً له؛ إذ هو أعظمُ المخلوقات.

﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يُغطِّي أحدَهما بالآخرَ، وفيهِ حذفٌ؛ أي: ويُغْشي النهارَ الليلَ، ولم يُذْكَرْ؛ لدلالةِ الكلامِ عليه. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ، ويعقوبُ: (يُغَشِّي) بالتشديد مع فتح الغين، وله قولٌ بإسكانِ الغين والتخفيفِ[٣].

﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ يَعْقُبُه سريعاً.

﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ﴾ مُذَلَّلاتٍ.

﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ بمشيئته. **قرأ** ابنُ عامرٍ: (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ) كلُّها بالرفع على الابتداء والخبرِ، فالشمسُ مبتدأ، والبقيةُ معطوفة عليه، وخبرُه (مُسَخَّراتٌ)، **وقرأ** الباقونَ: بالنصبِ وكسرِ التاء من (مُسَخَّرَاتٍ) تاء جمع المؤنث السالم عطفاً على قوله: (خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ)، فتنصب (مُسَخَّراتٍ) حالاً[٤].

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥ـ٣٢٦).

(٢) انظر: «اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٣/ ٤٠١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٨).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، =

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ بأن يأمرَهم ويحكُمَ فيهم ما شاء.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: دامَ ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وتعظَّمَ بالتفرد في الربوبية.

* * *

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ تذلُّلاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سِرّاً. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَخِفْيَةً) بكسر الخاء، والباقون: بالضم(١)، وقد أثنى الله على زكرياء بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣]، قال الحسنُ: «بينَ دعوةِ السرِّ ودعوةِ العلانيةِ سبعون ضِعْفاً»(٢)، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوتٌ، إن كان إلا همساً بينَهم وبينَ ربِّهم.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزينَ برفعِ الصوتِ والتشدُّقِ في الدعاءِ.

* * *

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالظلمِ والشركِ.

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٦٩).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١١٠).

﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ بالعدلِ ببعثِ الأنبياءِ وشرعِ الأحكامِ.

﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا﴾ من الردِّ ﴿وَطَمَعًاۚ﴾ في الإجابة.

﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ ذُكِّرَ (قريبٌ) على تأويلِ أنها الثوابُ ﴿مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ و(رَحْمَتَ) رُسمت بالتاء في سبعةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ[1].

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾.

[٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرِّيحَ) بغيرِ ألفٍ بعدَ الياء، والباقون: بالألف[2].

﴿بُشۡرَۢا﴾ قرأ عاصمٌ (بُشْراً) بالباء الموحدة وضمِّها وإسكانِ الشين؛ أي: تبشِّرُ بالمطر، وقرأ ابنُ عامرٍ: بالنونِ وضمِّها وإسكانِ الشين، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتحِ النونِ وإسكانِ الشين، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «المقنع في رسم مصاحف الأمصار» للداني في باب: ذكر ما رسم ف يالمصاحف من هاءات التأنيث (ص: ٢٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٢/ ٢٤٢)، والمواضع السبعة هي: في هو و﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي﴾، وفي مريم: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾، وفي الزخرف: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾، و﴿رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ وفي الروم: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ وفي هذه الآية.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٠).

بضمِّ النونِ والشينِ، جمعُ نُشور[1]، والقراءة بالنون معناها على القراءات كلِّها متفرقةً، وهي الرياحُ التي تهبُّ من كل ناحيةٍ.

﴿ بَيْنَ يَدَىْ ﴾ أي: قُدَّامَ ﴿ رَحْمَتِهِۦ ﴾ نعمتِه، وهو المطرُ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ ﴾ حملَتِ الرياحُ.

﴿ سَحَابًا ﴾ جمعُ سحابةٍ.

﴿ ثِقَالًا ﴾ بالماءِ.

﴿ سُقْنَٰهُ ﴾ أي: السحابَ، وقيلَ: المطرُ.

﴿ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ محتاجٍ إلى الماء. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (مَيِّتٍ) بتشديد الياء، والباقون: بالتخفيف[2].

﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ﴾ أي: بالبلد، وقيل: بالسحاب ﴿ ٱلْمَآءَ ﴾ يعني: المطرَ.

﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ بالبلدِ، وقيل: بالسحابِ.

﴿ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ مثلَ إخراجِنا النباتَ.

﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ منَ الأجداثِ ونُحييها.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ فتؤمنونَ بالبعثِ. وتقدَّمَ اختلافُ القراءِ في تخفيفِ (تَذْكُرونَ) في أولِ السورةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١١١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧١-٣٧٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٣)، ورويت بخلاف عن عاصم.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ثم ضربَ مثلاً لمن ينتفعُ بالوعظ، ولمن لا ينتفعُ به بعدَ ذكرِ المطرِ وإخراجِ النباتِ والثمراتِ تشبيهاً له بها فقال:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي: الأرضُ الكريمةُ التربةِ.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ حسناً.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ كالسَّبخةِ ونحوِها.

﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباتُه.

﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً. قرأ أبو جعفرٍ: (نَكَداً) بفتح الكاف مصدراً؛ أي: ذو نكد، والباقون: بكسرها[1]، وعن أبي جعفر وجهٌ: (لا يُخْرِجُ) بضمِّ الياء وكسر الراء، وعنه: وجهٌ آخرُ بضمِّ الياءِ وفتحِ الراء، فالأولُ مثَلُ المؤمنِ الذي يسمعُ القرآنَ فيعقلُه وينتفعُ به، والثاني مَثَلُ الكافرِ الذي لا يسمعُ القرآنَ، فلا يؤثِّر فيه كالبلدِ الخبيثِ.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نُردِّدها ونوضِّحُها.

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ الله.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٤).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ اللام في (لَقَدْ) للتأكيدِ المنبِّهِ على القسم، أقسمَ اللهُ تعالى أنه أرسلَ نوحاً، وتقدَّمَ ذِكْرُ نوحٍ عليه السلام، ونسبُه، وقدرُ عمره، ومحلُّ قبرِه في سورةِ آلِ عمرانَ، بعثه اللهُ إلى قومِه وهو ابنُ خمسينَ سنةً، وقيل: ابنُ أربعينَ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ، وقيلَ: ابنُ مئتين وخمسين، وقيل: ابنُ ثلاثِ مئةٍ وخمسين، وقال مقاتل: ابنُ مئةِ سنةٍ، وقال وهبُ بنُ منبِّهٍ: بُعث نوحٌ وهو ابنُ أربعِ مئةِ سنةٍ، وهو أولُ نبيٍّ بعثه اللهُ بعدَ إدريس، وكان نجاراً، ومن أولادِه سامٌ وحامٌ ويافثٌ، فسامٌ هو أبو العربِ وفارسَ والرومِ وأهلِ الشامِ وأهلِ اليمنِ، وكان هو القيِّم بعدَ نوحٍ في الأرض، ومن ولدِهِ الأنبياءُ كلُّهم، عربُهم وعجمُهم، وجعلَ اللهُ في ذريته النبوةَ والكتابَ، وهو الذي اختطَّ مدينةَ القدسِ، وأَسَّس المسجدَ الأقصى، وكان مَلِكاً عليها، وحامٌ أبو السودانِ وأهلِ الهندِ والسندِ والزنْجِ والحبشةِ والنوبةِ وكلِّ جلدٍ أسودَ، ويافثٌ أبو التركِ ويأجوجَ ومأجوجَ والفرنجِ.

﴿فَقَالَ﴾ لقومِه، وكانوا أهلَ أوثانٍ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وَحِّدُوهُ.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، والكسائيُّ: (غَيْرِهِ) بكسر الراء على نعتِ الإلهِ حيثُ وقعَ، والباقونَ: بالرفع على التقديم؛ أي: ما لكم غيرُهُ من إلهٍ[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، =

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن لم تؤمنوا.

﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ هو يومُ القيامةِ، أو يومُ الطوفان. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

***

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠﴾.

[٦٠] ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ أي: الأشرافُ، فإنهم يملؤون العيونَ والنفوسَ.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ﴾ خطأٍ ﴿مُّبِينٖ﴾ واضحٍ.

***

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾.

[٦١] ﴿قَالَ﴾ نوحٌ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ أي: شيءٌ من الضلال، وهي أعمُّ، وفي نفيِها نفيُ جميعِ الضلالِ؛ نحو: ألكَ تمرٌ؟ ويقولُ: ولا تمرةٌ، ثم استدرَكَ مؤكِّداً نفيَ الضلالةِ فقالَ:

﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ المعنى: ولكني على هُدًى في الغاية؛ لأني رسولٌ من الله.

***

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٥).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٧).

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ أُبَلِّغُكُمْ ﴾ أُوصلُ إليكم.

﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾ بالأحكامِ، وجُمِعَ الرسالاتُ؛ لاختلاف أوقاتها؛ أو لِتنوُّعِ معانيها. قرأ أبو عمرٍو: (أُبْلِغُكُمْ) بالتخفيفِ من الإبلاغ، والباقون: بالتشديد من التبليغ.

﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ وحقيقةُ النصحِ: إرادةُ الخيرِ لغيرِه كما يريدهُ لنفسه.

﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أن عقابه لا يُرَدُّ عن القومِ المجرمين.

* * *

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾ ألفُ استفهامٍ دخلتْ على واوِ العطف لمعنى التقرير والتوبيخِ، تقديره: أَكَذَّبْتُم وعَجِبتم.

﴿ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ ﴾ موعظةٌ.

﴿ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ على لسانِه.

﴿ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ العذابَ إن لم تؤمنوا.

﴿ وَلِتَتَّقُواْ ﴾ اللهَ ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ بالتقوى.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾ من الطوفان.

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ السفينةِ، وهم من آمن به، وكانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة.

﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾ بالطوفانِ.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ عُمْي القلوب.

* * *

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾ أي: وأرسلْنا إلى عادٍ، وهم ولدُ عادِ بنِ عوصِ بنِ عبدِ الله بنِ سامِ بنِ نوحٍ، وهي عادٌ الأولى.

﴿ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ ﴾ في النَّسبِ لا في الدِّينِ، هو ابنُ عبدِ اللهِ بنِ رباحِ بنِ الخلودِ بنِ عادِ بنِ عوصِ بنِ إرَمِ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، بعثه الله إلى عادٍ نبياً، وكان من أوسطِهم نسباً، وأفضلِهم حسباً، وهودٌ اسمٌ[١] أعجميٌّ، وانصرَفَ لخفتِهِ؛ لأنه على ثلاثةِ أحرفٍ، وبعثه اللهُ بعدَ نوحٍ وقبلَ إبراهيم، وكانت عادٌ ثلاثَ عشرةَ قبيلةً ينزلونَ الرمالَ رملَ عالجٍ، وكانوا أهلَ بساتينَ وزروعٍ وعمارةٍ، بنَوا حي حضرموتَ باليمنِ، فسخطَ اللهُ عليهم، فجعلهم مفاوزَ، وكانوا يعبدون الأصنامَ، وهم جَبَّارونَ، طِوالُ القاماتِ، فبُعثَ إليهم

---

(١) «اسم» ساقطة من «ن».

بالتوحيدِ وتركِ الظُّلْمِ، ولم يأمُرهم بغيرِ ذلك.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ تقدَّمَ اختلافُ[1] القراء في (إِلَهٍ غَيْرُهُ) في الحرفِ المتقدم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ نقمته.

* * *

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ يا هودُ.

﴿فِي سَفَاهَةٖ﴾ جهالةٍ وخِفَّةِ عقلٍ حيثُ تركتَ دينَ قومِك.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ في رسالتِكَ.

* * *

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾.

[٦٧] ﴿قَالَ﴾ هودٌ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾.

* * *

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾.

[٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ﴾ أدعوكم إلى التوبة.

﴿أَمِينٌ﴾ على الرسالة.

وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (أُبَلِّغُكُمْ) في الحرف المتقدِّم.

---

(١) في «ش»: «خلاف».

﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ يعني: نفسَه.

﴿ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أي: سكانَ الأرضِ من بعدِ إهلاكِهم.

﴿ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ قوةً وطولاً، وكانَ طولُ الطويلِ منهم مئةَ ذراعٍ، والقصيرِ ستين ذراعاً. قرأ خلفٌ لنفسِه، وعن حمزةَ، والدوريُّ عن أبي عمرٍو، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (بَسْطَةً) بالسين؛ لأنها الأصل، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بالصاد بدلاً من السين، واختلف عن قنبلٍ والسوسيِّ وابنِ ذكوانَ وحفصٍ وخلادٍ، ورسمُها بالصادِ[1].

﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ نِعَمَهُ ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ تدركونَ البغيةَ والآمال.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾ أي: مفرداً موحَّداً.

﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ من الأصنامِ؟

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٨)، وقد ذكرت القراءة بالصاد عن نافع والكسائي والبزي وابن ذكوان.

﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ من العذابِ.

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ قالوا ذلكَ له استهزاءً.

* * *

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالَ ﴾ هودٌ ﴿ قَدْ وَقَعَ ﴾ وَجَبَ ﴿ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ ﴾ عذابٌ ﴿ وَغَضَبٌ ﴾ سخطٌ.

﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ أو وضعتموها.

﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ حجةٌ وبرهان؛ أي في أشياء سميتموها آلهةً، وليس فيها معنى الإلهية، وكانت الأصنام يعبدونها ويسمونها بأسماء مختلفة، وهي: صُداءُ، وصَمُودُ، والهُبَاءُ، وكانوا قد فَشَوْا في الأرض، وقهروا أهلَها بقوَّتهم.

﴿ فَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ نزولَ العذابِ.

﴿ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ فأُرسلتِ الريحُ العقيمُ عليهم، فدخلوا بيوتَهم، فأخرجَتْهم الريحُ منها، وأَهالت عليهم الرمالَ سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ، ثم رمتْ بهم في البحرِ.

* * *

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ يعني: هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنينَ.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بأنْ جُعلوا في حظيرةٍ ما يصلُ إليهم من الريح إلا ما يُلَيِّنُ عليهم جلودهم.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: استأصلناهم عن آخرِهم.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: هلكَ الكفارُ، ونجا المؤمنون.

ويُروى أنه كان من عادٍ شخصٌ اسمهُ لُقمانُ، وهو غيرُ لقمانَ الحكيمِ الذي كانَ على عهدِ داودَ النبيِّ عليه السلام، ولحقَ هودٌ حين أُهلك قومُه بمن آمنَ معه بمكَّة، فلم يزالوا فيها حتى ماتوا فيها، وقيل إن قبرَه بحضرموتَ، ورويَ[١] أن النبيَّ من الأنبياءِ كان إذا هلكَ قومُه، أقام بصالحيه بمكةَ يعبدونَ اللهَ حتى يموتون[٢].

***

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ هو ثمودُ بنُ عابرِ بنِ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، والمراد هنا: القبيلةُ، وقيلَ: سُميت ثمودَ؛ لقلةِ مائِها، والثَّمَدُ: الماءُ القليلُ،

---

(١) في «ن»: «ويروىٰ».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١١٦ـ١١٧).

وكانت مساكنُهم الحِجْرَ بينَ المدينةِ الشريفةِ والشامِ، وكانوا عرباً يعبدونَ الأصنامَ.

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: أرسلْنا إلى ثمودَ أخاهم في النَّسبِ لا في الدِّينِ.

﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ هو ابنُ عبيدِ بنِ أسفِ بنِ ماسحِ بنِ عبيدِ بن حاذرِ بنِ ثمودَ.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ﴾ وبالغَ صالحٌ في الإنذارِ، وادَّعى[1] النبوةَ وقال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ حجةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صِدْقي، فقالَ سيدُهم جُندعُ بنُ عمرٍو: تُخرِجُ لنا من هذهِ الصخرةِ ناقةً مُخْتَرِجَةً وَبْراءَ عُشَراءَ، والمخترجةُ: ما شاكلَتِ البخت من الإبلِ، فقال: إن فعلتُ تؤمنوا؟ قالوا: نعم، فأخذَ مواثيقَهم على ذلك، فتمخَّضَتِ الصخرةُ عن ناقةٍ كما أرادوا، ثم نُتِجَتْ مثلَها في العِظَمِ.

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أضافها إلى الله على التفضيل؛ لأنها جاءت من عندِه بلا وسائطَ[2] وأسبابٍ معهودةٍ.

﴿لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾ نصبٌ على الحالِ.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ من المرعى ﴿فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ﴾، فالأرضُ له، والناقةُ ناقته، لا اعتراضَ لكم عليها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بِعقْرٍ ولا ضَرْبٍ.

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فآمنَ جُندعُ ورهطُه.

---

(١) في «ن»: «وادعاء».

(٢) في «ن»: «بلا واسط».

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ولما هلكت عادٌ، خلفتها ثمودُ في الأرض، وعَمَّروا القصورَ، ونحتوا البيوتَ في الجبال، فقال:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أنزلَكم.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تبنونَ من سهولها بما تعملون من اللَّبِنِ والآجُرِّ.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ كانوا ينقبونَ في الجبال البيوتَ، ففي الصيفِ يسكنون بيوتَ الطين، وفي الشتاءِ بيوتَ الجبلِ.

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمَه.

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والعَيْثُ: أَشَدُّ الفسادِ.

* * *

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾. قرأ ابنُ عامرٍ (وَقَالَ الْمَلأُ) بواو، وقرأ الباقون: بغير واو[(١)].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧٩).

﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ يعني: الأشرافَ والعامةَ الذين تعظَّموا عن الإيمانِ بصالح.

﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ يعني: الأتباعَ.

﴿ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ يعني: قالَ الكفارُ للمؤمنين:

﴿ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ إليكم.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ لا شكَّ عندَنا فيه.

* * *

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾.

[٧٦] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ جاحِدونَ.

* * *

﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾.

[٧٧] فلما أَضرَّتِ الناقةُ بمواشيهم، كَمَنَ لها قُدار بنُ سالفٍ بطريقِها بجماعةٍ تسعةٍ، وكمنَ لها مصدعُ بنُ مِهْرجٍ بطريقٍ آخرَ، فمرَّتْ بمصدعٍ فرماها بسهمٍ، فانتظمَ ساقَها، وشدَّ قُدارٌ عليها، فَعَرْقَبَها بالسيفِ، فخرَّتْ ورَغَتْ تحذِّرُ سَقَبَها، ثم طَعَنَ في لَبَّتِها فنحرَها ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ عرْقَبوها فقتلوها، واقتسموا لحمَها، فجاءَ صالحٌ فرآهُ الفصيلُ فبكى، ثُمَّ رغَا ثلاثاً، فانفجرتِ الصخرةُ التي خرجتْ منها أمُّه فدخلَها، وكانَ يومَ الأربعاء.

﴿ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ واستكبروا عن امتثالِهِ، فقال صالحٌ: انتهَكْتُمْ حرمةَ اللهِ، فأبْشِروا بعذابِه ونِقْمته، وقالوا وهم يستهزئون: ومتى ذلكَ يا صالح؟ قال: تعيشونَ بعدَه ثلاثةَ أيام تصفرُّ وجوهُكم أولَ يومٍ، وتحمرُّ في الثاني، وتسودُّ في الثالث، ويُصَبِّحُكُم العذابُ في الرابع، وكان كذلك، فاستهزَؤوا ﴿ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

***

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلةُ الشديدةُ، وجاءتهم صيحةٌ من السماء فيها صوتُ كلِّ صاعقةٍ، فتقطَّعَتْ قلوبُهم فماتوا.

﴿ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ بعضُهم على بعضٍ.

***

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ ﴾ أعرضَ.

﴿ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ أي: لم تقبلوا نُصْحي، ناداهُم بذلك توجُّعاً على ما فاتَهُ من إسلامهم، وتوبيخاً لهم، كما خاطبَ رسولُ الله ﷺ أهلَ قَليبِ بَدْرٍ وقال: «إنَّا وَجَدْنَا ما وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً، فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً»[١]، وسارَ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٥٧)، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، ومسلم (٢٨٧٤)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من =

صالحٌ إلى فلسطين، ثم انتقل إلى الحجاز يعبدُ الله إلى أن ماتَ بمكةَ، وقيل: بحضرموتَ، وهو ابنُ ثمانٍ وخمسينَ سنةً، وأقامَ في قومِه عشرين سنةَ، وقيل: إنه أقامَ بعدَ مهلكِ قومِه بفلسطينَ، وأن قبرَه بالمغارةِ التي بالجامعِ الأبيضِ بالرَّمْلَةِ، وهودٌ وصالحٌ عَرَبيان، وكذلكَ شُعيبٌ وإسماعيلُ.

***

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿وَلُوطًا﴾ أي: وأرسلْنا لوطاً، وتقدَّمَ ذكرهُ في سورةِ الأنعامِ، ولوطٌ اسمٌ أعجميٌّ صُرِفَ لخفَّتِه، لأنه على ثلاثةِ أحرفٍ وهو ساكنُ الوَسَط.

﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: وقتَ قولِه.

﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وهم أهلُ سَدومَ وقُراها، وهي[١]: عَمُورا، وأَدْم، وأَصْبُوئِن، ولُوشَع، وكان لوطٌ قد هاجرَ مع عمِّهِ إبراهيمَ عليه السلام إلى الشامِ، فنزل إبراهيمُ فلسطينَ، وأنزلَ لوطاً الأردنَّ، وهو نهرُ الشريعةِ شرقيَّ بيتِ المقدسِ، فأرسله الله إلى أهل سدومَ، فقالَ لهم مستفهماً على جِهَةِ التوبيخ:

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: السيئة القبيحةَ، وهي إتيانُ الذكورِ[٢].

= الجنة أو النار عليه، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(١) في «ن»: «وهم».

(٢) في «ن»: «الرجال».

﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ رُوي أنه لم تكن هذه المعصية في أمةٍ قبلَه، عَلَّمَهم إياها الخبيثُ إبليسُ.

* * *

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿ إِنَّكُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (إِنَّكُمْ) بهمزةٍ واحدةٍ على الخبرِ، والباقونَ: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم تَسْهيلاً وتحقيقاً وفصلاً[١]، كما تقدَّمَ في سورة الأنعامِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ في أدبارِهم.

﴿ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني: أدبارُ الرجالِ أشهى عندَكم من فروج[٢] النساءِ.

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مجاوزونَ الحلالَ إلى الحرام؛ وتقدَّمَ حكمُ الزِّنا واللواطِ ومذاهب الأئمة فيه في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الآية: ١٥].

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢، ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٠).

(٢) في باقي النسخ: «دون».

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ بعدَ موعظتِه إياهم.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ أي: قالَ بعضُهم لبعضٍ:

﴿ أَخْرِجُوهُم ﴾ أي: لوطاً وأتباعَهُ.

﴿ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ ﴾ ثم قالوا استهزاءً: ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ يتنزَّهونَ عن أدبارِ الرجالِ.

***

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ المؤمنينَ.

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الماضينَ؛ لأنها كانتْ مواليةً لهم، فهلكَتْ معهم.

***

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ ﴾ حجارةً، وقيلَ: الكبريت، قال أبو عبيدة: يقالُ في العذابِ: (أَمْطَرَ)، وفي الرحمة (مَطَرَ)[1] ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٨).

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ هو ابنُ إبراهيمَ الخليلِ عليه الصلاة والسلام، سميت المدينةُ باسمه، وهي(١) على بحر القُلْزُمِ تحاذي تبوكَ على نحوِ ستِّ مراحلَ، وهي البئرُ التي استقى منها(٢) موسى لسائمةِ شعيبٍ، وهي في عصرِنا منزلةٌ للحجاجِ المتوجِّهين من مصرَ وبيتِ المقدسِ إلى مكةَ المشرفةِ، وتسمَّى في هذهِ الأزمنةِ مغارةَ شُعيب، والمغارةُ في لحفِ الجبلِ، وفيها شجرٌ عظيمٌ من الجانبِ الغربيِّ، وقومُ شعيبٍ هم أصحابُ الأيكة، وكانت الأيكةُ من شجرٍ مُلْتَفٍّ.

﴿ أَخَاهُمْ ﴾ أي: أرسلْنا إليهم أخاهم في النَّسَبِ لا في الدِّين.

﴿ شُعَيْبًا ﴾ واختُلِفَ في نسبه، فقيل: هو ابنُ ثوبةَ(٣) بنِ مدينَ بنِ إبراهيمَ، وقيل: ابنُ مَيْكيكَ بنِ يَشْجُرَ بنِ مدينَ بنِ إبراهيمَ، وأُمُّ ميكيكَ بنتُ لوطٍ، وكان شعيبٌ أعمى، وكان يقال له: خَطيبُ الأنبياءِ؛ لحسنِ مراجعتِه قومَه، وكانوا أهلَ كفرٍ وبَخْسٍ للمكيالِ والميزانِ، وكانوا يظلمونَ الناسَ.

---

(١) في «ن»: «وهو».
(٢) في «ن»: «به»، وفي «ظ» و«ت» و«ش»: «بها».
(٣) في «ن»: «ذوبة».

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ ﴾ على صِدْقي، ولم تُذْكَرْ معجزاتُه في القرآنِ كما يذكَرُ جميعُ معجزاتِ محمدٍ ﷺ، ومن معجزاتِهِ تَغَصُّنُ العَصا، وحملُها أيَّ ثمرةٍ شاءَ موسى، وحملُها متاعَ موسى في رعايةِ الغنمِ، ومحاربةُ عدوٍّ إن عرضَ لهُ، وأن تصيرَ كالدَّلْوِ يسقي بها غنمَهُ إن احتاجَ، فإنَّ ذلكَ كانَ معجزةً لشُعيبٍ؛ لأن موسى لم يكنْ بعدُ نبياً.

وكان الغريبُ إذا دخلَ إلى قومِهِ، أخذوا دراهَمه، وقالوا: هي زُيوفٌ، فيقطِّعونَها ثم يشترونَها بنُقصانٍ، وربما أعطوهُ بدلَها زُيوفاً، فقال:

﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ﴾ أَتِمُّوهُ ﴿ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ﴾ تنقُصوا ﴿ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ حقوقهم.

﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ﴾ ببعثِ الرسلِ وتوضيحِ الشرائع.

﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ أي: العدلُ ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ في الدنيا والدين.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ مصدِّقين قولي.

* * *

﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٨٦) ﴾.

[٨٦] ﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ ﴾ طريقٍ من طرقِ الحقِّ ﴿ تُوعِدُونَ ﴾ مَنْ آمنَ بشعيبٍ العقوبةَ.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينِهِ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ﴾ تطلبونَ اعْوِجاجَها بإلقاءِ الشُّبَهِ للناس نَهْيِهم عن الإسلام.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ﴾ بَعْدَ قلَّةِ العَدَد والعُدَدِ بالبركةِ في النسلِ والمالِ[1].

﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: آخِرَ أمْرِ قوم لوطٍ.

***

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

[٨٧] ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ فصِرْتُم فريقين: مُصدِّقين ومكذِّبين.

﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ بإنجاءِ المؤمنين، وإهلاكِ الكافرين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأن الحكَمُ العدل، وليس هذا أمراً بالمقام على الكفر، ولكنه وَعيدٌ وتهديدٌ.

***

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ يعني: الرؤساءَ الذين تعظَّموا عن الإيمانِ لشعيبٍ وأتباعِهِ:

---

(١) في «ن»: «والولد».

﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾ لترجِعُنَّ.

﴿ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾ دينِنا، ولم يكنْ شعيبٌ قطُّ على دينِهم، وإنما تناولَه الخطابُ تغليباً للجَمْع على الواحد؛ لأن مَنْ تبعَه كانَ منهم.

﴿ قَالَ ﴾ شعيبٌ ﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ أي: وإن كُنَّا كاريهنَ فتجبرونا على الخروج عليه[1]؟

***

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ثم استأنفَ قائلاً: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: ما أكذَبنا على الله.

﴿ إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ ﴾ ثم قال مشيراً إلى أنْ لا حكمَ له:

﴿ وَمَا يَكُونُ ﴾ وما يَصِحُّ ﴿ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ ﴾ خِذْلانَنا فنعود، وفيه دليلٌ على أن[2] الكفرَ بمشيئته.

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ ﴾ أحاطَ علمهُ بكلِّ شيءٍ.

﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ ﴾ فيما تُوعِدوننا به، ثم دعا شعيبٌ بعدما ما أَيِسَ من صلاحِهم فقال:

---

(١) «على الخروج عليه» زيادة من «ن».

(٢) «أن» ساقطة من «ن».

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ ﴾ اقض ﴿ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ والفَتَّاحُ: القاضي ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ القاضِينَ.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٩٠) ﴾.

[٩٠] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾ وتركتُمْ دينَكُم.

﴿ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ مَغْبونونَ.

* * *

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩١) ﴾.

[٩١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلةُ، وأهلَكَهم اللهُ بسحابةٍ أمطرَتْ عليهم ناراً يومَ الظُّلَّةِ، وذلك أنهم رَأَوا حَرّاً شديداً، فدخَلُوا الأسرابَ، فوجدُوها أشدَّ حَرّاً، فخرجوا منها، فرأَوا سحابةً، فاستظلُّوا بها، فأمطرَتْ عليهم ناراً، فاحترقوا، وصاروا رماداً.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ سبقَ تفسيرُه في قصةِ صالحٍ. ولما نزلَ بهمُ العذابُ، نَجَّينا شعيباً بمن آمنَ معه إلى الموضعِ المعروفِ بأيلةَ، ويأتي ذكرُه في السورةِ إن شاء الله تعالى. قال أبو عبد الله البجلي: كانَ أبو جادٍ، وهَوَّز، وحُطِّين، وكَلَمُنْ، وسَعْفص، وقُرِشَتْ، مُلوكَ مَدْيَنَ، وكان ملِكُهم في زمنِ شُعيبٍ يومَ الظُّلَّة كَلَمُن، فلما هلكَ قالتِ ابنتُه تبكيه:

كَلَمُنَ قد هَدَّ رُكْني هُلْكُهُ وَسْطَ الْمَحِلَّهْ

سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْحَتْفُ ناراً تَحْتَ ظُلَّهْ
جُعِلَتْ ناراً عَلَيْهِمْ دارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّهْ(١)

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ ﴾ يُقيموا ﴿ فِيهَا ۚ ﴾ والمغانيَ: المنازلُ، واحدُها مَغْنَى.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ديناً ودنيا، لا الذين اتَّبَعُوه كما زعمَ الكفارُ.

* * *

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أعرضَ شعيبٌ من بينِ أظهُرِهم حينَ أتاهُمُ العذابُ.

﴿ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ ﴾ قالَه تأسُّفاً لشدةِ حزنِه عليهم، ثم أنكرَ على نفسه فقال:

﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ أَحْزَنُ ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴾ بعدَ إنذاري لهم، ومبالغتي في نُصْحِهم، وقبرُ شعيبٍ بقريةِ حِطِّينَ من أعمالِ مدينةِ صَفَد، مسافتُها عن بيتِ المقدسِ نحوُ ثمانيةِ أيام.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٦٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٠-١٣١).

مُحتَوى المجلَّد الثَّاني

* * *

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إصدَارَاتِ
وَزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إصدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٨ _ ١٦ _ ٤١٨ _ ٩٩٣٣ _ ٩٧٨ : ISBN

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارِ النَّوَادِرِ م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة - ذ. م. م - الكُوَيْت
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أُسِّسَت سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَام وَالرَّئِيسُ التَّنفِيذِي

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي
المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)
رحمه الله تعالى

المجلد الثالث

اعتنى به
تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة سورة الأعراف

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ ﴾ فيه إضمارٌ، يعني: فكذبوه.

﴿ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾ الفقرِ ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرضِ.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ ليتذلَّلوا ويتوبوا.

***

﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ﴾ الشدةِ ﴿ ٱلۡحَسَنَةَ ﴾ الرخاءَ.

﴿ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾ كَثُروا عدداً وأموالاً[١]، فطَغَوا.

﴿ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ أي: ليسَ ما أصابنا بالابتلاء، وإنما هذا[٢] دأبُ الدهرِ ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بنزولِ العذابِ.

---

(١) في «ن»: «أموالاً وعدداً».

(٢) في «ش»: «هو».

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المكذِّبينَ.

﴿ وَٱتَّقَوْاْ ﴾ المعاصيَ.

﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (لَفَتَّحْنَا) بتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف[1].

﴿ بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لجاءَهم المطرُ والخصبُ، وعمَّهُم الخيرُ من كلِّ جهةٍ ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

* * *

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المكذِّبونَ، وهم أهلُ مكةَ ومَنْ حولَها، الاستفهامُ للإنكارِ، والفاءُ للعطفِ نظيرُه: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

﴿ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾ عذابُنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾ ليلاً ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢، ١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٢).

﴿ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ أَوَ أَمِنَ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: (أَوْ أَمِنَ) بسكون الواو، جعلوها (أو) العاطفةَ تكونُ لأحدِ الشيئين؛ كقولك: ضربتُ زيداً أو عَمْراً؛ وورشٌ يحذفُ الهمزةَ، ويلقي فتحتَها على الواو الساكنة، فتتصل فتحةُ الواو بكسرةِ الميم في اللفظ، والباقون: بفتح الواو، وجعلوها واوَ العطف دخلَتْ عليها ألفُ الاستفهام[١]، نظيره: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٠٠].

﴿ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾ أي: نهاراً، والضحى: صَدْرُ النهار وقتَ انبساطِ الشمسِ.

﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ لاهُونَ من فرطِ الغفلةِ.

* * *

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ ﴾ استدراجَه إياهم بما أنعمَ عليهم في دنياهم.

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ الذين خَسِروا بالكفرِ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٣).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أي: يُبيِّنْ. قرأ العامة: (يَهْدِ) بالياء، وقرأ زيدٌ عن يعقوبَ: بالنون على التعظيم.

﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: يسكنونها.

﴿مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ الهالكينَ.

﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ أهلَكْناهم كما أَصبْنا مَنْ قبلَهم، واختلافُ القراء في الهمزتين من (نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ) كاختلافِهم فيها من (السُّفَهَاءُ أَلَا) في سورةِ البقرةِ.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كمَنْ تقدَّمَهم ﴿وَنَطْبَعُ﴾ نختمُ.

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تفهُّمٍ واعتبار.

* * *

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

[١٠١] ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ المذكورةُ وأهلُها؛ يعني: قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ، وقومَ لوطٍ وشعيبٍ.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبارِها؛ لما فيها من الاعتبارِ.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزاتِ.

﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ﴾ عندَ مجيءِ الرُّسلِ بالبيناتِ.

﴿ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبلِ قيامِ المعجزاتِ، المعنى: لم تؤثرْ فيهم الموعظةُ، واستمروا على الكفرِ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثلَ ختمِنا على قلوبِ الكافرينَ قبلَكَ.

﴿ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ من قومِك فلا يؤمنونَ.

* * *

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ (١٠٢) ﴾.

[١٠٢] ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم ﴾ أي: الناسِ.

﴿ مِّنْ عَهْدٍ ﴾ أي: وفاءِ عهدٍ.

﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي: عَلِمْناهم.

﴿ لَفَٰسِقِينَ ﴾ خارجينَ عن الطاعةِ، و(إنْ) للنفي، و(اللام) بمعنى إلا، التقدير: وما وجَدْنا أكثرَهم إلا فاسقينَ.

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣) ﴾.

[١٠٣] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ أي: من بعدِ الأنبياءِ المتقدِّمِ ذكرُهم، وأممِهم.

﴿ مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ يعني: المعجزاتِ.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ﴾ أي: كفروا ﴿بِهَاۖ﴾ والظلمُ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه، فظلمُهم وضعُ الكفرِ موضعَ الإيمان.

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ وكيفَ فعلنا بهم.

***

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤﴾.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لما دخلَ على فرعونَ:

﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فقال فرعونُ، كذبتَ.

***

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥﴾.

[١٠٥] فقال موسى ﴿حَقِيقٌ﴾ من الحقّ.

﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ قرأ نافعٌ: (عَلَيَّ) بتشديد الياءِ وفتحِها على أنها ياءُ الإضافة، معناه: حقٌّ واجبٌ عليَّ، وقرأ الباقونَ: (عَلَى) على أنها جرٌّ[١]، معناهُ: جديرٌ بألاَّ أقولَ إلا الحقَّ.

﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ اليدِ والعصا.

﴿فَأَرۡسِلۡ﴾ أطلِقْ.

﴿مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وخَلِّهِمْ حتى يرجِعوا إلى الأرضِ المقدسةِ التي هي

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٥).

وطنُ آبائِهم، وكانَ فرعونُ قد استعبدَهُم بعدَ موتِ يوسفَ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (مَعِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١٠٦)﴾.

[١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعونُ ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواكَ.

﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في الدعوى، وكان بينَ دخولِ يوسفَ مصرَ ودخولِ موسى أربعُ مئةِ سنةٍ.

* * *

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧)﴾.

[١٠٧] ﴿فَأَلْقَىٰ﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ من يدِه.

﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ هو ذَكَرُ الحياتِ، عظيمُ الجسمِ ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ أمرُهُ.

قال ابنُ عباسٍ: «لما أَلْقَى العَصا، صارتْ حَيَّةً عظيمةً صفراءَ شعراءَ فاغرةً فاها، ما بين لَحْيَيْها ثمانون ذراعاً، واضعةً لَحْيَها الأسفلَ في الأرضِ، والأعلى على سورِ القصر، ثم تنفَّسَتْ في البيوتِ والخزائنِ، فاشتعلتْ ناراً، وجعلتْ تهيجُ كالجملِ، ولها صوتٌ كالرَّعد، وحملتْ على الناسِ، فانهزموا وصاحوا، وماتَ منهم خمسةٌ وعشرونَ ألفاً، قتلَ بعضُهم بعضاً، وتوجَّهَت نحوَ فرعونَ لتأخذَهُ، فوثبَ من[2] سريرِه هارباً، وأحدَثَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١ـ٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٦).

(٢) في «ن»: «عن».

في ثيابِه، وأخذتِ الحيةُ أذياله[1] حتى رمى نفسَه خلفَ السريرِ وصاحَ: يا موسى! أَنْشُدُكَ بالذي أرسلَكَ! خُذْها وأنا أؤمن بكَ، وأُرسلُ معكَ بني إسرائيل، فأخذها موسى، فعادت عصًا كما كانت»[2].

* * *

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨ ﴾.

[١٠٨] فلما نظرَ فرعونُ إلى ذلك، قال: يا موسى! لقد تعلمتَ سحراً عظيماً، هل عندَكَ غيرُ هذا؟ قالَ: نعم ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أدخلَها جيبَهُ ثم نزعَها.

﴿ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ لها شعاعٌ يغلبُ نورَ الشمس، ثم أَدخلها جيبَهُ فصارَتْ كما كانت.

* * *

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩ ﴾.

[١٠٩] فثَمَّ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ بالسحر.

* * *

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١٠ ﴾.

[١١٠] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم ﴾ يا معشرَ القبطِ.

﴿ مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ مصرَ.

﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ تشيرون؟ هذا من قولِ فرعونَ، وما قبلَه من قولِ الملأ.

---

(١) في «ن»: «بأذياله».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٣٤).

﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: الملأُ.

﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ المعنى: اتركِ التعرُّضَ له بالقتلِ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ: (أَرْجِئهُو) بالهمزِ وضمِّ الهاء ووصلِها بواو، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: بالهمزِ وبكسرِ الهاءِ، ولا يصلُها بياء، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: بالهمزِ والضمِّ من غيرِ صلة، والباقون: بغير همزٍ، ثم نافعٌ بروايةِ ورشٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ يُشبعونَ الهاءَ كَسْراً، ويُسكنها عاصمٌ، وحمزةُ، ويختلِسُها أبو جعفرٍ، وقالونُ[1]، وكذلك اختلافُهم في حرفِ الشعراءِ.

﴿ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ هي مدائنُ بالصعيدِ من نواحي مصرَ.

﴿ حَٰشِرِينَ ﴾ جامعينَ.

* * *

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (سَحَّارٍ) على وزنِ فَعّال مبالغةً، وأمال فتحةَ الحاءِ الدوريُّ عن الكسائيِّ، والسحارُ: هو العالِمُ المعلمُ السحر. وقرأ الباقون: (سَاحِر) على وزنِ فاعِل[2]، والساحرُ: من يعلمُ ولا يعلِّمُهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٧ـ٢٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٦ـ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٧ـ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٦ـ٣٨٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، =

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ بعدما أرسلَ الشُّرَطَ في طلبِهم، قيلَ: كانوا ثمانينَ ألفاً، متقدِّمُهم شمعونُ، وقيلَ غيرُ ذلك، فلما اجتمعوا.

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ لفرعونَ ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ أي: جُعْلاً.

﴿ إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ لموسى. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ وحفصٌ: (إِنَّ لَنَا) بهمزة واحدة على الخبر، أخبروا أنهم يستحقُّون على غَلَبِهم موسى جُعْلاً، والباقون: بهمزتين على الاستفهام[١]؛ أي: أَتجعلُ لنا جُعلاً؟ وهم على أُصولهم تَسْهيلاً وتحقيقاً وفصلاً كما تقدَّمَ في سورةِ الأنعامِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٩].

* * *

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ﴿ قَالَ ﴾ فرعونُ: ﴿ نَعَمْ ﴾ لكم عليَّ جعلٌ.

﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ في المنزلةِ عندي.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٦ـ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٣٢، ١١١ـ١١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٨).

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

[١١٥] فعندَ اجتماعِهم بالإسكندريةِ ﴿ قَالُواْ ﴾ تأدُّباً .

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ ﴾ عصاكَ ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴾ آلاتِنا .

***

﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

[١١٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : بل ﴿ أَلۡقُواْۖ ﴾ أنتم .

﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ ﴾ آلاتِهم .

﴿ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ صَرَفوها عن إدراكِ حقيقةِ سحرِهم بما فعلوهُ من التَّمْويهِ والتَّخْييلِ .

﴿ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ ﴾ أخافوهم لما رَأَوا منَ الحيَّاتِ أمثال الجبالِ يركبُ بعضُها بعضاً ، وكانتِ الأرضُ الملقى فيها مِيلاً في مِيل .

﴿ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾ في فَنِّه .

***

﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

[١١٧] ﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ ﴾ فألقاها ، فصارت حيةً سدَّتِ الأفقَ ، وفتحتْ فمهَا ثمانينَ ذراعاً .

﴿ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ ﴾ تبتلعُ .

﴿ مَا يَأْفِكُونَ﴾ يَكْذِبون، فابتلعَتْ جميعَ ما أَلْقَوا، وقصدتِ القومَ، فهلكَ في الزحام منهم خمسةٌ وعشرونَ ألفاً، فأخذها موسى، فعادت عصًى. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (تَلْقَفُ) بإسكانِ اللام وتخفيفِ القاف، والباقون: بفتح اللام وتشديد القاف، والبزيُّ يشدِّدُ التاءَ وصلاً على إدغامٍ في التاء من تتلقف[1].

***

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ فَوَقَعَ ﴾ أي: ظهرَ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ أنه مع موسى.

﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من السحر، وقالوا: لو كان موسى ساحراً، لبقيتْ عِصِيُّنا.

***

﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] فعلموا أن ذلكَ من أمرِ الله ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾ ذليلين.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣، ١١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٨٩-٣٩٠).

﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ خرُّوا سُجَّداً لله تعالى متطارحين. قرأ أبو عمرٍو: (السَّحَرَةَ سَّاجِدِينَ) بإدغام التاء في السين.

***

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾.

[١٢١] ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

***

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] فقال فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾.

***

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾.

[١٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾ أي: بالله. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (آمنتم) بهمزةٍ واحدةٍ على الخبر، وقرأ قنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَآمَنْتُمْ بِهِ) يُبدل في حال الوصلِ من همزةِ الاستفهامِ واواً مفتوحةً، ويمدُّ بعدَها مدة في تقديرِ أَلِفين، والباقون: بهمزتين على الاستفهامِ، فحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ، وروحٌ عن يعقوبَ: يقرؤون بتحقيقِ الهمزتينِ على الأصلِ، والباقونَ بتحقيقِ الأولى وتسهيلِ الثانية[1]، ولم يُدْخِلْ أحدٌ ألفاً بينَ الهمزةِ المحقَّقةِ والمسهَّلة في

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، =

هذا المحلِّ كما أدخلَها مَنْ أدخلَها منهم في (أَأَنْذَرْتَهُمْ) وبابِهِ؛ لكراهيةِ اجتماعِ ثلاثِ أَلِفاتٍ بعدَ الهمزةِ، ومعنىَ الكُلِّ إنكارٌ؛ أي: أَصَدَّقْتُم بموسى، وآمنتم بربِّهِ.

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أي: من غيرِ أَمْري إياكم.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتُم أنتمْ وموسى.

﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ لَحِيلَةٌ احْتَلْتُمُوها.

﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ في مصرَ قبل أن تخرُجوا إلى هذا الموضعِ.

﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ القبطَ، وتخلصُ لكم ولبني إسرائيلَ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ ما فعلتم.

* * *

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

[١٢٤] وهو تهديدٌ مجملٌ تفصيلُه: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ من كلِّ شِقٍّ طَرَفاً، وهو أولُ مَنْ قطعَ من خلافٍ وصَلَبَ.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على شاطىء نهرِ مصرٍ؛ تفضيحاً لكم، وتنكيلاً لأمثالِكم.

* * *

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

[١٢٥] وكان موسى قد قالَ للسحرةِ لكبيرهم: أتؤمنُ بي إنْ غلبتُك؟

= و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٠ـ٣٩١).

فقال: لآتينَّ بسحرٍ لا يغلبُه سحرٌ، وإن غَلَبتني لأومننَّ بكَ، وفرعونُ يسمعُ، فلذلك قالَ ما قال.

﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: السحرةُ لفرعونَ:

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ راجعونَ إلى الآخرة، فيرحَمُنا ويُثيبنا، فلا نُبالي بعذابِك.

* * *

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ثم قالوا توبيخاً: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ أي: تكرَهُ مِنَّا.

﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ﴾ وهو خيرُ الأعمالِ، ثم فزعوا إلى اللهِ فقالوا:

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: ارزقْنا صبراً كثيراً يفيضُ علينا عندَ القطعِ والصَّلْبِ.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتينَ على الإسلامِ، فقطعَ أيديَهم وأرجُلَهم، وصَلَبَهم، وقيل: إنه لم يقدرْ عليهم؛ لقولِه تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٥]، ورُوي أنه آمنَ بموسى عندَ إيمانِ السحرةِ ستُّ مئةِ ألفٍ.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

[١٢٧] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لهُ: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بتغييرِ الناسِ عليكَ، ودعوتِهم إلى مخالفتِكَ.

﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ مَعْبوداتِك، فلا يعبدُكَ ولا يعبدُها؛ لأنه كانَ قد أمرَ قومَه بعبادةِ الأصنامِ، فقالَ: هذه آلهتُكم، وأنا ربُّها وربُّكم، ولذلكَ قالَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقيل: كان له بقرةٌ يعبدُها، فلذلك أخرجَ لهم السامريُّ عِجْلاً، وقيل: كانَ يعبدُ الكواكبَ، وقيل: الشمسَ. المعنى: أيكونُ منكَ تركُ موسى، ويكونُ تركُهُ إياكَ فلا يلتفِتُ إليكَ؟!

﴿قَالَ﴾ فرعونُ:

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (سَنَقْتُلُ) بفتحِ النونِ وإسكانِ القافِ وضمِّ التاءِ من غيرِ تشديدٍ، من القتلِ، وقرأ الباقون: بضمِّ النونِ وفتحِ القافِ وكسرِ التاءِ وتشديدِها، من التقتيلِ، على التكثيرِ(١).

﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ نتركُهم أحياءً كفعلِنا بهم قبلُ، وتقدَّمَ ذكرُ قِصتهم في القتلِ في سورةِ البقرةِ.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ غالِبونَ، وهم مقهورونَ تحتَ أيدينا.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٣).

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾.

[١٢٨] فأعادَ فرعونُ عليهمُ القتلَ، فشكَتْ بنو إسرائيل ذلكَ، فَثَمَّ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ ﴾ أرضَ مصرَ.

﴿ يُورِثُهَا ﴾ يُعطيها ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وعدٌ لهم بالنصرِ.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٢٩ ﴾.

[١٢٩] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ يعني: قومَ موسى.

﴿ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا ﴾ بالرسالةِ بقتلِ الأبناءِ.

﴿ وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ ﴾ بإعادةِ القتلِ علينا.

﴿ قَالَ ﴾ لهم موسى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ فرعونَ.

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يُسْكِنَكم أرضَ مصرَ.

﴿ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ من طاعةٍ وعصيانٍ، فيجازيكم، فحقَّقَ اللهُ ذلكَ، وأغرقَ فرعونَ، واستخلَفَهم فيها، فعبدوا العجلَ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ أي: سِني القحطِ لأهلِ البوادي.

﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ لأهلِ الأمصارِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ يَتَّعِظون فيؤمنون؛ لأن البلاءَ يرقِّقُ القلوبَ، ويرغِّبُ في الآخرة، رُوي أن فرعونَ عاشَ أكثرَ من ستِّ مئةِ سنةٍ، وملكَ أربعَ مئةِ سنةٍ لا يَرى مكروهاً فيها، ولو رآه، لما ادَّعى الربوبيةَ.

* * *

﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾.

[١٣١] ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ الخصبُ والسَّعةُ.

﴿ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ﴾ أي: نحنُ مستحقُّوها، ولم يشكروا اللهَ.

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ قحطٌ وغلاءٌ.

﴿ يَطَّيَّرُوا۟ ﴾ يتشاءموا.

﴿ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾ من المؤمنين.

﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ أي: ما يصيبُهم من خيرٍ وشرٍّ.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من قِبَلِ اللهِ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلكَ.

* * *

﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

[١٣٢] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: القبطَ لموسى ﴿ مَهْمَا ﴾ أصلهُ: (ما) الشرطية أضيفتْ إليها (ما) المزيدة للتأكيد[١]، فصارت ماما، ثم قلبتْ ألفُها استثقالاً للتكثير.

﴿ تَأْتِنَا بِهِۦ ﴾ أي: أيُّما شيءٍ تُحضِرُنا تأتنا به.

﴿ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ بيانٌ لـ: «مهما»، وسموها آيةً استهزاءً لموسى.

﴿ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾ لتنقلَنا عمَّا نحن عليه.

﴿ فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: لا نخدعُ لك بدليلٍ ما، ولا نصدِّقُك. قرأ أبو عمرٍو: (نَحْن لَّكَ) وشبهَه حيثُ وقعَ بإدغامِ النونِ في اللام[٢].

* * *

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾ وهو السيلُ الشديدُ، ودخلَ بيوتَهم حتى بلغَ تَراقِيَهم، فمن جلسَ منهم غرقَ، ودامَ سبعةَ أيامٍ من السبتِ إلى السبتِ، ولم يدخلْ بيتَ إسرائيليٍّ معَ اشتباكِها ببيوتِهم، فقالوا لموسى: ادعُ رَبَّكَ يكشفْ عَنَّا، ونحن نؤمنُ بكَ، ونرسلُ معكَ بني إسرائيل، فدعا، فَرُفِعَ، فأخصبتْ بلادُهم، فلم يؤمنوا.

---

(١) «للتأكيد» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «الإتقان» للسيوطي في النوع «الحادي والثلاثون».

﴿ وَٱلْجَرَادَ ﴾ المعروفَ، بُعِثَ عليهم بعدَ الطوفان، فأكلَ جميعَ نباتِهم وثيابِهم، وسقوفَ بيوتهم وأبوابَها، ولم يضرَّ بإسرائيليٍّ، فقالوا له: اكشفْ عنا نؤمنْ، فأشار بعصاهُ شرقاً وغرباً، فذهبَ الجرادُ من حيثُ جاء، وفي الخبر: مكتوبٌ على صدرِ كُلِّ جرادةٍ: جُنْدُ اللهِ الأعظمُ، فلم يؤمنوا.

﴿ وَٱلْقُمَّلَ ﴾ بُعِثَ عليهم بعدَ الجراد، قيل: هو جرادٌ بلا أجنحةٍ، وقيل: هو القَمْلُ المعروف، وقيل: هو السوسُ يخرجُ من الحنطة، فأكلَ ما تركَ الجرادُ وأشعارَهم وأبشارَهم، وآلَمَهُمْ قرصاً، وخبثَ عليهم أطعمتَهم لوقوعها فيها وفي أفواهِهم، ولم يضرَّ بإسرائيليٍّ، فاستغاثوا بموسى، فدعا، فَرُفِعَ عنهم، فلم يؤمنوا.

﴿ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾ بُعثتْ عليهم بعدَ القمل، فملأَتْ بيوتَهم وأطعمتَهم، وخَبَّثَتْها عليهم، ودخلَتْ أفواهَهُم، فاستغاثوا بموسى، فدعا، فَرُفِعَ عنهم، فلم يؤمنوا.

﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ بُعثَ عليهم بعدَ الضفادع، فصارت جميعُ مياهِهم دماً أحمرَ عبيطاً، فكانَ فرعونُ يجمعُ بينَ القبطيِّ والإسرائيليِّ على الإناء الواحد، فيكونُ ما يلي الإسرائيليَّ ماءً، وما يلي القبطيَّ دماً، وتأخذُ المرأةُ الإسرائيليةُ الماءَ في فمِها فتلقيه في في القِبْطِيِّ فيصيرُ دماً، وجعلَ[1] فرعونُ يمضغُ الشجارَ فيصيرُ ماؤها في فيه دماً.

﴿ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾ مبيناتٍ، حالٌ من هذهِ المذكوراتِ، وتفصيلُها أَن كانَ كلُّ عذابٍ أُسبوعاً، وبينَ كلِّ عذابينِ شهرٌ، رُوي أن موسى بقيَ بعدَما

---

(١) في «ن»: «وصار».

غلبَ السحرةَ عشرينَ سنةً يُريهم الآيات.

﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الآيات ﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ﴾.

***

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ العذابُ المفصَّلُ، وبعدَهُ طاعونٌ أَنزله اللهُ بهم، ماتَ منهم في ليلةٍ سبعون ألفَ قبطيٍّ.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ﴾ أي: بعهدِهِ، وهو النبوةُ ﴿لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ﴾ وهو الطاعونُ ﴿لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

قال ﷺ: «الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ»(١).

***

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨٦)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (٢٢١٨)، كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها، عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ وهو وقتُ غَرَقِهِم.

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقُضون العهدَ.

* * *

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

[١٣٦] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحرِ ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: بسببِ تكذيبِهم بها ﴿وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ أي: عن النِّقْمَةِ قبلَ حُلولِها غافلينَ.

* * *

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعبادِ وذبحِ الأبناءِ، وهم بنو إسرائيلَ ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ والأرضُ: الشامُ ومصرُ، ومشارِقُها ومغاربُها: جهاتُ الشرقِ والغربِ بها، ملكَها بنو إسرائيلَ بعدَ الفراعنةِ والعمالقةِ.

﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماءِ والأشجارِ والثمارِ.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ عِدَاتُه[1] الجميلةُ. و(كلمت) وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، أبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ.

﴿ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بنصرِهِ إياهم ﴿ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على الشدائِد.

﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ أهلَكْنا ﴿ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ ﴾ في أرضِ مصرَ من العماراتِ.

﴿ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ من البساتين. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَعْرُشُونَ) بضمِّ الراء، والباقون: بكسرها[2].

* * *

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] ﴿ وَجَٰوَزْنَا ﴾ عبَرْنا ﴿ بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾ وكانَ ذلكَ يومَ عاشوراء.

﴿ فَأَتَوْا۟ ﴾ فمروا ﴿ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ من لخم.

﴿ يَعْكُفُونَ ﴾ يُقيمون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بكسر الكاف، والباقون: بضمها[3].

﴿ عَلَىٰٓ ﴾ عبادةِ ﴿ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ كانتْ على صورةِ البقرِ يعبدونها.

---

(١) في «ش»: «عدته».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٣) المصادر السابقة.

﴿ قَالُواْ ﴾ يعني: بني إسرائيل لما رأوا ذلك.

﴿ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا ﴾ صنماً نُعظِّمُه ﴿ كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ يعبدونها.

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ المعبود.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

[١٣٩] ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: عبدةَ الأصنامِ.

﴿ مُتَبَّرٌ ﴾ مُهْلَكٌ ﴿ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ من الشركِ.

﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: شركُهم يزولُ، ويَهْلِكون إن لم يؤمنوا.

* * *

﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

[١٤٠] ثم ﴿ قَالَ ﴾ موبِّخاً: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ أطلبُ لكم إلهاً معبوداً.

﴿ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ في زمانكم.

* * *

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾.

[١٤١] ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (أَنْجاكُمْ)، وكذلكَ هو في مُصحفِ أهلِ الشامِ، والباقون: بياء ونون وألف بعدها، وكذلك هو في

مصاحِفهم[1]، المعنى: واذكروا إنقاذنا لكم.

﴿ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يذيقونكم ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أشدَّه وأسوأه.

﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ قرأ نافعٌ: (يَقْتُلُونَ) خفيفةً من القَتْل، والباقون: بالتشديدِ على التكثيرِ من التَّقتيل[2] ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ سبقَ تفسيرُه.

﴿ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ وفي الإنجاءِ والعذابِ محنةٌ عظيمةٌ.

* * *

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

[١٤٢] ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (وَعَدْنَا) بقصرِ الألفِ من الوعدِ، والباقون: (وَاعَدْنَا) بالمدِّ من المواعدة[3].

﴿ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً ﴾ ذا القعدةِ ﴿ وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ ﴾ من ذي الحجةِ ﴿ فَتَمَّ

---

(١) في «ن»: «مصحفهم». وانظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٨).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٢ و٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٨).

مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: الوقتُ الذي وعدَه أن يخاطِبَه بَعْدَهُ.

﴿أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ تمييزٌ، وأربعين حالٌ؛ أي: بالغاً هذا العدد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ عندَ انطلاقِه إلى الجبلِ للمناجاةِ.

﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي﴾ كُنْ خليفتي.

﴿فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ﴾ أي: ومُرْهُمْ بالإصلاحِ.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ لا تطعْ مَنْ عصى الله، وصَدَّهُمْ عن المعصيةِ، وذلك أن موسى وعدَ بني إسرائيلَ بمصرَ أن يأتيَهم بعدَ مهلكِ فرعونَ بكتابٍ من عندِ اللهِ فيه بيانُ ما يَأْتون ويَذَرون، فلما هلكَ، سأَلَ ربَّهُ الكتابَ، فأمره اللهُ أن يصوم ثلاثينَ يوماً، فلما تَمَّت، أنكرَ خُلُوفَ فَمِهِ، فاستاكَ بعودِ خَرُّوبٍ، فقالت له الملائكة: كنا نشمُّ من فيكَ رائحةَ المسكِ فأفسَدْتَهُ بالسِّواكِ، وأوحى الله إليه: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدِي أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ؟» فَأُمِرَ بصيامِ عشرةِ أيامٍ من أولِ ذي الحجة، ثم أَنزلَ عليه التوراةَ في العشرِ، وكلَّمه فيها، فكانتْ فتنتُهم في العشرِ التي زادَها(١).

* * *

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٤٦).

[١٤٣] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا ﴾ الوقتِ الذي وعَدْناه أن نكلِّمَه فيه، تَطَهَّرَ وَطَهَّرَ ثيابَه ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ من غير واسطةٍ كما يشاءُ، وجبريلُ عليه السلام معه لم يسمعْ ما كلَّمه به، فلما سمعَ موسى كلامَ ربِّهِ اشتاقَ إلى رؤيتِه، فثَمَّ ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، والسوسيُّ عن أبي عمرٍو، ويعقوبُ: (أَرْني) بإسكانِ الراء، والباقون: بالكسرِ[١]؛ أي: أرني نفسَك لأتمكَّنَ من رؤيتِك.

﴿ قَالَ ﴾ اللهُ: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ وليسَ لبشرٍ أن يطيقَ النظرَ إليَّ في الدنيا، وسؤالُ الرؤيةِ دليلٌ على أن رؤيتَهُ تعالى جائزةٌ في الجملةِ؛ لأن طلبَ المستحيلِ من الأنبياءِ محالٌ، خُصوصاً ما يقتضي الجهلَ باللهِ، ولذلك ردَّهُ بقولِه: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ دونَ لَنْ أُرى، ولَنْ أُرِيَك، ولن تنظرَ إليَّ، وتعلقَتْ نُفاةُ الرؤيةِ بظاهرِ هذهِ الآيةِ وقالوا: قال الله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾، و(لن) تكونُ للتأبيد، قال البغويُّ: ولا حجَّةَ لهم فيه، ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا، أو في الحال، و(لن) لا تكونُ للتأبيد؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا ﴾ [البقرة: ٩٥] إخباراً عن اليهودِ، ثم أَخبرَ عنهم أنهم يتمَنَّونَ الموتَ في الآخرة، ويقولونَ: ﴿ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ ﴾ [الزخرف: ٧٧]، و﴿ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧]، وقد وردتِ السنَّةُ بالحديثِ المتواترِ أَنَّ أهلَ الإيمانِ يرونَ اللهَ يومَ القيامةِ، وقيل: إن طلبَ الرؤية لأجلِ الذينَ كانوا معه، الذين قالوا: أَرِنا اللهَ جَهْرَةً، وردَّ البيضاويُّ هذا القولَ، وجعلَهُ خطأً، وتقدَّمَ كلامُ الأئمةِ الأربعةِ على رؤيتِه سبحانَه في الآخرةِ في سورةِ الأنعام.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٩٩).

﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ وهو أعظمُ جبلٍ بمدْيَنَ يقالُ له: زبير؛ أي: لكنْ سأتجلَّى على الجبلِ الذي هو أقوى منكَ وأشدُّ.

﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ لم يتزلزلْ.

﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ أي: سوف تثبتُ رؤيتي وتُطيقُها، وقد علمَ تعالى أن الجبلَ لا يثبتُ عندَ التجلِّي، فلذلكَ علَّقَ الرؤيةَ على ثُبوتِه.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي: ظهرَ نورُ ربِّه.

﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي: مستوياً بالأرضِ. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (دَكَّاءَ) بالمدِّ والهمزِ مفتوحاً؛ أي: كأرضٍ دكَّاءَ، **وقرأ** الباقون: بالتنوينِ من غيرِ مَدٍّ ولا همزٍ، مصدرُ دَكَّه[1]، ومعناه التفسيرُ الأولُ.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مَغْشِيّاً عليه لهولِ ما رأى، رُوي أنه خرَّ صَعِقاً يومَ الخميسِ يومَ عرفةَ، وأُعْطِيَ التوراةَ يومَ الجمعة يومَ النحر.

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من غشوتِهِ ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لكَ عن الإدراكِ.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عن سؤالِ الرؤيةِ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من بني إسرائيل، وقيل: أولُ المؤمنينَ بأنك لا تُرى في الدنيا. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (وَأَنا أَوَّلُ) بالمدِّ، والباقون: بغير مد[2].

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٠).

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾.

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ اللهُ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتُكَ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (إِنِّيَ) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ في زمانِك.

﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: (بِرِسَالَتِي) على التوحيد، والباقون: على الجمع(٢)، وإن كانَ هارونُ شريكَه في الرسالة، فهو تابعٌ له ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ وبتكليمي.

﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ أعطيتُكَ من الرسالة.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ للهِ على نعمِه.

رُويَ أنَّ موسى عليه السلام مكثَ بعدَ أن كلَّمه الله عز وجل أربعينَ ليلةً لا يراهُ أحدٌ إلا ماتَ من نورِ اللهِ عز وجل.

* * *

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠١).

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ﴾ أي: لموسى.

﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ جمعُ لَوْح، سُمِّي بهِ لأنه يلوحُ فيه ما يُكْتَبُ، والمرادُ: ألواحُ التوراةِ، وفي الحديثِ: «كَانَتْ مِنْ سِدْرِ الجنَّةِ، طولُ اللَّوْحِ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعاً»(١)، وقيلَ: كَانَتْ من زُمُرُّدٍ، وقيلَ: من ياقوتةٍ حمراءَ، وقيل: من زَبَرْجَدٍ، وقيلَ: من صَخْرَةٍ صماء(٢) لَيَّنَها اللهُ لموسى، فقطعَها بيدِه، ثم شقَّها بأصابعِه فأطاعَتْه كالحديدِ لداودَ، وكانت عشرةً، وقيل: سبعةً، وقيل: وقْرَ سبعينَ بعيراً، كلُّ لوحٍ كطولِ موسى، وإضافةُ الكتابةِ إلى نفسِه على جهةِ التشريفِ؛ إذْ هيَ مكتوبةٌ بأمرِه، كتبها جبريلُ بالقلمِ الذي كتبَ به الذِّكْر، واستمدَّ من نهرِ النورِ، وسمعَ موسى صريرَ القلمِ بالكلماتِ العشرِ.

﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ مما أُمروا به، ونُهوا عنه، وعن مقاتل: كتب في الألواحِ: إنِّي أنَا اللهُ الرحمنُ الرحيمُ، لا تُشْركوا بي شيئاً، ولا تَقْطَعوا السبيلِ، ولا تَحْلِفوا باسمي كاذباً؛ فإنَّ من حلفَ باسمي كاذباً، فلا أُزكيه، ولا تَقتلوا، ولا تَزْنوا، ولا تَعقُّوا الوالدينِ.

﴿مَّوْعِظَةً﴾ تذكيراً وتحذيراً بما يُخافُ عاقبتُه.

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ تبييناً لكلِّ ما يحتاجون في دينهم إليه.

﴿فَخُذْهَا﴾ أي: الألواحَ ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدٍّ واجتهادٍ.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ بالأحسنِ منها، وهو الجمعُ بينَ فضائِلها وفرائِضها.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣).

(٢) «صماء» ساقطة من «ش».

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ دارَ فرعونَ وقومِه بمصرَ خاويةً على عروشِها.

* * *

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

[١٤٦] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ﴾ أي: عن تَدَبُّرِها[١] وفَهْمِها.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾ على الناسِ.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بأن أَخْذُلَهم وأُعميَ بصائرَهم. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ: (آيَاتِي الَّذِينَ) بإسكانِ الياء، والباقون: بالفتح[٢].

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ دالَّةٍ على التوحيدِ ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ لعنادِهم.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (الرَّشَدِ) بفتح الراء والشين، والباقون: بضم الراء وسكون الشين، وهما لغتان[٣]؛ كالبُخْل والبَخَل، ومعناه: الفلاحُ.

---

(١) في «ن»: «تدبيرها».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٢-١٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٢).

﴿ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ لأنفسِهم؛ لاستيلاءِ الشيطنةِ عليهم.

﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ ﴾ أي: طريقَ الضلال.

﴿ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ فهم ضالُّون.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الصرفُ.

﴿ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ ساهِين.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

[١٤٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ﴾ الدار ﴿ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ التي هي موعدُ الثوابِ والعقابِ ﴿ حَبِطَتْ ﴾ بَطَلَتْ ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ وصارَتْ كأنْ لم تكنْ ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ ﴾ أي: لا يجزون في الآخرة

﴿ إِلَّا ﴾ جزاءَ ﴿ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

[١٤٨] ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي: من بعدِ ذهابِه إلى المناجاة.

﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ التي استعاروها من القِبْطِ بسببِ عرسٍ كانَ لهم، ونُسِبَ الاتخاذُ إليهم، وإن اتخذَهُ السامريُّ وحدَه؛ لأنهم رَضُوا بفعلِه، واتخذوا العجلَ معبوداً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (حِلِيِّهِمْ) بكسر الحاء، ويعقوبُ: بفتح الحاءِ وإسكانِ اللام وتخفيفِ الياءِ على الإفراد، والباقون: بضمِّ

الحاء، جمع حَلْي، وكلُّهم كسرَ[1] اللامَ وشدَّدَ[2] الياءَ مكسورةً سوى يعقوبَ[3]؛ أي: اتخذَ السامريُّ منها.

﴿عِجْلًا﴾ مفعولُ (اتخذَ).

﴿جَسَدًا﴾ ذا لحمٍ ودمٍ.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ صوتُ البقرِ، رُوي أنَّ السامريَّ لما صاغَ العجلَ ألقى في فمِه من ترابِ أثرِ فرسِ جبريلَ، فصار حَيّاً، وقيل: الصوتُ من دخولِ الريحِ فيه، ثم عجبَ من عقولِهم السخيفةِ فقال:

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًاۘ﴾ تقريعاً على فرطِ ضلالَتِهم، ثم قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ تكريرٌ للذمِّ؛ أي: اتخذوه إلهاً.

﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ بذلكَ.

* * *

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادةِ العجلِ، يقال لكلِّ من ندمَ: (سُقِطَ في يدِهِ)؛ فإن النادمَ المتحسِّرَ يَعَضُّ يدَه غماً، فتصيرُ يدُه مسقوطاً فيها.

---

(١) في «ن»: «كسروا».

(٢) في «ن»: «وشددوا».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٣).

﴿وَرَأَوۡاْ﴾ علِموا ﴿أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ بعبادةِ العجلِ.

﴿قَالُواْ﴾ تائبينَ: ﴿لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَرْحَمْنَا) (وَتَغْفِرْ لَنَا) بالتاءِ فيهما على الخطاب (رَبَّنَا) بنصبِ الباء على النداء، وقرأ الباقون: بالغيب فيهما، ورفعِ الباء فاعلاً[(1)].

***

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفًا﴾ شديدَ الغضبِ، وقيلَ: حزيناً.

﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾ قُمتم مَقامي؛ أي: بئسما عملْتُم.

﴿مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أي: بعدَ ذهابي. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (بَعْدِي) بإسكانِ الياء، والباقونَ: بفتحها[(2)].

﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾ أَستبقتم بعبادةِ العجلِ.

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٤).

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٥).

﴿أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وهو انتظارُ موسى ليأتِيَهم بالتوراة بعدَ أربعينَ ليلةً، وأصلُ العجلةِ: طلبُ الشيءِ قبلَ حينه.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التوراةُ غَضَباً لدينِه، وكان حاملاً لها، فتكَسَّرَتْ، فرفعَ ستةَ أسباعِ التوراةِ، وبقي سُبْعُها، وهو ما فيه الموعظةُ والأحكامُ، ورفعَ ما كانَ من أخبارِ الغيبِ.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعرِ رأسِه ولحيتِه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ﴾ غَضباً عليه؛ كيفَ مَكَّنَهم من عبادةِ العجلِ، وكانَ هارونُ أكبرَ من موسى بثلاثِ سنينَ، وأحبَّ إلى بني إسرائيل؛ لرقَّتِه لهم.

﴿قَالَ﴾ هارونُ عندَ ذلكَ: يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (ابْنَ أُمِّ) بكسرِ الميم؛ أي: يا بن أمي، فحذفت الياء بالإضافة، وبقيتِ الكسرة لتدلَّ على الإضافة؛ كقوله: (يَا عِبَادِ)، وقرأ الباقون: بالفتح؛ أي: يا بنَ أماهُ[1]، وذَكَرَ الأُمَّ ليرقِّقَهُ عليه، وكانا من أبٍ وأمٍّ.

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ يعني: عبدةَ العجل.

﴿ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟﴾ هَمُّوا أن.

﴿يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ﴾ تُفرِحْ ﴿بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتِكَ إيايَ.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادةِ العجلِ؛ أي: قريناً لهم.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٤)، و«الأمالي» لابن الشجري (٢/ ٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٦).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

[١٥١] فلما اتَّضَحَ عذرُ أخيه ﴿ قَالَ ﴾ موسى:

﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي ﴾ ما صنعْتُ بأخي.

﴿ وَلِأَخِي ﴾ إنْ كانَ منهُ تقصيرٌ؛ ليرضيَ أخاه، ويسيءَ الشامتين.

﴿ وَأَدْخِلْنَا ﴾ جميعاً.

﴿ فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ أرحمُ بنا منا[١] على أنفسِنا.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

[١٥٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ ﴾ مخاطبةٌ من الله سبحانه لموسى عليه السلام؛ لقولِه تعالى:

﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ هو أمرُهم بقتلِ أنفسِهم توبةً.

﴿ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ هي خروجُهم من ديارهم؛ لأن في الغربة ذلةً.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ على الله، قال أبو قلابة: هو واللهِ جزاءُ كلِّ مُفْتَرٍ إلى يومِ القيامة أَنْ يُذِلَّهُ الله.

* * *

---

(١) «منا» زيادة من «ت».

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

[١٥٣] ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ من معصيةٍ وكفرٍ .

﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي : السيئاتِ .

﴿ لَغَفُورٌ ﴾ لجميعِ الذنوب .

﴿ رَّحِيمٌ ﴾ لمن تابَ .

* * *

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

[١٥٤] ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾ أي : سكنَ وزالَ .

﴿ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ ﴾ باعتذارِ هارونَ .

﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ﴾ بعدَ إلقائِها .

﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ أي : ما نُسخَ فيها ؛ أي : كُتب .

﴿ هُدًى ﴾ من الضلالِ .

﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ من العذابِ .

﴿ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ يخافونَ من ربهم .

* * *

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

[١٥٥] ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي: من قومِه، فَحُذِفَ الجارُّ، فتعدَّى الفعلُ فنصبَ (قَوْمَهُ).

﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ للوقتِ الذي واعدناه أنْ يأتينا فيه بسبعين رجلاً من خيارِ قومِه يعتذرونَ إلينا من عبادةِ العجلِ، فخرج بهم موسى إلى طور سيناء، فسمعوا أمرَ الله ونهيَه، فقالوا: أَرِنا اللهَ جهرةً، فزجرَهم موسى فلم ينزجِروا، فأخذتهم الرجفةُ؛ أي: الصاعقةُ، فماتوا يوماً وليلة، وتقدَّم ذكرُ القصةِ في سورة البقرة، وقال وهبٌ: لم تكنِ الرجفةُ موتاً، ولكن لما رأوا تلكَ الهيبةَ العظيمةَ، أخذتهم الرِّعْدَةُ، ورجفوا حتى كادت تبينُ مفاصلُهم.

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ رحمَهم موسى.

و ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ عن عبادةِ العجلِ.

﴿وَإِيَّٰىَ﴾ بقتلِ القبطيِّ.

﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ أتعمُّنا بالهلاك.

﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ استفهامُ استعطافٍ، ومعناهُ نفيٌ؛ أي: ما تعذِّبنا بذنبِ غيرِنا.

﴿إِنْ هِىَ﴾ أي: الفتنة.

﴿ إِلَّا فِتۡنَتُكَ ﴾ محنتُك واختبارُك حينَ أَسْمعتَهم كلامَك حتى طَمِعُوا في الرؤية.

﴿ تُضِلُّ بِهَا ﴾ أي: بالامتحانِ.

﴿ مَن تَشَآءُ ﴾ ضلالَهُ.

﴿ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ ﴾ هُداهُ.

﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا ﴾ القائمُ بأمرنا، وتقدَّمَ التنبيهُ على اختلافِ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ من كلمتينِ عندَ قوله تعالى: ﴿ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، وكذلك اختلافُهم في (مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ).

﴿ فَٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾ واغفرْ معناهُ: استر ما قارَفْناه.

﴿ وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ تغفرُ السيئةَ، وتبدلها بالحسنة، وقيل: إن السبعينَ الذين قالوا: لن نؤمنَ لكَ حتى نرى اللهَ جهرةً، فأخذتهم الصاعقةُ، كانوا قبلَ السبعينَ الذين أخذَتْهم الرجفةُ.

* * *

﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾.

[١٥٦] ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ ﴾ عافيةً.

﴿ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ الجنة.

﴿ إِنَّا هُدۡنَآ ﴾ تُبْنا.

﴿ إِلَيۡكَ ﴾ أي: حرَّكْنا نفوسَنا إليك بالتوبةِ.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه:

﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ من خَلْقي. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (عَذَابِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ﴾ عَمَّتْ.

﴿كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾، فلما نزلت، قال الخبيثُ إبليسُ: أنا شيءٌ، فأُخْرِجَ منها بقوله تعالى:

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ أي: أثبتُها في الآخرةِ.

﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفرَ.

﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ خَصَّها بالذكرِ؛ لأنها كانتْ أشقَّ عليهم.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

***

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

[١٥٧] فقالَ أهلُ الكتاب: نحن نتَّقي ونزكِّي ونؤمنُ، فخرجوا منها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ﴾ هو محمدٌ ﷺ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١-٣٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٠٩).

﴿ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ الذي لا يكتبُ ولا يقرأ، منسوبٌ إلى الأمِّ؛ أي: هو على ما ولدته أمُّهُ، وصفه به تنبيهاً على أنَ كمالَ علمِه مع حالِه أحدُ معجزاتِه.

﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ ﴾ أي: وصفُه.

﴿ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الإيمانِ.

﴿ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الشركِ، والمعروفُ: ما عرفَهُ العقلُ أو الشرعُ بالحُسْنِ، والمنكرُ: ما أنكرَهُ أحدُهما لقبحِه.

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ كالشحومِ ونحوِها مما كان حُرِّمَ[1] عليهم.

﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ ما يُسْتَخْبَثُ حِسّاً؛ كالدمِ والميتةِ ونحوِهما.

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ وهو كلُّ ما يَثْقُلُ على الإنسانِ من قولٍ أو فعلٍ. قرأ ابنُ عامرٍ: (آصَارَهُمْ) على الجمع، والباقون: على الإفراد[2].

﴿ وَٱلْأَغْلَٰلَ ﴾ الأثقالَ.

﴿ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ من التكاليفِ الشاقَّةِ؛ كتعيُّنِ القصاصِ في القتلِ العمدِ والخطأِ، وتحريمِ أخذِ الديةِ، وقطعِ الأعضاءِ الخاطئةِ، وقَرْضِ موضعِ النجاسةِ من الجلدِ والثوبِ بالمقراضِ، وتركِ العملِ في السبتِ، وأنَ صلاتَهم لا تجوزُ إلا في الكنائسِ، وغيرِ ذلك من الشدائدِ.

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي: بمحمد ﷺ.

﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ عظَّموه.

---

(١) في «ن»: «حرام».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٠).

﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾ على الأعداء.

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ أي: عليه، يعني: القرآنَ.

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزونَ.

* * *

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾.

[١٥٨] ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ هذا أمرٌ من الله سبحانه لنبيِّهِ بإشهارِ الدعوةِ والحضِّ على الدخولِ في الشرعِ، والمعنى: إن كلَّ رسولٍ بُعِثَ لأمَّتِه، والنبيُّ ﷺ بُعِثَ إلى كافةِ الثقلينِ.

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ صفةٌ لله، وإن حيلَ بينَ الصفةِ والموصوفِ بقولِه: ﴿ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ لأنه كالمقدَّمِ عليه.

﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ولا معبودَ سواه.

﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ مزيدُ تقريرٍ؛ لاختصاصِه بالألوهية.

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ ما أَنزَلَ عليهِ وعلى سائرِ الرسلِ من كتبِه ووحيِه.

﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إرادةَ أن تهتدوا.

* * *

﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩ ﴾ .

[١٥٩] ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ ﴾ يعني : المؤمنينَ الثابتينَ من بني إسرائيل .

﴿ أُمَّةٞ ﴾ جماعةٌ .

﴿ يَهۡدُونَ ﴾ الناسَ .

﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي : يرشدونهم بكلمةِ الحقِّ .

﴿ وَبِهِۦ ﴾ أي : بالحقِّ .

﴿ يَعۡدِلُونَ ﴾ بينَهم في الحكم .

***

﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠ ﴾ .

[١٦٠] ﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ﴾ أي : صَيَّرْناهم ؛ يعني : بني إسرائيلَ .

﴿ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا ﴾ والسِّبْطُ مذكَّرٌ ، فرجعَ التأنيثُ إلى قوله :

﴿ أُمَمٗاۚ ﴾ أي : قبيلةً ، والأسباطُ : القبائلُ ، واحدُها سبطٌ ، وكانوا اثنتي عشرةَ قبيلةً من اثني عشرَ ولداً من ولدِ يعقوبَ ـ عليه السلام ـ ، وكانَ كلُّ سبطٍ أمةً عظيمةً ، والسبطُ في ولدِ إسحاقَ كالقبيلةِ في ولدِ إسماعيلَ ، وتُنصبُ (أسباطاً) بدلاً من (اثنتي عشرة) وتُنصب (أمماً) نعتاً لأسباطاً .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ في التيهِ.

﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ انفجرَتْ.

﴿ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ لكلِّ سبطٍ عينٌ.

﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ ﴾ كلُّ سبطٍ.

﴿ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾ وكلُّ سبطٍ بَنو أبٍ واحدٍ.

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ ﴾ ليقيَهم حرَّ الشمسِ.

﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ﴾ سبقَ تفسيرُهما في سورةِ البقرة.

﴿ كُلُوا۟ ﴾ أي: وقلْنا لهم: كلوا.

﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ وسبق تفسيرُه أيضاً فيها.

* * *

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾.

[١٦١] ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ﴾ أي: واذكرْ إذ قيل لهم:

﴿ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ هي بيتُ المقدسِ.

﴿ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وعدٌ بالغفرانِ والزيادةِ عليه بالإثابةِ، وتقدَّم تفسيرُه في سورة البقرة، وتقديمُ (قُولُوا حِطَّةٌ) على (وَادْخُلوا) هنا لا أثرَ له في المعنى؛ لأنه لا يوجبُ الترتيب. قرأ نافعٌ،

وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وابنُ عامرٍ: (تُغْفَرْ) بالتاء مضمومةً وفتحِ الفاء، والباقون: بالنونِ مفتوحةً وكسرِ الفاء، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (خَطِيئَاتُكُمْ) بجمع السلامة ورفع التاء، وابنُ عامرٍ: (خَطِيئَتُكُمْ) بالإفراد ورفعِ التاء، وأبو عمرٍو: (خَطَايَاكُمْ) على وزن عَطاياكم بجمعِ التكسيرِ، والباقون وهم الكوفيون، وابنُ كثيرٍ: بجمع السلامةِ وكسرِ التاء نَصْباً[1]، واتَّفقوا على (خَطَايَاكُمْ) في البقرةِ من أجلِ الرسم.

***

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ تقدَّم تفسيرُه في البقرة.

***

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

[١٦٣] ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ أي: سَلْ يا محمدُ هؤلاءِ اليهودَ الذين هم جيرانُك سؤالَ توبيخ. قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَسَلْهُمْ) بنقل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٥ـ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٢ـ٤١٣).

حركة الهمزةِ إلى الساكنِ قبلَها وهو السينُ(١).

﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: سَلْهم عن خبرِ أهلِ القرية.

﴿ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ أي: على شاطئِهِ، وهي أيلةُ مدينةٌ كانت على شاطىء البحرِ بينَ مصرَ ومكةَ، سُميت بأيلةَ بنتَ مَدْيَنَ بنِ إبراهيمَ - عليه السلام -، وهي أولُ حَدِّ الحجازِ من جهةِ الشام، وكانت حدَّ مملكةِ الروم في الزمنِ الماضي، وبينَها وبينَ بيتِ المقدسِ نحوُ ثمانيةِ أيامٍ، والطورُ الذي كلَّمَ اللهُ عليه موسى عليه السلام على يومٍ وليلةٍ منها.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ يتعدَّوْنَ ما أُمروا به من تركِ الصيدِ.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ أي: تَعْظِيمِهم أمرَ السبتِ.

﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرةً على الماءِ، جمعُ شارعٍ.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يقطعونَ الشغلَ.

﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ مثلَ ذلكَ البلاءِ الشديدِ نبلوهم بسببِ فسقِهم، وتقدَّم ذكرُ القصة مستوفىً؛ وحكمُ طلب القاضي لليهوديِّ في يومِ السبتِ في سورة البقرة.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٤).

[١٦٤] ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ جماعةٌ من صُلحائِهم بعدَ يأسِهم من توبةِ العادِين:

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرةِ؛ لتماديهم في العصيان؛ أي: وجبَ عذابُهم، فلا ينفعُهم الوعظُ.

﴿قَالُوا۟﴾ أي: الناهون ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (مَعْذِرَةً) بالنصب؛ أي: نفعلُ ذلكَ معذرةً إلى ربكم، وقرأ الباقون: (مَعْذِرَةٌ) بالرفع[١]؛ أي: موعظتُنا عذرٌ عندَه لئلاَّ نُنْسَبَ إلى تقصيرٍ ما في النهيِ عن المنكرِ.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ اللهَ.

* * *

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ أي: تركَ أهلُ القرية.

﴿مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ من الوعظِ من الصيدِ.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وهو أخذُ الحيتانِ.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بأخذِها.

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ شديدٍ. قرأ ابنُ عامرٍ (بِئْسٍ) بكسرِ الباء وهمزةٍ ساكنة

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٥).

بعدَها، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بكسرِ الباءِ وياءٍ ساكنةٍ بعدَها من غيرِ همزٍ، وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (بَيْئَسٍ) بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن (فَيْعَلٍ)، [وقرأ الباقون: بفتح الباءِ وكسرِ الهمزة وياءٍ بعدها على وزن (فَعِيل)][(١)]، وكلُّها لغاتٌ[(٢)]، وكانَ أهلُ القريةِ نحوَ سبعينَ ألفاً، ثلثٌ نهوا، وثلثٌ لم ينهوا وسكتوا وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وثلثٌ هم أصحابُ الخطيئة، فنجتِ الساكتةُ والناهيةُ، وعُذِّبتِ الصائدةُ عذاباً شديداً.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بسببِ فسقِهم.

***

﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ تجبَّروا.

﴿عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ من الصيدِ، فلم يمتثلوا النهيَ.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ مُبْعَدِينَ، فمكثوا ثلاثةَ أيامٍ ينظرُ إليهم الناسُ، ثم هلكوا، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ مستوفاة في سورةِ البقرة، وذكرُ الخلافِ في حكمِ الحيلِ.

***

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤١٦ـ٤١٨).

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ أعلمَ.

﴿ رَبُّكَ ﴾. قرأ أبو عمرٍو: (تَأَذَّن رَّبُّكَ) بإدغامِ النونِ في الراء(١)، المعنى: وإذْ أوجبَ وحكمَ ربُّكَ.

﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ ليرسلَنَّ على اليهودِ.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ ﴾ يُذيقُهم ﴿ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ فبعثَ الله عليهم بعدَ سليمانَ عليه السلام بُخْتَ نَصَّرَ، فخرَّبَ ديارَهم، وقتلَهم، وسبى نساءهم وذراريَّهم، وضربَ الجزيةَ على مَنْ بقيَ منهم، وكانوا يؤدُّونَ الجزيةَ إلى المجوسِ إلى بعثِ محمدٍ ﷺ، فضربَها عليهم إلى يومِ القيامة.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ عاقبَهم في الدنيا.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن تابَ وآمنَ.

* * *

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ فِرَقاً، حالٌ.

﴿ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ المؤمنونَ بمحمدٍ ﷺ.

﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: مُنْحَطُّون عن رتبةِ الصالحينَ، وهم الكفرةُ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٢٠).

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ النعمِ.

﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ النِّقَمِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ينتهون عن كفرِهم.

***

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: فخلفَ بعدَ المذكورين جماعةٌ، وهم مَنْ عاصر النبيَّ ﷺ من اليهود، والخَلَفُ بفتحِ اللام: الصالحُ، وبالسكون: الطالح، والتلاوةُ بسكونِ اللام.

﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراةَ.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ هذا الشيء الدنيءَ من حُطامِ الدنيا، وهو الرشوةُ لتغييرِ بعضِ ما في التوراةِ، وصفةِ محمدٍ ﷺ.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ لا نُؤاخَذُ بذلك.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ أي: يرجونَ المغفرةَ وهم عائدونَ إلى مثلِ فعلِهم، والمغفرةُ إنما تحصُلُ للتائب. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (يَأْتِهُمْ) بضمِّ الهاء(١).

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٠).

﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: إنما أُخذَ عليهم العهدُ في التوراةِ.

﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ والمرادُ توبيخُهم على البَتِّ بالمغفرةِ مع عدمِ التوبةِ، وليسَ في التوراةِ إيعادُ المغفرةِ معَ الإصرارِ.

﴿ وَدَرَسُواْ﴾ أي: قرؤوا.

﴿ مَا فِيهِ﴾ وعلموه.

﴿ وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ مما يأخذُ هؤلاء.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فيعلمون ذلك. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب(١).

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

[١٧٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ (يُمْسِكُونَ) مخفَّفاً، والباقون: مشدداً(٢)؛ أي: يعتصمونَ، وهم المؤمنون من أهلِ الكتابِ: عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ وأصحابُه تمسكوا.

﴿ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي جاء به موسى، فلم يحرِّفوه، ولم يكتموهُ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢ و١١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢١).

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ وخُصَّتِ الصلاةُ بالذكرِ تفضيلاً لها.

* * *

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

[١٧١] ﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ رفَعْنا.

﴿ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ فَرُفع على رُؤوسِهم.

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ هو كلُّ ما غَطَّى وسترَ من سحابٍ وغيرِه.

﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ علموا وأيقنوا.

﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ فلما تيَقَّنوا الهلاكَ، قبلوا التوراةَ، فقلنا لهم:

﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ عزمٍ، وإن شَقَّ عليكم.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ من الأحكامِ، واعملوا بها.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قبائحَ الأعمالِ، وذلكَ حينَ أَبَوا أن يقبلُوا أحكامَ التوراة، فرفعَ اللهُ على رؤوسِهم جبلاً، فلما نظروا إلى الجبل، خَرَّ كلُّ رجلٍ ساجداً للهِ على حاجبه الأيسرِ ينظرُ بعينِه اليمنى إلى الجبل فَرَقاً من أن يسقُطَ عليه، ولذلك لا تجدُ يهودياً إلا ويكونُ سجودُه على حاجبِهِ الأيسرِ، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في سورةِ البقرة.

* * *

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

[١٧٢] ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ومعنى أَخْذُ ذُرياتهم من ظهورِهم: إخراجُهم من أصلابِهم كالذَّرِّ، ولم يذكرْ ظهرَ آدمَ؛ للعلمِ به، والإخراجُ كانَ منهُ؛ لأنهم استُلُّوا من ظهرِ آدمَ، ثم استلُّوا نسلاً من نسلٍ كما يتوالدُ الأبناءُ من الآباء، المعنى: واذكرْ وقتَ أخذِ اللهِ تعالى الميثاقَ على بني آدمَ حين استُلُّوا من ظهرِه، واستلَّ أولادُهم من ظهورِهم. قرأ الكوفيون، وابنُ كثيرٍ: (ذُرِّيتَهم) على الإفرادِ مع نصبِ التاء؛ لأنها جنسٌ تعمُّ القليلَ والكثير، وقرأ الباقون: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) على الجمعِ مع كسرِ التاءِ(١)، رُويَ أن الله مسحَ صفحةَ ظهرِ آدمَ اليُمنى، فأخرجَ منه ذريةً بيضاءَ كهيئةِ الذرِّ يتحرَّكون، ثم مسحَ صفحةَ ظهرِه اليسرى، فأخرجَ منه ذريةً سوداءَ كهيئةِ الذرِّ، فقال: يا آدمُ! هؤلاءِ ذريتُك، ثم قال لهم: ألستُ بربِّكُمْ؟ قالوا: بلى، فقالَ للبيض: هؤلاءِ في الجنةِ برحمتي، وهم أصحابُ اليمين، وقال للسودِ: هؤلاءِ في النارِ ولا أبالي، وهم أصحابُ الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صُلبه، فأهلُ القبورِ محبوسون حتى يخرجَ أهلُ الميثاقِ كلُّهم من أصلابِ الرجالِ وأرحامِ النساء، قال الله تعالى فيمن نقضَ العهدَ الأول: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، ورُوي أنَّ أهلَ السعادةِ أقروا طوعاً، وقالوا:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٢).

﴿ بَلَىٰ ﴾، وأهلُ الشقاوة قالوه تقيةً، وكُرْهاً، وذلكَ معنى قولِه تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ ﴾(١) [آل عمران: ٨٣]، وكان الميثاقُ بنعمانَ، وهي عرفةُ وما يليها، وقيل: بأرض الهندِ حيثُ هبطَ آدمُ عليه السلام فيه، وقيلَ: في سماء الدنيا حينَ هبطَ من الجنة إليها.

﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: أشهدَ بعضَهم على بعضٍ حينَ قالَ: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ استفهامُ تقريرٍ؛ أي: ما تُقِرُّونَ وتعترفونَ بأني رَبُّكُم؟

﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ نحنُ نقرُّ ونعترفُ بهذا الاعترافِ والإقرارِ، وهذا شأنُ بني آدَمَ لا يُسأَلُ أحدٌ منهم: أَلَيس اللهُ ربَّكَ؟ إلا قال: بلى، فهم مفطورونَ على ذلك، فكلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ، فالإقرارُ بالخالقِ فطريٌّ لهم، كلُّهم يُقِرُّ به، وقولهم: (بلى) ردٌّ للنفي، فثبتَ إيمانُهم؛ لجوابهم ببلى، ولو أجابوا بنعم، لكفروا؛ لأن (نعم) تصديقٌ لما سبقَها من نفيٍ أو إثباتٍ، و(بلى) إثباتٌ لما بعدَ النفي، وليسَ نفيٌ، واستفهامُ التقريرِ أكَّدَ معنى النفي، والباءُ في خبر (ليس) زادته تأكيداً، وتقديرُه: بلى أنتَ ربُّنا.

﴿ شَهِدْنَآ ﴾ على أنفسِنا، وأقررْنا بوحدانيتكَ.

﴿ أَن تَقُولُوا۟ ﴾ أي: فعلْنا ذلكَ بهم حتى اعترفوا لئلاَّ يقولوا.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا ﴾ الإقرارِ.

﴿ غَٰفِلِينَ ﴾ لم نشعرْ، فلم يبقَ لهم حجةٌ علينا.

قال القرطبيُّ: فقد استُدِلَّ بهذه الآية أنَّ من ماتَ صغيراً دخلَ الجنةَ؛ لإقراره في الميثاقِ الأولِ، ومن بلغ العهدَ، لم يُغْنِه الميثاقُ(٢).

---

(١) رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ٨٥).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٣١٧).

﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾.

[١٧٣] ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ ﴾ فاقتدَيْنا بهم. قرأ أبو عمرٍو: (أَنْ يَقُولُوا) و(أَوْ يَقُولُوا) بالغيب، لأنَّ أولَ الكلامِ على الغيبة، وقرأ الباقون: بالخطاب فيهما(١)، رداً على لفظِ الخطابِ المتقدِّم في قولِه: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ)؛ أي: أخاطِبُكم بذلك لئلاَّ تقولوا يومَ القيامةِ: إنَّا كُنَّا عن هذا غافلينَ.

﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ فتعذِّبُنا بجنايةِ آبائِنا المبطِلينَ، فلا يُمكنُهم الاحتجاجُ بذلكَ معَ الإقرارِ.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[١٧٤] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ أي: نُبيِّنُها ليتدبَّرَها العبادُ.

﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ من الكفرِ إلى التوحيد، قال البغويُّ: فإن قيلَ: كيف تلزمُ الحجةُ واحداً لا يذكرُ الميثاق؟! قيل: قد(٢) أوضحَ اللهُ الدلائلَ على وحدانيته، وصدقِ رسلِهِ فيما أخبروا، فمن أنكرَهُ، كان معانِداً ناقِضاً للعهد، ولزمَتْه الحجةُ، وبنسيانِهم وعدمِ حفظِهم لا يسقطُ الاحتجاجُ بعدَ إخبارِ المخبرِ الصادقِ صاحبِ المعجزةِ ﷺ(٣).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٦٨).

(٢) في «ت»: «وقد».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٣).

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

[١٧٥] ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: اسرُدْ وقُصَّ عليهم، والضميرُ في (عليهم) عائد على حاضري محمدٍ ﷺ من الكفارِ وغيرِهم.

﴿ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ قيلَ: نزلت في أمية بنِ أبي الصَّلْتِ، كانَ قد قرأ الكتبَ، وعلمَ أن الله مرسِلٌ رسولاً في ذلك الزمان، ورجا أن يكونَ هو، فلما بُعِثَ محمدٌ ﷺ، حسدَهُ، وكفرَ به، وقيل: نزلتْ في عالمٍ من علماءِ بني إسرائيلَ اسمُه بَلْعَمُ بنُ باعوراءَ، أُوتي علمَ بعضِ كتبِ الله، فطلبَ قومُه منه أن يدعوَ على موسى ومَنْ معه، فأبى، وقالَ: كيف أدعو على مَنْ معه الملائكةُ، فألحوا عليه، فلم يزالوا به حتى فعلَ، فانقلبَ دعاؤه عليه، وخرجَ لسانُه على صدره، ونزع الله منه المعرفَةَ.

﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ فخرجَ من الآياتِ بكفرِه كما تخرجُ الحيةُ من جلدِها، ولم ينتفعْ بعلمِه(١).

﴿ فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي: لحقَه وصارَ قريناً له.

﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ الضالِّينَ، وهذه أشدُّ آيةٍ على العلماء، وأيُّ مصيبةٍ أعظمُ من أن يؤتى العالِمُ علماً، فيكونَ وبالاً عليه؟!

* * *

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص:١٢٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/٦٠٨).

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

[١٧٦] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ ﴾ بعلمِه.

﴿ بِهَا ﴾ إلى منازلِ الأبرارِ من العلماء.

﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ ﴾ اطمأنَّ.

﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: الدنيا.

﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في إيثارِ الدنيا واسترضاءِ قومِه.

﴿ فَمَثَلُهُۥ ﴾ صفتُه.

﴿ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ في أخسِّ أوصافِه، وهي.

﴿ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ﴾ يدلعُ لسانَه.

﴿ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ أي: إن زجرتَهُ بالموعظة، فلم ينزجِر، وإن تركته، لم يهتدِ، فالحالتانِ عنده سواءٌ.

﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ بخلافٍ عن قالونَ: (يَلْهَثْ ذَلِكَ) بإظهارِ الثاءِ عندَ الذالِ، والباقون: بالإدغام(١).

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٤).

﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ ﴾ أي: اسرُدْ عليهم ما يعلمون أنه من الغيوبِ التي لا يعلَمُها إلا أهلُ الكتبِ الماضيةِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ذلكَ، فيؤمنون.

***

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

[١٧٧] ﴿ سَآءَ ﴾ أي: بئسَ.

﴿ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ﴾ التقديرُ: ساءَ مثلاً مَثَلُ القومِ.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ بعدَ علمِهم بها.

﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ أي: جمعوا بينَ التكذيبِ وظلمِ أنفسهم.

***

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

[١٧٨] ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ ﴾ أجمع القراء على إثباتِ الياءِ هنا في (المهتدي)[١].

﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ تصريحٌ بأنَّ الهدى والضلالَ من الله تعالى، وفيه رَدٌّ على القدريَّةِ، وعلى من قال: إن الله تعالى هدى جميعَ المكلَّفينَ، ولا يجوز أن يُضِلَّ أحداً.

***

---

(١) انظر: «المقنع في رسم مصاحف الأمصار» باب: ذكر ما رسم بإثبات الياء على الأصل، (ص: ١٤).

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

[١٧٩] ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ﴾ خلَقْنا. قرأ أبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَقَد ذَّرَأْنَا) بإدغامِ الدالِ في الذال، والباقون: بالإظهار(١).

﴿ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ ﴾ وهم الذين حقَّتْ عليهمُ الكلمةُ الأزليةُ بالشقاوة.

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ إذ لا يُلقونها إلى معرفةِ الحقِّ.

﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ سبيلَ الرشادِ.

﴿ وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ مواعظَ القرآنِ فيؤمنون، ثم ضربَ لهم مثلاً في الجهلِ فقال:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ في عدمِ الفهمِ والاقتصارِ على نيل الشهواتِ.

﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ لأنَّ الأنعامَ تطلبُ منافعَها، وتهربُ من مضارِّها.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ الكاملونَ في الغفلة.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٤).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

[١٨٠] رُوي أن رجلاً دعا اللهَ في صلاته، ودعا الرحمنَ، فقال بعضُ مشركي مكةَ: إن محمداً وأصحابَه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بالُ هذا يدعو اثنين؟! فأنزلَ اللهُ عز وجل:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ﴾[١] الصفاتُ.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ العُليا الدالَّةُ على معانٍ حسنةٍ.

﴿فَٱدْعُوهُ﴾ سَمُّوهُ ﴿بِهَا﴾.

قال ﷺ: «إِنَّ للهِ تِسْعاً وَتِسعينَ اسْماً، مِئَةً إِلاَّ وَاحِداً، مَنْ أَحْصَاها، دَخَلَ الجَنَّةَ، إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحبَّ الْوِتْرَ»[٢]، ومعنى أحصاها: حفظها وهي: «هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هوُ الرحمنُ الرحيمُ الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ الخالقُ البارىءُ المصورُ الغفارُ القهارُ الوهابُ الرزاقُ الفتاحُ العليمُ القابضُ الباسطُ الخافضُ الرافعُ المعزُّ المذلُّ السميعُ البصيرُ الحكمُ العدلُ اللطيفُ الخبيرُ الحليمُ العظيمُ الغفورُ الشكورُ العليُّ الكبيرُ الحفيظُ المقيتُ الحسيبُ الجليلُ الكريمُ الرقيبُ المجيبُ الواسعُ الحكيمُ الودودُ المجيدُ الباعثُ الشهيدُ الحقُّ الوكيلُ القويُّ المتينُ الوليُّ الحميدُ المحصي المبدي المعيدُ المحيي المميتُ الحيُّ القيومُ الواجدُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٧)، كتاب: الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحدة، ومسلم (٢٦٧٧)، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

الماجدُ الواحدُ الأحدُ الصمدُ القادرُ المقتدرُ المقدِّمُ المؤخِّرُ الأولُ الآخِرُ الظاهرُ الباطنُ الوالي المتعال البرُّ التوابُ المنتقمُ العفوُّ الرؤوفُ مالكُ الملكِ ذو الجلالِ والإكرامِ المقسطُ الجامعُ الغنيُّ المغني الضارُّ النافعُ النورُ الهادي البديعُ الباقي الوارثُ الرشيدُ الصبورُ» حديثٌ حسنٌ رواه الترمذيُّ وغيرُه[١].

قال اليافعيُّ رحمه الله في كتابه «الدرّ النظيم في فضائلِ القرآنِ العظيم»: وهي في القرآنِ على هذا الترتيب، في سورةِ الفاتحةِ خمسةٌ: اللهُ ربٌّ الرحمنُ الرحيمُ مالكٌ، وفي سورةِ البقرةِ ستةٌ وعشرون: محيطٌ قديرٌ عليمٌ حكيمٌ توابٌ نصيرٌ واسعٌ بديعٌ سميعٌ كافي رؤوفٌ شاكرٌ إِلهٌ واحدٌ غفورٌ حليمٌ قابضٌ باسطٌ لا إلهَ إلا هوَ حيٌّ قيومٌ عليٌّ عظيمٌ وليٌّ غنيٌّ حميدٌ، وفي سورةِ آلِ عمرانَ ثلاثةٌ: قديمٌ وهابٌ سريعٌ، وفي سورةِ النساءِ سبعةٌ: رقيبٌ حسيبٌ شهيدٌ غافرٌ غفورٌ مُقيتٌ وكيلٌ، وفي الأنعامِ خمسةٌ: باطنٌ قاهرٌ قادرٌ لطيفٌ خبيرٌ، وفي سورةِ الأعرافِ اثنان: مُحْيي مُميتٌ، وفي سورةِ الأنفالِ اثنان: نعمَ المولى ونعمَ النصير، وفي سورةِ هودٍ سبعةٌ: حفيظٌ قريبٌ مجيبٌ قويٌّ مَجيدٌ وَدودٌ فَعَّالٌ لما يريدُ، وفي سورةِ الرعدِ اثنان: كبيرٌ مُتَعالٍ، وفي سورة إبراهيم: مَنَّانٌ، وفي سورةِ الحجِّ: باعثٌ، وفي سورةِ المؤمنين: كريمٌ، وفي سورةِ النورِ ثلاثةٌ: نورٌ حقٌّ مبينٌ، وفي سورةِ سبأ: فتاحٌ، وفي سورة المؤمن أربعةٌ: قابلُ التوبِ شديدُ العقابِ ذو الطولِ غفارٌ، وفي سورة الذاريات اثنان: رزاقٌ ذو القوةِ المتينُ، وفي سورةِ الطورِ: بَرٌّ، وفي سورةِ القمرِ: مقتدرٌ، وفي سورة الرحمن: ذو الجلالِ والإكرامِ، وفي

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٧)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٣) وقال: غريب.

سورة الحديد أربعة: أولٌ آخرُ ظاهرٌ باطنٌ، وفي سورة الحشرِ عشرةٌ: قُدُّوسٌ سلامٌ مؤمنٌ مهيمنٌ عزيزٌ جبارٌ متكبرٌ خالقٌ بارىء مصورٌ، وفي سورة البروج: مبدئٌ معيدٌ، وفي سورة الإخلاص أَحَدٌ صَمَدٌ. انتهى.

﴿وَذَرُواْ﴾ اتركوا.

﴿ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ﴾ ويسمونه بما لا توقيفَ فيه، والإلحادُ: الميلُ عن الحق. قرأ حمزةُ: (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء والحاء، والباقون: بضمِّ الياءِ وكسرِ الحاء[1]، وهما لغتان، والملحِدون: هم المشركون، عَدَلوا بأسماء الله عَمَّا هي عليه، فسمَّوا بها أوثانَهم، فزادوا ونَقَصوا، فاشتقوا اللاتَ من الله، والعزَّى من العزيز، ومناة من المنَّانِ.

﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في الآخرة، وهذه الآيةُ منسوخةٌ بآيةِ السيف.

* * *

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ﴾ هم المسلمون.

﴿يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ يأخذونَ به.

﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ في الأمرِ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٢٢٥).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ ﴾ .

[١٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم ﴾ سنأخذُهم قليلاً قليلاً كما يترقى الدرجة درجةً درجةً.

﴿ مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ما نريدُ بهم.

* * *

﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣ ﴾ .

[١٨٣] ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ ﴾ أطيلُ المدَّةَ.

﴿ إِنَّ كَيۡدِي ﴾ أَخْذي.

﴿ مَتِينٌ ﴾ شديدٌ، وسمي كيداً؛ لأنَّ ظاهرَه إحسانٌ، وباطنه خِذْلانٌ.

* * *

﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ١٨٤ ﴾ .

[١٨٤] رُوي أنه ﷺ قامَ على الصفا ليلاً يدعو قريشاً فَخذاً فَخذاً يحذِّرُهم وقائعَ الله تعالى، فقالَ قائلُهم: إنه مجنونٌ باتَ يصوِّتُ على الصَّفا إلى الصباح، فنزل:

﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ ﴾(١) أبصاحِبهم جنونٌ أم لا؟ ثم نفى عنه الجنونَ بقوله: ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ أي: جنون.

﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ أي: ما هو.

﴿ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ واضحٌ إنذارُه.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٢٤)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٧٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦١٨).

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) ﴾ .

[١٨٥] ثم وبَّخهم على تركِ النظرِ المؤدِّي إلى العلمِ فقالَ:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ﴾ أي: مُلْكِ.

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ما فيهما من الصُّنع.

﴿ وَمَا ﴾ أي: وفي ما.

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ فيعلموا صدقَه.

﴿ وَأَنْ ﴾ أي: وأنه.

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ فيموتوا قبلَ الإيمان.

﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ ﴾ أي: بعدَ القرآن.

﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إنْ لم يؤمنوا به؟! فإنه ليسَ بعدَه كتابٌ، ولا بعدَ محمدٍ ﷺ نبيٌّ.

* * *

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) ﴾ .

[١٨٦] ثم ذكرَ علةَ إعراضِهم عن الإيمانِ فقالَ:

﴿ مَن يُضْلِلِ ﴾ أي: يُضْلِلْهُ.

﴿ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وعاصمٌ، ويعقوبُ (وَيَذَرُهُمْ) بالياء، ورفع الراء على الاستئناف؛ أي: واللهُ يذرُهم، **وقرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: بالنون والرفعِ؛ أي: ونحنُ

نذرُهم، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بالياءِ وجزمِ الراءِ عطفاً على موضعِ الفاء وما بعدَها من قوله: (فَلاَ هَادِيَ لَهُ)؛ لأنه موضعُ جزمٍ(١).

﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتردَّدون مُتَحيرين.

* * *

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

[١٨٧] ولمّا قالت قريش للنبي ﷺ: إنَّ بيننا وبينكَ قرابةً، فأسرَّ إلينا متى الساعة؟ فأنزلَ الله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ﴾(٢) أي: متى.

﴿مُرْسَىٰهَا﴾ أي: الوقتُ الذي تقومُ فيه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد:

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى يكونُ.

﴿عِندَ رَبِّى﴾ استأثرَ بعلمِها.

﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرُها.

﴿لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ لاختصاصِه به.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٨ـ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٦).

(٢) انظر: «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» (٢/ ٢٤٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٢٢).

﴿ثَقُلَتۡ﴾ خفِيَتْ.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: خفيتْ معرفتُها على أهلِها، وإذا خفيَ الشيءُ، ثقُلَ.

﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾ فجأةً على غفلةً كما قالَ ـ عليه السلام ـ: «إِنَّ السَّاعَةَ تَهِيجُ بِالنَّاسِ والرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ، والرَّجُلُ يَسْقِي مَاشِيَتَهُ، والرَّجُلُ يَقُومُ بِسِلْعَتِهِ في سُوقِه، والرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ»(١).

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ أي: كأنكَ ألححْتَ في طلبِ علمِها فعلِمْتَها.

﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كرَّرَهُ تأكيداً؛ أي: لا يعلمُ وقتَ مجيئِها، ولا يأتي بها فيه بغتةً إلا اللهُ تعالى.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ علمَها عندَ الله، بل يَظُنُّ أكثرُهم أنه مما يعلمُه البشرُ.

***

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾.

[١٨٨] قال ابنُ عباسٍ: «إنَّ أهلَ مكةَ قالوا: يا محمدُ! ألا يخبرُك ربُّكَ بالسعرِ الرخيصِ قبلَ أن يغلوَ، فتشتريَه وتربحَ فيه عندَ الغلاءِ، وبالأرضِ

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣١٩٧ ـ ٣١٩٨)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٧٥).

التي تريدُ أن تُجْدِبَ فترتحلَ منها إلى ما قد خَصُبَت؟ فأُمر ﷺ بالاعترافِ بأنه عبدٌ محكومٌ عليهِ بما نزلَ جواباً عن قول المشركين، وهو:

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ﴾[1] أي: لا أقدرُ.

﴿لِنَفْسِى نَفْعًا﴾ أي: جلبَ نفعٍ.

﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أي: دفعَ ضرٍّ.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أن يوصلَه إليَّ من الضرِّ والنفعِ؛ فإني أملكُه؛ لاختصاصِه بي.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: لو كنتُ أعلمُ الخصبَ والجدبَ.

﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المالِ لسنةِ القحطِ.

﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ أي: الضرُّ والفقرُ.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ للكافرينَ بالنارِ.

﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنةِ.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدِّقون. واختلافُ القراء في الهمزتين من (السُّوءُ إِنْ) كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلى) في سورةِ البقرةِ، وقرأ أبو جعفرٍ، وقالونُ عن نافعٍ بخلافٍ عنه: (أَنَا إِلاَّ) بالمدِّ حيثُ وقع[2].

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣١، ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٧).

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ .

[١٨٩] ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ يعني آدمَ .

﴿ وَجَعَلَ ﴾ أي : خلقَ .

﴿ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ حواءَ ﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾ ليأنسَ بها .

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ علاها بالنكاحِ ﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ لم يثقلْ عليها ، وهي النطفةُ ﴿ فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ ﴾ استمرَّتْ إلى وقتِ ميلاده .

﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت ﴾ أي : كبرَ الولدُ وأثقلَها حملُها وقاربت الوضعَ .

﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ آدمُ وحواءُ .

﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ بشراً سوياً قد صلحَ بدنُه .

﴿ لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ لكَ على هذه النعمةِ ، ودلت الآيةُ على أن الحملَ مرضٌ من الأمراضِ؛ لقوله : ﴿ دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ ولأجل عظمِ الأمرِ وشدةِ الخطْبِ جُعِلَ موتُها شهادةً كما وردَ في الحديث .

واختلف الأئمةُ في حكمِ الحاملِ ، فقال مالك : إذا مضتْ لها ستةُ أشهرٍ من يومِ حملَتْ ، صارتْ في حكمِ المريضِ في أفعالِه ، لم ينفذ لها تصرفٌ في مالها بأكثرَ من الثلثِ ، وقال الثلاثة : إنما يكونُ ذلكَ عندَ المخاضِ ، واختارَ الخرقيُّ من أصحابِ أحمدَ : ما قاله مالكٌ .

* * *

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

[١٩٠] وروي أن الخبيثَ إبليسَ جاءهما، فقال: إن ولدتِهِ سَوِيّاً، فسميهِ عبدَ الحارثِ، وكانَ اسمُه في الملائكةِ الحارثَ[١].

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا ﴾ كما طلبا.

﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾ بتسميتِهِ عبدَ الحارثِ من غيرِ اعتقادٍ لذلك، وإنما كان شركاً في التسميةِ والصفة، لا في العبادةِ والربوبية، وجاء في الحديث: «خَدَعَهُمَا إِبْلِيس مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً فِي الْجَنَّةِ، وَمَرَّةً فِي الأَرْضِ»[٢]. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (شِرْكاً) بكسر الشين وإسكان الراء مع التنوين؛ أي: ذوي شركٍ، وهم الشركاء، والباقون: بضمِّ الشينِ وفتحِ الراء والمدِّ والهمزِ من غيرِ تنوين، على جمع شريك، يعني: إبليس[٣]، وفي الآية قولٌ آخرُ، وهو أن الضميرَ في (آتيتَنا) و(لنكونَنْ) لهما ولأولادِهما، وفي (آتاهما) و(جعلا) لأولادِهما، وفيه حذفُ مضافٍ وإقامةُ المضافِ إليه مقامَه، تقديره: فلما آتى أولادَهما

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأعراف، وقال حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٨٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤٠٠٣)، عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ. وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٥) من ثلاثة أوجه.

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٣٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٢٩).

صالحاً، جعلَ أولادُهما للهِ شركاء؛ بأن سَمَّوا عبد[1] شمسٍ، وعبد العزَّى، وعبد يَغوثَ، وغيرِ ذلك، كما أضافَ فعلَ الآباءِ إلى الأبناءِ في تعييرِهم بفعلِ الآباءِ فقال: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٩٢] ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا﴾ [البقرة: ٧٢] خاطبَ بهِ اليهودَ الذين كانوا في عهدِ النبيِّ ﷺ، وكانَ ذلكَ الفعلُ من آبائِهم، حكى المفسرون كُلاًّ من التأويلينِ، وقدم البيضاويُّ في «تفسيره» هذا التأويلَ الثاني[2]، قال القرطبيُّ: وهو الذي يُعَوَّلُ عليه[3]، وقال البغويُّ: وهذا قولٌ حسنٌ لولا قولُ السلفِ وجماعةِ المفسرين إنه في آدمَ وحواءَ[4]، وقال الكواشيُّ: وهو أوجهٌ يعضدُه قوله تعالى:

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بأن آدمَ وحواءَ لم يكونا مشرِكينِ بإجماعٍ، ولجمعِه الضميرَ في (يشركون).

***

﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١﴾.

[١٩١] ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا﴾ يعني: إبليسَ والأصنامَ.

﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ أي: مخلوقون.

***

﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾.

[١٩٢] ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ﴾ أي: الأصنامُ لعبدَتِهم.

---

(١) في «ش»: «بعبد».

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٨٢).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٣٣٨).

(٤) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ١٨٢).

﴿ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ من كسرٍ وغيرِه، بل عَبَدَتُهم يدفعونَ عنهم، فالمعبودُ أذلُّ من العابِد.

* * *

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

[١٩٣] ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ يعني: المشركين.

﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الإسلامِ.

﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ قرأ نافعٌ: (يَتْبَعُوكُمْ) بإسكانِ التاءِ وفتحِ الباء، وقرأ الباقون: بفتح التاءِ مشدَّدةٍ[١] وكسرِ الباء، وهما لغتان، يقال: تبعَه تبعاً واتَّبعه اتِّباعاً[٢].

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إلى الدينِ.

﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ عن دعائِهم؛ كما قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.

[١٩٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونَ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الأصنامَ

---

(١) «مشددة» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٠).

﴿عِبَادٌ﴾ مملوكةٌ ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ متصرَّفٌ فيها.

﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: يجيبوكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن لكم عندَها منفعةً.

* * *

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾.

[١٩٥] ثم وَبَّخهم على عبادةِ مَنْ هو في غايةِ العجزِ فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ أي: يأخذونَ بشدة. رُوي عن قنبلٍ راوي ابنِ كثيرٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (أَيْدِي)، وقرأ أبو جعفرٍ: (يَبْطُشُونَ) بضمِّ الطاء، والباقون: بكسرها[1].

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ومَنْ أنتم أقدرُ منه كيفَ تعبدونه؟! احتقاراً بهم وبمعبودِهم.

﴿قُلِ ادْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ يا معشرَ المشركين. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (قُلِ ادْعُوا) بكسرِ اللامِ، والباقون: بالضمِّ[2].

﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ احتالوا أنتم وشركاؤكم في أمري وإهلاكي سريعاً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٠).

(٢) انظر: «إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (١/ ١٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٠).

﴿ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: تؤخِّرونِ. أثبتَ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ في: (كِيدُونِي) وصلاً، وأثبتها في الحالين يعقوبُ، وهشامٌ بخلافٍ عن الثاني[1]، وأثبت يعقوبُ الياءَ في (تُنْظِرُونِي) في الحالَين[2].

***

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾.

[١٩٦] ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ﴾ أي: ناصري. واختُلِف عن أبي عمرٍو في (إنَّ وَلِيِّيَ الله) فروي عن السوسيِّ حذفُ الياء وإثباتُ ياءٍ واحدةٍ مشددةٍ مفتوحةٍ، وهو الأصحُّ عنه، ورُوي عن السوسيِّ أيضاً بكسر الياء المشددةِ بعدَ الحذف، وقرأ الباقون: بياءين، الأولى مشددةٌ مكسورةٌ، والثانية مخففةٌ مفتوحةٌ، وقد أجمعتِ المصاحفُ[3] على رسمِها بياءٍ واحدة.

﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ.

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الذين لا يعدِلون بالله شيئاً.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣١_٤٣٢).

(٣) في «ت»: «الصحابة».

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧ ﴾.

[١٩٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ كرره لتبيينِ أنَّ ما يعبدونه لا ينفعُ ولا يضرُّ.

* * *

﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ ﴾.

[١٩٨] ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ ﴾ أي: الأصنامَ.

﴿ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ ﴾ مبالغةٌ في التوبيخ.

﴿ وَتَرَىٰهُمۡ ﴾ يا محمدُ ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ ﴾ يُشْبهون الناظرينَ إليك؛ لأنهم صُوِّروا بصورةِ مَنْ ينظر إلى مَنْ يواجهُه.

﴿ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ لأن أعينَ الأصنامِ مصنوعةٌ.

* * *

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾.

[١٩٩] ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ أي: المساهلةَ، وهو ضدُّ الصَّعب، رُويَ أنه لما نزلتْ هذه الآيةُ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لجبريلَ: «مَا هَذَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»(١).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ٢٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٣)، =

﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ أي: بالمعروفِ، وهي كلُّ خَصْلَةٍ حميدةٍ يقتضيها العقلُ والشرعُ. قرأ أبو عمرٍو: (خُذِ الْعَفْو وَّأْمُرْ) بإدغامِ الواوِ بالواو.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ أبي جهلٍ وأصحابِه، ونُسخت بآية السيفِ.

* * *

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي: يُحرِّكَنَّك للشرِّ، المعنى: فإنْ يوسوسْ[1] لك الشيطانُ بوسوستِه ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ أي: استجِرْ به ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسمعُ استعاذتَكَ، ويعلمُ ما فيه صلاحُ أمرِكَ فيحملُكَ عليهِ.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾.

[٢٠١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ: (طَيْفٌ) بياء ساكنةٍ بين الطاء والفاء من غيرِ همزٍ ولا ألف؛ أي: لمسةٌ

= وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨)، عن أبي المرادي. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٢٨).

(١) في جميع النسخ «يوسوسك»، والصواب ما أثبت.

ووسوسةٌ، وقرأ الباقون: (طَائِفٌ) بألفٍ بعدَ الطاءِ وهمزةٍ مكسورةٍ بعدَه[1]، وهو ما يطوفُ حولَ الشيء.

﴿مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ المعنى: إن المتقين إذا وسوسَ لهم[2] الشيطانُ.

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ ذكروا اللهَ، واستعاذوا به.

﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ مواقعَ خطئِهم، فيستغفرون.

* * *

﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ۝٢٠٢﴾.

[٢٠٢] ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ أي: إخوانُ الشياطينِ من المشركينَ.

﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾ المعنى: وإخوانُ المشركينَ من الشياطينِ يزيدونهم.

﴿فِي ٱلۡغَيِّ﴾ وهو الضلالُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (يُمِدُّونَهُمْ) بضمِّ الياء وكسرِ الميمِ، من الإمدادِ، وقرأ الباقونَ: بفتح الياء وضمِّ الميم، وهو من المدِّ[3]، ومعناهما واحد، وهو الزيادةُ.

﴿ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ لا يُمسكون عن إغوائِهم.

* * *

﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠٣﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٢_٤٣٣).

(٢) في جميع النسخ: «وسوسهم»، والصواب ما أثبت.

(٣) المصادر السابقة.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم﴾ يعني: إذا لم تأتِ المشركينَ.

﴿بِـَٔايَةٖ﴾ من القرآنِ.

﴿قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾ هلاَّ افتعلْتَها من نفسِك؛ أي: يطلبونَ أن تكذبَ لهم.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ لستُ بمختلقٍ للآيات.

﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآنُ ﴿بَصَآئِرُ﴾ حججٌ ودلائلُ.

﴿مِن رَّبِّكُمۡ﴾ تقودُكم إلى الحقِّ.

﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ والهدى: الرشدُ، والرحمةُ: النعمةُ.

* * *

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٢٠٤﴾.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (قُرِيَ) بفتح الياء بغيرِ همز، وقرأ ابنُ كثيرٍ: (القُرْانُ) بنقل حركة الهمزِ إلى الساكنِ قبلَها وهو الراءُ.

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ للقرآن.

﴿وَأَنصِتُواْ﴾ أصغوا.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ قال ابن عباسٍ، وأبو هريرةَ، وجماعةٌ من المفسرين: «نزلتْ في الصلاةِ خاصَّةً حين كانوا يقرؤون خلفَه عليه السلام»[١]، وقيلَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٤٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٤٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٦٣٤).

غيرُ ذلك، وعامةُ العلماءِ على استحبابِ الإنصاتِ للقراءةِ خارجَ الصلاة.

واختلفَ الأئمةُ في القراءةِ خلفَ الإمام، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ: لا تجبُ القراءةُ على المأمومِ بحالٍ في صلاةِ جهرٍ ولا سِرٍّ، ويُستحبُّ له عندَ مالكٍ أن يقرأَ في صلاةِ السرِّ الفاتحةَ، وقالَ أحمد: يُسَنُّ، وخالفَهما أبو حنيفةَ، واستدلُّوا بالآيةِ على عدمِ الوجوبِ، وقال الشافعيُّ: تجبُ على المأمومِ قراءةُ الفاتحةِ فيما أسرَّ به الإمامُ وما جهرَ، واستدلَّ بقولِه عليه السلام: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا»[1].

* * *

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

[٢٠٥] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ عامٌّ في الأذكارِ من القراءة والدعاءِ وغيرِهما ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ مستكيناً إليَّ متخوِّفاً مِنِّي.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ دونَ رفعِ الصوتِ والصياح فيه.

﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ البُكَرِ ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ العَشِيّاتِ، جَمْعُ أَصْلٍ، وهو ما بينَ العصرِ والمغربِ.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن ذكرِ الله تعالى.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾.

[٢٠٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني: الملائكةَ.

﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ ﴾ ويُنَزِّهونهَ.

﴿ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ يخصُّونه بالعبادةِ، وهو تعريضٌ بمن عداهم من المكلَّفينَ، ولذلك شُرِعَ السجودُ لقراءته، وعن النبيِّ ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ! أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِي النَّارُ»[١].

واتفق الأئمةُ على أن هذا موضعُ سجودٍ للقارئ.

وأما عددُ سجداتِ القرآنِ، فهي خمسَ عشرةَ سجدةً، أولُها خاتمةُ الأعرافِ، وآخرُها خاتمةُ العَلَق، منها خمسُ سجداتٍ مختلَفٌ فيها، وهي ثانيةُ الحجِّ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ هي من عزائمِ السجودِ، خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ، وسجدةُ ﴿ صٓ ﴾ عند أبي حنيفةَ ومالكٍ خِلافاً للشافعيِّ وأحمدَ؛ فإنها عندَهما سجدةُ شكر تُستحبُّ في غيرِ الصلاةِ، فلو سجد بها فيها عالماً عمداً، بطلَتْ صلاتُه عندهما، وسجداتُ المفصَّل، وهي: النجمُ، والانشقاقُ، والعلقُ عندَ الثلاثة، خلافاً لمالكٍ، والعشرُ الباقيةُ متفقٌ عليها، وهي آخرُ الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والأُولى في الحج، والفرقان، والنمل، والم تنزيل، وحم السجدة، ومحلُّها في حَم

---

(١) رواه مسلم (٨١)، كتاب: الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

عند مالكٍ عندَ[1] قولِه: ﴿إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾، وعند الثلاثة عند قوله: ﴿لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩﴾.

وسجودُ التلاوةِ كالصلاةِ يُشترطُ له[2] الطهارةُ، واستقبالُ القبلةِ بالاتفاقِ، ولا يُسجد له في وقتِ نهيٍ عند الثلاثة، خلافاً للشافعيِّ.

واختلفوا في حكم سجودِ التلاوة، فقال أبو حنيفةَ: هو واجبٌ على التالي والسامع، سواء قصدَ السماعَ أو لم يقصدْ، فإذا أرادَ السجودَ، كَبَّرَ وسجدَ بلا رفعِ يدٍ، ثم كبر ورفعَ، ولا تشهُّدَ عليه ولا سلامَ، ومن تلاها في الصلاة فلم يسجدها، سقطتْ عنه، ولو تلاها فيها، إن شاءَ ركعَ، وإن شاءَ سجدَها، ثم قام فقرأ، وهو الأفضلُ.

وقالَ مالكٌ: هو فضيلةٌ للقارىء وقاصدِ الاستماعِ إن كانَ القارىءُ يصلُح للإمامة، ويكبرُ لخفضِهِ ورفعِه، وليس له تسليمٌ، وتُكره قراءتُها في صلاةِ الفرضِ جهراً أو سِرّاً، ويسجدُ في صلاةِ النفلِ مطلقاً.

وقال الشافعيُّ: هو سنةٌ للقارىء والمستمعِ والسامع، فإن قرأ في الصلاة، سجدَ الإمامُ والمنفردُ لقراءتِهِ فقطْ، والمأمومُ لِسجدةِ إمامِه، فإن سجدَ إمامُه، فتخلف أو انعكس، بطلَتْ صلاتُه، ولا تُكره قراءتها في جهريَّةٍ ولا سرية، وإذا سجدَ خارجَ الصلاة، نوى، وكبرَ للإحرام رافعاً يديه، ثم للهُوِيِّ بلا رفعٍ، وسجدَ كسجدةِ الصلاة، ورفع مكبراً، وسلَّم من غير تشهُّد، والاختيارُ تركُ القيامِ له، وإن سجدَ في الصلاةِ، كبر للهُوِيِّ والرفع، ولا يرفعُ يديه، ولا يجلسُ للاستراحة.

---

(١) في «ت»: «بعد».

(٢) في «ن»: «لها».

وقال أحمدُ: هو سنةٌ للقارىء والمستمع دونَ السامعِ، ويعتبر أن يكونَ القارىءُ يصلُحُ إماماً، فلا يسجدُ قدامَ إمامِه، ولا عن يسارِه مع خلوِّ يمينِه، ولا رجلٌ بتلاوةِ امرأةٍ وخنثى، وسجودُه عن قيامٍ أفضلُ، ويكبر إذا سجدَ وإذا رفع، والسلامُ ركنٌ وتجزىءُ واحدةٌ بلا تشهُّدٍ، وإن سجدَ إمامٌ في صلاةِ جهر أو خارجَها، سُنَّ رفعُ يديهِ كالمنفردِ مطلقاً، ويلزمُ المأمومَ متابعتُه في صلاة الجهرِ، فلو تركَه عمداً، بَطَلَتْ صلاتُه، وإذا قامَ المصلِّي من سجودِ التلاوةِ، فهو مُخَيَّرٌ بينَ القراءةِ والركوعِ بدونها، ويُكره للإمام قراءةُ سجدةٍ في صلاةِ سرٍّ، والسجودُ لها، فإن فعلَ، فالمأمومُ مخيرٌ بين اتِّباعِه وتركِه.

واختلفوا في سجودِ الشكرِ عندَ تجدُّد النعمِ واندفاعِ النِّقَم، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: يُكره، فيقتصر على الحمدِ والشكرِ باللسانِ، وخالفَ أبو يوسفَ ومحمدٌ أبا حنيفةَ، فقالا: هي قُرْبَةٌ يثاب عليها، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُسَنُّ، وحكمُه عندَهما كسجودِ التلاوة، لكنه لا يُفعل في الصلاة، واللهُ أعلم.

* * *

سُورَةُ الأَنفَال

مدنيَّةٌ بدريَّةٌ، وآيها خمسٌ وسبعونَ آيةً، وحروفها خمسة آلافٍ ومئتانِ وأربعةٌ وتسعونَ حرفاً، وكَلِمُها ألفٌ ومئتانِ وإحدى وثلاثونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾.

[١] لما خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى بدرٍ، ولَقُوا العدوَّ، افترقَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ثلاثَ فِرَقٍ: فرقةٌ أقامتْ معَ رسولِ اللهِ ﷺ في العريشِ الذي صُنِعَ له وحَمَتْهُ وآنَسَتْهُ، وفرقةٌ أحاطتْ بعسكرِ العدوِّ لما انكشفوا، وفرقةٌ اتَّبعوا العدوَّ، فقتلوا وأَسَروا، وكانتِ الواقعةُ صبيحةَ الجمعةِ لسبعَ عشرةَ ليلةً خلتْ من شهرِ رمضانَ من السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ الشريفةِ، وتقدم ملخَّصُ القِصَّةِ في سورةِ آلِ عمرانَ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [الآية: ١٢٣]، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ قد حَرَّضَ الناسَ قبلَ ذلكَ وقالَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً أَوْ أَسَرَ أَسِيراً فَلَهُ كَذَا»، فسارعَ الشبانُ وبقيَ الشيوخُ عندَ الراياتِ، فلما انجلتِ الحروبُ، واجتمعَ الناسُ، رأتْ كلُّ فرقةٍ الفضلَ

لنفسِها، وقالتْ: نحن أَوْلى بالمغانم، وساءَتْ أخلاقُهم في ذلكَ، فأنزلَ اللهُ تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ ﴾[1] الغنائِمِ، واحدُها نَفَلٌ بتحريكِ الفاءِ، وهو الزيادةُ؛ لأنها عَطِيَّةٌ من اللهِ عز وجل لهذهِ الأمةِ.

﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ ﴾ أمرُها له، فيقسِمُها الرسولُ على ما يأمرُه اللهُ به، فقسمَها رسولُ الله ﷺ بينَهم على السَّواء.

واختلفوا فيما إذا قالَ الإمامُ: من فعلَ كذا، فله كذا، ومن جاء بكذا، فله كذا، فقال أبو حنيفةَ: يجوزُ ذلكَ قبلَ إحرازِ الغنيمةِ، وقبلَ أن تضعَ الحربُ أوزارَها؛ لما فيه من التحريضِ على القتال، واستدلَّ بما قال عليه السلام يوم بدرٍ، وأما بعدَ الإحرازِ، يُنَفَّلُ من الخمس.

وقال مالكٌ: يُكره؛ لئلاَّ يشوبَ قصدَ المجاهدين إرادةُ الدنيا؛ فإن شَرَطَه، كانَ من الخمس، لا من أصلِ الغنيمةِ.

وقال الشافعيُّ: يجوزُ، ويكون من المصالحِ المرصَدَةِ ببيتِ المال.

وقال أحمد: يجوزُ ما لم يجاوزْ ثلثَ الغنيمةِ بعدَ الخمس.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ ولا تختلفوا بسببِ حُطام الدنيا ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ ﴾ الحالَ التي بينكم بتركِ الاختلافِ.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ فيه[2] ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ كاملي الإيمان.

---

(1) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٦٧)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦/ ٣١٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٨ ـ ١٢٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦).

(2) قوله: «﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فيه» سقط من «ت».

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الكاملو الإيمانِ، و(إنما) لفظٌ لا تفارقُه المبالغةُ والتأكيدُ حيثُ وقعَ.

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ استِعْظاماً له.

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ يقيناً وتصديقاً.

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يفوِّضونَ أمرَهم إليه.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يُتِمُّونها سُجوداً ورُكوعاً وقِياماً.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدَّقون.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ يقيناً، لا شكَّ في إيمانهم.

﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ منازِلُ وشرفٌ في الجنة.

﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ حَسَنٌ أُعِدَّ لهم في الجنةِ.

* * *

﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ أي: كما أمرَكَ بالخروجِ.

﴿ مِنۢ بَيۡتِكَ ﴾ أي: من المدينةِ إلى بدرٍ إخراجاً.

﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ بالوحي خبرٌ مبتدؤه محذوفٌ، تقديرُه: هذهِ الحالُ في كراهتِهم إياها كحالِ إخراجِكَ للحربِ على كراهتهم له.

﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ أي: أخرجَكَ في حالِ كراهتهم، وذلك أن عيرَ قريشٍ أقبلتْ من الشامِ مع أبي سفيانَ، ومعها أربعون راكباً، فأعلمَ جبريلُ النبيَّ ﷺ بها، فأعلمَ أصحابه، فَسُرُّوا وأحبوا الخروجَ إليها لكثرةِ المالِ وقلةِ الرجال، فأُعْلِمَتْ قريشٌ بذلك، فخرج أبو جهلٍ ومعه مقاتِلَةُ مكةَ ذابّاً عنها، وهم النفيرُ، فعلم أبو سفيانَ ذلك، فأخذ بها طريقَ الساحل فنجت، فقيل لأبي جهلٍ: ارجعْ بالناس، فقد نجتِ العيرُ، فأبى، وسارَ بمن معه إلى بدرٍ، فشاورَ ﷺ أصحابَهُ في لقاء العيرِ أو النفيرِ، فقال أبو بكرٍ فأحسنَ، وقال عمرُ فأحسنَ، وقال المقدادُ بن عمرو: «امضِ بنا يا رسولَ الله، فنحن معكَ، واللهِ ما نقولُ لكَ كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى: اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا هاهنا قاعدون، ولكنِ اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنَّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق! لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد؛ يعني: مدينة الحبشة، لجالَدْنا معكَ من دونِه حتى تبلُغَه»، فدعا له ﷺ، ثم قال: «أَشِيرُوا عَلَيَّ» يريدُ: الأنصار، فقال سعدُ بنُ معاذٍ: «لَكأنَّكَ تريدُنا يا رسول الله؟ فقال: «أَجَلْ»، فقال: امضِ يا رسول الله لما أردْتَ، والذي بعثَكَ بالحق! لو استعرضْتَ بنا هذا البحرَ فَخُضتَهُ لَخُضناهُ

معكَ، ما تخلَّفَ منا واحدٌ، وما نكرهُ أن تلْقَى بنا عَدُوَّنا، وإنا لَصُبرٌ في الحرب، صُدقٌ في اللِّقاء»، فَسُرَّ ﷺ بذلك، ثم قال: «سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، واللهِ لَكَأَنِّي الآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»[1].

* * *

﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ ﴾ وذلكَ أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: ما خرجْنا إلاَّ للعير، هَلاَّ قلتَ لنا فنستعدَّ للقتال.

﴿ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ لهم أنهم يُنصرون بإعلامِ اللهِ ورسولِه.

﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ ﴾ أي: حينَ يُدْعون إلى القتال.

﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ يشاهِدونَ أسبابَه، وقيلَ: هؤلاءِ المشركونَ جادلوه في الحقِّ كأنما يُساقون إلى الموت حينَ يُدْعون إلى الإسلامِ؛ لكراهتهم إياه.

* * *

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾.

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٣٩٩)، و«المستدرك» للحاكم (٣/ ٢٨٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٨٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٦).

[٧] ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: واذكر إذ يعدكم الله.

﴿ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ العيرَ أو النفيرَ ﴿ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ أي: إحداهما.

﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾ يعني: العيرَ التي ليسَ فيها قتال، والشوكةُ: شدةُ البأس.

﴿ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ وكان أبو سفيانَ مع العير، وأبو جهلٍ مع النفير. **قرأ** أبو عمرٍو: (الشَّوْكَة تَّكُونُ) بإدغامِ التاءِ في التاء[١].

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ يظهرُه ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ بأمرِه إياكم بالقتال.

﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: إنما تَوَدُّون لقاءَ العير، والله يودُّ لقاءَ النفير؛ ليعزَّ الإسلامَ، ويستأصلَ الكفَّارَ بالهلاك.

***

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾ ليثبتَ الإسلامَ ﴿ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ يمحقَ الكفر.

﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون.

***

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ أي: اذكر إذ تستغيثون ﴿ رَبَّكُمْ ﴾ واستغاثتُهم

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤/٤٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/٤٣٨).

أنهم لما علموا أَنْ لا محيصَ من القتال، أخذوا يقولون: أَيْ رَبّ! انصرْنا على عدوِّكَ، أغثنا يا غياثَ المستغيثين.

وعن عمرَ رضي الله عنه: لما نظرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المشركينَ وهم ألفٌ، وأصحابُه ثلاثُ مئةٍ وبضعةَ عشرَ، دخل العريشَ هو وأبو بكرٍ، واستقبلَ القبلةَ، ومدَّ يديه يدعو: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» وما زالَ كذلكَ حتى سقطَ رداؤُه عن منكبيه، فأخذه أبو بكرٍ فألقاه على مَنْكِبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: «يا نبيَّ الله! كفاكَ مُناشَدَتَكَ رَبَّكَ؛ فإنه سينجزُ لكَ ما وعدكَ»[1].

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ مُعينكم.

﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ: (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال؛ أي: أردفَ الله المسلمين، وجاء بهم مَدَداً، وقرأ الباقون: بكسر الدال؛ أي: متتابعين بعضُهم في إثرِ بعض[2].

وروي أنه نزلَ جبريلُ في خمس مئةٍ، وميكائيلُ في خمس مئةٍ في صورة الرجالِ على خيلٍ بُلْقٍ عليهم ثيابٌ بِيض، وعلى رؤوسهم عمائمُ بيضٌ قد أَرْخَوا أطرافَها بين أكتافِهم[3].

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٣٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٨٣)، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٣١٠).

وعن ابنِ عباس رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ قال يوم بدر: «هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ»(١).

وقالَ ابنُ عباسٍ: «كانتْ سيما الملائكةِ يومَ بدرٍ عمائمُ بيضٌ، ويومَ حُنينٍ عمائمُ حمر، ولم تقاتل الملائكةُ في يوم سوى يومِ بدرٍ، وكانوا يكونون فيما سواه عَدَداً ومَدَداً»(٢).

وتقدم في سورةِ آلِ عمران أنَّ جبريلَ كان يومَ بدرٍ بعمامةٍ صفراءَ على مثالِ عمامةِ الزبيرِ بن العوَّام.

* * *

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: الإمدادَ بالملائكة.

﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ أي: بشارة لكم بالنصر.

﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ ﴾ فيزولَ ما بها من الوَجَل.

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وإمدادُ الملائكةِ وكثرةُ العدد لا تأثيرَ لها، فلا تحسبوا النصرَ منها.

* * *

(١) رواه البخاري (٣٧٧٣)، كتاب: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً.
(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٠٨٥).

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (يَغْشاكُمُ) بفتح الياء فعلاً.

﴿ ٱلنُّعَاسَ ﴾ فاعلُه، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (يُغْشِيكُمُ) بضم الياء وكسر الشين خفيفةً (النعاسَ) نصبٌ، وقرأ الباقون: بضم الياء وكسر الشين مشدَّداً و(النعاسَ) نصبٌ، وهو مفعول، والفاعلُ مضمَرٌ يرجع إلى الله تعالى[١].

﴿ أَمَنَةً ﴾ أمناً ﴿ مِّنْهُ ﴾ أي: من الله، قال عبدُ الله بنُ مسعود: «النعاسُ في الحرب أمنةٌ من الله، وفي الصلاةِ وسوسةٌ من الشيطان»[٢].

﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ من الأحداث والجنابة، وذلك أن المسلمين نزلوا يومَ بدر على كثيبٍ أعفرَ تسوخُ فيه الأقدام، وسبقَهم المشركون إلى ماءِ[٣] بدر، وأصبح المسلمون وقد أجنبَ بعضُهم، وأحدثَ بعضُهم، وعطشوا، فوسوس إليهم الشيطانُ وقال: لو كنتم على الحقِّ، ما كنتم كذا، والمشركون على ماء بدر، فجاء المطرُ فارتووا هم وركابُهم، وتطهروا من الأحداث.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٢١٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٣٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٤٥١).

(٣) «ماء» زيادة من «ظ».

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: وسوستَهُ، وسَمَّى الوسواسَ رجزاً؛ لأنه سببُ الرجزِ، وهو العذابُ.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يشدَّ عليها بالصبرِ واليقين.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ أي: بالماء ﴿ٱلْأَقْدَامَ﴾ لئلا تسوخَ في الرمل؛ فإنه لَبَّدَ الأرضَ.

* * *

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أمدَّ بهم المؤمنين.

﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ بالعونِ والنصرِ.

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بقتالِكم معهم، وبشارتِكم لهم بالنصر، فكان الملَكُ يمشي بين الصفين في صورةِ الرجلِ يقول للمؤمنين: أَبْشِروا بالنصر؛ فإن الله ناصرُكم.

﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ أي: الخوفَ من أوليائي. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (الرُّعُبَ) بضم العين، والباقون: بالإسكان[(١)].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١، ١١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٢).

﴿ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ أي: الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق.

﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ هي المفاصلُ والأطرافُ، قال ابنُ الأنباري: ما كانت الملائكةُ تعلم[1] كيفَ تقتلُ الآدميين، فعلَّمهم اللهُ تعالى.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] فلما التقى الصفان، انهزم المشركون، وقُتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون، منهم العباسُ رضي الله عنه.

﴿ ذَٰلِكَ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه:

﴿ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ أي: جادلوه وجانبوا دينَهُ، والكافُ لخطابِ النبيِّ ﷺ؛ أي: ذلكَ العذابُ الواقعُ بهم بسببِ مشاقَّتِهم اللهَ ورسولَه.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ والمشاقَّةُ: المخالفةُ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ وعيدٌ بما أعدَّ لهم في الآخرة بعدَ ما حاق بهم في الدنيا.

* * *

﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ خطابٌ للكفارِ على سبيل الالتفات؛ أي: ذلكم العقابُ.

---

(١) في «ت»: «تعرف».

﴿فَذُوقُوهُ﴾ عاجلاً.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: واعلموا أن للكافرين آجِلاً في المعادِ.

﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما قال: قيلَ لرسولِ ﷺ حينَ فرغَ من بدرٍ: عليكَ بالعيرِ ليس دونَها شيء، فناداهم العباسُ وهو أسير[1] في وَثاقه: لا يصلحُ، فقال رسول الله: «لمه؟» قال: لأن الله وعدَك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدَك[2]، فكره بعضُهم قوله.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ١٥﴾.

[١٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ والتزاحُفُ: تقارُبُ القوم إلى القوم في القتال ببطء، والمعنى: إذا لقيتُم الكافرين وهم في غايةِ الكثرة.

﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي: لا تولُّوهم ظهورَكم مُنْهزمينَ.

***

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ١٦﴾.

---

(١) «أسير» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الترمذي (٣٠٨٠)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأنفال، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣١٤).

[١٦] ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ ظهره.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ بأنْ يريَهم الفرَّةَ وهو يريدُ الكرَّةَ.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ منضمّاً إلى جماعة يريدون العودَ إلى القتال؛ أي: من انهزمَ إلا على هذه النية.

﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ رجعَ ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ﴾ أي: مُقامُه.

﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هذا إذا لم يزدِ العدوُّ على الضَّعْفِ؛ لقوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية [٦٦].

واختلفوا في حكم الآية، فقال قومٌ: هو خاصٌّ بأهلِ بدر، واحتجوا بقولِه: (يَوْمَئِذٍ)، قالوا: وهو إشارة إلى يومِ بدرٍ، وأنه نُسخ حكمُ الآيةِ بآيةِ الضعيف، وبقي الفرارُ من الزحفِ ليسَ كبيرةً، وقد فرَّ الناسُ يومَ أحد، فعفا الله عنهم، وقال يومَ حنين: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، ولم يعنِّفْ على ذلك، وإليه ذهبَ أبو حنيفةَ، وقال آخرون: حكمُ الآية باقٍ إلى يوم القيامة، فلا يجوزُ الفرارُ إلا إذا زادَ الكفارُ على ضعفِ المسلمينِ، وليس في الآية نسخٌ، والدليل عليه أنها نزلت بعدَ القتالِ وانقضاءِ الحرب، وذهابِ اليوم بما فيه، وأما يومَ أحد، فإنما فر الناس من أكثرَ من ضعفِهم، ومع ذلك عُنِّفوا، وأما يومَ حنين، فكذلك، وإلى هذا ذهب مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ.

* * *

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ولما التقى الجمعان ببدر، أخذ ﷺ كفّاً من حصباءِ الوادي معه

ترابٌ، وألقاه في وجوه القوم وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فلم يبقَ منهم أحدٌ إلا دخل عينيه ومَنْخِرَيه منه شيءٌ، فانهزموا[1]، وتمكَّن المسلمون منهم قتلاً وأَسْراً، فلما رجعوا، قال بعضُهم: قتلتُ فعلتُ، فنزلَ تأديباً:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾[2] بقوَّتِكم؛ لضعفِكم عنهم.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصرِه إياكم.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمدُ رمياً توصلُه إلى أعينِهم، ولم تقدرْ عيه.

﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ أتيتَ بصورةِ الرمي.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أي: بلغَ التراب أعينَهم، إذ ليس في وُسع أحدٍ من البشر أن يرميَ كفاً من الحصى إلى وجوه جيش فلا يبقى فيهم عينٌ إلا ويصيبُها منه شيء. **قرأ** ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنِ) في الحرفين خفيفةَ النون (اللهُ) رفعٌ، والباقون: (وَلَكِنَّ) مشددةَ النون (اللهَ) نصبٌ[3]، ومعنى (لكن) نفيُ الخبرِ الماضي وإثباتُ المستقبل، **وقرأ** ورشٌ عن نافعٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وخلفٌ: (رَمَى) بالإمالة[4].

﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ اللهُ ﴿الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ أي: لينعمَ عليهم نعمةً

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٩).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٤٤، ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٣).

حسنةً، وهي الغنيمةُ في الدنيا، والجنةُ في الأخرى، والإبلاءُ هنا: الإعطاءَ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لدعائِكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتِكم.

* * *

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ أي: القتلُ والإبلاءُ الحسنُ.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ ﴾ مُضْعِفُ.

﴿ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: المقصودُ إبلاءُ المؤمنين، وإبطالُ حيلِ الكافرين. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (مُوَهِّنٌ) بفتح الواو وتشديد الهاء وبالتنوين ونصب (كَيْدَ)، وروى حفصٌ عن عاصمٍ: بالتخفيف من غير تنوين وخفضِ (كَيْدِ) على الإضافة، والباقون: بالتخفيف والتنوين ونصب (كَيْدَ)(١).

* * *

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ ﴾ تستنصِروا، الخطابُ للكفارِ على سبيلِ التهكُّمِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٣-٤٤٤).

بهم، وذلك أنهم حينَ أرادوا الخروجَ من مكةَ، أخذوا بأستارِ الكعبةِ وقالوا: اللهمَّ انْصر أعلى الجُنْدَين، وأهدى الفئتين، وأكرمَ الحزبين، وأفضلَ الدينين، فنزلت الآية.

﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾[1] النصرُ.

﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الكفرِ وحربِ الرسول ﷺ.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من ذلكَ، فلم ينتهوا، فقُتل أبو جهل وغيرُه من المشركين.

﴿وَإِن تَعُودُوا۟﴾ لحربِه ﴿نَعُدْ﴾ لنصرِه.

﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْـًٔا﴾ من الإغناء.

﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فئتكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصرِ والمعونة. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (وَأَنَّ الله) بفتح الهمزة؛ أي: ولأن الله، وقرأ الباقون: بالكسر على الابتداء[2].

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ أي:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٥).

لا تُعْرِضوا عن الرسول. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثير: (وَلاَ تُوَلُّوا) بالمدِّ وتشديد التاء[1].

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ مواعظَ القرآنِ.

* * *

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ بآذانِنا.

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ بقلوبِهم؛ لأنهم غيرُ مصدِّقين، نزلتْ في المنافقين.

* * *

﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ثم قَبَّحَ حالَ المكذِّبين فقال: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: جميعِ ما دبَّ على الأرض.

﴿ٱلصُّمُّ﴾ عن الحقِّ ﴿ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَمْرَ الله، سُمُّوا بالدوابِّ؛ لقلةِ انتفاعِهم بعقولهم كما قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال ابنُ عباس: «هُمْ نَفَرٌ من بني عبدِ الدارِ بن قصيٍّ، كانوا يقولون: نحن صُمٌّ بكمٌ عميٌ عما جاءَ به محمدٌ فقُتلوا جميعاً بأُحد، وكانوا أصحابَ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٦).

اللواء، ولم يُسلم منهم إلا رجلان: مصعبُ بنُ عميرُ، وسويبطُ بنُ حرملةَ.

***

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ سماعَ التفهُّم والقبولِ.

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ بعدَ أن علمَ أن لا خيرَ فيهم، ما انتفعوا بذلك، و﴿ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ عن الإيمان عناداً.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ الرسولُ.

﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ من العلمِ والدينِ، كان ﷺ دعا أُبيّاً وهو في صلاتِه، فلم يُجبه، ثم أتاه فقال: «ما مَنَعَكَ أَنْ تُجيبنَي؟!»، فقالَ: كنتُ في الصلاةِ، فقال: «ألم تسمعْ ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ ﴾ الآيَةَ؟»، فقال أبي: لا جرمَ لا تدعوني إلا أجبتُ[١]، وهذا من خصائِصه ﷺ أنه إذا دعا إنساناً في الصلاةِ يجبُ عليه قطعُها وإجابتُه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٧٥)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل فاتحة الكتاب، وقال: حسن صحيح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ أي: يملك عليه قلبه فيصرفه كيفَ شاءَ ﴿ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

* * *

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً﴾ عذاباً.

﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ يعني: لا تَختصُّ الظالمين، بل تعمُّ، قيل: نزلتْ في عليٍّ وعمارٍ وطلحةَ والزبيرِ، والفتنةُ يومَ الجمل، رُوي أن الزبيرَ بنَ العوامِ قال يومَ الجمل: «ما علمتُ أنا أُرِدْنا بهذهِ الآية إلا اليومَ، وما كنتُ أظنُّها إلا فيمن خوطبَ بها ذلكَ الوقت»، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِفِعْلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِروهُ فَلاَ يُنْكِرُونَهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِك، عَذَّبَ اللهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ».

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ وعيدٌ.

* * *

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ﴾ يا معشرَ المهاجرين.

﴿ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مكةَ قبلَ الهجرةِ.

﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ يستَلِبَكُم الناسُ بسرعة؛ لأنهم كانوا جميعاً عدواً لكم.

﴿ فَـَٔاوَىٰكُمْ ﴾ إلى المدينةِ ﴿ وَأَيَّدَكُم ﴾ قوّاكم.

﴿ بِنَصْرِهِۦ ﴾ إياكم بالأنصارِ وبملائكتِه يومَ بدرٍ.

﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ الغنائمِ؛ لأنها لم تحلَّ لأحدٍ قبلَكم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعمَ.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ نزلت في أبي لُبابةَ هارونَ بنِ عبدِ المنذرِ الأنصاريِّ من بني عوفِ بنِ مالكٍ، رُوي: أنَّ رسولَ الله ﷺ حاصرَ يهودَ بني قريظةَ خمساً وعشرينَ ليلةً، فسألوا: الصلحَ كما صالحَ إخوانَهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من الشام، فأبى وقالَ لهم: تنزلون على حكمي، فأَبَوا، فقال: على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ، فرضُوا به، وقالوا: أرسلْ إلينا أبا لبابةَ، وكان مناصِحاً لهم؛ لأن عيالَه ومالَه كانت عندَهم، فبعثَه إليهم، فقالوا: ما تَرَى هل ننزلُ على حكمِ محمدٍ؟ فأشارَ أبو لبابةَ إلى حلقِه أنه الذبحُ، قالَ أبو لبابة: فما زالتْ قدمايَ حتى علمتُ أني خُنتُ اللهَ ورسولَه، فنزلَتْ، فَشدَّ نفسَهُ على ساريةٍ في المسجد، وقال: واللهِ لا أذوقُ طعاماً ولا شراباً حتى أموتَ، أو يتوبَ الله عليَّ، فمكثَ سبعةَ أيام حتى خَرَّ مغشِياً عليه، ثم تابَ الله عليه، فقيلَ له: قد تيبَ عليك، فَحُلَّ نفسَكَ، فقال: واللهِ لا أَحُلُّها حتى يكونَ

رسولُ الله ﷺ هو الذي يحلُّني، فجاءه فحلَّه بيده، فقال: إنَّ من تمامِ توبتي أن أهجرَ دارَ قومي التي أصبتُ فيها الذنبَ، وأن أنخلعَ من مالي، فقال ﷺ: «يُجْزِئُكَ الثُّلُثُ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ»، وسيأتي ذكرُ القصةِ في سورةِ الأحزابِ إن شاء الله تعالى، وأصلُ الخون: النقصُ، كما أن أصلَ الوفاء: التمامُ، واستعمالُه في ضدِّ الأمانة؛ لتضمُّنِه إياه.

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ أي: ولا تخونوا أماناتِكم فيما بينكم.

﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ قبحَ الخيانة.

* * *

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ لأنهم سببُ الوقوع في الإثم والعقابِ، قيل: هذا في أبي لبابة أيضاً؛ لأن أموالَه وأولاده كانوا في بني قريظة، فقالَ ما قالَ خوفاً عليهم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لمن آثر رضا الله عليهم.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

[٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بطاعتِه.

﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ فتحاً ونصراً وتفرقاً بين الحقِّ والباطلِ.

﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ يمحو ما سلَفَ من ذنوبِكم.

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ بالتجاوز والعفوِ عنكم.

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تنبيهٌ على أن ما وعده لهم على التقوى تفضلٌ منه وإحسانٌ، وأنه ليس مما يوجبُ تَقَوِّيَهُمْ عليه؛ كالسيدِ إذا وعدَ عبدَه إنعاماً على عمل.

***

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ (٣٠) ﴾.

[٣٠] ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ تذكارٌ لما مكرَ قريشٌ به حين كان بمكةَ؛ ليشكرَ نعمةَ الله في خلاصِه من مكرِهم، واستيلائِه عليهم، والمعنى: وإذكرْ إذ يمكرون بكَ، وكان ذلك المكرُ أن أكابرَ قريش اجتمعوا في دارِ الندوة بمكةَ مشاورين في الفتك برسول الله ﷺ بعد إسلامِ الأنصار، فاعترضهم إبليسُ في صورة شيخٍ، فلما رأوه قالوا: من أنت؟ قال: شيخٌ من نَجْدٍ، سمعتُ باجتماعِكم، فأردت أن أحضرَ معكم، ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً، فقالوا: ادخلْ، فدخلَ، فقال أبو البختريِّ: أرى أن تُوثقوه وتحبسوه في بيتٍ وتسدُّوا عليه غيرَ كَوَّةٍ تكونُ منها طعامه وشرابه حتى يهلكَ، فقال عدوُّ اللهِ إبليسُ: بئسَ الرأيُ ذلكم، يأتيكم من يخليه من أيديكم، وقال هشامُ بنُ عمرٍو من بني عامرِ بنِ لؤيٍّ: أرى أن تُخرجوه من بين أظهُرِكم، فقال عدوُّ الله إبليسُ: بئسَ الرأيُ ذلكم، يذهبُ إلى قوم فيستميلُ قلوبهم، ويسير بهم إليكم، ويخرجُكم من بلادكم، وقال أبو جهلٍ: أرى أن تأخذوا من كلِّ بطنٍ من قريش شاباً، فَيُعْطى سيفاً صارماً، فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ حتى يُقتل، فإذا تفرَّقَ دمُه في القبائل،

لم يقوَ بنو هاشم على حربهم، فيرضون بالعقلِ، فقال عدوُّ اللهِ إبليسُ: صدقَ هذا الفتى، وهو أجودُكم رأياً، القولُ ما قال، لا أرى غيرَه، فتفرقوا على رأي أبي جهل، وأنهم يأتونه ليلاً، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ وأخبرَه بذلك، وأمره ألاَّ يبيتَ في مضجعِه، فأمر ﷺ علياً أن يبيتَ مكانه، وقال له: «تَسَبَّح بِبُرْدِي؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ»، وباتوا مترصِّدين في خروجِه، ثم خرج ﷺ فأخذ قبضةً من ترابٍ، فأخذَ اللهُ أبصارَهم عنه، وجعلَ ينثرُ الترابَ على رؤوسِهم وهو يقرأُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ إلى قولِه: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٨-٩]، ومضى إلى الغارِ من ثورٍ، وهو جبلٌ بمكة هو وأبو بكر، وخلفَ علياً بمكة حتى يؤدِّيَ عنه الودائعَ التي قبلَها، وكانت توضَعُ عنده لصدقِه وأمانتِه، فلما أصبح المشركون لم يروه، ورأوا علياً في مكانِه، فقالوا: أينَ صاحبُكَ؟ قال: لا أدري، فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الغارَ، رأوا على بابه نسجَ العنكبوتِ، فقالوا: لو دخلَه لم يكن نسجُ العنكبوتِ على بابه، فمكث فيه ثلاثاً، ثم قدمَ المدينةَ، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١).

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك في بيت ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ بسيوفِهم ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكةَ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ يجازيهم جزاءَ مكرِهم.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ لأن مكرَهُ حَقٌّ.

***

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن إسحاق (١/ ٣٨٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥١).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ ﴾ يعني: النضرُ بنُ الحارثِ.

﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ لأنه كان يختلفُ تاجراً إلى الحيرةِ وفارس والروم، ويسمعُ أخبار رستم وإسفنديار، وأحاديثَ العجم، ويتحدث بها، ويمرُّ باليهود والنصارى، فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون، فجاء مكةَ فوجد محمداً ﷺ يصلِّي ويقرأ القرآن، ويذكر في قراءته أخبارَ القرون الماضيةِ، فقال النضرُ: ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾[١] ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أخبارُ الأممِ الماضية وما سَطَروا في كتبِهم، والأساطيرُ جمعُ أسطورة، وهي المكتوبةُ.

***

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا ﴾ أي: ما جاء به محمدٌ.

﴿ هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ نزلت في النَّضْرِ حينَ قال: لو شئتُ، لقلتُ مثلَ هذا، إن هذا إلا ما سطرَ الأولون في كتبِهم، فقال له النبي ﷺ: «وَيْلَكَ! إِنَّهُ كَلَامُ اللهِ»، فقال استهزاء: اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندِك.

﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ عقوبةً على إنكاره، يقال في

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٨٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٤).

العذاب: أَمْطَرَتْ، وللرحمة: مَطَرَتْ.

﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سِواهُ، فقُتل يومَ بدرٍ صبراً. واختلافُ القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا) كاختلافِهم فيها (مِنْ خِطْبَةِ النساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ) في سورة البقرة.

* * *

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: المشركينَ عذابَ استئصالٍ، جوابُ سؤالِهم نزولَ الحجارةِ أو العذابِ الأليم.

﴿وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ﴾ لأنَّ العذابَ إذا نزلَ، عَمَّ، ولهذا كان العذابُ إذا نزلَ بقومٍ يؤمرُ نبيُّهم بالخروجِ بالمؤمنين منهم من بينِهم، واللامُ في (لِيُعَذِّبَهُمْ) لتأكيدِ النفي؛ أي: لولا وجودُك بين ظَهْرانَيْهم، لَعُذِّبوا.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: وفيهم من سبقَ له من اللهِ أنه يصيرُ من أتباعِ محمدٍ ﷺ مثلَ أبي سفيانَ، وصفوانَ بنِ أميةَ وعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، وغيرِهم، وقيلَ غيرُ ذلكَ، قال ﷺ: «أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ أَمَانَيْنِ لأُمَّتِي: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فَإِذَا مَضَيْتُ، تَرَكْتُ فِيهِمُ الاسْتِغْفَارَ»(١).

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٢)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأنفال، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ. وقال حديث غريب، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث.

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ثم تَوَعَّدهم بعذابِ الدنيا فقال: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: وكيف لا يُعَذَّبون.

﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي: عن الطواف؛ لأنهم كانوا يقولون: نحنُ أولياءُ البيتِ، فنصدُّ من نشاءُ، ونترك من نشاءُ، فنزل: ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ﴾ أي: أولياءَ البيت ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ ﴾ أي: ليس أولياءَ البيتِ.

﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الذين يتقونَ الشركَ.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنْ لا ولايةَ لهم عليه.

* * *

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي: دعاؤهم، أو ما يسمونه صلاةً.

﴿ إِلَّا مُكَآءً ﴾ إلا صفيراً بالأفواه، وهو أن يشبكَ الأصابعَ وينفخَ فيها.

﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ تصفيقاً بإحدى اليدين على الأخرى، وكان ﷺ إذا صلَّى، صَفَّروا وصفَّقوا عن يمينه وشماله؛ ليخلِطوا عليه قراءتَه، ويرون أنهم يصلُّون أيضاً.

﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ يعني: القتلَ والأسرَ يومَ بدرٍ.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ اعتقاداً وعملاً.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

أي: ليصرفوا عن دين الله، نزلَتْ في المطعِمين يومَ بدرٍ، وكانوا اثني عشرَ رجلاً من قريش، وهم أبو جهلِ بنُ هشام، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ بنِ عبدِ شمس، ونبيهٌ ومنبهٌ ابنا الحجاج، وأبو البختريِّ بنُ هشام، والنضرُ بنُ الحارثِ، وحكيمُ بنُ حزام، وأُبيُّ بنُ خلف، وزمعةُ بنُ الأسود، والحارثُ بنُ عامرِ بنِ نوفلٍ، والعباسُ بنُ عبدِ المطلب، وكان يطعم كلُّ واحد منهم كلَّ يومٍ عشر جُزُر(١).

﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ ﴾ عاقبةُ النفقةِ على حربِ رسولِ الله ﷺ ببدرٍ يومَ القيامةِ.

﴿ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ أي: يتحَسَّرون على ذلك.

﴿ ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ ولا يظفرون.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ منهم.

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ لأن منهم من أسلمَ.

***

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٠).

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ لِيَمِيزَ ﴾ ليبينَ ﴿ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ ﴾ الكافرَ ﴿ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ المؤمن. قرأ يعقوبُ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لِيُمَيِّزَ) بضم الياء الأولى وفتح الميم وتشديد الياء الثانية، والباقون: بفتح الأولى وكسر الميم وإسكان الثانية(١).

﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: فوقَ بعضٍ.

﴿ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا ﴾ فيجمَعَه متراكباً، ومنه السحابُ المركومُ، وهو المجتمعُ الكثيفُ.

﴿ فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ ﴾ كلَّه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين أنفقوا أموالهم.

﴿ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ لأنهم خسروا أنفسَهم وأموالَهم.

* * *

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ﴾ عن الكفر.

﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ من ذنوبهم قبلَ الإسلامِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢، ١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٨).

﴿ وَإِن يَعُودُوا۟ ﴾ إليه ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ بأن يَهْلِكوا إذا لم يُؤْمنوا، و(سُنَّتُ) رُسمت بالتاء في خمسةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاء ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ(١).

* * *

﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ شِرْكٌ ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ ﴾ أي: جميعُ الأديان ﴿ لِلَّهِ ﴾ خالصاً لا شريكَ له.

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾ عن الكفرِ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازي كلاً بعمله. قرأ رُويسٌ عن يعقوبَ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب(٢).

* * *

﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ عن الإيمانِ، وعادوا إلى قتالِ أهلِه.

﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ حافظُكم وناصرُكم عليهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٤٩).

﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ لا يضيعُ من تولاه.

﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ ولا يُغْلَب من ينصرُه.

* * *

﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ أخذْتُم من مالِ حربي قهراً بقتال.

﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ ممَّا يقعُ عليه اسمُ الشيء، حتى الخيط.

﴿فَأَنَّ﴾ فتحاً خبرُ مبتدأ؛ أي: فالحكم أن ﴿لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ وأُضيفَ المالُ إلى اسمِ اللهِ تشريفاً، ليسَ المرادُ منه أن سهماً من الغنيمة لله مفرداً، فإن الدنيا والآخرة كلَّها لله عز وجل.

﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قسمٌ، والمراد: أقاربه ﷺ بنو هاشم، وبنو المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل، قال ﷺ: «أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فَشَيْءٌ وَاحِدٌ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، مَا فَارَقُونَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ»[1].

﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ جمعُ يتيمٍ، وهو صغيرٌ فقيرٌ مسلمٌ لا أبَ له.

---

(١) رواه أبو داود (٢٩٨٠)، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى، والنسائي (٤١٣٧)، كتاب: قسم الفيء، عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ. ورواه البخاري (٣٣١١)، كتاب: المناقب، باب: مناقب قريش، عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ مختصراً.

﴿وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ وهم أهلُ الفاقةِ من المسلمينَ.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافرُ البعيدُ عن مالِه، فكأنه قال: فإن للهِ خمسَهُ يُصرفُ إلى هؤلاء الأَخَصِّينَ به.

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه (واعلموا)؛ أي: إن كنتم آمنتم بالله، فاعلموا أنه جُعل الخمسُ لهؤلاء، فسلموه إليهم، واقنعوا بالأخماسِ الأربعةِ الباقية، فإن العلمَ العمليَّ إذا أُمر به، فالمراد به العملُ، وليس المراد منه العلمَ المجردَ.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ أي: وبما أنزلنا ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمدٍ ﷺ من الآياتِ والملائكةِ والنصرِ.

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يومَ بدرٍ، فإنه فرقَ فيه بين الحقِّ والباطل.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفارُ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من نصرِ القليل على الكثيرِ.

واتفق الأئمةُ على أن الغنيمةَ تقسَمُ خمسةَ أخماس، أربعةُ أخماسٍ منها لمن قاتلَ عليها على ما يأتي بيانُه، واختلفوا في الخمس الباقي فيمن يقسم؟ فقال أبو حنيفة: يقسمُ على ثلاثةِ أسهمٍ: سهمٌ لليتامى، وسهمٌ للمساكين، وسهمٌ لأبناء السبيل، يدخلُ فقراءُ ذوي القربى فيهم دونَ أغنيائهم، فأما سهمُ النبيِّ ﷺ، فهو خمسُ اللهِ ورسولِه، وقد سقطَ بموتِ النبيِّ ﷺ، كما سقط الصَّفِيُّ المختَصُّ به، وهو ما كانَ يختارُ قبلَ القسمةِ؛ كجاريةٍ وعبدٍ وثوبٍ وسيفٍ ونحوِه، وسهمُ ذوي القربى كانوا يستحقونه في زمنِه عليه السلام بالنصرة، وبعدَه فلا سهمَ لهم، وإنما يستحقونه بالفقر خاصةً، ويستوي فيه ذكرُهم وأنثاهم، وقال مالك: هذا الخمسُ لا يستحَقُّ بالتعيينِ

بشخصٍ دونَ شخصٍ، ولكنِ النظرُ فيه للإمام يصرفُه فيما[1] يرى، وعلى من يرَى من المسلمين، ويعطي القرابةَ من الخمسِ ومن الفيءِ والخراجِ والجزيةِ بالاجتهاد، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يُقسمُ الخمسُ على خمسةِ أسهمٍ: سهمٌ كان لرسول الله ﷺ، وحكمُه باقٍ، فيصرَفُ بعدَه لمصالح المسلمين؛ كالثغورِ وأرزاقِ القضاةِ والعلماءِ، يقدَّمُ الأهمُّ فالأهمُّ، والثاني لبني هاشمٍ والمطلبِ، يشتركُ فيه الغنيُّ والفقيرُ، ويفضَّلُ الذكرُ على الأنثى كالإرث، والثالثُ لليتامى، والرابعُ للمساكين، والخامسُ لأبناء السبيل، ويقسم أربعةُ أخماس الغنيمةِ بينَ الغانمين الذين شهدوا الوقعةَ بنيةِ القتال.

واختلفوا في قسمه، فقال أبو حنيفةَ: للفارسِ سهمان، وللراجل سهمٌ، وقال الثلاثةُ وأبو يوسفَ ومحمدٌ: للفارسِ ثلاثةُ أسهمٍ، وللراجلِ سهمٌ، وقال أبو حنيفةَ ومالكٌ والشافعيُّ: لا يُسْهَمُ لأكثرَ من فرسٍ واحدٍ، وقال أحمدُ وأبو يوسفَ: يُسْهَمُ لفرسينِ، ولا يُسهم لغيرِ الخيل بالاتفاق، واختار الخرقيُّ من أصحابِ أحمدَ: أنَّ من غزا على بعير لا يقدرُ على غيره، قُسمَ له ولبعيرِه سهمان.

واختلفوا في السَّلَبِ، فقال أبو حنيفة: هو غنيمةٌ للكلِّ إلا أن يجعلَه الإمامُ للقاتل، فينقطع حقُّ الباقين عنه بالتنفيل، وقال مالك: إذا نفله ذلك الإمام بضرب من الاجتهاد، فيكونُ له من الخمسِ دونَ جملةِ الغنيمة، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: السَّلَبُ حقُّ القاتلِ يستحقُّه من رأسِ الغنيمةِ، سواءٌ قاله الإمامُ أو لم يقلْه، فتخرجُ الأسلابُ من الغنيمةِ، ومنها الدابةُ وآلتها[2]،

---

(١) في «ن»: «كيفما».

(٢) في «ن»: «وآلاتها».

وقال الشافعي: والنفقةُ، خلافاً لأحمدَ، ويُعطَى السلبُ للقاتل إذا قتلَه حالةَ الحربِ منهمكاً عليه، ثم يُخَمَّسُ بعدَ ذلك.

واختلفوا في النَّفَلِ، وهو الزيادةُ عل السهمِ للمصلحةِ، من أين يعطى؟ فقالَ أبو حنيفةَ ومالكٌ: النفلُ مواهبُ الإمامِ من الخمسِ على ما يرى من الاجتهاد، وليس في الأربعة أخماسٍ نفلٌ، وقال الشافعيُّ: النفلُ من خمسِ الخمسِ المرصَدِ للمصالح، وقال أحمدُ: يخرج الخمس، ثم ينفلُ الإمامُ من الأربعةِ أخماسٍ، ثم يقسمُ الباقيَ بينَ الناس.

واختلفوا في حكم الأرضين المغنومةِ، فقال أبو حنيفةَ: الإمامُ بالخيارِ، إن شاءَ قسمها بينَ الغانمين، وإن شاء أَقرَّ أهلَها عليها، ووضعَ عليهم وعلى أراضيهم الخراجَ، وإن شاءَ صرفَ أهلَها عنها، وأقرَّ غيرَهم فيها، وضربَ عليه الخراجَ، وقال مالكٌ: حكمُها كالفيء تصيرُ وقفاً لمصالحِ المسلمينِ بنفسِ الظهور عليها، وقال الشافعيُّ: حكمُها حكمُ المنقول على ما تقدَّمَ من التخميسِ والقسمةِ بينَ الغانمين، وقال أحمدُ: يُخير الإمامُ بين قسمِها كالمنقول، وبينَ وقفِها للمسلمين، ويضربُ عليها خراجاً يؤخَذُ ممن هي في يدِه من مسلمٍ وذميٍّ، ويلزُمه فعلُ الأصلحِ.

واختلفوا في مصرِفِ الفيءِ، وهو ما أُخذ من مالِ كافرٍ بحقٍّ بلا قتالٍ، كالجزيةِ والخراجِ، وما تركوه فزعاً، ومالُ من ماتَ منهم ولا وارثَ له، ولو مرتداً، فقال الشافعيُّ: يخمَّسُ كالغنيمةِ، والأربعةُ أخماسٍ للمقاتلةِ الذين أُثبتت أسماؤهم في ديوانِ الجهاد، ويصرَفُ بعضُه في إصلاح الثغورِ والسلاحِ، وقال الثلاثةُ: لا يخمَّسُ، وجميعُه لمصالح المسلمين.

***

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾.

[٤٢] ﴿إِذْ أَنتُم﴾ بدلٌ منْ (يوم الفرقان)؛ أي: إذ أنتم نُزولٌ يا معشرَ المسلمين.

﴿بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بشاطىء الوادي الأدنى؛ أي: الأقربِ إلى جهةِ المدينةِ، و(الدنيا) تأنيثُ الأدنى.

﴿وَهُم﴾ يعني: المشركينَ.

﴿بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ البُعْدَى عن المدينة مما يلي مكةَ، تأنيثُ الأقصى. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: بالمدِّ في الحرفينِ بكسرِ العين، والباقون: بضمِّها، وهما لغتانِ كالكُسوةِ والكِسوةِ(١).

﴿وَالرَّكْبُ﴾ هم الذين كانوا مع العير: أبو سفيانَ وأصحابُه.

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ بالساحلِ على ثلاثة أميالٍ من بدرٍ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم وأهلُ مكةَ على موعدٍ تلتقونَ فيه للقتال.

﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لأنهم خرجوا في طلبِ العير، فصادفوا النفيرَ من غيرِ ميعادٍ؛ لأن الكفارَ خرجوا ليذُبُّوا عنها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥١).

﴿ وَلَٰكِن ﴾ جمعكم ﴿ لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ من نصرِ أوليائِه، وقهرِ أعدائِه.

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ ﴾ أي: ليموتَ مَنْ ماتَ.

﴿ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ عن حُجَّةٍ قامتْ عليه.

﴿ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ ﴾ ويعيشَ من عاشَ.

﴿ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ عن حجَّةٍ واضحةٍ شاهدَها؛ فإن وقعةَ بدرٍ من الآياتِ الواضحة، وقيل: المرادُ بالهلاكِ والحياةِ: الكفرُ والإيمانُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، وخلفٌ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (مَنْ حَيِيَ) بياءين الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، واختلِفَ عن قنبل راوي ابنِ كثيرٍ، والباقون: بواحدة مفتوحة مشددة[1].

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ ﴾ لدعائِكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بنياتِكم.

* * *

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ إِذْ ﴾ أي: واذكر إذ ﴿ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ ﴾ في نومِك؛ لأنه ﷺ رآهم في نومه ﴿ قَلِيلًا ﴾ ليقدموا عليهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٢).

﴿ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَراكَهُمْ) بالإمالة، واختلِفَ عن ورشٍ[1].

﴿ لَّفَشِلْتُمْ ﴾ جَبُنْتُم ﴿ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ أي: اختلفتم في أمرِ حربِهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ من الفشلِ والتنازعِ.

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ يعلمُ ما سيكونُ فيها، وما تغيرَ من أحوالِها.

***

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾ أي: يبصِّرُكُم إياهم.

﴿ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ ﴾ أي: وقتَ اللقاءِ.

﴿ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ حال؛ لتقدموا عليهم.

﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ ليقدموا عليكم.

﴿ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ كائناً من إعزازِ الإسلامِ وأهلِه[2]، وإذلالِ الشركِ وحزبِه.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٣).

(٢) في «ش»: «وأهل مكة».

ويعقوبُ: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[1].

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ جماعةً محاربين. **قرأ** أبو جعفر: (فِيَةً) بفتح الياء من غير همزٍ[2] ﴿ فَٱثْبُتُواْ ﴾ لقتالِهم.

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ وادعوه بالنصرِ.

﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ لكي تظفروا بمرادِكم.

* * *

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ﴾ باختلافِ الآراء. **قرأ** البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلاَ تَّنَازَعُوا) بالمدِّ وتشديدِ التاء[3].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٣٢، ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٣).

(٢) في «ت»: «همزة». وانظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٥٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ فَتَفْشَلُواْ﴾ تجْبُنوا وَتَضْعُفوا.

﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ ﴾ دولتُكم، والريحُ هنا كنايةٌ عن نفاذِ الأمرِ، تقول العربُ: هَبَّتْ ريحُ فلانٍ: إذا أقبلَ أمرُه على ما يريد.

﴿ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ قال ﷺ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»[1].

***

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم ﴾ هم النفيرُ، خرجوا لنصرِ العيرِ، وكانت قد نجتْ مع أبي سفيانَ عن طريقِ الساحلِ، فلم يرجعوا.

﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ لِيُثْنوا عليهم بالشجاعةِ والسماحةِ؛ لأنهم قالوا: لا نرجع حتى نشربَ الخمورَ، وننحرَ الجزورَ، وتعزفَ علينا القَيْناتُ، وتسمعَ بنا العربُ، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فوافَوا بدراً، فَسُقُوا كؤوسَ المنايا مكانَ الخمر، وناحت عليهم النوائحُ مكانَ القَيْنَاتِ، فنهى الله سبحانَه عن التشبُّهِ بهم في الخيلاءِ، وأمرَ بإخلاصِ النيةِ.

= (٢/ ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٣).

(١) رواه البخاري (٢٨٦١)، كتاب: الجهاد والسير، باب: لاتمنوا لقاء العدو، ومسلم (١٧٤٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: كراهة تمني لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

قرأ أبو جعفرٍ: (وَرِيَاءِ النَّاسِ) بفتحِ الياءِ بغيرِ همزٍ[1].

﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ لمن بقيَ من الكفارِ، ونفوذ القدرِ فيمن مضى بالقتل.

***

﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذۡ﴾ أي: واذكر إذ ﴿ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بأن شَجَّعهم على لقاءِ المسلمين؛ لأن إبليسَ جاءهم في صورة سُراقةَ بنِ مالكٍ الكِنانيِّ، وهو سيدٌ من ساداتهم. قرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ، والكسائيُّ، وخلادٌ: (وَإِذ زَّيَّنَ) وشبهَه بإدغامِ الذالِ في الزاي، والباقون: بالإفراد[2].

﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ أي: مُجيرٌ.

﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾ التقى الجمعان، ورأى الملائكةَ.

﴿ نَكَصَ﴾ رجعَ القهْقَرى.

﴿ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ على قَفاه هارباً، فلزمَهُ الحارثُ بنُ هشام وقالَ: أتخذلُنا؟ فضربَ صدرَه وانهزمَ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤).

﴿ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمۡ ﴾ أي: من جوارِكم.

﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ ﴾ رأى الملائكةَ وجبريلَ يقودُ فرسَ النبيِّ ﷺ به.

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ ﴾ أن يُهلكني ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ قيل: انقطعَ الكلامُ عند قوله: ﴿ أَخَافُ ٱللَّهَۚ ﴾، ثم يقول الله[1]: ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾.

قرأ الكوفيونَ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَرَى) (إِنِّي أَخَافُ) بإسكان الياء فيهما، والباقون: بفتحها[2].

***

﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٤٩ ﴾.

[٤٩] ﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ﴾ الذين في المدينةِ ﴿ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ هم المشركون: ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعنون[3]: المؤمنينَ.

﴿ دِينُهُمۡۗ ﴾ أي: توهَّموا أن يُنْصروا بسببِ دينِهم، فخرجوا وهم ثلاثُ مئةٍ وبضعةَ عشرَ إلى زهاءِ ألفٍ.

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ جوابٌ لهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالبٌ لا يذلُّ من استجاره ﴿ حَكِيمٞ ﴾ يفعلُ بحكمتِه ما يستبعدُه العقلُ.

***

---

(١) «الله» لفظ الجلالة لم يرد في «ش».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٤ـ٤٥٥).

(٣) في «ت»: «يعني».

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمدُ ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ببدرٍ.

قرأ ابنُ عامرٍ: (تَتَوَفَّى) بالتاء على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير(١).

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورَهم بالسِّياطِ عندَ الموت.

﴿وَذُوقُوا۟﴾ أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، وهذا مقدمةٌ لعذابِ النارِ؛ أي: لو رأيتَ ذلكَ، لرأيتَ أمراً عظيماً.

***

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الضربُ والعذابُ.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي بسببِ ما كَسَبتم من الكفر.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ظَلاَّمٌ للتكثيرِ لأجلِ العبيدِ.

***

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿كَدَأْبِ﴾ أي: دأبُ هؤلاء ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ تفسيراً لدأبِهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٥).

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ ﴾ كما أخذَ هؤلاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لا يغلبُه في دفعِه شيءٌ.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارةٌ إلى ما حلَّ بهم ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي: بسببِ أن الله.

﴿ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ مُبدلاً إياها بالنقمةِ.

﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ يبدلوا ما بهم من الحالِ إلى حالٍ أسوأَ؛ كالتلبُّسِ بالمعاصي أو الكفرِ الذي يوجبُ عقابَهم، فإذا فعلوا ذلك، غَيَّرَ اللهُ نعمتَه عليهم بنقمتِهِ منهم، كما أنعمَ على قريشٍ بمحمدٍ ﷺ، فكفروا، فغير الله تلكَ النعمةَ بأن نقلَها إلى غيرهم من الأنصارِ، وأحلَّ بهم عقوبتَه.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يفعلون.

* * *

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي: كصُنْعِهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ ﴾ من كفارِ الأممِ.

﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أهلكنا بعضَهم بالرجفة، وبعضَهم بالخسف، وبعضَهم بالمسخ، وبعضَهم بالريح، وبعضَهم بالغرق، فكذلك أهلَكْنا كفارَ بدرٍ بالسيفِ لما كذَّبوا بآياتِ ربهم.

﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ يعني: الأولينَ والآخِرينَ.

***

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أصرُّوا على الكفر.

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فلا يُتوَقَّعُ منهم إيمان.

***

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ﴾ بدلٌ من الذين كفروا، وهم بنو قريظةَ: كعبُ بنُ الأشرفِ وأصحابُه؛ أي: أخذتَ منهم العهدَ.

﴿ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ عاهدوا فيها؛ لأنهم عاهدوه ﷺ ألاَّ يُعينوا عليه، فأعانوا المشركينَ بالسلاح على قتالِه، وقالوا: نَسينا وأخطأنا، ثم عاهدوا ثانيةً، فأعانوا الكفارَ يومَ الخندق، وسارَ ابن الأشرفِ إلى مكةَ، فعاهدَ الكفارَ.

﴿ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ اللهَ.

***

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾ تظفرن بهم.

﴿ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ المعنى: افعلْ بهم فِعْلاً من القتل

ونحوِه يفرِّقُ به مَنْ وراءهم من أعدائِك؛ لأنك إذا نكلتَ بهؤلاء، تفرَّقَ الأعداءُ، ولم يقدموا عليك.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتَّعظون فلا يحاربونكَ.

* * *

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً﴾ بنقضِ عهدٍ.

﴿ فَٱنۢبِذۡ﴾ اطرحْ عهدهم.

﴿ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ أي: بحيث تستوون أنت وهم في العلم بنقضِه؛ لئلا تُتَّهَم بخيانةٍ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ قالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلاَ يَشُدَّ عُقْدَةً وَلاَ يَحُلَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُها، أَوْ يُنْبَذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»(١).

* * *

﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ﴾ أي: فاتوا، الخطابُ للنبيِّ ﷺ في الذين انهزموا من المشركين ببدر. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَحْسَبَنَّ) بالغيبِ وفتحِ السين؛ أي لا يحسبنَّ الذين

(١) رواه أبو داود (٢٧٥٩)، كتاب: الجهاد، باب: في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، والترمذي (١٥٨٠)، كتاب: السير، باب: ما جاء في الغدر، وقال: حسن صحيح، عن سليم بن عامر ـ رضي الله عنه ـ.

كفروا أنفسَهم سابقينَ فائتينَ من عذابنا، وقرأ الباقون: بالخطابِ[1] على المعنى الأول.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يجدون طالبَهم عاجزاً عن إدراكِهم. قرأ ابنُ عامرٍ: (أَنَّهُمْ) بفتح الألف؛ بمعنى: لأنهم، أي: لا يحسبن عليهم النجاة؛ لأنهم لا ينجون، والباقون: بكسر الألفِ على الابتداء[2].

***

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ أي: اتخذوا أيها المؤمنون لناقِضي العهد.

﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ كلَّ ما يُتَقَوَّى به من آلةِ الحربِ.

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ أي: اقتناؤها وربطُها في الثغورِ للغزوِ[3].

﴿تُرْهِبُونَ﴾ تُخيفونَ ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ كفارَ مكةَ. قرأ رُويسٌ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٣-٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٥٨).

(٣) «للغزو» ساقطة من «ت».

عن يعقوبَ: (تُرَهِّبُونَ) بفتح الراء وتشديد الهاء، من رَهَّبَ، والباقون: بإسكان الراء وتخفيف الهاء، من أَرْهَبَ(١).

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ من غيرهم من الكفرةِ، قيل: هم المنافقون، وقيل: هم اليهودُ، وقيل: الفرسُ ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ لا تعرفون أعيانَهم و﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أجرُه.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ أُجورِكم.

***

﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾ مالُوا للصلح. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بكسر (السِّلْم)، والباقون: بالفتح، وهما لغتانِ بمعنًى واحد(٢).

﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ أي: إن صالحوا، فصالحهم، وتأنيثُ الضمير؛ لأنَّ السلمَ بمعنى المسالمةِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثِقْ به.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالِك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالك.

***

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٥٦، ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٠ـ٤٦١).

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ ﴾ يَكيدوكَ بالمصالحةِ.

﴿ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ كافيكَ من خدعهم.

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ ﴾ قوَّاكَ.

﴿ بِنَصۡرِهِۦ ﴾ إياكَ بالملائكةِ.

﴿ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأنصارِ.

***

﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾.

[٦٣] ﴿ وَأَلَّفَ ﴾ جمعَ ﴿ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ أي: بينَ الأوسِ والخزرجِ، معَ ما كان بين الفريقين من العداوةِ، فألَّفَ الله تعالى قلوبَهم على الإسلام، وردَّهم متحابين في الله، وهذا من معجزاته ﷺ.

﴿ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ بقدرتِه البالغةِ ﴿ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ ﴾ تامُّ القدرةِ ﴿ حَكِيمٞ ﴾ فعَّالٌ لما يريدُ.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾.

[٦٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ كافيكَ.

﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ أي: وحسبُ منِ اتَّبعَكَ.

﴿ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ نزلتْ في البيداءِ في غزوةِ بدرٍ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: حُثَّهم.

﴿ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ أبلغَ حَثٍّ.

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ ﴾ رجلاً ﴿ صَـٰبِرُونَ ﴾ محتسبون.

﴿ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾ من عدوِّهم ويَقْهَروهم.

﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ ﴾ صابرة محتسبة. قرأ الكوفيون، والبصريان: (يَكُنْ) بالياءِ على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[١].

﴿ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ دينَ الله، ولا ثَباتَكُمْ، لفظُهُ شرطٌ، ومعناهُ أمرٌ؛ أي: ليقاتلِ العشرونَ منكم مئتين، والمئةُ ألفاً.

***

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] وكان هذا يومَ بدرٍ، فرضَ اللهُ على الرجلِ الواحدِ من المؤمنين قتال عشرةٍ: من الكافرين، فثقلَتْ على المؤمنين، فخفَّفَ الله عنهم، فنزل:

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ ضعفَ البدن. قرأ أبو جعفرٍ: (ضُعَفَاءَ) بفتح العين والمدِّ وبالهمزةِ مفتوحة نصباً، وعاصمٌ، وحمزةُ، وخلفٌ: (ضَعْفاً) بفتح الضاد وإسكان العين، والباقون: بضمِّ الضاد وإسكان العين، وكلُّهم بالتنوينِ من غيرِ مدٍّ ولا همزٍ سوى أبي جعفرٍ(١).

﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾ من الكفار. وقرأ الكوفيون: (يَكُنْ) بالياء، والباقون: بالتاء على التأنيث(٢).

﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ بالنصرِ والمعونةِ فردَّ من العشرةِ إلى الاثنين، فلا يجوزُ للواحدِ الفرارُ من اثنين إلا متحرِّفاً لقتال، أو متحيِّزاً إلى فئةٍ، كما تقدَّم ذكرُ الحكمِ فيه عقبَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥].

* * *

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (تَكُونَ) بالتاء مؤنثاً؛ لتأنيثِ الجماعة، وأبو جعفرٍ وحدَه قرأ: (أُسَارَى) بضم الهمزة وبألف بعد السين، والباقون: بالياء مذكراً لتذكير

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٨ـ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦١ـ٤٦٢).

(٢) المصادر السابقة.

الجمع، و(أَسْرَى) كأبي عمرٍو، ويعقوبَ: بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدَها[1]، وأمالَ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (أَسْرَى)، واختلِفَ عن ورشٍ[2].

﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ يبالغَ في قتلِ المشركينَ وأسرِهم حتى يُذلَّ الكفرُ ويُعَزَّ الإسلامُ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ حُطامَها بأخذِكم الفداءَ.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ﴾ يريدُ لكم ثوابَها.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يُغْلِبُ أولياءه على أعدائِه.

﴿حَكِيمٌ﴾ يعلمُ ما يليقُ بكلِّ حالٍ ويخصُّه بها، كما أمر بالإثخانِ، ومنعَ عن الفداء حين كانت الشوكةُ للمشركين، وخَيَّرَ بينه وبين المنِّ لما تحولتِ الحالُ، وصارت الغلبةُ للمؤمنين.

روي أنه عليه الصلاة والسلام أتي يومَ بدرٍ بسبعين أسيراً، فيهم العباسُ، وعقيلُ بنُ أبي طالب، فاستشارهم فيهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «قومُكَ وأهلكَ، استبْقِهم لعلَّ اللهَ يتوبُ عليهم، وخذْ منهم فديةً تُقَوِّي بها أصحابَكَ»، فقال عمرَ رضي الله عنه: «اضربْ أعناقَهم؛ فإنهم أئمةُ الكفر، وإن الله أغناكَ عن الفداء، فمكنِّي من فلان، نسيبٍ له، ومكِّنْ علياً وحمزةَ من أَخَويهما فلنضربْ أعناقَهم»، فلم يهوَ ذلك النبيُّ ﷺ، وقال:

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٢_٤٦٣).

(2) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٣).

«إِنَّ اللهَ لَيُلَيِّنُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وَمَثَلَكَ يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فَخَيَّرَ أَصْحَابَه، فأخذوا الفداءَ، وكانَ الفداءُ لكلِّ أسيرٍ أربعينَ أوقيةً، والأوقيةُ أربعونَ درهماً، ولم يكنْ من المؤمنين أحدٌ ممن حضرَ إلا أحبَّ الغنائمَ إلا عمرَ بنَ الخطابِ، فإنه أشارَ بقتلِ الأسرى، وسعدُ بنُ معاذٍ قال: «يا نَبِيَّ اللهِ كانَ الإثخانُ في القتلِ أَحبَّ إليَّ من استبقاءِ الرجالِ»، فنزلتِ الآية(١).

***

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] فدخلَ عمرُ رضي الله عنه على رسولِ الله ﷺ، فإذا هو وأبو بكرٍ رضي الله عنه يبكيان، فقال: يا رسولَ الله! أخبرني، فإنْ أجد بكاءً بكيتُ، وإلاَّ تباكَيْتُ، فقال: أَبْكِي عَلَى أَصْحَابِكَ فِي أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، وَلَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؛ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ منه(٢).

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أي: حكمٌ سبقَ في اللوحِ المحفوظِ أنه لا يؤاخذُ على خطأٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٢١)، وغيرهم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه مسلم (١٧٦٣)، كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

* * *

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾ .

[٦٩] رُوي أنه ﷺ قال: «لَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ، مَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»(١) فلما نزلت هذه الآية، أمسكوا عما أخذوه من الفدية، فنزل: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ من الفدية؛ فإنها من جملة الغنائم.

﴿ حَلَٰلًا﴾ أي: أكلاً حلالاً، وفائدتُه إزاحةُ ما وقعَ في نفوسهم منه بسببِ تلكَ المعاتبةِ، ولذلك وصفَه بقولِه: ﴿ طَيِّبًا﴾ قال ﷺ: «أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي»(٢).

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في مخالفتِه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما صدرَ منكم ﴿ رَّحِيمٌ﴾ بتوبتِه عليكم.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ .

[٧٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (الأُسَارَى) بضمِّ الهمزةِ وفتحِ السين وبعدَها ألفٌ على وزنِ فُعالى، وقرأ الباقون: (الأَسْرَى) بفتحِ الهمزة وإسكانِ السين من غيرِ ألفٍ بعدَها على وزن فَعْلَى(٣)، وهم على أصولِهم في الإمالة كما تقدَّمَ

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/٤٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) وقد تقدم هذا عنهم قريباً.

قريباً[1]؛ أي: قلْ للأسارى الذين ملكتَهم وأخذْتَ منهم الفداء:

﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ خلوصَ إيمان.

﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداءِ بأن يُضَعِّفَه لكم في الدنيا، ويثيبَكم عليه في الأخرى.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ رُوي أنها نزلَتْ في العباس رضي الله عنه، كلَّفَه رسولُ الله ﷺ أن يفديَ نفسَه وابني أَخويه عقيلَ بنَ أبي طالب ونوفلَ بنَ الحارث، فقال: يا محمدُ! تركتَني أَتكَفَّفُ قريشاً ما بقيتُ، فقالَ: «فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَى أُمِّ الْفَضْلِ وَقْتَ خُرُوجِكَ، وَقُلْتَ لَهَا: إِنِّي لاَ أَدْرِي مَا يُصِيبُنِي فِي وَجْهِي هَذَا، فَإِنْ حَدَثَ لِي حَدَثٌ، فَهُوَ لَكِ وَلِعَبْدِ اللهِ وَعُبَيْدِ اللهِ وَالْفَضْلِ وَقُثَمَ» فقال: وما يدريكَ؟ فقال: «أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي تَعَالَى»، فقال: فأشهدُ أنَّك صادقٌ، وأَنْ لا إلهَ إلا الله، وأنكَ رسولُه، واللهِ! لم يطلعْ عليه أحدٌ إلا اللهُ، ولقد دفعتُه إليها في سوادِ الليلِ، قال العباسُ: فأبدلني الله منها عشرينَ عبداً كلُّهم تاجرٌ يضربُ بمالٍ كثير، وأدناهُم يضربُ بعشرينَ ألفَ درهمٍ مكانَ العشرينَ أوقيةً، وأعطاني زمزمَ، وما أحبُّ أن لي بها جميعَ أموالِ أهلِ مكةَ، وأنا أنتظرُ المغفرة من ربي[2].

* * *

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟﴾ أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نقضَ ما عاهدوكَ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٤١).

﴿ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبلِك بكفرِهم.

﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ ببدرٍ قتلاً وأسراً.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: فإنْ عادوا، فسيمكِنُكَ منهم.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ونزلَ في المهاجرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ ﴾ أي: هَجَروا قومَهم وديارَهم ﴿ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ونزلَ في الأنصار: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ ﴾ رسولَ اللهِ ﷺ والمهاجرين معه؛ أي: أسكنوهم منازلَهم.

﴿ وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾ أي: ونصروهم على أعدائِهم.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ دونَ قراباتهم من الكفارِ في الدينِ والحلفِ والنُّصرةِ والميراثِ، وكان المهاجرون والأنصارُ يتوارثونَ بالهجرة حتى كان فتحُ مكةَ، وانقطعتِ الهجرةُ، نُسِخَ بقوله: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾ أي: لا توارثَ بينَهم حتى يُهاجروا إليكم. قرأ حمزةُ: (وِلاَيَتِهِمْ) بكسر

الواو، والباقون: بالفتح[1]، ومعناهما واحد؛ كالدَّلالة والدِّلالة، وقيل: بالفتح معناهُ: النصرُ، وبالكسر: الإمارة.

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: المؤمنون الذين لم يُهاجروا.

﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ أي: فواجبٌ عليكم أن تنصروهم على المشركين.

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ أي: عهدٌ، فلا تنصروهم عليهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في الموارثةِ والنُّصرةِ، فلا تُوالوهم أنتم.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إن لم تفعلوا ما أُمرتم به من النصرة على الكفار والتواصُلِ.

﴿تَكُن﴾ تحصُلْ ﴿فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقوةِ الكفرِ.

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بضعفِ الإسلام.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٤٦٥).

[٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ الكاملون في الإيمان حَقَّقوا إيمانَهم بتعجيلِ مقتضاهُ؛ من الهجرةِ والجهادِ وبذلِ المالِ ونصرةِ الحقِّ.

﴿ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ لا تبعةَ ولا مِنَّةَ فيه، وهو طعامُ الجنة، وكُرِّرَتْ هذه الآيةُ؛ لأن بعضَهم هاجرَ قبلَ الحُدَيبية، وبعضهم بعدَها، وبعضهم ذو هجرتين: هجرةٍ إلى الحبشة، وهجرةٍ إلى المدينة، فالآية الأولى لأصحابِ الهجرة الأولى، والثانية للثانية.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ أي: بعد السابقينَ إلى الهجرةِ الأولى.

﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ أي: من جملتكم، لطفَ تعالى باللاحقين، فجعلَهم من السابقين.

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ اللوحِ المحفوظِ، فنسخَ التوارثَ بالهجرة، وردَّ الميراثَ إلى أولي الأرحامِ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ صفة مناسبة لنفوذِ هذه الأحكام.

واختلف الأئمةُ في توريثِ ذوي الأرحام ممن لا سهمَ له في القرآن، وهم كلُّ ذي قرابة ليسَ بذي فرضٍ ولا عَصَبَةٍ، وهم أحدَ عشر صنفاً: أولادُ البناتِ الذكورُ منهم والإناثُ، وولدُ الأخواتِ، وبناتُ الإخوة، وبناتُ الأعمام، وبنو الإخوة من الأم، والعماتُ، والأخوالُ، والخالاتُ، والجدُّ

أبو الأم، والجدةُ أمُّ أبي الأمِّ، ومن أدلى بهم، فذهب مالكٌ والشافعيُّ أنهم لا يُوَرَّثون، وبيتُ المال أولى منهم.

وذهب أبو حنيفةَ وأحمدُ: إلى أنهم يورَّثون، استدلالاً بالآية الشريفة، وبقوله ﷺ: «الْخَالُ وَارِثُ مَنْ لاَ وَارِثَ لَهُ»[1]، ويقدَّمُ الردُّ عليهم، فإن كان للميتِ[2] ذو فرضٍ لم يستغرقِ المالَ، وفضلَتْ منه فضلةٌ، ولم يكنْ عصبةٌ، فالفاضلُ مردودٌ عليهم على قدرِ سِهامهم؛ للآية الشريفة، ولقوله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِلْوَارِثِ»[3]، ولا يُرَدُّ على الزوجِ والزوجةِ؛ لأنهما ليسا من أولي الأرحام، وإذا لم يكنْ للميتِ عصبةٌ، ولا ذو فرضٍ من أهلِ الردِّ، فالميراثُ لذوي الأرحامِ ممن ذُكر من الأصناف. واختلفَ مورِّثاهم في كيفيةِ توريثهم، فقال أبو حنيفةَ: يورَّثون على ترتيب العصباتِ، الأقربُ فالأقرب؛ كمن له بنتُ بنتِ بنتٍ[4] وأَبُ أمٍّ، فهو أولى؛ لأنه أقربُ، وإن كانَ أبَ أبِ أُمٍّ، وعمةٌ أو خالةٌ، فهي أولى؛ لأنها أقربُ، ونحو ذلك، فإن استووا في القربِ والإدلاءِ، فإن اتفقتِ الآباءُ والأمهاتُ، فالمال بينَهما على السواء إن كانوا ذكوراً أو إناثاً، وإن كانوا

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٩٩)، كتاب: الفرائض، باب: في ميراث ذوي الأرحام، وابن ماجه (٢٦٣٤)، كتاب: الديات، باب: الدية على العاقلة، فإن لم يكن عاقلة، ففي بيت المال، عن المقدام ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب: عن عائشة وأبي أمامة ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) في «ت»: «الميت».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٤)، والطيالسي في «مسنده» (٢٣٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٦٣)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) في «ت»: «بنت بنت» بدل «بنت بنت بنت».

مختلطين، فللذكر مثلُ حظِّ الأنثيين، مثالُه: بنتُ بنتِ ابنٍ، وبنتُ بنتِ ابنٍ، المالُ بينَهما على السواء، وكذلك ابنُ بنتِ بنتٍ، وابنُ بنتِ بنتٍ، وإن كانَ بنتَ بنتِ بنتٍ وابنَ بنتِ بنتٍ، المالُ بينهما أثلاثاً، وإن اختلفَ الأمهاتُ والآباءُ، فعندَ أبي يوسف، وهو روايةٌ عن أبي حنيفةَ رحمهما الله: العبرةُ لأبدانِهم لا لأصولِهم؛ لأن ذوي الأرحام إنما يورَّثون بالقرابة كالعصبات، وكلُّ واحدٍ مستبدٌّ بنفسِه في أصلِ الاستحقاقِ، فتعتبر الأبدانُ كالعصبات، وعندَ محمدٍ، وهو أشهرُ روايتين عن أبي حنيفة: العبرةُ لأصولِهم، فيقسَمُ المالُ على أصولِهم، ويعتبرُ الأصلُ الواحدُ متعدداً بتعدُّدِ أولاده، ثم يُعْطَى لكلِّ فرعٍ ميراثُ أصلِه، ويَجعلُ كلَّ أنثى تُدْلي إلى الميت بذكرٍ ذكراً، وكلَّ ذكرٍ يدلي إلى الميتِ بأنثى أنثى، سواء كانَ إدلاؤهما بأبٍ واحدٍ أو بأكثر، أو بأمٍّ واحدةٍ أو بأكثرَ، ثم يقسمُ سهامَ كلِّ فريقٍ بينَهم بالسويةِ إن اتفقتْ صفاتُهم، وإذا اختلفَتْ، فللذكرِ مثلُ حظِّ الأنثيين؛ لأن الفروعَ إنما تستحقُّ الميراثَ بواسطةِ الأصولِ، فيجب أن تكونَ العبرةُ للأصولِ.

وقال أحمد: يُوَرَّثون بالتنزيل، وهو أن يُجعل كُلُّ شخصٍ بمنزلةِ مَنْ أدلى به، فتجعلُ ولدَ البناتِ والأخواتِ كأمهاتهم، وبناتِ الإخوةِ والأعمامِ وأولادَ الإخوة من الأمِّ كآبائِهم، والأخوالَ والخالاتِ وآباءَ الأمِّ كالأمِّ، والعماتِ والعمَّ من الأمِّ كالأب، ثم تجعلُ نصيبَ كلِّ وارثٍ لمن أدلى به، فإن أدلى جماعةٌ بواحدٍ، واستوتْ منازلُهم منه، فإن كانَ أبوهم واحداً، وأُمُّهم واحدةً، فنصيبُه بينَهم بالسويَّة، ذكرُهم وأنثاهم سواءٌ، لأنهم يورَّثون بالرَّحِمِ المجرَّدِ، فاستوى ذكورُهم وإناثهم؛ كولدِ الأمِّ، وإذا كانَ ابنٌ وبنتُ أختٍ وبنتُ أختٍ أُخرى، فلبنتِ الأختِ وحدَها النصفُ، وللأخرى وأخيها النصفُ بينَهما، وإن اختلفتْ منازلُهم من المدلي بهِ، جعلته كالميِّتِ،

وقسمتَ نصيبَه بينَهم على ذلكَ، ويسقطُ البعيدُ بالقريب إن كانا من جهةٍ واحدة؛ كخالةٍ وأمِّ أبي أمٍّ، أو ابنِ خالٍ، فالميراثُ للخالةِ؛ لأنها تلقى الأمَّ بأولِ درجةٍ، وإن كانا من جهتين، نزلتَ البعيدَ حتى يلحقَ بوارثه، سواءٌ سقط به القريبُ، أو لم يسقطْ؛ كبنتِ بنتِ بنتٍ، و بنتِ أخٍ لأخٍ، المالُ لبنتِ بنتِ البنتِ بالفرضِ والردِّ.

واتفقَ الأربعةُ على أنَّ من ماتَ ولا وارثَ له من ذوي فرضٍ ولا تعصيبٍ ولا رحمٍ، فإن مالَه لبيتِ مالِ المسلمين.

ثم اختلفوا في صرفِ التركةِ إلى بيتِ المال، فقالَ الشافعيُّ ومالكٌ: تصرَفُ إرثاً، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: ليسَ بيتُ المالِ وارثاً، وإنما يحفظُ المالَ الضائعَ وغيرَهُ، فهو جهةٌ ومصلحةٌ، والله أعلمُ.

* * *

سورة التوبة

مدنية وآيها مئة وتسع وعشرون آية، وحروفُها عشرة آلافٍ وثمانُ مئةٍ وسبعة وثمانون حرفاً، وكلمُها ألفان وأربع مئة وسبع وتسعون كلمة.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: قلت لابنِ عباسٍ رضي الله عنها: «سورةُ التوبةِ؟ فقالَ: تلكَ الفاضِحَةُ، ما زالتْ تنزلُ: ومنهم، ومنهم، حتى خَشينا ألاَّ تدعَ أحداً»(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إنكم تُسمون هذهِ السورةَ سورةَ التوبَةِ، وإِنَّها سورةُ العذابِ، واللهِ ما تركَتْ أحداً إلا نالَتْ منه»(٢).

أهلُ المدينةِ يسمونها: التوبةَ، وأهلُ مكةَ يسمونها: الفاضحةَ، وسميت التوبةَ؛ لأن فيها التوبةَ على المؤمنين، والفاضحةَ؛ لأنها تفضحُ المنافقين، ومن أسمائها: المخزيةُ؛ لأنها تخزيهم، والمقشقشةُ؛ لأنها تقشقش من النفاق؛ أي: تبرىء منه، والمبعثرةُ، لأنها تبعثرُ أسرارَ المنافقين،

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٠)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الحشر، ومسلم (٣٠٣١)، كتاب: التفسير، باب: في سورة براءة والأنفال والحشر.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٢٦٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٤).

والمشرِّدَةُ، لأنها تشرِّدُ بهم، والمثيرةُ؛ لأنها تبحثُ عن حالِ المنافقينَ وتُثيرها، والحافرةُ؛ لأنها حفرتْ على قلوبهم، والمنكِّلَةُ؛ لأنها تُنَكِّلُ بهم[١]، والمُدَمْدِمَةُ؛ لأنها تدمدمُ عليهم، وسورةُ العذابِ؛ لتضمُّنها معناه.

واختلِفَ في سقوطِ البسملةِ من أولها، فقيل: كان من شأن العربِ في زمنِ الجاهلية إذا كانَ بينَهم وبينَ قومٍ عهدٌ، فإذا أرادوا نقضَه، كتبوا إليهم كتاباً لم يكتبوا فيه البسملةَ، فلما نزلَتْ براءةُ بنقضِ العهدِ الذي كانَ بينَ النبيِّ ﷺ والمشركين، بعثَ بها النبيُّ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فقرأها عليهم في الموسم، ولم يتسهَّلْ في ذلكَ على ما جرتْ عادتُهم في نقضِ العهدِ من تركِ البسملة.

وقال ابنُ عباسٍ لعثمان رضي الله عنه: ما حملَكُم على أَنْ عمدتُم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة، وهي من المئين، فقرنتم بينَهما، ولم تكتبوا بينَهما سطرَ: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال: عثمان رضي الله عنه: إن رسولَ الله ﷺ كان إذا نزلَ عليه الشيءُ، يدعو بعضَ من يكتبُ عندَه، فيقول: «ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فيها كَذَا وَكَذَا»، وكانت الأنفال مما نزلَ بالمدينة، وبراءةُ من آخرِ ما نزلَ، وكانت قصَّتُها شبيهةً بقصتها، وقُبِضَ رسولُ الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فظننتُ أنها منها، فمن ثَمَّ قرنتُ بينَهما، ولم أكتبْ بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم[٢].

---

(١) في جميع النسخ «تنكلهم»، والصواب ما أثبت.

(٢) رواه أبو داود (٧٨٦)، كتاب: الصلاة، باب: من جهر بها، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٠٧)، والترمذي (٣٠٨٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة =

وكانتا تدعيان: القَرينين، قال ابنُ العربيِّ: هذا دليلٌ على أن القياسَ أصلٌ في الدين، ألا ترى إلى عثمانَ وأعيانِ الصحابةِ رضي الله عنهم كيفَ نَحَوْا إلى قياسِ الشبهِ عندَ عدمِ النصِّ ورأوا أن قصةَ براءةَ شبيهةٌ بقصةِ الأنفالِ، فألحقوها بها؟ فإذا كانَ الله قد بَيَّنَ القياسَ في تأليفِ القرآن، فما ظَنُّكَ بسائرِ الأحكام(١)؟

وقيل: سورةُ الأنفالِ وبراءةَ سورةٌ واحدةٌ، كلتاهما نزلتْ في القتال، تعدان السابعةَ من الطوال، وهي سبعٌ، وما بعدَها المئون؛ لأنهما معاً مئتان وأربعُ آيات، فهما بمنزلة إحدى الطِّوال. وقد اختلفَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ لما كتبوا المصحفَ في خلافةِ عثمانَ، فقالَ بعضهُم: الأنفالُ وبراءةُ سورةٌ واحدةٌ، وقالَ بعضُهم: هما سورتان، فتركَتْ بينهما فُرْجَةٌ لقولِ من قالَ: هما سورتان، وتركت بسم الله لقولِ مَنْ قالَ هما سورةٌ واحدةٌ، فرضيَ الفريقانِ معاً.

وسُئل عليٌّ رضي الله عنه عن تركِه البسملةَ في براءةَ، فقالَ: «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ أمانٌ، وبراءةُ نزلَتْ بالسيفِ ليسَ فيها أمانٌ»(٢).

قال القرطبيُّ: والصحيحُ أن التسميةَ لم تكتبْ لأنَّ جبريلَ عليه السلام ما نزلَ بها في هذهِ السورةِ(٣). وتقدَّمَ ذكرُ اختلافِ العلماءِ والقراءِ مستوفًى

= التوبة، وقال: حسن صحيح.

(١) انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٤٤٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٧٣). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ١٢٢).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٦٣).

في حكم البسملةِ بينَ كلِّ سورتينِ سوى براءةَ عندَ الكلامِ في البسملة أولَ التفسير، ومُلَخَّصُه: أنَّ مذهبَ الشافعيِّ رضي الله عنه أن البسملةَ آيةٌ من الفاتحةِ ومن كلِّ سورةٍ سوى براءةَ، ومذهبُ أحمدَ وأبي حنيفةَ أنها آيةٌ مستقلةٌ بينَ كلِّ سورتينِ سوى براءةَ، فيكره ابتداؤها بها، ومذهبُ مالكٍ أنها ليستْ بآيةٍ من الفاتحة، ولا من غيرِها، وإنما كُتبت للتيمُّن والتبرُّك بها معَ إجماعهم على أنها بعضُ آيةٍ من سورةِ النمل، وأنَّ بعضَها آيةٌ من الفاتحة.

وأما مذاهبُ[1] القراء فيها، فقد أجمعوا على حذفِها بينَ الأنفالِ وبراءةَ، وكذلكَ في الابتداءِ ببراءةَ، وأما الابتداءُ بالآي وسطَ براءة، ففيه خلافٌ، ويجوزُ بينَ الأنفالِ وبراءةَ كلٌّ من الوصلِ والسكتِ والوقفِ لجميعِ القراء إذا لم يقطعْ على آخرِ الأنفالِ، فالقطعُ: هو قطع القراءةِ رأساً، فهو كالانتهاء، والوقفُ: هو قطعُ الصوتِ على الكلمةِ زمناً يتنفَّس فيه عادةً بنيةِ استئنافِ القراءة، والسكتُ: هو قطعُ الصوتِ زمناً دونَ زمنِ الوقفِ عادةً من غيرِ تنفُّسٍ، والله أعلمُ.

***

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ خروجٌ من الشيءِ، ومفارقةٌ له بشدَّةٍ، والتقديرُ: هذه براءةٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ أيُّها المؤمنون.

﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ والمعنى: أن الله ورسوله قد برءا من العهد الذي عاهدتم به المشركين، رُوي أنه لما خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى تبوكَ، كان المنافقون يُرْجِفون الأراجيفَ، وجعلَ المشركونَ ينقُضون عهوداً كانت

---

(١) في «ت»: «مذهب».

بينَهم وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ، فأمرَ اللهُ بنقضِ عهودِهم، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ هو الذي عاهدَهم عاماً على ألاَّ يُصَدَّ أحدٌ عن البيت الحرام، ونحو هذا من الموادَعات، وأصحابُه كلُّهم راضونَ بذلكَ، فكأنهم عاهدوا، فَنُسِبَ العهدُ إليهم، وكذلك ما عقدَهُ أئمةُ الكفرِ على قومِهم منسوبٌ إليهم يُؤاخذونَ به؛ إذ لا يمكنُ غيرُ ذلك؛ لأن تحصيلَ الرضا من الجميعِ متعذرٌ، فإذا عقدَ الإمامُ لما يرى من المصلحةِ أمراً، لزمَ جميعَ الرعايا.

* * *

﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿فَسِيحُواْ﴾ رجعَ من الخبرِ إلى الخطاب؛ أي: قل لهم: سِيحُوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سيروا فيها آمنينَ.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ تأجيلٌ من اللهِ للمشركين، فمن كانتْ مدةُ عهدِهِ أقلَّ من أربعةِ أشهرٍ، رُفِعَ إليها، ومن كانت مدَّتُه أكثرَ منها، حُطَّ إليها، ومن كانت مدةُ عهدِه بغيرِ أجلٍ محدودٍ، حَدَّهُ بأربعةِ أشهرٍ، ثم هو حربٌ بعدَ ذلكَ للهِ ورسولِه يُقتل حيثُ أُدْرِكَ، ويؤسرُ، إلا أن يتوبَ، وابتداءُ هذا الأجلِ يومَ الحجِّ الأكبرِ، وانقضاؤه إلى عشرٍ من ربيعٍ الآخرِ، فأما من لم يكنْ له عهدٌ، فإنما أجلُه انسلاخُ المحرَّمِ، وذلك خمسون يوماً، وقيل: الأشهرُ الأربعةُ: شوالٌ، وذو القعدةِ، وذو الحجَّةِ، والمحرَّمُ، والأولُ أصوبُ، وعليه الأكثرُ.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أيُّها الناكثون ﴿أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى﴾ أي: فائتي ﴿ٱللَّهِ﴾ بعدَ الأربعةِ أشهرٍ.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ﴾ مُذِلُّ ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ بالقتلِ في الدنيا، والعذابِ في الآخرةِ.

***

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ونزلت براءةُ سنةَ ثمانٍ من الهجرةِ، وفيها فُتحت مكةُ، فلما كان سنةُ تسعٍ تجهَّزَ النبيُّ ﷺ، فقيل له: إن المشركينَ يطوفون بالبيتِ عُراةً فقالَ: «لاَ أُرِيدُ أَنْ أَرَى ذَلِكَ»، فبعثَ أبا بكرٍ أميراً على الموسمِ ليقيمَ للناسِ الحجَّ، وبعثَ معه بأربعينَ آيةً من صدرِ براءةَ ليقرأها على أهل الموسم، ثم بعثَ بعده علياً على ناقتِهِ العضْباءِ ليقرأ على الناس صدر براءة، وأمره أن يؤذن بمكةَ ومِنًى وعرفةَ: أن قد بَرِئَتْ ذمةُ اللهِ وذمةُ رسولِه من كلِّ مشركٍ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُريان، فرجعَ أبو بكر وقال: يا رسولَ الله! أنزلَ في شأني شيْءٌ؟ قالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لا يَنْبَغِي أَنْ يُبَلِّغَ هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي، أَمَا تَرْضَى أَنَّكَ كُنْتَ مَعِي فِي الْغَارِ، وأَنَّكَ صاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ؟»، قال: بلى. فسار أبو بكرٍ أميراً على الحاجِّ، وعليٌّ ليؤذِّنَ ببراءةَ، وكانَ من عادةِ العربِ في عقدِ العُهودِ ونقضِها ألاَّ يتولَّى ذلكَ إلا سيدُهم، أو رجلٌ من قومِه، أقربُهم إليه نَسَباً، فلما كانَ قبلَ الترويةِ بيوم، خطبَ أبو بكرٍ الناسَ، وحدثهم عن مناسِكِهم، وأقام للناسِ الحجَّ، والعربُ في تلكَ السنةِ على منازِلِهم التي كانوا عليها في الجاهليةِ من الحجِّ، حتى إذا كانَ يومُ النحر، قام عليٌّ عندَ جمرةِ العقبةِ، وأَذَّنَ في الناس بما أُمر به من الآيات، وألاَّ

يطوفَ بالبيت عُريان، وأن يتمَّ إلى كلِّ عهدٍ عهدَه، وإن لم يكنْ عهدٌ، فعهدُه أربعةُ أشهرٍ، ولا يدخلُ الجنةَ إلا نفسٌ مؤمنةٌ، وألاَّ يجتمعَ المسلمون والمشركون بعدَ عامِهم هذا، فقال المشركون الناكثون: أخبرِ ابنَ عَمِّكَ أنا قد نَبَذْنا العهدَ وراءَ ظُهورِنا، وأنْ ليسَ بينَنا وبينَه إلا طعنٌ بالرمحِ وضربٌ بالسيفِ.

﴿وَأَذَانٌ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ أي: وإعلامٌ.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ هو يومُ عرفةَ، والحجُّ الأصغرُ العمرةُ؛ لنقصِ عملِها.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: من عهودِهم.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ قراءةُ العامةِ برفعِ (رَسُولُهُ) مبتدأُ خَبَرٍ؛ أي: ورسولُه بريءٌ أيضاً من المشركين. وقرأ يعقوبُ: (وَرَسُولَهُ) بنصبِ اللام عطفاً على اسمِ (أَنَّ)[1]، ولا يجوزُ عطفهُ على (المشركين)؛ لأنه كفرٌ، وتقدَّم في أول التفسير عندَ شكلِ القرآنِ ونقطِه أنَّ سببَ وضعِ الإعرابِ في المصاحفِ أن أبا الأسودِ الدؤليَّ التابعيَّ البصريَّ حكي أنه سمعَ قارئاً يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ بكسرِ اللام، فأعظمَه ذلكَ، وقالَ: «عَزَّ وَجْهُ اللهِ أن يبرأَ من رسولِه»، ثم جعلَ الإعرابِ في المصاحف[2]، تلخيصُهُ: براءةٌ وإعلامٌ من اللهِ ورسولِه بأنْ لا عهدَ لناكثٍ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥/ ١٩٢).

﴿ فَإِن تُبۡتُمۡ ﴾ من الكفرِ ونقضِ العهدِ.

﴿ فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ أعرَضْتُم عن الإيمان.

﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ ﴾ لا تعجزونه، ولا تفوتونه في الدنيا.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ في الآخرةِ.

***

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ استثناءٌ من المشركين، وهم بنو ضَمْرَةَ: حَيٌّ منْ كنانةَ، أَمَرَ ﷺ بإتمامِ عهدِهم إلى مُدَّتهم، وكان قد بقيَ منها تسعةُ أشهر، والسببُ فيه أنهم لم ينقُضوا العهدَ، وثبتوا عليه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾ من عهدِكم.

﴿ وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ ﴾ يعينوا ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا ﴾ من أعدائِكم.

﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ ﴾ أدُّوه إليهم ﴿ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ ﴾ كملاً، ولا تُجروهم مُجرى الناكثين.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ تنبيهٌ على أن تمامَ عهدِهم من بابِ التقوى.

***

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ﴾ انقضى ﴿ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾ التي أُبيح للناكثين أن يَسيحوا

فيها، وقيل لها: حُرُمٌ؛ لأن اللهَ تعالى حَرَّمَ فيها على المؤمنينَ دماءَ المشركين والتعرُّضَ لهم، المعنى: إذا مضتِ المدةُ المضروبةُ التي يكونُ معها انسلاخُ الأشهرِ الحرمِ، وأصلُ الانسلاخ: خروجُ الشيءِ مما لابَسَه؛ من سَلْخِ الشاة.

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الناكثينَ ﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من حِلٍّ وحرمٍ.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾ وأسِرُوهم، والأَخيذُ: الأسيرُ ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ احْبِسوهم.

﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ على كلِّ طريقٍ، والمرصدُ: كلُّ مكانٍ يُرْصَدُ منه العدوُّ؛ أي: يرقَبُ فيه؛ لتأخذوهم من أيِّ وجهةٍ توجَّهوا.

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ من الشركِ.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ تصديقاً لتوبتِهم وإيمانِهم.

﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ اتركوهم يدخلون مكةَ، ويتصرَّفون في البلاد، وفيه دليلٌ على أن تاركَ الصلاةِ ومانعَ الزكاةِ لا يخلَّى سبيلُه، فالكفَّارُ مخاطَبون بالإيمان بالاتفاق، وبالفروعِ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، وقالَ أكثرُ الحنفيةِ: ليسوا مخاطَبين بالفروعِ، وهو قولُ مالكٍ، ويأتي ذكرُ حكمِ تاركِ الصلاةِ ومانعِ الزكاةِ في سورةِ الماعونِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن تابَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ به.

* * *

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ (٦)﴾.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾ أي: وإن جاءكَ أحدٌ.

﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ المأمورِ بقتلِهم ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ استأمَنَك بعدَ انسلاخِ الأشهُرِ الحرُمِ.

﴿فَأَجِرْهُ﴾ فَأَمِّنْهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: قراءتَكَ كلامَ الله؛ ليعلم شرائعَ الإسلامِ.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ الموضعَ الذي يأمَنُ فيه، وهو دارُ قومه إنْ لم يُسْلِمْ، فإنْ قاتلكَ بعدُ، فاقتلْه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المأمورُ به من الإجارة ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ﴾ جَهَلَةٌ.

﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ دينَ الله، فهم محتاجون إلى سماعِ كلامِه.

ولا خلافَ بينَ الأئمةِ في جواز أمانِ السلطان؛ لأنه مقدَّمٌ للنظرِ والمصلحةِ، وكذا أمانُ الحرِّ جائزٌ بالاتفاقِ، وأما العبدُ المسلمُ إذا أَمَّنَ شخصاً أو مدينةً، فقال الثلاثة: يَمْضي أمانُه مطلَقاً، وقال أبو حنيفةَ: لا يَمْضي إلا أن يكونَ سيدُه أذنَ له في القتال.

***

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ والاستبعادِ، المعنى: ممتنعٌ ثبوتُ عهدٍ للمشركين.

﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ وهم يغدرونَ وينقضونَ العهدَ، ثم استثنى فقال:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ وهم قبائلُ بني بكرٍ، وبنو خُزيمةَ، وبنو مدلجٍ، وبنو ضَمْرَةَ، وبنو الدِّيلِ، وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهدِ قريشٍ يومَ الحديبيةِ، ولم يكن نقضَ إلا قريشٌ وبنو الديل من بني بكر، فأمرَ بإتمامِ العهدِ لمن لم ينقضْ، وهم بنو ضمرةَ.

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي: فما قاموا على الوفاء بعهدكم.

﴿ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ أي: فأقيموا لهم على مثلِ ذلك.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه.

* * *

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ كَيْفَ ﴾ أعادَ الإنكارَ والاستبعاد؛ أي: كيف يكونُ لهم عهدٌ.

﴿ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ يظفروا بكم.

﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ ﴾ يحفضوا ﴿ فِيكُمْ إِلًّا ﴾ قرابةً ﴿ وَلَا ذِمَّةً ﴾ عهداً، والذمَّةُ في اللغة: عبارةٌ عن العهدِ، وفي الشرعِ: عبارةٌ عن وصفٍ يصيرُ فيه أهلاً للإيجاب والاستحباب.

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ يُظْهِرون الجميلَ، ويُضْمرون القبيحَ، ﴿ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ ﴾ الإيمانَ ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ ناقضو العهد؛ لأنَّ منهم من وفى.

* * *

﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ استبدلوا بالقرآنِ ﴿ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾ من حُطامِ الدنيا ونيلِ الشهوات، وذلك أنهم نقضوا العهدَ بأكلةٍ أطعمهم أبو سفيان.

﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ ﴾ أي: فمنعوا الناسَ من الدخولِ إلى دينِه.

﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ عملُهم هذا.

* * *

﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ لا تُبْقوا عليهم أيها المؤمنون؛ فإنهم لا يُبْقون عليكم إنْ ظَفِروا بكم.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ بنقضِ العهد.

* * *

﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ من الشركِ ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿ فِي ٱلدِّينِ ﴾ لهم مالكُم، وعليهم ما عليكم.

﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ نبيِّنُها ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «حُرِّمَتْ بهذهِ الآيةِ دماءُ أهلِ القبلةِ»(١).

---

(١) رواه أبو الشيخ في «تفسيره»، عن الحسن البصري، كما ذكر السيوطي في «الدر =

﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم ﴾ نقضوا عهودَهم ﴿ مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ يعني: مشركي قريش، ﴿ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ ﴾ عابوا الإسلامَ.

﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ رؤوسَ المشركين وقادتهم، نزلتْ في أبي سفيانَ وأصحابِه رؤساءِ قريشٍ الذين نقضوا العهد. قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وروحٌ عن يعقوبَ: (أَئِمَّةَ) بهمزتين محققتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية بينَ بينَ، وروي عنهم وجهٌ أنها تُجعل ياءً خالصةً مكسورة تخفيفاً؛ لاستثقالهم تحقيقَ همزتينِ في كلمةٍ واحدة، وأبو جعفرٍ يدخِلُ بينهما ألفاً مع تسهيل الثانية، وهشامٌ راوي ابنِ عامرٍ رُوي عنه المدُّ مع تحقيقِ الهمزة الثانية[١].

﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ﴾ حقيقةً؛ لنقضهم العهدَ قراءة العامة: (أَيْمَانَ) بفتح الهمزة، جمعُ يمين، وقرأ ابنُ عامرٍ: بكسر الهمزة بمعنى

= المنثور» (٤/ ١٣٢). وعزاه البغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣) إلى ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣٧٨ـ٣٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩).

التصديق[1]؛ أي: إن لم يفِ لكم المشركون، وعابوا دينكم، فقاتلوهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ عمَّا هم عليه.

واختلفوا في يمينِ الكافرِ هل تنعقدُ؟ فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ: لا تنعقدُ، وسواءٌ حَنِثَ حالَ كفرِه أو بعدَ إسلامه، ولا يصحُّ منه كفارةٌ؛ استشهاداً بظاهرِ ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾.

وقال الشافعيُّ وأحمدُ: تنعقدُ يمينُه؛ بدليلِ وصفِها بالنكثِ، وتلزمه الكفارةُ بالحنث فيها في الموضعين، ويكفِّرُ بغيرِ الصومِ.

وأما الذميُّ إذا طعنَ في الدينِ؛ بأنْ ذكرَ اللهَ سبحانَه بما لا يليقُ بجلاله، أو ذكرَ كتابَه المجيدَ، أو رسولَه الكريمَ ودينَه القويمَ بما لا ينبغي، فإنه ينتقضُ عهدُه عندَ مالكٍ وأحمدَ، سواءٌ شُرِطَ تركُ ذلكَ عليهم، أو لم يُشْتَرَطْ، وقال الشافعيُّ: إن شُرِطَ انتقاضُ العهد بها، انتقضَ، وإلا فلا، فإذا انتقضَ عهدُه، فقال مالكٌ: يُقتل، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: يخيرُ الإمامُ فيه قتلاً وَرِقاً ومَنّاً وفِداءً، ولا يردُّ إلى مأمنِه، وقال أبو حنيفةَ: لا ينتقضُ عهدُه إلا باللحاقِ بدارِ الحرب، أو أن يغلبوا على موضعٍ فيحاربوا، فيصير أحكامُهم كالمرتدين، إلا أنه إذا ظفرنا بهم، نسترقُّهم، ولا نجبرُهم على الإسلامِ، ولا على قبولِ الذمة، فإن أسلمَ، لم يقتلْ بالاتفاق.

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ثم حَرَّضَ المسلمين على قتالهم، فقال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ﴾ نقضوا عهودَهم، وهم الذين نقضوا عهدَ الصلحِ بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعةَ.

﴿ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾ من مكةَ حينَ اجتمعوا في دارِ الندوة.

﴿ وَهُم بَدَءُوكُمۡ ﴾ بالقتالِ ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ ﴾ يومَ بدرٍ، وذلك أنهم قالوا حين سلم العيرُ: لا ننصرفُ حتى نستأصلَ محمداً وأصحابَه، ثم وَبَّخهم على خوفِهم منهم فقال:

﴿ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ ﴾ فتتركون قتالَهم ﴿ فَٱللَّهُ أَحَقُّ ﴾ من غيرِه.

﴿ أَن تَخۡشَوۡهُ ﴾ فقاتِلوا أعداءه ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ثم شَجَّعهم عليهم فقال: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يقتلْهم اللهُ.

﴿ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ ﴾ يُذِلَّهم بالأسرِ والقتل. قرأ رُويسٌ عن يعقوبَ: (وَيُخْزِهُمْ) بضم الهاء، والباقون: بالكسر(١).

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

﴿وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ﴾ ويُبْرِئ داءَ قلوبِ.

﴿قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾ بما كانوا ينالونَهُ من الأذى منهم.

* * *

﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾.

[١٥] ﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ﴾ كَرْبَها ووجْدَها.

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ فيهديه للإسلام؛ كأبي سفيانَ، وعكرمةَ بنِ أبي جهل، وسُهيلِ بنِ عمرٍو. **وقراءةُ العامَّةِ**: (وَيَتُوبُ) برفع الباء استئنافاً إخباراً عن توبتِهِ على من أسلم، **وقرأ** رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: بنصبِ الباء على تقديرِ وأن (يَتُوبَ) أو حَتَّى[١].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما كانَ وسيكونُ ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يفعلُ شيئاً عبثاً.

* * *

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦﴾.

[١٦] ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾ أظننتم، خطابٌ للمؤمنين حينَ كرهَ بعضُهم القتالَ ﴿أَن تُتۡرَكُواْ﴾ فلا تؤمَروا بالجهادِ ولا تُمتحنوا ليظهرَ الصادقُ من الكاذبِ.

﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: ولما يَرَى الله.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٤ـ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).

﴿ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ ولياً خاصاً من المشركين، وخاصَّةُ الرجلِ وَلِيجُتُه؛ أي: لا تتركون حتى يتبينَ المخلصون والمجاهدون منكم. قرأ الكسائيُّ: (وَلِيَجةً) بإمالةِ الجيمِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيث(١).

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يعلمُ غرضَكم منه.

* * *

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ولما أُسر العباسُ يومَ بدرٍ، وَعَيَّرَه المسلمون بالكفرِ وقطيعةِ الرحمِ، وأغلظَ عليٌّ له القولَ، قال العباسُ: وما لكم تذكرونَ مساوِئَنا، ولا تذكرونَ محاسِنَنا، فقال له عليٌّ: ألكمْ محاسِنُ؟ فقال: نعم، إنا نَعْمُرَ المسجدَ الحرامَ، ونحجُبُ الكعبةَ، ونسقي الحاجَّ، فنزلَ ردّاً عليه: ﴿ مَا كَانَ ﴾(٢) ما جازَ ولا ينبغي.

﴿ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ: (مَسْجِدَ اللهِ) على التوحيد، والمرادُ: الكعبةُ، والباقون: (مَسَاجِدَ) على الجمع(٣)، والمرادُ: جنسُ المساجدِ، والكعبةُ داخلة فيه، المعنى: ليس

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠).
(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٦).
(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١).

لهم الجمعُ بين أمرينِ متنافيين: عمارةِ متعبداتِ الله مع الكفرِ.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ بإظهارِ الشركِ، وتكذيبِ الرسولِ، وعبادةِ الأصنام، وقولِ النصراني: أنا نصرانيٌّ، وقولِ اليهوديِّ: أنا يهوديٌّ، ونصبُ (شاهدين) على الحالِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لأنها لغيرِ الله.

﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ لكفرِهم.

* * *

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ اتفقَ جميعُ القراء على الجمعِ في هذا الحرف؛ لأن المرادَ به: جميعُ المساجد.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ لم يتركْ أمرَ اللهِ خشيةً من غيره، وعمارةُ المسجد: بناؤه، ورمُّ متشعثه، وكنسُه، والصلاةُ والذكرُ ودرسُ العلمِ الشرعيِّ فيه، وصيانتُه مما لم يُبْنَ له؛ كحديثِ الدنيا ونحوِه[١]، وفي الحديثِ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ الْمَسَاجِدَ فَيَقْعُدُونَ فِيهَا حِلَقاً، ذِكْرُهُمُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الدُّنْيَا، فَلاَ تُجَالِسُوهُمْ، فَلَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ»[٢]، ويحرمُ البصاقُ في

---

(١) في «ت»: «وغيره».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٠٩)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢/ ٩٨)، =

المسجدِ بالاتفاق؛ لأن رسولَ اللهِ ﷺ سماها خطيئةً وسيئةً، وكفارتُه أن تواريَهُ، ومن يبصقْ في المسجدِ استهزاءً به، كفرَ بغيرِ خلافٍ، وكذا لو بصقَ على القرآنِ بقصدِ الاستهزاءِ، وأما حكمُ القاضي في المسجدِ، فسيأتي ذكرُ الحكم فيه في سورةِ الجنِّ إن شاء الله تعالى عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الآية: ١٨].

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ و(عسى) من اللهِ واجبٌ؛ أي: أولئكَ هم المهتدون.

قال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ»[1].

ورُوِيَ أن عثمانَ بنَ عفانَ رضي الله عنه أرادَ بناءَ المسجدِ، فكرهَ الناسُ ذلكَ وأَحَبُّوا أن يدعَه، قالَ عثمان رضي الله عنه: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِداً، بَنَى اللهُ لَهُ كَهيْئَتِهِ فِي الْجَنَّةِ»[2].

***

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

= عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤): فيه بزيغ أبو الخليل، ونسب إلى الوضع.

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التوبة، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٨٠٢)، كتاب: الصلاة، باب: لزوم المساجد وانتظار الصلاة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٤٣٩)، كتاب: المساجد، باب: من بنى مسجداً، ومسلم (٥٣٢)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها.

[١٩] رُويَ عن النعمانِ بنِ بشيرٍ قال: «كنتُ عندَ منبرِ النبيِّ ﷺ، فقالَ رجلٌ: ماأُبالي أن لا أعملَ عملاً بعدَ أن أسقيَ الحاجَّ، وقال آخرُ: ما أُبالي أن لا أعملَ عملاً بعدَ أن أعمرَ المسجدَ الحرامَ، فقال آخرُ: الجهادُ في سبيلِ اللهِ أفضلُ مما قلتم، فزجَرَهم عمرُ وقالَ: لا ترفعوا أصواتَكم عندَ منبرِ النبيِّ ﷺ، وهو يومُ الجمعةِ، ولكنْ إذا صَلَّيْتُ فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ فيما اختلفتم فيه، ففعلَ، فأنزلَ الله عز وجل:

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(١) والسقايةُ والعمارةُ: مَصْدَرا سَقَى وعَمَرَ. ورُوي عن أبي جعفرٍ أنه قرأ: (سُقَاةَ) بضم السين وحذف الياء بعدَ الألف (وَعَمَرَة) بفتح العين وحذف الألف على جمع ساقي والعامر(٢)، تقديره: أجعلتم أصحابَ سقايةِ الحاجِّ، وأصحابَ عِمارةِ المسجدِ.

﴿كَمَنْ ءَامَنَ﴾ كإيمان مَنْ آمنَ ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المعنى: إنكارٌ أن يشبه المشركين وأعمالُهم المحبَطَةُ بالمؤمنينَ وأعمالِهم المثبتَةِ، ثم قرَّرَ ذلكَ بقولِه:

﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تنبيهٌ على أن التسويةَ بينَهم ظلمٌ.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٨٧٩)، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١-١٢)، وقد ذكرها البغوي من قراءة ابن الزبير وأُبيّ.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾ أعلى رتبةً.

﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ممن افتخروا بعِمارةِ المسجدِ الحرامِ وسقايةِ الحاجِّ.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ الظافرونَ[١] بأمنياتهم.

* * *

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ دائمٌ. قرأ حمزةُ: (يَبْشُرُهُمْ) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمِّها من البشر، وهو البشرى والبشارة، وقرأ الباقون: بضم الياء وتشديد الشين مكسورةً، من بَشَّرَ المضعَّفِ على التكثير، والبشرُ والتبشيرُ والإبشارُ لغاتٌ فصيحاتٌ[٢]، وقرأ عاصمٌ بروايةِ أبي بكرٍ: (وَرُضْوَانٍ) بضم الراء، والباقون: بكسرها[٣].

* * *

(١) «الظافرون» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ أكد الخلودَ بالتأبيدِ؛ لأنه قد يستعمل للمكثِ الطويل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] عن ابن عباس رضي الله عنه: «لما أمرَ رسولُ الله ﷺ الناسَ بالهجرةِ إلى المدينة، فمنهم من تعلَّقَ به أهلُه وولدُه يقولون: ننشدُكَ بالله ألاَّ تُضَيِّعَنا، فيرقُّ، فيقيمُ عليهم، ويدعُ الهجرةَ، فأنزل اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[1] أصفياءَ وبطانةً يمنعونكم عن الإيمان، ويصدُّونكم عن الطاعةِ.

﴿إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ﴾ واختلافُ القراء في الهمزتين من (أَوْلِياءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا) كاختلافِهم فيهما من (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ يؤثر المقامَ على الهجرةِ والجهادِ.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بوضعِهم الموالاةَ في غيرِ موضعِها، وكان في ذلك الوقتِ لا يُقبل الإيمانُ إلا من مهاجرٍ.

***

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٠).

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] نزلت الآية الأولى، قال الذين أسلموا ولم يهاجروا: إن نحنْ هاجرْنا، ضاعتْ أموالُنا، وذهبتْ تجارتُنا، وخربَتْ دورُنا، وقطعْنا أرحامَنا ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ للمتخلِّفينَ عن الهجرةِ:

﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾ قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَعَشِيرَاتُكُمْ) بالألف على الجمع، والباقون: بغير ألف[1]؛ أي: قومُكم بمكة.

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدمَ نَفاقِها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ تستطيبونَها.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ الحبّ الاختياري دونَ الطبيعيِّ؛ فإنه لا يدخلُ تحتَ التكليفِ التحفظ عنه.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بقضائِه، وهو تهديدٌ لمن يؤثرُ لذاتِ الدنيا على الآخرةِ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا يرشدُهم، والفسقُ: الخروجُ عن الطاعة.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣).

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] و﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ ﴾ مشاهدَ.

﴿ كَثِيرَةٍ ﴾ كبدرٍ، وفتحِ مكةَ، وقريظةَ، والنضيرِ.

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ اسمُ وادٍ بينَ مكَّةَ والطائفِ، بينهما ثلاثةُ أميال.

وملخَّصُ القصةِ: أنَّ رسولَ الله ﷺ لما فتحَ مكةَ في شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ من الهجرةِ، تجمعَتْ هوازنُ بحريمِهم وأموالِهم لحربِ رسولِ الله ﷺ، ومقدَّمُهم مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْريُّ، وانضمَّتْ إليه ثقيفُ، وهم أهلُ الطائف، وبنو سعدٍ، وهم الذين كانَ النبيُّ ﷺ مرتَضَعاً عندَهم، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ باجتماعِهم، وكانوا أربعةَ آلافٍ، خرجَ من مكةَ لِستٍّ خَلَوْنَ من شوالٍ، وخرجَ معه اثنا عشرَ ألفاً، منها عشرة آلاف كانتْ معه، وألفانِ من أهلِ مكةَ، وحضر جماعةٌ كثيرةٌ من المشركين، وهم مع رسولِ اللهِ ﷺ، وانتهى إلى حُنَيْنٍ، وركبَ بغلتَهَ الدُّلدُل، وقال رجلٌ من الأنصار يقالُ له سلمةُ بنُ سلامةَ لما رأى كثرةَ مَنْ معَ النبي ﷺ: لنْ يغلب هؤلاءِ من قلة، فساءَ رسولَ اللهِ ﷺ كلامُه، فلما التقى الجمعان، انكشفَ المسلمونَ، لا يَلْوي أحدٌ على أحدٍ، وانحازَ رسولُ الله ﷺ في نفرٍ من المهاجرينَ والأنصارِ وأهلِ بيتِه، واستمرَّ رسولُ اللهِ ﷺ ثابتاً، وتراجعَ المسلمون، واقتتلوا قتالاً شديداً، وأخذ ﷺ حَصَياتٍ فرمى بها في وَجْهِ المشركينَ، فكانتِ الهزيمةُ، ونصرَ الله المسلمين، واتَّبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم.

ولما فرغَ ﷺ من حُنين، بعثَ أبا عامرٍ على جيشٍ لغزوةِ أوطاس، فاستُشهد رضي الله عنه، وانهزمت ثقيفُ إلى الطائف، فأغلقوا بابَ مدينتِهم، فسار النبيُّ ﷺ، وحاصرهم نيفاً وعشرين يوماً، وقاتلَهم بالمنجنيقِ، وأمر بقطعِ أعنابِهم، ثم رحلَ عنهم، ونزلَ بالجعرانةِ، وأتى إليه بعضُ هوازن مسلمين، وسألوه أن يردَّ إليهم أموالَهم وسَبْيَهم، فخيرَّهم بينَ المالِ والسبي، فاختاروا السبيَ، فرد الناسُ أبناءهم ونساءهم، ثم لحقَ مالكُ بن عوفٍ مقدَّم هوازنَ برسولِ الله ﷺ، وأسلمَ وحسنَ إسلامُه، واستعملَه رسولُ الله ﷺ على قومِه وعلى من أسلمَ من تلكَ القبائل، وكانَ عدةُ السبي الذي أطلقَه ستةَ آلافٍ، ثم قسمَ الأموالَ، وكانت عدةُ الإبلِ أربعةً وعشرينَ ألفَ بعيرٍ، والغنمِ أكثرَ من أربعين ألفَ شاة، ومن الفضةِ أربعة آلافِ أوقيةٍ، وأعطى المؤلَفة قلوبُهم مثلَ أبي سفيان، وابنيه يزيدَ ومعاويةَ، وسهلِ بنِ عمرٍو، وعكرمةَ بنِ أبي جهلٍ، والحارثِ بنِ هشامٍ أخي أبي جهلٍ، وصفوانَ بنِ أميةَ، وهؤلاء من قريش، وأعطى الأقرعَ بنَ حابسٍ التميميَّ، وعُيَيْنَةَ بنَ حصنٍ، ومالكَ بنَ عوفٍ مقدَّمَ هوازنَ وأمثالَهم، فأعطى لكلِّ واحدٍ من الأشراف مئةً من الإبل، وأعطى الآخرين لكلِّ واحدٍ أربعينَ، وأعطَى العباسَ بنَ مِرْداسَ السلميَّ أباعر لم يرضَها، فقالَ في ذلكَ من أبياتٍ :

فَأَصْبَحَ نهبي وَنَهْبُ الْعُبَيْـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلاَ حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ امْرِىءٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَمْ يُرْفَعِ

فرُوي أن رسول الله ﷺ قال: «اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ»، فَأُعطيَ حتى رضي[1].

وفرقَ رسولُ الله ﷺ الغنائمَ، ولم يعطِ الأنصارَ شيئاً، فوَجَدُوا في أنفسِهم، فدعاهم رسولُ الله ﷺ فقال: «إِنَّ قُرَيْشاً حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ، وَإِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلى بُيُوتِكُمْ؟»، قالوا: بلى، قال: «لَوْ سَلَكَتِ النَّاسِ وَادِياً وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً، لَسَلَكْتُ وَادِي الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ»[2].

وقد اتفق الأئمةُ على جوازِ اجتهادِه ﷺ في أمرِ الدنيا ووقعَ إجماعاً، واختلفوا في المجتهدينَ بعدَه، فقال أبو حنيفةَ: كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ، والحقُّ واحدٌ عندَ الله، وقال الثلاثةُ: المسألةُ الظنيةُ: الحقُّ فيها واحدٌ عندَ الله، وعليه دليلٌ، وعلى المجتهدِ طلبُه، فمن أصابَ فمصيبٌ، وإلا، فَمُخْطئٌ مثابٌ، والجزئيَّةُ التي فيها نصٌّ قاطعٌ: المصيبُ فيها واحدٌ وفاقاً، ولا يأثمُ مجتهدٌ في حكمٍ شرعيٍّ اجتهاديٍّ، ويُثابُ بالاتفاق.

ثم بعدَ الفراغِ من أمرِ هوازن، اعتمرَ رسولُ الله ﷺ، وعادَ إلى المدينة، واستخلفَ على مكةَ عتَّابَ بنَ أسيدٍ، وهو شابٌّ لم يبلغْ عشرينَ سنةً، وتركَ

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٠)، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، عن رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣٥٦٧)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الأنصار، ومسلم (١٠٥٩)، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبر من قوي إيمانه، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

معه مُعاذَ بنَ جبلٍ يُفقِّهُ الناسَ، وحجَّ بالناسِ في هذهِ السنةِ عتابٌ على ما كانتِ العربُ تحجُّ، وأنزلَ اللهُ في قصةِ حنينٍ: و﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ أي: واذكرْ يومَ حنينٍ.

﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ حتى قلتم: لن نُغلبَ اليومَ من قلةٍ.

﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ كثرتُكم ﴿ شَيْـًٔا﴾ من الإغناءِ.

﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الباء بمعنى مع؛ أي: مع رحبها؛ أي: مع سَعَتِها ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ منهزمين.

* * *

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ بعدَ الهزيمة ﴿ سَكِينَتَهُۥ﴾ طُمأْنينتَهُ ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ ﷺ ﴿ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنزل عليهم من يُسَكِّنُهم ويُذهِبُ خوْفهم.

﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الملائكةَ لتحييزِ الكفارِ وتشجيعِ المسلمين، وقد تقدَّم في سورةِ الأنفالِ أن الملائكةَ لم يقاتلوا إلا في يوم بدر، وفيما سواه كانوا عدداً ومَدَداً.

﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتلِ والأسرِ والسبيِ.

﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ الذي فُعِلَ بهم ﴿ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في الدنيا، وفي الآخرةِ النارُ.

* * *

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعدِ القتلِ والهزيمةِ.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ فيهديه للإسلامِ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يتفضَّل عليهم.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ قَذَرٌ، والمرادُ: نجاسةُ الحكمِ، لا نجاسةُ العينِ، سموا نجساً على الذمِّ؛ لتركهم غسلَ الجنابةِ والوضوءَ.

﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ والمرادُ: جميعُ الحرمِ؛ لأنهم إذا دخلوا الحرم، فقد قربوا من المسجدِ الحرام، فيمُنع كلُّ مَنْ كان على غير الإسلام من دخولِ حرمِ مكةَ شرفها الله تعالى، وهو ما أطاف بمكةَ وأحاطَ بها من جوانبها، جعلَ الله عز وجل له حكمَها في الحرمة؛ تشريفاً لها.

وَحَدُّ الحرمِ من طريقِ المدينةِ دونَ التنعيمِ ثلاثةُ أميالٍ عندَ بيوتِ السُّقيا، ومن اليمنِ سبعةٌ عند أضاةِ لين، ومن العراقِ كذلكَ على ثنية زُحَل جبلٍ بالمنقطع، ومن الطائفِ وعرفاتٍ وبطنِ نمرة كذلك عند طرفِ عرفةَ، ومن الجعرانةِ تسعةٌ في شعبِ عبدِ اللهِ بنِ خالد، ومِنْ جُدَّةَ عشرةٌ عندَ منقطعِ الأعشاش، ومن بطن عُرَنَة أحدَ عشرَ.

وأولُ من نصبَ حدودَ الحرمِ إبراهيمُ عليه السلام، ثم جَدَّدها قصيٌّ، ثم جَدَّدَها رسولُ اللهِ ﷺ عامَ الفتحِ، ثم جَدَّدَها عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه، ثم جَدَّدَها معاويةُ رضي الله عنه.

وتقدم ذكرُ حدودِ الأرضِ المقدسةِ في سورةِ المائدة، ويأتي ذكرُ حدودِ حرمِ المدينةِ في سورةِ الأحزابِ إن شاء الله تعالى.

فإن قدمَ رسولٌ من الكفارِ إلى الحرم، لا بدَّ له من لقاءِ الإمام، خرجَ إليه إلى الحلِّ، ولم يأذنْ له، فإنْ دخلَ عالماً بالمنع، عُزِّر، فإن مرضَ بالحرم، أو ماتَ، أُخرجَ، وإن دُفِنَ نُبِشَ وأُخرجَ، فليس لهم الاستيطانُ ولا الاجتيازُ به، وبهذا قالَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ، وقال أبو حنيفة: لهم دخولُ الحرمِ كالحجازِ كُلِّه، ولا يستوطنونه، والمنعُ من الاستيطانِ لا يمنعُ الدخولَ والتصرُّفَ كالحجازِ.

واتفقوا على أن الكفارَ يُمنعون من استيطانِ الحجازِ كلِّهِ كالمدينةِ ومكةَ واليمامةَ وخَيبر والينبع وقُراها، قالَ مالكٌ والشافعيُّ وأحمدُ: فإن دخلوا للتجارة، لم يقيموا في موضعٍ أكثرَ من ثلاثةِ أيام، وعند الشافعيِّ وأحمدَ: لا يدخلون إلا بإذنِ الإمامِ، وسُمِّيَ الحجازُ حجازاً؛ لأنه حجزَ بينَ تهامَة ونجدٍ، وتقدَّم اختلافُهم في دخولِ أهلِ الذمَّة إلى المسجدِ الحرام وغيرِه من مساجدِ الحِلِّ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [البقرة: ١١٤].

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ هو عامُ تسعةٍ من الهجرة الذي حجَّ فيه أبو بكرٍ بالناس، وفيه أَذَّنَ عليٌّ ببراءة.

ولما مُنِعَ المشركون من دخولِ الحرم، خاف المسلمون الفقراءُ لانقطاعِ

الميرةِ عنهم، فنزل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[1] فقراً ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ كرمِه وعطائِه ﴿إِن شَآءَ﴾ إذْ لا مُكْرِهَ له على فعلِه، فجاءهم المطرُ، وأخصبَتْ بلادهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوالِكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يُعطي ويمنعُ. وتقدَّم التنبيهُ على اختلاف القراء في قوله: (أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا)، وكذلك اختلافُهم في (إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ).

* * *

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ﴾ لا يعتقدونَ ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلامَ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهودِ والنصارى.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ هي: الخراجُ المضروبُ على رقابهم على وجهِ الصَّغارِ بدلاً عن قتلِهم وإقامتِهم بدارنا، مشتقةٌ من الجزاء، إما جزاءً على كفرِهم؛ لأخذها منهم صغاراً، أو جزاءً على أماننا لهم؛ لأخذِها منهم رفقاً.

﴿عَن يَدٍ﴾ قهرٍ وذلٍّ ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاءُ مقهورونَ، فيعطونَها من قيامٍ والآخذُ جالسٌ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٨).

واتفق الأئمةُ على أن الجزيةَ تُضْرَبُ على أهلِ الكتابِ، وهم اليهودُ والنصارى ومَنْ يوافقهم في التديُّنِ بالتوراةِ والإنجيل؛ كالسامرةِ، والفرنج، ومن له شُبْهَةُ كتابٍ، وهم المجوسُ. واختلفوا في عبدةِ الأوثانِ، فقال أبو حنيفة: تُؤْخذُ من أهل العجم منهم دونَ العربِ، وقال مالك: تؤخذُ من عبدة الأوثانِ ونصارى العربَ وكلِّ كافرٍ يصحُّ سباهُ سوى قريشٍ، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: لا تؤخذ من عبدةِ الأوثانِ مطلقاً.

واتفقوا على عدمِ قبولِها من المرتدِّ، وأنه لا يُقَرُّ على الردة.

واتفقوا على عدمِ وجوبِها على النساءِ والصبيانِ والعبيدِ.

واختلفوا في الراهبِ والشيخِ والهرمِ والزَّمِنِ والأعمى والفقير الغير معتملٍ، فقال الشافعيُّ: تجبُ عليهم، وتستقرُّ في ذمةِ الفقيرِ حتى يوسرَ، وقال الثلاثةُ: لا تجبُ عليهم.

واختلفوا في قدرِها، فقال أبو حنيفةَ: هي ضربان: أحدُهما: ما يوضَعُ بالتراضي، فلا يتعدَّى عنها، والثاني: يضعُها الإمام إذا غلبَ على الكفارِ، وأقرَّهم على ملكِهم، فيضعُ على الغنيِّ في كل سنةٍ ثمانيةً وأربعين درهماً، وعلى المتوسطِ نصفها، وعلى الفقير المعتمل ربعها، وتجبُ في أول الحول، وتؤخذ في كلِّ شهرٍ بقسطِه، وافقه أحمدُ في تقديرها بذلكَ، وقال: تؤخذ في آخر كلِّ حولٍ، وقالَ مالكٌ: قدرُها أربعون درهماً على أهلِ الوَرَقِ، وأربعةُ دنانيرَ على أهلِ الذَّهَبِ في آخرِ الحول، وقال الشافعيُّ: أقلُّها دينارٌ، ويستحب للإمام مماكَسَتُه حتى يأخذَ من المتوسِّط دينارين، ومن الغنيِّ أربعةً في آخر الحول.

واختلفوا في نصارى بني تغلبَ، وهم قوم ذوو شوكةٍ من العرب، انتقلوا في الجاهليةِ إلى النصرانية، فطلب عمرُ رضي الله عنه منهم الجزية، فأبوا، وطلبوا أن يؤخذ منهم كالزكاةِ من المسلمين، فأبى عمرُ، ثم خاف أن يلحقوا بالرومِ، فصالحهم على أن يضاعفَ عليهم مثلَ زكاةِ المسلمين بمحضرٍ من الصحابةِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يؤخذ منهم مثلَ ما يؤخَذُ من زكاةِ المسلمين، والمأخوذُ منهم واجبٌ بشرط الزكاةِ وأسبابِها، فلا تؤخذُ من فقير، ولا ممَّنْ مالُه غيرُ زكويٍّ، ومصرفُه مصرفُ الجزيةِ، فأبو حنيفةَ خصَّ الأخذَ بالرجالِ منهم والنساءِ دونَ الصبيانِ، وأحمدُ قال: يؤخذ من نسائِهم ومن صبيانِهم أيضاً، ومجانينِهم، وكذا الحكمُ عنده في نصارى العرب ويهودِهم ومجوسِهم، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يؤخذ من نسائِهم وصبيانِهم، وحكمُهم كغيرِهم في ذلك.

واختلفوا في سقوطِ الجزيةِ بالإسلام والموتِ بعدَ وجوبها، فقال أبو حنيفةَ: تسقطُ بهما، وقال مالكٌ وأحمدُ: تسقطُ بالإسلامِ دونَ الموتِ، وقال الشافعي: لا تسقطُ بهما.

***

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ قرأ عاصمٌ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (عُزَيْرٌ) بالتنوين، وكسرِه حالةَ الوصل، ولا يجوز ضمُّه في مذهبِ الكسائيِّ، لأن الضمةَ في (ابن) ضمةُ إعرابٍ، فهيَ غيرُ لازمةٍ

لانتقالها، وقرأ الباقون: بغير تنوين[1]؛ لأنه اسمٌ أعجميٌّ، ويشبه اسماً مصغَّراً، ومَنْ نوَّنَ قالَ: لأنه اسمٌ خفيفٌ فوجهُه أن ينصرفَ وإنْ كانَ أعجمياً مثل (نوحٍ وهودٍ وصالحٍ)، واسمُ عزيرٍ بالعبرانيةِ عَزْرا، وهو من ذريةِ هارونَ بنِ عمرانَ، وهو من أنبياءِ بني إسرائيلَ، فلما ظهر بُخْتَ نَصَّر على بني إسرائيل، وقتلَ من قتلَ، وأسرَ من أسرَ، وكان العزيرُ من جملةِ الأسرى وهو صغير، فلما رجعَ بنو إسرائيل من العراقِ إلى القدسِ، رجع العزيرُ من جملتِهم، وقدمَ معه من بني إسرائيل ما يزيدُ على الألفين من العلماءِ وغيرِهم، وتربى مع العزير في القدس مئةٌ وعشرون شيخاً من علماءِ بني إسرائيلَ، وكانت التوراةُ قد عدمت منهم، فمثَّلَها اللهُ تعالى في صدرِ العزيرِ، ووضعَها لبني إسرائيلَ يعرفونها بحلالها وحرامِها، فأحبوه حُباً شديداً، وقالوا: إن اللهَ لم يقذفِ التوراةَ في قلبِ رجلٍ إلا أنه ابنُه، فعندَ ذلكَ قالتِ اليهود: عُزيرٌ ابنُ الله، والذي قالَ هذه المقالةَ رجلٌ من اليهودِ اسمُه فنخاصُ بنُ عازورا الذي قال: إن اللهَ فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ، ورُوي أنه لم يبقَ يهوديٌّ يقولها، بل انقرضوا، قالَ ابنُ عطيةَ: فإذا قالها واحدٌ، فيتوجه أن يلزم الجماعة شنعة المقالة لأجلِ نباهةِ القائل فيهم، وأقوالُ النبهاءِ أبداً مشهودة في الناس يُحتجُّ بها[2]، وأقامَ العزيرُ في بيتِ المقدس يدبِّرُ أمرَ بني إسرائيل حتى تُوفي بعدَ مضيِّ أربعينَ سنة لعمارةِ بيتِ المقدسِ، فتكونُ وفاتُه سنةَ ثلاثين ومئةٍ لابتداءِ ولايةِ بُخْتَ نَصَّرَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤ـ١٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٣).

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ قالوا: لأنه لا أبَ له، ولم يكن لهذا القول برهانٌ، ولا معنى له ولا تأثير في القلب.

﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ يقولونه بألسنتِهم من غيرِ علمٍ.

﴿ يُضَـٰهِـُٔونَ ﴾ قرأ عاصمٌ: (يُضَاهِئُونَ) بهمزة مضمومةٍ بينَ الهاءِ والواو مع كسرِ الهاء، والباقون: بضم الهاء غير مهموز، وهما لغتان معناهما واحدٌ[1]؛ أي: يشابهون.

﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ أي: يشابه قولُ اليهودِ والنصارى الذين في زمانِكَ في الشركِ قولَ المشركين قبلَه.

﴿ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أهلَكَهم ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: من أين يُصْرَفون عن الحقِّ بعدَ قيامِ البرهان؟!

* * *

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾.

[٣١] ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ ﴾ أي: أهلُ الكتابين ﴿ أَحْبَارَهُمْ ﴾ علماءَ اليهودِ ﴿ وَرُهْبَـٰنَهُمْ ﴾ أصحابَ الصوامعِ من النصارى.

﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: هم عندَهُم كالأربابِ؛ لطاعتِهم إياهم في معصيةِ اللهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥).

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ أي: اتخذوه رباً ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ وهو اللهُ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ صفةٌ ثابتةٌ.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيهٌ له عن أن يكونَ له شريكٌ.

* * *

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ أي: يُعْدِموا القرآنَ؛ أي: وما فيه من الأحكامِ أو نبوةِ محمدٍ ﷺ. قرأ أبو جعفرٍ: (يُطْفُوا) بضمِّ الواوِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بكسر الفاء والهمز[1] ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بباطِلِهم وتكذيبِهم.

﴿وَيَأْبَى﴾ ولم يُرِدِ ﴿ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ يُعْلي دينَه، ويتمَّ الحقَّ الذي بعث به محمداً ﷺ ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلكَ.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ﴾ يعني: الذي يأبى إلا إتمامَ دينه.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآنِ وما فيه من التوحيدِ وغيرِه ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلامِ.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي: ليعليَهُ ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على جميعِ الأديانِ فينسخَها.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦).

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ وخَصَّ المشركين هنا بالذكرِ لما كانت الكراهيةُ مختصةً بظهورِ محمدٍ ﷺ، فذكر المعظمَ الأولَ ممن كرهَ ذلك وصدَّ فيه، وذكرَ الكافرين في الآية قبلُ؛ لأنها كراهيةُ إتمامِ نورِ اللهِ في قديمِ الدهرِ وفي باقيه، فعمَّ الكفرةَ من لَدُنْ خَلْقِ الدنيا إلى انقراضِها، وقد وقعتِ الكراهيةُ والإتمامُ مراراً.

***

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ هم علماءُ اليهودِ.

﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾ مجتهدو النصارى في العبادةِ بالباطلِ.

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: يأخذونها بالرُّشا في الحكم.

﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ دينِه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ يجمعونَ ﴿ٱلذَّهَبَ﴾ سُمِّي ذهباً؛ لأنه يذهبُ ولا يبقى ﴿وَٱلْفِضَّةَ﴾ لأنها تنفضُّ؛ أي: تتفرَّقُ ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الكنوزَ.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ عن ابن عباسٍ وابنِ عمرَ: «كُلُّ

مَالٍ تؤَدَّى زَكَاتُهُ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَإِنْ كَانَ مُدَّخراً، وَكُلُّ مَالٍ لاَ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ، فَهُوَ كَنْزٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَدْفُوناً»(١).

***

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا ﴾ أي: واذكرْ يومَ تُحمى النارُ على الأموالِ، فيوقدُ عليها؛ يعني: الكنوزَ.

﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ ﴾ فتُحْرَقُ ﴿ بِهَا جِبَاهُهُمْ ﴾ يعني: كانِزيها.

﴿ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ ويقالُ لهم: ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي: تمنعونَ من حقوقِ الله تعالى.

سُئل أبو بكرٍ الورَّاقُ: لِمَ خَصَّ الجباهَ والجنوبَ والظهورَ بالكيِّ؟ قال: «لأنَّ الغنيَّ صاحبَ الكنزِ إذا رأى الفقيرَ، قبضَ جبهتَه، وزوى ما بينَ عينيه، وولاَّهُ ظهره، وأعرضَ عنه بكشحِه»(٢).

***

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

(١) رواه الإمام الشافعي في «مسنده» (ص: ٨٧)، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. ورواه ابن المنذر في «تفسيره» عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ، كما عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٨).

﴿فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ عددَ الشهور، جمعُ شهرٍ.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حكمِ اللهِ من غير زيادةٍ ولا نُقْصانٍ.

﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ قرأ أبو جعفرٍ: بمدِّ ألفِ (اثنا)، وإسكانِ العين، ورُوِيَ عنه أيضاً: بحذفِ الألف، والباقون: بفتح العين بغير مدٍّ[١]، وهي أشهرُ العربِ المعروفةُ، أولُها المحرَّمُ، وآخرُها ذو الحجة، وخُصَّت باثني عشرَ؛ لأنهم كانوا ربما جعلوها ثلاثةَ عشرَ وأربعةَ عشرَ؛ ليتسعَ لهم الوقت.

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوحِ المحفوظِ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: هذا أمرٌ ثابتٌ مذ خلقَ اللهُ الأجرامَ والأزمنةَ، والمرادُ: الشهورُ الهلاليةُ، وهي التي يعتدُّ بها المسلمون في أمورِهم، وبالشهورِ الشمسيةِ تكونُ السنةُ ثلاثَ مئةٍ وخمسةً وستينَ يوماً وربعَ يومٍ، والهلاليةُ تنقصُ عن ثلاثِ مئةٍ وستينَ بنقصانِ الأهلَّةِ، والغالبُ أنها تكونُ ثلاثَ مئةٍ وأربعةً وخمسينَ يوماً.

﴿مِنْهَآ﴾ أي: من الشهورِ.

﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ﴾ وهي: رجبٌ، وذو القعدةِ، وذو الحجةِ، والمحرَّمُ، واحدٌ فردٌ، وثلاثةٌ سردٌ، سُميتْ بذلك؛ لتحريمِ القتالِ فيها؛ المعنى: إن الشهورَ قد رجعتْ إلى وضعِها، وبطل النَّسيءُ، وعاد الحجُّ إلى ذي

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧).

الحجة، قالَ ﷺ في حجةِ الوداع: «أَلاَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ»(١).

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي: الحسابُ المستقيمُ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ في الأشهرِ الحرمِ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تجعلوا حرامَها حلالاً، والجمهورُ على أنَّ حرمةَ المقاتلةِ فيها منسوخةٌ بقوله:

﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ مصدرُ كفَّ عن الشيء في موضعِ الحالِ؛ أي: مجتمعينَ في جميع الشهور.

﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعاً.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بشارةٌ لهم بالنصرِ بسببِ تقْواهم.

* * *

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ هو تأخيرُ تحريمِ المحرَّمِ إلى صَفَرَ؛ لحاجتِهم إلى القتالِ فيه، ومنه النسيئةُ في البيع، يقال: أَنْسَأَ اللهُ أجلَه؛ أي: أَخَّرَ. قرأ ورشٌ عن نافعٍ، وأبو جعفرٍ: بتشديدِ الياءِ بغير همزٍ، فعيلٌ من أنسأْتُه أَخَّرْتُه، قُلبت الهمزةُ ياءً، وأُدغمتْ فيها الياء، وقرأ الباقون: بالهمزِ والمدِّ،

---

(١) رواه البخاري (٣٠٢٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦٧٩)، كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ.

وإذا وقفَ حمزةُ وهشامٌ، وافقا وَرْشاً وأبا جعفرٍ[1]، وأولُ من نَسَّى النَّسِيَّ بنو كنانةَ.

﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ لأن الكافرَ كلما عملَ معصيةً، ازدادَ كفراً.

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ، عن عاصمٍ: (يُضَلُّ) بضمِّ الياء وفتح الضاد مجهولاً، وقرأ يعقوبُ: بضمِّ الياءِ وكسرِ الضادِ؛ أي: (يُضِلُّ) الكافرونَ أتباعَهم، والباقونَ: بفتح الياءِ وكسرِ الضاد[2]؛ لأنهم هم الضالون؛ لقوله:

﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النسيءَ من الأشهرِ الحرمِ ﴿عَامًا﴾ ويحرِّمون مكانَه شهراً آخرَ ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فيتركونه على[3] حُرمتِهِ.

﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ﴾ أي: ليوافقوا عددَ[4] ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهرِ الحرمِ؛ أي: لم يُحِلُّوا شهراً إلا حَرَّموا مكانَه من الحلال، والمواطأةُ: الموافقة. قرأ أبو جعفرٍ: (لِيُواطُوا) بضمِّ الطاءِ بغير همزٍ، والباقون: بكسرِ الطاء والهمز[5].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩).

(٣) في «ت»: «في».

(٤) «أي: ليوافقوا عدد» سقط من «ت».

(٥) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠).

﴿فَيُحِلُّواْ﴾ بتحليلِهم القتالَ في الأشهرِ الحرم ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فيها.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ﴾ قالَ ابنُ عباسٍ: يُريد: زَيَّنَ لهم الشيطانُ[1]. واختلافُ القراء في الهمزتين من (سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) كاختلافِهم فيهما من (السُّفَهَاءُ أَلاَ) في سورة البقرة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ لا يرشدُهم.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ولما رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ من الطائفِ، أمرَ بالجهادِ لغزوِ الرومِ، وهي غزوةُ تبوكَ، وذلك في زمنِ عُسْرَةٍ من الناسِ، والشدَّةِ، من الحرِّ حينَ طابتِ الثمارُ والظلالُ، ولم يكنْ رسولُ الله ﷺ يريدُ غزوةً إلا وَرَّى بغيرِها حتى كانت تلكَ الغزوةُ، غزاها في حَرٍّ شديدٍ، واستقبلَ سفراً بعيداً، جَلَّى للمسلمين أمرَهم ليتأهَّبوا أُهْبَةَ غزوِهم، فشقَّ عليهم الخروجُ، وتثاقلوا، فأنزل الله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾[2] أي: قالَ لكم رسولُ الله ﷺ: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ اخرُجوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ تباطَأْتُم ومِلْتُم عن الجهادِ ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: لزِمْتُمْ مساكِنَكم.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٧٩٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٢٧٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٨).

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولذاتِها بدلاً ﴿مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ ونعيمِها.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: فما التمتُّعُ بها ﴿فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

* * *

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ثم أوعدَهم على تركِ الجهادِ فقال: ﴿إِلَّا﴾ أي: إن لم ﴿تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ﴾ في الآخرةِ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وقيلَ: هو احتباسُ المطرِ عنهم في الدنيا.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾ بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ خيراً منكم وأطوعَ؛ كأهلِ اليمنِ وأبناءِ فارس.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ﴾ أي: لا يقدحْ تثاقُلُكم في نصرِ دينه؛ فإنه الغنيُّ عن كلِّ شيءٍ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فيقدرُ على النصرةِ بلا مَدَدٍ.

* * *

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ بالنفيرِ معه.

﴿ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ هذا إعلامٌ من اللهِ أنه المتكفِّلُ بنصرِه كما نصرَه.

﴿ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من مكةَ حينَ مكروا به، وهَمُّوا بقتلِه.

﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ أحدَ اثنينِ، والمرادُ: النبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه.

﴿ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ نقبٍ في جبلِ ثورٍ بمكةَ، مكثا فيه ثلاثاً. قرأ أبو عمرٍو، وورشٌ عن نافعٍ: (الغَارِ) بالإمالة، بخلافٍ عن الدوريِّ وابنِ ذكوان، ورُوي عن قالونَ: الإمالةُ بينَ بينَ[1]، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في الأنفالِ.

عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكرٍ: «أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ وَصَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ»[2].

قال الحسينُ بنُ الفضلِ: مَنْ قالَ إن أبا بكرٍ لم يكنْ صاحبَ رسولِ اللهِ ﷺ؛ فهو كافرٌ؛ لإنكارِه نصَّ القرآنِ، وفي سائرِ الصحابةِ إذا أنكرَ يكونُ مبتدِعاً، ولا يكونُ كافراً[3].

﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ هو أبو بكرٍ.

﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ أي: بالرعايةِ والحفظِ، رُوي أن المشركين طلعوا فوقَ الغارِ، فأشفقَ أبو بكرٍ رضي الله عنه على رسولِ الله ﷺ، وقال:

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٤ـ٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٧٠)، كتاب: المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، عن ابن عمر، وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٨٣).

إنْ أُقتلْ فأنا[1] رجلٌ واحدٌ، وإنْ قُتلت، هَلَكَتِ الأمةُ، فقال: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!»[2]، وأرسلَ اللهُ زوجاً من حمامٍ حتى باضا في أسفل النَّقْبِ، والعنكبوتَ حتى نسجَتْ بيتاً.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طُمأنينتَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ على أبي بكرٍ.

﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: قَوّى النبيَّ ﷺ.

﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ همُ الملائكةُ صرفوا الكفارَ عن رؤيتِهما في الغارِ، وألقوا الرعبَ في قلوبِ الكفارِ يومَ بدرٍ والأحزابِ وحنينٍ.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هي دعوتُهم إلى الكفرِ.

﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾ المنخفضةَ المغلوبةَ.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ دعوتُه إلى الإيمانِ. قراءة العامة: (وَكَلِمَةُ اللهِ) بالرفعِ مبتدأٌ، خبرُه ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ العالية. وقرأ يعقوبُ: (وَكَلِمَةَ اللهِ) بالنصبِ عطفاً على (كَلِمَةَ)[3].

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في أمرِه وتدبيرِه.

* * *

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

---

(١) في «ت»: «فلأنا».

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١).

[٤١] ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أي: خَفَّ عليكم ذلك أو ثَقُلَ؛ أي: لا تتَأَوْا عن الغزوِ.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وصفٌ لأكملِ ما يكونُ من الجهادِ وأنفعِه عند الله، فحضَّ على كمالِ الأوصافِ، وقُدِّمتِ الأموالُ في الذكرِ؛ إذ هي أولُ مصرَّفٍ[١] وقتَ التجهيزِ، فَرُتِّبَ الأمرُ كما هو في نفسِه.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ للفوزِ برضوانِ الله، وغلبةِ العدوِّ، ووراثةِ الأرضِ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تنبيهٌ وهزٌّ للنفوس، قال السديُّ: هذه الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ الآية [التوبة: ٩١][٢]، وقال القرطبيُّ: الصحيحُ أنها ليستْ بمنسوخةٍ[٣].

واتفق الأئمةُ على أن الجهادَ فرضٌ على الكفايةِ، إذا قامَ به قومٌ من المسلمين، سقطَ عن الباقين، فإذا هجمَ العدوُّ، صارَ فرضَ عينٍ بغير خلافٍ.

* * *

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)﴾.

(١) «مصرف» ساقطة من «ت».
(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٣).
(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ١٥١).

[٤٢] ونزل في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ:

﴿لَوْ كَانَ﴾ ما تدعوهم إليه يا محمدُ.

﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ نفعاً دنيوياً سهلَ المأخذِ.

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ سهلاً غيرَ شاقٍّ.

﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ فخرجوا معك ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافةُ.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ أي: المخلَّفون.

﴿بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ لو كانَ لنا استطاعةُ العدَّةِ والبدَنِ.

﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ باليمينِ الكاذبة.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا مستطيعين.

* * *

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] فأذنَ ﷺ لجماعةٍ من المنافقينَ بالتخلُّفِ، فقالَ تعالى مقدِّماً العفوَ على العَتْبِ تأنياً وتطيباً لقلبه ﷺ:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ أي: دامَ لكَ العفوُ، وهو افتتاحُ كلامٍ بمنزلةِ: أصلحَكَ اللهُ وأعزَّكَ الله، أخبرَه بالعفوِ قبلَ أن يخبرَهُ بالذنبِ، ولو بدأه ﷺ بقولِه ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ لخيفَ عليه أن ينشقَّ قلبُه من هَيبةِ هذا الكلام، لكنَّ الله تعالى برحمته أخبرَه بالعفوِ حتى سكنَ قلبُه، ثم قالَ له: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ بالتخلُّف؟ وهَلاَّ أخرتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في اعتذارِهم ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: تعلمَ مَنْ لا عذرَ له، قال ابنُ

عباسٍ: لم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يعرفُ المنافقين يومئذٍ[1].

* * *

﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ﴾ في التخلُّفِ.

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾ أي: لا يُوقِفونه على الإذنِ، فَضْلاً أن يستأذنوك في التخلُّفِ كراهةَ أن يجاهدوا.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ عِدَةٌ لهم بثوابِه.

* * *

﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ شكَّتْ.

﴿ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ ﴾ في شكِّهم ونفاقِهم ﴿ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ يتحيرون.

* * *

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ ﴾ في الغزوِ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٨٩).

﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ أهبةً ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ انطلاقهم بسرعة.

﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾ خذلهم، وقيل: أي: قال لهم النبي ﷺ: ﴿وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ أي: مع أُولي الضررِ من النساءِ والصبيانِ والمرضى.

* * *

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾.

[٤٧] ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ﴾ شيئاً.

﴿إِلَّا خَبَالٗا﴾ فساداً؛ بإيقاعِهم الفشلَ بينَ المؤمنين بتهويلِ الأمرِ.

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ لأسرَعوا بينكم بالنمائمِ؛ ليوقعوا الشرَّ بينكم، وكُتِبَ (وَلاَ أَوْضَعُوا) في المصحفِ بزيادةِ ألفٍ(١)، قالوا: وكانتِ الفتحةُ تكتبُ قبلَ الخطِّ العربيِّ ألفاً، والخطُّ العربيُّ اخْتُرِعَ قريباً من نزولِ القرآنِ، وقد بقيَ من ذلكَ الألف أثرٌ في الطباع، فكتبوا الهمزةَ ألفاً، وفتحتَها ألفاً أخرى؛ نحو: (لاأَذْبَحَنَّهُ).

﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ أي: يطلبون لكم ما تُفْتَنون به(٢).

﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ أي: مطيعون، أو متجسِّسون.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيعلمُ ضمائرَهم.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسُنِ الناسِ: للحيطانِ آذانٌ.

---

(١) انظر: «كتاب المصاحف» لابن أبي داود (١/ ٤٣٤).

(٢) «به» ساقطة من «ش».

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبلِ غزوةِ تبوكَ وهيَ: تفريقُ شملِكَ بتخذيلِ الناسِ، وردِّهِم إلى الكفرِ.

﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: دبَّرُوا لكَ الحيلَ.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ النصرُ.

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ دينُه ﴿وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ أي: على رغمٍ منهم.

***

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ونزل في الجدِّ بنِ قيسٍ المنافقِ حينَ قالَ له النبيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الأَصْفَرِ؟»، فقالَ: إني مُغْرَمٌ بالنساءِ، وأخشى أني إن رأيتُ بناتِ الأصفرِ ألاَّ أصبرَ عنهن، فَأْذَنْ لي بالقعودِ، وأُعينكُ بمالي، ولم تكنْ له علةٌ إلا النفاق، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ، وقال: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ» فأنزلَ اللهُ عز وجل:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾[1] في التخلُّفِ عن الجهادِ.

﴿وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ تُوقِعْني في الإثمِ.

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٠٩)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢١٣).

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ أي: في الإثم وقعوا بنفاقِهم وخلافِهم أمرَ اللهِ ورسولِه.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جامعةٌ لهم فيها.

***

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ نصرٌ وغنيمةٌ في بعضِ الغزوات ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تُحْزِنْهم.

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدةٌ وهزيمةٌ في بعضِها.

﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بالحزمِ والاحتياطِ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ هذهِ المصيبة.

﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ يُدْبِروا ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ مسرورونَ بمُصابِ النبيِّ ﷺ بأُحُدٍ.

***

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿قُل﴾ لهم يا محمدُ: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ﴾ لن يصلَ إلينا.

﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إلا ما اختصَّنا اللهُ به مما كُتِبَ علينا في اللوحِ المحفوظِ.

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ متولِّي أمرِنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لأن حقَّهم ألاَّ يتوكلوا على غيره.

* * *

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ تنتظرونَ ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنيةُ الحسنى، إما النصرُ، أو الشهادةُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (هَل تَّرَبَّصُونَ) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار(١).

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءتين، إما ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ هو الصواعقُ والموتُ ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ كقتلِنا إياكم إنْ أظهرتُمْ ما في قلوبكم.

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ بمواعيدِ الشيطانِ.

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ بمواعيدِ الرحمنِ بالنصرِ عليكم.

* * *

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٤٠٣)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤).

[٥٣] ونزل في الجدِّ بنِ قيسٍ حينَ استأذنَ في القعودِ وقالَ: أُعينُكم بمالي: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ﴾ في طاعةِ اللهِ تعالى.

﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ أمرٌ بمعنَى الخبرِ؛ أي: إن أنفقتُم طوعاً أو كرهاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (كُرْهاً) بضمِّ الكاف، والباقون: بالفتح[1].

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ﴾ أي: لأنكم.

﴿كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ تعليلٌ به على سبيلِ الاستئنافِ، وما بعدَه بيانٌ وتقريرٌ له.

***

﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾.

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يُقْبَلَ) بالتذكير؛ لتقديم الفعل، والباقون: بالتأنيث[2] ﴿نَفَقَٰتُهُمۡ﴾ صدقاتُهم، المعنى: وما منعَ قبولَ صدقاتِهم.

﴿إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إذا اضطُرُّوا إلى إتيانِها.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥).

﴿ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون؛ لأنهم لا يرجونَ بها ثواباً، ولا يخافون على تركِها عقاباً.

﴿ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ لأنهم يعدُّونَها مغرماً، ومنعَها مغنماً.

***

﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ أصلُ الإعجابِ: السرورُ بالشيءِ سرورَ متعجِّبٍ من حسنِه، راضٍ به؛ أي: لا تَمِلْ إليهم، ولا تَحْسُنْ في عينيكَ.

﴿ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ﴾ فإن ذلكَ استدراجٌ ووبالٌ لهم؛ كما قال:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بسببِ ما يكابِدون لجمعِها وحفظِها من المتاعبِ، وما يجدون فيها من الشدائدِ والمصائبِ.

﴿ وَتَزْهَقَ﴾ تخرجَ ﴿ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: يموتون على الكفر.

***

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ على دينِكم.

﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفرِ قلوبِهم.

﴿ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يفزعون أن تفعلوا بهم ما تفعلونَ بالمشركين.

***

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ مكاناً يتحصَّنونَ فيه.

﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ وهي الغارُ يَغورون فيه.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ سَرَباً تحتَ الأرضِ يدخلون فيه. قرأ يعقوبُ: (مَدْخَلاً) بفتح الميم وإسكان الدال المخففة، والباقون: بضمِّ الميم وفتحِ الدال مشدَّدَةً[1].

﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾ إليه هَرَباً منكم.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يُسرعون في إباءٍ، ومنهُ الفرسُ الجموحُ.

* * *

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ يَعيبُك في قِسمَتِها. قرأ يعقوبُ: (يَلْمُزُكَ) بضم الميم، والباقون: بكسرها، وروي عن ابنِ كثيرٍ: (يلامِزُكَ)[2].

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧).

﴿ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ نزلتْ في ذي الخُوَيْصِرَةِ التميميِّ، واسمُه حرقوصُ بنُ زهير أصلُ الخوارج، كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقسمُ غنائمَ حُنين، فاستعطفَ قلوبَ أهلِ مكَّةَ بتوفيرِ الغنائمِ عليهم، فقال: اعدلْ يا رسولَ الله، فقال: «وَيْلَكَ! إنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ؟!»[1] و[2] قيل: نزلتْ في أبي الجواظِ المنافقِ، قال: ألا ترونَ إلى صاحبِكم، إنما لقيتُم صدقاتِكم في رُعاةِ الغنمِ، ويزعمُ أنه يعدلُ[3]، (وإذا) للمفاجأةِ جُعِلَتْ جواباً للشرط، وهي هنا ظرفُ مكانٍ، التقديرُ: إن لم يُعْطَوا، فاجؤوا السَّخط.

***

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ما أعطاهم الرسولُ من الغنيمةِ والصدقةِ، وذكرُ اللهِ للتعظيم.

﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ كفانا فضلُه.

﴿ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ صدقةً أو غنيمةً أخرى.

﴿ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ فيؤتينا أكثرَ مما آتانا.

---

(١) رواه البخاري (٣٤١٤)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ومسلم (١٠٦٤)، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ن»: «أو».

(٣) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٧٨ ـ ٧٩): غريب.

﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ في أن يوسِّعَ علينا من فضلِه، وجوابُ (لو) محذوفٌ، تقديره: لكانَ خيراً لهم.

***

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ثم بَيَّنَ اللهُ مصارِفَ الصدقات، رُوِيَ عن زيادِ بنِ الحارثِ الصُّدائيُّ قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فبايعتُه، فأتاه رجل فقال: أَعْطِني من الصدقةِ، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ[1] لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ نَبِيٍّ، وَلاَ غَيْرِهِ فِي الصَّدَقَاتِ حَتَّى حَكَمَ فِيهَا، فَجَزَّأَهَا ثَمَانِيَةَ أَجْزَاءٍ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِلْكَ الأَجْزَاءِ، أَعْطَيْتُكَ حَقَّكَ»[2].

قال الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ﴾ أي: الزكوات، و(إنما) للحصرِ تُثْبِتُ المذكورَ، وتَنْفي ما عداه.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ مذهبُ أبي حنيفةَ ومالكٍ: الفقيرُ: مَنْ له بعضُ ما يكفيهِ، والمسكينُ: مَنْ لا شيءَ لهُ، فالفقيرُ عندَهما أحسنُ حالاً من المسكينِ، ومذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ بعكسِه، وأبو حنيفةَ يمنعُ من الصدقةِ مَنْ يملكُ نِصاباً، فإذا لمن يملكْه، جازَ أن يُعطى نصاباً وأكثرَ، ومالكٌ

---

(١) «إن الله» ليست في «ن».

(٢) رواه أبو داود (١٦٣٠)، كتاب: الزكاة، باب: من يعطى من الصدقة، وحد الغني.

يُجَوِّزُ دفعَها لمن له نصابٌ لا كفايةَ له فيه، فَيُعطى نِصاباً وما فوقَه، وعندَ الشافعيِّ وأحمدَ: مَنْ ملكَ ما لا يقومُ بكفايتِهِ مُطْلقاً، فليس بغنيٍّ، فيعطى الفقيرُ والمسكينُ عندَ الشافعيِّ كفايةَ العمرِ الغالبِ، فيشتري بهِ عقاراً يستغلُّه، وعندَ أحمدَ: يُعطى لهما ولعائلتِهما تمامُ كفايتِهم سنةً.

﴿وَٱلۡعَـٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ هم الجباةُ لها ومُفَرِّقوها، يعطَون على قدرِ عَمالتِهم معَ غِناهم بالاتفاقِ.

﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ وهمْ من يُتَأَلَّفُ قلبُه ليخلصَ إيمانه، أو يُرجى بعطيتهِ إسلامُ نظيرِه، أو جبايةُ الزكاةِ ممن لا يُعطيها، أو الدفعُ عن المسلمين، أو من يُتَّقى شرُّه من الكفار، أو يُرْجى إسلامُه. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (وَالْمُوَلَّفَةِ) بفتح الواو بغير همزٍ، والباقون: بالهمز، وحكمُهم غيرُ منسوخٍ، وسهمُهم ثابتٌ عندَ أحمدَ، وعندَ الشافعيِّ أَن حكمَ المؤلفةِ من المسلمينَ باقٍ، وأَن الكافرَ لا يُعطى تألفاً بحالٍ، وعندَ أبي حنيفةَ ومالكٍ حكمُهم منسوخٌ، وسهمُهم ساقطٌ، إلا أن مالكاً قال: إنِ احتيجَ إليهم، جازَ الدفعُ لهم.

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ هم المكاتبُون، يُعْطَون منها عندَ أبي حنيفة ما يُعانونَ به في فَكِّ رقبتِهم، وعندَ الشافعي قدرَ دَيْنهم، وقالَ مالكٌ: لا يُعطى المكاتَبون، وإنما يشتري الإمامُ رقاباً ويعتقُهم، والولاءُ للمسلمين بشرطِ الإسلامِ على المشهور، وقال أحمد بجوازِ الأمرين، ووافق الشافعيَّ في إعطائِهم قدرَ دَيْنهم، وقال أيضاً: يجوزُ أن يَفْديَ بها أسيراً مسلماً، ورُوي مثلُه عن مالكٍ، والمشهورُ عنه خلافُه.

﴿وَٱلۡغَـٰرِمِينَ﴾ هُم الذين عَلَتْهم الديونُ لغيرِ معصيةٍ، فمن غرمَ لإصلاحِ

نفسِه في مُباحٍ، أُعطي إذا لم يكنْ له من المالِ ما يفي بدينِه بالاتفاق، وإن غرمَ لإصلاحِ ذاتِ البَيْنِ، أُعطي مع غِناهُ عندَ الشافعيِّ وأحمدَ، خلافاً لأبي حنيفةَ ومالكٍ فإنهما يشترطانِ أن يكونَ فقيراً.

﴿ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ همُ الغزاةُ الذين لا ديوانَ لهم، فَيُعْطَون مع غناهم عندَ الثلاثة، وقال أبو حنيفةَ: هو مخصوصٌ بالفقير منهم، وقال أحمدُ: الحجُّ من سبيلِ اللهِ، فيُعطى الفقيرُ ما يحجُّ به الفرضَ، أو يستعينُ به فيه، وافقه محمدُ بنُ الحسنِ، وخالفَ أبو يوسف.

﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو المسافرُ المنقطعُ دونَ بلدِه، فَيُعطى ما يقطعُ به سفرَهُ عندَ الثلاثة، وعندَ الشافعي لا فرقَ بينَ مُنْشِيء السفرِ والمجتازِ إذا لم يكنْ معه ما يحتاجُ إليه في سفره، ويُشترط في السفر أن يكونَ مباحاً عندَ الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة.

﴿ فَرِيضَةً﴾ أي: واجبةً.

﴿ مِنَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ أي: فرضَ الصدقاتِ فريضةً.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يضعُ الأشياءَ في مواضِعها.

واختلفَ الأئمةُ في جوازِ صرفِها إلى بعضِ الأصنافِ الثمانيةِ، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يجوزُ صرفُها إلى صنفٍ واحدٍ، وقال الشافعيُّ: لا يجوزُ صرفُها إلى بعضِهم معَ وجودِ سائرِهم، وقال مالكٌ: يُتَحَرَّى في موضعِ الحاجةِ منهم، ويُقَدَّمُ الأَوْلى فالأولى من أهل الخُلَّةِ والحاجةِ، ومعنى الخلةِ: الفقيرُ.

واتفقَ الأئمةُ رضي الله عنهم على وجوبِ الزكاةِ في أربعةِ أصنافٍ من المالِ: السائمةُ من بهيمةِ الأنعام، وهي التي تَرْعى في أكثرِ الحولِ،

والخارجُ من الأرض، والنقدُ، وعروضُ التجارة.

ولا تجبُ إلا بشروطٍ خمسة: الإسلام، والحرية، وملك النصاب، وتمام الملك، فلا تجبُ على مكاتَبٍ، ومضيُّ الحولِ إلا في الخارجِ من الأرضِ، وتقدَّمَ الكلامُ عليه في سورةِ الأنعام عندَ تفسيرِ قولِه: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الآية: ١٤١] وهل يُشترَطُ البلوغُ والعقلُ؟ قال الثلاثةُ: لا يُشترط، بل تجبُ في مالِ الصبيِّ والمجنونِ، وقال أبو حنيفة: يُشترط، فلا تجبُ عليهما.

والزكاةُ في اللغة: الزيادةُ، يقال: زكا المالُ: إذا نما وزادَ، وفي الشرعِ: حَقٌّ واجبٌ في مالٍ خاصٍّ لطائفةٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ.

ولا يجوزُ أداؤُها إلا بالنية بالاتفاق.

ويجوز تعجيلُها عندَ أبي حنيفةَ لسنةٍ أو أكثرَ، وعندَ الشافعيِّ لحولٍ واحدٍ، وعندَ أحمدَ لحولينِ، وقال مالكٌ: لا يجوزُ إخراجُ الزكاةِ قبلَ وجوبها.

واتفقوا على أن نصابَ الإبلِ خمسٌ، ففي كُلِّ خمسٍ شاةٌ إلى أربعٍ وعشرينَ، وفي خمسٍ وعشرينَ بنتُ مخاضٍ لها سنةٌ، ثم في سِتٍّ وثلاثينَ بنتُ لَبونٍ لها سنتان، ثم في سِتٍّ وأربعينَ حُقَّةٌ لها ثلاثُ سنينَ، ثم في إحدى وستينَ جَذَعَةٌ لها أربعُ سنين، ثم في سِتٍّ وسبعينَ بِنْتا لَبون، ثم في إحدى وتسعين حُقَّتانِ إلى مئةٍ وعشرين، فإن زادتْ واحدةً، فقال أبو حنيفة: يستأنفُ الفريضةَ، ففي كلِّ خمسٍ شاةٌ كالأول إلى مئةٍ وخمسٍ وأربعين، ففيها حُقَّتان وبنتُ مخاضٍ إلى مئةٍ وخمسين، ففيها ثلاثُ حقاقٍ، ثم في الخمسِ شاةٌ كالأولى إلى مئةٍ وخمسٍ وسبعين، ففيها ثلاثُ حقاقٍ،

وبنتُ مخاضٍ، وفي مئةٍ وسِتٍّ وثمانين ثلاثُ حقاقٍ وبنتُ لبون، في كلِّ أربعينَ بنتُ لَبون، وفي كلِّ خمسين حقةٌ، وعن مالكٍ إذا زادت واحدةً، روايتان: أشهرُهما أن الساعيَ بالخِيار بينَ حُقَّتين أو ثلاثِ بناتِ لبون. وفي مئةٍ وستٍّ وتسعينَ أربعُ حقاقٍ إلى مئتين، ثم تستأنف أبداً كما استأنفتَ بعدَ المئةِ وخمسين، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: إن الزيادةَ الواحدةَ تغير الفرضَ، فيكونُ في مئةٍ وإحدى وعشرين ثلاثُ بناتِ لبون، ثم في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، وعن مالك إذا زادت واحدة روايتان؛ أشهرهما أن الساعي بالخيار بين حقتين أو ثلاث بنات لبون. والروايةُ الأخرى: ليس فيها إلا حُقَّتانِ حتى تبلغَ ثلاثينَ ومئةً، فإذا صارتْ كذلك، أُخِذَ من كلِّ خمسينَ حقةٌ، ومن كل ثمانين بنتا لبون.

واتفقوا على أن نصابَ البقرِ ثلاثون، ففيها تَبيعٌ أو تَبيعةٌ، وهي التي لها سنةٌ عندَ الثلاثةِ، وعندَ مالكٍ التي لها سنتانِ، وفي الأربعينَ مُسِنَّةٌ، وهي التي لها سنتانِ عندَ الثلاثةِ، وعندَ مالكٍ التي لها أربعُ سنينَ إلى تسعٍ وخمسينَ، فإذا بلغتْ ستين، ففيها تَبيعان إلى تسعٍ وستين، فإذا بلغتْ سبعين، ففيها تبيعٌ ومسنةٌ، فإذا بلغت ثمانين، ففيها مُسِنَّتانِ، وفي تسعينَ ثلاثةُ أتبعةٍ، وفي مئةٍ تبيعانِ ومسنةٌ، وعلى هذا أبداً يعتبر الفرضُ، ففي كلِّ ثلاثين تبيعٌ، وفي كل أربعين مسنَّةٌ.

والجواميسُ نوعٌ منه بالاتفاق. واتفقوا على أن نصابَ الغنمِ أربعونَ، وفيها شاةٌ إلى مئةٍ وعشرين، فإذا زادت واحدةً، ففيها شاتان، ثم في مئتين وواحدةٍ ثلاثُ شياه إلى أربعِ مئةٍ ففيها أربعُ شياهٍ، ثم في كل مئةٍ شاةٌ.

والمعزُ والضأنُ سواءُ بالاتفاق.

واختلفوا فيما يؤخذ من الزكاة، فقال أبو حنيفةَ: أدنى ما تتعلَّقُ به الزكاةُ

ويؤخَذُ في الصدقة الثَّنِيُّ، وهو ما تَمَّتْ له السنةُ، ولا يجزىءُ الجَذَعُ، وهو عندَه الذي أتى عليه أكثرُ السنةِ، وقالَ الثلاثةُ: يؤخذُ الجذعُ من الضأنِ، وهو ما لَهُ سنةٌ عندَ مالكٍ والشافعيِّ، وستةُ أشهرٍ عندَ أحمدَ، والثنيُّ من المعزِ، وهو ما له ثلاثُ سنينَ عندَ مالكٍ، وسنتانِ عندَ الشافعيِّ، وسنةٌ عندَ أحمدَ.

واختلِفَوا في الخيلِ إذا لم تكنْ معدَّةً للتجارةِ، فقالَ الثلاثة: لا زكاةَ فيها، وقال أبو حنيفةَ: فيها الزكاةُ إن كانتْ سائمةً ذكوراً وإناثاً، أو إناثاً، فإن شاءَ أعطى عن كل فرسٍ ديناراً، وإن شاءَ قَوَّمها وأعطى عن كلِّ مئتي درهمٍ خمسةَ دراهمَ، وخالفه صاحباه، فوافقا الجماعةَ.

واختلفوا فيما إذا كانتِ الغنمُ ذُكوراً، أو إناثاً، أو من الصنفينِ، فقال أبو حنيفةَ: يجزىء أخذُ الذكرِ من كلٍّ، وقالَ الثلاثةُ: إن كانتْ كلُّها ذكوراً، أجزأَ الذكرُ، وإن كانتْ إناثاً، أو من الصنفين، فلا يجزىء فيها إلا الأنثى.

واتفقوا على أن نصابَ الفضةِ مئتا درهمٍ، وأما نصابُ الذهبِ، فقال مالكٌ: هو عشرون ديناراً، وقال الثلاثةُ: هو عشرون مثقالاً، فإذا حالَ الحولُ، ففي كلٍّ منهما ربعُ العشرِ بالاتفاق. واختلفوا[1] في الحليِّ المباحِ مما يُلْبَسُ ويُعار، فقال أبو حنيفة: فيه الزكاةُ، وقال الثلاثة: لا زكاةَ فيه، وأما المحرَّمُ والمعدُّ للتجارةِ، ففيهما الزكاةُ بغير خلافٍ.

واختلفوا في زكاةِ المعدنِ، فقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: تجبُ في كلِّ ما يُستخرَجُ من الأرض من ذهبٍ وفضةٍ وحديدٍ ونحوِها، واختلفا، فقال أبو حنيفةَ: لا يُعتبر فيه النصابُ، بل يجبُ في قليلِه وكثيرِه الخمسُ، وهو فيءٌ، والباقي لمستخرجِه، وقال أحمدُ: يعتبر النصابُ، وفيه ربعُ العشر

---

(١) في «ش»: «اتفقوا»، وهو خطأ.

زكاةً في الحال، وقال مالكٌ والشافعيُّ: لا يتعلَّق بشيء[1] إلا بالذهبِ والفضةِ، ووافقا أحمدَ في اعتبارِ النصابِ ووجوبِ ربعِ العشرِ زكاةً في الحال.

ولا زكاةَ فيما يخرجُ من البحرِ من اللؤلؤ والمرجانِ بالاتفاق.

واختلفوا في الرِّكازِ، وهو دفنُ الجاهليةِ، فقال الثلاثةُ: فيه الخمسُ في الحال، قلَّ أو كثرَ من أيِّ نوعِ كان، والواجدُ كالغانمِ له أربعةُ أخماسٍ، ومصرفُه مصرفُ الفيء، وقال الشافعيُّ: شرطُه النصابُ والنقدُ، لا الحولُ، وفيه الخمسُ يصرَفُ مصرفَ الزكاةِ.

واتفقوا على وجوبِ الزكاة في عُروضِ التجارة إذا بلغَتْ قيمتُها نصاباً من الذهبِ أو[2] الوَرِقِ ففيها ربعُ العشر.

ثم اختلفوا في استقرارِ وجوبِها بالحولِ، فقال الثلاثةُ: إذا حالَ عليها الحولُ، قَوَّمَها، فإذا بلغتْ نِصاباً، زَكَّاها، وقال مالكٌ: لا تجبُ الزكاةُ حتى يبيعَ، فإنْ أقامَ أحوالاً، فلا شيءَ عليه مادامَ عرضاً، ولا تُقَوَّمُ في كلِّ سنة، فإذا باعَ، زكَّى لسنةٍ واحدةٍ.

واتفقوا على وجوبِ زكاةِ الفطرِ على الأحرارِ المسلمينَ، وتلزمُ عندَ الثلاثة مَنْ ملكَ فاضلاً عن قوتِه وقوتِ عياله يومَ العيدِ وليلَتَه ما يُخرجُه فيها، وقال أبو حنيفة: لا تجبُ إلا على من ملكَ نصاباً، ووقتُ وجوبِها عندَ أبي حنيفةَ طلوعُ الفجرِ يومَ الفطرِ، وعندَ الثلاثةِ غروبُ الشمسِ ليلةَ الفطرِ، ويجوزُ تعجيلُها عند أبي حنيفةَ قبلَ رمضانَ، وعنه خلافٌ، وعندَ

---

(١) «بشيء» زيادة من «ش».

(٢) في «ش»: «و».

مالكٍ وأحمدَ يجوزُ تعجيلُها قبلَ العيدِ بيومٍ ويومينِ، وعندَ الشافعيِّ من أولِ الشهرِ، ويُستحبُّ إخراجُها يومَ الفطرِ قبلَ الخروجِ إلى المصلَّى بالاتفاق.

واتفقوا على جوازِ إخراجِها من خمسةِ أصنافٍ: البُرِّ، والشعيرِ، والتمرِ، والزبيبِ، والأَقِطِ، وقال أبو حنيفةَ وأحمدُ: يجزىءُ الدقيقُ والسَّويقُ أيضاً، وقال مالكٌ: يجوزُ إخراجُها من الحَبِّ من سائرِ الأقواتِ؛ كالأرزِّ، والذرةِ، والدخنِ.

واتفقوا على أن الواجبَ صاعٌ من كلِّ جنسٍ، سوى أبي حنيفةَ؛ فإنَّه قالَ: يجزىء من البُرِّ خاصَّةً نصفُ صاعٍ.

واختلفوا في قدرِ الصاعِ، فقال أبو حنيفة: ثمانيةُ أرطالٍ بالعراقيِّ، وقال الثلاثةُ وأبو يوسفَ: خمسةُ أرطالٍ وثلثٌ بالعراقيِّ، وهو أربعةُ أرطالٍ وخمسةُ أسباعِ رطلٍ وثلثُ سُبْعِ رطلٍ مصريٍّ، ورطلٌ وسبعُ رطلٍ دمشقيٍّ، وإحدى عشرةَ أوقيةً وثلاثةُ أسباعِ أوقيةٍ حلبيةٍ، وعشرُ أواقٍ وسُبْعا أوقيةٍ قدسيةٍ، وستُّ مئةٍ وخمسةٌ وثمانونَ درهماً، وخمسةُ أسباعِ درهمٍ، وأربعُ مئةٍ وثمانون مثقالاً.

وتقدَّمَ ذكرُ المدِّ مستوفًى في سورةِ المائدةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ [الآية: ٨٩].

واختلفوا في جوازِ إخراجِ القيمة، فقالَ أبو حنيفةَ: يجوزُ، وخالفَهُ الثلاثةُ.

واختلفوا في الأفضلِ، فقال مالكٌ وأحمدُ: التمرُ أفضلُ، ثم الزبيبُ، وقال الشافعيُّ: البُرُّ أفضلُ، وقالَ أبو حنيفةَ: أفضلُ ذلك أكثرُه نماءً، والله أعلم.

* * *

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ونزل فيمن كان يؤذي النَّبي ﷺ من المنافقين، ويقولُ: نأتيه ونُنْكِر ما قلنا، ونحلفُ فيصدِّقُنا؛ فإنَّهُ أُذُنٌ.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾(١) أي: يسمعُ كلَّ ما قيلَ له ويقبلُه.

﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ أي: إذا كان كما تقولون، فهو خيرٌ لكم. قرأ نافعٌ: (أُذْنٌ) بإسكان الذال فيهما، والباقون: بالرفع(٢).

﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يصدِّقهم، إلا المنافقين.

﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ قرأ حمزةُ: (وَرَحْمَةٍ) بالخفض على معنى (أُذُنِ) خيرٍ و(رحمةٍ)، والباقون: بالرفع؛ أي: هو أذنُ خيرٍ، وهو رحمةٌ(٣).

﴿ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ لأنه كان هو سببَ إيمانهم ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩).

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

[٦٢] ونزلَ فيمن تخلَّف عن غزوةِ تبوكَ واعتذرَ ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ ولما كان رضا الله تعالى رضا نبيه، وبالعكسِ، وَحَّدَ الضمير في (أَنْ يُرْضُوهُ).

﴿ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ صدقاً.

* * *

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

[٦٣] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ يُعاديهما.

﴿ فَأَنَّ لَهُۥ ﴾ فتحاً خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: فجزاؤه أنَّ له.

﴿ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي: الفضيحةُ العظيمةُ.

* * *

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[٦٤] ثم خبَّرَ بحالِ المنافقين فقالَ: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ أي: يخشون.

﴿ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على المؤمنينَ ﴿ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم ﴾ أي: تنبىءُ المؤمنينَ.

﴿ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾؛ أي: قلوبِ المنافقين، المعنى: المنافقونَ يحذَرون

من نزولِ سورةٍ على المؤمنين تخبرُ بما يُضمرونَ من النفاق، فَيُفْتَضحون، وهم مع ذلكَ يستهزئون.

﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ من إنزالِ السورةِ فيكم. قرأ أبو جعفرٍ: (اسْتَهْزُوا) بضم الزاي بغيرِ همزٍ، وكذلك في (يَسْتَهْزُؤنَ) في الحرف الآتي، والباقون: بالهمزِ فيهما[1].

***

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥)﴾.

[٦٥] وكان جماعةٌ يستهزئون برسولِ الله ﷺ لما كانَ في غزوةِ تبوكَ، فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريدُ أن يفتحَ قصورَ الشامِ وحصونَه، هيهاتَ هيهاتَ! فأخبرَ اللهُ نبيَّهُ، فدعاهم فقال: «قُلْتُمْ كَذَا؟»، فأنكروا واعتذروا، وقالوا: إنما كنا نخوضُ ونلعبُ، فنزلَ:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾[2] في الكلام.

﴿وَنَلْعَبُ﴾ كما يفعلُ الركبُ نقطعُ الطريقَ بالحديثِ واللعِب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ﴾ كتابه.

﴿وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ توبيخاً على استهزائِهم بمن لا يصحُّ الاستهزاءُ به.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠١).

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ﴾ لا تُظهروا عُذْرَكُم ﴿ قَدْ كَفَرْتُم ﴾ باستهزائِكم.

﴿ بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ بعدَ إظهارِكم الإيمانَ.

﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: إن نرحم طائفةً منكُم بتوبتِهم وإخلاصِهم.

﴿ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ مصرين على النفاق. قرأ عاصمٌ: (نَعْفُ) بالنونِ وفتحِها، وضمِّ الفاء (نُعَذِّبْ) بالنون وكسر الذال (طَائِفَةً) نصبٌ، وقرأ الباقون: (يُعْفَ) بالياءِ وضمِّها وفتح الفاء (تُعَذَّبْ) بالتاءِ وفتح الذال (طائفةٌ) رفعٌ على غيرِ تسميةِ الفاعل(١).

* * *

﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ في النفاقِ والدِّين.

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ بالكفرِ والمعصيةِ.

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الإيمانِ والطاعةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٨ـ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠ـ٣١).

﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ ﴾ يُمسِكون عن الصدقاتِ.

﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ تركوا أمرَهُ ﴿ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾ فتركَهم من رحمتِهِ.

﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ الكاملون في التمرد والفسوق.

* * *

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ ﴾ كافِيَتُهم جزاءً على كفرهم.

﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ ﴾ أبعدَهُم من رحمتِهِ.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ دائمٌ لا ينقطعُ.

* * *

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ كَٱلَّذِينَ ﴾ خبرُ مبتدأ؛ أي: أنتمْ مثلُ الذين.

﴿ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ ﴾ أي: انتفعوا بنصِيبِهم من الدنيا باتِّباع الشهواتِ.

﴿ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم ﴾ أيُّها المنافقونَ.

﴿ بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ ﴾ وسلكتم مسلكهم.

﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ في الباطل ﴿ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ أي كما خاضوا.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ لم يستحقُّوا عليها ثواباً.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ الذين خسروا الدارَيْنِ.

* * *

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ ﴾ يعني: المنافقين ﴿ نَبَأُ ﴾ خبرُ.

﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ حينَ عَصَوا رُسُلَنا، وخالفوا أَمْرَنا كيفَ عَذَّبناهم وأَهْلَكْناهم، ثم ذكرَهم فقالَ:

﴿ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أُهلكوا بالطوفانِ ﴿ وَعَادٍ ﴾ أُهلكوا بالريحِ ﴿ وَثَمُودَ ﴾ بالرجفةِ ﴿ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ بسلبِ النعمةِ وهلاكِ نمرودَ.

﴿ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ ﴾ قومِ شعيبٍ أُهلكوا بالنارِ يومَ الظُّلَّةِ.

﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ﴾ مدائنِ قومِ لوطٍ ائتفكت؛ أي: انقلبتْ بهم فصارت عاليَها سافلَها. قرأ قالونُ عن نافعٍ بخلافٍ عنه: (وَالمُوتَفِكَاتِ) بإسكانِ الواوِ بغيرِ همزٍ(١).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠ـ٣٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢).

﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فكذَّبوهم وعَصَوْهُم كما فعلْتُم.

﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ أي: ليهلِكَهم حتى يبعثَ إليهم الأنبياءَ.

﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ حيثُ عرَّضوها للعقابِ بالكفر.

* * *

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾.

[٧١] ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ في الدِّينِ واتفاقِ الكلمةِ.

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بالإيمانِ والطاعةِ.

﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الشركِ والمعصيةِ، والمعروفُ: هو ما عرفَهُ العقلُ والشرعُ بالحُسْنِ، والمنكَرُ: ما أنكَرُه أحدُهما لقبحه، فالأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر فرضُ كفايةٍ باتفاقِ الأئمةِ وإجماعِ الأمة، وهو من أعظمِ قواعدِ الإسلامِ، والنهيُ: هو استدعاءُ تركِ الفعلِ، وهو أمرٌ بضدِّه، وحقيقتهُ للتحريمِ، وحقيقَةُ الأمرِ للإيجابِ والقبولِ.

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضةَ ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ في سائرِ الأمورِ.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ لا محالةَ؛ فإن السينَ مؤكِّدةٌ للوقوع ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ لا يمتنعُ عليهِ ما يريدُه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يضعُ الأشياءَ في محلِّها.

* * *

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ .

[٧٢] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ تستطيبُها النفسُ ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بساتينِ خلدٍ .

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي : شيءٌ من رضا الله ﴿أَكْبَرُ﴾ من ذلكَ كله .

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي : الرضوانُ .

﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وحدَهُ دونَ ما يعدُّهُ الناسُ فوزاً .

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ قال : «يَقُولُ اللهُ عز وجل لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا! وَمَالَنَا لاَ نَرْضَى ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ : أَفَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلَ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً»(١) .

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ .

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيفِ ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجَّةِ .

---

(١) رواه البخاري (٦١٨٣)، كتاب : الرقاق، باب : صفة الجنة والنار، ومسلم (٢٨٢٩)، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب : إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبداً.

﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ في الجهادَين.

﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ ﴾ في الآخرة ﴿ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ مصيرُهم، قال عطاءُ: نسخَتْ هذه الآيةُ كلَّ شيءٍ من العفوِ والصَّفْحِ(١).

***

﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾ روُي أنه عليه السلام أقامَ في غزوةِ تبوكَ شهرين ينزلُ القرآنُ، ويعيبُ المنافقين(٢) المتخلِّفين، فقالَ الجَلاَّسُ بن سُوَيْدٍ: لئنْ كانَ محمدٌ صادِقاً، لنحنُ شَرٌّ من الحميرِ، فبلغَ رسولَ الله ﷺ، فاستحضَرَهُ، فحلفَ بالله ما قالَه، فنزلت، فتابَ الجلاسُ وحَسُنَتْ توبتُه(٣).

﴿ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ سَبُّهم رسولَ اللهِ ﷺ.

﴿ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ ﴾ أظهروا الكفَر بعدَ إظهارِهم الإيمانَ.

﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ ﴾ وهو الفتكُ برسولِ اللهِ ﷺ حينَ وقفوا له بالعقبةِ عندَ عودِهِ من تبوكَ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٠٥).

(٢) «المنافقين» زيادة من «ش».

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٣٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/١٨٢٦).

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ أنكروا وعابوا على المؤمنينَ.

﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ﴾ وذلكَ أنَّ أهلَ المدينةِ كانوا قبلَ قدومِ النبيِّ ﷺ في ضَنْكٍ من العيش، فلما قدم النبيُّ ﷺ استغْنَوا بالغنائمِ، وقيلَ للحسينِ بنِ الفضلِ: هل تجدُ في القرآنِ قولَ الناسِ احذَرْ شَرَّ مَنْ أحسنتَ إليه؟ فقال: نعم، قولهُ تعالى في قصةِ المنافقينَ في التوبة: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ﴾(1).

﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ من كفرِهم ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ﴾ من نفاقِهم وهو الذي حمل الجلاسَ على التوبةِ، فقُتِلَ مولى له، فأمرَ له النبيُّ ﷺ بديتِهِ اثني عشرَ ألفَ درهمٍ، فاستغنى.

﴿وَإِن يَتَوَلَّوْاْ﴾ يُعْرِضوا عن الإيمان.

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالخزيِ ﴿وَٱلْءَاخِرَةِۚ﴾ بالنارِ.

﴿وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فينجيهم من العذابِ.

* * *

﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ﴿۞ وَمِنْهُم﴾ يعني: المنافقين.

﴿مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ ولنؤدِيَنَّ حقَّ اللهِ منه.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ نعملُ بعملِ أهلِ الصلاحِ فيه، نزلَتْ في ثعلبةَ بنِ حاطبٍ الأنصاريِّ، أتى النبيَّ ﷺ وقالَ: ادعُ اللهَ أن يَرْزقني مالاً،

---

(1) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٠٨).

فقال عليه السلام: «قِليلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لاَ تُطِيقُهُ»، فراجعَهُ وقال: والذي بعثَكَ بالحق! لئنْ رزَقني مالاً؛ لأعطينَّ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّهُ، فدعا لهُ فاتخذَ غنماً، فنمَتْ كما ينمى الدودُ، حتى ضاقَتْ بها المدينةُ، فنزلَ وادياً، وانقطعَ عن الجمعةِ والجماعةِ، فسألَ عنه ﷺ، فقيل: كثرَ مالهُ حتى لا يسعُه وادٍ، فقال: «يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ!»، فبعث مُصَدِّقَينِ لأخذِ الصدقاتِ، فاستقبلَهما الناسُ بصدقاتِهم، ومرَّا بثعلبةَ فسألاهُ الصدقةَ، وأقرآه الكتابَ الذي فيه الفرائضُ، فقال: ما هذهِ إلا جزيةٍ، ما هذهِ إلا أختُ الجزيةِ، فارجعا حتى أرى رأيي، فنزلتْ، فجاءَ ثعلبةُ بالصدقةِ فقالَ: «إنَّ اللهَ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ»، فجعلَ يحثو على رأسه الترابَ، فقالَ: «هَذَا عَمَلُكَ؛ فَقَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي»، فَقُبِضَ رسولُ الله ﷺ، فجاءَ بها إلى أبي بكرٍ في خلافتهِ، فلم يقبلْها، ثم جاءَ بها إلى عمرَ في خلافتِه، فلم يقبلْها، ثم جاء بها إلى عثمانَ فلم يقبلْها، وهلك في خلافتِه(١).

***

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ وهم قومٌ عادتُهم الإعراضُ عنها.

***

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٢٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٧)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ ﴾ أي: جعلَ اللهُ عاقبةَ ذلكَ ﴿ نِفَاقًا ﴾ ثابتاً.

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ فلا يؤمنون ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ هو يومُ القيامةِ.

﴿ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾ من التصدُّقِ والصلاحِ.

﴿ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ في يمينِهم.

قالَ ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(١).

* * *

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ﴾ ما أَسروه في أنفسهم من النفاق.

﴿ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾ حديثَهم فيما كان بينَهم.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ فلا يخفى عليه ذلك. قرأ حمزةُ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (الْغِيُوبِ) بكسر الغين، والباقون: بالضم(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٣)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، ومسلم (٥٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣).

﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ﴾ قرأ يعقوبُ: (يَلْمُزُونَ) بضمِّ الميم، والباقون: بالكسر[(١)]؛ أي: يَعيبون ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ المتبرِّعين.

﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ والمرادُ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ، تصدَّقَ بأربعةِ آلافِ درهمٍ، وكانَ مالهُ ثمانيةَ آلافٍ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أَعْطَيْتَ وَفِيمَا أَمْسَكْتَ»، فباركَ اللهُ له، حتى أنه خلفَ امرأتينِ يومَ ماتَ، فبلغ ثُمْنُ مالِه لهما مئةً وستينَ ألفاً، وتصدَّقَ عاصمُ بنُ عديٍّ بمئةِ وسقِ تمرٍ، وجاء أبو عقيلٍ الأنصاريُّ بصاعِ تمرٍ، فقالَ: يا رسولَ الله! بتُّ ليلتي أجرُّ بالجريدِ الماءَ حتى نلتُ صاعَيْنِ، فتركْتُ صاعاً لعيالي، وجئتُ بصاعٍ، فأمرَهُ رسولُ الله ﷺ أن ينثُرَهُ على الصدقاتِ، فلمزَهم المنافقونَ وقالوا: ما أَعْطَى عبدُ الرحمنِ وعاصمٌ إلا رياءً، وإن اللهَ ورسولَه لَغَنِيَّانِ عن صاعِ أبي عقيلٍ، ولكنه أحبَّ أن يذكِّرَ بنفسه ليُعطى من الصدقاتِ، فنزلَتْ:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴾[(٢)] بضمِّ الجيم: طاقَتهم، وبالفتح:

---

(١) انظر: القراءة عند تفسير الآية (٥٨) من هذه السورة.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٠٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٨٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٤٩).

المشقةَ، والتلاوةُ بالأول، والمرادُ بالمطَّوعين: عبدُ الرحمنِ وعاصمٌ، والذين لا يجدون إلا جهدَهم: أبو عقيلٍ.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ يستهزئون بهم.

﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهُم على سُخريتِهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على كفرهم.

***

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لفظهُ أمرٌ، ومعناهُ خبرٌ، تقديُره: استغفرْتَ لهم أم لم تستغفر لهم لنْ يغفرَ اللهُ لهم.

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ وذكرَ عدَد السبعين قَطْعاً لأطماعِهم عن المغفرةِ على عادةِ العربِ، لأنها عندَهم مَثَلٌ لغايةِ الاستقصاء في العدد، فلما نزلَتْ، قالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قد رَخَّصَ لِي، فَلأَزِيدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ»، فأنزل الله على رسوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾(١).

---

(١) رواه البخاري (٤٣٩٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ومسلم (٢٤٠٠)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ المتمرِّدينَ في كفرهم.

* * *

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ المتروكون عن غزوةِ تبوكَ.

﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ بقعودِهم ﴿ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من بعدِه.

﴿ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وكراهتُهم لما ذكر هي شحٌّ؛ إذ لا يؤمنونَ بالثوابِ في سبيلِ الله.

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ أي: الجهاد؛ لأن غزوةَ تبوكَ كانت في أشدِّ الحرِّ.

﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ من غزوة تبوكَ ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ أي: يعلمون، وكذلك هو في مصحفِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ.

* * *

﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ثم قالَ تهديداً بصيغةِ الأمر: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ ﴾ في الدنيا ﴿ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ ﴾ في الآخرة.

﴿ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ نصٌّ في أنَّ التكسُّبَ هو الذي يتعلَّقُ به الثوابُ والعقاب.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾ رَدَّكَ يا محمدُ من غزوتك هذهِ.

﴿ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: من المخلَّفين، وإنما قال: طائفةٍ منهم؛ لأنه ليس كلُّ من تخلَّف عن غزوةِ تبوكَ كانَ منافقاً.

﴿ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ﴾ معكَ إلى غزوةٍ أخرى.

﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا ﴾ في سَفْرَةٍ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَعِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها(١).

﴿ وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ ﴾ قراءةُ العامةِ: (معي) بإسكانِ الياءِ في هذا الحرف، وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: بفتح الياء(٢).

﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ في غزوةِ تبوكَ ﴿ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ أي: المتخلفين من النساءِ والصبيانِ وأهلِ الأعذار.

***

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٣).

(٢) المصادر السابقة.

[٨٤] ولما حضرَ عبدَ اللهِ بنَ أُبَيَّ ابنَ سلولَ المنافقَ الموتُ، بعثَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فدخلَ عليه، فقال: «أَهْلَكَكَ حُبُّ اليهود»، فقالَ: لم أبعثْ إليكَ لتؤنِّبني، بلْ لتستغفرَ لي، وطلبَ منه أن يُكَفِّنَهُ بثوبهِ الذي يلي جسدَه، فكَفَّنه ﷺ دفعاً لِمِنَّتِهِ؛ لأنه كانَ قد كسا العباسَ لما أُسِرَ يومَ بدرٍ قَميصاً؛ لأنه لم يكنْ بقدرِه قميصٌ سِوى ثوبِ ابنِ أُبَيٍّ، وصلَّى عليه، فَكُلِّمَ ﷺ في ذلك، فقالَ: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي وَصَلاَتي مِنَ اللهِ؟ وَاللهِ إِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ بِهِ أَلْفُ رَجُلٍ لِمَا يَرَوْنَ مِن تَبَرُّكِهِ»، فَرُوِي أنه أسلمَ ألفٌ من قومِه لما رأوه يتبرَّكُ بقميصِ النبيِّ ﷺ، فنزلَ:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾(١) لا تقفْ عليهِ للدفن، و(مَاتَ) ماضياً معناه الاستقبالُ؛ لأنه كائنٌ لا محالةَ.

﴿ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ فما صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ بعدَها على منافقٍ، ولا قامَ على قبرِهِ حتى قُبِضَ.

* * *

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (٨٥) ﴾.

[٨٥] ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ: أُمَّتُهُ، إذ هو بإجماعٍ مِمَّنْ لا تفتنهُ زخارفُ الدنيا، ووجهُ تكريرِها تأكيدُ هذا المعنى، وأيضاً لأنَّ الناسَ كانوا يُفتنون بصلاحِ حالِ المنافقين في دنياهم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٩٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٥٩).

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ ﴾ ذو الغِنى والسَّعة ﴿ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ الزَّمْنى وأهلِ العذرِ.

***

﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ ﴾ النساءِ، جمعُ خالفةٍ.

﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴾ ما في الجهادِ وموافقةِ الرسولِ من السعادة، وما في التخلُّف عنه من الشقاوة.

***

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ ﴾ أي: إن تخلَّفَ هؤلاء ولم يجاهدوا، فقد جاهدَ مَنْ هو خيرٌ منهم.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ ﴾ منافعُ الدارينِ: الغنيمةُ(١) في الدنيا، والجنةُ في الآخرةِ.

---

(١) في «ت»: «القيمة».

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالمطالبِ.

***

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بيانٌ لما لهم من الخيراتِ الأُخرويَّةِ.

***

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ قراءة العامة: بفتح العين وتشديدِ الذال؛ أي: الآتونَ بصورةِ العذرِ ولا عذرَ لهم، وقرأ يعقوبُ: بإسكان العين وتخفيف الذال؛ يعني: الذين أتوا بالعذر، وبالغوا فيه[1]، وهم قوم ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ استأذنوا في التخلُّفِ متعذرين بالجهدِ وكثرةِ العيال، قال ابنُ عباسٍ وقومٌ معه منهم مجاهدٌ: كانوا مؤمنين، وكانت أعذارهم صادقةً، وقالَ قَتادةُ وفرقةٌ معه: بل هم قومٌ كفرةٌ، وقولهُم وعذرُهم كذبٌ[2].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٦٠).

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ يعني: المنافقين، كذبوا اللهَ ورسولَه في ادِّعاءِ الإيمان، ولم يجيئوا، ولم يعتذروا.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾ من الأعرابِ.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الدنيا بالقتلِ، وفي الآخرةِ بالنارِ.

***

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٩١﴾.

[٩١] ثم عذرَ الله تعالى ذوي الأعذارِ فقال: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ الهَرْمَى والزَّمْنَى.

﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ لفقرِهم.

﴿حَرَجٌ﴾ إثمٌ ﴿إِذَا نَصَحُواْ﴾ أخلصوا ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ بالإيمانِ والطاعةِ.

﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ في إيمانِهم ﴿مِن سَبِيلٖ﴾ طريقِ عتابٍ ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لهم.

***

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢﴾.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ﴾ معكَ إلى الغزوِ.

﴿ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ المعنى: لا سبيلَ على الأوَّلين، ولا على هؤلاءِ، وهم الذين أتوكَ، وهم سبعةُ نفرٍ سُمُّوا البَكَّائِين: مَعْقِلُ بنُ يَسارٍ، وصخرُ بنُ خنساء، وعبدُ اللهِ بن كعبٍ الأنصاريُّ، وعليَّةُ بنُ زيدٍ الأنصاريُّ، وسالمُ بنُ عُمَيْرٍ، وثعلبةُ بنُ غنمةَ، وعبدُ اللهِ بنُ مُغَفَّلٍ المزنيُّ، أتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللهِ! إنَّ اللهَ قد ندبَنا للخروجِ، فاحملْنا على الخفافِ المرقوعةِ والنعالِ المخصوفة نغزو معكَ، فقالَ: «لا أَجِدُ»، فتولَّوا وهم يَبْكون، فذلك قولُه:

﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ﴾[1] تسيلُ.

﴿ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ في الجهادِ، تلخيصُه: ليسَ إلى عقوبةِ هؤلاءِ سبيلٌ.

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ ﴾ بالمعاتبةِ.

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ﴾ واجِدُونَ الأُهْبَةَ.

﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ النساءِ والصبيانِ.

﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ تقدمَ تفسيرُ نظيرِ هذهِ الآية قريباً.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣١٥).

﴿ ۞ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ ۞ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ في التخلُّفِ.

﴿ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ من هذهِ السَّفْرَةِ.

﴿ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ ﴾ بالمعاذيرِ الكاذبةِ؛ لأنه[1]:

﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ ﴾ لن نصدِّقكم؛ لأنَّه ﴿ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ ﴾ وهو ما في ضميرِكم بالوحيِ إلى نبيِّهِ.

﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أتُنِيبونَ أم تثْبتونَ على كفرِكُم.

﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ المطَّلعِ عليكم.

﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ بالتوبيخِ والعقابِ عليه.

* * *

﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾ إذا انصرَفْتُم من غزوِكم.

---

(١) «لأنه» ساقطة من «ت».

﴿ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ لتصفَحوا، فلا تعاتبوهم.

﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ ولا تُوبِّخوهم.

﴿ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ نجسٌ لا ينفعُ فيهم التأنيبُ.

﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ ﴾ في الآخرةِ ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ فتكفيهم عِتاباً ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

* * *

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] حلفَ عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ ألاَّ يتخلَّفَ عن رسولِ الله ﷺ بعدَ ذلك، وطلبَ أن يرضى عنه، فنزلَ: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ﴾(١) بحلفِهم.

﴿ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي: فإنَّ رضاكم لا يستلزمُ رضا اللهِ، ورضاكم وحدَكُم لا ينفعُهم إذا كانوا في سخطِ الله وبصدَدِ عقابه.

* * *

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ ٱلْأَعْرَابُ ﴾ أهلُ البدو ﴿ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾ من أهل الحضر؛ لتوحُّشِهم، وعدمِ مخالطتِهم لأهلِ العلمِ، وبعدِهم عن سماعِ القرآنِ ومعرفةِ السُّنَن.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٦ـ ٣١٧).

﴿ وَأَجۡدَرُ ﴾ أحقُّ ﴿ أَلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾ من الشرائعِ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما في قلوبِ خلقِه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ بما يصيبُ به مسيئَهم ومحسنَهم عقاباً وثواباً.

وأما إمامةُ الأعرابيِّ للحضريِّين، فهي جائزةٌ بالاتفاقِ إذا أقامَ حدودَ الصلاة، إلا أن أبا حنيفةَ يكرهُ تقديمَهُ على غيره، ومالكٌ يكرَهُ إمامَتَهُ، وإن كانَ أقرأَهم.

واختلفوا في شهادةِ البدويِّ على القَرَويِّ، فقال مالكٌ: لا تُقبل في الحضرِ؛ لما في ذلك من تحقُّقِ التهمةِ، وأجازهَا في السفرِ في المالِ وغيرِه؛ لعدمِ الرِّيبةِ، وقالَ الثلاثةُ: تقبل مطلقاً إذا كانَ عدلاً مَرْضِيّاً.

***

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ ﴾.

[٩٨] ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا ﴾ غرامةً، فلا يرجو على إعطائِه ثواباً، إنما يعطي خوفاً ورياءً.

﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ ﴾ دولَ الزمانِ وما يدورُ من آفاتِه لينقلبَ الأمرُ عليكم، ويظهرَ المشركونَ.

﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ ﴾ عليهم يدورُ البلاءُ والحزنُ، ولا يرونَ في محمدٍ ودينِه إلا ما يسوؤهم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (السُّوءِ) بضمِّ السين؛

يعني: الضررَ والبلاءَ، وقرأ الباقون: بالفتح؛ يعني: الفسادَ[1].

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُضمِرون، نزلَتْ في أعرابِ أسدٍ وغَطَفانَ وتميمٍ.

***

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ثم استثنى فقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ هم بنو مُقَرِّنٍ من مُزينةَ، وغفارٍ وجُهينةَ.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾ جمعُ قُرْبَةٍ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: يطلبُ القربةَ إلى اللهِ.

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أدعيته؛ أي: يرغبونَ في دعاءِ النبيِّ ﷺ.

﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ شهادةٌ من اللهِ لصحَّةِ مُعْتَقَدِهم، وتصديقٌ لرجائِهم. قرأ ورشٌ عن نافعٍ: (قُرُبَةٌ) بضمِّ الراء، والباقون بسكونها[2]، والقربةُ: ما يتقرَّبُ بِهِ العبدُ إلى الله تعالى من صومٍ أو صدقةٍ أو غيرِهما؛ كبناءِ المساجدِ ونحوِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦ـ٣٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٣٧ـ٣٨).

﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ وعدٌ لهم بإحاطةِ الرحمةِ عليهم، والسينُ لتحقيقِه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لتقديرِه.

***

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الذين صَلَّوا إلى القبلتينِ، وهم الذين هَجَروا قومَهم، وفارقوا أوطانَهم.

﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ أهلِ بيعةِ العقبةِ الأولى وكانوا سبعةً، وأهلِ بيعةِ العقبةِ الثانيةِ وكانوا سبعين، والذين آمنوا حينَ قدمَ عليهم أبو زُرارةَ مصعبُ بنُ عُميرٍ يعلِّمُهم القرآنَ، فأسلمَ معه خلقٌ كثيرٌ وجماعةٌ من النساءِ والصِّبيانِ. **قرأ** يعقوبُ: (وَالأَنْصَارُ) برفع[1] الراءِ عطفاً على قولِهِ: (وَالسَّابِقُونَ)[2]، والأنصارُ: همُ الذين نَصَروا رسولَ الله ﷺ على أعدائِه، وآوَوْا أصحابَهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ هم بقيةُ المهاجرينَ والأنصارِ، أو مَن استنَّ بهم إلى يومِ القيامة.

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لطاعتِهم ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ لإفاضتِهِ عليهِمُ الخيرَ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ **قرأ** ابنُ كثير: (مِنْ تَحْتِهَا)

---

(١) في «ش»: «بضم».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨).

بزيادةِ كلمة (مِنْ)، وخفضِ: (تَحْتِهَا)، وكذلكَ هي في المصاحفِ المكية، وقرأ الباقونَ بحذفِ لفظةِ (من)، وكذلك هي في مصاحِفهم، واتفقوا على إثبات (من) قبلَ (تَحْتَهَا) في سائرِ القرآنِ[1]، قال ابنُ الجزريِّ في «النَّشْرِ»: ويحتملُ أنه إنما لم يكتبْ (من) في هذا الموضع؛ لأن المعنى: ينبعُ الماءُ من تحتِ أشجارِها، لا أَنه يأتي من موضِعٍ ويجري تحتِ هذهِ الأشجارِ، فلاختلافِ المعنى خُولف في الخطِّ، وتكون هذه الجناتُ معدَّةً لمن ذُكر تعظيماً لأمرِهم، وتنويهاً بفضلِهم، وإظهاراً لمنزلتهم لمبادرتِهم لتصديقِ هذا النبيِّ الكريمِ عليهِ من اللهِ تعالى أفضلُ الصَّلاةِ وأكملُ التسليمِ، ولمن تبعَهم بالإحسانِ والتكريمِ، والله أعلمُ، انتهى.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ومعنى هذهِ الآيةِ الحكمُ بالرضا عنهم بإدخالِهم الجنةَ، وغفرِ ذنوبِهم، والحكمُ برضاهم عنهُ في شكرِهم وحمدِهم على نعمِه، جعلَنا اللهُ منهم برحمتِه.

واختلفَ في أولِ مَنْ آمنَ برسولِ الله ﷺ بعدَ امرأتِه خديجةَ رضي الله عنها، مع اتفاقِهم على أنها أولُ من آمنَ به، فقيل: عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وهو ابنُ عشرِ سنينَ، وقيلَ: أبو بكرٍ، وقيل: زيدُ بنُ حارثةَ، وكان إِسحقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ يجمعُ بينَ هذهِ الأخبارِ فيقولُ: أولُ مَنْ أسلمَ من الرجالِ أبو بكرٍ الصديقُ، ومن النساءِ خديجةُ، ومن الصبيانِ عليٌّ، ومن العبيدِ زيدُ بنُ حارثةَ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨ـ٣٩).

وأكبرُ التابِعينَ: الفقهاءُ السبعةُ من أهلِ المدينة، وهم: عُبيدُ اللهِ بن عتبةَ بنِ مسعودٍ، وهو ابنُ أخي عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ الصحابيِّ، وعروةُ بنُ الزبيرِ بنِ العوامِ أخو عبدِ الله بنِ الزبيرِ الذي تولَّى الخلافةَ، وقاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصديقِ، وكانَ من أفضلِ أهلِ زمانه، وسعيدُ بنُ المسيِّبِ القرشيُّ، قالَ عنهُ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه: إنه أفضلُ التابعينَ، وسليمانُ بنُ سلمةَ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الحارثِ المخزوميُّ القرشيُّ، وخارجةُ بنُ زيدِ بنِ ثابتٍ الأنصاريُّ، وأبوه زيدُ بنُ ثابتٍ من أكابرِ الصحابةِ، وهؤلاءِ السبعةُ هم الذين انتشرَ عنهمُ الفقهُ والفُتْيا، وقد نظمَ بعضُ الفضلاءِ أسماءهم في بيتٍ واحدٍ فقال:

أَلاَ كُـلُّ مَـنْ لاَ يَقْتَـدِي بِـأَئِمَّـةٍ فَقِسْمَتُهُ ضِيزَى عَنِ الْحَقِّ خَارِجَهْ
فَخُـذْهُـمْ عُبَيْـدُ اللهِ عُـرْوَةُ قَـاسِـمٌ سَعِيدٌ سُلَيْمَانٌ أَبُو بَكْرٍ خَارِجَـهْ

***

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم ﴾ أي: حولَ بلدِكم، وهي المدينةُ ﴿ مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ﴾ وهم مُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ، وأَشْجَعُ وأَسْلَمُ، وَغِفارٌ كانوا نازلينَ حولَ المدينة.

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ قومٌ منافقون ﴿ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ مَرَنوا وتَمَهَّروا فيه، وهم من الأوسِ والخزرجِ ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ أنتَ يا محمدُ.

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ الأُولى: فضيحتُهم في الدنيا؛ لأنه ﷺ قامَ يومَ جمعةٍ خطيباً فقال: «اخْرُجْ يا فُلانُ ويَا فُلانُ؛ فإنَّكَ مُنافِقٌ»، فأخرجَ جماعةً من المسجد[1]، الثانية: عذابُهم في الآخرةِ، وقيل: هما القتلُ وعذابُ القبرِ.

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ بأن يخلَّدوا في جهنمَ.

* * *

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ مبتدأٌ ﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ صفتُه، وخبرُه:

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو إقرارُهم وتوبتُهم.

﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ هو تخلُّفُهم، وضعَ الواوَ موضعَ الباءِ كما يقالُ: خلطتُ الماءَ واللبنَ؛ أي: باللبنِ.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ﴾ يقبلَ توبتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوزُ عن التائب.

* * *

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] فجاؤوا النبيَّ ﷺ وقالوا: خذْ أموالَنا التي تخلَّفْنا عنكَ بسببِها،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٩٢)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٩٦ـ٩٧).

فتصدَّقْ بها، واستغفرْ لنا فقال: «لَمْ أُؤْمَرْ بِذَلِكَ» فأنزلَ اللهُ تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾[1] من ذنوبهم.

﴿ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ أي: تنمِّي حسناتِهم، وترفعُهم من منازلِ المنافقينَ إلى منازلِ المخلِصين.

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ادعُ لهم واستغفرْ.

﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (إِنَّ صَلاَتَكَ) على التوحيد، وفتحِ التاءِ، والباقون: بالجمعِ وكسرِ التاء[2] ﴿ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ طُمَأْنينةٌ ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لاعترافِهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بندامَتِهم.

* * *

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] فلما نزلتْ توبةُ هؤلاءِ، قال الذين لم يتوبوا من المتخلِّفين: هؤلاء كانوا معنا بالأمسِ لا يُكلَّمون ولا يُجالَسون، فما لهم؟! فقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ إذا صحَّتْ.

﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي: يقبلُها ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وأنَّ من شأنِه قبولَ توبةِ التائبينَ، قالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَصَدَّقُ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٩ـ٤٠).

بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ طَيِّباً، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ طَيِّبٌ، إِلاَّ كَأَنَّمَا يَضَعُهَا فِي يَدِ الرَّحْمَنِ، فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهَا مِثْلُ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ»(١) قال البغويُّ رحمه الله في «شرح السنة»: كلُّ ما جاء به الكتابُ والسنَّةُ من هذا القَبيلِ من صفاتِ الباري تعالى؛ كالنَّفْسِ والوجهِ واليدِ والرِّجْلِ، والإتيانِ والمجيءِ والنزولِ إلى السَّماءِ الدنيا، والاستواءِ على العرشِ، والضحكِ والفرحِ، فهذه ونظائرُها صفاتُ الله تعالى وردَ بها(٢) الشرعُ يجبُ الإيمانُ بها وإمرارُها على ظاهرِها مُعْرِضاً فيها عن التأويلِ، مُجْتَنباً عن التشبيهِ، مُعْتَقِداً أن الباريَ لا يشبهُ شيءٌ من صفاتِه صفاتِ الخَلْقِ، كما لا تُشبهُ ذاتُه ذاتَ الخلقِ، قالَ الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وعلى هذا مضى سلفُ الأمةِ وعلماءُ السنَّة، تلَقَّوها جميعَها بالإيمانِ والقبولِ، وتجنَّبوا فيها من التمثيلِ والتأويلِ، ووَكَلُوا العلمَ فيها إلى اللهِ تعالى كما أخبرَ عن الراسخينَ في العلمِ فقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] انتهى(٣).

***

(١) رواه البخاري (١٣٤٤)، كتاب: الزكاة، باب: لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب، ومسلم (١٠١٤)، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ت»: «به».

(٣) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١/ ١٦٨).

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ ﴾ ما شئتُمْ ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فإنَّه لا يخفى على اللهِ، خيراً كانَ أو شراً.

﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بالمجازاةِ عليه.

***

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ وَءَاخَرُونَ ﴾ من المتخلِّفينَ التائبينَ ﴿ مُرْجَوْنَ ﴾ مُؤَخَّرون.

﴿ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ فيهم بما يشاءُ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مُرْجَؤُونَ) بالهمز، والباقون: بالواو بغير همز(١)، والمرجَؤُون هم الثلاثةُ الذين تأتي قصَّتُهم، وهم كعبُ بنُ مالكٍ، وهلالُ بنُ أميةَ، ومرارةُ بنُ الربيع، لم يبالِغوا في التوبةِ والاعتذار كما فعلَ أبو لُبابةَ، فتوقَّفَ رسولُ الله ﷺ في توبَتِهم.

﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ إنْ لم يتوبوا ﴿ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ إنْ تابوا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤١).

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعلُ بهم، فنزلتْ توبتُهم بعدَ خمسينَ ليلةً.

***

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (الَّذينَ) بغيرِ واوٍ قبلَ الذين، وكذلكَ هو في مصاحِفهم، والباقون: بالواو.

﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ أي: مضارَّةً، نزلتْ في جماعةٍ من المنافقين بَنَوا مسجِداً يضارُّونَ به مسجدَ قُباء، وكانوا اثني عشرَ رجلاً، فعلوا ذلكَ مضارَّة للمؤمنين.

﴿وَكُفْرًا﴾ باللهِ ورسولِه.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين كانوا يجتمعونَ للصلاةِ في مسجدِ قُباء، فلما فرغوا، أتوا الرسولَ ﷺ وهو يتجهَّزُ إلى تبوكَ، وقالوا: يا رسولَ الله! إنا قد بنينا مسجِداً لذي العِلَّةِ والحاجَةِ والليلةِ المَطِيرةِ، وإنَّا نحبُّ أن تأتِيَنا وتصلِّي لنا فيه، وتدعوَ بالبركة، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَإِنْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ صَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ»، وكان أبو عامرٍ الراهبُ رَجُلاً منهم قد تنَصَّرَ في الجاهليةِ، وتَرَهَّبَ، ولم يزلْ يقاتلُ النبيَّ ﷺ حتى هُزِمَ يومَ حُنين، وسماهُ: أبا عامرٍ الفاسقَ، كان قال لهم:

ابنوا مسجداً، فإني ذاهبٌ إلى قيصرَ، فآتي بجنودٍ فأُخرجُ محمداً وأصحابَه من المدينة، فهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَإِرْصَادًا﴾[1] أي: إعداداً.

﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: لأجلِ هذا المنافقِ الذي حاربَ.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبلِ بناءِ مسجدِ الضِّرارِ إلى جنبِ مسجدِ قُباء، ولما خرجَ إلى الشامِ ليأتيَ من قَيْصَرٍ بجنودٍ يحاربُ بهم رسولَ الله ﷺ، هَلَكَ بِقِنَّسْرينَ طَريداً وحيداً.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ﴾ أي: ما أردْنا ﴿إِلَّا﴾ الفعلَةَ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ببناءِ هذا المسجد، وهي الرفقُ بالمسكينِ والضعيفِ في الليلةِ الشاتيةِ وشدَّةِ الحرِّ، والسَّعَة على المسلمينَ.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في حلفِهم.

* * *

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] فلما خرجَ ﷺ إلى تبوكَ، سألوهُ إتيانَ مسجدِهم ليصلِّي فيهِ، فنزلَ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا تصلِّ في مسجدِ الضِّرارِ، وأُخبر بحالِهم فأرسل وَحْشِياً بجماعةٍ، فحرقوهُ وهدموهُ، وتفرَّقَ أهلُه فجُعل مكانَه كُناسةٌ تُلْقى فيها[2] الجِيَفُ.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٢٨٦).

(٢) في «ظ»: «فيه».

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ أي: بني أصلُه ﴿عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ واللامُ للابتداء.

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وُضِعَ أساسُه.

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ مصلِّياً، خبرُ الابتداء، والمسجدُ المؤسَّسُ على التقوى هو مسجدُ رسولِ الله ﷺ، وردَ بهِ الحديثُ عنه عليه السلام، وقيل: مسجدُ قُباء؛ لأنه ﷺ أَسَّسَه وصلَّى فيهِ أيامَ مُقامِه بقُباء من الاثنينِ إلى الجمعةِ.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ بالتوبةِ من المعاصي، وقيلَ: بالماءِ من الأحداث.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ يرْضَى عنهم.

* * *

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)﴾.

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: (أُسِّسَ) بضم الهمزة وكسر السين (بُنْيَانُهُ) رفعٌ فيه جميعاً على غير تسميةِ الفاعلِ، والباقون بفتح الهمزةِ والسينِ والنونِ على تسميةِ الفاعلِ(١)، والمرادُ: قواعدُ البنيانِ.

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ أي: على طلب التقوى، ورضا الله.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٢).

﴿ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ طرفِ وادٍ مُنْحفِرٍ أصلهُ بالماء. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (جُرْفٍ) ساكنة الراء، والباقون: بضم الراء، وهما لغتان[1].

﴿ هَارٍ ﴾ أي: أشرفَ على السقوط. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (هَارِ) بالإمالة، واختلِفَ عن قالونَ وابنِ ذكوانَ، ورُوي عن يعقوبَ، وقنبلٍ الوقفُ بالياءِ على (هَارِي)[2].

﴿ فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ أي: سقطَ بالباني.

﴿ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ يريدُ: بناءُ هَذا المسجدِ الضِّرارِ كالبناءِ على شفيرِ جهنَّمَ يتهوَّرُ بأهلِها فيها.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إلى ما فيه نجاتُهم، المعنى: أفمنْ أَسَّسَ دينَه على أثبتِ القواعدِ، وهو الإيمانُ خيرٌ، أم مَنْ أَسَّسه على أضعفِ القواعدِ، وهو الكفرُ، فيسقطُ صاحبُه في النار؟ ورُوي أنه حُفِرَتْ بقعةٌ في مسجدِ الضرار، فرئي الدخانُ يخرجُ منها[3].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٥ـ٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٣ـ٤٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢)، عن قتادة.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ﴾ يعني: المنافقينَ البانينَ للمسجدِ، ومَنْ شركَهم في غرضِهم، وقوله: ﴿ٱلَّذِى بَنَوْا۟﴾ تأكيدٌ وتصريحٌ بأمرِ المسجدِ ورفع الإشكالِ.

﴿رِيبَةً﴾ شَكّاً ونِفاقاً ﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يحسبون أنهم كانوا في بنائِه مُحسنينَ، ولما هدمَهُ ﷺ، ازدادوا تصميماً على النفاقِ.

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: لا تفارقُهم الريبةُ حتى تُقَطَّعَ قلوبُهم بحيثُ لا يبقى لها قابليةُ الإدراكِ والإضمار. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلفٌ: (إلا) بتشديدِ اللامِ على أنه حرفُ استثناء (تُقَطَّعَ) بضم التاءِ وبناءِ الفعل للمفعول، وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وعاصمٌ بروايةِ حفصٍ، وأبو جعفرٍ: (إلا) بالتشديد كما تقدَّم (تَقَطَّعَ) بفتحِ التاء؛ أي: تتقطع، وقرأ يعقوبُ: (إِلَى) بتخفيفِ اللام، فجعلَه حرفَ جر (تَقَطَّعَ) بفتح التاء كابنِ عامرٍ ومَنْ وافقَهُ، ورُوي عنه أيضاً: بضمِّ التاءِ خفيف من القطع(١).

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتِهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أَمَرَ بهدمِ بنائهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٤ـ٤٥).

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ولما بايعَ رسولُ الله ﷺ الأنصارَ ليلةَ العقبةِ أن يعبدوا اللهَ، ولا يُشركوا به شيئاً، وأن يمنعوه ما يمنعونَ منه أنفسَهم وأموالَهم، ولهم إن وفَوا بذلك الجنةُ، فقبلوا وقالوا: لا نقيلُ ولا نستقيلُ، نزل:

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾(١) قرأ حمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَيُقْتَلُونَ) بتقديمِ المفعولِ على الفاعلِ على معنى قُتِلَ بعضُهم، وقاتلَ الباقون منهم، وقرأ الآخرونَ بتقديمِ الفاعلِ(٢).

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ ﴿حَقًّا﴾ صفتُه، المعنى ما وُعِدوا به حقٌّ ثابت ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ فيه دليلٌ على أن الجهادَ كان في شريعةِ مَنْ تقَدَّمنا.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ استفهامٌ على جهةِ التقرير؛ أي: لا أحدَ أوفى بعهدِهِ من الله.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٣٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٨٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٦ـ٤٧).

﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ ﴾ فافرَحوا ﴿ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ فإنه أوجبَ لكم عظائمَ المطالب ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي: إنه الحصولُ على الحظِّ الأغبط.

***

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ﴾ رفعٌ على المدحِ؛ أي: هم التائبون، والمرادُ بهم: المؤمنونَ المذكورون الذين تابوا من الشرك.

﴿ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ المخلِصونَ العبادةَ للهِ تعالى.

﴿ ٱلْحَٰمِدُونَ ﴾ في السَّراءِ والضَّراءِ.

﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ الصائمونَ؛ سُمُّوا بذلك لتركِهم اللذاتِ؛ المطعمَ والمشربَ والمنكحَ، في الحديثِ: «سِيَاحَةُ أُمَّتِي الصَّوْمُ»(١).

﴿ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ﴾ في الصلاةِ.

﴿ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ الإيمانِ.

﴿ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الشركِ، وتقدَّمَ تفسيرُ المعروفِ والمنكرِ في السورةِ.

﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾ القائمونَ بأوامره.

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني: هؤلاء الموصوفينَ بتلكَ الفضائل.

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٧٠٥): لم أقف عليه.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] رُوي أن أبا طالبٍ لما حضرَتْهُ الوفاةُ، جاءَهُ رسولُ الله ﷺ، فوجدَ عندَه أبا جهلٍ، وعبدَ اللهِ بنَ أبي أميةَ بنِ المغيرةِ، فقال: «أَيْ عَمِّ قُلْ: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، كَلِمَـةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، فقالَ أبو جهلٍ وعبدُ اللهِ بنُ أبي أميةَ: أَتَرْغَبُ عن ملَّةِ عبدِ المطَّلب؟! فلم يزلْ رسولُ اللهِ ﷺ يعرِضُها عليه، ويعيدانِه بتلكَ المقالةِ حتى قالَ أبو طالبٍ آخرَ ما كلَّمَهُمْ: هو على ملَّةِ عبدِ المطلبِ، وأبى أن يقولَ: لا إلهَ إلا اللهُ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ معه[1].

﴿ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[2] بأنْ ماتوا كفار.

* * *

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ثم بينَ عذرَ إبراهيمَ في الاستغفارِ لأبيهِ فقال: ﴿ وَمَا كَانَ

---

(١) «معه» زيادة من «ت».

(٢) رواه البخاري (١٢٩٤)، كتاب: الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، ومسلم (٢٤)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه.

﴿ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (أَبْرَاهَامَ) بالألفِ[1].

﴿لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] لأطلبنَّ مغفرتَكَ بالتوفيقِ للإيمانِ.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ﴾ أي: ظهرَ لإبراهيمَ بطريقِ الوحيِ أن آزرَ.

﴿عَدُوّٞ لِّلَّهِ﴾ لموتِه على الكفرِ ﴿تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ أضربَ عن الاستغفارِ لأبيه في الدنيا.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ مُتأوِّهٌ تضرُّعاً ﴿حَلِيمٞ﴾ صفوحٌ عمَّنْ نالَه بسوءٍ.

***

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا﴾ أي: ليسمِّيَهم ضُلاَّلاً، ويؤاخذَهم مؤاخذَتَهم ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾ للإسلامِ.

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ خطرَ ما يجبُ اتقاؤه، المعنى: ما كانَ ليحكمَ بضلالِ من استغفرَ للمشركينَ قبلَ النهيِ حتى يتبيَّنَ لهم ما يأتون، فإذا بيَّنَ، ولم يأخذوا به بعدَ ذلكَ يستحقُّون الضلال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلمُ أمرَهم في الحالين.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٨).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ يحكمُ ما يشاء ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه في السورةِ.

* * *

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ ﴾ أي: تجاوزَ وصفحَ.

﴿ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ مِنْ إذنهِ للمنافقينَ في التخلُّف.

﴿ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ ﴾ فيما ندموا على الخروج؛ لما قاسَوا. **قرأ** أبو جعفر: (العُسُرَةِ) بضمِّ السينِ، والباقون: بالإسكان[١]، والمرادُ: وقتَ العسرة، وليس المراد ساعةً بعينها، والمرادُ: الذين اتبعوه في غزوةِ تبوكَ، ويسمَّى جيشَ العسرةِ؛ لقلة الظَّهْر، كان العشرةُ يَعْتَقِبون على البعير الواحد، والزاد والماء وشدة الحر، حتى كادتْ أعناقُهم تنقطع عطشاً، ومنهم من نحرَ بعيرَه واعتصرَ ماءَ فرثِه، وجعلَ فرثَهُ على صدرِه.

﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ ﴾ همَّ ﴿ يَزِيغُ ﴾ تميلُ.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٩).

﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن الثباتِ على الإيمانِ، أو اتباع الرسول. قرأ حمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَزِيغُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث(١).

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكريرٌ لتأكيدِ التوبة ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (رَؤُوفٌ) بالإشباعِ حيثُ وقعَ على وزن فَعُول، والباقونَ: بالاختلاسِ على وزن فَعُل(٢)، والرأفةُ: أشدُّ الرحمةِ.

***

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

[١١٨] ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ عن غزوةِ تبوكَ هم: كعبُ بنُ مالكٍ الشاعرُ، ومُرارَةُ بنُ الرَّبيعِ، وهلالُ بنُ أميةَ، وملخَّصُ القِصَّةِ: أنَّ غزوةَ تبوكَ تسمَّى: غزوةَ العُسْرَةِ؛ لوقوعِها في زمنِ الحرِّ، والبلادُ مجدبةٌ، والناس في عسرةٍ، وكانت في السنةِ التاسعةِ من الهجرةِ، فأنفقَ أبو بكرٍ جميعَ مالِه، وأنفقَ عثمانُ نفقةً عظيمةً، وسارَ النبيُّ ﷺ إلى تبوكَ، واستخلَفَ علياً رضي الله عنه، فقال عليٌّ: أتخلفني في الصبيانِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٤٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٠).

والنساءِ؟! قالَ: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟! إِلاَّ أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[١]، وتخلَّفَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ المنافقُ، ومن تبعَه من أهلِ النفاقِ، وتخلَّفَ ثلاثةٌ من الصحابة[٢]، وهم: كعبٌ ومرارةُ وهلالٌ، ولم يكن لهم عذرٌ، ثم رجعَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة بعدَ أن قامَ بتبوكَ بضعَ عشرةَ ليلةً لم يجاوزْها، وكانَ إذا قدمَ من سفرٍ، بدأَ بالمسجدِ، فركعَ فيه ركعتينِ، ثم جلس للناسِ، فلما فعلَ ذلكَ، جاءه المخلَّفون، فطفِقوا يعتذرون إليه، ويحلفون، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبلَ منهم رسولُ الله ﷺ علانيتَهم، وبايعَهم واستغفرَ لهم، ووَكَل سرائرَهم إلى الله، ثم جاءه كعبٌ، وكانَ تقدَّمَهُ مرارةُ وهلالٌ، فسألَهم عن سببِ تخلُّفِهم، فاعترفوا أن لا عذرَ لهم، فأمرَهُم بالمضيِّ حتى يقضيَ الله فيهم، ونهى النبيُّ ﷺ المسلمينَ عن كلامِهم من بينِ مَنْ تخلَّف عنهُ، فاجتنبَهم الناسُ، فلبثوا على ذلك خمسينَ ليلةً، قال كعبٌ: فبينا أنا أسير في سوقِ المدينة، إذا نبطيٌّ من أنباطِ الشامِ ممَّنْ قدمَ بالطعامِ يبيعُه بالمدينةِ يقولُ: مَنْ يدلُّ على كعبِ بنِ مالكٍ؟ فطفقَ الناسُ يُشيرونَ له إليَّ، حتى إذا جاءني، دفعَ إليَّ كتاباً من ملكِ غَسَّانَ، فإذا فيه: أَمَّا بعدُ: فإنه قد بلغَني أن صاحبكَ قد جفاكَ وأقصاكَ، ولستَ بدارِ هوانٍ ولا مضيعةٍ، فالحقْ بنا نُواسِكَ، فقلتُ: هذا أيضاً من البلاءِ والشرِّ، فسجرتُ التنورَ وأحرقْتُه، ولما مضت أربعونَ من الخمسين، أمرَهم

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٤)، كتاب: المغازي، باب: غزوة تبوك، ومسلم (٢٤٠٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ش»: «الأصحاب».

النبيُّ ﷺ باعتزالِ نسائِهم، وجاءت امرأةُ هلالٍ رسولَ اللهِ ﷺ تستأذنُه في خدمتِه، فأذنَ لها من غيرِ أن يَقْرَبَها، فلما كملَتْ لهم خمسونَ ليلةً من حين نَهى رسولُ الله ﷺ عن كلامِهم، آذَنَ رسولُ اللهِ ﷺ بتوبةِ اللهِ عليهم، وذهبَ الناسُ يبشرونهم، وجاء كعبٌ إلى النبيِّ ﷺ، فسلَّمَ عليه، فقال لهُ وهو يبرُق وجهُه من السرورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قالَ: أمنْ عِندِكَ يا رسولَ الله، أمْ من عندِ الله؟ قالَ: «لاَ بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ»، وأنزل الله على رسوله عليه السلام:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾[1] أي: برَحْبِها وسَعَتِها.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: قلوبُهم من فرطِ الوحشةِ والغمِّ. قرأ حمزة: (ضَاقَتْ) بالإمالة[2].

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا.

﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من سَخَطِهِ ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ إلا إلى الاستغفارِه.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ ليدوموا على التوبةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ متفضلٌ عليهم بالنعم.

* * *

---

(١) روى قصة كعب بن مالك وصاحبيه: البخاري (٤١٥٦)، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، ومسلم (٢٧٦٩)، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ فيما لا يرضاهُ ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ الذين صَدَقوا في إيمانهم، وصدقوا اللهَ نيةً وقولاً وعملاً، قال كعبٌ: «فو اللهِ! ما أنعمَ اللهُ عليَّ نعمةً قطُّ بعدَ إذ هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي لرسولِ الله ﷺ ألاَّ أكون كذبت فأهلك كما هلك الذين كذبوا؛ فإنَّ اللهَ قالَ للذين كذَبوا حينَ أنزلَ الوحيَ شَرَّ ما قالَ لأحدٍ، فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

* * *

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ نهيٌ عُبِّرَ عنه بصيغةِ النفيِ للتأكيدِ.

﴿ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ﷺ إذا غزا ﴿ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ أي: لا يصونوا أنفسَهم عمَّا يصيبُ نفسَه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ في سفرِهم ﴿ظَمَأٌ﴾ عطشٌ.

﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعبٌ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ مجاعةٌ.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ يدوسونَ موضِعاً.

﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ يُغْضِبُهم. قرأ أبو جعفرٍ: (يَطُونَ) بإسكان الواو (مَوْطِياً) بنصب الياء بغير همز فيهما وشبهِه حيثُ وقع[1].

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ أَسْراً وقتلاً وهزيمةً.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ إلا استوجبوا به الثوابَ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانِهم.

***

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ تمرة ونحوها ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ كنفقةِ عثمانَ في جيشِ العسرةِ.

﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في مسيرِهم في الغزوِ في الذهابِ والمجيءِ.

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بذلكَ.

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لام قسم تأكيد، تقديُره: واللهِ لَيَجْزِيَنَّهُمُ اللهُ،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٩٦ـ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٢).

فحذفتِ النونُ استخفافاً، وكسرت اللامُ وكانت مفتوحة، فأشبهت في اللفظ لامَ (كي) فنصبوا بها[1] كلامِ (كي).

***

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.

[١٢٢] ولما أنزل الله عز وجل عيوبَ المنافقين في غزوةِ تبوكَ، كان النبيُّ ﷺ يبعثُ السرايا، فكان المسلمون ينفرون إلى الغزِو ويتركون النبيَّ ﷺ وحدَه، فأنزل الله عز وجل:

﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ ﴾[2] نفيٌ بمعنى النهيِ.

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾ أي: فحينَ لم يكنْ نفيرٌ للكافةِ، فهلاَّ نفرَ من كلِّ فرقةٍ بعضُها، ويبقى مع النبيِّ جماعةٌ.

﴿ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ أي: الباقونَ مع رسولِ الله ﷺ.

﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾ النافرينَ ويعلِّموهم القرآنَ.

﴿ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ وفيه دليلٌ على أن التفقُّهَ والتذكيرَ من فروضِ الكفايةِ.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ ولا يعملون بخلافِه.

قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[3].

---

(١) في «ت»: «به».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (١٥٠).

(٣) رواه البخاري (٧١)، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، =

وقال ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»(١).

وقالَ ﷺ: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»(٢).

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

[١٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ وهو عامٌّ في قتالِ الأقربِ فالأقربِ.

﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شِدَّةً عليهم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالنصرِ.

* * *

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾ أي: المنافقينَ ﴿مَّن يَقُولُ﴾ بعضُهم لبعضٍ ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ يقيناً وتصديقاً.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ بزيادةِ العلمِ الحاصلِ.

= ومسلم (١٠٣٧)، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، وقال: غريب.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال: غريب، وابن ماجه (٢٢٢) في المقدمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون؛ لأنه سببٌ لزيادةِ كمالِهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

[١٢٥] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاقٌ.

﴿ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كُفْراً إلى كفرِهم، فعندَ نزولِ كلِّ سورةٍ ينكرونها، فيزدادُ كفرُهم.

﴿ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ واستحكمَ ذلكَ فيهم حتى ماتوا عليه.

* * *

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ قرأ حمزةُ، ويعقوبُ: (تَرَوْنَ) بالتاء والخطاب للمؤمنين، والباقون: بالغيب على خبر المنافقين(١).

﴿ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يُبْتَلَون ﴿ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالمرضِ وغيرِه.

﴿ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقِهم ﴿ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يَتَّعِظون.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٣).

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها عيبُ المنافقين ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ عندَ تعريضِ النبيِّ ﷺ بنفاقهم يريدونَ الهربَ يقولونَ:

﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ من المؤمنين إنْ قمتُم من المسجد.

﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ﴾ عن مكانِهم خارجين ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدى، وهو يحتملُ الإخبارَ والدعاءَ، ذلك:

﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسببِ أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لسوءِ فهمِهم، والفقهُ لغةً: الفهمُ، وهو إدراكُ معنى الكلامِ، وشرعاً: معرفةُ الأحكامِ الشرعيةِ المتعلقةِ بأفعالِ العبادِ.

قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «لا تقولوا إذا صليتُم: انصرفْنا من الصلاةِ، فإنَّ قوماً انصرفوا، فصرفَ اللهُ قلوبهم، ولكنْ قولوا: قد قَضَينا الصلاةَ»(١).

* * *

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] عن أُبيٍّ ـ رضي الله عنه ـ أن آخرَ ما نزل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسِكم عربيٌّ مثلُكم نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائِه من لَدُنْ آدمَ سِفاحٌ، كلُّهم نكاحٌ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ،

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٥).

والكسائيُّ، وخلفٌ وهشامٌ: (لَقَد جَّاءَكُمْ) بإدغامِ الدالِ في الجيم، والباقونَ: بالإظهار[1]، وتقدَّم في سورة البقرة.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ شديدٌ عليه عَنَتُكم؛ أي: مَشَقَّتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ حتى لا يخرجَ أحدٌ منكم عن اتباعِه.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ومعنى رؤوف: مبالغٌ في الشفقةِ[2]، وتقدم اختلافُ القراءِ في رؤوف عندَ قولِه: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾.

[١٢٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرَضوا عن الإيمانِ.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافيَّ وناصِري.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ واعتمدْتُ، فلا أرجو غيرَه.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وخُصَّ العرشُ بالذكرِ إذْ هو أعظمُ المخلوقاتِ، فيدخلُ فيه ما دونَهُ إذا ذكره، وهاتان الآيتان لم توجدا حينَ جمعِ المصاحفِ إلا في حفظِ خزيمةَ بن ثابتٍ، فلمَّا جاءَ بهما، تَذَكَّرَهما كثيرٌ من الصحابةِ، وقد كانَ زيدٌ يعرفُهما، ولذلكَ قالَ: «فقدتُ آيتينِ من

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٦/١)، وتقدم في البقرة الآية (٩٢).

(٢) عند تفسير الآية (١١٧) من هذه السورة.

آخرِ سورة التوبةِ»[1]، ولو لم يعرفْهما، لم يدرِ هل فقدَ شيئاً أم لا، فإنما أُثبتتِ الآيتانِ بالإجماعِ لا بخزيمةَ وحدَه.

ورويَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عاشَ بعدَ نزولها خمسةً وثلاثين يوماً، والله أعلمُ.

* * *

(١) انظر القصة في: «صحيح البخاري» (٤٤٠٢)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾.

سورة يونس

مكيةٌ إلا ثلاثَ آياتٍ من قولهِ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾، وآيُها مئةٌ وتسعُ آياتٍ، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وخمسُ مئةٍ وسبعةٌ وستونَ حرفاً، وكلمُها ألفٌ وثمانُ مئةٍ واثنتانِ وثلاثونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾.

[١] ﴿الٓر﴾ قالَ ابنُ عباسٍ والضحَّاكُ: معناهُ: أنا اللهُ أَرى(١)، وتقدَّم الكلامُ في حروفِ الهجاءِ أولَ سورةِ البقرةِ. قرأ أبو جعفرٍ بتقطيعِ الحروفِ على أصلِه، وأمالَ الراءَ هنا وفي سورةِ هودٍ ويوسفَ والرعدِ وإبراهيمَ والحِجْرِ، أبو عمرٍو، وابن عامر، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ورواها الأزرقُ عن ورشٍ بينَ اللفظينِ، والباقون: بالفتح(٢).

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الكتبِ المتقدمة؛ أي إنها في القرآنِ معنى ﴿ءَايَٰتُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٤١-٢٤٢، ٢/ ٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٧).

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآنِ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكمِ بالحلالِ والحرامِ والحدودِ والأحكامِ.

***

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾.

[٢] لما بعثَ الله محمداً ﷺ، أنكر المشركون نبوتَهُ، وتعجَّبوا من ذلك، وقالوا: اللهُ أعظمُ من أن يكونَ رسولهُ بشراً، فنزل:

﴿أَكَانَ﴾[١] استفهامٌ إنكاريٌّ ﴿لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ العَجَبُ: حالةٌ تعتري الإنسانَ من رؤيةِ شيءٍ على خلافِ العادة، و(عجباً) خبرُ كانَ، واسمها:

﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ المعنى: أَعَجِبَ أهلُ مكةَ من إيحائِنا؟

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أَعْلِمْهم مع التخويفِ.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ عملٌ صالحٌ قدَّموه.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وأُضيفَ القدمُ إلى كذا في الأصل، والصواب: عملاً صالحاً الصدقِ وهو نعتُه؛ كقولِهم: مسجدُ الجامعِ، و(حب الحَصِيدِ)، قالَ أبو عبيدةَ: كل سابقٍ من خيرٍ أو شرٍّ فهو عندَ العربِ (قَدَمٌ) يقال: لفلانٍ قدمٌ في الإسلامِ[٢].

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ،

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٠).

والكسائيُّ، وخلفٌ: (لَسَاحِرٌ) بألفٍ بعد السين، وكسرِ الحاء، والمراد: النبيُّ ﷺ، **وقرأ** الباقون: بكسر السين وإسكانِ الحاء من غيرِ ألف، والمراد: القرآن(١).

* * *

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ التي هي أصولُ الممكنات.

﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بلا كيفٍ، تقدَّمَ الكلامُ فيه في سورةِ الأعرافِ.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقضي أمرَ الخلائق برزقِهم في الدنيا، وحسابِهم في الأخرى.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ يشفعُ لأحدٍ.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ ردَّ على من زعمَ أن الآلهةَ تشفعُ لهم عندَ اللهِ، وإثباتُ الشفاعةِ لمن أذنَ له.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الموصوفُ بتلك الصفاتِ ﴿رَبُّكُمْ﴾ لا شريكَ له.

﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ وَحِّدُوه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٨).

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتَّعِظون. قرأ حمزةُ، والكسائِّي، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال حيثُ وقعَ، والباقون بالتشديدِ[1].

***

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلى غيره ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ صدقاً، لا خلفَ فيه، نُصِبَ على المصدر؛ أي: وَعْداً حقاً.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: يخلقُه ابتداءً.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ مَيْتاً ثم حَيّاً للجزاء. قرأ أبو جعفرٍ: (أَنَّه) بالفتح على معنى لأنه، والباقون: بكسر الألفِ على الاستئناف[2].

﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدلِ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ حارٍّ قد بلغَ نهايةَ الحرِّ.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بسببِ كفرِهم.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ بالنهارِ، وقرأ قنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ (ضِئَاءً) بهمزتين بينَهما ألفٌ، والباقون بياء مفتوحة بعدَ الضاد[1].

﴿ وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ بالليل؛ أي: خلق الشمسَ ذاتَ ضياءٍ، والقمرَ ذا نورٍ، والضياءُ أقوى من النورِ.

﴿ وَقَدَّرَهُۥ ﴾ أي: القمرَ، قدَّرَ سيرَه.

﴿ مَنَازِلَ ﴾ لأن بالقمرِ يُعرف انقضاءُ الشهورِ والسنين، لا بالشمس، ومنازلُ القمرِ ثمانيةٌ وعشرونَ منزلاً، وأسماؤها: الشُّرُطَيْن، والبُطَين، والثُّرَيَّا، والدَّبَران، والهَقْعَة، والهَنْعَة، والذِّراع، والنَّثْرَة، والطَّرْف، والجَبْهَة، والزَّبْرَة، والصَّرْفة، والعَوَّاء، والسَّماك، والغَفْر، والزَّبانى، والإكليل، والقلب، والشَّولة، والنَّعائم، والبَلْدَة، وسعدُ الذّابح، وسعدُ بَلَع، وسعدُ السعود، وسعدُ الأخبية، وفرعُ الدلو المقدَّم، وفرع الدلو المؤخَّر، وبطنُ الحوتِ ويسمَّى الرشاء، وهذه المنازلُ مقسومةٌ على البروجِ، وهي اثنا عشرَ برجاً: الحملُ، والثورُ، والجوزاءُ، والسرطانُ، والأسدُ، والسنبلةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقوسُ، والجديُ، والدلوُ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٥٩).

ويسمى: الدالي، والحوتُ فكلُّ برجٍ منزلانِ وثلثٌ، ينزلُ القمرُ كلَّ ليلةٍ منزِلاً منها، ويستترُ ليلتين إنْ كانَ الشهرُ ثلاثين، وإن كان تسعاً وعشرين، فليلةً واحدةً، فيكونُ انقضاءُ السنةِ مع انقضائِها.

﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ حسابَ الأشهرِ والأيامِ.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكورَ.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالحكمةِ البالغةِ، ولم يخلقْه عبثاً.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المنتفعون بالتأمل فيها. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ (يُفَصِّلُ) بالياء؛ لقولِهِ (ما خَلَقَ الله)، وقرأ الباقون: بالنون على التعظيم(١).

***

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من أنواع الكائنات ﴿لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ لأن المتقينَ هم المنتفعونَ بالتفكرُّ في خلقِ الله تعالى.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٠).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يتوقعونه لإنكارهم البعثَ .

﴿ وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فاختاروها .

﴿ وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا ﴾ سكنوا إليها سكونَ مَنْ لا يُزعَجُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ أدِلَّتِنا ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها .

***

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ من الكفرِ والتكذيبِ .

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ أي: يسدِّدُهم بسببِ إيمانِهم إلى سلوكِ سبيلٍ يؤدِّي إلى الجنة .

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي: بينَ أيديهم ﴿ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ .

***

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا ﴾ أي: دعاؤهم؛ لأن (اللَّهُمَّ) دعاءٌ .

﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ عمَّا لا يليق بعظمتِك وجلالِك .

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أي: يُحَيِّي بعضهم بعضاً بالسلام.

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ بعدَ التسبيحِ.

﴿ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يريدُ: يفتحون كلامهم بالتسبيح، ويختمونه بالتحميد.

***

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ولما استعجلَ المشركون العذابَ، نزل: ﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم ﴾ أي: تعجيلاً مثلَ استعجالِهم.

﴿ بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (لَقَضَى) بفتح القاف والضاد وقلب الياء ألفاً (أَجَلَهُمْ) نصب، المعنى: لأماتهم الله، وقرأ الباقون: بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (أَجَلُهُمْ) بالرفع مجهولاً[١]؛ أي: وعجَّلنا لهم ما دَعَوا به من الشر كما نعجِّلُ لهم ما طلبوا من الخير، لهلكوا، تلخيصُه: لا يفعلُ إلا ما يريد.

﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يخافون البعث.

﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ إمهالاً لهم واستِدْراجاً.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٣-٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦١).

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾ الشدَّةُ ﴿ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ أي: على جنبه.

﴿ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ المعنى: دعانا في جميعِ حالاتِه، لأن الإنسانَ لا بدَّ لهُ من اضطجاعٍ أو قيامٍ أو قعودٍ.

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا ﴾ دفعْنا ﴿ عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ ﴾ مَضَى ونسيَ ما كانَ فيه من البلاءِ.

﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾ واستمرَّ على طريقتِه الأولى قبلَ أن يمسَّه الضرُّ.

﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الدعاءِ عندَ البلاء، وتركِ الشكرِ عندَ الرخاء.

***

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يا أهلَ مكةَ.

﴿ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ بالتكذيبِ.

﴿ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ بالشواهدِ الدالَّةِ على صدقِهم. قرأ أبو عمرٍو: (رُسْلُهُمْ) بإسكان السين، وكذلك (رُسْلُنا) حيثُ وقعَ، والباقون: بضم السين(١).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ۚ﴾ عطفٌ على (ظَلَمُوا) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أهلكناهم بكفرهم ﴿نَجْزِى﴾ نُهْلِكُ ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرينَ بتكذيبِهم محمداً ﷺ.

* * *

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ أي: خلفاً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خطابٌ للذين بُعث إليهم ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعدِ المهلَكينَ.

﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فنعامِلَكم على مقتضى أعمالِكم.

* * *

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ولما كانَ القرآنُ ينزلُ بذمِّ الأصنامِ وعابديها، قالوا للنبيِّ ﷺ: إن كنتَ تريدُ أن نؤمنَ بكَ، فأتِ بقرآنٍ غيرِ هذا لا تُذَمُّ فيه آلهتُنا، فنزل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾(١) يعني: المشركين.

= (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٢).

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ ﴾ بكتابٍ آخرَ ليسَ فيه ما نكرهُ من معايبِ آلهتنا. قرأ ابن كثيرٍ (بِقُرَانٍ) و(القُرَان) كيفَ أَتى بالنَّقل(١).

﴿ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾ غَيِّرْهُ فاجعلَ مكانَ آيةِ رحمةٍ آيةَ عذابٍ، وبالعكس.

﴿ قُلۡ ﴾ لهم يا محمدُ: ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ ﴾ ما ينبغي لي ولا يجوزُ.

﴿ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ ﴾ أي: من عندِها.

﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ ﴾ فيما آمُركم به، وأَنهاكُم عنه.

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي ﴾ بالتبديلِ ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ هو يومُ القيامة. قرأ الكوفيونَ، وابنُ عامر، ويعقوبُ: (لي أَن) (نَفْسِي إِنْ) (إِنيِّ أَخَافُ) بإسكانِ الياءِ في الثلاثةِ، ووافقَهم ابنُ كثيرٍ في (نَفْسِي)، والباقونَ، وهم نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمروٍ: بالفتح، وافقَهم ابنُ كثيرٍ في (لِيَ) و(إِنيِّ)(٢).

* * *

﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٦) ﴾.

[١٦] ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ ﴾ يعني: لو شاءَ، ما أنزلَ القرآنَ عليَّ.

---

(١) تقدمت هذه القراءة عند تفسير الآية (١٨٥) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣-١٢٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٢).

﴿ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ بروايةِ قنبلٍ: (ولأَدْرَاكُمْ) بالقصرِ على الإيجاب؛ أي: ولأَعْلَمَكم به على لسان غيري، ولكنَّه مَنَّ عليَّ بالرسالة، وقرأ الباقون: بإثباتِ الألفِ على أنها (لا) النافية[1]؛ أي: ولا أعلمَكم به على لساني، ولترَكَكم على كفْركم، المعنى: إن الأمرَ بمشيئةِ اللهِ لا بمشيئتي حتى أجعله على نحوِ ما تشتهونه، وقرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وورشٌ عن نافعٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (أَدْرَاكُمْ) (أَدْرَاكَ) بالإمالة حيثُ وقعَ، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ راوي ابنِ عامرٍ.

﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ ظرفٌ؛ أي: مقدارَ عمر، وهو أربعونَ سنةً.

﴿ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ من قبلِ نزولِ القرآن، لا أتلوه، ولا أعلمُه.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليسَ من قِبَلي.

ولبثَ النبيُّ ﷺ فيهم قبلَ الوحي أربعين سنةً، ثم أُوحِيَ إليه، فأقام بعدَ الوحيِ ثلاثَ عشرةَ سنةً، ثم هاجرَ فأقامَ بالمدينة عشرَ سنينَ، وتُوفِّيَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً، وكانتْ وفاتُه يومَ الاثنينِ، وفُرِغَ من جهازِه يومَ الثلاثاء، ودُفن في ليلةِ الأربعاءِ في شهرِ ربيعِ الأولِ سنةَ إحدى عشرةَ من الهجرةِ الشريفةِ، وكان مرضُه ثلاثَ عشرةَ ليلةً ﷺ.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٤). والذي عند البغوي: «ولأدراكم» برواية البزي عن ابن كثير.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ فزعمَ أنَّ له شريكاً أَو ولداً.

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ بنبوةِ محمدٍ ﷺ.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ لا يَنْجو المشركون.

* * *

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إنْ عَصَوه.

﴿ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ إن عَبَدوه؛ يعني: الأصنامَ؛ فإنها جمادٌ لا تقدرُ على نفعٍ ولا ضرٍّ.

﴿ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ الأوثانُ ﴿ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ تشفعُ لنا فيما يهمُّنا من أمورِ الدنيا والآخرةِ إن يكنْ بعثٌ.

﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ ﴾ أتخبرونه ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ ﴾ أي: أتخبرونَ الله أنَّ له شريكاً أو عندَهُ شفيعاً بغيرِ إذنِه، وفيه تقريعٌ وتَهَكُّم بهم، واللهُ لا يعلمُ لنفسِه شريكاً ﴿ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ثم نَزَّهَ نفسَه وقَدَّسَها عن الشركِ فقال:

﴿ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[1].

* * *

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على دينِ الإسلامِ.

﴿ فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ تفرَّقوا أدياناً مختلفةً.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ أنه لا يقضي بينَهم دونَ القيامةِ.

﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ عاجلاً ﴿ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ بإهلاكِ المبطِلِ وإبقاء المحِقِّ.

* * *

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني: أهلَ مكةَ ﴿ لَوْلَآ ﴾ هلاَّ.

﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ من الآيات التي نقترِحُها.

﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ هو المحيطُ بعلمِه.

﴿ فَٱنتَظِرُوٓا۟ ﴾ نزولَها ﴿ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ لِما يفعلُ اللهُ بِكُمْ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٥).

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ ﴾ كفارَ مكةَ ﴿ رَحْمَةً ﴾ راحةً.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ ﴾ شدَّةٍ.

﴿ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَآ ﴾ بالطعنِ عليها، والاحتيالِ في دفعها. قرأ أبو عمرٍو: (مِنْ بَعْد ضَّرَّاءَ) بإدغام الدالِ في الضادِ(١).

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ أي: مجازاةً ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا ﴾ الحفظةَ.

﴿ يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ قرأ روحٌ عن يعقوبَ: (يَمْكُرُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب(٢).

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾ يحمِلُكم ﴿ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ على الظهورِ ﴿ وَٱلْبَحْرِ ﴾ على السفنِ. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (يَنْشُرُكُمْ) بفتح الياء ونون ساكنة

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦).

بعدَها وشين معجمة مضمومة، من النَّشْرِ، وكذلك هي في مصاحفِ أهلِ الشامِ وغيرِها، وقرأ الباقون: بضمِّ الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياءٌ مكسورة مشدَّدة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفنِ، الواحدُ والجمعُ سواءٌ ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ أي: السفنُ بالناس ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ لينةِ الهبوبِ ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بتلكَ الريحِ.

﴿جَآءَتۡهَا﴾ أي: السفنَ ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ شديدةُ الهبوبِ.

﴿وَجَآءَهُمُ﴾ يعني: ركبانَ السفينةِ ﴿ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ وهو حركةُ الماءِ واختلاطُه.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أُهْلِكوا، جعلَ إحاطةَ العدوِّ بالحيِّ مثلاً في الهلاكِ.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ دونَ أوثانهم يقولون: ﴿لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الشدَّةِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لكَ بالإيمان.

* * *

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ﴾ إجابةً لدعائِهم ﴿إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ﴾ يُفْسِدون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦-٦٧).

﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ مبطِلين فيه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ أي: وَبالُه راجعٌ عليكم، ثم ابتدأ فقال:

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قراءة العامة: (مَتاعُ) بالرفع خبرُ ابتداءٍ مضمرٍ، أي: هذا متاعٌ، المعنى: إنما بغيُكم على أمثالِكم، منفعةُ الحياةِ الدنيا لا بقاءَ لها، وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ (مَتاعَ) بالنصب[1]؛ أي: تتمتعون متاعَ الحياةِ الدنيا في فنائِها وزوالِها.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالجزاءِ عليه.

* * *

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)﴾.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في زوالِها.

﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: التفَّ واشتبكَ بسببه حتَّى خالطَ بعضُه بعضاً؛ أي: نبتَ بالماءِ من كلِّ لون.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من الحبوبِ والثمارِ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾ من الحشيشِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ زينتَها بالنباتِ ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ بالزهرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٧).

﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾ متمكِّنون من منفعتِها ﴿ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴾ قضاؤنا ﴿ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا ﴾ شبيهاً بما يُحْصَدُ من الزرعِ.

﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي: كأنْ لم تعمرْ بالزمانِ الماضي، والمغاني: المنازلُ.

﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فإنهم هم المنتفعون بها.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الجنةِ لسلامتِهم فيها.

﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ هو الإسلامُ، وتقدَّم اختلافُ القراء في حكم الهمزتين من كلمتين في قوله: (يَشَاءُ إِلَىَ صراطٍ مستقيمٍ) في سورة البقرة [الآية: ١١٥].

* * *

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ العملَ في الدنيا ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنةُ.

﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ النظرُ إلى وجهِ الله الكريمِ.

﴿ وَلَا يَرْهَقُ ﴾ يغشى ﴿ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ غبارٌ، جمعُ قَتَرَةٍ ﴿ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ هوانٌ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمونَ.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ مبتدأ، خبرُه: ﴿ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا ﴾ أي: لهم مثلُها.

﴿ وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ ﴾ مانعٍ.

﴿ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ ﴾ أُلْبِسَتْ.

﴿ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ ﴾ حالٌ، العاملُ فيها (أُغشيت). قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (قِطْعاً) بإسكان الطاء؛ أي: جزءاً واحداً، والباقون: بالفتح، جمع قِطْعة[(١)] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ﴾ يعني: الفريقين ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ ﴾ أي: اثبتوا مكانكم ﴿ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ ﴾ أي: آلهتكم، لا تبرحوا حتى نرى ما يُفعل بكم.

﴿ فَزَيَّلۡنَا ﴾ فرَّقنا ﴿ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ بعدَ اجتماعِهم في الموقفِ، وقطعنا ما كانَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٠-٧١).

بينهم من التواصُلِ في الدنيا، وذلك حينَ تبرَّأَ كلُّ معبودٍ من دون الله ممن عبدَه.

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ يعني: الأصنامَ.

﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ بطِلبتنا، فيقولون: بلى، كنا نعبدُكم، فتقولُ الأصنامُ:

* * *

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إيانا.

﴿لَغَـٰفِلِينَ﴾ ما كنا نسمعُ ولا نبصرُ ولا نعقلُ.

* * *

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلكَ اليومِ ﴿تَبْلُواْ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (تَتْلُو) بتاءين، من التلاوة؛ أي: تقرأُ كلُّ نفسٍ صَحيفتَها، وقرأ الباقون: بالتاء والباء[1]، من البلوى؛ أي: تختبرُ، ومعناه: ظهورُ أثرِ العملِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٢).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ قَدَّمَتْ من العمل.

﴿ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى حكمِه، فينفردُ فيهم بالحكمِ.

﴿ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ ربِّهم حقيقةً، والمتولِّي جزاءَهم.

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ ضاعَ عنهم ما كانوا يدَّعون أنهم شركاءُ لله.

* * *

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾.

[٣١] ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بالمطرِ ﴿ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بالنباتِ.

﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ من يستطيعُ خَلْقَها.

﴿ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الإنسانَ من النطفةِ، والمؤمنَ من الكافرِ.

﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ عكسُه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (الْمَيِّتَ) بتشديد الياء، والباقون: بالتخفيف[١].

﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ يقدِّرُه ويقضيه.

﴿ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ هو الذي يفعلُ هذهِ الأشياءَ إذ لا يقدرون على العنادِ في ذلك.

﴿ فَقُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ عقابَه فتسلمونَ.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٣).

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ فَذَٰلِكُمُ ﴾ أي: الفعَّالُ لهذهِ الأشياءِ.

﴿ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ الذي لا ريبَ في صِحَّته.

﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ لا واسطةَ بينَهما.

﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ عن الحقِّ إلى الباطلِ.

***

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك الحقِّ حقَّتْ.

﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: ثبَتَتْ ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ ﴾ تمرَّدوا في كفرِهم.

﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: حقَّ عليهم انتفاءُ الإيمان. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (كَلِمَاتُ) بالألف على الجمع، والباقون: بغير ألفٍ على التوحيد(١).

***

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم ﴾ أي: معبودِيكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٣-٧٥).

﴿مَن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ﴾ يُنْشِئُهُ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ من بعدِ الموتِ، فإن أجابوك، وإلا ﴿قُلِ﴾ أنت: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تُصْرَفون عن الهدى.

* * *

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ﴾ يرشدُ ﴿إِلَى ٱلْحَقِّ﴾، فإذا قالوا: لا، ولا بدَّ لهم من ذلك.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ يقالُ: هديتُه للحقِّ وإلى الحقِّ، واستُعمل هنا اللغتان.

﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أي: يهتدي. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وأبو جعفرٍ كذلك، إلا أنه بإسكانِ الهاء، من اهتدى يهتدي، أدغموا التاء في الدال بعدَ نقلِ حركتِها مفتوحة إلى الهاء. **وقرأ** أبو عمرٍو، وقالونُ عن نافعٍ: باختلاسِ فتحة الهاء تخفيفاً، والتعليلُ فيه كالذي قبله، **وقرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال، من هدى يهدي غيرَه، **وقرأ** يعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، مبالغة؛ لأنه أدغم التاء في الدال، ولم يُلْقِ حركتَها على الهاء، فاجتمع ساكنان، فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بكسر الياء إتباعاً للهاء مع التشديد، والتعليلُ فيه كالذي قبله، ومعنى القراءات كلِّها واحدٌ.

﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ المعنى: اللهُ الذي يهدي إلى الحقِّ أحقُّ بالاتباع، أم الصنم الذي لا يهتدي بنفسِه إلى مكانٍ ينتقل إليه (إلاَّ أَنْ يُهْدَى)؛ أي: يُنقل؟! ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ بما يقتضي صريحُ العقلِ بطلانَه.

* * *

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ فيما يعتقدون ﴿إِلَّا ظَنًّاۚ﴾ أي: تقليدَ آبائهم، والمرادُ بالأكثر: جميعُ من يقولُ ذلك.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾ أي: لا يعملُ عملَه، المعنى: لا يقوم الظنُّ مقامَ التحقيق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ وعيدٌ على اتباعِهم للظنِّ.

* * *

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٧﴾.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: وما كانَ هذا القرآنُ افتراءً من الخلق.

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: قبلَه من الكتبِ المتقدمةِ.

﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: تبيينَ أحكامِهِ.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لا شكَّ في نزولِه من قِبَلِ اللهِ تعالى.

* * *

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ أي: بل أيقولونَ اختلقَ محمدٌ ﷺ القرآنَ، ومعنى الهمزةِ فيه الإنكارُ.

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ شبهِ القرآنِ في الفصاحةِ والإعجازِ على وجهِ الافتراء؛ لأنكم عربٌ مثلي ﴿ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ من[1] تعبدون.

﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ليعينوكم على ذلكَ ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ محمداً اختلقَهُ.

* * *

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ثم بَيَّنَ عجزَهم بقوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ أي: سارعوا إلى تكذيبِ القرآنِ قبلَ أن يتدبَّروه ﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ أي: ولم يأتهم حقيقةُ عاقبةِ التكذيبِ من نزولِ العذابِ بهم.

﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من كفارِ الأممِ الخاليةِ.

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: آخرُ أمرِهم بالهلاكُ.

وفي معنى قولِه تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ من الأمثالِ الدائرةِ على ألسنِ الناس: مَنْ جَهِلَ شيئاً عاداهُ.

---

(١) في «ت»: «ممن».

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠﴾.

[٤٠] ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: المكذِّبين ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ سيؤمنُ بالقرآن.

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ أبداً.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: من يصرُّ على الكفرِ، وهو تهديدٌ له.

* * *

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾.

[٤١] ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمدُ ﴿فَقُل﴾ تحذيراً: ﴿لِّي عَمَلِي﴾ أي: ثوابُ عملي في التبليغِ والإنذارِ والطاعةِ لله تعالى.

﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: جزاؤه من الشِّرْكِ.

﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يؤاخَذُ أحدٌ بذنب أحد، فمن حملَها على ظاهرِها، نسخَها بآيةِ السيفِ، ومن تأوَّلها بالجزاء، فثابتة؛ لأن الجزاءَ ثَمَّ يكونُ.

* * *

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢﴾.

[٤٢] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ بظواهرِهم، وقلوبُهم لا تعي شيئاً مما تقولُه وتتلوهُ من القرآن، ولهذا قالَ:

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ يريدُ: سمعَ القلبِ.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ظاهرُه الاستفهامُ، ومعناه النفيُ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ﴾ تعجُّباً منكَ بأبصارِهم دونَ بصائرِهم، قيل: نزلت في المستهزئين.

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ﴾ أي: عَمَى القلب ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قُرنَ عدمَ العقلِ بعدمِ السمعِ، وبعدمِ البصرِ عدمَ الإدراكِ تفضيلاً لحكمِ الباطنِ على الظاهرِ.

***

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ لأنه في جميعِ أفعاله متفضلٌ وعادلٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمخالفةِ أمرِ خالقِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَلَكِنِ) مخفَّفاً (الناسُ) رفعاً، والباقون: بالتشديدِ والنصبِ[1].

***

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكرْ يومَ ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ وعيدٌ بالحشرِ وخزيِهم. قرأ

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٦-٧٧).

حفصٌ عن عاصمٍ: (يَحْشُرُهُمْ) بالياء، والباقون: بالنون(١).

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ يستقصرونَ مدة لبثِهم في قبورِهم.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ﴾ أي: يعرفُ بعضهُم بعضاً عندَ خروجِهم من القبورِ.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالعرضِ على اللهِ.

﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ في علمِ اللهِ.

* * *

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ يا محمدُ ﴿بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من العذابِ.

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ تعذيبِهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرةِ.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجزيهم به، و(ثم) بمعنى الواو، والمعنى: إن لم ترَ في أعدائك ما يسرُّكَ هنا، فستراه ثَمَّ.

* * *

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ منَ الأممِ الماضيةِ ﴿رَّسُولٌۖ﴾ يُبعثُ إليهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٧).

﴿ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ ﴾ فكذَّبوه ﴿ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدلِ.

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ لا يُعذبون بغيرِ حُجَّةٍ تلزمُهم.

* * *

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعني: المشركينَ استهزاءً: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ بقيامِ الساعةِ.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ خطابٌ منهم للنبيِّ ﷺ والمؤمنينَ.

* * *

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ﴾ لا أقدرُ لها على شيءٍ.

﴿ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ أي: دفعَ ضرٍّ، ولا جلبَ نفعٍ ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أنْ أملكَهُ.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ مدةٌ معلومةٌ ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ وقتُ فناءِ أعمارِهم.

﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ فلا تستعجلوا، فَسَيحينُ وقتُكم، واختلافُ القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهُمْ) كاختلافِهم فيهما من ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ في سورة النساء [الآية: ٥].

* * *

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ حينَ اشتغالِكم بطلبِ معاشِكم.

﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ استفهامٌ معناهُ التهويلُ(١)؛ أي: ما أعظمَ ما تستعجلونَ بهِ! وستندمون على الاستعجالِ وتعرفونَ خطأَهُ.

* * *

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ يعني: إن أتاكُم عذابُه ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أي: باللهِ حينَ لا ينفعُكم الإيمانُ ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ تؤمنون؟ استفهامُ توبيخٍ.

﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاءً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (آلاَنَ) بفتحِ اللامِ من غيرِ همزٍ، والباقونَ: بإسكانِ اللامِ وهمزةٍ بعدَها، وأجمعوا على مدِّ (آلان) لأنها همزةُ استفهامٍ دخلت على همزةِ الوصلِ لتفرِّقَ بينَ الاستفهامِ والخبرِ، وأجمعوا على عدمِ تحقيقِها لكونِها همزةَ وصلٍ، وهمزةُ الوصلِ لا تثبتُ إلا ابتداءً، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته، فقال كثيرٌ منهم: تُبدل ألفاً خالصةً، وقال آخرون: تُسَهَّلَ بينَ بينَ، وكذا الحكمُ في (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ) وفي: (قُلْ آاللهُ أَذِنَ لَكُمْ)(٢).

---

(١) «التهويل» ساقطة من «ن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر»=

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ بالشركِ توبيخاً لهم: ﴿ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾ المؤلمَ على الدَّوامِ ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ في الدنيا.

***

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ ﴾ يَستخبرونَكَ.

﴿ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ العذابُ أو البعثُ، استفهام استهزاءٍ.

﴿ قُلْ إِى ﴾ أي: نعم ﴿ وَرَبِّىٓ ﴾ توكيدٌ للقسم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (وَرَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ لا شكَّ فيه ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتينَ من العذابِ.

***

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴾ أشركَتْ.

= للدمياطي (ص: ٢٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٧٨).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٠).

﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جميعاً.

﴿ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦٓ﴾ بَذَلَتْهُ في مقابلةِ نَجاتها.

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أَخْفَوها عن أتباعِهم خوفاً من ملامَتِهم، وقيل: معناه: أظهروها؛ لأنه ليسَ بيومِ تصبُّرٍ.

﴿ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ وهذا: قبلَ الإحراقِ بالنار، فإذا وقعوا فيها، ألهتهم عن التَّصَنُّع.

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ أي: بين الرؤساءِ والسِّفْلَةِ ﴿ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدلِ.

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ليسَ تكريراً؛ لأن الأولَ قضاءٌ بينَ الأنبياءِ ومكذِّبيهم، والثاني مجازاةُ المشركينَ على الشركِ.

***

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)﴾.

[٥٥] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ فلا مانعَ يمنعُه من إنفاذِ ما وعدَهُ ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلكَ.

***

﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)﴾.

[٥٦] ﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ يعقوبُ: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضمِّ التاءِ وفتحِ الجيم[١].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ كتابٌ فيهِ بيانُ ما يجبُ لكم وعليكم.

﴿ وَشِفَآءٞ ﴾ دواءٌ ﴿ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ من العقائدِ الفاسدةِ ﴿ وَهُدٗى ﴾ من الضلالةِ ﴿ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ خصَّهم؛ لأنهم المنتفعونَ بالإيمان.

***

﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ القرآنِ ﴿ وَبِرَحۡمَتِهِۦ ﴾ الإسلامِ ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (فَلْتَفْرَحُوا) بالخطابِ للمؤمنين، والباقون: بالغيب؛ أي: ليفرحِ المؤمنون[١].

﴿ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ من حُطامِ الدنيا. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (تَجْمَعُونَ) بالخطاب على معنى: فلتفرحوا أيها المؤمنون، فهو خيرٌ مما تجمعون أيها المخاطَبون، وقرأ الباقون: بالغيب[٢]؛ أي: خير مما يجمعُه الكفار، وقيل: الخطابُ في (تجمعونَ) للكافرين.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨١-٨٢).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لكفارِ مكَّةَ: ﴿ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ﴾ أي: خلقَ من زروعٍ وضروعٍ.

﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ هو ما حَرَّموا من الأنعامِ؛ كالبَحيرَةِ، والسائبةِ، والوصيلةِ، والحامِ.

﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ في هذا التحريمِ والتحليلِ؟ وتقدَّمَ قريباً الكلامُ في همزةِ الاستفهامِ في قولِه تعالى: (آللهُ أَذِنَ لَكُمْ).

﴿ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ تتكذبون بنسبةِ ذلكَ إليه.

* * *

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: وأيُّ شيءٍ ظَنُّهم يُصْنَعُ بهم يومَ القيامةِ؟ أيحسبون أَلاَّ يجاوَزوا عليهِ؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بإمهالِهم وقبولِ توبتِهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ أَنْعُمَهُ عليهم.

* * *

﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمدُ ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمرٍ، وأصلُه الهمزُ بمعنى القَصْدِ، شَأَنْتُ شَأْنَهُ: قَصَدْتُهُ.

﴿وَمَا نَتْلُوا مِنْهُ﴾ من اللهِ ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ نزلَ، ثم خاطبَه وأُمَّتَهُ فقال:

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ وأُضْمِرَ ﷺ قبلَ الذكر تفضيلاً له، ثم جُمع معَ أمته تفضيلاً لهم.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ مُطَّلعينَ.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تخوضون في العملِ.

﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ قرأ الكسائيُّ: بكسر الزايِ، والباقون: بالضمِّ(١)، ومعناهما: يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾ أي: وزنِ ثقلِ ﴿ذَرَّةٍ﴾ وهي النملةُ الحميراءُ الصغيرةُ.

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في الوجودِ، وتقديمُ الأرضِ؛ لأنَّ الكلامَ في حالِ أهلِها.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: من الذرَّةِ ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ قرأ يعقوبُ، وحمزةُ، وخلفٌ: (وَلاَ أَصْغَرُ) (وَلاَ أَكْبَرُ) برفعِ الراءِ فيهما عطفاً على موضعِ (مِنْ) ومعمولِها؛ لأنَّ موضعَه رفعٌ بـ(يعزبُ)، وقرأ الباقون: بالنصبِ عطفاً على الذَّرةِ في الكسرِ، وجعلِ الفتحِ بدلَ الكسرِ لامتناعِ الصرفِ(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢-١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٢-٨٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ هو اللوحُ المحفوظ.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ﴾.

[٦٢] ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ هم الذين والَوْهُ بالطاعةِ والعبادةِ، وتوَلاَّهم بالكرامةِ.

﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ في الآخرةِ، وإلاَّ فهم أشدُّ خوفاً وحزناً في الدنيا من غيرِهم.

ورُويَ عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ: مَنْ أولياءُ الله؟ فقال: «الَّذِينَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللهَ»(١).

قالَ ابنُ عطيةَ رحمه الله: وهذا وصفٌ لازمٌ للمتقين؛ لأنهم يَخْشَعونَ وَيَتَخَشَّعونَ(٢).

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾.

[٦٣] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ هذهِ صفةُ أولياءِ الله تعالى.

* * *

= (٢/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٣).

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ١٠٨)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ١٢٨).

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ هي الرؤيا الصالحةُ يراها الإنسانُ، أو تُرى له ﴿ وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ الجنةِ والرضوانِ.

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لا خُلْفَ لمواعدِهِ، والتبديلُ: تغييرُ الشيءِ عن حالِهِ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التبشيرُ ﴿ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

* * *

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ثم خاطبَ نبيّه ﷺ فقالَ: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ﴾ يا محمدُ.

﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ تكذيبُهم؛ يعني: المشركين، تم الكلامُ هاهنا، ثم ابتدأ فقال:

﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ ﴾ القدرةَ ﴿ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ يُعِزُّ مَنْ يشاءُ، فهو يقهرُهم وينصرُكَ عليهم.

﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالِهم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأعمالِهم.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ من الملائكة

والثَّقَلَين، يحكمُ بما[1] يريدُ، ويفعلُ ما يشاءُ سبحانَه.

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ أي: ما يتبعون شركاءَ على الحقيقةِ، فإنَّ شركةَ اللهِ في الربوبيةِ مُحالٌ.

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ أي: ظنَّهم أنَّ آلهتَهم تقرِّبُهم إلى الله تعالى. واختلافُ القراء في الهمزتينِ من (شُرَكَاءَ إِنْ) كاختلافِهم فيهما من (شُهَدَاءَ إِذْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ١٣٣]. ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يكذبون.

***

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾ أي: مع أزواجِكم وأولادِكم لزوالِ التعبِ، والسكونُ: الهُدوُّ عن اضطرابٍ.

﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ أي: يُبْصَرُ فيه مطالبُ الأرزاقِ.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماعَ تدبُّرٍ واعتبارٍ.

***

﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ قَالُواْ ﴾ يعني: المشركينَ ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ هو قولُهم: الملائكةُ بناتُ الله.

---

(١) في «ت» و«ن»: «ما».

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ تنزيهٌ عن الولدِ ﴿ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ عن خَلْقِه.

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ عَبيداً ومُلْكاً ﴿ إِنْ ﴾ أي: ما ﴿ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ حجةٍ ﴿ بِهَٰذَآ ﴾ القولِ، ثم نفى عنهم الحجةَ بقولِه:

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ توبيخٌ على اختلاقِهم، وفيه دليلٌ على أنَّ كلَّ قولٍ لا برهانَ عليه فهو جهالةٌ.

* * *

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ باتخاذِ الولدِ وإضافةِ الشريكِ إليه.

﴿ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ لا يفوزونَ، وتمَّ الكلامُ.

* * *

﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ؛ أي: افتراؤهم متاعٌ في الدنيا؛ أي: بُلْغَةٌ يسيرةٌ بنيلِ رئاستِهم ولذتِهم، ثم تزولُ.

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ بالموتِ.

﴿ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ بسببِ كفرِهم.

* * *

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧١] ﴿ ۞ وَٱتْلُ ﴾ أي: اقرأ يا محمدُ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ على أهلِ مكةَ ﴿ نَبَأَ ﴾ خبرَ ﴿ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ ﴾ وهم ولدُ قابيلَ بنِ آدمَ.

﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ ﴾ عظُمَ وشَقَّ ﴿ عَلَيْكُم مَّقَامِى ﴾ طولُ مَكْثي بينكم.

﴿ وَتَذْكِيرِى ﴾ تحذيري ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ بأدلَّتِهِ، فعزمْتُم على قتلي وطَرْدي.

﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ وَثِقْتُ به ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ ﴾ قراءة العامةِ: (فَأَجْمِعُوا) بالقطعِ وكسرِ الميم؛ أي: أَحكِموه.

﴿ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ أي: آلهتكَمْ، ونُصِبَ (شُرَكاءَكُمْ) بفعلٍ محذوفٍ تقديرُه: وادعوا شركاءكم فاستعينوا، بها **وقرأ** رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (فَاجْمَعُوا) بوصلِ الهمزةِ وفتحِ الميمِ، من الجمعِ، ووردَتْ عن نافعٍ[١]، **وقرأ** يعقوبُ: (وَشُرَكَاؤُكُمْ) بالرفع[٢]؛ أي: فَأَجمِعوا أمرَكم أنتم وشركاؤُكم.

﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ ﴾ في قصدي بالهلاكِ ﴿ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ خفِيّاً، بل جاهِروني به ﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ ﴾ أَمْضُوا ما في أنفسكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٨٤ـ٨٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٥).

﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ لا تؤخِّرونِ. أثبتَ يعقوبُ الياءَ في (تُنْظِروُنِي). تلخيصُه: اقصدوا هَلاكي بكلِّ طريقٍ سريعاً، فلا خوفَ عندي؛ لوثوقي باللهِ.

* * *

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أعرضْتُم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم﴾ على ذلكَ.

﴿مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ جُعْلٍ فتنفروا عَنِّي.

﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ لا تعلُّقَ له بكُم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ (أَجْرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ الذين لا يأخذونَ الأجرَ على التعليم.

* * *

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ استمرُّوا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ سُكَّانَ الأرض خَلَفاً عن الهالكينَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٦).

﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ بالطُّوفانِ ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ آخرَ أمرِ الذين أنذرَهم الرسلُ فلم يؤمنوا.

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي: من بعدِ نوحٍ.

﴿ رُسُلًا ﴾ كإبراهيمَ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ، وغيرِهم.

﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ كلُّ رسولٍ إلى قومِه.

﴿ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدَّلالاتِ الواضحاتِ.

﴿ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ﴾ فما كانَ إيمانُهم إلا ممتنعاً؛ لشدَّةِ شكيمتِهم في الكفر، وتصميمِهم عليه.

﴿ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ يريدُ: أنهم كانوا قبل بعثةِ الرسلِ أهلَ جاهليةٍ مكذِّبينَ بالحقِّ، فما وقعَ فصلٌ بين حالتَيْهم بعدَ بعثةِ الرسلِ وقبلَها، كأنْ لم يُبْعَثْ إليهم أحدٌ.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مثلَ ذلكَ الطَّبْعِ المحكَمِ ﴿ نَطْبَعُ ﴾ نختِمُ ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ بخذلانهم، وفي ذلكَ دليلٌ على أن الأفعالَ واقعةٌ بقدرةِ اللهِ تعالى.

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ أي: بعدَ الرُّسُلِ ﴿ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾ يعني: أشرافَ قومِه ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسعِ.

﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن اتباعِها ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ أي: مشركين.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾ يعني: فرعونَ وقومَه ﴿ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وعرفوه؛ لتظاهرِ المعجزات ﴿قَالُوٓا۟﴾ من فرطِ تمرُّدِهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهرٌ.

* * *

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ﴾ تقديرُ الكلام: أتقولونَ للحقِّ لما جاءكم: إنه سحرٌ؟ ثم قال منكراً عليهم: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾؟ فحذفَ السحرَ الأولَ اكتفاءً بدلالةِ الكلامِ عليه ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ المعنى: أيكونُ سِحْراً وقد أفلحَ مَنْ جاءَ به؟!

* * *

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوٓا۟﴾ فرعونُ وقومُه لموسى عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ تَصْرِفَنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ من عبادةِ الأصنامِ.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الملكُ في أرضِ مصرَ. قرأ أبو بكرٍ عن

عاصمٍ: (وَيَكُونَ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[1].

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدِّقين. قرأ أبو عمرٍو: (وَنَحْن لَّكُمَا) بإدغام النون في اللام[2].

* * *

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ حاذقٍ فيه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (سَحَّارٍ) على وزن فَعَّالٍ بتشديدِ الحاءِ وألفٍ بعدَها، وأمالَ فتحةَ الحاءِ الدوريُّ عن الكسائيِّ، وقرأ الباقون: (سَاحِرٍ) على وزن فاعِلٍ والألفِ قبلَ الحاء[3].

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ أي: اطْرَحوا على الأرضِ ما معَكُم من حبالِكم وعِصِيِّكم، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في الأعراف.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٢)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٧).

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم ﴾ أي: الذي جئتم ﴿ بِهِ ٱلسِّحْرُ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو (آلسِّحْرُ) بالمدِّ على الاستفهام، تقديرُه: أيُّ شيءٍ جئتُم به، أَهُوَ السِّحْرُ؟ ويجوز لكل منهما تسهيلُ الهمزةِ الثانيةِ بينَ بينَ وإبدالُها ألفاً خالصةً كما تقدَّم في قولِه: (آلآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)، ولا يجوزُ الفصلُ فيه بالألفِ، كما لا يجوز في (آلآنَ)، وقرأ الباقون: (بِهِ السِّحْرُ) بهمزةِ وصلٍ على الخبر، فتسقطُ وصلاً، وتُحذف بالصلةِ في الهاءِ قبلَها؛ لالتقاءِ الساكِنينِ(١).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ﴾ سيمْحَقُهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ لا يُقَوِّيهِ.

* * *

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ ﴾ يُثَبِّتُهُ ﴿ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ بأوامِره ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ذلكَ.

* * *

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴾ لم يصدِّقْهُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٧).

﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ أي: أولادٌ من أولادِ قومِه بني إسرائيلَ.

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ أي: ملأ الذريَّةِ؛ فإن ملأَ الذرية كانوا من قومِ فرعونَ، وقيلَ: الضميرُ لفرعونَ، وجمعَهُ لأنه كانَ عظيماً في نفسه، فخوطِبَ بالجمعِ.

﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يُعذِّبَهم، ولم يقل: يَفْتِنوهُم؛ لأنه أخبرَ عن فرعونَ، وكانَ قومُه على مثلِ ما كانَ عليهِ ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ غالبٌ قاهرٌ.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ في الكبرِ حتى ادَّعى الربوبيةَ. رُوِيَ عن يعقوبَ الوقفُ بالياءِ على (لَعَالِي).

***

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لمؤمني قومِه.

﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ ثِقُوا به.

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ مخلِصينَ له.

***

﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لأنهم كانوا مؤمنينَ مخلصينَ.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ موضعَ فتنةٍ؛ أي: عذابٍ بعدَ توبتِنا.

﴿ لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: لا تُظْهِرْهُم علينا، فيظُنُّوا أنا لم نكنْ على الحقِّ، فيزدادوا طُغياناً.

* * *

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ من كَيْدِهِم.

* * *

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا ﴾ اتَّخذا.

﴿ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ تسكنونَ فيها.

﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ مساجدَ متوجِّهَةً نحوَ الكعبة، وكان موسى يصلِّي إليها؛ لأنَّ فرعونَ كانَ قد أمرَ بني إسرائيلَ بتخريبِ بِيَعِهِم، وألاَّ يظاهروا بعبادتِهم، فأُمروا باتخاذِ مساجدَ في بيوتِهم يصلُّون فيها سِرّاً.

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ ﴾ أَتِمُّوها ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ يا موسى ﴿ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بخيرَيِ الدنيا والآخرةِ.

* * *

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً ﴾ كلَّ ما يتزيَّنُ به من متاعِ الدنيا.

﴿ وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وأنواعاً من المالِ.

﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ قرأ عاصمٌ، وحمزة، والكسائيُّ، وخلفٌ، (لِيُضِلُّوا) بضمِّ الياء، أي: لِيُضلُّوا غيرَهم، والباقون: بفتحها[1]؛ أي: ليضِلُّوا في أنفسهم، واللامُ في (لِيُضِلُّوا) لامُ العاقبة، يعني: فَيُضِلُّوا، ويكون عاقبةُ أمرهم الضَّلال، كقوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨]، وقيلَ: هي لامُ (كي)؛ أي: آتيتَهم كي تَفْتِنَهم فَيَضِلُّوا ويُضِلُّوا؛ كقوله: ﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٦-١٧]، قال القرطبيُّ: وأصحُّ ما قيلَ فيها، وهو قولُ الخليلِ وسيبويهِ: أنها لامُ العاقبةِ والصَّيرورةِ[2].

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ أذهِبْ آثارها بالهلاكِ ﴿ وَٱشْدُدْ ﴾ واختِمْ.

﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ لِئَلاَّ يدخُلَها الإيمانُ، وأصلُ الشدِّ: الاستيثاقُ، وإنما دعا عليهم بعدَ الإنذارِ؛ لعلمِهِ أن لا سبيلَ إلى إيمانِهم.

﴿ فَلَا يُؤْمِنُواْ ﴾ معناهُ: اللهمَّ فلا يؤمنوا.

﴿ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ وهو الغرقُ.

* * *

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ قَالَ ﴾ الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٨٩).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٧٤).

﴿قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ إنَّما نُسبَتْ إليهما، والدعاءُ كانَ منْ موسى؛ لأنه رُوِيَ أنَّ موسى كانَ يدعو، وهارونُ يؤمِّنُ، والتأمينُ دعاءٌ وفي بعضِ القصصِ: كانَ بينَ دعاءِ موسى وإجابتهِ أربعونَ سنةً.

﴿فَٱسۡتَقِيمَا﴾ على الرسالةِ، وامضيا لأمري.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أَمْرَ الله تعالى. **قرأ العامةُ**: (تتَّبِعانِّ) بتشديدِ التاءِ الثانيةِ وفتحِها وكسرِ الباءِ وتشديدِ النونِ في موضعِ جزمٍ على النهيِ، والنونُ للتوكيد، وحركت لالتقاءِ الساكنينِ، واختيرَ لها الكسرُ؛ لأنها أشبهتْ نونَ الرجلانِ، ويقال في الواحدِ: لا تتَّبِعَنَّ بفتحِ النون، **وقرأ** ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ بتشديدِ التاءِ مع تخفيفِ النونِ، فتكون (لا) نافيةً، فيصيرُ اللفظُ لفظَ الخبر، ومعناهُ النهيُ؛ كقوله: (لاَ تُضَارُّ وَالِدَةٌ) على قراءةِ مَنْ رفعَ، ورُوي عن ابنِ ذكوانَ أيضاً وجهٌ آخرُ بتخفيفِ التاءِ الثانية ساكنةً، وفتحِ الباءِ مع تشديدِ النونِ من تَبِعَ[1]، المعنى: لا تسلكْ طريقَ مَنْ لا يعلمُ حقيقةَ وعدي ووعيدي.

* * *

﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿۞ وَجَٰوَزۡنَا﴾ عبَرْنا ﴿بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ حتى الشطِّ حافِظينَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٠).

لهم ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾ ظُلْماً واعتداءً، وكانَ البحرُ قدِ انفلقَ لموسى وقومِه، فلما وصلَ فرعونُ بجنودِه إلى البحر، هابوا دخولَه، فتقدَّمَهم جبريلُ في صورةِ هامانَ على فرسٍ وَدِيقٍ؛ أَيْ: شَهِيٍّ، وهي التي في فَرْجِها بَلَلٌ وخاضَ البحرَ، فاقتحمتِ الخيولُ، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ مستوفىً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [الآية: ٥٠]، فلما دخلَ آخرُهم، وهمَّ أَوَّلُهم أَنْ يخرجَ، انطبقَ عليهِم الماءُ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ ﴾ أي: قارَبه، وكانَ هذا في يومِ عاشوراءَ ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (إِنَّهُ) بكسرِ الألفِ على الاستئنافِ بدلاً من (آمَنْتُ)، والباقون: بالفتحِ على حذفِ الباء التي هي صلةُ الإيمان[1]؛ أي: بأنه.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وكرر معنى الإيمانِ ثلاثَ مراتٍ حرصاً على القَبول، فلم يُقْبَلْ؛ لأنه فَرَّطَ، ولم يكنْ وقتَ قَبولٍ.

* * *

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] فعندَ ذلكَ دَسَّ جِبْريلُ عليه السلام في فيهِ مِنْ حَمَإِ البحرِ، وقال: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾ تؤمنُ ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الضالِّينَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩١).

المضلِّين؟! وتقدَّمَ الكلامُ في (آلآن)، ومذاهبُ القراءِ فيهِ عندَ قولِه: ﴿ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١].

***

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾.

[٩٢] فلما أخبرَ موسى قومَه بهلاكِ فرعونَ وقومِه، قالتْ بنو إسرائيلَ: ما ماتَ فرعونُ، فأمرَ اللهُ البحرَ، فألقى فرعونَ على الساحل أحمرَ قصيراً كأنه ثورٌ، فتيقَّنَ بنو إسرائيلَ موتَهُ، فمن ذلكَ الوقتِ لا يقبلُ الماءُ مَيْتاً أبداً، فذلكَ قولُه: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ﴾ نلقيكَ على نَجْوَةٍ من الأرضِ؛ أي: مرتفَعٍ منها. قرأ يعقوبُ: (نُنْجِيكَ) مخففاً، والباقون: مشدَّداً[١].

﴿بِبَدَنِكَ﴾ وحدَكَ.

﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ﴾ بعدَكَ ﴿ءَايَةٗ﴾ علامةً تظهرُ لهم بها عبوديتُكَ من ربوبيتِكَ؛ لأنكَ لو كنتَ ربّاً، لما غرقْتَ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ لا يتفكَّرون فيها.

***

﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٩٣﴾.

[٩٣] ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا﴾ أنزلْنا ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ منزلَ كرامةٍ، وهي

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩١).

الأرضُ المقدسةُ التي كتبَ اللهُ ميراثَها لإبراهيمَ وذريتِهِ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالاتِ ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ يعني: اليهودَ الذين كانوا في عهدِ النبيِّ ﷺ ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ يعني: القرآنَ، فبعضٌ قال: هو هو، وبعض: ليسَ هو، وغيَّروا صفتَهُ معَ معرفتِهم صدقَهُ وصفتَهُ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا، فيثيبُ التائبَ، ويعاقبُ العاصيَ.

***

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ثم قال خِطاباً للنَّبي ﷺ، والمرادُ غيرُه: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فيخبرونك أنك مكتوبٌ عندَهم في التوراة، وقيلَ غيرُ ذلكَ، والشكُّ في اللغةِ: أصلُه الضيقُ، فقال ﷺ في الجوابِ: «لاَ أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ أَحداً، أَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَقُّ»(١). قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلِ) بنقل حركةِ الهمزة إلى الساكن قبلَها، وهو السين، والباقون: بغير نقل(٢)، ثم استأنفَ الكلامَ فقال:

﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا شَكَّ فيه، وهو القرآنُ.

﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّين.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٢١١)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٢).

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ والخطابُ في هذه الآية كالتي قبلَها للنبيِّ ﷺ، والمرادُ غيرُه.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ ﴾ وَجَبَتْ.

﴿ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أنهم يموتون كُفَّاراً، وهي: هؤلاءِ للنارِ ولا أُبالي. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (كَلِمَاتُ) بالألف على الجمعِ، والباقون: بغير ألفٍ على التوحيد[١] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

***

﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ سألوها، وأُنِّثَ فعلُ (كُلُّ) لإضافتِه إلى مؤنثٍ.

﴿ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ فحينئذٍ يؤمنون ولا ينفعُهم.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٢).

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

[٩٨] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ أي: فهلاَّ ﴿ كَانَتْ ﴾ المعنى: فلم تكنْ ﴿ قَرْيَةٌ ﴾ من القرى الهالكةِ ﴿ ءَامَنَتْ ﴾ عندَ معاينةِ العذابِ.

﴿ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ ﴾ بأنْ تقبَّلَ اللهُ منها.

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ فإنَّه نفعَهم إيمانُهم في ذلكَ الوقتِ، و(قومَ) نصبٌ على الاستثناءِ المنقطعِ، تقديرُه: ولكنَّ قومَ يونسَ.

﴿ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ ﴾ الذلِّ والهوانِ.

﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى وقتِ انقضاءِ آجالِهم، وملخَّصُ القصةِ: أنَّ قومَ يونسَ كانوا بِنينَوى من أرضِ الموصِلِ، وكانوا يعبدون الأصنامَ، فأرسلَ الله إليهم يونَس عليه السلام، فكذَّبوه، فقيل له: أخبرْهم أنَّ العذابَ مُصَبِّحُهم بعدَ ثلاثٍ، فأخبرَهم، فقالوا: هو رجلٌ لا يكذبُ، فارقُبوه، فإن أقامَ معكم، فلا عليكم، وإن ارتحلَ عنكم، فهو نزولُ العذابِ لا شكَّ، فلما جاءهم الميعادُ، تَغَشَّاهم العذابُ، فكانَ مرتفعاً على رؤوسهم قدرَ ميلٍ، رُوِيَ أنه غيمٌ أسودُ يدخنُ دخاناً شديداً، وكان يونسُ قد خرجَ من بينِ أَظْهُرِهِمْ في جوفِ تلكَ الليلةِ، فلما رأوا ذلكَ، ولم يجدوا يونسَ، أيقنوا بالهلاكِ، فَلَبِسوا المُسُوحَ، وبرزوا إلى الصعيدِ بأنفسِهم ونسائِهم وصبيانِهم ودوابِّهم، وفرَّقوا بينَ كلِّ والدةٍ وولدِها، فحنَّ بعضُهم إلى بعض، وعَجُّوا وتَضَرَّعوا، وتَرادُّوا المظالمَ، وأخلصوا التوبةَ والإيمانَ، فرحِمَهم اللهُ، وكشفَ عنهمُ العذابَ، وكانَ يومَ عاشوراءَ يومَ

الجمعةِ، وسيأتي ذكرُ قصةِ يونسَ بأبسطَ من هذا في سورةِ الأنبياءِ إن شاء الله تعالى.

***

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ وهو دليلٌ على القدريَّةِ في أنَّ الله تعالى لم يشأْ إيمانَهم، وأن من شاءَ إيمانَه يؤمنُ لا محالةَ.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ قالَ ابنُ عباس: «كانَ النبيُّ ﷺ حريصاً على إيمانِ جميعِ الناسِ، فأخبرَه تعالى أَنْ لا يؤمنُ إلاَّ من سبقَتْ له السعادةُ في الذكرِ الأولِ، ولا يضلُّ إلا من سبقَتْ له الشقاوةُ[١] في الذكرِ الأولِ»[٢].

***

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ﴾ أي: وما ينبغي.

﴿لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بعلمِه وتوفيقِه.

﴿وَيَجْعَلُ﴾ اللهُ ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ العذابَ. قراءة العامةِ: (وَيَجْعَلُ) بالياء،

---

(١) في «ظ»: «الشقوة».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨١).

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَنَجْعَلُ) بالنونِ على التعظيم[1] ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أَمْرَ اللهِ ونهيَهُ.

***

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

[١٠١] ﴿قُلِ﴾ للمشركينَ الذين يسألونَكَ عن الآياتِ: ﴿ٱنظُرُواْ﴾ أي: بالتفكر. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (قُلِ انْظُرُوا) بكسرِ اللام في الوصل، والباقون: بضمِّها[2] ﴿مَاذَآ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ من الدلالاتِ الدالَّةِ على الوحدانيةِ، و(ما) استفهامية.

﴿وَمَآ﴾ للنفي؛ أي: ولنْ ﴿تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ الرسلُ.

﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ السابق علمُه تعالى بموتِهم كافرين.

***

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ يعني: مشركي مكةَ ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ من مكذبي الأمم؛ أي: مثلَ وقائِعهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٣-٩٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤).

﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ لذلكَ.

***

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ قرأ يعقوبُ (نُنْجِي) بإسكانِ النون الثانية والتخفيف، والباقون: بفتح النون والتشديد[١] ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معهم عندَ نزولِ العذابِ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أنجيناهم ﴿حَقًّا﴾ واجباً ﴿عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ الكسائيُّ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) بالتخفيف، والباقونَ: بالتشديد، ووقفَ يعقوبُ (نُنْجِي) بإثباتِ الياء[٢]، ونجَّى وأَنْجى بمعنى واحدٍ.

***

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني: أهلَ مكةَ.

﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي﴾ وصِحَّتِه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٩٤).

﴿ فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهي الأصنامُ.

﴿ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ ﴾ يُميتكم، وخُصَّ التوفِّي بالذكرِ للتهديدِ.

﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ بآياتِ الله.

* * *

﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٥ ﴾.

[١٠٥] ﴿ وَأَنۡ أَقِمۡ ﴾ عطفٌ على (أن أكون) ﴿ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ﴾ أي: استقمْ إليهِ ﴿ حَنِيفٗا ﴾ قيِّماً بهِ مائلاً عن كلِّ دينٍ.

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أي: قيلَ لي: لا تشركْ.

* * *

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ ﴾.

[١٠٦] ﴿ وَلَا تَدۡعُ ﴾ لا تعبدْ ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إنْ أطعتَهُ.

﴿ وَلَا يَضُرُّكَۖ ﴾ إنْ عصيتَهُ.

﴿ فَإِن فَعَلۡتَ ﴾ فعبدْتَ غيرَ اللهِ ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الضارِّينَ بأنفسِهم.

* * *

﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧ ﴾.

[١٠٧] ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ ﴾ يُصِبْكَ بهِ ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾ يرفعُهُ ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ سبحانَه.

﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ ﴾ فلا مانعَ ﴿ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾ الذي أرادكَ بهِ.

﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالخيرِ والضرِّ.

﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبِ عبادِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائِه.

* * *

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ رسولُه والقرآنُ، فلم يبقَ لكم حجةٌ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ اختارَ الهدى.

﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ﴾ أي: لخلاصِ نفسِه؛ لأن نفعَه لها.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بالكفرِ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۚ﴾ أي: وبالُ ذلكَ على نفسِه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي: حفيظٌ أحفظُ أعمالَكُم، إنْ عليَّ إلاَّ البلاغُ.

* * *

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] قالَ ابنُ عباسٍ: «نسخَتْها آيةُ القتالِ والتي بعدَها»(١)، وهي: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمدُ ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ بالنصرةِ أو بالأمرِ بالقتالِ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه عز وجل لا يحكمُ إلا بالحقِّ، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

سُورَةُ هُودٍ

عَلَيْهِ السَّلَام

مَكِّيَّةٌ إلا قولَه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ الآية، آيها مئةٌ وثلاثٌ وعشرونَ، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وخمسُ مئةٍ وسبعةٌ وستونَ كسورةِ يونسَ، وكَلِمُها ألفٌ وتسعُ مئةٍ وخمسَ عشرةَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓرۚ﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليهِ، ومذاهبُ القراءِ فيه في أولِ سورةِ يونس(١).

﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ، أي: هذا كتابٌ، وهو القرآنُ.

﴿أُحْكِمَتْ﴾ نُظِمَتْ ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾ نَظْماً مُحكَماً لا يلحقُها تناقضٌ ولا خللٌ، وقال ابنُ عباسٍ: أَيْ: لم يُنْسَخْ بكتابٍ كما نُسِخَتِ الكتبُ والشرائعُ بهِ(٢).

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ بالأحكامِ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: من عندِه.

---

(١) عند تفسير الآية (١) منها.

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٩٩٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٥).

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ﴿ أَن لَّا نَعْبُدُوٓاْ ﴾ أي: بألاَّ لا تعبدوا ﴿ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ ﴾ أي: من الله ﴿ نَذِيرٌ ﴾ بالعذابِ ﴿ وَبَشِيرٌ ﴾ بالثوابِ .

* * *

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾ وَحِّدُوهُ، عطفٌ على الأولِ .

﴿ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ ﴾ من الكفر؛ أي: انسلِخوا منهُ، واندَموا على سالفِهِ .

﴿ يُمَتِّعْكُم ﴾ يُعَيِّشْكُم في الدنيا ﴿ مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ عَيْشاً طيباً .

﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ إلى المماتِ .

﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ ﴾ أي: في العملِ؛ أي: زيادةٍ في ﴿ فَضْلَهُۥۖ ﴾ أي: جزاءَ فضلِه .

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: تتولَّوا، فحُذفَتْ إحدى التاءين. **وقرأ** البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ (وَإِن تَّوَلَّوا) بتشديدِ التاء(١) .

﴿ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ **قرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (فَإِنِّيَ أَخَافُ) (إِنِّيَ أَخَافُ) حيثُ وقعَ بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها(٢)

﴿ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ هو يومُ القيامة .

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٠) .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٠) .

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ في ذلك اليومِ ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من ثوابٍ وعقابٍ، ولا ينفعُ من قضائِه واقيةٌ.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ يخفونَ ما فيها من العداوةِ، نزلتْ في الأخنسِ بنِ شريقٍ، وكانَ رجلاً حلوَ الكلامِ والمنظرِ، يلقى رسولَ اللهِ ﷺ بما يحبُّ، وينطوي بقلبه على ما يكرهُ[١].

﴿ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ﴾ أي: من الله، قال ابنُ عطية: هذا هو الأفصحُ الأجزلُ في المعنى، وقيل: يمكنُ أن يعودَ الضميرُ على محمدٍ ﷺ[٢].

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ﴾ يتغطَّونَ بها، و(حين) توقيتٌ للتغطِّي لا للعلمِ ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ في قلوبِهم ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ بأفواهِهم.

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ وذواتُ الصدورِ: ما فيها.

* * *

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ليسَ دابةٌ، و(من) صِلَةٌ، والدابَّةُ:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥١).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥١).

كلُّ حيوانٍ يَدِبُّ على وجهِ الأرضِ ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي: هو المتكفِّلُ به فَضْلاً لا وجوباً.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانها.

﴿وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ﴾ حيثُ كانتْ من قبلُ من صلبٍ أو رَحِمٍ.

﴿كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: مثبتٍ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ خَلْقِها.

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ والأرجحُ أنها من أيامِ الدنيا، وأجزأَ ذكرهُ السمواتِ والأرضَ عن ذكرِ ما فيها؛ إذ كلُّ ذلكَ خُلِقَ في تلكَ الستةِ أيامٍ، وتقَدَّمَ الكلامُ في ذلك في سورة الأعراف.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبلَ خلق السمواتِ والأرضِ، وكانَ ذلكَ الماءُ على مَتْنِ الريح، ثم بَيَّنَ علَّةَ الخلقِ فقالَ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختَبِركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾ أيُّها المؤمنون وأزهدُ في الدنيا وأتمُّ عقلاً.

﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا محمدُ ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون: القرآن. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (سَاحِرٌ) بفتح السين وألفٍ بعدَها وكسرِ الحاءِ، يعني: محمداً ﷺ(١).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٣).=

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ أي: أجلٍ محدودٍ، وأصلُ الأمةِ: الجماعةُ، فكأنه قال: إلى انقراضِ أمةٍ ومجيءِ أخرى.

﴿ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ المعنى: أيُّ شيءٍ يمنعُ العذابَ من النزولِ؟ يقولونه استهزاءً.

﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ ﴾ كيوم بدرٍ ﴿ لَيْسَ ﴾ العذابُ ﴿ مَصْرُوفًا ﴾ مدفوعاً ﴿ عَنْهُمْ وَحَاقَ ﴾ وأحاطَ ﴿ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي: نزل بهم جزاءَ استهزائهم.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ المرادُ: الجنسُ ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمةً.

﴿ ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ ﴾ أَزَلْناها عنه ﴿ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ ﴾ شديدُ اليأس أنها لا تعودُ إليه ﴿ كَفُورٌ ﴾ أَنْعُمَ اللهِ عليه.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ ﴾ صحةً وسَعَةً ﴿ بَعْدَ ضَرَّآءَ ﴾ شدةٍ.

﴿ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ﴾ الإنسانُ ﴿ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ ﴾ المصائبُ ﴿ عَنِّىٓ ﴾ ويتجبَّرُ.

﴿ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ ﴾ بطر.

﴿فَخُورٌ﴾ والفرحُ: لذةٌ في القلبِ بنيلِ المشتهى، والفخرُ: هو التطاوُلُ على الناس بتعديدِ المناقبِ، وذلك منهيٌّ عنه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمروٍ (عَنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

* * *

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ استثناءٌ متصلٌ على ما تقدَّمَ من أن (الإنسانَ) عامٌّ، ويرادُ به الجنسُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ هو الجنةُ.

* * *

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمدُ ﴿تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ أي: تاركٌ تبليغَ ما يسوؤهم رجاءَ توبتِهم، وذلكَ أن كفارَ مكةَ لما قالوا: ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥] ليس فيه سبُّ آلهتنا، هَمَّ النبيُّ ﷺ أن يدعَ سبَّ آلهتهم ظاهراً، فأنزل اللهُ الآيةَ(٢).

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٥٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٠).

﴿ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ ﴾ أي: بما كُلِّفتَ ﴿ صَدۡرُكَ ﴾ بأن تتلوهُ عليهم مخافةَ ﴿ أَن يَقُولُواْ ﴾ مكذِّبينَ ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ ﴾ ينفقهُ ﴿ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ ﴾ يصدِّقهُ.

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ ﴾ فأدِّ النِّذارةَ.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ أي: حافظٌ وشهيدٌ.

***

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ أَمۡ ﴾ بَلْ ﴿ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ ﴾ أي: اختلقَ محمدٌ الموحَى إليه، وهو القرآنُ.

﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾ مختلَقاتٍ من عندِ أنفسِكم، قال هنا: عشر، وفي يونسَ: (بسورة)؛ لأن هذه نزلتْ قبلَ تلكَ، لأنهم تُحُدُّوا أولاً بالإتيان بعشر، فلما عَجَزوا، تُحُدُّوا بسورةٍ واحدةٍ، المعنى: إن كان ما جئتُ به مفترًى كما تزعمونَ، فعارضوا بعضَه.

﴿ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم ﴾ للمعارضةِ ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الكهنةِ والأعوانِ ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولِكم.

***

﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ في المعارضة، ولم تتهيأ لهم، خوطب جَمعاً؛ تعظيماً لقدره، أو الخطابُ له ولأصحابه.

﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ ﴾ خطابٌ للمؤمنين، أو للمشركين ﴿ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ أي: وهو عالمٌ بإنزالِه وبجميعِ ما فيه ﴿ وَأَن لَّآ ﴾ أي: واعلموا أن لا ﴿ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ؛ أي: أسلِموا.

* * *

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ونزل في كلِّ مَنْ عملَ عملاً لغيرِ اللهِ تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾ بإحسانهِ وبرِّهِ.

﴿ نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾ أي: أُجورَ أعمالِهم في الدنيا؛ بسعةِ الرزقِ، وطيبِ العيش ﴿ وَهُمۡ فِيهَا ﴾ أي: في الدنيا ﴿ لَا يُبۡخَسُونَ ﴾ لا يُنْقَصون من حظِّهم.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ ﴾ لأنهم استوفَوا ما تَقتضيه صورُ أعمالِهم الحسنةِ، وبقيت لهم أوزارُ العزائمِ السيئةِ.

﴿ وَحَبِطَ ﴾ بطَلَ في الآخرةِ ﴿ مَا صَنَعُواْ فِيهَا ﴾ أي: في الدنيا.

﴿ وَبَٰطِلٞ ﴾ في نفسِه ﴿ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ لأنه عملٌ لغيرِ الله تعالى، واختلِف في المعني بهذه الآية، فقيل: هم أهلُ الرياءِ من المؤمنين، وقيل: هم الكفارُ، قال ابنُ عطيةَ: وهو عندي أرجحُ التأويلاتِ بحسبِ ذكرِ الكفارِ

والمنافقين في القرآنِ، فإنما قصدَ بهذه الآية أولئك[1].

***

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ ابتداءٌ، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: أفمَنْ كان على بينةٍ كمَنْ كفرَ باللهِ وكذَّبَ أنبياءه؟ والمرادُ: أن النبيَّ ﷺ على بينةٍ؛ أي: برهانٍ وبيانٍ من اللهِ أن دينَ الإسلامِ حَقٌّ.

﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ ﴾ أي: يتبع البرهانَ شاهدٌ يشهدُ بصحته، وهو القرآن.

﴿ مِّنْهُ ﴾ أي: من الله تعالى.

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي: قبلَ القرآنِ ﴿ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ هو التوراةُ.

﴿ إِمَامًا ﴾ مُؤْتماً به ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ لمن تبعَه.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: المؤمنون.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ بالنبيِّ ﷺ.

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ وهم الفِرَقُ من أهلِ مكةَ ومن ضامَّهم من الكفارِ المتحزِّبين على رسولِ اللهِ ﷺ.

﴿ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ مصيرهُ.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٥٦).

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شَكٍّ ﴿مِّنْهُ﴾ من الموعدِ ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من قلَّةِ نظرِهم، واختلالِ فكرِهم.

***

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعمَ أن له ولداً وشريكاً؟ أي: لا أحدَ أظلمُ منه.

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾ يعني: الكاذبينَ ﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ في الموقفِ، فيسألُهم عن أعمالهم.

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهدٍ، وهم الملائكةُ والنبيونَ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾ بُعْدُهُ وسَخَطُهُ ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين وَضعوا العبادةَ في غيرِ موضِعها.

***

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ يمنعونَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دينهِ.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يعدِلون بالناسِ عنها إلى المعاصي والشركِ.

﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أعادَ لفظَ (هم) تأكيداً لكفرِهم.

***

﴿أُولَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ثم قال الأشهادُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الكاذبون.

﴿لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ فائتينَ اللهَ إذا أرادَ عذابَهم.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ ناصرينَ يمنعونهم من عذابِه، ولكن أَخَّرَهم إلى يومِ القيامةِ.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾ يشدَّدُ حتى يكونَ ضِعْفَي ما كان. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وجعفرٌ، ويعقوبُ: (يُضَعَّفُ) بتشديدِ العينِ مع حذفِ الألف، والباقون: بإثباتِ الألف والتخفيفِ(١).

﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ أي: استماعَ الحقِّ.

﴿وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ محمداً؛ بُغْضاً له، فـ(ما) نافية.

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ غبَنوا.

﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ باشتراءِ عبادةِ الأوثانِ بعبادةِ اللهِ.

﴿وَضَلَّ﴾ ضاع.

﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من زَعْمِهم أن الآلهةَ تشفعُ لهم.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٥ـ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٥).

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ أي: حقاً.

﴿ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ أي: متحقِّقٌ خسرانُهم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ صدَّقوا ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ ﴾ خشَعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وأصلُ الإخباتِ: الخضوعُ، من الخَبْتِ، وهي الأرضُ المطمئنَّةُ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ هذه الآيةُ في الصحابةِ المؤمنين، والتي قبلَها في المشركين.

* * *

﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ثم ضربَ للكافرينَ والمؤمنينَ مثلاً فقال: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ كَٱلْأَعْمَىٰ ﴾ أي: كمثلِ الأعمى.

﴿ وَٱلْأَصَمِّ ﴾ هذا للكافرينَ ﴿ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ للمؤمنين، شَبَّهَ الكافرَ بالأعمى وبالأصمِّ، وشبه المؤمنَ بالبصيرِ والسميعِ، فهو على تمثيل مثالين، وقال بعضُ المتأولين: التقديرُ: كالأعمى الأصمِّ، والبصيرِ السميعِ، فدخلت واوُ العطف كما تقولُ جاءني: زيدٌ العاقلُ والكريمُ،

وأنت تريدُه بعينِه، فهو[1] على هذا تمثيلٌ بمثالٍ واحد.

﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ﴾ أي: الفريقانِ ﴿مَثَلًا﴾ تمييز.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تتَّعظون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَذْكُرونَ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديدِ[2].

***

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ: (إنِّي) بكسرِ الهمزة؛ أي: فقال: إني؛ لأن في الإرسالِ معنى القولِ، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة؛ أي: بـ(أني)[3]، والنذرُ والمنذِرُ هو المحذِّرُ.

***

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ هو يومُ القيامةِ، وُصِفَ بذلك؛ لأن العذابَ يكونُ فيه، وتقدمَ ذكرُ الاختلافِ في عمرِه حينَ بعثَهُ اللهُ إلى قومِه في سورة الأعرافِ عندَ تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الآية: ٥٩]، ولبثَ يدعو قومَه تسعَ مئةٍ وخمسينَ

---

(١) في «ت»: «فهي».

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٥-١٠٦).

سنةً، وعاشَ بعدَ الطوفانِ مئتي سنةٍ وخمسينَ سنةً، وماتَ وله ألفٌ وأربعُ مئةٍ وخمسون سنةً.

* * *

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ والملأُ: هم الأشرافُ والرؤساءُ ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا﴾ آدمياً ﴿مِّثْلَنَا﴾ لا مَزِيَّةَ لكَ علينا.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ الناقصونَ الأقدارِ فينا.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ قرأ أبو عمرٍو: (بَادِىءَ) بالهمز؛ أي: أولَ الرأيِ، يريدون: أنهم اتبعوكَ في أولِ الرأيِ من غيرِ رؤيةٍ وتفكُّرٍ، ولو تفكَّروا ما اتَّبعوكَ، وقرأ الباقونَ: بياءٍ مفتوحةٍ بغيرِ همزٍ[١]؛ أي: ظاهرَ الرأيِ، معناه: اتبعوك ظاهراً من غيرِ أن يتدَبَّروا ويتفكروا باطِناً، ونصبُه على القراءتين ظرفٌ.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ لكَ ولمتبعيكَ ﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ أي: زيادةِ شرفٍ علينا نؤهِّلُكم بها للنبوةِ ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ الخطابُ لنوحٍ ولمن آمَن به.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٦).

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ نوحٌ ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ أَخْبِروني.

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حُجَّةٍ ﴿مِّن رَّبِّي﴾ شاهدةٍ بصحةِ دَعْواي.

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ أي: النبوةَ ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ (فَعُمِّيَتْ) بضمِّ العينِ وتشديدِ الميم؛ أي: شُبِّهَتْ ولُبِّسَتْ، وقرأ الباقون: بفتح العينِ وتخفيفِ الميم؛ أي: خَفِيَتْ[(١)].

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أَنُلْزِمُكُمُ الهدايةَ ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ لا تريدونَها؟ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ.

* * *

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على التبليغِ وإيمانِكم ﴿مَالًا ۖ﴾ أَجْراً.

﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٧).

والكسائيُّ، وخلفٌ عن عاصمٍ: (أَجْرِي) بإسكان الياءِ حيثُ وقع: والباقون بفتحِها[1].

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وذلكَ أنهم قالوا له: اطردْ عنكَ المؤمنينَ؛ حَسَداً لهم ﴿ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ أي: صائرونَ إليه، فيجزي من طَرَدَهم.

﴿ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ أمرَ اللهِ ولقاءَه. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وقنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ: (وَلكنِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2].

* * *

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ ﴾ من يمنعُني من عذابِه.

﴿ إِن طَرَدتُّهُمْ ﴾ لأجلِ إيمانهم ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتَّعظون. قرأ أبو عمروٍ: (وَيَا قَوْم مَّنْ) بإدغامِ الميم في الميم[3].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٩).

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِىٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ فآتي منها ما تطلبونَ.

﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ فأخبرُكم بما تريدونَ.

﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِىٓ ﴾ تحتقرُ ﴿ أَعۡيُنُكُمۡ ﴾ من المؤمنين ﴿ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ﴾ أي: إيماناً وتوفيقاً؛ لجهلي بحالهم، وذلك أنهم قالوا: هم أراذلُنا، ولن يؤتيَهم اللهُ خيراً.

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إنْ آذيتُهم. قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا ﴾ خاصَمْتَنا ﴿ فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ فأطْنَبْتَهُ.

﴿ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ من العذابِ.

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في الدَّعْوى.

* * *

---

(١) المصادر السابقة.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجِلاً أو آجِلاً.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائِتينَ.

***

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ نَصيحتي.

﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ أي: نصحَكم.

﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ يُضِلَّكم، تقديرُ الكلام: إنْ كانَ اللهُ يريدُ أن يغويَكم، فإن أردتُ أن أنصحَ لكم، لا ينفعكُم نصحي. قرأ نافعٌ، وأبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (نُصْحِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ فإليه الإغواءُ والهدايةُ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إخبارٌ في ضمنِه تهديدٌ ووعيدٌ. قرأ يعقوبُ: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء، والباقون: بضمها(٢).

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٠).

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هؤلاء الكفرةُ ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ افترى نوحٌ هذا التوعُّدَ بالعذاب، وأراد الإرهابَ علينا بذلك، وقيل: إن هذه الآيةَ اعترضَتْ في قصةِ نوحٍ، وهي في شأنِ محمدٍ ﷺ مع كفارِ قريشٍ، وذلك أنهم قالوا: افْترى القرآنَ، وافترى هذهِ القصةَ عن نوحٍ، فنزلتِ الآيةُ في ذلك، والأولُ هو قولُ ابنِ عباسٍ[1]، قال القرطبيُّ: وهو أظهرُ؛ لأنه ليسَ قبلَه ولا بعده إلا ذكرُ نوحٍ وقومِه، فالخطاب منهم ولهم[2].

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ المعنى: إن صحَّ أني افتريتُه، فعلي جزاءُ افترائي.

﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ من الكفرِ والتكذيبِ. قرأ أبو جعفرٍ بخلاف عنه: (بَرِيٌّ) و(بَرِيُّونَ) حيثُ وقعَ بتشديدِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ والمدِّ.

* * *

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ معنى الكلام: الإياسُ من إيمانهم، واستدامةُ كفرِهم تحقيقاً لنزولِ الوعيدِ بهم.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٣٢ ـ ٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٩٨).
(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٢٩).

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزنْ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فإني مُهْلِكُهم، فحينئذٍ دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ورُوي أنهم كانوا يبطِشونَ بنوحٍ فيخنقونه حتى يُغشى عليه، فإذا أفاقَ، قال: رَبِّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمونَ.

* * *

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧)﴾.

[٣٧] ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ بمنظرٍ مِنَّا؛ أي: اصنعْها محفوظاً أن تُنالَ بسوءٍ، وأن يُحال بينَكَ وبينَ عملِها، وأن تُخطىء في عملِها؛ لأنه لما أُمِرَ بعملِ السفينةِ، لم يدرِ كيفَ يصنعُها، فأوحيَ إليه أن اصنعْها كجؤجُؤِ الطائرِ، فإنَّكَ بعيني، فأخذ القَدُّومَ، وجعل يضربُ ولا يخطىء، ورُوي أن السفينةَ كان طولُها ثلاثَ مئةِ ذراعٍ، وعرضُها خمسينَ ذراعاً، وطولُها في السماء ثلاثين ذراعاً، وقيلَ غيرُ ذلك، وكانتْ من خشبِ الساجِ، وجعلَ لها ثلاثةَ بُطونٍ، فحملَ في البطنِ الأسفلِ الوحوشَ والسباعَ والهوامَّ، وفي البطنِ الوسطِ الدوابَّ والأنعام، وركبَ هو ومَنْ معه البطنَ الأعلى معَ ما يحتاجُ إليه من الزاد.

﴿وَوَحْيِنَا﴾ وتعليمِنا لكَ صورةَ العملِ بالوحيِ.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾ تراجِعْني.

﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في إهلاكِ الكفارِ وابنِك كنعانَ وامرأتِكَ واعلةَ.

﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ محكومٌ بغرقِهم.

* * *

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ﴾ أي: وطَفِقَ يصنعُ ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ رُوي أن نوحاً عليه السلام لبثَ يغرسُ الشجرَ مئةَ عامٍ، ثم جعلَ يقطعُ الخشبَ ويضربُ الحديدَ ويهيىء عدةَ الفلكِ من القارِ وغيره.

﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعةٌ ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ فكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوحُ! صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً!

﴿قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ في المستقبلِ عند رؤيةِ الهلاكِ.

﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ منا الآنَ.

***

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يُذِلُّه، وهو الغرقُ.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهو عذابُ الآخرةِ، فصنعَ نوحٌ السفينةَ في سنتين، وقيلَ غيرُ ذلك.

***

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي: وقتُ الوعدِ بإهلاكهم. واختلافُ القراء في حكم الهمزتين من قوله (جَاءَ أَمْرُنَا) في هذا الحرف وجميعِ ما في

السورة كاختلافِهم فيها من قوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [الآية: ٥] في سورةِ النساءِ.

﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ أي: جاشَ بالماء، وهو تنورُ الخبزِ في قولِ الأكثرِ، وكان هو الآيةَ بينَ نوحٍ وبينَ ربِّهِ، واختلِفَ في موضعِ التنور، فقيلَ: بالكوفة، وقيل: بالشام بموضعٍ يُقال له عَيْنُ وردة، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ أي: في السفينة.

﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ صِنفَينِ من الحيوان.

﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وقيل لهما: زوجان؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما يُقال له: زوجٌ؛ لأنه لابدَّ لأحدِهما من الآخر. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (مِنْ كُلٍّ) بالتنوينِ؛ أي: من كلِّ صنفٍ زوجينِ، اثنينِ ذكرَه تأكيداً، والباقون: بغيرِ تنوينٍ على الإضافةِ على معنى: احمل اثنينِ من كلِّ زوجينِ، والقراءتانِ ترجعان إلى معنىً واحدٍ[1].

وعندَ فورانِ التنورِ حُشِرَ الحيوانُ لنوحٍ عليه السلام، فجعلَ يضربُ بيديه فيقعُ الذكرُ في اليمنى، والأنثى في اليسرى، فيلقيهما في السفينة، ورُوي أن أول ما أَدخلَ السفينةَ الدُّرَّةُ، وآخرَ ما أدخلَ الحمارُ، فتمسَّكَ الشيطانُ بذنبِهِ، فزجرَهُ نوحٌ فلم ينزجرْ، فقالَ له: ادخلْ ولو كانَ معكَ الشيطانُ، قال ابنُ عباسٍ: «زَلَّتْ هذهِ الكلمةُ على لسانِه، فدخلَ الشيطانُ حينئذٍ»، وكان عندَ مؤخرِ السفينة، فلما كثرتْ أرواثُ الدوابِّ، تأذَّى نوحٌ من رائحتها، فأوحي إليه أنِ امسحْ على ذَنَبِ الفيلِ، ففعلَ، فخرجَ منه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٠-١١١).

خنزيرٌ وخنزيرةٌ، فكَفيا نوحاً وأهلَه ذلكَ الأذى، فلما وقعَ الفأرُ يخربُ السفينةَ ويقرِضُ حبالَها، أوحي إليه أنِ اضربْ بينَ عيني الأسدِ، ففعلَ، فعطسَ، فخرجَ منه هِرٌّ وهرةٌ، فكَفياهم الفأرَ، ورويَ أن الحيةَ والعقربَ أتيا نوحاً، فقالتا: احملْنا، فقالَ: إنكما سببُ الضررِ والبلاءِ فلا أحملُكُما، قالتا: احملْنا ونحن نضمنُ لك ألاَّ نضرَّ أحداً ذكرك[1]، فمن قرأَ حينَ خاف مضرتهما: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩] ما ضَرَّتَاهُ.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحملْ أهلَكَ من النسبِ ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ بالهلاكِ، وهو كنعانُ، وامرأتُك واعلةُ مستثنىً من الأهلِ.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ أي: واحملْ مَنْ آمنَ بكَ، قال الله تعالى:

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وهم بنوه الثلاثةُ سامٌ وحامٌ ويافثُ، وثلاثُ نسوةٍ لهم، وامرأةُ نوحٍ غيرُ الهالكةِ، وتقدَّم في سورةِ الأعراف أنَّ من آمن به كانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة، وهم الذين نجوا معه في السفينة، وفي ذلك خلاف، والله أعلم.

***

﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] فلما دهمَهم الماءُ، ندبَهم إلى الركوبِ ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ فركبوا في السفينة يومَ الجمعةِ لعشرٍ مضينَ من رجبٍ من عينِ وردةَ، فأتتِ

---

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٩٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٢٨).

البيتَ فطافَتْ به أسبوعاً، وقد رفعَهُ اللهُ من الغرقِ وبقيَ موضعه.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ أي: اركبوا مُسَمِّينَ أو قائلين: باسم الله عندَ مجراها ومرساها، فكانَ إذا أرادَ أن تجريَ قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسوَ قال: بسم الله، فرست. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (مَجْرَاهَا) بفتح الميم؛ أي: جَرْيَها، والباقون: بضمِّها؛ أي: إجرائِها، وأمالَ الراءَ أبو عمرٍو والأربعةُ المذكورون، ولم يُمِلْ حفصٌ غيرَ هذا الحرفِ، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ، فرويَ عنه الإمالةُ والفتحُ، قال ابنُ الجزري: وقد غلطَ مَنْ حكى فتحَ الميمِ عن ابنِ ذكوانَ من المؤلفين، وشُبْهَتُهم في ذلك والله أعلم: أنهم رأوا فيها عنه الفتحَ والإمالةَ، فظنوا فتحَ الميم، وليسَ كذلك، إنما أريد فتحُ الراء وإمالتُها، انتهى. ورُوي عن ورشٍ الفتحُ والإمالةُ بينَ بينَ[1].

﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تنبيهٌ لهم على نعمةِ الله عليهم ورحمتِه لهم.

***

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ﴾ في اضطرابِ الماءِ وارتفاعِه ﴿كَٱلْجِبَالِ﴾ عِظَماً وارتفاعاً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٠٩ـ١١١).

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ كنعانَ، وكان كافراً ﴿ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ معتزِلٍ عن أبيه.

﴿ يَٰبُنَىَّ﴾ قرأ عاصمٌ: (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء، والباقون: بالكسرِ مشدَّداً[(١)]، وقوله: (بُنَيَّ) مصغراً ليكونَ أعطفَ له ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾. قرأ أبو عمرٍو والكسائيُّ، ويعقوبُ: (ارْكَب مَّعَنَا) بإدغامِ الباءِ في الميمِ؛ لقربِ المخرَجِ، واختلِفَ عن ابنِ كثيرٍ وعاصمٍ وقالونَ وخَلاَّدٍ، وقرأ الباقون، وهم: ابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ، وخلفٌ لنفسِه[(٢)]، وعن حمزةَ، وورشٌ عن نافعٍ: بإظهارِ الباءِ على الأصل[(٣)]، تلخيصُه: اركبْ معنا تنجُ.

﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فتهلك.

***

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿ قَالَ﴾ له ابنُه ﴿ سَـَٔاوِىٓ﴾ سألتجىءُ.

﴿ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ يمنعُني من الغرقِ.

﴿ قَالَ﴾ له نوحٌ ﴿ لَا عَاصِمَ﴾ لا مانعَ ﴿ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ من عذابِ الله.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٣).

(٢) في «ن»: «بنفسه».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٤).

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ استثناءٌ متصلٌ.

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ﴾ أي: بينَ نوحٍ وابنهِ ﴿ ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ بالماءِ، رُوي أن الماءَ علا على رؤوسِ الجبال أربعينَ ذراعاً، وعقمتِ النساءُ أربعينَ سنةً، وأدركَ الصغارُ على دينِ آبائِهم، وماتتِ البهائمُ بآجالِها.

* * *

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَقِيلَ ﴾ بعدَ ما تناهَى أمرُ الطوفان:

﴿ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ ﴾ الذي خرجَ منكِ؛ أي: اشربيهِ.

﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ﴾ أَمْسِكي عن إنزالِ القَطْر؛ لأن الأرضَ كانتْ تنبعُ الماءَ، والسماءَ تمطرُ بأجمعِها.

﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾ نقصَ. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (وَقِيلَ) (وَغِيضَ) بإشمامِ الضمِّ للقافِ والغينِ، واختلافُ القراءِ في الهمزتين من قولِه: (وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي) كاختلافِهم فيهما من قوله: (السُّفَهَاءُ أَلاَ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ١٣].

﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فُرِغَ من إهلاكِ قومِ نوحٍ.

﴿ وَٱسْتَوَتْ ﴾ يعني: استقرَّتِ السفينةُ ﴿ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ اسمُ جبلٍ بالجزيرةِ بقربِ المَوْصِلِ ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هلاكاً لهم.

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ وقد وَعَدْتَني بنجاةِ أهلي ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ﴾ الذي لا خُلْفَ فيه ﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أعدلُهم.

***

﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ قَالَ ﴾ اللهُ ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ ﴾ أي: أهلِ ولايتِك ولا دينِك، وهو ولدُه من صُلْبه في قولِ الأكثرِ ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ ﴾ قرأ الكسائيُّ، ويعقوبُ: (عَمِلَ) بكسرِ الميمِ وفتحِ اللام (غَيْرَ) بنصبِ الراء؛ أي: عَمِلَ شركاً، وقرأ الباقون: بفتح الميمِ ورفعِ اللام منوَّن ورفعِ الراءِ تعليلٌ لانتفاءِ الأهليةِ[١]، وجُعلت ذاتُه عملاً غيرَ صالح مبالغةً في ذمِّه.

﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ ﴾ ما لا تعلمْ أصوابٌ هو أم ليسَ صواباً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (تَسْأَلَنِّ) بفتح اللام وكسر النون وتشديدِها، وابنُ كثيرٍ كذلكَ، إلا أنه يفتحُ النونَ، والباقون: بإسكانِ اللامِ وكسرِ النونِ وتخفيفِها، وأثبتَ الياءَ بعدَ النونِ وصلاً أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ، وورشٌ، وأثبتَها في الحالين يعقوبُ[٢] ﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٤ـ١١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، =

﴿ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ يعني: أن تدعوَ بهلاكِ الكفارِ، ثم تسألَ نجاةَ كافرٍ

* * *

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] وحُكِيَ أن نوحاً كانَ لا يعلمُ بكفرِ ابنِهِ ﴿قَالَ﴾ نوحٌ ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾ في المستقبلِ ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ ما لا علمَ لي بصحَّتِهِ ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ أعمالاً، وكان ﷺ على قدمِ الاستغفارِ إلى أن تُوُفِّيَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ أَعِظُكَ) (إِنِّيَ أَعُوذُ) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ انزلْ من السفينةِ ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ أي: سلامةٍ ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ والبركةُ: الخيرُ التامُّ ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ﴾ أي: ذريةِ أممٍ ﴿مِّمَّن﴾ كانَ ﴿مَّعَكَ﴾ في السفينةِ، يعني: على قرونٍ تجيءُ بعدكَ من ذريةِ مَنْ معكَ من ولدِك، وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ في الأخرى، وهم الكافرونَ أهلُ الشقاوة،

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٥ـ١١٦).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٦).

وتقدَّمَ أن نوحاً ركبَ السفينةَ بعشرٍ مضَتْ من رجبٍ، وجرتْ بهم ستةَ أشهرٍ، وخرجوا منها يومَ عاشوراءَ، فصامَ نوحٌ ومَنْ معه شكراً لله عز وجل، وكان الطوفانُ بعدَ هبوطِ آدمَ بألفينِ ومئتينِ واثنتينِ وأربعينَ سنةً، وبينَ الطوفانِ والهجرةِ الشريفةِ النبويةِ على صاحبِها أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ثلاثةُ آلافٍ وتسعُ مئةٍ وأربعٌ وسبعونَ سنةً

* * *

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ ﴾ أي: آياتِ القرآنِ ﴿ إِلَيْكَ ﴾ بأخبارِ الأممِ الماضيةِ.

﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ أي: من قبلِ نزولِ القرآنِ.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ على أذى قومِكَ؛ كنوحٍ.

﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ ﴾ آخرَ الأمرِ ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ بالسعادةِ والنصرِ.

* * *

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَإِلَىٰ ﴾ أي: وأرسلْنا إلى ﴿ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ في النسبِ، لا في الدين، وتقدَّمَ ذكرُه في سورةِ الأعرافِ.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وَحِّدُوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، والكسائيُّ: (غَيْرِهِ) بخفضِ الراءِ حيثُ وقعَ إذا كانتْ قبلَ (إِلَٰهٍ) (مِنْ) التي

تخففُ، والباقون: بالرفع(١).

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ باتخاذِ الأوثانِ شركاءَ.

* * *

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغِ الرسالةِ ﴿أَجْرًا﴾ جُعْلاً.

﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ خلقني.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (فَطَرَنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٢).

* * *

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ولما حُبِسَ القَطْرُ عن قومِ هودٍ ثلاثَ سنينَ، وعقمتْ أرحامُ نسائِهم، فلم يلدْنَ، قال لهم هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الذنوبِ السالفةِ، وآمِنوا ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ من عبادةِ العِجْلِ وغيرِه.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مُتَتابعاً ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾ في العددِ والمالِ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦-١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٧-١١٨).

والبدنِ ﴿إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ الموجودة ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ لا تُدْبِروا مشركينَ.

* * *

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ دليلٍ على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: بقولِكَ ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدِّقينَ.

* * *

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ يعني: لستَ تتعاطى ما تتعاطى من مخالفتنا وسبِّ آلهتِنا إلاَّ لأنَّ بعضَ آلهتِنا اعْتَراكَ؛ أي: أصابَكَ بسوء؛ أي: بِخَبَلٍ وجُنُونٍ لسبِّكَ إياها، فَثَمَّ اسْتِخفافاً بهم وبآلهتِهم.

﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ على نفسي. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (إِنِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها(١).

﴿وَاشْهَدُوا﴾ أنتم أيضاً على ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

* * *

﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ﴾ يعني: الآلهةَ ﴿فَكِيدُونِي﴾احتالوا في أمري أنتم وهم

---

(١) المصادر السابقة.

﴿جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمهلونِ. قرأ يعقوبُ: (تُنْظِرُونِي) بإثباتِ الياء بعدَ النون، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ اعتمدْتُ عليه ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي: مالكُها وقادرٌ عليها، والناصيةُ: شَعْرُ مُقَدَّمِ الرأسِ، وخُصَّتْ بالذكر؛ لأنَّ العربَ كانتْ تجرُّ بناصيةِ الأسيرِ الممنون عليه؛ لتكونَ تلكَ علامةً أنه قُدِرَ عليه، وقُبِضَ على ناصيتِهِ، والدَّابةُ: جميعُ الحيوانِ، وخُصَّ بالذكرِ إذ هو صنفُ المخاطبينَ والمتكلمُ.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: إن أفعالَ اللهِ عز وجل هي في غايةِ الإحكامِ، وقولُه الصدقُ، ووعدُه الحقُّ، فجاءتِ الاستقامةُ في كلِّ ما ينضافُ إليهِ سبحانَهُ.

* * *

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أي: تتولوا؛ يعني: تُعْرِضوا عما دعوتُكُم إليه. قرأ البزيُّ عنِ ابنِ كثيرٍ: (فَإِن تَّوَلَّوا) بتشديدِ التاء[2].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ﴾ المعنى: ما عَلَيَّ كبيرُ هَمٍّ منكُمْ إنْ تولَّيْتُم، فقد بَرِئَتْ ساحتي بالتبليغ، وأنتم أصحابُ الذنب في الإعراضِ عنِ الإيمانِ.

﴿ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ أطوعَ منكم يُوَحدونه.

﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ﴾ بإشراكِكم ﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (على) بمعنى اللام؛ أي: لكلِّ شيءٍ حفيظٌ، فهو يحفظُني ويجازيكم.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾.

[٥٨] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابُنا، وهو السَّمُومُ، كانتْ تدخلُ أنوفَ الكفارِ وتخرجُ من أدبارِهم، فتقطعُ أعضاءهم.

﴿ نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴾ من العذابِ، وكانوا أربعة آلافٍ ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمةٍ ﴿ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم ﴾ في الآخرةِ ﴿ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديدٍ، المعنى: نجوا من عذابَي الدنيا والآخرةِ بسببِ إيمانهم

* * *

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) ﴾.

[٥٩] ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ﴾ إشارةٌ إلى قبورِهم وآثارِهم ﴿ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ

= (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٨).

﴿رَبَّهُمْ﴾ كفروا بها ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ يعني: هوداً، ذُكر بلفظِ الجمع، لأن من كَذَّبَ رسولاً واحداً، كانَ كمَنْ كَذَّبَ جميعَ الرُّسُلِ.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ يعني: السفْلَةَ ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاندٍ؛ أي: معارضٍ بالخلافِ، وهم رؤساؤهم ومقدَّموهم.

* * *

﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿وَأُتْبِعُواْ﴾ أُرْدِفُوا ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ تلحقُهم، واللعنةُ: الإبعادُ والطردُ عن الرحمةِ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أيضاً.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ جَحَدُوا نعمتَه ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ من رحمةِ اللهِ تعالى ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ عطفُ بيانٍ لِعادٍ؛ ليتميَّزوا عن عادٍ الثانيةِ، وهي عادُ إِرَم.

* * *

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ أي: وأرسلنا إلى ثمودَ، وتقدَّمَ تفسيرُه في سورةِ الأعرافِ ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسبِ ﴿صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾ ابتدأَ خَلْقَكم من آدمَ، وآدمُ ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: خلقَكُم لِعِمارتِها، وقيل: أطالَ أعمارَكم، قيل: كانتْ أعمارُهُم من ألفِ سنةٍ إلى ثلاثِ مئةِ سنةٍ.

﴿ فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ من المؤمنينَ ﴿ مُّجِيبٌ﴾ لدعائِهم.

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿ قَالُواْ﴾ يعني: ثمودَ ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ للسيادةِ في ديننا ﴿ قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾ القولِ.

﴿ أَتَنْهَىٰنَآ ﴾ استفهامٌ معناهُ الإنكارُ ﴿أَن﴾ أي: عن أن ﴿ نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الآلهةِ ﴿ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيدِ.

﴿ مُرِيبٍ﴾ مُوقعٍ في الريبةِ، وهي قلقُ النفسِ وانتفاءُ الطمأنينةِ.

* * *

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيانٍ وبصيرةٍ.

﴿ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوةً.

﴿ فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعُني من عذابه ﴿ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ بقولِكم هذا ﴿ غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ أي: غيرَ بَصارةٍ في خسارتكم.

* * *

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ نصبٌ على الحالِ

والقطع، وذلكَ أنَّ قومَهُ طلبوا منه أن يُخْرِجَ ناقةً عُشَراءَ من هذهِ الصخرةِ، وأشاروا إلى صخرةٍ، فدعا صالحٌ، فخرجت منها ناقةٌ، وولدَتْ في الحالِ ولداً مثلَها، فهذه معنى قولِه ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ من العشبِ، فليس عليكم مُؤْنَتُها.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ جزم بالنهي ﴿بِسُوٓءٍ﴾ بعقرٍ ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ جوابُ النهي ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ مِنْ عقرِها، وهو ثلاثةُ أيام.

***

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ﴾ لهم صالحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾ عِيشوا في ديارِكم ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكونَ ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه، تقدَّمَ ذكرُ القصةِ في الأعراف.

***

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ﴾ بنعمة ﴿مِّنَّا وَمِنْ﴾ عطفٌ على (نَجَّيْنا)؛ أي: ونجيناهم من ﴿خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ أي: عذابهم في الدنيا. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم، والباقون: بكسرها على إضافة (يَوْمِ) إلى (إِذْ)، وأبو عمرٍو يدغمُ الياءَ في الياءِ(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، =

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ القادرُ على كلِّ شيءٍ.

* * *

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ كفروا ﴿ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ في اليومِ الرابعِ، وذلك أنَّ جبريلَ عليه السلام صاحَ صيحةً واحدةً، فهلكوا.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه في سورةِ الأعراف [الآية: ٥].

* * *

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ ﴾ يقيموا في ديارهم.

﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ ﴾ قرأ حمزةُ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (ثَمُودَ) غيرَ منوَّنٍ، والباقونَ: بالتنوين(١).

﴿ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ قرأ الكسائيُّ: (لِثَمُودٍ) بالخفضِ والتنوينِ، والباقون: بنصبِ الدال، فمن أجازَ الصرفَ لأنه اسمٌ مذكرٌ، ومن لم يُجزْهُ جعلَهُ اسماً للقبيلةِ(٢).

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ ﴾ هم جبريلُ ومَنْ معه من الملائكةِ.

﴿ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ بالبشارةِ بإسحقَ ويعقوبَ، وبإهلاكِ قومِ لوطٍ.

﴿ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ نصبٌ على المصدرِ، والعاملُ فيه مضمَرٌ من لفظِه؛ كأنه قال: أَسْلمْ سلاماً.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ ﴿ سَلَـٰمٌ ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، أي: سلامٌ عليكم. وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (سِلْمٌ) بكسرِ السينِ بلا ألفٍ وسكونِ اللامِ، بمعنى: السلام، كما يقال: حِلٌّ وحَلالٌ[١].

﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ ﴾ أي: فما أبطأ بمجيئه ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ مَشْويٍّ بالحجارةِ المحمَّاةِ في حُفَيرة، وكانَ سَميناً يسيلُ دَسَماً.

* * *

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ إلى العجلِ. قرأ أبو عمرٍو: (رَأَى) بإمالةِ الهمزةِ فقط، وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: بإمالةِ الراءِ تَبَعاً للهمزة، واختلِفَ عن هشامٍ وأبي بكرٍ[٢].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٤ـ٤٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٢).

﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ﴾ أضمرَ ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفاً ظهرَ أثرُهُ عليه، وذلك أنهم كانوا إذا نزلَ بهم ضيفٌ فلم يأكلْ من طعامِهم، ظنوا أنه لم يأتِ بخير، وإنما جاءَ لشرٍّ.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ يا إبراهيمُ.

﴿إِنَّا﴾ ملائكةُ الله ﴿أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

* * *

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١)﴾.

[٧١] ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ سارةُ بنتُ هارانَ بنِ ناحور، وهي ابنةُ عمِّ إبراهيمَ ﴿قَائِمَةٌ﴾ خلفَ الستر تسمعُ كلامَهم.

﴿فَضَحِكَتْ﴾ أي: تبسَّمَتْ سروراً بزوالِ الخيفةِ، وهو قولُ الجمهور، قيل: ضَحِكَتْ؛ أي: حاضَتْ، قال ابنُ عطيةَ: وهو ضعيفٌ قليلُ التمكُّنِ(١).

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ﴾ أي: بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ فَبُشِّرَتْ أنها تعيشُ حتى ترى ولدَ ولدِها. قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَعْقُوبَ) بنصبِ الباءِ عطفاً على (إِسْحَاقَ)، والباقون: بالرفعِ على أنه مبتدأٌ خبرُه الظرفُ(٢)؛ أي: ويعقوبُ مولودٌ من بعدِه، واختلافُ القراءِ في الهمزتينِ من قولِه: (وَرَاءِ إِسْحَاقَ) كاختلافِهم فيهما من قوله: (هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ٥].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٤).

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ ﴾.

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ أي: يا عجباً، وتقالُ هذهِ اللفظةُ عندَ ورودِ أمرٍ عظيمٍ.

﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا ﴾ وكانت ابنةَ تسعينَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك. واختلافُ القراءِ في قولِه: (أَأَلِدُ) كاختلافهم في قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ٦].

﴿بَعْلِي﴾ بعلُ المرأةِ: زوجُها ﴿شَيْخًاۖ﴾ نصبُ حالٌ، وكانَ سِنُّ إبراهيمَ مئةً وعشرينَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك، فأنكرت ذلك عادةً، وقالت: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ ﴾ أي: وجودَ الولدِ من كبيرين ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وهو استعجابٌ من حيثُ العادة دونَ القدرةِ، وكانَ بينَ البشارةِ والولادةِ سنةٌ.

***

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣ ﴾.

[٧٣] ﴿ قَالُوٓاْ﴾ أي: الملائكةُ منكِرينَ: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ﴾ بإيجادِ الولدِ من كبيرين؟

﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ﴾ نُبُوَّتُه، و(رَحْمَتُ) رُسمت بالتاء في سبعةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، والكسائيُّ[1].

(١) انظر: الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

﴿وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾ الأسباطُ من بني إسرائيلَ؛ لأنَّ أكثرَ الأنبياءِ منهم، وكلُّ الأسباطِ من ولدِ إبراهيمَ، وقيل: المعنى: حقيقةُ الرحمةِ والبركةِ حالَّتانِ.

﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصبٌ نداءٌ؛ أي: بيتَ إبراهيمَ، وفيه دليلٌ أن زوجةَ الرجلِ من أهلِ بيته؛ لأنها خوطبَتْ به، فيقوى القولُ في زوجاتِ النبيِّ ﷺ بأنهنَّ من أهلِ بيتِه الذينَ أذهبَ اللهُ عنهم الرِّجْسَ، بخلافِ ما تذهبُ إليهِ الشيعةُ من قولهم: أَهْلُ بيتِه الذين حُرِموا الصدقَةَ، فيدفعونَ الزوجاتِ؛ بغضاً في عائشةَ رضي الله عنها.

﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ محمودٌ في أفعالِه.

﴿مَّجِيدٌ﴾ كثيرُ الرفعةِ والشرفِ.

* * *

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾ الخوفُ.

﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاقَ ويعقوبَ.

﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: أخذَ يجادِلُنا، ومعناهُ: يجادلُ رُسُلَنا.

﴿فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ في إهلاكِهم، ومجادلتُه إياهم أَنْ قالَ لهم: أَتُهْلِكونَ قوماً فيهم خمسونَ مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أربعونَ؟ قالوا: لا، فما زالَ ينقصُ حتى قالَ: واحد؟ قالوا: لا ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [العنكبوت: ٣٢].

* * *

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ ﴾ غيرُ عَجولٍ.

﴿ أَوَّٰهٌ ﴾ كثيرُ التأوُّهِ من الذُّنوبِ ﴿ مُّنِيبٌ ﴾ تائبٌ.

* * *

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] وكان في قرى لوطٍ أربعُ مئةِ ألفٍ، فقالتِ الرسلُ عندَ ذلك: ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾ الجدالِ.

﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بإهلاكِهم.

﴿ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ ﴾ نازلٌ بهم ﴿ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ عنهم.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ ﴾ يعني: هؤلاءِ الملائكةَ.

﴿ لُوطًا ﴾ على صورةِ غِلْمانٍ مُرْدٍ حِسانِ الوجوهِ.

﴿ سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ أي: حزنَ لوطٌ بمجيئِهم. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (سِيءَ) و(سِيئَتْ) بإشمامِ السينِ الضَّمَّ حيثُ وقعَ[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٥).

﴿ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ وضيقُ الذَّرْعِ: عبارةٌ عن ضيقِ الوُسْعِ، وهو كنايةٌ عن شِدَّةِ الانقباض، المعنى: اغتمَّ غَماً شديداً خشيةً من قومِهِ أن يقصِدُوهُم بالفاحشةِ لَمَّا رأى جَمالَهم، فيحتاجُ إلى المدافعةِ عنهم.

﴿ وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ شديدٌ.

***

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] رُوي أنهم جاؤوا منزلَ لوطٍ سراً، ولم يعلمْ بهم إلا أهلُ بيتِ لوطٍ، فخرجتِ امرأتُه فأخبرَتْ قومَها، وقالت: إنَّ في بيتِ لوطٍ رجالاً ما رأيتُ مثلَ وُجوهِهِمْ قَطُّ.

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ يُسرِعون، وقيلَ: يُسْتَحَثُّونَ.

﴿ وَمِن قَبْلُ ﴾ أي: ومن قبلِ ذلكَ الوقتِ.

﴿ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ إتيانَ الذكورِ في أدبارِهم.

﴿ قَالَ ﴾ لهم لوطٌ حينَ قصدوا أضيافَهُ: ﴿ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أي: بالنكاحِ أحلُّ، وَقَى أضيافَهُ ببناتِهِ، وكان في ذلكَ الوقتِ تزويجُ المسلمةِ من الكافرِ جَائزاً كما زَوَّجَ النبيُّ ﷺ ابنتيه من أبي العاصِ بنِ وائلٍ، وعُتْبَةَ بنِ أبي لهبٍ قبلَ الوحيِ وهما كافرانِ.

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بتركِ الفواحشِ ﴿ وَلَا تُخْزُونِ ﴾ تفضَحونِ.

﴿ فِي ضَيْفِيٓ ﴾ بفعلِكم الخبيثِ؛ لأنَّ العارَ يلزمُني بذلك. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (تُخْزُونِي) بإثباتِ الياءِ حالةَ الوصلِ، ويعقوبُ بإثباتِها وَصْلاً ووقفاً[1]، وقرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (ضَيْفِي) بإسكان الياءِ، والباقون: بفتحها[2].

﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ صالحٌ يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ؟

* * *

﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ أي: حاجةٍ، فلا ننكحُهُنَّ.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ من إتيانِ الذكورِ

* * *

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ قَالَ ﴾ لهم لوطٌ عندَ ذلكَ: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ أنصاراً وأعواناً ﴿ أَوْ ءَاوِيٓ ﴾ أَنْضَمُّ.

﴿ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ عشيرةٍ منيعةٍ، وجوابُ (لو) محذوفٌ؛ أي: لَقَاتَلْتُكم وحُلْتُ بَينكم وبينَهم.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦ـ١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٦ـ١٢٧).

(٢) المصادر السابقة.

﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] وكان لوطٌ قد أغلقَ عليه وعلى أضيافِه بابَه، وهو يناشِدُهم من وراءِ البابِ، وهم يعالجونَ في تَسَوُّرِ الجدارِ، فلما رأتِ الملائكةُ ما يلقى لوطٌ منهم.

﴿قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ بسوءٍ، وإنَّ ركنَكَ لشديدٌ، فخلِّ بينَنا وبينَهم، ففتحَ البابَ، فصفقَ جبريلُ وجوهَهم بجناحه، فأعمى أبصارَهُم، فذهبوا يتهدَّدونَ لوطاً يقولونَ: مكانَكَ حَتَّى نصبحَ.

﴿فَأَسْرِ﴾ يا لوطُ ﴿بِأَهْلِكَ﴾ بابنتكَ وامرأتك. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (فَاسْرِ) بوصلِ الألفِ من سَرَى، والباقون: بقطعِها من أَسْرَى، ومعناهُما واحدٌ، وهو سيرُ الليلِ(١).

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ بطائفةٍ منهُ، قيلَ: إنه السَّحَرُ الأولُ.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو (امْرَأَتُكَ) برفع التاء على الاستئنافِ، من الالتفاتِ؛ أي: لا يلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتُك، فإنها تلتفتُ فتهلكُ، وكان لوطٌ قد أخرجَها معه، ونهى من تبعَه ممن أَسْرى بهم أَنْ يلتفتَ سوى زوجتِه، فإنها لما سمعتْ هَدَّةَ العذابِ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤١٧ـ٤١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٢٧ـ١٢٨).

التفتَتْ، وقالت: واقوماه! فأدركها حجرٌ فقتلَها. وقرأ الباقون: بنصب التاءِ على الاستثناءِ من الإسراء[1]؛ أي: فأسرِ بأهلكَ إلاَّ امرأتَكَ فلا تَسْرِ بها، وخَلِّفْها معَ قومها؛ فإنَّ هَواها إليهم، قال القرطبيُّ: وهي القراءةُ البينةُ الواضحةُ المعنى[2].

﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ من العذابِ، فقال لهم لوطٌ: متى موعدُ هلاكِهم؟ فقالتِ الملائكةُ: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾ قال لوطٌ: أريدُ أسرعَ من ذلك، فقالوا: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾؟

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ (٨٢)﴾.

[٨٢] فخرج لوطٌ وطوى اللهُ له الأرضَ في وَقْتِه حتى نَجا، ووصلَ إلى إبراهيمَ عليهما السلام ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ عذابُنا.

﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ وذلكَ أن جبريلَ عليه السلام حملَ مَدائِنَهم، الخمسَ، وهي سدومُ، وهي القريةُ العظمى، وعَمُورا، وأَدْم، وأصبؤين، ولُوشَع بمنْ فيها على جناحه، وكانوا أربعَ مئةِ ألفٍ، ورفعَها حتى سمعتِ الملائكةُ نباحَ الكلابِ وصياحَ الدِّيكةِ، لم يُكْفَأْ لهم إناءٌ، ولم ينتبهْ نائمٌ، ثم قلبَها فجعلَ عاليَها سافلَها.

﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾ أي: على شذَّاذِ القُرى، وهم مَنْ لم يكنْ فيها.

---

(١) المصادر السابقة.
(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٨٠).

﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ سجِّيلٌ وسِجِّينٌ: الصلب من الحجارةِ والطين ﴿مَّنضُودٍ﴾ متتابعٍ يتبعُ بعضُها بعضاً.

***

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ٨٣﴾.

[٨٣] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ نعتُ الحجارةِ؛ أي: مُعَلَّمَةً، عليها أمثالُ الجبالِ لا تشبهُ حجارةَ الدنيا ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ في خزائنِه.

﴿وَمَا هِيَ﴾ يعني: تلكَ الحجارةَ ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: مشركي مكة ﴿بِبَعِيدٍ﴾ أي: بمكانٍ بعيدٍ.

***

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ٨٤﴾.

[٨٤] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي: وأرسلْنا إلى مَدْيَنَ ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ وكان قومُ شُعيبٍ يُطَفِّفُونَ معَ شِرْكِهم، فقال: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أي: لا تبْخَسوا.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ سَعَةٍ وخِصْبٍ، فلا حاجةَ لكم إلى التَّطْفيفِ ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يحيطُ بكم فيهلِكُكُم، والمرادُ: يومُ القيامةِ. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَرَاكُمْ) (إِنِّي أَخَافُ) بإسكانِ الياء، وافقَهم الكسائيُّ في (إِنِّي أَرَاكُمْ)[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ﴾ أَتِمُّوا ﴿ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ بالعدلِ.

﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ﴾ لا تُنْقِصُوا ﴿ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ أي: لا تَسْعَوْا في فسادٍ.

* * *

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾ أي: ما أبقاه اللهُ لكمْ من الحلال. وقفَ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ على (بَقِيَّة) بالهاءِ[١]، ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ من التطفيفِ.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ﴾ لأنه لا ينتفعُ بالثوابِ إلا مؤمنٌ.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ أحفظُكم من القبائح، إنْ عَلَيَّ إلا البلاغُ.

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] وكانَ شعيبٌ ﷺ كثيرَ الصلاةِ ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ لهُ سُخريةً واستهزاءً:

= (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١١٨).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٩).

﴿ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ من الأوثانِ.

﴿ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾ من البَخْسِ والتَّطفيفِ.

﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ قالوهُ استهزاءً به، وأرادوا: الضَّالَّ السَّفيهَ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (أَصَلاَتُكَ) بحذفِ الواوِ على التوحيدِ، والباقونَ بإثباتها على الجمع[1]، واختلافُهم في الهمزتينِ مِنْ (نَشَاءُ إِنَّكَ) كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلَى) في سورةِ البقرة [الآية: ١٤٢].

***

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾.

[٨٨] ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ ﴾ بصيرةٍ.

﴿ مِّن رَّبِّي ﴾ وهو ما آتاهُ الله من العلمِ والنبوةِ.

﴿ وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ ﴾ مالاً حلالاً، وجوابُ الشرطِ محذوفٌ تقديرُه: فهلْ يسعُ لي مع هذا الإنعام أن أشوبَ الحلالَ بالحرامِ.

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ ﴾ المعنى: ما أريدُ أن أنفردَ بشهواتِكُم اللاتي نهيتُكم عنها لأَستبدَّ بها دونَكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٢٩).

﴿ إِنۡ أُرِيدُ ﴾ فيما آمرُكُم به وأنهاكُمْ عنه.

﴿ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ ﴾ مُدَّةَ استطاعتي.

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ أي: لا أقدرُ على توفيقِ نفسي، فكيفَ توفيق غيري؟ والتوفيقُ: تسهيلُ سُبُلِ الخيرِ. قرأ الكوفيون، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ (تَوْفِيقِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها(١) ﴿ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ اعتمدْتُ.

﴿ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ أرجعُ في جميعِ أموري.

* * *

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ ﴾ خِلافي. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (شِقَاقِي) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحِها(٢).

﴿ أَن يُصِيبَكُم ﴾ أي: على فعلٍ يصيبُكم.

﴿ مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ ﴾ من الغرقِ.

﴿ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ ﴾ من الريحِ ﴿ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ ﴾ من الصَّيْحَةِ.

﴿ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ لأنهم قريبو المنازلِ والهلاكِ منكم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣١).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، والمصادر السابقة.

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

[٩٠] ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ ﴾ عمَّا أنتم عليه .

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ ﴾ عظيمُ الرحمةِ للتائبين ﴿ وَدُودٞ ﴾ مُحبٌّ أولياءَهُ .

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ ﴾ .

[٩١] وجاءَ في الخبر : «أنَّ شُعَيباً كانَ خطيبَ الأنبياءِ»(١) ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ ﴾ لا نفهمُ ﴿ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ احتقاراً بكَ .

﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ ﴾ عاجزاً عن التصرُّفِ ، وذلك أنه كانَ ضريرَ البصر .

﴿ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ ﴾ عشيرتُك ﴿ لَرَجَمۡنَٰكَۖ ﴾ لقتلْناكَ بالحجارةِ ، والرجمُ : أقبحُ القتلِ ، وقالوا ذلكَ تألُّفاً لقومِه ؛ لأنهم كانوا على دينهم لا خوفاً منهم ؛ لأنَّ الرهطَ ما دونَ العشرةِ .

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴾ تمنعُنا عِزَّتُكَ عن الرجمِ ، بل قومُكَ الأعزةُ .

* * *

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

[٩٢] ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ ﴾ أترون رهطي .

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٧١)، عن محمد بن إسحاق. وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠/ ٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٥٠٤).

﴿ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: أَهْيَبُ عندَكم من الله. قرأ الكوفيون، ويعقوبُ، وهشامٌ عنِ ابنِ عامرٍ: (أَرَهْطِي) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحِها[1].

﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ ﴾ أي: اللهَ ﴿ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ أي: كالمنبوذِ وراءَ ظهورِكم. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (وَاتَّخَذْتُمُوهُ) بإظهارِ الذالِ عندَ التاء، والباقونَ: بالإدغام[2].

﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ خبرٌ في ضمنِه توعُّدٌ، ولفظُ الرجالِ والرهطِ لا يعمُّ النساءَ، ويعمُّ الناسَ ونحوَه الكلُّ بالاتفاقِ، والقومُ للرجالِ، ولهنَّ تبعاً.

***

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ قُوَّتِكم طالبينَ هلاكي. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَكَانَاتِكُمْ) بالألف على الجمع، والباقون: بغيرِ ألفٍ على التوحيدِ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٢).

﴿ إِنِّي عَـٰمِلٌ ﴾ بقوةِ اللهِ ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أَيُّنا الجاني على نفسِه، والمخطىءُ في فعلِه، فذلكَ قولُه: ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يُذِلُّهُ.

﴿ وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ ﴾ فسيعلمُ كذبَهُ ويذوقُ وبالَ أمرِه.

﴿ وَٱرْتَقِبُوٓاْ ﴾ انتظروا العذابَ.

﴿ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ أرقُبُ نزولَ عذابِكم.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ قيل: صاحَ بهم جبريلُ صيحةً، فخرجَتْ أرواحُهم من أجسادِهم، أُنِّثَ الفعلُ على لفظِ الصيحةِ، وقالَ في قصةِ صالحٍ: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ فذُكِّر على معنى الصِّياحِ، قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: «ما أهلكَ اللهُ أُمَّتينِ بعذابٍ واحدٍ إلا قومَ صالحٍ وقومَ شُعيبٍ أهلكَهم اللهُ بالصيحةِ، غيرَ أَنَّ قومَ صالحٍ أخذَتْهم الصيحةُ من تحتِهم، وقومَ شعيبٍ من فوقِهم»(١).

﴿ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ ميتين.

* * *

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ ﴾ لم يُقيموا ﴿ فِيهَآ ﴾ في الأرضِ ﴿ أَلَا بُعْدًا ﴾ هلاكاً.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٩٢).

﴿ لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ﴾ هلكَتْ ﴿ ثَمُودُ ﴾ شَبَّهَهم بهم؛ لأن عذابَهم كانَ شبيهاً بعذابِهم.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ بالتوراةِ.

﴿ وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ حُجَّةٍ بينةٍ.

* * *

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾ والملأُ: الجمعُ من الرجالِ.

﴿ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ ﴾ بالكفرِ بموسى ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ أي: ليسَ بمصيبٍ في مذهبِهِ، ولا مفارقٍ للسفاهةِ.

* * *

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ ﴾ المغرَقين مَعه؛ أي: يتقدَّمُهم.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ﴾ أدخلَهم.

﴿ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ أي: المدخلُ المدخولُ فيه، وأوقعَ الفعلَ الماضي في (أَوْرَدَهُمْ) موقعَ المستقبلِ؛ للإيذانِ أن ذلكَ واقعٌ لا محالةَ؛ لأنَّ الماضيَ متيقَّنُ الوجودِ.

﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

[٩٩] ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ يُلْعَنون أيضاً بدخولِهم في جهنمَ .

﴿ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ أي: بئسَ العونُ المعانُ، وقيل: بئسَ العطاءُ المعطَى لهم، والرفدُ في كلامِ العربِ: العَطِيَّةُ .

***

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

[١٠٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا ﴾ من القرى ﴿ قَآئِمٌ ﴾ ما بقي حيطانُه وسقطَتْ سُقوفُهُ ﴿ وَحَصِيدٌ ﴾ انمحَق أثَرُه. قرأ أبو عمرٍو: (المَرْفُود ذَّلِكَ) بإدغام الدالِ في الذالِ(١) .

***

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ لم نُهْلِكْهم ظلماً ﴿وَلَٰكِن ﴾كانوا أنفسَهم يظلمونَ ﴿ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ ﴾ بالشِّركِ .

﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ ﴾ أي: نزلَ عذابُه ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ ﴾ أي: الأصنامُ بعبادتِهم.

﴿ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ تخسيرٍ .

---

(١) ذكرها الصفاقسي في «الغيث» (ص: ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٣)، عن حمزة والكسائي وورش.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ﴾ أي: مثلُ ذلكَ الأخذِ أخذُ ربِّكَ.

﴿ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ أي: وأهلُها ظالمونَ، فحذفَ المضافَ؛ مثلَ: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾.

﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ وَجيعٌ، وهو مبالغةٌ في التهديدِ، قالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ الآية»(١).

***

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ لعبرةً.

﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ يعتبرُه عظةً.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يومُ القيامةِ ﴿يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ المعنى: يُجْمَعُ الأولونَ والآخِرون جميعاً ثَمَّ ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ فيهِ على جميعِ الخلقِ ولَهُمْ.

***

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٩)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ...﴾، ومسلم (٢٥٨٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ ﴾ أي: ذلكَ اليومَ. قرأ يعقوبُ: (يُؤَخِّرُهُ) بالياء، والباقون: بالنون، وأبو جعفرٍ، وورشٌ: بفتح الواوِ بغيرِ همزٍ[١].

﴿ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴾ معلومٍ عندَ اللهِ.

* * *

﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ ﴾ الضميرُ عائدٌ إلى (يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ). قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ: (يَأْتِي) بإثباتِ الياءِ وصلاً، وابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ: بإثباتِها في الحالَينِ، والباقون: بحذفها في الحالَينِ، فالقراءةُ بالإثباتِ على الوصلِ، وبالحذفِ اكتفاءً بالكسرةِ[٢].

﴿ لَا تَكَلَّمُ ﴾ لا تتكلَّمُ ﴿ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ في الشفاعةِ، وكُلُّ الخلائقِ سُكوتٌ إلاَّ مَنْ أذنَ له في الكلامِ. قرأ البزيُّ عنِ ابنِ كثيرٍ: (لا تَّكَلَّمُ) بالمدِّ وتشديدِ التاءِ.

﴿ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ ﴾ بالعذابِ ﴿ وَسَعِيدٞ ﴾ بالنعيمِ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٤أ١٣٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٥).

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ ﴾ باستحقاقِهم النارَ بالكفرِ والمعصيةِ ﴿ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ هو تردُّدُ النفسِ من شِدَّةِ الحزنِ ﴿ وَشَهِيقٌ ﴾ صوتٌ مُمْتَدٌّ.

***

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ أي: سمواتُ الآخرةِ وأرضُها؛ فإنَّ لهما سماءً وأرضاً، بدليل قولِه تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وتلكَ دائمةٌ أبداً، وقولِه: ﴿ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ [الزمر:٧٤]، ولأنه لا بدَّ لأهلِ الآخرةِ مما يُقِلُّهم ويُظِلُّهم إما سماءٌ يخلقُها الله، أو يظلُّهم العرشُ، وكلُّ ما أظلَّكَ، فهو سماءٌ.

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ استثناءٌ من الخلودِ في النارِ؛ لأنَّ بعضَهم، وهم فُسَّاقُ الموحِّدين، يخرجونَ منها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ من غيرِ اعتراضٍ.

***

﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ باستحقاقِهم الجنةَ بالإيمانِ والطاعةِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (سُعِدُوا) بضمِّ السين، من سُعِدَ بمعنى أُسْعِدَ، والباقونَ: بفتحِها من سَعِدَ، وهما لغتان[١].

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، =

﴿ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ إلاَّ من دخلَ النارَ من عُصاةِ المؤمنين، فإنَّهم مفارقونَ الجنةَ أيامَ عذابِهم، وهمُ المرادُ بالاستثناءِ الأولِ، تلخيصُه: عذابُ الفريقينِ ونعيمُهم دائماً أبداً إلا قدرَ مشيئةِ اللهِ تعالى فيهم بما يشاءُ ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ مقطوعٍ.

* * *

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ثم قال تعالى مُخاطباً نبيَّه ﷺ، والمرادُ غيرُه: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ شَكٍّ.

﴿ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ إنَّهم ضُلاَّلٌ.

﴿ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا ﴾ كان.

﴿ يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ﴾ تقليداً لآبائِهم من غيرِ دليلٍ.

﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ حَظَّهم من العذابِ ﴿ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴾ أي: وافياً.

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراةَ.

﴿ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ﴾ فمنْ مصدِّقٍ به ومكذِّبٍ كما فعلَ قومُكَ بالقرآنِ.

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٥).

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخيرِ العذابِ عنهم.

﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ بإهلاكِ الكفارِ، وإنجاءِ الأبرارِ.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ من القرآنِ.

﴿ مُرِيبٍ ﴾ موقعِ الريبةِ، وهي قلقُ النفسِ.

* * *

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ وَإِنَّ كُلًّا ﴾ أي: وإنَّ كلاًّ من الأممِ التي عَدَدْناهم المختلفينَ، المؤمنينَ منهم والكافرين. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (وَإِنْ) بإسكانِ النونِ على إعمالِ المُخَفَّفَةِ عملَ الثقيلةِ اعتباراً لأصلِها الذي هو التثقيلُ، وقرأ الباقون: بتشديدها[١].

﴿ لَمَّا ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ: بتشديد الميمِ، والباقونَ: بالتخفيف[٢]، ووجهُ تخفيفِ (لما) أن اللامَ هي الداخلةُ في خبرِ (أَنَّ) المخفَّفةِ والمشدَّدةِ، و(ما) زائدةٌ، واللامُ في ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾ جوابُ قسمٍ محذوفٍ، وذلك القسمُ في موضعِ خبرِ (إن)، و(لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) جوابُ ذلكَ القسمِ المحذوفِ، والتقديرُ: وإنَّ كلاًّ لأُقْسِمُ لَيُوفينهم، ووجهُ تشديدِ (لَمَّا) الجازمةِ حذفُ الفعلِ المجزومِ؛ لدلالةِ المعنى عليه، والتقدير: وإنَّ كلاًّ لما ينقص من جزاءِ عملِه، ويدلُّ عليه قولُه:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٦).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ لما أخبرَ [بعدمِ][1] انتقاصِ جزاءِ أعمالِهم، أَكَّدَهُ بالقسمِ، قالتِ العربُ: قاربتُ المدينةَ ولما؛ أي: ولما أدخلْها، فحذفَ أدخُلْها؛ لدلالةِ المعنى عليه، والله أعلمُ، تلخيصُه: وإنَّ جميعَهم واللهِ ليوفينَّهم ربُّكَ أعمالَهم من حسنٍ وقبيحٍ، وإيمانٍ وجحودٍ.

﴿ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ.

* * *

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] قال ﷺ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُها»، قيلَ: أَشَيَّبَكَ منها قصصُ الأنبياءِ وهلاكُ الأممِ الماضية؟ قالَ: «لا، ولكنْ قولُه: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾»[2] أي: افتقرْ إلى اللهِ تعالى بصحَّةِ العزمِ، والاستقامةُ: التبرُّؤُ من الحولِ والقوةِ، وقيل: هي الميلُ إلى العدلِ.

﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ أي: وليستقمِ المؤمنُ معك.

﴿ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ لا تَخْرجوا عن حدودِ الله.

﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ لا يَخْفى عليه من أعمالِكم شيءٌ.

* * *

---

(١) (بعدم) لم ترد في جميع النسخ، والسياق يقتضيها.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٣٩)، عن أبي علي السّري: أنه رأى النبي ﷺ في رؤيا فقال: يا رسول الله! روي عنك أنك قلت: شيبتني...، فذكره.

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾.

[١١٣] ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ تَطْمَئِنُّوا وتسكُنوا إلى قولِهم، والركونُ: هو المحبةُ والميلُ بالقلبِ ﴿ فَتَمَسَّكُمُ ﴾ فتُصيبَكم.

﴿ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ أي: أعوانٍ يحفظونكم من العذابِ ﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾.

عن بعضِهم: أنه سمعَ هذهِ الآيةَ، فغشيَ عليه، فلما أفاقَ، قيلَ له في ذلكَ، فقال: هذا لمن رَكَنَ، فكيفَ بمن ظَلَمَ.

* * *

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ أولَه وآخرَه، يعني: صلاةَ الصبحِ والمغربِ، قاله ابنُ عباسٍ، والحسنُ، ورجَّحه الطبريُّ، وقيلَ غيرُ ذلك[١]. قرأ أبو عمرٍو: (الصَّلاة طَّرَفَي) بإدغام التاء في الطاء[٢].

﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ ساعاتِه، واحدتُها زُلْفَةٌ. قرأ أبو جعفرٍ: (وَزُلُفاً) بضمِّ اللام، والباقون: بالفتح[٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٨).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ الصلواتِ الخمسَ.

﴿ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الخطيئاتِ، نزلَتْ فيمَنْ ألمَّ بما لم يَحِلَّ.

عن ابنِ مسعودٍ أن رجلاً أصابَ من امرأةٍ قبلةً حراماً، فأتى النبيَّ ﷺ، فسألَهُ عن ذلكَ وكفارتِها، فنزلتِ الآيةُ، فقالَ الرجلُ: ألي هذهِ يا رسولَ الله؟ فقال: «لكَ ولمن عملَ بها من أمتي»(١).

وقال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبائِرُ»(٢).

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكورُ من الوصيةِ بالاستقامةِ وتركِ الطغيانِ والميلِ إلى الظالمين ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ موعظةٌ ﴿ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ أي: لمن ذكرَهُ، وخَصَّهم بالذكرِ؛ لأنهم المنتفعونَ بهِ.

***

﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

[١١٥] ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ يا محمدُ على ما تَلْقى من أَذَى قومِكَ.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ في أعمالِهم.

***

= (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٨).

(١) رواه البخاري (٥٠٣)، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة، ومسلم (٢٧٦٣)، كتاب: التوبة، باب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

(٢) رواه مسلم (٢٣٣)، كتاب: الطهارة، باب: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة. . . .، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ أي: فهلاَّ ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ التي أهلَكْناهم.

﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ والآيةُ للتوبيخِ.

﴿ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ أي: ذوو جودٍ وخيرٍ، وسُمِّيَ الفضلُ والجودةُ بقيةً؛ لأنَّ الرجلَ يستبقي أفضلَ ما يخرجُه، يقالُ: هو من بقيةِ الناسِ؛ أي: خيارِهم. قرأ ابنُ جمازٍ عن أبي جعفرٍ (بِقْيَةٍ) بكسرِ الباءِ وسكونِ القافِ وفتحِ الياءِ مخففةً، والباقون: بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء[1]، معناه: فهلاَّ كانَ من القرونَ من قبلِكم أولو بقيةٍ من خيرٍ.

﴿ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يقومون بالنهي عن الفسادِ، ومعناه جَحْدٌ؛ أي: لم يكنْ فيهم أولو بقيةٍ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنَّ قليلاً.

﴿ مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ نَهَوا عن الفسادِ، وهم أتباعُ الأنبياءِ، و(مِنْ) في (مِمَّنْ) للبيانِ لا للتبعيضِ، تقديرُه: لكنَّ قليلاً منهم أنجيناهُم؛ لأنهم كانوا كذلكَ.

﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ ﴾ نُعِّموا ﴿ فِيهِ ﴾ من الشهواتِ.

﴿ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ كافرينَ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٣٨).

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ﴾ منهُ لهم، تعالى عن ذلك.

﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ لأعمالِهم مؤمنونَ.

***

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ ﴾ مسلمينَ كلَّهم.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ ﴾ أي: أهلُ الباطلِ ﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ على أديانٍ شتى؛ من بين يهوديٍّ، ونصرانيٍّ، ومجوسيٍّ، ومشركٍ.

واختلفَ الأئمةُ في حكمِ المللِ، فقال أبو حنيفةَ: الكفرُ ملَّةٌ واحدةٌ؛ لأنه ضلالٌ، وهو ضدُّ الإسلام، ويتوارثون، وإذا تنصَّرَ يهوديٌّ، أو عكسُه، تُرِكَ على حالِهِ، ولا يُجبرُ على الإسلام.

وقال مالكٌ: الكفرُ مللٌ شتَّى، فلا تَوارُثَ بينَ اليهوديِّ والنصرانيِّ، وأما إذا انتقلَ الكافرُ من ملَّة إلى أخرى، أُقِرَّ على كفرِهِ، وأُخِذَتْ منه الجزيةُ، كقول لأبي حنيفةَ.

وقال الشافعيُّ: الكفرُ ملَّةٌ واحدةٌ، ويتوارثون؛ كقولِ أبي حنيفة، لكن لا توارثَ بينَ ذميٍّ وحربيٍّ، وأما إذا تنصر يهودي، أو عكسه، أو تهوَّدَ وثنيٌّ، أو تنصَّرَ، فلا يُقبل منهُ بعدَ انتقالِه إلا الإسلامُ، أو القتلُ.

وقالَ أحمدُ: الكفرُ مللٌ شتَّى مختلفةٌ، فلا يتوارثونَ مع اختلافِ مِلَلِهم؛ كقولِ مالكٍ، وأما إذا تهوَّدَ نصرانيٌّ، أو عكسُه، لم يُقبلْ منه إلا الإسلامُ، أو

الدينُ الذي كانَ عليه، وإن انتقلَ كتابيٌّ أو مجوسيٌّ إلى غيرِ دينِ أهلِ الكتابِ، لم يُقَرَّ، ويؤمرُ أن يسلمَ، فإن أبى، قُتِلَ وإن انتقلَ غيرُ الكتابيِّ إلى دينِ أهلِ الكتابِ، أُقِرَّ وكذا الوثنيُّ إذا تمجَّسَ، والله أعلم.

***

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩) ﴾.

[١١٩] ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ أي: لكنْ من رحمَ ربُّكَ، فهداهُ إلى الحقِّ فهم لا يختلفون ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ أي: للرحمةِ، يعني: الذين رحمَهم، وقيلَ: معناه: للاختلافِ خلقَهم.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ وجبَ حكمُه، وهو.

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ أي: من عُصاتِهما.

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ واللام في (لأملأنَّ) لامُ القسم، إذِ الكلمةُ تتضمَّنُ القسمَ، والجنُّ جمعٌ لا واحدَ له من لفظِه، والجِنَّةُ للمبالغةِ، وإن كانَ الجنُّ يقعُ على الواحدِ، فالجِنَّةُ جمعُهُ.

***

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾.

[١٢٠] ﴿ وَكُلًّا ﴾ أي: كلَّ نبأٍ ﴿ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ أخبارِهم.

﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: لنثبتَ، أي: نسكِّنَ بهِ فؤادكَ؛ لتزدادَ يقيناً،

ويقوى قلبُك. قرأ ورشٌ عن نافعٍ (فُوَادَكَ) بفتحِ الواو وبغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[1].

﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ﴾ أي: السورةِ ﴿ ٱلۡحَقُّ ﴾ صدقُ الأنبياءِ.

﴿ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ فيتَّعظون بما جرى للأممِ.

* * *

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ (١٢١) ﴾.

[١٢١] ثم تهدَّدهم بقولِه ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ ﴾ على حالِكم ﴿ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴾ على حالِنا. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (مَكَانَاتِكُمْ) على الجمعِ، والباقونَ على الإفرادِ.

* * *

﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) ﴾.

[١٢٢] ﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ بنا الدوائرَ ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ حلولَ النقمِ بكم.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (١٢٣) ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: علمُ ما غابَ عن العبادِ فيهما.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٠).

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ في المعادِ. قرأ نافعٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يُرْجَعُ) بضم الياء وفتح الجيم؛ أي: يُرَدُّ، والباقون: بنصب الياءِ وكسرِ الجيم؛ أي: يعودُ حتى لا يكونَ للخلقِ أمرٌ(١).

﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾ ثِقْ به؛ فإنه كافيكَ.

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب(٢).

وتقدَّمَ في أولِ سورةِ الأنعامِ ما رُوي عن كعبٍ أنه قال: «فاتحةُ التوراةِ فاتحةُ الأنعامِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلَى ﴿يَعْدِلُونَ﴾ وخاتمةُ التوراةِ خاتمةُ هودٍ ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾»(٣).

عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: يا رَسُولَ اللهِ! شِبْتَ، قالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلاَتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»(٤)، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٠ـ١٤١).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الترمذي (٣٢٩٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الواقعة، وقال: حسن غريب، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٤)، وغيرهم.

سُورَةُ يُوسُفَ

عَلَيْهِ السَّلَام

مكيةٌ، آيُها مِئَةٌ وإحدى عشرةَ آيةً، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وثلاثةٌ وأربعونَ حرفاً، وكَلِمُها ألفٌ وستٌّ وسبعونَ كلمةً.

عن ابنِ عطاءٍ: لا يسمعُ سورةَ يوسفَ محزونٌ إلا استروَحَ(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رُوِيَ أنَّ اليهودَ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ عن قصةِ يوسفَ عليه السلام، فنزلتِ السورةُ، ولم يتكررْ من معناها في القرآن شيءٌ كما تكررتْ قصصُ الأنبياءِ عليهم السلام(٢).

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾.

[١] قوله عز وجل: ﴿الٓرۚ﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليه، ومذاهبُ القراء فيه في أولِ سورةِ يونسَ.

﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذهِ السورةُ ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي: البيِّن حلالُه

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٣٤).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ١١٨).

وحرامُه وحدودُه وأحكامُه؛ من أبانَ بمعنى: أظهرَ.

* * *

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾.

[٢] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: الكتابَ المتضمِّنَ قصةَ يوسفَ وغيرَها.

﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ بِلُغَتِكم. قرأ ابنُ كثيرٍ (قُرَانًا) بالنقل[1]، و(قرآناً) حالٌ و(عربياً) صفةٌ له.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ لكي تعلموا معانيَهُ، وتفهموا ما فيه، والعقلُ: إدراكُ معنى الكلام.

* * *

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾.

[٣] ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ نبين لك خبرَ مَنْ تقدَّمك أحسنَ بيانٍ.

﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: هذه السورةَ.

﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: وقد كنتَ قبلَ القرآنِ.

﴿لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ أي: الساهِين عن قصةِ يوسفَ لا تعلَمُها.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٥).

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ ﴾ أي: واذكرْ إذ قالَ يوسفُ.

﴿ لِأَبِيهِ ﴾ ويوسفُ اسمٌ عبرانيٌّ لا يجري فيه الإعرابُ.

﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (يَا أَبَتَ) بفتحِ التاءِ حيثُ وقعَ على تقديرِ: يا أبتاهُ، ووقفاً (يَا أَبَهْ) بالهاءِ الساكنة، ووافقهما على الوقف ابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ، وقرأ الباقون، ومنهم ابن كثيرٍ، ويعقوبُ: بكسر التاءِ؛ لأن أصلَه (يا أَبَهْ)، والجزمُ يحرَّكُ إلى الكسرِ(١).

﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (أَحَدَ عْشَرَ) بإسكانِ العين، والباقون: بفتحها(٢).

﴿ كَوْكَبًا ﴾ أي: نجماً من نجومِ السماءِ.

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ ولم يقل: رأيتها لي ساجدةً، جمعَهم جمعَ العقلاء؛ لوصفِهم بالسجودِ.

وكان يوسفُ قد رأى في نومِه وهو ابنُ اثنتي عشرةَ سنةً ليلةَ القدرِ، ورأى أن أحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ قد نزلوا فسجدوا له.

روي عن جابرٍ: أن يهودياً جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا محمدُ!

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣١، ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٧).

أخبرْني عن النجومِ التي رآهنَّ يوسفُ، فسكتَ رسولُ الله ﷺ، فنزلَ جبريلُ فأخبرَه بذلك، فقال عليه السلام لليهوديِّ: «إنْ أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ هَلْ تُسْلِمُ؟»، قال: نعم، قال: «جَرْبَانُ؛ وَالطَّارِقُ، والذَّيالُ، وقَابِسٌ، وَعَمُودَان، وَالْفُلَيْقُ، وَالْمُصَبِّحُ، وَالصَّروخُ، وَالْفَرْغُ، وَوَثَّابٌ، وَذُو الْكَتِفَيْنِ رَآهَا يُوسُفُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ نَزَلْنَ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَجَدْنَ لَهُ»، فقالَ اليهوديُّ: إي واللهِ إنها لأسماؤها(١).

وكان النجومُ في التأويلِ إخوتَه، وكانوا أحدَ عشرَ؛ لأنه يُستضاء بالإخوةِ كما يُستضاءُ بالكواكبِ، وَالشَّمسُ أُمُّه، والقمرُ أبوه.

***

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾.

[٥] فلما ذكر ذلك لأبيه ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (يَا بُنَيَّ) بفتحِ الياءِ، والباقونَ: بكسرِها، وتصغيرُ (بني) للشفقةِ(٢).

﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ فهمَ يعقوبُ عليه السلام من رؤياه أنَّ اللهَ يصطفيهِ لرسالتِه، ويفوقُ على إخوتِه، فخافَ عليه حسدَهم، فأمره

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٥٩)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨١٩٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٧).

بالكتمان. قرأ الكسائيُّ بخلافٍ عنه: (رُؤْيَاكَ) بالإمالةِ[1].

﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ فيحتالون في هلاكِك؛ لأنهم يعلمونَ تأويلَها.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ﴾ يحملُهم على الحسدِ والكيدِ.

﴿مُّبِينٞ﴾ ظاهرُ العداوةِ بيِّنُها.

قال ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ، وَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ شَرِّ مَا رَأَى؛ فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ»[2].

***

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يقولُه يعقوبُ عليه السلام ليوسفَ؛ أي: كما رفعَ منزلتَكَ بهذهِ الرؤيا، فكذلك ﴿يَجۡتَبِيكَ﴾ يصطفيكَ ﴿رَبُّكَ﴾ بما هو أعظمُ منها.

﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾ أي: وهو يعلِّمُكَ ﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ تعبيرِ الرؤيا، وما يَؤولُ أمرُها إليه، وكانَ يوسفُ أعبرَ الناسِ للرؤيا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٧).

(٢) رواه البخاري (٦٦٣٧)، كتاب: التعبير، باب: إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، ومسلم (٢٢٦١)، كتاب: الرؤيا، عن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنبوةِ وباحتياجِ إخوتِك إليكَ ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ﴾ أي: أولادِ ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنبوةِ أيضاً؛ لأنهم كانوا أنبياءَ.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ أي: أبيكَ وجدِّك؛ فإنَّ الجدَ أبٌ في الأصالةِ، يقالُ: فلانُ بنُ فلانٍ، وبينَهما عدةُ آباءٍ ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ بجعلِهما نَبِيَّيْنِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمَنْ يستحقُّ الاجتباءَ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعِه، وكان بينَ رؤيا يوسفَ وتحقيقِها بمصيرِ أبيه وإخوتِه إليه أربعونَ سنةً في قولِ الأكثرِ.

***

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ أي: في خبرِه وخبرِ إخوته، وهم روبيلُ، وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوى، ويهودا، وزلون، ويساخر وأمُّهم لَيَّا بنتُ ليَّانَ، وهي ابنةُ خالِ يعقوبَ، وولد له من سُرِّيتينِ اسمُ إحداهما زُلْفَى، والأخرى بُلْهة أربعةٌ، وهم: دان، ونَفْتالي، وكاد، وأشر، ثم تُوفيت ليا، فتزوج يعقوبُ أختَها راحيل، فولدت له يوسفَ وبنيامين، فكان بنو يعقوبَ اثني عشرَ رجلاً.

﴿ءَايَٰتٌ﴾ عِظاتٌ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عنها، وغيرِ السائلين، وذلك أن اليهود لما سألوا رسولَ الله ﷺ عن قصةِ يوسفَ، فذكر لهم القصةَ، فوجدوها موافقةً لما في التوراةِ، فعجبوا منه، فهذا معنى قولِه تعالى: (لآياتٌ)؛ أي: دلالةٌ على نبوةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ. قرأ ابنُ كثيرٍ: (آيَةٌ)

على التوحيد، والباقون: (آيَاتٌ) على الجمعِ[1].

***

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ ﴾ اللامُ فيه جوابُ القسم، تقديرُه: واللهِ ليوسفُ ﴿ وَأَخُوهُ ﴾ بنيامينُ.

﴿ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا ﴾ وكان يعقوبُ شديدَ الحبِّ ليوسفَ، فكان يرى منه الميلُ إليه ما لا يرى لإخوتِه.

﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ جماعةٌ عشرةٌ تُعْصَبُ بنا الأمورُ، وفينا كفايةٌ، ويفضِّلُهما علينا، ولا كفايةَ فيهما؛ لصغرهما، وأصلُ العصبةِ والعصابةِ التَّعَصُّبُ والشَّدُّ، وتطلق على الثلاثةِ أو العشرةِ إلى الأربعين.

﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: خطأ من رأيهِ ظاهرٌ؛ لاختيارِهما علينا، وليسَ المرادُ الضلالَ عن الدين. قرأ أبو عمرٍو، وعاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (مُبِينِ اقْتُلُوا) بكسرِ التنوينِ في الوصلِ لالتقاءِ ساكنِ التنوينِ والقافِ، وقرأ الباقونَ: بكسر النونِ وضمِّ التنوين إتباعاً لضمةِ التاءِ ومراعاةً لها، واختلِف عن ابنِ ذكوانَ في الكسرِ والضمِّ، والوجهانِ صحيحان عنه[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٠).

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ كانت هذهِ مقالَة شمعون، أو دان.

﴿ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ أي: أَبْعِدوه إلى أرضٍ بعيد من أبيه.

﴿ يَخْلُ ﴾ أي: يخلُصْ ﴿ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ فيُقبِلُ بكلِّيتهِ عليكم.

﴿ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ بعدَ يوسفَ والفراغِ من أمرِه.

﴿ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ يصلُحُ حالُكم عندَ أبيكم، وقيل: معنى (صالحين)؛ أي: تائبين، تُحْدِثوا بعد ذلك توبة، فيقبلُها الله منكم.

* * *

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ هو يهودا على الأصحِّ.

﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾ نَهاهم عن قتلِه، وقال: القتلُ كبيرةٌ عظيمةٌ.

﴿ وَأَلْقُوهُ ﴾ اطرحوه ﴿ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ قَعْرِه، والغَيابةُ: ما غابَ عن العينِ، والجبُّ: البئرُ التي لم تُطْوَ؛ لأنها جُبِّبَتْ من الأرض؛ أي: قُطعتْ، والبئرُ بينَ مصرَ ومدينَ على ثلاثةِ أميالٍ من منزلِ يعقوبَ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (غَيَابَاتِ) على الجمع(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٠).

في الموضعينِ، والباقون: (غَيَابَةِ) على الواحدِ فيهما.

﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذه من غيرِ طلبٍ ولا قصدٍ ﴿بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرينَ.

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ما عَزَمْتُم عليه من القتلِ؛ فإنَّ القتلَ عظيمٌ، وهم كانوا يومئذٍ بالِغينَ، ولم يكونوا أنبياءَ بعدُ.

وأما حكمُ اللقيطِ، وهو الطفلُ المنبوذُ، فالتقاطُه مندوبٌ عندَ أبي حنيفة، وعندَ الثلاثة فرضُ كفايةٍ، وهو حرٌّ مسلمٌ إن وُجِدَ في بلدٍ فيه مسلمٌ يولَدُ لمثلِه عندَ الثلاثةِ، وقال أبو حنيفةَ: إن التُقِطَ من بِيعَةٍ أو كنيسةٍ أو قريةٍ من قُراهم، فيكونُ ذِمِّياً، وأما حضانتهُ، فلواجِدِه إن كانَ عدلاً بالاتفاق، وما وُجِدَ معه فنفقتُه منه، وإلاَّ من بيتِ المالِ بالاتفاق، ومن ادَّعاهُ لحقَ به نَسَباً لا ديناً عندَ الثلاثةِ، وعن مالكٍ في استِلْحاقِ الملتقَطِ المسلمِ بغيرِ بينةٍ قولان، وفي مسلمٍ غير الملتقط أقوالٌ، ثالثُها: إن أتى بوجه، لحق؛ كمن زعمَ أنه طرحَه؛ لأنه لا يعيشُ له ولدٌ، وسمعَ أنه إذا طرحَهُ عاشَ، وأما الذميُّ، فإنه لا يلحقُه إلا ببينةٍ، وميراثُه وديتُه لبيتِ المالِ بالاتفاق.

وأما اللُّقَطَةُ، وهي المالُ الضائعُ من ربِّه، فقالَ أبو حنيفةَ: أخذُها أفضلُ، وقال مالكٌ: يُستحبُّ أخذُها بنيةِ حفظِها إنْ كانتْ مما لهُ خَطَرٌ، وقال الشافعيُّ: يُستحبُّ لواثقٍ بأمانةِ نفسِه، وقالَ أحمدُ: تركُها أفضلُ، ويجوزُ أخذُها لمن أمنَ نفسَه.

فمن وجدَ ما تقلُّ قيمتُه، ولا تتبعُه الهِمَّةُ، ملكَه بغيرِ تعريفٍ بالاتفاق، وأما الحيوانُ الممتنِعُ بنفسِه؛ كبعيرٍ وفرسٍ ونحوِهما، فيجوزُ التقاطُه عندَ

أبي حنيفةَ، وعندَ الشافعيِّ إن وُجِدَ بمفازةٍ، جازَ التقاطُه للحفظِ، ويحرمُ للتملُّكِ، وإن وُجِدَ بقريةٍ، جازَ التقاطُه للتملُّكِ، وقالَ مالكٌ: لا يلتقِطُ الإبلَ في الصحراءِ، وعنهُ في غيرِ الإبلِ خلافٌ، وقال أحمدُ: لا يجوزُ التقاطُها، ولا يبرأُ مَنْ أخذَها إلا بدفعِها إلى الإمام، وما عدا ذلكَ من سائرِ الأموالِ، فقال أبو حنيفةَ: يُعَرِّفُها مدةً يغلبُ على ظَنِّه أن صاحبَها لا يطلُبُها بعدَ ذلكَ الزمانِ الذي عَرَّفَ فيه، قال: وتعريفُ ما دونَ عشرةِ دراهمٍ أياماً بلا تقدير، وما فوقَها حولاً، ثم يتصدَّقُ بها إن شاءَ، فإن جاءَ صاحبُها، فأمضى الصدقةَ، وإلا ضمنَها الملتقِطُ أو المسكينُ إن شاءَ، وإن كانتْ قائمةً، أخذَها منه، ولا تُدفعُ إليه إلا ببينةٍ، ويحلُّ للملتقِط دفعُها بذكرِ علامةٍ، ولا يُجبر على ذلك، وقال مالكٌ: يُعَرِّفها سنةً، فإذا جاءَ طالبُها، فعرَفَها بعلامتها، دفعَها إليه بلا بَيِّنةٍ، وإن لم يأتِ لها طالبٌ، فإن شاءَ تركَها في يده أمانةً، وإن شاءَ تصدَّقَ بها بشرطِ الضمانِ، وإن شاءَ تملَّكها على كراهةٍ، وقال الشافعيُّ: يعرِّفها سنةً، والحقير زمناً يظنُّ أن فاقدَه يُعرِضُ عنه غالباً، وإذا عَرَّفَ سنةً، لم يملكها حتى يختارَهُ بلفظ؛ كتملكتُ، فإذا ظهرَ المالكُ، أخذَها، وإن تلفتْ، غرمَ مثلَها أو قيمتَها يومَ التملُّكِ، وإن وصفَها، وظنَّ صدقَه، جازَ الدفعُ، ولا يجب، وقالَ أحمدُ: يعرِّفُها سنةً، ثم تدخلُ في ملكِه بعدَ الحولِ حكماً كالميراث، فمتى جاءَ طالبُها، فوصفَها، لزَم دفعُها إليه أو مثلُها إن هلكتْ بِلا بينةٍ.

ولا فرقَ بينَ لُقَطَةِ الحرمِ وغيرِه عندَ الثلاثِة، وعند الشافعيِّ لا تحلُّ لقطةُ الحرمِ للتملُّكِ، ويجبُ تعريفُها قطعاً، والله أعلم.

* * *

﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] فلما أجمعَ إخوةُ يوسفَ على التفريقِ بينَه وبينَ والدِه بضربٍ من الحِيَلِ.

﴿ قَالُوا۟ ﴾ ليعقوبَ:

﴿ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ لِمَ تخافُنا عليه؟ بدؤوا بالإنكارِ عليه في تركِ إرسالِه معهم. وأجمعَ القراءُ على قراءةِ (مالَكَ لاَ تَأْمَنَّا) بإدغامِ النونِ الأولى في الثانية، واختلفوا في اللفظِ به، فقرأ أبو جعفرٍ بإدغامِه محضاً من غيرِ إشارةٍ، بل يلفظُ بنونٍ مفتوحةٍ مشدَّدةٍ، وهو على أصلِه في إبدالِ الهمزِ حرفَ مَدٍّ، وقرأ الباقونَ بالإشارة، واختلفوا فيها، فبعضُهم جعلَها رَوْماً، فيكونُ حينئذٍ إخفاءً، ولا يتمُّ معها الإدغامُ الصحيحُ، وبعضُهم جعلها إشْماماً، فيشيرُ إلى ضمِّ النونِ بعدَ الإدغامِ، فيصحُّ معه حينئذٍ الإدغامُ، قالَ ابنُ الجزريِّ: وبالقولِ الثاني قطعَ سائرُ أئمةِ أهلِ الأداءِ من مُؤَلِّفي الكتبِ، وحكاه أيضاً الشاطبيُّ، قال: وهو اختياري؛ لأني لم أجدْ نصاً يقتضي خلافَه، ولأنه الأقربُ إلى حقيقةِ الإدغامِ، وأصرحُ في اتباعِ الرسمِ، انتهى(١).

﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴾ قائمونَ بمصلحتِه وحِياطتِه حتى نردَّه إليكَ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥١ـ١٥٢)، وذكر البغوي أن قراءة أبي جعفر هي رواية عن نافع أيضاً.

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا ﴾ إلى الصحراءِ.

﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ نُنَعَّمْ ونَلْهو. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ عامرٍ: بالنونِ فيهما، وابنُ كثيرٍ: بكسرِ العين من (نَرْتَعِ)، وروايةُ قنبل يثبتُ الياءَ بعدَ العينِ وصلاً ووقفاً، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: بالياء فيهما معَ كسرِ العين من (يَرْتَعِ)، وقرأ الباقون، وهم: الكوفيون، ويعقوبُ: بالياءِ فيهما معَ إسكانِ العين من (يَرْتَعْ)؛ كأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ، فالقراءةُ بالنون فيهما أُسندَ الفعلُ إلى جميعِهم، ولم يكونوا أنبياءَ يومئذٍ، وبالياء فيهما أُسنِدَ الفعلُ إلى يوسفَ، وبكسر العين من (نَرْتَعِ) من الرعي، فلامُه ياء حُذِفَتْ للجزم، وبقيت الكسرةُ تدلُّ عليها، وبإسكانِ العين جزماً جواباً (لأرسلْه)(١).

﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ أن ينالَه مكروهٌ.

***

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ قَالَ ﴾ لهم يعقوبُ: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ ﴾ قرأ نافعٌ (لَيُحْزِنُنِي) بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي، والباقون: بفتحِ الياءِ وضمِّ الزاي، وفتحَ أبو جعفرٍ،

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٢-١٥٤).

ونافعٌ، وابن كثيرٍ ياءَ الإضافةِ، وأَسكنها الباقون[1].

﴿أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ أي: ذهابُكم به، والحزنُ هاهنا ألمُ القلبِ بفراقِ المحبوبِ.

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، وكان يعقوبُ قد رأى في منامِه أن الذئبَ قد شَدَّ على يوسفَ، فكانَ يخافُ من ذلك ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ مشغولون بعملِكم. قرأ أبو جعفرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وورشٌ عن نافعٍ: (الذِّيبُ) بإسكان الياء بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[2].

* * *

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿قَالُواْ لَئِنْ﴾ التقديرُ: واللهِ لَئِنْ ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ عَشَرَةٌ، وجوابُ القسم ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ ضعفاءُ مغبونونَ.

* * *

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم قالوا ليوسف: أما تحبُّ الخروجَ معنا؟ قال: بلى، قالوا:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٩٦، ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٤ـ١٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩١ـ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٥).

فسل أباكَ، قال: يا أَبي! إني أَرى من إخوتي اللطفَ فأُحِبُّ أن ترسلَني معهم إلى الصحراءِ، فأرسلَهُ.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ جَعَلوا يحملونَه على عواتِقِهم إكراماً لهُ، وسروراً به، فلما أَبعدوا به عن العيون، أَلْقَوه، وجعلوا يضربونَهُ، وكلما لجأَ إلى واحدٍ منهم، ضربَهُ، ولا يزدادُ عليهِ إلا غلظةً وحنقاً، وجعلَ يبكي بكاءً شديداً، وينادي: يا أبتاه! يا يعقوبُ! ما أسرعَ ما نَسُوا عهدَكَ، وضَيَّعوا وَصِيَّتَكَ، لو تعلمُ ما يَصنعُ بابنِك أولادُ الإماءِ! قالوا: فأخذَه روبيلُ فجلدَ بهِ الأرضَ، وثبتَ على صدره، وأرادَ قتلَه، فقال: مهلاً يا أخي، لا تقتلْني، فقال له: قُلْ لرؤياكَ تُخَلِّصُك من أيدينا، ولوى عنقَه ليكسرَها، فنادى: يا يهودا! وكان أرفقَهم به اتَّقِ اللهَ وحُلْ بيني وبينَ من يريدُ قتلي، فأخذَتْه رقةٌ ورحمةٌ، فقال يهودا: ألستُمْ قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ قالوا: بلى، قال: فأنا أدلُّكم على ما هو خيرٌ لكم من القتل، ألقوه في الجبِّ، قالوا: نفعلُ.

﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ﴾ عزموا على إلقائهِ.

﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه، واختلافُ القراءِ فيهِ، ومحلُّ الجبِّ عندَ تفسيرِ الحرفِ المتقدِّمِ، وجعلَ يوسفُ يتعلَّق بثيابِهم، فنزعوها من يديه، فتعلق بشفيرِ البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصَه لما عزموا عليه من الكذبِ، فقال: يا إخوتي! ردوا عليَّ ثوبي أسترُ به عورتي في حياتي، ويكونُ كفناً لي بعدَ مماتي، فلم يفعلوا، وألقوه، وكان يعقوبُ قد جعلَ قميصَ إبراهيمَ الذي كُسِيه لما أُلْقِي في النار في قصبةٍ، وشدَّ رأسَها، وعلَّقها في عنقِ يوسفَ؛ لما كانَ يخافُ عليه من العينِ، وكان لا يفارقُه، فأخرجَهُ جبريلُ وألبسَه إياه، وقامَ على صخرةٍ بجانبِ البئرِ، فأرادوا رضخَهُ بحجرٍ، فمنعَهم

يهودا، وجاءه جبريلُ ليؤنسَه، وقال له: إذا هِبْتَ شيئاً، فقلْ: يا صريخَ المستصرخين، ويا غياثَ المستغيثين، ويا مفرجَ كربِ المكروبين، قد ترى مكاني، وتعلمُ حالي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، فلما قالَها، حَفَّتْه الملائكةُ، فأنسَ بهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ وكانَ ابنَ ثماني عشرة سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ فيما يُستقبل ﴿بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ الذي فعلوا بك.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنَّكَ يوسفُ؛ لعلوِّ قدرِك، وبعد عهدِهم عنك.

***

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ثم نحروا سَخْلَةً، ولطَّخوا قميصَه بدمِها، ولم يشقُّوه ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ أي: مُتباكينَ وقتَ المساء؛ ليكونوا أَ جْرَأَ على الاعتذارِ بالكذب.

***

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] فرُوي أن يعقوبَ سمعَ صياحَهم وعويلَهم، فخرجَ فقال: مالكم يا بني؟ أصابَكم في غنمِكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسفُ؟

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ من السِّباقِ في الرَّمْي بالسهامِ.

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ ثيابنا.

﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ ﴾ بمصدِّقٍ.

﴿ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ لسوءِ ظَنِّكَ بنا، وفرطِ محبتِكَ ليوسفَ.

* * *

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ ﴾ أي: مكذوبٍ فيه؛ لأنه لم يكنْ دمَ يوسفَ، فقالَ يعقوبُ: كيفَ أكلَه الذئبُ، ولم يشقَّ قميصَه؟ فاتَّهمهم، و﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ أي: زَيَّنَتْ ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ (بَل سَّوَّلَتْ) بإدغامِ اللامِ في السين، والباقون: بالإظهار(١).

﴿ فَصَبْرٌ ﴾ أي: فأمري صبرٌ.

﴿ جَمِيلٌ ۖ ﴾ والصبرُ الجميلُ: ما لا شكوى فيهِ إلى مخلوقٍ.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾ أي: أطلبُ منه العونَ.

﴿ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ من شأنِ يوسفَ.

* * *

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ولبثَ في البئرِ ثلاثةَ أيامٍ ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ ﴾ جماعةٌ يسيرون من مَدْيَنَ إلى مصرَ، أخطأوا الطريقَ، فنزلوا قريباً من الجبِّ، وكان في قَفْرٍ بعيدٍ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٦).

من العمران، وكان ماؤه مِلْحاً، فعذُبَ حينَ أُلقي يوسفُ فيه.

﴿ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ ﴾ الذي يردُ الماء ليستقيَ لهم منه، وهو مالكُ بنُ ذعْرٍ الخزاعيُّ.

﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ ليملأَها، فتعلَّق يوسفُ بالحبلِ، فلما خرجَ، إذا هو بغلامٍ أحسنَ ما يكونُ من الغلمانِ، قالَ النبيُّ ﷺ: «قَدْ أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الْحُسْنِ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ لِسَائِرِ النَّاسِ»[1]، فلما رآه مالكُ بنُ ذعرٍ.

﴿ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌۚ ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (يَا بُشْرَايَ) بياءٍ مفتوحة بعدَ الألف؛ أي: بَشَّرَ المستقي نفسَهُ وأصحابَهُ، يقولُ: أبشروا بغلامٍ، وقرأ الباقونَ، وهم الكوفيون: (يَا بُشْرَى) بغيرِ ياءِ إضافةٍ على وزن فُعْلَى[2]، يريدُ: نادى المستقي رَجُلاً من أصحابِه اسمهُ بُشْرى، وأمالَ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ فتحةَ الراء، وقرأ ورشٌ الراءَ بينَ اللفظين، والباقون: بإخلاصِ فتحِها،

---

(1) رواه مسلم (١٦٢)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في حديث الإسراء الطويل، وفيه: «... ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطي شطر الحسن». وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٦) عن ربيعة الجرشي قال: قسم الحسن نصفين، فجعل ليوسف وسارة النصف، والنصف الآخر لسائر الناس.

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٧).

واختلِفَ عن أبي عمرٍو، وابن ذكوانَ[1].

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ الضميرُ للواردِ وأصحابِه؛ أي: أخفَوا أمرَ يوسفَ، وقالوا: دفعَه لنا أهلُ الماءِ لنبيعَه لهم بمصرَ؛ لئلا يطالبَهم رُفْقَتُهم بالشركةِ فيه، ورُوي أنَّ إخوةِ يوسفَ أخفَوا شأنَه؛ لأنه لما أخذَهُ المدلي، علم به يهودا؛ لأنه كان يأتيه بطعامه، فذهبَ وإخوتَه إلى السيارة، فقالوا: هذا عبدٌ لنا أَبَقَ، فاشتروهُ منا، ويوسفُ ساكتٌ لا يتكلَّمُ مخافةَ القتلِ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لم تخفَ عليه أسرارُهم.

***

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنِۭ بَخْسٖ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ السيارةُ من إخوتِه. قرأ ابنُ كثيرٍ: (وَشَرَوْهُو) بواو يصلُها بهاء الكناية في الوصلِ، وتقدَّمَ التنبيهُ عليه أولَ سورةِ البقرة[2] ﴿بِثَمَنِۭ بَخْسٖ﴾ ناقصٍ عنِ القيمةِ.

﴿دَرَٰهِمَ﴾ لا دنانيرَ ﴿مَعْدُودَةٖ﴾ قليلةٍ؛ لأنهم كانوا لا يَزِنُون إلا ما بلغَ أوقيةً، وهو أربعونَ درهماً، ويَعُدُّون ما دونَها، وكانت الدراهمُ عشرينَ درهماً، فاقتسَمَها إخوةُ يوسفَ درهمينِ درهمينِ.

﴿وَكَانُواْ﴾ إخوةُ يوسفَ ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ ليبعدَ عنهم.

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥ـ٣٦)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) عند تفسير الآية: (٢).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] فلما قدمتِ السيارةُ بيوسفَ مصرَ، دخلوا به السوقَ يعرضونه للبيع، وكانتْ قوافلُ الشامِ تنزلُ بالناحيةِ المعروفةِ اليومَ بالموقفِ، وهي ظاهرَ مصرَ خارجَ كومِ الجارحِ بالقربِ من الجامعِ الطولونيِّ، فوقفَ الغلامُ، ونوديَ عليه، فاشتراهُ قِطْفيرُ صاحبُ أمرِ الملك، وكان على خزائنِ مصرَ يُسَمَّى العزيزَ، واشتراهُ بعشرينَ ديناراً وزوجِ نعلٍ، وثوبينِ أبيضين، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ هو قِطفيرُ المذكورُ ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ واسمُها زَليخَا، وقيل: رَاعِيل ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ منزلَهُ؛ أي: أَحْسِني تعهُّدَه.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فيما نحتاجُ إليه، وكانَ العزيزُ لا يولَدُ له فقال:

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ﴾ نتبنَّاهُ؛ لما رأى فيه من مخايلِ الفلاحِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكإنجائِنا يوسفَ من الشدائدِ وعطفِ قلبِ العزيزِ عليه.

﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مصرَ؛ بأن جعلناهُ حاكماً عليها.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ﴾ وهي تعبيرُ الرؤيا.

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ الهاءُ في (أمره) لله تعالى؛ أي: لا مانعَ

لقضائِه، وقيل: ليوسفَ؛ أي: إنه يدبره، ولا يَكِلُه إلى سِواه.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مرادَ الله تعالى.

***

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ منتهى شبابِه وقُوَّته، جمعُ شدٍّ، وهو ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً في أظهرِ الأقوالِ.

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ نبوةً ﴿ وَعِلْمًا﴾ فِقْهاً.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعينَ.

***

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ﴾ أي: طالبته مرةً بعدَ مرةٍ برفقٍ وسهولةٍ.

﴿ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ وهي زليخا احتالَتْ عليه، وأرادتْ خدعَهُ ﴿ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لتنالَ غرضَها منه، وكانت تكتمُ حُبَّهُ، فخَلَتْ به، وتزيَّنَتْ له، وعَرَّفَتْه أنها تحبُّه، وأنه إن واتاها على ما تريدُه منه، حَبَتْهُ بمالٍ عظيمٍ، فامتنعَ من ذلك، ورامَتْ أن تغلبَهُ.

﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ عليها وعليه، وكانت سبعةً.

﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ، وعاصمٌ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (هَيْتَ) بفتح الهاءِ والتاءِ من غيرِ همزٍ؛ أي: هَلُمَّ وأَقْبِلْ إلى ما أدعوكَ إليه، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ

(هِيتَ) بكسرِ الهاءِ وفتحِ التاءِ من غيرِ همزٍ، واختلِفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامرٍ، فرويَ عنه وجهان: بكسر الهاءِ وضمِّ التاءِ وفتحِها مهموزاً في الوجهين، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بفتح الهاءِ وضمِّ التاءِ من غيرِ همزٍ، ومعناه تَهَيَّأْتُ لكَ[1].

﴿قَالَ﴾ يوسفُ لها عندَ ذلك: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ أستجيرُ بالله مما دَعَوْتيني إليه.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ المعنى: زوجُكِ قِطفيرُ سيدي.

﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ حينَ أوصاكِ بإكرامي، فما جزاؤه أن أخونَهُ، وقيل: المرادُ (بربي): اللهُ سبحانه، أحسنَ إليَّ بما أعطاني. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ: (رَبِّيَ) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[2]، وقرأ الدوريُّ عن الكسائيِّ (مَثْوَايَ) بالإمالة[3].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لا يسعد الزُّناةُ؛ فإنَّ الزنى ظلمٌ على الزاني والمزنيِّ بأهلِه.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣_٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٥٨_١٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦١).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦١).

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾.

[٢٤] ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ أي: بمخالطتِه، والهمُّ: هو المقاربةُ من الفعلِ من غيرِ دخولٍ فيه.

﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ بخطراتِ القلبِ الذي لا يقدرُ البشرُ على التحفُّظِ منه، ورجعَ عندَ ذلكَ ولم يتجاوزْه.

﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ رُوي أنه رأى صورةَ يعقوبَ عاضّاً على أصبعِه، وبه كانَ يُخَوَّفُ صغيراً، وقيلَ غيرُ ذلكَ، وجوابُ لولا محذوفٌ، تقديرُه: لولا أنْ رأى برهانَ رَبِّهِ، لواقعَ المعصيةَ، وقيل: في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ولقد همتْ به، ولولا أن رأى برهانَ رَبِّه، لهمَّ بها.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ فعلْنا مثلَ ذلك ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ الزنى.

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ قرأ الكوفيون، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ (الْمُخْلَصِينَ) بفتحِ اللامِ حيثُ وقَع؛ أي: المختارين، وقرأ الباقون: بكسرها[١]؛ أي: المخلِصين لله الطاعةَ، واختلافُهم في الهمزتينِ من (الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ) كاختلافِهم فيهما من (شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة.

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٢).

﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ورُوي أنها سترَتْ صنماً كانَ عندَها، فقال: لِمَ سترتِهِ؟ قالت: أَسْتَحيي أن يراني على معصية، فقال: أتستحيينَ ممن لا يسمعُ ولا يبصرُ، وأنا أحقُّ أن أستحييَ من ربي؟ وهرب[1].

﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ وَحَّدَ البابَ، وأرادَ: الجنس؛ أي: تسابقا إليه، وذلك أن يوسفَ فرَّ منها ليخرجَ، وأسرعتْ وراءه لتمنعَه الخروجَ، فأدركَتْه، فلزمَتْه.

﴿ وَقَدَّتۡ ﴾ شَقَّتْ ﴿ قَمِيصَهُۥ ﴾ نِصفين ﴿ مِن دُبُرٖ ﴾ من خَلْفِه.

﴿ وَأَلۡفَيَا ﴾ وَجَدا ﴿ سَيِّدَهَا ﴾ زوجَها قِطفيرَ، وكان عِنِّيناً لا يأتي النساءَ ﴿ لَدَا ٱلۡبَابِۚ ﴾ عندَ البابِ جالساً، فلما رأتْهُ.

﴿ قَالَتۡ ﴾ سابقةً بالقولِ لزوجِها:

﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا ﴾ أي: زنًا، ثم خافَتْ عليه أن يُقتلَ فقالتْ: ﴿ إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ ﴾ أي: يُحْبَسَ ﴿ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ يضربُ بالسياطِ.

---

(١) قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩١): وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جلَّ ثناؤه أخبر عن همِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة. وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه.

﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦﴾.

[٢٦] فلما عَرَّضَتْهُ للهلاكِ ﴿قَالَ﴾ يوسفُ دفعاً عن نفسِه، وتنزيهاً لعرضه: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ يعني: طلبَتْ مني الفاحشةَ، فأبيتُ وفررتُ.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ كانَ طفلاً في المهد، وهو ابنُ خالِها، أنطقَه اللهُ، وقد وردَ عن ابنِ عباسٍ عنِ النبي ﷺ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»[(١)]، وقيلَ: كان رجلاً حكيماً ذا رأيٍ، وهو ابنُ عمِّها. قرأ أبو عمرٍو (وَشَهِد شَّاهِدٌ) بإدغامِ الدالِ في الشين[(٢)].

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ لأنه إذا طلبَها، دفعتْهُ عن نفسِها، فشقَّتْ قميصَه مِنْ قُدَّام، أو يسرع ليدركَها فيعثرَ في ثوبِهِ فينشَقَّ.

* * *

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ﴾ لأنها إذا تبعَتْه هي، تعلَّقَتْ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/٣٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٧٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٣٦)، وغيرهم.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٦٣/٣).

بقميصِه لتلحقَهُ فتشقَّهُ ﴿وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولِه، وإنما ألقى اللهُ الشهادةَ على لسانِ أهلِها؛ لتكونَ ألزمَ عليها، وسُمِّيَ قولُ الشاهدِ شهادةً؛ لأنه قائمٌ مقامَ الشهادةِ في ثبوتِ صدقِ يوسفَ وكذبِها.

***

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زوجُها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ عرفَ براءةَ يوسفَ.

﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: قولُكِ: ما جزاءُ مَنْ أرادَ بأهلِكَ سوءاً ﴿مِن كَيْدِكُنَّۖ﴾ حِيَلِكُنَّ.

﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ معاشرَ النسوةِ ﴿عَظِيمٌ﴾ وسُمِّيَ كيدُ الشيطانِ ضعيفاً؛ لأنه وسوسةٌ، وكيدُ النساءِ عظيماً؛ لأنه مواجهةٌ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وابنُ ذكوانَ: (رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) (رَأَى قَمِيصَهُ) بإمالةِ الراءِ تبعاً للهمزة، واختلِفَ عن هشامٍ وأبي بكرٍ، وأمال أبو عمرٍو الهمزة فقط(١).

***

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ثم أقبلَ مخاطباً ليوسفَ حاذفاً حرفَ النداءِ فقالَ: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦١).

عَنْ هَٰذَا﴾ الأمرِ، لا تذكرْهُ لأحدٍ، ثم قالَ لها: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ توبي من صنيعِك.

﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ المتعمِّدينَ للذنبِ، وقيل: هذا من قولِ الشاهدِ لهما، وقولُه: (من الخاطئين)، ولم يقل: منَ الخاطئاتِ؛ لأنه لم يقصدِ الخبرَ عن النساءِ، وإنما قصدَ القومَ الخاطئين، وكان العزيزُ حليماً قليلَ الغيرةِ.

* * *

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾.

[٣٠] واتصل خبرُ زليخا ويوسف بنساءِ الخاصَّة، فَعَيَّرْنَها بذلكَ، فذلكَ قوله: ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هي مدينةُ مصرَ.

﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ ورُسمت (امْرَأَتُ) بالتاءِ في سبعةِ مواضعَ، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ[1].

﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ غلامَها ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لتنالَ شهوتَها منه.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أصابَ حُبُّهُ شَغافَ قلبِها. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ: (قَد شَّغَفَهَا) بإدغامِ الدالِ في الشين، والباقون: بالإظهار[2].

---

(١) وانظر: الآية (٣٥) من سورة آل عمران.

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ٣٠١)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٤).

﴿ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ خطأ بيِّنٍ من حبِّ عبدِها.

* * *

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ ﴾ بِغِيبَتِهِنَّ لها ﴿ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ ﴾ دعَتْهُنَّ إليها. قرأ يعقوبُ: (إِلَيْهُنَّ) بضمِّ الهاءِ حيثُ وقَع[1].

﴿ وَأَعۡتَدَتۡ ﴾ أعدَّت؛ أي: هَيَّأَتْ.

﴿ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا ﴾ ما يُتَّكأُ عليه، وقُرِىءَ في الشواذِّ (مُتْكاً) بضمِّ الميمِ وإسكانِ التاء[2]، وهو الأَتْرُجُّ، وصنعَتْ لهنَّ طعاماً وشراباً، وعملَتْ مجلسينِ مُذْهَبينِ، وفرشَتْهما بديباجٍ أصفرَ مُذْهَبٍ، وأَرْخَتْ عليهما ستورَ الديباجِ، وأمرتِ المواشطَ بتزيينِ يوسفَ وإخراجِه من المجلس الذي يُحاذي المجلسَ الذي كانتْ معَ النسوةِ فيه، وكانَ المجلسُ محاذياً للشمسِ، فأخذنَهُ المواشطُ، ونَظَمْنَ شعرَهُ بأصنافِ الجواهرِ، وألبسنَهُ ثوبَ ديباجٍ أصفرَ قد نُسِجَ بداراتٍ حمرٍ مُذْهَبَةٍ فيها أطيارٌ صغارٌ خضرٌ مبطَّن ببطانةٍ خضراءَ، ومن تحتِه غلالةٌ حمراءُ، وعلى رأسِه تاجٌ قد نُظِمَ بالدرِّ والجوهرِ، وأخرجْنَ من تحتِ التاجِ أطرارَ شعرِه على جبهتِه، ورددْنَ ذوائبَهُ على صدرِه، وجعلْنَ جُمَّتَهُ مكشوفةً، والتاجُ يحيطُ بها، وفي أذنيه قرطَي جوهرٍ،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

ومن خلفِ طوقِ القباءِ شعرٌ مسبلٌ بينَ كتفيهِ منظومٌ مشبكٌ بالذهبِ والجوهرِ، وفي عنقه طوقٌ منظومٌ بذهبٍ مشذرٍ بجوهرٍ أحمرَ ودُرٍّ فاخرٍ، وفي وسطِه منطقةُ ذَهَبٍ، فيها كواكبُ جوهرٍ ملوَّنٍ، ولها معاليقُ منظومةٌ، وألبسنَهُ خُفَّيْنِ أبيضينِ منقوشينِ بأخضرَ على نقوشِ ذهبٍ، وجعلْنَ للقباءِ الذي عليه وشاحينِ على كتفيهِ وكُمَّيْهِ من جوهرٍ أخضرَ، وعَقْرَبْنَ صُدْغَيه على خَدَّيهِ، وكحلْنَ عينيه، ودفعْنَ إليه مِذَبَّةً مذهبةً شعرُها أخضرُ، وكانَ يوسفُ إذا سارَ في الأزقَّة رُئي تلألؤُ وجهه على الجُدرِ، وحُكِيَ أنه ما زالَ النساءُ يملْنَ إلى يوسفَ ميلَ شهوةٍ حتى نبأه الله، فألقى عليه هيبةَ النبوة، فشغلَتْ هيبتُه كلَّ من رآهُ عن حسنهِ.

﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ﴾ بعدَ الجلوسِ على المتكأ.

﴿سِكِّينًا﴾ نِصابُها من جوهرٍ، وكُنَّ يأكُلْن اللحمَ حَزّاً بالسكين، وقيلَ: ليقطعنَ بها الفاكهةَ، فيقال: إنهن أخذْنَ أترجّاً، وهنَّ يقطعنَهُ، فلما فرغَ النساءُ من طعامهنَّ، وشربْنَ أقداحاً، قالت لهنَّ: قد بلغني حديثُكن في أمري مع عبدي، فقلْنَ لها: الأمرُ كما بلغَكِ لأنك أعلى قدراً من هذا، ومثلُكِ يرتفعُ عن أولادِ الملوكِ بحسنِك وشرفِكِ، فكيفَ رضيت[1] بغلامِكِ؟! قالت: لم يبلُغْكُنَّ الصدقُ، ولا هو عندي بهذا.

﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ وأومأتْ إلى المواشطِ أن يُخْرِجْنَ يوسفَ. **قرأ** نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَقَالَتُ اخْرُجْ) بضمِّ التاءِ في الوصلِ[2]، وقرأ يعقوبُ: (عَلَيْهُنَّ) بضمِّ الهاء حيثُ

---

(١) في «ظ» و«ت»: «رضيتين»، والصواب ما أثبت.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، =

وقعَ مثل (إِلَيْهُنَّ)[1]، فرفعْنَ المواشطُ الستورَ عن المجلسِ الذي فيه يوسفُ، وبرزَ منه محاذِياً بوجهِه الشمسَ، فأشرقَ المجلسُ وما فيهِ من وجهِ يوسفَ، وأقبلَ بالمذبّةِ وهُنَّ يَرْمُقْنَهُ، فوقفَ على رأسِ زَليخا يَذُبُّ عنها.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظَمْنَهُ، وهالَهُنَّ حسنُهُ، فاشتغلْنَ برؤيتِه.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ موضعَ الفاكهةِ التي كانت معهنَّ؛ أي: جَرَحْنَها لَمَّا رأينه دهشاً، وبقينَ لا يعينَ الكلامَ ذهولاً منهنَّ بما بهرَهُنَّ من حسنِ يوسفَ.

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ كلمةٌ تفيدُ معنى التنزيهِ. قرأ أبو عمرٍو، (حَاشَا للهِ) بإثباتِ الألفِ بعدَ الشينِ حالةَ الوصلِ في الموضعين، وحذفَها الباقون وصلاً ووقفاً[2].

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ نصبُ خبرُ (ما)، وذلك أن زليخا قالتْ لهنَّ: ما لكُنَّ قد اشتغلْتُنَّ عن خطابي بالنظرِ إلى عبدي؟! فقلنَ: معاذ اللهِ! ما هذا عبدكِ.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مع علمِهِنَّ أنه بشرٌ؛ لأنه ثبتَ في النفوس أن لا أكملَ ولا أحسنَ خَلْقاً من الملَكِ، ولم يبقَ منهنَّ امرأةٌ إلا حاضَتْ وأنزلَتْ شهوةً من محبتِهِ.

* * *

= «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٦).

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالَتْ ﴾ زليخا عندَ ذلك ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ﴾ (كُنَّ) للنسوةِ، و(ذا) ليوسفَ.

﴿ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾ فقلْنَ: ما ينبغي لأحدٍ أن يلومَكِ في هذا، ومن لامَكِ فقدْ ظلمَكِ، فدونكه، ولم تقل: هذا مع حضورِه؛ رفعاً لمحلِّه، فلما بانَ عذرُها لهنَّ، اعترفَتْ ببراءته فقالت:

﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ امتنعَ، فخاطِبْنَهُ لي، فكانت كلُّ واحدةٍ منهن تخاطبهُ وتدعوه سراً إلى نفسِها، وتتبذَّلُ له، وهو يمتنعُ عليها فإذا يئستْ منهُ أن يجيبَها لنفسِها، خاطبَتْهُ من جهةِ زَليخا، وقالتْ: مولاتُك تحبُّكَ وأنتَ تكرَهُها، ما ينبغي أن تخالِفَها، فيقولُ: مالي بذلكَ حاجةٌ، فلما رأيْنَ ذلك، أجمعْنَ على أخذه غَصْباً، فقالَتْ زليخا: لا يجوزُ هذا.

﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ ﴾ به من قضاءِ شهوتي ﴿ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ بالسجنِ ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الذليلينَ، ولأمنعنَّهُ اللذاتِ، وأنتزعُ جميعَ ما أعطيتُه، ونونُ التأكيدِ تُثَقَّلُ وتُخفف، فالوقفُ على قولِه: (لَيُسْجَنَنْ) بالنونِ؛ لأنها مشددة، وعلى قوله: (وَلَيَكُوناً) بالألفِ؛ لأنها مخففةٌ، وهي شبيهةٌ بنونِ الإعراب في الأسماءِ؛ كقولِك: رجلاً، ومثله (لَنَسْفَعاً).

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] فاختارَ يوسفُ السجنَ على المعصيةِ، وأقسمَتْ زَليخا بإلَهِها،

ـ وكانَ صنماً من زَبَرْجدٍ أخضرَ باسمِ عُطارد ـ إنْ لم يفعلْ لتعجلنَّ له ذلكَ، ثم أمرتْ بنزعِ ثيابهِ، وألبسَتْه الصوفَ.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ أي: يا ربِّ ﴿ٱلسِّجۡنُ﴾ أي: المحبسُ. **قراءة العامةِ** بكسرِ السين، **وقرأ** يعقوبُ: بالفتح على المصدر(١).

﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ أحبَّ سُكنى السجنِ على قضاءِ حاجتهنَّ، وقيل: لو لم يقلْ: السجنُ أحبُّ إليَّ، لم يُبْتَلَ بالسجن، والأَوْلى بالمرءِ أن يسألَ اللهَ العافيةَ.

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ أي: وإن لم تُنَجِّني أنت، ومعناه: الاستسلامُ لله تعالى والتوكُّلُ عليه ﴿أَصۡبُ﴾ أَمِلْ ﴿إِلَيۡهِنَّ﴾ مأخوذٌ من الصَّبوةِ، وهي أفعالُ الصِّبا.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ الذين لا يُراعونَ أوامرَ اللهِ ونواهيَهُ، وهو قولٌ يتضمَّنُ التشكيَ إلى اللهِ من حالِه معهنَّ، والدعاءَ إليهِ في كشفِ بلواه.

* * *

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٤﴾.

[٣٤] فلذلك قالَ بعدَ مقالةِ يوسفَ: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي: أجابَه إلى إرادتِه ﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّ﴾ بأنْ حالَ بينَهُ وبينَ المعصيةِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ صِفتان لائقتانِ بقوله: (استجابَ).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٨).

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم ﴾ أي: للعزيزِ وأصحابِه في الرأيِ رأيٌ بخلافِ الأول، وذلك أنهم أرادوا أن يقتصروا من يوسف على الأمرِ بالإعراضِ، ثم بدا لهم.

﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ الدالَّةِ على براءتِه من شَقِّ القميصِ وكلامِ الشاهدِ وقطعِ الأيدي.

﴿ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ إلى مدةٍ ينقطعُ كلامُ الناسِ في ذلك، رُوِيَ أن المرأةَ قالَتْ لزوجِها: إن هذا العبدَ العبرانيَّ قد فضحَني في الناسِ يخبرُهم أني راودتُه عن نفسِه، فإما أن تأذنَ لي فأعتذرَ للناسِ، وإما أن تحبسَه، وكان العزيزُ مِطْواعاً(١) لها، وجُمَيلاً ذلولاً حتى أنساهُ ذلكَ ما رأى من الآياتِ، فأمرَ به فحُبس(٢).

* * *

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ ﴾ عبدانِ للملكِ، كان أحدُهما ساقيَهُ، واسمُه مرطس، والآخَرُ صاحبُ طعامِه، واسمُه راسان، وكان المصريون قد بذلوا لهما رشوةً ليسمَّا الملكَ، فردَّها الساقي، وقبلَها الخبازُ، وسمَّ

---

(١) في «ظ»و «ت»: «مطواعة» والصواب ما أثبت.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٣).

طعامَه، فعرَّفَ الساقي الملكَ بذلك، فقال لصاحبِ الطعامِ كلْ طعامَكَ، فأبى فأكلتْ منه بهيمةٌ فهلكتْ، فحبَسهما الملكُ، وكان يوسفُ عندَ دخولِه السجنَ قال: أنا أعبرُ الأحلامَ.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ وهو الساقي ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ أستخرجُها من العنبِ؛ لأنه رأى في نومه أنه قد دخلَ بستاناً، فإذا بكرمةٍ عليها ثلاثةُ عِناقيدَ، فعصرَ العناقيدَ في زجاجةٍ، فأتى به الملكَ فشربَه.

﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ﴾ وهو الخبازُ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾ لأنه رأى أنه خرج من مطبخِ الملكِ وعلى رأسهِ ثلاثُ سِلالٍ فيها الخبزُ وأنواعُ الأطعمة.

﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ من ذلك الطعامِ، وكانا صادِقَينِ في قولِهما.

﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ أخبرْنا ما قصصْنا عليك، وما يَؤولُ أمرُه إليه.

﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ العالِمينَ بتأويلِ الرؤيا. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ) (إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ) بإسكانِ الياءِ فيها، وافقَهم ابنُ كثيرٍ في (إِنِّي) في الحرفينِ[1]، وكان يوسفُ عليه السلام إذا مرضَ إنسانٌ في السجنِ عادَه، وقامَ عليه، وإذا ضاقَ، وسَّعَ له، وإذا احتاجَ، جمعَ له شيئاً، وكانَ مع هذا يجتهدُ في العبادةِ، ويقومُ الليلَ كلَّه للصلاة، وقال لقومٍ في السجنِ انقطعَ رجاؤهم وحَزِنوا: أبشِروا واصبروا تُؤْجَروا؛ فإن لهذا آخِراً، فقالوا له: باركَ اللهُ فيكَ ما أحسنَ خَلْقَكَ وخُلُقَكَ، لقد أحسنتَ إلينا.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦-٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٦٩).

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ثم ﴿ قَالَ ﴾ للساقي والخبازِ.

﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ تأكلانِه في اليقظةِ. قرأ قالونُ عن نافعٍ، وعيسى عن أبي جعفرٍ: (تُرْزَقَانِهِ) باختلاسِ كسرةِ الهاءِ بخلافٍ عنهما[١] ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا ﴾ أخبرتُكما ﴿ بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾ بكيفيتهِ وكميتهِ.

﴿ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ﴾ وإن رأيتُما ذلكَ في النوم، أخبرتُكما بما يؤولُ إليه، فقالا له: من أينَ لكَ ذلك؟ فقال:

﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ بأنْ أوحاه إليَّ، ولم أقلْه تكهُّناً ولا تنجُّماً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو (رَبِّيَ) بفتحِ الياء، والباقونَ: بإسكانها[٢].

﴿ إِنِّي تَرَكْتُ ﴾ رفضتُ.

﴿ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ وتكرارُ (هم) على التأكيد.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠ـ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٠).

﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ ﴾ أظهرَ أنهُ من ولدِ الأنبياء. قرأ الكوفيون، ويعقوبُ: (آبَائي) بإسكانِ الياء، والباقونَ: بفتحِها.

﴿ مَا كَانَ ﴾ ينبغي ﴿ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ﴾ لأنا معاشرَ الأنبياء معصومون من الشركِ.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التوحيدُ والعلمُ ﴿ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا ﴾ بذلكَ.

﴿ وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بإرسالِنا إليهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ المرسَلِ إليهم.

﴿ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ فضلَ اللهِ عليهم، بل يكفرون.

* * *

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ثم دعاهم إلى الإسلام فقال: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾ أي: يا صاحِبَيَّ فيه ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ ﴾ أي: آلهة شتَّى عاجزةٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ.

﴿ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ﴾ المنفردُ بالألوهية ﴿ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ الغالبُ على كلِّ شيءٍ.

واختلاف القراء في الهمزتين من قولِه تعالى: (أَأَرْبَابٌ) كاختلافِهم فيهما من (أَأَنْذَرْتَهُمْ) في سورةِ البقرةِ [الآية: ٦].

***

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ثم قالَ لهما ولِمَنْ على دينِهما ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي: اللهِ[1] ﴿ إِلَّآ أَسْمَآءً ﴾ أي: مسمَّياتٍ؛ لأنَّ الاسمَ لا يُعبدُ ﴿ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ آلهةً ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ تخرُّصاً ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ ﴾ حجةٍ وبرهانٍ.

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ ﴾ في جميعِ الأشياءِ ﴿ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ﴾ أي: التوحيدُ ﴿ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ الثابتُ المستقيمُ.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيخبِطون في جهالاتِهم.

***

﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ثم شرعَ في تفسيرِ رؤياهُما وقالَ: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا ﴾ وهو الساقي ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ ﴾ يعني: الملكَ.

---

(١) «أي: الله» ليست في «ت» و«ظ».

﴿ خَمْرًا ﴾ والعناقيدُ الثلاثةُ، فلبثُكَ في السجنِ ثلاثةَ أيام ثُمَّ خروجُك منهُ وعودُكَ إلى ما كنتَ عليهِ عندَ الملك.

﴿ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ ﴾ وهو الخبازُ، فخروجُه من المطبخِ خروجُه من عملِه، والسلالُ الثلاثُ، فلبثُه في السجنِ ثلاثةَ أيامٍ، ثم يُخرجه الملكُ.

﴿ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ﴾ فلما سمعا قولَ يوسفَ، قالا: إنما كنا نلعبُ، وما رأينا شيئاً، فقال:

﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ ﴾ أي: في معناه ﴿ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ تسألان؛ أي: ما قلتُ واقعٌ حتماً، صدقتُما أو كذبتُما.

* * *

﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَقَالَ ﴾ يوسف ﴿ لِلَّذِى ظَنَّ ﴾ أي: علمَ.

﴿ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾ وهو الساقي. رُوِيَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياء على (نَاجِي).

﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: سيدِكَ الملكِ، فقل له: في السجنِ غلامٌ محبوسٌ ظلماً طالَ حبسُه.

﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: فأَنسى الساقيَ ذكرَ يوسفَ لسيدِه، فلم يذكرْه له، وقيل: أنسى الشيطانُ يوسفَ ذكرَ الله حتى استغاثَ بغيرِه، وتلكَ غفلةٌ عرضَتْ ليوسفَ.

﴿فَلَبِثَ﴾ مكثَ ﴿فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ وهي سبعُ سنينَ في قولِ الأكثرِ، وكانَ قد لبثَ قبلَه خمسَ سنينَ، فجملَتُه اثنتا عشرةَ سنةً.

روُي أن جبريلَ عليه السلام قال له: من الذي حَبَّبَكَ إلى أبيك دونَ إخوتِكَ، وحفِظَكَ في الشدائدِ؟ فقال: الله، فقال: إنه يقولُ: أحسبْتَ أني أنساكَ في السجنِ حتى استغثْتَ بغيرِي وأنا أقربُ إليكَ وأقدرُ على خلاصِك؟ لتلبثَنَّ فيه بضعَ سنين، قال: وربِّي عنِّي راضٍ؟ قال: نعم، قالَ: فلا أبالي إذن[1].

وروُي أن يوسفَ لما قالَ ذلكَ، قيل له: أَتَّخَذْتَ من دوني وكيلاً؟ لأطيلنَّ حبسَكَ، فقالَ: يا ربَّ! أنسى قلبي كثرةُ البلوى، قالَ ﷺ: «لَوْلاَ كَلِمَةُ يُوسُفَ، مَا لَبِثَ في السِّجْنِ مَا لَبِثَ»[2].

* * *

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ يعني: ملكَ مصرَ الأكبرَ، وهو الريانُ بنُ الوليدِ، من العمالِقَةِ، وهو فرعونُ يوسفَ، والقبطُ تسمِّيه نَهْراوُش، وكان عظيمَ الخلقِ، جميلَ الوجهِ، عاقِلاً متمكِّناً، وهو جدُّ فرعونِ موسى، وكان أقوى

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٥).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٨)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وفي الباب: عن ابن عباس، والحسن البصري، وغيرهما.

أهلِ الأرضِ في زمانِه، وكان محلُّ ملكِه مدينةَ مَنْف من أرضِ مصرَ، وكانتْ في غربيِّ النيلِ على مسافةِ اثني عشرَ ميلاً من مدينةِ فُسطاطِ مصرَ المعروفةِ يومئذٍ بمصرَ القديمةِ، ومَنْفُ أولُ مدينةٍ عمرَتْ بأرضِ مصرَ بعدَ الطوفانِ، وكانت دارَ الملكِ بمصرَ في قديمِ الزمانِ، ولما دنا فَرَجُ يوسفَ، رأى الملكُ رؤيا عجيبةً هالَتْه، فجمعَ السحرةَ والكهنةَ والمعبِّرينَ، وقَصَّها عليهم فقال:

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ قرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ خَرَجْنَ من البحرِ.

﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ أي: وخرجَ عقبَهُنَّ سبعُ بقراتٍ عجافٍ، وهي التي بلغَتْ من الهزالِ النهايةَ، فابتلعتِ العجافُ السمانَ، فدخلَتْ في بطونهن، ولم يتبيَّنْ على العجافِ منها شيءٌ.

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ قد انعقدَ حَبُّها ﴿وَأُخَرَ﴾ أي: وسبعاً أُخَرَ ﴿يَابِسَٰتٍ﴾ قد أدركَتْ فالْتَوَتِ اليابساتُ على الخضرِ حتى غلبْنَ عليها، ولم يبقَ من خضرتِها شيءٌ، فقال لعرَّافيه ومنجِّميه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ عبِّروها.

﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ تفسِّرونَ. قرأ الكسائيُّ، وخلفٌ: (لِلرُّؤْيَا) بالإمالةِ[2]، واختلافُ القراءِ في الهمزتينِ من (الْمَلأُ أَفْتُونِي)

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي =

كاختلافِهم فيهما من (السُّفَهُاءُ أَلَا) في سورةِ البقرة [الآية: ١٣].

***

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ۝٤٤﴾.

[٤٤] ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ أي: أخلاطُ رؤيا كاذبة، والأضغاثُ جمعُ ضِغْثٍ: وهو الحزمةُ من النباتِ، والأحلامُ جمعُ حلمٍ، وهو ما يُرى في النومِ.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ﴾ الباطلةِ كهذه الرؤيا ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾ لاختلاطِها.

***

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ۝٤٥﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾ من القتلِ، وهو الساقي.

﴿وَٱدَّكَرَ﴾ بدالٍ مهملةٍ، أي: تذكَّرَ أمرَ يوسفَ.

﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أي: حينٍ، وهو مدُة لبثِ يوسفَ في السجنِ، وبالهاءِ والتخفيف (أَمَهٍ): بعدَ نسيانٍ، والتلاوةُ بالأولِ.

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أُنَبِّيكُم) بالمدِّ[1]، وذلك أن الغلام جثا بينَ يديِ الملكِ وقالَ: إنَّ في السجنِ رجلاً يعبرُ الرؤيا.

= (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٢).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٣).

﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ أي: فأرسلني أيها الملكُ إليه. قرأ يعقوبُ: (فَأَرْسِلُونِي) بإثباتِ الياءِ بعدَ النون، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] فأرسلوه، فأتى السجنَ، ولم يكنِ السجنُ في المدينة، وإنما هو ببوصيرَ من عمل الجيزَةِ، وكان الوحيُ ينزلُ عليه فيه، وسطحُ السجنِ موضعٌ معروفٌ بإجابةِ الدعاءِ، فقال: ﴿يُوسُفُ﴾ يعني: يا يوسفُ.

﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ فيما عبرتَ لنا من الرؤيا، والصدِّيقُ: الكثيرُ الصدقِ، ولذلك سُمِّي أبو بكرٍ صِدِّيقاً، وهو فِعِّيلٌ للمبالغةِ والكثرةِ.

﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ﴾ فإن الملكَ رأى هذهِ الرؤيا.

﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الملكِ وأصحابِه؛ لاحتمالِ أنه يُخترَمُ في الطريق؛ لأنه لم يكنْ جازماً بالرجوع. قرأ الكوفيون، وابن عامرٍ، ويعقوبُ: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٤).

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ منزلتَكَ وتأويلَ الرؤيا فيخرجوكَ من السجنِ.

***

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] فـ﴿قَالَ﴾ يوسفُ معبراً: أما البقراتُ السمانُ، والسنبلاتُ الخضرُ، فسبعُ سنينَ مخصباتٌ، والبقراتُ العجافُ، والسنبلاتُ اليابساتُ، فسبعُ سنينَ مجدباتٌ، ثم قالَ مرشداً لهم:

﴿تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا، فهو خبرٌ بمعنى الأمر ﴿سَبْعَ سِنِينَ﴾ على عادتِكم ﴿دَأَبًا﴾ قراءة العامةِ: (دَأْباً) بإسكانِ الهمز؛ أي: تلازمونَ ذلكَ. وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: بفتح الهمزِ(١)؛ أي: بجدٍّ وتعبٍ.

﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ أي: اتركوه في أصلِه لئلا يفسدَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي: تدرسون قليلاً للأكلِ بقدرِ الحاجةِ.

***

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدَ السنينَ المخصبةِ.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ صِعابٌ.

﴿يَأْكُلْنَ﴾ أي: السنونَ يُفنينَ ويُهلكنَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٤).

﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي: يؤكلُ فيهن ما أعددتم لهنَّ من الطعامِ، أضافَ الأكلَ إلى السنينَ على طريقِ التوسُّع.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ تُحْرِزونَ وتدَّخرونَ.

* * *

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعدَ السنينَ المجدبةِ.

﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يُمْطَرون، من الغيثِ.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ العنبَ والزيتَ، والمرادُ: كثرةُ النعيمِ والخير. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَعْصِرُونَ) بالخطاب؛ لأن الكلامَ كلَّه بالخطاب، وقرأ الباقون: بالغيبِ ردّاً إلى (الناس)(١).

* * *

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ وذلكَ أن الساقيَ لما رجعَ إلى الملكِ، وأخبرَه بما أفتاه يوسفُ من تأويلِ رؤياه، عرفَ الملكُ أنَّ الذي قالَه كائنٌ، فقال: عَلَيَّ بهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٥).

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ فقال: أَجِبِ الملكَ، فأبى أن يخرجَ حتى تظهرَ براءتُه، ثم ﴿قَالَ﴾ للساقي ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني: سيدَكَ الملكَ.

﴿فَسۡـَٔلۡهُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلْهُ) بالنقلِ[(١)].

﴿مَا بَالُ﴾ ما حالُ ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾ ولم يذكر امرأةَ العزيزِ تأدباً ومراعاةً لحقِّها.

﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ حينَ قلنَ لي: أطعْ مولاتَك، وأراد بذلك إظهارَ براءته بعدَ طولِ المدةِ حتى لا ينظرَ الملكُ إليهِ بعينِ التهمةِ، قال ﷺ: «لَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»[(٢)]، وروي أنه قال: «رَحِمَ اللهُ أَخِي يُوسُفَ إِنْ كانَ إِلاَّ ذَا أَنَاةٍ، لَوْ كُنْتَ أَنَا، لأَسْرَعْتُ الإِجَابَةَ»[(٣)]، يقولُ ذلكَ هضماً للنفس، في هذا دليلٌ على وجوبِ الاجتهادِ في نفي التُّهَمِ، ونفيِ الوقوفِ في مواقفِها، في الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلاَ يَقِفْ مَوَاقِفَ التُّهَمِ»[(٤)].

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٦).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله عز وجل: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، ومسلم (١٥١)، كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٤٨)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٣٦): غريب.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] فجمعَهنَّ الملكُ، وامرأةُ العزيزِ معهنَّ، ثم ﴿ قَالَ ﴾ مخاطباً للنسوةِ، والمرادُ: امرأةُ العزيزِ: ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ أَمْرُكُنَّ ﴿ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ ﴾ هلْ وجدتُنَّ منه ميلاً إليكنَّ.

﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ تنزيهٌ له وتعجُّبٌ من عِفَّتِهِ ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ ﴾ رِيبَةٍ، فثَمَّ ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾ معترفةً مخافةَ أن يشهدْنَ عليها ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ﴾ وضحَ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ وتبيَّنَ ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في قولِه، وتقدَّمَ التنبيهُ على (امْرَأَت)، و(حَاشَ للهِ)، واختلاف القراء فيهما.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] فلما علمَ ذلكَ يوسفُ في السجنِ قالَ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التثبتُ.

﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ العزيزُ ﴿ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ ﴾ في زوجتِهِ ﴿ بِٱلْغَيْبِ ﴾ في حالِ غيبتِهِ.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ﴾ أي: وليعلمَ أن اللهَ لا يهدي.

﴿ كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ العاصِينَ.

* * *

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] رُوِيَ أن يوسفَ لما قالَ هذهِ المقالَة قالَ له جبريلُ عليهما السلام: ولا حينَ هَمَمْتَ؟ فقالَ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾(١) من الخطأ.

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾ أي: جميعَ النفوسِ ﴿لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ بنيلِ شهوتِها الرديَّةِ.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ أي: إلا البعضَ الذي رحمَهُ ربي بالعصمةِ.

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (نَفْسِيَ) (رَبِّيَ) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها(٢)، واختلافُهم في الهمزتينِ من قولِه (بِالسُّوءِ إِلاَّ) كاختلافِهم فيهما من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في سورةِ البقرةِ [الآية: ٣١].

* * *

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ۝٥٤﴾.

[٥٤] فلما ظهرتْ براءتُه للملكِ، عرفَ علمَه ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ﴾ أجعلْه خالِصاً.

﴿لِنَفۡسِي﴾ دونَ غيرِهِ، ووجَّهَ إليه، فأُخرج، وغُسِّلَ من دَرَنِ السجنِ، وأُلبسَ ما يليقُ بالدخولِ على الملوكِ، ودعا لأهلِ السجنِ فقالَ: اللهمَّ أعطفْ عليهم قلوبَ الأخيار، ولا تُعَمِّ عليهم الأخبار؛ فهم أعلمُ الناسِ بالأخبارِ، وكتبَ على بابِ السجنِ: هذا قبورُ الأحياء، وبيتُ الأحزان،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٨)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧١٦)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ١٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٦-١٧٧).

وتجربةُ الأصدقاء، وشماتةُ الأعداء، وجاءَ الملكَ، فلما دخلَ عليه قال: اللهمَّ إني أسألُك من خيرِه، وأعوذُ بعزتِك وقدرتِك من شرِّه، ثم سلَّم عليه، ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسانُ؟ قالَ: لسان آبائي، وكانَ الملكُ يعرفُ سبعين لساناً، فكلمه بها، فأجابه بجميعِها، فتعجَّبَ منه، وامتلأ قلبُه من حبِّه.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ شِفاهاً، فقالَ: أحبُّ أن أسمعَ رؤيايَ منكَ، فحكاها، ونعتَ له البقراتِ والسنابلَ وأماكنَها على ما رآها.

﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ مُمَكَّنٌ.

﴿أَمِينٌ﴾ مؤتمَنٌ على خزائني وأمري، فما ترَى؟ قال: تزرعُ زرعاً كثيراً، وتأخذُ من الناس خُمْسَ زُروعِهم في السنينَ المخصبةِ، وتدَّخِرُ الجميعَ في سُنبلِهِ ليكونَ قصبهُ وسنبلُه عَلَفاً للدوابِّ، ويكفيكَ ولأهلِ مصرَ السنينَ المجدبةَ، ويأتيكَ الخلقُ من النواحي، فتمتارُ منكَ في حكمِك، ويُجمَعُ عندك من الكنوز ما لم يُجْمَعْ لأحدٍ قبلَكَ، فقالَ الملك: ومن لي بذلك؟

* * *

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرضِ مملكتِكَ.

﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾ حافظٌ عليها ﴿عَلِيمٌ﴾ عالمٌ بوجوهِ التدبيرِ والتصرُّفِ، وإنما طلبَ ذلكَ شفقةً على المسلمينَ، لا منفعةً لنفسِه، فخَلَعَ عليه خِلَعَ الملوكِ، وألبسَه تاجاً، وأمرَ أن يُطافَ به، وركب الجيشُ معهُ، وعزلَ قِطفيراً وجعلَه مكانَه مستخْلَفاً على الملكِ، وتردَّدَ إلى قصرِ الملكِ، وجلسَ

على سريرِ العزيزِ، وماتَ قِطفيرٌ، فزوَّجَه امرأتَه زليخا، فوجدها عذراءَ، فقال لها يوسفُ: هذا خيرٌ مما أردتِ، فقالت: اعذرْني؛ إنَّ زوجي كانَ عِنِّيناً، ولم ترَكَ امرأةٌ إلا صَبا قلبُها إليكَ من حسنِك.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ولم يزلْ يتلطَّفُ بالملِكِ حتى آمنَ، واتبعَ يوسفَ على دينِه، وكثيرٌ من الناسِ، ويوسفُ عليه السلام هو الذي بنى مدينةَ الفَيُّوم من أعمالِ مصرَ، واستوثقَ له ملكُ مصرَ، فأقام فيهم العدلَ، وأحبَّه الرجالُ والنساءُ، فذلك قولُه تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني: أرضَ مصرَ ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا ﴾ أي: ينزل ﴿ حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (نَشَاءُ) بالنون، ردّاً على قولِه: (مَكَّنَّا)، وقرأ الباقونَ: بالياءِ ردّاً على قولِه (يَتَبَوَّأُ)[١].

﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا ﴾ أي: بنعمتِنا ﴿ مَن نَّشَآءُ ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الصابرين.

* * *

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ الشركَ، ثم جاءَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٧).

القحطُ، وكانَ يوسفُ لا يشبعُ مدةَ القحطِ مخافةَ نِسيانِ الجياعِ، فباعَ الطعامَ من أهلِ مصرَ في السنةِ الأولى بالدنانيرِ والدراهمِ، والثانيةِ بالحليِّ والجواهرِ، وفي الثالثةِ بالدوابِّ والمواشي، وفي الرابعةِ بالعبيدِ والإماءِ، وفي الخامسةِ بالضِّياعِ والعقارِ، وفي السادسةِ بأولادِهم، وفي السابعةِ برقابِهم، فقال يوسفُ للملكِ: كيف رأيتَ صنيعَ ربِّي فيما خَوَّلَني، فما ترى؟ قال: الرأيُ رأيُكَ، ونحن لكَ تَبَعٌ، قال: إني أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكَ أَنِّي قد أعتقتُ أهلَ مصرَ عن آخرِهم، ورَدَدْتُ عليهم أملاكَهم.

* * *

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] وكان يوسفُ لا يبيعُ أحداً من المجتازين إلا حِمْلَ بعيرٍ تقسيطاً بينَ الناسِ، وتزاحمَ الناسُ عليه، وأصابَ أرضَ كنعانَ وبلادَ الشام ما أصابَ أرضَ مصرَ من القحطِ، ونزلَ بيعقوبَ ما نزلَ بالناسِ، وكان منزلُه بأرضِ فلسطينَ بغورِ الشام، فأرسلَ بنيهِ العشرةَ إلى مصرَ للميرةِ، وأمسكَ بنيامينَ شقيقَ يوسفَ، فذلك قولُه تعالى:

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ تقدَّمَ اختلافُ القراء في الهمزتين من قولِه تعالى: (أَم كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ) في سورة البقرة [الآية: ١٣٣]، وكذلك اختلافُهم في (وَجَاءَ إِخْوَةُ).

﴿ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ﴾ أنهم إخوتُه.

﴿ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ لبعدِ عهدِهم، وقلةِ تأملِهم في حلاهُ من التَّهَيُّبِ والاستعظامِ.

* * *

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٥٩﴾.

[٥٩] وكانَ بين أن قذفوه في البئرِ وبينَ أن دخلوا عليه أربعين سنةً، فلما نظر إليهم يوسفُ وكلَّموهُ بالعبرانيةِ، قالَ: أخبروني من أنتم؟ قالوا: قومٌ من أرضِ الشام، قال: بل أنتم جواسيسُ جئتُم تطَّلِعون على عورةِ بلادي، قالوا: لا والله! لسنا بجواسيسَ، وإنما جئنا نمتارُ، ونحن إخوةٌ بنو أبٍ واحدٍ، وهو شيخٌ صديقٌ نبيٌّ من أنبياءِ الله، وكان قد قالَ لنا: إن بمصرَ مَلِكاً صالحاً، فانطلقوا إليه، وأقرؤوه مِنِّي السلامَ، وهو يُقْرِئُكَ السلامَ، فبكى يوسفُ وعصرَ عينيه، وكنا اثني عشرَ، هلكَ منا واحدٌ وبقي منا واحدٌ عندَه يتسلَّى به عن أخيه الهالِك، قال: فاتركوا بعضَكم رهينةً عندي، وأتوني بأخيكم من أبيكم، ويراسلني أبوكم على لسانِه، ويخبرني أبوكم مِمَّ حزنُه حَتَّى أصدقَكم، فتركوا عندَه شمعونَ، وكان يوسفُ يحسِنُ إليه.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أعطَى لكلٍّ منهم حِمْلَ بعيرَ، والجهازُ: ما يُهَيَّأُ لمن يُشَيَّعُ.

﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ﴾ يعني: بنيامينَ.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ أُتِمُّهُ، فأزيدكم حملَ بعيرٍ لأجلِ أخيكم.

﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ المضيفينَ، وكان قد أحسنَ ضِيافَتَهم. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ بخلافٍ عن الثاني: (أَنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/١٧٨).

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ثم قال تهديداً: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى ﴾ أي: ليس لكم عندي طعامٌ أَكيلُه لكم.

﴿ وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ في داري وبلادي، و(تقْرَبُونِ) جزم نهي. قرأ يعقوبُ: (تقْرَبُونِي) بالياء بعدَ النونِ، والباقون: بحذفها(١).

* * *

﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ سنطلُبه منه باجتهادٍ ورفقٍ.

﴿ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴾ ما أمرتَنا به.

* * *

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (لِفِتْيَانِهِ) بألفٍ بعدَ الياءِ ونونٍ مكسورةٍ، جمعُ فَتىً جمعَ كَثْرَة، وقرأ الباقون: (لِفِتْيَتِهِ) بتاءٍ مكسورةٍ بعدَ الياء من غيرِ ألفٍ، جمعُ فَتىً أيضاً جَمْعَ قِلَّةٍ(٢)، معناه: قال لغلمانه:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٥)، والمصادر السابقة.

﴿ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ ﴾ أي: أثمانَ ما أخذوه ﴿ فِى رِحَالِهِمْ ﴾ أَوْعِيَتِهم.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ ﴾ أي: كرامتَهم علينا.

﴿ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إذا رأوا إحسانَه إليهم، وليعلموا أنه لم يطلبْ عودَهم لأجلِ الثمنِ، وأنهم إذا رأوا الثمنَ عادوا؛ لأنهم لا يستحلُّون أكلَه.

* * *

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (٦٣) ﴾.

[٦٣] ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ ﴾ قرأ يعقوبُ: (أَبِيهُمْ) بضمِّ الهاء، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وقالونُ بخلافٍ عن الثالثِ، (أَبِيهِمُو) بضمِّ الميم ووصْلِها بواوٍ في اللفظِ حالةَ الوصل.

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ ﴾ أي: يُمْنَعُ ﴿ مِنَّا ٱلْكَيْلُ ﴾ إنْ لم نحملْ أخانا إليه، وذكروا إحسانَهُ، وأنه قد ارتهنَ شمعونَ، وأخبروه بالقصةِ، والمرادُ بالكيل: الطعامُ؛ لأنه يُكالُ.

﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا ﴾ بنيامينَ ﴿ نَكْتَلْ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَكْتَلْ) بالياء؛ أي: يكتلْ لنفسِه كما نكتالُ نحن، وقرأ الباقون: بالنون، بمعنى نكتلْ نحن وهوَ الطعامَ[1] ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ضامنونَ بردِّه إليك.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥-٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٩).

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسفَ.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: كيفَ آمنُكم عليه وقد فعلتُم بيوسفَ ما فعلْتُم؟

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (حَافِظًا) بألفٍ بعدَ الحاءِ وكسرِ الفاءِ على التفسير؛ كما يقال: هو خيرٌ رَجُلاً، وقرأ الباقون: بكسرِ الحاءِ وإسكانِ الفاءِ من غيرِ ألفٍ على المصدرِ، يعني: خيرُكم حِفْظاً[١]، ونصبُه تمييز في الوجهين، المعنى: ولكنَّ حفظَ اللهِ خيرٌ من حفظِكم إياه، وحفظي، رُوي أنه لما قالَ ذلكَ، قال تعالى: وعِزَّتي لأردَّنَّ عليكَ كليهما.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأرجو أن يرحَمَني بحفظِه.

* * *

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾ الذي حملوه من مصرَ ﴿وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ ثمنَ الطعامِ ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ فعندَ عودِ بضاعتهم إليهم.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ من البغي؛ أي: ما نكذِبُ على هذا الملكِ، ولا في وصفِ إجمالِه وإكرامِه.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ﴾ فهذا هو العيانُ من الإحسانِ، أوفى لنا الكيلَ، وردَّ علينا الثمنَ، أرادوا تطييبَ نفسِ أبيهم.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نجلبُ لهم الطعامَ ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامينَ في الذهابِ والمجيء.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ﴾ أي: وِقْرَ ﴿بَعِيرٍۖ﴾ نَصيبَ أخينا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: حملُ البعيرِ ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: ذلكَ مكيلٌ قليلٌ لا يكفينا، يعنون: ما يُكالُ لهم، وأرادوا أن يزدادوا إليه ما يُكالُ لأخيهم.

***

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ لهم يعقوبُ: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾ أثبتَ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ الياءَ بعدَ النونِ في (تؤْتُونِي) وصلاً، وأثبتَها ابنُ كثيرٍ، ويعقوبُ في الحالين(١).

﴿مَوْثِقًا﴾ عَهْداً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مؤكَّداً.

﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾ أي: تردُّونَه إليَّ ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ﴾ أي: إلا أن تهلِكوا جميعاً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٠-١٨١).

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ ﴾ أعطَوْه عهدَهم ﴿ قَالَ ﴾ يعقوبُ: ﴿ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ شهيدٌ.

* * *

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَقَالَ ﴾ لهم يعقوبُ لما أرادوا الخروجَ من عندِه: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ ﴾ خافَ عليهِمُ العينَ؛ لجمالِهم، والمدينةُ التي أمرَهم أن يدخلوها من أبوابٍ متفرقةٍ هي الفَرْما، وهي أولُ مدنِ مصرَ من جهةِ الشَّمال بالقربِ من قَطْيا، وهي قريةُ أمِّ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما السلام، وكان لها أربعةُ أبواب، فدخلوا منها.

﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ ﴾ لا أقولُ ذلك دَفْعاً لما قضي، سواءٌ دخلتُم متفرقين أو مجتمعين.

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ ﴾ أي: ما الحكمُ ﴿ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ ﴾ اعتمدْتُ.

﴿ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ وإلى اللهِ فليفوِّضْ أمورَهم المفوِّضونَ.

* * *

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ ﴾ متفرقينَ ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم ﴾ من الأبوابِ المتفرقةِ.

﴿ مَا كَانَ يُغْنِي ﴾ رأيُ يعقوبَ ﴿ عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ من قضائِه ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ لأنهم سُرِّقوا وافْتُضِحوا، وأُخِذَ أخوهم منهم، وازدادَ حزنُ أبيهم ﴿ إِلَّا ﴾ لكنْ ﴿ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ هي الشفقةُ عليهم.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ أي: هو عالمٌ عاملٌ بتعليمِنا إياه.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما علمَ يعقوبُ.

***

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٦٩) ﴾.

[٦٩] ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ قالوا: هذا أخونا الذي أمرتَنا أن نأتيكَ به، قد جِئْنا به، فقال: أحسنتُم وأصبتُم، وستجدون ذلكَ عندي، ثم أنزلَهم وأكرمَهم وأجلسَ كلَّ اثنينِ منهم على مائدةٍ، فبقيَ بنيامينُ وحدَه، فبكى وقال: لو كانَ أخي يوسفُ حياً لأجلسَني معه، فأجلسَه يوسفُ معه، وجعلَ يؤاكِلهُ، وأنزلَ كلَّ اثنينِ في مكانٍ، فلم يبقَ لبنيامينَ ثانٍ، فقالَ: هذا لا ثانيَ له، فيكون معي، فباتَ عندَ يوسفَ فذلك قولُه عز وجل:

﴿ ءَاوَىٰٓ ﴾ أي: ضمَّ ﴿ إِلَيْهِ أَخَاهُ ﴾ فلما خلا به، قال له: ما اسمُك؟ قال: بنيامينُ، قال: أتحبُّ أن أكونَ أخاكَ بدلَ أخيكَ الهالكِ؟ فقال: ومَنْ يجدُ مثلَكَ؟ ولكنْ لم يلدْك يعقوبُ، ولا راحيلُ، فبكى يوسفُ وقامَ إليه وعانقَهُ، و﴿ قَالَ ﴾ له: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ ﴾ يوسفُ. قرأ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١)، وقرأ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (أَنَا أَخُوكَ) بالمدِّ[1].

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: لا يلحقك بؤسٌ، وهو الشدةُ.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بنا فيما مضى؛ فقد أحسنَ اللهُ إلينا، وجمعَنا، فلا تُعْلِمْهم بأمرِنا، فقال: لا أفارقُكَ، فقال: قد علمتَ اغتمامَ والدي بي، وإذا احتبستُكَ، ازدادَ غمُّهُ، ولا يمكِنُني أخذُكَ إلا بعدَ أن أرميَكَ بالسرقةِ، فقالَ: افعلْ ما شئتَ.

***

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] فوفى يوسفُ الكيلَ لكلِّ واحدٍ من إخوتِه حِمْلَ بعير، وحَمَّلَ لبنيامينَ بعيراً باسمِه كما حَمَّلَ لهم ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي: هَيَّأَ لهم أسبابَ الميرةِ.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ وهيَ مكيالٌ يُكالُ به، ويشربُ فيه الملكُ.

﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامينَ، فلما انفصلوا عن مصرَ نحوَ الشام، أرسلَ يوسفُ من استوقَفَهم فوقفوا.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (مُوَذِّنٌ) بفتح الواوِ بغيرِ همزٍ[2].

= الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨١).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ ﴾ أي: القافلةُ، والمرادُ: أهلُها، والأصلُ في العيرِ أن تكونَ حميراً، ثم كثرَ ذلكَ حتى قيل لكلِّ قافلةٍ: عيرٌ ﴿ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴾ وصفَهم بالسرقةِ من حيثُ سرقَ في الظاهرِ أحدُهم، وهذا كما تقولُ: بنو فلانٍ قتلوا فلاناً، وإنما قتلَه أحدُهم.

* * *

﴿ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ إخوةُ يوسفَ ﴿ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم ﴾ عطفوا على المؤذِّنِ وأصحابه:

﴿ مَّاذَا ﴾ أي: ما الذي ﴿ تَفۡقِدُونَ ﴾؟ والفَقْدُ: غيبةُ الشيءِ عن الحسِّ بحيثُ لا يُعرفُ مكانُه.

* * *

﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢ ﴾.

[٧٢] ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ ﴾ هو جامٌ كهيئةِ المكوكِ من فِضَّة. قرأ أبو عمرٍو: (نَفْقِد صُّوَاعَ) بإدغام الدال في الصاد[1].

﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ ﴾ بالصُّواعِ ﴿ حِمۡلُ بَعِيرٖ ﴾ من طعامٍ.

﴿ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾ ضمينٌ لمن ردَّه، يقولُه المؤذِّنُ.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٢).

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿قَالُواْ﴾ يعني: إخوةَ يوسفَ ﴿تَٱللَّهِ﴾ أي: واللهِ! وخُصَّتْ هذهِ الكلمةُ بأنْ أُبدِلَتِ الواوُ فيها بالتاءِ في اليمينِ دونَ سائرِ أسماءِ اللهِ تعالى.

﴿لَقَدْ عَلِمْتُم﴾ استَشْهَدوا بعلمِهم لما ظهرَ من دينِهم وأمانتِهم ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرضِ مصرَ ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ ما سَرَقْنا قط.

* * *

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿قَالُواْ﴾ يعني: المناديَ وأصحابه ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: السارقُ، أو الصواعِ، أي: جزاءُ سرقتِهِ ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في قولكم؟

* * *

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ ﴿مَن وُجِدَ﴾ السَّرَقُ ﴿فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: جزاءُ السارقِ أن يسلَّم إلى المسروقِ منه، فيسترقَّهُ سنةً، وهذا حكمُ السارقِ في شرعِ يعقوبَ ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالسرقةِ.

* * *

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ﴾ المفتشُ، وقيل: يوسفُ؛ لأنهم رُدُّوا إلى مصر ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ لإزالةِ التهمةِ ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ بنيامينَ، فلم يجدْ شيئاً.

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السرقةَ ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ واختلافُ القراء في حكمِ الهمزتينِ من قولِه: (وِعَاءِ أَخِيهِ) كاختلافِهم فيهما من (خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ) في سورة البقرة [الآية: ٢٣٥].

﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: علَّمناهُ، وأوحينا إليه.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ أي: لم يكنْ له أخذُ أخيه ﴿فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ أي: حكمِ ملكِ مصرَ، وهو أن يغرمَ السارقُ مثلَيْ ما أَخَذَ، ويُضربَ، لا أن يُستعبَدَ، فأجرى اللهُ على ألسنةِ إخوتِه حكمَ دينِهم؛ ليصحَّ أخذُه منهم.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الاستثناءُ في هذه الآية حكايةُ حالٍ التقديرُ: إلا أن يشاءَ اللهُ ما وقعَ من هذهِ الحيلةِ.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالعلمِ والعملِ؛ كيوسفَ. **قراءة العامةِ:** (نَرْفَعُ) و(نَشَاءُ) بالنون فيهما، وأهلُ الكوفةِ ينونون (دَرَجَاتٍ)، **وقرأ** يعقوبُ: (يَرْفَعُ) و(يَشَاءُ) بالياء فيهما[(١)].

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ من الخلقِ.

﴿عَلِيمٌ﴾ واللهُ فوقَ كلِّ عالم، ولا يناسُبه أحدٌ في علمِه.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٤-١٨٥).

﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ ﴾ بنيامينُ ﴿ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ أرادوا يوسُفَ، وكانَ دخلَ كنيسةً فأخذَ صنماً صغيراً من ذَهَبٍ فدفَنَهُ، وقيلَ غيرُ ذلك.

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ أي: أضمرَ مقالَتَهم كأنْ لم يسمَعْها.

﴿ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ ﴾ أي: مكانةً في السرقةِ حيث سرقتُم أخاكم.

﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ تقولون، والمشهورُ أنه ذكرَها في نفسِه، ولم يصرِّحْ بها لإخوتِه.

* * *

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] وفي القصةِ أنهم غضبوا غضباً شديداً، وكان بنو يعقوبَ إذا غَضِبوا لا يُطاقون، وكانَ منهم مَنْ إذا صاحَ غَضَباً ألقتِ الحواملُ أَجِنَّتَها خوفاً، وهو روبيلُ وكانَ إذا مسَّهُ أحدٌ من ولدِ أبيهِ، سكنَ غضبهُ، فقالَ لإخوتِهِ اكفوني الملكَ، وأكفيكُم الأسواقَ، أو اكفوني الأسواقَ وأكفيكُم الملكَ، فدخلوا على يوسفَ، فقالَ روبيلُ: لتردَّنَّ علينا أخانا، أو لأصيحَنَّ صيحةً لا يبقى بمصرَ حامِلٌ إلا ألقَتْ ولدَها، وقامت كلُّ شعرةٍ في جسدِهِ

فخرجَتْ من ثيابه، فقالَ يوسفُ لابنٍ له صغيرٍ اسمُهُ أفرايينُ: قمْ إلى روبيلَ فمسَّهُ، ففعلَ، فسكنَ غضبهُ، فقالَ: إنَّ هنا بذراً من بذرِ يعقوبَ، قال يوسفُ: ومَنْ يعقوبُ؟ قالَ: أيُّها الملكُ! لا تذكرُ يعقوبَ؟ إنَّه إسرائيلُ اللهِ ابنُ ذبيحِ اللهِ ابنِ خليلِ اللهِ، ورُوي أنه غضبَ ثانيةً، فركضَه يوسفُ برجله فوقعَ على الأرضِ، فقالَ: أنتم معشرَ العبرانيين تظنون أَنْ لا أحدَ أشدُّ منكم، فَثَمَّ خضعوا.

و﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا ﴾ يحبُّه كثيراً يشقُّ عليه فِراقُه ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا ﴾ عبداً ورهينةً ﴿ مَكَانَهُۥٓ ﴾ بدلاً منهُ.

﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ إلينا في الكيل والضيافةِ، فتمِّمْ إحسانَكَ.

* * *

﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ مصدرٌ؛ أي: نعوذُ باللهِ معاذاً من ﴿ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ ﴾ ولم يقلْ: مَنْ سرقَ؛ تحرُّزاً من الكذبِ.

﴿ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴾ إنْ أخذْنا بريئاً بمجرمٍ.

* * *

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ ﴾ يَئِسُوا من أخيهم. قرأ أبو جعفرٍ، والبزيُّ

عن ابنِ كثيرٍ بخلافٍ عنهما (اسْتَايَسُوا) و(لا تَايَسُوا) (لا يَايَسُ) (اسْتَايَسَ) بالألفِ وفتحِ الياءِ من غيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ، وإسكانِ الياءِ من غيرِ ألفٍ في اللفظِ، وإذا وقفَ حمزةُ، ألقى حركةَ الهمزةِ على الياءِ على أصلِه[1].

﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ أي: تخلَّصوا من الناسِ يتناجَوْنَ في تدبيرِ أمورِهم سِرّاً؛ لأن النجيَّ مَنْ تُسارُّهُ، وهو مصدرٌ يعمُّ الواحدَ والجمعَ، والذكرَ والأنثى.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ في السنِّ، وهو روبيلُ الذي نهى عن قتلِ يوسفَ ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ﴾ هذا ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ قَصَّرْتُم في شأنِه، و(ما) مزيدةٌ.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ لن أفارقَ أرضَ مصرَ.

﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في الانصرافِ إليه.

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ بردِّ أخي، أو بوحيٍ يُبَرِّئُني عندَ أبي.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعدلُ مَنْ فصلَ بينَ الناسِ. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: (لِي أَبِي) بإسكانِ الياء، وافقَهم ابنُ كثيرٍ في (لِي)، والباقون: بفتحِها[2].

***

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٥-٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٦).

(2) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠-١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٦).

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ ﴾ هذا من قولِ كبيرِهم، وقيل: من قولِ يوسفَ عليه السلام، والأولُ أظهرُ ﴿ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ ﴾ بنيامينَ.

﴿ سَرَقَ ﴾ أخذَ ما لم يؤتَمَنْ عليه في خُفْيَةٍ.

﴿ وَمَا شَهِدْنَآ ﴾ بأنَّ السارقَ يسترَقُّ ﴿ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ من سُنَّتِك.

﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ أي: لم نعلمْ أنه يسرقُ، وقيل: معناه: وما شهدْنا عليه إلا بما علمْ؛نا أي: لانقطعُ عليه بالسرقةِ، لكنَّا رأينا الصواعَ قد أُخرج من رحلِه، وما كُنا لِما غابَ من أمورِه في نهارِه وليلِه حافظينَ.

* * *

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ أي: أهلَ القرية، وهي مصرُ. قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَسَلْ) بالنقلِ، والباقون: بالهمز(١).

﴿ وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ ﴾ أي: الإبلَ التي عليها الأحمالُ، والمرادُ: أصحابُها؛ لأنهم كانوا قد صحبهم قافلةٌ من كنعانَ من جيرانِ يعقوبَ، المعنى: أرسلْ إلى أهلِ مصرَ وأصحابِ العيرِ فاسأَلْهم عن ذلكَ.

﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ في قولنا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٥٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٦-١٨٧).

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] فرجعوا إلى أبيهم، وذكروا له ما قالَهُ كبيرُهم ﴿ قَالَ ﴾ يعقوبُ: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ زَيَّنَتْ ﴿ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أردتُموه، وإلا فما أَدرى الملكَ بِسُنَّتي لولا فتواكُم، والسُّولُ: ما يتمنَّاه الإنسانُ ويحرِصُ عليه. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وهشامٌ: (بَل سَّوَّلَتْ) بإدغامِ اللامِ في السين، والباقون: بالإظهارِ[١].

﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ليسَ فيه شكوى ولا ضجرٌ بقضاءِ الله، ثم تَرَجَّى من اللهِ فقالَ:

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ يوسفَ وبنيامينَ وكبيرِهم المقيمِ بمصرَ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بحالي ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ بتدبيرِ خَلْقِه.

* * *

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾ أي: أعرضَ؛ كراهةً لما صادفَ منهم.

﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ والأسفُ: شدةُ الحزنِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَا أَسَفي) بالإمالة، ورُوي عن أبي عمرٍو: الفتحُ والإمالةُ بينَ بينَ، ووقفَ رويسٌ راوي يعقوبَ بخلافٍ عنه: (يَا أَسَفَاهُ) بزيادةِ هاءٍ بعدَ الألفِ[٢].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٩-٥٠)، و«إتحاف فضلاء=

﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ عَمِيَ بصرُه من ملازمةِ البكاء، فلم يُبْصِرْ بهما سِتَّ سنينَ.

﴿ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ حابسٌ حزنَه لا يظهِرُه.

* * *

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ ﴾.

[٨٥] ﴿ قَالُواْ ﴾ أولادُ يعقوبَ: ﴿ تَٱللَّهِ ﴾ بمعنى: واللهِ!

﴿ تَفۡتَؤُاْ ﴾ أي: لا تزالُ، وحُذِفَتْ (لا) في هذا الموضعِ منَ القسمِ لدلالةِ الكلامِ عليها؛ تقديرُه: تاللهِ لاتفتأ.

﴿ تَذۡكُرُ يُوسُفَ ﴾ لا تَفْتُرُ من حُبِّهِ.

﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ بالياً من المرضِ.

﴿ أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾ الميتينَ.

* * *

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ ﴾.

[٨٦] ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي ﴾ هو أشدُّ الحزنِ الذي لا يصبرُ عليه صاحبُه حتى يَبُثَّهُ أو يَشْكُوَهُ.

﴿ وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ والحزنُ: هو أشدُّ الهَمِّ. قرأ الكوفيون، وابنُ كثيرٍ،

= البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٧).

ويعقوبُ: (حُزْني) بإسكانِ الياءِ، والباقون: بفتحها[1].

﴿وَأَعْلَمُ﴾ يا بَنِيَّ ﴿مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهو أن رؤيا يوسفَ صادقة وأنه حيٌّ، وأني وأنتم سنسجدُ له.

رُوي أنه قيلَ له: يا يعقوبُ! ما الذي أذهبَ بصرَكَ، وقَوَّسَ ظَهْرَكَ؟ قالَ: أذهبَ بصري بُكائي على يوسفَ، وقَوَّسَ ظهري حُزْني على أخيه، فأوحى الله إليه: أَتَشْكوني؟! وَعِزَّتي لا أَكْشِفُ ما بِكَ حَتَّى تدعوَني، فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى﴾ فأوحى الله إليه: وعِزَّتي لو كانا ميتينِ لأَخْرَجْتُهما لك، وإنما وَجَدْتُ عليكم أنكم ذبحتم شاةً، فقامَ ببابِكم مسكينٌ فلم تُطعموه منها شيئاً، وإنَّ أحبَّ خلقي إليَّ الأنبياءُ، ثم المساكينُ، فاصنعْ طعاماً، فادعُوا عليه المساكينَ، فصنعَ طعاماً، ثم قالَ: من كانَ صائماً، فليفطرِ الليلةَ عندَ آلِ يعقوبَ.

وقد حُكي أن ابتلاءَ يعقوبَ بيوسفَ كان سببهُ التفاتَه في صلاتِه إليه ويوسفُ نائمٌ؛ محبةً له.

فإن قيل: كيف استجازَ يوسفُ أن يعملَ مثلَ هذا بأبيه، ولم يخبرْه بمكانِه، وحبسَ أخاهُ معَ علمِه بشدةِ وَجْدِ أبيهِ؛ ففيه معنى العُقوقِ، وقطيعةُ الرحمِ، وقلةُ الشفقةِ؟ فالجوابُ: أنه عملَ ذلكَ بأمرِ الله تعالى، أمرَهُ به ليزيدَ في بلاءِ يعقوبَ، فيضاعِفَ له الأجرَ، ويلحقَه في الدرجةِ بآبائِه الماضين، واللهُ أعلم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٨).

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ أي: تطلَّبوا خبرَهما، والتحسُّسُ بالحاء: طلبُ الشيءِ بالحاسَّةِ في الخير، وبالجيم: في الشر، والتلاوةُ بالأولِ.

﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ ﴾ تقْنَطوا ﴿ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: رحمتِه التي يحيي بها العبادَ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ باللهِ.

***

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] فخرجوا راجعينَ إلى مصرَ حتى وصلوا إليها، فدخلوا على يوسفَ.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ ﴾ بلغةِ مصرَ: الملكُ.

﴿ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ الجوعُ والشدةُ ﴿ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ ﴾ رَديئة أو قليلةٍ. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (مُزْجَاةٍ) بالإمالة، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ(١).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٨٩).

﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ الـذي نستحقُّـه ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ أي: تفضَّـلْ بالمسامحةِ والإغضاء عن رداءةِ البضاعةِ، وكانت دراهمَ زيُوفاً لا تؤخَذُ إلا بنقصانٍ، واستدلَّ مالكٌ وغيرهُ من العلماءِ بقوله: ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ ﴾ على أن أجرةَ الكَيَّالِ على البائعِ، وكذلكَ الوزَّان، لأنَّ الرجلَ إذا باعَ عِدَّةً معلومةً من طعامٍ، أَوجَبَ العَقْدُ عليه أن يُفرِدَها بعينِها، ويحوزَها المشتري، والحكمُ كذلكَ بالاتفاقِ حيثُ كانَ المبيعُ مَكيلاً أو مَوْزوناً، أما إذا كانَ الثمنُ كذلكَ، فالأجرةُ على المشتري عندَ أبي حنيفةَ والشافعيِّ وأحمدَ، وفي مذهبِ مالكٍ خلافٌ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ والتصدُّقُ: التفضُّل.

وسمعَ الحسنُ إنساناً يقولُ: اللهمَّ تصدَّقْ عليَّ، فقالَ: إن الله لا يتصدَّقُ، وإنما يتصدَّقُ مَنْ يبتغي الثوابَ، ولكنْ قل: اللهمَّ أَعْطِني، أو تفضَّلْ عليَّ، أو ارحَمْني، ونحوَهُ.

***

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] فلما كلموه بهذا الكلام، أدركَتْهُ الرِّقَّةُ، فارفضَّ دمعُه، وباحَ بالذي يكتُمُ.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ إذْ فرَّقْتُم بينَهما، وصنعتُم ما صنعتُم.

﴿ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ لا تعلمونَ قبحَه، فلذلكَ أقدمْتُم عليه؟

***

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ثم تعرَّفَ لهم فعرفوهُ، و﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (إِنَّكَ) بهمزةٍ واحدةٍ على الخبرِ، والباقونَ: بهمزتينِ، على الاستفهام، وهم على أُصولهم، فالكوفيونَ، وابنُ عامرٍ، وروحٌ عن يعقوبَ: بتحقيقِ الهمزتينِ، وورشٌ ورويسٌ: يحققان الأولى، ويسهِّلانِ الثانيةَ، وأبو عمرٍو، وقالونُ عن نافعٍ: يسهِّلانِ الثانيةَ، ويُدْخلان بينهما ألفًا[١].

﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ ﴾ من أبي وأمي.

﴿ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ ﴾ بأنْ جمعَ بيننا.

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ ﴾ اللهَ ﴿ وَيَصْبِرْ ﴾ على امتثالِ الأمرِ واجتنابِ النهي. قراءة العامة: (يَتَّقِ) بحذفِ الياءِ في الحالين، جزمٌ (بمَنْ)؛ لأنها شرطٌ، وقرأ قنبلٌ عن ابنِ كثيرٍ: (يَتَّقِي) بإثباتِ الياءِ في الحالينِ لغةً للعربِ يُثبتون الياءَ في الجزمِ[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩١).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ المتَّصِفين بهذهِ الصفاتِ.

* * *

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾.

[٩١] ﴿قَالُواْ﴾ معتذرينَ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: فضَّلكَ ﴿عَلَيۡنَآ﴾ بالصبرِ والحلمِ والعقلِ.

﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي: وما كُنَّا في صنيعِنا بكَ إلا مخطئينَ مُذْنبين، يقالُ: خَطَأَ: إذا تعمَّدَ، وأخطأَ: إذا كانَ غيرَ متعمدٍ.

* * *

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾.

[٩٢] فلما اعترفوا بذنوبهم ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ﴾ لا تقريعَ ولا توبيخَ.

﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ ولا أذكرُ لكم ذنبَكُم بعدَ اليومِ، ثم دعا لهم؛ تطييباً لقلوبِهم.

﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ ما صدرَ منكم في حَقِّي ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ولما عرفوه، قالوا له: نستحيي من الحضور لديكَ؛ لإساءتِنا إليك، فقال: لقدْ شُرِّفْتُ بكم؛ لأنَّ المصريينَ وإنْ ملكتُهم ما ينظرونَ إليَّ إلا بالعينِ الأولى؛ لأني كنتُ عبداً فيهم.

* * *

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ثم سألَهم عن أبيه فقالوا: عَمِي، فقال: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾ هو قميصُ إبراهيمَ الذي ألبسَهُ إياه جبريلُ حين أُلْقي في النار، وكان معلَّقاً في عنق يوسفَ حينَ أُلْقي في الجبِّ كما تقدَّمَ في أول القصةِ، ففي هذا الوقتِ جاء جبريلُ عليه السلام، وقال: أرسلْ ذلكَ القميصَ؛ فإن فيه ريحَ الجنةِ، لا يقعُ على مبتلًى ولا سقيمٍ إلا عُوفيَ.

﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ﴾ يعودُ ﴿بَصِيرٗا﴾ حالٌ؛ أي: مُبْصِراً.

﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ﴾ بأبيكم وأهلِه ﴿أَجۡمَعِينَ﴾.

* * *

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] فقال يهوذا: أنا أَحْزَنْتُه بالقميصِ الملطَّخِ بالدَّمِ، فسأُفرِحُهُ بهذا القميصِ، فحملَه من مصرَ إلى كنعانَ، وبينهما ثمانونَ فرسخاً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ أي: انفصلَتْ، وخرجَتْ من عمرانِ مصرَ.

﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ يعقوبُ لحاضريهِ من حَفَدَتِهِ:

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ﴾ لأن الصَّبا حملتْ ريحَ يوسفَ من ثمانينَ فرسخاً، فأوجدَهُ اللهُ ريحَ القميصِ من مسيرةِ ثمانِ ليالٍ.

﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ تُجهِّلُونِ، والفَنَدُ: الخَرَفُ، يُقال: شَيْخٌ مُفَنَّدٌ، ولا يُقال: عجوزٌ مُفَنَّدَةٌ؛ لأنه لم يكن لها رأيٌ في شبيبتِها فتفندَ في كبرِها.

قرأ يعقوبُ: (تُفَنِّدُونِي) بإثباتِ الياءِ، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] وكانوا يعتقدونَ موتَ يوسفَ، فلذلك ﴿ قَالُواْ ﴾ يعني: أولادَ أولادِه.

﴿ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ أي: في خَطَئِكَ في حُبِّ يوسفَ قديماً، وتعتقدُ أنك تلقاهُ حديثاً، والضلالُ: هو الذهابُ عن طريقِ الصوابِ.

* * *

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ أي: المبشِّرُ عن يوسفَ، وهو يَهوذا ﴿ أَلْقَىٰهُ ﴾ أي: القميصَ ﴿ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ وجهِ يعقوبَ.

﴿ فَٱرْتَدَّ ﴾ فرجعَ ﴿ بَصِيرًا ﴾ فثَمَّ ﴿ قَالَ ﴾ لأولادِ أولادِه:

﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من حياةِ يوسفَ.

ورُوِيَ أنَّ يعقوبَ سألَ البشيرَ عن يوسفَ، قال: ملكَ مصرَ، قال: وما أصنعُ بالملكِ، على أيِّ دينٍ هو؟ قالَ: على الإسلامِ، قالَ: الآنَ تَمَّتِ

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

النعمةُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو، وابنُ كثيرٍ: (إِنِّيَ أَعْلَمُ) بفتحِ الياء، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾.

[٩٧] ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾ مذنبين. قرأ أبو جعفرٍ: (خَاطِينَ) بإسكانِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[2].

***

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾.

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَخَّرَهُم لوقتِ السَّحَرِ؛ لأنه أَرْجى للإجابةِ، وهو الوقتُ الذي يقولُ الله: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟»[3]. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[4]، ورُوي أن يعقوبَ استقبلَ القبلةَ قائِماً يدعو، وقامَ يوسفُ خلفَهُ يُؤَمِّنُ، وقاموا خلفَهُ أَذِلَّةً خاشعينَ حتى نزلَ جبريلُ وقال:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠ـ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

(٣) رواه البخاري (١٠٩٤)، كتاب: أبواب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم (٧٥٨)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٠ـ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٢).

إنَّ اللهَ قَدْ أجابَ دعوتَكَ في ولدِكَ، وعقدَ مواثيقَهم بعدَكَ على النبوَّةِ.

***

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] وكان يوسفُ قد أرسلَ بمئتي راحلةٍ إلى أهلِه وجهازٍ ليرتحلوا إليهِ، وكانوا اثنين وسبعينَ إنساناً لما دخلوا مصرَ ما بينَ ذكرٍ وأنثى، وكانوا لما خرجوا منها هاربينَ من فرعونَ ستَّ مئةِ ألفٍ وخمسَ مئةٍ وبضعةً وسبعين رجلاً سوى الذريَّةِ والهَرْمَى، وكانت الذريةُ والهرمَى ألفَ ألفٍ ومئتي ألفٍ، ولما دنا يعقوبُ وأهلُه من مصرَ، خرجَ يوسفُ والملكُ الأكبرُ في أربعةِ آلافٍ من الجندِ وعظماءِ المصريينَ يتلَقَّونهم، وكان يعقوبُ يمشي وهو يتوكأُ على يهوذا، فلما رأى الخيلَ، قالَ ليهوذا: هذا فرعونُ مصرَ؟ قال: هذا ابنُك، فلما دنا كلُّ واحدٍ منهُما من صاحبِه، فذهبَ يوسفُ يبدؤُهُ بالسلام، فقال جبريلُ: لا حتى يبدأَ يعقوبُ بالسلامِ، فقال يعقوبُ: السلامُ عليكَ يا مُذْهِبَ الأحزانِ، وتعانَقا، وبكَيا، فقال يوسفُ: يا أبتِ! بكيتَ حتى ذهبَ بصرُكَ، ألم تعلمْ أنَّ القيامةَ تجمعُنا؟ قالَ: بلى يا بنيَّ، ولكن خشيتُ أن تُسْلَبَ دينكَ فيُحالَ بيني وبينَك.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ ﴾ أي: ضمَّ ﴿ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ أباه وخالتَه ليَّا، وكانتْ أُمُّه راحيلُ قد ماتت، والعربُ تسمِّي العمَّ أباً، والخالةَ أماً.

﴿ وَقَالَ ﴾ لهم لما قاربَ البلدَ ﴿ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ استثناءٌ متعلِّقٌ بالدخول الموصوفِ بالأمنِ؛ كأنه قال: اِسْلَموا وَأْمَنوا في دخولِكم إنْ شاءَ الله.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] فلما عاد إلى مصر، جلسَ على سريره، وجمع الناسَ، وإخوتُه حولَه ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ ﴾ معه ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ وهو سريرُ الملك. قرأ ابنُ كثيرٍ: (أَبَوَيْهِي) وشبهَهُ بياءٍ يصلُها بهاءِ الكنايةِ في الوصلِ حيثُ وقعَ.

﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ ﴾ إخوتُه وأبواه ﴿ سُجَّدًا ﴾ كذلكَ كانت تحيتُهم، فنُهينا عنه في شريعةِ الإسلام.

﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ ﴾ وكانَ بينهما نحوُ خمسينَ سنةً، وقيلَ غيرُ ذلك. قرأ الكسائيُّ: (رُؤْيَايَ) بالإمالةِ[1] ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ صِدْقاً.

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾ أنعمَ عليَّ ﴿ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ ﴾ ولم يقلْ: من الجبِّ؛ تكرماً لئلاَّ يستحييَ إخوتهُ، ومن تمامِ الصفحِ ألاَّ يذكرَ ما تقدَّمَ من الذنب. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو (بِيَ إِذْ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٣).

﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ الباديةِ؛ لأنهم كانوا أصحابَ ماشيةٍ وعَمَدٍ، وهي الخيامُ، ينتقلون في الماءِ والمرعى.

﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ﴾ أفسدَ ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ بوسوستِهِ، وأصلُ النزغِ: نَخْسُ الرائِضِ الدابةَ لتتحرَّكَ.

﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ﴾ أي: لطيفُ التدبير له، واللطيفُ: الذي يوصلُ الإحسانَ إلى غيرِه بالرفقِ ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بوجوهِ المصالحِ ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فيما يفعل. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (إِخْوَتِيَ) بفتح الياء، والباقونَ: بإسكانها[(١)]، واختلافُهم في الهمزتينِ من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كاختلافِهم فيهما من (يَشَاءُ إِلى صِرَاطٍ) في سورةِ البقرةِ.

وأقامَ يعقوبُ بمصرَ عندَ يوسفَ أربعاً وعشرينَ سنةً، ثم ماتَ، فلما حضرَتْهُ الوفاةُ أَوْصى بحملِه ودفنِه عندَ أبيهِ إسحاقَ بمغارةِ حَبْرونَ عندَ قبرِ إبراهيمَ عليه السلام، وتقدم ذكرُ ذلكَ في سورةِ البقرةِ.

قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: لما ماتَ يعقوبُ، نقلَه يوسفُ في تابوتٍ من ساج إلى بيت المقدسِ، فوافقَ يومَ موتِ أخيه عيصٍ، فدُفِنا في قبرٍ واحدٍ، وكانا وُلدا في بطنٍ واحدٍ، وكان عمرُهما مئةً وسبعةً وأربعينَ سنةً[(٢)].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٨٩).

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] فلما جمعَ اللهُ تعالى ليوسفَ شملَه، علمَ أن نعيمَ الدُّنيا لا يدومُ، فسألَ اللهَ حُسْنَ العاقبةِ فقالَ: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ يعني: ملكَ مصرَ، والملكُ اتِّساعُ المقدورِ لمن له السياسةُ والتدبيرُ.

﴿ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ ﴾ تعبيرِ الرؤيا، و(مِنْ) للتبعيضِ؛ لأنه لم يؤتَ كُلَّ الملكِ ولا كُلَّ التأويلِ.

﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مبدِعَهما، وانتصابُ (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ) على النداءِ.

﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ ﴾ أي: متولِّي أمري ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي ﴾ اقْبِضْني إليك ﴿ مُسْلِمًا ﴾ مخلصاً ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ من آبائي النبيينَ.

واختلفوا في مدةِ غَيبةِ يوسفَ عن أبيهِ، فقيل: اثنتانِ وعشرونَ سنةً، وقيل: أربعونَ، وقيل: ثمانون، ولما ماتَ الملكُ الأكبرُ، وهو الريانُ بنُ الوليدِ المتقدِّمُ ذكرهُ، خلفَه ابنهُ دريموش، ويسميهِ أهلُ الأثر: دارمَ بنَ الريان، وهو الفرعونُ الرابعُ عندَهم، فخالفَ سنةَ أبيه، وكانَ يوسفُ خليفتَهُ، فيقبلُ منه بعضاً، ويخالفُ في البعضِ، فماتَ يوسفُ في أيامِه وله مئةٌ وعشرونَ سنةً، فَكُفِّنَ وحُمل في تابوتٍ من رخام، ودُفِنَ في الجانبِ الغربيِّ من بحرِ النيلِ، فأخصبَ ونقص الشرقيُّ، فَحُوِّلَ إليه، فأخصبَ ونقصَ الغربيُّ، فاتفقوا على أن يجعلوهُ في الشرقيِّ عاماً، وفي الغربيِّ

عاماً، ثم حدثَ لهم من الرأيِ أن يجعلوا لهُ حِلَقاً وثاقاً، وشدُّوا التابوتَ في وسطِ النيلِ فأخصبَ الجانبانِ كلاهُما، ولم يزلْ ثَمَّ حتى كانَ زمنُ موسى عليه السلام وفرعون، فلما سارَ موسى ببني إسرائيل من مصرَ أخرجَهُ وهو في التابوت، وحمله على عجلٍ من حديدٍ، ودفنَه بحبرونَ في البقيعِ خلفَ الحيزِ السليمانيِّ حذاءَ قبرِ أبيه يعقوبَ، وجوارَ جَدَّيه إبراهيمَ وإسحاقَ عليهم السلام، وتقدم ذكرُ ذلك ملخَّصاً في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [الآية: ٥٠]، ونزلَ عليه جبريلُ أربعَ مراتٍ، وبينهَ وبينَ موسى أربعُ مئةِ سنةٍ، وقيلَ غيرُ ذلكَ.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ جَاءَنِي الدَّاعِي، لأَجَبْتُ»(١).

وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قالَ: أَتْقَاهُمْ لله، قَالُوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ، قالَ: فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ بْنِ نَبِيِّ اللهِ بْنِ نَبِيِّ اللهِ بْنِ خَلِيلِ اللهِ»(٢).

فهؤلاءِ الأنبياءُ الأربعةُ وهم: إبراهيمُ الخليلُ، وولدهُ إسحاقُ، وولدهُ يعقوبُ، وولدهُ يوسفُ، قبورُهم في محلٍّ واحدٍ، وعليهِم من الوقارِ

---

(١) رواه الترمذي (٣١١٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة يوسف، وقال: حسن، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٢٥)، وغيرهم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣١٧٥)، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾، ومسلم (٢٣٧٨)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل يوسف عليه السلام، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

والجلالةِ ما لا يَكادُ يُوصَفُ، صَلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِم أجمعينَ. ووُلِدَ ليوسفَ من امرأةِ العزيزِ ولدانِ: أفراييمُ والدُ رحمةَ زوجةِ أيوبَ، وميشا.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورُ من نبأ يوسفَ ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ ﴾ لأنك لم تحضرْهُ، ولا قرأتَهُ في كتابٍ، وقد أُخْبِرْتَ بهِ، كما جرى.

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ ﴾ أَحْكَموا ﴿ أَمۡرَهُمۡ ﴾ على كيدِ يوسفَ.

﴿ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴾ بهِ. والإجماعُ لغةً: العزمُ والاتفاقُ، واصطلاحاً: اتفاقُ مجتهدِي الأُمَّةِ في عصرٍ على أمرٍ ولو فِعْلاً بعدَ النبيِّ ﷺ، وهو حُجَّةٌ قاطعةٌ بالاتفاقِ، ولا يختصُّ الإجماعُ بالصحابةِ بالاتفاقِ.

* * *

﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ ﴾ يا محمدُ ﴿ وَلَوۡ حَرَصۡتَ ﴾ على إيمانِهم ﴿ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ إنما يؤمن مَنْ شاءَ الله.

* * *

﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ على إرشادِكَ إياهم ﴿ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ جُعْلٍ.

﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ يعني: القرآنَ ﴿ إِلَّا ذِكۡرٞ ﴾ موعظة ﴿ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ عامَّةً.

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن﴾ تقدَّمَ اختلافُ القراء في (وَكَأَيِّنْ) في سورةِ آلِ عمرانَ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [الآية: ١٤٦]؛ أي: وكَمْ ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآياتِ الدالةِ على الوحدانيةِ.

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يُشاهدونَها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يَتَّعِظونَ بها.

* * *

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ بعبادتِهم الوثنَ.

عن ابنِ عباسٍ أنَّه قال: «نزلَتْ في تلبيةِ المشركينَ من العربِ، كانوا يقولونَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ إِلاَّ شَرِيكٌ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ»(١).

* * *

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾ نِقْمَةٌ تَتَغَشَّاهُمْ.

﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الصواعقَ.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٢/ ٨٤٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٩٣).

﴿ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً ﴾ فجأةً ﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بمجيءِ القيامةِ.

* * *

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ قُلۡ ﴾ يا محمدُ ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ طريقي؛ يعني: الدعوةَ إلى التوحيدِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (سَبِيلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ يقينٍ ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ أي: ومَنْ آمنَ بي أيضاً يدعو إلى اللهِ.

﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ تنزيهاً له ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ورُويَ أن هذهِ الآية ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ إلى آخرِها كانَتْ مرقومةً على رايةِ يوسفَ عليه السلام.

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ إِلَّا رِجَالٗا ﴾ وليسوا بملائكةٍ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٦).

﴿ نُوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (نُوحِي) بالنون، وكسرِ الحاءِ، والباقون: بالياء وفتحِ الحاءِ[1].

﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ الأمصارِ، قالَ الحسنُ: لَمْ يبعثِ اللهُ نبيّاً من البدوِ، ولا منَ الجنِّ، ولا من النساءِ؛ لجفائِهم وقسوتِهم وجهلِهم[2].

﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: هؤلاءِ المشركينَ ﴿ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾ آخِرُ أمرِ ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الأممِ المكذِّبَةِ فيعتبروا.

﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ حَضٌّ على الآخرةِ والاستعدادِ لها، والاتقاءِ للموبقاتِ فيها، ثُمَّ وَبَّخهم بقولِه: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ فيؤمنون. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (تَعْقِلُونَ) بالخطابِ، والباقونَ: بالغيب.

***

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾.

[١١٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ (حَتَّى) مُتعلِّقَةٌ بمحذوفٍ دلَّ عليهِ الكلامُ؛ كأنه قيل: وما أرسلْنا من قبلِكَ إلا رجالاً، فتراخَى نصرُهم، حتى إذا استيأسوا عن النَّصْرِ.

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٤ _ ٥٠٥).

وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (كُذِّبُوا) بالتشديدِ، يعني: الرسلَ ظَنُّوا أنَّ الأممَ قد كَذَّبوهم تكذيباً لا يُرْجى بعدَهُ إيمانهم، وظَنُّوا بمعنى: أيقنوا، **وقرأ** الباقون: (كُذِبُوا) بالتخفيف[1]، معناه: ظنَّ الأممُ أن الرسلَ كَذبوا في وعيدِ العذابِ.

﴿جَآءَهُمْ﴾ يعني: الرسلَ ﴿نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ **قرأ** ابنُ عامرٍ، وعاصِمٌ، ويعقوبُ: (فَنُجِّيَ) بنونٍ واحدةٍ وتشديدِ الجيم وفتحِ الياء على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وقد أجمعتِ المصاحفُ على كتابتِه بنونٍ واحدة، **وقرأ** الباقون: بنونينِ، الثانيةُ ساكنةٌ مخفاةٌ عندَ الجيمِ، وتخفيفِ الجيمِ وإسكانِ الياءِ[2]؛ أي: نحنُ نُنْجي مَنْ نشاءُ عندَ نزولِ العذابِ، وهم المؤمنون.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابُنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركينَ.

***

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبرِ يوسفَ وإخوتِه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٧)، وأنكرت عائشة رضي عنها قراءة التخفيف كما ذكر البغوي ذلك عنها.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٩٨).

﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: اعتبارٌ ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لذوي العقولِ.

﴿مَا كَانَ﴾ أي: القرآنُ ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يُخْتَلَقُ.

﴿وَلَٰكِن﴾ كانَ ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتبِ المنزلةِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاجُ إليه العبدُ ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ نعمةً.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقونَ به، والله أعلم.

* * *

سورة الرعد

مكية إلا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾ الآية، وقيل: مدنية إلا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ الآيتين نزلتا بمكة، وآيها ثلاث وأربعون آية، وحروفها ثلاثة آلاف وخمس مئة وستة أحرف، وكلمها ثمان مئة وخمس وخمسون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ①﴾.

[١] ﴿الٓمٓرۚ﴾ قال ابنُ عباسٍ: «معناهُ: أنا اللهُ أَعلمُ وأَرى»(١) وتقدَّمَ ذكرُ السَّكْتِ والإمالةِ في أولِ سورةِ يونسَ(٢).

﴿تِلْكَ﴾ أي: أخبارُ الأممِ المتقدمةِ ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾ أي: الكتبِ المنزلةِ على الأنبياءِ قبلَكَ ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآنَ، مبتدأٌ، خبرُه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ فاعتصِمْ به.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في الآية (١) منها.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ يعني: مشركي مكةَ.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لعدمِ تأَمُّلِهم فيه.

* * *

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ جمعُ أَعْمِدَةٍ، وهي جمعُ عمودِ البيتِ، يعني: السَّواري ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ استشهادٌ برؤيتِهم لَها كذلكَ، والمرادُ: نفيُ العَمَدِ أصلاً، وهو الأصحُّ، فهي واقفةٌ كالقبَّةِ، والقدرةُ أعظمُ من ذلكَ.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ بلا كيفٍ، وتقدَّمَ الكلامُ عليه في سورةِ الأعرافِ.

﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ ذلَّلَهما لمنافعِ خَلْقِه على ما يريدُه تعالى.

﴿ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ لوقتٍ معلومٍ، وهو انقضاءُ الدنيا.

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ في خَلْقِه من غيرِ شريكٍ له فيه.

﴿ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ يُبين البراهينَ.

﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ لكي تُصَدِّقوا وعدَه.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ بَسَطَها ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابتَ، قالَ

ابنُ عباس: «كانَ أبو قُبيسٍ أولَ جبلٍ وُضِعَ على الأرضِ»[1] ﴿وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا﴾ أي: خلقَ في الأرضِ حينَ بسطَها من كلِّ نوعٍ من الثمراتِ ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: نوعين: حلوٌ، وحامضٌ، ونحوُهما.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يُلْبِسُهُ مكانَه، فيصيرُ الجوُّ مظلماً بعدَ ما كان مضيئاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصم: (نُغْشِي) بالنون[2]، والباقون: بالياء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ.

﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، والتفكُّرُ: تصرُّفُ القلبِ في معاني الأشياءِ.

* * *

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾.

[٤] ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ متلاصِقاتٌ مختلفاتٌ مع تلاصُقِها طيبةٌ إلى سبخةٍ، وكثيرةُ الريعِ إلى قليلِه، ونحوُ ذلك.

﴿وَجَنَّٰتٌ﴾ بساتينُ ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ هي النخلاتُ يجمعُهُنَّ أصلٌ واحدٌ، ومنهُ قولُ النبيِّ ﷺ في العباسِ: «عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبيهِ»[3].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٩).

(٢) «بالنون» ساقطة من «ت».

(٣) رواه مسلم (٩٨٣)، كتاب: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ النخلةُ المنفردةُ بأصلِها. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ) بالرفعِ في الأربعةِ عطفاً على (جَنَّاتٌ)، **وقرأها** الباقونَ: بالخفضِ عطفاً على (أَعْنَابٍ)[1].

﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ وهي متغايرةٌ في الألوانِ والطُّعومِ. **قرأ** ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (يُسْقَى) بالياءِ على التذكيرِ؛ أي: يُسْقَى المذكورُ، **وقرأ** الباقونَ: بالتاءِ على التأنيث؛ أي: تُسْقَى الجنةُ بما فيها، وأمالَ حمزةُ، والكسائيُّ القافَ[2].

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ في الثمرِ والطَّعْم. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (وَيُفَضِّلُ) بالياء؛ لقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾، **وقرأ** الباقون: بالنون على معنى: ونحن نفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُل[3]، **وقرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ: (الأُكْلِ) بإسكانِ الكافِ، والباقون: بضمِّها[4]، والأُكْلَةُ بضمِّ الهمزةِ: اللقمةُ، وبكسرِها: الحالةُ يؤكَلُ عليها،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٠٩ـ٥١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٤ـ٢٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٦ـ٢٠٧).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٧).

وبفتحها: المرةُ الواحدةُ، كذلك بنو آدمَ من أبٍ واحدٍ، واختلفَتْ خَلْقُهُم وأخلاقُهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يستعمِلون عقولَهم بالتفكُّرِ.

***

﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمدُ من إنكارِهم النشأةَ الآخرة، مع إقرارِهم بابتداءِ الخلقِ من اللهِ عز وجل، وقد تقرر في القلوب أنَّ الإعادةَ أهونُ من الابتداء.

﴿فَعَجَبٌ﴾ تصويبٌ لعَجَبِهِ ﷺ، والعجبُ: تغيرُ النفسِ برؤيةِ المستبعَدِ في العادةِ. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلادٌ عن حمزةَ: (تَعْجَب فَّعَجَبٌ) بإدغامِ الباءِ في الفاء، والباقون: بالإظهار(١).

﴿قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ بعدَ الموتِ.

﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: أَنُبْعَثُ خَلْقاً جديداً بعدَ الموتِ؟ واختلافُ القراءِ في (أَئِذَا) (أَئِنَّا) في الإخبارِ بالأولِ منهما، والاستفهامِ بالثاني،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٨-٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٧).

وعكسِه، والاستفهامِ فيهما، فقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو جعفرٍ: (إِذَا) بالإخبارِ (أَئِنَّا) بالاستفهامِ، فابنُ عامرٍ يحقِّقُ الهمزتينِ، وأبو جعفرٍ يسهِّلُ الثانيةَ، ويفصلُ بينَهما بألفٍ، واختلِفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامرٍ في الفصلِ مع تحقيقِ الهمزتين، وقرأ نافعٌ، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (أَئِذَا) بالاستفهامِ، (إِنَّا) بالإخبار، فنافعٌ يسهِّلُ الهمزةَ الثانيةَ، وراويه قالونُ يفصلُ بينَهما بألفٍ، وافقه رويسٌ عن يعقوبَ في التسهيلِ، والكسائيُّ يحقِّقُ الهمزتينِ، وافقه روحٌ عن يعقوبَ، وقرأ الباقون: (أَئِذَا) (أَئِنَّا) بالاستفهام فيهما، فابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو يسهِّلانِ الهمزةَ الثانيةَ منهما، وأبو عمرٍو يفصلُ بينَهما بألفٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، وخلفٌ يحققون الهمزتين(١)، فمن قرأ بالاستفهامينِ، فذلكَ للتأكيدِ، ومن استفهمَ في الأولِ فقط، فإنما القصدُ بالاستفهامِ الموضعُ الثاني، تقديرُه: أَنُبْعَثُ ونُحْشَرُ إذاً، ومن استفهمَ في الثاني فقط، فمعناه: إذا كُنَّا تُراباً أَنُبْعَثُ؟

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: منكرو البعثِ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ﴾ أي: أعمالُهم الخبيثةُ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يُنْقَلون عنها.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢ـ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢ـ٣٦٤، ٣٧٢ـ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠٧ـ٢٠٩).

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ونزلَ فيمن طلبَ العذابَ قبلَ حينهِ استهزاءً بالنبيِّ ﷺ: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي: بالنِّقمةِ قبلَ العافيةِ، والاستعجالُ: طلبُ تعجيلِ الأمرِ قبلَ مجيءِ وقتِهِ.

﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ جَمْعُ مَثُلَة؛ أي: عقوباتُ أمثالِهم من المكذِّبينَ، المعنى: قد عرفوا ما نزلَ بالأممِ قبلَهم من الهلاكِ، فكيفَ يستعجلونه؟

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ أي: يغفرُ ذنوبَهم مع ظلمِهم أنفسَهم بالمعاصي والشركِ إنْ تابوا ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ للكفارِ.

* * *

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ عِناداً:

﴿ لَوْلَآ ﴾ أي: هلاَّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ﴾ أي: على محمد ﷺ.

﴿ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ أي: حجَّةٌ على صدقِ نبوَّتهِ؛ كإحياءِ عيسى الموتى، وقلبِ عَصا موسى حيةً، قالَ اللهُ تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ ما عليكَ إلا البلاغُ.

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ نبيٌّ يرشدُهم. وقفَ ابنُ كثيرٍ (هادي) بإثباتِ الياءِ بعدَ

الدال، ورُوي ذلكَ عن يعقوبَ وقنبلٍ؛ لأنها الأصلُ، ولأن الذي حُذفتِ الياءُ لأجلِهِ، وهو التنوينُ، قد زالَ، وقرأ الباقونَ: بحذفها وقفاً؛ لأن الأصلَ هو الوصلُ، وهي في الإمامِ بغيرِ ياءٍ، والحذفُ والإثباتُ جائزان(١)، وكذلكَ حكمُ اختلافِهم في (وَالٍ) و(وَاقٍ) و(بَاقٍ).

***

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ ﴾.

[٨] ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ من ذكرٍ وأنثى، وتامٍّ وناقصٍ، وأَبيضَ وأسودَ، وواحدٍ واثنينِ وأكثرَ.

﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ ﴾ أي: تنقصُ ﴿وَمَا تَزۡدَادُۚ ﴾ أي: تأخذُهُ زائداً، فنقصانُ الأرحامِ: وضعُها لأقلَّ من تسعةِ أشهرٍ، وزيادتُها: وضعُها لأكثرَ من تسعةِ أشهرٍ، وقيلَ غيرُ ذلك، وأقلُّ مدةِ الحملِ ستةُ أشهرٍ بالاتفاق، وغالبُها تسعةُ أشهرٍ، واختلفوا في أكثرِها، فقال أبو حنيفةَ: سنتانِ، وقال مالكٌ: خمسٌ، وهو المشهورُ عنه، وقال الشافعيُّ وأحمدُ: أربعٌ.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ﴾ في علمه ﴿بِمِقۡدَارٍ﴾ بتقديرٍ معلومٍ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٠١-٢١٩)، قال مكي: والحذف والإثبات لغتان للعرب والحذف أكثر.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ما غابَ عن خلقِه ﴿ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ما شاهدوه.

﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ الذي كُلُّ شيءٍ دونَهُ.

﴿ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ عن صفاتِ المخلوقين، وقولِ المشركين. قرأ ابنُ كثيرٍ ويعقوبُ: (الْمُتَعَالِي) بإثباتِ الياءِ، وحذفَها الباقون(١).

* * *

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ أي: استوى في علمِ اللهِ خافي القولِ وظاهرُهُ، ومُخفيهِ ومُظهِرهُ ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ ﴾ مستترٌ يطلبُ الخفاءَ.

﴿ بِٱلَّيْلِ ﴾ بظلامِه: رُوِيَ عن يعقوبَ وقنبلٍ: الوقفُ بالياءِ على (مُسْتَخْفِي).

﴿ وَسَارِبٌۢ ﴾ سالكٌ في سَرْبِهِ؛ أي: طريقِه ﴿ بِٱلنَّهَارِ ﴾ والسَّرْبُ بفتحِ السينِ وسكونِ الراء: الطريقُ، قال ابنُ عباسٍ: «هُوَ صاحبُ رِيبةٍ مستخفٍ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١١).

بالليلِ، وإذا خرجَ بالنهارِ، أرى الناسَ أنه بريءٌ من الإثمِ»[1].

***

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿لَهُۥ﴾ أي: الإنسانِ المؤمنِ.

﴿مُعَقِّبَٰتٌ﴾ أي: الملائكةُ تتعاقبُ في حفظِه.

﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ أي: من قُدَّامِهِ ومن ورائِه، والتعقيبُ: العودُ بعدَ البَدْءِ، وإنما ذُكر بلفظِ التأنيثِ؛ لأن المرادَ: الجماعاتُ التي يعقبُ بعضُها بعضاً.

﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: بأمرِ الله، فإذا جاءَ القدرُ، خلَّوْا عنه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ﴾ من النعمةِ.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ بكثرةِ المعاصي.

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾ لا يَرُدُّه شيءٌ ﴿وَمَا لَهُم﴾ أي: المرادُ هَلاكُهم ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ من دونِ الله ﴿مِن وَالٍ﴾ وَلِيٍّ. وتقدَّمَ اختلافُ القراءِ في (وَالٍ) عندَ (هَادٍ)[2]، وفيه دليلٌ على أنَّ خلافَ مرادِ اللهِ مُحالٌ.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١١).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا ﴾ من الصاعقةِ ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الغيثِ ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ﴾ الغيمَ المنسحبَ بالماء.

﴿ ٱلثِّقَالَ ﴾ بالمطرِ، قال عليٌّ: «السَّحابُ غِرْبالُ الماءِ»(١).

***

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ والرعدُ اسمُ مَلَكٍ يسوقُ السحابَ، والصوتُ المسموعُ تسبيحُه، فإذا سَبَّحَ، لم يبقَ مَلَكٌ إلا رفعَ صوته بالتسبيحِ، فينزلُ القطرُ، وعن عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ أنه كانَ إذا سمعَ صوتَ الرعدِ، تركَ الحديثَ، وقالَ: «سُبْحانَ من يُسَبِّحُ الرعدُ بحمدِه، والملائكةُ من خيفتَهِ، ويقولُ: إنَّ هذا الوعيدَ لأهلِ الأرضِ لشديدٌ»(٢).

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أيضاً تُسَبِّحُ ﴿ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ أي: خيفةِ الله تعالى.

﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ جمعُ صاعقةٍ، وهي العذابُ المهلِكُ ينزلُ من البرقِ.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١٧)، عن كعب. وانظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥١٨).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٢١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٦٢)، عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ فيهلكه.

﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ ﴾ بتكذيبهم عظمتَهُ وتوحيدَهُ.

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ العقوبةِ، يقال: محلَ الرجلُ بالرجلِ: إذا مكرَ بهِ وأخذَه بسعايةٍ شديدةٍ.

* * *

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤) ﴾.

[١٤] رُوي أن عامرَ بنَ الطُّفيل، وأَرْبَدَ بنَ ربيعة أخا لَبيدٍ وَفَدا على رسولِ الله قاصِدَيْنِ قتلَه، فأخذَهُ عامرٌ بالمجادلةَ، ودارَ أربدُ من خلفه ليضربَهُ بالسيفِ، فتنبَّهَ له رسولُ اللهِ ﷺ، وقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهما بِمَا شِئْتَ»، فأرسلَ اللهُ على أربدَ صاعقةً فأحرقَتْهُ، وولَّى عامرٌ هارباً، فنزلَ ببيتِ امرأةٍ سلوليةٍ، فرميَ بغُدَّةٍ عظيمةٍ، فماتَ، وكانَ يقولُ: غُدَّةٌ كغدَّةِ البعيرِ، ومَوْتٌ في بيتِ سَلوليَّةٍ؟! فنزلت الآيةُ:

﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[1] أي: هو المستحقُّ لها، وهي لا إلهَ إلا اللهُ.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي: الآلهةُ الذين يدعونَهم الكفار.

﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ يريدونه.

﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ ﴾ أي: لا ينتفعُ عبدةُ الأصنامِ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ١٢٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٤)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧).

بدعائِهم إلا كانتفاعِ عطشانَ يمدُّ يدَه إلى ماءٍ في حفيرة لا يصلُ إليه.

﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الأصنامَ ﴿ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ لا يفيدُ شيئاً، ولا يُغْنيهم.

***

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) ﴾.

[١٥] ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ينقادون.

﴿ طَوْعًا ﴾ هم المؤمنون.

﴿ وَكَرْهًا ﴾ هم المنافقونَ والكافرونَ الذين أُكْرِهوا على السُّجودِ بالسيفِ.

﴿ وَظِلَٰلُهُم ﴾ جاءَ في التفسيرِ أن الكافرَ يسجدُ لغيرِ اللهِ، وظِلُّه يسجُد لله ﴿ بِٱلْغُدُوِّ ﴾ البُكَرِ ﴿ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴾ العَشايا، جمعُ أُصُلٍ، والأُصُلُ جمعُ أَصِيلٍ، وهو ما بينَ العصرِ وغروبِ الشمسِ، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتفاق، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوة، وحكمُه، وسجودُ الشكرِ آخِرَ سورةِ الأعرافِ مستوفًى.

***

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) ﴾.

[١٦] ﴿ قُلْ ﴾ للمشركينَ استفهام إنكارٍ ﴿ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خالقُها

وَمُدَبِّرُهَا، فإن لم يعترفوا، فأنت ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ رَبٌّ، هما وإن اعترفوا.

﴿قُلْ﴾ أنتَ إلزاماً لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي: دونِ اللهِ.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أصناماً.

﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ومَنْ لا يملكُ لنفسه شيئاً، فلا يملكُ لغيرِه، ومن هو كذلكَ، فكيف يُعْبَدُ ويُتَّخَذُ وَلِيّاً. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، ورُويسٌ عن يعقوبَ: (أَفَتَّخَذْتُمْ) بإظهارِ الذالِ عندَ التاء، والباقون: بالإدغام[1]، ثم ضربَ لهم مثلاً فقال:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ يعني: الكافرُ والمؤمنُ ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ يعني: الكفرُ والإيمانُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ (أَمْ هَلْ يَسْتَوِي) بالياءِ على التذكير؛ لأنه تأنيثٌ غيرُ حقيقيٍّ، والفعلُ مقدَّمٌ، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث[2]؛ لأنه مؤنَّثٌ لم يفصلْ بينَه وبينَ فاعلِه شيءٌ، ثم استفهمَ مُنْكِراً مُعَجِّباً منهم فقالَ:

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: لم يَتَّخِذوا آلهةً يخلقونَ شيئاً فيشتبهُ خلقُهم بخلقِ اللهِ تعالى.

﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ بلا شريكٍ، فيعبَدُ بلا شركةٍ.

﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المتوحِّدُ بالألوهيةِ ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ الغالبُ على كلِّ شيءٍ.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٤).

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ثم ضربَ مثلَين للحقِّ والباطلِ، فقال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني: المطرَ.

﴿ فَسَالَتْ ﴾ من ذلكَ الماءِ ﴿ أَوْدِيَةُۢ ﴾ جمعُ وادٍ ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾ صغيراً وكبيراً.

﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا ﴾ هو ما علا وجهَ الماءِ من رغوةِ الماءِ وغيرِها.

﴿ رَّابِيًاۚ ﴾ عالياً على الماءِ، فالماءُ الصافي هو الحقُّ، والذاهبُ الزائلُ الذي يتعلَّقُ بالأشجارِ وجوانبِ الأودية هو الباطلُ، فهذا أحدُ المثلين، والمثلُ الآخرُ قولُه تعالى:

﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ ﴾ **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يُوقِدُونَ) بالغيب؛ لقولِه تعالى: (مَا يَنْفَعُ النَّاسَ)، ولا مخاطبةَ هاهنا، وقرأ الباقون: بالخطاب[1]؛ أي: ومن الذي توقدون.

﴿ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ﴾ كالذهبِ والفضةِ ﴿ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ ﴾ طلبَ زينةٍ يُتزَيَّنُ بها.

﴿ أَوْ مَتَٰعٍ ﴾ وهو ما يُنْتَفَعُ بهِ؛ كالنحاسِ والرصاصِ يُذابُ فَيُتَّخَذُ منه الأواني، والإيقادُ: جعلُ النارِ تحتَ الشيءِ ليذوبَ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٧ـ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٤).

﴿ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ أي: إذا سُبِكَ بالنارِ، كانَ له زبدٌ، وهو خَبَثُهُ، فالصافي يُنتفعُ به كالماءِ مَثَلُ الحقِّ، وزبدُه يبطلُ كزبدِ الماءِ مَثَلُ الباطلِ.

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ﴾ أي: يُمَثِّلُ ﴿ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ ﴾ الذي يتقرَّرُ في القلوب.

﴿ وَٱلْبَٰطِلَ ﴾ الذي يعتريها أيضاً.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ ﴾ الذي علا السيلَ والفلزَّ، وهو ما يَنْفيه الكيرُ مما يُذاب من جُواهرِ الأرض.

﴿ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ باطِلاً، والجفاءُ: هو ما يرمي به سيلُ الوادي إلى جنباته من الغُثاءِ، وجَفَأَتِ القِدْرُ: إذا غَلَتْ وألقتْ زَبَدَها.

﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ من الماءِ وخلاصةِ الفلزِّ من الذهبِ والفضةِ والنحاسِ.

﴿ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لمنافِعهم.

﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ فيظهرُ الحقُّ منَ الباطلِ.

* * *

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ ﴾ أجابوا ﴿ لِرَبِّهِمُ ﴾ وأطاعوه.

﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنةُ، وكلُّ ما يختَصُّ به المؤمنُ من نعمِ اللهِ سبحانه، و(السُّوءَى) النارُ.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ ﴾ هم الكافرون ﴿ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَافْتَدَوْاْ بِهِۦٓ﴾ لبذلوه افتداءً لأنفسِهم من النارِ، فلا يُقْبَلُ منهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ هو المناقشةُ فيه، فلا يُغْفَرُ لهم شيءٌ من ذنوبهم.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ في الآخرةِ ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ المستقرُّ.

* * *

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ثم أدخلَ همزةَ الإنكارِ على الفاءِ مبيناً أَنْ لا مساواةَ بينَ حالِ المستجيبِ وضدِّهِ فقالَ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ ويؤمنُ به، وهو حمزةُ رضيَ اللهُ عنهُ ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عن الحقِّ لا يبصرُه، وهو أبو جهلٍ وغيرُه ممن كانَ كذلك.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتَّعِظُ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذَوو العقولِ فيستجيبونَ.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ إذا عاهدوا.

﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ العهدَ الموثَّقَ.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ والمرادُ: صلةُ الرَّحِمِ

عن النبيِّ ﷺ قالَ: «ثلاثةٌ تحتَ العَرْشِ يومَ القِيامَةِ: القُرْآنُ يُحاجُّ العِبادَ لَهُ ظَهْرٌ وبَطْنٌ، والأَمانَةُ، والرَّحِمُ تُنادِي: أَلا مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ»(١).

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ سِرّاً وعلانيةً.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو عدمُ المسامحةِ فيه.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على المكارِهِ ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا غيرُ ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ في مواساةِ المحتاجِ.

﴿سِرًّا﴾ هو ما يُنْفَق تطوُّعاً ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ هي الزكاةُ المفروضةُ.

﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ فيجازونَ الإساءةَ بالإحسانِ، وهذا بخلافِ خُلُقِ الجاهليَّةِ، رُويَ أنها نزلَتْ في الأنصارِ، ثم هي عامَّةٌ بعدَ ذلكَ في كلِّ مَنِ اتصفَ بهذهِ الصفة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ عاقبةُ الدنيا، وهي الجنةُ.

* * *

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١٨٧)، عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ.

[٢٣] ثم بيَّنَهُ بقولِه تعالى: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ ﴾ بساتينُ إقامةٍ.

﴿ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ ﴾ أي: من عملَ صالحاً.

﴿ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾ المعنى: يدخلون الجنةَ بجميعِ أهلهم؛ تكميلاً لفرحِهم.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ من أبوابِ الجنةِ.

* * *

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ويقولون لهم: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي: هذا الثوابُ لكم بسببِ صبرِكم على مشاقِّ الدينِ، تلخيصُه: تعبتُمْ ثَمَّ، فاسترحْتُم هنا ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ونزلَ في الكفارِ صفةٌ حالة مضادَّة للمتقدمةِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ ﴾ المأخوذَ عليهم بالطاعةِ.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ فيؤمنون ببعضِ الأنبياءِ، ويكفرون ببعضٍ ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي والظلمِ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ الإبعادُ من رحمةِ اللهِ ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ ضدُّ (عُقْبى الدَّارِ)، والأظهرُ في الدارِ هنا أنها دارُ الآخرةِ.

* * *

﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ﴾ يُوسِّعُ.

﴿ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ يَهبُ للكافرِ المالَ ليهلِكَهُ به.

﴿ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ يُضيِّقُ على المؤمنِ لِيَعْظُمَ بذلكَ أَجْرُهُ، فالكلُّ بمشيئةِ الله تعالى، ثم استجهلَهم في قولِه: ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فرحَ بَطَرٍ لا فرحَ شكرٍ للنعمةِ.

﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ ﴾ كائنةً ﴿ فِي ﴾ جنبِ ﴿ ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾ ذاهبٌ يُستمتعُ به قليلاً، ثم يفنى.

***

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من أهلِ مكةَ:

﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ تكونُ دليلاً على صدقِهِ.

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ إضلالَهُ.

﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ يرشِدُ إلى دينِه ﴿ مَنۡ أَنَابَ ﴾ رجعَ عن مُنْكَرٍ.

***

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ ﴾ تسكنُ ﴿ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ إذا ذكروه، أو ذُكِر لهم.

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ فيستقرُّ فيها اليقينُ.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ أي: طيبُ العيشِ ﴿ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ مرجعٌ إلى الجنةِ. قرأ يعقوبُ: (مَآبِي) بإثباتِ الياءِ في الحالين حيثُ وقعَ إذا لم ينون، والباقون: بحذفها[١]، وقرأ أبو عمرٍو: (الصَّالِحَات طُّوبَى) بإدغامِ التاءِ في الطاءِ[٢].

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلَ إرسالِنا الرسلَ قبلَكَ يا محمدُ ﴿ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ ثُمَّ بينَ المرسَلَ إليهم فقال: ﴿ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ علَّلَ ذلكَ فقال: ﴿ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآنِ وشرائعِ الإسلامِ.

﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ الواسعِ الرحمةِ.

﴿ قُلْ﴾ يا محمدُ: ﴿ هُوَ﴾ أي: الرحمنُ الذي كفرتُم به.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٦).

﴿رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ اعتمدْتُ ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ أي: توبتي.

قرأ يعقوبُ: (مَتَابِي) بإثباتِ الياء، والباقون: بحذفها[1].

* * *

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾.

[٣١] ولما اقترحَ مشركو مكةَ منهم أبو جهلِ بنُ هشامٍ، وعبدُ اللهِ بنُ أبي أميةَ على النبيِّ ﷺ إزالةَ جبالِ مكةَ لتتفسَّحَ، وجَرْيَ مياهٍ بأرضِهم ليغرسوا الأشجارَ ويزرعوا، وإحياءَ موتاهم، وأنه إنْ فعلَ ذلكَ، آمنوا به، نزل:

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ﴾[2] نُقِلَتْ ﴿بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ عن أماكِنها.

﴿أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: شُقَّتْ فجُعِلَتْ أنهاراً وعيوناً.

﴿أَوۡ كُلِّمَ﴾ أي: أُحْيِيَ.

﴿بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ﴾ وجوابُ (لو) محذوفٌ، وتقديرُه: لكانَ هذا القرآنَ؛

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٧).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٥ ـ ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٣٢).

لكونِه غايةً في التذكيرِ، ونهايةً في الإنذارِ ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ في إيمانِ مَنْ آمَنَ[1]، وكفرِ مَنْ كفرَ.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ أي: يعلم، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ﴾ فآمنوا ﴿جَمِيعًا﴾ وتقدم اختلاف القراء في ﴿ييأس﴾ في سورة يوسف عند قوله تعالى ﴿فلما استيأسوا منه﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ من الكفر.

﴿قَارِعَةٌ﴾ واهية تقرعهم بأنواع البلايا من سرايا رسول الله ﷺ وغزواته.

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ أي: تنزل أنت يا محمد بنفسك.

﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ وهو فتح مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

***

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] وكانَ الكفارُ يسألونَ عن هذهِ الأشياءِ على سبيلِ الاستهزاءِ، فأنزلَ اللهُ تسليةً لنبيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كاستهزائِهم بكَ. قرأ أبو جعفرٍ: (اسْتُهْزِيَ) بفتحِ الياءِ بغيرِ همزٍ.

---

(١) من قوله: «والباقون (غيابة)...» من سورة يوسف (الآية: ١٠) (ص: ٣٩٦) إلى قوله: «إيمان من آمن» من سورة الرعد (الآية: ٣١) سقط من «ش»، بمقدار عشر لوحات من باقي النسخ الخطية.

﴿ فَأَمْلَيْتُ ﴾ أَمْهَلْتُ ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ في الدنيا بالقتلِ، وفي الآخرةِ بالنارِ.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ تعجيبٌ من شِدَّةِ أخذِهِ لهم. قرأ يعقوبُ: (عِقَابِي) بإثباتِ الياءِ[1].

* * *

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ثم احتجَّ عليهم موبِّخاً فقال: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي: أَفَاللهُ الذي هو رقيبٌ على كلِّ نفسٍ، يعلَمُ خيرَها وشرَّها، وجوابُه محذوفٌ تقديرُه: كَمَنْ ليسَ كذلك، وهم أصنامُكم؟

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ المعنى: أَفَمَنْ له القدرةُ والوحدانيَّةُ، ويُجْعَلُ له شريكٌ، أَهْلٌ أَنْ ينتقمَ ويعاقِبَ أم لا؟ والأنفسُ من مخلوقاتِه، وهو قائمٌ على الكُلِّ.

﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ بيِّنوا شركاءَكم بأسمائِهم وصفاتِهم حتى نعرفَ هل يجوزُ أن يُعْبَدوا.

﴿ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ ﴾ أي: تخبرون اللهَ ﴿ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فإنه لا يعلمُ لنفسِه شريكاً.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٨).

﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ﴾ أي: تُسمُّونهم شركاءَ من غيرِ أن يكونَ لذلك حقيقةٌ.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ كيدُهم بِشِرْكِهم. قرأ الكسائيُّ، وهشامٌ: (بَل زُّيِّنَ) بإدغامِ اللامِ في الزاي، والباقون: بالإظهار[(١)].

﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ قرأ الكوفيونَ، ويعقوبُ: (وَصُدُّوا) بضمِّ الصادِ على تعدِّي الفعل، وقرأ الباقون: بالفتح[(٢)]؛ أي: وصَدُّوا الناسَ: صَرَفوهم عن الدينِ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ بخذلانِه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يوفِّقُه.

* * *

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ بالقتلِ والأَسْرِ.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّۖ﴾ أشدُّ شَقّاً للقلبِ.

﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ مانعٍ يمنعُهم من العذابِ: تقدم التنبيهُ على مذاهبِ القراء في (هَادِي)، ومثلُه (وَاقِي)[(٣)].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢١٩).

(٣) عند تفسير الاية (٧) من هذه السورة.

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ مَّثَلُ ﴾ أي: صفةُ ﴿ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ ﴾ كقولهِ تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: الصفةُ العليا.

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ ثمرُها دائمٌ لا ينقطعُ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (أُكْلُهَا) بإسكانِ الكافِ، والباقون: بضمِّها(١).

﴿ وَظِلُّهَا ۚ ﴾ ظليلٌ لا يزولُ، وهو رَدٌّ على الجهميَّةِ حيثُ قالوا: إن نعيمَ الجنةِ يفْنى.

﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ ﴾ أي: مصيرُهم.

﴿ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ لا غيرُ.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ، وهم الصحابةُ رضي الله عنهم.

﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ ﴾ من القرآنِ.

﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ يعني: الكفارَ الذين تَحَزَّبوا على رسولِ الله ﷺ من

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٠).

اليهودِ والنصارى ﴿مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾ أي: بعضَ القرآنِ، وهو ما يخالفُ شرائِعَهم، أو يوافقُ ما حَرَّفوه منها، قالَ ابنُ عباسٍ: «آمَنَ اليهودُ بسورةِ يوسُفَ، وكفرَ المشركونَ بجميعِهِ»(١).

﴿قُلۡ﴾ يا محمدُ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ﴾ نصباً عطفاً على (أَنْ أَعْبُدَ)؛ أي: أمرت فيما أُوحيَ عليَّ بأَنْ أعبدَ اللهَ، وبأَنْ لا أُشركَ به.

﴿إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ﴾ لا إلى غيرِه ﴿وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾ مَرْجِعي.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ۝٣٧﴾.

[٣٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثلَ هذا الإنزالِ المشتملِ على أصولِ الدياناتِ المجمَعِ عليها ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ﴾ أي: حكمةً مترجمةً بلسانِ العربِ ليسهُلَ لهم فهمُه.

﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ باستقبالِ قبلتِهم بعدَما حُوِّلْتَ عنها.

﴿بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ بأنهم كفارٌ.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ ناصرٍ ﴿وَلَا وَاقٖ﴾ حاجزٍ، وهذا خطابٌ له ﷺ، وتحريضٌ للسامعينَ على التمسُّكِ بالدين. وتقدَّمَ التنبيهُ على مذاهِب القراءِ في (مَآبِي) و(وَاقِي)(٢).

* * *

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٩٥).

(٢) عند تفسير الآية (٧) من هذه السورة.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ولما عيَّره اليهودُ، وقيل: المشركون بكثرةِ الزوجاتِ، واقترحوا عليه الآياتِ، نزلَ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(١) ولم نجعلْهم ملائكةً.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ ولم يكنْ في وُسْعِهِ.

﴿ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فإنه القادرُ على ذلك.

﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ ﴾ أمرٍ قضاهُ اللهُ ﴿ كِتَابٌ ﴾ وقتٌ معلومٌ يقعُ فيه.

* * *

﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ من الشرائعِ بنسخِها ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما يَشاءُ فيتركُهُ غيرَ منسوخ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وعاصمٌ، ويعقوبُ: (وَيُثْبِتُ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أصلُه؛ يعني: اللوحَ المحفوظَ، فلا يُبَدَّلُ فيه ولا يُغَيَّرُ.

* * *

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ في حياتِكَ يا محمدُ.

﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ من إنزالِ العذابِ بهم.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٦).

﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبلَ ذلكَ، فلا تحزنْ.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ تبليغُ الرسالةِ لا غيرُ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ والجزاءُ يومَ القيامةَ، قال ابنُ عباسٍ: «نُسِخَتْ بآيةِ السيفِ وفرضِ الجهادِ»[1].

* * *

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)﴾.

[٤١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أهلُ مكةَ ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بفتحِ ديارِ الشركِ، فما زادَ في بلادِ الإسلامِ، نقصَ من بلادِ الشركِ، أفلا يعتبرون؟

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ﴾ لا ناقض[2] ﴿لِحُكْمِهِ﴾ والمعنى: إنه حكمَ للإسلامِ بالإقبالِ، وعلى الكفرِ بالإدبارِ ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فيحاسبُهم عمَّا قليلٍ في الآخرة بعدَما عَذَّبَهم بالقتلِ والإجلاءِ في الدنيا.

* * *

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢)﴾.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: كادوا أنبياءَهم، والمكرُ: إيصالُ

---

(١) تقدم تخريجه. وانظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٠).

(٢) «لا ناقض» سقط من «ش».

المكروهِ إلى الإنسانِ من حيثُ لا يشعرُ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ أي: عندَ اللهِ جزاءُ مكرِهم، لا يغلبه أحدٌ على مرادِه.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ تنبيهٌ وتحذيرٌ في طَيِّ إخبارٍ، ثم توعَّدَهم بقوله:

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾: قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (الْكَافِرُ) على التوحيدِ؛ إرادةً للجنسِ، وقرأ الباقون: (الْكُفَّارُ) على الجمعِ[1] ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ الآخرة، فيدخلُ المؤمنون الجنةَ، والكافرون النار.

* * *

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هم أهلُ الكتابِ:

﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ من اللهِ، وإنما أنت مُدَّعٍ.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ لما أظهرُ من الأدلةِ على رسالتي.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: مؤمني أهلِ الكتابِ يشهدون بنعتي في كتبِهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢١).

سُورَةُ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام

مَكِّيَّةٌ، إلا من قولِه: ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾، وآيُها: ثلاث وخمسونَ، وحروفُها ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وأربعةٌ وثلاثون حرفاً، وكَلِمُها: ثمانُ مئةٍ وثلاثون كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ الٓر ﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليه، ومذاهبُ القراءِ فيه في أولِ سورة يونَس(١) ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ رفعٌ على خبرِ ابتداءٍ مضمرٍ تقديرُه: هذا كتابٌ.

﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ صفةٌ لكتاب ﴿ إِلَيْكَ ﴾ يا محمُد، وهو القرآنُ.

﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾ بالدعاءِ والإنذارِ، وعَمَّ الناسَ؛ إذ هو مبعوثٌ إلى جميعِ الخلقِ.

﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ الكفرِ ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الإيمانِ ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بتسهيلِه وتمكينِه لهم.

---

(١) الآية (١) منها.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ إلى دينِ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالبِ.

﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المستحقِّ للحمدِ.

* * *

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿ٱللَّهِ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (اللهُ) بالرفع على القطعِ على الابتداءِ، وخبرُه (الذي)، ويصحُّ رفعُه على تقديرِ: هو الله الذي، وافقَهم رويسٌ راوي يعقوبَ في الابتداءِ خاصة، وإذا وصلَ خَفَضَ، وقرأ الباقون: بالخفضِ في الحالين نعتاً للعزيزِ الحميدِ، وقال أبو عمروٍ: والخفض على التقديمِ والتأخيرِ، مجازُه: إلى صراطِ اللهِ العزيزِ الحميدِ[1].

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ﴾ أي: شِدَّةٌ وبلاءٌ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يلقونَهُ.

﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وعيدٌ لمن كفرَ ولم يخرجْ من الظلماتِ إلى النور.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ يُؤْثِرون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٢٧ـ٢٢٨).

﴿ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ يأخذونَ ما تعجَّل منها تهاوناً بأمرِ الآخرةِ.

﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يمنعونَ الناسَ عن الإيمان ﴿ وَيَبۡغُونَهَا ﴾ يطلبونَها؛ أي: سبيلَ اللهِ ﴿ عِوَجًاۚ ﴾ زَيْغاً ومَيْلاً عن الحقِّ.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ ووصفُ الضلالِ بالبعدِ عبارةٌ عن تعمُّقِهم فيه، وصعوبةِ خروجهم.

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ بلغتِهم؛ ليفهموا عنه، وقد بُعث النبيُّ ﷺ من العربِ بلسانِهم، والناسُ تبعٌ لهم، وبَعَثَ رسلَه منهم إلى الأطرافِ يترجمون لكلِّ قومٍ بلغتِهم.

﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ ما أُمروا به، فتلزمُهم الحجةُ ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ بالخذلانِ ﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ بالتوفيقِ.

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ فلا يُغْلَبُ على مشيئتِهِ.

﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ الذي لا يُضِلُّ ولا يَهْدي إلا بحكمةٍ.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ وهي العصا، واليدُ، وسائرُ التسعِ.

﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بالدعوةِ.

﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ تقدَّمَ تفسيرُهما قريباً.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: وقائعِه في الأممِ الماضيةِ من الكفارِ، وأَنْعُمِهِ عليهم وعلى غيرِهم من أهلِ طاعتِه، وعَبَّرَ عن النعمِ والنقمِ بأيامٍ؛ إذْ هي في أيام.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلاءِ.

﴿شَكُورٍ﴾ للنعماءِ، وفيه تنبيهٌ على أَن الصبرَ والشكرَ عنوانُ المؤمنِ.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُذيقونَكُم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدَّهُ وأسوأَهُ.

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ وقال هنا (يَذْبِّحُونَ)، وفي البقرةِ بغيرِ واو؛ فحيثُ طرحَ الواوَ، فَسَّرَ العذابَ بالتذبيحِ، وحيثُ أثبتَها، جعلَ التذبيحَ جنساً مستقلاً بنفسِه، فعطفه على العذابِ يوضِّحُه.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴾ يتركوهن أحياءً.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ والبلاءُ في هذهِ الآيةِ يحتملُ أن يريدَ به المحنةَ، ويحتملُ أن يريدَ به الاختبارَ، والمعنى متقاربٌ.

* * *

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ ﴾ .

[٧] ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ أي: أعلمَ ﴿ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ يا بني إسرائيل نِعَمي، ووَحَّدْتموني ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ من فَضْلي وثَوابي.

﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ إحساني إليكم ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ فلَعَلِّي أُعَذِّبُكم على الكفرِ عذاباً شديداً، ومن عادةِ أكرمِ الأكرمينَ أن يصرِّحَ بالوعدِ، ويُعرِّضَ بالوعيدِ.

* * *

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ ﴾ .

[٨] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ من الثقلينِ.

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾ عن خلقِه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ يستوجبُ المحامدَ كلَّها، دائمٌ في ذلكَ في ذاتِه وهذا القولُ يتضمَّنُ عظمتَه تعالى، وتحقيرَهم وتوبيخَهم.

* * *

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ ﴾ .

[٩] ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾ من كلامِ

موسى عليه السلام ﴿ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ المعنى: لكثرتهم لا يُحصى: عددهم إلا اللهُ. لَمَّا قرأ ابنُ مسعودٍ هذهِ الآيةَ، قالَ: «كذبَ النَّسَّابونَ من بعدُ»[(١)]؛ يعني: أن النسابين يدعون علمَ الأنسابِ، وقد نفى تعالى علمَها إلا عنهُ، وقالَ ابن عباس: «بين إبراهيم وبينَ عدنانَ ثلاثونَ قرناً، لا يعلمُهم إلا الله»[(٢)].

﴿ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدلالاتِ الواضحات. قرأ أبو عمروٍ: (رُسْلُهُمْ) (لِرُسْلِهِمْ) وشبهَه بإسكانِ السين، والباقون: بضمها[(٣)].

﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ عَضُّوا أناملَهم غيظاً على الرسلِ.

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ ﴾ على زَعْمِكم.

﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ ﴾ من الإيمانِ ﴿ مُرِيبٖ ﴾ موجبِ الريبةَ.

* * *

﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾ هذا استفهامٌ بمعنى نفيِ

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٧). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٤٧).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٠ـ٢٣١).

ما اعتقدوه، والشكُّ: ما استوى طَرَفاهُ وهو الوقوفُ بينَ الشيئينِ لا يميلُ القلبُ إلى أحدِهما.

﴿فَاطِرِ﴾ أي: خالقِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمانِ والتوبةِ ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ شيئاً ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ وهو ما بينَكُم وبينَه تعالى؛ فإنَّ الإسلامَ يَجبُّـهُ دونَ المظالمِ.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (وَيُوَخِّرَكُمْ) وشبهَه بفتحِ الواوِ بغير همزٍ، والباقونَ: بالهمز[1].

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ وهو الموتُ، فلا يعاجلُكم بالعذابِ والهلاكِ ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فضلَ لكم علينا، وإنما.

﴿تُرِيدُونَ﴾ بقولِكم ﴿أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ﴾ برهانٍ ﴿مُّبِينٍ﴾ ظاهرٍ على صدقِكم.

* * *

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] فثَمَّ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ معترفةً بالبشريةِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣١).

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ بالنبوةِ والتوحيدِ.

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليسَ في استطاعتِنا أن نأتيَ بما اقْتَرحْتُموه، وإنما هو أمرٌ متعلِّقٌ بمشيئةِ الله تعالى، فيخُصُّ كلَّ نبيٍّ بنوعٍ من الآياتِ.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ واللامُ في قوله (فَلْيَتوكَّلِ) لأُم الأمرِ، وسُكِّنَتْ طلباً للتخفيف، ولِكثرةِ استعمالِها، وللفرقِ بينها وبين لامِ (كَيْ) التي أُلزمَتِ الحركةَ إجماعاً.

* * *

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ﴾ المعنى: وأيُّ عذرٍ لنا في تركِ التوكل.

﴿عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ بيَّنَ لنا طرقَ النجاة. قرأ أبو عمرٍو: (سُبْلَنَا) بإسكانِ الباءِ، والباقون: بضمها[(١)]. ثم أقسموا أن يقعَ منهم الصبرُ على الأذيَّةِ في ذاتِ الله فقالوا:

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ في أبدانِنا وأعراضِنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لِيَثْبُتَ الثابتونَ.

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٩ـ٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣١ـ٢٣٢).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ ﴾ لَتَصِيرُنَّ.

﴿ فِى مِلَّتِنَا ۖ ﴾ حَلَفوا على أن يكونَ أحدُ الأمرين، وليسَ المرادُ الرجوعَ، لأنهم لم يكونوا في مِلَّتهم قطُّ، وإنما هو بمعنى الصيرورة.

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي: إلى رسلِهم: ﴿ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: أرضَهم.

﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ﴾ من بعدِ هلاكِهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الإسكانُ.

﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى ﴾ أي: موقفَ الحسابِ.

﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ بالعذابِ. قرأ ورشٌ عن نافعٍ (وَعِيدي) بإثباتِ الياءِ وصلاً، ويعقوبُ: بإثباتها في الحالين، وحذفَها الباقونَ فيهما[١].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٢).

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ ﴾ أي: سأل الأنبياءُ النصرَ ﴿ وَخَابَ ﴾ خسرَ .

﴿ كُلِّ جَبَّارٍ ﴾ الذي يجبرُ الخلق على مرادِه ﴿ عَنِيدٍ ﴾ معاندٍ للحق. قرأ حمزةُ: (خَافَ) و(خَابَ) بالإمالةِ(١) .

***

﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ أي: أمامه ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ يُلْقى فيها .

﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾ هو ما يسيلُ من جلودِ أهلِ النارِ من القيحِ والدَّمِ .

***

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧ ﴾ .

[١٧] ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ يتكلَّفُ جَرْعَهُ .

﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ أي: يُجوِّزُه حَلْقَهُ .

﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ أي: كأن أسبابَ الموتِ أحاطَتْ به من جميعِ جهاتِه .

﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ فيستريح .

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٣).

﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: بين يديهِ في كُلِّ وقتٍ يستقبلُه.

﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وهو الخلودُ في النار.

***

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿ مَّثَلُ﴾ أي: صفةُ.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التقديرُ: مثلُ أعمالِ الذين كفروا.

﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: قَوِيَتْ عليه ففرَّقَتْهُ.

﴿ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾ ريحُهُ، فحُذِفَتِ الريحُ، ووُصِفَ اليومُ بالعصوفِ مجازاً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (الرِّيَاحُ) على الجمع، والباقون: بالإفراد(١). وهذا مثلٌ ضربَهُ اللهُ لأعمالِ الكفارِ، يريدُ أنهم لا ينتفعون بأعمالِهم التي عملوها في الدنيا؛ من الصدقةِ، وصلةِ الرحمِ، وإغاثةِ الملهوفِ، لأنهم أشركوا فيها غيرَ الله، فهي كالرمادِ الذي ذرتْهُ الريحُ، لا ينتفعُ به، فذلك قوله:

﴿ لَّا يَقْدِرُونَ﴾ في الآخرةِ ﴿ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ في الدنيا ﴿ عَلَىٰ شَيْءٍۚ﴾ أي: لا ينتفعون ثَمَّ بما صنعوا هنا.

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ الذي لا تُدْركُ غايتُه فيُرجَى الخلوصُ منه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٣)، وهي بخلاف عن عاصم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ به أُمَّتُهُ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (خَالِقُ) بألفٍ وكسرِ اللام ورفعِ القافِ على وزن فاعِل، وجَرِّ ما بعدَهُ إضافةً، وقرأ الباقون: (خَلَقَ) بفتح اللام والقافِ بغيرِ ألفٍ على وزن فَعَلَ، ونصبِ ما بعدَه، إلا أن التاء من السمواتِ تكسر لأنها تاءُ جمع المؤنث[1].

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ لم يخلقْهُنَّ عبثاً سبحانهُ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يُعْدِمْكُم.

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يخلقُه مكانَكم أطوعَ له منكم.

* * *

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ممتنعٍ، بل هو سهلٌ يسيرٌ.

* * *

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٥٤)، و«الكشاف» للزمخشري (٢/ ٣٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨ـ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٤).

﴿لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ٢١﴾.

[٢١] ﴿وَبَرَزُواْ﴾ أي: ويبرزُ الكفارُ من قبورِهم.

﴿لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ أي: لحسابِه.

﴿فَقَالَ﴾ أي: فيقولُ ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ هم الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ عن الإيمانِ، وهم المتبوعون: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ جمعُ تابعٍ، وهو المستنُّ بآثارِ مَنْ يتبعُه.

﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾ دافعونَ.

﴿عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ أي: هل أنتم مُغْنونَ عنا بعضَ شيءٍ هو بعضُ عذابِ اللهِ، فثَمَّ.

﴿قَالُواْ﴾ يعني: القادةَ المتبوعين.

﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإيمان ﴿لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ إليه.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا﴾ الألفُ للتسويةِ، وليستْ بألفِ استفهامٍ، بل هي كقولِه: (أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ)، المعنى: مستوٍ علينا الجزعُ والصبرُ ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ مخلصٍ.

***

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾.

[٢٢] ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ فُرِغَ من الحسابِ، ودخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، قامَ خطيباً في الأشقياء فقالَ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ الذي لا ريبَ فيه، وهو البعثُ والحسابُ، والجنةُ والنارُ، فوفى لكم به.

﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ وعدَ الباطلِ، وهو أنْ لا بعثَ ولا حسابَ، ولا جنةَ ولا نارَ.

﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ كَذَبْتُكم.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ تسلُّطٍ أُلْجِئُكُم به إلى الكفرِ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1] ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾ إلاَّ دعائي إياكُم، وهو استثناءٌ منقطعٌ، تقديره: لكنْ دعوتُكم.

﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ أسرعْتُم إجابتي.

﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ بوسوستي.

﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ حيثُ أطعتموني، ولم تُطيعوا ربَّكم.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ بمغيثِكم.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾ قراءة العامةِ: (بِمُصْرِخِيَّ) بفتحِ الياء، وقرأ حمزةُ: بكسرِها، قالَ ابنُ الجزريِّ: وهو لغةُ بني يربوعٍ، نصَّ على ذلك

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٤).

قُطْرُبٌ، وأجازَها هو والفَرَّاءُ، وإمامُ اللغةِ والنحوِ والقراءةِ أبو عمرِو بنُ العلاء، وقالَ القاسمُ بنُ مَعْنٍ النَّحْوِيُّ: هي صوابٌ، ولا عبرةَ بقولِ الزمخشريِّ وغيرِه مِمَّنْ ضَعَّفَها أَوْ لَحَّنَها؛ فإنها قراءةٌ صحيحةٌ اجتمعتْ فيها الأركانُ الثلاثةُ، وقرأ بها أيضاً يحيى بنُ وَثَّابٍ، وسليمانُ بنُ مهرانَ الأعمشُ، وحمرانُ بنُ أعين، وجماعةٌ من التابعينَ، وقياسُها في النحوِ صحيحٌ، وذلكَ أن الياءَ الأولى، وهي ياءُ الجمع، جَرَتْ مَجرى الصحيحِ لأجلِ الإدغامِ، فدخلتْ ساكنةً عليها ياءُ الإضافةِ، وحُرِّكت بالكسرِ على الأصلِ في اجتماعِ الساكنين، وهذه اللغةُ شائعةٌ ذائعةٌ باقيةٌ في أفواهِ الناسِ إلى اليومِ، يقولون: ما فِيِّ أفعلُ كذا، ويطلقونها في كلِّ ياءاتِ الإضافةِ المدغمِ فيها، فيقولون: ما عَلَيِّ منكَ، ولا إِلَيِّ أمرُك، وبعضُهم يبالغُ في كسرَتِها حتى تصيرَ ياءً، انتهى[1]. وقال الشيطانُ:

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ أي: بإشراكِكم إيايَ في الدنيا معَ اللهِ في الطاعة؛ أي: تبرأْتُ منهُ واستنكرتُه. قرأ أبو عمرٍو، وأبو جعفرٍ: (أَشْرَكْتُمُونِي) بإثباتِ الياءِ وَصْلاً، ويعقوبُ: بإثباتِها في الحالينِ، وحَذَفَها الباقون فيهما.

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تتمةُ كلامِ الخبيثِ.

***

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي:

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨ـ٢٩٩).

من تحتِ ما علا منها؛ كالمباني والأشجارِ ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ دائمينَ فيها.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ﴾ المعنى: أدخلَتْهم الملائكةُ الجنةَ بأمرِ الله تعالى.

﴿تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ أي: يسلِّمُ بعضُهم على بعضٍ، ويسلِّمُ الملائكةُ عليهم.

* * *

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ ألم تعلَمْ.

﴿كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾ هي كلمةُ التوحيدِ.

﴿كَشَجَرَةٖ﴾ أي: كثمرةِ شجرةٍ ﴿طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلةُ.

﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ متمكِّنٌ في الأرضِ ﴿وَفَرۡعُهَا﴾ أغصانُها مرتفعةٌ.

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: نحوَ السماءِ، كذلك أصلُ هذهِ الكلمةِ راسخٌ في قلبِ المؤمنِ بالمعرفةِ والتصديقِ، فإذا تكلَّمَ بها، صَعِدَتْ نحوَ السماءِ كصعودِ هذهِ الشجرة.

* * *

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾ تُعطي جَناها. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو:

(أُكْلَهَا) بإسكانِ الكافِ، والباقونَ: بضمها[1].

﴿ كُلَّ حِينٍ﴾ أَقَّتَهُ اللهُ لإثمارِها، والحينُ في اللغةِ: الوقتُ، واختلفوا في معناهُ هنا، فقيل: هو سنةٌ؛ لأنَّ النخلةَ تحملُ كلَّ سنةٍ مرةً، وقيلَ: ستةُ أشهرٍ؛ لأن ذلكَ مدةُ إطلاعِها إلى وقتِ صِرامِها.

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بإرادةِ خالقِها، كذلكَ عملُ المؤمنِ يصعدُ كلَّ وقتٍ، وشُبِّهَ الإيمانُ بالشجرةِ؛ لأنَّ الشجرةَ لا بدَّ لها من أصلٍ ثابتٍ، وفرعٍ قائمٍ، ورأسٍ عالٍ، كذلكَ الإيمانُ لا بدَّ له من تصديقٍ بالقلبِ، وقولٍ باللسانِ، وعملٍ بالأبدانِ.

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بضربِ الأمثالِ؛ لأن فيها زيادةَ إفهامٍ لذوي العقولِ والأفهامِ.

* * *

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمةُ الشِّرْكِ.

﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحَنْظَلُ. قرأ الكسائيُّ: (خَبِيثَةٍ) بإمالةِ التاءِ حيثُ وقفَ على هاءِ التأنيثِ.

﴿ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ اسْتُؤْصِلَت قَلْعاً. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٣٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٥).

كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (خَبِيثَةٌ اجْتُثَّتْ) بضمِّ التنوينِ في الوصلِ، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ[1].

﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ استقرارٍ.

***

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ هو قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قبلَ الموتِ ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يعني: في القبرِ، وردَ في الحديثِ: «إِنَّ الرُّوحَ تَعُودُ إِلَى الْمَيِّتِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلاَمُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيَنْتَهِرَانِهِ الثَّانِيَةَ وَيَقُولاَنِ: مَا رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ، فَيَقُولُ: اللهُ رَبِّي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي»، وذلكَ قولُه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ الآية»[2]، وكانَ ﷺ إذا فرغَ من دفنِ الميتِ، وقفَ عليهِ وقالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[3].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٥).

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣)، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٢٨٧١)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ نحوه.

(٣) رواه أبوداود (٣٢٢١)، كتاب: الجنائز، باب: الاستغفار عند القبر للميت في =

﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ ﴾ المشركينَ، فلا يُثَبِّتُهُمْ.

﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ من توفيقٍ وخذلانٍ وغيرِهما، لا اعتراضَ عليه.

* * *

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ أي: شكرَ نعمتِه عليهم في محمدٍ ﷺ.

﴿ كُفْرًا ﴾ كفروا به. واختلافُ القراء في الهمزتينِ من (يَشَاءُ أَلَمْ) كاختلافِهم فيهما من (السُّفَهاءُ أَلَا) في سورة البقرة [الآية: ١٣]، و(نِعْمَت) رُسِمَتْ بالتاءِ في أحدَ عشرَ موضعاً، وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ[١].

﴿ وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾ الذينَ شايعَوهم في الكفرِ.

﴿ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ الهلاكِ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، وورشٌ عن نافعٍ، والدوريُّ عن الكسائيِّ، وابنُ ذكوانَ عنِ ابنِ عامرٍ: (البَوَارِ) بالإمالةِ، واختلِفَ فيه عن حمزةَ، وابنِ ذكوانَ، فرُوي عن الأولِ الإمالةُ بينَ بينَ، وعنِ الثاني الإمالةُ والفتحُ، وقرأ الباقون: بالفتح[٢].

= وقت الانصراف، والحاكم في «المستدرك» (١٣٧٢)، وغيرهما عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: الآية (٢٣٢) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٦).

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) ﴾.

[٢٩] ثمَّ بيَّنَ دارَ البوارِ فقالَ: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها، فيُقاسونَ حرَّها.

﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ المستقرُّ.

* * *

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) ﴾.

[٣٠] ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أمثالاً، وليسَ للهِ نِدٌّ.

﴿ لِيُضِلُّوا ﴾ **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (لِيَضِلُّوا) بفتحِ الياءِ على اللزومِ، واختلِفَ عن رويسٍ راوي يعقوبَ، وليسَ الضلالُ ولا الإضلالُ غرضَهم في اتخاذِ الأندادِ، لكنْ لما كانَ نتيجتَه، كانَ كالغرضِ، **وقرأ** الباقونَ: بالضمِّ؛ أي: لِيُضلوا هم الناسَ[1].

﴿ عَن سَبِيلِهِ ﴾ الذي هو التوحيدُ.

﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا ﴾ في الدنيا بشهواتِكم ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ وعيدٌ وتهديدٌ؛ كقولِه: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت: ٤٠].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١ ﴾.

[٣١] ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وروحٌ عن يعقوبَ: (لِعِبَادِي) بإسكانِ الياء، والباقون: بفتحها[١].

﴿ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي: الصلواتِ الخمسَ.

﴿ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا ﴾ صدقةَ التنفُّلِ.

﴿ وَعَلَانِيَةً ﴾ الزكاةَ المفروضةَ، ونصبُهما على المصدرِ؛ أي: إنفاقَ سرٍّ وعلانيةٍ، وقولُه: (يُقِيمُوا) قالتْ فرقةٌ من النحويينَ: جزمُه بإضمارِ لامِ الأمرِ، وقال فرقةٌ: وهو فعلٌ مضارعٌ يبنى لما كانَ في معنى فعلِ الأمرِ، لأنَّ المرادَ: أقيموا.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ مُخَالَّةٌ؛ أي: مصادَقَةٌ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ: (لاَ بَيْعَ)، (وَلا خِلاَلَ) بالفتحِ وعدمِ التنوينِ، والباقون: بالرفعِ والتنوينِ[٢].

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٧).

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ ٱللَّهُ ﴾ مبتدأٌ، خبرُه ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ تعيشونَ به، وهو يشملُ المطعومَ والملبوسَ.

﴿ وَسَخَّرَ ﴾ ذَلَّل ﴿ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴾ السفنَ.

﴿ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ حيثُ توجَّهتم.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ لانتفاعِكم.

* * *

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ أي: مُتَّصِلَي السيرِ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ يتعاقبان بالزيادةِ والنقصانِ، والإضاءةِ والإظلامِ، والحركةِ والسكون فيهما.

* * *

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ ﴾ أي: بعضِ جميعِ ﴿ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ فإنَّ الموجودَ من كلِّ صنفٍ بعضُ ما في قدرةِ الله.

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ أي: تستوفوا عدَّها. وتقدمَ التنبيهُ على مذاهب القراء في (نِعْمَتَ) ورسمِها.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ ﴾ بالمعصيةِ ﴿ كَفَّارٌ ﴾ لِنِعَمِ ربِّهِ.

***

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَإِذْ قَالَ ﴾ أي: واذكرْ إذْ قالَ ﴿ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ **قرأ** هشامٌ عن ابنِ عامرٍ (إِبْرَاهَامَ) بالألف[(١)]، ومعنى إبراهيم بالسريانية: الأبُ الرحيمُ.

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ﴾ مكةَ ﴿ ءَامِنًا ﴾ يُؤْمَنُ فيه، والفرقُ بينه وبينَ قولِه: ﴿ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦] أن المسؤولَ في الأولِ إزالةُ الخوفِ عنه، وتصييرهُ آمِناً، وفي الثانيةِ جعلُه من البلادِ الآمنة.

﴿ وَٱجْنُبْنِى ﴾ بَعِّدْني.

﴿ وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ جمعُ صَنَمٍ، وهو ما كانَ مُصَوَّراً، والوثنُ ما كانَ غيرَ مصوَّرٍ.

***

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.

---

(١) كما تقدم عنه. وانظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٨).

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: ضَلُّوا بسببهنَّ.

﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على الإسلامِ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ من أهلِ ديني.

﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ ولم يؤمنْ بي ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بتوبتِكَ على الكفرةِ حتى يؤمنوا. قرأ الكسائيُّ (عَصَانِي) بالإمالة(١).

***

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ﴾ قرأ نافعُ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، (إِنِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها(٢).

﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: بعضَ ذريتي، وهم إسماعيلُ ومَنْ وُلِدَ منه، وذلك أن إبراهيمَ عليه السلام لما سارَ إلى مصرَ، ومعه زوجتُه سارةُ، وهبهَا فرعونُ مصرَ هاجرَ، فلما قدمَ إلى الشام، وأقامَ بينَ الرملةِ وإيليا، وكانت سارةُ لا تحمل، فوهبَتْ هاجرَ لإبراهيمَ عليه السلام، فوقعَ عليها، فولدَتْ

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٩).

له إسماعيلَ عليه السلام، ومعناهُ بالعبرانيِّ مُطيعُ اللهِ، وكانَتْ ولادتُه لمضيِّ ستٍّ، وثمانينَ سنةً من عُمْرِ إبراهيمَ، فحزنَتْ سارةُ لذلك، ووهبَها اللهُ إسحَقَ، وولدَتْهُ ولها تسعونَ سنةً، ثم غارَتْ سارةُ من هاجرَ وابنِها، وطلبتْ من إبراهيمَ أن يُخْرِجَهما عنها، فسارَ بهما إلى الحجاز، وتركَهما بمكةَ بإذنِ اللهِ تعالى، وليس بمكةَ يومئذٍ أحدٌ، ولا بها ماءٌ، ووضعَ عندَهما جراباً فيه تمرٌ، وسقاءً فيه ماءٌ، ثم قَفَّى إبراهيمُ منطلقاً، فتبعَتْه أمُّ إسماعيلَ فقالَتْ: يا إبراهيمُ! أينَ تذهبُ وتترُكُنا بهذا الوادي الذي ليسَ فيه أنيسٌ ولا شيء؟ وقالتْ له ذلكَ مِراراً، وهو لا يلتفِتُ إليها، فقالت له: آللهُ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: نعم، فقالت: إذاً لا يُضَيِّعُنا الله، ثم رجعتْ، فانطلق إبراهيمَ عليه السلام، حتى إذا كانَ عندَ الثنيةِ حيثُ لا يرونهُ، استقبلَ القبلةَ بِوَجْهِه، ثم دعا بهؤلاءِ الدَّعواتِ، ورفعَ يديهِ فقال:

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ يعني: وادي مكةَ؛ لأنها حجريةٌ لا تُنبتُ ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ سماه محرَّماً لأنه يحرم عندَهُ ما لا يحرُمُ عندَ غيره.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ واللامُ لامُ (كي)، وهي متعلقة بـ(أسكنتُ).

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾ أي: قلوباً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ (أَفْئِيدَةً) بياءٍ بعدَ الهمزةِ[1]، و(مِنْ) للتبعيضِ؛ أي: أفئدةً من أفئدةِ الناسِ، قالَ مجاهدٌ: لو قالَ: (أَفْئِدَةَ النَّاسِ)، لزاحَمَتْهم فارسُ والرومُ والتركُ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٩ـ٣٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٩).

والهندُ، وقال سعيدُ بنُ جبير: لحجَّ اليهودُ والنصارى والمجوسُ، ولكنَّه قالَ: (أفئدةً من الناسِ)، فهم المسلمون[1].

﴿تَهْوِىٓ﴾ تميلُ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ وتقصدُهم بسرعة.

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ما رزقْتَ سكانَ القرى ذواتِ الماءِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ تلكَ النعمةَ، فأجابَ اللهُ دعوتَهُ، وجعله حَرَماً آمناً يُجبى إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ.

ورُويَ أنَّ الطائفَ كانتْ من مدائنِ الشام بأُرْدُنّ، فلما دعا إبراهيمُ بهذا الدعاء، أمرَ اللهُ جبريلَ عليه السلام حتى قَلَعَها من أصلِها، فأدارَها حولَ البيتِ سَبْعاً، ووضعَها قريبَ مكةَ، وبهذهِ القصَّةِ سُمِّيَت الطائفَ، وهو موضعُ ثَقيف، ومنها أكثرُ ثمراتِ مكةَ.

وجعلَتْ أمُّ إسماعيلَ تُرضعه وتشربُ من ذلكَ الماءِ حتَّى إذا نَفِدَ ما في السقاءِ، وعطشَتْ، وعطشَ ابنُها، وجعلَتْ تنظرُ إليه يتلوَّى، فانطلقتْ كراهةَ أن تنظرَ إليه، فوجدتِ الصفا أقربَ جبلٍ في الأرض يَليها، فقامَتْ عليه، ثم استقبلتِ الواديَ تنظُر إليهِ هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطَتْ من الصفا، حتى إذا بلغتِ الواديَ رفعتْ طرفَ درعِها، ثم سَعَتْ سعيَ الإنسانِ المجهودِ حتَّى جاوزتِ الواديَ، ثم أَتَتِ المروةَ، فقامتْ عليها ونظرتْ هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، ففعلتْ ذلكَ سبعَ مراتٍ، قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: قالَ النبيُّ ﷺ: «فَلِذَلِكَ سَعَى النَّاسُ بَيْنَهُمَا»، فلما أشرفتْ على المروةِ، سمعتْ صوتاً فقالت: مَهْ؛ تريدُ نفسَها، ثم تسمَّعَتْ،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٧).

فسمعتْ أيضاً، فقالتْ: قد أَسْمعْتَ إنْ كانَ عندَكَ غوثٌ، فإذا هي بالمَلَكِ عندَ موضعِ زمزم، فبحثَ بعقِبه، أو قالَ بجناحِه حتى ظهرَ الماءُ، فجعلَتْ تُحَوِّضُهُ وتقولُ بيدِها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماءِ في سقائِها، وهي تقولُ بعدَما تغرفُ: زَمْ زَمْ، قالَ ابن عباس: قالَ النبيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أو قال: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ، لَكَانَ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً».

قال: فشربتْ وأرضعتْ ولدَها، فقالَ لها الملَكُ: لا تخافي الضَّيْعَةَ؛ فإنَّ هاهنا بيتَ اللهِ عز وجل يَبْنيه هذا الغلامُ وأبوه، وإن اللهَ عز وجل لا يُضَيِّعُ أهلَه، وكان البيتُ مرتفعاً من الأرضِ كالرابيةِ تأتيهِ السيولُ فتأخذُ عن يمينِه وشمالِه، فكانَ كذلكَ حتَّى مَرَّتْ بهم رُفْقَةٌ من جُرْهُم مُقبلينَ من طريقِ كُدَيٍّ، فنزلوا في أسفلِ مكةَ، فرأوا طائراً عائِفاً، فقالوا: إن هذا الطائرَ لَيدورُ على ماءٍ، لَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ، فأرسلوا جَرِيّاً أَوْ جَرِيَّيْنِ، فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء، فأقبلوا وأمُّ إسماعيلَ عندَ الماءِ، فقالوا: أتأذنينَ لنا أن ننزلَ عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حَقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم، ورُوي أنهم قالوا: أَشْرِكينا في مائك نُشْرِكْكِ في ألبانِنا، ففعلتْ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم، حتى إذا كانَ بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشبَّ إسماعيلُ عليه السلام وتعلَّمَ العربيةَ منهم، أعجَبَهم حينَ شَبَّ، فلما أدركَ زَوَّجوهُ امرأةً منهم، وماتتْ هاجرُ، وجاءَ إبراهيمُ عليه السلام مكةَ[1]، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِه مستوفىً، وبناءُ الكعبةِ

(١) رواه البخاري (٣١٨٤)، كتاب: الأنبياء، باب: «يزفُّون»، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

الشريفةِ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [الآية: ١٢٥].

* * *

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾.

[٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي﴾ من فراقِ إسماعيلَ وأُمِّهِ.

﴿وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ نُظْهِرُ من التجلُّدِ لِسارةَ.

﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لأنه العالِمُ بعلمٍ ذاتِيٍّ تستوي نسبتُه إلى كلِّ معلومٍ، و(مِنْ) للاستغراق.

* * *

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾.

[٣٩] ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أَعْطاني.

﴿عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ وتقدَّمَ أن إسماعيلَ وُلِدَ لمضيِّ ستٍّ وثمانينَ سنةً من عمرِ أبيه، وأما إسحاقُ ولدَ لمضيِّ تسعينَ سنةً من عمرِ أبيه، وقيلَ غيرُ ذلك، وتقدَّم ذكرُ إسماعيلَ وإسحاقَ، ومقدارُ عمرِهما في سورةِ البقرة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ لَمجيبُهُ.

* * *

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾.

[٤٠] ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مُتَمِّمَها.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ وبعضِ؛ لأنه علمَ أنَّ من ذُرِّيته من لا يؤمنُ.

﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ أثبتَ أبو عمرٍو، أبو جعفرٍ، وورشٌ، حمزةُ الياءَ في (دُعَائِي) وصلاً، وفي الحالينِ يعقوبُ والبزيُّ، واختلِفَ عن قنبلٍ وصلاً ووقفاً، وحذفَها الباقونَ في الحالين[1].

* * *

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ قيل: استغفرَ لهما وهما حَيَّانِ رجاءَ إسلامِهما، وقيلَ: إن أُمَّهُ أسلمَتْ، فأرادَ إسلامَ أبيه.

﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ﴾ أي: يَثْبُتُ ﴿ ٱلْحِسَابُ ﴾.

* * *

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ثم وعدَ المظلومَ وأوعدَ الظالم فقالَ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ ﴾ الخطابُ للنبيِّ ﷺ، والمرادُ بالنهيِ غيرُه ممَّنْ يليقُ به أن يحسبَ مثلَ هذا، والغفلةُ معنىً تمنعُ الإنسانَ منَ الوقوفِ على حقيقةِ الأمورِ، واستدلَّ بعضُهم على قيامِ الساعةِ بموتِ المظلومِ مظلوماً، ورُوي أنه وُجِدَ على جدارِ صَخْرَةِ بيتِ المقدسِ:

نَامَتْ عُيُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٠).

﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ بالياء. قراءة العامة: (يُؤَخِّرُهُمْ) بالياء؛ أي: اللهُ تعالى، وأبو جعفرٍ، وورشٌ ينصبان الواوَ بغيرِ همزٍ، وقرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (نُؤَخِّرُهُمْ) بنونِ العظَمَةِ[1].

﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ ﴾ أي: لا تغمضُ.

﴿ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ من هولِ ما تراهُ من ذلكَ اليوم.

***

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعينَ في خوفٍ ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ أي: رافعِيها.

﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ أي: لا تغمضُ عينُهم فهي شاخصةٌ.

﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ أي: صِفْرٌ من الخير، لا تعي شيئاً؛ لخوفِها، ويقالُ لكلِّ أجوفٍ خالٍ: هواءٌ، فكأنه سُمِّي بذلكَ لحلولِ الهواءِ فيه.

***

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ يا محمدُ ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ وهو يومُ القيامةِ.

﴿ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أشركوا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٤/ ٣٧٠)، و«إملاء ما منَّ به الرحمن» للعكبري (٢/ ٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠، ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٢).

﴿ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ ﴾ أَمْهِلْنا ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ ﴾ أي: رُدَّنا إلى الدنيا.

﴿ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ ﴾ إلى التوحيدِ.

﴿ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ ﴾ فيما جاؤونا به، فيجابون توبيخاً على إنكارِهم البعثَ:

﴿ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم ﴾ حلفتُم ﴿ مِّن قَبۡلُ ﴾ في الدنيا.

﴿ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ عنها؟!

* * *

﴿ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَسَكَنتُمۡ ﴾ قَرَرْتُمْ ﴿ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ كقومِ نوحٍ وعادٍ ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ ﴾ عَرَفْتُم عقوبتَنا إياهم ﴿ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ من أحوالِهم؛ أي: بيَّنَّا لكم أنكم مثلُهم في الكفرِ واستحقاقِ العذابِ.

* * *

﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ ﴾ وهو تكذيبُ الرسل.

﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ ﴾ أي: محفوظٌ عندَهُ يجازيهم عليه.

﴿ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ ﴾ أي: قريشٍ ومتقدمي الكفارِ.

﴿ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾ قراءة العامة: (لِتَزُولَ) بكسرِ اللامِ الأولى وفتح

الثانية، معناه: لم يكنْ مكرُهم بمزيلٍ الجبالَ، وقرأ الكسائيُّ بفتحِ اللام الأولى وضمِّ الثانية[1]؛ أي: إنَّ مكرَهم وإنْ عَظُمَ حتى بلغَ بمحلٍّ يزيلُ الجبالَ لم يقدِروا على إزالةِ أمرِ محمدٍ ﷺ.

وروي أن الآيةَ نزلَتْ في نمرود الجبارِ الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه، قال النمرودُ: إنْ كانَ ما يقولُ إبراهيمُ حقاً، فلا أنتهي حتى أعلمَ ما في السمواتِ، فبنى صرحاً عظيماً ببابلَ، ورامَ الصعودَ إلى السماءِ ينظرُ إلى إله إبراهيمَ، واختلِفَ في طولِ الصَّرحِ في السماء، فقيل: خمسةُ آلافِ ذراعٍ، وهو قولُ ابنِ عباسٍ، ووَهْبٍ، وقيل: فرسخانِ، وهو قولُ كعبٍ، ومقاتلٍ، ثم عمدَ إلى أربعةِ أفراخٍ من النسورِ، وأطعمَها اللحمَ والخبزَ حتى كبَرتْ، ثم قعدَ في تابوتٍ ومعه غلامٌ له، وقد حملَ القوسَ والنشَّابَ، وجعلَ لذلكَ التابوتِ باباً من أعلاه، وباباً من أسفلِه، ثم ربطَ التابوتَ بأرجلِ النسورِ، وعلَّق اللحمَ على عصًا فوقَ التابوتِ، ثم خَلَّى عن النسورِ فَطِرْنَ طمَعاً في اللحمِ حتى أَبْعَدْنَ في الهواءِ، وحالتِ الريحُ بينَها وبينَ الطيرانِ، وقالَ لغلامه: افتحِ البابَ الأعلى فانظرْ ففتحَ، فإذا السماءُ كهيئتِها، وفتحَ البابَ الأسفلَ فإذا الأرضُ سوداءُ مظلمةٌ، ونودي: أيها الطاغي! أين تريد؟! فأمرَ عند ذلكَ غلامَه فرمى بسهمٍ، فعادَ إليه السهمُ متلطِّخاً بالدم، فقال: كُفِيتُ شُغْلَ إلهِ السماءِ، واختلِفَ في ذلكَ السهمِ بأيِّ شيءٍ تَلَطَّخَ؟ فقيل: من سمكةٍ في السماءِ، من بحرٍ معلَّقٍ في الهواء، وقيل: أصابَ طيراً من الطيورِ فتلطخ بدمِه، ثم أمرَ نمرودُ غلامَه أن يضربَ العصا، وينكسَ اللحمَ، ففعل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٣).

ذلك، فهبط النسورُ بالتابوتِ، فسمعت الجبالُ حفيفَ التابوتِ والنسورِ، ففزعَتْ، وظنتْ أن حدثَ في السماءِ أمرٌ، أو أنَّ الساعةَ قد قامت، فكادتْ تزولُ عن أماكِنها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ ثم أرسلَ اللهُ ريحاً على صرحِ نمرود، فألقتْ رأسَه في البحر، وانكفأتْ بيوتُهم، وأخذت النمرودَ الرجفةُ، وتبلبلَتْ ألسنةُ الناسِ حينَ سقطَ الصرحُ من الفزعِ، فتكلموا بثلاثةٍ وسبعينَ لساناً، فلذلك سميت: بابِل؛ لتبلبلِ الألسنِ بها، وكانَ لسانُ الناسِ يومئذٍ بالسريانيةِ[1].

***

﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ﴾ في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ تقديُره: فلا تحسبنَّ اللهَ مخلِفَ رسلِه وعدَهُ من النصرِ لأوليائِه، وهلاكِ أعدائِه، وهذا تثبيتٌ للنبيِّ ﷺ ولغيرِه من أُمَّتِهِ، المعنى: لا تحسَبْ يا محمدُ أنتَ ومن اعتبرَ بالأمرِ من أمتكَ أنَّ اللهَ لا ينجِزُ ميعادَه في نصرةِ رسلهِ ومعاقبةِ مَنْ كفرَ بهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ﴾ غالبٌ لا يُدافَعُ.

﴿ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ من الكَفَرَةِ، لا سبيلَ إلى عفوِهِ عنهم.

***

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٦٩).

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تبدَّلُ أوصافُها بتغيرِ آكامِها وآجامِها وأشجارِها ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ أيضاً تُبَدَّلُ بزوالِ شمسِها وقمرِها، وكونِها مرةً كالدِّهانِ، ومرةً كالمُهْلِ.

﴿ وَبَرَزُوا۟ ﴾ خرجوا من قبورِهم ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ أي: لحسابه. **قرأ** أبو عمرٍو، وورشٌ عن نافعٍ، والدوريُّ عن الكسائيِّ: (القَهَّارِ) بالإمالةِ حيثُ وقعَ، واختلِفَ عن حمزةَ وابنِ ذكوانَ[1].

***

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ ﴾ أي: مقرونينَ مع شياطينِهم.

﴿ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ القيودِ، واحِدُه صَفَدٌ.

***

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ سَرَابِيلُهُم ﴾ قُمُصُهُمْ.

﴿ مِّن قَطِرَانٍ ﴾ وهو عصارةُ شجرٍ تسمَّى الأَبْهُلَ يُستخرَجُ بالنارِ، وهو كريهُ اللونِ والطعمِ والرائحةِ، سريعُ الالتهابِ، تُطْلَى به الإبلُ الجَرْبى، فيحرقُ الجربَ والجلدَ، تُطلى به جلودُ الكفارِ فيصيرُ قُمُصاً لهم، فيضطرِمُ عليهم

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٤).

ناراً. قراءة العامة: بفتحِ القاف وكسر الطاءِ على كلمةٍ واحدةٍ، وقرأ يعقوبُ بروايةِ زيدٍ: (قِطْرٍ) بكسر القاف وسكون الطاء وتنوينِ الراء (آنٍ) بهمزةٍ مقطوعةٍ ممدودة على كلمتين؛ أي: من نحاسٍ مُذابٍ انتهى حَرُّهُ[(١)]، وأبو عمرٍو يُدغم الدالَ من (الأَصْفَادِ) في السينِ من (سَرَابِيلُهُمْ)[(٢)].

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ﴾ أي: تُغَطِّيها.

﴿ٱلنَّارُ﴾ لأنهم لم يتوجَّهوا بها إلى الحقِّ.

* * *

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خيرٍ وشرٍّ، تلخيصُه: برزوا للجزاءِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: فاصلُه بينَ خلقِه بالإحاطةِ التي له بدقيقِ أمورِهم وجليلِها.

* * *

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآنُ ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ كفايةٌ لهم ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٢)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ٧٠)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٤-٢٤٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٤).

لِيُخَوَّفوا به ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ﴾ بالحجَجِ التي أقامَها اللهُ تعالى.

﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريكَ له ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾ ليتَّعِظَ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوو العقولِ.

روي أن قولَه: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ نزلت في أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه[1]، واللهُ أعلمُ.

* * *

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ٣٨٦).

سورة الحجر

مكيةٌ، وآيُها تسعٌ وتسعونَ آيةً، وحروفُها ألفانِ وسبعُ مئةٍ وأحد وسبعونَ حرفاً، وكَلِمُها ستُّ مئةٍ وأربعٌ وخمسونَ كلمةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ١﴾.

[١] ﴿الٓر﴾ تقدَّمَ الكلامُ عليه، ومذاهبُ القراء فيه أولَ سورةِ يونسَ(١) ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ﴾ أي: وآياتُ قرآنٍ.

﴿مُّبِينٍ﴾ يُبيِّنُ الحقَّ من الباطلِ، والحلالَ من الحرامِ، عطفُ القرآنِ على الكتابِ، وإن كان هو هو؛ لاختلافِ لفظيهما، وتنكيرُه للتفخيمِ؛ أي: آياتُ الجامعِ؛ لكونِهِ كتاباً كاملاً، وقرآناً يبينُ الرشدَ من الغيِّ بياناً عربياً.

* * *

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ٢﴾.

[٢] ﴿رُّبَمَا﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ: بتخفيف الباءِ، والباقونَ: بتشديدها، وهما لغتان، و(رُبَّ) للتقليلِ، و(كَمْ) للتكثيرِ،

---

(١) الآية (١) منها.

و(رُبَّ) تدخلُ على الاسمِ، و(رُبَّمَا) على الفعل، يقال: رُبَّ رجلٍ جاءني، ورُبَّما جاءني رجلٌ، وأدخل (ما) هاهنا؛ للفعلِ بعدَها[1].

﴿يَوَدُّ﴾ يتمنَّى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يومَ القيامةِ عندَ دخولِهم النارَ، ومعرفتِهم بدخولِ المسلمينَ الجنةَ.

﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ في الدنيا، فينجون النَّجاءَ الذي مانِعُه أن لم يكونوا مسلمين، فإن قيلَ: (ربما) للتقليل، وهذا التمنِّي يكثرُ من الكفار، فالجواب: أنهم إذا شاهدوا أهوالَ يومِ القيامةِ، تذهبُ عقولُهم، فإذا ثابَتْ إليهم عقولُهم، وذلك قليلٌ، سألوا الإسلامَ، ويجوزُ أنهم لما تَمَنَّوا الإسلامَ، فلم ينفعْهم تَمَنِّيهم شيئاً، كان قليلاً؛ لأنه لم تحصلْ به فائدةٌ.

* * *

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)﴾.

[٣] ثم تَهَدَّدَهم بقوله: ﴿ذَرْهُمْ﴾ يا محمدُ.

﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بنيلِ شهواتِ الدنيا.

﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾ أي: يشغلُهم أملُهم لطولِ أعمارِهم عنِ النظر، والإيمانِ باللهِ ورسولِه. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ: (وَيُلْهِهُمُ) بضمِّ الهاءِ الثانيةِ والميمِ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٠).

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وَبالَ صنيعِهم إذا عاينوا جزاءَهُ، والآيةُ منسوخةٌ بآيةِ القتال.

* * *

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ أي: وما أهلَكْنا أهلَ قريةٍ إلا لوقتِ أجلِها المحدودِ، والواوُ في (ولها) لتأكيدِ لصوقِ الصفةِ بالموصوفِ، فيقالُ: جاءني زيدٌ عليه ثوبٌ، وجاءني زيدٌ وعليهِ ثوبٌ.

* * *

﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ المعلوم، (مِنْ) صلةٌ.

﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ عنه.

* * *

﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: مشركي مكةَ للنبيِّ ﷺ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ أي: القرآنُ.

﴿ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي: إنكَ لتقولُ قولَ المجانين حين تَدَّعي أن اللهَ نَزَّلَ عليكَ الذِّكْرَ.

* * *

﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ لَّوْ مَا ﴾ هلاَّ ﴿ تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ ﴾ يشهدون لكَ.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ في دعواكَ.

* * *

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] قال الله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالقرآن. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (نُنَزِّلُ) بنونين، الأولى مضمومةٌ، والثانيةُ مفتوحةٌ، وكسرِ الزاي (الْمَلاَئِكَةَ) بالنصبِ، وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بالتاءِ مضمومةً، وفتحِ النونِ والزاي (الْمَلاَئِكَةُ) بالرفع، وقرأ الباقونَ كذلكَ، غير أنهم يفتحون التاءَ، والبزيُّ عن ابنِ كثيرٍ يشدِّدُ التاءَ وصلاً[١].

﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ و(إذاً) جوابٌ للمشركين، وجزاءُ الشرطِ مقدَّرٌ، تقديرُه: ولو نزَّلْنا الملائكةَ، ما أَخَّرْنا عنهم العذابَ عندَ معاينةِ الملائكةِ.

* * *

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ رَدٌّ لإنكارِهم ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ للقرآنِ ﴿لَحَـٰفِظُونَ﴾ من الزيادةِ والنقصانِ والتبديلِ، وقيل: الضميرُ في (له) راجعٌ إلى محمدٍ ﷺ؛ أي: نحفظُه من الأَسْوأ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٠ـ٣٥١).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ رُسُلاً ﴿ فِي شِيَعِ ﴾ أي: أُمَمِ.

﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ والشيعةُ: هم القومُ المجتمعةُ المتفقةُ كلمتُهم.

***

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ كما فعلوا بكَ، ذَكَرَهُ تسليةً للنبيِّ ﷺ.

***

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما سَلَكْنا الكفرَ والاستهزاءَ بالرسلِ في قلوبِ شيعِ الأولينَ، كذلكَ ﴿ نَسْلُكُهُۥ ﴾ نُدْخِلُهُ.

﴿ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ من أهلِ مكةَ، والسَّلْكُ: إدخالُ الشيءِ في الشيءِ.

***

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ يعني: حتى لا يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ وبالقرآنِ ﴿ وَقَدْ خَلَتْ ﴾ مضتْ.

﴿ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: سنةُ اللهِ فيهم بإهلاكِ مَنْ لم يؤمنْ منهم، وهذا وعيدٌ لأهلِ مكةَ.

***

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾ أي: على هؤلاءِ المقترِحين.

﴿ بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ ﴾ أي: الملائكةُ في البابِ.

﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ يصعَدُون وهم يرونَهم عياناً.

* * *

﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (سُكِرَتْ) بتخفيفِ الكاف؛ أي: حُبِسَتْ ومُنِعَتِ النظرَ، وقرأ الباقون: بتشديدها؛ أي: سُدَّتْ(١).

﴿ بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ بَلْ سحرَنا محمدٌ بذلك.

* * *

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ أي: قصوراً، وهي منازلُ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ السيارةِ، وهي اثنا عَشَرَ برجاً: الحملُ، والثورُ، والجوزاءُ والسَّرطانُ، والأسدُ، والسنبلَةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقَوْسُ، والجَدْيُ، والدَّلْوُ، والحوتُ.

﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ أي: السماءَ بالنجومِ.

﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ المستدِلِّين بها على قدرةِ خالقِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٢).

﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ فلا يقدرُ أن يصعدَ إليها ويطَّلِعَ على أحوالها.

* * *

﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: ولكنْ منِ استرقَ السمعَ؛ أي: اختلَسَهُ سِرّاً.

﴿ فَأَتْبَعَهُۥ ﴾ لَحِقَهُ.

﴿ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ كوكبٌ مضيءٌ، وذلك أنَّ الشياطينَ يركبُ بعضُهم بعضاً إلى السماءِ الدنيا، فَيَسْتَرِقونَ السمعَ منَ الملائكةِ، فَيُرْمَوْنَ بالكواكبِ، فلا يخطىء أبداً، فمنهم من يقتلُه، ومنهم من يحرقُ وجهَهُ أو يدَهُ أو حيثُ شاءَ الله، أو يُخَبِّلُهُ لئلاَّ يعودَ إلى استراقِ السمع، فيصيرُ غولاً في الأرض يغتالُ الناسَ.

عن ابنِ عباسٍ: أنهم كانوا لا يُحْجَبونَ عن السَّمواتِ إلى أن وُلِدَ عِيسى، فَمُنِعوا عن ثلاثِ سمواتٍ، فلما وُلدَ محمدٌ ﷺ، مُنِعُوا عن السمواتِ كلِّها(١).

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٧)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ١٠).

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا ﴾ بَسَطْناها على وجهِ الماءِ، يقال: إنها مسيرةُ خمسِ مئةِ سنةٍ في مثِلها دُحِيَتْ من تحتِ الكعبةِ.

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جِبالاً ثوابِتَ، وقد كانتِ الأرضُ تميدُ إلى أن أرساها بالجبالِ.

﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾ أي: في الأرض.

﴿ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ مقدَّرٍ بما تقتضيه حكمتُه.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ﴾ ما تعيشون به من المطاعِمِ والملابِسِ.

﴿ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾ أي: وجعَلْنا لكم مَنْ لستم له برازقينَ من العيالِ والخدمِ وسائرِ ما يظنون أنهم يرزقونهم ظناً كاذباً، المعنى: اللهُ الرزاقُ، فلا تعتقدوا أنكم تَرْزُقون أحداً.

* * *

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ثم أوضحَهُ بقوله: ﴿ وَإِن ﴾ أي: وما ﴿ مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ أي: و[١] إلا ونحن قادرونَ على إيجادِه.

---

(١) «و» زيادة من «ت».

﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ ﴾ مع كثرته، وتَمَكُّنِنا منه.

﴿ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ بحدٍّ محسوبٍ على قدرِ المصلحةِ.

* * *

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ ﴾ قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (الرِّيحَ) على الإفراد، وعلى تأويلِ الجنس، والباقون: بالجمع[١] ﴿ لَوَٰقِحَ ﴾ حوامِلَ تحملُ الماءَ إلى السحابِ، فهي جمعُ لاقحةٍ، يقال: ناقةٌ لاقحةٌ: إذا حملتِ الولدَ.

﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ فجعلْناه لكم سَقْياً.

﴿ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ أي: ليستْ خزائنهُ في أيديكم.

* * *

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ الباقونَ، والوارثُ من صفاتِ الله.

* * *

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ ﴾ أي: مَنْ تقدَّمَ من الأممِ من لَدُنْ أُهْبِطَ آدمُ إلى الأرضِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٣).

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ أي: بمن تأخَّرَ في الزمنِ إلى يوم القيامة، فنجازي كُلاًّ بعملِه.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْۚ ﴾ جميعاً للجزاءِ.

﴿ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ ﴾ متقنٌ أفعالَه.

﴿ عَلِيمٌ ﴾ بكلِّ شيءٍ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ المرادُ: آدم عليه السلام، سُمِّيَ إنساناً، لأنه عُهِدَ إليهِ فنسيَ، ودخلَ مَنْ بعدَهُ في ذلكَ؛ إذ هو من نسلِهِ.

﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ ﴾ طينٍ يابسٍ غيرِ مطبوخٍ، فإذا طُبِخَ، فهو فَخَّارٌ.

﴿ مِّنْ حَمَإٍ ﴾ جمع حَمْأَةٍ، وهو الطينُ الأسودُ المتَغيِّرُ ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ مصوَّرٍ.

* * *

﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَٱلْجَآنَّ ﴾ هو أبو الجنِّ، كآدم أبو البشرِ، وقيلَ: هو إبليسُ ﴿ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: قبل آدمَ ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ أي: نارِ الحرِّ الشديدِ بالنهار؛ لأنه ينفذُ في المسامِّ.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ واذكرْ وقتَ قولِه ﴿ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ ﴾ أي: سأخلقُ.

﴿ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ والبشرُ آدمُ، وهو مأخوذٌ من البشرِة، وهو وجهُ الجلدِ في الأشْهَرِ منَ القولِ.

* * *

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ ﴾ عَدَّلْتُ خَلْقَه ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ فصارَ بشراً حَيّاً، والروحُ: جسمٌ لطيفٌ يحيا به الإنسانُ، وأضافَه إلى نفسِه تشريفاً إضافةَ خَلْقٍ ومُلْكٍ؛ إلى خالقٍ ومالك؛ أي: من الروحِ الذي هو لي.

﴿ فَقَعُوا۟ ﴾ فاسْقُطوا ﴿ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ سجودَ تحيةٍ لا سجودَ عبادةٍ.

* * *

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ أُكِّدَ بتأكيدينِ؛ للمبالغةِ في التعميمِ ومنعِ التخصيصِ.

* * *

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ استثناءٌ من الملائكةِ؛ لأنه كانَ منهم، وهو الظاهرُ من هذهِ الآيةِ ومن كثيرٍ من الأحاديثِ، وذلك أن الله تعالى أمرَ الملائكة

بالسُّجودِ، ولو لم يكنْ إبليسُ منهم لم يذنبْ في تركِ السجودِ، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ أنه من الملائكةِ على الأصحِّ.

﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ لآدم.

* * *

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢﴾.

[٣٢] ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ كانَ اسمُهُ: عزازيل، فحينئذٍ سماه: إبليسَ؛ من الإبلاسِ، وهو الإبعادُ؛ أي: يا مُبْعَدُ.

* * *

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ أرادَ: أني أفضلُ منه؛ لأنه طينيٌّ، وأنا ناريٌّ، والنارُ تأكلُ الطينَ، وتقدمَ الكلامُ على ذلكَ في سورةِ الأعرافِ.

* * *

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾.

[٣٤] ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنةِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ طريدٌ.

* * *

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فهو ملعونٌ في السماواتِ والأرضِ إلى يومِ الجزاءِ.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ٣٦ ﴾ .

[٣٦] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ من قبورِهم وقتَ النفخةِ الآخِرَة، أرادَ ألاَّ يموتَ .

* * *

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ٣٧ ﴾ .

[٣٧] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ٣٨ ﴾ .

[٣٨] ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ عندَ الله، هو يومُ موتِ الخلائقِ، وهو وقتُ النفخةِ الأولى، ومدةُ موتِ الخبيثِ أربعونَ سنةً قدرَ ما بينَ النفختينِ .

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩ ﴾ .

[٣٩] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ أضلَلْتني، الباءُ للقسم؛ أي: أقسمُ بإغوائِكَ إيايَ ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ حُبَّ الدنيا ومعاصيَكَ .

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ أُضِلَّنَّهم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ واستثنى الخبيثُ المخلَصين؛ لعلمِه أنَّ كيدَه لا يضرُّهم. قرأ الكوفيون، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ: (الْمُخْلَصِينَ) بفتحِ اللامِ حيثُ وقعَ؛ أي: من أخلَصْتَهُ بتوحيدِكَ، فهديتَهُ

واصطَفيتَه، وقرأ الباقون: بكسرها؛ يعني: المؤمنينَ الذين أخلصوا لكَ الطاعةَ والتوحيدَ(١).

* * *

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١﴾.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ أي: الإخلاصُ.

﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ بمعنى إليَّ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ والمعنى: هذا طريقٌ عليَّ بأَنْ أُراعيَه وهو ألاَّ يتبعَكَ المخلَصون. قرأ يعقوبُ: (عَلِيٌّ) بكسرِ اللامِ ورفعِ الياءِ وتنوينِها، من العلوِّ أي: رفيع، وقرأ الباقون: بفتح اللامِ والياءِ من غيرِ تنوينٍ على المعنى الأولِ(٢).

* * *

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢﴾.

[٤٢] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على قلوبِهم.

﴿سُلْطَٰنٌ﴾ قدرةٌ وتسلُّطٌ.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ أي: لكنْ من اتبعَكَ.

﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ لكَ عليهم سلطانٌ.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٤).

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٤).

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ ﴾ لَمصيرُ الغاوينَ ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيدٌ للضمير.

* * *

﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ بعضُها فوقَ بعضٍ؛ لأنَّها سبعُ طباق، أعلاها جهنمُ، ثم لَظَى، ثم الحُطَمَةُ، ثم السَّعِيرُ، ثمَّ سَقَرُ، ثمَّ الجحيمُ، وفيه أبو جهلٍ، ثم الهاويةُ، وأشهرُ منازِلها جهنمُ، وهو موضعُ العصاةِ من المؤمنينَ الذين لا يخلَّدونَ.

﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ ﴾ من إبليسَ وأتباعِه ﴿ جُزْءٌ ﴾ نصيبٌ.

﴿ مَّقْسُومٌ ﴾ للطبقةِ الأولى، وهي العليا، الموحِّدونَ من أهلِ الكبائرِ، وللثانيةِ النصارى، وللثالثةِ اليهودُ، وللرابعةِ الصابئونَ، وللخامسةِ المجوسُ، وللسادسةِ أهلُ الشركِ، وللسابعةِ المنافقون. **قرأ** أبو جعفرٍ: (جُزٌّ) بتشديدِ الزاي بغيرِ همزٍ، **وقرأ** أبو بكرٍ عن عاصمٍ: بضمِّ الزاي مع الهمزِ، والباقون: بإسكان الزاي والهمز[1].

* * *

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ ﴾ بساتينَ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٥٤-٢٥٥).

﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهارٍ. قرأ ابنُ كثيرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ، وأبو بكر عن عاصمٍ: (وَعِيُونٍ) بكسرِ العين، والباقون: بضمِّها[1].

* * *

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي: الجناتِ. قرأ رويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (وَعُيُونٌ ادْخِلُوها) بضمِّ التنوينِ وكسرِ الخاء على ما لم يُسَمَّ فاعلهُ، فهي همزةُ قطعٍ نُقِلَتْ حركتُها إلى التنوينِ، وقرأ الباقون: بضمِّ الخاءِ على أنه فعلُ أمرٍ، والهمزةُ للوصلِ، وهم على أصولِهم في التنوينِ، فأبو عمروٍ، وعاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ يقرؤونَ بكسرِ التنوينِ في الوصلِ، والباقونَ: بالضمِّ بخلافٍ عنِ ابنِ ذكوانَ[2].

﴿بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمينَ من كلِّ آفة، وتسلِّمُ عليكمُ الملائكةُ.

﴿ءَامِنِينَ﴾ من كلِّ مخوفٍ.

* * *

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حِقْدٍ بسببِ عداوةٍ كانَتْ بينَهم في الدنيا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٥).

﴿إِخْوَٰنًا﴾ نصبٌ على الحالِ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ جمعُ سَريرٍ.

﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ في الوجوهِ، إذ الأسرَّةُ متقابلةٌ، فهي أحسنُ في الرتبةِ.

* * *

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾ لا يُصيبُهم ﴿فِيهَا نَصَبٌ﴾ وهو التعبُ.

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فإنّ تمامَ النعمةِ الخلودُ.

* * *

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿۞ نَبِّئْ﴾ أَعْلِمْ يا محمدُ.

﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تابَ. قرأ أبو جعفر: (نَبيِّ) بإسكانِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمز[1]، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمروٍ، وابنُ كثيرٍ: (عِبَادِيَ) (أَنِّيَ) بفتحِ الياءِ فيهما، والباقون: بإسكانها[2].

* * *

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ لمن لم يتب.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللهَ

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٦).

خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً واحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ، ولَوْ يَعْلَمْ الْمُؤمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»[1].

***

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ثم عطفَ على (نَبِّىء عِبَادِي) ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ ﴾ أي: عن خبرِ ضيفِ ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ والضيفُ اسمٌ يقعُ على الواحدِ والجمعِ، والمذكرِ والمؤنثِ، والمرادُ بالضيفِ: الملائكةُ.

***

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ أي: نسلِّم سلاماً.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خائفون؛ لأنهم لم يأكلوا من طعامِهِ.

***

﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ قرأ حمزةُ (نَبْشُرُكَ) بفتحِ النونِ وإسكانِ الباءِ وتخفيفِ الشينِ وضَمِّها، من البِشْرِ، وهو البشرى والبِشارَةُ، وقرأ

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٤)، كتاب: الرقاق، باب: الرجاء مع الخوف، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

الباقون: بضمِّ النونِ وفتح الباءِ وتشديدِ الشينِ مكسورةً من بَشَّرَ المضعَّفِ على التكثيرِ[1].

﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ في صغرِه، حكيمٍ في كبِره، وهو إسحاقُ عليه السلام.

* * *

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] فتعجَّبَ إبراهيمُ من أن يُولَدَ لهُ مع كِبَرِه وكبر امرأتِهِ.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولدِ ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: على حالَ الكِبَرِ.

﴿فَبِمَ﴾ فبأيِّ شيءٍ ﴿تُبَشِّرُونَ﴾ قرأ نافعٌ بكسرِ النونِ وتخفيفِها، وتقريرُ هذهِ القراءة أنه حُذِفَتِ النونُ التي للمتكلِّم، وكسرتِ النونُ التي هي علامةُ الرفعِ، ثم حذفتِ الياءُ لدلالةِ الكسرةِ عليها، قال ابنُ عطيةَ: وغلَّطَ أبو حاتم نافِعاً في هذهِ القراءةِ، وقال: إنَّ شاهدَ الشِّعْرِ في هذا اضطرارٌ، وهذا حمل منه[2]، وقالَ الكواشيُّ: ولا يُلْتَفَتُ إلى الطاعنِ في هذهِ القراءةِ؛ لصحَّة نقلِها، بل لتواتُرِها، فتكونُ أصلاً يُحْتَجُّ به، لا لَهُ، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بكسرِ النونِ مشدَّدَةً أي: (تُبَشِّرونِني)، أدغمت نونُ الجمعِ في نونِ الإضافة، ثم حذفتِ الياءُ للتعليلِ المتقدِّمِ، وقرأ الباقونَ: بفتح النونِ مخففةً علامة الرفعِ[3].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧ـ٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٦٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٥٨).

﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدقِ الواجبِ وجودُهُ.

﴿ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ الآيِسينَ.

* * *

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ ﴾ قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، ويعقوبُ: (يَقْنِطُ) بكسر النون، والباقون: بفتحِها، وهما لغتان، أي: يَيْأَسْ[١].

﴿ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ المخطِئون، المعنى: لا أنكرُ وجودَ الولدِ مِنَّا قُنوطاً، بل استبعاداً، والقنوطُ من رحمةِ اللهِ كبيرةٌ؛ كالأَمنِ من مكرِه.

* * *

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ أي: فما شأنكُم الذي أُرسلتُم لأجلِه سوى البشارةِ.

* * *

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ وهم أهلُ مدينةِ سَدومَ الذين بُعِثَ فيهم لوطٌ عليه السلام، والمجرم: الذي يرتكبُ المحظوراتِ.

---

(١) المصادر السابقة.

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ ﴾.

[٥٩] ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ الآلُ: القومُ الذين يؤولُ أمرهم إلى المضافِ إليه، والاستثناءُ منقطِعٌ من قومٍ؛ لأنَّ القومَ موصوفون بالإجرام، وآلُ لوطٍ لم يجرموا.

﴿ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ مما يعذَّبُ به القومُ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (لَمُنْجُوهُمْ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد(١).

* * *

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠ ﴾.

[٦٠] ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ استثناءٌ من آلِ لوطٍ، فيكونُ استثناءً من استثناءٍ، تقديره: أهلكناهُم إلا آلَ لوطٍ إلا امرأتَهُ ﴿ قَدَّرْنَآ ﴾ حكَمْنا.

﴿ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الباقِين في الهلاكِ الذين لم يُسْتَثْنَوا منه. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (قَدَرْنَا) بتخفيفِ الدالِ، والباقونَ: بتشديدِها(٢).

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ ﴾.

[٦١] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ اختلافُ القراءِ في حكمِ الهمزتينِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

من قولِه: ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ كاختلافِهم فيهما مِنْ ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ في سورةِ النساءِ.

* * *

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ لوطٌ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا أعرفكُمُ.

* * *

﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكُّونَ أنه نازلٌ بهم، وهو العذابُ، وكان لوطٌ يعدُ قومَه نزولَ العذابِ فلا يُصَدِّقونه.

* * *

﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] فقالت الملائكةُ: ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقينِ من عذابِهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولِنا.

* * *

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فاذهبْ بهم. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ: (فَاسْرِ) بوصلِ الألفِ من سَرَى، وقرأ الباقون: بقطعِها، من أَسْرَى، ومعناهما واحدٌ، وهو سيرُ الليلِ[(١)].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ بطائفةٍ منه، قيل: إنه السَّحَرُ الأولُ.

﴿ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ سِرْ خلْفَهم.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لينظرَ ما وراءَه فيرَى من الهولِ ما لا يُطيقُه.

﴿ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ بالذهابِ إليه، وهو الشامُ. قرأ أبو عمرٍو: (حَيْث تُّؤْمَرُونَ) بإدغامِ الثاءِ في التاءِ[1].

* * *

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أي: أعلمناهُ ﴿ أَنَّ دَابِرَ﴾ أي: آخِرَ.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ مهلَكٌ.

﴿ مُّصْبِحِينَ﴾ أي: أوحينا إليه أَنَّهم يهلكونَ جميعاً وقتَ الصُّبحِ.

* * *

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ أي: سدومَ إلى لوطٍ. واختلاف القراء في (جَاءَ أَهْلُ) كاختلافهم في (جَاءَ آلَ) [الحجر: ٦١].

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ طَمَعاً في نيلِ شهوتِهم الخبيثةِ من الملائكةِ.

* * *

= (٢/ ٢٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٠).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦١).

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ قَالَ ﴾ لوطٌ لقومِه: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾ بفضيحةِ ضَيْفي.

* * *

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴾ بفعلِ الخبيثِ فيهم؛ لأن مَنْ أُهِينَ ضيفُه فقد أُهِين. قرأ يعقوبُ (تَفْضَحُونِي) (تُخْزُونِي) بإثباتِ الياءِ فيها، والباقونَ: بحذفِها(١).

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: عن ضيافةِ الناسِ؛ لأنهم كانوا يأخذون المارَّ بهم لِيَخْبُثُوا به، فيحولُ بينَهم وبينَه، ويُبَيِّتُهُ عندَه ضيفاً، فنَهوْهُ عن ذلكَ.

* * *

﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾ أُزَوِّجُهُنَّ إياكُم إن أسلَمْتُم، فَأْتوا الحلالَ، ودعوا الحرامَ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦١).

﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ما آمُرُكُمْ به، وقيل: أرادَ بالبناتِ: نساءَ قومِه؛ لأنَّ النبيَّ كالوالدِ لأُمَّتِه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ: (بَنَاتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] قالَ ابنُ عباسٍ: «ما خلقَ اللهُ تعالى خَلْقاً أكرمَ عليهِ من محمدٍ ﷺ، وما أَقْسَمَ بحياةِ أحدٍ إلا بحياتِه، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ﴾»[2] أي: وحياتِكَ، فهو قسمٌ من اللهِ جل جلاله بمدةِ حياةِ محمدٍ ﷺ، وأصلُه ضَمُّ العينِ من العُمُرِ، ولكنَّها فُتِحَتْ لكثرةِ الاستعمالِ، أو معناه: وَبقَائِكَ يا مُحَمَّدُ، ولم يقسم اللهُ بحياةِ أحدٍ غيرِه؛ لأنه أكرمُ البريَّةِ عندَه.

﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ ضلالَتِهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتَحَيَّرونَ.

***

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحةُ جبريلَ بهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ مصادِفين شروقَ الشمسِ؛ لأنَّ ابتداءَ عذابِهم كانَ عندَ طلوعِ الصُّبْحِ، وآخرَه عندَ طلوعِ الشمسِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٤)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٩٣٤)، وغيرهما.

﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] فإن جبريلَ قلعَ الأرضين بهم، ورفعَها إلى السماءِ، ثم أهوى بها نحوَ الأرضِ، ثم صاحَ بهم صيحةً عظيمةً ﴿ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ مُنْخَفِضَها.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ على شذاذِ القُرى، وهُمْ مَنْ لم يَكُنْ فيها.

﴿ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ سِجِّيلٌ وسِجِّينٌ: الصلبُ منَ الحجارةِ والطينِ.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي: المتفرِّسينَ.

* * *

﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ أي: قريةُ قومِ لوطٍ ﴿ لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ بطريقٍ ثابتٍ يسلُكه الناسُ، لم يَنْدَرِسْ بعدُ، فاتَّعِظوا بآثارهم يا قريشُ إذا ذهبتُمْ إلى الشامِ؛ لأنها في طريقِكم.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ باللهِ ورسولِه.

* * *

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ الغَيْضَةِ، وهو شجرٌ مجتمعٌ،

والأيكةُ أبعدُ الأرضِ منَ السماء، وهم قومُ شعيبٍ.

﴿ لَظَالِمِينَ﴾ بعثَهُ اللهُ إليهم، فكذَّبوه، فَأُهْلِكوا بالظُّلَّةِ، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في سورةِ الأعرافِ.

* * *

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالإهلاكِ ﴿ وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قريةُ قومِ لوطٍ والأيكةُ.

﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ بطريقٍ واضحٍ مستبينٍ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ﴾ هم ثمودُ، والحِجْرُ: واديهم بينَ المدينةِ والشامِ.

﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أرادَ صالحاً، وقال: المرسَلين من حيثُ يجبُ بتكذيبِ رسولٍ واحدٍ تكذيبُ جميعِهم؛ إذ القولُ في المعتَقَداتِ واحدٌ للرسلِ أجمعَ، فهذهِ العبارةُ أشنعُ على المكذِّبين.

* * *

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ هي الناقةُ، وخروجُها من الصخرة، وكثرةُ شربها، وولادتَها مثلَها في العِظَم في الحالِ وغزارةِ لبنِها.

﴿ فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يعني: الآياتِ.

* * *

﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

[٨٢] ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ من خرابها، والنحتُ: النَّقْرُ بالمعاولِ ونحوِها في الحجارةِ.

***

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ صيحةُ العذابِ ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ وقتَ الصبحِ.

***

﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ من عَدَدِهم وعُدَدِهم وبناءِ حصونِهم.

***

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ أي: بين جنسَي السمواتِ والأرضِ.

﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ لم نوجدْ شيئاً عَبَثاً ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ ﴾ فيجازَى المحسنُ بإحسانِه، والمسيءُ بإساءتِه.

﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ أي: أعرضْ عن المشركينَ إعراضاً جميلاً، وأَكَّدَ الصفحَ بنعتِ الجمالِ؛ إذِ المرادُ منه أن يكونَ لا عَتْبَ فيه ولا حِقْدَ، ونُسِخَتْ بآيةِ القتالِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بخلقِهِ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ هي الفاتحةُ؛ لأنها سبعُ آياتٍ بإجماعٍ، ولأنها تُثَنَّى في الصلاةِ، وتقدَّمَ الكلام على ذلكَ في أولِ التفسيرِ.

﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ عطفٌ على السبعِ؛ لأنَّ ما عدا الفاتحةَ قرآنٌ.

* * *

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ أي: لا تنظرَنَّ يا محمدُ.

﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ أصنافاً من الكفارِ، نهى اللهُ رسولَه ﷺ عن الرغبةِ في الدنيا، ومزاحمةِ أهلِها عليها.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إنْ لم يؤمنوا.

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ أي: تواضعْ ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وارْفُقْ بهم.

* * *

﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ بُرْهانُهُ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأَبو عمرٍو: (إِنِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانِها[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، =

﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠﴾ .

[٩٠] ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ أي: وأنذرْ قريشاً إنذاراً مِثْلَ ما أَنْزَلْنا من العذابِ .

﴿عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾ المتحالِفين .

* * *

﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ .

[٩١] ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ المنزلَ على النبيِّ ﷺ .

﴿عِضِينَ﴾ عَضَوْهُ؛ أي: فَرَّقُوه إلى سحرٍ وكهانةٍ وشعرٍ وغيرِ ذلك .

* * *

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢﴾ .

[٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يومَ القيامةِ سؤالَ توبيخٍ .

* * *

﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ .

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في الدنيا .

* * *

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ .

[٩٤] ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ أي: فَرِّقْ بينَ الحقِّ والباطلِ بتبليغِ الرسالةِ .

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٣).

قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، ورويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (فَاصْدَعْ) بإشمام الصادِ الزايَ[1].

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ولا تلتفِتْ إليهم، ونُسِخَتْ بآيةِ السيفِ.

* * *

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بكَ، وبالقرآنِ، وهم قومٌ من كفارِ مكةَ أهلَكَهم الله.

* * *

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ يعني: الأصنامَ.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمرِهم.

* * *

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الشركِ والاستهزاءِ.

* * *

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قُلْ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٠-٢٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ١٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٣).

﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ المصلِّين.

رُوِيَ أنه ﷺ كانَ إذا أحزنه أَمْرٌ، فَزِعَ إِلى الصَّلاةِ[1].

***

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾.

[٩٩] ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ الموتُ؛ لأنه مُتيَقَّنٌ لا شَكَّ فيه، واللهُ أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (١٣١٩)، كتاب: الصلاة، باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٨)، وغيرهما عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

مُحتَوى المجلَّد الثَّالِث

* * *

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسسة دار النَّوادر م. ف - سُورية * شركة دار النَّوادر اللُّبنانيَّة ش. م. م - لُبنان * شركة دار النَّوادر الكُويتيَّة - ذ. م. م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ٥١٨٠/١٤ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَام وَالرَّئِيسُ التَّنفِيذِي

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد الرابع

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ النَّحۡلِ

وكانت تسمَّى: سورةَ النِّعَمِ؛ بسببِ ما عَدَّدَ اللهُ فيها من نِعَمِه على عبادِه، وهي مكيةٌ، إلاَّ من قولِه تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ إلى آخرها، نزلَ بالمدينةِ، وآيُها مئةٌ وثمانٍ وعشرونَ آيةً، وحروفُها سبعةُ آلافٍ وسبعُ مئةٍ وسبعةُ أحرفٍ، وكَلِمُها ألفٌ وثماني مئةٍ وإحدى وأربعونَ كلمةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾.

[١] ﴿أَتَىٰٓ﴾ قَرُبَ ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابُه، وذلك أنَّ الكفارَ كانوا يستعجلونه استهزاءً، فنزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، فوثبَ النبيُّ ﷺ قائماً، وحَذَّرَ الناسَ مِنْ قيامِ الساعةِ، فنزل: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾[١] لا تطلُبوا الأمرَ قبلَ حينهِ، فاطمأنُّوا. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَتَى) بالإمالة، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ[٢]، ولما نزلَتْ هذهِ الآيةُ، قالَ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٠٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥، ٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦٧).

كَهَاتَيْنِ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ»[1]؛ أي: كادتْ لتسبقني.

﴿سُبْحَنَهُۥ وَتَعَلَىٰ﴾ تبرَّأَ وتعاظَمَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بهِ من آلهتِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقونَ: بالغيب[2].

***

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ قراءة العامةِ: بضمِّ الياءِ وكسرِ الزاي (الْمَلاَئِكَةَ) نصبٌ، وهم في تشديدِ الزاي على أصولِهم المتقدمةِ في البقرةِ، فيخَفِّفُها منهم ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ورُويسٌ عن يعقوبَ. وقرأ روحٌ عن يعقوبَ (تنزَّلُ) بالتاءِ مفتوحةً، وفتح الزاي مشددةً، ورفعِ الملائكة[3]؛ كالمتفقِ عليهِ في سورةِ القدرِ.

﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: بما يحيي القلوبَ الميتةَ بالجهلِ من وحيهِ.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ هم الأنبياءُ عليهم السلام، وتقدَّم في سورةِ

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٨)، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ومسلم (٢٩٥٠)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٦٦٧).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٨).

البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [الآية: ٩٨] عددُ نزولِ جبريلَ عليه السلام على جماعةٍ من الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام.

﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾ خوِّفوا المشركينَ وعرِّفوهُمْ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ خافونِ. قرأ يعقوبُ: (فَاتَّقُونِي) بإثباتِ الياءِ، والباقونَ: بحذفِها[1].

* * *

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالواجبِ اللائقِ.

﴿تَعَٰلَىٰ﴾ ارتفعَ.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ واختلافُ القراء في (يُشْرِكُونَ) كالحرفِ المتقدِّمِ.

* * *

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤﴾.

[٤] ونزلَ في منكري البعثِ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: ماءِ الرجلِ.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ مُجادِلٌ للخصومِ ﴿مُّبِينٌ﴾ للحجَّةِ بعدَ ما كانَ ميّتاً جَماداً.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٩).

رُوي أن أُبَيَّ بنَ خَلَفٍ أتى النبيَّ ﷺ بعَظْمٍ رَميمٍ وقال: يا محمدُ! أَتَرى اللهَ يُحيي هذا بعدَما قَدْ رَمَّ؟! فنزلَتْ[1].

* * *

﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَاۗ﴾ يعني: الإبلَ والبقرَ والغنمَ ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما استُدْفِىء به من الثيابِ والأخبيةِ المستعملةِ من أوبارِها.

﴿وَمَنَـٰفِعُ﴾ بالنسلِ والركوبِ والحملِ وغيرِها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: لُحومَها.

* * *

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينةٌ ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ أي: الإبلَ، تردُّونها إلى المُراح، بضمِّ الميم، وهو المبيتُ والمأوى أيضاً.

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تُرْسِلونها غُدْوَةً إلى المراعي، وقَدَّمَ الإراحةَ على التسريح؛ لأنها في المراح أحسنُ خُلُقاً منها في المسرحِ، وأكثرُ لبناً، وأعجبُ إلى صاحبِها.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨).

﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ ﴾ أحمالَكم.

﴿ إِلَىٰ بَلَدٖ ﴾ هي مكةُ، أو جميعُ البلادِ.

﴿ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ ﴾ واصِلينَ إليه لو لم تُخْلَقِ الإبلُ فَرَضاً.

﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ ﴾ بجهدِها. قرأ أبو جعفرٍ: (بِشَقِّ) بفتح الشينِ، والباقون: بكسرِها، وهما لغتان، مثلُ: رِطْلٍ ورَطْلٍ[١].

﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ بخلقِه. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (رَؤُوفٌ) بالإشباعِ على وزنِ فَعولٍ حيثُ وقع[٢].

* * *

﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ ﴾ أي: وخلقَ الخيلَ، وهي اسمُ جنسٍ لا واحدَ لهُ من لفظِه؛ كالإبلِ، والنساءِ ﴿ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ ﴾ أي: وجعلَها زينةً لكم معَ المنافعِ التي فيها.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٧ـ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٠).

واحتجَّ بهذهِ الآيةِ مَنْ حَرَّمَ لحومَ الخيلِ، وهو قولُ أبي حنيفةَ ومالكٍ؛ لأنَّه عَلَّلَ خلقَ هذهِ الأشياءِ بالركوبِ والزينةِ، ولم يذكرِ الأكلَ، وعن مالكٍ روايةٌ أخرى أَنَّها مكروهةٌ، وقالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأبو يوسفَ ومحمدُ بنُ الحسنِ بإباحةِ لحومِ الخيلِ، وقالوا: ليسَ المرادُ من الآيةِ بيانَ التحليلِ والتحريمِ، بل المرادُ منهُ تعريفُ اللهِ عبادَه نعمَهُ وتنبيهَهُم على كمالِ قدرتِه وحكمتِه، وحُجَّتُهم ما رُوي عن جابرٍ رضي الله عنه قال: «نَهى رَسولُ اللهِ ﷺ يومَ خيبرَ عن لحومِ الحمرِ، ورَخَّصَ في لُحومِ الخيلِ»[1]، وأَمَّا لحومُ البغالِ والحُمُرِ الأهليَّةِ، فمحَرَّمَةٌ بالاتفاقِ[2]، ورُوي عن مالكٍ أنها مكروهةٌ كراهةً مغلَّظَةً.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن مخلوقاتِ اللهِ من الحيوان وغيرِه لا يُحيط بعلمِها بَشَرٌ، بل ما يخفى عليه أكثرُ مما يعلمُه.

***

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني: بيانُ الطريقِ الحقِّ لكم، والقَصْدُ: الطريقُ المستقيمُ.

﴿وَمِنْهَا﴾ أي: ومن السبيلِ؛ لأنها تُذَكَّر وتؤنَّثُ ﴿جَآئِرٌ﴾ أي: عادلٌ

---

(١) رواه البخاري (٥٢٠١)، كتاب: الذبائح والصيد، باب: لحوم الخيل، ومسلم (١٩٤١)، كتاب: الصيد والذبائح، باب: في أكل لحوم الخيل، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ت»: «على الاتفاق».

عن الحقِّ، فقصدُ السبيلِ: دينُ الإسلامِ، والجائرُ: سائرُ مللِ الكفرِ.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ﴾ إلى صلاحِكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ولم يَضِلَّ أحدٌ.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونَهُ.

﴿وَمِنْهُ﴾ أي: ينبتُ بسببِهِ.

﴿شَجَرٌ فِيهِ﴾ في النباتِ.

﴿تُسِيمُونَ﴾ تَرْعَوْن دوابَّكم؛ من سامَتِ الماشيةُ: رَعَتْ.

* * *

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾.

[١١] ﴿يُنۢبِتُ﴾ اللهُ ﴿لَكُم بِهِ﴾ يعني: الماء. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ: (نُنْبِتُ) بنونِ العَظَمة، والباقون: بالياء[١].

﴿ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ﴾ وبعضِ كلِّها إن لم ينبتْ في الأرضِ كلَّ ما يمكنُ من الثمار.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في الصنعةِ، فيستدلُّونَ بها على صانعِها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧١-٢٧٢).

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلَّل.

﴿لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ مُذَلَّلاتٌ.

﴿بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾ بإذنِه. قرأ ابنُ عامرٍ: (وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، والنُّجُومُ، مُسَخَّرَاتٌ) برفعِ الأسماءِ الأربعة على الابتداءِ، فـ(الشمسُ) مبتدأ، (والقمرُ والنجومُ) عطفٌ عليه، والخبرُ (مسخراتٌ بأمرِه)، وافقه حفصٌ عن عاصمٍ في الحرفينِ الأخيرينِ، وهما (والنجومُ مسخراتٌ)، فرفعَهما على الابتداءِ والخبرِ، وقرأ الباقون: بنصبِ الأربعةِ وكسرِ تاءِ (مُسَخَّراتٍ) عطفاً على (النهارَ)(١).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ قالَ في الآيةِ قَبْلُ: (لآيَةً)؛ لأنَّ شيئاً واحداً منها يعمُّ تلكَ الأربعةَ، وهو النباتُ، وقالَ في هذه الآيةِ: (لآياتٍ)، لأنَّ كلَّ واحدٍ مما ذُكر آيةٌ في نفسِه، لا يشركُ معَ الآخرِ؛ فالليلُ لانتفاعِ البشرِ بالسكون فيه، والنهارُ للسَّعْيِ في المعاشِ وغيرِه، والشمسُ والقمرُ منافعُهما أكثرُ من أن تُحْصى، والنجومُ هداياتٌ.

* * *

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ خلَقَ ﴿لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الأشجارِ والدوابِّ

---

(١) المصادر السابقة.

وغيرِها ﴿مُخْتَلِفًا﴾ نصبٌ على الحال ﴿أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ أصنافُه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعتبرون.

* * *

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ العذبَ والمِلْحَ.

﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمكَ، وُصِفَ بالطَّراوةِ لتسارُعِ الفسادِ إليه، فيُسارَعُ إلى أكلِه طرياً.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: من الملح، عطفٌ على (لِتأْكُلوا).

﴿حِلْيَةً﴾ زينةً ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وهي اللؤلؤُ والمرجانُ، فدلَّ على أنهما من الحليِّ.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ فواعلَ من مَخَرَتِ السفينةُ: إذا جرَتْ فشقَّتِ الماءَ بصدرِها.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بركوبِها للتجارةِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ لتوالي نعمِه عليكم.

* * *

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ ثوابتَ؛ يعني: جبالاً.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: لئلاَّ تميلَ وتضطربَ.

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ منصوبٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديرُه: وجعلَ فيها أنهاراً.

﴿وَسُبُلًا﴾ طُرُقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تعتبرونَ وتَرْشُدونَ.

***

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ﴾ هي معالمُ الطرقِ، وكُلُّ ما يُستدَلُّ به.

﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ عامٌّ في كلِّ نَجْم.

﴿هُمْ﴾ أي: قريشٌ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ إلى القبلةِ، أو في السيرِ؛ لأنهم كانوا كثيري الأسفارِ للتجارةِ، مشهورينَ بالاهتداءِ في مسايرِهم بالنجومِ.

***

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ أي: اللهُ ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ﴾ أي: الأصنامُ، تلخيصُه: اللهُ الخالقُ خيرٌ أم آلهتكم العَجزَةُ؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتتَّعِظون وتُؤْمنون. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (تَذْكُرُونَ) بالتخفيف حيثُ وقعَ.

***

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ لا تَضْبِطوا عدَّها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لتقصيرِكم في أداءِ شكرِها ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم حيثُ لم يقطَعْها لتفريطِكم بالتقصيرِ.

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ من عقائدكم وأعمالكم.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ ﴾ .

[٢٠] و﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: الأصنامَ التي تعبدونَها من دونه. قرأ عاصمٌ، ويعقوبُ: (يَدْعُونَ) بالغيبِ، والباقونَ: بالخطابِ[١].

﴿ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ لعجزِهم ﴿ وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ لأنهم يُتَّخذون من الحجارةِ وغيرِها.

* * *

﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ ﴾ .

[٢١] ﴿ أَمۡوَٰتٌ ﴾ يعني: الأصنامَ ﴿ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ ﴾ أي: لا يعقبُ موتَها حياةٌ.

﴿ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ أي: الأمواتُ ﴿ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ متى يُحشرونَ.

* * *

﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢ ﴾ .

[٢٢] ثم نفى ألوهيةَ الأصنامِ، وعَرَّفَهم الإلهَ حقيقةً فقالَ: ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ لا يُشارَكُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٤).

﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ ﴾ جاحِدَةٌ.

﴿ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ متعظِّمونَ عن الإيمانِ.

* * *

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقّاً ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ فيجازِيهِم. قرأ حمزةُ: (لاَ جَرَمَ) بالمدِّ بحيثُ لا يبلغُ الإشباعَ.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ عامٌّ في الكافرينَ والمؤمنين، في الحديثِ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»(١)، وفيه: أَنَّهُ مَنْ سَجَدَ للهِ سَجْدَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الْكِبْرِ.

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾ أي: لكفارِ مكةَ.

﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ ﴾ استهزاءً.

﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ أباطيلُهم.

* * *

---

(١) رواه مسلم (٩١)، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ ﴾ أي: قالوا ذلكَ ليحمِلوا ذنوبَهم.

﴿ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ وإنما ذَكَرَ الكمالَ؛ لأنَّ البلايا التي تلْحَقُهم في الدنيا، وما يفعلونَ من الحسناتِ، لا تُكَفِّرُ عنهم شيئاً.

﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ ﴾ أي: ذنوبِ ﴿ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ بغيرِ حُجَّةٍ، فيصدُّونَهم عن الإيمانِ ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ بِئْسَ شيئاً تحمَّلُوا.

* * *

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وهم نمرودُ بنُ كنعانَ، بنى الصرحَ ببابلَ ليصعدَ إلى السماء، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ مستوفىً في آخرِ سورةِ إبراهيمَ، فهبتْ ريحٌ فألقتْ رأسَهُ في البحر، وخرَّ عليهم الباقي وهم تحتَهُ، فذلك قولُه تعالى:

﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم ﴾ أي: قصدَ خرابَ بنائِهم.

﴿ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ من أساسِهِ ﴿ فَخَرَّ ﴾ سَقَطَ ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ يعني: أَعْلَى البيوتِ من فوقِهم.

﴿ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بمجيئِهِ.

* * *

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ اللهُ ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ بزعمِكم. قرأ البزيُّ عن ابنِ كثيرٍ: (شُرَكَايَ) بياءٍ مفتوحةٍ بغيرِ همزٍ ولا مَدٍّ، قال الكواشيُّ: لأنَّ الأصلَ تركُ المدِّ؛ لأن المدَّ إنما يكونُ بزيادةِ حرفٍ ليسَ من أصلِ الكلمةِ، فرجعَ إلى الأصلِ معَ صحةِ القراءة وتواترِها، فلا تأثيرَ لطعنِ الطاعنِ فيها، والباقون: بفتحِ الياءِ والمدِّ بلا همزٍ؛ لأن الأشهرَ في (فَعيل) أن يُجمع على (فُعَلاء)؛ كشهيدٍ وشهداءَ[١].

﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ﴾ تخاصِمُون في شأنِهم. قرأ نافعٌ: (تُشَاقُّونِ) بكسر النونِ على الإضافةِ، أصلُه: تُشَاقُّونَنِي، فحُذِفَ أحدُ النونينِ والياء، وتُركتِ الكسرةُ تدلُّ عليها. وقرأ الباقون: بفتح النونِ إخبارٌ عن غيرِ مضافٍ[٢]، تلخيصُه: ليحضُرْ من تزعمونَ، وليدفَعْ عنكم العذابَ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أي: النبوةَ.

﴿إِنَّ ٱلْخِزْيَ﴾ الهوانَ ﴿ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ﴾ العذابَ.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وفائدةُ قولِهم إظهارُ الشماتةِ وزيادةُ الإهانةِ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧١-٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٦).

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ يقبضُ أرواحَهم ملكُ الموتِ وأعوانُه. قرأ حمزةُ، وخلفٌ في هذا الحرفِ وفي الآتي: (يَتَوَفَّاهُمْ) بالياءِ على التذكيرِ، والباقونَ: بالتاء على التأنيث[1] ﴿ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ بالكفرِ. قرأ أبو عمرٍو (الْمَلائِكَة ظَّالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بإدغامِ التاءِ في الظاء[2].

﴿ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ ﴾ أي: استسلَموا وانقادوا حينَ عاينوا الموتَ، وقالوا:

﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ ﴾ شِرْكٍ، فتُجيبهم الملائكةُ: ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فهو يُجازيكم عليه، قالَ عكرمةُ: المعنيُّ بذلك مَنْ قُتِلَ من[3] الكفارِ ببدرٍ.

***

﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمانِ.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٧٧).

(٣) «من» ساقطة من «ت».

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] وكانَ أحياءُ العربِ يبعثونَ أيامَ الموسمِ مَنْ يأتيهِمْ بخبرِ النبيِّ ﷺ، فإذا جاءَ، سأل الذين قعدوا على الطريقِ عنه، فيقولون: ساحرٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ، وكذابٌ، ومجنونٌ، ويأمرونَه بالانصرافِ، ويقولون: لا تَلْقَهُ خيرٌ لكَ، فيدخلونَ مكةَ ويسألونَ أصحابَ النبيِّ ﷺ، فيخبرونَ بصدقِهِ، وأنه نبيٌّ مبعوثٌ، فذلكَ قولُه تعالى: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ يعني: المؤمنين[١] ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ ﴾ أنزلَ ﴿ خَيْرًا ۗ ﴾ ثم ابتدأَ فقال: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ وَحَّدُوا ﴿ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ ﴾ كرامةٌ من الله، وهي تضعيفُ الأجرِ إلى العشرِ ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ ﴾ أي: ولثوابُهم في الآخرةِ خيرٌ منها ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الجنةُ.

* * *

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ثم فسَّرَها فقالَ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ ﴾ من أنواعِ المشتهَياتِ ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦١٢).

[٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تقدَّمَ التنبيهُ على اختلاف القراء في (تتوَفَّاهُمْ) ﴿طَيِّبِينَ﴾ طاهرينَ من الكفرِ والمعاصي.

﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عندَ الموتِ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويقولونَ لهم في الآخرةِ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بما كانَ من أعمالِكم.

* * *

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرُ الكفارُ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبضِ أرواحِهم. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يأْتيهمُ) بالياءِ مُذَكَّراً، والباقون: بالتاءِ مؤنثاً[١].

﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وعيدٌ يتضَمَّنُ قيامَ الساعةِ وعذابَ الدنيا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثلَ ذلكَ الفعلِ من الشركِ والتكذيبِ.

﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ فعُوقبوا.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بتدميرِهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: آذَوْا أنفسَهم، وظلموها بنفسِ فعلهم، وإن كانوا لم يقصِدوا ظُلْمَها.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٢٧٨).

﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ جزاءُ سيئاتِ عملِهم الخبيثِ ﴿ وَحَاقَ ﴾ نزلَ.

﴿ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ والحَيْقُ لا يُستعملُ إلا بالشرِّ.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ يعني البَحيرةَ والسائبةَ والوصيلَةَ والحاميَ، فلولا أنَّ اللهَ رَضِيَها لنا، لَغَيَّرَ ذلكَ، وهدانا إلى غيرِها، قالوا ذلكَ بغياً واستهزاءً لَمَّا نزلَ قولُه تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير: ٢٩].

﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾ فأشركوا وكَذَّبوا الرسُلَ.

﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الموضِّحُ للحقِّ، وليس إليهم الهدايةُ.

* * *

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ كما بَعَثْنا فيكم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (أَنُ اعْبُدُوا) بضمِّ النونِ وشبهَه حيثُ وقعَ[١].

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وهو كلُّ معبودٍ من[٢] دونِ الله.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ وفَّقهم للإيمانِ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ ثبَتَتْ بالسابقةِ حتى ماتَ على كفرِه.

﴿فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يا معشرَ قريشٍ.

﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: عاقبةُ أمرِهم لعلَّكم تعتبرونَ.

* * *

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ يا محمدُ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ قرأ الكوفيون: بفتحِ الياءِ وكسرِ الدالِ؛ أي: لا يهدي اللهُ من أَضَلَّهُ، وقرأ الباقون: بضمِّ الياءِ وفتحِ الدال، يعني: من أضلَّه اللهُ فلا هاديَ له[٣].

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ بدفعِ العذابِ عنهم.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٧٨).

(٢) «من» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٩).

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ونزل فيمَنْ حلفَ أن اللهَ لا يبعثُ الموتى ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ﴾(١) قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثُه.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مَصْدَران.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأكثرُ الناسِ في هذه الآية: الكفارُ المكذِّبونَ بالبعثِ من القبور.

* * *

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ المعنى: يبعثُ اللهُ جميعَ الخلائقِ يومَ القيامةِ ليبينَ لهم الحقَّ من الباطلِ المختلَف فيهما.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ﴾ في إنكارِ البعثِ.

* * *

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ لا يتعاظَمُنا شيء. قرأ ابن عامرٍ، والكسائيُّ: (فَيَكُونَ) بنصبِ النونِ، والباقونَ:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣١١ ـ ٣١٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٨ ـ ١٥٩).

بالرفع(١)، وتقدَّمَ توجيهُ قراءتهم في سورةِ البقرةِ عندَ تفسير قولِه تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [الآية: ١١٧].

***

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ونزل في شأنِ النبيِّ ﷺ والصحابةِ حيثُ أُخرِجوا من مكةَ ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ أي: في طلبِ رضاهُ ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ من أهلِ مكةَ.

﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ ﴾ فأنزلَهم المدينةَ، وأطعَمَهُمُ الغنيمةَ، فهذا الثوابُ في الدنيا، وكان عُمَرُ إذا أعطى الرجلَ من المهاجرينَ عطاءً يقولُ: «خُذْ، هذا ما وعدَ اللهُ لكَ في الدنيا حسنة، وما ادخر لكَ في الآخرةِ أفضلُ، ثم تلا هذهِ الآيةَ»(٢). قرأ أبو جعفرٍ: (لَنُبَوِّيَنَّهُمْ) بفتحِ الياءِ بغيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ.

﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ الضميرُ للكفارِ؛ أي: لو علموا أن المؤمنين مُكْرَمون عند اللهِ، لآمنوا.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٠).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٠).

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الشدائدِ من أذى الكفارِ ومفارقةِ الوطنِ.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ مُفوِّضينَ الأمرَ إليه.

* * *

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ونزلَ لما قالَتْ قريشٌ: إنَّ اللهَ أعظمُ من أن يكونَ رسولُه بشراً، فهلاَّ بعثَ إلينا مَلَكاً: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾[١] أي: أهلَ الكتبِ المتقدمةِ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (نُوحِي) بالنونِ وكسرِ الحاءِ على لفظِ الجمعِ، وقرأ الباقون: بالياءِ وفتحِ الحاءِ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه[٢]، وقرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلُوا) بالنقلِ، والباقون: بالهمزِ[٣].

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفي الآية دليلٌ على أنه تعالى لم يرسلِ امرأةً ولاَ مَلَكاً للدعوةِ العَّامةِ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨١).

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] وقوله: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ متعلقٌ بفعلٍ مضمَرٍ تقديرُه: أرسلناهم بالبيناتِ.

﴿ وَٱلزُّبُرِ ﴾ الكتبِ.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ القرآنَ.

﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ من الشرائعِ والأحكامِ.

﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يتأمَّلونَ الحقائقَ.

* * *

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي: عملوا المُنْكَراتِ السيئاتِ، وهم كفارُ مكةَ ﴿ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ كما خسف بقارونَ.

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ كما فعل بقومِ لوطٍ.

* * *

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ ﴾ أي: متقلِّبينَ في متاجِرهم ومسائِرهم.

﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتينَ.

* * *

﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ تنقُّصٍ؛ أي: يأخذَهم بنقصِ أموالِهم وآجالِهم حتى يَهْلِكوا جميعاً ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ حيثُ أمهلَكُم. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (لَرؤُوفٌ).

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ استفهامُ إنكارٍ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تَرَوا) بالخطابِ، وقرأ الباقون: بالغيبِ خبراً عن الذين يمكرونَ السيئات[١]، وهو اختيارُ الأئمةِ.

﴿ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ من جسمٍ قائمٍ له ظِلٌّ ﴿ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ ﴾ ترجعُ من جانبٍ إلى جانبٍ. قرأ أبو عمرٍو، ويعقوبُ: (تَتَفَيَّؤُا): بالتاءِ على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير[٢].

﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ بمعنى الأَيمان، يوضِّحُه أن قابلَه بجمعٍ فقالَ:

﴿ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ جمعُ شِمال، فهي في أولِ النهارِ على حالٍ، ثم تنقصُ ثم تعودَ في آخرِ النهارِ إلى حالٍ أخرى، فاليمينُ أولَ النهارِ، والشمائلُ آخرَهُ،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٢).

ويقال للظلِّ بالعشيِّ: فَيْءٌ؛ لأنه فاءَ؛ أي: رجعَ من المشرقِ إلى المغربِ، ولا يقالُ قبلَ الزوالِ إلاَّ ظِلٌّ فقط.

﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ فميلانُها ودورانُها سجودُها لله تعالى.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون أذلاء.

* * *

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)﴾.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يستسلِمُ، وأخبرَ بـ(ما)؛ لأنها أعمُّ من (مَنْ)، وقوله: ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ بيانٌ لِما في السمواتِ والأرضِ، والمرادُ: كلُّ نفسٍ دَبَّتْ على وجهِ الأرض، عَقَلَتْ أو لم تعقِلْ.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ خصَّهم بالذكرِ، وهم من جملةِ ما في السمواتِ؛ لرفعِ شأنِهم، أو لخروجِهم من جملةِ الموصوفينَ بِالدَّبيبِ؛ لأن لهم أجنحة كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، وكانَ الطيرانُ أغلبَ عليهم من الدَّبيبِ.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يَتعَظَّمون.

* * *

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠)﴾.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أي: غالباً قاهراً لهم؛ كقوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فلا يعجزُه شيءٌ، ولا يغلِبُه أحدٌ، أو يخافونَ أن يأتيَهُم العذابُ من فوقِهم إن عَصَوه.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ به، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتِّفاقِ، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوةِ، وحكمِه، وسجودِ الشكرِ آخرَ سورةِ الأعرافِ مستوفًى.

* * *

﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ ذُكِّرَ العددُ مع أنَّ المعدودَ يدلُّ عليهِ؛ دلالةً على أنَ مساقَ النهي إيماءٌ بأن الاثنينية تنُافي الأُلوهية كما في ذكرِ الواحدِ في قولهِ:

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ للدلالةِ على أن المقصودَ إثباتُ الوحدانيةِ دونَ الإلهيةِ، أو للتنبيهِ على أن الوحدةَ من لوازم الإلهيةِ.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ نقلَ من الغيبةِ إلى التكلمِ مبالغةً في الترهيبِ، وتصريحاً بالمقصودِ، كأنه قالَ: فأنا ذلكَ الإلهُ الواحدُ، فإيايَ فارهبونِ لا غيرُ. قرأ يعقوب: (فَارْهَبُونِي) بإثباتِ الياءِ، والباقون: بحذفها[١].

* * *

﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ خَلْقاً ومُلْكاً.

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾ الطاعةُ والإخلاصُ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٣).

﴿ وَاصِبًاۚ ﴾ دائماً ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ تخافونَ؟ استفهامُ إنكارٍ.

* * *

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَمَا بِكُم ﴾ أي: وأيُّ شيءٍ اتصلَ بكم ﴿ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ لا يأتي بها أحد سواه.

﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾ القحطُ والمرضُ ﴿ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ تتضرَّعونَ.

* * *

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم ﴾ وهمُ الكفارُ.

﴿ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ بعبادةِ غيرِه.

* * *

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُوا۟ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ ﴾ وهذهِ اللامُ تُسَمَّى: لامَ العاقبةِ؛ أي: حاصلُ أمرِهم هو كفرُهم ﴿ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ ﴾ من نعمةِ الكشفِ.

﴿ فَتَمَتَّعُوا۟ۖ ﴾ عِيشوا في اللذَّةِ، وهو أمرُ تهديدٍ.

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ أمرِكُم، أغلظُ الوعيدِ.

* * *

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: الأصنامِ ﴿ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْۗ ﴾ من

الأموالِ، وهو ما جعلوهُ لأصنامِهم من حُروثِهم وأنعامِهم، فقالوا: ﴿ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ثم رجعَ من الخبرِ إلى الخطابِ فقال: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾ يومَ القيامةِ ﴿ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ ﴾ وهم خزاعةُ وكِنانةُ، قالوا[١]: الملائكةُ بناتُ اللهِ ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾ هو مُنزَّهٌ عن الولدِ والوالدِ.

﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أي: ويجعلونَ لأنفسِهم ما يتمنَّوْنَ، وهم البنونَ.

* * *

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ ﴾ أي: صارَ.

﴿ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾ أي: مُتغيِّراً.

﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ مملوءٌ غيظاً، فهو يَكْظِمُهُ؛ أي: يُمْسِكُه ولا يُظْهِره.

* * *

﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ يَتَوَٰرَىٰ ﴾ يَسْتَخْفي ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾ حياءً.

﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ من البناتِ، ثم يتردَّدُ فيما يصنعُ بولدِه.

---

(١) في «ت»: «وقالوا».

﴿ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ أي: هوانٍ وذلٍّ ﴿ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ يَدْفِنُه حَيّاً.

﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ حيثُ وَأَدوا البناتِ خوفَ الفقرِ والعارِ، وحيثُ نسبوا إلى اللهِ تعالى ما هو مستقبَحٌ عندَهم.

* * *

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ يعني: لهؤلاءِ الذين يصفونَ للهِ البناتِ ﴿ مَثَلُ ﴾ أي: صفةُ ﴿ ٱلسَّوْءِ ﴾ وهو كفرُهم، ووأْدُ البناتِ مع احتياجِهم إليهنَّ طلبَ النكاحِ.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ الصفةُ العليا، وهي التوحيدُ والغنى عن جميعِ خلقِه.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ المنفرِدُ بكمالِ القدرةِ والحكمةِ.

* * *

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ فيعاجِلُهم بالعقوبةِ على كفرِهم ومعَاصيهم.

﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ أي: الأرضِ ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ مَنْ يَدِبُّ أصلاً بشؤمِ ظلمِهم، فهلاكُ الدوابِّ بآجالِها، وهلاكُ الناسِ عقوبةً.

﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ يُمْهِلُهم بحلمِه ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ سَمَّاهُ لأعمارِهم.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ مُذْ هلكوا أو عُذِّبوا حينئذٍ لا محالة. قرأ أبو جعفرٍ، وورشٌ عن نافع: (يُوَاخِذُ) (يُوَخِّرُ) بفتح الواوِ من غيرِ همزٍ، والباقون: بالهمزِ[1]، واختلافُهم في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهُمْ) كاختلافِهم فيهما في قولِه: (وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم) في سورة النساء.

* * *

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢)﴾.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البناتِ، والمشاركةِ، والاستخفافِ بالرسلِ، وأراذلِ الأموالِ.

﴿وَتَصِفُ﴾ أي: تقولُ ﴿أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ يعني: الذكورَ من الأولاد، وهو قولُ مجاهدٍ وقَتادةَ، قالَ ابنُ عطية: وهو الأسبقُ من معنى الآية، وقالت فرقة: يريدُ: الجنةَ في المعاد إن كان محمدٌ صادقاً في البعثِ[2]، ويؤيدُ هذا قولُه:

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حقّاً ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ في الآخرةِ ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ قرأ نافعٌ بكسرِ الراءِ وتخفيفِها؛ من الإفراطِ في المعاصي، وقرأ أبو جعفرٍ بكسرِ الراءِ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٤).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٠٣). وانظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ١٢٠)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٧٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٤١).

وتشديدِها معَ فتحِ الفاءِ؛ من التفريطِ في الطاعاتِ، وقرأ الباقون: بفتحِ الراءِ وتخفيفِها؛ أي: مُقَدَّمون إلى النارِ[1].

* * *

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ كما أرسَلْناك إلى هذهِ الأمةِ.

﴿ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ الخبيثةَ.

﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾ ناصرُهم ﴿ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ أي: يومَ القيامةِ، والألفُ واللامُ فيه للعهدِ؛ أي: هو وليُّهم في اليومِ المشهودِ، وهو وقتُ الحاجة، وهو عاجزٌ عن نصرِ نفسهِ، فكيف ينصرُ غيره؟! وهذهِ حكايةُ حالٍ آتيةٍ؛ أي: في حالِ كونِهم مُعَذَّبين في النارِ.

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ قرأ أبو عمرٍو (فَهُو وَّلِيُّهُمْ) بإدغامِ الواوِ في الواو[2].

* * *

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦).

[٦٤] ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للناسِ.

﴿ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ من الدينِ والأحكامِ.

﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ وعطف بالهدى والرحمة على موضع قولِه: (لِتُبيِّنَ)؛ لأن محلَّه النصبُ، ومجازُ الكلامِ: وما أنزلنا عليكَ الكتابَ إلا بياناً للناس، وهدًى ورحمةً للمؤمنينَ.

* * *

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعني: المطرَ ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ يُبْسِها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماعَ تَدبُّرٍ وإنصافٍ.

* * *

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ﴾ لعظةً ﴿نُّسۡقِيكُم﴾ قرأ أبو جعفرٍ: (تَسْقِيكُمْ) بالتاء مفتوحةً، والباقون: بالنونِ، وفتحَها نافعٌ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ، وأبو بكرٍ، وضمَّها الباقون(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٧)، وقراءة أبي جعفر ضعيفة، =

﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ أي: بطونِ الأنعامِ؛ لأنه يُذَكَّرُ ويؤنَّثُ، فمن أَنَّثَ فلمعنى الجمعِ، ومن ذَكَّرَ فلحكمِ اللفظِ.

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٍ﴾ هو ما في الكرشِ من السّرجينِ.

﴿وَدَمٍ﴾ المعروفِ، وذلك أن الكرشَ إذا طحنَتِ العلفَ، صارَ أسفلُه فرثاً، وأوسطُه ﴿لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبُه شيءٌ، وأعلاه دماً، وبينها حاجزٌ من قدرةِ اللهِ تعالى، لا يختلطُ أحدُها بالآخرِ بلونٍ ولا طعمٍ ولا رائحةٍ، معَ شدةِ الاتصالِ، والكبدُ مسلَّطَةٌ عليها، تقسمِهُا بقدرةِ اللهِ تعالى، فَتُجري الدمَ في العروقِ، واللبنَ في الضَّرْعِ، ويبقى الفرثُ في الكرشِ، فسبحانَ القادرِ على ما يشاءُ.

﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ سَهْلاً لا يغصُّ بهِ شاربُهُ. قرأ ابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة، بخلافٍ عنه[1]، فيه دليلٌ لمن يقولُ بطهارةِ مَنِيِّ الآدمِيِّ، وإن جرى مجرى البولِ؛ لأنه لا يمتنعُ خروجُه طاهراً وإن جرى مجرى البول، كما لا يمتنعُ خروجُ اللبنِ من بينِ الفرثِ والدم طاهراً، وهو مذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ، وقالَ أبو حنيفةَ ومالكٌ: هو نجسٌ إلاَّ أن أبا حنيفة عندَه إنْ كانَ رَطْباً غُسِلَ، وإن كان يابِساً فُرِكَ، وعندَ مالكٍ يُغْسَلُ رَطْباً ويابِساً.

* * *

= كذا في «تفسير القرطبي» (١٠/ ١٢٣).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٨).

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ ﴾ فالكنايةُ في (مِنْهُ) عائدة إلى (ما) محذوفةٍ[١]؛ أي: ما تتَّخِذون منه ﴿ سَكَرًا ﴾ أي: خَمْراً، ثم نُسِخَتْ بقوله: ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠]؛ لأنَّ النحلَ مكيةٌ، والمائدةَ مدنيةٌ ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ الرُّطَبَ والتمرَ والعنبَ والزبيبَ.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ بالتأمُّل في الآياتِ.

* * *

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ أَلْهَمَها، وهو مُذكَّر، وربما[٢] أُنِّثَ حملاً على المعنى.

﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ تأوينَ إليها.

﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ يَبْنُون لكِ من الأماكن. قرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (يَعْرُشُونَ) بضمِّ الراء، والباقون: بكسرها[٣].

* * *

---

(١) في «ت»: «إلى محذوفه».

(٢) في «ت»: «مذكور بما».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٨)، والقراءة بخلاف عن عاصم.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ .

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ حُلوِها وحامِضها ومُرِّها وغيرِ ذلكَ.

﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: الطرق التي يطلب فيها الرعي. قرأ أبو عمرو: (سُبُل رَّبِّكِ) بإدغامِ اللامِ في الراء[1] ﴿ذُلُلًا﴾ منقادةً بالتسخيرِ.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ أفواهِها ﴿شَرَابٌ﴾ هو العسلُ ينزلُ من السماء، فينبتُ في أماكنَ، فيأتي النحلُ فيشربُه، ثم يأتي الخليةَ فيلقيه في الشمعِ المهيأ له، لا كما يتوهَّمُ بعضُ الناسِ أنه من فضلاتِ الغذاءِ، وأنه يستحيلُ في المعدةِ عسلاً.

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من أبيضَ وأسودَ وأحمرَ، وغيرِ ذلكَ.

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: في العسلِ، قاله الجمهورُ، وقيل: في القرآنِ، قال البغويُّ: والأولُ أولى[2]، ولا يقتضي العمومَ في كل علَّةٍ وفي كلِّ إنسانٍ، بل هو خبرٌ عن أنه يَشْفي كما يَشْفي غيرُه من الأدويةِ في بعضٍ، ورُويَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: العَسَلِ وَالْقُرْآنِ»[3].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٣).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢)، كتاب: الطب، باب: العسل، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٤٤)، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ. قال البيهقي: رفعه غير صحيح، والصحيح موقوف؛ رواه وكيع عن سفيان موقوفاً.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ ﴾ صِبياناً أو شُبَّاناً أوكُهولاً ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ الهَرَمِ ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ ﴾ عَلِمَهُ في حالِ شَبيبتِه.

﴿ شَيْـًٔا ﴾ أي: إذا علمَ شيئاً اعتراهُ النسيانُ، فيصيرُ بعدَ العلمِ ناسياً.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ قرر تعالى علمَه وقدرتَه التي لا تتبدَّلُ ولا تدخلُها الحوادثُ، ولا تتغيرُ.

***

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ ﴾ بسطَ على واحدٍ، وضَيَّقَ على آخرَ.

﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ ﴾(١) المعنى: لا يعتقد الموالي أنهم يَرُدُّون شيئاً من الرزقِ على عبيدِهم، وإنما أنا الرادُّ عليهم فهم في الرزق سواء.

﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ بالإشراكِ به. قرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (تَجْحَدُونَ) بالخطابِ؛ لقوله: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ

(١) من قوله: «على التأنيث والباقون. . .» (ص ٢٨) إلى هنا سقط من «ش»، بمقدار لوحتين تقريباً من النسخ الخطية.

عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ وقرأ الباقون: بالغيب؛ لقولهِ ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾[1].

* * *

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ من جنسِكم، والمرادُ حواءُ؛ لأنها خُلقت من قصيراءِ آدمَ ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ نساءً.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ﴾ أعواناً وخَدماً، جمعُ حافدٍ، وهو المعينُ المسرعُ في الطاعةِ، غريباً كانَ أو قريباً. قرأ أبو عمروٍ، ورويسٌ: (جَعَل لَّكُمْ) بإدغامِ اللامِ في اللامِ كُلَّ ما في هذهِ السورةِ[2].

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ الحلالاتِ، ثم وَبَّخهم بقوله: ﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي: الأصنامِ، وما يُفضي إلى الشرك ﴿يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ القرآنِ.

﴿هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ (بِنِعْمَتِ) رُسِمَتْ بالتاءِ، وكذلك في الموضعين بعدَها، وهما: (نِعْمَتَ اللهِ) وقفَ عليها بالهاءِ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمروٍ، والكسائيُّ، ويعقوبُ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٩).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، (٢/ ٣٠٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٩).

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ ﴾ .

[٧٣] ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ يعني: المطرَ ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يعني: النباتَ ﴿ شَيۡـٔٗا ﴾ بدلٌ من ﴿ رِزۡقٗا ﴾ أي: لا يملكونَ من الرزقِ شيئاً قليلاً ولا كثيراً، ﴿ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ ذلكَ لعجزِهم.

* * *

﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ﴾ .

[٧٤] ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴾ لا تُسوُّوه بخلقِه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ ﴾ أَنْ لا شبهَ.

﴿ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾ .

[٧٥] ثم ضربَ اللهُ مثلاً للمؤمنِ والكافرِ، فقالَ تعالى: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا ﴾ بدلٌ من (مَثَلاً) ﴿ مَّمۡلُوكٗا ﴾ ليخرجَ منهُ الحر؛ لأن الخلقَ عبيدُ الله ﴿ لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ ليخرجَ عنهُ المكاتَبَ.

﴿ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ ﴾ أي: حُرّاً رزقناه ﴿ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ﴾ يعني: جماعةَ الأحرارِ والعبيدِ، وهذا مثلٌ

ضربه الله تعالى للكافرِ، رزقه الله مالاً، فلم يقدِّم فيه خيراً، والمؤمنِ يعملُ في مالِه بطاعة الله تعالى.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الثناءُ له، لا يستحقُّه غيرهُ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: الكفارَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيضيفون نعمَه إلى غيرِه.

* * *

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٦)﴾.

[٧٦] ثم ضربَ مثلاً للأصنام فقالَ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ أخرسُ.

﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ﴾ عِيالٌ وثِقْلٌ ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ مَنْ يلِي أمرَه.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ يُرْسِلْهُ ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لأنه لا يَفْهَمُ، ولا يُفْهَمُ عنه، هذا مثلُ الأصنامِ لا تسمعُ ولا تنطقُ، وهي كَلٌّ على عابدِها، تحتاج إلى حملِها ووضعِها وخدمتِها.

﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وهو اللهُ سبحانه قادرٌ متكلمٌ يأمرُ بالتوحيدِ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يعني: يدلُّكم على صراطٍ مستقيمٍ.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ولما سُئل رسولُ الله ﷺ عن الساعة، نزل: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١] أي: ما غاب عن العباد.

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: أمرُ مجيئِها.

﴿ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ وهو النظرُ بسرعةٍ.

﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ ﴾ لأنها كائنةٌ لا محالةَ، وكل ما هو آتٍ قريب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ثم دلَّ على قدرته فقالَ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ قرأ حمزةُ: (إِمِّهَاتِكُمْ) بكسرِ الهمزةِ والميمِ في الوصلِ، والكسائيُّ يكسرُ الهمزةَ في الوصلِ ويفتحُ الميمَ، والباقون: يضمُّونَ الهمزةَ ويفتحون الميمَ في الحالين، والابتداء للجميع بضمِّ الهمزةِ وفتح الميم.

﴿ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ جُهَّالاً ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ ﴾ المعنى: أوجدَكم ضُلاَّلاً ورزقَكم الفهمَ والعلمَ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نِعَمَ اللهِ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٢٨).

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ قرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (تَرَوا) بالخطابِ على أنه خطابُ العامةِ، والباقون: بالغيب؛ لقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(١).

﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مُذَلَّلاتٍ للطيرانِ.

﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ والجوُّ: مسافةُ ما بينَ السماءِ والأرضِ، وقيل: المتباعدُ من الأرضِ.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الهواءِ.

﴿إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم هم المنتفعونَ بها.

***

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ هو ما يُسْكَنُ إليه، ويُنْقَطَعُ فيه.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ قِباباً وأَخْبِيَةً مُتَّخَذَةً من أَدمَ. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في كسرِ الباء من (بِيُوتاً) في سورة البقرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٠).

﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: يَخِفُّ عليكم حَمْلُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ رَحِيلكم. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: بإسكانِ العينِ، والباقون: بفتحِها، وهو أجزلُ اللغتينِ[1].

﴿ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في بلدِكم لا تثقلُ عليكم في الحالتين.

﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ أي: الضأنِ ﴿ وَأَوْبَارِهَا﴾ الإبلِ ﴿ وَأَشْعَارِهَآ﴾ المَعْزِ. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ من روايةِ الدوريِّ (وَأَوْبارِهَا وَأَشْعَارِهَا) بالإمالة، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ، ورُوِي عن ورشٍ، وحمزةَ بالإمالةِ بينَ بينَ، وقرأهما الباقون: بالفتح[2] ﴿ أَثَٰثًا﴾.

متاعَ البيتِ ﴿ وَمَتَٰعًا﴾ أي: شيئاً يُنتفَعُ به ﴿ إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلى الموتِ.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ جمعُ ظُلَّةٍ وهو ما يُستَظَلُّ به.

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ وهو ما يُسْتكَنُّ به[3] من كهوفِ الجبالِ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩١).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٠ـ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٢).

(٣) «به» ساقطة من «ت».

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾ قُمُصاً من الكتانِ والقطنِ والصوفِ.

﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ولم يذكرِ البردَ؛ لدلالتهِ عليه؛ لأنه نقيضُه.

﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ أي: الدروعَ والجواشنَ تدفعُ عنكم ألمَ الحربِ والطعنِ والضربِ.

﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ تُخْلِصون لله.

* * *

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا، فلا يلحقُكَ في ذلك عَتَبٌ.

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وقد بَلَّغْتَ.

* * *

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ التي عَدَّدَها عليهم.

﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ بعبادةِ غيرِ اللهِ، وقيل: يعرفون نعمةَ اللهِ على محمدٍ ﷺ بالنبوةِ، ثم يُنكرونها بتكذيبهِ.

﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: جميعُهم، والكفر: الجحود.

* * *

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: نبياً شهد لهم وعليهم.

﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: في الاعتذارِ.

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ يُطْلَبُ منهم العتبىٰ.

***

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: كفروا ﴿ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: جهنمَ.

﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذابُ ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُمْهَلون.

***

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ يومَ القيامةِ ﴿ شُرَكَآءَهُمْ﴾ أوثانَهم التي دَعَوْها شركاءَ. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في (رَأى الذين) في سورةِ الأنعامِ.

﴿ قَالُواْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾ أرباباً، ونعبدُهم، كأنَّهم أرادوا بذلك تذنيبَ المعبودينَ، وإدخالَهم في المعصيةِ.

﴿ فَأَلْقَوْاْ﴾ يعني: الأوثانَ.

﴿ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: أجابوهم بقدرةِ اللهِ تعالى.

﴿ إِنَّكُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ ما كُنَّا ندعوكم إلى عبادتِنا فكأنهم كذَّبوهم في التذنيبِ لهم.

***

﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ وَأَلْقَوْاْ ﴾ يعني : المشركينَ .

﴿ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ استسلموا ، وانقادوا لحكمِه بعدَ استكبارِهِمْ في الدنيا .

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ ضاعَ وبَطَلَ .

﴿ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ من أن الآلهةَ تشفعُ لهم .

***

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

[٨٨] ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بمنعِ الناسِ عن الإسلام .

﴿ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾ المُعَدِّ لهم منَ النارِ ، رُوِيَ أن اللهَ يُسلِّطُ عليهم حياتٍ لها أنيابٌ كالنخلِ ، وعقاربَ كالبِغالِ الدُّهْمِ ، ونحوَ ذلك .

﴿ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ في الدنيا بالكفرِ .

***

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم ﴾ يعني : نبياً ﴿ مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فإنَّ كلَّ نبيٍّ بُعِثَ إلى الأُمَمِ منها .

﴿ وَجِئْنَا بِكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الذين بُعِثْتَ إليهم .

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: القرآنَ ﴿ تِبْيَٰنًا ﴾ تِفْعالاً من البيانِ.

﴿ لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ يُحتاجُ إليه، وما كانَ فيه مُجْمَلاً، فأنتَ تُفَصِّله لهم.

﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالةِ ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ للجميعِ، وإنما حِرمانُ المحرومِ من تفريطِهِ.

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ بالجنةِ.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ بالتوحيدِ والإنصافِ ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ هو أداءُ الفرائضِ ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ صلةِ الرَّحِمِ.

﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾ الزنا والمعاصي ﴿ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ الشِّرْكِ، وما لا يُعرفُ في شريعةٍ ولا سُنَّةٍ ﴿ وَٱلْبَغْيِ ﴾ الظلمِ والتجبُّرِ على الناسِ.

﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ بالأمرِ والنهيِ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تتَّعظونَ، رُوِيَ أن الوليدَ بنَ المغيرةِ لما سمعَ هذه الآيةَ من النبيِّ ﷺ قال: واللهِ إنَّ لهُ لحلاوةً، وإنَّ عليهِ لطلاوةً، وإنَّ أسفلَهُ لَمُغدِقٌ، وإن أعلاهُ لَمُثْمِرٌ، وما يقولُ هذا بَشَرٌ(١).

* * *

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٢).

[٩١] ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ وعهدُ اللهِ: لفظٌ عامٌّ لجميعِ ما يُعْقَدُ باللسانِ، ويلتزمُه الإنسانُ من نفعٍ، أو صلةٍ، أو مواثقةٍ في أمرٍ موافقٍ للديانة.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ توثيقِها بذكرِ اللهِ، فتحنثوا فيها.

﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ أي: شاهداً ورقيباً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ من نقضِ العهدِ والوفاءِ.

* * *

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ (٩٢)﴾.

[٩٢] ثم ضربَ لنقضِ العهدِ مثلاً؛ تبْشيعاً له، وتحذيراً منه، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ التي غزلَتْهُ من صوفٍ وغيرِه.

﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ إحكامٍ وبَرْمٍ، فجعلَتْه ﴿أَنكَٰثٗا﴾ حالٌ، جمع نكثٍ، وهو ما يُنْكَثُ فتلُه؛ أي: يُنقَضُ، والمرادُ به: تشبيهُ الناقضِ بمن هذا شأنُه، ورُويَ أنَّ امرأةً من قريشٍ يقالُ لها: ريطَةُ بنتُ سعدِ بنِ تيم كانَتْ حمقاءَ، وكانَتْ هي وجواريها يَغْزِلْنَ من أولِ النهار إلى الظهرِ، ثم ينقضْنَ ما غزلْنَ(١).

﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: دَغَلاً وخِيانَةً بينكم بسببِ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٣)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٨٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٦٢).

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعةٌ ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أي: أكثرَ عدداً.

﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ من الجماعة التي حالفتموها، وهذا نهيٌ لمن يحالفُ قوماً، فإنْ وجدَ أيسرَ منهم وأكثرَ ذهبَ إليهم، وتركَ مَنْ[1] حالفَ.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي: يختبرُكم.

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا؛ من نقضِ العهودِ وغيرِها.

***

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على ملَّةِ الإسلامِ ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ بخذلانِهِ عَدْلاً ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيقِهِ فَضْلاً.

﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذا سؤالُ توبيخٍ، ليس ثَمَّ سؤالُ تفهُّم.

***

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ثم كررَ النهيَ تأكيداً وإنذاراً فقال: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ فتغرُّونَ بها الناسَ فيسكنونَ إلى إيمانِكم، ويأمنونَ، ثم تنقضونها ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ أي: قدمُكم.

---

(١) في «ت»: «ما».

﴿ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتِها على الإيمانِ، يقالُ لكل مُبْتَلًى بعدَ عافيةٍ: زَلَّتْ قدمُه.

﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ ﴾ العقوبةَ في الدنيا ﴿ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ بصدودِكم عن الوفاءِ إذا نقضْتُم، استنَّ بكم غيرُكم.

﴿ وَلَكُمۡ﴾ في الآخرةِ ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

* * *

﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ونزلَ فيمَنْ نقضَ العهدَ لينالَ شيئاً من حُطامِ الدنيا: ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا﴾ عَرَضاً ﴿ قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثوابِ.

﴿ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من المال ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فضلَ ما بينَ العِوضَيْنِ.

* * *

﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿ مَا عِندَكُمۡ﴾ من حُطامِ الدنيا ﴿ يَنفَدُ﴾ يفنى(١).

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ﴾ دائمٌ. رويَ عن قنبلٍ، ويعقوبَ: الوقفُ بالياءِ على (بَاقِي) و(مُفْتَرِي)(٢).

---

(١) «يفنىٰ» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٥).

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وعاصمٌ: (وَلَنَجْزِيَنَّ) بالنون، والباقون: بالياء، واختلِفَ عن ابن ذكوان[1].

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ على الوفاءِ في السراءِ والضراءِ.

﴿ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من الطاعاتِ دونَ سواها، ويغفرُ سيئاتِهم بفضلِه، قالَ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ، أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى ما يَفْنَى»[2].

* * *

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ ﴾ في الدنيا ﴿ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ هي الرزقُ الحلالُ.

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ وهذا وعدٌ بنعيمِ الآخرةِ. واتفقَ القراءُ على النونِ في (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ) لأجلِ (فَلَنُحْيِيَنَّهُ) قبلَه.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٢)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٥٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤١٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٣٠٨)، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) ﴾.

[٩٨] ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ﴾ أي: إذا أردتَ أن تقرأَ ﴿ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ تقدَّمَ الكلامُ في أولِ التفسيرِ على الاستعاذةِ وتفسيرِها ومذاهبِ الأئمةِ والقراءِ فيها مستوفىً في فصلِ الاستعاذةِ.

* * *

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) ﴾.

[٩٩] ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ ﴾ تسلُّط.

﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فإنَّهم لا يُطيعون أوامرَه، ولا يَقبلون وساوسَهُ إلا فيما يحتقرون على نُدورٍ وغَفْلَةٍ.

* * *

﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾.

[١٠٠] ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ يُطيعونه.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ ﴾ أي: باللهِ ﴿ مُشْرِكُونَ ﴾ وقيل: الكنايةُ راجعةٌ على الشيطان؛ أي: والذينَ هم بسببهِ مشركونَ بالله.

* * *

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾.

[١٠١] ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ أي: نَسَخْنا آيةً بآيةٍ مصلحةً للعبادِ.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ مما هو أصلحُ لخلقِه فيما يُغيِّرُ ويُبَدِّلُ من أحكامِه. قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (يُنْزِلُ) بالتخفيف، والباقون: بفتحِ النونِ والتشديدِ(1).

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمدُ ﴿مُفۡتَرِۭ﴾ مُخْتَلِقٌ ذلكَ من تلقاءِ نفسِك. وتقدَّم ما رُوي عن قنبلٍ ويعقوبَ في (مُفْتَرٍ) عندَ (بَاقٍ).

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ حكمةَ الأحكامِ وبيان الناسخِ من المنسوخِ، وعَبَّرَ بالأكثرِ مراعاةً لما كانَ عند قليلٍ منهم من توقُّفٍ وقلةِ مبالغةٍ في التكذيبِ والظنِّ.

* * *

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾.

[١٠٢] ﴿قُلۡ﴾ رَدّاً عليهم: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآنَ ﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ هو جبريلُ عليه السلام. قرأ ابنُ كثيرٍ: (الْقُدْسِ) بإسكانِ الدالِ، والباقونَ: بضمِّها(2).

﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدقِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالناسخِ، ويعلمون صدقَ ذلكَ.

﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ المنقادينَ لحكمِه.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٦).

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

[١٠٣] قال ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما: كانَ رسولُ الله ﷺ يعلِّمُ قَيْناً بمكةَ اسمُه بلعامُ وكان نصرانياً أعجميَّ اللسانِ، فكانَ المشركون يرونَ رسولَ اللهِ ﷺ يدخلُ عليه ويخرجُ، فقالوا: إنما يعلِّمُه بلعامُ، فنزل تكذيباً لهم وتهديداً: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ﴾(١) آدميٌّ، ثم أبطلَ قولَهم بقولِه:

﴿لِّسَانُ﴾ أي: لغةُ ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ يميلون ألسنتَهم ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ هو الذي لا يُفْصِحُ، وإن كانَ عربياً، والأعجميُّ: المنسوبُ إلى العجمِ وإنْ كانَ فَصيحاً، والأعرابيُّ: البدويُّ، والعربيُّ: منسوبٌ إلى العربِ وإنْ لم يكنْ فصيحاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء والحاء من لَحَدَ، والباقون: بضمِّ الياءِ وكسرِ الحاءِ من أَلْحَدَ(٢).

﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآنُ ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ فصيحٌ، المعنى: لسانُ الذي يُشيرونَ إليه أنه يعلِّمُ محمداً ﷺ فيه عُجْمَةٌ، والقرآنُ ذو بيانٍ وفصاحةٍ، فكيفَ يصدرُ عن أعجميٍّ؟!

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٧٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٦).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ثم تهدَّدَهم بقولهِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لا يصدِّقون أنها من عندِ الله.

﴿ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ ﴾ لا يرشدُهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرةِ.

***

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ثم أخبرَ تعالى أنَّ الكفارَ هم المفترونَ فقالَ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾ إشارةٌ إلى قريشٍ ﴿ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ على الحقيقةِ، لأن تكذيبَ الآياتِ والطعنَ فيها بهذهِ الخرافاتِ أعظمُ الكذبِ.

***

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] رُوِيَ أنَّ عمارَ بنَ ياسرٍ سَبَّ النبيَّ ﷺ عندَ المشركينَ مُكْرَهاً، فقالَ المسلمونَ: قد كفرَ عمارٌ، فقالَ ﷺ: «كَلاَّ، إِنَّ عَمَّاراً قَدْ مُلِىءَ إيماناً مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ»، فأتى عمارٌ رسولَ الله ﷺ فقال: نلتُ منكَ يا رسولَ الله، قالَ: «كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئناً،

فجعلَ النبيُّ ﷺ يمسحُ عيني عمارٍ ويقول: «إنْ عَادُوا فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ»، فنزلَ فيه وفيمن جرى مجراه: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾[1] على كلمةِالكفر استثناءٌ متصلٌ؛ لأنَّ الكفرَ يطلق على القولِ والاعتقادِ.

﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ لم تتغيرْ عقيدتهُ، لا يدخلُ في هذا الحكمِ.

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ أي: طابَ بهِ نفساً.

﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ إذ لا أعظمَ من جرمِهِ.

واتفقَ الأئمةُ على أنَّ من أُكرِهَ على كلمةِ الكفر، يجوزُ له أن يقولَ بلسانه، وإذا قالَ غيرَ معتقدٍ بقلبِه، لا يكفرُ، وإن أَبى حتى يُقتل كانَ أفضلَ.

واختلفوا في طلاقِ المُكْرَهِ، فأجازه أبو حنيفةَ، وأبطَلَهُ الثلاثةُ، وأما المكره بحقٍّ، فهو مكلَّفٌ بالاتفاق.

* * *

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوعيدُ ﴿بِأَنَّهُمُ﴾ الضميرُ لمن شرحَ بالكفرِ صدراً.

﴿ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بسببِ أنهم آثروها عليها.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لا يعصمُهم عن الزَّيْغِ.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٣٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٧٢).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ ﴾ فصرَفَهم عن طريقِ الهدى، وسَدَّ طرقَ هذهِ الحواسِّ حتى لا ينتفعَ بها في اعتبارٍ ولا تأملٍ.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ عما يراد بهم.

***

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُهُ ومذهبُ حمزةَ فيه.

﴿ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ المغبونون.

***

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ: (فَتَنُوا) بفتحِ الفاءِ والتاءِ، يعني: مَنْ أسلمَ من المشركينَ الذين فَتَنوا المسلمينَ. وقرأ الباقون: بضمِّ الفاءِ وكسرِ التاء(١)، يعني: الذين فُتِنوا: عُذِّبوا ومُنِعوا من الإسلامِ، فتَنَهم المشركون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٧).

﴿ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ ﴾ على الهجرةِ والجهادِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ أي: الفتنةِ والغفلةِ.

﴿ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ قيل: نزلَتْ في عبدِ الله بنِ أبي سَرْحٍ حينَ ارتدَّ، ثم أسلمَ وحَسُنَ إسلامُه.

* * *

﴿ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ﴾ المعنى: لغفورٌ رحيمٌ يوم تأتي ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ﴾ أي: ذو نَفْسٍ ﴿ تُجَٰدِلُ ﴾ تُحاجُّ.

﴿ عَن نَّفۡسِهَا ﴾ فالنفسُ الأولى هي المعروفةُ، والثانيةُ بمعنى الذاتِ؛ كما تقولُ: نفسُ الشيءِ وعينُه؛ أي: ذاتُه، المعنى: يومَ يأتي كلُّ إنسانٍ يُجادِلُ عن ذاتِه، لا فكرةَ له بغيرِه.

﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ ﴾ جزاءَ.

﴿ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ لا ينقصون أجورَهم.

* * *

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ثم ضربَ مثلاً بمن أنعمَ عليه فلم يَشْكُرْ، وأبطرَتْه النعمةُ فكفرَ، فقال: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ ﴾ هي مكةُ ﴿ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ ﴾ لا يُهاجُ أهلُها،

ولا يُغارُ عليها ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا ينتقلون منها إلى غيرِها؛ لحسنِها.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يُحْمَلُ إليها من البرِّ والبحرِ.

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ جمعُ نعمةٍ، رُويَ أن أهلَها كانوا يستنجون بالخبزِ.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: أهلَها ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ أي: ابتلاهم به حتى أكلوا الجِيَفَ والكلابَ الميتةَ، حتى كانَ أحدُهم ينظرُ إلى السماءِ فيرى شبهَ الدخانِ من الجوع.

﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بِشَنِّ الغاراتِ عليهم من بُعوثِ النبيِّ ﷺ وسراياه التي كانت تُطيفُ بهم.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ ولما كانَ الخوفُ يَتَغَشَّاهم من كلِّ جانبٍ تَغَشِّيَ الثوبِ للابسِ، استعارَ اللباسَ له، فكأنَّ اللباسَ قد صارَ جوعاً وخوفاً؛ كأنه قال: فأذاقَهم الله(١) ما يتغشَّاهم من الجوعِ والخوفِ.

* * *

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ يعني: أهلَ مكةَ.

﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ في حالِ ظلمِهم.

---

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ أَمَرَهم بأكلِ ما أحلَّ اللهُ لهم، وشكرِ ما أنعمَ عليهم بعدَما زجرَهم على الكفرِ، وهدَّدَهم عليه بما ذكرَ من التمثيلِ والعذابِ الذي حلَّ بهم؛ صَدّاً لهم عن صنيعِ الجاهليةِ.

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تُطيعونَ.

* * *

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾.

[١١٥] ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ تقدَّمَ تفسيرُ نظيرِها، ومذاهبُ القراءِ فيها، واختلافُ الأئمةِ في حكمِها في سورةِ البقرة.

* * *

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ ﴾ أي: تَنْعَتُ ﴿ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ إشارة إلى ما تقدَّمَ من السائبةِ والوصيلةِ والحامِ، المعنى: لا تُحِلُّوا حراماً، ولا تحرِّموا حلالاً؛ لتفتروا على اللهِ الكذبَ فتقولوا: إن الله أمرنا بها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ لا يبلغون الأملَ.

* * *

﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ﴿ مَتَٰعٞ ﴾ أي: بقاؤهم فيها متاعٌ.

﴿ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ في الآخرةِ.

* * *

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ ﴾ وهو ما ذُكر في سورةِ الأنعامِ، وهو كلُّ ذي ظُفُرٍ ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ ﴾ بالتحريمِ.

﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ بالمعاصي.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ أي: بسببِها.

﴿ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ ﴾ والإصلاحُ: الاستقامةُ على التوبةِ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ أي: بعدَ التوبةِ.

﴿ لَغَفُورٞ ﴾ لذلك السوءِ ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ يُثيب على الإنابةِ.

* * *

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

[١٢٠] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشامٌ عن ابنِ عامرٍ : (إبراهام) بالألفِ في هذا الحرف والآتي[١] .

﴿ كَانَ ﴾ وَحْدَهُ ﴿ أُمَّةً ﴾ من الأممِ؛ لكمالِه في جميعِ صفاتِ الخير ﴿ قَانِتًا ﴾ مُطيعاً .

﴿ لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن الباطلِ .

﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ كما زعموا؛ فإن قريشاً كانوا يزعمونَ أنهم[٢] على مِلَّتِهِ .

* * *

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

[١٢١] ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ﴾ رُوي أنه كانَ لا يأكلُ إلاَّ مع ضيفٍ ، فجاءه فوجٌ من الملائكةِ في زِيِّ البشر ، فقدَّم لهم الطعامَ ، فخيلوا إليه أنَّ بهم جُذاماً ، فقالَ : الآنَ وجبتْ مؤاكلتُكُمْ شكراً لله على أنْ عافاني وابتلاكم .

﴿ ٱجْتَبَىٰهُ ﴾ اختارَهُ للنبوةِ ﴿ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ دينِ الإسلام .

* * *

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ ﴾ هي التنويهُ بذكرِه حتى ليسَ من أهلِ

---

(١) كما تقدم عنه . وانظر : «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١ـ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٩٩) .

(٢) «أنهم» ساقطة من «ت» .

دينٍ إلا وهم يتولَّوْنَهُ ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أهلِ الجنة.

***

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمدُ.

﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بلْ كان قدوةً للموحِّدين.

***

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ تقدَّمَ تفسيرُه، وحكمُ طلبِ القاضي لليهوديِّ في يوم السبتِ في سورةِ البقرةِ، ونُبِّهَ عليه في الأعراف؛ أي: جُعِلَ تعظيمُه والتخلِّي فيه للعبادةِ.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: على نبيِّهم، وهم اليهودُ، أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادةِ يومَ الجمعة، فأبوا وقالوا: نريدُ يومَ السبت؛ لأنه تعالى فرغَ فيه من خلقِ السمواتِ والأرضِ، فألزمَهم اللهُ السبتَ، وشَدَّدَ الأمرَ عليهم، وقيل: معناه: إنما جُعِلَ وبالُ السبتِ، وهو المسخُ، على المختلفين فيه بتحليلِ الصيدِ تارةً، وتحريمه أُخرى، وتقدَّمَ ذكرُ القصةِ في سورةِ البقرةِ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بالمجازاةِ على الاختلاف بما يستحقُّه كلُّ فريقٍ.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

[١٢٥] ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي: الإسلام. قرأ أبو عمرٍو: (سَبِيل رَّبِّكَ) بإدغامِ اللامِ في الراءِ[(١)].

﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ بالمقالةِ المحكمةِ ﴿ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ التلطُّفِ من غيرِ تعنيفٍ، قالَ ﷺ: «أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ»[(٢)].

﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ بالرفقِ واللينِ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ وهو المجازي لهم، وهذا منسوخٌ بآيةِ السيفِ.

* * *

﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾.

[١٢٦] ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ ﴾ لما مَثَّلَ المشركونَ بحمزةَ رضي الله عنه يومَ أُحُدٍ، قال النبيُّ ﷺ: «وَاللهِ لئن أَظْفَرَنِي اللهُ بِهِمْ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ»، فنزلت، وهو إشارةٌ إلى وجوب التقاصُصِ على السَّواءِ.

﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ ﴾ على تركِ القِصاصِ ﴿ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ معناهُ:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٠).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١٦١١)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وسنده ضعيف جداً، كما نقل العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٢٦) عن السخاوي والسيوطي وغيرهما.

العفوُ خيرٌ من الانتقام، فقالَ النبيُّ ﷺ: «بَلْ أَصْبِرُ»، وأَمسكَ عما أرادَ، وكَفَّرَ عن يمينه(١).

* * *

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ثم صَرَّحَ بالأمرِ بالصبرِ، فقال لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي: بمعونتِهِ وتثبيتِهِ ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إنْ لم يؤمنوا.

﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ: (ضِيقٍ) بكسر الضادِ؛ أي: شِدَّة، وقرأ الباقون: بالفتحِ؛ أي: غَمٍّ(٢).

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ﴾ المعاصيَ.

﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ في العملِ، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٣)، و«شرح معاني الآثار» للطحاوي (٣/ ١٨٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٩٣٧)، و«المستدرك» للحاكم (٤٨٩٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦١) وما بعدها، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٠ـ٣٠١).

سورة الإسراء

مكيةٌ إلا قولَه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ إلى آخرِ ثماني آياتٍ، قدرُ آيها مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً، وحروفُها ستةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وستونَ حرفاً، وكَلِمُها ألفٌ وخمسُ مئةٍ وثلاثٌ وثلاثونَ كلمةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾.

[١] ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ (سُبْحَانَ) تنزيهُ اللهِ من كلِّ سوءٍ، ووصفُه بالبراءةِ من كلِّ نقصٍ، وتكونُ (سُبْحَانَ) بمعنى التعجُّبِ، (أَسْرَى)؛ أي: سَيَّرَهُ، و(العبدُ) هو محمدٌ ﷺ، لم يختلفْ في ذلكَ أحدٌ من الأمة، و(ليلاً) نصبٌ على الظرف.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو المسجدُ المحيطُ بالكعبةِ، وقيلَ: من بيتِ أُمِّ هانِىء من الحرم، قالَ ابنُ عباسٍ: «الحرمُ كلُّهُ مسجِدٌ»(١).

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ هو مسجدُ بيتِ المقدسِ، وبينَهما مسيرةُ شهرٍ،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٧).

وسُمِّيَ الأقصى، لبعدِ المسافةِ بينَهُ وبينَ المسجدِ الحرامِ، وقيل: كانَ هذا أبعدَ مسجدٍ عن أهلِ[1] مكةَ في الأرض يُعَظَّمُ بالزيارةِ، وقيل: لبعدِه عن الأقذارِ والخبائثِ، ورُوي أنه سُمِّيَ الأقصى؛ لأنه وسطُ الدنيا لا يزيدُ شيئاً ولا ينقُصُ.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ والبركةُ حولَه من جهتين: إحداهُما: بالنبوةِ والشرائعِ والرسلِ الذين كانوا في ذلك القطرِ في نواحيهِ وبواديه، والأخرى: النِّعَمُ من الأشجارِ والمياهِ والأرضِ المفيدةِ التي خَصَّ اللهُ الشامَ بها، وعنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ بَارَكَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرِيشِ إِلَى الفُرَاتِ»[2]، وخصَّ فلسطينَ بالتقديسِ، ولو لم يكنْ له من الفضيلةِ غيرُ هذهِ الآيةِ، لكانَتْ كافيةً فيه؛ لأنه إذا بورِكَ حولَهُ، فالبركَةُ فيه مضاعَفَةٌ.

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ أي: محمداً ﷺ بعينِه ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ﴾ في السمواتِ والملائكةِ والجنةِ والنارِ، ولقيا الأنبياءِ، وغيرِ ذلكَ مما رآه تلكَ الليلةَ من العجائبِ، وذهابِه ورجوعِه في جزءٍ من ليلةٍ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِما تقولون ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأفعالِكم، وعيدٌ من اللهِ للكفارِ على تكذيبِهم محمداً ﷺ في أمرِ الإسراءِ.

وأما قصةُ الإسراءِ، فملَخَّصُها: أن الله سبحانه وتعالى بعثَ رسوله ﷺ، وأنزلَ عليهِ الوحيَ، وأمرهُ بإظهارِ دينهِ، وأَيَّدَهُ بالمعجزاتِ الظاهرةِ، والآياتِ الباهِرَةِ، أسرى به ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى، وهو بيتُ المقدسِ من إيليا، وقد فشا الإسلامُ في قريشٍ وفي

---

(١) في «ش»: «لأهل».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر(١/ ١٤١)، (١/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

القبائلِ كلِّها، وكانَ الإسراءُ ليلةَ سبعَ عشرةَ من ربيعٍ الأولِ قبلَ الهجرةِ بسنةٍ.

وقال ابن الجوزيِّ: وقد قيلَ: كانَ في ليلةِ سبعٍ وعشرينَ من شهرِ رجبٍ.

وقيل: في شهرِ رمضانَ، والنبيُّ ﷺ ابنُ إحدى وخمسينَ سنةً وتسعةِ أشهرٍ وثمانيةٍ وعشرين يوماً.

واختلِفَ في الإسراءِ برسولِ الله ﷺ، فقيل: إنما كانَ جميعُ ذلكَ في المنام، والحقُّ الذي عليه أكثرُ الناسِ ومعظمُ السَّلَفِ، وعامةُ المتأخرين من الفقهاءِ والمحدِّثينَ والمتكلِّمين أنه أُسري بجسدِهِ ﷺ يقظةً؛ لأَن قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] تدلُّ على ذلك، ولو كانت رؤيا نومٍ، ما افتتنَ بها الناسُ حتى ارتدَّ كثيرٌ ممن كانَ أسلمَ، وقالَ الكفارُ: يزعمُ محمدٌ أنه أَتى بيتَ المقدسِ ورجعَ إلى مكةَ في ليلةٍ واحدةٍ، والعيرُ تطردُ إليه شهراً مدبرةً، وشهراً مقبلةً، ولو كانت رؤيا نوم، لم يُستبعَدْ ذلك منه.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «هي رُؤْيا عينٍ رآها النبيُّ ﷺ لا رُؤْيا مَنامٍ»(١)، قالَ الله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧] أضافَ الأمرَ للبصرِ، وقوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [النجم: ١١]؛ أي: لم يُوهِمِ القلبُ العينَ غيرَ الحقيقة، بل صدق رُؤْيتَها.

واختلفَ السلفُ والخلفُ هل رأى نبيُّنا ﷺ رَبَّهُ ليلةَ الإسراءِ؟ فأنكرته

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج.

عائشةُ رضي الله عنها، ورُوي عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: «رآهُ بعينِهِ»[1]، ومثلُه عن أبي ذرٍّ، وكعبٍ، والحسنِ، وكان يحلفُ على ذلكَ، وحُكِيَ مثله عن ابنِ مسعودٍ، وأبي هريرةَ، والإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه، وحَكَى النقاشُ عن الإمامِ أحمدَ أنه قالَ: «أَنا أقولُ بحديثِ ابنِ عباسٍ: «بعينِه رآهُ» رآه، حتى انقطعَ نَفَسُ الإمامِ أحمدَ»[2]، وعنِ ابنِ عباسٍ: أنه قال: «إِنَّ اللهَ اختصَّ موسى بالكلامِ، وإبراهيمَ بالخُلَّةِ، ومحمداً بالرُّؤْيةِ»[3]، وحجتُه قولُه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١١ـ١٣].

واختلفوا في أنَّ نبينا ﷺ هل كَلَّمَ ربَّه عز وجل ليلةَ الإسراءِ؟ فذكِرَ عن جعفرِ بنِ محمدٍ الصادقِ أنه قال: «أُوحِيَ إِلَيْه بِلا واسِطَةٍ»، وإلى هذا ذهبَ بعضُ المتكلِّمينَ أن محمداً كلَّمَ ربَّهُ ليلةَ الإسراءِ، وحكوه عن ابنِ عباس، وابنِ مسعود.

واختلِفَ في المكانِ الذي أُسري به منه، فروي عنه ﷺ: أنه قالَ: «بَيْنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ مُضْطَجِعٌ، ومنهم من قال: بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ»[4]، وفي رواية أنه قال: «بَيْنَا أَنا نَائِمٌ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِىءِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ» والذي رجَّحه الطبريُّ أنه من المسجدِ المحيطِ بالكعبةِ، قالَ:

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٠).
(٢) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٥/ ١٤٤).
(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٠٤).
(٤) رواه البخاري (٣٦٧٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج، عن مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنه ـ.

وهذا الذي يُعرف إذا ذكرَ هذا الاسمُ[1]، وكانت ليلةَ الاثنين «إِذْ هَبَطَ عَلَيَّ الأَمِينُ جِبْرِيلُ عليه السلام» وَذَكَرَ القصةَ.

وكان من حديثِ المعراجِ الشريفِ ما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قال: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ»، وفي روايةٍ: «فَلَمَّا دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، إِذَا أَنَا بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ قَدْ حُشِرُوا إِلَيَّ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَمَثَلُوا لي[2]، وَقَدْ قَعَدُوا صُفُوفاً صُفُوفاً يَنْتَظِرُونِي، فَسَلَّمُوا عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلاَءِ؟ قَالَ: إِخْوَانُكَ الأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، زَعَمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ للهِ شَرِيكاً، وَزَعَمَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ للهِ وَلَداً، اسْأَلْ هَؤُلاَءِ النَّبِيِّينَ هَلْ كَانَ للهِ عز وجل شَرِيكٌ؟ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فَلَمْ يشْكُكْ ﷺ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ، وَكَانَ أَثْبَتَ يَقِيناً مِنْ ذَلِكَ».

قالَ أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمدِ بنِ حبيبٍ المفسِّرُ في «كتاب التنزيل» له: أن هذهِ الآيةَ أُنزلت على النبيِّ ﷺ ببيتِ المقدسِ ليلةَ أُسريَ به، وقد عدَّها غيرُه من العلماء في الشاميِّ، والذي قالَه أبو القاسم أخصُّ مما ذكروه.

وقال جماعةٌ من المفسِّرينَ: فلما أُنزلت، وسمعَها الأنبياءُ عليهم السلام، أقروا لله عز وجل.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٥).

(٢) في «ت»: «إليَّ».

قال ﷺ: «ثُمَّ جَمَعَهُمْ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَقَدَّمَنِي فَصَلَّيْتُ بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ، قال ﷺ: ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا بِآدَمَ ﷺ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا بِي، وَدَعَوا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فذكرَ مثلَ الأولِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ وَذَكَرَ مِثْلَهَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عليه السلام، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فذكرَ مثلَه، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فذكرَ مثلَه، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَذَكَرَ مثلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذُهِبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ، قالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ، تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ

يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: ما فَرَضَ رَبُّك عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى حَتَّى قالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاَةٍ عَشْرٌ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا، كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قال: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتَ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ[(١)] وفي رواية: يَا مُوسَى! قد وَاللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللهِ[(٢)]، قال ﷺ: ثُمَّ حَمَلَنِي حَتَّى أَنْزَلَنِي عَلَى جَبَلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَإِذَا أَنَا بِالْبُرَاقِ وَاقِفٌ عَلَى حَالِهِ فِي مُوْضِعِهِ، فَسَمَّيْتُ اللهَ، وَاسْتَوَيْتُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ أَشْرَفْتُ عَلَى مَكَّةَ وَمَعِي جِبْرِيلُ، قال ﷺ: لَمَّا كَانَتْ صَبِيحَةُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، أَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ مُتَحَيِّراً فِي أَمْرِي، وَعَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ يُكَذِّبُونِي، فَعُدْتُ مُعْتَزِلاً حَزِيناً إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ، فَمَرَّ بِي أَبُو جَهْلٍ عَدُوُّ اللهِ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ

---

(١) رواه مسلم (١٦٢)، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٩)، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾.

إِلَيَّ، فَقَالَ لِي كَالْمُسْتَهْزِئِ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتُ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! هَلُمُّوا، فَانْتَقَضَتِ الْمَجَالِسُ، وَجَاؤُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: حَدِّثْ قَوْمَكَ يَا مُحَمَّدُ بِمَا حَدَّثْتَنِي، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ، قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟! قَالَ: نَعَمْ، فَبَقِيَ مِنْهُمُ الْمُتَعَجِّبُ، وَمِنْهُمُ الْمُصَفِّقُ، وَمِنْهُمُ الْوَاضِعُ يَدَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالُوا: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْعَتُهُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ؛ لِكَوْنِي دَخَلْتُهُ لَيْلاً، فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عَقِيلٍ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، قالَ ﷺ: وَآيَةُ ذَلِكَ أَنني مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلانٍ بِوَادِي كَذَا وَكَذَا، فَأَنْفَرَهُمْ حِسُّ الدَّابَّةِ، فَنَدَّ لَهُمْ بَعِيرٌ، فَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ نَحْوَ الشَّامِ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِضُجْنَانَ مَرَرْتُ بِعِيرِ بَنِي فُلانٍ، فَوَجَدْتُ الْقَوْمَ نِيَاماً، وَلَهُمْ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ قَدْ غَطَّوْا عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتَ مَا فِيهِ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ، وَإِنَّ عِيرَهُمُ الآنَ تُصَوِّبُ مِنَ الْبَيْضَاءِ ثَنِيَّةِ التَّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ، إِحْدَاهُما سَوْدَاءُ، وَالأُخْرَى بَرْقَاءُ، فَابْتَدَرَ الْقَوْمُ الثَّنِيَّةَ، فَلَمْ يَلْقَهُمْ أَوَّلاً إِلاَّ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَ لَهُمْ، وَسَأَلُوهُمْ عَنِ الإِنَاءِ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ وَضَعُوهُ مَمْلُوءاً مَاءً، ثُمَّ غَطَّوْهُ، وَأَنَّهُمُ افْتَقَدُوهُ مِنَ اللَّيْلِ فَوَجَدُوهُ كَمَا غَطَّوْهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَاءً، وَسَأَلُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ نَدَّ لَهُمُ الْبَعِيرُ، فَقَالُوا: صَدَقَ وَاللهِ، لَقَدْ نَدَّ لَنَا بَعِيرٌ بِالْوَادِي الَّذِي ذَكَرَهُ، فَسَمِعْنَا صَوْتَ رَجُلٍ يَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَإِنَّهُ لأَشْبَهُ الأَصْوَاتِ بِصَوتِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَجِئْنَا حَتَّى أَخَذْنَاهُ، وفي

روايةٍ: ومَرَرْتُ بِعِيرِكُمْ بِالتَّنْعِيمِ يَقْدُمُهَا جَمَلٌ أَوْرَقُ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ تَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَخَرَجُوا إِلَى الثَّنِيَّةِ وَجَلَسُوا يَنْتَظِرُونَ طُلُوعَ الشَّمْسِ لِيُكَذِّبُوهُ إِذْ قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الشَّمْسُ قَدْ طَلَعَتْ، قالَ آخرُ: هذهِ العيرُ قدْ أقبلَتْ يقدُمُها بعيرٌ أورقُ كما قالَ، فقالوا: إنْ هَذَا إلاَّ سحرٌ مبينٌ[1]، فحينئذٍ آمَنَ من آمنَ، وكفرَ مَنْ كفرَ، وذهبَ الناسُ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه، فقالوا: هلَ لكَ يا أبا بكرٍ في صاحبِكِ أنَّه يزعُمُ أنه قد جاءَ الليلةَ بيتَ المقدسِ، وصلَّى فيهِ ورجعَ إلى مكةَ، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «واللهِ لئنْ كان قالَ، لقد صدقَ، فما يُعْجِبُكم من ذلك؟ فو اللهِ إنَّه لَيُخْبِرُنا عنِ الوحيِ من اللهِ يأتيهِ من السَّماءِ إلى الأرضِ في ساعةٍ واحدةٍ من ليلٍ أو نهارٍ، فنصدِّقُه، فهذا أبعدُ مما تعجبونَ منهُ، ثم أقبلَ حتى انتهى إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا نبيَّ الله! أَحَدَّثْتَ هؤلاءِ أنكَ جئتَ بيتَ المقدسِ هذهِ الليلةَ؟ قالَ: نعم، قالَ: صَدَقْتَ، فصفْه لي يا نبيَّ اللهِ؛ فإني جئتُه، قالَ رسول الله ﷺ: «فَرُفِعَ إِلَيَّ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ»، وجعلَ يصفُه لأبي بكرٍ وهو يقولُ: صدقْتَ، أشهدُ أنكَ رسولُ الله، حتى انتهى، فقالَ النبيُّ ﷺ: «وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق» فسمِّي من ذلكَ اليومِ صديقاً، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، ثم أنزلَ اللهُ سورةَ النجمِ تصديقاً له ﷺ[2].

***

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٨٥). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢٥٥)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧).

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٨): بعد أن ذكر السياق الذي نقله المصنف هنا: هذا سياق فيه غرائب عجيبة.

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراةَ ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا ﴾ أي: هديناهم لئلاَّ ﴿ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ أي: رَبّاً يَكِلونَ إليهِ الأمورَ.
قرأ أبو عمرٍو: (يَتَّخِذُوا) بالغيب؛ لأنه خبرٌ عنهم، وقرأ الباقون: بالخطاب، يعني: قلْنا لهم: (لا تتَّخِذُوا)[١].

* * *

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ ﴾ منادًى؛ أي: يا ذريةَ قومِ نوحٍ! وهذا مِنَّةٌ على جميعِ الناسِ؛ لأنهم كلَّهم من ذريةِ مَنْ أُنْجِيَ في السفينةِ من الغرقِ، وهو إيماءٌ إلى توبيخِ مَنْ أشركَ باللهِ؛ لأنهم موجودون من ذريةِ مَنْ أُنجيَ في السفينةِ، المعنى: كانوا مؤمنينَ، فكونوا مثلَهم واسْتَنُّوا بسنَّتِهم، ثم زادَهم توبيخاً بقوله:

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: نوحاً ﴿ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ كثيرَ الشكرِ، فكونوا مثلَه، وكانَ ﷺ يستعظمُ القليلَ من فضلِ اللهِ عليه، ويستصغرُ كثيرَ خدمتِه له.

* * *

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٦).

[٤] ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أعلَمْناهم ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراةِ.

﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ لامُ القسم، مجازُهُ: واللهِ لَتُفْسِدُنَّ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أرضِ الشام وبيتِ المقدسِ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ لتَسْتكبِرُنَّ عن طاعةِ الله.

* * *

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾.

[٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي: وعدُ عقابِ أولاهما، وهي مخالفةُ التوراةِ، وإحداثُهم المعاصي، وقتلُ أشعياءَ النبيِّ، الذي بَشَّرَ بعيسى ومحمدٍ عليهم الصلاة والسلام.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ هو بُخْتَ نَصَّر وأصحابهُ على الأظهرِ ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ذوي قوة وبطش ﴿فَجَاسُوا۟﴾ طافوا ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وسطَ المنازلِ ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي: قضاءً كائناً لا خُلْفَ فيه، وتقدَّمَ خبرُ قصةِ بخت نَصَّرَ وتخريبه بيتَ المقدسِ في سورةِ البقرةِ عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الآية: ٢٥٩].

* * *

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾.

[٦] وقد روي أن سيدنا سليمانَ بنَ داودَ عليهما السلام عمرَ بيتَ المقدسِ من ذهبٍ وفضةٍ وياقوتٍ وزبرجدٍ، وكان عمدُه ذهباً، أعطاهُ اللهُ ذلكَ، وسخَّرَ له الجنَّ والشياطينَ يأتونَه بهذه الأشياءِ في طَرْفةِ عين، وعملَ

فيه عملاً لا يُوصَفُ، فلم يكنْ يومئذٍ في الأرضِ بيتٌ أبهى ولا أنورَ من ذلكَ المسجدِ، كان يضيءُ في الظلمةِ كالقمرِ ليلةَ البدرِ، وكانتْ صخرةُ بيتِ المقدسِ أيامَ سليمانَ ارتفاعُها اثنا عشرَ ذراعاً، وكان الذراعُ ذراعَ الأمان ذراعٌ وشبرٌ وقَبْضةٌ، وكانَ ارتفاعُ القبةِ التي عليها ثمانيةَ عشرَ ميلاً، وفوقَ القبةِ غزالٌ من ذهبٍ بينَ عينيهِ دُرَّةٌ أو ياقوتةٌ حمراءُ تغزلُ نساءُ أهلِ البلقاءِ على ضوئِها بالليل، وهي من فوقِ مرحلتينِ من القدسِ، وكانَ أهلُ عمواسَ يستظلُّونَ بظلِّ القبةِ إذا طلعتِ الشمسُ من المشرقِ، وعمواسُ بفتح الميم وسكونها، وهي التي سُمِّي بها الطاعونُ على الراجحِ؛ لأنه منها ابتدأ، وكان في سنةِ ثماني عشرةَ من الهجرةِ، وهي بالقربِ من رملةِ فلسطينَ، مسافتُها عن بيتِ المقدسِ نحوُ بريدٍ ونصفٍ، وإذا غربتِ الشمسُ استظلَّ بها أهلُ بيت الرامةِ من الغور، ومسافتُها عن بيتِ المقدسِ أبعدُ من عمواسَ، وبينَ عمارةِ سليمانَ عليه السلام للمسجدِ الأقصى وبينَ الهجرةِ النبويةِ الشريفةِ على صاحبِها الصلاةُ والسلام ألفٌ وثمانُ مئةٍ وقريبُ سنتين، وسيأتي ذكر بنائِه في تفسيرِ سورةِ سبأ عندَ قولِه تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [الآية: ١٣]، واستمرَّ على العمارةِ السليمانيةِ أربعَ مئةٍ وثلاثاً وخمسينَ سنةً إلى أَنْ غزاهم بُخْتَ نَصَّرُ، وخَرَّبَ العمارةَ السليمانيةَ، وأحرقَ بيتَ المقدسِ وخرَّبَهُ، واحتمل منه ثمانين عجلةً ذهباً وفضةً، وأبادَ بني إسرائيل قتلاً وتشريداً، واستمرَ بيتُ المقدسِ خراباً سبعينَ سنةً كما تقدَّمَ ذكرُه في سورة البقرة، ثم أهلكَ الله بُخْتَ نَصَّرَ ببعوضةٍ دخلتْ دماغَهُ، ونَجَّى اللهُ مَنْ بقيَ من بني إسرائيلَ، ولم يمتْ ببابلَ(١).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٥٩)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٢٤٣).

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ﴾ الدولةَ العليّةَ.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على الذين قتلوكم حينَ تبتُمْ.

﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾ رُوي أنَّ الله تعالى أوحى إلى أرمياءَ النبيِّ عليه السلام أَنَّ كورشَ يعمرُ بيتَ المقدسِ، وهو ملكٌ من ملوكِ الفرسِ، وكان مؤمناً، فسار كورشُ ببني إسرائيلَ، وحُلِّي بيتُ المقدسِ حتى ردَّه إليه، وعمر بيت المقدس، وعادَ البلدُ أحسنَ مما كانَ، وأصعدَ إليها من بني إسرائيل أربعينَ ألفاً، وقَرَّبوا القرابينَ على رسومِهم الأولى، ورجعت إليهم دولتُهم، وعظم محلُّهم عندَ الأممِ، واستمرَّ بيتُ المقدسِ عامراً سبعَ مئةٍ وإحدى وعشرينَ سنةً.

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ عدداً، والنفيرُ: من يَنْفِرُ مع الرجلِ من قومِه.

***

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـࣳۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ لأن ثوابه لها.

﴿ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ فإنَّ وبالَها عليها.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: عقابُ المرةِ الآخرةِ من إفسادِكم، وذلكَ قصدُهم قتلَ عيسى عليه السلام حينَ رُفِعَ، وتقدَّمَ ذكرُ قصتِهم مستوفىً في سورةِ آلِ عمرانَ، وقتلهم يحيى عليه السلام، وسببُه أنَّ عيسى عليه السلام كان قد حَرَّمَ نكاحَ بنتِ الأخِ، فكانَ لهرودوس، وهو الحاكمُ على بني

إسرائيلَ بنتُ أخٍ، وأرادَ أن يتزوَّجَها كما هو جائزٌ في ملةِ اليهودِ، فنهاه يحيى عن ذلكَ، فطلبتْ أمُّ البنتِ من هرودوسَ أن يقتلَ يحيى، فلم يُجِبْها إلى ذلك، فعاوَدَتْه، وسألته البنتُ أيضاً، وَأَلَحَّتْ عليه، فأجابهما إلى ذلك، وأمر بيحيى فَذُبح ووُضِعَ رأسُه بينَ يدي هرودوسَ، فكانَ الرأسُ يتكلَّمُ ويقولُ: لا تَحِلُّ لكَ، واستمرَّ غَلَيانُ دمِه، فأمر بترابٍ فألقي عليهِ حتى بلغَ سورَ المدينة، فما زادَ إلا انبعاثاً، فبعث اللهُ عليهم مَلِكاً من جهة المشرق من ملوكِ بابل يقال له: خُرْدوسُ، فقتلَ منهم على دمِ يحيى سبعينَ ألفاً إلى أن سكنَ دمُه، وزعم قومٌ أن بخت نصر هو الذي غزاهم وقتلَهم على دمِ يحيى، وليسَ بصحيح؛ لأن بُخْتَ نَصَّرَ خَرَّبَ بيتَ المقدسِ قبلَ ولادةِ يحيى بنحو خمسِ مئةِ سنةٍ، ثم غزاهم طيطوسُ الروميُّ، وكان محلُّ ملكِه مدينةَ روما من بلادِ الفرنجِ، فقصدَ بيتَ المقدسِ، وأَوقعَ باليهودِ وقتلَهم وأسرَهم على آخرِهم إلاَّ من اختفى، ونهبَ القدسَ وَخَرَّبه، وخَرَّبَ البيتَ المقدَّسَ، وأحرقَ الهيكلَ، وخلا القدسُ من بني إسرائيلَ كأَنْ لم تَغْنَ بالأمسِ، وكانتْ أعظمَ الوقعتينِ، فلم يعدْ لهم بعدَ ذلك رئاسةٌ ولا حكمٌ، وكانَ ذلكَ بعدَ رفعِ المسيحِ بنحوِ أربعينَ سنةً، وبينَ هذا التخريبِ والهجرةِ الشريفةِ خمسُ مئةٍ وثمانٌ وخمسونَ سنةً بالتقريبِ، فذلكَ قولُه تعالى:

﴿لِيَسُـُٔوا۟﴾ أي: بعثناهم ليسوؤوا ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ يُخزوها، ويُدْخِلوا عليها الغمَّ والحزنَ، والضميرُ لأولي البأسِ الشديدِ. **قرأ** الكسائيُّ: (لِنَسُوءَ) بالنونِ ونصبِ الهمزةِ على التعظيم إخباراً من الله عن نفسه، **وقرأ** ابنُ عامرٍ، وحمزةُ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (لِيَسُوءَ) بالياءِ ونصبِ الهمزةِ؛

أي: ليسوءَ اللهُ وجوهكم، **وقرأ** الباقون: بالياءِ وضمِّ الهمزةِ وبعدَها واوُ الجمعِ على المعنى الأول[1].

﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ ﴾ أي: بيتَ المقدسِ.

﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ من المرتينِ.

﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ ﴾ يُهْلِكوا ﴿ مَا عَلَوْاْ ﴾ غَلَبوا عليه ﴿ تَتْبِيرًا ﴾ مصدرٌ.

* * *

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ بعدَ انتقامِه منكُم إن تبتُمْ، فيردَّ الدولةَ إليكم، فتابوا، فرحمهم ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ ﴾ إلى المعصيةِ ﴿ عُدْنَا ﴾ إلى العقوبةِ، فعادوا بتكذيبِ محمدٍ ﷺ، فعاد الله بتسليطِه عليهم، فقتلَ قريظةَ وأجلى بني النضيرِ، وضربَ الجزيةَ على الباقينَ، فهم يُعطونها عن يَدٍ وهم صاغِرونَ.

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ سِجْناً؛ من الحَصْرِ، لا يقدرون على الخروج منها، واستمرَّ بيتُ المقدسِ ومسجدُه خراباً إلى أنْ تراجعَ البلدُ إلى العمارةِ قليلاً قليلاً، وترمَّمَ شعثُه، وملكَهُ الرومُ واستوطنوه، واستمرَّ المسجدُ الأقصى خراباً يُلْقى فيه القماماتُ، وبقيَ الحالُ على ذلك حتى جاءَ الإسلامُ، وقدمَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، وفتحَ القدسَ، وعمرَ المسجدَ الأقصى زادَ اللهُ شرفهَ في سنةِ خمسَ عشرةَ من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٠٨).

الهجرةِ الشريفةِ، وقيل: في سنةِ ستَّ عشرةَ في ربيعٍ الأولِ، وقيل: لخمسٍ خَلَوْنَ من ذي القعدة، والله أعلم.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أَصْوَبُ، وهي الإيمانُ ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ: (وَيَبْشُرُ) بفتحِ الياءِ وتخفيفِ الشينِ وضمِّها، من البشرِ، وهو البُشرى والبشارةُ، وقرأ الباقون: بضم الياءِ وتشديد الشينِ مكسورةً من بَشَّرَ المضعَّفِ على التكثير(١).

* * *

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو النارُ، عطفٌ على (وَيُبَشِّرُ)؛ أي: يبشرُ المؤمنين بِشارتين: بثوابِهم في الآخرةِ، وبعقابِ أعدِائهم.

* * *

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عندَ غضبِهِ ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ على نفسه ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ أي:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٠).

كما يدعو اللهَ ﴿ بِٱلۡخَيۡرِ ﴾ ولو استجابَ اللهُ دعاءَهُ على نفسِه، لهلكَ، ولكنَّ اللهَ لا يستجيبُ له بفضلِه.

﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾ ضجراً لا صبرَ له على السَّراءِ والضَّراءِ. وحُذفت الواوُ من (يَدْعُ) في اللفظِ والخطِّ، ولم تحذفْ في المعنى؛ لأنها في موضعِ رفعٍ، فكان حذفُها باستقبالِها اللامَ الساكنة؛ كقولِه: ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق: ١٨] ﴿ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾ [الشورى: ٢٤] ﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٤٦].

* * *

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا (١٢) ﴾.

[١٢] ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ ﴾ علامتينِ يُستدَلُّ باختلافِهما على الوحدانيةِ والقدرةِ ﴿ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ ﴾ طَمَسْنا ضوءَهُ.

﴿ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ ﴾ أي: بيِّنَةً يُبْصَرُ بها الأشياءُ.

﴿ لِّتَبۡتَغُواْ ﴾ لِتَطْلُبوا ﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ في النهارِ أسبابَ معاشِكم.

﴿ وَلِتَعۡلَمُواْ ﴾ بها ﴿ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ أي: لو تركَ اللهُ الشمسَ والقمرَ كما خَلَقَهما، لم يُعْرَفِ الليلُ من النهار، ولم يُعْلَمْ وقتُ فطرِ الصائمِ، ولا وقتُ الحجِّ ونحوِهما ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾ بيناه بياناً ظاهراً.

* * *

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ عملَه ﴿ فِي عُنُقِهِۦ ﴾ لا يفارقُه، وخُصَّ العنقُ بالذكرِ؛ لأنَّ الإلزامَ فيها أشدُّ.

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا ﴾ هي صحيفةُ عملِه ﴿ يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ مبيناً مشْروحاً. قرأ أبو جعفرٍ: (وَيُخْرَجُ) بالياءِ وضمِّها وفتح الراء، مجهولٌ، وعنهُ وجهٌ بكسرِ الراء؛ أي: الفاعلُ اللهُ تعالى، وقرأ يعقوبُ: بالياءِ وفتحِها وضمِّ الراء؛ أي: ويخرجُ له الطائر يوم القيامة كتاباً، وقرأ الباقون: بالنونِ وضمِّها وكسرِ الراء[١]؛ أي: يقول الله: ونحنُ نخرجُ له يومَ القيامةِ كتاباً، واتفقوا على نصبِ (كتاباً)، ووجهُ نصبِه على قراءة أبي جعفرٍ أنْ يكونَ حالاً؛ أي: ويخرج الطائرُ كتاباً، وكذا وجهُ النصبِ على قراءة يعقوبَ أيضاً، فتتفقُ القراءتانِ في التوجيهِ على الصحيحِ الفصيحِ الذي لا يختلَفُ فيه، وقرأ أبو جعفرٍ وابنُ عامر: (يُلَقَّاهُ) بضمِّ الياءِ وفتحِ اللامِ وتشديدِ القاف، يعني: يُلَقَّى الإنسانُ ذلكَ الكتابَ؛ أي: يُؤْتاه، وقرأ الباقون: بفتح الياءِ وإسكانِ اللامِ وتخفيفِ القاف[٢]؛ أي: يراه منشوراً، وأمالَهُ ابنُ ذكوانَ راوي ابنِ عامرٍ بخلافٍ عنه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٢).

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ أي: يقال له: اقرأ ﴿ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴾ أي: محاسباً، ونصبهُ على التمييز، وفَوَّضَ تعالى حسابَ العبدِ إليه لئلاَّ يُنْسَبَ إلى الظلمِ، ولتجبَ الحجةُ عليهِ باعترافِه.

* * *

﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ أي: من اجتهدَ حتى يهتديَ، فلها ثوابُه.

﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ أي: تغافلَ حتى ضلَّ.

﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ ﴾ لأنَّ عليها عقابَه.

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ ﴾ ولا تحملُ نفسٌ آثمةٌ ﴿ وِزۡرَ ﴾ إثمَ نفس ﴿ أُخۡرَىٰ ﴾ لأن كُلاًّ مطالَبٌ بعملِه، وأصلُ الوزرِ: الثقلُ، رُوي أنَّ سببَها أنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ المخزوميَّ قالَ لأهلِ مكَّةَ: اكفُروا بمحمدٍ، وإثْمُكُمْ عليَّ، فنزلَتْ هذهِ الآية(١)؛ أي: إن الوليدَ لا يحملُ آثامَكم، وإنما إثمُ كُلٍّ واحدٍ عليهِ.

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ ينذرُ ويبينُ الشرائعَ، فلا حكمَ قبلَ الشرع، بل الأمرُ موقوفٌ إلى ورودِهِ بالاتفاقِ.

* * *

---

(١) انظر: «روح المعاني» للألوسي (١٥/ ٣٥).

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾ مُنعَّميها. **قراءة العامة**: (أَمَرْنَا) بالقصر؛ أي: أمرناهم بالطاعةِ، **وقرأ يعقوبُ**: (آمَرْنَا) بالمدِّ؛ أي: كثَّرْنا، وَ(أَمَّرْنا) بالتشديدِ سَلَّطْنا، والتلاوةُ بالأولِ والثاني[١].

﴿ فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ فخرجوا عن الطاعةِ ﴿ فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ ﴾ وجبَ عليها الوعيدُ.

﴿ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ أهلكناها وما فيها هلاكَ استئصالٍ.

* * *

﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ ﴾ المكذِّبَةِ ﴿ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ ﴾ كعادٍ وثمودَ مثالٌ لقريشٍ ووعيدٌ؛ أي: لستُمْ ببعيدٍ مما حصلوا فيه من العذابِ إذْ أنتم كَذَّبْتُم نبيَّكم، والقرنُ مئةُ سنةٍ على الأصحِّ، يعضُدُه الحديثُ في قولِه عليه السلام: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»[٢]، وروى محمدُ بنُ القاسمِ في ختنِهِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرٍ قال: وضعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَه على رأسِهِ وقالَ: «سَيَعِيشُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦).

(٢) رواه البخاري (٢٥٠٩)، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ومسلم (٢٥٣٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

هَذَا الْغُلاَمْ قَرْناً» قلتُ: كم القرنُ؟ قالَ: «مئةُ سنةٍ»، قالَ محمدُ بنُ القاسمِ: فما زِلْنا نَعُدُّ له حتى أكملَ مئةَ سنة، وماتَ رحمه الله(١).

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ فيعاقِبُ عليها، والباءُ في (بِرَبِّكَ) زائدةٌ، والتقديرُ: وكفى ربُّك، هذه الباءُ إنما تجيءُ في الأغلبِ في مدحٍ أو ذمٍّ، فكأنها تُعطي معنى: اكْتَفِ بِرَبِّكَ؛ أي: ما أكفاه في هذا!

* * *

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨﴾.

[١٨] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا، مقصوراً عليها هَمُّهُ، وجوابُ (مَنْ كَانَ) ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ من البسطِ والتقتيرِ وغيرِهما، لا ما يشاء هو.

﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ أن نفعلَ له ذلكَ، أو إهلاكُه قَيَّدَ المعجَّلَ، والمعجَّلَ له بالمشيئةِ والإرادةِ؛ لأنه لا يجدُ كُلُّ مُتَمَنٍّ ما يتمناه، ولا كلُّ واحدٍ جميعَ ما يهواه.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا﴾ يدخُلُها.

﴿مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ مطروداً من رحمةِ اللهِ.

* * *

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٥/٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/٢٦٩٥).

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ إرادةَ يقينٍ بها، وإيمانٍ باللهِ وبرسالاته.

﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ وهي ملازمةُ أعمالِ الخيرِ وأقواله على حكمِ الشرعِ.

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ مقبولاً، ولا يشكرُ اللهُ عملاً ولا سعياً إلا أثابَ عليهِ، وغفرَ بسببهِ.

* * *

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ كُلًّا ﴾ نصبٌ بقولِهِ: ﴿ نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: نُمِدُّ كلَّ واحدٍ من الخلائقِ الطائعَ والعاصي ﴿ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ ﴾ رزقِهِ.

﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ممنوعاً في الدنيا عن مؤمنٍ وكافرٍ تفضُّلاً.

* * *

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمدُ ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ في الرزقِ والعملِ، يعني: طالبَ العاجلةِ وطالبَ الآخرةِ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ،

وأبو جعفرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (مَحْظُوراً انْظُرْ) بضمِّ التنوينِ، والباقون: بكسره[1].

﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ للمؤمنينَ.

﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ لأَن التفاوتَ فيها بالجنةِ ودرجاتِها، والنارِ ودرَكاتِها.

* * *

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ﴾ فتصيرَ.

﴿مَذْمُومًا﴾ من غيرِ حمدٍ.

﴿مَّخْذُولًا﴾ ذليلاً بلا ناصرٍ، الخطابُ مع النبي ﷺ، والمرادُ غيرُه.

* * *

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ مقتصرينَ على عبادتِه تعالى.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ برّاً بهما، وعَطْفاً عليهما.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (يَبْلُغَانِ) بألفٍ مطولةٍ بعدَ الغينِ وكسرِ النونِ على التثنية، وقرأ الباقونَ: بغير ألفٍ، وفتحِ النون على

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٤).

التوحيدِ، واتفقوا على تشديدِ النونِ في الحالتين[1].

﴿عِندَكَ﴾ إشارةً إلى كفالتِهِ ﴿ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ المعنى: إذا أسنَّ والداك، أو أحدُهما، واحتاجا، أو أحدُهما في حالِ كبرِهما إلى أن تتولَّى منهما ما كانا يتولَّيانِهِ منكَ في حالِ الطفولةِ. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (كِلاَهُمَا) بالإمالةِ[2].

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ لفظٌ يقال لما يضجَرُ منه، وهي كلمةُ كراهيةٍ، وهذه اللفظةُ مثالٌ لجميعِ ما يمكنُ أن يقابَلَ به الآباءُ مما يكرهون، فلم تُرَدْ هذه في نفسِها، وإنما هي مثالٌ لأعظمَ منها. قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ، ويعقوبُ: (أُفَّ) بفتح الفاءِ من غير تنوينٍ، وقرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: بكسر الفاءِ مع التنوينِ، وقرأ الباقون: بكسرِ الفاءِ من غيرِ تنوينٍ، والقراءاتُ الثلاثُ لغاتٌ معناها واحدٌ[3].

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تَزْجُرْهما، والانتهارُ: إظهارُ الغضبِ في الصوتِ واللفظِ.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ليناً جيدَ المعنى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٧٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦ـ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٦ـ٣١٧).

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾ تذلَّلْ لهما وتواضَعْ.

﴿ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ من أجلِ رحمتِكَ لهما.

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ وهذا كلُّه في الأبوينِ المؤمنينِ، وقد نهى القرآنُ عن الاستغفارِ للمشركينَ الأمواتِ، ولو كانوا أُولي قربى، قالَ ﷺ: «رِضَا اللهِ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُهُ في سَخَطِ الوالدِ»[1]، وقال: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ وَلاَ عَاقٌّ وَلا مُدْمِنُ خَمْرٍ»[2].

* * *

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ﴾ من برِّ الوالدينِ وعقوقِهما.

﴿ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ ﴾ أبراراً مطيعينَ بعدَ تقصيرِكم في حقِّ الوالدينِ وغيرِه.

﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ ﴾ الراجعينَ بالتوبةِ ﴿ غَفُورًا ﴾ ما فرط منكُمْ.

---

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٢٩)، وغيرهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه النسائي (٥٦٧٢)، كتاب: الأشربة، باب: الرواية في المدمنين في الخمر، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠١)، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ والمرادُ: صلةُ الرحمِ، خوطبَ بذلكَ النبيُّ ﷺ، والمرادُ: الأمة ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ من الزكاةِ المفروضةِ.

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ التبذيرُ: الإتلافُ وإنفاقُ المالِ في فسادٍ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ ﴾ أي: أمثالَهم؛ لأنهم أطاعوهم.

﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ مبالِغاً في الكفرِ.

* * *

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ عن ذَوي القربى والمذكورينَ قبلُ حياءً من الرَّدِّ.

﴿ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ انتظارَ رزقٍ من اللهِ ترجوهُ أن يأتيَكَ.

﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ طَيِّباً؛ أي: عِدْهُم جميلاً، وقلْ: يرزقُنا اللهُ وإياكم.

* * *

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ونزل لما أعطى رسولُ الله ﷺ قميصَه، ولم يبقَ له ثوبٌ يخرجُ بهِ إلى الصلاةِ:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾(١) كنايةٌ عن نهايةِ الإمساكِ.

﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ كنايةٌ عن نهايةِ البَذْلِ.

﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ تُلامَ على إتلافِ مالِكَ.

﴿ مَّحْسُورًا ﴾ منقَطِعاً عن النفقةِ والتصرُّفِ.

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ﴾ يوسِّعُ ﴿ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضيِّقُ.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ فيعلَمُ من مصالِحهم ما يَخفى عليهم.

* * *

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ مخافةَ فقرٍ.

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ وذلكَ أنَّ الجاهليةَ كانوا يَئِدُونَ بناتِهم خشيةَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٤).

الفاقة، فَنُهوا عن ذلكَ، وأخبرَهم أن رزقَهم ورزقَ أولادِهم على اللهِ.

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ إثماً عظيماً. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (خَطَأً) بفتحِ الخاءِ والطاءِ مقصوراً، وقرأ ابنُ كثيرٍ: بكسرِ الخاءِ وفتحِ الطاءِ ممدوداً، وقرأ الباقون: بكسر الخاء وجزم الطاءِ، والقراءاتُ الثلاثُ معناها واحدٌ(١).

* * *

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ نهيٌ عن مقدِّماتِه؛ كالنظرةِ والغمزةِ، فَضْلاً عن مباشرتِه، وإذا نُهي عن مقدماتِه، فالنهيُ عنه أَوْلى، ولو أرادَ النهيَ عن نفسِ الزنى لقالَ: ولا تزنوا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ فعلةً ظاهرةَ القبحِ.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ بئسَ طريقاً طريقُه.

* * *

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قولُه (وَلاَ تَقْتُلُوا) وما قبلَه من الأفعال جزمٌ بالنهيِ، والألفُ واللامُ التي في النفس هي

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩ـ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣١٨ـ٣١٩).

للجنس، والحقُّ الذي يُقْتَلُ بهِ النفسُ هو ما فَسَّرَهُ النبيُّ ﷺ في قولِه: «لاَ يَحِلُّ دَمُ الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثِ خِصَالٍ: كُفْرٌ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنىً بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلُ نَفْسٍ»[(١)]، وهي الحرابةُ، ومن ذلكَ الزندقةُ، ومسألةُ تركِ الصلاةِ؛ لأنها في معنى الكفرِ بعدَ الإيمانِ، ومنهُ قتلُ أبي بكرٍ مَنَعَةَ الزكاةِ، وقتلُ من امتنعَ في المدنِ من فروضِ الكفاياتِ.

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ نصبٌ على الحالِ، ومعناه: بغيرِ هذهِ الوجوهِ المذكورةِ.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: لقرابتِهِ الذي يَلي دمَهُ ﴿سُلْطَٰنًا﴾ تسلُّطاً على القاتلِ، إنْ شاءَ قتلَ، وإن شاءَ عفا، وإن شاءَ أخذَ الديةَ.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (تُسْرِفْ) بالخطاب لوليِّ القتيلِ، وقرأ الباقونَ: بالغيبِ[(٢)]؛ أي: لا يُسْرِفِ الوليُّ في القتلِ، والإسرافُ: أَنْ يقتلَ غيرَ القاتلِ، أو يقتلَ اثنينِ أو أكثرَ بالواحدِ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الوليُّ ﴿كَانَ مَنصُورًا﴾ بنصرةِ الشرعِ والسلطانِ، وقيل: الضميرُ عائدٌ على المقتولِ، ونصرُهُ قتلُ قاتلِهِ، وحصولُ الأجرِ له، واختارَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٠٢)، كتاب: الديات، باب: الإمام يأمر بالعفو في الدم، والترمذي (٢١٥٨)، كتاب: الفتن، باب: ما جاء لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث، وابن ماجه (٢٥٣٣)، كتاب: الحدود، باب: لايحل دم امرىء مسلم إلا في ثلاث، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٠)، وثمة رواية عن ابن عامر أنه قرأ «تسرف» بالتاء.

ابنُ عطيةَ أن هذا أرجحُ الأقوال؛ لأنه المظلومُ، ولفظةُ النصرِ تقابِلُ أبداً الظلمَ[(١)].

* * *

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالفعلَةِ التي هي أسرعُ إلى إصلاحِ حالِه ومالِه.

﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ منتهى بلوغِه، وتقدَّمَ الكلامُ على الرشدِ، وأحكامِ البلوغِ، واختلافُ الأئمةِ فيه مستوفىً في سورةِ النساء عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [الآية: ٦].

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ﴾ إذا عاهدْتُم لكلِّ أحدٍ ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ عنهُ.

* * *

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾ ولا تبْخَسوا فيه.

﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ بالميزانِ السَّوِيِّ، وهو روميٌّ عُرِّبَ، ولا يقدحُ ذلكَ في عربيةِ القرآنِ؛ لأنَّ العجميَّ إذا استعملَتْه العربُ وأَجرته مُجرى كلامِهم في الإعرابِ والتعريفِ والتنكيرِ ونحوها، صار عربياً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (بالْقِسْطَاسِ) بكسرِ

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٥٣).

القافِ، والباقون: بضمِّها وهما لغتان[1].

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ عاقبةً وما يؤول إليه الأمرُ.

***

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾ لا تَتْبَعْ ولا تَقُلْ ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ والقفوُ: اتِّباعُ الأثرِ، وأصلُه من القَفَا؛ أي: لا تقلْ سمعتُ ولم تسمعْ، ورأيتُ ولم ترَ، وعلمتُ ولم تعلمْ.

﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ قرأ ورشٌ عن نافعٍ: (وَالْفُوَادَ) بفتحِ الواوِ بغيرِ همزٍ، والضمير في (عنه) يعودُ على ما ليسَ للإنسانِ به علمٌ، ويكون المعنى: إن اللهَ تعالى يسأَلُ سمعَ الإنسانِ وبصرَهُ وفؤادَهُ عَمَّا قالَ مما لا علمَ له به، فيقعُ تكذيبُه من جوارحِهِ، وتلكَ غايةُ الخِزْيِ، ويحتملُ أن يعودَ الضميرُ في (عنه) على (كُلُّ) التي هي السمعُ والبصرُ والفؤادُ، والمعنى: إنَّ اللهَ يسألُ الإنسانَ عَمَّا حواهُ سمعهُ وبصرُه وفؤادُه، فكأنه قالَ: كلُّ هذهِ كانَ الإنسانُ عنهُ مسؤولاً؛ أي: عما حصلَ لهؤلاءِ من الإدراكاتِ، ووقعَ منها من الخطإِ، فالتقديرُ: عن أعمالِها مسؤولاً، فهو على حذفِ مضافٍ.

***

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢١).

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ ﴾ خيلاءَ ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾ لنْ تقطعَها بكبرِكَ حتى تبلغَ آخِرَها ﴿ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ أي: لن تقدرَ أن تُجاوزَها أو تُساويَها بكبرِكَ، وهو تهكُّمٌ بالمختالِ، وملخَّصُه: أنتَ عاجزٌ فلا تتكبَّرْ.

***

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورِ من المناهي ﴿ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: (سَيِّئُهُ) بضمِّ الهمزةِ والهاءِ وإلحاقِها واواً في اللفظِ على الإضافة والتذكيرِ، ومعناه: كلُّ الذي ذكرناه من قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ (كانَ سيئه)؛ أي: سَيِّىء ما عَدَّدْنا عليكَ عندَ ربِّكَ مَكْروهاً؛ لأن فيما عدَّ أموراً حسنةً؛ كقولِه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾ وغير ذلك، وقرأ الباقون: بفتحِ الهمزةِ ونصبِ تاءِ التأنيثِ معَ التنوين على التوحيدِ[١]، ومعناه: كلُّ الذي ذَكَرْنا من قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ ﴾ إلى هذا الموضعِ سيئةً، لا حسنةً، والكلُّ يرجعُ إلى المنهيِّ عنه دونَ غيرِه، ولم يقل: مكروهةً؛ لأن فيه تقديماً وتأخيراً، تقديرُه: كل ذلكَ كانَ مكروهاً، سيئةً، وقولِه: مكروهاً على التكريرِ لا على الصفةِ، مجازُهُ كلُّ ذلكَ كانَ سيئةً، وكانَ مكروهاً، أو رجعَ إلى المعنى دونَ اللفظ؛ لأن السيئةَ الذنبُ، وهو مذكَّرٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٢).

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ من الأحكامِ المتقدمةِ ﴿مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ وهو الموحى؛ لأنه في غايةِ الإحكام، ثم خوطبَ النبيُّ ﷺ، والمرادُ غيرُه بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا﴾ تلومُ نفسَك ﴿مَّدۡحُورًا﴾ مُبْعَداً عن الخيرِ.

* * *

﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾ أَخَصَّكُم أيها المشركونَ ﴿رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ لأنهم كانوا يقولون: الملائكةُ بناتُ اللهِ، والهمزةُ في (أَفَأَصْفَاكُمْ) للإنكارِ.

﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا﴾ بإضافتِكم الأولادَ إليه، وبتفضيلِ أنفسِكم عليه.

* * *

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾ نَوَّعْنا القولَ ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (لِيَذْكُرُوا) بسكونِ الذالِ وضمِّ الكافِ مخفَّفاً؛ من الذكرِ بعدَ النسيان، وقرأ الباقونَ: بفتحِ الذالِ والكافِ مع تشديدِهما[١]، من التذكُّرِ: التدبُّرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، =

﴿ وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ تصريفُنا ﴿ إِلَّا نُفُورًا ﴾ عن الحقِّ.

* * *

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ قُل ﴾ قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ المشركين: ﴿ لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ: (يَقُولُونَ) بالغيبِ على أنَّ الخطابَ معَ الرسولِ ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب[١]؛ أي: كما تقولونَ أَيُّها المشركونَ.

﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ ﴾ أي: طلبوا، يعني: الآلهةُ.

﴿ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: صاحبِ العرشِ.

﴿ سَبِيلًا ﴾ طريقاً ليغالبوهُ ويقهروهُ؛ كفعلِ ملوكِ الدنيا بعضِهم ببعضٍ. قرأ أبو عمرٍو: (ذِي الْعَرْش سَّبِيلاً) بإدغامِ الشينِ في السينِ[٢].

* * *

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ:

= و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٤).

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، وذكر أنه لم يقع في القرآن إدغام شين في سين إلا في هذا؛ من أجل زيادة الشين بالتفشّي، وينظر: «معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٤).

(تقُولُونَ) بالخطابِ، والباقون: بالغيبِ[1] ﴿عُلُوًّا﴾ تعالياً.

﴿كَبِيرًا﴾ متباعِداً عما يقولونَ.

***

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: تُنَزِّهُهُ السمواتُ والأرضُ ومَنْ فيهنَّ من الملائكةِ والإنسِ والجنِّ عن هذهِ المقالةِ التي لكم، والاشتراكِ الذي أنتم بسبيلهِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ بخلافٍ عنه: (يُسَبِّحُ) بالياءِ على التذكيرِ؛ لقيامِ (لهُ) مقامَ تاءِ التأنيثِ؛ ولأن تأنيثَ (السمواتِ) غيرُ حقيقيٍّ، وقرأ الباقون: بالتاء مؤنثاً على اللفظ، والقراءتان حسنتان[2].

﴿وَإِن﴾ أي: وما ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من حيٍّ وجمادٍ حتى صريرُ البابِ ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: ينزِّهُ اللهَ ويحمَدُهُ ويمجِّدُه ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ تفهمونَ ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليسَ بلغتِكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ فلذلكَ أمهلَكُم ﴿غَفُورًا﴾ لمن تابَ منكم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٤_٣٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٥).

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] وكان المشركونَ يؤذون النبيَّ ﷺ مصلِّياً، وجاءتْ أُمُّ لهبٍ بحجرٍ لترضَخَ به رأسَه، فلم ترَهُ، فنزل: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا ﴾(١) على قلوبهم عن الفهم ﴿ مَّسْتُورًا ﴾ ساتِراً.

***

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطيةً؛ كراهةَ.

﴿ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ صَمَماً يمنعُهم عن استماعِه.

﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ ﴾ غيرَ مشفوعٍ به آلهتُهم ﴿ وَلَّوْا۟ ﴾ رجعوا.

﴿ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ جمعُ نافرٍ؛ أي: نافرينَ. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ من روايةِ الدوريِّ: (أَدْبَارَهُمْ) بالإمالةِ، واختلِفَ عن ابنِ ذكوانَ، ورُوِيَ عن ورشٍ، وحمزةَ بينَ اللفظينِ، وقرأ الباقونَ: بإخلاصِ الفتحِ(٢).

***

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٥).

[٤٧] ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ بسببه ولأجله ؛ من الهزءِ بكَ وبالقرآنِ.

﴿ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ وأنتَ تقرأُ القرآنَ ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ جمعُ نَجيٍّ، وهم القومُ يتناجَوْن يتحدَّثون.

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المشركونَ، وهم الوليدُ بنُ المغيرةِ وأصحابهُ.

﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ شَبَّهوا الخيالَ الذي عندَه بزعمِهم، وأقوالَه الوخيمةَ برأيهم بما يكونُ من المسحورِ الذي قد خبَّلَ السحرُ عقلَه، وأفسدَ كلامَه.

* * *

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ ٱنظُرْ ﴾ يا محمدُ ﴿ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ مَثَّلوكَ بالشاعرِ والساحرِ والكاهنِ والمجنونِ. وتقدَّمَ اختلافُ القراء في ضَمِّ التنوينِ وكسرِه عندَ قولِه: (مَحْظُوراً انْظُرْ)، وكذلك اختلافُهم في قوله: (مَسْحُوراً انْظُرْ).

﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾ في جميعِ ما نَسبوه إليكَ.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ لا يجدونَ ﴿ سَبِيلًا ﴾ إلى الهدى، أو إلى إفسادِ أمرِك وإطفاءِ نورِ اللهِ فيكَ بضربِهم الأمثالَ لكَ، واتبِّاعِهم كلَّ حيلةٍ في جهتِك.

* * *

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَقَالُوٓا۟ ﴾ تعجُّباً وإنكاراً للبعثِ، واستبعاداً له:

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا ﴾ وهو ما مرَّ عليهِ الزمنُ حتى إنه بلغَ به غايةَ البِلى وَقرَّبه من عالم الترابِ.

﴿ لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴾ تلخيصُه: قالوا: حياتُنا بعدَ الموتِ محالٌ. واختلافُ القراء في (أَإِذا) (أَإِنا) كاختلافِهم فيهما في سورة الرعدِ.

* * *

﴿ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ قُلۡ ﴾ يا محمدُ جواباً لهم تعجيزاً وتوبيخاً ﴿ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴾.

* * *

﴿ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ ﴾ أي: يعظُم في نفوسِكم؛ كالسمواتِ والأرضِ مما لم يقبلِ الحياةَ إن استطعتم هذه الأشياءَ، ثمَّ انظروا بأدلَّةِ العقلِ هل نحن قادرونَ على جعلِ الروحِ فيه؛ لأنا أوجدناكم، ثم أحييناكم، فلا يمتنعُ علينا إيجادُنا الروحَ.

﴿ فَسَيَقُولُونَ ﴾ استبعاداً ﴿ مَن يُعِيدُنَاۖ ﴾ بعدَ الموتَ؟

﴿ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ ﴾ أنشأَكُم ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ﴾ فإنَّ القادرَ على الإنشاءِ قادرٌ على الإعادةِ ﴿ فَسَيُنۡغِضُونَ ﴾ أي: يحرِّكونَ.

﴿ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ ﴾ استهزاءً بك.

﴿ مَتَىٰ هُوَۖ ﴾ أي: الإعادةُ والبعثُ.

﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريبٌ؛ لأنَّ (عَسَى) من اللهِ واجبٌ، نظيرُه ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الشورى: ١٧].

* * *

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا ٥٢﴾.

[٥٢] ﴿يَوۡمَ﴾ تقديرُه: يعيدُكم يومَ ﴿يَدۡعُوكُمۡ﴾ من قبورِكم بالنفخةِ الآخرةِ ﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ﴾ فتُجيبون ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ بأمرِه، وقيلَ: تُبعثونَ من قبورِكم طائعينَ حامِدين.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ في الدنيا، وفي القبورِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن الإنسانَ لو مكثَ ألوفاً من السنينَ في الدنيا وفي القبر، عُدَّ ذلكَ قليلاً في مدةِ القيامةِ والخلودِ. قرأ نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وعاصمٌ، ويعقوبُ، وخلفٌ: (لَبِثْتُمْ) و(لَبِثْت) بإظهارِ الثاءِ عندَ التاءِ حيثُ وقعَ، والباقون: بالإدغامِ[١]، وروي عن أبي جعفرٍ: (فَسَيُنْغِضُونَ) بإخفاءِ النونِ عندَ الغينِ، ورُوي عنهُ الإظهارُ، وهو أشهرُ، وتقدَّمَ ذكرُ مذهبِه في ذلك مستوفىً في سورةِ النساءِ عندَ تفسيرِ قولِه تعالى: (إِن يَكُنْ غَنِيّاً).

* * *

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٦).

[٥٣] وكانَ المشركونَ يؤذونَ المسلمينَ، فشكَوْا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾[١] المؤمنينَ ﴿يَقُولُوا۟﴾ للكافرينَ الكلمةَ ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وهو ألاَّ يكافئوهم على أذاهُم، ويقولوا لهم: يَهديكم اللهُ، وسببُ الآيةِ أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه شَتَمَهُ بعضُ الكفرةِ، فشتمَهُ عمرُ، وهَمَّ بقتلِه، فكادَ أن يثيرَ فتنةً، فنزلتِ الآيةُ[٢]، وهذا نُسخ بآيةِ السيفِ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ﴾ يفسِدُ ويهيجُ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ المراءَ والشرَّ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ ظاهرَ العداوة.

* * *

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ خطابٌ لكفارِ مكةَ ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ يوفِّقْكُم فتؤمنوا ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ يُمِتْكُم على الشركِ فتُعَذَّبوا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ حَفِيظاً وكَفِيلاً، قيل: نُسِخَتْ بآيةِ القتالِ.

* * *

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو عالمٌ بهم وبأحوالِهم.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٤).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ ﴾ ففضلَ إبراهيمَ بالخلَّةِ، وموسى بالتكليمِ، ومحمداً بالمعراجِ.

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ تفضيلاً لهُ، كانَ زبورُ داود مئةً وخمسينَ سورةً ليسَ فيها حلالٌ ولا حرامٌ، بل تمجيدٌ وتحميدٌ، ودعاءٌ، صلواتُ اللهِ تعالى وسلامُه عليهم أجمعينَ، وهذا خطابٌ مع الذينَ يعترِفون بتفضيلِ الأنبياءِ، المعنى: إذا اعترفْتُم بتفضيلِهم، فلِمَ تنكرونَ فضلَ محمدٍ ﷺ، وهو واحدٌ منهم. قرأ حمزةُ، وخلفٌ: (زُبُوراً) بضمِّ الزاي، والباقون: بفتحها[1].

* * *

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ونزلَ فيمن عبدَ غيرَ اللهِ تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ أنَّهم أولياؤكم.

﴿ مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي: دونِ اللهِ؛ ليكشفوا عنكم البلاءَ والضرَّ، وذلكَ أن المشركينَ أصابَهم قحطٌ شديدٌ، حتى أكلوا الكلابَ والجِيَفَ، فاستغاثوا بالنبيِّ ﷺ ليدعوَ لهم، فنزلت. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ، ويعقوبُ: (قُلِ ادْعُوا) بكسرِ اللامِ في الوصلِ، والباقون: بالضمِّ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٧)، ورويت عن الكسائي بضم اللام.

﴿ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ ﴾ القحطِ والجوعِ ﴿ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ لكم من العسرِ إلى اليسرِ.

* * *

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ أي: الأنبياءُ المذكورونَ في أولِ الآيةِ في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ يتضرَّعونَ ﴿ يَبۡتَغُونَ ﴾ يطلبونَ ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ القربةَ إليه ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ إلى رحمةِ اللهِ تعالى، يبتغي الوسيلةَ إليهِ بصالحِ الأعمال.

﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ وأكبرُهم عيسى وأمُّه، وعزيرٌ، والملائكةُ، والشمسُ، والقمرُ والنجومُ، وما عُبِدَ من دونِ اللهِ، وهو مطيعٌ لله، وقيلَ غيرُ ذلكَ.

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴾ لا أمانَ لأحدٍ منه، بل يحذَرُه كلُّ مَلَكٍ مقرَّبٍ، ونبيٍّ مرسَلٍ لشدتِه.

* * *

﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] رُوي أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ يوماً على أصحابِه، فقال: «هَلْ

تَدْرُونَ مَا يُخَرِّبُ الْقُرَى؟»، قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «أَعْمَالُ السُّوءِ فَاجْتَنِبُوهَا»، وتلا: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بالموتِ والاستئصالِ.

﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتلِ وأنواعِ العقابِ إنْ لم يؤمنوا.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ في اللوحِ المحفوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

***

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ أي: وما صَرَفَنا.

﴿أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ التي اقترحَتْها قريشٌ.

﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الذين أمثالُهم في الطبع؛ كعادٍ وثمودَ؛ لأنَّ سنةَ اللهِ فيمَنْ تقدَّمَ أنه كانَ إذا أُتِيَ بآيةٍ فلم يؤمنْ أن يهلِكَهُ، وكان تعالى قد حكمَ بإمهالِهم لإتمامِ أمرِ محمدٍ ﷺ، فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ بيِّنةً واضحةً ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي: جَحَدوا بها أنها من عندِ اللهِ، فعاجلناهم بالعقوبةِ.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ المعجزاتِ ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعبادِ؛ ليؤمنوا.

***

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ ﴾ أي: واذكرْ وقتَ إيحائِنا إليك.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ ﴾ علمَ بمكرِهِمْ بكَ، فهو حافِظُكَ منهم، فأَمْضِ أمرَكَ، ولا تَخَفْ أحداً.

﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ ﴾ ليلةَ الإسراءِ ﴿ إِلَّا فِتۡنَةٗ ﴾ أي: اختباراً ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾، وتقدَّمَ الكلامُ على ذلكَ في أولِ السورةِ عندَ ذكرِ قصةِ المعراجِ. قرأ الكسائيُّ، وخَلَفٌ: (الرُّؤْيَا) بالإمالةِ في الوقفِ فقطْ(١).

﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ ﴾ أي: الملعونَ آكلُها، وهي المذكورةُ.

﴿ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ وهي الزقُّوم، وقولُه: (وَالشَّجَرَةَ) عطفٌ على قولِه: (الرُّؤْيا)؛ أي: جعلْنا الرؤيا والشجرةَ فتنةً، فكانتِ الفتنةُ في الرؤيا ما تقدَّمَ في قصةِ المعراجِ من ارتدادِ كثيرٍ ممَّنْ أسلمَ، والفتنةُ في الشجرةِ الملعونةِ أنه لما نزلَ أمرُها في سورةِ الصافات، قالَ أبو جهلٍ وغيرُه: هذا محمدٌ يتوعَّدُكم بنارٍ تحرقُ الحجارةَ، ثم يزعُمُ أنها تُنبت الشجرَ، وقد علمتُم أن النارَ تحرقُ الشجرَ، وما نعرفُ الزقُّوم إلا التمرَ بالزُّبْدِ، ثم أمرَ أبو جهلٍ جاريةً له فأحضرَتْ تمراً وزُبْداً، وقال لأصحابه: تزَقَّموا، فافتتن أيضاً بهذهِ المقالةِ بعضُ الضُّعفاءِ، فأخبرَ اللهُ نبيَّه أنما جعلَ الإسراءَ وذكرَ شجرةِ الزقوم

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٨).

فتنةً واختباراً؛ ليكفرَ مَنْ سبقَ عليهِ الكفرُ، ويصدِّقَ مَنْ سبقَ عليه الإيمانُ[١]، كما رُويَ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه ما سبقَ ذكرُه في قصةِ المعراجِ، قالَ الكواشيُّ رحمه الله: لو نظرَ، يعني: أبا جهلٍ، النظرَ الصحيحَ، لما استبعدَ ذلك؛ لأنه يمكنُ وجودُ جسمٍ لطيفٍ في النارِ لا يحترقُ كالسَّمَنْدَرِ وَبْرُ دُوَيْبَةٍ تكونُ ببلادِ التركِ لا تؤثرُ فيهِ النارُ، وتُتَّخَذُ منهُ مناديلُ، فإذا اتَّسَخَت المنديلُ، أُلقيتْ في النارِ، فيذهبُ الوسخُ ويبقى المِنْديل، وأعجبُ من ذلكَ أكلُ النَّعامِ النارَ والحديدَ المحمَّى، انتهى.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواعِ التخويفِ ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفُنا.

﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ تمرُّداً وعُتُوّاً عظيماً.

***

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أي: واذكرْ إذْ قُلْنا ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ أي: خلقتَهُ من طينٍ، ونُصِبَ بنزعِ الخافضِ، وقاسَ إبليسُ في هذهِ النازلةِ فأخطأَ، وذلك أنه لما رأى الفضيلةَ لنفسِه من حيثُ رأى أن النارَ أفضلُ من الطين، وجهلَ أنَّ الفضائل في الأشياءِ إنما تكونُ حيثُ خَصَّها الله تعالى، ولا يُنْظَرُ إلى أُصولِها. واختلافُ القراءِ في: (أَأَسْجُدُ) كاختلافِهم في ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ في سورةِ البقرةِ [الآية: ٦]، وتقدَّمَ مذهبُ أبي جعفرٍ في ضمِّ التاءِ من قولِه (لِلْمَلاَئِكَةُ اسْجُدُوا) في سورةِ البقرةِ.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥).

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ولما أُمِرَ الخبيثُ بالسجودِ لآدمَ ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ ﴾ أَخْبِرْني عن.

﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ ﴾ أي: فَضَّلْتَ، لِمَ فَضَّلْتَهُ ﴿ عَلَىَّ ﴾ وأنا خيرٌ منه، وتمَّ سؤالُ الخبيثِ، ثم ابتدأ آتياً باللامِ الموطِّئَةِ للقسَمِ المحذوفِ فقال:

﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أثبتَ أبو عمرٍو، ونافعٌ، وأبو جعفرٍ: الياءَ في (أَخَّرْتَنِي) وَصْلاً، وأثبتَها يعقوبُ وَصْلاً ووَقْفاً، وحذفها الباقونَ في الحالين(١).

﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ﴾ لأستأصِلَنَّ ﴿ ذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ بالإغواءِ ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ منهم، وهم المستثنَوْنَ بقولِه: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

* * *

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ اللهُ تهديداً له، وتحذيراً منه؛ لئلاَّ يُطاعَ:

﴿ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ من الإنسِ.

﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ ﴾ على صنيعِكم ﴿ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ موفراً مُكَمَّلاً. قرأ أبو عمرٍو، والكسائيُّ، وخلادٌ، وحمزةُ: (اذْهَب فَّمَنْ) بإدغامِ الباءِ في الفاءِ، والباقون: بالإظهار(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٢٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ ﴾ اسْتَخِفَّ واسْتَزِلَّ ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم ﴾ يعني: من ذريةِ آدمَ ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾ أي: بالوسوسةِ.

﴿ وَأَجْلِبْ ﴾ اجمعْ ﴿ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ جمع راجل، المعنى: اجهدْ جهدَكَ، واجمعْ عليهم مكرَكَ وحيلَك ما أمكَنكَ، فلن أعجزَ عن منعِك ومنعِهم إذا شئتُ، قال أهلُ التفسير: كلُّ راكبٍ وماشٍ في معاصي الله فهو من جُنْدِ إبليسَ. قرأ حفصٌ عن عاصمٍ: (وَرَجِلِكَ) بكسر الجيم، والباقون: بإسكانِها، وهما لغتان[1].

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ ﴾ المحرَّمَةِ؛ كالربا والغُصوب ﴿ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ من الزنى، وما كانوا يَئِدونَهُ من البناتِ، ويُهَوِّدونه ويُمَجِّسونه ويُنَصِّرونه من أولادِهم.

﴿ وَعِدْهُمْ ۚ ﴾ بما لا يتمُّ لهم، وبأنهم غَيْرُ مبعوثينَ، فهذهِ مشاركَةٌ في النفوسِ.

﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطِلاً؛ لأنه لا يُغْني عنهم شيئاً.

* * *

= الجزري (٢/ ٨-٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٠).

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ يعني: المخلَصينَ ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على إغوائِهم ﴿ سُلْطَٰنٌۚ ﴾ قدرةٌ ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ حافِظاً لمن اعتمدَ عليه.

* * *

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى ﴾ يسوقُ.

﴿ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓۚ ﴾ لتطلبوا من رزقِه.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ حيثُ هَيَّأَ لكم ما تحتاجونَ إليه، وسَهَّلَ عليكم ما يَعْسُرُ من أسبابِه.

* * *

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ خوفَ الغرقِ.

﴿ ضَلَّ ﴾ ذهبَ عن أوهامِكم.

﴿ مَن تَدْعُونَ ﴾ من الآلهةِ ﴿ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ﴾ فلا تدعونَ في ذلكَ الوقتِ سواهُ.

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ ﴾ من الغرقِ ﴿ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ ﴾ عن الإيمانِ.

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ للنعمِ، والإنسانُ هنا للجنسِ، وكلُّ واحدٍ لا يكادُ يؤدِّي شكرَ اللهِ كما يجبُ.

* * *

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ أَفَأَمِنتُمْ ﴾ الهمزةُ للإنكار، والفاءُ للعطفِ على محذوفٍ؛ أي: نجوتُم من البحرِ، فَأَمِنْتُمْ ﴿ أَن يَخْسِفَ ﴾ نُغَوِّرَ.

﴿ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ ناحِيَتَهُ عن الأرضِ؛ كقارونَ.

﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ ريحاً عاصِفاً ترمي بالحصباءِ، وهي الأحجارُ الصغارُ.

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ مَنْ يَتَوَكَّلُ بصرفِ ذلكَ عنكم.

* * *

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ ﴾ أي: في البحرِ ﴿ تَارَةً ﴾ مرةً.

﴿ أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ ريحاً شديدةً تقصفُ الشجرَ.

﴿ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ أي: تابِعاً مطالِباً بالثأر. **قرأ** ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو: (أَنْ نَخْسِفَ) (أَوْ نُرْسِلَ) (أَنْ نُعِيدَكُمْ) (فَنُرْسِلَ عَلَيْكُمْ) (فَنُغْرِقَكُمْ) بالنونِ في الخمسة؛ لقوله: (عَلَيْنَا)، **وقرأ** الباقون: بالياءِ، سوى أبي جعفرٍ ورويسٍ في قولِه: (فَنُغْرِقَكُمْ) لقولِه: (إِلاَّ إِيَّاهُ)، **وقرأ** أبو جعفرٍ، ورويسٌ عن يعقوبَ: (فَتُغْرِقَكُمْ) بالتاء على التأنيث، يعني: الريحَ، ورُوِيَ عن أبي جعفرٍ وجهُ ثانٍ: (فَتُغَرِّقَكُمْ) بفتحِ

الغينِ وتشديدِ الراء[1]، وقرأ أبو جعفرٍ: (الرِّيَاحَ) على الجمعِ، والباقون: على التوحيد[2].

* * *

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ جعلْنا لهم شرَفاً وفضْلاً، وهذا هو كرمُ نفيِ النقصانِ، لا كرمُ المالِ، قالَ ابنُ عباسٍ: «هو أنَّهم يأكلونَ بالأيدي، وغيرُ الآدميِّ يأكلُ بفيهِ منَ الأرضِ»[3].

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الدوابِّ ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ على السُّفُنِ.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ لذيذِ المطاعمِ والمشاربِ.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ وظاهرُ الآيةِ أن فضلَهم على كثيرٍ ممن خلقه، لا على الكُلِّ، وقال قومٌ: فُضِّلوا على جميعِ الخلقِ إلاَّ على الملائكةِ، وقيلَ: إلاَّ على جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ وملكِ الموتِ وأشباهِهم، وفي تفضيلِ الملائكةِ على البشرِ اختلافٌ، والتفضيلُ حقيقةً لا يعلمُه إلا الله ومن شاءَ من خلقِه، وتقدَّمَ في سورةِ البقرةِ عندَ تفسيرِ قولِه

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٠-٣٣٢).
(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٩٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيّان (٦/ ٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٢).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (ص: ٦٩٦).

تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [الآية: ٣١] أنَّ مذهبَ أهلِ السنةِ أنَّ الأنبياءَ أفضلُ من الملائكةِ، وإنْ كانوا رُسُلاً.

* * *

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ يَوْمَ﴾ أي: واذكرْ يومَ.

﴿ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ أي: بمنِ ائْتَمُّوا به من نبيٍّ وغيرِه.

﴿ فَمَنْ أُوتِىَ﴾ من المدعُوِّينَ ﴿ كِتَٰبَهُۥ﴾ أي: كتابَ عملِه.

﴿ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهمُ السعداءُ.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ ﴾ أي: ما فيه من الحسناتِ، ولم يذكرِ الأشقياءَ، وإنْ كانوا يقرؤون كتبَهم أيضاً؛ لأنهم إذا قرؤوا ما فيها، لم يُفْصِحوا به؛ خوفاً وحياءً، بخلافِ السعداءِ، فإنهم يقرؤون كتبَهم ظاهراً مشهوراً ويُقْرِئُونها غيرَهم سُروراً ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ ﴾ أي: جميعُ المدعوِّينَ ﴿ فَتِيلًا﴾ وهو ما في شقِّ النواةِ طولاً، وتقدَّم في سورةِ النساءِ.

* * *

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الهدايةِ ﴿ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ عن إثباتِ الحجَّةِ ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أَخْطَأُ طريقاً. قرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ، وورشٌ عن نافعٍ: (أَعْمَى) بالإمالةِ في الحرفينِ؛ لأن أَلِفَها طرفٌ؛ لأنها بمعنى عامٍ، وهو من عَمَى

القلبِ، وافقَهم أبو عمرٍو ويعقوبُ في إمالةِ الأولِ، وفتحا الثانيَ، جَعلاهُ من أفعلِ التفضيل؛ لأن أفعلَ التفضيلِ يتصل بـ(من)، فصارتْ ألفُه وَسَطاً كألفِ (أَعْمَالكم)، فلم يمل، وقرأ الباقون: بفتحِهما على الأصلِ[1].

***

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ولما طلبَ المشركونَ من النبيِّ ﷺ أن يجعلَ آيةَ رحمةٍ مكانَ آيةِ عذابٍ، وبالعكسِ، وأن يستلمَ آلهتَهم، وأن يطردَ الضعفاءَ والمساكينَ عنه، وأطمعوه في إسلامِهم، قالوا: فمالَ إلى بعضِ ذلكَ بخطراتِ القلبِ مما لا يمكن دفعُه، ولم يكنْ عَزْماً؛ كهَمِّ يوسفَ، والقولُ فيهما واحدٌ، وقد عفا الله عن حديثِ النفسِ، فنزل:

﴿وَإِن كَادُواْ﴾[2] المعنى: إن الشأنَ قاربوا.

﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليَصْرِفونَكَ بخدْعِهم.

﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآنِ ﴿لِتَفْتَرِىَ﴾ لتتقوّلَ ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا﴾ لو فعلْتَ ما طلبوا منكَ ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ صديقاً.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٦٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٣).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٥).

﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ ﴾ .

[٧٤] ﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ ﴾ على الحقِّ بعصمتِنا إياكَ .

﴿ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ ﴾ المعنى : لَقاربتَ أن تسكُنَ إلى قولهم .

﴿ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴾ دليلٌ على أنه ﷺ عُصِمَ ولم يَرْكَنْ إليهم في شيءٍ ما ، فبعدَ أن عصمَه خاطبَه تحذيراً لغيره ، وتقديره : ولو رَكَنْتَ .

* * *

﴿ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ٧٥ ﴾ .

[٧٥] ﴿ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ ﴾ أي : عذابِ الدنيا .

﴿ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ﴾ في الآخرةِ؛ أي : لعذبناك عذاباً مضاعَفاً في الدارينِ .

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴾ مانِعاً يمنعُ عنكَ عذابَنا .

* * *

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ ﴾ .

[٧٦] ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ ﴾ لينتزعونَكَ بسرعةٍ .

﴿ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ ﴾ من أرضِ المدينةِ ، قالتْ له اليهودُ : ما المدينةُ بأرضِ الأنبياءِ ، إنما أرضُهم الشامُ ، وهي الأرضُ المقدسةُ ، ولكنك تخافُ الرومَ ، فإن كنتَ نبياً ، فاخرجْ إليها ؛ فإن اللهَ سيحميكَ كما حَمَى غيرَكَ من الأنبياءِ ، فنزلتِ الآيةُ .

﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ ﴾(1) ولو خرَجْتَ، لا يَبْقَوْنَ بعدَ خروجِك.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: بعدَ إخراجك كُنَّا نُهْلِكُهم. قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: (خَلْفَكَ) بفتحِ الخاءِ وإسكانِ اللامِ من غيرِ ألفٍ، وقرأ الباقون: (خِلَافَكَ) بكسرِ الخاءِ وفتحِ اللامِ وألفٍ بعدَها، ومعناهما واحدٌ(2).

* * *

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ سُنَّةَ ﴾ نصبُ مصدرٌ ﴿ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ ﴾ أي: هذه سنتُنا أنَّ الأممَ إذا أَخْرجوا نبيَّهم، أو قتلوهُ، أُهْلِكوا.

﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا ﴾ لعادتِنا ﴿ تَحْوِيلًا ﴾ تغييراً.

* * *

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ ميلِها من الزوالِ إلى الغروبِ، فيتناولُ صلاةَ الظهرِ والعصرِ ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ ظلامِه، يتناولُ المغربَ والعشاءَ.

---

(1) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٦).

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٤)، وفيها أن قراءة ابن عامر: «خلافك».

﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ صلاةَ الصبحِ، سُمِّيت قرآناً؛ لأن القرآنَ هو عُظْمُها؛ إذْ قراءتُها طويلةٌ مجهورٌ بها ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ تشهدُه ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ إذا صَعِدَ هؤلاءِ ونزلَ هؤلاءِ.

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴾ أي: وعليكَ صلاةُ بعضِ الليلِ.

﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآنِ، والتهجُّدُ لا يكونُ إلا بعدَ النومِ.

﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ زيادةً على الفرائضِ، وكانتْ صلاةُ الليلِ فَرْضاً على النبيِّ ﷺ وعلى أُمَّتِه، فَنُسخَ في حقِّ أمتِهِ بالصلواتِ الخمسِ، وبقيَ الوجوبُ في حقِّهِ، وذهبَ قومٌ إلى أنَّ الوجوبَ نُسِخَ في حقِّه كأمتِهِ.

﴿ عَسَىٰٓ ﴾ من اللهِ واجبٌ، لأنه لا يدعُ أن يعطيَ عبادَه أو يفعلَ بهم ما أَطمَعَهم فيه.

﴿ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ ﴾ يومَ القيامةِ فيقيمَك.

﴿ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ هو مقامُ الشفاعةِ، يَغْبِطُهُ به الأولونَ والآخِرون؛ لأنَّ كلَّ مَنْ قُصِدَ من الأنبياءِ للشفاعةِ يحيدُ عنها، ويُحيلُ على غيرِه حتى يأتوا محمداً ﷺ للشفاعة، فيقول: «أَنَا لَهَا»[١]، ثم يشفعُ، فَيُشَفَّعُ فيمن كانَ من أهلِها.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٧٢)، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب ـ عز وجل ـ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ومسلم (١٩٣)، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ المدينةَ ﴿ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ مكةَ، المعنى: حيثُما أدخلْتَني وأخرجْتَني فليكنْ بالصدقِ مِنِّي، ولا تجعلْني ذا الوجهينِ؛ فإن ذا الوجهينِ لا يجوزُ أن يكونَ أميناً، نزلتْ حينَ أُمِرَ النبيُّ ﷺ بالهجرةِ[١].

﴿ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ حجةً تنصرُني على المخالِف.

***

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ الإسلامُ ﴿ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ ﴾ بطلَ الكفرُ.

﴿ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ هالِكاً عند مجيءِ الإسلام.

***

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ قرأ أبو عمروٍ، ويعقوبُ: بإسكانِ النونِ الثانيةِ، وتخفيفِ الزاي، والباقون: بفتحِ النونِ وتشديدِ الزاي[٢].

﴿ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ ﴾ للقلوبِ من الضلالة، و(مِنْ) يصحُّ أن تكونَ

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/٣٣٥).

لابتداءِ الغايةِ، ويصحُّ أن تكونَ لبيانِ الجنسِ؛ كأَنه قال: ونُنْزِلُ ما فيه شفاءٌ من القرآنِ، قال ابنُ عطية: وأنكرَ بعضُ المتأوِّلينَ أن تكونَ (من) للتبعيضِ؛ لأنه تحفَّظَ من أن يلزمَه أن بعضَهُ لا شفاءَ فيه، وليس يلزمُه هذا، بل يصحُّ أن تكونَ للتبعيضِ بحسبِ أنَّ إنزالَه إنما هو مبعَّضٌ؛ كأنه قالَ: (وننزلُ من القرآنِ) شيئاً شيئاً (ما) فيهِ كلِّه (شفاءٌ)، واستعارةُ الشفاءِ للقرآنِ هو بحسبِ إزالتهِ للريبِ، وكشفِهِ غطاءَ القلبِ لفهمِ المعجزاتِ والأمورِ الدالةِ على الله تعالى المقررة لشرعه، انتهى[1].

﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنه سببُ الرحمة.

﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ نَقْصاً؛ لأنهم يُنكرونَ القرآنَ فيخسرونَ.

* * *

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] ونزلَ فيمنْ كان يدعو ويلجأُ إلى اللهِ في البلاءِ، ويتركُ ذلكَ في الرخاء: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ بِسَعَةِ الرزقِ وكشفِ البلاءِ ﴿أَعْرَضَ﴾ وَلَّى عن التضرُّعِ.

﴿ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ بَعُدَ بناحيتِهِ، كأنه مستغنٍ مستبدٌّ بأمرِه. قرأ أبو جعفرٍ، وابنُ ذكوانَ عن ابنِ عامرٍ: (وَنَاءَ) بهمزةٍ بعدَ الألفِ، مثل فاعَ وجاءَ من النَّوْءِ، وهو النهوضُ والقيامُ، والباقون: يجعلونَ الهمزةَ قبلَ الألفِ[2]،

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

وأمالَ الكسائيُّ وخلفٌ لنفسِه، وعن حمزةَ فتحة النونِ والهمزةِ، وأمال أبو بكرٍ عن عاصمٍ، والسوسيُّ عن أبي عمرٍو بخلافٍ عنه، وخلادٌ عن حمزةَ فتحَ الهمزةِ فقط، وفتحوا النونَ، وقرأ الباقون: بفتحِ النونِ والهمزةِ على وزنِ نَعَى(١).

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الشدةُ والبلاءُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ شديدَ القنوطِ من رحمةِ اللهِ تعالى.

* * *

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ طريقتِه.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ أوضحُ طريقاً.

* * *

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] روى عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: أنه كانَ مع رسولِ الله ﷺ، فمرَّ على حرثٍ بالمدينةِ، وإذا فيه جماعةٌ من اليهودِ، فقالَ بعضُهم لبعضٍ: سلوهُ عن الرُّوحِ، فإن أجابَ فيه، عرفتم أنه ليسَ بنبيٍّ، وذلكَ أنه كانَ عندَهم في التوراةِ أنَّ الروحَ مما انفردَ اللهُ تعالى بعلِمه، ولا يُطْلع عليه أَحَداً من عبادِه، قال ابنُ مسعودٍ: وقالَ بعضُهم: لا تسألوه؛ لئلاَّ يأتيَ فيه بشيء تكرهونه،

= (٢/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٥ـ٣٣٦).

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، والمصادر السابقة.

قال: فسألوهُ، فوقفَ رسولُ اللهِ ﷺ متوكئاً على عسيبٍ، فظننتُ أنه يُوحَى إليه، ثم تلا عليهم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾[1].

قال الجمهور: وقعَ السؤالُ عن الأرواحِ التي في الأشخاصِ الحيوانيةِ ما هي؟ فالروحُ اسمُ جنسٍ على هذا، وهو الشكلُ الذي لا تفسيرَ له، وفسرَها جمهورُ المتكلمين بجسمٍ لطيفٍ مشتبكٍ بالبدنِ اشتباكَ الماءِ بالعودِ الأخضرِ، وقال كثيرٌ منهم: إنها عَرَضٌ، وهي الحياةُ التي صارَ البدنُ بوجودها حَيّاً، قالَ السَّهْرَوَرْدِيُّ: ويدلُّ للأول وصفُها في الأخبارِ بالهبوطِ والعُروج والتردُّدِ في البرزخ، وقيل: هو جبريلُ، أو ملكٌ أعظمُ منهُ ومن جميعِ الملائكة، وقيل: عيسى عليه السلام، وقيلَ: القرآنُ، قالَ ابنُ عطيةَ: والأولُ أظهرُها وأصوبُها[2]، قال الكواشيُّ: واختلفوا فيه، وفي ماهيته، ولم يأتِ أحدٌ منهم على دعواهُ بدليلٍ قطعيٍّ، غيرَ أنه شيءٌ بمفارقتهِ يموتُ الإنسانُ، وبملازمته له يبقى.

ثم أومأ تعالى إلى تعذُّرِ معرفتهِ حقيقةً بقولِه: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ أي: من علمِه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ أيُّها المؤمنونَ والكافرونَ.

﴿مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ في جنبِ علمِ اللهِ تعالى، فالخطابُ في هذا لجميعِ العالَم، وهو الصحيحُ.

وحُكِيَ أن عظيمَ الرومِ كتبَ إلى أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه يسألهُ عن الروحِ، فكتب لهُ الإمامُ عمرُ الآيَةَ الشريفة

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٤)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾، ومسلم (٢٧٩٤)، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٨٢).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ إلى آخرها، فأرسلَ عظيمُ الرومِ إليه أنَّ هذا الجوابَ لا يَكْفيني، وإنما أريدُ جواباً أفهمُه، فقال الإمام عمرُ: «لا أعرفُ غيرَ ذلك»، وكان ذلكَ بحضورِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه، فاستأذنَ الإمامُ عمرُ في ردِّ جوابِ عظيمِ الرومِ، فأذِنَ له، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، الروحُ لطيفةٌ ربانيةٌ، نزلَتْ من الخزائنِ الرحمانية، أُودِعَتْ في الهياكلِ الجثمانيةِ، ضَمِنَ لها رزقَها، وجعلهَا عندَكَ رَهْناً، فإذا وفى بما ضَمِنَ، أَخذَ ما رَهَنَ»، انتهى.

* * *

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآنِ كما منعْنا علمَ الروحِ عنكَ وعن غيرِكَ، اللامُ في (لَنَذْهَبَنَّ) جوابُ قسمٍ محذوفٍ مع نيابتِه عن جزاءِ الشرطِ، تقديرُه: واللهِ إنْ شِئْنا ذَهَبْنا بالقرآنِ، ومَحَوْناهُ من الصدورِ والمصاحِف.

﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: من يتوكَّلُ بردِّ القرآن إليك.

* * *

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

[٨٧] ﴿ إِلَّا رَحْمَةً﴾ استثناء منقطع، أي: لكن لا نشاء ذلك.

﴿ مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ كإنزالِه عليكَ، وإبقائِه في حفظِك.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ متظاهرين.

﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ في البلاغةِ والإعجازِ.

﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ لا يقدِرون على ذلكَ.

﴿ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ مُعيناً، نزلتْ حينَ قالَ الكفار: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ [الأنفال: ٣١]، فكذَّبهم الله عز وجل[١]؛ لأنه في أعلى طبقاتِ البلاغةِ، لا يشبهُ كلامَ الخلقِ؛ لأنه غيرُ مخلوقٍ، ولو كانَ مخلوقاً، لأتَوا بمثلِه.

* * *

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ﴾ بيَّنَّا ﴿ لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كلِّ معنى هو كالمثلِ في غرابتِه ووقوعِه مَوْقِعاً في الأنفس. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وهشامٌ: (وَلَقَد صَّرَّفْنَا) وشبهَه بإدغامِ الدالِ في الصادِ، والباقون: بالإظهار[٢].

﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ جُحوداً للحقِّ.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٧١٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٧).

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ ﴾.

[٩٠] ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ أي: المشركون تعنُّتاً واقتراحاً بعدما ألزمَهم الحجةَ ببيانِ إعجازِ القرآنِ، وانضمامِ غيره من المعجزاتِ إليه.

﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ ﴾ يا محمدُ ﴿ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ عيناً ينبعُ منها الماءُ. قرأ أبو عمرٍو: (نُؤْمِن لَّكَ) بإدغامِ النونِ في اللام(١)، وقرأ الكوفيون، ويعقوبُ: (تَفْجُرَ) بفتحِ التاءِ وإسكانِ الفاءِ وضمِّ الجيمِ وتخفيفِها؛ لأنَّ الينبوعَ واحدٌ، وقرأ الباقونَ: بضمِّ التاءِ وفتحِ الفاءِ وكسرِ الجيمِ وتشديدِها؛ من التفجير، واتفقوا على تشديدِ قوله: (فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ) لأنها جمعٌ، والتشديدُ يدلُّ على التكثيرِ، ولقولِه: (تَفْجِيراً)(٢).

***

﴿ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ ﴾.

[٩١] ﴿ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ ﴾ بستانٌ ﴿ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا ﴾ وَسْطَها ﴿ تَفۡجِيرًا ﴾ تَشْقيقاً.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٧).

﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامرٍ: (كِسَفاً) بفتحِ السينِ جمعُ كِسْفةٍ؛ أي: قطعة، وقرأ الباقون: بالإسكانِ على التوحيد، جمعُه أكسافٌ وكسوفٌ(١).

﴿ أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ ضَميناً لصحةِ قولِكَ.

***

﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبًا نَّقۡرَؤُهُۥ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ ﴾ ذهبٍ ﴿ أَوۡ تَرۡقَىٰ ﴾ تصعَدَ.

﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ لصعودِك.

﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبًا نَّقۡرَؤُهُۥ ﴾ فيهِ تصديقُك.

﴿ قُلۡ ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وابنُ عامرٍ: (قَالَ) بالألف إخباراً عن النبيِّ ﷺ، وكذا هو في مصاحفِ أهلِ مكةَ والشامِ، وقرأ الباقون: (قُلْ) بغيرِ ألفٍ على الأمرِ، وكذا هو في مصاحِفِهم؛ أي: قلْ يا محمدُ(٢):

﴿ سُبۡحَانَ رَبِّي ﴾ تنْزيهاً للهِ من أن يتحكَّمَ عليه، أو تعجُّباً من اقتراحاتِهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥ـ٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٩).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ أي: ما هذا في قوى البشرِ، وليسَ لبشرٍ ولا لرسولٍ الإتيانُ بشيءٍ منهُ إلا بإذنِ الله.

***

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٤ ﴾.

[٩٤] ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: أهلَ مكةَ.

﴿ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ القرآنُ.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ﴾ جَهْلاً منهم: ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ ولم يبعثْ مَلَكاً؟ فلا نؤمنُ به.

***

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥ ﴾.

[٩٥] فردَّ تعالى عليهم بقوله: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ ﴾ كَمَشْي الإنسِ؛ أي: لو سكنَ الأرضَ ملائكةٌ، واستقرُّوا فيها.

﴿ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾ لأن رسولَ كلِّ قومٍ من جنسِهم؛ لأنَّ القلبَ إلى الجنسِ أميلُ منهُ إلى غيرِ الجنسِ.

***

﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ٩٦ ﴾.

[٩٦] ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ أني رسولُه إليكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ يعلمُ أحوالَهم، فيجازيهم، فيه تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، وتهديدٌ للكفار.

* * *

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أثبتَ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو الياءَ في (المهتدي) وَصْلاً، ويعقوبُ في الحالينِ، وحذفَها الباقونَ فيهما(١).

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَهْدونهم.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يُسْحبون عليها في النار، قيلَ للنبيِّ ﷺ: كيفَ يمشونَ على وجوهِهِمْ؟ قالَ: «الَّذي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ»(٢) ﴿عُمْيًا﴾ لا يُبْصرون ما يُقِرُّ أعينَهم ﴿وَبُكْمًا﴾ لا ينطقونَ بحجَّةٍ ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون ما يلتذُّونَ به.

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكنَ لهيبُها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٢)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ...﴾، ومسلم (٢٨٠٦)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: يحشر الكافر على وجهه، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ تلَهُّباً واشتعالاً، فالزيادة في حَيِّزهم، وأما جهنمُ، فعلى حالِها من الشدَّةِ لا يُصيبُها فُتورٌ. قرأ أبو عمرٍو، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (خَبَت زِّدْناهُمْ) بإدغامِ التاءِ في الزاي، واختلِفَ عن هشامٍ راوي ابنِ عامر، وقرأ الباقون: بالإظهار(١).

***

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ تقدَّمَ تفسيرُ نظيرِها، والتنبيهُ على مذاهبِ القراء فيها في السورةِ.

***

﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] فأجابهم اللهُ تعالى بقوله: ﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في عظمها وشدَّتها.

﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في صغرِهم وضعفهم.

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ وقْتاً لعذابِهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٩).

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ أنه يأتيهم، وهو الموتُ أو القيامةُ.

﴿ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ عِناداً.

* * *

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠) ﴾.

[١٠٠] ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ ﴾ المعنى: لو مَلَكْتُم ﴿ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي ﴾ أي: رزقِهِ. قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وأبو عمرٍو: (رَبِّيَ) بفتحِ الياءِ، والباقون: بإسكانها(١).

﴿ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ ﴾ لَبَخِلْتُم ﴿ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ﴾ والفاقةِ.

﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾ ضَيِّقاً بخيلاً.

* * *

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) ﴾.

[١٠١] ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ أي: دلالاتٍ واضحاتٍ، وهي في قولِ جمهورِ المفسِّرين: بياضُ اليد، والعصا، والطوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، وحَلُّ عقدةٍ من لسانِه، وانفلاقُ البحرِ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٠).

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رضي الله عنه: ثنا يزيد، أنبأ شعبةُ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ سلمةَ يحدِّثُ عن صفوانَ بنِ عَسَّالٍ المراديِّ، قال: قال يهوديٌّ لصاحِبه: اذهبْ بنا إلى هذا النبيِّ حتى نسألَه عن هذهِ الآيةِ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ فقال: لا تقلْ له نبيٌّ، فإنه لو سمعَكَ، لصارتْ له أربعةُ أعينٍ، فسألاهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً، وَلاَ تَسرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، ولا تَسْحَرُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلاَ تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحْصَناً، أو قال: ولا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ، شعبةُ هو الشاكُّ، وَأَنْتُمْ يَهُودُ عَلَيْكُمْ خَاصَّةً أَلاَّ تَعْدُوا في السَّبْتِ»، فقبَّلا يديهِ ورجليه، وقالا: نشهدُ أنكَ نبيٌّ، قالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تَتَّبِعَانِي؟»، قالا: إن داودَ عليه السلامُ دعا أن لا يزالُ من ذريتِهِ نبيٌّ، فإنا نخشى إنْ أسلَمْنا أن تقتلَنا يهودُ[1].

﴿فَسْـَٔلْ﴾ يا محمدُ مَنْ آمنَ من ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كعبدِ اللهِ بنِ سلامٍ وأصحابِه؛ لتحتجَّ بهِ على مَنْ لم يؤمنْ. قرأ ابنُ كثيرٍ، والكسائيُّ، وخلفٌ: (فَسَلْ) بالنَّقْلِ، والباقون: بالهمز[2].

﴿إِذْ جَآءَهُم﴾ موسى. قرأ أبو عمرٍو، وهشامٌ عن ابنِ عامرٍ: (إذ جَّاءَهُمْ)

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٣٩)، والترمذي (٢٧٣٣)، كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء في قبلة اليد والرجل، وقال: حسن صحيح، وغيرهما.

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٨٥)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٠).

بإدغامِ الذالِ في الجيم، والباقون: بالإظهار[1].

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ سُحِرْتَ، فتخبَّطَ عقلُكَ.

***

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾.

[١٠٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾: قرأ الكسائيُّ: (عَلِمْتُ) بضم التاء، يخبرُ عن نفسِه أنه ليسَ بمسحورٍ، وأنَّ ما جاء به حقٌّ، وقرأ الباقون: بفتح التاءِ خطاباً لفرعونَ[2]؛ لأنه كان في حِجْرِه، ولم يكنْ رأى منهُ شيئاً يدلُّ على ذلك؛ أي: لقد علمتَ أَني لستُ بمسحورٍ.

﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآياتِ التسعَ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ولكنَّك عانَدْتَ. واختلافُ القراء في (هَؤُلاَءِ إِلاَّ) كاختلافِهم في (هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ) في سورةِ البقرةِ ﴿بَصَآئِرَ﴾ بيناتٍ تُبَصِّرُكَ صِدْقي، وانتصابُه على الحال ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالِكاً ملعوناً.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٦_٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٠_٣٤١)، وقراءة نصب التاء أصح في المعنى، وعليه أكثر القرَّاء؛ لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه، ولا يثبت عن عليٍّ رضي الله عنه رفع التاء؛ لأنه روي عن رجل من مراد ـ وهو كلثوم المرداوي وهو مجهول ـ عن علي، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي. اهـ كذا قاله البغوي.

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

[١٠٣] ﴿ فَأَرَادَ ﴾ فرعونُ ﴿ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾ أي: يخرجَهم: موسى وقومَه.

﴿ مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أرضِ مصرَ ﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾ تأكيدٌ.

***

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

[١٠٤] ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ من بعدِ إهلاكِه.

﴿ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي: أرضَ الشامِ ومصرَ.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ وهي الساعةُ.

﴿ جِئْنَا بِكُمْ ﴾ من قبورِكم إلى موقفِ القيامةِ ﴿ لَفِيفًا ﴾ جَمْعاً مختلِطين.

***

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

[١٠٥] ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يعني: القرآنَ، أنزلناهُ بالدينِ القائمِ وبالأمرِ الثابتِ.

﴿ وَبِٱلْحَقِّ ﴾ بالأوامرِ والنواهي ﴿ نَزَلَ ﴾ القرآنُ.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ للمطيعينَ ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للعاصينَ.

***

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ﴾ قراءة العامةِ: (فَرَقْنَاهُ) بتخفيفِ الراء؛ أي: بيَّنَّاه وأوضَحْناه، وقرأ أبانُ عن عاصمٍ: بتشديد الراء؛ أي: أنزلناهُ نُجوماً شيئاً بعدَ شيءٍ[١].

﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ قراءةُ العامةِ: (مُكْثٍ) بضمِّ الميمِ، وقرأ أبانُ عن عاصمٍ: بفتحِ الميمِ، وهما لغتان[٢] معناهما تُؤَدَةٌ وتَثَبُّتٌ لِيفهموهُ.

﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ حسبَ الحوادثِ.

***

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ وتحقيرٌ للكفارِ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ أي: من قبلِ القرآنِ، وهم العلماءُ الذين قرؤوا الكتبَ السابقةَ، وعرفوا حقيقةَ الوحيِ وأمارةَ النبوَّةِ.

﴿ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ القرآنُ ﴿ يَخِرُّونَ ﴾ يسقُطونَ ﴿ لِلْأَذْقَانِ ﴾ أي: عليها، والأذقانُ جمعُ ذَقَنٍ، وهو مجمَعُ اللَّحْيَيْنِ.

﴿ سُجَّدًا ﴾ تعظيماً لله تعالى، ونصبهُ على الحال.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٢١)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٢).

(٢) ذكر هذه القراءة العكبري في «إملاء ما منَّ به الرحمن» (٢/ ٥٣)، والفخر الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٢)، عن ابن محيصن، وهي قراءة شاذة.

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ ﴾ عن خلفِ الموعدِ.

﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ كائناً لا محالةَ.

* * *

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ كَرَّرَ القولَ لتكرُّرِ الفعلِ منهم، وهذه مبالغةٌ ومدحٌ لهم، وذكرَ الذقنَ؛ لأنها أقربُ ما في رأسِ الإنسانِ إلى الأرضِ، لا سيما عندَ سجودِه.

﴿ وَيَزِيدُهُمْ ﴾ القرآنُ ﴿ خُشُوعًا ۩ ﴾ تَواضُعاً، وهذا محلُّ سجودٍ بالاتِّفاقِ، وتقدَّمَ اختلافُ الأئمةِ في سجودِ التلاوةِ وحكمِه، وسجودِ الشكرِ آخرَ سورةِ الأعرافِ مستوفًى.

* * *

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: «سجدَ رسولُ الله ﷺ بمكةَ ذاتَ ليلةٍ فجعلَ يقولُ في سجودِهِ يااللهُ يا رَحْمَنُ»، فقال أبو جهلٍ: إن محمداً ينهانا عن آلِهتنا، وهو يدعو إلهينِ، فأنزل اللهُ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ﴾(١) المعنى: أنهما اسمانِ لواحدٍ، فإنْ دعوتموهُ باللهِ، فهو ذلكَ،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٨٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٤٨).

وإن دعوتموهُ بالرحمنِ، فهو ذلك. قرأ عاصمٌ، وحمزةُ: (قُلِ ادْعُوا) (أَوِ ادْعُوا) بكسرِ اللامِ والواو في الوصل، وافقَهُما يعقوبُ في كسرِ اللامِ فقط، وقرأ الباقون: بضمِّهما[1].

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾ و(ما) صلةٌ، مجازُه: أَيّاً تَدْعو؛ كقولِهِ (عَمَّا قَلِيل) و(جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ)، وتقديرهُ: أيَّ الأسماءِ تدعو به، فأنتَ مصيبٌ، ووقفَ حمزةُ، والكسائيُّ، ورويسٌ عن يعقوبَ على قولِه: (أَيّاً) دونَ (ما)، وعَوَّضُوا من التنوينِ ألفاً، ويبتدِئون (مَا تَدْعُوا) بتقدير: الذي تدعوهُ، ووقفَ الباقونَ على (ما)[2].

﴿فَلَهُ﴾ سبحانَه ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التي تقتضي أفضلَ الأوصافِ.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك في صلاتِك، فَيَسُبَّكَ المشركونَ.

﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ولا تُخْفيها عن أصحابِك المصلِّينَ معكَ.

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الفعلِ، وهو الجهرُ، والمخافة.

﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وَسَطاً.

* * *

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٣٤)، ورويت القراءة بضم اللام عن يعقوب.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٣).

[١١١] ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ قال الحسينُ بنُ الفضل: يعني: الحمدُ للهِ الذي عرَّفَني أنه لم يَتَّخِذْ ولداً[١]، والآيةُ ردٌّ على اليهودِ والنصارى والعربِ في قولِهم: عزيرٌ وعيسى والملائكةُ ذرية اللهِ، تعالى عن أقوالِهم.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ في الألوهيةِ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: لم يَذِلَّ فيحتاجَ إلى وَليٍّ يتعزَّزُ به، وهو ردٌّ على العربِ في قولِهم: لولا أولياءُ الله لَذَلَّ.

﴿وَكَبِّرْهُ﴾ عن أنْ يكونَ له شريكٌ أو وَلِيٌّ ﴿تَكْبِيرًا﴾ قال عمرُ رضي الله عنه: «قَوْلُ العبدِ: اللهُ أكبرُ، خيرٌ من الدنيا وما فيها»، وهي أبلغُ لفظةٍ للعربِ في معنى التعظيمِ والإجلالِ، ثم أكَّدَها بالمصدر تحقيقاً لها وإبلاغاً في معناها، والله أعلم[٢].

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٧٢٥).

(٢) إلى هنا تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف لتفسيره، والمكون من جزأين، وجاء في آخره: «قال جامعه عفا الله عنه بكرمه: وكان الفراغ من جمع هذا الجزء عقب صلاة الظهر من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر صفر ختم بالخير والظفر سنة أربع عشرة وتسع مئة من الهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والتحية والبركة والإكرام وكان جمعه بالمسجد الأقصى الشريف شرفه الله وعظمة بقبة موسىٰ عمَّرها الله بذكره ووافق الفراغ من تبيضه عقب صلاة الظهر من يوم السبت السابع والعشرين من جمادىٰ الأولىٰ سنة سبع عشرة وتسع مئة، الحمد لله وحده وصلواته على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه وسلامه، حسبنا الله ونعم الوكيل».

* هذا وقد وقع في النسخة الخطية «ش» خرم من قوله: «واستعارة الشفاء للقرآن هو بحسب إزالته للريب، وكشفه غطاء القلب لفهم المعجزات» (ص: ١٢٥) من هذا المجلد إلى هنا.

سُورَةُ الكَهفِ

مكيةٌ في قولِ جميعِ المفسرينَ، ورُويَ عن فرقةٍ أنَّ أولَ السورةِ نزلَ بالمدينةِ إلى قولِه: ﴿جُرُزًا﴾ والأولُ أصحُّ، آيها: مئةٌ وعشر[1] آياتٍ، وحروفُها: ستةُ آلافٍ وثلاثُ مئةٍ وستون حرفاً، وَكَلِمُها: ألفٌ وخمسُ مئةٍ وسبعُ وسبعونَ كلمةً، وهي من أفضلِ سورِ القرآنِ، ورُوي عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِسُورَةٍ عِظَمُها كَمَا بَيْنَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ، وَلمن جَاءَ بِهَا من الأجر مِثْلَ ذَلِكَ؟» قالوا: أَيُّ سورةٍ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «سُورَةُ الْكَهْفِ، مَنْ قَرَأَ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّام، ومَنْ قَرَأَ بِهَا، أُعْطِي نُوراً بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَوُقِيَ بِهَا فِتْنَةَ الدَّجَّالِ[2]»[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ١﴾.

---

(١) في «ت»: «عشرون».

(٢) في «ت»: «القبر».

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» عن إسماعيل بن أبي رافع بلاغاً، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٥).

[١] لما سألتْ قريشٌ رسولَ اللهِ ﷺ عن المسائلِ الثلاث: الرُّوحِ والكهفِ وذي القرنينِ حَسْبَ ما أَمَرهم به اليهودُ، قالَ لهم رسولُ اللهِ: «غداً أُخْبِرُكُمْ»، ولم يقلْ: إن شاءَ الله، فعوتبَ بلبثِ الوحيِ عنهُ خمسةَ عشرَ يوماً، فأرجفَ به المشركونَ، وقالوا: إنَّ محمداً قَدْ تركه رِئِيُّهُ الذي كانَ يأتيه من الجنِّ، وقال بعضُهم: قد عجزَ عن أكاذيبِهِ، إلى غيرِ ذلكَ، فشقَّ ذلكَ عليه، فجاءه الوحيُ من الله سبحانَه بالجوابِ، فافتتحَهُ بحمدِ اللهِ تعالى، فقال الله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾(١) أي: الثناءُ له، وتقدَّمَ الكلامُ عليه مستوفىً في سورةِ الفاتحةِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآنَ.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ والعِوَجُ: فَقْدُ الاستقامَةِ، وهو بكسرِ العينِ في المعاني، وبفتحِها في الأشخاصِ؛ كالعصَا والحائطِ ونحوِهما.

* * *

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾.

[٢] ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً نصبٌ على الحال، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، مجازُه: أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ قِيماً، ولم يجعلْ له عِوَجاً، قالَ ابنُ عطية: ويصحُّ أن يكونَ معنى (قيماً): قيامَهُ بأمرِ الله تعالى على العالَمِ(٢).

وهذا المعنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللذين عنى العالم، وكان حفص عن عاصم يسكت يسيراً على (عِوَجاً)؛ تنبيهاً على تمام الوقف

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٩٥).

عليه، ثم يقول: (قَيِّماً)[1] ﴿ لِّيُنذِرَ ﴾ الكافرين ﴿ بَأْسًا ﴾ عذاباً.

﴿ شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ من عنده. روى أبو بكر عن عاصم: (لَدْنِهِ) بسكون الدال وإشمامها الضم من غير صوت يسمع؛ دلالة على أن أصلها الضم، وبكسر النون والهاء وصلتها بياء في اللفظ، فكسرُ النون لسكونها وسكون الدال قبلها، وكسر الهاء إتباع، **وقرأ** الباقون: بضم الهاء والدال، وإسكان النون، وابن كثير على أصله في الصلة بواو[2].

﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ هو نعيم الجنة وما يتقدمه من خير الدنيا.

* * *

﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) ﴾.

[٣] ﴿ مَّٰكِثِينَ ﴾ مقيمين.

﴿ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ظرف دال على زمن غير متناه. **قرأ** حمزةُ، والكسائيُّ (وَيَبْشُرُ) بفتح الياء وتخفيف الشين وضمها؛ من البشر، وهو البشرى والبشارة. **وقرأ** الباقون بضم الياء وتشديد الشين مكسورة من بَشَّر المضعف على التكثير[3].

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٧ـ٣٤٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٨).

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ وهم ثلاث طوائف: اليهود في عزير، والنصارى في المسيح، وبعض العرب في الملائكة.

* * *

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ ﴾ باتخاذ الولد لله تعالى ﴿ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ ﴾ من قبلهم؛ لأن ذلك مستحيل في حقه تعالى ﴿ كَبُرَتْ ﴾ عظمت ﴿ كَلِمَةً ﴾ نصب على التمييز ﴿ تَخْرُجُ ﴾ أي: تظهر ﴿ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ ﴾ وهي قولهم: اتخذ الله ولداً[١] ﴿ إِن ﴾ أي: ما ﴿ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ فهي (ما) النافية.

* * *

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا تكن كذلك.

وقوله: ﴿ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: قاتلها ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ من بعد ذهابهم عنك.

﴿ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن ﴿ أَسَفًا ﴾ حزناً على فوات إيمانهم.

---

(١) «وهي قولهم: اتخذ الله ولداً» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ والمراد بما على الأرض: كل ما يزينها من علماء وصلحاء ونبات وزخارف ونحوه، ولم يدخل في هذا الجبال الصم، وكل ما لا زينة فيه؛ كالحيات والعقارب ونحوها ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ لنختبر الناظرين إليها .

﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أزهد في الدنيا .

* * *

﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ أي: الأرض .

﴿ صَعِيدًا ﴾ أملس مستوياً .

﴿ جُرُزًا ﴾ غليظاً يابساً لا ينبت .

* * *

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ ﴾ .

[٩] ثم جاء بما هو أعجب من ذلك فقال:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ أي: بل ظننت .

﴿ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ ﴾ الغار في الجبل .

﴿ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ لوح رُقم فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم، ثم وضعوه

على باب الكهف، وكان اللوح من رصاص، والرقيم بمعنى: المرقوم؛ أي: المكتوب، والرقم: الكتابة[1].

﴿كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ أي: كانوا آية يعجب بها من علمها، وفيه معنى الإنكار على السائلين عن أصحاب الكهف؛ كأنه قال: لا تعجبوا من أمرهم، ففيما خلقناه من صنوف الخلق ما هو أعجب منه.

***

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ جمع فتى، وهو الشاب الكامل.

﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ أي: رجعوا وهربوا إليه، وأما خبر مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق: مرح أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح يعبدون الله تعالى، وكان ملك منهم يقال له: دقيانوس قد عبد الأصنام، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم، فلا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، أو يقتله، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف، وسيأتي ذكرها، فهرب أهل الإيمان منه، وكان حين قدمها أَمَرَ أن يجمع له أهل الإيمان، فمن وقع به خيره بين القتل وبين عبادة الأوثان، فمنهم من يرغب في الحياة، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله، فيقتل.

---

(١) ورد على هامش «ش»: «وقيل: أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثةً خرجوا...» وتتمة الكلام مقدار عشرة أسطر، إلا أنها مطموسة.

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله، جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون، ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها، وعلى كل باب من أبوابها، حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك هؤلاء الفتية، حزنوا حزناً شديداً، وأقبلوا على الصيام والقيام والتسبيح والدعاء، وكانوا سبعة في قول ابن عباس، وأسماؤهم عنده: مكشلمينا، ويمليخا، ومرطونس، ونينوس، وسارينوس، ودوانوانس، وكفشططيوش، وقيل: كانوا ثمانية، وكثر الاختلاف في أسمائهم وأنسابهم وحِرفهم واسم كلبهم ولونه(١).

﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ رَحْمَةً﴾ أي: رزقاً.

﴿وَهَيِّئْ﴾ وأصلح ﴿ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نحن فيه، وهو الإيمان وترك الكفر.

﴿ رَشَدًا ﴾ صواباً، أي: اجعلنا راشدين. قرأ أبو جعفر (وَهَيِّي) و(يُهَيِّي) بإسكان الياء الثانية بغير همز(٢).

فظهر عليهم، وحملوا إلى الملك فقال: اختاروا إما أن تذعنوا لآلهتنا،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٧٩) عن أسماء الفتية: «.. وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسمَ كلبهم نظر في صحته، والله أعلم، فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ أي، سهلاً هيِّناً فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة». وقال أيضاً (٣/ ٧٧) عن لون الكلب: «واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها رجم بالغيب».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٤٩، ٣٥١).

وإما أن أقتلكم، فقال مكشلمينا، وهو أكبرهم: إن لنا إلهاً ملك السموات والأرض جلت عظمته، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً، وقال بقية الفتية لدقيانوس كذلك، فقال الملك: ما يمنعني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب، ورأيت أن أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه وتراجعون عقولكم، فأخذوا من بيوتهم نفقة، وخرجوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس، واسم الكهف حيرم، وأقاموا به يعبدون الله فيه، واتبعهم كلب كان لهم، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم، وهو يمليخا، وكان من أجملهم وأجلدهم، فكان يبتاع طعامهم من المدينة سراً، فإذا دخل المدينة، لبس ثياب المساكين، ويشترى طعامهم، ويتجسس لهم الأخبار، ولبثوا كذلك زماناً حتى أخبرهم يمليخا أن الملك يطلبهم، ففزعوا لذلك، وحزنوا، فبينا هم كذلك عند غروب الشمس يتحدثون ويتدارسون، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف.

* * *

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] قال الله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ أي: أنمناهم إنامة ثقيلة ﴿ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ ﴾ ظرف لـ(ضربنا) ﴿ عَدَدًا ﴾ نعت (سنين) أي: معدودة، وتخصيص الآذان بالذكر؛ لأنها الجارحة التي منها عِظَمُ فساد النوم، وقلما ينقطع نوم نائم إلا من جهة أذنه، ولا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع.

* * *

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] وألقي النوم عليهم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابه ما أصابهم، فسمع الملك أنهم بجبل بنجلوس، فألقى الله في نفسه أن يأمر

بالكهف فيسد عليهم حتى يموتوا جوعاً فيه، وظنهم أيقاظاً وهم رقود، أراد الله تعالى أن يكرمهم، وأن يجعلهم آية، وكان القوم يُقلبون ذات اليمين وذات الشمال، ثم عمد رجلان كانا مؤمنين في بيت الملك يكتمان إيمانهما اسم أحدهما يندروس، والثاني روناس، فكتبا شأن الفتية وأنسابهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس، وجعلاه في البنيان، فبقي دقيانوس ما بقي، ثم مات وقومه وقرون بعده، وخلفت الملوك بعد الملوك، ثم مَلَكَ تلك البلاد رجل صالح اسمه نيدوسيس ثمانياً وعشرين سنة، فتحزب الناس في ملكه، فكانوا أحزاباً، منهم من يؤمن بالله، ومنهم من يكفر ويكذب بالساعة، فبكى الملك الصالح، وتضرع إلى الله حين رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق، ثم دخل بيته وأغلق بابه، ولبس مُسوحاً وجعل تحته رماداً، وجعل يتضرع إلى الله تعالى، ويبكي ويدعو الله أن يظهر لهم آية يبين لهم بطلان ما هم عليه، حتى أراد الله أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية؛ ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح، ويجمع كلمة المؤمنين، فألقى في نفس رجل من ذلك البلد الذي به الكهف أن يهدم بنيان فم[1] الكهف، فيبني حظيرة لغنمه، فهدمه، وحجبه الله بالرعب حتى لا يقدر أن يتقدم حتى ينظر إليهم، وكلبهم دونهم، وأذن الله للفتية أن يجلسوا، فجلسوا مستبشرين، فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون بها إذا أصبحوا من ليلتهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم بعد ما أنمناهم.

---

(١) «فم» ساقطة من «ت».

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عبارة عن خروج ذلك الشيء إلى الوجود، وإلا فقد كان الله تعالى علم ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ الفريقين ﴿أَحْصَىٰ﴾ أحفظ ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ المعنى: أيهم أضبطُ غاية لأوقات لبثهم.

قال ابن عطية: والظاهر من الآية أن الحزب الواحد هم الفتية؛ إذ ظنوا لبثهم قليلاً، والحزب الثاني هم أهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم، حين كان عهدهم التاريخ بأمر الفتية، قال: وهذا قول الجمهور من المفسرين[1].

وقيل: المراد بالحزبين: المختلفين في مدة لبثهم، وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك نيدوسيس، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف، فقال المسلمون الأولون: مكثوا ثلاث مئة سنة وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل مكثوا كذا وكذا، وقال آخرون: الله أعلم بما لبثوا.

فلما استيقظ الفتية من نومهم، قاموا إلى الصلاة، فصلوا كالذي كانوا يفعلون، لا يرون في وجوههم ولا في أبدانهم شيئاً ينكرونه، وهم يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم، فلما قضوا صلاتهم، قالوا لصاحب نفقتهم: أنبئنا ما الذي قال الناس في شأننا عشي أمس عند هذا الجبار؟ وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد يخيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض: كم لبثتم نياماً؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وكل ذلك

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٠٠).

في أنفسهم يسير، فقال لهم[١] صاحب نفقتهم: إن الملك أراد قتلكم، أو تذبحوا للطواغيت، فقال كبيرهم: يا إخوتاه! اعلموا أنكم ملاقو الله، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله، ثم قالوا لصاحب نفقتهم: انطلق إلى المدينة فتسمَّعْ ما يقال بها، وما الذي نُذكر به عند دقيانوس، وتلطف، ولا تشعرن بك أحداً، وابتع لنا طعاماً فأتنا به، وزدنا على الطعام الذي جئتنا به، فقد أصبحنا جياعاً، ففعل كما كان يفعل، ووضع ثيابه[٢] وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ وَرِقاً من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس، وانطلق خارجاً، فلما مر بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن بابه، فعجب منها، ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة، فنظر في أعلى الباب علامة أهل الإيمان، فاستخفى وتحول إلى باب آخر، فرأى مثل ذلك، حتى خُيلَ إليهِ أن المدينة ليست بالذي كان يعرف، ورأى ناساً يحلفون باسم عيسى، ولم يميز منهم أحداً، فازداد حيرة، وظن أنه نائم، فسأل عن اسم المدينة، فقيل له: أقسوس، فقال: لعل عقلي ذهب، فدفع الورق إلى البياع ليشتري طعاماً، فعجب البياع من الورق، وطرحها إلى رجل من أصحابه، فجعلوا ينظرون إليها، ويقول بعضهم لبعض: إن هذا رجل قد أصاب كنزاً، وجعل أهل المدينة يقولون: ما رأينا هذا الفتى قط، فحملوه إلى رجلين كانا رأسي المدينة ومدبري أمرها، وهما صالحان، اسم أحدهما أزيوس، والآخر أضطيوس، فنظرا إلى الورق، فعجبا منه، فقال أحدهما: أين الكنز يا فتى؟ فقال: ما وجدت

---

(١) «لهم» زيادة من «ت».

(٢) «ثيابه» زيادة من «ت».

كنزاً، وهذا الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، وإني رجل من أهل المدينة، أنا فلان بن فلان، فلم يعرفه أحد، ولا عرف أباه، قالوا: فنقش هذا الورق من ثلاث مئة سنة، وأنت غلام شاب؟! فقال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: ما نعرف على وجه الأرض اليوم هذا الاسم إلا ملك قد هلك، وهلك بعده قرون، قال لهم: فما يصدقني أحد، لقد كنا فتية، وكان الملك أكرهنا على عبادة الأوثان، فهربنا منذ أيام إلى الكهف، وخرجت لأشتري لأصحابي طعاماً، وأتجسس الأخبار، فانطلقوا معي إلى الكهف في جبل بنجلوس؛ لأريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول، قال: يا قوم! لعلَّ هذهِ آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه، فانطلق معه أريوس وأطيطوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، فلما سمع أصحاب الكهف الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، جزعوا وظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم، فسبق إليهم صاحبهم، وقص عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بإذن الله، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث، ثم فتحوا التابوت النحاس الموضوع بباب الكهف، فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما أسماؤهم، وأنهم كانوا فتية آمنوا وهربوا من ملكهم دقيانوس الجبار؛ مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم، أمر بسد الكهف عليهم، فكتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم، فلما قرؤوه، عجبوا، وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبلَ ثيابهم، وجاء الملك

الصالح نيدوسيس حتى وقف عليهم، واعتنقهم، وبكى، فدعوا له، فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم، فناموا، فتوفى الله أنفسهم، فأمر الملك أن يجعلوا في توابيت الذهب، ثم رآهم في المنام، فقالوا له: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، وإنما خلقنا من تراب، وإلى التراب نصير، فأمر الملك بتابوت من ساج، فجعلوا فيه، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على الدخول إليهم، فأمر الملك، فجُعل على باب الكهف مسجد يصلى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً، وأمر أن يؤتى كل سنة. وقد حكى المفسرون والمؤرخون قصة أهل الكهف على وجوه كثيرة بألفاظ مختلفة، والله أعلم(١).

***

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] قال الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ ﴾ ننزل ﴿ عَلَيْكَ نَبَأَهُم ﴾ خبر الفتية ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق.

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ شبان وأحداث، حكم لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة، ولذلك قال أهل اللسان: رأس الفتوة الإيمان.

﴿ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ ثبتناهم على ذلك.

***

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٠٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٦٣). وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧)، وما بعدها.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ قويناها على قول الحق، وصبرناها على هجر الأوطان ﴿ إِذْ قَامُوا۟ ﴾ بين يدي الملك ديقيانوس حين أمرهم بالسجود للأصنام وعبادة غير الله تعالى ﴿ فَقَالُوا۟ ﴾ مخلصين رادين عليه ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ﴾ ولئن دعونا إلهاً غيره ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا ﴾ قولاً ﴿ شَطَطًا ﴾ جوراً، والشطط: هو الإفراط في الظلم.

* * *

﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم أنكروا حال قومهم فقالوا: ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ تعالى.

﴿ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا ﴾ هلاً ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِم ﴾ على عبادة الأصنام ﴿ بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ﴾ حجة ظاهرة ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فزعم أن معه إلهاً شريكاً؟!

* * *

﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ ﴾ أي:

اعتزلتم قومكم ومعبودهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فإنكم لم تعتزلوا عبادته، المعنى: إذ بعدتم عن قومكم ومرادهم.

﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ فالجؤوا إليه.

﴿يَنشُرۡ﴾ يبسط ﴿لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ بأن يسهلها عليكم ويعيذكم من عدوكم. قرأ أبو عمرو (يَنْشُر لَّكُمْ) بإدغام الراء في اللام من رواية السوسي، واختلف عنه من رواية الدوري، والوجهان صحيحان عن أبي عمرو(١) ﴿وَيُهَيِّئۡ﴾ يسهل ﴿لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ ما يرتفق به الإنسان، قالوا ذلك توكلاً على الله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (مَرْفِقاً) بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون: بكسر الميم وفتح الفاء، ومعناهما واحد.

* * *

﴿۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ﴾ قرأ ابن عامر، ويعقوب: (تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف؛ مثل: تحمرُّ، وقرأ الكوفيون: بفتح الزاي وتخفيفها وألف بعدها وتخفيف الراء، أصله: تتزاور، فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وقرأ الباقون: بتشديد الزاي وإثبات الألف، أصله تتزاور، قلبت التاء الثانية زاياً، ثم أدغمت،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٠).

والقراءات بمعنى واحد[1]؛ أي: تميل وتعدل عن كهفهم.

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ ظرف لـ(تزاور)، والمعنى: نحو الجهة المسماة باليمين.

﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾ تجاوزهم، وتعدل عنهم.

﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ وأصل القرض: القطع، ومنه سمي المقراض؛ لأنه يُقطع به.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: متسع من مكان[2] الكهف، يصل إليهم النسيم، ويدفع عنهم كرب الغار ووخمه، ولا تصل إليهم الشمس عند طلوع ولا غروب.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ عجائبه الدالة على قدرته، ثم مدحهم فقال:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ بأن فتح له طريق الهداية فسلكها ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أي: المخلص في إيمانه الذي أصاب الفلاح. أثبت نافع وأبو جعفر وأبو عمرو الياء في (المهتدي) وصلاً، وأثبتها يعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[3].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٢).

(٢) «مكان» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٣).

وذم ضدهم فقال: ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ أي: يضلله تعالى بخذلانه.

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ يرشده إلى فلاحه.

* * *

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَيْقَاظًا﴾ جمع يَقُظ؛ كعضُد؛ أي: منتبهين؛ لأنهم كانت أعينهم مفتحة في نومهم ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام، جمع راقد، ويتنفسون مع ذلك ولا يتكلمون ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ مرة للجنب الأيمن، ومرة للجنب الأيسر.

قال ابن عباس: «كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب؛ لئلا تأكل الأرض لحومهم»(١)، ويقال: كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم.

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ مادٌّ يديه ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ والوصيد: العتبة التي لباب الكهف، أو موضعها حيث ليست على الأصح، وقيل: هو فناء الباب، والباب الموصد: هو المغلق، وأكثر أهل التفسير على أنه كان من جنس الكلاب.

قال ابن عباس: «كان كلباً أنمر، واسمه قطمير»(٢)، وقيل كان أسداً،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٦٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٧٣).

ويسمى الأسد كلباً، فكانوا إذا انقلبوا انقلب موافقة لهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لو نظرت إليهم يا محمد.

﴿لَوَلَّيْتَ﴾ لرجعت هيبة وخوفاً.

﴿مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ هارباً؛ لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله من رقدتهم.

﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: بتشديد اللام الثانية، والباقون بتخفيفها، وأبو جعفر وأبو عمرو يبدلان الهمز ياءً، وكلها لغات بمعنى: لامتلأْتَ[1].

﴿مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ خوفاً؛ لما ألبسهم الله من الهيبة، ولعظم أجرامهم، وانفتاح عيونهم، ولوحشة مكانهم. قرأ ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: (رُعُباً) بضم العين، والباقون: بإسكانها[2].

وعن ابن عباس قال: «غزونا مع معاوية نحو الروم، فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء، فنظرنا إليهم، فقال ابن عباس: قد منع ذلك من هو خير منك، فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، فبعث معاوية ناساً فقال: اذهبوا فانظروا، فلما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٤ـ٣٥٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٥).

دخلوا الكهف، بعث الله عليهم ريحاً، فأخرجتهم»[1].

***

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) ﴾.

[١٩] ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أي: كما أنمناهم هذه المدة بقدرتنا، مثلَ ذلك أيقظناهم ﴿ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ عن حالهم وما جرى لهم.

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ ﴾ وهو رئيسهم مكشلمينا: ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ في نومكم؛ لأنهم استكثروا طول نومهم. **قرأ** نافع، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) (لَبِثْتَ) بإظهار الثاء عند التاء حيث وقع، والباقون: بالإدغام[2].

﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا ﴾ لأنهم دخلوا الكهف طلوع الشمس، وبعثهم الله آخر النهار، فلما رأوا الشمس، قالوا: ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فلما نظروا إلى

---

(١) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٠١)، و«تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٢٤٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٦٦). قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٧٦): «ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً، والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه، وقد أعلمنا الله بصفته، ولم يعلمنا بمكانه».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٥).

أظفارهم وأشعارهم، تيقنوا أن لبثهم أكثر من يوم.

فثم: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ يعني: يمليخا ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب (بِوَرْقِكُمْ) بإسكان الراء، والباقون: بكسرها[1]، والقراءتان معناهما واحد، وهي الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة، المعنى: فأرسلوا واحداً منكم بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ المعدة للنفقة ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ التي خرجنا منها، وهي المسماة في الإسلام طرسوس، وكان اسمها في الجاهلية أفسوس.

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ﴾ يعني: أي أهلها ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أحل وأطيب؛ لأنهم كان فيهم من يذبح للطواغيت ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ﴾ بشيء.

﴿مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ يترفَّق في الشراء، وفي طريقه، وفي دخوله[2] المدينة حتى لا يطلع عليه.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾ من الناس.

* * *

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ﴾ يطلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم، قيل:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٢) «وفي دخوله» ساقطة من «ت».

كان من عادتهم القتل بالحجارة، وهو أخبث القتل.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يردوكم إلى دينهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ لن تسعدوا لا في الدنيا ولا في الآخرة إن رجعتم إلى دينهم.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أنمناهم وأيقظناهم لحكمة.

﴿أَعْثَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لحكمة، وهي ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ قوم نيدوسيس.

﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ لأن الكفار منهم كانوا ينكرون البعث والحساب، المعنى: ليعلموا أنَّ القادر على إنامة هؤلاء هذه المدة، وإبقائهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى وحشرهم.

﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي: المسلمون والكافرون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المتنازعين ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أمر الفتية ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ والتنازع في البنيان، فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً يصلي فيه الناس؛ لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم كنيسة؛ لأنهم من أهل نسبنا، فلما لم يتحقق المتنازعون ذلك قالوا:

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قرأ السوسي عن ابن عمرو: (أَعْلَمْ بِهِمْ) (أَعْلَمْ بِعِدَّتِهِمْ) وشبهه بإسكان الميم عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفاً لتوالي الحركات، فتخفى إذ ذاك بغنة، فإن سكن ما قبلها، ترك ذلك

إجماعاً[1]. فغلب المؤمنون كما أخبر تعالى في قوله:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ وهم نيدوسيس الملك وأصحابه: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾ لنجعلن على باب الكهف.

﴿مَّسْجِدًا﴾ فجعلوا ثَمَّ مسجداً يُصلى عليه.

* * *

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: نصارى نجران حين ناظروا النبي ﷺ في عدد أصحاب الكهف: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهذا قول السيد، وكان يعقوبياً، وقيل: اليهود ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهذا قول العاقب، وكان نسطورياً.

﴿رَجْمًا﴾ مصدر؛ أي: ظناً وحسداً، وهو يستعار من الرجم؛ كأن الإنسان يرمي الموضع المشكل المجهول عنده يظنه المرة بعد المرة يرجمه؛ عسى أن يصيب ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ من غير يقين.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهذا قول المسلمين، فصدقهم الله تعالى، والواو في قوله: (وثامنهم) واو عطف دخلت في آخر

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٨ـ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٧ـ٣٥٨).

إخبار عن عددهم؛ لتفصل أمرهم، وتدل على أن هذه نهاية ما قيل، ولو سقطت، لصح الكلام، ولو كانت فيما قبل من قوله (ورابعهم) (وسادسهم)، لصح الكلام[١]؛ لأن الجملة الثانية إذا التبست بالأولى، جاز إثبات الواو وحذفها، ولا يجوز حذف الواو إذا لم ترتبط الثانية بالأولى.

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يردَّ علمَ عدتهم إليه عز وجل. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (رَبِّيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾ أخبر تعالى أن عالم ذلك من البشر قليل، والمراد به قوم من أهل الكتاب، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة، وثامنهم كلبهم»[٣].

قال ابن عطية: ويستدل على هذا من الآية بأن القرآن لما حكى قول من قال: ثلاثة وخمسة، قرن بالقول: إنه رجم بالغيب، فقدح ذلك فيها، ثم حكى هذه المقالة، ولم يقدح فيها بشيء[٤].

﴿فَلَا تُمَارِ﴾ أي: لا تجادل ﴿فِيهِمۡ﴾ في أهل الكهف ﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾

---

(١) قوله: «ولو كانت فيما. . . لصح الكلام» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٨).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٦٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٢٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١١٣).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٠٨).

إلا جدال عالم متيقن[١]؛ لأنه تعالى عرفك الحق من ذلك. قرأ الدوري عن الكسائي: (تمار) بالإمالة بخلاف عنه[٢].

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ أي: لا تسأل ﴿فِيهِم﴾ في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾ عن قصتهم؛ لأنك خبير بذلك.

***

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ولما سئل ﷺ عن ذي القرنين والروح وأهل الكهف، فقال: «غداً أخبركم»، ولم يستثن، نزل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾[٣] أي: لأجل شيء تهم به.

﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يُستقبل من الزمان، لا اليوم الذي يلي يومك.

***

﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ في الكلام حذف يقتضيه الظاهر، تقديره: إلا أن تقول: إلا أن يشاء الله، أو إلا أن تقول: إن شاء الله، فالمعنى: إلا أن تذكر مشيئة الله.

---

(١) «عالم متيقن» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٨).

(٣) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٣١).

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ ﴾ بالاستغفار ﴿ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الاستثناء.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن: معناه إذا نسيت الاستثناء، ثم ذكرت، فاستثن[1]، وجوز ابن عباس الاستثناء في اليمين إلى سنة ما لم يحنث، وعن الحسن وطاوس: ما دام في المجلس، واتفق الأئمة الأربعة على أن الاستثناء في اليمين بالله تعالى لا ينفع ويسقط الكفارة إلا أن يكون متصلاً باليمين لفظاً أو حكماً، واختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق[2]، فقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز، واشترط الشافعي أن ينوي الاستثناء قبل فراغ اليمين، وقال مالك وأحمد: لا يجوز الاستثناء فيهما.

واختلفوا في الاستثناء من غير الجنس، فقال أحمد، ومحمد بن الحسن، وزفر: لا يصح، وأكثر الشافعية والمالكية: يلزم صحة استثناء ثوب وغيره، والأشهر عن أبي حنيفة صحته من مكيل وموزون من أحدهما فقط، واستثناء الكل باطل بالاتفاق، وكذا الأكثر من عدد مسمى عند الإمام أحمد، وأبي يوسف، وابن الماجشون من المالكية، وقال الأئمة الثلاثة: يصح، ولا يصح الاستثناء إلا نطقاً إلا في يمين خائف بنطقه بالاتفاق، وإذا تعقب الاستثناء جملاً بواو العطف، وصلح عوده إلى كل واحدة، فللجميع عند الأئمة الثلاثة إلا لمانع؛ كبعد مفردات، وعند أبي حنيفة للأخيرة، والاستثناء من النفي إثبات، وبالعكس عند الشافعية والمالكية والحنابلة؛ خلافاً للحنفية في الأولى، ولبعضهم فيهما.

﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي ﴾ يدلني.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣).
(٢) «والعتق» زيادة من «ت».

﴿لَأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ أي: يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد، والإشارة بهذا إلى الاستدراك الذي يقع من ناسي الاستثناء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يَهْدِيَنِي) بإثبات الياء حالة الوصل، وابن كثير ويعقوب بإثباتها في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين[1].

* * *

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا﴾ يعني: أصحاب الكهف ﴿فِي كَهْفِهِمْ﴾ نياماً أحياء.

﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ هذا إخبار من الله سبحانه عن مدة لبثهم في الكهف، وهو الأصح. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ثَلَاثَ مِئَةِ) بغير تنوين على الإضافة، والباقون: بالتنوين، وأبدلوا السِّنين من (ثَلَاثِ مِئَةٍ)[2].

* * *

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] وقوله: ﴿قُلِ﴾ معناه: أن الأمر في مدة لبثهم كما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٨-٣٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٥٩).

ذكرنا، فإن نازعوك فيها، فأجبهم وقل:

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ أي: هو أعلم منكم، وقد أخبر بمدة لبثهم.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاث مئة شمسية، والله ذكر ثلاث مئة قمرية، والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مئة سنة ثلاث سنين، فيكون في ثلاث مئة تسع سنين، فلذلك قال: وازدادوا تسعاً»(١).

﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو المختص بعلم ما غاب فيهما.

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصرَ اللهَ وأسمعَه! فلا يغيب عنه شيء ﴿مَا لَهُم﴾ أي: لأهل السموات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: من دون الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يتولى أمورهم.

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ فليس لأحد أن يحكم بحكم لم يحكم به الله. قرأ ابن عامر: (وَلاَ تُشْرِكْ) بالخطاب وجزم الكاف على النهي، وقرأ الباقون: بالغيب، ورفع الكاف على الخبر؛ أي: لا يشركُ الله في حكمه(٢).

* * *

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ولما قيل للنبي ﷺ: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥]،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٠).

نزل: ﴿وَٱتْلُ﴾ واقرأ يا محمد ﴿مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن، واعمل به.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ لا نقص في قوله. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (مُبَدِّل لِّكَلِمَاتِهِ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[1].

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ يلجأ إليه.

* * *

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ولما طلب عيينة بن حصن الفزاري وأصحابه من النبي ﷺ إبعاد أبي ذر وأصحابه من الفقراء من مجلسه؛ لرثاثة حالهم؛ ليجلسوا إليه، نزل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾[2] أي: احبسها.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ طرفي النهار. قرأ ابن عامر: (بِالْغُدْوَةِ) بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها، وقرأ الباقون: بفتح الغين والدال وألف بعدها[3].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٣٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٨٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦١).

﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ تعالى، لا يبتغون عرضاً من الدنيا.

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ لا تجاوزهم نظرك إلى غيرهم ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: لا تطرد الفقراء لفقرهم ورثاثة حالهم، ولا تمل إلى الأغنياء لجمالهم وغناهم. قرأ أبو عمرو (تُرِيد زِّينَةَ) بإدغام الدال في الزاي[1].

﴿ وَلَا تُطِعْ ﴾ في طردهم ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ﴾ هو عيينة وأصحابه ﴿ عَن ذِكْرِنَا ﴾ عن القرآن والتوحيد ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في الشرك وطلب الشهوات.

﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ سرفاً وتضييعاً.

* * *

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَقُلِ ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: الذي أنبأتكم به الحق ﴿ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ بترك طرد المؤمنين، ثم خيرهم تهديداً، فقال: ﴿ فَمَن شَآءَ ﴾ الإيمان ﴿ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ ﴾ الكفر ﴿ فَلْيَكْفُرْ ﴾ المعنى: لستُ بطارد المؤمنين لهواكم، فاعملوا ما شئتم.

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ هيأنا ﴿ لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ والسرادق: هو ما أحاط بالبناء من الستر ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ ﴾ من العطش ﴿ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦١).

هو القيح والدم الأسود ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ ينضجها ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ المهل ﴿وَسَآءَتْ﴾ قبحت النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي: مجلساً جامعاً، أو متكأ، وأصل الارتفاق: نصبُ المرفق تحت الخد.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لا نضيع أعمالهم، بل نثيبهم بها.

* * *

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] فإن قيل فأين جواب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيل: جوابه قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ وأما قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ فكلام معترض، والعدن: الإقامة، يقال: عدنَ فلان بالمكان: إذا أقام به، وسميت عدناً؛ لخلود المؤمنين فيها.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ يلبسون في الجنة.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ واحدها سوار، وهو ما يُلبس في الذراع ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ (من) الأولى للابتداء، والثانية للبيان صفة لأساور، وتنكيرها لتعظيم حسنها من الإحاطة به ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾ قرأ أبانُ عن عاصم: بكسر الباء،

والباقون: بفتحها[1] ﴿ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾ جمع سندسة، وهو رفيع الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ثخينه، وهو فارسي معرب ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي ستر كالبيت، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا؛ كما هو هيئة المتنعمين. قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِينَ) و(مُتَّكُونَ) وشبهه بغير همز حيث وقع، والباقون: بالهمز[2].

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ أي: نعم الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ مجلساً ومقراً.

* * *

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ أي: مثل حال هؤلاء المؤمنين والكافرين بحال.

﴿رَّجُلَيْنِ﴾ وكانا أخوين في بني إسرائيل، مؤمن اسمه يهودا، وكافر واسمه قطروس، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطرا، فاشترى الكافر بها ضياعاً وعقاراً، وصرفها المؤمن في وجوه الخير، وآل أمرهما إلى ما أخبر الله تعالى به في قوله:

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي: جعلناه محيطاً بالجنتين ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ وسطهما ﴿زَرْعًا﴾ يقتات به؛ أي: جمعت

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٢).

هذه الأرض أنواع الثمرات وأصناف الأقوات، ولم يكن بين الجنتين موضع خراب.

***

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أعطت ثمرها. قرأ نافعٌ، وابنُ كثير، وأبو عمرٍو: (أُكْلَها) بإسكان الكاف والباقون: بضمها[1] ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي: تنقص ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ بل أتت به في غاية الكمال ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ شققنا. قرأ يعقوب (وَفَجَرْنَا) بتخفيف الجيم، والباقون: بالتشديد[2] ﴿خِلَٰلَهُمَا﴾ وسطهما ﴿نَهَرًا﴾ يجري بينهما؛ ليزيد بهاؤهما.

***

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ لصاحب البستان ﴿ثَمَرٌ﴾ قرأ أبو عمرو: (ثُمْرٌ) بضم الثاء وإسكان الميم، **وقرأ** نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وابن عامرٍ، وحمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ: بضم الثاء والميم، **وقرأ** أبو جعفرٍ، وعاصمٌ،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٣٦).

ويعقوبُ: بفتحهما[1]، فمن قرأ بالضم، فهي الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف، جمع ثمار، ومن قرأ بالفتح، جمع ثمرة، وما يخرجه الشجر من الثمار المأكولة.

﴿فَقَالَ﴾ الكافر صاحب البستان ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه في الكلام ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا﴾ لإقباله على الدنيا، وتركه الآخرة ﴿وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ عشيرة. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أَكْثَرُ) بالمد[2].

* * *

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ۝٣٥﴾.

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ الكافر.

﴿جَنَّتَهُۥ﴾ التي لا جنة له سواها، ولا حظَّ له في الجنة التي وعد المتقون، ولم يقل: جنتيه؛ لأن المراد ما هو جنته، وأخذ بيد أخيه المسلم يطوف به فيها، ويفاخره بها.

﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالكفر ﴿قَالَ﴾ إعجاباً:

﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تهلك ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ الجنة ﴿أَبَدٗا﴾ لطول أمله.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٣ـ٣٦٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٤).

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ كائنة.

﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ كما تزعم.

﴿ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي: مرجعاً؛ فإنه لم يعطني الجنة في الدنيا، إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر: (مِنْهُمَا) بميم بعد الهاء على التثنية؛ أي: من الجنتين، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقون: بحذف الميم على الإفراد، أراد: جنته، وكذلك هي في مصاحفهم[1].

* * *

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝٣٧ ﴾.

[٣٧] ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ ﴾ المسلم ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ أي: أباك آدم؛ لأنه خلق من تراب.

﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي: مَنِيٍّ ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰكَ ﴾ عدلك وكمَّلك ﴿ رَجُلًا ﴾ بشراً ذكراً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٤-٣٦٥).

﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ [٣٨].

[٣٨] ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس عن يعقوب: (لَكِنَّا) بإثبات الألف بعد النون في الحالين، وحذفها الباقون وصلاً، ولا خلاف في إثباتها في الوقف إتباعاً للرسم، وأصله: لكن أنا، فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف؛ لكثرة استعماله، ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى، قال الكسائيُّ: فيه تقديم وتأخير، مجازه: لكن الله هو ربي[١].

﴿ وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (بِرَبِّيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

* * *

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾ [٣٩].

[٣٩] ﴿ وَلَوۡلَآ ﴾ أي: هَلاَّ.

﴿ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ ﴾ عند دخولها ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: الأمرُ ما شاء الله، وتشكره على إنعامه عليك، وقلت: ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ اعترافاً بالعجز على نفسك، والقدرة لله.

ثم قال: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾ فتكبرتَ عليَّ. قرأ أبو عمرو،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٦-٣٦٧).

وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِذ دَّخَلْتَ) بإدغام الذال في الدال، والباقون: بالإظهار[1].

* * *

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿فَعَسَىٰ﴾ فلعل ﴿رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ﴾ يعطيني في الآخرة ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدنيا ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على جنتك ﴿حُسۡبَانٗا﴾ مرامي، جمع حسبانة، وهي الصواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا﴾ أرضاً ﴿زَلَقًا﴾ يزلق عليها؛ لملاستها.

* * *

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ غائراً في الأرض لا سبيل له.

﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ أي: إن طلبته لم تجده، تلخيصه: أرجو أن أُرزق أفضلَ من جنتك، وأن تهلك جنتك. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالونُ عن نافع: (إِنْ تَرَنِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2]، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنَا أَقَلَّ)

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٧).

بالمد كما تقدم في (أَنَا أَكْثَرُ)[الآية: ٣٤]، وأثبت نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو الياء في (يُؤْتِيَنِي) وصلاً، وأثبتها ابن كثير ويعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين(١).

***

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ بالهلاك، فهلكت ثمرته. قرأ أبو عمرو: (بِثُمْرِهِ) بضم الثاء وإسكان الميم، وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: بضم الثاء والميم، وقرأ أبو جعفر، وعاصم، وروح عن يعقوب: بفتحهما(٢).

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ هو التصفيق وتقليبهما ظهراً لبطن تندماً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: في عمارتها ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها، يعني: أن السقوف وقعت، ثم تهدمت الحيطان عليها، فهي خاوية، والحيطان على العروش، وتعطف على (يُقَلِّبُ).

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: بإسكان الياء، والباقون بفتحها(٣).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٨).

(٢) وقد تقدم قريباً.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ جماعة.

﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من عذابه.

﴿ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ ممتنعاً بنفسه من العذاب. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَكُن لَهُ) بالياء على التذكير للفصل بـ(له)، وقرأ الباقون: بالتاء مؤنثاً؛ لتأنيث (فئة)[1].

* * *

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: في ذلك الوقت، وهي اسم مكان، ويستعمل في الزمان.

﴿ ٱلْوَلَٰيَةُ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الواو، يعني: السلطان والملك، وقرأ الباقون: بفتح الواو[2]، بمعنى: النصرة والتولي؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي: (الْحَقُّ) بالرفع صفة للولاية، وقرأ الباقون: بالجر صفة لله[3].

= (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٦-٣٦٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٣) المصادر السابقة.

﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾ أفضل جزاءً لأهل طاعته.

﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أي: عاقبة للمؤمنين، المعنى: ثواب الله تعالى للمؤمنين في الآخرة أفضل من غيره. قرأ عاصم، وحمزة، وخلف: (عُقْبا) بإسكان القاف[1].

***

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَٱضْرِبْ ﴾ يا محمد ﴿ لَهُم ﴾ لقومك.

﴿ مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني: المطر ﴿ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ ﴾ أي: تكاثف بسبب نزوله ﴿ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ وامتزج الماء بالنبات حتى روي وحَسُن.

﴿ فَأَصْبَحَ ﴾ عن قريب ﴿ هَشِيمًا ﴾ أي: مهشوماً، تهشَّم: تكسر.

﴿ تَذْرُوهُ ﴾ تفرقه.

﴿ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ فتذهب به، المعنى: شبه الدنيا بما فيها منها بنبات حسن، فيبس فتكسر، ففرقته الريح، فانعدم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الرِّيحُ) بغير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون: بألف بعد الياء على الجمع[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧١).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من السعادة والشقاوة، والإنشاء والإفناء ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ قادراً.

* * *

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ثم زهّد تعالى فيها، ووبخ المفتخرين بها، فقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ التي يفتخر بها عيينةُ وأصحابهُ الأغنياء.

﴿زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتجمّل بهما فيها[1].

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ عند الجمهور هي قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ من المال والبنين ﴿ثَوَابًا﴾ جزاءً.

﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يتعلق بها من الأمل.

* * *

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ وتسييرها: إزالتها من أماكنها، وتسييرها كما يسير السحاب؛ كما قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير: (تُسَيَّرُ) بالتاء وضمها وفتح الياء، ورفع

---

(١) في «ت»: «فيهما».

(الجبالُ) مجهولاً، وقرأ الباقون: بالنون وضمها وكسر الياء[1]، ونصب (الجبالَ) مفعول (نسير) خبر عن الله تعالى.

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ظاهرة ليس فيها ما يستظل به من شجر ولا بناء، قد ذهب عنها كل ما كان عليها.

﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾ أي: جمعنا المؤمنين والكافرين إلى الموقف والحساب.

﴿ فَلَمْ نُغَادِرْ ﴾ أي: نترك ﴿ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ إلا قذفته الأرض.

* * *

﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ أي: مصطفِّين، فثَمَّ يقال لهم:

﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ فرادى حفاةً عراةً، لا شيء معكم من المال والولد، ولما خرج من قصة إلى قصة، أضربَ فقال:

﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ تجازون وتحاسبون فيه، يقوله لمنكر البعث. قرأ الكسائي، وهشام (بَل زَّعَمْتُمْ) بإدغام اللام في الزاي، والباقون بالإظهار[2].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٢).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٣).

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ الذي كتبت فيه أعمالهم ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من الذنوب.

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ عند معاينة ما فيه من القبائح:

﴿ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾ يا هلاكنا! ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ تعجباً من شأنه. وقف أبو عمرو، والكسائي بخلاف عنه على الألف دون اللام من قوله: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ في النساء [الآية: ٧٨]، و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هنا، و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ في الفرقان [الآية: ٧]، ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ ﴾ في سأل [الآية: ٣٦]، ووقف الباقون (فمال) على اللام إتباعاً للخط، بخلاف عن الكسائي[١]، قال ابن عطية: ومنعه قوم جملة؛ لأنها حرف جر، فهي بعض المجرور، وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس، وأما أن يختار أحد الوقف فيما ذكرناه ابتداء، فلا[٢]، انتهى.

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ﴾ عن جلبها[٣] ﴿ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ ﴾ عدَّها وأثبتها.

قال ابن عباس: «الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة»[٤].

---

(١) وقد تقدم عنهم ذلك في سورة النساء.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ٨١).

(٣) في «ت»: «تصدر عن جانبها».

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٢٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤١٤).

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟﴾ من خير وشر ﴿حَاضِرًا﴾ مكتوباً لا يغيب منه شيء ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يؤاخذ أحداً بجرم لم يعمله.

* * *

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ.

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ قرأ أبو جعفر (للملائكةُ) بضم التاء حالة الوصل إتباعاً، وروي عنه إشمام كسرتها الضم، والوجهان صحيحان عنه(١)، وتقدم الكلام على ذلك، وعلى تفسير السجود مستوفىً في سورة البقرة عند تفسير نظير هذه الآية.

﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ قال ابن عباس: «كان من حي من الملائكة يقال لهم: الجن، خُلقوا من نار السموم»(٢)، وتقدم في سورة البقرة أنه كان من الملائكة، لا من الجن على الأصح.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: من الملائكة الذين هم خزنة الجنة، قال ابن عطية: ولا خلاف أن إبليس كان من الملائكة في المعنى؛

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠١).

إذ كان مقترناً[1] بالأمر والنهي مرسلاً والملك مشتق من اللائكة، وهي الرسالة، فهو في عداد الملائكة يتناوله قول: (اسجدوا)[2]، وقيل: كان من الجن حقيقة؛ لأن له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عن طاعته.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾ الهمزة للإنكار دخلت على فاء العطف، والواو لآدم وذريته، والهاء للخبيث، وتقديره: أفتتخذون إبليس وذريته.

﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أعداء.

﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ من الله إبليسُ وذريته.

* * *

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي: ما أحضرتهم، يعني: إبليس وذريته، وقيل: جميع الخلق. قرأ أبو جعفر: (مَا أَشْهَدْنَاهُمْ) بالنون والألف على الجمع للعظمة؛ أي: أحضرناهم، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة من غير ألف على ضمير المتكلم[3].

﴿خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ فأستعين بهم على خلقها، وأشاورهم فيها.

---

(١) في «ت»: «متصرفاً».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٤).

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ عن الدين.

﴿عَضُدًا﴾ أعواناً أعتضد بهم. قراءة العامة: (وَمَا كُنْتُ) بضم التاء، وقرأ أبو جعفر: بفتحها خطاباً للنبي ﷺ[1]؛ أي: لا يجوز ذلك الاعتضاد بأحد من المضلين.

***

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿يَقُولُ﴾ قرأ حمزة: (نَقُولُ) بالنون، يخبر تعالى عن نفسه، وقرأ الباقون: بالياء[2]؛ أي: يقول هو تعالى ثَمَّ للكفار: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ بزعمكم؛ يعني: الأوثان ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم يشفعون لكم.

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ لم يجيبوا، ولم يشفعوا.

﴿لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ أي: مهلكاً بينهم وبين آلهتهم.

***

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٥).

وخلف، وورش، وابن ذكوان: (رأى) بإمالة الراء والهمزة حيث وقع، وافقهم أبو عمرو في إمالة الهمزة فقط، وروي عن السوسي أربعة أوجه: فتح الراء والهمزة، وكسرهما، وفتح الراء وكسر الهمزة، وعكسه، وروي عن أبي بكر وجهان: كسر الراء وفتح الهمزة، وكسرهما، وروي عن حمزة: كسر الراء وفتح الهمزة، والباقون بفتحهما جميعاً[1].

﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ داخلوها.

﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ معدلاً وانصرافاً.

* * *

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كل جنس يحتاجون إليه ليتذكروا ويتعظوا.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ والمراد: جميع الناس، وهو الأصح.

﴿أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ خصومة، المعنى: أن الإنسان أكثر جدالاً من غيره.

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلة، فقال: «ألا تُصلِّيان؟» فقال علي: يا رسول الله! إن أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسولُ الله ﷺ حين قال ذلك، ولم يرجع إليه بشيء،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٥ـ٣٧٦).

ثم سمعه علي وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول[1]: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾[2].

* * *

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ٥٥﴾.

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ القرآنُ والرسولُ ﷺ ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ﴾ من الذنوب.

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ﴾ تقديره: وما منع الناسَ الإيمانَ والاستغفارَ إلا انتظارُ إتيان مثل.

﴿سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني: سنتنا في إهلاكهم؛ من الغرق والصيحة والظلة[3] والريح وغير ذلك.

﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا﴾ قرأ الكوفيون، وأبو جعفر: (قُبُلاً) بضم القاف والباء، جمع قبيل؛ أي: أصنافاً، وقرأ الباقون: بكسر القاف وفتح الباء، يعني: مقابلة عياناً[4].

---

(١) «وهو يقول» ساقطة من «ت».

(٢) رواه البخاري (١٠٧٥)، كتاب: أبواب التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ومسلم (٧٧٥)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٣) في «ت» «الظلمة».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٦).

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ للمؤمنين والكافرين.

﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ باقتراح الآيات تعنتاً، والسؤالِ عن قصة أهل الكهف.

﴿ لِيُدْحِضُوا۟ ﴾ ليبطلوا ﴿ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ من إدحاض القدم، وهو إزلاقها.

﴿ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى ﴾ أي: القرآن ﴿ وَمَآ أُنذِرُوا۟ ﴾ به من العذاب ﴿ هُزُوًا ﴾ سخرية. قرأ حمزة وخلف (هُزْؤاً) بجزم الزاي حيث وقع، والباقون: بضمها، وحفص: بإبدال الهمزة واواً[(١)].

***

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ بالقرآن.

﴿ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ تولى وترك العمل بها.

﴿ وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أغطية.

﴿ أَن يَفْقَهُوهُ ﴾ أي: لئلا يفهموا القرآن.

﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ثقلاً عن سماع الحق .

---

(١) سلفت في تفسير الآية (٦٧) من سورة البقرة.

﴿ وَإِن تَدْعُهُمْ ﴾ يا محمد ﴿ إِلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ والمراد: من حقت عليه الشقاوة ﴿ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون.

* * *

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ﴾ للمؤمنين.

﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ ﴾ لهم خاصة في الآخرة والرحمة في الدنيا؛ بمعنى: النعمة، فهي تعمُّ المسلمَ والكافرَ.

﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم ﴾ في الدنيا ﴿ بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ ﴾ فيها.

﴿ بَل لَّهُم ﴾ أي: لهلاكهم ﴿ مَّوْعِدٌ ﴾ يعني: البعث.

﴿ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ منجاة. قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (يُوَاخِذُهُمْ) (تُوَاخِذْنِي) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[1].

* * *

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ المتقدمة؛ كقرى عاد وثمود وغيرهم.

﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ بالتكذيب؛ كقريش.

﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم ﴾ أي: لإهلاكهم ﴿ مَّوْعِدًا ﴾ أجلاً. قرأ أبو بكر

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٧).

عن عاصم: (لِمَهْلَكِهِمْ) بفتح الميم واللام التي بعد الهاء، وقرأ حفصٌ عنه: بفتح الميم وكسر اللام، وهو مصدر هلك، ومعنى القراءتين: جعلنا لوقت هلاكهم، وقرأ الباقون: بضم الميم وفتح اللام على المعنى الأول، وهو مصدر أهلك يهلك[1].

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران على الأصح ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ وخادمه هو يوشع بن نون عليه السلام، كان يتبعه ويخدمه، ويأخذ منه العلم.

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير.

﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى العذب والمالح، [وقيل: المراد: المكان الجامع لملتقى بحري فارس والروم مما يلي الشرق][2]، وقيل غير ذلك، وقالت فرقة: البحران كناية عن موسى والخضر؛ فإن موسى عليه السلام كان بحر علم الظاهر، والخضر بحر علم الباطن، قال ابن عطية: وهذا قول ضعيف[3]. قرأ أبو عمرو: (لاَ أَبْرَح حَّتَّى) بإدغام الحاء الأولى في الثانية[4].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢-٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٨).

(٤) انظر: «غيث النفع» للصفاقسي (ص: ٢٨١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٧٩-٣٨٠).

﴿أَوْ أَمْضِيَ﴾ أسير ﴿حُقُبًا﴾ زماناً غير محدود، وجمعه أحقاب، والحقب أقل زمان، وقيل: ثمانون سنة.

* * *

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ أي: موسى وفتاه.

﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ أي: بين البحرين، وهو الموضع الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر، وفيه الصخرة، وفيه عين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتاً إلا حيي.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ الذي تزودا به، فأصابه شيء من برد ماء العين، فعاش ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾ طريقه. قرأ أبو عمرو: (فَاتَّخَذ سَّبِيلَهُ) بإدغام الذال في السين في الحرفين(١).

﴿فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ مسلكاً يسرب فيه من قوله: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وإنما كان الحوت مع يوشع، فنسي موسى أن يطلبه ويتعرف حاله، ونسي يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر.

وملخص القصة: ما روي عن أُبيٍّ بنِ كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أيُّ الناسِ أعلمُ؟ قال: أنا، فعتِبَ الله عليه؛ إذ لم يردَّ العلمَ إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا ربِّ فكيف لي به؟ قال:

---

(١) المصدران السابقان.

تأخذ معك حوتاً، فتجعله في مِكْتل، فحيثما فقدت الحوت، فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً، فجعله في مكتل، ثم انطلق، فانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام، حتى إذا أتيا الصخرةَ التي عند مجمع البحرين، وضعا رؤوسَهما فناما، واضطرب الحوت في المِكْتل حين أصابه بردُ الماء، فخرج منه، فسقط في البحر، فعلم يوشع بأمره، وأمسك الله جِرْيَة الماء عن الحوت، فصار عليه مثلُ الطاق، فصار للحوت سرباً، فلما استيقظ موسى، نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيةَ يومِهما وليلتِهما»(١).

* * *

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ مجمع البحرين ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾ الغداء: ما يعد للأكل أول النهار، والعشاء: آخره ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا ﴾ الذي سرنا بعد مجاوزة الصخرة ﴿ نَصَبًا ﴾ تعباً، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به؛ ليتذكر الحوت، ويرجع إلى مطلبه.

* * *

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٨)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ ﴾، ومسلم (٢٣٨٠)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر ـ عليه السلام ـ، عن أبي كعب رضي الله عنه.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ يعني: التي رقد عندها موسى.

﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ عند الصخرة.

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ أي: ما أنساني ذكرَه إلا الشيطانُ، وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه. قرأ الكسائي: (أَنْسانِيه) بالإمالة، وقرأ حفص عن عاصم: (أَنْسَانِيهُ إِلاَّ) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بكسرها[1].

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ قال ابن عباس: «أي: اتخذ موسى طريق الحوت في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً»[2]، وقيل: هو جواب من موسى ليوشع حين قال له: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فقال موسى: ﴿عَجَبًا﴾ أي: أعجب عجباً، قال ابن زيد: «أي شيء أعجب من حوت كان دهراً من الدهور يؤكل منه، ثم صار حياً، وييبس له الماء، قال: وكان شق حوت»[3].

* * *

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أمر الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٠ـ٣٨١).

(٢) تقدم تخريجه قريباً في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٦).

نطلب؛ لأنه وعد وجود الخضر حيث ينسى بعض متاعه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والكسائي: (نَبْغِي) بإثبات الياء وصلاً، وحذفها تخفيفاً وإتباعاً لخط المصحف، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[1].

﴿ فَٱرْتَدَّا﴾ رجعا ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقتصَّانِ الأثرَ الذي جاءا فيه.

﴿قَصَصًا﴾ مصدر.

* * *

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] فأتيا الصخرة ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ وهو الخضر على الصحيح، واسمه: بليا بن ملكان بن يقطر بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وكان أبوه ملكاً، والخضر لقب له، سمي به لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سُمِّي خضراً؛ لأنه جلس على فَروةٍ بيضاءَ، فاهتزَّت تحته خضراً»[2]، وترك الملك زهداً في الدنيا، وقال مجاهد: سمي خضراً؛ لأنه إذا صلى اخضَّر ما حوله[3]، فأتاه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١ـ٤٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٢١)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى ـ عليهما السلام ـ.

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٦/ ٤٠٢)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٢٠).

موسى وهو مسجًّى بثوب مستلقياً على قفاه، فسلم عليه، فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، قال ابن عطية: والآية تشهد بنبوته لأن بواطن أفعاله هل كانت إلا بوحي إليه[1].

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً﴾ نبوة وشفقة ﴿مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ وهو علم الباطن اللدني، فقال: يا موسى! أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا.

* * *

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ﴾ شرطِ.

﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ علماً يرشدني. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (تُعَلِّمَنِي) بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[2]، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: (رَشَداً) بفتح الراء والشين، والباقون: بضم الراء وإسكان الشين، وهما لغتان[3].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٢).

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ولما قال موسى هذا، قال له الخضر: كفى بالتوراة علماً، وببني إسرائيل شغلاً، فقال موسى: الله أمرني بذلك، فحينئذ ﴿قَالَ﴾ الخضر:

﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ لأنك ترى ما تنكره. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء في الأحرف الثلاثة، والباقون: بإسكانها[١].

***

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ثم عذر الخضر موسى في عدم صبره، فقال: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ علماً، قال ابن عطية: كان علم الخضر معرفة بواطن قد أوحيت إليه لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى عليه السلام علم الأحكام والفتيا بظواهر أقوال الناس وأفعالهم[٢].

***

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ إنما استثنى؛ لأنه لم يثق من نفسه بالصبر، وهذه عادة الأنبياء والأولياء. قرأ أبو جعفر: (سَتَجِدُنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣].

﴿ وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ لا أخالفك فيما تأمر.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٢).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٢٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، =

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

[٧٠] ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي ﴾ فلا تبدأني بالسؤال ﴿ عَن شَيْءٍ ﴾ أنكرتهُ مني .

﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ حتى أبتدئك بذكره، وأوضح لك علته. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (تَسْأَلَنِّي) بفتح اللام وتشديد النون مكسورة مع إثبات الياء بعدها؛ لأن نون التوكيد المشددة التي يبنى معها(١) الفعل على الفتح دخلت على نون الوقاية، فحذفت، وبقيت نون التوكيد مكسورة للياء بعدها، وروي عن ابن ذكوان راوي ابن عامر حذف الياء في الحالين استغناء بالكسرة عنها، وقرأ الباقون: بإسكان اللام وتخفيف النون مكسورة؛ لأنه لم يلحق الفعل نون التوكيد، وأثبتوا الياء في الحالين إتباعاً لخط المصحف(٢)، فلما شرط الخضر على موسى ذلك، قَبِلَ شَرطَه.

* * *

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧١] ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة، فاستحملا صاحبَها، فحملهما بغير أجر.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ ﴾ وبلغا اللُّجَّ.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٣)، وقرأ بفتح الياء ـ أيضاً ـ نافع.

(١) في «ت»: «معه».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٧).

﴿خَرَقَهَا﴾ الخضر؛ بأن أخذ فأساً، فاقتلع لوحاً أو لوحين من ألواحها من قبل البحر، فسدَّ موسى الخرقَ بثيابه، و﴿قَالَ﴾ للخضر:

﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لِيَغْرَقَ) بالياء مفتوحة وفتح الراء (أَهْلُهَا) برفع اللام فاعلاً، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة وكسر الراء ونصب (أَهْلَهَا) مفعولاً خطاباً للخضر(١).

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ عظيماً منكراً، والإمر في كلام العرب: الداهية، وأصله كل شيء جديد كبير، وروي أن الماء لم يدخلها، وروي أن الخضر أخذ قدحاً من زجاج، ورقع به خرق السفينة.

وفي الآية دليل على أن الوصيَّ له أن ينقص مال اليتيم إذا رآه صلاحاً؛ مثل أن يخاف على ريعه ظالماً، فيخرب بعضه، قال أبو يوسف: لو طمع السلطان في مال اليتيم، فصالحه الوصيُّ من مال اليتيم على الأقل مما طمع، لم يضمن؛ لأنه مأمور بحفظ مال اليتيم ما أمكنه، والحكم في المسألة كذلك بالاتفاق، والله أعلم.

* * *

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)﴾.

[٧٢] ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ تذكير لما ذكره قبل.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٤).

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ بنسياني. وتقدم مذهب أبي جعفر وورش في (لاَ تواخِذْنِي) عند قوله: (لَوْ يُواخِذُهُمْ).

﴿ وَلَا تُرْهِقْنِي ﴾ تغشيني، يقال: رهقه: إذا غشيه.

﴿ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ أي: لا تعسر علي متابعتك.

عن النبي ﷺ: «أن الأولى كانت من موسى نسياناً، والثانية شرطاً، والثالثة عهداً»[١]. قرأ أبو جعفر: (عُسُراً) (يُسُراً) بضم السين فيهما حيث وقع[٢].

* * *

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ فَانْطَلَقَا ﴾ بعد خروجهما من السفينة.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا ﴾ لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان، أحسنهم وجهاً، فأضجعه الخضر، فذبحه بالسكين ﴿ فَقَتَلَهُ ﴾، قال رسول الله ﷺ: «إن الغلام الذي قتله الخضر طُبع كافراً، ولو عاش، لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٥٧٨)، كتاب: الشروط، باب: الشروط مع الناس بالقول، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٤_٣٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٦٦١)، كتاب: القدر، باب: معنى: «كل مولود يولد على الفطرة»، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

﴿قَالَ﴾ موسى توبيخاً ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (زَكِيَّةً) بغير ألف بعد الزاي وتشديد الياء، وقرأ الباقون: بالألف وتخفيف الياء[1]، ومعناهما واحد، مثل: قاسية وقسية؛ أي: طاهرة من الذنوب، وقال أبو عمرو بن العلاء: الزاكية: التي لم تذنب قط، والزكية التي أذنبت ثم تابت ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ لم تقتله قصاصاً.

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً، والنكر: أعظم من الإمر. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُكُراً) بضم الكاف حيث وقع، والباقون: بإسكانها، ومعناهما واحد[2].

* * *

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)﴾.

[٧٥] ﴿۞ قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ لن تطيق معي صبراً، وزاد هنا: (لَكَ) توبيخاً لموسى؛ لأنه كان في الأولى معذوراً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٥).

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۝٧٦﴾.

[٧٦] ولذلك ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا﴾ بعد هذه المرة.

﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ﴾ وفارقني. **قرأ** روح عن يعقوب بخلاف عنه: (تَصْحَبْنِي) بفتح التاء وإسكان الصاد وفتح الحاء بغير ألف؛ من الصحبة، **وقرأ** الباقون: (تُصَاحِبْنِي) بالألف وضم التاء وكسر الحاء[1]؛ أي: لا تصحبني نفسك، ولا تزودني شيئاً من علمك.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ **قرأ** نافع وأبو جعفر: (لَدُنِي) بضم الدال وتخفيف النون، وروى أبو بكر عن عاصم: بتخفيف النون وإشمام الدال الضم بعد إسكانها، **وقرأ** الباقون: بضم الدال وتشديد النون[2]، فالقراءة بالتخفيف بحذف النون الأصلية، والإتيان بنون الوقاية، ومن شدد أدخل نون الوقاية على الأصلية، فأدغم. المعنى: قد اتضح عذرك عندي في مفارقتي؛ لأني لم أحفظ وصيتك.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٢٨٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٦ـ٣٨٧).

قال ﷺ: «يرحم[1] الله أخي موسى، استحيا فقال ذلك»[2].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى ـ وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه ـ لولا أنه عجّل، لرأى العَجَب، ولكنه أخذته من صاحبه ذَمَامةٌ قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ فلو صبر، لرأى العجب»[3].

***

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي إنطاكية ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا منهم ضيافة، وأعاد ذكر الأهل تأكيداً ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ امتنعوا من إطعامهما.

قال قتادة: شر القرى التي لا تضيف الضيف[4].

وعن أبي هريرة قال: أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما، فدعا لنسائهم، ولعن رجالهم[5].

---

(١) في «ت»: «رحم».

(٢) انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٠٥).

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٠)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر ـ عليه السلام ـ، عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢).

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

ومذهب أحمد: يجب على المسلم ضيافة المسلم المجتاز به يوماً وليلة بشرط أن يكون مجتازاً في قرية لا مصر، فإن أبى، فللضيف طلبه به عند الحاكم، فإن تعذر، جاز له الأخذ من ماله، ومن مر بثمر في شجر لا حائط عليه ولا ناظر، فله أن يأكل منه ولا يحمل، وكذا الحكم في الزرع، ولبن في الماشية، وهذا من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ يسقط، هذا من مجاز كلام العرب؛ لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قرب ودنا من السقوط، وكان الخضر رأى حائطاً ارتفاعه مئة ذراع قد قارب السقوط، فمسحه بيده.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ عدله ﴿قَالَ﴾ موسى:

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ويعقوب: (لَتَخِذْتَ) بتخفيف التاء الأولى وكسر الخاء من غير ألف وصل؛ من تَخِذَ يَتْخَذُ: عمل شيئاً، على وزن لعلمت، فابن كثير، ورويس عن يعقوب يظهران الذال عند التاء، وأبو عمرو يدغمها، وقرأ الباقون: بتشديد التاء الأولى وفتح الخاء وألف وصل، وزن لاكتسبت، فيكون اتخذ افتعل، فحفص عن عاصم يظهر الذال، والباقون يدغمونها، وهما لغتان، مثل اتبع وتبع[1]، المعنى: أن موسى قال للخضر: قد علمت حاجتنا إلى الطعام، فلو طلبت على عملك جعلاً، لدفعنا به ألم الجوع.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٥ـ١٦ و٣١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣/ ٣٨٨ـ٣٨٩).

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] فثم ﴿ قَالَ ﴾ الخضر ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ ﴾ أي: لا أصحبك بعد هذا.

﴿ سَأُنَبِّئُكَ ﴾ سوف أخبرك.

﴿ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ وأنكرته عليّ، فقال له موسى: أخبرني بعلم مالم أستطع عليه صبراً قبل المفارقة.

* * *

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] فقال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ ﴾ لضعفاء، وكانوا عشرة إخوة: خمسة زَمْنى، وخمسة ﴿ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ مؤاجرة؛ طلباً للتكسب ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ أجعلها ذات عيب ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ أي: قدامهم ملك كافر اسمه الجلندا ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

روي أن الخضر اعتذر إلى القوم، وذكر لهم شأن الملك الغاصب، ولم يكونوا يعلمون بخبره، وقال: أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها، فإذا جاوزوا، أصلحوها فانتفعوا بها.

والغصب: هو الاستيلاء على مال الغير قهراً بغير حق، وهو محرم بالاتفاق.

واختلفوا في الصلاة في المغصوب، فقال أحمد: لا تصح، ولا يسقط

الطلب بها، وقال مالك والشافعي: يصح مع التحريم، فلا يثاب، وقال الحنفية: تكره، وكذا حكم الحج وسائر العبادات مما له حكم من صحة أو فساد، والعقود كالبيع والنكاح ونحوهما.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ ﴾ خِفْنا.

﴿ أَن يُرْهِقَهُمَا ﴾ يغشيهما.

﴿ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ بأن يطغى عليهما بعقوقهما، أو يحملهما حبُّه على متابعته، وذلك طغيان وكفر.

* * *

﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا ﴾ يعوضهما.

﴿ رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ صلاحاً وتقوى.

﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ رحمة وعطفاً، ونصبه على التمييز، فأبدلهما الله تعالى جارية تزوجت نبياً، فولدت نبياً، فهدى الله به أمة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يُبَدِّلَهُمَا) بفتح الباء وتشديد الدال من بَدَّل، وقرأ الباقون: بإسكان الباء وتخفيف الدال من أبدل، وهما لغتان[1]، وفرق بعضهم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

فقال: التبديل: تغيير شيء أو تغيير حاله وعينُ الشيء قائمة، والإبدال: رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه، وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (رُحُماً) بضم الحاء، والباقون: بجزمها، ومعناهما واحد[1].

***

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ وكان اسمهما أصرم وصريم.

﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «كان ذهباً وفضة»[2]، وعن ابن عباس: «كان لوحاً من ذهب مكتوب في أحد جانبيه: عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الآخر: أنا الله وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير، وأجريته على يديه، والويل لمن

= (٢/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٦)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) رواه الترمذي (٣١٥٢)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الكهف، وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٧).

خلقته للشر، وأجريته على يديه»[1]، وهذا قول أكثر المفسرين.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ فحُفِظا بصلاح أبيهما في أنفسهما ومالهما، وقيل: كان الجد السابع.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا﴾ حينئذ ﴿كَنزَهُمَا رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ قال أولاً: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ ثم قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، ثم قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ توسعاً في اللغة، قال بعضهم: لما قال الخضر: (فأردت) أُلهم: من أنت حتى تكون لك إرادة؟! فجمع في الثانية، فأُلهم: من أنت وموسى حتى تكون لكما إرادة؟ فخص في الثالثة الإرادة لله[2] تعالى؛ ليعلم أن الكل إليه.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ أي: باختياري، بل بأمر الله وإلهامه.

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع﴾ أي: ما لم تُطق.

﴿عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ اسطاع واستطاع بمعنى واحد.

ولما فارقه موسى، قال: أوصني، قال: لا تطلب العلم لتُحدِّثَ به، واطلبه لتعمل به.

واختلف في حياة الخضر، فكثير من العلماء ذهب إلى أنه حي، وهو يصلي الجمعة في خمسة مساجد: في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد قباء، ومسجد الطور، في كل مسجد جمعة، ويأكل في كل جمعة أكلتين من كمأة وكرفس، ويشرب مرة من ماء

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد» (٢/ ٢١٤).

(٢) في «ت»: «بالله».

لازمزم، ومرة من جب سليمان الذي ببيت المقدس، ويغتسل من عين سلوان.

قال الشيخ أبو محمد نصر البندنيجي: سألت الخضر: أين تصلي الصبح؟ فقال: عند الركن اليماني، قال: وأقضي بعد ذلك شيئاً كلفني الله تعالى قضاءه، ثم أصلي الظهر بالمدينة، ثم أقضي شيئاً كلفني الله قضاءه، وأصلي العصر ببيت المقدس، حكى ذلك صاحب «مثير الغرام»[(١)] وغيره.

وسبب حياته ـ على ما حكاه البغوي ـ: أنه شرب من عين الحياة[(٢)]. وروى المشرف بسنده، وحكاه غيره: أن الخضر وإلياس ـ عليهما السلام ـ يصومان شهر رمضان ببيت المقدس[(٣)]، ويوافيان الموسم كل عام[(٤)]، وإلياس من أنبياء بني إسرائيل، وذهب قوم إلى أن الخضر ميت؛ لقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال ﷺ بعدما صلى العشاء ليلة: «أَرَأَيْتَكُمْ ليلتكم هذه؛ فإن رأس مئة سنة لا يبقى ممن هو اليوم

---

(١) اسم «مثير الغرام» أطلق على ثلاثة كتب، وهي: ١ـ «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» لأبي الفرج ابنِ الجوزي، و٢ـ «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام» لشهاب الدين المقدسي المتوفى (٧٦٥)، و٣ـ «مثير الغرام في زيارة الخليل عليه السلام» لإسحاق بن إبراهيم التدمري المتوفى (٨٣٣). انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٥٨٩ـ١٥٩٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ١٩٦): رواه أحمد في «الزهد» بإسناد حسن عن أبي رَواد، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١/ ١٢): وهو معضَل.

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١٩٦): رواه الدارقطني في «الأفراد» من طريق عطاء، عن ابن عباس مرفوعاً، وفي إسناده محمد بن أحمد بن زيد، وهو ضعيف.

على ظهر الأرض أحد»[1]، ولو كان الخضر حياً، لكان لا يعيش بعده.

***

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ ﴾ هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، وكان في زمن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: اسمه عبد الله، أو مرزبان، وكان عبداً صالحاً، أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله، وهو من ذرية نوح عليه السلام، وسمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرني الشمس: مشرقها ومغربها، وقيل: بعثه الله إلى قومه، ولم يكن نبياً، فأمرهم بالتقوى، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله تعالى، ثم بعثه مرة أخرى إليهم، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه، فسمي ذا القرنين، وقيل غير ذلك.

قال ابن عطية: أحسن الأقوال أنه كان ذا ظفرتين من شعرهما قرناه، فسمي به، والظفائر قرون الرأس[2].

وروي أن جميع من ملك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، والإسكندر، والكافران: نمرود، وبخت نصر.

وتوفي الإسكندر بناحية السواد بشهرزور بعد أن غزا الهند حتى انتهى

---

(١) رواه البخاري (١١٦)، كتاب: العلم، باب: السهر في العلم، ومسلم (٢٥٣٧)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قوله ﷺ: «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم»، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٣٨).

إلى البحر المحيط، فهال ذلك ملوك المغرب، فوفدت عليه رسلهم بالانقياد والطاعة، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي وبحر الشمس في الجنوب في أربع مئة رجل من أصحابه يطلب عين الحياة، فلم يصبها، فسار فيه ثمانية عشر يوماً، وبنى اثنتي عشرة مدينة سماها كلها إسكندرية، وكانت مملكته اثنتي عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: أربع عشرة، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، كذا نقله بعض المؤرخين، وقال الكواشي: قالوا: وعاش ألفاً وست مئة سنة، وحكى البيضاوي قولاً أن سبب تسميته بذي القرنين؛ لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس، والله أعلم[1].

﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم﴾ سأذكر لكم ﴿مِنْهُ﴾ من خبره ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً.

* * *

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا (٨٤)﴾.

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن قويناه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ أي: من أسباب كل شيء و[2]أراده.

* * *

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)﴾.

[٨٥] ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: اقتفى طريقاً موصلاً إلى مراده. **قرأ** الكوفيون، وابن عامر: (فَأَتْبَعَ) (ثُمَّ أَتْبَعَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء في المواضع الثلاثة، أي: أدرك، ولحق، **وقرأ** الباقون، وهم أهل الحجاز والبصرة:

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٥١٩).

(٢) «و» زيادة من «ت».

بوصل الهمزة وتشديد التاء في الثلاثة[1]؛ أي: سار، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته؛ أي: ما زلت أسير خلفه حتى لحقته، والمعنى: سلك طريقاً نحو الغرب.

***

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (حَمِئَةٍ) بغير ألف بعد الحاء وهمز الياء؛ أي: ذات حمأة، وهو الطين الأسود، وقرأ الباقون: (حَامِيَةٍ) بالألف وفتح الياء من غير همز[2]؛ أي: حارة، ولا تنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين.

وسأل معاوية كعب الأحبار: كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة[3].

﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا ﴾ أي: عند تلك العين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩ـ١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩ـ١٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤١٢)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ١٩٧ـ١٩٨). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٤٥٠ـ٤٥١).

﴿قَوْمًا﴾ كافرين، لباسهم جلود الوحش، وطعامهم ما لَفَظَه البحرُ، فخيَّره الله بين أن يعذبَهم، أو يدعوهم إلى الإيمان كما قال تعالى:

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ والمراد منه: الإلهام؛ لأنه لم يكن نبياً على الأصح ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ يعني: إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام.

﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ عفواً؛ أي: خيَّرناك في قتل من لم يؤمن، وفي العفو عنه، أو الأسر بشرط الإيمان.

* * *

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧)﴾.

[٨٧] ﴿قَالَ﴾ الإسكندر: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ بالقتل في الدنيا.

﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ في الأخرى ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ شديداً.

* * *

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨)﴾.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ﴾ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (جَزَاءً الْحُسْنَى) بالنصب والتنوين وكسره للساكنين؛ أي: فله الحسنى جزاء، ونصب (جَزَاءً) على المصدر، وقرأ الباقون: بالرفع من غير تنوين على الإضافة(١)، فالحسنى: الجنة، وأضاف الجزاء إليها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، =

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نأمره بما يصعب عليه، بل بما يسهل. وتقدم مذهب أبي جعفر في ضم السين من (يُسُراً) عند قوله: (عُسُراً).

* * *

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: سلك طريقاً ومنازل.

* * *

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: موضع طلوعها.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزنج.

﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ يخصهم؛ لأن أرضهم لا تحمل بناءً ولا شجراً، ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوعها، ويظهرون منها عند ارتفاعها.

روي أنه وصل إليهم رجل، فرأى أناساً يفرش أحدهم أذنه ويلبس الأخرى، قال: فبينا أنا عندهم، إذ سمعت شيئاً كالصلصلة، فغشي عليَّ، فأفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء، إذا هي عليه كهيئة الزيت، فأدخلونا سرباً لهم، فلما ارتفعت، خرجوا إلى البحر يصطادون السمك، فيطرحونه في الشمس، فينضج لهم.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠).

﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ﴾ .

[٩١] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس، حكم في الذين عند مطلعها كذلك.

﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ ﴾ بما عنده من الجند والآلات والعدد والأسباب ﴿ خُبْرًا ﴾ علماً.

* * *

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) ﴾ .

[٩٢] ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ يعني: طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) ﴾ .

[٩٣] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحفص عن عاصم: (السَّدَّيْنِ) بفتح السين، والباقون: بضمها، وهما لغتان معناهما واحد(١)، وقال عكرمة: ما كان من صنعة بني آدم، فهو السد ـ بالفتح ـ، وما كان من صنع الله، فهو بالضم ـ(٢)؛ لأن السد ـ بالضم ـ فعل مبني لمفعول، وبالفتح مصدر، وهما الجبلان بين أرمينيا وأذربيجان، فلما

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٤٥٩).

وصل إلى السدين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: من ورائهما.

﴿قَوۡمًا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يُفْقِهُونَ) بضم الياء وكسر القاف على معنى: لا يُفهمون غيرهم قولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء والقاف[1]؛ أي: لا يَفهمون كلامَ غيرهم، قال ابن عباس: «لا يفهمون كلام أحد، ولا يفهم الناس كلامهم»[2].

* * *

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ أي: قال مترجمهم:

﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾ قرأ عاصم: بهمزهما، والباقون: بغير همز تخفيفاً، وهما اسمان أعجميان مثل هاروت وماروت، وهم من ولد يافث بن نوح، والقراءة بالهمز وعدمه لغتان[3]، أصلها من أجيج النار، وهو ضوؤها وشررها، شبهوا به؛ لكثرتهم وشدتهم.

قال المؤرخون: أولاد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث، فسام

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٥ـ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣).

أبو العرب والعجم والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

عن ابن عباس: «هم عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء»(١)؛ لأنه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح، فمنهم من طوله مئة وعشرون ذراعاً، أو خمسون، ومنهم من طوله وعرضه كذلك، ومنهم من يلتحف بأذنه ويفترش الأخرى.

وروي أنهم على مقدار واحد ذكرهم وأنثاهم، طول أحدهم مثل نصف الرجل المربوع منا.

قال علي ـ رضي الله عنه ـ: «منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأنياب وأضراس كأضراس السباع، لهم شعر في أجسادهم»(٢).

فلما وصل ذو القرنين إلى أولئك القوم، قالوا له شكاية: إن يأجوج ومأجوج.

﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل والتخويف وإتلاف الزروع وفعل الخبيث.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلاً نخرجه من أموالنا. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (خَرَاجاً) بفتح الراء وألف بعدها، وهو المال المضروب على الأرض يؤدى في كل مدة، **وقرأ** الباقون: بإسكان الراء من غير ألف، مصدر خرج(٣)، وهو الجعل كما تقدم أولاً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٠)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٩٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٩٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، =

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزاً لئلا يصلوا إلينا. **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سَدّاً) بفتح السين، والباقون: بضمها، وهما لغتان[1].

***

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ أي: قوّاني ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من العلم وطلب ثوابه والمال.

﴿خَيْرٌ﴾ أفضل مما تعطونني أنتم. **قرأ** ابن كثير: (مَكَنَنِي) بنونين مخففتين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة على الأصل، والباقون: بواحدة مكسورة مشددة على الإدغام[2]، المعنى: ثواب الله خير من ثوابكم.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أي: آلة أتقوى بها ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ هو أكبر من السد، فجاؤوه بذلك، فحفر ما بين السدين حتى بلغوا الماء.

***

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤).

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ .

[٩٦] ثم قال: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ ﴾ قِطعه، جمع زبرة. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رَدْماً ائْتُونِي) بكسر التنوين ووصل التنوين مع همزة ساكنة بعده، من باب المجيء، وإذا ابتدأ، كسر همزة الوصل، وأبدل الهمزة الساكنة بعدها ياءً، والباقون: بقطع الهمزة ومدة بعدها في الحالين؛ من الإعطاء، وورش على أصله يلقي حركة الهمزة على التنوين قبلها[١]، فجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض، وجعل بينهما الحطب والفحم.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ ﴾ قرأ أبان عن عاصم: (سَوَّى) بتشديد الواو من غير ألف، وقرأ الباقون: (سَاوَى) بالألف وتخفيف الواو[٢]؛ أي: ملأ.

﴿ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر: بضم الصاد والدال، وروى أبو بكر عن عاصم: بضم الصاد وإسكان الدال، والباقون: بفتحهما، وكلها لغات[٣]، معناها: الناحيتان من الجبلين؛ لأنهما يتصادفان؛ أي: يتقابلان، فلما ملأ ما بينهما بالزبر والحطب، ووضع حوله منافخ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦).

﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ فنفخوا النار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي: الحديد ﴿نَارٗا﴾ أي: كالنار.

﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ﴾ قرأ حمزة، وأبو بكر بخلاف عنه: (قَالَ ائْتُونِي) بوصل الألف وهمزة ساكنة؛ من باب المجيء، وإذا ابتدأا، كسرا همزة الوصل، وأبدلا الهمزة الساكنة ياء، والباقون: بقطع الهمزة ومدة بعدها في الحالين من الإعطاء[1] ﴿أُفۡرِغۡ﴾ أصب.

﴿عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ نحاساً مذاباً، فجعلت النار تأكل الحطب، وتصير النحاس مكان الحطب، حتى لزم الحديد النحاس، وكان طوله مئة فرسخ، وعرضه خمسين ذراعاً، وارتفاعه مئتي ذراع، وقيل غير ذلك.

* * *

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾.

[٩٧] ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ أي: يعلوه من فوقه؛ لملاسته ورفعته. قرأ حمزة (فما اسطَّاعُوا) بتشديد الطاء، يريد: فما استطاعوا، فأدغم التاء في الطاء، وجمع بين ساكنين وصلاً، قال ابن الجزري: والجمع بينهما في مثل ذلك[2] جائز مسموع، وقرأ الباقون: بتخفيفها على حذف[3] التاء ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ خَرْقاً؛ لصلابته وسمكه.

* * *

---

(١) انظر: «معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) «في مثل ذلك» زيادة من «ت».

(٣) المصادر السابقة.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ .

[٩٨] فلما فرغ منه ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أي: السد ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ علي وعليكم؛ لعدم خروجهم بسببه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ أي: وقت خروجهم .

﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ قرأ الكوفيون: (دكَّاءَ) بالمد والهمز من غير تنوين؛ أي: أرضاً ملساء، والباقون: بالتنوين من غير همز[1]؛ أي: مستوياً مع وجه الأرض.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ واجباً بالثواب والعقاب وغيرهما، هذا آخر كلام ذي القرنين.

روي أنهم يحفرون كل يوم الردم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيعودون وهو كهيئته، فيحفرونه، ويخرجون، مقدمتُهم بالشام، وساقتهم بخراسان، فيشربون المياه، وينحصر الناس منهم في حصونهم، ولا يقدرون على إتيان مكة والمدينة وبيت المقدس، ويرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيرسل الله تعالى عليهم دوداً في أعناقهم، فيهلكون جميعاً، فيرسل الله عليهم طيراً، فتلقيهم في البحر، ويرسل مطراً يغسل الأرض، وخروجهم يكون بعد خروج الدجال وقتلِ عيسى إياه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨).

﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ .

[٩٩] ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي : بعض يأجوج ومأجوج من وراء السد يوم سد ﴿ يَمُوجُ ﴾ يضطرب ويختلط ﴿ فِي بَعْضٍ ﴾ لكثرتهم وعدم خروجهم .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ ﴾ أي : جميع الخلائق يوم القيامة للحساب .

﴿ جَمْعًا ﴾ في مكان واحد .

* * *

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

[١٠٠] ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ أي : أظهرناها .

﴿ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ حتى يشاهدوها عياناً .

* * *

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

[١٠١] ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ عن القرآن والإيمان به، وقوله (أعينهم) كناية عن البصائر، لا عين الجارحة .

﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ لذكري ؛ لإفراط صممهم عن الحق .

* * *

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

[١٠٢] ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الاستفهام للإنكار ﴿ أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي ﴾ أي : ملائكتي وعيسى وعزيراً والشياطين ﴿ مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾ المعنى : أفظن

الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني أرباباً ينفعهم، أو لا أعذبهم.

﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴾ منزلاً، المعنى: جهنم معدة للكافرين كالنزل المعد للضيف. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (دُونِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١)، وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) بتحقيق الهمزتين، والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تجعل بين بين(٢).

* * *

﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾ نصب على التمييز؛ أي: بالذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ ﴾ ضاع ﴿ سَعۡيُهُمۡ ﴾ عملهم الخير.

﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ لكفرهم؛ كالرهبان؛ فإنهم خسروا دنياهم وآخرتهم.

﴿ وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ عملاً ينفعهم؛ لعجبهم، واعتقادهم

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٧)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٦)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩).

أنهم على الحق. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: (يَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[1].

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ بالقرآن ﴿ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ بالبعث ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ بطل اجتهادهم بكفرهم، فلا يثابون على أعمالهم.

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ أي: نزدريهم، فلا يكون لهم مقدار، قال ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾»[2].

* * *

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من هبوط أعمالهم وخسة قدرهم، مبتدأ ﴿ جَزَآؤُهُمْ ﴾ مبتدأ ثان، خبره ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ وهما خبر (ذلك).

﴿ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ سخرية.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩١)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠).

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٢)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾، ومسلم (٢٧٨٥)، في أول كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

[١٠٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ ﴾ في علم الله .

﴿ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ ﴾ وهو وسط الجنة ، ومعناه : البستان .

﴿ نُزُلًا ﴾ قال كعب : «ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس ، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»[١] .

* * *

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ ﴾ لا يطلبون ﴿ عَنۡهَا حِوَلًا ﴾ تحويلاً .

* * *

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

[١٠٩] ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾ أي : ماؤه ﴿ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ تكتب به ، وهي وعده لأوليائه ، ووعيده لأعدائه وحكمه ، وسمي المداد مداداً ؛ لإمداده الكاتب ، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء .

﴿ لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾ أي : فني ماؤه ﴿ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ ﴾ [أي : تفرغ] .

﴿ كَلِمَٰتُ رَبِّي ﴾ أي : علمه وحكمه . قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف : (يَنْفَد) بالياء على التذكير لتقديم الفعل ، والباقون : بالتاء على التأنيث[٢]

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٣٦) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٠٢) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٤٦) ، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٠) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ ﴾ بمثل ماء البحر ﴿ مَدَدًا ﴾ زيادة عليه، لينفد أيضاً، ولم تنفد[1] كلماته تعالى، ونصبه تمييز.

* * *

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا (١١٠) ﴾.

[١١٠] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ ﴾ آدمي ﴿ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ منزه عما لا يليق به، وكان كفرهم بعبادة الأصنام، فلذلك خصص هذا الفعل فيما أوحي إليه ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ يأمل حسن لقائه.

﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ خالصاً ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ لا يرائي بعمله.

قال ابن عباس: نزلت في جندب بن زهير العامري، قال للنبي ﷺ: إني أعمل العمل لله تعالى، فإذا اطلع عليه، سرني، فقال النبي ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يقبل ما شورك فيه»، فنزلت[2].

وعنه ـ عليه السلام ـ: «اتقوا الشِّركَ الأصغرَ»، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»[3].

= (٢/ ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١).

(١) في «ت»: «لنفذ أيضاً، ولم تنفذ».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧١). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣١٣)، غريب.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١)، عن محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ.

وقال ﷺ: «من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف، عُصِمَ من فتنة الدجال»[١].

وعنه ﷺ: «من قرأ سورةَ الكهف، فهو معصومٌ ثمانيةَ أيامٍ من كل فتنة، فإن خرج الدجال في الأيام الثمانية، عصمه الله من فتنة الدجال»[٢].

وروي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، فذكر الدجال، فقال: «آتٍ بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك؛ وإن من أشد فتنته أن يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك، ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل له نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعاً، وأعظمه أسنمة، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه، ومات أبوه، فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك، وأحييت لك أخاك، ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثل له الشياطين[٣] نحو أبيه وأخيه، قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به، فأخذ بلحمتي الباب، فقال: مهيم أسماء؟ قلت: يا رسول الله! لقد خلعت

---

(١) رواه مسلم (٨٠٩)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٢/٤٩ـ٥٠)، عن علي ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «ت»: «الشيطان».

أفئدتنا بذكر الدجال، قال: إن يخرج، فأنا حجيجه، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن، قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله! والله إنا لنعجنن عجيننا، فما نخبزه حتى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: يجزئهم ما يجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس»[1].

ومما ورد في أمر الدجال: ما روي عن الضحاك أنه قال: «الدجال ليس له لحية، وافر الشارب، طول وجهه ذراعان، وقامته في السماء ثمانون ذراعاً، وعرض ما بين منكبيه ثلاثون ذراعاً، ثيابه وخفاه وسرجه ولجامه بالذهب والجوهر، وعلى رأسه تاج مُرصَّع بالذهب والجوهر، هيئته المجوس، وكلامه الفارسية، تطوى له الأرض ولأصحابه طياً طياً، يطأ مجامعها، ويرد مناهلها إلا المساجد الأربعة: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الطور»[2].

وفي الحديث الشريف: أن عينه اليمنى طافية[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٦/ ٤٥٥)، والطيالسي في «مسنده» (١٦٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٨/٢٤).

(٢) لم أقف عليه، غير أن الألوسي في «روح المعاني» (١٥/ ١١) قال: فقد أخرج أحمد في «المسند» أن الدجال يطوف الأرض إلا أربعة مساجد: مسجد المدينة، ومسجد مكة، والأقصى، والطور. . . اهـ. والصحيح الثابت أنه «ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نَقْبٌ إلا عليه الملائكة صافِّين يحرسونها. .» كما رواه البخاري (١٧٨٢)، كتاب: فضائل المدينة، باب: «لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم (٢٩٤٣) كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجسَّاسة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٢٥٦)، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ . . ﴾، =

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكنني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»(١).

وعن خالد بن معدان قال: عصمة المؤمنين من المسيح الدجال بيت المقدس(٢).

وعن ربيعة بن يزيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود الدجال ببطن الأردن، بينكم النهر، أنتم غربيه، وهم شرقيه»، قال ربيعة: فقال المحدث من أصحاب رسول الله ﷺ: فما سمعت بنهر الأردن إلا من رسول الله ﷺ(٣).

والأردن هو نهر الشريعة المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

= ومسلم (١٦٩)، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والدجال، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

(١) رواه البخاري (٢٨٩٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، ومسلم (١٦٩)، (٤/ ٢٢٤٥)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن صياد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٤٤٧)، عن أبي الزاهرية مرفوعاً: «معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال ببيت المقدس. . . ».

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»(٢٤٥٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٦٣٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٧٠٦٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٣٢٣)، عن نهيك بن صريم - رضي الله عنه -.

﴿مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وهو شرقي بيت المقدس، ومسافته عنه نحو يوم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم التيجان»(١).

ويرويه أبو أمامةَ عن رسول الله ﷺ قال: «ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف مُحَلًّى»(٢).

وروي أن نبي الله عيسى ﷺ يأخذ من حجارة بيت المقدس ثلاثة أحجار: الأول منها يقول: باسم إله إبراهيم، والثاني: باسم إله إسحاق، والثالث باسم إله يعقوب، ثم يخرج بمن تبعه من المسلمين إلى الدجال، فإذا رآه، انهزم عنه، فيدركه عند باب لُدّ، فيرميه بأول حجر، فيضعه بين عينيه، ثم الثاني، ثم الثالث، فيقع، فيضربه عيسى فيقتله، فيقتل الدجال واليهود، حتى إن الحجر والشجر ليقولان: يا مؤمن هذا تحتي يهودي، فأته فاقتله(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤٤)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، لكنه قال: «عليهم الطيالسة» بدل «التيجان»، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وغيرهما، لكن عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٢٤٩)، والروياني في «مسنده» (١٢٣٩)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٤٨)، وتمام الرازي في «فوائده» (٢٦٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٢٢٣).

(٣) انظر: تخريج الحديث المتقدم.

قال ﷺ: «يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم إماماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير»(١).

وأما لُدّ، فهي بليدة بأرض فلسطين شمالي مدينة الرملة، مسافتها عن بيت المقدس نحو يوم، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٢١٠٩)، كتاب: البيوع، باب: قتل الخنزير، ومسلم (١٥٥)، كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم..، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

سُورَةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

مكية بإجماع، إلا السجدة منها، ففيها خلاف، وآيها تسع وتسعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وثمان مئة وحرفان، وكلمها: تسع مئة واثنتان وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قرأ أبو عمرو: بإمالة الهاء وفتح الياء، وقرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف: بضم الهاء وإمالة الياء ضد الأول، وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الهاء والياء جميعاً، واختلف عن نافع، فروي عنه إمالتها بين بين، وفتحها، والأول أشهر، وفتحها الباقون، وهم أبو جعفر، وابن كثير، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر يقطع الحروف على أصله، يسكت على كل حرف سكتة يسيرة في جميع أحرف الهجاء من أوائل السور، وأظهرَ دالَ (صاد) عند ذال (ذِكْرُ): نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وأدغمها الباقون، وأشبع مدَّ (ع): ورش بخلاف عنه[1]، واختلف في الحروف التي في أوائل السور

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، =

على قولين: فقيل: هي سر الله في القرآن، لا ينبغي أن يتعرض له، نؤمن بظاهره، ونترك باطنه، وقال الجمهور: بل ينبغي أن يتكلم فيها، وتطلب معانيها؛ فإن العرب قد تأتي بالحرف الواحد دالاً على كلمة، وليس في كتاب الله ما لا يفهم، وتقدم الكلام فيها أول سورة البقرة، قال ابن عباس: (كهيعص): هذه حروف دالة على أسماء من أسماء الله تعالى: (الكاف) من كبير، و(الهاء) من هاد، و(الياء) من علي، و(العين) من عزيز، و(الصاد) من صادق[1]، وقيل: معناه كافٍ لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم ببريته، صادق في وعده.

***

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ذِكْرُ﴾ خبر مبتدأ؛ أي: المتلوُّ ذكرُ ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ وفيه تقديم وتأخير، معناه: ذكر ربك عبده زكريا برحمته، و(رحمت) بالتاء في سبعة مواضع، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[2]، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (زَكَرِيَّا) مقصوراً بغير همز حيث وقع، والباقون: بالهمز والمد[3].

***

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٤١_٤٢٥ و٢/ ٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥_٢٧).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٥)،والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١٠/ ٣٠٠)، وغيرهما.

(٢) انظرها في تفسير الآية (٢١٨) في سورة البقرة.

(٣) انظرها في تفسير الآية (٣٧) من سورة آل عمران.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ﴿رَبَّهُۥ﴾ في محرابه ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ سراً جوفَ الليل؛ لأنه أسرع للإجابة. قرأ ابن كثير، وعاصم، وروح عن يعقوب: (زَكَرِيَّاءَ إِذْ) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية[١]، وتقدم ذكر زكريا ووفاته في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [الآية: ٣٧].

***

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ أي: ضعف من الكبر.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ كناية عن عموم الشيب، شبهه بلهب النار، ونصبه على التمييز، تقديره: اشتعل شيبُ رأسي. قرأ أبو عمرو: (الرَّأْس شَّيْباً) بإدغام السين في الشين[٢].

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: عودتني الإجابة فيما مضى، وما أشقيتني قَطُّ بِرَدٍّ.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٤)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠).

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾ العصبة.

﴿ مِن وَرَاءِي ﴾ أي: بعدي؛ ألا يقوموا مقامي في الدين، خاف تضييع بني عمه دين الله، وتغيير أحكامه؛ لما شاهد من بني إسرائيل من تبديل الدين، وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته لئلا يضيع الدين. قرأ ابن كثير: (وَرَائِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١] ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ لا تلد.

﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾ أعطني من عندك ﴿ وَلِيًّا ﴾ ولداً.

* * *

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ يَرِثُنِي ﴾ في النبوة والعلم ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ الملكَ.

﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ أي: راضياً بقضائك تقياً مرضياً. قرأ أبو عمرو، والكسائي: (يَرِثْنِي وَيَرِثْ) بجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء، والباقون: بالرفع على الحال والصفة؛ أي: ولياً وارثاً[٢].

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١).

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ ﴾ فيه إضمار؛ أي: فاستجاب الله له دعاءه، فقال، أو: فنودي: (يا زكريا) ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ﴾ بولد ﴿ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ سمي به لأنه حيي به الرحم اليائس.

﴿ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾ أي: لم يسم قبله يحيى. **قرأ** ابن عامر، وعاصم، وروح عن يعقوب: (يَا زَكَرِيَّاءُ إِنَّا) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً خالصة[١]، **وقرأ** حمزة: (نَبْشُرُكَ) بفتح النون وجزم الباء وضم الشين مخففة؛ من البشر، وهو البشرى والبشارة، **وقرأ** الباقون: بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة[٢]؛ من بَشَّرَ المضعف على التكثير، والبشر والتبشير والإبشار لغات فصيحات.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ ﴾ أي: كيف، ومن أين ﴿ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ ﴾، وليس لي ما أستحق به ذلك، ﴿ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا ﴾ لا تلد.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧ و١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٧ـ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧ـ٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢).

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يبساً؛ أي: بلغت العتي من أجل الكبر. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: (عِتِيّاً) بكسر العين، والباقون: بضمها، وهما لغتان(1).

***

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾.

[٩] فثَمَّ ﴿قَالَ﴾ جبريل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قلتُ لك.

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾ أي: خلقُ يحيى من كبيرين ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ سهل.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ قرأ حمزة والكسائي: (خَلَقْنَاكَ) بالنون والألف على لفظ الجمع للتعظيم، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد(2)، وكلاهما إخبار؛ أي: أوجدناك.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل يحيى ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ بل كنت معدوماً.

***

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ دلالة على حمل امرأتي. قرأ نافع،

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣).

(2) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤).

وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِيَ آية) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ أي: صحيحاً من غير خرس، روي أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس، فإذا أراد[٢] ذكر الله، انطلق لسانه. روي عن يعقوب وقنبل: الوقفُ بالياء على (لَيَالِي).

* * *

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ صبيحة ليلة حمل امرأته.

﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ من المصلَّى، أو من الغرفة، وكان الناس ينتظرونه ليخرج إلى الصلاة، فخرج متغيراً لونُه، فأنكروه وقالوا: مالك يا زكريا؟

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أومأ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إشارة بإصبعه ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ صلوا.

﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ طرفي النهار[٣]. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (المحرابَ) بالإمالة، والباقون: بالفتح[٤].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤).

(٢) «أراد» زيادة من «ت».

(٣) «النهار» ساقطة من «ش».

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤).

﴿ يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ يَـٰيَحۡيَىٰ ﴾ فيه حذف معناه: يولد له، وقلنا للمولود: يا يحيى ﴿ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ ﴾ أي: التوراة بلا اختلاف؛ لأنه ولد قبل عيسى عليه السلام، ولم يكن الإنجيل عند الناس موجوداً ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجد واجتهاد.

﴿ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡحُكۡمَ ﴾ النبوة، وقيل: الفهم للتوراة.

﴿ صَبِيًّا ﴾ شاباً لم يبلغ حد الكهول.

وروي أنه نبىء وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين، وروي أنه قال له الصبيان: لم لا تلعب؟ فقال: أللعبِ خُلِقتُ؟!

* * *

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةًۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ أي: رحمة من عندنا، المعنى: رحمة للخلق، ولأبويه ﴿ وَزَكَوٰةًۖ ﴾ تطهيراً وبركة وصدقة تصدق الله بها على أبويه وأهل زمانه.

﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مطيعاً، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة، ولا هَمَّ بها.

* * *

﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ أي: جعلناه محسناً إليهما، مشفقاً عليهما.

﴿ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا ﴾ متكبراً ﴿ عَصِيًّا ﴾ لربه.

* * *

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ﴾ أي: سلامة له من الشيطان.

﴿يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ إلى الموقف.

قال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال: يوم ولد فيخرج مما كان، ويوم يموت[1] فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله، فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن[2].

* * *

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن ﴿مَرۡيَمَ﴾ يعني: قصتها، وهذا ابتداء قصته ليست من الأولى.

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ أي: اعتزلتهم ناحية ﴿مَكَانٗا﴾ ظرف ﴿شَرۡقِيّٗا﴾ نعته؛ أي: نحو المشرق في بيت المقدس، ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة.

* * *

﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾.

---

(١) «ويوم يموت» ساقطة من «ش».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨-٥٩)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ٢٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ١٧٤).

[١٧] ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ ستراً تستتر به؛ لتخلو للعبادة، وقيل: لتغتسل من الحيض، وقد تقدم في تفسير سورة آل عمران أنها كانت لا تحيض.

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعني: جبريل عليه السلام.

﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ أتاها جبريل ـ عليه السلام ـ متمثلاً بصورة شاب أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَتَمَثَّل لَّهَا) بإدغام اللام الأولى في الثانية(١).

***

﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] فلما رأته يقصد نحوها ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ مطيعاً؛ أي: إن اتقيت، فستنتهي لتعوذي. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّيْ أَعُوذُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها(٢).

***

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ قَالَ ﴾ لها جبريل: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ قرأ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٥)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥).

أبو عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع (لِيَهَبَ) بالياء بعد اللام؛ أي: ليهب لك ربك، وقرأ الباقون بخلاف عن قالون: (لِأَهَبَ) بهمزة بين اللام والهاء[1]، وأخبر جبريل عن نفسه؛ لأنه الواهب بأمر ربه، ورسمها (لأهب) ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ ولداً طاهراً لا يقارف ذنباً.

***

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿قَالَتْ﴾ مريم: ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ ولم يقربني زوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ زانية تبغي الرجال، تلخيصه: إنما يكون الولد من نكاح أو سفاح، وليسا عندي، ولا أحدهما.

***

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] فثمَّ ﴿قَالَ﴾ جبريل: ﴿كَذَٰلِكِ﴾ أي: كما قلتُ لك.

﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ﴾ أي: خلقُ ولدٍ بلا أب ﴿عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ سهل.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾ علامة ﴿لِلنَّاسِ﴾ ودلالة على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به؛ لأنه سبب الرحمة.

﴿وَكَانَ﴾ ذلك ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ مقدراً لا يرد.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦).

قال ابن عباس: أنست به، فنفخ في جيب درعها، فَسَرتِ النفخةُ بإذن الله تعالى[1].

* * *

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أي: حملت عيسى في بطنها.

﴿ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ ﴾ أي: انفردت وهو في بطنها.

﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً من أهلها وراء الجبل بوادي بيت لحم قبل بيت المقدس، بينهما أربعة أميال؛ فراراً من قومها أن يُعيِّروها بولادتها من غير زوج، وكانت مدة الحمل ساعة واحدة في قول ابن عباس، وقيل غير ذلك، وكان سنها ثلاث عشرة سنة، وقد ورد في حديث المعراج الشريف أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ حين أسري به: «انزلْ فصلِّ، فنزل فصلى، قال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام»[2]، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يبعث بزيت يسرج في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام.

* * *

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/٨٦ـ٨٧).

(٢) تقدم تخريج حديث الإسراء والمعراج في «الصحيحين» وهذا لفظ النسائي في «سننه» (٤٥٠)، كتاب: الصلاة، باب: فرض الصلاة.

[٢٣] ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ وهو تحرك الولد للخروج وألم الولادة حتى ذهبت.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ وكانت يابسة في الصحراء في شدة الشتاء، التجأت إليها؛ لتستند إليها، وتتمسك بها؛ إذ لم تكن لها قابلة تعينها، أو[١] لئلا يراها أحد.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ تمنت الموت استحياء من الناس، ومخافة لومهم. **قرأ** نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتُّ) بكسر الميم، والباقون: بضمها[٢].

﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ **قرأ** حمزة، وحفص عن عاصم: (نَسْياً) بفتح النون، والباقون: بكسرها[٣]، ومعناهما: حقيراً.

﴿مَّنسِيًّا﴾ إذا أُلقي نسي، ولم يلتفت إليه.

***

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، وروح عن يعقوب: (مِنْ) بكسر الميم

---

(١) في «ت»: «و».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٨٠)، والمصادر السابقة، وهذه القراءة والتي قبلها رويتا بخلاف عن عاصم.

(تَحْتِهَا) بخفض التاء، وقرأ الباقون: بفتح الميم ونصب التاء[1]، وهو جبريل ـ عليه السلام ـ وكانت مريم على أكمة، وجبريل ـ عليه السلام ـ وراء الأكمة تحتها، لما سمع كلامها، وعرف جزعها، ناداها:

﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهراً صغيراً. قرأ أبو عمرو (جَعَل رَّبُّكِ) بإدغام اللام في الراء[2].

***

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)﴾.

[٢٥] روي أن جبريل ـ عليه السلام ـ أو عيسى ـ عليه السلام ـ ضرب بعقبه الأرض، فظهرت[3] عين ماء عذب، فجرى النهر اليابس، فاخضرَّت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها، فقيل لها: ﴿وَهُزِّي﴾ أي: حركي.

﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ وأميليه إليك، والباء مزيدة للتأكيد، والهز: تحريك بجذب ودفع.

﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ﴾ قرأ حمزة: (تَسَاقَطْ) بفتح التاء والقاف وتخفيف السين، أصله: تتساقط، فحذف إحدى التاءين، وروى حفص عن عاصم: بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين، على وزن تُفاعِل، وساقط بمعنى:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٥)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩).

(٣) في «ش»: «فظهر».

أسقط، والتأنيث لأجل النخلة، **وقرأ** يعقوب: بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، رده إلى الجذع؛ أي: يتساقط، **وقرأ** الباقون: بفتح التاء والقاف وتشديد السين؛ أي: تتساقط، فأدغمت إحدى التاءين في السين[1] ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أي: مجنياً.

***

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾.

[٢٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من ماء النهر.

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ طيبي نفساً بعيسى، وبانتفاء التهمة عنك؛ بحمل النخلة اليابسة، وجري النهر اليابس؛ لأنه إذا شوهد ذلك، لم يستبعد وجود ولد بلا فحل، وقرة العين مأخوذة من القر، وذلك أنه يحكى أن دمع الفرح بارد، ودمع الحزن سخن، وإنما معنى قرة العين: أن البكاء الذي يسخن العين ارتفع؛ إذ لا حزن بهذا الأمر الذي قرت العين به و(عَيْناً) نصب على التمييز ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ أي: فإن رأيت ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فسألك عن ولدك.

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ صمتاً، والصوم في اللغة: الإمساك عن الطعام والكلام، أُمرت أن تَنْذُرَ السكوت؛ لأن عيسى يكفيها، ولئلا تجادل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٩ـ٥٠).

السفهاء، وعرفتهم بصيامها إشارة، وكان هذا في شريعتهم، ولا يجوز في شرعنا أن ينذر أحد صمتاً.

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ آدمياً؛ أي: أنا ممنوعة من كلام البشر.

* * *

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ﴾ فلما رأوه معها، بكَوْا وحزنوا، وكانوا أهل بيت صالح، ثم ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ﴾ أي: فعلت.

﴿ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ عظيماً من الافتراء.

* * *

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ كان رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل، شُبهت به، روي أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل، سوى سائر الناس، شبهوها به على معنى: أنا ظننا أنك مثله في الصلاح، وليس المراد منه الأخوة في النسب.

﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ عمران ﴿ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟!

* * *

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ﴾ إلى عيسى عليه السلام؛ أي: كلموه ليجيبكم،

فغضب القوم، وقالوا: مع ما فعلت تسخرين بنا؟! ثم ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي: وجد.

﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ أي: في حجر أمه ﴿صَبِيّٗا﴾ وكان عيسى يرضع.

***

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾.

[٣٠] فقالت له: تكلم، فأقبل عليهم بوجهه، ثم اتكأ على يساره، وأشار بسبابته، ثم ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ اعترف بالعبودية وهو ابن يوم أو أربعين؛ لئلا يُعبد.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ قال الأكثرون: أوتي الإنجيل وهو صغيرٌ طفلٌ، وكان يعقل عَقلَ الرجال. قرأ حمزة: (آتَانِيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[١]، وقرأ أبو عمرو (فِي المَهْد صَّبِيّاً) بإدغام الدال في الصاد[٢] ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾.

***

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ على من آمن بي واتبعني.

﴿أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي﴾ أمرني.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٨٥)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٣).

﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ قرأ الكسائي: (آتَانِي) (وَأَوْصَانِي) بالإمالة، والباقون: بالفتح[1].

* * *

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي ﴾ أي: وجعلني براً بها؛ أي: كثير الإحسان إليها.

﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ بمخالفته.

* * *

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ أي: السلامة عند الولادة من طعن الشيطان.

﴿ وَيَوْمَ أَمُوتُ ﴾ عند الموت من الشرك.

﴿ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ من الأهوال، ولما كلمهم عيسى بهذا، علموا براءة مريم، ثم سكت عيسى ولم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المعنى ذلك الذي هذه قصته.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٣-٤٤).

﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما يقول النصارى من أنه إله، أو أنه ابن الله.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (قَوْلَ الْحَقِّ) بنصب اللام؛ أي: قالَ قولَ الحق، وقرأ الباقون: برفعها[1]؛ أي: هذا الكلام قول الحق، والحق هو الله سبحانه.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكُّون ويختلفون؛ لأن اليهود قالوا: عيسى ساحر كُذاب، وبعض النصارى قال: هو الله، وبعضهم: ولده، وبعضهم: شريكه، وكذبوا جميعاً.

***

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ﴾ أي: ما ينبغي له ذلك، وجيء بـ(مِنْ) للنفي العام؛ [لأنك إذا قلت: ما عندي رجل، جاز أن يكون عندك أكثر من رجل][2]، وإذا قلت: ما عندي من رجل، نفيت أن يكون عندك واحد وأكثر ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓۚ﴾ عن صفات المخلوقين.

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد كونه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ قرأ ابن عامر:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٥)، وقراءة يعقوب في «النشر».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ش».

(فَيَكُونَ) بنصب النون؛ لأن جواب الأمر بالفاء يكون منصوباً، وقرأ الباقون: بالرفع على معنى: فهو يكونُ[1].

* * *

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾.

[٣٦] ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ أطيعوه؛ لاختصاصه بالربوبية.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أي: هو الطريق المشهود له بالاستقامة. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب، (وَإِنَّ اللهَ) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون: بفتحها عطفاً على ما قبل[2]؛ أي: أوصاني بالصلاة والزكاة، وبأن الله.

* * *

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧﴾.

[٣٧] ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: اليهود والنصارى، فجعله اليهود ولد زنا، والنصارى إلهاً.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: شهودهم يوم القيامة.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٦).

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ أي: ما أسمعَهم وأبصرَهم.

﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ حين لا ينفعهم ذلك؛ لأنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا أو لم يبصروا في الدنيا.

﴿ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: خطأ بيّن.

* * *

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ هو يوم القيامة يقع فيه الندم على ما فات ﴿ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فرغ من الحساب، واستقر كلٌّ في مقره(١)، ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، ويذبح، وينادى على أهل النار وأهل الجنة: خلود بلا موت؛ كما ورد به الحديث الصحيح عن النبي ﷺ(٢).

﴿ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ عن الاهتمام لذلك المقام.

﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون به في الدنيا.

* * *

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ بأن نهلك جميع سكانها.

---

(١) في «ت»: «مستقره».

(٢) رواه البخاري (٤٤٥٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾، ومسلم (٢٨٤٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ في الآخرة، فيجازون. قرأ يعقوب: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[1].

***

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) ﴾.

[٤١] ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ قرأ هشام: (أَبْرَاهَامَ) بالألف[2].

﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا ﴾ مبالِغاً في الصدق بجميع ما صدر عن الله.

﴿ نَبِيًّا ﴾ النبي العالي في الرتبة بإرسال الله إياه.

***

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) ﴾.

[٤٢] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾ آزر وهو يعبد الأصنام: ﴿ يَا أَبَتِ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (يَا أَبَتَ) بفتح التاء حيث وقع، والباقون: بكسرها، ووقفاً: (يَا أَبَهْ) بالهاء، ووافقهما في الوقف ابن كثير، ويعقوب[3].

﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ ﴾ صوتاً ﴿ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ العبادة ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ ﴾ أي: لا يدفع ﴿ شَيْئًا ﴾ من عذاب الله عنك؟!

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٨).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٨).

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ ﴾.

[٤٣] ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ بالله والبيان.

﴿ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ ﴾ على ديني ﴿ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾ مستقيماً.

* * *

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ ﴾.

[٤٤] ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ ﴾ لا تطعه بعبادة الأصنام.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ عاصياً.

* * *

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾.

[٤٥] ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ ﴾ يصيبك.

﴿ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ قريباً في النار. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّيْ أَخَافُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[١].

* * *

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٨).

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ آزرُ توبيخاً: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ أي: عن عبادة الأصنام.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن شتم الأصنام ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قال ابن عباس: معناه: لأضربنك[1]، وقيل: لأشتمنك ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ حيناً طويلاً.

* * *

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكروه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ سأسأل الله لك توبة تنال بها المغفرة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ بليغاً في البر واللطف. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ إنه) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

* * *

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٨٩)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ١١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٩).

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام، فارتحل من كوثا إلى الأرض المقدسة ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أعبدُه.

﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي﴾ بعبادته.

﴿شَقِيًّا﴾ أي: عسى أن يجيبني فيك، ولا يخيبني.

* * *

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فذهب مهاجراً.

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد الهجرة.

﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ أولاداً كراماً على الله، يأنس بهم بدلَ الكفار.

﴿وَكُلًّا﴾ من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

* * *

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ نعمتنا، وهو ما بسط الله لهم في الدنيا من سعة الرزق.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أي: ثناءً حسناً في جميع أهل الأديان، فكلهم يتولونهم، ويثنون عليهم.

* * *

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ الكوفيون (مُخْلَصاً)

بفتح اللام؛ أي: مختاراً اختاره الله لعبادته ونبوته، **وقرأ الباقون**: بكسرها[1] أي: أخلص هو نفسه لله وحده.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ والرسول من الأنبياء: الذي يكلف تبليغ أمة، وقد يكون نبي غيرَ رسول.

* * *

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ من موسى، لا من الجبل؛ لأن الجبل لا يمين له، إنما ذلك بالنسبة إلى الشخص، والطور: جبل بين مصر ومدين، ويقال: اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أي: مناجياً، قال ابن عباس: معناه: قربه فكلمه[2] ومعنى التقريب: إسماعه كلامه.

* * *

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾ من نعمتنا عليه.

﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ وذلك حين سأل ربه فقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٤٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩١).

﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾ [طه: ٣٠ـ ٣١]، فأجاب الله دعاءه، وأرسل إلى هارون، ولذلك سماه هِبةً له.

* * *

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ﴾ هو ابن إبراهيم عليهما السلام، وهو الذبيح في قول الجمهور، وقالت فرقة: الذبيح إسحاق، والراجح الأول؛ لأن أمر[١] الذبح كان بمنى عند مكة بلا خلاف بين العلماء، وما روي قط أن إسحاق دخل تلك البلاد.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ لم يعد أحداً شيئاً إلا وفى به، روي أنه وعد رجلاً[٢] أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه، فأقام إسماعيل مكانه يومه وليلته حتى رجع إليه الرجل، وقيل: انتظره سنة، قال ابن عطية: وهو بعيد غير صحيح، والأول أصح[٣].

﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرهم ﴿نَّبِيًّا﴾ مخبراً عن الله ـ عز وجل ـ.

* * *

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ قومه وأمته.

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ التي افترضها الله عليهم.

---

(١) «أمر» زيادة من «ت».

(٢) في «ش»: «رجلان».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٢١).

﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ صالحاً زكياً[1]؛ لأنه قام بطاعته.

* * *

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَۚ﴾ وهو جد أبي نوح، واسمه حنوخ ـ بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة ـ، وسمي إدريس، لكثرة درسه الكتب، وهو ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وكان إدريس خياطاً، وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكان من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار، وأول من نظر في علم الحساب، وأدرك إدريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة، ولما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة، رفعه الله إلى السماء، وكان قد نبأه الله تعالى، وانكشفت له الأسرار السماوية، ونزل عليه جبريل أربع مرات، وله صحف منها: لا تروموا أن تحيطوا بالله خبرة؛ فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطن المخلوقين، إلا من آثره. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

* * *

﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ الجنة؛ لأنه روي أنه أذيق الموت ساعة، ثم أُحيي، ثم أُدخل الجنة ولم يخرج منها، وقيل: رفع إلى السماء الرابعة، وروي ذلك عن النبي ﷺ[2]، وقال كعب: صعد به ملك من الملائكة إلى

(١) في «ت»: «زاكياً».

(٢) وقد تقدم ذلك في حديث الإسراء والمعراج.

السماء، فلما صار في الرابعة، قبض روحه[١].

واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي، وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء: اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى عليهم السلام.

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ (٥٨)﴾.

[٥٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ النبيون المذكورون من زكريا إلى إدريس ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يريد: إدريس ونوحاً ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ في السفينة، يريد: إبراهيم؛ لأنه من ولد سام بن نوح ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ يريد: إسماعيل وإسحق ويعقوب ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا ويحيى، وعيسى بن مريم من ذريته ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ أرشدنا واصطفينا.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩﴾ من خشية الله، أخبر تعالى أن الأنبياء كانوا يسجدون ويبكون لسماع آيات الله. **قرأ** حمزة، والكسائي: (وَبِكِيّاً) بكسر الباء، والباقون: بضمها[٢]، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في سجود التلاوة وحكمه وسجود الشكر

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٢).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٨) من هذه السورة.

مستوفىً آخر سورة الأعراف. وملخصه أنه كالصلاة يشترط له الطهارة واستقبال القبلة بالاتفاق، ولا يسجد له في وقت نهي عند الثلاثة؛ خلافاً للشافعي، وأما حكمه، فقال أبو حنيفة: هو واجب على التالي والسامع، سواء قصد السماع، أو لم يقصد، ويكبر ويسجد بلا رفع يد، ثم يكبر [ويرفع بلا تشهد ولا سلام، وقال مالك: هو فضيلة للقارىء وقاصد الاستماع، ويكبر][1] لخفضه ورفعه، وليس له تسليم، وقال الشافعي: هو سنة للقارىء والمستمع [والسامع، وينوي ويكبر للإحرام رافعاً يديه، ثم للهوي بلا رفع، ويسجد كسجدة الصلاة، ويرفع مكبراً، ويسلم من غير تشهد، وقال أحمد: هو سنة للقارىء والمستمع][2] دون السامع، وسجوده عن قيام أفضل، ويكبر إذا سجد وإذا رفع، والسلام ركن، وتجزىء واحدة بلا تشهد، وأما سجود الشكر، فقال أبو حنيفة ومالك[3]: هو مكروه، فيقتصر على الحمد والشكر باللسان، وخالف أبو يوسف ومحمد أبا حنيفة، فقالا: هي قربة يثاب فاعلها، وقال الشافعي وأحمد: يسن، وحكمه عندهما كسجود التلاوة، لكنه لا يفعل في الصلاة، وقد وقع الكلام على ذلك بأتم من هذا آخر سورة الأعراف، وذكر اختلاف الأئمة في عدد السجدات ومكانها[4]، ونبه على كل شيء في محله فيما مضى من السجدات، وسيأتي التنبيه على ما بقي منها في محل كل سجدة إن شاء الله تعالى.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) «ومالك» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «محلها».

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ أي: من بعد الأنبياء المذكورين ﴿ خَلۡفٌ ﴾ وهم قوم سوء (فالخلْف) ـ بسكون اللام ـ: الطالح، وبفتحها: الصالح، والتلاوة بالأولى[١]، والمراد بالخلف هنا: أهل الكتابين والمجوس ومن لُحق بهم.

﴿ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة بتركها ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴾ ملاذ النفس المحرمة ﴿ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ وهو واد في جهنم تستعيذ أودية جهنم من حره، أعده الله للزاني المصر عليه، وشارب الخمرة المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور.

* * *

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ صدَّق النبي.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أدى الفرائض .

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء، والباقون: بضم الياء وفتح الخاء[٢] ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ لا ينقصون من أعمالهم شيئاً.

---

(١) في «ت»: «بالأول».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾ .

[٦١] ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ ﴾ أي: وعدهم بها وهي غائبة عنهم.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ آتياً.

* * *

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

[٦٢] ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أي: في الجنة.

﴿ لَغْوًا ﴾ أي: ما يلغى من الكلام ويؤثم.

﴿ إِلَّا سَلَٰمًا ۖ ﴾ أي: لكن سلاماً بمعنى: سلامة.

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ طرفي النهار، ولا نهار ثَمَّ ولا ليل، بل المراد: مقدارهما.

* * *

﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

[٦٣] ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ ﴾ نعطي ﴿ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ متقياً لله تعالى. قرأ رويس عن يعقوب (نُوَرِّثُ) بفتح الواو وتشديد الراء، والباقون: بالإسكان والتخفيف[١].

* * *

= ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٠).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥١).

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ ﴾ هو قول جبريل عليه السلام لما استبطأه النبي ﷺ، فقال له: ذلك لأنا عبيد مأمورون لانفعل شيئاً إلا بإذن.

﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ الدنيا ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۚ ﴾ وما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي: مما يلحقه النسيان.

***

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من الخلق ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ ﴾ اصبر على أمره ونهيه ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ أي: شبيها ونظيراً. قرأ أبو عمرو: (لِعِبَادَتِه هَّلْ) بإدغام الهاء في الهاء، (وَاصْطَبِر لِّعِبَادَتِه): بإدغام الراء في اللام، بخلاف عنه في الثاني[1].

***

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] [وكان أُبيُّ بن خَلَفٍ ينكر البعث، ففتَّت عظماً، وقال: أنبعث

(١) انظر: «غيث النفع» للصفاقسي (ص: ٢٨٦)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٢).

بعد ما صرنا كذا؟! فنزل][1]: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[2] قاله استهزاء وتكذيباً. واختلف القراء في (أَئِذَا)، فقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (إِذَا) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون: بهمزتين على الاستفهام، فالكوفيون، وهشام، وروح، وابن ذكوان بخلاف عنه: يحققون الهمزتين، والباقون: يحققون الأولى، ويسهلون الثانية، ومنهم أبو جعفر، وقالون، وأبو عمرو، ويفصلون بينهما بألف، واختلِف عن هشام في الفصل مع تحقيق الهمزتين[3].

* * *

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ﴾ المعنى: أيقول الإنسان: سأخرج حياً بعد الموت، ولا يتأمل خلقنا له ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل هذه الحالة.

﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فيستدل على أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة.

قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: (يَذْكُرُ) بتخفيف الذال والكاف مع ضم الكاف؛ من الذكر، وقرأ الباقون: بتشديدهما وفتح الكاف[4]؛ من التذكُّر[5]: التفكر.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٢_٥٣).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٣).

(٥) في «ت»: «التذكير».

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ثم أقسم بنفسه تعالى فقال: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ أي: الكفار.

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ معهم؛ لأن كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة.

﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ ﴾ قبل دخولهم إياها ﴿ جِثِيًّا ﴾ جمع جاثٍ؛ أي: جاثين على الركب، وهي قعدة الخائف الذليل على ركبتيه؛ كالأسير ونحوه؛ لهول ذلك الوقت، وضيق المكان.

* * *

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ ﴾ لنخرجنَّ ﴿ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ طائفةً.

﴿ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ جرأة، يبدأ بالأكثر جرماً، فالأكثر، ثم الذين يلونهم؛ الأعتى فالأعتى منهم.

* * *

﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴾ دخولاً؛ أي: نحن أعلم بالذين هم أحق بالعذاب ودخول النار، المعنى: نحشرهم، ثم نخرج الأعصى فالأعصى منهم، ثم نُدخل النار أولاً أحقَّهم بها، ثم أحقهم بها، على قدر ذنوبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: (جِثِيّاً) في الحرف المتقدم والآتي و(عِتِيّاً) و(صِلِيّاً) بكسر أولهن[١]؛ والباقون: بالضم[٢].

---

(١) في «ت»: «أوائلهن».

(٢) انظر تفسير الآية (٨) من هذه السورة.

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَإِن مِّنكُمْ ﴾ أي: وما منكم ﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ داخلها، وأصل الورود: الحضور، ويطلق على الحضور والدخول، فعلي وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يفسران الورود بالدخول، لكنها تكون[١] على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، وعلى الكافرين ناراً، روي أنهم يمرون عليها لا يحسون بها؛ لخُمودها، في الحديث: «تقول النار للمؤمن: جُزْ فقد أطفأ نورُكَ لهبي»[٢].

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ حتم الأمر: أوجبه؛ أي: لازماً قضاه الله عليكم.

***

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ الشرك. قرأ الكسائي، ويعقوب: (نُنْجِي) بإسكان النون الثانية مخففاً، والباقون: بفتحها مشدداً[٣].

﴿ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ على الركب، تلخيصه: ورودكم جهنم لا بد منه، ثم نخلص المؤمن منها، ونترك الكافر معذباً فيها.

---

(١) «تكون» زيادة من «ت».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٥٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣٩٤)، وتمام الرازي في «فوائده» (٩٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٢٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٥)، عن يعلى بن منية رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٠ و١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٥).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

[٧٣] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ يعني: القرآن وما بَيَّن الله فيه.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يعني: مشركي قريش: النضر بن الحارث وأصحابه.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ يعني: فقراء أصحاب محمد ﷺ، وكانت فيهم قشافة، وفي عيشهم خشونة، وفي ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم، ويلبسون خير ثيابهم، فقالوا للمؤمنين:

﴿ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ منزلاً ومسكناً. **قرأ** ابن كثير: (مُقاماً) بضم الميم: ظرف من قام، والباقون: بفتحها[1]: مصدر من قام.

﴿ وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ مجلساً، المعنى: قال المشركون للمؤمنين؛ احتقاراً بهم: أينا أطيب عيشاً وأحسن مجلساً نحن أو أنتم؟

***

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

[٧٤] فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ أمة.

﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا ﴾ لباساً وأموالاً ﴿ وَرِءْيًا ﴾ **قرأ** أبو جعفر، وقالون عن نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر[2]: (وَرِيّاً) بتشديد الياء غير مهموز؛ من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٦).

(٢) «عن ابن عامر» ساقطة من «ت».

الري بمعنى النعمة[١]، وقرأ الباقون: بهمزة ساكنة بين الراء والياء[٢]: هو المنظر والهيئة] (وَزِيّاً) بالمعجمة؛ من الزينة، والتلاوة بالأول والثاني.

***

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ ﴾ أي: الكفر ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾ هذا أمر بمعنى الخبر؛ أي: يمهله في غيِّه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ ﴾ في الدنيا؛ بأن ينصر الله المسلمين عليهم، فيعذبهم بالقتل والأسر.

﴿ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ يعني: القيامة، فيصيرون إلى النار.

﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ منزلاً إذا صاروا في النار ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ عدداً وقوة إذا نصر الله المسلمين.

***

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ ﴾ آمنوا بالإيمان ﴿ هُدًى ﴾ إيماناً ورشداً ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ الأعمال الصالحة؛ من الذكر وغيره.

﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ عاقبة.

***

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ونزل فيمن سخر بالبعث، وهو العاص بن وائل السهمي: قال خباب بن الأرت: كان لي على العاص بن وائل دين، فتقاضيته، فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإني إذا مت ثم بعثت، فسيكون لي ثَمَّ مال وولد، فأعطيك، فإنكم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة؛ استهزاء واستخفافاً، فنزل قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾(١) قرأ حمزة والكسائي: (وَوُلْداً) بضم الواو وإسكان اللام في هذا الحرف، وفي الثلاثة الآتية: جمع ولد كأسَد وأُسْد، وقيل ـ بالفتح ـ: الابن والابنة، وبالضم: الأهل، و قرأ الباقون: بفتح الواو واللام فيهن(٢) .

* * *

﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾ أي: نظر في اللوح المحفوظ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ أي: عهد إليه أنه يعطيه ذلك .

* * *

---

(١) رواه البخاري (٤٤٥٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾، ومسلم (٢٧٩٥)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٨).

﴿ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩ ﴾ .

[٧٩] ﴿ كَلَّآ ﴾ رد عليه، يعني: أنه مخطىء فيما تصوره لنفسه.

﴿ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ ﴾ سنحفظ عليه قوله، فنجازيه عليه.

﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴾ نزيده عذاباً فوق عذابه.

* * *

﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ٨٠ ﴾ .

[٨٠] ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ أي: نهلكه ونورث ماله وولده غيره.

﴿ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴾ بلا أهل ولا مال.

* * *

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ٨١ ﴾ .

[٨١] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ ﴾ يعني: مشركي قريش.

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ ﴾ أصناماً يعبدونها ﴿ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴾ ليعتزوا بهم.

* * *

﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ٨٢ ﴾ .

[٨٢] ﴿ كَلَّآ ﴾ تفسيرها كالتي تقدمت ﴿ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ ﴾ أي: ستجحد الآلهة عبادة المشركين.

﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ على المشركين ﴿ ضِدًّا ﴾ أي: ضد العز، وهو الذل.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ثم عَجَّب تعالى نبيه ﷺ منهم بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ سلَّطناهم ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ تزعجهم إزعاجاً، وتسوقهم إلى المعاصي بسرعة، وأصل الأزِّ: الحركة مع صوت متصل؛ من أزيز القِدْر: غليانها.

* * *

﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ثم سلاَّه بقوله : ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ بطلب العذاب قبل حينه .

﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ ﴾ أنفاسهم وأعمارهم وأعمالهم؛ ليستوفوا آجالهم .

﴿ عَدًّا ﴾ فلا يزادون عليها، ولا ينقصون منها .

* * *

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي: واذكر يا محمد يوم .

﴿ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ نجمعهم من قبورهم .

﴿ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ ركباناً، جمع وافد .

* * *

﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ جمع وارد، فيساقون رجَالة عطاشاً قد تقطعت أعناقهم من العطش .

* * *

﴿ لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ أي: لا يشفع ثَمَّ ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ توحيداً وإيماناً، المعنى: لا يشفع إلا المؤمن المأمور بالشفاعة المأذون له فيها، ولا يشفع إلا لمن أذن له أن يشفع فيه، وروي أن أهل العلم والفضل والصلاح يَشفعون فيُشفعون.

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله.

* * *

﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ منكراً عظيماً.

* * *

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قرأ نافع، والكسائي: (يَكَادُ) بالياء على التذكير؛ لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث (السَّموات)[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، =

﴿ يَتَفَطَّرۡنَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء وفتح الطاء مشددة من التفطر، وقرأ الباقون: بالنون وكسر الطاء مخففة؛ من الانفطار، ومعناهما واحد[(١)]؛ أي: يتشققن ﴿ مِنۡهُ ﴾ أي[(٢)]: من قولهم الكفر ﴿ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ أي: تنخسف.

﴿ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾ أي: سقوطاً من سماع قولهم.

* * *

﴿ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ أَن دَعَوۡاْ ﴾ يعني: لأن جعلوا ﴿ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴾.

* * *

﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ثم نفى سبحانه عن نفسه الولد فقال: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ المعنى: لا يتأتى له تعالى اتخاذ الولد؛ لأن اتخاذ الولد إنما يكون لحاجة ومجانسة، والله تعالى منزه عن ذلك؛ لامتناعهما في حقه سبحانه.

* * *

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: ما منهم.

= و«تفسير البغوي» (٣/ ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦١)، وقرأ «يكاد» نافع والكسائي، دون حفص.

(١) المصادر السابقة.

(٢) «أي» زيادة من «ت».

﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ يوم القيامة ﴿عَبۡدٗا﴾ ذليلاً خاضعاً.

واستدل بعض العلماء على أن الولد يعتق على والده إذا ملكه بأي وجه من وجوه الملك، وأن الولد لا يكون عبداً بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾، وقد اتفق الأئمة على أن من ملك والديه، وإن علوا، وأولاده، وإن سفلوا، فإنهم يعتقون عليه بملكه لهم، وأن ولاءهم له، واختلفوا فيما عدا الوالدين، والمولودين فقال أبو حنيفة وأحمد: كل ذي رحم محرم منه إذا ملكه، عتق عليه، وله ولاؤه، وقال مالك في المشهور عنه: يعتق عليه الوالدون والمولودون من علو وسفل، والإخوة والأخوات من كل جهة فقط دون أولادهم، وقال الشافعي: لا يعتق إلا عمود النسب من عُلْو وسُفْل فقط.

* * *

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤﴾.

[٩٤] ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ عَلِمَهم كلَّهم، فلا يخفى عليه أحد.

* * *

﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥﴾.

[٩٥] ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ وحيداً من ماله وولده، والكل اسم لجملة مرعية عن أجزاء محصورة، وكلمة (كل) عام تقتضي عموم الأسماء والإحاطة على سبيل الانفراد، وكلمة (كلما) تقتضي عموم الأفعال.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾.

[٩٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ محبة.

* * *

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾.

[٩٧] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ ﴾ سهلنا القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك يا محمد.

﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: المؤمنين. قرأ حمزة: (لِتَبْشُرَ) بفتح التاء وتخفيف الشين وضمها؛ من البشر، وهو البشرى والبشارة، والباقون: بضم التاء وتشديد الشين مكسورة[(١)]؛ من بَشَّر المضعف على التكثير ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ جمع ألد، وهو الشديد الخصومة.

* * *

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ أمة ﴿ هَلْ تُحِسُّ ﴾ أي: ترى.

﴿ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ صوتاً خفياً، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٧ـ٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦٢).

سُورَةُ طه

عَلَيْهِ السَّلَام (١)

[مكية، وآيها مئة وخمس وثلاثون آية](٢)، وحروفها: خمسة آلاف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً، وكلمها ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ۝١﴾.

[١] ﴿طه﴾ **قرأ** أبو عمرو، وورش بخلاف عنه: بفتح الطاء وإمالة الهاء، **وقرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإمالتهما جميعاً، **وقرأ** الباقون: بفتحهما(٣)، وأبو جعفر: بتقطيع الحروف على أصله(٤)، ولم يُمِل أحد الطاء مع فتح الهاء، و(طه) اسم من أسماء محمد ﷺ، وقيل: معناه بالسريانية: يا رجل، وقيل: هو قسم أقسم الله

---

(١) «عليه السلام» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين بياض في «ش».

(٣) في «ت»: «بفتحها».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦٧).

بطَوْله وهدايته، وقيل: هو أمر من الوطء، والهاء كناية عن الأرض؛ أي: اعتمد على الأرض بقدميك.

* * *

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ أي: لم ننزله عليك لتتعب به.

نزلت لما أطال رسول الله ﷺ القيام في الصلاة وبالغ فيه حتى قام على إحدى رجليه بعد نزول القرآن، فأمره الله أن يخفف على نفسه؛ شفقة عليه، وإكراماً له[١]. أمالَ رؤوسَ آي هذه السورة: ورش عن نافع، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف[٢].

* * *

﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن نزلناه عظة وتذكيراً بالأحكام.

﴿ لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ اللهَ تعالى.

* * *

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ تَنزِيلًا ﴾ بدل من قوله: (تَذْكِرَةً).

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٦٩).

﴿ مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ صفة أقامها مقام الموصوف، والعلى: جمع العليا.

***

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ رفع بالابتداء ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ استواء يليق بعظمته بلا كيف، وهذا من متشابه القرآن، نؤمن به، ولا نتعرض لمعناه، وقال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه لرجل سأله عن الاستواء، فقال له مالك: «الاستواء معلوم ـ يعني: في اللغة ـ، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأظنك رجل سوء، أخرجوه عني»، فأدبر الرجل وهو يقول: يا أبا عبد الله لقد سألت فيها أهل العراق وأهل الشام، فما وفق فيها أحد توفيقك[١].

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فقال: «هو كما أخبر، لا كما يخطر للبشر».

وتقدم الكلام على ذلك مستوفىً[٢] في سورة الأعراف.

***

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من جميع المخلوقات.

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٥ـ٣٢٦).

(٢) «مستوفىً» ساقطة في «ت».

﴿ وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ التراب النديّ تحت الظاهر.

* * *

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ ﴾ ترفع صوتك به.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ ما أسره لغيره.

﴿ وَأَخْفَى ﴾ هو ما أسر في نفسه.

* * *

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وَحَّدَ نفسه سبحانه.

﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ يريد: التسميات التي تضمنت المعاني التي هي في غاية الحسن، وتقدم ذكر الأسماء الحسنى، والكلام عليها في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الآية: ١٨٠].

* * *

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ وَهَلْ ﴾ أي: وقد ﴿ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

* * *

﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عن هشام وأبي بكر: (رأَى) بإمالة الراء تبعاً للهمزة، وأمال

أبو عمرو الهمزة فقط[1]، وملخص القصة: أن موسى استأذن شعيباً ـ عليهما السلام ـ في الخروج بزوجته، فأذن له، فخرج بها سائراً على غير الطريق غيرة نحو الطور الأيمن الغربي في ليلة شاتية باردة، فأخذ امرأتَه الطلقُ، فقدح زنده مراراً فلم يورِ، فأبصر ناراً من بعيد.

﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ أقيموا. قرأ حمزة (لِأَهْلِهُ امْكُثُوا) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بكسرها فيه[2].

﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾ أبصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ بشعلة نار في طرف عود أو فتيلة. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (إِنِّيْ آنَسْتُ)، و(لَعَلِّيْ آتِيكُمْ) بإسكان الياء فيهما، وافقهم ابن عامر في الأول، والباقون: بفتح الياء فيهما[3]، ولم يقل: (آتيكم) بلا (لعلي)؛ لأنه لم يكن متيقناً الوفاء بالوعد ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ أي: هادياً يدلني على الطريق.

* * *

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ رأى شجرة خضراء من العَوْسَج من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد، وسمع[4] تسبيح الملائكة، وأُلقيت عليه السكينة، فثَمَّ ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧١).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧١).

(٤) في «ت»: «تسمَّع».

﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ **قرأ** أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (أَنِّي) بفتح الهمزة؛ أي: بأني، وأبو عمرو: يدغم الياء في الياء في قوله (نُودِي يَّا مُوسَى)، والباقون: بكسرها؛ أي: نودي موسى، فقيل إني[١]، فنافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: يفتحون الياء، والباقون: يسكنونها، رُوي أنه لما سمع هذا النداء، فقال: من المتكلم؟ فقال تعالى: (أَنَا رَبُّك).

﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ﴾ أي: ألقهما؛ لأنهما كانا من جلد حمار ميت.

﴿ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ ﴾ المطهر. وقف يعقوب: (بِالْوَادِي) بإثبات الياء[٢] ﴿ طُوٗى ﴾ فخلعهما وألقاهما، ورأى الوادي. **قرأ** الكوفيون، وابن عامر: (طُوًى) بالتنوين، على أنه اسم الوادي، **وقرأ** الباقون: بغير تنوين، على أنه اسم البقعة، واتفقوا على ضم الطاء[٣].

وعن ابن عباس: «قيل له: (طوى)؛ لأن موسى طواه بالليل إذ مر به، فارتفع إلى أعلى الوادي»[٤]، فهو مصدر عمل فيه ما ليس من لفظه؛ كأنه قال: إنك بالواد الذي طويته طوى؛ أي: تجاوزته فطويته بسيرك.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٥٦٠).

﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ ﴾ قرأ حمزة: (وَأَنَّا) بتشديد النون (اخْتَرْنَاكَ) بالنون مفتوحة وألف بعدها على الخبر عن نفسه، بلفظ الجمع في الكلمتين؛ تعظيماً لله تعالى، وقرأ الباقون: (وَأَنَا) بتخفيف النون (اخْتَرْتُكَ) بتاء مضمومة من غير ألف[١]، على لفظ الواحد فيهما على الخبر عن نفسه في اللفظ، ومعناه: إني اصطفيتك برسالاتي ﴿ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ إليك.

* * *

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنَّنِيْ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

﴿ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ لعبادتي؛ لأن الصلاة مشتملة على قراءة، والقراءة مشتملة على أذكار. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِذِكْرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣].

* * *

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ القيامة ﴿ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ أُسِرُّها، ولا أقول:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٠-١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٤).

(٣) المصادر السابقة.

هي آتية؛ أي: أسترها عن العباد، ولا أذكرها لهم؛ لأنهم إذا لم يعلموا متى قيامها، كانوا على وَجَلٍ منها في كل وقت ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ بعملها من خير وشر.

* * *

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم نهى تعالى موسى ﷺ، والمراد: غيره بقوله: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا ﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿ مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا ﴾ من الكفار.

﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ في عبادة غير الله ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾ فتهلك إن انصددت عنها.

* * *

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَمَا تِلْكَ ﴾ أي: وما التي ﴿ بِيَمِينِكَ ﴾ في يدك اليمنى ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ سؤال تقرير، والحكمة فيه تنبيهه على أنها عصا، حتى إذا قلبها حية، علم أنه معجز عظيم، وهذا على عادة العرب، يقول الرجل لغيره: هل تعرف هذا، وهو لا يشك أنه يعرفه، ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه.

ويروى أن[١] عصا موسى هي التي هبط بها آدم من الجنة، وأنها من ورق آس من أحد الخطوط المستطيلة في وسط الورقة، وأن طولها اثنا عشر ذراعاً بذراع موسى عليه السلام، وكانت العصا شعبتين، وفي أسفلها سنان، ولها محجن.

---

(١) في «ت»: «أنه».

﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ ﴾ فقيل: ما تصنع بها؟ قال: ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا ﴾ أعتمد عليها عند الوثبة، ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ أي: أضرب بها الأغصان ليسقط ورقها، فترعاه الغنم، (وَأَهُسُّ) بالمهملة: أزجر بها[١]، والتلاوة بالأول.

﴿ وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ ﴾ جمع مأربة ـ بضم الراء وفتحها ـ؛ أي: حوائج ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ على تأنيث الجمع في المعنى، وأراد بالمآرب: ما يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد، ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويحارب بها السباع، وتماشيه وتحدثه، ويركزها فتورق، وتحمل أي ثمرة أحب له[٢]، وتضيء له شعبتاها[٣] في الليل كشمعتين، وتطرد عنه الهوام، وغير ذلك[٤]. قرأ ورش، وحفص: (وَلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٥].

---

(١) وهي قراءة عكرمة، انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١١٧).

(٢) «له» ساقطة من «ت».

(٣) في «ت»: «شعبتها».

(٤) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٤٦): «وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهمت، فقيل: كانت تضيء له بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام، ويغرسها فتصير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية».

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٧).

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ انبذها.

* * *

﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] قال وهب: ظن موسى أنه يقول: ارفضها، ﴿ فَأَلْقَىٰهَا ﴾ على وجه الرفض[١]، ثم حانت منه نظرة، ﴿ فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ ﴾ عظيمة ﴿ تَسْعَىٰ ﴾ تمشي مسرعة على بطنها، قال هنا: (حَيَّة)، وفي غيره (جَانّ)، وهو الخفيف من الحيات، و(ثعبان)، وهو عظيمها؛ لأن الحية تعم الذكر والأنثى، والصغير والكبير.

* * *

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] فلما رآها لا تمر بحجر إلا ابتلعته، ولا شجر إلا اقتلعته، ويُسمع لأنيابها صريف شديد، وولى مدبراً وهرب، ثم ذكر ربه، فوقف استحياء منه، ثم نودي: أن يا موسى! أقبل، ارجع حيث كنت، فرجع وهو شديد الخوف ﴿ قَالَ ﴾ تعالى: ﴿ خُذْهَا ﴾ بيمينك.

﴿ وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي: سنردها عصا كما كانت، فأدخل موسى يده في كمه ليأخذها، فسمع النداء: أرأيت لو أذن لها أن تضربك كان يغنيك؟! فكشف يده وأدخلها في فيها؛ فإذا هي عصا كما

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٧).

كانت، ويده في شعبتيها في الموضع الذي كان يضعها إذا توكأ، وأري ذلك موسى عند المخاطبة؛ لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون.

***

﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ثم نبه على آية أخرى فقال: ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ أي: اجمعها إلى جيبك ما بين أسفل العضد إلى الإبط، وأصله من جناح الطير؛ لأنه يجنح به؛ أي: يميل، فكأن الإنسان يجنح بجانبيه عند العطفات والالتفات، المعنى: أدخلها تحت عضدك.

﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ برص، فكان ليده نور ساطع يضيء كضوء الشمس والقمر.

﴿ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴾ دلالة على صدقك.

***

﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ لِنُرِيَكَ ﴾ المعنى: فعلنا ذلك لنريك.

﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية ﴿ ٱلْكُبْرَى ﴾ العظمى[١]، وكانت يده أكبر آياته.

***

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ ترفَّع وعلا وتجاوز الحد في الكفر.

***

---

(١) «العظمى» زيادة من «ت».

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ قَالَ ﴾ موسى:

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ وسِّعه لتحمل الحق والمشاق، ورديء أخلاق فرعون وجنده.

* * *

﴿ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَيَسِّرْ ﴾ سَهِّل ﴿ لِىٓ أَمْرِى ﴾ لأبلِّغ الرسالة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

* * *

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً ﴾ رتة ﴿ مِّن لِّسَانِى ﴾ حدثت بسبب إلقائي الجمرة في فيَّ، وذلك أن موسى في صغره لطم فرعون لطمة عظيمة، وأخذ بلحيته، فأراد قتله، فقالت آسية: أيها الملك! إنه صغير لا يعقل، جرِّبْه إن شئت، فجعل في طست جمراً، وفي آخر جوهراً، ووضعتهما لدى موسى، فأراد أخذ الجوهر، فأخذ جبريل يده ووضعها على الجمر، فأخذ جمرة ووضعها في فيه، فاحترق، فصار بلسانه لُكْنة منها(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٩).

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٥٤): «رواه النسائي في «السنن الكبرى»، وأخرجه أبو جعفر بن جرير، وابن أبي حاتم في «تفسيريهما»، كلهم من حديث=

﴿ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ أي: احلل العقدة كي يفقهوا كلامي، والفقه لغةً: الفهم.

* * *

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا ﴾ معيناً ﴿ مِّنْ أَهْلِى ﴾ والوزير: من الوزر: الثقل؛ لأن الوزير يتحمل أثقال الملك، ويعتمد عليه.

* * *

﴿ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] وكان هارون أجمل شكلاً، وأفصح لساناً من موسى، فلذلك قال: ﴿ هَٰرُونَ أَخِى ﴾ .

* * *

﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾ قَوِّ به ظهري.

* * *

= يزيد بن هارون، وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضاً».

﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾ الذي حَمَّلْتني. **قرأ** ابن عامر، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (أَخِي أَشْدُدْ) بفتح الألف في الوصل والقطع، (وأُشْرِكْه): بضم الألف، وسكَّنا الياء من (أَخِيْ)، فهما خبر من موسى[١]، فـ(أَشْدُدْ) جزم جواب الطلب كجواب الشرط، (وأُشْرِكْهُ) عطف عليه، المعنى: أعتضد به أنا، وأجعله أنا شريكي، **وقرأ** الباقون: بوصل همزة (اشدد)، وتبتدأ[٢] بالضم، وبفتح همزة (أَشْرِكْهُ) دعاء من موسى، المعنى: افعل أنت اللهم ذلك به، وفتحَ الياء من (أَخِيَ): أبو عمرو، وابن كثير، وسكَّنها الباقون، وهم: نافع، والكوفيون، ويعقوب[٣]، **وقرأ** ابن كثير: (وَأَشْرِكْهُو فِي أَمْرِي) بإشباع الهاء ووصلها بواو في الدرج، والباقون باختلاس ضمتها[٤].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٩-٨٠).

(٢) في «ش»: «تتبدل».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٩).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٠).

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ ﴾ تسبيحاً ﴿ كَثِيرًا ﴾.

* * *

﴿ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَنَذْكُرَكَ ﴾ ذكراً ﴿ كَثِيرًا ﴾ فإن التعاون يهيج الرغبات، ويؤدي إلى تزايد الخير.

* * *

﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ تعلم أحوالنا. **قرأ** أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (نُسَبِّحك كَّثِيراً وَنَذْكُرَك كَّثِيراً إِنَّك كُّنْتَ) بإدغام الكاف في الكاف من الأحرف الثلاثة[(١)].

* * *

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ﴾ طِلْبتك.

﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ مِنَّةً عليك.

* * *

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ قبل هذه المرة.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٠).

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ ﴾.

[٣٨] ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ ألهمناها ﴿ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ ما يُلْهَم.

* * *

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩ ﴾.

[٣٩] ثم فسر الإلهام فقال: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ ﴾ اجعليه ﴿ فِى ٱلتَّابُوتِ ﴾ فأخذت قطناً محلوجاً، ووضعته في التابوت، وألقت موسى فيه، وشدت عليه وأحكمته؛ لئلا يصل إليه الماء، وكان يدخل من النيل نهر إلى دار فرعون ﴿ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ بحر النيل.

﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أي: الجانب، وسمي ساحلاً؛ لأن الماء يسحله؛ أي: يقشره.

﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ وهو فرعون، وهذا إخبار لأم موسى بصيغة الأمر لليم، فألقته فيه، فدخل دار فرعون، فبصر به، فأمر بإخراجه، فأُخرج، وفتحوا التابوت، فإذا فيه صبي أحسن الناس وجهاً، فأخذه فرعون وأحبه هو وآسيا حباً شديداً؛ بحيث لا يصبران عنه، يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ قال ابن عباس: «أحبه وحببه إلى الناس»(١)، والواو بعد عاطفة على محذوف تقديره: ألقيت عليك محبة لتحب.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢١)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ٢٨٤)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ١٩٦).

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ لتربى على حفظي ورعايتي. قرأ أبو جعفر: (وَلْتُصْنَعْ) بإسكان اللام وجزم العين، فيجب له إدغامها، وقرأ الباقون: بكسر اللام ونصب العين[1]، وأبو عمرو ورويس: يدغمان العين في العين على أصلهما في إدغام المتماثلين، وفتح نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو الياء من (عَيْنِيَ)، وسكنها الباقون[2].

***

﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ ﴾ ظرف (لتصنع)؛ لأن أخته مريم خرجت متعرفة خبره، فجاءتهم، وكان لا يقبل ثدي مرضعة ﴿ فَتَقُولُ ﴾ أي: فقالت: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ أي: امرأة تحضنه وترضعه ويقبل ثديها؟ قالوا: نعم، من هي؟ قالت: أمي، قالوا: لها لبن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون، وكان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، فجاءت بالابن[3]، فقبل ثديها.

فذلك قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ بلقائك ﴿ وَلَا تَحْزَنَ ﴾ ليزول حزنها ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا ﴾ هو القبطي، فاغتممت خوفاً من الله تعالى

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨١).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨١).

(٣) في «ت»: «بالأم».

﴿ فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ بأن غفر لك، وأُنجيت من فرعون.

﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ مصدر؛ أي: اختبرناك اختباراً بإيقاعك في المحن، وتخليصك منها ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ عند شعيب، قال وهب: لبث عنده ثمانياً وعشرين سنة: عشر مهر ابنته، وأقام عنده ثماني عشرة سنة حتى ولد له. وتقدم اختلاف القراء في الإدغام والإظهار من (لَبِثْتَ) في سورة الكهف [الآية: ١٩]، ومدين: بين مصر ومكة، مسافتها عن مصر نحو اثني عشر يوماً، وهي منزلة للحجاج، تعرف في هذه الأزمنة بمغارة شعيب، تقدم ذكرها في سورة الأعراف.

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ موعد مقدر في علمي ﴿ يَٰمُوسَىٰ ﴾ أنك تجيء، وأستنبئك فيه، وكان مجيؤه على رأس أربعين سنة، وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء.

* * *

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ ﴾ أي: اصطفيتك ﴿ لِنَفْسِى ﴾ بأن جعلتك نبياً.

* * *

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾ هارون إلى الناس ﴿ بِـَٔايَٰتِى ﴾ التسع.

﴿ وَلَا تَنِيَا ﴾ تفترا.

﴿ فِى ذِكْرِى ﴾ التسبيح والتقديس والالتجاء إلي.

* * *

﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ بإدعائه الربوبية. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (لِنَفْسِيَ اذْهَبْ) (ذِكْرِيَ اذْهَبَا) بفتح الياء فيهما، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ سهلاً؛ أي: ارفقا به، ولا تعنِّفاه، وكَنِّياه؛ لما له من حق التربية، وكان يكنى بأبي مصعب.

﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ الله، فيسلم، قالوا: تذكر فرعون وخشي، وروي أنه أحب اتباع موسى، فشاور هامان، فقال: كنت أرى لك رأياً وعقلاً، أنت الآن ربٌّ تريد أن تكون مربوباً؟! وأنت منا الآن تُعبد، تريد الآن أن تَعبد؟! فقلبه عن رأيه[2].

***

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] وكان هارون يومئذ بمصر، فأمر الله موسى أن يأتي بهارون، وأوحي إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى، فتلقاه إلى مرحلة، وأخبره بما أوحي إليه.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٢-٨٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ٢٨٨).

﴿قَالَا﴾ يعني: موسى وهارون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ يعجل عقوبتنا ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ يجاوز الحد في الإساءة إلينا.

* * *

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بعوني.

﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يصدر منه.

* * *

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ﴾ فأتياه فقالا(١): ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أرسلنا إليك.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بأشغالك الشاقة.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ حجة على صدقنا ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ لأن الرسالة لا تثبت إلا بحجة ظاهرة، قال فرعون: وما هي؟! فأخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ المنجّي من سخط الله تعالى.

﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ التوحيد.

* * *

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بما جئنا به.

﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه.

---

(١) في «ت»: «فَأْتياه فقولا» بصيغة الأمر، والصواب «فأتياهُ فقَالا» بصيغة الماضي.

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ خاطبهما أولاً، ثم خص موسى بالنداء؛ لأنه الأصل، وهارون تابعه.

* * *

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ﴾ أي: أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ أي: عرَّفَ كيف يُرتفق بما أعطى.

* * *

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ سؤال عن حال الأمم الماضية.

* * *

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ عِلْمُهَا ﴾ محفوظ.

﴿ عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ﴾ اللوح المحفوظ.

﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى ﴾ أي: لا يخطىء ﴿ وَلَا يَنسَى ﴾ شيئاً، فلا يترك من كفر به حتى ينتقم منه، ولا من وَحَّده حتى يجازيَه.

* * *

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ قرأ الكوفيون: (مَهْداً) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، مصدر وصف به؛ أي: كالمهد يتمهدونها، وقرأ الباقون: (مِهَاداً) بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها[١]، وهو اسم ما يمهد كالفراش، المعنى: وَطَّأَ لكم الأرض لتسكنوها.

﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي: جعل لكم فيها طرقاً لتسلكوها.

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني: المطر، ثم الإخبار عن موسى ـ عليه السلام ـ، ثم أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن نفسه بقوله:

﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ﴿ مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ مختلفة النفع والطعم واللون، جمع شتيت؛ كمرضى جمع مريض.

* * *

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ كُلُوا۟ ﴾ من النبات ﴿ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ﴾ أسيموها فيه؛ أي: أخرجنا مبيحين لكم الأكل ورعي الدواب.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول جمع نهية؛ لأنها تنهى صاحبها عن القبيح.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٥).

﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ثم عرفهم أن الأرض أصلهم ومصيرهم، فقال: ﴿ ۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ لأنكم من آدم، وآدم من التراب ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ عند البعث ﴿ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

***

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

[٥٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني: فرعون ﴿ كُلَّهَا ﴾ يعني: الآيات التسع، ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ بها ﴿ وَأَبَىٰ ﴾ الإسلام.

***

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ قَالَ ﴾ يعني: فرعون: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾ مصر ﴿ بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ هذا تعلل وتحير، ودليل على أنه علم كونه محقاً حتى خاف منه على ملكه؛ فإن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه.

***

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ أي: بسحر يماثله ﴿ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ أي: فاضرب بيننا وبينك ميقاتاً، والموعد بمعنى: الوعد؛ لقوله:

﴿ لَّا نُخۡلِفُهُۥ ﴾ لا نجاوزه ﴿ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ ﴾ فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان. قرأ أبو جعفر (نُخْلِفْهُ) بإسكان الفاء جزماً جواب الأمر، فتمتنع الصلة، وقرأ الباقون: بالرفع والصلة(١).

﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ يعني وسطاً بين الموضعين؛ أي: نتواعد مكاناً، فتستوي مسافته على الفريقين. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف: (سُوًى): بضم السين، والباقون: بكسرها، وهما لغتان(٢)، وروي عن أبي بكر إمالة (سُوًى) حالة الوقف؛ وفاقاً لمن قرأ بالإمالة، وروي عنه الفتح أيضاً(٣).

***

﴿ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ ﴾ عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة.

﴿ وَأَن يُحۡشَرَ ﴾ أن يُجمع ﴿ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ ضحوةً نهاراً؛ ليكون أبعد من الريبة، وأبينَ لكشف الحق.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٧).

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ ﴾.

[٦٠] ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ﴾ مكره وسحرته، وكانوا اثنين وسبعين، وقيل: أكثر من ذلك، وحضر أهل دولته، وجاء موسى ـ عليه السلام ـ ببني إسرائيل معه.

﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ الموعد.

***

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ۝٦١ ﴾.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ يعني: للسحرة: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ وهذه مخاطبة محذور، وندبهم في هذه الآية إلى قول الحق إذا رأوه، ولا يباهتوا بكذب.

فقال: ﴿ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم ﴾ أي: يهلككم ﴿ بِعَذَابٍ ﴾ عظيم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء، والباقون: بفتحهما، ومعناهما واحد[١].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ على الله تعالى. قرأ حمزة (خَابَ) بالإمالة حيث وقع، واختلف عن ابن ذكوان[٢].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«الكشف» المكي (٢/ ٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٤ـ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٨٨).

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢ ﴾.

[٦٢] ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ يعني: السحرة تناظروا في أمر موسى، وقالوا: إن كان ساحراً، سنغلبه، وإن كان[1] ما يأتي به من السماء، فله أمره.

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ أخفوا كلامهم من فرعون.

***

﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣ ﴾.

[٦٣] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ تفسير لـ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾:

﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ يعني: موسى وهارون. قرأ أبو عمرو: (إِنَّ) بتشديد النون (هَذَيْنِ) بالياء على الأصل، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (إِنْ) بتخفيف النون (هَذَانِ) بالألف، فابن كثير يشدد النون من (هَذَانِّ)، وحفص يخففها؛ أي: ما هذان إلا ساحران؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٦]؛ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، وقرأ الباقون: (إِنَّ) بتشديد النون كأبي عمرو، و(هَذَانِ) بالألف وتخفيف النون من (هَذَانِ) كحفص، فيكون (إِنَّ) بمعنى: نعم، و(هَذَانِ) مبتدأ، و(سَاحِرَانِ) خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة على الجملة، تقديره: هذان لهما ساحران، أو (هذان) مبتدأ، (ساحران) خبره، واللام زائدة[2]، قال

---

(١) «كان» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٨-١٢٩)، =

الكواشي: والقراءة بتشديد (إِنَّ) ونصب (هَذَيْنِ) زعموا أنها مخالفة لخط المصحف، وزعم بعضهم أنما حمله على ذلك خشية اللحن، وهذا طعن في عدالة أبي عمرو وعلمه؛ لأنه هو الذي قرأها؛ لأن هذا يشعر أنه قرأها من تلقاء نفسه، لم يأخذها متواترة عن النبي ﷺ، وأنه غير عالم بتعليل (إِنَّ هَذَانِ) بالرفع وتشديد (إِنَّ)، وكيف يجوز اعتقاد مثل هذا بمن شهد له بالعدالة والبراعة في علم العربية، حتى زعموا أنه قال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ: (إِنَّ هَذَانِ) يعنون: بالرفع وتشديد (إِنَّ)، وكيف يجوز أن يعتقد بأحد من المسلمين أنه يستحيي من قراءة ما صح وتواتر عن النبي ﷺ، مع أن أبا عمرو وغيره من الأئمة كانوا ينشدون ويسمعون الأشعار المنحولة والغريبة، ولا يؤخذ ذلك عليهم، انتهى.

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾ بدينكم وشريعتكم ﴿الْمُثْلَى﴾ تأنيث الأمثل، وهو الأعدل.

***

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤)﴾.

[٦٤] ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: (فَاجْمَعُوا) بوصل الهمزة وفتح الميم من جَمَع: لمّ؛ أي: لا تتركوا منه شيئاً. وقرأ الباقون: بالقطع وكسر الميم[1]؛ من أجمع: أحكم؛ أي: أحكموا ما تكيدون به موسى، واعزموا كلكم على كيده مجتمعين له، ولا تختلفوا فينحل أمركم.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٠).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩١).

﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ أي: مصطفين؛ ليكون أهيب في صدور الناس، فجاؤوه في سبعين صفاً، كل صف ألف، فثَمَّ رغبهم فرعون في غلب موسى بما هو اعتراض فقال: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ فاز بالمطلوب ﴿مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ غلب.

* * *

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾.

[٦٥] ﴿قَالُواْ﴾ يعني: السحرة تأدباً: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾.

* * *

﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾.

[٦٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ ما معكم؛ احتقاراً لهم، وليظهر الحق من الباطل، فألقوه.

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ﴾ جمع العصا ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر، وروح عن يعقوب: (تُخَيَّلُ) بالتاء مضمومة على التأنيث مع فتح الياء لتأنيث جماعة الحبال والعصي، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير[١]، ردوه إلى الكيد أو السحر.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» للطبراني (٧/ ١٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٢).

﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ روي أنهم ألقوا حبالهم وعصيهم، ولطخوها بالزئبق، فلما ضربت عليها الشمس، اضطربت، فخيل إليه وإلى الناس أنها تسير وتتحرك، وكانت قد أخذت ميلاً من كل جانب.

* * *

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر ﴿فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ ظناً منه أنها تقصده كعادة البشر.

* * *

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨﴾.

[٦٨] ﴿قُلْنَا﴾ لموسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي[1]: الغالب القاهر لهم.

* * *

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾.

[٦٩] ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ من العصا ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْ ۖ﴾ بقدرة الله تعالى. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (تَلَقَّفُ) برفع الفاء على الحال والاستئناف، وقرأ حفص عن عاصم: بإسكان اللام مع تخفيف القاف والجزم، وقرأ الباقون: بتشديد القاف والجزم جواب (وَأَلْقِ)، فالفاعل موسى، نسب إليه التلقف؛ لأنه كان بسببه، والبزي عن ابن كثير:

---

(١) «أي» ساقطة من «ت».

على أصله في تشديد التاء من (تَّلَقَّفْ) وصلاً؛ كأنه أراد: تتلقف، فأدغم(١).

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ﴾ مكر ﴿سَٰحِرٍ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سِحْرٍ) بكسر السين [وإسكان الحاء من غير ألف؛ أي: حيلة سحر، وقرأ الباقون: بالألف وفتح السين](٢) وكسر الحاء، بإضافة الكيد إلى الفاعل، وهي أولى من إضافته إلى الفعل، وإن كان ذلك لا يمتنع في العربية(٣) ﴿وَلَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿ٱلسَّاحِرُ﴾ المراد: الجنس ﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ من الأرض.

* * *

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾.

[٧٠] فألقى موسى عصاه، فالتقمت ما جاؤوا به، فتحقق عند السحرة أنه ليس بسحر، وإنما هو من آيات الله ومعجزاته ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ شكراً لله على الهداية، روي أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في سجودهم، ثم رفعوا رؤوسهم.

و﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدم هارون؛ لكبر سنه.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٣).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٤).

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ قرأ حفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب، وقنبل عن ابن كثير بخلاف عنه: (أَمَنْتُمْ) بهمزة واحدة على الخبر، والباقون: بهمزتين على الاستفهام، فحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وخلف، وروح عن يعقوب يقرؤون بتحقيق الهمزتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، ولم يدخل أحد منهم ألفاً بين الهمزة المحققة والمسهلة في هذا المحل؛ كما أدخلها من أدخلها منهم في (أَأَنْذَرْتَهُمْ) وبابه؛ لكراهية اجتماع ثلاث ألفات بعد الهمزة[١]، وأبو عمرو يدغم التاء في السين من قوله: (السَّحَرَة سُّجَّداً)[٢]، ومعنى الكل إنكار؛ أي: أصدقتم لموسى، وآمنتم بربه من غير أمري إياكم.

﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ لرئيسكم ومعلمكم.

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ وأنتم تواطأتم على ما فعلتم.

﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى، و(مِنْ) لابتداء الغاية؛ لأن القطع مبتدأ من مخالفة العضو العضو؛ أي:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٨-٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٥).

لأقطعنها مختلفات، وابتداء الغاية داخلها[1] بالاتفاق، لا انتهاؤها عند المالكية والشافعية والحنابلة، وعن أبي بكر من أصحاب أحمد: إن كانت الغاية من جنس المحدود كالمرافق، دخلت، وإلا، فلا، وعند الحنفية: إن قامت الغاية بنفسها، لم تدخل؛ كبعتك من هنا إلى هنا، وإن تناوله صدر الكلام، فالغاية لإخراج ما وراءه؛ كالمرافق، والغاية في الخيار، ومنع أبو حنيفة دخول العاشر في قوله: من درهم إلى عشرة ونحوِه، وأدخله صاحباه.

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ أي: عليها ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ ﴾ يريد: نفسَه وربَّ موسى عليه السلام ﴿ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ وأدوم عقاباً.

* * *

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ ﴾ لن نختارك ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الدلالات على صدق موسى ﴿ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ ﴾ أي: ولن نؤثرك على الله الذي فطرنا، فالواو في قوله: (وَالَّذِي) عاطفة، وقيل هي واو قسم، و(فَطَرَنا) معناه: خلقنا واخترعنا.

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ ﴾ فافعل يا فرعون ما شئت. روي عن يعقوب وقنبل: الوقف بالياء على (قَاضِي)[2] ﴿ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ إنما

---

(١) في «ت»: «داخل».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧٢).

تحكم فينا مدة حياتنا؛ فإن سلطانك في الدنيا، وسيزول عن قريب.

***

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ ولما رأوا موسى تحرسه عصاه وهو نائم، قالوا: ليس بساحر؛ لأن الساحر يبطل سحره إذا نام، فكرهوا معارضته خوفَ الفضيحة، فأكرههم فرعون على الإتيان بالسحر، فذلك قوله:

﴿ وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ ﴾ و(ما) موصولة منصوبة عطف على (خَطَايَانَا) أي: ليغفر خطايانا، والذي أكرهتنا عليه ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾ عطاءً منك إذا أُطيع ﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ عقاباً منك إذا عُصي، وهذا جواب لقوله: ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧١].

***

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ ﴾ أي: يأت موعدَ ربه.

﴿ مُجْرِمًا ﴾ أي: مشركاً، والمجرم: من اكتسب الخطايا والجرائم.

﴿ فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة ينتفع بها.

قالت فرقة: هذه الآية بجملتها هي من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تعالى لمحمد ﷺ؛ تنبيهاً على قبح ما فعل فرعون، وحسنِ ما فعل السحرة، وموعظة وتحذيراً.

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا ﴾ أي: مات على الإيمان.

﴿ قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ في الدنيا.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ هي القرب من الله تعالى. **قرأ** السوسي عن أبي عمرو: (يَأْتِهْ) بإسكان الهاء، (مُومِناً) بإسكان الواو بغير همز، **وقرأ** أبو جعفر، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب: باختلاس كسرة الهاء، بخلاف عنهم، إلا رويس، **وقرأ** الباقون: بإشباع الهاء، وكلها لغات(١).

* * *

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ أي: أطاع الله، وأخذ بأزكى الأمور.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (أَنِ اسْرِ) بوصل الألف؛ من

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٩-٣١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٧).

سرى، ويكسرون النون من (أن) للساكنين وصلاً، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة؛ من أسرى، ومعناهما واحد، وهو سير الليل، وحمزة يسكت على الساكن قبل الهمزة[1].

﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ أي: اجعل ﴿لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ بالضرب بالعصا ﴿يَبَسٗا﴾ يابساً، ليس فيه ماء ولا طين، وذلك أن الله أيبس له الطريق في البحر، وتقدم ذكر القصة في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [الآية: ٥٠].

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ لحاقاً. قرأ حمزة: (لاَ تَخَفْ) بالجزم على النهي، وقرأ الباقون: بالألف والرفع على النفي[2]؛ لقوله: ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ المعنى: لا تدرَك وأنت آمن.

***

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾.

[٧٨] ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ﴾ فلحقهم ﴿فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وكان هو فيهم.

﴿فَغَشِيَهُم﴾ فغطاهم ﴿مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ ما غرقهم، وهو إبهام أهول من النص.

***

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٥٣٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٨).

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ ﴾ من أول أمره وإلى هذه النهاية، ثم أكد تعالى بقوله:

﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ مقابلة لقول فرعون ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩].

***

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

[٨٠] ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ فرعون.

﴿ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴾ لما جاءه موسى، وإنزال التوراة عليه.

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ ظاهر هذه الآية أن القول قيل لبني إسرائيل حينئذ عند حلول هذه النعم التي عدّد الله عليهم، وبين خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة وحوادث.

***

﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ .

[٨١] ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ لذائذه ﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ لا تجاوزوا حد الله لكم فيه؛ كالسرف والبطر والمنع عن المستحق.

﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ﴾ فيلزمكم[1] عذابي.

(١) في «ت»: «فليلزمكم».

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ هلك. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (أَنْجَيْتُكُمْ) (وَوَعَدْتُكُمْ) (مَا رَزَقْتُكُمْ) بالتاء المضمومة على لفظ الواحد من غير ألف في الثلاثة، **وقرأ** أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (وَعَدْنَاكُمْ) بالنون مفتوحة وبعدها ألف؛ من الوعد، **وقرأ** الباقون، وهم نافع، وابن كثير، وعاصم، وابن عامر: (وَاعَدْنَاكُمْ) بألف بين الواو والعين؛ من المواعدة[1]، **وقرأ** الكسائي: (فَيَحُلَّ عَلَيْكُمْ) بضم الحاء، (وَمَنْ يَحْلُلْ) بضم اللام الأولى؛ أي: ينزل، **وقرأ** الباقون: بكسر الحاء واللام منهما[2]؛ أي: يجب، والحرف الثالث مجمَع عليه، وهو الآتي قريباً.

* * *

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك.

﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدى الفرائض.

﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ لزم السنة.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٩٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٠ـ١٠١).

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ولما سار موسى بسبعين رجلاً لمناجاة ربه وللإتيان بالتوراة، فلما قرب من الطور، أسرع المسير نحوه شوقاً إلى مناجاة ربه .

فقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾ أي: أيُّ شيء أوجب سبقك وعجلتك .

﴿ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ ؟

* * *

﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] واقتضى السؤال عن السبب السؤال عن العذر، فقدم العذر اعترافاً منه بالنقص تأدباً مع الله تعالى ﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ ﴾ بالقرب مني يأتون .

﴿ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ ما تقدمتهم إلا بخطا يسيرة لا يُعتد بها عادة، ثم ذكر موجب العجلة فقال :

﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك توجب مرضاتك. قرأ رويس عن يعقوب: (إِثْرِي) بكسر الهمزة وإسكان الثاء، والباقون: بفتحها(١) .

* * *

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾ أي: ابتلينا الذين خلفتهم مع

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٢).

هارون، وكانوا ست مئة ألف، فافتتنوا بالعِجْل غير اثني عشر ألفاً من بعد انطلاقك إلى الجبل.

﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ بصياغته له؛ لأنه كان سبب ذلك، وكان منافقاً من طائفة من بني إسرائيل يقال لها: السامرة أظهروا الإسلام.

***

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ ﴾ شديد الغضب.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ ﴾ أي: صدقاً، وهو أربعون ليلة.

﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾ أي: مدة ذهابي عنكم.

﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ ﴾ يجب.

﴿ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ عهدي.

***

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ أي: باختيارنا. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: (بِمَلْكِنَا) بفتح الميم، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضمها، والباقون: بكسرها، وكلها لغات بمعنى واحد(١)، وقيل: ضم

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٥)، و«النشر في=

الميم معناه: لم يكن لنا ملك، فنخلف موعدك بقوته وسلطانه، وإنما أخلفناه بنظر أدى إليه ما فعل السامري، وفتح الميم من (مَلْك)، والمعنى: ما فعلنا ذلك بأنا ملكنا الصواب، ولا وُفِّقنا له، بل غلبتنا أنفسُنا، وكسر الميم قد كثر استعماله فيما تحوزه اليد، ومعناها كالتي قبلها.

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب: (حَمَلْنَا) بفتح الحاء والميم مخففة؛ أي: حملنا نحن. وقرأ الباقون: بضم الحاء وكسر الميم مشددة مجهولاً[1]؛ أي: حَمَّلَنا غيرُنا.

﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ من حلي قوم فرعون كانوا استعاروها بسبب عرس، فبقيت عندهم، وكانت معهم حين خرجوا من مصر.

﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي: طرحنا الحلي في حفيرة.

﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ أي: إلقاءً مثلَ إلقائهم.

﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من الحلي.

* * *

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ من تلك الحلي المذابة.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٣_١٠٤).

(١) المصادر السابقة.

﴿ عِجْلًا جَسَدًا ﴾ مجسداً ﴿ لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ صوت يُسمع .

﴿ فَقَالُواْ ﴾ أي : السامري وأتباعه ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ أي : تركه موسى هاهنا ، وذهب يطلبه ، تلخيصه : غلبنا بسبب كيد السامري .

* * *

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ ﴾ أي : يعلمون .

﴿ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ لا يرد عليهم جواباً .

﴿ وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ لأنه عاجز عن ذلك ، فكيف يتخذ إلهاً ؟! هذا غاية الجهل .

* * *

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾ .

[٩٠] ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ قبل أن يرجع إليهم موسى :

﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾ أي : بالعجل محنةً واختباراً ، فلا تعبدوه .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ لا شريك له .

﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ على ديني في عبادة الله ﴿ وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴾ الذي أمركم به .

* * *

﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ .

[٩١] ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ أي : لا نزالُ نعبدُه .

﴿ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ فاعتزلهم هارون بمؤمنيه .

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

[٩٢] فلما رجع موسى، وسمع الصياح، وكانوا يرقصون حول العجل، قال للسبعين الذين كانوا معه: هذا صوت الفتنة، فلما بصر بهارون، أخذ شَعره بيمينه، ولحيته بشماله، و﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴾ بعبادة العجل.

* * *

﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ ﴾ .

[٩٣] ﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ ﴾ (لا) زائدة، المعنى: أي شيء صدَّكَ عن قتالهم وصدّهم واللحوق بي؟ أثبت نافع وأبو عمرو الياء في (تتَّبِعَني) وصلاً، وأثبتها في الحالين: أبو جعفر، وابن كثير، ويعقوب، وفتحها أبو جعفر وصلاً، وحذفها الباقون في الحالين(١).

﴿ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴾ بالصلابة في الدين والمحاماة عليه؟

* * *

﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ .

[٩٤] ﴿ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ ﴾ أي: بشعر رأسي، وكان قد أخذ ذؤابته. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٥).

عاصم: (يَبْنَؤُمِّ) بكسر الميم على حذف الياء تخفيفاً، والباقون: بفتحها[1]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (بِرَأْسِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ إذا قاتلت أحدَ الفريقين بالآخر.

﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ لم تحفظ وصيتي حين قلت لك: ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢]؛ أي: ارفق بهم.

* * *

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ثم أقبل موسى على السامري ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ أي: ما طلبك.

﴿ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾ وما الذي حملك على فعلك؟

* * *

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟﴾ أي: علمت ما لم يعلموا ﴿ بِهِۦ﴾. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (تَبْصُرُوا) بالتاء على الخطاب، والباقون: بالغيب على الخبر[3].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٧)، =

﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ أخذت ملء كفي من تراب موطىء فرس جبريل عليه السلام.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ألقيتها في فم العجل المصاغ. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب: (فَنَبَذْتُهَا) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[1]، فإن قيل: كيف عرفَ جبريلَ ورآه من بين سائر الناس؟ قيل: لأن أمه لما ولدته في السنة التي يقتل فيه البنون، وضعته في كهف حذراً عليه، فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام ليربيه لما قضى على يديه من الفتنة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: كما حدثتك ﴿ سَوَّلَتْ﴾ زينت.

﴿لِي نَفْسِي﴾ وحسنته لي.

* * *

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾.

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا طريداً ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾ طول عمرك. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير،

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٧).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٨ـ٩ و١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٨).

وعاصم، ويعقوب، وخلف عن حمزة: (فَاذْهَبْ فَإِنَّ) بإظهار الباء عند الفاء، والباقون: بالإدغام[1].

﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ لا مخالطة مع أحد، فكان يهيم في البرية مع الوحوش والسباع، وإذا مس أحداً، أو مسه أحد، حُمَّا جميعاً، فكان إذا رأى أحداً قال: لا مساس؛ أي: لا تقربني، وفر منه، عاقبه الله بذلك، وروي أن ذلك موجود في أولاده إلى الآن.

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ يا سامري ﴿مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابك يوم القيامة.

﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بكسر اللام؛ من أخلفتُ الموعدَ: غبت عنه؛ أي: لن تتخلف أنت عن الإتيان إلى الموعد، وهو الحشر، بل تصل إليه، وقرأ الباقون: بفتح اللام[2]؛ أي: لن تخلف الموعد، بل تبعث إليه.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ بزعمك.

﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: دمت عليه مقيماً.

﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ قراءة الجمهور: بضم النون وفتح الحاء وكسر الراء مشددة؛ من الإحراق بالنار، وقرأ أبو جعفر: بضم النون وإسكان الحاء وكسر الراء خفيفة، ومعناه كالأول، وروي عنه وجه ثان: بفتح النون وإسكان الحاء وضم الراء خفيفة، وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٠٩).

عنه[1]؛ أي: لنبردنه، ومنه قيل للمبرد: المحرق.

﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ لنذرينه ﴿فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ لا يصادف منه شيء.

روي أن موسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم؛ لأنه كان قد صار لحماً ودماً، ثم أحرقه بالنار، ثم ذراه في البحر، وروي أنه ذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في البحر[2]، وتقدم ذكر القصة في سورة البقرة [الآية: ٥٢].

* * *

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ إذ لا أحدَ يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز؛ أي: وسع علمه كل شيء.

* * *

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مخاطبة للنبي ﷺ؛ أي: مثل ما ذكرناه لك من أخبار بني إسرائيل ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ أخبار.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣٨)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٣٢١)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٢٩٢)، و«تفسير اللباب» لابن عادل (٢/ ٣٧٧).

﴿ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ من أخبار الأمور الماضية والأمم؛ تبصرة لك، وزيادة في علمك.

﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ يعني: القرآن، وقيل: ذكراً جميلاً، وصيتاً عظيماً بين الناس.

* * *

﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ﴾ عن القرآن، فلم يؤمن به.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ إثماً ثقيلاً، ووحد الضمير في (فإنه) رداً إلى لفظ (مَنْ).

* * *

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ في عقاب الوزر، والجمع في (خالدين) نظراً إلى المعنى، ونصبه حال من ضمير (يحمل).

﴿ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾ بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم كفراً بالقرآن.

* * *

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ القرن. قرأ أبو عمرو: (نَنْفُخُ) بنون مفتوحة وضم الفاء إخباراً عن الله تعالى؛ لقوله: (وَنَحْشُرُ)، وقرأ الباقون:

بالياء وضمها وفتح الفاء مجهولاً[1] ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ المشركين.

﴿يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ زرق العيون من العطش.

* * *

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣﴾.

[١٠٣] ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارون ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ ويتكلمون خفية؛ لهول ذلك اليوم قائلين: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ في الدنيا، وقيل: في القبور؛ استقصاراً لمدة لبثهم فيها.

﴿إِلَّا عَشۡرٗا﴾ ليالي. وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الإدغام والإظهار من (لَبِثْتُمْ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَبِثۡتَ سِنِينَ﴾ [طه: ٤٠].

* * *

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤﴾.

[١٠٤] قال الله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: يتسارون بينهم.

﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾ أعقلهم وأعدلهم وأوفرهم رأياً:

﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾ قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٢).

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ولما سئل رسول الله ﷺ: ما يُصنع بالجبال يوم القيامة؟ أنزل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾(١) يقلعها من أصلها، ويجعلها كالرمل.

* * *

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾.

[١٠٦] ثم يرسل الرياح عليها ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي: يترك أماكنها.

﴿ قَاعًا ﴾ مستوياً من الأرض ﴿ صَفْصَفًا ﴾ أملس لا نبات فيه.

* * *

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾.

[١٠٧] ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ أودية ﴿ وَلَآ أَمْتًا ﴾ ارتفاعاً.

* * *

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾.

[١٠٨] ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ ﴾ المنادي للحشر، وهو إسرافيل ـ عليه السلام ـ حين ينادي: أيتها العظام البالية، والجلود المتمزقة، واللحوم المتفرقة! هلمي إلى عرض الرحمن، فيأتون سريعاً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣٩)، و«تفسير النسفي» (٣/ ٦٧).

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يعوج مدعو عن صوته، بل يتبعه من غير انحراف عنه.

﴿وَخَشَعَتِ﴾ خفيت وذلت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ﴾ أي: أربابها.

﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ هيبة وإجلالاً.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ صوتاً خفياً؛ من هميس الإبل، وهو صوت أقدامها إذا مشت، المعنى: لا تسمع إلا مشي الأقدام بخفاء إلى المحشر خوفاً.

* * *

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا (١٠٩)﴾.

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ لأحد من الناس ﴿إِلَّآ﴾ شفاعة.

﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع فيشفع.

﴿وَرَضِيَ لَهُۥ﴾ للمشفوع فيه ﴿قَوْلًا﴾ بأن قال: لا إله إلا الله.

* * *

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا (١١٠)﴾.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: يعلم تعالى جميع أحوالهم؛ يعني: الذين يتبعون الداعي.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ﴿عِلْمًا﴾ لا يدركونه، ولا يعلمون ما هو صانع بهم، ونصب (علماً) تمييز.

* * *

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)﴾.

[١١١] ﴿۞ وَعَنَتِ﴾ خضعت ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ وجوه العصاة.

﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: خسر من أشرك بالله، والظلم: الشرك.

* * *

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾.

[١١٢] ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ قرأ ابن كثير: (فَلاَ يَخَفْ) مجزوماً على النهي جواب[1] لقوله: (وَمَنْ يَعْمَلْ) نهى المؤمن الصالح أن يخاف، وقرأ الباقون: (فَلاَ يَخَافُ) مرفوعاً استئنافاً[2]؛ أي: فهو ليس يخاف.

﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ نقصاً من حسناته.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما بيناه في هذه السورة.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: هذا الكتاب.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلسان العرب.

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾ كررنا في القرآن ﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ وعيداً.

---

(١) في «ت»: «جواباً».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٣).

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الشرك ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ﴾ الوعيد.

﴿ ذِكْرًا ﴾ اعتباراً وعظة بهلاك من تقدمهم.

* * *

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾.

[١١٤] ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ عما يقول المشركون.

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ أي: بقراءته.

﴿ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ قراءته؛ أي: تثَبَّتْ حتى يفرغ جبريل من قراءته، ثم اقرأه؛ لأنه كان ﷺ يسابق جبريل خوفَ النسيان[(١)]. قرأ يعقوب: (نَقْضِيَ) بالنون مفتوحة وكسر الضاد وفتح الياء نصباً على تسمية الفاعل (وَحْيَهُ) بالنصب، وقرأ الباقون: (يُقْضَى) بالياء مضمومة وفتح الضاد، ورفع (وَحْيُهُ)[(٢)].

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ بالقرآن؛ أي: حفظاً وفهماً.

* * *

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾.

[١١٥] ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ ﴾ أوصيناه ألا يأكل من الشجرة.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٤٢)، وأخرج نحوه ابنُ أبي حاتم عن السُّدي، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٥-٣٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٤).

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا الزمان ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ صبراً عما نُهي عنه.

وعطف قصة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان، وعرقهم راسخ في النسيان، قال ابن عباس: «إنما سمي الإنسان إنساناً؛ لأنه عُهد إليه، فنسي»[1].

* * *

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ أن يسجد. قرأ أبو جعفر: (لِلْمَلاَئِكَةُ اسْجُدُوا) بضم التاء حالة الوصل إتباعاً، وروي عنه: إشمام كسرتها الضم، والوجهان صحيحان عنه[2]، وتوجيه قراءته مستوفًى في سورة البقرة [الآية: ٣٤].

* * *

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾.

[١١٧] ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٩)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٩٢٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٠-٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٥).

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ فتتعب في الدنيا بتحصيل ما يُحتاج إليه منها؛ كمأكل ومشرب وملبس، وخص آدم بالشقاء؛ لأن طلب المكاسب غالباً يكون بالرجال.

* * *

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾.

* * *

﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾.

[١١٩] ﴿ وَأَنَّكَ ﴾ قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: (وَإِنَّكَ) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون: بالفتح نسقاً على قوله: (أَلاَّ تَجُوعَ)(١).

﴿ لَا تَظْمَؤُا۟ ﴾ تعطش ﴿ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ تبرز للشمس؛ لأنه ليس في الجنة شمس، وأهلها في ظل ممدود.

* * *

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

[١٢٠] ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ فأنهى إليه وسوسة.

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ أي: من أكل منها لا يموت.

﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ لا يفنى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٦).

﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

[١٢١] ﴿ فَأَكَلَا ﴾ يعني: آدم وحواء ﴿ مِنۡهَا ﴾ وسارعت إلى ذلك حواء، فلما رآها آدم قد أكلت، أكل، فطارت عنهما ثيابهما.

﴿ فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ أي: عوراتهما.

﴿ وَطَفِقَا ﴾ جعلا ﴿ يَخۡصِفَانِ ﴾ يلصقان.

﴿ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾ ويضمان شيئاً إلى شيء يستتران بالورق، وهو ورق التين.

﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ ﴾ بأكل الشجرة ﴿ فَغَوَىٰ ﴾ أي: ضلَّ عن المطلوب منه.

***

﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة؛ من جبيت الشيء: قربته إلي، وجمعته بي.

﴿ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ قَبِلَ توبته ﴿ وَهَدَىٰ ﴾ هداه إلى المداومة على التوبة.

***

﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

[١٢٣] ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا ﴾ يا آدم وحواء ﴿ مِنۡهَا ﴾ ثم أخبرهما أن إبليس والحية يهبطان معهما بقوله: ﴿ جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ ﴾ يا ذرية آدم وإبليس ﴿ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ ﴾ إلى يوم القيامة، و(عدو) يوصف به الواحد والاثنان والجمع.

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم ﴾ يا آدم وحواء، وجُمعا؛ لأنهما أصل البشر ﴿ مِّنِّي هُدًى ﴾ دعاء شرعي، وقوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم ﴾ شرط، وجوابه في قوله:

﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ رسولي وكتابي. قرأ الدوري عن الكسائي: (هُدَايَ) بالإمالة(١).

﴿ فَلَا يَضِلُّ ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

[١٢٤] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ أي: القرآن، وكفر به.

﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ ضيقاً ونكداً شاقاً من العيش.

﴿ وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ البصر، وقيل: أعمى عن الحجة.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾.

[١٢٥] ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ بحجتي، أو بالعين، روي أنه يحشر من قبره بصيراً، فإذا سيق إلى الموقف، عمي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (حَشَرْتَنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٢).

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٩).

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

[١٢٦] ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾ أي : مثل ما ﴿ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ ﴾ تركت العمل بها .

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثل تركك آياتنا ﴿ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ أي : تترك في النار كالمنسي .

***

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

[١٢٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ومثل جزائنا المعرضَ عن آياتنا .

﴿ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ ﴾ أشرك .

﴿ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ وهو حشره أعمى أبداً .

﴿ أَشَدُّ ﴾ مما يعذب به في الدنيا والقبر .

﴿ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ أدومُ ضراً من ضيق العيش في الدنيا .

***

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

[١٢٨] ثم ابتدأ يوبخهم ويذكرهم العبر بقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ أي : يبين الله لهم . قرأ زيد عن يعقوب : (نَهْدِ) بالنون ، والباقون : بالياء[1] ، والمراد : كفار مكة .

---

(١) ذكرها القرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢٦٠) من قراءة ابن عباس والسّلمي .

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ أي: الأمم.

﴿ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ ديارهم ومنازلهم إذا سافروا، والخطاب لقريش، كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وثمود وقريات لوط.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول.

* * *

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾.

[١٢٩] ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ ﴾ أي: حكمة.

﴿ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير العذاب.

﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ أي: لازماً لهم في الدنيا.

﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ مضروب، وهو يوم القيامة، معطوف على (كَلِمَةٌ) فيه تقديم وتأخير تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجلٌ مسمى، لكان لزاماً.

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ فيك، وهذا منسوخ بآية القتال ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ أي: صل ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: وأنت حامد؛ بأن وُفِّقت للتسبيح.

﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ هي صلاة الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ وهي صلاة العصر.

﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته جمع أَنِيٍّ؛ كنجيٍّ، وإنًا؛ كمِعًى ﴿فَسَبِّحۡ﴾ والمراد: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ صلاة الظهر، سميت طرفاً؛ لأنها في آخر الطرف الأول من النهار، وأول الطرف الآخر منه، فهو في طرفين منه؛ أي: سبحه في جميع الأوقات.

﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (تُرضَى) بضم التاء مجهولاً؛ أي: يرضاك ربك، وقرأ الباقون: بفتحها؛ أي: ترضى بما تُعطى من الثواب يا محمد(1).

* * *

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾.

[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾ لا تنظر ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ﴾ أعطينا ﴿أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي: أصنافاً من الكفرة ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ **قراءة العامة**: بجزم الهاء؛ أي: زينتها، **وقرأ** يعقوب: بفتح الهاء(2)؛ أي: نور النبات.

﴿لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ لنجعل فتنتهم فيما أعطيناهم.

﴿وَرِزۡقُ رَبِّكَ﴾ ثوابه في الميعاد.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٥)، «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٤٨). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢٢).

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ مما رزقوا.

* * *

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ أي: أهل بيتك ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ مع ائتمارك بها ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ أنت وهم ﴿عَلَيْهَا﴾ على الإتيان بها؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لا نكلفك رزق نفسك ولا غيرك.

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم.

﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾.

روي أنه ﷺ كان إذا أصاب أهلَه ضرٌّ، أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية.

* * *

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾.

[١٣٣] ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: المشركين.

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد.

﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ كموسى وعيسى.

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وابن جماز عن أبي جعفر: (تَأْتِهِمْ) بالتاء؛ لتأنيث البينة، وقرأ الباقون:

بالياء على التذكير[1]؛ لتقدم الفعل، ولأن البينة هي البيان، فرد إلى المعنى.

﴿بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ما في الكتب المتقدمة من أخبار الأمم التي أهلكت لما اقترحوا الآيات، فأتتهم، فلم يؤمنوا بها.

* * *

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل محمد.

﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة.

﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلاَّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدعونا.

﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا.

﴿وَنَخْزَىٰ﴾ بالعقاب يوم القيامة.

* * *

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

[١٣٥] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾ منتظر، نحن نتربص بكم العذاب، وأنتم تتربصون بنا الدوائر ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ فانتظروا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢٣).

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ إذا جاء أمر الله، وقامت القيامة.

﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ الطريق المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ من الضلالة؛ أي: ستعلمون من هذا[1]، والله سبحانه أعلم.

* * *

(١) «من هذا» زيادة من «ت».

سورة الأنبياء

مكية بإجماع، وآيها مئة واثنتا عشرة آية، وحروفها: أربعة آلاف وثماني مئة وتسعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وثمان وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾.

[١] ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ أي: وقت حسابهم؛ يعني: يوم القيامة، نزلت تخويفاً لمنكري البعث، وهي عامة في جميع الناس، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ عما يُفعل بهم ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ من التأهب لذلك المقام.

روي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جداراً، فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا أنزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل اليوم: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ فنفض يده من البنيان وقال: والله لا بنيت أبداً، وقد اقترب الحساب(١).

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٦٦).

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ يعني: المشركين

﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ يعني: القرآن ﴿مُّحْدَثٍ﴾ أي: محدث التنزيل، لا نفس القرآن؛ أي: ما يأتيهم شيء من القرآن.

﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ مستهزئين به؛ لفرط غفلتهم.

* * *

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عما يراد منها.

﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ وأخفوا ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ هي التناجي سراً؛ أي: كتموا ما تناجَوْا به.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركوا، ثم بين الله تعالى سرهم الذي تناجوا به، وهو قول بعضهم لبعض: ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ثم قال بعضهم لبعض على جهة التوبيخ في الجهالة: ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾ أفتحضرون السحر؛ أي: ما يقول، شبهوه بالسحر، المعنى: أفتتبعون ﴿ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر؟!

* * *

﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿قُل﴾ أمر للنبي ﷺ أن يقول لهم وللناس أجمعين: ﴿رَبِّى يَعْلَمُ

﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي: أقوالكم ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو بالمرصاد في المجازاة عليها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (قَالَ رَبِّي) بألف بعد القاف؛ أي: أخبرهم النبي ﷺ أن ربه يعلم القول. وقرأ الباقون: بغير ألف على الأمر، وتقدم معناه، وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار(١).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

***

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ﴾ أخلاط أحلام رآها في النوم.

﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه.

﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أي: كذاب، وما جاءكم به شعر؛ يعني: أن المشركين اقتسموا القول فيه، ولما اقتضت الآية المتقدمة أنهم قالوا: إن ما عنده سحر، عدد الله في هذه الآية جميع ما قالته طوائفهم، ووقع الإضراب بكل مقالة عن المتقدمة؛ ليبين اضطراب أمرهم، فبعد اختلافهم في القرآن، رجعوا إلى مقترحهم من الآيات.

فقالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ كالناقة والعصا.

﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بالآيات.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٢٩).

﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾.

[٦] فنزل: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم﴾ قبل مشركي قريش ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أي: أهل قرية عند مجيء الآيات التي اقترحوها، فلذلك ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ﴾ وهذه الأمة موعودة ألاَّ تستأصل إلى قيام الساعة، فلذلك لم تُعط مقترحَها.

﴿أَفَهُمۡ﴾ أي: كفار قريش ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ عند مجيء الآيات؟! هم أعتى من ذلك.

***

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾.

[٧] ونزل جواب ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ وطلبهم(١).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (نُوحِي) بالنون وكسر الحاء على لفظ الجمع، وقرأ الباقون: بالياء وفتح الحاء على ما لم يُسم فاعله(٢).

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ أهلَ العلم بالكتابين. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوا) بالنقل، والباقون: بالهمز(٣) ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

***

---

(١) «وطلبهم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٠).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٠).

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ثم أعلم تعالى أنه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ ﴾ أي: الأنبياء ﴿ جَسَدًا ﴾ ولم يقل: أجساداً؛ لأنه اسم جنس.

﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ هذا رد لقولهم ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الفرقان: ٧]؛ أي: لم نجعل الرسل ملائكة، بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ الذي وعدناهم بإهلاك أعدائهم.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ من المؤمنين بهم.

﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ المفرطين في غَيهم وكفرهم.

* * *

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا معشر قريش ﴿ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ ﴾ شرفكم وما تحتاجون إليه من مصالح دينكم ودنياكم ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتؤمنون.

* * *

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ أهلكنا ﴿ مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ أي: كافرة؛

يعني: أهلها، والقصم: الكسر بانفصال، ظاهر المعنى: أهلكنا كثيراً من أهل القرى الظالمين.

﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ أي: جئنا ببدلهم، فسكنوا مساكنهم.

* * *

﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ ﴾ أي: المهلكون ﴿ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا ﴾ أي: القرية.

﴿ يَرْكُضُونَ ﴾ مسرعين.

نزلت هذه الآية في أهل حصورا، وهي قرية باليمن كان أهلها من العرب، فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله[1]، فكذبوه وقتلوه، فسلط الله عليهم بُخت نصَّر حتى قتلهم وسباهم، فندموا وانهزموا[2].

* * *

﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] فقالت لهم الملائكة: ﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ ﴾ نُعِّمْتُم ﴿ فِيهِ ﴾ من الدنيا ﴿ وَمَسَٰكِنِكُمْ ﴾ التي كانت لكم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ شيئاً من دنياكم؛ استهزاءً بهم.

* * *

---

(١) «يدعوهم إلى الله» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩).

﴿ قَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] فأتبعهم بخت نصر وأصحابه[1]، وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جوِّ السماء: يا ثارات الأنبياء! فلما رأوا ذلك ﴿ قَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴾ اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف.

* * *

﴿ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَـٰهُمۡ حَصِيدًا خَـٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ ﴾ أي: قولهم: يا ويلنا ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾ سميت لأنهم دعوا ويلهم ﴿ حَتَّىٰ جَعَلۡنَـٰهُمۡ حَصِيدًا ﴾ أي: محصودين بالموت والسيف ﴿ خَـٰمِدِينَ ﴾ ساكنين.

* * *

﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ أي: عبثاً، بل لمصالح الدارين.

* * *

﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا لَّٱتَّخَذۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوًا ﴾ هو الولد والمرأة ﴿ لَّٱتَّخَذۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ من الحور والولدان والملائكة؛ لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره.

---

(١) «وأصحابه» ساقطة من «ت».

﴿ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ولكن لم نفعل؛ لاستحالته في حقنا.

***

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ بَلْ ﴾ إضراب عن اتخاذ اللهو.

﴿ نَقْذِفُ ﴾ نرمي ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ الإيمان.

﴿ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ الشرك ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ يكسره ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ هالك.

﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ اللهَ سبحانه به من الولد ونحوه.

***

﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ عبيداً وملكاً ﴿ وَمَنْ عِندَهُ ﴾ من الملائكة، نسبوا إليه تشريفاً، لا أنه تعالى في مكان.

﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ لا يتعظمون عنها ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ يَعْيَون.

***

﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ يضعُفون، وأصل الفتور: السكون بعد حدَّة.

***

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ أَمِ ﴾ معناها: بل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ ﴾ والهمزة لإنكار اتخاذهم ﴿ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾؛ لأن كل الأصنام منها.

﴿ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ يحيون الموتى؛ زيادة توبيخ؛ أي: ليست آلهتهم كذلك، فهي غير آلهة لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

* * *

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ثم بين تعالى أمر التمانع بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ﴾ أي: في السماء والأرض.

﴿ ءَالِهَةٌ إِلَّا ﴾ أي: غيرُ ﴿ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ وذلك بأنه كان يبغي بعضهم على بعض، ويهلك من فيهما؛ لوجود التمانع؛ لأن كل أمر بين اثنين أو أكثر لا يجري على نظام واحد، ثم نزه تعالى نفسه عما وصفه به أهل الجهالة والكفر فقال: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

* * *

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ثم وصف تعالى نفسه بأنه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ سؤال إنكار؛ إذ له أن يفعل في ملكه ما يشاء؛ لأنه يضع الأشياء في محلها.

﴿ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ لأنهم عبيد حقيقة، وفي أفعالهم خلل كثير.

* * *

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ ﴾ استفهام إنكار، وفي تكرار هذا التقرير مبالغة في الإنكار، وزيادة على الأول، وهي قوله: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ فكأنه قررهم هنا على قصد الكفر بالله تعالى، ثم دعاهم إلى الحجة والإتيان بالبرهان بقوله[1]: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ ﴾ أي: حجتكم على ذلك ﴿هَٰذَاۖ﴾ أي: القرآن ﴿ذِكۡرُ﴾ عظة ﴿مَن مَّعِيَ﴾ على ديني. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2] ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يعني: الكتب المنزلة، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولداً؟ فلما لم يرجعوا عن كفرهم، أضرب عنهم فقال:

﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ أي: جميع الكفار.

﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ القرآنَ والتوحيد؛ لجهلهم.

﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن النظر فيما يجب عليهم.

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

---

(١) «بقوله» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٢).

[٢٥] ولما أخبر تعالى أنهم لا يعلمون الحق لإعراضهم، أتبعَ ذلك بإعلامه أنه ما أرسل قط رسولاً إلا أوحى إليه: أن الله تعالى فرد صمد.

فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ وَحِّدونِ. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (نُوحِي) بالنون وكسر الحاء على التعظيم؛ لقوله: (أَرْسَلْنَا)، وقرأ الباقون: بالياء وفتح الحاء على ما لم يسم فاعله[١]، وقرأ يعقوب: (فَاعْبُدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[٢].

* * *

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه عن ذلك ﴿بَلْ﴾ أي: بل هم.

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ مشرفون؛ يعني: الملائكة، وهذا تكذيب وردّ لقول خزاعة: الملائكة بنات الله، والعبودية تنافي الولادة.

* * *

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: يتبعون أمره، ولا يتقدمون قولَه بقولهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٢).

﴿ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ لا يأتون إلا مراده.

* * *

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ما عملوا، وما هم عاملون.

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ وهو من قال: لا إله إلا الله.

﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ ﴾ هيبته ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾ خائفون.

* * *

﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ثم تهدد المشركين بتهديد من يدعي الربوبية فقال: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي: من جميع الخلائق ﴿ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

وعن ابن عباس قال: «إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء، وعلى الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ، قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾ الآية، وقال لمحمد: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية [الفتح: ١]، قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٣).

الآية[إبراهيم: ٤]، وقال لمحمد: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]»[(١)].

﴿فَذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها.

***

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قرأ ابن كثير: (أَلَمْ) بغير واو كما هي في المصحف المكي، وقرأ الباقون: بواو قبل اللام كما هي في مصاحفهم[(٢)]، المعنى: ألم يعلم الكافرون.

﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا﴾ أي: جنساهما.

﴿رَتۡقٗا﴾ شيئاً واحداً، والرتق: هو الضم والالتحام.

﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ فصلنا بينهما بالهواء، فجعلت السماء سبعاً، والأرض سبعاً، وعلم الكفار ذلك ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ النازل من السماء.

﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ أي: أحييناه به؛ لأنه سبب حياته، والنبات داخل فيه.

﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ مع ظهور الآيات؟!

***

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٣).

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ جبالاً ثوابتَ ﴿ أَن ﴾ أي : لئلاَّ .

﴿ تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي : تتحرك ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ في الرواسي ﴿ فِجَاجًا ﴾ طرقاً واسعة ﴿ سُبُلًا ﴾ تفسير الفجاج ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ إلى مصالحهم .

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾ أي : أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا ﴾ التي فيها من الشمس والقمر والنيرات .

﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يتفكرون فيها ، ولا يعتبرون فيؤمنون .

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ ﴾ تنوينه بدل من محذوف؛ أي : كل واحد من المذكور ﴿ فِي فَلَكٍ ﴾ والفلك : مدار النجوم الذي يضمها ، والفلك في كلام العرب : كل شيء مستدير ، وجمعه أفلاك .

﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ يجرون بسرعة كالسابح ، وذكر ضمير (يسبحون) ، وجمع جمع العقلاء ؛ لوصفهم بالسباحة ، وهي فعل من يعقل .

* * *

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ونزل نفياً للشماتة بالموت لما قال المشركون: إن محمداً سيموت:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾[١] البقاء.

﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ وحذفت الهمزة من (أفَهُم)؛ لدلالة الأولى عليها. قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتَّ) بكسر الميم، والباقون: بضمها[٢].

* * *

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ تزهق بملابسة أيسر جزء من الموت، وهذا تهويل لشأنه.

﴿ وَنَبْلُوكُم ﴾ نختبركم ﴿ بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ ﴾ بالشدة والرخاء، وكل ما يصح أن يكون ابتلاء.

﴿ فِتْنَةً ﴾ امتحاناً وكشفاً؛ ليظهر كيف شكركم فيما تحبون، وكيف صبركم فيما تكرهون.

﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم. قراءة الجمهور: (تُرْجَعُونَ) بالخطاب

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٢٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٤).

بضم التاء وفتح الجيم، ويعقوب: بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الثعلبي عن ابن ذكوان: بالغيب بفتح الياء وكسر الجيم[1].

* * *

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قرأ ورش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عنه: (رَآكَ) و(رَآهُ) و(رَآهَا) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء[2].

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ سخرياً، نزلت في أبي جهل، مر به النبي ﷺ، فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف[3] ﴿أَهَٰذَا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: أهذا ﴿ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم.

﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: بما يذكر به من الوحدانية.

﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ جاحدون، وذلك أنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، و(هُمْ) الثانية صلة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٨).

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ أي: مستعجلاً، هذا توطئة للرد عليهم في استعجالهم العذاب، وطلبهم آية مقترحة، وهي مقرونة بعذاب مجهز، ووصف تعالى الإنسان الذي هو اسم الجنس بأنه خُلق من عجل، وقيل: المراد بالإنسان: آدم عليه السلام؛ لأنه لما دخلت الروح رأسه، أبصر ثمار الجنة، فقام نحوها عَجِلاً قبل أن تبلغ الروح رجليه ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ نقماتي، قيل لهم ذلك على جهة الوعيد أن الآيات ستأتي.

﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ فلا تطلبوا العذاب من قبل وقته، فأراهم يوم بدر. وقرأ يعقوب: (تَسْتَعْجِلُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١].

* * *

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ وقت العذاب.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يعنون: النبي ﷺ وأصحابه.

* * *

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ السياط ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يمنعون من العذاب، وجواب

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٥).

﴿لَوۡ يَعۡلَمُ﴾ محذوف، معناه: لو علموا، لما أقاموا على كفرهم، ولما استعجلوا، ولا قالوا: متى هذا الوعد؟

* * *

﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝٤٠﴾.

[٤٠] ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم﴾ الساعة ﴿بَغۡتَةٗ﴾ فجأة.

﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ فتحيرهم.

﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون.

* * *

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٤١﴾.

[٤١] ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (وَلَقَدُ اسْتُهْزِئَ) بضم الدال في الوصل، وأبو جعفر: على أصله في فتح الياء من غير همز[١].

﴿بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ كما استهزئ بك، فصبروا.

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ فنزل بالمستهزئين العذاب جزاء استهزائهم.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٦).

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] فاصبر أنت، و﴿ قُلْ ﴾ للمستهزئين: ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ يحفظكم.

﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ من عذابه.

﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم ﴾ عن القرآن ومواعظه.

﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يُخطرونه ببالهم.

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ ﴾ المعنى: أيظنون أن آلهتهم تمنعهم من دوننا؟ ثم وصف الآلهة بالضعف فقال:

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا ﴾ من عذابنا.

﴿ يُصْحَبُونَ ﴾ يُجارون.

* * *

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ ﴾ وفي الكلام تقدير بعد محذوف؛ كأنه قال: ليس ثَمَّ شيء من هذا كله، بل ضل هؤلاء؛ لأنا متعناهم ومتعنا آباءهم، فنسوا عقاب الله، وظنوا أن حالهم لا يبيد، ثم وقفهم تعالى على مواضع العبر في الأمم في قوله:

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ ﴾ رؤية العين يتبعها رؤية القلب ﴿ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ ﴾ للمشركين بالفتح على محمد ﷺ، ونزيد في أطرافها للمؤمنين نصراً عليهم.

﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ أم نحن؟

* * *

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥) ﴾.

[٤٥] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم ﴾ أُخوفكم ﴿ بِٱلْوَحْيِۚ ﴾ بالقرآن.

﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ قرأ ابن عامر: (تُسْمِعُ) بالتاء وضمها وكسر الميم من أَسمعَ، خطاباً للنبي ﷺ، ونصب (الصُّمَّ الدُّعَاءَ) مفعولين، وقرأ الباقون: بالياء مفتوحة غيباً، وفتح الميم ورفع (الصُّمُّ) فاعلاً، ونصب (الدُّعَاءَ) مفعولاً(١)؛ من سمع، إخبار عن الكفار.

﴿ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ أي: هم صم عن الدعاء إلى الإيمان وقت الإنذار.

واختلاف القراء في الهمزتين من (الدُّعَاءَ إِذَا) كاختلافهم فيهما من (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢].

* * *

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٤٦) ﴾.

[٤٦] ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ ﴾ شيء قليل في الدنيا ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٧).

الذي خُوِّفوا به في الأخرى، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ عند نزولها بهم:

﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بشركنا؛ أي: لدعوا على أنفسهم بالويل، واعترفوا عليها بالظلم.

* * *

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ أي: ذوات القسط، والقسط: العدل.

﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: لأجله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ من الظلم.

وفي الأخبار: أن الميزان له لسان وكفتان، توزن به الأعمال(١)، ليتبين للناس المحسوس المعروف عندهم، والخفة والثقل متعلقة بأجسام يقرنها الله تعالى يومئذ بالأعمال، فإما أن تكون صحف الأعمال، أو مثالات تخلق، أو ما شاء الله تعالى.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ صفة لحبة. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مِثْقَالُ) برفع اللام على أن (كان) تامة؛ أي: وإن وقع زنة حبة، وقرأ الباقون: بنصب اللام(٢)، على معنى: وإن كان الشيء أو العمل

---

(١) سلف عند تفسير الآية (٨) من سورة الأعراف، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس، كما في «الدر المنثور» (٤/ ١٩٥)، وأخرج نحوه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة» (١٧٩٣) عن سلمان، وانظر «فتح الباري» لابن حجر (٢١/ ١٦٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٦٢)، و«النشر في=

مثقال حبة؛ أي: زنة مثقال حبة من خردل ﴿أَتَيْنَا﴾ جئنا.

﴿بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ حافظين، توَعَّدهم.

***

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ التوراة ﴿وَضِيَآءً﴾ التوراة أيضاً؛ أي: آتيناهم الفرقان مضيئاً. قرأ قنبل عن ابن كثير: (وَضِئَاءً) بهمزتين قبل الألف وبعدها، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة بعد الألف(١) ﴿وَذِكْرًا﴾ عظة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

***

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ يخافونه في الخلاء كخوفه بين الناس.

﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

***

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿وَهَٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ لمن تذكَّر به وتبرَّك

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٨).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٣٩).

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ على محمد ﴿أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ جاحدون؟ وهذا استفهام توبيخ وتعيير.

* * *

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾ نبوته ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسى وهارون؛ أي: كما هديناهما وآتيناهما النبوة، هدينا إبراهيم واصطفيناه من قبل ذلك، وقيل معنى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: هديناه صغيراً.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أخبر تعالى أنه آتاه ذلك وهو عالم أنه لذلك أهل.

* * *

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ تهاوناً بهم.

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام المصورة.

﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا﴾ أي: عليها ﴿عَٰكِفُونَ﴾ والعكوف: الملازمة للشيء، والعامل في (إِذْ) قولُه (آتينا).

* * *

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] فلما عجزوا عن الإتيان بالدليل على ذلك ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فقلدناهم.

* * *

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] فثم ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ الذين قلدتموهم.

﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ خطأ ظاهر.

* * *

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ أي: أجادٌّ أنت فيما تقول أم تلعب؟

* * *

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] فثم أضرب عنهم مخبراً أنه جِدٌّ، ومثبتاً الربوبية وحدوث الأصنام.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ عبارة عن الأصنام كأنها تعقل، وهذا من حيث لها طاعة وانقياد، وقد وصفت في مواضع بما يوصف به[١] من يعقل؛ أي: فكيف يُعبد المخلوق ويُجحد الخالق؟!

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ المذكور من التوحيد ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ بصحته.

* * *

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ لأكسرن ﴿أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ﴾ عنها

---

(١) «به» زيادة من «ت».

﴿مُّدْبِرِينَ﴾ إلى عيدكم، وكان لهم في كل سنة مجمع وعيد، فكانوا إذا رجعوا من عيدهم، دخلوا على الأصنام، فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد، قال أبو إبراهيم له: يا إبراهيم! لو خرجت معنا إلى عيدنا، لأعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان في بعض الطريق، ألقى نفسه وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] يقول: أشتكي رجلي، فلما مضوا، نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعِيفُو الناس: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ فسمعوها منه.

***

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، وكانوا قد وضعوا طعامهم لدى أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا، أكلوه، فلما لم يبق عندهم أحد، أخذ الفأس ودخل عليهم، والطعام لديهم، وقال استهزاء بهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصافات: ٩١]، فلم يجيبوه، فأكبَّ عليهم به[١].

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ فتاتاً. قرأ الكسائي: بكسر الجيم، والباقون: بضمها، وهما لغتان معناهما واحد[٢]، وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ ونحوه معاملة للأصنام بحال من يعقل؛ من حيث كانت تُعبد وتُنزل منزلة من يعقل.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٨). وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٣)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٠).

﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ أي: كسر جميع الأصنام إلا كبيرها؛ فإنه تركه ولم يكسره، وعلق الفأس في عنقه.

﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ ﴾ إلى الأصنام[1]؛ أي: الصنم الأعظم.

﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ فيسألونه عن كاسرها، وهذا تبكيت لهم، وإثبات للحجة عليهم.

* * *

﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) ﴾.

[٥٩] فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم، ورأوا ذلك ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: من المجرمين.

* * *

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) ﴾.

[٦٠] ﴿ قَالُوا ﴾ يعني: الذين سمعوا قول إبراهيم: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ يعيبهم.

﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ هو الذي نظن أنه صنع هذا.

* * *

﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) ﴾.

[٦١] فبلغ ذلك نمرود الجبار وأصحابه ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ أي: ظاهراً بمرأى من الناس.

---

(١) «إلى الأصنام» ساقطة من «ت».

﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أنه قال لآلهتنا ما قال، وأنه كسرها؛ لئلا نأخذه بلا بينة.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] فلما جيء به ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ له: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، ورويس عن يعقوب: (أَأَنْتَ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، وورش: يبدلها ألفاً خالصة، وروي عنه التسهيل بين بين، وقرأ الباقون وهم الكوفيون، وابن ذكوان، وروح: بتحقيق الهمزتين من غير فصل بينهما كل القرآن، واختلف عن هشام في الفصل بألف مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بين بين وتحقيقها(١).

* * *

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار، وهو أكبر منها، فكسرهن، وأراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ١٤١-١٤٢).

﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ عن حالهم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوهُمْ) بالنقل، والباقون: بالهمز[1].

﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ أي: إن قدروا على النطق، قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق، وفي ضميره: أنا فعلت ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات: اثنتين منهن في ذات الله: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، وقوله لسارة: هذه أختي»[2].

وملخص قصة سارة: أنه لما نجى الله خليله ﷺ من النمرود الجبار، استجاب له رجال من قومه على خوف من نمرودَ وملئِه، ثم إن إبراهيم وأصحابه أجمعوا على فراق قومهم، فخرج إبراهيم هو وأهله ومن معه، فنزل الرها، ثم سار إلى مصر، وصاحبها فرعون، فَذُكِرَ لفرعون جمال سارة زوج الخليل عليه السلام، وهي ابنة عمه هاران، فسأل إبراهيمَ عنها، فقال: هذه أختي؛ يعني: في الإسلام؛ خوفاً أن يقتله، فقال له: زينها وأرسلها إلي، فأقبلت سارة إلى الجبار، وقام إبراهيم يصلي، فلما دخلت إليه ورآها، أهوى إليها يتناولها بيده، فأيبس الله يده ورجله، فلما تخلى عنها، أطلقه الله، وتكرر ذلك منه، فأطلقها، ووهبها هاجر[3].

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) رواه البخاري (٣١٧٩)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ومسلم (٢٣٧١)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ.

(٣) انظر: و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٥٠)، وأصل القصة في «الصحيح» كما سلف. =

وفي بعض الأخبار: أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى ينظر إليها من وقت خروجها من عنده إلى وقت انصرافها؛ كرامة لهما صلوات الله عليهما، وتطييباً لقلب إبراهيم عليه السلام.

ثم سار إبراهيم من مصر إلى الشام، وأقام بين الرملة وإيليا، فهو أول من هاجر من وطنه في ذات الله، والحديث الوارد أنه لم يكذب إلا ثلاث كذبات ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُذم فاعله، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن له في ذلك لقصد الصلاح، وتوبيخهم، والاحتجاج عليهم؛ كما أذن ليوسف عليه السلام حتى أمر مناديه فقال لإخوته: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، ولم يكونوا سرقوا[١].

***

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: فتفكروا بقلوبهم، ورجعوا إلى عقولهم.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ ما نراه إلا كما قال ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بعبادتكم من لا يتكلم.

***

= وانظر: «صحيح مسلم» (٢٣٧١)، باب: من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٥).

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ رُدُّوا إلى الكفر بعد اعترافهم بالظلم، ومنه: نكس المريض: عاد إلى المرض بعد العافية، وأصله قلبُ أعلى الشيء أسفله، وقالوا:

﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ أي: لقد علمت عجزهم عن المنطق، فكيف نسألهم؟!

* * *

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليه السلام ﴿ قَالَ ﴾ لهم:

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ إن عبدتموه.

﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتم عبادته؟!

* * *

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ أي: نتناً وقذراً لكم ﴿ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أليس لكم عقل تعرفون هذا الذي يعرفه كل عاقل فتؤمنون؟! قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباقون: بكسر الفاء من غير تنوين[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٢٩ـ٤٣٠)، و«النشر في القراءات العشر»=

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] فلما لزمتهم الحجة، وعجزوا عن الجواب، أضربوا عن محاجته، و﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ ﴾ بالنار؛ لأنها أوجع وأبشع.

﴿ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ على الذي أهانها ﴿ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ النصر لها.

* * *

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] فلما جمع نمرود قومه لإحراق إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، حبسوه في بيت بكوثا شهراً، وبنوا بنياناً كالحظيرة، قيل: طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤوه من الحطب، وأوقدوا في نواحيه النيران، فصارت ناراً واحدة شديدة، حتى إن الطير لتحترق إذا مرت بها.

وروي أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها، فجاء إبليس وعلمهم عمل المنجنيق، فعملوه، وعمدوا إلى إبراهيم عليه السلام، فغلُّوه ووضعوه في كفة المنجنيق، فثم قال إبراهيم: «لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، فاستغاثت الملائكة قائلة: يا رب! هذا خليلك قد نزل به من عدوك ما أنتَ أعلمُ به، فقال تعالى: إن خليلي ليس لي خليل سواه، وأنا إلهه، وليس له إله غيري، فإن استغاث بكم، فانصروه، وإلا، فخلُّوا بيني وبينه، فأتاه خازن المياه فقال له: إن أردت أخمدت النار، وأتاه خازن الرياح فقال له: إن شئت طيرت النار في الهواء، فقال إبراهيم:

= لابن الجزري (٢/ ٣٠٦-٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٢).

لا حاجة لي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل، وتعرض له جبريل وهو يقذف به في لجة الهواء إلى النار، وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما إلى الله، فبلى، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فلم يستنصر بغير الله، ولا جنحت همته لما سوى الله، بل استسلم لحكم الله مكتفياً بتدبير الله ـ عز وجل ـ عن تدبير نفسه، وكان يومئذ ابن ست عشرة سنة، ولما وقع في النار، لم يحترق سوى وثاقه»، فذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1] أي: ابردي ليسلم، فذهبت حرارتها وإحراقها، وبقيت إضاءتها وإشراقها.

قال ابن عباس: «لو لم يقل: برداً وسلاماً، [لمات إبراهيم من بردها، ولو لم يقل: على إبراهيم، لبقيت برداً وسلاماً][2] أبداً»[3].

وروي أنه لم يبق في ذلك الوقت نار بمشارق الأرض ومغاربها إلا خمدت، ظانة أنها المعنية بالخطاب، قال كعب الأحبار: «جعل كل شيء يطفىء عنه النار إلا الوزغ؛ فإنه كان ينفخ في النار» فلذلك أمر النبي ﷺ بقتلها، وسماها فويسقاً[4].

وعن علي رضي الله عنه: «أن البغال كانت تتناسل، وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم، فدعا عليها، فقطع الله نسلها، ولما

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٦ـ١٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٣٠٣)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ١٧٥)، و«روح المعاني» للآلوسي (١٢/ ٤٢٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٧).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ٣٠٤).

سقط في النار، تلقته الملائكة، فأجلسوه على الأرض، فإذا بعين ماء عذب وروضة وورد ونرجس، فأقام بها سبعة أيام، وجاءه ملك بقميص من حرير الجنة، وطنفسة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة، وجعل يحدثه ويقول له: إن ربك يقول لك: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي»[١].

وروي أنه قال: «ما كنت قط أنعمَ مني من الأيام التي كنتُ فيها في النارِ»[٢].

***

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] فلما رأوه، وقد أكرمه الله بما كرمه، آمن بالله جمع كبير في سر؛ خوفاً من نمرود، وخرج إبراهيم من مكانه يمشي، وفارقه جبريل عليه السلام، فأقبل نحو منزله، فأرسل إليه نمرود وسأله عن كسوته ورفيقه، فقال: «إنه ملك أرسله إلي ربي، وقص عليه القصة»، فقال نمرود: إن إلهك الذي تعبده لإله عظيم، وإني مقرب قرباناً إليه؛ لما رأيت من عزته وعظمته وقدرته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته[٣]، فقرب أربعة آلاف بقرة، ثم احترم إبراهيم بعد ذلك، وكف عنه، وقد عذب الله النمرود بإرسال البعوض عليه وعلى جيشه، فأكلت لحومهم ودماءهم، وتركتهم عظاماً، ودخلت واحدة منها في منخر الملك نمرود، فلبثت في منخره، عذبه الله بها، فكان يضرب رأسه بالمرازب حتى أهلكه الله عز وجل،

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ١٨٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤) عن المنهال بن عمرو.

(٣) «إلا عبادته» زيادة من «ت».

وسلط الله على مدينة كوثا الزلازل حتى خربت.

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾[1] إحراقاً.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ في نفقاتهم على كيده.

* * *

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا﴾ ولد هارون أخي إبراهيم من نمرود وقومه من أرض العراق.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ هي أرض الشام، بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأنهار والأشجار، ولأن أكثر الأنبياء يبعثون منها.

روي أنه نزل بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة، وبينهما يوم وليلة.

* * *

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ﴾ ولده لصلبه بدعائه حيث قال: ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولد الولد ﴿نَافِلَةً﴾ زيادة من غير سؤال.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ﴾ يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

* * *

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٦٨).

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدى بهم في الخير[١] ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدعون الناس إلى ديننا. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (أَئِمَّةً) بهمزتين محققتين على الأصل، والباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين، وروي عنهم وجه: أنها تجعل ياء خالصة مكسورة تخفيفاً لاستثقالهم تحقيق همزتين في كلمة واحدة، وأبو جعفر يدخل بينهما ألفاً مع تسهيل الثانية، وهشام راوي ابن عامر روى عنه المد مع تحقيق الهمزة الثانية[٢].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهي جميع الأعمال الصالحة.

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ المحافظة عليها، وحذفت الهاء من (إقامة)؛ لإضافتها إلى الصلاة.

﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ إعطاءها ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ موحِّدين.

* * *

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿وَلُوطًا﴾ سمي بذلك؛ لأن حبه لِيطَ بقلب إبراهيم؛ أي: تعلق ولصق، وكان عمه إبراهيم يحبه حباً شديداً، وهو ممن آمن به وهاجر معه إلى مصر وعاد إلى الشام.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة وفصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا﴾ بما ينبغي علمه

---

(١) «يقتدى بهم في الخير» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٢ـ١٤٣).

للأنبياء عليهم السلام ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ سدوم.

﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي: يعمل أهلها.

﴿ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ إتيان الرجال، وقطع السبل، والمكس، وغير ذلك من المعاصي.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ﴾ بعملهم الخبائث.

* * *

﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: في أهل رحمتنا.

﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى.

* * *

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم ولوط ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الغرق، وتكذيب قومه.

* * *

﴿وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] ﴿وَنَصَرْنَـٰهُ﴾ منعناه ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ أن يصلوا إليه بسوء.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لاجتماع الأمرين: تكذيب الحق، والانهماك في الشر؛ لأنهما لم يجتمعا في قوم إلا أهلكهم الله.

* * *

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ أي: اذكرهما ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ كان زرعاً أو كرماً ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ ﴾ دخلت فيه ﴿ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ فأكلته، والنفش: انتشار الغنم ليلاً بلا راع، وأصله الانتشار.

﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ أي: عالمين، لا يخفى علينا علمه، جمع اثنين فقال: ﴿ لِحُكْمِهِمْ ﴾ وهو يريد داود وسليمان؛ لأن الاثنين جمع، وهو مثل قوله: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ [النساء: ١١] وهو يريد: أخوين، وقيل: ﴿ لِحُكْمِهِمْ ﴾ أي: لحكم الحاكمين والمتحاكمين، وأقل الجمع ثلاثة حقيقة بالاتفاق.

* * *

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا ﴾ أي: الحكومة ﴿ سُلَيْمَٰنَ ﴾ وعلمناه القضية.

فيه دليل على أن الصواب كان مع سليمان؛ لأن الغنم رعت الزرع بلا راع ليلاً، فتحاكما إلى داود، فحكم لصاحب الزرع بالغنم، فقال سليمان: غير هذا أرفق بهما، وكان سنه إحدى عشرة سنة، فعزم عليه داود بالأبوة

والنبوة ليحكمن بينهما، فدفع الغنم إلى صاحب الزرع ينتفع بدرها ونسلها وصوفها، وإلى صاحب الغنم الحرث يصلحه، فإذا عاد كحاله حين هلك، ترادا، فقال له: القضاء ما قضيت، هذا كان في شريعتهم.

وأما في شريعتنا، فما أفسدته البهائم من الزرع والشجر وغيرهما نهاراً بلا راع، فلا ضمان على ربها عند مالك والشافعي وأحمد، وما أفسدته ليلاً، ففيه الضمان عندهم إن فرط، وإلا، فلا؛ لأن في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار، والمواشي تسرح بالنهار، وترد بالليل إلى المراح.

وعند أبي حنيفة: لا ضمان في ذلك في ليل ولا نهار، إلا أن يكون معها سائق أو قائد، إلا أن ترسل عمداً.

واختلفوا فيما أتلفت من الأنفس والأموال سوى الزروع والثمار، فقال مالك: لا ضمان على ربها في ليل ولا نهار، وقال الشافعي: يضمن ما أتلفت من نفس ومال إذا كان معها ليلاً أو نهاراً، فإن بالت أو راثت بطريق، فتلف به نفس أو مال، فلا ضمان عليه، وقال أبو حنيفة وأحمد: إذا كانت في يد راكب أو سائق أو قائد، فيضمن ما جنت يدها أو فمها، أو وطؤها برجلها، وقيد أحمد بما [إذا كان قادراً على التصرف فيها، ولا يضمن عندهما ما نفحت برجلها، وقيد أحمد][1] بما إذا لم يكبحها؛ أي: يجد بها زيادة على المعتاد، أو يضربها على وجهها، ولا يضمن عندهما ما جنت بذنبها، والله أعلم.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

وكان حكم داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ بوحي عند بعض، ومنع الأنبياء من الاجتهاد؛ لاكتفائهم بالوحي، فكان حكم سليمان ناسخاً لحكم داود باجتهاد عند بعض؛ ليدركوا فضيلة المجتهدين، وجوز الخطأ عليهم؛ لأن المجتهد لا يقدر على إصابة الحق في كل حادثة، وأما العلماء، فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة، وإذا أخطأوا، فلا إثم عليهم.

وتقدم ذكر مذاهب الأئمة في جواز اجتهاد النبي ﷺ في أمر الدنيا، وحكم المجتهدين بعده في سورة التوبة عند ذكر قصة حنين، ومما يوضح أن داود وسليمان كانا على الصواب قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ يعني: داود وسليمان.

﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ الفهم في القضاء والنبوة.

قال الحسن: لولا هذه الآية، لرأيت الحكام قد هلكوا، ولكن الله تعالى حمد هذا بصوابه، وأثنى على هذا باجتهاده[1].

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يقدسن الله تعالى معهُ.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ عطف على الجبال.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ قادرين على المذكور من التسبيح والتفهيم، وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر، وكانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير.

* * *

---

(١) انظر: «الأم» للإمام الشافعي (٧/ ٩٣)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٠/ ١١٨).

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ دروع ﴿لَّكُمْ﴾ واللبوس في اللغة: اسم لكل ما يُلبس في الأسلحة، والمراد: الدروع؛ لأنها كانت من صفائح، فهو أول من سردها وحلقها؛ لتجتمع الخفة والحصانة.

﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: يحرزكم من الحرب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بالتاء على التأنيث، يعني: الصنعة، ورواه أبو بكر، ورويس عن يعقوب: بالنون إلى الله تعالى لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير؛ أي: داود(١).

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ نعمتنا عليكم؟ خطاب لداود وأهل بيته، وقيل: لأهل مكة، فهل أنتم شاكرون نعمتي بطاعة الرسول؟

* * *

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾.

[٨١] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ أي: وسخرنا لسليمان ﴿ٱلرِّيحَ﴾ وهي هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحس بحركته، وتذكر وتؤنث. قرأ أبو جعفر: (الرِّيَاحَ) بألف بعد الياء على

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٤).

الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد[1] ﴿عَاصِفَةً﴾ قوية.

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، فكانت تسير به وبجنده على البساط، وكان عرضه فرسخاً في فرسخ، منسوج بإبريسم، عملته له الجن ـ حيث شاء، ثم يعود من يومه إلى منزله، وكان يقيل بمكان بينه وبينه شهر، ويمسي بآخر بينه وبينه شهر، وكان يغدو من إيلياء فيقيل بإصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل، وكان مقامه بتدمر، بناها له الشياطين بالصّفّاح والعَمَد وألوان الرخام.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ علمناه.

﴿عَٰلِمِينَ﴾ بصحة التدبير فيه، فنفعل مقتضى الحكمة.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

[٨٢] ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: وسخرنا منهم ﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ في البحر لاستخراج الدُّرِ ونحوه ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: سواه من الأعمال.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ لئلا يعصوه، ولئلا يفسدوا عملهم، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل، أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٥).

﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ ۞وَأَيُّوبَ ﴾ أي: واذكره ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، وتمزيق جسده، وكان براً تقياً رحيماً بالمساكين، مؤدياً لحق الله، شاكراً لأنعم الله، وتقدم ذكر نسبه في سورة النساء، وكان صاحب أموال عظيمة، وكانت له الثنية جميعها من أعمال دمشق ملكها، فابتلاه الله تعالى بأن أذهب أمواله حتى صار فقيراً، ثم ابتلاه في جسده حتى تجذم ودوَّد، وبقي رميّاً على مزبلة لا يطيق أحد أن يشم رائحته[١]، ورفضه كل الناس غير زوجته رحمة بنت أفراييم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام؛ فإنها استمرت صابرة تخدمه حتى باعت ظفيرتها بشيء أكله، فتزايا لها إبليس، وقال لها: اسجدي لي لأرد مالكم، فاستأذنت أيوب، فغضب وحلف ليضربنها مئة، ثم عافاه الله تعالى بعد ثلاث سنين، أو سبع، ورزقه، ورد على امرأته شبابها وحسنها، وولدت له ستة وعشرين ذكراً،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٥) عن الحسن، وذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٧٦ـ١٧٩) في خبر طويل، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٨٥). ومعلوم أن الله تبارك وتعالى حمى أنبياءه ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ من كل ما ينفِّر، وعصمهم من مثل ما روي عن سيدنا أيوب ـ عليه السلام ـ. قال العلامة جمال الدين القاسمي في «محاسن التأويل» عند تفسيره لهذه الآية: إن أسانيدها مختلفة واهية، لا يقام لها وزن. وقال صاحب «أضواء البيان» (٤/ ٢٣٩): كل ذلك من الإسرائيليات، وغاية ما دلَّ عليه القرآن أن الله سبحانه ابتلى أيوب، وأنه ناداه فاستجاب له وكشف عنه كلَّ ضر، ووهبه أهله ومثلهم معهم.

ولما عوفي، أمره الله أن يأخذ عرجوناً من النخل فيه مئة شمراخ، فيضرب به زوجته رحمة؛ ليبر في يمينه، ففعل، وكان أيوب نبياً في عهد يعقوب، وعاش ثلاثاً وتسعين سنة ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: الضرر والشدة. قرأ حمزة: (مَسَّنِي الضُّرُّ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1] ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وشكواه لم تخرجه عن الصبر، ولذلك وصف بالصبر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ﴾ [ص: ٤٤]؛ لأنها إلى الخالق بأوجز عبارة، وألطف إشارة إلى أنه تعالى أهل أن يَرحم، وأيوب أهل أن يُرحم، وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه؛ ليسمع تضرعه»[2].

***

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾.

[٨٤] ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ أولاده، روي أن الله تعالى أحياهم ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ آتاه الله مثلهم.

﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾ لأيوب ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ عظة للمطيعين؛ ليصبروا كصبره، فيثابوا كثوابه، وتأتي تتمة قصته في سورة (صٓ) إن شاء الله تعالى.

سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٦).

(٢) رواه هنّاد بن السّري في «الزهد» (١/ ٢٣٩)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٨)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٩٧٠)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[1].

* * *

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ يعني: ابن إبراهيم.

﴿وَإِدْرِيسَ﴾ تقدم ذكره في سورة مريم.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ هو بشر بن أيوب، بعثه الله بعد أبيه، وسماه ذا الكفل، وكان مقامه بالشام، وقبره في قرية كفل حارس من أعمال نابلس، وسمي بذلك؛ لأنه تكفل بصيام جميع نهاره، وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى، فشكر الله له، ونبأه، فسمي ذا الكفل.

﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على أمر الله.

* * *

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ يعني: النبوة.

﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الكاملين في الصلاح؛ فإن الأنبياء صلاحهم معصوم عن كدر الفساد.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٢٣)، كتاب: الفتن، باب: الصبر على البلاء، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٤٨١)، والإمام أحمد في المسند (١/ ١٧٢)، وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ أي: اذكر صاحب الحوت، وهو يونس بن متى عليه السلام، سمي به لابتلاع النون إياه، وهو الحوت.

﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ غضب على قومه لكفرهم، لا مغاضباً لربه؛ إذ مغاضبة الله معاداة له، ومعاداة الله كفر لا تليق بالمؤمنين، فكيف بالأنبياء؟!

﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ ﴾ أي: نُضَيِّق ﴿ عَلَيۡهِ ﴾ قراءة العامة: بالنون مفتوحة وكسر الدال، **وقرأ** يعقوب: بالياء مضمومة وفتح الدال مخففة على المجهول(١).

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ بطن الحوت والبحر والليل ﴿ أَن ﴾ أي: بأن ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بمغاضبتي، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له»(٢).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٨٨ـ١٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، كتاب: الدعوات، باب: (٨٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٠)، وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾.

[٨٨] ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أجبناه ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ﴾ من تلك الظلمات.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من كل كرب إذا استغاثوا بنا. **قرأ** ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُجِّي) بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء، على معنى: (نُنَجِّي)، ثم حذفت إحدى النونين تخفيفاً، كما جاء عن ابن كثير وغيره قراءة (وَنُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً) في الفرقان [الآية: ٢٥]، قال الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه «اللوامح»: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ على حذف النون الذي هو فاء الفعل من (نُنَزِّل). قراءة أهل مكة ووجه النصب في المؤمنين: أن المصدر قام مقام الفاعل، فبقي الـ(المؤمنين) مفعولاً به صريحاً، تقديره: نجي النجاء المؤمنين، ونظيره ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا﴾ على قراءة أبي جعفر في الجاثية [الآية: ١٤]؛ أي: ليجزي الجزاء قوماً، **وقرأ** الباقون: بنونين، الثانية ساكنة مع تخفيف الجيم مستقبل أنجينا، وقد اعترض الزمخشري وغيره على قراءة ابن عامر وأبي بكر، وزعموا أنها لحن، فرد الكواشي اعتراضهم، وبين وجه الصحة فيها، وأشبع الكلام في ذلك(١).

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١١٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٨٩ـ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٧).

وتقدم ذكر يونس عليه السلام، ووفاته، ومحل قبره في سورة النساء [الآية: ١٦٣]، وتقدم طرف من ذكر قصته في سورة يونس [الآية: ٩٨]، ولنذكر في هذا المحل باقيها باختصار، فنقول وبالله التوفيق: يونس بن متى عليه السلام، قيل: إنه من بني إسرائيل، وإنه من سبط بنيامين، وتزوج بنت رجل من الأولياء اسمه زكريا كان مقيماً بالرملة، فأقام يونس عنده، ثم بعد وفاة زكريا، توجه إلى بيت المقدس يعبد الله تعالى، وكانت بعثته في أيام يوثم بن عَزِّيا هو أحدِ ملوك بني إسرائيل، وبعثه الله إلى أهل نينوى قبالة الموصل، بينهما دجلة، وكانوا يعبدون الأصنام، فنهاهم وواعدهم العذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، وضمن ذلك عن ربه ـ عز وجل ـ، وخرج يونس من بين أظهرهم، فلما أظلهم العذاب، آمنوا، فكشفه الله عنهم كما تقدم في سورة يونس، وجاء يونس لذلك اليوم، فلم ير العذاب حل بهم، ولا علم بإيمانهم، فذهب مغاضباً، ودخل في سفينة من سفن دجلة، فوقفت السفينة ولم تتحرك، فقال رئيسها: فيكم من له ذنب، فتساهموا على من يلقونه في البحر، فوقعت المساهمة على يونس، فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به إلى الأيكة، وكان من شأنه ما أخبر الله تعالى به.

وملخص قصته: أن الحوت التقمه، فكان يونس يسجد على قلب الحوت، والحوت يقول: يا يونس! أسمعني تسبيح المغمومين، وهو يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فتقول الملائكة: «إلهنا! إنا نسمع تسبيح مكروب، كان لك شاكراً، اللهم فارحمه في كربته وغربته»، واختلف في مدة لبثه، فمنهم من قال: أربعين يوماً، وقيل: ثلاثة أيام، فلما انقضت مدة قدرها الله تعالى له، أمر الحوت أن يرده إلى الموضع الذي أخذه منه، فشق ذلك على الحوت؛ لاستئناسه بذكر الله

تعالى، فقيل له: اقذفه، فقذفه في الساحل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]، وخرج يونس مثل الفرخ المنتوف(١)، وقد ذهب بصره، وهو لا يقدر على القيام، فأنبت الله شجرة من يقطين لها أربعة آلاف غصن، فكانت فِراشه وغطاءه، وأمر الله الظبية فجاءته وأرضعته حتى قوي، وهبط جبريل ـ عليه السلام ـ، فسلم عليه، وأمرَّ يده على رأسه وجسده، فأنبت الله لحيته، ورد عليه بصره، وأوحى الله إليه بإيمان قومه حين رأوا العذاب، ثم هبط إليه ملك، ودفع إليه حلتين، وقال: سر إلى قومك؛ فإنهم يتمنونك، فاتزر بواحدة، وارتدى بأخرى، وسار يونس ـ عليه السلام ـ، فاجتمع بزوجته وولديه قبل وصوله إلى قومه، ثم وصل الخبر إلى قومه، فوثب الملك عن سريره، وخرجوا كلهم إلى يونس ـ عليه السلام ـ، وسلموا عليه، وفرحوا به، وحملوه إلى المدينة، وأقام فيهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر إلى أن توفاه الله تعالى، وفي قصته خلاف بين المفسرين والمؤرخين، والله أعلم.

* * *

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

[٨٩] ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا.

﴿رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ بلا ولد يرثني.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٥٩)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (٣٨)، و«العقوبات» (١٧١) عن عبد الله بن مسعود، ولم يرفعه، بلفظ: «كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش» ولم أقف على باقيه، وانظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١٠/ ٢١٢).

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ خير من يبقى بعد من يموت. واختلاف القراء في الهمزتين من (زَكَرِيَّا إِذْ) كاختلافهم فيهما في أول سورة مريم.

* * *

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ ولداً.

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ بتحسين خَلْقها وخُلقها، وجعلِها ولوداً بعد العقم ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي: مَنْ ذُكر من الأنبياء.

﴿ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ يبادرون في عمل الطاعات.

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ طمعاً وخوفاً.

﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ متواضعين ذللاً. قرأ الدوري عن الكسائي: (يُسَارِعُونَ) بالإمالة، وأمال أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (مُوسَى) و(عِيسَى) و(يَحْيَى) حيث وقع(١).

* * *

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ منعته مما لا يحل، وهي مريم بنت عمران.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١١-٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٤٨).

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أمرنا جبريلَ حتى نفخ في جيب درعها، فأجرينا فيها روح عيسى ـ عليه السلام ـ المخلوقة.

﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ دلالة على كمال قدرتنا حمل امرأة بلا مساسة ذكر، وكون ولد من غير أب، ووحد الآية، ولم يقل: آيتين؛ لأن معنى الكلام: وجعلنا شأنهما آية؛ لأن الآية فيهما واحدة.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الأمة: الملة، و(هذه) إشارة إلى الإسلام، فأبطل ما سواه من الأديان، و(أمتكم) رفع خبر (إن)، و(أمة واحدة) نصب حال.

﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ قرأ يعقوب: (فَاعْبُدُونِي) بإثبات الياء[1].

* * *

﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة فقال: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ أي: اختلفوا في الدين، فصاروا فرقاً.

﴿ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ فنجازيه.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٤).

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

[٩٤] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ لا يجحد عمله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ للسعي ﴿كَٰتِبُونَ﴾ في صحيفة عمله، فنثيبه عليه.

* * *

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

[٩٥] ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: وحرام على أهل قرية حكمنا بإهلاكهم أن تقبل أعمالهم؛ لأنهم لا يرجعون عن كفرهم، وقيل: المعنى: حرام عليهم الرجوع إلى الدنيا بعد الهلاك. **قرأ** حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (وَحِرْمٌ) بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، والباقون: بفتح الحاء والراء وألف بعدها، ومعناهما واحد؛ لأنهما لغتان مثل حِلّ وحلال[١].

* * *

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ أي: فتح سدهما. **قرأ** ابن عامر، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (فُتِّحَتْ) بالتشديد على التكثير،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٠).

والباقون: بالتخفيف[1]، وتقدم تفسير يأجوج ومأجوج، واختلاف القراء فيهما في سورة الكهف[2].

﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ هو المكان المرتفع ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون.

* * *

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٩٧)﴾.

[٩٧] ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ مرتفعة الأجفان ﴿أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فلا تكاد تطرف؛ لهول ما ترى، يقولون:

﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم.

﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بوضعنا العبادة في غير موضعها.

* * *

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ (٩٨)﴾.

[٩٨] ونزل خطاباً لعابدي الأصنام وإبليس وأتباعه:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥١).

(٢) عند تفسير الآية (٩٤) منها.

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ما يُرمى به فيها للوقود.

﴿ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ فيها داخلون.

* * *

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ثم وبخهم، وأخبرهم أن آلهتهم يدخلون النار بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾؛ أي: الأصنام ﴿ ءَالِهَةً ﴾ على الحقيقة ﴿ مَّا وَرَدُوهَا ﴾ لأن المؤاخذ المعذب لا يكون إلهاً.

﴿ وَكُلٌّ ﴾ من العابد والمعبود منهم ﴿ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ لا خلاص لهم منها. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (هَؤُلاَءِ آلِهَةً) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل ياء[١].

* * *

﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ أنين وتنفس شديد.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ شيئاً؛ لشدة غليان النار، ولما بهم من الألم، ومنعوا السمع؛ لأن فيه[٢] أنساً.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٣).

(٢) في «ت»: «فيها».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾.

[١٠١] ولما سمع عبد الله بن الزبعرىٰ السهمي ذلك، قال للنبي ﷺ: أليس اليهود عبدوا عزيراً، والنصارى المسيح، وبنو مليح الملائكة؟ فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا﴾(١) المنزلة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ السعادة؛ يعني: عزيراً والمسيح والملائكة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ وأنزل في ابن الزبعرىٰ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

* * *

﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾.

[١٠٢] ﴿لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ صوتها الخفي إذا دخلوا الجنة.

﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ من النعيم ﴿خَٰلِدُونَ﴾ مقيمون.

* * *

﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ﴾ قرأ أبو جعفر: بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي(٢) ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ النفخة الآخرة

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٤ـ١٧٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٣).

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تستقبلهم عند باب الجنة مهنئين يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنة والثواب.

***

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٠٤)﴾.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ وطيُّها: تكوير نجومها، ومحو رسومها. قرأ أبو جعفر: (تُطْوَى) بالتاء وضمها على التأنيث وفتح الواو ورفع (السَّمَاءُ) على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: بالنون مفتوحة على التعظيم وكسر الواو ونصب (السَّمَاءَ)[١].

﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (لِلْكُتُبِ) بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقون: بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد[٢]، و(السِّجِل) الصحيفة (للكتب)؛ أي: لأجل ما كتب، معناه: كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل: اسم مشتق من المساجلة، وهي المكاتبة، والطيُّ: هو الدرج الذي ضد النشر، ثم أومأ إلى تبديل السماء فقال:

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ نرده مثل أول خلقه، وأول خلقه إيجاد

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٥).

عن عدم، والخلق هنا يعم جميع الخلائق، المعنى: كما أوجدناه عن عدم، فكذلك نعيده عند البعث عن عدم.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ مصدر مؤكد؛ لأن نعيده عِدة بالإعادة.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك.

***

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ وفي جميع الكتب المنزلة. قرأ حمزة، وخلف: (الزُّبُورِ) بضم الزاي، والباقون: بفتحها[١].

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: اللوح المحفوظ؛ لأنها كلها أخذت منه ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، أو الأرض المقدسة.

﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ هو محمد ﷺ وأمته، يفتحون أرض الكفار، ويدخلون الجنة. قرأ حمزة: (عِبَادِي الصَّالِحُونَ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

***

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ لكفاية.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٥).

﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾ عاملين، وهم أمة محمد ﷺ.

***

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾.

[١٠٧] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ جميعاً، فهو رحمة للمؤمن في الدارين، وللكافر في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ ونحوه.

***

﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾.

[١٠٨] ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ منزه عما لا يليق بصفات الوحدانية ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: آمنوا بالمذكور.

***

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾.

[١٠٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عن الإيمان ﴿فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ﴾ أعلمتكم.

﴿عَلَىٰ سَوَآءٖۖ﴾ فاستوينا في العلم بما أعلمتكم به ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ وما أعلم.

﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ أي: لا أعلم متى يحل بكم العذاب، وهو[١] أهولُ وأخوفُ.

***

---

(١) في «ت»: «وهذا».

﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ الضمير عائد إلى الله عز وجل ﴿ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ وفي هذه الآية تهديد؛ أي: يعلم جميع الأشياء الواقعة منكم، وهو بالمرصاد في الجزاء عليها.

* * *

﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ ﴾ أي: تأخير العذاب عنكم.

﴿ فِتْنَةٌ لَّكُمْ ﴾ أي: اختبار؛ ليرى كيف صنيعكم، وهو أعلم.

﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أي: تمتعون إلى انقضاء آجالكم.

* * *

﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

[١١٢] ﴿ قَٰلَ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (قَالَ) بالألف إخبار عن النبي ﷺ، وقرأ الباقون: (قُلْ) بغير ألف على الأمر[١]؛ أي: أمره الله تعالى أن يقول على جهة الدعاء: ﴿ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ وقرأ أبو جعفر: (رَبُّ) بضم الباء، وقال ابن الجزري: ووجهه أنه لغة معروفة جائزة في نحو يا غلامي تنبيهاً على الضم، وأنت تنوي الإضافة، وليس ضمه على أنه منادى مفرد؛ كما ذكره أبو الفضل الرازي؛ لأن هذا ليس من نداء النكرة المقبل عليها،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٦).

وقرأ الباقون: بكسر الياء اكتفى بها عن الياء[1]، ومعنى ﴿ٱحۡكُمْ﴾: افصل بيني وبين مكذبي بالعذاب، فالحق بمعنى العذاب هنا، فعذبوا يوم بدر، **وقرأ** زيد عن يعقوب: (رَبِّي) بالياء (أَحْكَمُ) بقطع الألف وفتح الكاف ورفع الميم على وزن أفعل على الابتداء والخبر من الإحكام[2].

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من الكذب والباطل. **قرأ** الدوري عن ابن ذكوان: (يَصِفُونَ) بالغيب، **وقرأ الباقون**: بالخطاب[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٦).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٧)، وهذه القراءة ليست متواترة عن يعقوب.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٥٧).

سورة الحج

قال الجمهور: هي مختلطة، منها مكي، ومنها مدني، قال ابن عطية: وهذا هو الأصح[1]، والله أعلم؛ لأن الآيات تقتضي ذلك، وآيها: ثمان وسبعون آية، وحروفها: خمسة آلاف ومئة وخمسة وسبعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئتان وإحدى وتسعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾.

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه، وهذا تحذير لجميع العالم.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ حركتها الشديدة﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ لا يوصف لعظمته، والزلزلة: التحريك العنيف، وزلزلة الساعة: هي كالمعهود في الدنيا، إلا أنها في غاية الشدة، واختلف فيها، فقال الجمهور: هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة، وقيل: هي في القيامة على

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١٠٥).

جميع العالم. قرأ أبو عمرو (السَّاعَة شَّيْءٌ) بإدغام التاء في الشين[1].

* * *

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: الزلزلة ﴿تَذْهَلُ﴾ تشغل ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ من الولد، فتترك إرضاعه في حال إلقامه ثديها؛ لشدة الأمر.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حبلى ﴿حَمْلَهَا﴾ ولدها قبل تمامه، والحمل ـ بالفتح ـ: ما تحمله الإناث، و ـ بالكسر ـ: ما يحمل على الظهر والرأس، والتلاوة بالأول، وهذا دليل لمن قال: إن الزلزلة تكون في الدنيا؛ لأن بعد البعث لا يكون حبل، ومن قال: هي في القيامة، جعل ذلك تهويلاً لشأنها، يعني: لو فُرض ثَمَّ حامل، لوضعت.

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ تشبيه لهم من الخوف. قرأ أبو عمرو: (النَّاس سُّكَارَى) بإدغام السين في السين[2] ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ السُّكر الحقيقي الذي هو من الخمر. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَكْرَى) بفتح السين وإسكان الكاف من غير ألف فيها. وقرأ الباقون: بضم السين وفتح الكاف وألف بعدها، وهما لغتان لجمع السكران؛ مثل: كَسْلَى وكُسالى[3]، وقرأ

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦١).

(٢) المصدران السابقان.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٠)، =

أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: بالإمالة فيهما، واختلف عن ورش وابن ذكوان في الإمالة والفتح[1].

﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم، وأذهب تمييزهم.

***

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾.

[٣] وكان النضر بن الحارث كثير الجدال في الله تعالى بالباطل، يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وينكر البعث وإحياء من صار تراباً، فنزل فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ﴾[2] في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ عاتٍ مستمر في الشر.

***

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قُضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه.

﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ لأن من شأنه الإضلال ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوه.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٢).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٦٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٢-١٦٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٨).

﴿ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ بما يزين له من الباطل، والهاء في (عليه)، وفي (فأنه) للشيطان، وفي (يضله) لمتوليه، وفي معنى قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ ﴾ الآية من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: من أعان ظالماً، سُلِّط عليه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ثم ألزم الحجة على منكري البعث فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ ﴾ شك ﴿ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ أي: إن ارتبتم في البعث، فاستدلوا على صحته ببدء خلقكم.

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني: أصلكم آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ مَنِيٍّ، خلقتم أنتم منها ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ دم جامد ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ لحمة صغيرة قدر ما تمضغ، وذلك أن النطفة تصير دماً غليظاً، ثم تصير لحماً.

﴿ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ مصورة تامة الخلق.

﴿ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ النطفة قبل أن تصور، وهي ما تمجه الأرحام، وما يعني السقط ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ قدرتنا على البعث.

﴿ وَنُقِرُّ ﴾ نثبتُ ﴿ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ ثبوتَه.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت الولادة. قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس: (نَشَاءُ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً خالصة مكسورة، وهو قول جمهور القراء المتقدمين، وذهب بعضهم إلى أنها تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء، وهو الأوجه في القياس، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين(١).

واتفق الأئمة على أن الأَمَة تكون أمَّ ولد بما أسقطته من ولد [تام الخلق، وتكون عند مالك أم ولد](٢) بالعلقة والمضغة، سواء كانت مخلقة أو غير مخلقة، وعند أبي حنيفة: إن كان قد تبين له شيء من خلق بني آدم؛ كإصبع أو عين أو غير ذلك، فهي به أم ولد، وعند الشافعي وأحمد: إذا وضعت ما فيه صورة، ولو خفية، صارت أم ولد.

واتفقوا على أن المولود إذا استهل صارخاً، غسل وصلي عليه، فإن لم يستهل صارخاً، لم يصل عليه عند الثلاثة، وعند أحمد: إذا ولد السقط لأكثر من أربعة أشهر، غسل، وصلي عليه.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من الرحم ﴿طِفْلًا﴾ اسم جنس؛ أي: أطفالاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال عقلكم وقوتكم.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ قبل بلوغ الكبر.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أخسه، وهو الخرف.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٥).

(٢) ما بين معكوفتين ساقط من «ش».

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ عَلِمَه قبل ﴿شَيْـًٔا﴾ أي: لينسى معارفه وعلمه الذي كان معه، فلا يعلم من ذلك شيئاً.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ قرأ أبو جعفر (وَرَبَأَتْ) بهمزة مفتوحة بعد الباء؛ أي: ارتفعت، وقرأ الباقون: بحذف الهمزة؛ أي: انتفخت(1).

﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ نوع.

﴿بَهِيجٍ﴾ حسن، فهذا دليل آخر على البعث.

* * *

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور، مبتدأ، خبره: ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: لتعلموا أن الله هو الحق ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* * *

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾.

---

(1) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٢). و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٧).

[٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعني: النضر بن الحارث، وكرر الآية ردعاً للجاهل وتوبيخاً؛ لأنه يجادل بظن من غير تحقيق.

﴿وَلَا هُدًى﴾ ليس معه من ربه رشاد ولا برهان.

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ واضح.

* * *

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ لاوياً جانبه متكبراً ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيَضِلَّ) بفتح الياء على اللزوم، وقرأ الباقون: بالضم[١]؛ أي: ليُضل هو الناسَ.

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عذاب وهوان، فقتل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط ببدر صبراً ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ وهو النار.

* * *

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النازل بك.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ من العمل.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ إنما هو مُجازٍ لهم على أعمالهم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٨).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ونزل فيمن دخل في الإسلام من غير اعتقاد صحته: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾[١] أي: شك واضطراب، وأصله من حرف الشيء، وهو طرفه، نحو حرف الجبل، فقيل للشاك في الدين إنه يعبد الله على حرف؛ لأنه على طرف وجانب في الدين، لم يدخل فيه على الثبات والتمكن؛ كالقائم على حرف الجبل، مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف؛ لضعف قيامه.

﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾ سكن إليه ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ اختبار بجدب وعسرة ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ رجع إلى الكفر ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا ﴾ بفوات ما كان يؤمله ﴿ وَٱلْآخِرَةَ ﴾ بخلوده في النار. **قرأ** روح، وزيد عن يعقوب: (خَاسِرَ) بإثبات الألف بعد الخاء على وزن فاعل، وخفض (الآخِرَةِ)[٢].

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الضرر الظاهر.

---

(١) روى البخاري (٤٤٦٥)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته، ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٨)، وليست هذه القراءة هي المتواترة عن يعقوب.

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ يَدْعُواْ ﴾ يعبد ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ إن لم يعبده .

﴿ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥٓۚ ﴾ إن عبده .

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ عن الهداية الذاهب عن الحق .

* * *

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ يَدْعُواْ ﴾ تكريراً تأكيداً لكفره ﴿ لَمَن ضَرُّهُۥٓ ﴾ بكونه معبوداً؛ لأنه يوجب القتل في الدنيا، والعذاب في الآخرة ﴿ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ ﴾ الذي يتوقع بعبادته، وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى. و(اللام) في قول الكسائي مقدمة في غير موضعها، و(مَنْ) في موضع نصب، و(ضَرُّهْ) مبتدأ، و(أَقْرَبُ) خبره، والجملة صلة (مَنْ)، وخبر (مَنْ) محذوف، والتقدير: يقول لمن ضره أقرب من نفعه آلهة، والمعنى: أنه يضر ولا ينفع .

﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ الناصر ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الصاحب المعاشر .

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ من إثابة الموحد، وعقاب المشرك .

* * *

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ولما ظن الكفار أن محمداً ﷺ لن يُنصر، نزل: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[١] المعنى: أن الله ينصر نبيه، فمن ظن خلافه.

﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فليشدد حبلاً في سقف بيته ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾ لِيختنق به فيموت. قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، وورش عن نافع، ورويس عن يعقوب: (لِيَقْطَعْ) بكسر اللام؛ لأنها لام أمر أصلها الكسر، كما لو ابتدأ بها، ولا اعتداد بحرف العطف، والباقون: بإسكانها تخفيفاً[٢]، واعتداداً بحرف العطف مبتدأ به.

﴿ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾ تلخيصه: هل يذهب فعله غيظه؟! وهذا مبالغة في الزجر؛ كما يقال للعدو: إن لم ترض، فاختنق، ومت غيظاً، وإلا، فلا نظر بعد الموت.

***

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك؛ يعني: ما تقدم من آيات القرآن.

﴿ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ﴾ أي: وأنزلنا أن ﴿ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾ هدايته.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٦٩).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ على الحقيقة ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ يعني: اليهود، سموا به؛ لقولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: ملنا إليك، وقيل: لأنهم هادوا؛ أي: تابوا عن عبادة العجل، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة التوراة، ويقولون: إن السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ جمع صابئ، أصله الخروج، يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين آخر، وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية، وعبدوا الملائكة، ويستقبلون القبلة، ويوحدون الله تعالى، ويقرؤون الزبور. **قرأ** نافع، وأبو جعفر: (وَالصَّابِينَ) (وَالصَّابُونَ) بغير همز، والباقون: بالهمز[١].

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ سموا به لقولهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] وقيل: لأنهم نزلوا قرية يقال لها: ناصرة، وقيل: لاعتزائهم إلى نصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام.

﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ هم عبدة النار والشمس والقمر.

﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ هم عبدة الأوثان، قال قتادة: الأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد للرحمن[٢].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٦).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ يحكم بين الفرق المذكورة، فيدخل الكافر النار، والمؤمن الجنة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ عالم به.

***

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾.

[١٨] ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾ بقلبك ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ قال مجاهد: سجود هذه الأشياء بظلالها[١]، وقيل: المراد بسجود من ليس من أهله: انقياده لما أريد منه.

﴿ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ يعني: المسلمين ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ ﴾ بترك السجود، وهم الكفار، وهم مع كفرهم تسجد ظلالهم لله عز وجل.

﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ ﴾ أي: يهنه الله بالشقاوة.

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ ﴾ يكرمه بالسعادة، المعنى: من يُذِلَّه الله تعالى، فلا مُعِزَّ له.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ من الإكرام والإهانة بإرادته ومشيئته، وهذا محل سجود بالاتفاق.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٠٦).

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ونزل في حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث حين برزوا ببدر إلى عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾(١) أي: طائفتان. قرأ ابن كثير: (هَذَانِّ) بالمد وتشديد النون، والباقون: بالتخفيف(٢)، والخصم: مصدر يعم المفرد والجمع، والذكر والأنثى، فلذلك قال:

﴿ ٱخْتَصَمُوا۟ ﴾ رداً إلى المعنى ﴿ فِى رَبِّهِمْ ﴾ في دينه.

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ ﴾ هيئت.

﴿ لَهُمْ ثِيَابٌ ﴾ يلبسونها ﴿ مِّن نَّارٍ ﴾ وسمي ما يتخذ من النار ثياباً؛ لإحاطته باللابس كالثوب ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ الماء البالغ نهاية الحر. قال ابن عباس: لو سقطت قطرة منه على جبال الدنيا، لأذابتها(٣).

* * *

﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ ﴾ يذاب بالحميم المسكوب على رؤوسهم.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٤٨)، كتاب: المغازي، باب: قتل أبي جهل، ومسلم (٣٠٣٣)، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧١).

(٣) انظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٠١).

﴿ مَا فِي بُطُونِهِمْ ﴾ من شحوم وغيرها، فيقطعها، وتخرج من أدبارهم ﴿ وَٱلْجُلُودُ ﴾ أيضاً تذاب.

* * *

﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ ﴾ سِياط مختصة بهم، جمع مِقْمَعة.

﴿ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ يُضربون بها.

* * *

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا ﴾ من النار.

﴿ مِنْ غَمٍّ ﴾ يلحقهم، فخرجوا.

﴿ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ وذلك أن النار تضربهم بلهبها، فتلقيهم إلى أعلاها، فيريدون الخروج منها، فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد، فيهوون إلى قعرها سبعين خريفاً، فالمراد: إعادتهم إلى معظم النار، لا أنهم ينفصلون عنها بالكلية، ثم يعودون إليها.

﴿ وَذُوقُواْ ﴾ أي: ويقال لهم: ذوقوا ﴿ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ البالغ نهاية الإحراق، هؤلاء أحد الخصمين.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ ﴾.

[٢٣] وقال في الآخر، وهم المؤمنون: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا ﴾ يلبسون الحلي في الجنة.

﴿ مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ﴾ جمع سوار.

﴿ وَلُؤۡلُؤٗاۖ ﴾ اللؤلؤ: اسم جامع للحَبِّ يخرج من البحر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، ويعقوب: (وَلُؤْلُؤاً) بالنصب على معنى: ويحلون لؤلؤاً، ولأنها مكتوبة في المصاحف بالألف، فأبو جعفر يترك الهمزتين، فيسكن الواو الأولى، وينصب الثانية، وأبو بكر عن عاصم: يترك الأولى فقط، وقرأ الباقون: بالخفض عطفاً على (أساور)، وأبو عمرو يترك الهمزة الأولى، واختلفوا في وجه إثبات الألف فيه، فقال أبو عمرو: أثبتوها كما أثبتوا في (قالوا)، و(كانوا)، وقال الكسائي: أثبتوها للهمزة؛ لأن الهمزة حرف من الحروف[1].

﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا ﴾ في الجنة ﴿ حَرِيرٞ ﴾ هو الإبريسم المحرم لبسُه على الرجال، ولا خلاف بين الأئمة في تحريم لبس الحرير على الرجل إلا في

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٥)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١١٧-١١٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٢).

الحرب المباح، أو لضرورة؛ كحكة، أو جرب في جسده، واختلفوا في الجلوس عليه، والاستناد إليه، فأجازه أبو حنيفة، ومنعه الثلاثة كلبسه، وحكم الصبي عند أحمد كالرجل.

* * *

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٢٤﴾.

[٢٤] ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أُرشدوا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ هو القرآن، وقيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل غير ذلك ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ طريق الجنة، و(الحميد) هو الله المحمود في أفعاله.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٢٥﴾.

[٢٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن﴾ تقديره، وهم يصدون ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي؛ لأن الصد بمعنى دوام الصفة لهم، وهذه الآية نزلت عام الحديبية حين صُد النبي ﷺ عن المسجد الحرام.

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي: ويصدون عن المسجد الحرام.

﴿ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ قبلةً لصلاتهم، ومنسكاً ومتعبداً، وقال ابن عباس وغيره: المراد منه جميع الحرم[1].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ٣٢).

﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ﴾ المقيم ﴿وَٱلۡبَادِۚ﴾ أي: الآتي إليه من البادية. قرأ حفص عن عاصم: (سَوَاءً) نصب بإيقاع الجعل عليه؛ لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء، وما بعده خبره، وتمام الكلام عند قوله: (للناس)[١]، وأثبت أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: الياء في (البادي) وصلاً، وأثبتها ابن كثير ويعقوب وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين، وهي في الإمام بغير ياء[٢]، المعنى: المقيم فيه، والوارد إليه سواء، لا يخص بعضاً دون بعض.

وأجمع الناس على الاستواء في نفس المسجد الحرام، واختلف في مكة، فذهب عمر بن الخطاب، وابن عباس، ومجاهد، وجماعة إلى أن الأمر كذلك في دور مكة، وأن القادم له النزول حيث وجد فارغاً، وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أو أبى، وقال ذلك سفيان الثوري وغيره، وكذلك كان الأمر في الصدر الأول.

وروي أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قُبضوا وما تُدعى دور مكة إلا السوائبَ، من احتاج سكن، ومن استغنى أسكن[٣]، وكانت دورهم بغير أبواب حتى كثرت السرقة، فاتخذ رجل باباً، فأنكر عليه عمر

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٥).

(٣) رواه ابن ماجه (٣١٠٧)، كتاب: المناسك، باب: أجر بيوت مكة، والدارقطني في «سننه» (٣/ ٥٨)، وغيرهما عن علقمة بن نضلة ـ رضي الله عنه ـ.

وقال: أتغلق باباً في وجه حج[1] بيت الله، فقال: إنما أردت حفظ متاعهم من السرقة، فتركه، فاتخذ الناس الأبواب.

قال ابن عطية: وقال جمهور من الأمة، منهم الإمام مالك: ليست الدور كالمسجد، ولأهلها المتاع بها، والاستبداد، وعلى هذا العمل اليوم، وهذا الخلاف متركب على الاختلاف في مكة، هل هي عَنْوة أو صلح؟ فمن رآها صلحاً، فإن الاستواء عنده في المنازل بعيد، ومن رآها عنوة، أمكنه أن يقول: الاستواء فيها قرره[2] الأئمة الذين لم يُقطعوها أحداً، وإنما سكنى من سكن من قبل نفسه[3].

واختلف الأئمة في فتحها، فذهب مالك وأصحابه: إلى أنها فتحت عنوة بالسيف، وهو الصحيح من مذهب الإمام أحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: فتحت صلحاً.

واختلفوا في جواز بيع دور مكة وإجارتها، فقال أحمد: لا يجوز بيع رَباع مكة والحرم، وهي المنازل، ولا إجارتها؛ لأنها فتحت عنوة، وقال مالك: يجوز إجارتها وبيعها؛ لأن النبي ﷺ منَّ بمكة على أهلها، فلم تقسم، ولا سبي أهلها؛ لما عظم الله من حرمتها، ولكن الكراهة عنده في كراء دور مكة قوية؛ طلباً للمواساة بها، وروي عنه أيضاً كراهة كرائها في أيام الموسم خاصة، وقال أبو حنيفة: لا بأس ببيع بناء بيوت مكة، ويكره بيع أرضها، وكذا الإجارة، وقال صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن:

---

(١) «حج» زيادة من «ت».

(٢) في «ش» «فيما قدره».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١١٦).

لا بأس بالبيع في الأرض والبناء، وأما مذهب الشافعي، فلم يختلف في جواز البيع والإجارة؛ لأنها فتحت عنده صلحاً.

﴿وَمَن يُرِدْ﴾ أي: يفعل ﴿فِيهِ﴾ أي: في المسجد ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ هو الميل عن الحق، والباء زائدة، معناه: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، والمراد بالإلحاد هنا: الشرك وجميع المعاصي ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جواب لـ(مَنْ).

***

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)﴾.

[٢٦] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿بَوَّأْنَا﴾ هيأنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ ليبنيه؛ لأن البيت كان رفع إلى السماء زمن الطوفان؛ وكان من ياقوتة حمراء، ثم لما أمر الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ببنائه، لم يدر أين يبني، فأعلم الله مكانه بريح أرسلها، فكنست ما حوله، فبناه على أُسِّه القديم ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ أي: وقلنا له: لا تشرك بي شيئاً.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر، وحفص عن عاصم: (بَيْتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ بالبيت ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي: المقيمين به.

﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٦).

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ ﴾ أي: نادِ فيهم ﴿ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ﴾ مشاة.

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ ﴾ بعير مهزول ﴿ يَأۡتِينَ ﴾ أي: النوق.

﴿ مِن كُلِّ فَجٍّ ﴾ طريق ﴿ عَمِيقٖ ﴾ بعيد، والضامر: هو كل ما اتصف بذلك من جمل وناقة وغير ذلك.

روي أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أُمر بالأذان بالحج، قال: «يا رب! وإذا ناديتُ، فمن يسمعني؟ فقيل له: نادِ يا إبراهيم، فعليك النداء، وعلينا البلاغ، فصعد على أبي قبيس فقال: أيها الناس! ألا إن ربكم قد بنى بيتاً، وكتب عليكم الحج، فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يميناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، فجرت التلبية على ذلك».

قال ابن عباس: «فأول من أجابه أهل اليمن[١]، فهم أكثر الناس حجاً»[٢].

واتفق الأئمة على أن الحج فرض على كل مسلم بالغ عاقل صحيح مرة في العمر مع الاستطاعة، فعند الشافعي ومالك: يجب على التراخي، وقيد مالك بما إذا لم يخش الفوت، وعند أبي حنيفة وأحمد: على الفور.

واختلفوا في العمرة، فقال أبو حنيفة ومالك: هي سنة، وقال الشافعي

---

(١) في «ت»: «اليمين».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٣).

وأحمد: هي فرض كالحج، وتقدم الكلام على ذلك، وعلى أوجه الحج الثلاثة، وهي: الإفراد، والتمتع، والقران في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾(١) [الآية: ١٩٦].

---

(١) جاء في هامش الأصل: روي عن بعض.... قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بمنى، إذ أقبلت طائفة من اليمن، فقالوا: فداك الأمهات والآباء، أخبرنا بفضائل الحج، قال: بلى، أي رجل خرج من منزله حاجاً أو معتمراً، فكلما رفع قدماً، ووضع قدماً تناثرت الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة.... بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل، طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين، جدد الله له الحسنات، وإذا قال: لبيك اللهم لبيك، أجابه الله ـ عز وجل ـ بلبيك وسعديك، أسمع كلامك، وأنظر إليك، فإذا دخل مكة، وطاف وسعى بين الصفا والمروة، وصل الله له الخيرات، فإذا وافى عرفات، وضجت الأصوات بالحاجات، باهى الله بهم ملائكته بسبع سموات، ويقول: ملائكتي وسكان سمواتي! أما ترون إلى عبادي، أتوني من كل فج عميق شعثاً غبراً، قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان، فوعزتي وجلالي وكرمي [لأجزين] منهم المحسن، [ولأطهرنهم] من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم، فإذا رموا الحجارة وحلقوا الرؤوس، وزاروا البيت، نادى مناد من بُطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم، واستأنفوا العمل»(١). قال ﷺ: «من مات ولم يحج، فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»(٢) انتهى.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الترمذي (٧٤٠)، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحجِّ، من حديث عليٍّ رضي الله عنه وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعَّف في الحديث. اهـ. وذكر الحافظ ابن حجر ما ملخصه: أن هذا الحديث له طرق صحيحة إلا أنها موقوفة، وأن له أصلاً. وقد خطَّأ رحمه الله مَن ادَّعى أنه موضوع، ومَحمَلُ الحديث على مَن استحلَّ التَّرك. انظر: «التلخيص الحبير» (٣/ ١٢٢).

﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ﴾.

[٢٨] ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ ﴾ ليحضروا ﴿ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ دينية ودنيوية.

﴿ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ ﴾ عند التذكية ﴿ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ ﴾ عندهم؛ لأنهم كانوا يحرصون على علمها وعدها لأجل الحج، وهي عشر ذي الحجة عند الأئمة الثلاثة، وأكثر أهل العلم، وعند مالك: هي أيام النحر الثلاثة.

﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، فلا تجوز الأضحية من غيرها.

﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا ﴾ أمر إباحة ليس بواجب، وإنما قال ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً، وأما الأضحية، فإنها مشروعة بأصل الشرع بالاتفاق.

واختلفوا في حكمها، فقال أبو حنيفة: هي واجبة على كل مسلم حر مقيم ملكَ نصاباً من أي الأموال كان، وقال الثلاثة: هي سنة غير مفروضة، واستثنى مالك الحاج الذي بمنى، فإن سنته عنده الهدي، ويجوز الأكل منها باتفاقهم، فقال أبو حنيفة: له أن يأكل منها، ويطعم الأغنياء والفقراء، ويدخر، ويستحب ألاّ ينقص الصدقة من الثلث، وقال مالك: يأكل ويطعم، وليس لما يأكله ولا لما يطعمه حد، وقال الشافعي وأحمد: يأكل الثلث، ويهدي الثلث، ويتصدق بالثلث، ولو أكل أكثر، جاز.

واختلفوا في الأفضل مما يضحى به، فقال مالك: الأفضل الغنم، ثم

البقر، ثم الإبل، قال الثلاثة: أفضلها الإبل، ثم البقر، ثم الغنم، والضأن أفضل من المعز بالاتفاق، ويجوز الذكر والأنثى والخصي، وشرطها سلامة من عيب ينقص اللحم، فلا تجزىء العجفاء، وهي الهزيلة، ولا ذات عرج وعور ومرض، وتجزىء الجماء، وهي التي خلقت بغير قرون، ولا يضر شق أذن وخرقها، بغير خلاف في ذلك، وتجزىء الشاة عن واحد باتفاقهم، وتجزىء البدنة والبقرة عن سبعة عند الثلاثة، وقال مالك: هما كالشاة لا تجزىء إلا عن واحد.

واختلفوا فيما يجزىء في الأضحية والهدي، فقال أبو حنيفة وأحمد: يجزىء الجذع من الضأن، وهو ما له ستة أشهر، والثني مما سواه، فمن المعز ما له سنة، ومن البقر ما له سنتان، ومن الإبل ما له خمس سنين، وقال مالك: الجذع من الضأن ما له سنة، والثني مما سواه، فمن المعز ما له ثلاث سنين، ومن البقر ما دخل في الثالثة، ومن الإبل ما له ست سنين، وقال الشافعي: من الإبل ما طعن في السادسة، ومن البقر والمعز ما طعن في الثالثة، ومن الضأن ما طعن في الثانية، والسنة أن يذبحها بنفسه إن كان يحسن، وإلا يحضُرها.

واختلفوا فيما إذا ذبحها كتابي، فقال مالك: لا يجوز، وقال الثلاثة: يجوز مع الكراهة.

وله أن ينتفع بجلدها، ولا يعطى الجازر بأجرته شيئاً منها، ولا يبيعها ولا شيئاً منها بالاتفاق، وأما الهدي الواجب بأصل الشرع؛ كدم التمتع والقران، والواجب بإفساد الحج وفواته، وجزاء الصيد، وما أوجبه على نفسه بالنذر، فلا يجوز الأكل منها عند الشافعي، وقال مالك: يأكل من

هدي التمتع، ومن كل هدي وجب عليه، إلا من أربعة أشياء: فدية الأذى، وجزاء الصيد، ونذر المساكين، وهدي التطوع إذا عطب قبل محله، وقال أبو حنيفة وأحمد: يأكل من هدي التطوع، ودم التمتع والقران، ولا يأكل من واجب سواهما، وسيأتي ذكر وقت الذبح والكلام عليه في سورة الكوثر إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ﴾ هو ذو البؤس؛ أي: الشدة.

﴿ٱلۡفَقِيرَ﴾ الذي لا شيء له.

***

﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ﴾ يزيلوا أوساخهم، والمراد: الخروج عن الإحرام بالحلق، وقص الشارب، وقلم الأظافر، ولبس الثياب، وقال ابن عباس وابن عمر: قضاء التفث: مناسك الحج كلها[(١)].

﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ ما ينذرون من البر في حجهم ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ﴾ ليدوروا طواف الإفاضة ﴿بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ الكعبة؛ لأنه أول بيت وضع للناس. **قرأ** ابن عامر، وأبو عمرو، وورش، ورويس، وقنبل: (ثُمَّ لِيَقْضُوا) بكسر اللام، والباقون: بإسكانها[(٢)]، وتقدم توجيه قراءتهم عند

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٤٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٧).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾، وهذا الحرف نظيره، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (وَلِيُوفُوا) (وَلِيَطَّوَّفُوا) بكسر اللام فيهما، والباقون: بإسكانها منهما[1]، وقرأ أبو بكر عن عاصم: (وَلْيُوَفُّوا) بفتح الواو وتشديد الفاء[2].

وطواف الإفاضة ركن، وبه تمام الحج بالاتفاق، وأول وقته عند أبي حنيفة طلوع الفجر من يوم النحر، وآخره آخر اليوم الثاني من أيام التشريق، فإن أخره إلى اليوم الثالث، لزمه شاة، وعند الشافعي وأحمد: أول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر، والأفضل فعله يوم النحر، فإن أخره عن أيام منى، جاز، وعند مالك: يجوز تأخيره إلى آخر ذي الحجة؛ لأنه بكماله عنده من أشهر الحج، لكنه قال: لا بأس بتأخير الإفاضة إلى أيام التشريق، وتعجيلها أفضل، فإن أخرها إلى المحرم، فعليه دم.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكور من أعمال الحج ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦ـ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٨).

ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه، وتعظيمها: ترك ملابستها.

﴿فَهُوَ﴾ أي: التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الدار الآخرة.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه؛ أي: في سورة المائدة، وهو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [الآية: ٣] استثناء منقطع؛ لأن المحرَّم ليس من جنس الأنعام.

﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾ القذر ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ بيان للرجس؛ لأن الرجس: الأوثان وغيرها؛ أي: اجتنبوا الرجس من هذا القبيل.

﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ الكذب والبهتان.

روي أن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: «يا أيها الناس! عدلت شهادة الزور بالشرك بالله، ثم قرأ هذه الآية»(١).

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور، فقال أبو حنيفة: لا يُعزر، بل يوقف في قومه، ويقال لهم: إنه شاهد زور، وقال الثلاثة: يعزر، ويوقف في قومه، ويعرفون أنه شاهد زور، وقال مالك: يشهر في الجوامع

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٩٩)، كتاب: الأقضية، باب ما جاء في شهادة الزور، والترمذي (٢٣٠٠)، كتاب: الشهادات، باب: ما جاء في شهادة الزور، وابن ماجه (٢٣٧٢)، كتاب: الأحكام، باب: شهادة الزور، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢١)، وغيرهم عن خريم بن فاتك ـ رضي الله عنه ـ. وفي إسناده مجهول، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٠).

والأسواق والمجامع، وقال أحمد: يطاف به في المواضع التي يشتهر فيها، فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور، فاجتنبوه.

***

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ اجتنبوا معصية الله تعالى مخلصين ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ يعني: من أشرك لا يكون حنيفاً.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى الأرض.

﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ تستلبه ﴿ٱلطَّيْرُ﴾ والخطف والاختطاف: تناول الشيء بسرعة. قرأ أبو جعفر، ونافع: (فَتَخَطَّفُهُ) بفتح الخاء وتشديد الطاء؛ أي: تتخطفه، فحذفت إحدى التاءين، وقرأ الباقون: بإسكان الخاء وتخفيف الطاء؛ من خطف يخطف(١).

﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: تميل وتذهب به ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد مهلك لا يرجى خلاصه منه، المعنى: ومن يشرك بالله، فقد هلكت نفسه هلاكاً يشبه أحد الهلاكين. قرأ أبو جعفر: (الرِّيَاحُ) بألف بعد الياء على الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٧٩).

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: المذكور من اجتناب الرجس وقول الزور.

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ وهي الهدي والبدن، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدي، وتعظيمها: استسمانها واستحسانها.

﴿ فَإِنَّهَا ﴾ أي: الفعلة، وهي اجتناب الرجس، وتعظيم الشعائر.

﴿ مِن ﴾ أفعال ذوي ﴿ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ وذكر القلوب؛ لأنها منشأ التقوى والفجور، والآمرة بهما.

* * *

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ لَكُمْ فِيهَا ﴾ أي: في البدن ﴿ مَنَـٰفِعُ ﴾ قبل تسميتها للهدي؛ من دَرِّها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهو أن يسميها ويوجبها هدياً، فإذا فعل ذلك، لم يكن له شيء من منافعها.

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ ﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ والمراد: الحرم كله، فتنحر فيه، واتفق الأئمة على جواز ركوب الهدي للحاجة ما لم يضر به.

* * *

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم.

﴿ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (مَنْسِكاً) بكسر السين بمعنى: موضع القربان، وقرأ الباقون: بفتح السين، مصدر بمعنى النسك، وهو إهراقة الدماء[1].

﴿ لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ عند النحر ﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ وقيد بهيمة الأنعام؛ لأن من البهائم ما لا يجوز في القرابين؛ كالخيل والحمر.

﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ﴾ أخلصوا وأطيعوا ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ المطيعين المتواضعين، والخبت: المكان المطمئن من الأرض، روي أن قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ نزل في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم[2].

***

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥) ﴾.

[٣٥] ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ ﴾ خافت واضطربت ﴿ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من المحن ﴿ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ في أوقاتها.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدقون.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٨-٤٩).

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ جمع بَدنَة، سميت بذلك؛ لعظم أبدانها، وهي الإبل خاصة.

﴿ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أعلام دينه، سميت شعائر؛ لأنها تُشْعَر، وهو أن تطعن بحديدة في سنامها، فيعلم أنها هَدْي، وتقدم الكلام على ذلك واختلاف الأئمة فيه في أول سورة المائدة.

﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ النفع في الدنيا، والأجر في العقبى.

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ عند نحرها ﴿ صَوَآفَّ ﴾ أي: قياماً على ثلاث قوائم، قد صفت رجليها وإحدى يديها، ويدُها اليسرى معقولة عند الذبح، وهي جمع صافَّة.

واختلف الأئمة في التسمية عند الذبح، فمذهب الشافعي: أن التسمية سنة، وتحل الذبيحة إذا تركها عامداً أو ناسياً، ومذهب الثلاثة: إن تركها عمداً، لم تحل، وإن تركها ناسياً، حلت.

﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ ﴾ سقطت ﴿ جُنُوبُهَا ﴾ إلى الأرض ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾ إن شئتم ﴿ وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ ﴾ هو ذو القناعة الذي لا يتعرض ولا يسأل.

﴿ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ المتعرض بغير سؤال.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثل ذلك التسخير.

﴿ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ ﴾ مع عظمها وقوتها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ إنعامنا عليكم.

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ ﴾ لن ترفع إليه ﴿ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ وذلك أن الجاهلية كانوا إذا نحروا البدن، لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله تعالى، فنزلت الآية: ﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾(١) يعني: النية والإخلاص، وما أريد به وجه الله. **قرأ** يعقوب: (لَنْ تَنَالَ) (وَلَكِنْ تَنَالُهُ) بالتاء على التأنيث فيهما؛ لتأنيث الجماعة، وتأنيث التقوى، **وقرأهما** الباقون: بالياء على التذكير(٢).

﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا ﴾ يعني: البدن ﴿ لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ لأعلام دينه، ومناسك حجه، وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أبلانا وأولانا، وقيل: التسمية والتكبير على الهدي والأضحية أن يقول الذابح: بسم الله والله أكبر ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الموحدين، روي أن قوله: ﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ نزل في الخلفاء الأربعة كما تقدم في المخبتين، فأما ظاهر اللفظ، فمقتض للعموم في كل محسن.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١)، و«تفسير البيضاوي» (٤/ ١٢٨)، و«عمدة القاري» للعيني (١٠/ ٢٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٣).

[٣٨] ﴿ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ يذهب غوائل المشركين وأذاهم.

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ خائن في أمانته.

﴿كَفُورٍ﴾ بالله تعالى؛ حيث أشرك.

* * *

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ولما كان المشركون من أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ، فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج، ويشكون إلى رسول الله ﷺ، فيقول لهم: «اصبروا فإني لم أؤمر بقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾[2]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وخلف باختلاف عنه: (أُذِنَ) بضم الهمزة مجهولاً،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١-٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٤).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٦). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٨٧-٣٨٨) غريب جداً.

[والباقون: بفتحها؛ أي: أذن الله للذين يقاتلون[1]، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (يُقَاتَلُونَ) بفتح التاء مجهولاً][2]؛ أي: يقاتلهم عدوهم، وقرأ الباقون: بكسرها معلوماً[3]؛ أي: يقاتلون هم عدوهم.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ بسبب كونهم مظلومين باعتداء الكفار عليهم.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ونسخت هذه الآية سبعين آية؛ لأنها أول آية نزلت في الإذن بالقتال، ونزلت بالمدينة[4].

* * *

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾.

[٤٠] ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني: مكة، بدل من ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بغير ذنب ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا﴾ المعنى: لم يخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٤ـ١٨٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) المصادر السابقة.

(٤) في «ش»: «في المدينة».

﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ بالجهاد وإقامة الحدود. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (دِفَاعُ) بكسر الدال وألف بعد الفاء، **وقرأ** الباقون: (دَفْعُ) بفتح الدال وإسكان الفاء من غير ألف[1].

﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ لخربت. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: بتخفيف[2] الدال، والباقون: بتشديدها، فالتخفيف يكون للقليل والكثير، والتشديد يختص بالكثير[3]، **وقرأ** ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون، والأصبهاني عن ورش، وهشام عن ابن عامر: بإظهار التاء عند الصاد من (صَوَامِعُ)، والباقون: بإدغامها[4].

﴿صَوَٰمِعُ﴾ منابر الرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ جمع بِيعة، وهي كنيسة النصارى.

﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ أي: مواضع صلوات، وهي كنائس اليهود.

﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ هي للمسلمين.

﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ المعنى: لولا دفع الله عن المتعبدين بالمجاهدين، لانقطعت العبادات، وخربت المتعبدات، وقدم مصليات الكافرين على مساجد المؤمنين؛ لأنها أقدم.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٥).

(٢) في «ش»: «بفتح» وهو خطأ.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٥ـ١٨٦).

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٦).

واتفق الأئمة على منع أهل الذمة من إحداث الكنائس والبيع في بلاد الإسلام فيما اختطه المسلمون من الأمصار، وما فتح عنوة، واتفقوا على جواز ذلك فيما شرطوه فيما فتح صلحاً على أنه لنا، واختلفوا في إعادة المنهدم منها، فقال أبو حنيفة والشافعي: يجوز إعادته، وقال مالك وأحمد: لا يجوز، قال أحمد: ولو هدم ظلماً، وأما رم المتشعث منها، فيجوز عند الثلاثة، وعند مالك: إن اشترطوه جاز، وإلا فلا.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي: ينصر دينه، وقد نجز وعده بتسليط المهاجرين والأنصار على العرب والعجم، وأورثهم أرضهم وديارهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾ ممتنع في سلطانه.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٤١)﴾.

[٤١] ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد، قال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي[١]: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه.

* * *

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢)﴾.

[٤٢] ثم سلى نبيه فقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾.

---

(١) «أي» ساقطة من «ت».

﴿وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ٤٣﴾.

[٤٣] ﴿وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ﴾.

***

﴿وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم.

﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ﴾ عاقبتهم.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بإهلاكهم، يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه، وقوله: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ﴾ مجهولاً؛ لأن موسى لم يكذبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذبه القبط. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (أَخَذْتُهُمْ) (أَخَذْتُهَا)[١] بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[٢]، وقرأ ورش عن نافع: (نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[٣].

***

---

(١) «أخذتها» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٨).

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ (٤٥) ﴾.

[٤٥] ﴿ فَكَأَيِّن ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، وأبو جعفر يسهل الهمزة، والباقون: بهمزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة، ووقف أبو عمرو ويعقوب (فَكَأَيْ) بغير نون حيث وقع، ووقف الباقون: (فَكَأَيِّنْ)، وهي كاف التشبيه ضمت إلى الاستفهام، فصار المعنى: وكم[١].

﴿ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ يعني: أهلها. قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (أَهْلَكْتُهَا) بالتاء مضمومة من غير ألف على الإفراد، وقرأ الباقون: بالنون مفتوحة وألف بعدها جمعاً على التعظيم[٢].

﴿ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ أي: مشركٌ أهلُها ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ ساقطة.

﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ سقوفها؛ بأن سقطت السقوف، ثم سقطت عليها الحيطان.

﴿ وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴾ أي: وكم من بئر متروكة مع وجود الماء وآلاتها فيها؛ لهلاك أربابها. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (وَبِيرٍ) بغير همز، والباقون: بالهمز[٣].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن =

﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾ مجصَّص من الشيد مرتفع محكم أخليته بإهلاك أربابه[1]، أفلم يعتبر كفار مكة بذلك؟

روي أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها: حاصوراء، وذلك أن أربعة آلاف ممن آمن بصالح ـ عليه السلام ـ نجوا من العذاب، فأتوا حضرموت، ومعهم صالح، فلما حضروه، مات صالح، فسمي: حضرموت؛ لأن صالحاً لما حضره[2] مات، فبنوا حاصوراء، وقعدوا على[3] هذه البئر، وأمَّروا عليهم رجلاً، فأقاموا دهراً، وتناسلوا حتى كثروا، ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا، فأرسل الله عز وجل إليهم نبياً يقال له: حنظلة بن صفوان، وكان حمالاً فيهم، فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله، وعطلت بئرهم، وخربت قصورهم[4].

* * *

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾.

[٤٦] ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: كفار مكة، فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية ﴿فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾ أي: يعلمون بها، فيه دليل على أن العقل محله القلب، وهو قول المالكية والشافعية

= الجزري (١/ ٣٩٠-٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٨٩).

(١) في «ت»: «أربابها».

(٢) في «ت»: «حضروه».

(٣) في «ش»: «في».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٤).

وأصحاب أحمد، والأطباء قالوا: وله اتصال بالدماغ، والمشهور عن أحمد أنه في الدماغ، وفاقاً للحنفية، والعقل ما يحصل به المَيْزُ، وهو نور في القلب كالعلم، وهو غريزة، ويختلف، فعقل بعض الناس أكثر، وهو مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل.

﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية، فيعتبروا بها.

﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القصة.

﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ المعنى: أعينهم صحيحة، وقلوبهم عُمي، والعمى الضار هو عمى القلب، فأما البصر، فليس بضار في أمر الدين.

* * *

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ولما قال: النضر بن الحارث ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، نزل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾(١) بإهلاك الكفار وعذابهم، فأنجز الله ذلك يوم بدر.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا﴾ من أيام العذاب الذي استعجلوه.

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا؛ في الشدة، فكيف تستعجلونه؟! قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: (يَعُدُّونَ) بالغيب؛ لقوله: (يَسْتَعْجِلُونَكَ)، وقرأ الباقون: بالخطاب؛ لأنه أعم؛ لأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين[1].

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكَمْ من أهل قرية، عطف الأولى بالفاء؛ لأنها بدل عن قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وهذه بالواو؛ لأنها في حكم ما تقدمها من الجملتين؛ لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة، وأن تأخيره لعادته تعالى.

﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أمهلتها كما أمهلتكم ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ مثلكم.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ وإلي حكم الجميع.

* * *

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أوضِّحُ لكم ما أُنذركم به، ليس إلي أن أعجل عذاباً، ولا أن أؤخره.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٠).

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠ ﴾.

[٥٠] ثم قسم حالة المؤمنين والكافرين بقوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الجنة، ورزقهم فيها.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝٥١ ﴾.

[٥١] ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ بالطعن فيها ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بتشديد الجيم من غير ألف؛ أي: مثبطين الناس عن الإيمان، وقرأ الباقون: بالتخفيف والألف[١]؛ أي: مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

* * *

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢ ﴾.

[٥٢] ولما ألقى الشيطان بقراءة نفسه في قراءة النبي ﷺ محاكياً نغمته ـ عليه السلام ـ لما قرأ في الصلاة: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى؛ بحيث يسمعها من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قوله عليه السلام، وأشاعوها، حزن لذلك ﷺ، فنزل تسلية له:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩١).

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾[1] هو الذي جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ﴿ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ هو الذي لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ أي: تلا وقرأ كتاب الله.

﴿ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ بقراءة نفسه ﴿ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ في قراءته، المعنى: ما من رسول[2] ولا نبي قبلك إلا مكنا الشيطان أن يلقي في قراءتهم مثل ما ألقى في قراءتك، فلا تهتم لذلك. قرأ أبو جعفر: (أُمْنِيَتِهِ) بتخفيف الياء، والباقون: بتشديدها[3].

﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي: يبطله.

﴿ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴾ أي: يثبتها.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال الناس ﴿ حَكِيمٞ ﴾ فيما يفعله بهم، وما نقل من أن الشيطان ألقاها على لسان النبي ﷺ، أو أنه أصابته ـ عليه السلام ـ سِنَة، فقالها، أو حدَّثَ نفسه فسها، فهذا كله ضعيف واه لم يُرو بسند صحيح؛ لعصمته ﷺ، ونزاهته عن مثل ذلك، وعن جريان الكفر على قلبه أو لسانه عمداً أو سهواً، أو يكون للشيطان عليه سبيل.

* * *

---

(١) تقدم ذكر قصة الغرانيق والتعليق عليها، فيما ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٩١ـ٣٩٣). وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٤٣٩).

(٢) «ما من رسول» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩١).

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً ﴾ اختباراً .

﴿ لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ هو الشك .

﴿ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ عن قبول الحق، وهم المشركون، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نسخ ورفع، فازدادوا عتواً، وظنوا أن رسول الله ﷺ يقوله من عند نفسه، ثم يندم فيبطل .

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المشركين ﴿ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ أي : خلاف شديد .

* * *

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون ﴿ أَنَّهُ ﴾ أي : القرآن ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ وتعطف عليه (وليعلم) .

﴿ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ ﴾ أي : تلين ﴿ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾ وتطمئن ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ دين الإسلام. وقف يعقوب (لَهَادِي) : بإثبات الياء[1] .

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٨ـ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٢).

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ ﴾ شك ﴿ مِّنْهُ ﴾ من القرآن.

﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة.

﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ أي: عقم فلا خير فيه للكفار، وهو يوم بدر في قول الأكثر؛ لأنه ذكر الساعة من قبل، والعقم في اللغة: المنع، يقال: رجل عقيم: إذا مُنع من الولد.

* * *

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ تقديره: الملك لله يوم يزول شك الكافرين، وهو يوم القيامة ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾ بين المؤمنين والكافرين.

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ يُهانون فيه.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ونزل في الذين قالوا للنبي ﷺ: مالنا إذا هاجرنا فقتلنا أو متنا؟ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١] فارقوا أوطانهم في طاعة الله تعالى.

﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ﴾ قرأ ابن عامر: (قُتِّلُوا) بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[٢].

﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة، وقيل حسناً؛ أي: حلالاً.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فإنه يرزق بغير حساب.

***

﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۚ﴾ هو الجنة؛ لأن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مَدْخَلاً) بفتح الميم، والباقون: بضمها[٣].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ فلا يعجل على المسيء بالعقوبة.

---

(١) انظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ١١٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٢).

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾.

[٦٠] ونزل في المسلمين الذين طلب المشركون قتالهم في الأشهر الحرم، فامتنعوا عليهم، ثم قاتلوهم ﴿۞ ذَٰلِكَ﴾[1] أي: الأمر ذلك.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ أي: جازى الظالم بمثل ظلمه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (عَاقَب بِّمِثْلِ) بإدغام الباء في الباء[2] ﴿ثُمَّ بُغِيَ﴾ تُعُدِّي[3] ﴿عَلَيْهِ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة.

﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ على ظالمه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين.

﴿غَفُورٌ﴾ لهم قتالهم في الأشهر الحرم.

* * *

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٦١﴾.

[٦١] ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ يدخل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بمغيب الشمس، وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٩٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٧١).
(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٣).
(٣) «تعدي» زيادة من «ت».

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ الذي لا يجوز أن يعبد إلا هو ﴿ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ من الآلهة ﴿ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ على كل شيء.

﴿ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ عن أن يكون له شريك.

* * *

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ استفهام معنى الخبر.

﴿ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةً ﴾ بالنبات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ محكم للأمور برفق ﴿ خَبِيرٌ ﴾ بما ظهر وبطن.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٣).

﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ خلقاً وملكاً.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ في ذاته عن كل شيء.

﴿ ٱلْحَمِيدُ ﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.

***

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ جعلها مذللة لكم.

﴿ وَٱلْفُلْكَ ﴾ أي: وسخر الفلك ﴿ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ ﴾ أي: لكيلا تسقط.

﴿ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۚ ﴾ إلا بمشيئته، وذلك يوم القيامة. **قرأ** أبو عمرو، وقالون، والبزي: (السَّمَا أَنْ) بإسقاط الهمزة الأولى بلا عوض منها، ويهمزون الثانية، **وقرأ** ورش، وقنبل، وأبو جعفر، ورويس: بتسهيل الثانية، فيجعلونها بين الهمزة والألف، ويفتحونها شبه مَدَّة، **وقرأ** الباقون، [وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين[(١)].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. **قرأ** نافع، وابن كثير، وأبو جعفر،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٤).

وابن عامر، وحفص: (لَرَءُوفٌ) بالإشباع حيث وقع على وزن فَعول، وقرأ الباقون][1]: بالاختلاس على وزن فَعُل[2]، والرأفة: أشد الرحمة.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ﴾ في الأرحام.

﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ عند انقضاء الأجل.

﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ ﴾ بالبعث.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ هو بديل بن ورقاء ﴿ لَكَفُورٌ ﴾ بالله تعالى وبأنعمه.

* * *

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ ﴾ يعني: شريعة هم عاملون بها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (مَنْسِكاً) بكسر السين، والباقون: بفتحها، وتقدم توجيه القراءتين في الحرف المتقدم [الآية: ٣٤].

﴿ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ ﴾ أي: لا تنازعهم في الأمر.

---

(١) ما بين معكوفتين ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٥).

﴿فِي ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ أي: في الذبائح، وذلك أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله ـ يعني: الميتة ـ، فنزلت الآية:

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾(1) إلى دينه.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ طريق إلى الحق سويٍّ.

* * *

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨﴾.

[٦٨] ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ وقد ظهر الحق.

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من المجادلة الباطلة.

* * *

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩﴾.

[٦٩] ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أيها المؤمنون والكافرون.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ من الدين، فتعرفون حينئذ الحق من الباطل.

* * *

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فلا يخفى عليه شيء.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣١).

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ الموجود فيهما.

﴿ فِي كِتَٰبٍ ﴾ في اللوح المحفوظ.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الإحاطة به ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

* * *

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ثم أومأ إلى جهالة الكفار بعبادتهم غير المستحق لها، فقال: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ حجة وبرهاناً على جواز عبادته ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ يعني: فعلوه عن جهل لا عن علم.

﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ المشركين ﴿ مِن نَّصِيرٍ ﴾ يدفع عنهم العذاب.

* * *

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي: القرآن.

﴿ بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أي: أثر الإنكار ﴿ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ ﴾ يصولون ويبطشون.

﴿ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ هم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وأصل السطو: القهر.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ أي: بأشد من سماع القرآن.

﴿النَّارُ﴾ أي: هي النار ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)﴾.

[٧٣] ولما كانت دعواهم بأن لله شريكاً جارية في الغرابة والشهرة مجرى الأمثال التي يسار بها، قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ﴾ أي: جُعل ﴿مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ استماع تدبر وتفكر، ثم جهلهم لذلك فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ آلهة. قرأ يعقوب: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1] ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لن يقدروا على خلقه مع صغره، والمراد: الذباب المعروف؛ لأنه مثل في الضعف والحقارة ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ متعاونين عليه، فكيف إذا كانوا منفردين؟

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾ أي: يسلب ﴿الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ من حلي الأصنام، مع ضعفه ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾ يخلصوه ﴿مِنْهُ﴾ لعجزهم، وهذه صفة العاجز، فكيف تعبدونه؟! قال ابن عباس: «كانوا يُطْلون أصنامهم بالزعفران، فإذا

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٦).

جف، سلبه الذباب، فتعجز الأصنام وعابدوها عن أخذه منهم»[1] ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ المعبود.

***

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظموه حق عظمته، ولا وصفوه حق وصفه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه شيء، وآلهتهم مقهورة عاجزة.

***

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾.

[٧٥] ولما قال المشركون: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ﴾ [ص: ٨]، نزل: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي﴾[2] يختار ﴿مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وغيرهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ رسلاً، يدعون إلى الحق، ويبلغون ما نزل عليهم؛ مثل: إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فأخبر أن الاختيار إليه، يختار من شاء من خلقه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لقولهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يختاره لرسالته.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٣)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ٩٨).

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٧٦﴾.

[٧٦] ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ما قدَّموا ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ ما خلَّفوا.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ في الآخرة. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون: بضم التاء وفتح الجيم[1].

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۝٧٧﴾.

[٧٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ في صلاتكم ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ وحّدوه، والعبادة عبارة عن الخضوع والتذلل، وهو تعظيم الله [بأمره ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾من صلة الرحم ومكارم الأخلاق.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾][2]؛ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة، وهذا محل سجود عند الشافعي وأحمد؛ خلافاً لأبي حنيفة ومالك، وتقدم اختلاف الأئمة في سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم.

* * *

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٢٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨-٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١٩٧).

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ .

[٧٨] ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لله، ومن أجل إعلاء دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ بنية صادقة خالصة لله عز وجل، وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»(١)، وأراد بالجهاد الأصغر: جهاد الكفار، وبالأكبر: جهاد النفس.

﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ اختاركم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ ضيق في شرعة الملة، والحرج: ما يتعذر عليه الخروج عما يقع فيه، وذلك أنها ـ أي: الملة ـ حنيفة سمحة، ليست كشدائد بني إسرائيل وغيرهم، بل فيها التوبة والكفارات والرخص، ونحو هذا مما كثر عده.

﴿مِّلَّةَ﴾ أي: كَمِلَّة ﴿أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ ونصب بنزع حرف الصفة، وقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ﴾ خطاب للعرب؛ لأنهم كانوا من نسل إبراهيم.

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ المعنى: الله سماكم المسلمين.

﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل إنزال القرآن في الكتب المتقدمة.

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٩٥): غريب جداً، وذكره الثعلبي هكذا من غير سند. ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٢٣)، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ بإسناده فيه ضعف. وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٩٦)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٥١)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (١/ ٥١١).

﴿وَفِي هَٰذَا﴾ الكتاب، وهو القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أن قد بلغكم ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أن رسلهم قد بلَّغتهم، واللام في[1] (لِيَكُونَ) متعلقة بقوله: (اجْتَبَاكُمْ).

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضةَ بالمداومة عليها.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أدُّوها كما أنعم عليكم.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ ثقوا به، وارفضوا التوكل على سواه.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ الذي يليكم نصره وحفظه.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ لا إله إلا هو إليه المصير، والله أعلم.

* * *

(١) «في»: ساقطة من «ت».

سورة المؤمنون

مكية وآيها: مئة وثماني عشرة آية، وحروفها: أربعة آلاف وثماني مئة وحرفان، وكلمها: ألف وثماني مئة وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: سعد المصدقون ونالوا البقاء في الجنة، والفلاح: هو النجاح والبقاء، و(قَدْ) تُثبت المتوقع، كما أن (لما) تنفيه، ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك، صدرت بها بشارتهم.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد أُنزل علي عشر آيات، من قام بهن، دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات»(١). قرأ ورش عن نافع: (قَدَ أَفْلَحَ) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهو الدال، وحذفها، وحمزة له النقل إذا وقف بخلاف عنه، والوجهان من

(١) رواه الترمذي (٣١٧٣)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المؤمنون، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٤٣٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦١)، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ. وإسناده ضعيف، انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ٤٦٠).

النقل والتحقيق عن حمزة صحيحان معمول بهما[1]. وقرأ أبو عمرو، وورش، وأبو جعفر[2]: (الْمُومِنُونَ) حيث وقع بواو ساكنة بغير همز، والباقون: يهمزونه[3].

***

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ مُخبتون أذلاء، ملزمون أبصارَهم مساجدَهم، وهو المسنون عند الأئمة الثلاثة، وقال مالك: ينظر أمام قبلته، وليس عليه أن ينظر إلى حيث يسجد، ولا إلى موضع معين، والخشوع قريب من الخضوع، إلا أن الخضوع في البدن، والخشوع في البدن والبصر والصوت، قال الله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وأضيفت الصلاة إلى المؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

روي أن سبب نزولها: أن المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم[4] يمنة ويسرة، فنزلت الآية[5]، وأمروا أن يكون بصر المصلي حذاء قبلته، أو بين يديه، وفي الحرم إلى الكعبة.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠١).

(٢) «أبو جعفر» زيادة من «ت».

(٣) سلفت في عند تفسير الآية (٣) من سورة البقرة.

(٤) في «ش»: «صلواتهم».

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٨٣).

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ ﴾ وهو كل ما لا يجمل في الشرع من قول وفعل ﴿ مُّعْرِضُونَ ﴾ .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ ﴾ المفروضة[1] ﴿ فَٰعِلُونَ ﴾ أي: مؤدُّون.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ بالتعفف عن الحرام، والفرج: اسم يجمع سوءة الرجل والمرأة.

* * *

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ أي: زوجاتهم، والآية في الرجال خاصة؛ بدليل قوله:

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ من السراري.

﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ على إتيانهن في المآتي.

* * *

---

(١) «المفروضة» زيادة من «ت».

﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: طلب سوى الزوجات والسراري.

﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ المعتدون، استدل بذلك بعض العلماء على أن الاستمناء باليد حرام، وهو مذهب الثلاثة، ومذهب أحمد: يُباح إذا لم يجد طَوْلاً لحرة، ولا ثمنَ أمة، وخاف الزنا، فإن فعله لغير حاجة، عُزر لفعله محرماً، وحكم المرأة عنده كالرجل، فتستعمل شيئاً مثل الذكر عند الخوف من الزنا.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ ﴾ جمع أمانة، وهي كل ما يؤتمن عليه؛ كأموال وحرم وأسرار. قرأ ابن كثير: (لِأَمَانَتِهِمْ) بغير ألف بعد النون على التوحيد؛ لقوله: (وَعَهْدِهِمْ)، وقرأ الباقون: بالألف على الجمع؛ لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[1] [النساء: ٥٩].

﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ لمن عاهدهم أو عاهدوه ﴿ رَٰعُونَ ﴾ حافظون.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٢).

(صَلاَتِهِمْ) على التوحيد، والباقون: (صَلَوَاتِهِمْ) على الجمع[1] والتوحيد، اسم جنس، فهو في معنى الجمع.

﴿يُحَافِظُونَ﴾ يداومون، وكررت الصلاة؛ لأنها أعظم العبادات.

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أهل هذه الصفة ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ يوم القيامة منازلَ الكفار من الجنة؛ لأن لكل واحد منزلين: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فالمؤمن يرث منزل الكافر من الجنة، والكافر يرث منزل المؤمن من النار.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ هو أعلى الجنة.

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يموتون ولا يخرجون، وقد ورد «أن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي! لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث»[2].

* * *

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ﴾ ابتداء كلام، والواو في أوله عاطفة جملة الكلام على

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٥٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٣٥)، عن عبد الله بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ.

جملة وإن تباينت في المعاني ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو آدم عليه السلام.

﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ أي: من طينة مستلة، والسلالة: خلاصة الشيء، والعرب تسمي النطفة: سلالة، والولد: سليلاً؛ لأنهما مسلولان من الرجل.

* * *

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: ابن آدم ﴿نُطْفَةً﴾ من مني.

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ الرحم.

* * *

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ وتقدم تفسيرها في سورة الحج، والنطفة تقع في اللغة على قليل الماء وعلى كثيره، وهي هاهنا مني ابن آدم.

﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ و(خلقنا) في الثلاثة المواضع بمعنى: صيرنا.

﴿فَكَسَوْنَا﴾ أي: ألبسنا ﴿ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (عَظْماً) (فَكَسَوْنَا الْعَظْمَ) بفتح العين وإسكان الظاء من غير ألف

على التوحيد فيهما، **وقرأهما** الباقون: بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع[١].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه، وقيل: هو تغير أحواله من ولادة إلى رضاع إلى قعود إلى قيام إلى مشي إلى أكل وشرب إلى تقلب في البلاد.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالى وتقدس، وتبدل منه.

﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المقدِّرين، والخلق في اللغة: التقدير.

روي أن ابن أبي السرح كان يكتبها لدى النبي ﷺ، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال ﷺ: «اكتبها، فهكذا أنزلت»، فارتد وقال: إن كان محمد يوحى إليه، فأنا يوحى إلي، ثم أسلم يوم الفتح[٢].

قال[٣] الكواشي: وليس لأحد بهذه الحكاية طعن في القرآن، ولا في إعجازه؛ لأن الكلمة والكلمتين قد تتفق لمن لم يتقدم له قدم في قرآن ولا كلام ولا شعر، ولا يحصل بالكلمة والكلمتين إعجاز، وأقل ما يحصل الإعجاز بالسورة الواحدة، قال ابن جريج: إنما جمع الخالقين؛ لأن عيسى كان يخلق.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٧)، عن السدي. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٤٤٤).

(٣) في «ت»: «فقال».

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعد تمام خلقكم .

﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾ عند انقضاء آجالكم، والميت: من مات، والمائت: من سيموت .

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ للمحاسبة والمجازاة .

* * *

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أي: سموات، جمع طريقة، سميت بذلك؛ لتطارق بعضها فوق بعض ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ فنسقط السماء عليهم .

* * *

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ بمقدار ما علمنا من كفايتهم .

﴿ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فجعلناه ثابتاً مستقراً، ثم أخرجنا منه ينابيع، وكل ماء في الأرض من السماء، ثم امتن عليهم بإبقاء الماء فقال :

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ ﴾ أي: على إزالته .

﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾ فتموتون عطشاً، وتهلك مواشيكم، وتخرب أراضيكم.

وفي الخبر: «أن الله تعالى أنزل أربعة أنهار من الجنة: سيحان، وجيحان، ودجلة، والفرات»(١).

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: «خمسة أنهار» فزاد بعد الأربعة: «والنيل»(٢).

***

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾ أي: بالماء ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ بساتين(٣).

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾ في الجنات ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ تغذياً، وخص النخل والأعناب بالذكر؛ لأنها أكثر فواكه العرب بالحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما؛ ولأنهما أشرف الثمار، وذكرها مثالاً؛ تشريفاً لها، وتنبيهاً عليها.

***

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن ابن عطاف، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٥).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣١٥)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٣٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٥٧). وقد روى مسلم (٢٨٣٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كلٌّ من أنهار الجنة».

(٣) «بساتين» زيادة من «ت».

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَشَجَرَةً﴾ عطف على ﴿تَخْرُجُ﴾ أي: وأنشأنا لكم شجرة هي الزيتون.

﴿مِن طُورِ﴾ أي: جبل ﴿سَيْنَآءَ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: بكسر السين، والباقون: بفتحها[(١)]، ومعناهما: البركة؛ أي: من جبل مبارك.

﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (تُنْبِتُ) بضم التاء وكسر الباء؛ من أنبت، فالباء زائدة، وفائدة زيادتها دلالتها على ملازمة الإنبات للدهن؛ أي: تخرج الدهن، **وقرأ** الباقون: بفتح التاء وضم الباء؛ من نبت[(٢)]؛ أي: تنبت بثمرة الدهن، وهو الزيتون، وقيل: تنبت ومعها الدهن؛ كما تقول: خرج زيد بسلاحه، فملخص الاختلاف بين القراء: أن قراءة ابن كثير، وأبي عمرو (سِينَاءَ) بكسر السين (تُنْبِتُ) بضم التاء وكسر الباء، **وقراءة** نافع، وأبي جعفر: بكسر السين، و(تَنْبُتُ) بفتح التاء وضم الباء، **وقراءة** الكوفيين، وابن عامر، وروح: بفتح السين، و(تَنْبُتُ) بفتح التاء وضم الباء، **وقراءة** رويس: بفتح السين وضم التاء وكسر الباء.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٥).

﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ والصبغ: هو الإدام، معطوف على الدهن؛ أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه، وكونه إداماً يصبغ فيه الخبز؛ أي: يُغمس فيه للائتدام.

***

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١)﴾.

[٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ آية تعتبرون بها.

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من الألبان. قرأ أبو جعفر (تَسْقِيكُمْ) بالتاء مفتوحة؛ أي: تسقيكم الأنعامُ، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: نحن، وفتح النونَ: نافع، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم، وضمها الباقون(١).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فتنتفعون بأعيانها.

***

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبل في البر.

﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٦).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ وحدوه ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ معبود سواه. قرأ أبو جعفر، والكسائي: (غَيْرِه) بكسر الراء على نعت الإله حيث وقع، والباقون: بالرفع على التقديم[1]؛ أي: ما لكم غيره من إله.

﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ أفلا تخافون أن يهلككم إذا عبدتم غيره؟!

* * *

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ الملأ: الأشراف.

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: يعلوكم؛ بأن يصير متبوعاً، وأنتم له تبع.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ألاَّ يعبد سواه ﴿ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ بإبلاغ الوحي.

﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ الذي يدعونا إليه نوح.

﴿ فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وفي قول هؤلاء استبعاد بعثة البشر، وهم مقرون بالملائكة.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٧).

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾ أي: جنون.

﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ ﴾ فاحتملوه وانتظروا.

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى أن يموت.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ بعدما أيس من إيمانهم: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى ﴾ بإهلاكهم ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي. قرأ يعقوب: (كَذَّبُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها(١).

* * *

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بحفظنا؛ أي: محفوظة؛ لأنه كان يعمل السفينة، ولا يخطئ في عملها ﴿ وَوَحْيِنَا ﴾ أمرنا.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ بالركوب. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَمْرُنَا) كاختلافهم فيهما من ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ روي أنه قيل لنوح: إذا فار الماء من التنور، اركب

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١١).

أنت ومن معك، فلما نبع الماء منه، أخبرته امرأته، فركب، وهو تنور الخبز في قول الأكثر، ومحله الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة، وقيل: عين وردة من الشام، وقيل غير ذلك.

﴿فَاسْلُكْ﴾ فأدخل ﴿فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ صنفين من الحيوان.

﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى، وقيل لهما زوجان؛ لأن كل واحد منهما يقال له زوج؛ لأنه لابد لأحدهما من الآخر. قرأ حفص: (مِنْ كُلٍّ) بالتنوين؛ أي: من كل صنف زوجين اثنين، ذكره تأكيداً، والباقون: بغير التنوين على الإضافة[1]، على معنى: احمل اثنين من كل زوجين، والقراءتان ترجعان إلى معنًى واحد، وتقدم ذكر القصة مستوفًى في سورة هود.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحمل أهلك من النسب ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق عليه الحكم بالهلاك، وهو كنعان، وامرأتك واعلة مستثنى من الأهل.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا؛ بالدعاء لهم بالإنجاء ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ لا محالة.

* * *

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ استقررت.

﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ راكباً فيها عالياً فوقها.

﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٨).

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَنْزِلاً) بفتح الميم وكسر الزاي؛ أي: مكاناً، والمراد: بطن السفينة، وقرأ الباقون: بضم الميم وفتح الزاي، مصدر بمعنى: الإنزال[١]، وبركة السفينة: النجاة فيها ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ ثناء مطابق لدعائه.

* * *

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ دلالات على قدرتنا .

﴿ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ لمصيبين ببلاء، ومختبرين اختباراً يؤدي إلى ذلك، و(إِنْ) عند سيبويه مخففة من الثقيلة، واللام لام تأكيد.

* * *

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد إهلاك قوم نوح.

﴿ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ يعني: قوم عاد.

* * *

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ يعني: هوداً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٨).

﴿ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي: قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله.

﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ فتؤمنون.

وقيل: إن القرن هم ثمود، ورسولهم صالح، قال البغوي: الأول أظهر(١).

***

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي: بالمصير إليها ﴿ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ نعمناهم، ووسعنا عليهم.

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ منه.

***

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ لمغبونون؛ حيث أذللتم أنفسكم.

***

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف عن عاصم: (مِتُّمْ) بكسر الميم، والباقون: بضمها(٢).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٩).

﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ من قبوركم، استفهام بمعنى التوقيف على جهة الاستبعاد، وبمعنى الهزء بهذا الوعد، و(أَنَّكُمْ) الثانية بدل من الأولى، وفيها معنى تأكيد الأول، وكررت لطول الكلام.

* * *

﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ كناية عن البعد، التقدير: بَعُدَ الوجود.

﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ أبو جعفر: بكسر التاء منهما بغير تنوين، والباقون بفتحها فيهما، ووقف بالهاء: البزي، والكسائي، وروح، والباقون: يقفون عليهما بالتاء، وهو المختار(١).

* * *

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧]﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أرادوا: أنه لا وجود غير هذا الوجود ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض، ويولد بعض ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت كما تزعم.

* * *

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعنون: الرسول.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٣١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٠٩-٢١١).

﴿ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بمصدقين بالبعث.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ بسبب تكذيبهم إياي. قرأ يعقوب: (كَذَّبُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١].

* * *

﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ عن زمان قليل و(ما) صلة لتوكيد معنى القلة ﴿ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ على تكذيبهم إذا عاينوا العذاب.

* * *

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ بما استحقوا من أفعالهم، وبما حق منا في عقوبتهم، صاح عليهم جبريل عليه السلام، فدمرهم.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ﴾ هلكى كغثاء السيل لا ينتفع به، وهو ما يحمله الماء على وجهه من الزبد والبالي من النبات.

﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يحتمل الإخبار والدعاء.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١١).

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ﴾ أقواماً.

﴿ ءَاخَرِينَ ﴾ كقوم صالح ولوط وشعيب.

* * *

﴿ مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ المكتوبَ لها ﴿ وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾ عنه.

* * *

﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضًا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدًا لِّقَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ ﴾ مترادفين واحداً بعد واحد. قرأ أبو عمرو: (رُسْلَنَا) بإسكان السين حيث وقع، والباقون: بضمها، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (تَتْرًى) بالتنوين، ويقفون بالألف، وهي ألف إلحاق، وقرأ الباقون: بغير تنوين، ونصبها على القراءتين حال، وأمال فتحة الراء: ورش، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو عمرو في الوقف بخلاف عنه[١] ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ ﴾ أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسِل، ومع المجيء إلى المرسَل إليهم؛ لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه، والمجيء الذي هو منتهاه إليهم. قرأ نافع، وأبو عمرو،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٢).

وابن كثير، وأبو جعفر، ورويس: (جَاءَ أُمَّةً) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية[1]، وهي أن تجعل بين بين، وقرأ الباقون، وهم: الكوفيون، وابن عامر، وروح: بتحقيق الهمزتين، ولم يقع في القرآن همزة مضمومة بعد همزة مفتوحة من كلمتين سوى هذا الحرف فقط[2].

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أهلكنا بعضهم في إثر بعض.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يُتمثل بهم في الشر ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله.

***

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥)﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ حجة ظاهرة؛ كاليد والعصا وغيرهما.

***

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)﴾.

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين بالظلم.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٣).

﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ ﴾ .

[٤٧] ﴿ فَقَالُوٓاْ ﴾ يعني: فرعون وقومه ﴿ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا ﴾ يعنون: موسى وهارون ﴿ وَقَوۡمُهُمَا ﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿ لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ خاضعون متذللون كالعباد.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ٤٨ ﴾ .

[٤٨] ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴾ بالغرق في بحر قلزم، وتقدم ذكره في سورة البقرة.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٤٩ ﴾ .

[٤٩] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ التوراة.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ يعني: قوم موسى.

* * *

﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠ ﴾ .

[٥٠] ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ عيسى عليه السلام ﴿ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ﴾ ولم يقل: آيتين؛ لأن المراد جعلنا قصتهما آية، وهي آيات مع التفصيل ﴿ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ﴾ أي: مكان مرتفع، وهو بيت المقدس، وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، وقيل: دمشق، وقيل: رملة فلسطين.

قال ابن عطية: ويترجح أن الربوة هي بيت لحم من بيت المقدس؛ لأن

ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذ كان الإيواء، وقيل: الربوة بأرض مصر[(١)]. قرأ ابن كثير، وعاصم: (رَبْوَةٍ) بفتح الراء، والباقون: بضمها[(٢)] ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماء جار ظاهر؛ من المعن: الإسراع والإبعاد.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ هو خطاب لمحمد ﷺ، والمراد به: أن الله تعالى أخبر أنه قد قال لجميع الرسل قبله: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلالات.

﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ والصلاح: هو الاستقامة على ما توجبه الشريعة.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

* * *

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملتكم التي أنتم عليها ﴿أُمَّةً﴾ شريعة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وهي الإسلام. قرأ الكوفيون: (وَإِنَّ) بكسر الهمزة على الابتداء، والباقون: بفتحها، وانفرد ابن عامر بتخفيف النون، وجعل (أن) صلة، مجازه: وهذه أمتكم، والباقون: بتشديد [النون[(٣)]؛ على معنى: وبأن هذه.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٣).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«النشر في القراءات =

﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ فاحذرون. قرأ يعقوب: (فَاتَّقُونِي) بإثبات][1] الياء.

* * *

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ ﴾ أي: الأتباع ﴿ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ تفرقوا دينهم.

﴿ زُبُرًا ﴾ جمع زبور، وهو الفرقة والطائفة، فصاروا فرقاً يهوداً ونصارى ومجوساً، وتحزبوا في دينهم أحزاباً.

﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ بما عندهم من الباطل.

﴿ فَرِحُونَ ﴾ بما ابتدعوه، معتقدون أن دينهم حق.

* * *

﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ثم قال تهديداً لهم وتسلية له ﷺ: ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ ﴾ جهالتهم.

﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى حين إتيان العذاب، ونُسخت بآية السيف.

* * *

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾ أي: ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم.

﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ في الدنيا.

* * *

= العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٨)، و«معجم القراءات القرانية» (٤/ ٢١٤-٢١٥).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ش».

﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ ﴾ أي: لا يتوهمون أن تعجيلنا[1] لرضانا عنهم. قرأ الدوري عن الكسائي: (نُسَارِعُ) و(يُسَارِعُونَ) بالإمالة[2].

﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ أن ذلك استدراج لهم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ثم أخبر عن المسارعين إلى الخيرات فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون من عقابه.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ شركاً جلياً ولا خفياً.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ ﴾ يؤدون ما أدوا من زكاة وغيرها.

---

(١) «أن تعجلينا» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٦ـ٢١٧).

﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة ألاَّ تقبل منهم ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي: لأنهم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ فحذفت اللام؛ أي: لأنهم يوقنون أن مرجعهم إلى الله، فيكون قوله ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ علة لقوله: ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ يبادرون إلى الأعمال الصالحة.

﴿ وَهُمۡ لَهَا ﴾ أي: من أجلها ﴿ سَٰبِقُونَ ﴾ إلى رضوان الله تعالى.

* * *

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ طاقتها، فمن لم يستطع القيام، فليصلِّ قاعداً، أو من لم يستطع الصوم، فليفطر.

﴿ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ ﴾ بما سُطر فيه.

﴿ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ لا يُنقص من حسناتهم، ولا يزاد على سيئاتهم.

* * *

﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ثم ذكر الكفار فقال: ﴿ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ ﴾ في غفلة.

﴿ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ القرآن.

﴿ وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: دون الشرك، وهي سعايات فساد.

﴿ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ فيعذبون بها.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿حَتَّىٰٓ ﴾ هي التي يبتدأ بعدها الكلام، والكلام الجملة الشرطية، وهي:

﴿ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم ﴾ أي: أغنياءهم ﴿ بِٱلْعَذَابِ ﴾ وهو قتلهم يوم بدر.

﴿ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴾ يرفعون أصواتهم بالدعاء.

* * *

﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ لا تَضِجُّوا.

﴿ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾ لا تُمنعون، المعنى: استغاثتكم لا تمنعكم من عذابنا.

* * *

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾ ترجعون القهقرى عن الإيمان.

* * *

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾ متعظمين بالبيت الحرام، كانوا يقولون:

لا يظهر علينا أحد؛ لأنا أهل الحرم.

﴿سَٰمِرًا﴾ أي: سمَّاراً؛ أي: متحدثين، ونصبه على الحال.

﴿تَهْجُرُونَ﴾ قرأ نافع: بضم التاء وكسر الجيم؛ من الإهجار، وهو الإفحاش؛ أي: تفحشون، وقرأ الباقون: بفتح التاء وضم[1] الجيم؛ من هجر، وهو الهذيان؛ من قولهم: هجر الرجل في منامه: إذا هذى[2].

***

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾.

[٦٨] ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ ألم يعتبر المشركون القرآن، فيعلموا حال من تقدمهم، فيؤمنوا ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ جاءتهم براءة من العذاب لم تأت آباءهم.

***

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾.

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾ محمداً ﷺ.

﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ جاحدون، وهو استفهام توبيخ وإنكار عليهم؛ لإعراضهم عنه بعد معرفتهم إياه بالصدق والأمانة.

***

---

(١) في «ت»: «وكسر» وهو خطأ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢١٨).

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾ جنون، وليس كذلك.

﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالقرآن وما فيه من شرائع الإسلام.

﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾؛ لأنه يخالف شهواتهم.

* * *

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ في جعل شريك له، والحق هو الله.

﴿ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ لما سبق تقريره في سورة الأنبياء في قوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الآية: ٢٢].

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ بما يذكرهم، وهو القرآن.

﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يلتفتون إليه.

* * *

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ ﴾ على ما جئتهم به.

﴿ خَرْجًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (خَراجاً) بفتح الراء وألف بعدها، والباقون: بإسكان الراء من غير ألف، وتقدم تفسيره في سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ [الآية: ٩٤].

﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾ أي: رزقه وثوابه. قرأ ابن عامر: (فَخَرْجُ رَبِّكَ) بإسكان الراء من غير ألف، والباقون: بفتح الراء وألف بعدها[1].

﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ أفضل المعطين.

* * *

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو الإسلام.

* * *

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴾ لعادلون عن الطريق.

* * *

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ولما أراد النبي ﷺ الدعاء برفع القحط عن قريش، نزل: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ قحط وجوع.

﴿ لَّلَجُّوا۟ ﴾ لتمادَوْا ﴿ فِى طُغْيَٰنِهِمْ ﴾ وكفرهم بمحمد ﷺ.

﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ عن الهدى.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥ و١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٠).

روي أن أهل مكة قحطوا حتى أكلوا العِلْهَز، وهو وَبَر الجمال، وذلك حين دعا رسول الله ﷺ بقوله: «اللهمَّ سَبْعاً كسني يوسف» الحديث، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، فقال: أنشدك الله والرحِمَ ألست تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين؟! فقال: «بلى»، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف، والأبناءَ بالجوع، فادع الله يكشف عنا هذا القحط، فنزلت الآية(١). قرأ الدوري عن الكسائي: (طُغْيَانِهِمْ) بالإمالة حيث وقع(٢).

***

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: القتل والجوع.

﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ فما خضعوا.

﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: لم يتضرعوا، بل مضوا على تمردهم.

***

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو القتل يوم بدر.

﴿ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١١١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٤٠٥)، و«لباب النقول» للسيوطي أيضاً (ص: ١٥٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٠).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ ﴾ القلوب .

﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أي : لم تشكروا قليلاً ولا كثيراً .

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ ﴾ خلقكم ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ تبعثون .

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

[٨٠] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ أي : القدرة التي عنها ذلك ، والاختلاف هنا : التعاقب .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتستدلون بالصنعة على صانعها فتؤمنون؟ !

* * *

﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

[٨١] ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ وقوله : (بَلْ) إضراب ، والجحد قبله مقدر ؛ كأنه قال : ليس لهم نظر في هذه الآيات ، أو نحو هذا ، و(الأَوَّلُونَ) يشير به إلى الأمم الكافرة ؛ كعاد وثمود .

* * *

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

[٨٢] ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ محشورون ،

قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب. واختلف القراء في (أَئِذَا) (أَئِنَّا) في الإخبار بالأول منهما، والاستفهام بالثاني، وعكسه، والاستفهام فيهما، وفي ضم الميم وكسرها من (متنا)، **فقرأ** ابن عامر، وأبو جعفر: (إذا) بالإخبار، (مُتْنَا): بضم الميم، (أَئِنَّا): بالاستفهام، فابن عامر يحقق الهمزتين، وأبو جعفر يسهل الثانية، ويفصل بينهما بألف، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين، **وقرأ** نافع: (أَئِذَا): بالاستفهام وتسهيل الهمزة الثانية، (مِتْنَا): بكسر الميم و(إِنَّا): بالإخبار، ووافقه رويس عن يعقوب في حكم الهمزتين، وخالفه في الميم، فقرأها: بالضم، **وقرأ** الكسائي: (أَئِذَا): بالاستفهام، ويحقق الهمزتين، (مِتْنَا): بكسر الميم، و(إِنَّا): بالإخبار، ووافقه روح عن يعقوب في حكم الهمزتين، وقرأ: (مُتْنَا) بضم الميم؛ كرويس، **وقرأ** الباقون: (أَئِذَا) (أَئِنَّا): بالاستفهام فيهما، فابن كثير، وأبو عمرو يسهلان الهمزة الثانية منهما، وأبو عمرو يفصل بينهما بألف، واتفقا على ضم الميم من (مُتْنَا)، وعاصم، وحمزة، وخلف: يحققون الهمزتين منهما، ويكسر حمزة وخلف الميم، واختلف عن عاصم، **فقرأ** أبو بكر عنه: بالضم، وحفص: بالكسر، فمن قرأ بالاستفهامين، فذلك للتأكيد، ومن استفهم في الأول فقط، فإنما يقصد بالاستفهام الموضع الثاني(١)، تقديره: أنبعث ونحشر إذا، ومن استفهم في الثاني فقط، فمعناه: إذا كنا تراباً، أنبعث؟

***

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٥) من سورة رعد.

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ ﴾ هذا الوعد ﴿ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: وعدهُ آباءَنا قومٌ ذكروا أنهم رسل الله، فلم نر له حقيقة.

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أكاذيبهم التي كتبوها، جمع أسطورة.

* * *

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ قُل ﴾ يا محمد مجيباً لأهل مكة:

﴿ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ من الخلق.

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ خالقها؟

* * *

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] فإنهم ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ ﴾ فثم.

﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأدلة الدالة على الصانع، فتؤمنون؟

* * *

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

* * *

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الله تعالى .

* * *

﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

[٨٨] ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الملكوت : الملك ، والتاء فيه للمبالغة .

﴿ وَهُوَ يُجِيرُ ﴾ يمنع من[١] السوء ﴿ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ ولا يمنع[٢] منه من أراده بسوء ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ قيل : معناه : أجيبوا إن كنتم تعلمون .

* * *

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ فكيف تخدعون عن طاعته؟ المعنى : كيف يخيل لكم الحق باطلاً؟ اختلف القراء في (سَيَقُولُونَ لِلهِ) في الحرفين الأخيرين ، فقرأ أبو عمرو ، ويعقوب : بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيهما ، ورفع الهاء من الجلالتين جواباً على اللفظ ؛ لأنك تقول : من رب هذا؟ فالجواب : فلان ؛ لأنه جواب (من) لفظاً ، وكذلك رسماً في المصاحف البصرية ، وقرأ الباقون : (لِلهِ) بغير ألف فيهما ، وخفض الهاء ،

---

(١) في «ش» : «عن» .

(٢) «ولا يمنع» ساقطة من «ش» .

وكذلك رسماً في مصاحف الحجاز والشام والعراق[1]، فجعلوا الجواب على المعنى؛ كقول القائل للرجل: من مولاك؟ فيقول: لفلان؛ أي: أنا لفلان، وهو مولاي، واتفقوا على الحرف الأول أنه (لِلهِ)؛ لأن قبله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾، فجاء الجواب على لفظ السؤال، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذْكُرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بالتشديد[2]، وقرأ رويس عن يعقوب: (بِيَدِهِ) باختلاس كسرة الهاء، والباقون: بالإشباع[3].

***

﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في ادعائهم الشريك، وتكذيب الرسل.

***

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ثم أكد تكذيبهم بقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٤_٢٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٢).

﴿إِلَٰهٍ﴾ أي: شريك، فالتقدير: ولو كان معه آلهة.

﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ لانفرد به، ولم يرض بإضافة خلقه إلى غيره ﴿وَلَعَلَا﴾ ارتفع ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مغالبة وتكبراً؛ لأن كل إله يطلب انفراده بألوهيته وخلقه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي: تعظَّم ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ له من الشريك والولد.

* * *

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)﴾.

[٩٢] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (عَالِمُ) برفع الميم على الابتداء، واختلف عن رويس حالة الابتداء، وقرأ الباقون: بجرها على نعت الله في (سُبْحَانَ اللهِ)(١).

﴿فَتَعَالَىٰ﴾ الله(٢) ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام وغيرها.

* * *

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣)﴾.

[٩٣] ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي﴾ أي: إن أريتني.

﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من القتل والعذاب.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٢).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

[٩٤] ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي : فاجعلني خارجاً منهم إذا نزل بهم العذاب .

* * *

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

[٩٥] ثم أومأ إلى حلول العذاب بهم فقال : ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾ من العذاب ﴿ لَقَٰدِرُونَ ﴾ وقد أراه عذاب المشركين ببدر وغيرها .

* * *

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

[٩٦] ثم أمره بالعفو عنهم فقال : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى ﴾ أي : بالخلة التي .

﴿ هِىَ أَحْسَنُ ﴾ وهي الصفح ومكارم الأخلاق ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ ﴾ الصادرةَ منهم إليك[١] ، ونسخت بآية السيف ، ثم تهددهم بقوله :

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ من الشريك .

* * *

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

[٩٧] ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ ﴾ أمتنعُ وأعتصم بك ﴿ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ وساوسِهم ونزغاتهم ، وأصل الهمزة : شدة الدفع .

* * *

---

(١) «إليك» ساقطة من «ش» .

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾.

[٩٨] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ عند الموت، ويحوموا حولي في شيء من الأحوال؛ لأن الشيطان إذا حضره يوسوسه.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾.

[٩٩] ثم أخبره أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت، فقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ جمع الضمير تعظيماً لله تعالى؛ أي: ردوني إلى الدنيا. قرأ يعقوب: (يَحْضُرُونِي) (ارْجِعُونِي) بإثبات الياء فيهما، وحذفها الباقون[١]، واختلافهم في الهمزتين من (جَاءَ أَحَدَهُمُ) كاختلافهم فيهما من: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

* * *

﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

[١٠٠] ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ﴾ بأن أقول: لا إله إلا الله. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

﴿ فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ ضَيَّعْت من عمري.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٣).

﴿ كَلَّآ ﴾ ردع عن طلب الرجعة، واستبعاد لذلك ﴿ إِنَّهَا ﴾ يعني: سؤاله الرجعة ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ ولا ينالها.

﴿ وَمِن وَرَآئِهِم ﴾ أي: أمامهم ﴿ بَرْزَخٌ ﴾ أي: حاجز، وهو القبر.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فلا يرجعون أبداً؛ لأنه لا رجوع بعد البعث.

* * *

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ وهو القرن، وهذا عند النفخة الأولى، وقيل: عند النفخة الثانية إذا بعث الناس ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ يفتخرون بها ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ في الآخرة؛ كما يفتخرون في الدنيا ﴿ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ كما يتساءلون في الدنيا؛ لاشتغال كلٍّ بنفسه. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَلاَ أَنْسَاب بَّيْنَهُمْ) بإدغام الباء الأولى في الثانية(١).

* * *

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بالحسنات.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالنجاة والدرجات.

* * *

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٤).

[١٠٣] ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بالسيئات.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ غبنوها، فهم.

﴿ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ وجمع الموازين من حيث الموزون جمع، وهي أعمال، ومعنى الوزن: إقامة الحجة على الناس بالمحسوس على عادتهم وعرفهم.

* * *

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

[١٠٤] ﴿ تَلْفَحُ ﴾ تحرق ﴿ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ عابسون، بادية أسنانهم؛ لتشمير شفاههم منها؛ لشدة ما يلقون.

وفي الحديث: «إن النار لتشويه، وتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»(١).

* * *

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

[١٠٥] ﴿ أَلَمْ ﴾ أي: يقال لهم: ألم.

﴿ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ تذكيراً لهم بما استحقوا هذا العذاب لأجله.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٧)، كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة أهل النار، وقال: حسن صحيح غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٠)، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

[١٠٦] ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي: غلبنا الشقاء الذي كتب علينا فلم نهتد. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (شَقَاوَتُنَا) بفتح الشين والقاف وألف بعدها، وقرأ الباقون: بكسر الشين وإسكان القاف من غير ألف، وهما لغتان[1].

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ عن الهداية.

* * *

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

[١٠٧] فعند دخولهم النار يقولون:

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ خالفناك.

﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ لأنفسنا.

* * *

﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ الله لهم مجيباً بعد ألف سنة ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ ابعدوا في جهنم أذلاء؛ من خسأت الكلب: إذا زجرته.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم، فلا سبيل إليه. قرأ يعقوب: (تُكَلِّمُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[2]، فعند ذلك أيس الكفار من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات=

الفرج، وهو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعده إلا بالشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلب، لا يَفْهَمون ولا يُفْهَمون.

* * *

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ وهم المؤمنون.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* * *

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

[١١٠] ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام(١)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (سُخْرِيّاً) بضم السين؛ من التسخير، وهو العمل بلا أجر، وقرأ الباقون: بالكسر؛ من الهزء والسخرية(٢).

= القرآنية» (٤/ ٢٢٥).

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ١٥-١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٦).

﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِى﴾ من فرط انشغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم.

﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾ نزلت في بلال وصهيب وعمار وسلمان، كان المشركون يسخرون بهم وبالإسلام، ويؤذونهم[1].

***

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ النعيم المقيم.

﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ بمطلوبهم. قرأ حمزة، والكسائي: (إِنَّهُمْ) بكسر الألف على الاستئناف، وقرأ الباقون: بفتحها[2]؛ أي: لأنهم.

***

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾.

[١١٢] ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: في الدنيا أحياء.

﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: (قُلْ كَمْ) بضم القاف بلا ألف بعدها، أمر لمالك أن يسألهم، وقرأ الباقون: بفتح القاف وألف بعدها[3]، إخبار عن الله تعالى أنه هو الذي[4] يسألهم، وقرأ نافع، وابن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٤) «الذي» ساقطة من «ش».

كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) بإظهار الثاء عند التاء حيث وقع، والباقون: بالإدغام(١)، وقرأ أبو عمرو: (عَدَد سِّنِينَ) بإدغام الدال في السين في هذا الحرف لا غير(٢).

***

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقصروا مدة لبثهم، وشكُّوا فيها؛ لعظم ما هم بصدده من العذاب.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ الحاسبين، وهم الملائكة الذين يحصون أعمال الخلق وأعمارهم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلْ) بالنقل، والباقون: بالهمز(٣).

***

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

[١١٤] ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا.

﴿إِلَّا﴾ لبثاً ﴿قَلِيلًا﴾ لأن أيام السرور قليلة.

﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مدة لبثكم، لما أجبتم بهذا الجواب. قرأ

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ١٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٧).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٧).

حمزة، والكسائي: (قُلْ إِنْ) على الأمر، والباقون: (قال)[1] على الخبر، كما تقدم في ﴿ قَٰلَ كَمْ﴾ [الآية: ١١٢].

* * *

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ لا لغرض صحيح، ونصبه على الحال، وهو توبيخ على تغافلهم.

﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ في الآخرة، فنجازيكم. قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[2].

* * *

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

[١١٦] ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ الذي يحق له الملك مطلقاً؛ أي: تنزه عن مقالتهم في جهته من الصاحبة والولد، ومن حسابهم أنهم لا يرجعون إليه، وغير ذلك.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ الحسن العظيم.

* * *

---

(١) «قال» ساقطة من «ت» و«ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨-٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٨).

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ثم توعد تعالى عبدة الأصنام بقوله: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ يعبده.

﴿ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ أي: فلا برهان له به، أي: لا حجة له عليه، ولا فيما يفعل من عبادة غير الله.

﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ﴾ أي: مكافأته عند الله، فهو يجازيه بما يستحقه.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ لا يبلغون أمنياتهم، ولا ينجح سعيهم، وجعل فاتحة هذه السورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وخاتمتها ﴿ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.

* * *

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ثم أمر رسوله ﷺ أن يستغفر للمؤمنين، ويسأل لهم الرحمة، فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ لأن كل راحم يتصرف على إرادة الله تعالى وتوفيقه، وتقديره لمقدار هذه الرحمة، ورحمته تعالى لا مشاركة له فيها، والله أعلم.

* * *

سورة النور

مدنية، وآيها: أربع وستون آية، وحروفها: خمسة آلاف وست مئة وثمانون حرفاً، وكلمها: ألف وثلاث مئة وست عشرة كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾.

[١] ﴿سُورَةٌ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: هذه السورة.

﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفتها.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (وَفَرَّضْنَاهَا) بتشديد الراء؛ أي: فصَّلنا وبيَّنا ما فيها من الأحكام، والتشديد للتكثير، لكثرة ما فيها من الفرائض، وقرأ الباقون: بالتخفيف(١)؛ أي: أوجبنا ما فيها من الحدود والأحكام، وألزمناكم العملَ بها.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ﴾ بالأمر والنهي ﴿بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تتعظون. قرأ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٣).

حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال حيث وقع، والباقون: بالتشديد[1].

***

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ﴾ مبتدأ خبره ﴿ فَٱجْلِدُواْ ﴾ فاضربوا.

﴿ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ يعني: إذا كانا حرَّين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين، وأما إذا كانا ثيبين، فعليهما الرجم بغير جلد بالاتفاق، والرجم بالحجارة حتى يموت، وشرائط الإحصان الموجب للرجم إذا زنى بعد وجودها فيه أربعة: العقل، والحرية، والبلوغ، والوطء في نكاح صحيح عند الشافعي وأحمد، ولم يشترطا[2] الإسلام؛ خلافاً لأبي حنيفة ومالك؛ فإن الإسلام عندهما شرط، فتكون الشرائط عندهما خمسة، ولا يُحفر لرجم الرجل بالاتفاق، ولا للمرأة عند مالك وأحمد، ويحفر لها عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: إن ثبت عليها بالبينة، استحب أن يحفر لها، وإن ثبت بإقرارها، لم يحفر لها[3]، وتقدم في سورة النساء الكلام على حكم الزنا والجلد والتغريب في حق الحر والرقيق، وثبوته بالإقرار والبينة،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٤).

(٢) في «ش»: «يشترط».

(٣) «وإن ثبت بإقرارها لم يحفر لها» زيادة من «ت».

واختلاف الأئمة في ذلك مستوفًى عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [الآية: ١٥]، وعند قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: ٢٥]، وقدم الزانية؛ لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرضها للرجل، وعرض نفسها عليه.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قرأ قنبل عن ابن كثير: (رَأَفَةٌ) بفتح الهمزة، واختلف عن البزي، وقرأ الباقون: بإسكانها[1]، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وورش: يبدلون الهمز بالألف على أصلهم، وأبو عمرو يدغم التاء في الجيم من قوله: (مِئَة جَّلْدَةٍ)[2]، والرأفة: أرق الرحمة؛ أي: لا تخففوا جلدهما رأفة بهما، ولكن تصلَّبوا ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ في حكمه، وأوجعوهما ضرباً، وأقيموا حدوده كما أمركم.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ اقتداءً برسول الله ﷺ، لأنه قال: «والله لو سرقَتْ فاطمةُ بنتُ محمدٍ، لقطعتُ يدها»[3]، فتجب إقامة الحد على من لزمه بالاتفاق، ويُضرب الرجل قائماً عند الثلاثة، وعند مالك: جالساً، وأما المرأة، فتضرب جالسة باتفاقهم، وسوط الحد عند الشافعي ما بين قضيب وعصا رطب ويابس، وعند الثلاثة: يضرب بسوط لا جديد

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٤).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٤).

(٣) رواه البخاري (٣٢٨٨)، كتاب: الأنبياء، باب: حديث الغار، ومسلم (١٦٨٨)، كتاب: الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

ولا خَلَق، ويجرد الرجل من ثيابه عند أبي حنيفة ومالك، وأما المرأة عندهما: ينزع عنها من الثياب ما يقيها ألم الضرب؛ مثل الفراء ونحوها، وعند الشافعي: لا يجرد، وعند أحمد: يكون على الرجل القميص والقميصان، والمرأة تشد عليها ثيابها، وأما الضرب، فلا يبالَغ فيه بحيث يشق الجلد، ويُفرق على أعضائه، إلا الوجه والفرج وموضع المقتل بالاتفاق.

واختلفوا في أشد الجلد، فقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، ثم الزنا، ثم الشرب، ثم القذف، وقال مالك والشافعي: الجلد في الحدود كلها سواء، وقال أحمد: أشده الزنا، ثم القذف، ثم الشرب، ثم التعزير.

واختلفوا في الذمي إذا زنى وهو حر بالغ عاقل[1] قد كان تزوج ووطىء في التزويج الصحيح، فقال أبو حنيفة ومالك: لا يرجم؛ لأن عندهما لا يتصور الإحصان في حقه؛ لأن الإسلام من شروط الإحصان عندهما كما تقدم، ويجلد مئة عند أبي حنيفة، وعند مالك يعاقبه الإمام اجتهاداً، وعند الشافعي وأحمد هو محصن، وليس الإسلام من شروط الإحصان، وعليه الرجم عندهما، وأما إذا كان غير محصن، فإنه يحد للزنا عند الثلاثة، وقال مالك: لا يحد.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ وليحضر حدّهما إذا أقيم عليهما.

﴿طَآئِفَةٌ﴾ فرقة ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ زيادة في التنكيل بالتفضيح، قال مالك: ينبغي للإمام أن يُحضر في حد الزنا طائفة من المؤمنين الأحرار العدول، والطائفة أربعة فصاعداً، وقال أحمد: يجب حضور إمام أو نائبه

---

(١) في «ت»: «بالغ عاقل حر».

وطائفة، ولو واحداً، ويسن حضور شهوده، وبدأتهم بالرجم إن كان الحد رجماً، وقال الشافعي: يستحب حضور الإمام وشهوده، وقال أبو حنيفة: للإمام أن يحضره، ويجوز أن يبعث بأمين، ويأمره بإقامة الحد، ويبدأ الشهود برجم المحصن، ثم الإمام، ثم الناس إن ثبت بالبينة، وإن ثبت بالإقرار، ابتدأه[1] الإمام، ثم الناس.

وفي الحديث: «اتقوا الزنا؛ فإن فيه ستَّ خصال: ثلاث في الدنيا: يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وثلاث في الآخرة: السخطة، وسوء الحساب، والخلود في النار»[2].

***

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت في قوم فقراء من المهاجرين هموا أن يتزوجوا بغايا كُنَّ بالمدينة، فأنزل الله عز وجل تحريمه[3]؛ لأنهن كن زانيات ومشركات، وبين أنه لا يتزوج بهن إلا زان أو مشرك، وأن ذلك حرام على

(١) في «ت»: «ابتدأ».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣١٧)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٩٨)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٥٢٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٨ـ١٨٠).

المؤمنين، وإن كان ظاهر الآية خبر، فهو بمعنى النهي، وقيل غير ذلك.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ قرأ الكسائي: (الْمُحْصِنَاتِ) بكسر الصاد حيث وقع، والباقون: بالفتح[١]، المعنى: الذين يقذفون بالزنا المسلمات الحرائر العفائف.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ يشهدون على زناهن.

﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ اضربوهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ قرأ أبو عمرو: (بِأَرْبَعَة شُّهَدَاءَ) بإدغام التاء في الشين في هذا الحرف والذي بعده[٢]، والقذف: هو الرمي بالزنا، أو لواطٍ، أو شهادةٍ عليه، ولم تكمل البينة، فكل من رمى محصناً أو محصنة بالزنا، فقال: زنيت، أو يا زاني، فإن أقر المقذوف بالزنا، أو أقام القاذف أربعة من الشهود على زناه، سقط الحد عن القاذف، وترتب الحكم على المقذوف، كما تقدم الكلام عليه مستوفًى في سورة النساء، وإن أنكر المقذوف، ولم يقم القاذف البينة، وجب عليه الحد، وهو ثمانون جلدة إن كان القاذف حراً، وأربعون إن كان عبداً بالاتفاق، إن كان المقذوف محصناً، فإن كان غير محصن، فعلى القاذف التعزير.

والإحصان: أن يكون حراً مسلماً عاقلاً عفيفاً عن الزنا بالاتفاق، وهل

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٦).

يشترط بلوغه؟ قال أحمد: لا يشترط إذا كان مثلُه يجامع، وقال الثلاثة: يشترط، ومالك يحد قاذف الصبية التي يوطأ مثلها، ولا يحد قاذف الصبي الذي يطأ مثلُه.

وهل هو حق لله أو للآدمي؟ قال أبو حنيفة: هو حق لله، فلا يصح العفو عنه، لكن لو عفا المقذوف لا يحد القاذف، لا لصحة عفوه، بل لترك طلبه، حتى لو عاد فطلب، يحد، وقال مالك: لا بأس بعفو المقذوف عن قاذفه قبل بلوغ الإمام، ولا يجوز عفوه بعد ذلك، إلا أن يريد ستر نفسه، وقال الشافعي وأحمد: هو حق للآدمي يسقط بعفوه.

﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾ إذا شهدوا.

﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ لأنهم فسقوا برمي المحصنة.

***

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ثم استثنى منه ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ القذف.

﴿ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ حالهم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

واختلفوا في قبول شهادة القاذف بعد إقامة الحد عليه إذا تاب، فقال أبو حنيفة: لا تقبل شهادة المحدود فيه، وإن تاب عن جريمة القذف، لكن لا يرد شهادته بنفس القذف، وإنما يردها بإقامة الحد، ومالك والشافعي وأحمد يردون شهادته بنفس القذف، وقالوا: تقبل شهادته بعد التوبة، سواء كانت قبل الحد أو بعده، وصفتها عند الشافعي: أن يقول: قذفي باطل، وأنا نادم، ولا أعود إليه، وعند مالك وأحمد: توبته أن يكذِّب نفسه، إلا أن مالكاً اشترط مع التوبة بعد الحد ألاَّ تقبل شهادته في مثل الحد الذي أقيم

عليه، ودليل أبي حنيفة على عدم قبول شهادته على التأبيد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾، وذكره بالتأبيد يدل على أنها لا تقبل في كل حال، والاستثناء منصرف إلى ما يليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾، ومن قال بقبول شهادته إذا تاب، قال: لأن الله تعالى استثنى التائبين عقب النهي بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾.

***

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦﴾.

[٦] ولما نزلت هذه الآية في الذين يرمون المحصنات، تناول ظاهرها الأزواج وغيرهن، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله! إن وجدتُ مع امرأتي رجلاً، أُمهله حتى آتي بأربعة شهداء! واللهِ لأضربنه بالسيف غير مصفح، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني»[1]، ثم جاء بعد ذلك هلال بن أمية إلى النبي ﷺ، فرمى زوجته خولة بشريك بن سمحاء، فعزم النبي ﷺ على ضربه حد القذف، فنزل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾[2] أي: يقذفون نساءهم ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ أي: غيرُ أنفسهم. واختلاف

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥٤)، كتاب: المحاربين، باب: من رأى مع امرأته رجلاً فقتله، مسلم (١٤٩٩)، كتاب: اللعان.

(٢) رواه البخاري (٤٤٧١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

القراء في الهمزتين من (شُهَدَاءُ إِلاَّ) كاختلافهم فيهما من ﴿نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في سورة الحج.

﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ ليدرأ عنه الحد ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) برفع العين على خبر الابتداء (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) التي تدرأ الحد (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ)، وقرأ الباقون: بالنصب؛ أي: فشهادة أحدهم أن يشهدَ أربعَ شهادات بالله[1].

* * *

﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: يلعن الزوج نفسه.

﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيما قذف زوجته به من الزنا. قرأ نافع، ويعقوب: (أَنْ لَعْنَةُ اللهِ) بإسكان النون مخففة، ورفع (لَعْنَتُ)، وقرأ الباقون: بنصبها مشددة، ونصب (لَعْنَتَ)، و(لعنت)[2] رسمت بالتاء، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[3].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ١٠٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٧).

(٣) سلفت عند تفسير الآية (٦١) من سورة آل عمران.

﴿ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَيَدۡرَؤُاْ ﴾ أي: يدفع ﴿ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ ﴾ أي: حد الزنا.

﴿ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ فيما قذفها به.

***

﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ فيما رماني به. **قرأ** حفص عن عاصم (وَالْخَامِسَةَ) بالنصب؛ أي: وتشهد الشهادة الخامسة، والباقون: بالرفع على الابتداء، وخبره في (أن) كالأولى[١]، **وقرأ** نافع، ويعقوب: بإسكان النون مخففة كالأولى، والباقون: بنصبها مشددة، واختص نافع بكسر الضاد وفتح الباء من (غَضِبَ) على الفعل الماضي، ورفع الجلالة بعده، واختص يعقوب برفع الباء من (غَضَبُ)، **وقرأ** الباقون: بنصب الضاد والباء على الاسم[٢].

***

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ وجوابه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٨).

محذوف للتعظيم؛ أي: لعذبكم، ولكشف الزناة بأيسر من هذا.

فلما نزلت الآية، جمعهما رسول الله في المسجد، وتلاعنا، فتلكأت المرأة عند الخامسة لما وعظت، وقيل لها: إنها موجبة، ثم قالت: لا أفضحُ قومي سائرَ اليوم، فمضت، وفرق رسول الله ﷺ بينهما، وولدت غلاماً أشبهَ خلقِ الله بشريك، ثم كان الغلام بعد ذلك أميراً بمصر، وهو لا يعرف لنفسه أباً.

وأما حكم الآية، فإنه إذا قذف الرجل المكلف امرأته المحصنة؛ أي: البالغة العاقلة الحرة المسلمة العفيفة بالزنا، وجب عليه الحد إن طلبت، وله إسقاط الحد باللعان، وهو شرعاً: شهادات مؤكدات بأيمان من الجانبين، مقرونة باللعن والغضب، قائمة مقام حد قذف في جانبه، وحد زنا في جانبها، وصفته: أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به امرأتي هذه من الزنا، ويشير إليها، وإن لم تكن حاضرة، سماها، ونسبها حتى يكمل أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: و﴿أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيما رميتها به من الزنا، فيلزمها حينئذ الحد، ويدرأ عنها بأن تقول هي: أشهد بالله أنه من الكاذبين فيما رماني به من الزنا، أربع مرات، ثم تقول في الخامسة: و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رماني به من الزنا، فإن لاعنت المرأة قبل الزوج، اعتد به عند أبي حنيفة؛ لأن المقصود تلاعنهما، وقد وجد، وقال الثلاثة: لا يعتد به؛ لأنه على غير الترتيب المشروع.

ويكون اللعان وهما قائمان بحضور الحاكم وجماعة في الأوقات والأماكن المعظمة، وإذا بلغ كل منهما الخامسة، وعظه الحاكم،

فيقول: اتق الله؛ فإنها الموجبة للعذاب، وعذابُ الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

ويصح اللعان بين الزوجين، ولو كانا ذميين أو رقيقين أو فاسقين عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: يشترط أن يكونا من أهل الشهادة؛ بأن يكونا حرين مسلمين[1] عاقلين بالغين غير محدودين في قذف، فإن لم يكن الزوج كذلك، فعليه الحد؛ لأن اللعان امتنع لمعنىً في جهته، فرجع إلى الموجب الأصلي.

وإن نفى الولد في التعانه، انتفى بالاتفاق، ما لم يكن أقر به، ومالك يشترط استبراءها بحيضة وعدم وطئها بعد الاستبراء، فإن لاعن، ونكلت، حبست حتى تقر أربعاً، أو تلاعن عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك والشافعي إذا امتنعت من اللعان، حدت للزنا، فجلدت إن كانت بكراً، وكانت على نكاحه، إلا أن يطلقها، وإن كانت ثيباً، رجمت، واستحق الميراث منها، فإذا تم اللعان بينهما، سقط عنه الحد، ووقعت الفرقة والتحريم بينهما أبداً عند مالك وأحمد، ولا يفتقر إلى تفريق الحاكم عندهما، وعند الشافعي تقع الفرقة المؤبدة بمجرد لعانه، وعند أبي حنيفة يشترط تفريق الحاكم بينهما بعد التعانهما، والفرقة طلقة بائنة عند أبي حنيفة، فلو أكذب نفسه، حُدَّ، وله أن ينكحها، وعند الثلاثة وأبي يوسف هي فسخ، ولا تحل له، ولو أكذب نفسه، والله أعلم.

* * *

(١) «مسلمين» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ولما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع في سنة ست من الهجرة الشريفة، ومعه عائشة رضي الله عنها، وقعت قصة الإفك في تلك الغزوة، وهي قذف عائشة بصفوان بن المعطل، وكان صفوان حصوراً لا يأتي النساء.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فو الذي نفسي بيده! ما كشفت من كَنَفِ أنثى قط، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله»، والقصة مشهورة في الحديث الشريف، فنزل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾(١) هو سوء الكذب ﴿ عُصْبَةٌ ﴾ جماعة ﴿ مِّنكُمْ ﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ بن سلول المنافق، ومِسطح، وحسان بن ثابت، وحَمْنة بنتُ جحش، وغيرهم.

﴿ لَا تَحْسَبُوهُ ﴾ أي: الإفك، والخطاب لعائشة وأهلها وصفوان.

﴿ شَرًّا لَّكُمۖ ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: (تَحْسَبُوهُ)

---

(١) رواه البخاري (٣٩١٠)، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، ومسلم (٢٧٧٠)، كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

و(تَحْسَبُونَهُ) (يَحْسَبُهُ) (يَحْسَبُ) كيف أتى مستقبلاً بفتح السين، والباقون: بالكسر[1].

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ بأن تثابوا، وتظهر براءتكم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾ يعني: من العُصبة الكاذبة ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ جزاء ما اجترح من الذنب.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ قرأ يعقوب: بضم الكاف، والباقون: بكسرها، وهما لغتان[2]، المعنى: والذي تحمل معظم الإفك من الأفاكين هو عبد الله بن أبيّ.

﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أما ابن أُبي، فمات منافقاً، وأما حسان، فعمي بعد ذلك.

وعن مسروق قال: «دخلنا على عائشة، وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبب بأبيات له، وقال:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ   وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة: لكنك ليس كذلك، قال مسروق: فقلت لها: لم تأذنين له أن يدخل عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فقالت: أي عذاب أشدُّ من العمى؟! وقالت: إنه كان ينافح ويُهاجي عن رسول الله ﷺ»[3].

---

(1) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٨).

(2) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٩).

(3) رواه البخاري (٣٩١٥)، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، ومسلم =

وروي عنها أنها قالت: «ما سمعت شعره إلا رجوت له الجنة»(١).

وروي: أن النبي ﷺ أمر بالذين رموا عائشة، فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين(٢).

* * *

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ثم وبخ الخائضين فقال: ﴿ لَّوْلَآ ﴾ أي: هَلاَّ.

﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾ يعني: الإفك.

﴿ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ ﴾ بأمهاتهم ﴿ خَيْرًا ﴾ المعنى: هلا ظننتم أيها المؤمنون بالذين هم كأنفسكم خيراً، والمؤمنون كلهم كالنفس الواحدة، نظيره ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩].

﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ كذب ظاهر، وسمي الإفك إفكاً؛ لكونه

= (٢٤٨٨)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ. قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣): «الأكثرون على أن المراد بذلك، يعني: الذي تولى كبر الإفك، إنما هو عبد الله بن أبي سلول قبَّحه الله ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. وقيل: المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك، لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه من الصحابة الذين لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره أنه كان يذبُّ عن رسول الله ﷺ بشعره».

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٨٨).

(٢) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (٢٣/ ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧٩).

مصروفاً عن الحق؛ من قولهم: أفكَ الشيءَ: إذا قلبه عن وجهه، وذلك أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف، فمن رماها بالسوء، قلب الأمر عن وجهه.

وروي أن هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب الأنصاري وامرأته، وذلك أنه دخل عليها فقالت: «يا أبا أيوب! أسمعت ماقيل؟! فقال: نعم، وذلك كذب، أكنتِ أنتِ يا أم أيوب تفعلين ذلك؟! قالت: لا والله، قال: فعائشة واللهِ أفضلُ منك، قالت أم أيوب: نعم»[1]، فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله المؤمنين؛ إذ لم يفعله جميعهم. قرأ أبو عمرو، وهشام، والكسائي، وخلف[2]: (إِذ سَّمِعْتُمُوهُ) بإدغام الذال في السين، والباقون: بالإظهار[3].

***

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ثم بين الحكم في القذف فقال: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ أي: على ما زعموا ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ ﴾ على القذف.

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٦٩٨)، والطبراني في «تفسيره» (١٨/ ٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤٨).

(٢) في «ت»: «خلاد».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٩).

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ وهذا في حق عائشة رضي الله عنها، ومعناه: فأولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

* * *

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أيها الخائضون بالحلم والإمهال لتتوبوا ﴿ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ ﴾ جريتم ﴿ فِيهِ ﴾ من القذف ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ دائم في الآخرة.

* * *

﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ ﴾ أي: تأخذون حديث الإفك من الأفاكين. قرأ أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِذ تَّلَقَّوْنَهُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بإظهارها، ومنهم البزي يشدد التاء على أصله، والتلاوة المتواترة (تَلَقَّوْنَهُ): بفتح اللام والقاف مع تشديدها؛ أي: تقبلونه، وقرىء بكسر اللام وضم القاف مخففة؛ من الولق، وهو الإسراع بالكذب[1] ﴿ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ ﴾ بأن يرويه بعض عن بعض.

﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم ﴾ كلاماً بلا مساعدة من القلوب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٢٠).

﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم.

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾ أي: خوضكم في عائشة ﴿هَيِّنًا﴾ صغيرةً.

﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ كثير الوزر.

***

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿وَلَوْلَآ﴾ أي: وهلاَّ ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعني: الإفك. وتقدم اختلاف القراء في الإدغام والإظهار في (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾ أي: ما يجوز

﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ﴾ هذا اللفظ هنا بمعنى التعجب.

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ زور يبهت من يسمعه.

***

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ﴾ الله؛ أي: ينهاكم كراهة ﴿أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ أي: الخوض ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم أحياء.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يمنع عنه.

***

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ في الأمر والنهي.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمر عائشة وصفوان ﴿حَكِيمٌ﴾ حكم ببراءتهما.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ونزل في عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه المنافقين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾[1] أي: يفشُوَ القذف بها.

﴿ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ بالجلد ﴿ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ عذاب النار.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ براءةَ عائشة، وشرَّ ما خضتم فيه، وكذبَ الخائضين.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ونزل في مِسْطح وحسان وحَمنة: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، وجواب (لولا) محذوف؛ أي: لعاجلكم بالعقوبة، وتكرير ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ زيادة مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وابن كثير، وحفص عن عاصم: (رَءُوفٌ) بالإشباع على وزن فَعول، والباقون: بالاختلاس على وزن فَعُل[2]، والرأفة: أشد الرحمة.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٨١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٢).

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ تزيينه في قذف عائشة. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب، والكسائي، وقنبل، وحفص عن عاصم[١]: (خُطُوَاتِ) بضم الطاء، والباقون: بإسكانها[٢].

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ بالقبيح ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾ هو ما أنكره الشرع.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ لكم في الدارين ﴿مَا زَكَىٰ﴾ أي: لم يكن زاكياً ﴿مِّنكُم﴾ أي: ما طَهُر من دنسها ﴿مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ آخر الدهر. قرأ روح عن يعقوب بخلاف عنه: (زَكَّى) بتشديد الكاف، والباقون: بالتخفيف[٣].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهِّر ﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ من الذنب بالرحمة.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهم ﴿عَلِيمٞ﴾ بنياتهم.

* * *

---

(١) «عن عاصم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٣).

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾.

[٢٢] ولما حلف أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ألاَّ ينفق على مسطح، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين بدرياً؛ لخوضه في عائشة ـ رضي الله عنها ـ، نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾[١] قرأ أبو جعفر: (يَتَأَلَّ) بهمزة مفتوحة بين التاء واللام مع تشديد اللام مفتوحة، وقرأ الباقون: بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام خفيفة، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: يبدلون الهمزة بألف ساكنة على أصولهم[٢]، ومعنى القراءتين: لا يحلفْ ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ في الدين ﴿ وَٱلسَّعَةِ ﴾ في المال.

﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ ﴾ على ألاَّ يؤتوا ﴿ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ صفات لموصوف واحد؛ أي: ناساً جامعين لها.

﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ ﴾ عنهم خوضَهم في عائشة.

﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ ﴾ إذا عفوتم.

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبي بكر، قال: «بلى أحب أن يغفر الله لي» ورجع إلى مسطح نفقتَه التي كان ينفق عليه، وقال: «والله لا أنزعها منه أبداً».

* * *

---

(١) تقدم تخريجه في حديث الإفك.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٣).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ونزل في شأن قذف[١] عبد الله بن أُبيِّ عائشةَ رضي الله عنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾[٢] العفيفات ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفاحشة ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالله ورسوله.

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ عُذِّبوا في الدنيا بالحد[٣]، وفي الآخرة بالنار.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وجمع المؤمنات، وإن أريدت عائشة وحدها؛ لأن من قذف واحدة من نسائه ﷺ، فكأنه قد قذفهن.

قيل لابن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة؟ قال: «ذلك لمن قذف عائشة خاصة»[٤].

وقال ابن عباس: «هذا فيمن قذف زوجات النبي ﷺ، ليس له توبة، ومن قذف مؤمنة، فقد جعل الله له توبة»[٥].

***

---

(١) «قذف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٨٢).

(٣) في «ت»: «بالجلد».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥١). وقد روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٣١) عن ابن عباس، مثله.

(٥) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٦٤).

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ العامل في قوله: (يَوْمَ) فعلٌ مضمر يقتضيه العذاب؛ أي: يعذبونه يومَ، ونحو هذا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَشْهَدُ) بالياء على التذكير؛ لتقدم الفعل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث(١)، وهذا قبل أن يختم على أفواههم، روي أنه يختم الأفواه، فتتكلم الأيدي والأرجل بما عملت في الدنيا.

* * *

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ حسابَهم العدلَ .

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ الذي لا شك فيه .

* * *

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ ﴾ من الكلمات والقول .

﴿ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ من الناس ﴿ وَٱلْخَبِيثُونَ ﴾ من الناس ﴿ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ ﴾ من القول .

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٤).

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ من القول ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس.

﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ من الناس ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ من القول، المعنى: أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس، والطيب لا يليق إلا بالطيب، فعائشة لا يليق بها الخبائث من القول؛ لأنها طيبة، فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها، وقيل: معناه: الخبيثات: الزواني للخبيثين: الزناة، وبالعكس، والطيبات: العفائف للطيبين: العفيفين، وبالعكس، والتكرير للتأكيد إيذاناً أن كل واحد منهما لا يصلح إلا لصاحبه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: عائشة وصفوان، ذكرهما الله بلفظ الجمع؛ كقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: أخوان، وقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الطيبين والطيبات.

﴿مُبَرَّءُونَ﴾ منزهون ﴿مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ الخبيثون والخبيثات فيهم من القذف.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ هي العفو عن ذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الجنة.

***

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع، وحفص عن عاصم: (بُيُوتاً) (بُيُوتِكُمْ) بضم الباء، والباقون: بكسرها[١] ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ تستأذنوا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ بأن تقولوا: السلام عليكم أأدخل؟

﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ الاستئذان والتسليم ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ من تركه.

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ وتعملون بما هو أصلح لكم. وتقدم اختلاف القراء في (تَذَكَّرُونَ) أول السورة.

* * *

﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا ﴾ له الإذن ﴿ فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ﴾ عند الاستئذان للدخول: ﴿ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ ﴾ ولا تُلِحُّوا في الدخول ﴿ هُوَ ﴾ أي: الرجوع.

﴿ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ ﴾ أطهر لقلوبكم من الريبة والدخولِ بغير إذن.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ فيجازيكم(١) عليه.

* * *

﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] فلما نزلت آية الاستئذان قالوا: كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام، وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى:

= (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٥ـ٢٤٦).

(١) في «ت»: «فمجازيكم».

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[1]؛ كالرباط والخان ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ أي: منفعة.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد، أوتطلع على عورات.

* * *

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾.

[٣٠] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ ينقصوا من نظرهم، و(من) تبعيض؛ لأنهم إنما نُهوا عن النظرة إلى ما لا يحل لهم، فلا يجوز للرجل النظر إلى الأجنبية قصداً لغير ضرورة عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة: يجوز له النظر إلى الوجه والكفين مع أمن الشهوة، فإن لم يأمن، لم يجز إلا لضرورة، فإن كانت عجوزاً[2] لا تُشتهى، جاز النظر إلى وجهها وكفيها عند أبي حنيفة ومالك، وعند أحمد: إلى وجهها فقط، واختلف في مذهب الشافعي، فألحقها الغزالي بالشابة، وجوز الروياني النظر إلى وجهها وكفيها.

﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الزنا، ولم يدخل (من) في حفظ الفروج؛ لأن الزنا لا رخصة فيه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: غض البصر وحفظ الفرج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أنفع لهم وأطهر.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٦).

(٢) في «ش»: «عجوزة».

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ لا يخفى عليه شيء، فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون.

***

﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (٣١) ﴾.

[٣١] ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ ﴾ عما لا يحل لهن النظر إليه من الرجال، وهي العورة عند أبي حنيفة وأحمد، وعند مالك: ما عدا الوجه والأطراف، والأصح من مذهب الشافعي: أنها لا تنظر إليه كما لا ينظر هو إليها.

﴿ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ.

﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ المستترة؛ كالسوار والخلخال والقلائد لمن لا يحل له النظر إليها ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾ كالثياب والخاتم؛ فإن في سترها حرجاً، وقيل غير ذلك.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ ليسدلن ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمع خمار، وهو غطاء الرأس.

﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ صدورهن. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر: (جِيُوبِهِنَّ) بكسر الجيم، والباقون: بضمها[1].

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ التي أمرن بسترها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي: أزواجهن.

﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ فيجوز لجميع المذكورين عند الشافعي النظر إلى الزينة الباطنة سوى ما بين السرة والركبة، إلا[2] الزوج، فيباح له ما بينهما، وعند مالك: ينظرون إلى الوجه والأطراف، وعند أبي حنيفة: ينظرون إلى الوجه والرأس والصدر والساقين والعضدين، ولا ينظرون إلى ظهرها وبطنها وفخذها، وعند أحمد: ينظرون إلى ما يظهر غالباً؛ كوجه ورقبة ويد وقدم ورأس وساق، وأبيح النظر لهؤلاء؛ لكثرة مداخلتهم عليهن، واحتياجهن إلى مداخلتهم.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: نساء أهل دينهن، وهو قول الشافعي، فيحرم عنده نظر الذمية إلى المسلمة؛ لأنها لا تتحرج عن وصفها للرجال، وعند الثلاثة: يجوز نظرها إلى ما عدا ما بين السرة والركبة؛ لأنها من جملة النساء، ولأن النساء الكوافر من اليهوديات وغيرهن قد كن يدخلن على نساء النبي، فلم يكنَّ يحجبن، ولا أمرن بالحجاب، وأما المسلمة، فلا

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٨).

(٢) في «ت»: «إلى».

خلاف في جواز نظرها إلى المسلمة سوى ما بين السرة والركبة، فأبو حنيفة يوجب ستر الركبة، والثلاثة لا يوجبونه.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ اختلف العلماء في حكم الآية، فقال قوم: هو عام، فيكون عبد المرأة محرماً لها، فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً، وأن ينظر إلى مولاته كالمحارم، وهو مذهب مالك والشافعي، وكل منهما على أصله في النظر كما تقدم، وقال آخرون: المراد: الإماء دون العبيد، فيكون العبد حكمه حكم الأجنبي معها، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، مع اتفاقهما على جواز رؤيته إليها، فأبو حنيفة يجوز رؤيته إلى وجهها وكفيها، وأحمد يجوز رؤيته إلى ما يجوز للمحرم النظر إليه منها كما تقدم، قال أحمد: ولا يلزم من النظر المحرمية، فلا يباح لها الحج ولا السفر معه.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ الذين يتبعون القوم ليصيبوا من فضل طعامهم، لا همة لهم سوى ذلك.

﴿غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ المعنى: غير ذوي الحاجة إلى النساء، وهو من لا ينتشر عليه، ولا يطيق غشيانهن، ولا يشتهيهن ولا تشتهينه، فعند أبي حنيفة ومالك: ينظر الوجه والكفين، وعند الشافعي وأحمد: ينظر كالمحارم. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (غَيْرَ) بالنصب على الحال من الذكر الذي في (التَّابِعِينَ)، وقرأ الباقون: بالخفض على نعت (التابعين)[1].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٨).

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ أي: الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يعرفوها؛ لعدم التمييز، فلا حجاب منهم بالاتفاق.

والعورة: من العوار: العيب، وتقدم ذكر عورة الرجل والمرأة والأمة، واختلاف الأئمة في ذلك مستوفًى في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ كانت المرأة إذا مشت، ضربت برجلها؛ ليسمع صوتُ خلخالها، فنزلت الآية نهياً عن ذلك[١] ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ من التقصير الواقع في أمره ونهيه.

﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ **قرأ** ابن عامر: (أَيُّهُ) بضم الهاء إتباعاً للضمة قبلها بعد حذف الألف للساكنين، ويقف بلا ألف على الخط، **وقرأ** الباقون: بفتحها؛ للدلالة على الألف المحذوفة وصلاً[٢]، ويقف أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (أَيُّهَا) بالألف على الأصل، والباقون: يقفون بلا ألف متابعة للمصحف[٣].

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بسعادة الدارين.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٩٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦١-١٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٩).

﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَأَنكِحُواْ ﴾ أي: زَوِّجوا ﴿ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾ جمع أَيِّم، وهو من لا زوج له من الرجال والنساء، بكراً كان أو ثيباً.

﴿ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: الخيرين ﴿ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ ﴾ اتفق الأئمة على أن النكاح سنة؛ لقوله ﷺ: «من أحبَّ فطرتي، فليستنَّ بسنتي[١]، ومن سُنَّتي النكاحُ»[٢]، فإن كان تائقاً يخاف العنت، وهو الزنا، وجب عليه عند أبي حنيفة وأحمد، وقال مالك والشافعي: وهو مستحب لمحتاج إليه يجد أهبته، ومن لم تتق نفسه إليه، فقال أبو حنيفة وأحمد: النكاح أفضل له من نفل العبادة، وقال مالك والشافعي: بعكسه، وعند الشافعي: إن لم يتعبد، فالنكاح أفضل.

واختلفوا في تزويج المرأة نفسَها، فأجازه أبو حنيفة؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] نهى الرجال عن منع النساء عن النكاح، فدل على أنهن يملكن النكاح، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، أضاف النكاح إلى المرأة أيضاً، ولقوله ﷺ: «الأَيِّمُ أَحَقُّ بنفسها من وليها، والبكرُ تُستأمر بنفسها، وإذنُها صُماتُها»[٣]،

---

(١) «بسنتي» ساقطة من «ش».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٧٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٧)، عن عبيد بن سعد مرسلاً.

(٣) رواه مسلم (١٤٢١)، كتاب: النكاح، باب: استئذان الثيب في النكاح بالنطق، والبكر بالسكوت، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

والاستئمار طلب الأمر من قبلها، ومنعه الثلاثة وقالوا: إنما يزوجها وليها؛ بدليل هذه الآية؛ لأن الله خاطب الأولياء به؛ كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات، ولقوله ﷺ: «أَيُّما امرأةٍ نكحت بغير إذن وليها، فنكاحُها باطل، ثلاث مرات»[1].

واختلفوا هل يجبر السيد على تزويج رقيقه إذا طلبوا ذلك؟ فقال أحمد: يلزمه ذلك إلا أمة يستمتع بها، فإن امتنع السيد من الواجب عليه، فطلب العبد البيع، لزمه بيعه، وخالفه الثلاثة.

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: لا يمنعَنَّ فقرُ[2] الخاطب أو المخطوبة من المناكحة؛ فإن في فضل الله غنيةً عن المال.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ذو سعة لا تنفد نعمته ﴿عَلِيمٌ﴾ يبسط الرزق ويقدر بحكمته. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه: (يُغْنِهُمُ اللَّهُ) بضم الهاء والميم، والباقون: بكسرهما[3].

واختلف الأئمة في الزوج إذا أعسر بالصداق والنفقة والكسوة والمسكن، هل تملك المرأة فسخ نكاحها؟ فقال أبو حنيفة: لا تملك الفسخ بشيء من ذلك، وتؤمر بالاستدانة للنفقة لتحيل عليه، فإذا فرضها

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٨٣)، كتاب: النكاح، باب: في الولي، والترمذي (١١٠٢)، كتاب: النكاح، باب: ما جاء: لا نكاح إلا بولي، وقال: حسن، وابن ماجه (١٨٧٩)، كتاب: النكاح، باب: لا نكاح إلا بولي، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) «فقر» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٠).

القاضي، وأمرها بالاستدانة، صارت ديناً عليه، فتتمكن من الإحالة عليه، والرجوع إلى تركته لو مات، وقال مالك: لها الفسخ بإعساره بالصداق قبل الدخول، فيؤمر بطلاقها، فإن امتنع، فرق الحاكم بينهما، ويتشطر صداقها عليه، ويبقى ديناً في ذمته تتبعه به إذا أيسر، ولم يفرق بإعساره به بعد الدخول، وإن أعسر بنفقتها، أُمر بفراقها، فإن امتنع، فرق الحاكم بينهما بطلقة رجعية، وله الرجعة إن أيسر في العدة، وقال الشافعي: إذا أعسر بالنفقة، فلها فسخ النكاح، وكذا بالكسوة والمسكن، ويمهل ثلاثة أيام، وتفسخ صبيحة الرابع، ولها الفسخ بالإعسار بالمهر قبل وطء لا بعده ويسقط به المهر، وقال أحمد: إن أعسر بنفقة أو ببعضها، أو بكسوة أو ببعضها، أو بسكنى، فلها الفسخ، وكذا إن أعسر بمهر حالٍّ قبل الدخول أو بعده، ما لم تكن عالمة بعسرته، فإن فسخت قبل الدخول، سقط المهر، وبعده، يستقر في ذمته، واتفق الشافعي وأحمد على أن الفسخ لا يصح إلا بحكم حاكم، فيفسخ بطلبها[1]، أو تفسخ بأمره.

* * *

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)﴾.

[٣٣] ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ يطلب العفة عن الزنا ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي:

(١) «بطلبها» زيادة من «ت».

قدرة على النكاح ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوسّع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾.

قال ﷺ: «يا معشرَ الشباب! من استطاع منكم الباءة، فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجاء»(١).

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: يطلبون عقد الكتابة.

﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ عبداً كان أو أمة ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ أمر ندب.

وسبب نزول الآية: ما روي أن غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه، فأبى عليه، فأنزل الله الآية، فكاتبه حويطب على مئة دينار، ووهب له منها عشرين، فأداها، وقتل يوم حنين في الحرب(٢)، والكتابة بيع سيد رقيقه بمال في ذمته مباح معلوم، وهي مستحبة بالاتفاق، فيقول الرجل لمملوكه: كاتبتك على كذا من المال، والعبدُ يقبل ذلك، فإذا أدى المالَ، عتق، ويصير العبد أحقَّ بمكاسبه بعد الكتابة، وسميت كتابة؛ لأن العبد كتب عليه الوفاء بالمال، والسيد كتب عليه العتق عند أدائه، وتصح عند أبي حنيفة ومالك بمال حالٍّ ومؤجَّل ومنجَّم، وعند الشافعي وأحمد تصح في نجمين فأكثر، ولا تجوز عندهما حالاً، ولا في نجم واحد.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ كسباً وأمانة، وهو قول الشافعي وأحمد، وقال

---

(١) رواه البخاري (١٨٠٦)، كتاب: الصوم، باب: الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، ومسلم (١٤٠٠)، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٦). و«تفسير القرطبي» (١٢/ ١٨٤).

مالك: الخير هو القوة على الأداء، وقال بعض الحنفية: المراد بالخير: إقامة الصلاة وأداء الفرائض، وقال بعضهم: المراد: ألاَّ يضر بالمسلمين بعد العتق، فإن كان يَضُرُّ بهم، فالأفضل ألاَّ يكاتبه، فلو فعل، صح.

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ﴾ خطاب للمسلمين، فعند أبي حنيفة ومالك: هو مستحب، وعند الشافعي وأحمد: هو واجب، فمذهب الشافعي ليس له حد، بل عليه أن يحط عنه ما شاء من المال، أو يدفعه إليه، والحط أولى، وفي النجم الأخير أليق، ومذهب أحمد: يجب على السيد أن يؤتيه ربع مال الكتابة إن شاء، ويضعه عنه، وإن شاء قبضه ثم دفعه إليه[(١)].

قال ﷺ: «ثلاثة حقٌّ على الله عونُهم: المكاتب الذي[(٢)] يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»[(٣)].

واختلفوا فيما إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم، فقال أبو حنيفة ومالك: إن ترك وفاء بما بقي عليه من المكتابة، كان حراً، وإن كان فيه فضل، فالزيادة لأولاده الأحرار، وقال الشافعي وأحمد: يموت رقيقاً، وترتفع الكاتبة، سواء ترك مالاً، أو لم يترك؛ كما لو تلف المبيع قبل القبض يرتفع البيع.

---

(١) «ثم دفعه إليه» زيادة من «ت».

(٢) «الذي» زيادة من «ت».

(٣) رواه النسائي (٣١٢٠)، كتاب: الجهاد، باب: ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب، وعون الله إياهم، وقال حسن، وابن ماجه (٢٥١٨)، كتاب: العتق، باب: المكاتب، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ﴾ إماكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الزنا.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ إن طلبن تعففاً وامتناعاً عن الزنا، [و(إنْ) هنا بمعنى (إذْ)؛ لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا][1] إن لم يردن التحصن، نزلت في عبد الله بن أبيٍّ بن سلول المنافق، كانت له ست جوار يكرههن على الزنا، وضرب عليهن الضرائب ـ جمع الضريبة، وهي الغلة المضروبة على العبد والجزية ـ، فشكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ، فنزلت[2]. قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (الْبِغَاءِ إِنْ) بتحقيق الهمزتين، وأبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى، وقرأ قالون، والبزي: بتسهيل الأولى بين بين، مع تحقيق الثانية، وأبو جعفر، ورويس: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، واختلف عن قنبل وورش، فروي عن الأول جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني إبدال الهمزة الثانية ياء مكسورة، وروي عنه تسهيلها بين بين[3].

﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ﴾ أي: أموال ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بكسبهن وبيع أولادهن.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٩)، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان عبد الله بن أبي سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله ـ عز وجل ـ. وفي لفظ: أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها مسيلة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يُكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله. وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٧ـ١٨٨).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٠ـ٢٥١).

﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ ﴾ على الزنا.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ لهن، والوزرُ على المكرِه. قرأ ابن ذكوان بخلاف عنه: (إِكْرَاهِهِنَّ) بالإمالة.

***

﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ ﴾ مفصَّلات بالحلال والحرام، والحدود والأحكام. قرأ، ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُبيِّنَاتٍ) بكسر الياء، والباقون: بفتحها(١).

﴿ وَمَثَلٗا مِّنَ ﴾ أمثال ﴿ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾ مضوا.

﴿ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ يعني: ما ذكر من قصص القرون الماضية.

﴿ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ الشرك والكبائر، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحقَ مَنْ قبلهم من المكذبين.

***

﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي: صاحب نورهما،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥١).

ونورُهما: الشمس والقمر، المعنى: هو هادٍ مَنْ فيهما بنوره.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة نور الله في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [هي الكوة في الجدار غير نافذة، روي أن المراد بالنور الثاني هنا: محمد ﷺ، وقوله: (مَثَلُ نُورِهِ)؛ أي: نور محمد إذ كان مستودعاً في الأصلاب، وقيل: إن المشكاة هندية معربة. قرأ الدوري عن الكسائي: (كَمِشْكَاةٍ)][(١)] بالإمالة[(٢)] ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ سراج ضخم، والمعنى: مثل مصباح في مشكاة ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ في قنديل، مثل بها؛ لأن النور فيها أشد، ثم شبه القنديل بالكوكب فقال: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ قرأ أبو عمرو، والكسائي: (دِرِّيءً) بكسر الدال مع المد والهمز؛ من الدَّرْء، وهو الدفع؛ لأن الكوكب يدفع الشيطان من السماء، وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بضم الدال والمد والهمز، بمعنى: أن الكوكب يدفع الظلام بضيائه، وقرأ الباقون: بضم الدال وتشديد الياء من غير مد ولا همز[(٣)]؛ أي: شديد الإنارة، نُسب إلى الدُّر في صفائه وحسنه، وإن كان[(٤)] الكوكب أكثر ضوءاً من الدر، لكنه يفضل الكواكب بصفائه؛ كما يفضل الدرُّ سائرَ الحب.

﴿يُوقَدُ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بتاء مفتوحة وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي؛ أي: توقد المصباح، وقرأ

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٣_٢٥٤).

(٤) «كان» ساقط من «ش».

نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بياء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التذكير مجهول مستقبل؛ [أي: يوقد المصباح، وقرأ الباقون، وهم: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بضم التاء والدال مع التخفيف على التأنيث مجهول مستقبل][1][2]؛ أي: توقد الزجاجة؛ أي: نارها؛ لأن الزجاجة لا توقد.

﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: زيت شجرة ﴿مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ كثيرة النفع؛ لأن دهنها الزيت، فهو إدام وفاكهة ومصحة من الباسور ﴿زَيْتُونَةٍ﴾.

قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادَّهِنوا بالزيت؛ فإنه من شجرة مباركة»[3].

﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما؛ كالشام وأجودُ الزيتون زيتونهُ.

وقال ابن عباس وغيره: معناه أنها في منكشف من الأرض؛ لتصيبها عين[4] الشمس طول النهار، وتستدير عليها، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية، ولا للغرب فتسمى غربية، بل هي شرقية وغربية، تأخذ حظها من الأمرين، فيكون زيتها أضوأ[5].

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٣) رواه الترمذي (١٨٥١) كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في أكل الزيت، وابن ماجه (٣٣١٩)، كتاب: الأطعمة، باب: الزيت، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) «عين» ساقطة من «ت».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٠١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ١٩٦).

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ لصفائه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ﴾ فكأنه لفرط ضيائه.

﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ يعني: نور المصباح على نور الزجاجة. قرأ أبو عمرو (يَكَاد زَّيْتُهَا) بإدغام الدال في الزاي[1]، وفائدة جعل المصباح في زجاجة، والزجاجة في كوة غير نافذة، شدة الإضاءة؛ لأن المكان كلما تضيق، كان أجمع للضوء، بخلاف الواسع، فالضوء ينتشر فيه، وخص الزجاج؛ لأنه أحكى الجواهر لما فيه، وهذا تمثيل للنبي ﷺ، فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح النبوة فيه، ومن شجرة مباركة شجرة النبوة، يكاد زيتها يضيء: يكاد أمر محمد يتبين للناس أنه نبي، ولو لم يتكلم؛ كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار.

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ لدين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾ فإن الأسباب كلها بمشيئته.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ظاهراً كان أو خفياً.

* * *

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ متعلق بما قبله؛ أي: (كَمِشْكَاةٍ) في بيوت.

﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أي: تُعَظَّم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢٥٧/٤).

قال ابن عباس: «المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»[1].

وقيل: هي أربعة بناها الأنبياء: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، والأقصى بناه داود وسليمان، [بل بناه يعقوب ـ عليه السلام ـ كما ورد في الحديث، فلا تغفل عنه][2]، ومسجد المدينة، ومسجد قباء بناهما رسول الله ﷺ.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ يتلى فيها كتابه ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (يُسَبَّحُ) بفتح الباء مجهولاً القائم مقام الفاعل له، فيحسن الوقف على (وَالآصَالِ)؛ لأنك تضمر فعلاً؛ كأنه لما قيل (يُسَبَّحُ لَهُ)، قيل: من يسبحه؟ قيل: يسبحه رجال، ولا يجوز الوقف عليه، وقرأ الباقون بكسر الباء، جعلوا التسبيح فعلاً للرجال (يُسَبِّحُ)[3]؛ أي: يصلي له فيها بالغداة والعشي، والمراد: الصلوات المفروضات، فالتي تؤدى بالغداة: صلاة الفجر، والتي تؤدى بالآصال: صلاة الظهر والعصر والعشاءين؛ لأن اسم الأصيل يجمعها.

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٤٨).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٧).

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ رِجَالٌ ﴾ قيل: خص الرجال بالذكر في هذه المساجد؛ لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المساجد.

﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ ﴾ لا تشغلهم ﴿ تِجَٰرَةٌ ﴾ هي صنعة التاجر عن بيع وشراء.

﴿ وَلَا بَيْعٌ ﴾ قال الفراء: التجارة لأهل الجلب، والبيع ما باعه الرجل على يديه.

﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ عن الصلاة المفروضة ﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ لوقتها.

﴿ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ لمستحقيها عند وجوبها؛ لأن مؤخر الصلاة عن وقتها لا يكون مقيماً لها.

﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا ﴾ هو يوم القيامة ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ وتقلُّبُها تنقُّلُها[١] عن أماكنها؛ لهول ذلك اليوم، فتنقلب القلوب في الجوف، وترتفع إلى الحنجرة، ولا تنزل ولا تخرج، وتقلُّب البصر: شُخوصه.

* * *

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ اللام في ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ﴾ متعلقة بـ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ المعنى: كان تسبيحهم وخوفهم ليثيبهم، وقوله:

﴿ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ فيه حذف مضاف تقديره: ثواب أحسن ما عملوا.

---

(١) «تنقلها» زيادة من «ت».

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

قال كثير من الصحابة: نزلت هذه الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا النداء بالصلاة، تركوا كل شغل، وبادروا إليها، فرأى سالم بن عبد الله بن عمر أهل الأسواق وهم مقبلون إلى الصلاة، فقال: «هؤلاء الذين أراد الله بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾»[1].

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ثم ضرب لأعمال الكافرين مثلاً فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾ هو ما يُرى من ضوء الشمس نصفَ النهار كالماء على وجه الأرض.

﴿بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع، وهو المستوي من الأرض، وفيه يكون السراب.

﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ يتوهمه العطشان.

﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ جاء ما غلب على ظنه أنه ماء.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما ظنه، فيزداد عطشاً، فكذلك الكافر، يحسب أن عمله ينفعه، فعند الموت والبعث، لم يغن عنه شيئاً، فيزداد انقطاعاً.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٧).

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: بالمجازاة، والضمير في.

﴿عِندَهُۥ﴾ عائد على العمل.

﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ جزاءَ كفره، فألقي في النار.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب.

* * *

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ عطف على قوله: ﴿كَسَرَابٍۭ﴾، وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار؛ أي: أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كالظلمات.

﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ عميق، منسوب إلى اللج؛ أي: ذو لُجٍّ، وهو معظم الماء.

﴿يَغْشَىٰهُ﴾ يعلو البحرَ.

﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ فوق الموج ﴿مَوْجٌ﴾ آخر؛ لأن الموج يركب بعضه بعضاً؛ لكثرته.

﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ فوق الموج ﴿سَحَابٌ﴾ قرأ البزي عن ابن كثير: (سَحَابُ) بغير تنوين (ظُلُمَاتٍ) بالخفض على الإضافة، وقرأ قنبل عنه: (سَحَابٌ) بالتنوين (ظُلُمَاتٍ) بالخفض على البدل من قوله: (أو كَظُلُمَاتٍ)، وقرأ

الباقون: (سَحَابٌ) (ظُلُمَاتٍ) كلاهما بالرفع والتنوين[1]، فيكون تمام الكلام عند قوله: (سَحَابٌ)، ثم ابتدأ.

﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ فشبهت أعمال الكفار واغترارهم بها بسراب يغتر به من طلبه، ثم شبهت لسوادها لكفرهم بظلمات بعضها فوق بعض، والمراد: ظلمة الموج على ظلمة البحر، وظلمة الموج على الموج، وظلمة السحاب على الموج، فشبه عمل الكافر بالظلمات، وقلبه بالبحر، وما يغشى قلبَه من الشرك بالموج، والختم على قلبه بالسحاب، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، وقلبه وجميع أحواله ظلمة، ومصيره إلى جهنم.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ﴾ يعني الناظر[2] ﴿يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ﴾ لم يقرُبْ من أن ﴿يَرَىٰهَاۗ﴾ فضلاً أن يراها؛ لشدة الظلمة.

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ هداية وإيماناً في الدنيا.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ هداية في الآخرة إلى الجنة.

نزلت هذه الآية عامة في جميع الكفار، وقيل: إنها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية، تَعَبَّدَ في الجاهلية، ولبس المسوح، والتمس الدين، فلما جاء الإسلام، كفر[3].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٣٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٥-٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) «يعني الناظر» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٦).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ تنبيه، والرؤية رؤية الفكر.

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ﴾ باسطاتٍ أجنحتَها في الهواء يُصفقن بهن، قيل: خص الطير بالذكر من جملة الحيوان؛ لأنها تكون بين السماء والأرض، فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض.

﴿ كُلٌّ ﴾ من المصلين والمسبحين ﴿ قَدْ عَلِمَ ﴾ اللهُ ﴿ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ وقيل: المعنى: كل مكلف علم عبادته ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: تقديرها وتدبير أمورها وتصريف أحوالها كما يشاء.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ مرجعُ الجميع.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى ﴾ أي: يسوق ﴿ سَحَابًا ﴾ أي: غيماً؛ لانسحابه في الهواء.

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ بين أجزاء الغيم، فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان قطعاً. قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (يُوَلِّفُ) بفتح الواو من غير همز[1].

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ متراكماً بعضُه فوق بعض.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ فُتوقِه، جمع خَلَل.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ معناه: ينزل من جبال في السماء، تلك الجبالُ من برد.

قال ابن عباس: «أخبر الله تعالى أن في السماء جبالاً من برد»[2]، ومفعول الإنزال محذوف تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها برداً، فاستغنى عن ذكر المفعول؛ للدلالة عليه.

قال أهل النحو: ذكر الله تعالى (من) ثلاث مرات في هذه الآية، فقوله: (مِنَ السَّمَاءِ) لابتداء الغاية؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء، وقوله: (مِنْ جِبَالٍ) للتبعيض؛ لأن ما ينزله الله بعضُ تلك الجبال، وقوله: (مِنْ بَرَدٍ) للتجنيس؛ لأن تلك الجبال جنس البرد[3].

﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بالبرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيهلك زرعه وأمواله.

﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ فلا يضره.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦١).

(٢) ذكره عنه البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٧)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٩) دون نسبة.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٧).

﴿يَكَادُ سَنَا﴾ أي: ضوء ﴿بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يختطفها من شدة ضوئه. قرأ أبو جعفر: (يُذْهِبُ) بضم الياء وكسر الهاء، فقيل: إن باء (بِالأَبْصَارِ) تكون زائدة؛ كما هي في: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال ابن الجزري: والظاهر أن تكون بمعنى (مِنْ)؛ كما جاءت في قول الشاعر:

شُرْبَ النزيفِ ببردِ ماءِ الحَشْرَجِ[1]

أي: من برد، ويكون المفعول محذوفاً؛ أي: يذهب النور من الأبصار، وقرأ الباقون: بفتح الياء والهاء[2]، وأبو عمرو يدغم الدال من (يَكَادُ) في السين من (سَنَا بَرْقِهِ)[3].

***

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يذهب بأحدهما، ويجيء بالآخر، وينقص من أحدهما، ويزيد في الآخر.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لأصحاب الاعتبار.

---

(١) عجز بيت منسوب إلى الراعي النميري، وعروة بن أذينة، وعمر بن ابي ربيعة، وجميل بن معمر، وصدره:

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها

وانظر: «الكامل» للمبرد (١/ ٣٨١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦١).

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ أي: من نطفة، والمراد: كل حيوان يشاهد في الدنيا، ولا يدخل فيه الملائكة والجن؛ لأنا لا نشاهدهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (خَالِقُ) بألف بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وخفض (كُلِّ) بالإضافة، وقرأ الباقون: (خَلَقَ) بفتح اللام والقاف من غير ألف على الفعل، ونصب (كُلَّ) مفعولاً به(١).

﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيات، وسمي الزحف على البطن مشياً؛ اتساعاً؛ لقيامه مقام المشي.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالأناسي والطير.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم، ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض؛ لأنها في الصورة كالتي تمشي على أربع، وتذكير الضمير؛ لتغليب العقلاء، والتعبير بـ(من) عن الأصناف؛ ليوافق التفصيل الجملة، والترتيب؛ لتقديم ما هو أعرق في القدرة.

﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مما ذكر، ومما لم يذكر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يفعل ما يشاء. واختلاف القراء في

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٣).

الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من ﴿نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ في سورة الحج [الآية: ٥].

* * *

﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤٦﴾.

[٤٦] و﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ تقدم تفسير (آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ)، واختلاف القراء فيها، واختلافهم في (يَشَاءُ إِلَى) كاختلافهم في (يَشَاءُ إِنَّ).

* * *

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾.

[٤٧] ولما خاصم بشر المنافقُ يهودياً كان بينهما خصومة في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد ﷺ، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف؛ فإن محمداً يحيف علينا، نزل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ﴾(١) يعني: المنافقين ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا﴾ لهما.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ بالامتناع عن قبول حكمه.

﴿فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ بعد قولهم هذا.

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: ليسوا بالمخلصين في الإيمان.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٨).

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى كتابه.

﴿ وَرَسُولِهِۦ ﴾ محمد ﷺ.

﴿ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِيُحْكَمَ) بضم الياء وفتح الكاف[1]، وكذلك في الحرف الآتي مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الكاف؛ أي: ليحكم الرسولُ بينهم بحكم الله.

﴿ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾ عن الإتيان إليه؛ خوفاً أن يحكم عليهم.

* * *

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴾ منقادين بسرعة؛ لثقتهم أنه كما يحكم عليهم بالحق، يحكم لهم أيضاً بالحق.

* * *

﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كفر ﴿ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ ﴾ شكوا في نبوته؟! هذا استفهام ذم وتوبيخ، أي: هم كذلك.

﴿ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ ﴾ أي: يميل في الحكم.

﴿ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لإعراضهم عن الحق، وطلبهم ما ليس لهم.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٤).

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ﴾ نصب خبر (كانَ) المعنى: إنما كان الواجبُ.

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: إلى كتاب الله ﴿ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا ﴾ قولك ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ أمرك، والطاعة: موافقة الأمر طوعاً، وهي تجوز لله ولغيره ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: القائلون هذا القول ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ البالغون آمالهم في دنياهم وآخرتهم.

* * *

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ فيما يأمرانه و﴿ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ على ما صدر عنه من الذنوب ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ فيما بقي من عمره ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ الناجون. قرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: (وَيَتَّقِهْ) بكسر القاف وإسكان الهاء على نية الوقف، وحفص: بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء تخفيفاً، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون، وهشام: بكسر القاف واختلاس كسرة الهاء، وأصله (يتقهي)، حذفت الياء التي بعد الهاء؛ لسكونها وسكون الياء قبل الهاء، ولم يعتد بالهاء حاجزاً لسكونها، وبقيت الكسرة تدل عليها، ثم حذفت الهاء الأولى للجزم، وقرأ الباقون: بكسر القاف وإشباع كسرة الهاء وصلتها بياء حالة الوصل[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٦ـ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٥).

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٥٣ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ ﴾ يعني: المنافقين ﴿ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ والقسم جهد اليمين أبلغُ ما يمكن من الأقسام، فمن قال: أقسم بالله، فقد جهد يمينه.

﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت، نكن معك، لئن خرجت، خرجنا، وإن أقمت، أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد، جاهدنا، فقال الله تعالى:

﴿ قُل ﴾ لهم: ﴿ لَّا تُقْسِمُوا۟ ﴾ لا تحلفوا، تم الكلام، ثم قال:

﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ أي: أمثل من إقسامكم طاعة لا يُشك فيها؛ لأنكم لا تصدقون.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازيكم.

* * *

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤ ﴾.

[٥٤] ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به؛ مبالغةً في تبكيتهم.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أي: تتولوا. قرأ البزي: (فَإِن تَّوَلَّوْا) بتشديد التاء[1].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٦).

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ.

﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من الطاعة.

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق.

﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ أي: التبليغ البين، ونُسخت بآية السيف.

* * *

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾.

[٥٥] ولما اشتد خوف الصحابة، واستبطؤوا النصر، نزل تسليةً لهم ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾ وهو جواب قسم مضمر تقديره: وعدهم، وأقسم ليستخلفنهم ﴿ فِي الْأَرْضِ﴾(١) بأن يجعلهم خلفاءها وساكنيها بعد الكفار متصرفين فيها.

﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (كَمَا اسْتُخْلِفَ) بضم التاء وكسر اللام مجهول الفاعل (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)، ويبتدىء ألفه بالضم، وقرأ الباقون: بفتح التاء واللام معلوماً، ويبتدئون

(١) روى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٧) عن أبي العالية، نحواً منه. وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨/ ٢٦٢٧) عند تفسيره لهذه الآية.

ألفه بالكسر(١)، ضميره يرجع إلى (الله)، المعنى: يستخلفكم استخلافاً كاستخلاف الله داود وسليمان وبني إسرائيل أرضَ الجبارين.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام؛ بأن يظهره على جميع الأديان.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ قرأ ابن كثير، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: بإسكان الباء وتخفيف الدال؛ من أبدل، وقرأ الباقون: بفتح الباء وتشديد الدال؛ من بدَّل، وهما لغتان(٢)، وقيل التبديل: تغيير حال إلى حال، والإبدال: رفعُ الشيء وجعلُ غيره مكانه.

﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ثم هاجروا إلى المدينة، وكانوا يصبحون في السلاح، ويبيتون فيه، فأظهر الله دينهم، ونصرهم، وأبدلهم من بعد الخوف أمناً.

﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ فعل مستأنف؛ أي: هم يعبدونني.

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ أي: يعبدونني موحدين.

﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ هذه النعمَ.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ العاصون، وكان أول من كفر بهذه النعمة بعدما أنجز الله وعده الذين قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه فغير الله تعالى ما بهم، وأدخل عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٨ـ ٤٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٦).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ فيما أمركم به.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ أي: افعلوها على رجاء الرحمة.

* * *

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة: (يَحْسَبَنَّ) بالغيب، ونصب السين؛ أي: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين، وقرأ الباقون: بالخطاب وكسر السين(١)؛ أي: لا تحسبن يا محمد الذين كفروا.

﴿ مُعْجِزِينَ ﴾ أي: فائتين الله ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بأن لا يقدر عليهم.

﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ التقدير: الذين كفروا ليسوا معجزين، ومأواهم النار.

﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المأوى الذي يصيرون إليه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٧).

بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] قال ابن عباس: وجه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة؛ ليدعوه، فدخل ورأى عُمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ﴾(١) هذه اللام لام الأمر.

﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ يعني: العبيد والإماء، هم.

﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ﴾ من الأحرار، وليس المراد منهم: الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل الذين عرفوا أمر النساء، ولكن لم يبلغوا.

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ أي: ليستأذنوا في ثلاثة أوقات.

﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرحِ ما يُنام فيه من الثياب.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾ للقيلولة.

﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ إلى وقت الظهر؛ لأنه وقت القيلولة والتكشف.

﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ لأنه وقت التجرد للنوم، فهذه الأوقات أوقات خلوة، فالاستئذان لهؤلاء مشروع فيها لهم، ولغيرهم في جميع الأوقات.

﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٨٩).

عاصم: (ثَلَاثَ) بنصب الثاء بدلاً عن قوله: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) أي: أوقاتَ ثلاثِ عوراتٍ، وقرأ الباقون: بالرفع[1]؛ أي: هذه الأوقات ثلاثُ عورات لكم؛ لأن الإنسان يختل ستره فيها، واتفقوا على النصب في قوله: (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) المتقدم؛ لوقوعه ظرفاً، وقرأ أبو عمرو (بَعْد صَّلاَةِ الْعِشَاءِ) بإدغام الدال في الصاد[2].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: العبيد والخدم والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ إثم في الدخول بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد هذه الأوقات الثلاثة.

﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ يطوف.

﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: إن كان بكم وبهم حاجة إلى المخالطة.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ الأحكامَ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيما يشرع لكم.

واختلف في حكم الآية، فقال قوم: هي منسوخة[3]، قال ابن عباس: «لم يكن للقوم ستور ولا حجاب، وكان الخدم والولائد يدخلون، فربما يرون منهم ما لا يحبون، فأُمروا بالاستئذان، وقد بسط الله الرزق، فاتخذ الناس الستور»[4]، فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان، وذهب قوم إلى أنها

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٨).

(٣) في «ت»: «هو منسوخ».

(٤) رواه أبو داود (٥١٩٢)، كتاب: الأدب، باب: الاستئذان في العورات الثلاث، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» =

غير منسوخة، قال سعيد بن جبير: «إن ناساً يقولون: نسخت، واللهِ ما نُسخت، ولكنها مما تهاون به الناس»(١).

* * *

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ أي: الأحرار إذا بلغوا ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات في الدخول عليكم.

﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأحرار البالغين.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ كرر تأكيداً ومبالغة في الأمر بالاستئذان.

* * *

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هي من قعدت عن الحيض والولد؛ لكبرها.

= (٧/ ٩٧). قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٠٤) عن إسناد ابن أبي حاتم، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. وقال القرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٣): هذا متن حسن، وهو يرد قول سعيد بن جبير، فإنه ليس فيه دليل على نسخ الآية، ولكن على أنه كانت على حال ثم زالت، فإن كان مثل ذلك الحال فحكمها قائم كما كان، بل حكمها لليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٣).

﴿ ٱلَّتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا ﴾ أي: لا يُردن الرجال؛ لكبرهن.

﴿ فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ الظاهرة؛ كالملحفة والجلباب الذي فوق الثياب، والقناع الذي فوق الخمار، فأما الخمار، فلا يجوز وضعه.

﴿ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ ﴾ غير مظهِرات محاسنَهن.

﴿ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ ﴾ عن وضع الثياب.

﴿ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ ﴾ لأنه أبعد من التهمة.

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لمقالهن للرجال ﴿ عَلِيمٞ ﴾ بمقصودهن، وتقدم ذكر الخلاف في النظر إلى العجوز التي لا تشتهى في السورة.

* * *

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ (٦١) ﴾.

[٦١] ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ ﴾ كان هؤلاء يتوقَّون مؤاكلة الناس ومجالستهم؛ لأن الأعمى ربما سبقت يده

إلى ما سبقت عين أكيله إليه، والأعرج يأخذ من المجلس أكثر من موضع، والمريض لا يخلو من رائحة يؤذي بها، أو شيء ينجس، فنزلت الآية مبيحة لهم.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه دلالة على أن يأكل في بيته من مال عياله وزوجته، فيدخل فيها بيوت الأولاد؛ لأن بيت الولد كبيته؛ لقوله ﷺ: «أنتَ ومالُكَ لأبيك»[1]، ولذلك لم يذكر الأولاد في الآية.

وتقدم استدلال الإمام أحمد بهذا الحديث على أن للرجل أن يأخذ من مال ولده ما شاء ويتملكه في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الآية: ٢٦٧].

﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾ وهذا فيما ليس مُحرزاً. **قرأ** ابن كثير، وابن عامر، وقالون عن نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِيُوتِ) و(بِيُوتاً) و(بِيُوتِكُمْ) و(بِيُوتِهِمْ) وما جاء منه بكسر الباء حيث وقع، والباقون: بالضم[2]، **وقرأ** حمزة: (إِمَّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم،

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٠)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، وابن ماجه (٢٢٩٢)، كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٤)، وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٤٥ـ٢٤٦).

والكسائي بكسر الهمزة فقط، وذلك في الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك[١].

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ هو بيت موكله، فله أن يأكل من زرعه وضرعه إذا احتاج، ولا يدخر، والمفاتيح: الخزائن.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق: الذي صدقك في المودة، قال ابن عباس: «نزلت في الحارث بن عمرو، خرج غازياً مع رسول الله ﷺ، وخلف مالك بن يزيد على أهله، فلما رجع، وجده مجهوداً، فسأله عن حاله، فقال: تحرَّجْتُ أن آكل من طعامك بغير إذنك، فأنزل الله الآية»[٢].

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة، كانوا يتحرجون أن يأكل الرجل وحده حتى يجد ضيفاً يأكل معه[٣].

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من هذه البيوت للأكل أو غيره ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: على أهل دينكم، وقال ابن عباس: «معناه إذا دخلت المسجد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[٤] ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر؛ أي: تحيون أنفسكم تحية.

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ وصفت بالبركة والطيب؛ لما فيها من

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٢٢٥).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٧٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٦٣).

الأجر والثواب؛ لأن البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ كرره ثالثاً؛ لمزيد التأكيد.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الحقَّ في الأمور.

***

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ثم أكد الحصر بقوله:

﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: مع رسول الله ﷺ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ نحو الجهاد والعيد والجمعة، والتشاور في أمر نزل ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لم يتفرقوا ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ في الانصراف، وكان ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد رجل الخروج، وقف حيث يراه، فيأذن له إن شاء، ثم أكد ذلك بقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فأفاد أن المستأذن مؤمن، وأن الذاهب بغير إذن ليس كذلك ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ﴾ في الانصراف ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ قصدهم. قرأ أبو عمرو: (لِبَعْض شَّأْنِهِمْ) بإدغام الضاد في الشين في هذا الحرف فقط(١).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٠).

﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ لا اعتراض عليك.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ﴾ إن خرجوا بإذنك لخروجهم عنك.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لفرطات العباد ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بالتيسير عليهم.

* * *

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً: يا محمد، ولكن فخموه، وقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، وهذه الآية مخاطبة لجميع معاصري محمد ﷺ، وقال ابن عباس: «معناه: احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه؛ فإن دعاءه موجب، ليس كدعاء غيره»(١).

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ﴾ أي: قد علم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ﴾ يخرجون واحداً بعد واحد ﴿ لِوَاذًا ﴾ يلوذ بعضهم ببعض يتستر به.

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ ﴾ أي: يميلون ﴿ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: عن أمر الله تعالى، أو أمر نبيه ﷺ ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أي: محنة وبلاء.

﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٢٣٠).

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾ خلقاً وملكاً.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ من الأحوال والأعمال، المعنى: علمه محيط بجميع الأشياء.

﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾ جميعاً، الخطاب للمنافقين على سبيل الالتفات. **قرأ** يعقوب: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[1].

﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ ﴾ بالمجازاة عليه.

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴾ لا يخفى عليه شيء.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تُنْزِلوا النساءَ الغرفَ، ولا تعلموهنَّ الكتابة، وعلموهن الغزلَ وسورة النور»[2]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧١٣)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٥٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٢٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٣): فيه محمد بن إبراهيم الشامي، قال الدارقطني: كذاب.

مُحتَوَىٰ ٱلمُجَلَّدِ ٱلرَّابِعِ

* * *

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وَزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارُ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٨ - ١٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418168

سُورِيَة - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَةُ دَارِ النَّوَادِرِ م.ف - سُورِيَة * شَرِكَةُ دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبْنَان * شَرِكَةُ دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّةِ - ذ.م.م - الكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أَسَّسَهَا سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَامّ وَالرَّئِيسُ التَّنْفِيذِي

فتح الرحمن في تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي
المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧ هـ)
رحمه الله تعالى

المجلد الخامس

اعتنى به
تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً
نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان

مكية، وآيها: سبع وسبعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف، وسبع مئة وثلاثة وثمانون حرفاً، وكلمها: ثماني مئة واثنتان وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿تَبَارَكَ﴾ وزنه تفاعَلَ، ومعناه: تَعَظَّم وتقدَّس، وقيل: معناه: جاء بالبركة، فعل مختص بالله تعالى، لم يستعمل في غيره ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآن، سمي فرقاناً؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ.

﴿لِيَكُونَ﴾ العبد، أو الفرقان ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: الجن والإنس ممن عاصره، أو جاء بعده ﴿نَذِيرًا﴾ محذراً.

* * *

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بدل من ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ رَدٌّ على النصارى.

﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ ردٌّ على قريش في قولهم: إن لله شريكاً.

﴿ وَخَلَقَ﴾ أحدثَ ﴿ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ من المخلوقات.

﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ هيأه لما أراد منه.

***

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ﴾ يعني: عبدة الأوثان.

﴿ مِن دُونِهِۦٓ﴾ تعالى ﴿ ءَالِهَةٗ﴾ يعني: الأصنام.

﴿ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم.

﴿ وَلَا يَمۡلِكُونَ﴾ لا يستطيعون.

﴿ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ أي: دفع ضر، ولا جلب نفع.

﴿ وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ﴾ أي: إماتة وإحياء ﴿ وَلَا نُشُورٗا﴾ بعثاً بعد الموت، ومن كان كذلك، فكيف يعبد؟! لأن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء.

***

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: النضر بن الحارث وأصحابه:

﴿ إِنۡ هَٰذَآ﴾ ما هذا القرآن ﴿ إِلَّآ إِفۡكٌ﴾ كذب ﴿ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ اختلقه محمد.

﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ يعني: اليهود؛ فإنهم يلقون إليه أخبار

الأمم، وهو يعبر عنه بعبارته، وقال ابن عباس: «أشاروا إلى عبيد كانوا للعرب من الفرس، أحدهم أبو فكيهة مولى الحضرميين، وجبر ويسار وعداس وغيرهم، كانوا بمكة، زعم الكفار أن محمداً اختلق القرآن، وأعانوه على اختلاقه»[1].

﴿فَقَدْ جَآءُو﴾ فعلوا؛ يعني: قائلي هذه المقالة.

﴿ظُلْمًا﴾ كفراً ﴿وَزُورًا﴾ كذباً؛ لنسبتهم القرآن إلى غير قائله.

* * *

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ المشركون: القرآنُ ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما سطره المتقدمون ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها محمد؛ أي: طلب أن تُكتب له؛ لأنه كان لا يكتب.

﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ﴾ أي: تقرأ ﴿عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوةً وعشياً.

* * *

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾.

[٦] فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ﴾ الله[2].

﴿ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ الغيب.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٢)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ١٧٨).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لأنه أعجزكم بفصاحته.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ فلذلك لم يعجِّل عقوبتكم مع كمال قدرته.

* * *

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾.

[٧] ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أي: الكافرون إنكاراً وسخرية منهم به: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ بزعمه ﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ لطلب المعاش كما نمشي، فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة. وتقدم اختلاف القراء في قوله: (مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ) في سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الكهف: ٤٩]، وكتبت اللام في المصحف مفردة من قوله: (مَالِ هَٰذَا) واتباعه سنة، أما أكله الطعام، فلأنه بشر، ومشيه في الأسواق، فلقضاء حوائجه تواضعاً، ولا ينافيان الرسالة، ثم جاؤوا بحرف التحضيض فقالوا:

﴿لَوۡلَآ﴾ هلاَّ ﴿أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ﴾ نصب جواب التحضيض.

﴿مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يصدقه.

* * *

﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨﴾.

[٨] ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ أي: ينزل عليه ﴿كَنزٌ﴾ من السماء ينفقه، فيستغني عن تحصيل المعاش.

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (نَأْكُلُ) بالنون؛ أي: نأكل نحن منها، وقرأ الباقون: بالياء[1]؛ أي: يأكل هو، المعنى: ليس مَلَكاً ولا مَلِكاً ولا غنياً، فلا نتبعه؛ لأنه دوننا.

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الذين أشير إليهم:

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ قد سُحر، فغُلب على عقله.

* * *

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾.

[٩] ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ يعني: الأشباه بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحق.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً إليه.

* * *

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ في الدنيا.

﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ أي: مما قالوا، ثم بين ذلك الخير، فقال:

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ بيوتاً مشيدة. قرأ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٥).

ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (وَيَجْعَلُ) برفع اللام استئنافاً، وقرأ الباقون: بجزمها عطفاً على محل (جَعَلَ) لأنه جواب الشرط[(١)]؛ لأن التقدير: تبارك الذي إن يَشَأْ يجعلْ، وقرأ أبو عمرو: (لَك قُّصُوراً)، و(رَبُّك قَّدِيراً) بإدغام الكاف في القاف فيهما[(٢)].

قال ﷺ: «عَرَضَ عليَّ ربي ليجعلَ لي بطحاءَ مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبعُ يوماً، وأجوع يوماً، أو قال: ثلاثاً فإذا جُعت، تضرعت إليك، وذكرتك، وإذا شبعتُ، حَمِدْتُك وشكرتك»[(٣)].

* * *

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟﴾ بل أتوا أعجب من ذلك كله، وهو تكذيب.

﴿بِٱلسَّاعَةِ﴾ بالقيامة، فكيف يصدقونك.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ناراً ملتهبة. قرأ أبو عمرو: (بِالسَّاعَة سَّعِيراً) بإدغام التاء في السين[(٤)].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٤٧)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه، وقال: حديث حسن، وعلي بن يزيد ضعيف الحديث، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٤)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٦).

﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: إذا قابلتهم، وصاروا بإزائها.

﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا ﴾ هو الصوت الذي يهمهم به المغتاظ ﴿ وَزَفِيرًا ﴾ هو الصوت من الصدر، روي أن جهنم تزفر يوم القيامة، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه(١).

* * *

﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾ أي: تضيق عليهم إذا ألقوا فيها، فيكون أشدَّ لعذابهم؛ فإن الكربَ مع الضيق، والرَّوْحَ مع السَّعة، فلذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض. قرأ ابن كثير: (ضَيْقاً) بإسكان الياء مخففة، والباقون: بكسرها مشددة(٢).

﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ مُصَفَّدين، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل.

﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ ويلاً.

* * *

﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] في الحديث: «أول من يُكسى حُلَّةً من النار إبليسُ، فيضعها على

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣١٢)، عن عبيد بن عمير.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٦).

حاجبيه، ويسحبها من خلفه، وذريته من خلفه، وهو يقول: واثبوره، وهم ينادون ثبورهم، حتى يقفوا على النار، فينادي: يا ثبوره، وينادون: يا ثبورهم» فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾[1] لأن عذابكم كثير لا يفنى.

﴿وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم.

* * *

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار.

﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ أي: وُعِدَها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ﴾ معدةً في علمه تعالى ﴿جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾ ثواباً ومقراً.

* * *

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾ من النعيم.

﴿خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ مطلوباً يطلبه المؤمنون بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٥٥-٢٥٦)، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ۝١٧﴾.

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: واذكر يوم نحشرهم. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (يَحْشُرُهُمْ) بالياء، والباقون: بالنون[(١)].

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة، وعيسى، وعزير، والجن، وقيل: الأصنام.

﴿فَيَقُولُ﴾ تعالى للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين. قرأ ابن عامر: (فَنَقُولُ) بالنون، والباقون: بالياء[(٢)].

﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ﴾ أخطؤوا الطريق. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَنْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، واختلافهم في الهمزتين من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ﴾ كاختلافهم فيهما من ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ﴾، وكلاهما في سورة الأنبياء.

* * *

﴿قَالُوا سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ۝١٨﴾.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَٰنَكَ﴾ نزهوا الله من أن يكون معه آلهة ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى﴾

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٨).

ما يجوز ولا يستقيم ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ قرأ أبو جعفر: (نُتَّخَذَ) بضم النون وفتح الخاء، فيكون (مِنْ أَوْلِيَاءَ) حالاً، و(مِنْ) زائدة لمكان النفي المتقدم؛ كما تقول: ما اتخذتُ زيداً من وكيل، والمعنى: ما كان لنا أن نُعبد من دونك، ولا نستحق الولاء ولا العبادة، وقرأ الباقون: بفتح النون وكسر الخاء[1]؛ أي: ما جاز أن نواليهم ليعبدونا.

﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ في الدنيا بأنواع النعم.

﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ تركوا ذكر الله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ هَلْكى، وأصله من البور، وهو الفساد، ومنه: بوار السلعة، وهو كسادها.

***

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ خطاب للكفار ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم: إنهم آلهة، وروي عن قنبل (بِمَا يَقُولُونَ) بالغيب[2]؛ أي: بقولهم: (سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا) إلى آخره ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (تَسْتَطِيعُونَ) بالخطاب؛ يعني: للعابدين، وقرأ الباقون: بالغيب[3]؛ يعني: للمعبودين.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٩).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٧٩).

﴿ صَرْفًا﴾ دفعاً للعذاب، وقيل: حيلة ﴿ وَلَا نَصْرًاۚ﴾ فيعينكم عليه؛ أي: أنتم وهم عجزة عن جلب نفع، أو دفع ضر.

﴿ وَمَن يَظْلِم﴾ يشرك ﴿ مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ هي النار.

* * *

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِۗ﴾ تقديره: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين الطعام، وماشين في الأسواق، وجاز حذفه لدلالة (مِنَ الْمُرْسَلِينَ) عليه، وهو جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِۙ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ابتلاء ومحنة، وهذا على العموم في جميع الناس، مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض؛ بأن يقول المريض: لو شاء الله، لجعلني مثل الصحيح، والغني فتنة للفقير، والفقيرُ الشاكر فتنة للغني، والرسولُ المخصوص بكرامة النبوة فتنةٌ لأشراف الناس الكفار في عصره، وكذلك الحكماء وحكام العدل.

﴿ أَتَصْبِرُونَۗ﴾ علة للجَعْل، والتوقيف بتاء (تَصْبِرُونَ) خاص للمؤمنين المحققين، فهو لأمة محمد ﷺ؛ أي: جعلنا بعضكم لبعض فتنة؛ لنعلم أيكم يصبر على البلاء.

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ فيجازي كلاً بعمله، وهو وعد للصابرين، ووعيد للعاصين.

قال ﷺ: «إذا نظر أحدُكم إلى من فُضِّلَ عليه من المال والجسم، فلينظرْ إلى مَنْ هو دونَه في المال والجسم»(١).

* * *

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث، فلا يخافون عذابنا.

﴿ لَوْلَآ ﴾ هلاَّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ فتخبرنا أن محمداً صادق.

﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ فيخبرنا بذلك، وجواب القسم محذوف.

﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ بالكفر.

﴿ وَعَتَوْ ﴾ طغوا، والعتو: أشدُّ الكفر، وأفحشُ الظلم.

﴿ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ بالغاً أقصى مراتبه؛ لطلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به.

* * *

(١) رواه هنَّاد بن السَّري في «الزهد» (١/ ٤٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٢٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٧)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بهذا اللفظ. ورواه البخاري (٦١٢٥)، كتاب: الرقاق، باب: لينظر إلى من هو أسفل منه، ومسلم (٢٩٦٣)، في أول كتاب: الزهد والرقائق، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «المال والخلق» بدل «المال والجسم».

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي : واذكر يوم .

﴿ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ عند الموت ﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي : الكافرين ، المعنى : أن الملائكة تمتنع ثَمَّ من بشرى المجرمين بالجنة ، وتخصها بالمؤمنين .

﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ أي : تقول الملائكة لهم : حراماً محرماً عليكم دخول الجنة .

* * *

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ وَقَدِمْنَآ ﴾ قصدنا ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي : الكفار .

﴿ مِنْ عَمَلٍ ﴾ من الخير ؛ كصدقةٍ وصلةِ رحمٍ في الدنيا .

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً ﴾ هو ما يُرى من الغبار في شعاع الشمس الداخل من الكوة .

﴿ مَّنثُورًا ﴾ مفرقاً .

* * *

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم يستقرون فيها .

﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ من هؤلاء المشركين .

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ موضعَ القيلولة، وهو الاستكان نصفَ النهار في الحر، وإن لم يكن نوم؛ لأنه لا نوم في الجنة.

روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، قال ابن مسعود: «ولا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يَقيل أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار»(١).

***

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: عن الغمام، وهو الغيم الأبيض الرقيق مثل الضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم. **قرأ** أبو عمرو، والكوفيون: (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين على حذف إحدى التاءين، **وقرأ** الباقون: بالتشديد؛ أي: تتشقق، فأدغم(٢).

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ **قرأ** ابن كثير: (وَنُنْزِلُ) بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، مع تخفيف الزاي ورفع اللام، ونصب (الملائكةَ) مفعولاً؛ من (أَنْزَلَ) إخباراً عن الله تعالى، وهي كذلك في المصحف المكي، **وقرأ** الباقون: (وَنُزِّلَ) مجهولاً بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام، ورفع (الملائكةُ) فاعلاً؛ من (نَزَلَ)، وكذلك هي في مصاحفهم(٣).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٤٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، =

﴿تَنزِيلًا﴾ في ذلك الغمام، روي أنه تنشق سماء سماء، وتنزل الملائكة بأيديهم صحائف أعمال العباد[1].

***

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: الملك حقاً يوم القيامة هو ملك الرحمن، لا مَلِكَ يقضي غيرُه.

﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ صعباً، وعلى المؤمنين يسيراً.

***

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ أي: الكافر ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندماً على تفريطه في جنب الله تعالى، والظالم هو عقبة بن أبي معيط، وذلك أنه كان أسلم، أو جنح إلى الإسلام، وكان أبي بن خلف خليلاً له، فنهاه عن الإسلام، فقبل نهيه، فنزلت الآية فيهما[2]، فقتل عُقبة يوم بدر صبراً[3]، وأما أبي بن

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨١).

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٥٠).

(٢) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٩٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٩٨٦) عن ابن عباس، وفيه: فقام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقتله. وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (٥/ ٢٦٩).

خلف، فقتله النبي الله ﷺ يوم أحد بيده[١]، روي أنه يأكل يديه حتى تبلغ مرفقيه، ثم يأكل هكذا، كلما نبتتا[٢]، أكلهما تحسراً.

﴿يَـٰقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الجنة، وهو الإيمان. قرأ أبو عمرو: (يَا لَيْتَنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٣]، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتُ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بإدغامها[٤].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٢٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٨) باب: شدة رسول الله ﷺ في اليأس، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، به، وعندهما: أن أبياً كان قد حلف وهو بمكة ليقتلنَّ رسول الله ﷺ فلما بلغت رسولَ الله ﷺ حلفته قال رسول الله ﷺ ـ: «بل أنا أقتله إن شاء الله»، فأقبل أبي متقنعاً في الحديد وهو يقول: إن نجوت لا نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله، فاستقبله مصعب بن عمير، يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فُرجة بين سابغة الدرع والبيضةِ، فطعنه بحربته، فوقع أبيٌّ عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور. فقالوا: ما أجزعك؟ إنما هو خدش، فذكرهم قول رسول الله ﷺ «أنا أقتل أبياً» ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون. فمات إلى النار، فسحقاً لأصحاب السعير.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٧١) عن عطاء. وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٦٠) عن الضحاك.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٣).

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٣).

﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف[١]: (يَا وَيْلَتَى) بالإمالة، بخلاف عن الأول[٢] ﴿ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا ﴾ يعني: أُبَيَّ بنَ خلف.

﴿ خَلِيلٗا ﴾ والخلة: هي ألاَّ تكون لطمع، ولا لخوف، بل في الدين.

* * *

﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ ﴾ الإيمان ﴿ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ ﴾ مع الرسول، وهذا آخر كلام الظالم، وهذه الآية عامة في كل متحابَّين اجتمعا على معصية الله تعالى، قال ﷺ: «المرءُ على دينِ خليله، فلينظرْ أحدُكم من يُخالل»[٣].

﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ وهو كل متمرد عاتٍ من الإنس والجن ﴿ لِلۡإِنسَٰنِ ﴾ المطيعِ له ﴿ خَذُولٗا ﴾ والخذلان: تركُ النصرة، فيتبرأ منه عند نزول العذاب والبلاء.

---

(١) «وخلف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، كتاب: الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس، والترمذي (٢٣٧٨)، كتاب: الزهد، باب: (٤٥)، وقال: حسن غريب، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٤)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَقَالَ ﴾ أي: ويقول ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ محمد ﷺ في ذلك اليوم: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ﴾ قريشاً ﴿ ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ متروكاً.

روى أنس عن النبي ﷺ: أنه قال: «من عَلَّقَ مُصْحَفاً، ولم يتعاهَدْه، جاء يوم القيامة متعلِّقاً به يقول: يا رَبِّ! هذا اتخذني مهجوراً، اقض يا ربِّ بيْني وبينه»[1]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والبزي عن ابن كثير، وروح عن يعقوب: (قَوْمِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ثم سلاَّه عن فعل قومه بأن أعلمه أن غيره من الرسل كذلك، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي: وكما ﴿ جَعَلْنَآ ﴾ لك يا محمد عدواً من المشركين، جعلنا.

﴿ لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا ﴾ أي: أعداء ﴿ مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المشركين، فأنت كالأنبياء في البلاء، وأنا ناصركم.

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ والباء في (بِرَبِّكَ) للتأكيد، المعنى: اكتف بربك؛ فإنه ناصرك وهاديك.

---

(١) رواه الثعلبي، كما ذكر الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٤-٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٤).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ ﴾ أي: أُنزل ﴿ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال الله تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: نزل[١] كما أردناه ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: أنزلناه مفرقاً؛ ليقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه؛ لأن حاله يخالف حال موسى وعيسى وداود؛ حيث كان أمياً، وكانوا يكتبون، فلو ألقي إليه جملة، تَعَيَّا بحفظه، ولأن نزوله بحسب الوقائع، ومنه الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه؛ ليكون أوعى لرسول الله ﷺ، وأيسر على العامل به. قرأ ورش عن نافع: (فُوَادَكَ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[٢].

﴿ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ أنزلنا بعضه في إثر بعض، وبيناه تبييناً.

* * *

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾ يا محمد هؤلاء الكفار ﴿ بِمَثَلٍ ﴾ يضربونه لك جدلاً ﴿ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ المبطل لما جاؤوا به ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ بياناً، والتفسير: هو كشف ما قد غُطِّي.

---

(١) «نزل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٤).

﴿ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ثم ذكر ما لهؤلاء المشركين فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ أي: هم الذين ﴿ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ﴾ فيساقون ويجرون.

﴿ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا ﴾ منزلة ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ أخطأ طريقاً.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾ معيناً، وهو من تحمل الوزر؛ أي: ثقل الحال.

* * *

﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ هم القبط، وتقديره: فأَنْذَرا، فكذبوهما ﴿ فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴾ أهلكناهم إهلاكاً.

* * *

﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ ﴾ أي: نوحاً، ومن كذب رسولاً

واحداً، فقد كذب جميع الرسل، فلذلك ذكر بلفظ الجمع.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ عبرة يتعظون بها.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ سوى ما حل بهم من عاجل العذاب.

* * *

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾ عطف على (هم) في ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (وَثَمُودَ) بنصب الدال غير منون، والباقون: بالتنوين[١].

﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ هو بئر لم تطو بالحجارة، وكان أصحابه قوم يعبدون الأصنام، فأرسل إليهم شعيب، فكذبوه، فخسف بهم وبمنازلهم وأموالهم، وانهارت بئرهم، وقيل: كان نبيهم حنظلة بن صفوان، فقتلوه، فأهلكوا، كما تقدم تفسيره[٢] في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الآية: ٤٥] وقيل غير ذلك، وقيل: الرس: المعدن، وجمعه رساس.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: أهلكنا بين عاد وأصحاب الرس.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٦).

(٢) «تفسيره» ساقطة في «ت».

﴿ كَثِيرًا ﴾ لا يعلمهم[1] إلا الله.

***

﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَكُلًّا ﴾ من المهلَكين ﴿ ضَرَبْنَا ﴾ بينا ﴿ لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ البراهين على الإيمان، ولم نهلكهم من غير إنذار.

﴿ وَكُلًّا ﴾ منهم بعد التكذيب ﴿ تَبَّرْنَا ﴾ دمرنا ﴿ تَتْبِيرًا ﴾ وكلُّ مكسَّرٍ كزجاج أو ذهب أو فضة تبرٌ.

***

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ ﴾ يعني قريشاً مروا في متاجرهم إلى الشام.

﴿ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ﴾ يعني: سدوم، عظمى قرى قوم لوط.

﴿ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ الرمي بالحجارة.

﴿ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ﴾ فيتفكرون فيؤمنون. واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّوْءِ أَفَلَمْ) كاختلافهم فيهما من (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء.

﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ لا يخافون بعثاً، فلا يؤمنون.

***

(١) في «ت»: «يعلمها».

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ .

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُـزُوًا﴾ مهزوءاً به. قرأ حفص عن عاصم: (هُزُواً) بفتح الواو منوناً من غير همز، والباقون: بالهمز، وحمزة وخلف يسكنان الزاي[١]، نزلت في أبي جهل، كان إذا مر بأصحابه على رسول الله ﷺ، قالوا استهزاء به:

﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[٢] ليثبت الحجة علينا.

***

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ .

[٤٢] ﴿إِن كَادَ﴾ محمد ﴿لَيُضِلُّنَا﴾ أي: قد قارب أن يصرفنا

﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ لفرط جهاده في الدين.

﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ﴾ لصرفنا عن عبادتها، ثم تهددهم فقال:

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأُ طريقاً هم أم المؤمنون.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٦_٢٨٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٣٤).

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ثم وبخ كل من عبد غير الله تعالى فقال: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى حجراً أحسن منه، رمى به، وعبد الآخر. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وقرأ الكسائي: بحذفها، وروي عن ورش: إبدالها ألفاً خالصة، وإذا أبدلها، مدَّ؛ لالتقاء الساكنين مداً مشبعاً، وقرأ الباقون: بالهمز[1].

﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ يحفظه من اتباع هواه.

* * *

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ أَمْ تَحْسَبُ ﴾ بل أتحسب ﴿ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾ ما تقول سماع طالب الإفهام ﴿ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ ما يعاينون من الحجج.

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ بالجهل بالمنافع.

﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ أَخْطَأُ طريقاً؛ لأن الأنعام تهتدي لمراعيها، وهم على خلاف ذلك.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٧).

[٤٥] ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ ألم تنظر إلى صنعه، ومعناه: تنبيه، والرؤية هاهنا رؤية القلب.

﴿ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ أي: بسطه؛ يعني: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأنه لا شمس معه، وهو أطيب الأحوال، ولذلك وصف به الجنة فقال: ﴿ وَظِلٍّ مَّمۡدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وقيل: هو إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب؛ لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب.

﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ﴾ دائماً لا شمس معه.

﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴾ يبين معنى الظل ونفعه؛ لأنه لولا الشمس، لما عرف الظل، ولولا النور، لما عرفت الظلمة، والأشياء تعرف بأضدادها.

* * *

﴿ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا ﴾ أي: نسخناه بها.

﴿ قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴾ أي: على مهل، والقبض: جمعُ المنبسطِ من الشيء، معناه: أن الظل يعم جميع الأرض، فإذا طلعت الشمس، قبض الله الظل جزءاً فجزءاً.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ﴾ ساتراً بظلمته.

﴿ وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم.

﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ ينتشر فيه الخلق للمعاش.

***

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ قرأ ابن كثير: (الرِّيحَ) على الإفراد، وقرأ الباقون: (الرِّيَاحَ) على الجمع[١] ﴿بُشْرًۢا﴾ ناشرات للسحاب، جمع نشور. قرأ ابن عامر: بالنون وضمها وإسكان الشين على التخفيف، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالنون وفتحها وإسكان الشين على أنه مصدر وصف به، وقرأ عاصم: بالباء الموحدة وضمها وإسكان الشين تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر، وقرأ الباقون: بالنون وضمها وضم الشين على المعنى الأول[٢].

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: قدامَ المطر.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ والطهور: هو الباقي على أصل خلقته من ماء المطر والبحر والعيون والآبار، على أي صفة كان؛ من عذوبة وملوحة، وحرارة وبرودة وغيرها.

وما تغير بمكثه، أو بطاهر لا يمكن صونه عنه؛ كالتراب والطحلب

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٨-٢٨٩).

وورق الشجر ونحوها، فهو طاهر [في نفسه، مطهر لغيره، يرفع الأحداث، ويزيل الأنجاس بالاتفاق، فإن تغير عن أصل خلقته بطاهر][1] يغلب على أجزائه مما يستغني عنه الماء غالباً، لم يجز التطهير به عند الثلاثة، وجوز أبو حنيفة الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات، ما لم تزل رقته، وقال أيضاً: بجواز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة؛ كالخل وماء الورد ونحوهما، وخالفه الثلاثة، ومحمد بن الحسن، وزفر، واتفقوا على أنه إذا تغير الماء بالنجاسة، نجس، قل أو كثر، والماء المستعمل: وهو ما أزيل به حدث، لا يطهر الأحداث عند الثلاثة، وقال مالك: يجوز الوضوء بماء توضئ به مرة مع الكراهة، وإذا بلغ الماء قلتين، وخالطته نجاسة، فقال الشافعي وأحمد[2]: لا ينجس إلا أن يتغير طعمه أو لونه أو ريحه، وقال أبو حنيفة: ينجس الماء بملاقاة النجاسة ما لم يكن عشرة أذرع في مثلها، وقال مالك: لا ينجس الماء بوقوع النجاسة فيه ولو كان قليلاً ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وهو رواية عن أحمد، وقدر القلتين خمس مئة رطل عراقي تقريباً، وأربع مئة وستة وأربعون رطلاً وثلاثة أسباع رطل مصري، ومئة وسبعة أرطال وسبع رطل دمشقي، وتسعة وثمانون رطلاً وسبعا رطل حلبي، وثمانون رطلاً وسبعا رطل ونصف سبع رطل قدسي، ومساحتهما مربعاً ذراع وربع طولاً وعرضاً وعمقاً ومدوراً، وذراع طولاً وذراعان ونصف ذراع عمقاً، والمراد: ذراع اليد، والرطل مئة درهم وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم، وهو سبع القدسي وثمن

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) «وأحمد» زيادة من «ت».

سبعه، وسبع الحلبي وربع سبعه، وسبع الدمشقي ونصف سبعه، ونصف المصري وربعه وسبعه وتسعون مثقالاً.

* * *

﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ثم بين الحكمة في إنزال الماء فقال: ﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ ﴾ أي: بالمطر.

﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ قفراً، وتذكير (ميتاً) رجع به إلى الموضع والمكان. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتاً) بكسر الياء مشدداً، والباقون: بإسكانها مخففاً[1].

﴿ وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا ﴾ أي: نسقي من ذلك الماء أنعاماً مما خلقنا.

﴿ وَأَنَاسِيَّ ﴾ أي: بشراً ﴿ كَثِيرًا ﴾ والأناسي: جمع إنسي، وقدمت الأرض على الأنعام والأناسي؛ لأن حياتها سبب لحياتهما.

* * *

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: المطر في البلاد والأوقات المختلفة، قال ابن عباس: «ما عام بأمطرَ من عام، ولكن الله يصرفه في الأرض»[2]. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام: (وَلَقَد صَّرَّفْنَاهُ)

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٠).

بإدغام الدال في الصاد، والباقون: بالإظهار[1].

﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بإسكان الذال وضم الكاف مع تخفيفها، وقرأ الباقون: بفتح الذال والكاف مع تشديدهما، وهما لغتان[2]؛ أي: يتفكروا في نعم الله.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً، وهو قولهم: مُطرنا بنَوْء كذا وكذا.

***

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ رسولاً، ولقسمنا النُّذُرَ بينهم كما قسمنا المطر؛ لنخفف عليك أعباء النبوة، ولكنَّا حمَّلناك ثقلَ نِذارة جميع القرى؛ لتستوجب بذلك الدرجة الرفيعة، ويعظم أجرك.

***

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما ندبوك إليه من عبادة آلهتهم ومداهنتهم.

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ لا يخالطه فتور.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٨٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٠).

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ خلطهما، وأفاض أحدهما في الآخر في مرأى العيون، وبينهما حاجز من قدرة الله عز وجل.

﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبة، قامع للعطش.

﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ حاجزاً من قدرته.

﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ منعاً ممنوعاً عن الإدراك؛ لئلا يختلط أحدهما بالآخر، وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها، أو المراد بالبحر العذب: النهر العظيم؛ مثل النيل، وبالبحر المالح: البحر الكبير، وبالبرزخ: ما يحول بينهما من الأرض.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ أي: المني ﴿ بَشَرًا ﴾ إنساناً.

﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا ﴾ أي: ذكوراً ينسب إليهم.

﴿ وَصِهْرًا ﴾ أي: إناثاً يصاهر بهن.

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (وكان) هي التي للدوام قبل وبعد، لا أنها تعمل[١]

---

(١) في «ت»: «تعطي».

مضياً فقط. وتقدم في السورة مذهب أبي عمرو في إدغام الكاف في القاف من قوله (رَبُّك قَّدِيرا).

* * *

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: هؤلاء المشركين.

﴿ مَا لَا يَنفَعُهُمْ ﴾ إن عبدوا ﴿ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إن تركوا عبادته.

﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي.

* * *

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا ﴾ للمؤمنين ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للكافرين.

* * *

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي: على تبليغ الوحي.

﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فتقولوا: إنما يطلب محمد ﷺ أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه.

﴿ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لا لطلب أموالكم جعلاً لنفسي، لكن من شاء إنفاقها لوجه الله تعالى، فلا أمنعه. واختلاف القراء في الهمزتين من (شَاءَ أَنْ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ) في سورة الحج.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ لأنه حقيق أن يتوكل عليه دون غيره .

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ ﴾ صلِّ له شكراً ، ونزِّهه عن صفات النقصان ، قال ﷺ : «من قالَ في كل يوم : سبحانَ اللهِ وبحمدِه مئةَ مرةٍ ، غُفرت ذنوبه ، ولو كانت مثلَ زبدِ البحر»(١) .

﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ ﴾ ما ظهر منها وما بطن .

﴿ خَبِيرًا ﴾ مطلعاً ، وهذا توعُّد .

* * *

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

[٥٩] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أي : في مدتهما ؛ لأنه لم يكن ثَم شمس ولا قمر .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴾ بلا كيف . وتقدم الكلام عليه في سورة طه .

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ مبتدأ ، خبره ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ ﴾ أي : عنه ، والفاء زائدة ﴿ خَبِيرًا ﴾ مفعول (سَلْ) ؛ أي : سل رجلاً خبيراً به وبرحمته ، يخبرك ،

---

(١) رواه البخاري (٦٠٤٢) ، كتاب : الدعوات ، باب : فضل التسبيح ، ومسلم (٢٦٩١) ، كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

والمراد: جبريل، والعلماء، وأهل الكتب المنزلة. **قرأ** ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلْ) بالنقل، والباقون: بالهمز[1].

***

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ما نعرف الرحمن؛ لأن قريشاً كانت لا تعرف هذا في أسماء الله تعالى، وكان مسيلمة الكذاب تَسَمَّى برحمن اليمامة، فغالطت قريش بذلك وقالت: إن محمداً يأمر بعبادة رحمن اليمامة[2].

﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي: (يَأْمُرُنَا) بالغيب إخباراً عن النبي ﷺ، **وقرأ** الباقون: بالخطاب له ﷺ[3].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠) عن عطاء، وذكره الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٨)، و«البغوي» في «تفسيره» (٣/ ٣٤٠). ومعلوم أن الله سبحانه قد حمى اسمه (الله والرحمن) أن يتسمى به أحد غيره جلَّ جلاله وما ورد من مثل هذا (رحمن اليمامة) فهو غير وارد؛ لأنه مضاف إلى اليمامة؛ ولذلك عندما تجرَّأ الخبيث مسيلمة على التسمية به، كساه اللهُ جلباب الكذب وشهر به بين الأمم وعلى مدى الأزمان، فصار اسمه (مسيلمة الكذاب). انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٧١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٢).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٢).

﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر بالسجود ﴿نُفُورًا﴾ تباعداً عن الإيمان، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم، فمن جهل وجود الرب سبحانه، أو علم وجوده، وفعل فعلاً، أو قال قولاً[1] لا يصدر إلا من كافر، فكافر بالاتفاق، ونافي الإسلام مخطئ آثم كافر عند أئمة الإسلام بغير خلاف.

***

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ يعني: البروج الاثني عشر، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة، سميت بالبروج القصور؛ لأنها لها كالقصور لسكانها، فالحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدي والدلو بيتا زحل، وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع، فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى المثلثات، فالحمل والأسد والقوس مثلثة نارية، والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية، والجوزاء والميزان والدلو مثلثة [هوائية، والسرطان والعقرب والحوت مثلثة][2] مائية.

---

(١) «أو قال قولاً» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: بضم السين وفتح الراء من غير ألف على الجمع؛ يعني: النجوم، **وقرأ** الباقون: بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد؛ يعني: الشمس(١).

﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ مضيئاً بالليل.

***

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا، وما نقص من أحدهما زاد في الآخر.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ **قرأ** حمزة وخلف: (يَذْكُرَ) بتخفيف الذال مسكنة وتخفيف الكاف مضمومة؛ من الذكر، **وقرأ** الباقون: بتشديدهما مفتوحتين؛ من التذكير(٢).

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

***

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ، خبره:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٣).

﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ رويداً بالسكينة والوقار.

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ بما يكرهون.

﴿ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا ﴾ على وجوههم ﴿ وَقِيَٰمًا ﴾ على أقدامهم، يقال: بات لمن دخل عليه الليل وإن لم ينم، قال ابن عباس: «من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين، فقد بات لله ساجداً وقائماً»[١] وتخصيص البيتوتة؛ لأن العبادة بالليل أبعد من الرياء.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ دائماً لازماً كلزوم الغريم الغريم.

* * *

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: بئس موضع قرار وإقامة[٢].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٢).

(٢) «وإقامة» زيادة من «ت».

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ ﴾ لم يجاوزوا الحد ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾ يضيقوا. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (يُقْتِرُوا) بضم الياء وكسر التاء؛ من (أقتر)، **وقرأ** ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يَقْتِرُوا)[١] بفتح الياء وكسر التاء، **وقرأ** الباقون، وهم الكوفيون: بفتح الياء وضم التاء مستقبل (قتر) مخففاً، وكلها لغات صحيحة[٢]، وقال ابن عباس: «الإسراف: النفقة في المعصية، والإقتار: منع حق الله تعالى»[٣].

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ عدلاً بين الشيئين، وفي معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ ﴾ الآية، من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: خيرُ الأمورِ أوسطُها[٤].

---

(١) «يقتروا» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٤).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٣) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

(٤) وجاء في لفظ: «أوساطها» بدل: «أوسطها»، وقد رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٠١) عن مطرف، والخطابيُّ في «العزلة» (ص:٩٨) عن أكثم بن صيفي. قال السخاوي: وقد رواه ابن السمعاني فس «ذيل تاريخ بغداد» لكن بسند فيه مجهول، عن علي مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً. انظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٢٤٥ـ٢٤٦).

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إخراج لعباده المؤمنين من صفات الكفرة في عبادة الأوثان.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها(١) ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لا يفعلون كالمشركين بوأد البنات وغير ذلك من الظلم والاغتيال والغارات.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ كالجاهلية الذين كان عندهم الزنا مباحاً.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: شيئاً من هذه الأفعال ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: جزاء إثم، وهي العقوبة. قرأ الليث عن الكسائي: (يَفْعَل ذَّلِكَ) بإدغام اللام في الذال حيث وقع، وأظهرها الباقون(٢).

***

﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿يُضَٰعَفْ﴾ أي: يتزايد ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ أي: يهان دائماً في العذاب. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: (يُضَعَّفْ) بالتشديد مع حذف الألف، وجزم الفاء، والدال من (يَخْلُدْ) على جواب الشرط، وقرأ ابن عامر: بالتشديد مع حذف الألف كما تقدم، ورفع الفاء والدال على الابتداء، وقرأ أبو بكر عن عاصم: بإثبات الألف بعد

---

(١) «قتلها» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٥).

الضاد والتخفيف ورفع الفاء والدال كابن عامر، وقرأ الباقون: بالإثبات والتخفيف وجزم الفاء والدال[1]، وقرأ ابن كثير وحفص: (فِيهِ مُهَاناً) بإشباع كسرة الهاء وصلتها بياء في الوصل[2].

***

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ من ذنبه ﴿ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ بعد توبته بينه وبين ربه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ فبدلوا بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل الكافرين، وبالزنا عفة وإحصاناً.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يعفو عن السيئات، ويثيب على الحسنات.

***

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَمَن تَابَ ﴾ عن المعاصي ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ يتلافى به ما فرط[3].

﴿ فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يرجع إليه ﴿ مَتَابًا ﴾ مرضياً، أي: من أراد حقيقة التوبة، فليرد بها الله.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٨).

(٣) «يتلافىٰ به ما فرط» زيادة من «ت».

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

[٧٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ لا يقيمون الشهادة الباطلة، ولا يحضرون محاضر الكذب، ومن أعظم الزور الشركُ بالله تعالى، وتقدم حكم تعزير شاهد الزور في سورة الحج ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ ﴾ يشمل المعاصي كلها، وكلّ سقط من فعل أو قول.

﴿ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ أي: معرضين.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

[٧٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ ﴾ وُعظوا ﴿ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ القرآن.

﴿ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ لم يقيموا عليها غير واعين لها، بل أكبوا عليها حرصاً على استماعها.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

[٧٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (وَذُرِّيَّاتِنا) بالألف جمعاً؛ حملاً على المعنى؛ لأن لكل واحد منهم ذرية، وقرأ الباقون: بغير ألف على الإفراد إرادة الجنس[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٧)، و«النشر في=

﴿ قُـرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ أولاداً أبراراً أتقياء، فتقر أعيننا بذلك، مأخوذ من القرور، وهو الماء البارد؛ لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة.

﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ أي: صالحين لاقتداء المتقين بنا.

***

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ ﴾ وهي كل بناء مرتفع، والمراد: أعلى منازل الجنة.

﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ بصبرهم على أذى المشركين، والمكروهات، وعن الشهوات.

﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا ﴾ يستقبلون في الغرفة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف؛ من (لقي)، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[1].

﴿ تَحِيَّةً ﴾ ملكاً، وقيل: بقاءً دائماً في الجنة.

﴿ وَسَلَـٰمًا ﴾ سلامة من الآفات.

***

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٨).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٩٩).

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ ﴾ .

[٧٦] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ حال ﴿ حَسُنَتۡ ﴾ أي: الغرفة.

﴿ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ موضعَ قرار وإقامة.

* * *

﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧ ﴾ .

[٧٧] ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي ﴾ ما يبالي بمغفرتكم.

﴿ لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ ﴾ معه آلهة، وقيل: معناه: ليس يثقل عليه عذابكم لولا دعاؤكم إياه بالتوحيد والطاعة.

﴿ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ ﴾ يا أهل مكة بما أخبرتكم به؛ حيث خالفتموه.

﴿ فَسَوۡفَ يَكُونُ ﴾ أي: العذاب ﴿ لِزَامَۢا ﴾ أي: لازماً يحيط بكم لا محالة، وهذا تهديد لهم، واختلفوا فيه، فقال قوم منهم عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب: هو يوم بدر، قتل منهم سبعون، وأسر سبعون، وقال آخرون: هو عذاب الآخرة، والله سبحانه أعلم.

* * *

سورة الشعراء

مكية في قول الجمهور، وقال مجاهد: فيها مدني قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: ١٩٧]، وقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخرها. آيها: مئتان وسبع وعشرون آية، وحروفها: خمسة آلاف وخمس مئة واثنان وأربعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئتان وسبع وتسعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الطاء هنا، والنمل، والقصص، **وقرأ** الباقون: بفتحها، وأظهر أبو جعفر، وحمزة(١) نون (سين) عند الميم هنا، وفي القصص؛ للتبيين والتمكين، وأدغم الباقون النون في الميم لمجاورتها حروف الفم، وأبو جعفر يقطع الحروف على أصله(٢)، وتقدم الكلام في الخلاف في

---

(١) «حمزة» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

حروف الهجاء أول سورة البقرة، ونُبِّه عليه أول سورة مريم.

روي عن ابن عباس قال: «طسم عجزت العلماء عن تفسيرها»[1].

وقيل: هو قسم معناه: أقسم بطَوْلي وسناي وملكي، وهو اسم من أسماء الله تعالى.

* * *

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه.

﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن الظاهرَ إعجازُه وصحته.

* * *

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: قاتلُها غماً ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ إن لم يؤمنوا، وهذا تسلية للنبي ﷺ لما كان فيه من القلق والحرص على إيمانهم، وخوطب بـ(لعل) على ما في نفس البشر من توقع الهلاك في مثل تلك الحال، ومعنى الآية: لا تهتم يا محمد بهم، وبلغ رسالتك، وما عليك من إيمانهم، فإن ذلك بيد الله، لو شاء لآمنوا.

* * *

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾.

[٤] ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ دلالةً تُلجئهم إلى الإيمان.

= (١/ ٢٤١ـ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٣ـ٣٠٤).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥١)، و«تفسير أبي السعود» (١/ ٢١).

﴿ فَظَلَّتْ ﴾ أي: فتظل ﴿ أَعْنَـٰقُهُمْ ﴾ رقابهم ﴿ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ يذلون بها، فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله تعالى. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ آيَةً) كاختلافهم فيهما من قوله[1]: (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء.

وقوله: ﴿ خَـٰضِعِينَ ﴾ ولم يقل: خاضعة، وهي صفة الأعناق؛ لأنه لما وصفت الأعناق بالخضوع، وهي صفة من يعقل، أجريت مجرى العقلاء، وقيل: المراد بالأعناق: الرؤساء والكبراء، وقيل غير ذلك.

* * *

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ في الوحي والتنزيل، وهو القرآن، المعنى: ما يأتيهم من شيء من القرآن.

﴿ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ ﴾ وعن الإيمان به.

﴿ مُعْرِضِينَ ﴾ إصراراً على ما كانوا عليه.

* * *

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ ﴾ محمداً ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ ﴾ أخبار.

﴿ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وهو وعيد لهم.

* * *

---

(١) «قوله»: زيادة من «ت».

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ ﴾ صنف .

﴿ كَرِيمٍ ﴾ حسن نافع من النبات مما يأكل الناس والأنعام .

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ لَآيَةً ﴾ على توحيدي وكمال قدرتي .

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي : سبق علمي فيهم أنهم لا يؤمنون .

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ بالانتقام من الكفرة ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ للمؤمنين .

* * *

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي : واذكر يا محمد إذ ﴿ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ ﴾ حين رأى الشجرة والنار ﴿ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وتعذيبهم .

* * *

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ ﴾ .

[١١] يعني : ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ عقابَ الله بطاعته .

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ .

* * *

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ من تكذيبهم إياي .

﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ للعقدة التي به .

﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴾ ليؤازرني ، ويظاهرني على تبليغ الرسالة .

* * *

﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ ﴾ أي : تَبِعة ، وهو قتله القبطي ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ به . **قرأ** أبو عمرو : (قَال رَّبِّ) بإدغام اللام في الراء ، وروي عن رويس ، وروح ، وغيرهما ، وجميع رواة يعقوب : إدغام كل ما أدغمه أبو عمرو من حروف المعجم من المثلين والمتقاربين ، **وقرأ** الباقون : بالإظهار(١) ، **وقرأ** نافع ، وأبو جعفر ، وابن كثير ، وأبو عمرو : (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها(٢) ، **وقرأ** يعقوب : (وَيَضِيقَ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقَ) بنصب

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٠٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٦) .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧٤) ، و«التيسير» للداني (ص : ١٦٧) ، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٧) .

القاف فيهما على معنى: وأن يضيق، وقرأ الباقون: بالرفع فيهما رداً على قوله: (إِنِّي أَخَافُ) وأثبت يعقوب الياء من[1] (يُكَذِّبُونِي) و(يَقْتُلُونِي)، وحذفها الباقون[2]. ولم يطلب موسى هارون توقفاً في امتثال الأمر، بل حرصاً على تبليغ الرسالة؛ لاحتمال عوارض تصد عنها.

***

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥)﴾.

[١٥] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الخوف ﴿فَاذْهَبَا﴾ أنت وهارون ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ سامعون، فأنصركم عليه، وذكر (مَعَكُمْ) بلفظ الجمع، وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة، أو أراد: معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون.

***

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يقل: رسولا رب العالمين؛ لأن موسى كان الأصل، وهارون تابعه.

***

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)﴾.

[١٧] ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشام، ولا تستعبدهم.

---

(١) في «ش»: «في».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥-٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٧).

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] وكان فرعون استعبدهم أربع مئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ست مئة ألف وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر، وهارونُ بها، فأخبره بذلك، وذهبا إلى باب فرعون ليلاً، ودقا الباب، ففزع البوابون وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين، فذهب البواب إلى فرعون، فقال[١]: إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين، فتركه حتى أصبح، ثم دعاهما فدخلا عليه، وأديا رسالة الله عز وجل، فعرف فرعون موسى؛ لأنه نشأ في بيته، فثم قال له: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ صبياً صغيراً.

﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ وهي ثلاثون سنة[٢]. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف[٣]: (لَبِثتَّ) بإدغام الثاء في التاء، وكذلك (لَبِثتُّمْ) كيف جاء، وأظهرها الباقون[٤].

* * *

﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ ﴾ يعني: قتل القبطي.

﴿ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي.

---

(١) في «ش»: «وقال».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٩٤).

(٣) «خلف» ساقطة من «ت».

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٨) دون ذكر خلف.

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ قَالَ﴾ موسى : ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي : فعلت ما فعلت حينئذ .

﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي : المخطئين ؛ لأنه لم يتعمد قتله .

* * *

﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ إلى مدين .

﴿ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ أي : نبوة .

﴿ وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ درجة ثانية للنبوة ، فرب نبي ليس برسول ، وتقدم الكلام على ذلك في سورة الحج .

* * *

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ثم حاجه ـ عليه السلام ـ في مَنِّه عليه بالتربية وترك القتل ، فقال :

﴿ وَتِلْكَ﴾ أي : التربية .

﴿ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يريد : كيف تمنُّ عليَّ بالتربية ، وقد استعبدت قومي؟ فتعبيدُك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك إلي .

* * *

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أيُّ شيء الذي تزعم أنك رسوله؟

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ قَالَ ﴾ موسى :

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ أنه خالقهما ، فآمِنوا .

* * *

﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] فتحير فرعون في جوابه ، فثم ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ ﴾ من أشراف قومه ، وكانوا خمس مئة رجل ؛ استبعاداً لقول موسى :

﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ جوابه ، سألته عن حقيقته ، وهو يذكر أفعاله .

* * *

﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ قَالَ ﴾ موسى زيادة في البيان :

﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فعلم فرعون أنه محجوج ، فنسبه إلى الجنون .

* * *

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ يتكلم بكلام لا نعقله ، ولا نعرف صحته ، وكان عندهم أن من لا يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل .

* * *

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] فزاد موسى في البيان: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ ﴾ من النيرات والموجودات.

﴿ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فتستدلون بما أقول، فتعرفون ربكم.

* * *

﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] فلما لزمت فرعونَ الحجةُ، وانقطع عن الجواب ﴿ قَالَ ﴾ تكبراً عن الحق:

﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع، وهكذا دَيْدَنُ المعاند المحجوج. قرأ أبو عمرو: (قَال لَّئِنِ) بإدغام اللام في اللام، وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتَ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[١].

* * *

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ ﴾ الواو للحال دخلت عليها همزة الإنكار؛ أي: أتفعل ذلك ولو جئتك ﴿ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان واضح يبين صدق دعواي.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٥-١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٠٩).

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١ ﴾ .

[٣١] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون : ﴿ فَأْتِ بِهِۦٓ ﴾ فإنا لا نسجنك حينئذ .

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في أن لك بينة .

* * *

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝٣٢ ﴾ .

[٣٢] ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ حية عظيمة، روي أنها ارتفعت قدر ميل، ثم انحطت إلى فرعون وهي تقول: مرني يا موسى بما شئت، وفرعون يقول: بالذي أرسلَكَ إلا أخذْتَها فعادت عصا[1] .

* * *

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝٣٣ ﴾ .

[٣٣] فقال فرعون: هل غيرها؟ قال: نعم ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ من جيبه ﴿ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ ﴾ ذات نور ﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ لها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق.

* * *

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ ﴾ .

[٣٤] ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ فائق في علم السحر.

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥٩)، عن السدي.

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ أغراهم به في قوله: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ ثم استشارهم في أمره.

* * *

﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ يعني: الملأ: ﴿ أَرْجِهْ ﴾ أخره ﴿ وَأَخَاهُ ﴾ المعنى: اترك التعرض له بالقتل. قرأ ابن كثير، وهشام عن ابن عامر: (أَرْجِئْهُو) بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وابن ذكوان عن ابن عامر: بالهمز، ويكسر الهاء ولا يصلها بياء، وأبو عمرو، ويعقوب: بالهمز والضم من غير صلة، والباقون: بغير همز، ثم نافع برواية ورش، والكسائي، وخلف: يشبعون الهاء كسراً، ويسكنها عاصم وحمزة، ويختلسها أبو جعفر وقالون، وتقدم ذكر ذلك في حرف الأعراف [الآية: ١١١].

﴿ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ ﴾ هي مدائن الصعيد من نواحي مصر.

﴿ حَٰشِرِينَ ﴾ جماعة يحشرون الناس؛ أي: يجمعونهم، وهم الشُّرَط.

* * *

﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ يفضلون عليه في هذا الفن. واتفق القراء على هذا الحرف أنه (سحّار) على وزن فعّال بتشديد الحاء وألف بعدها؛ لأنه جواب لقول فرعون فيما استشارهم فيه من أمر موسى بعد قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾، فأجابوه بما هو أبلغ من قوله؛ رعاية

لمراده؛ بخلاف التي في الأعراف؛ فإن ذلك جواب لقولهم، فتناسب اللفظان، وأما التي في يونس، فهي أيضاً جواب من فرعون لهم؛ حيث قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: ٧٦] فرفع مقامه على المبالغة، والله أعلم.

قرأ أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (سَحَّارٍ) بالإمالة أيضاً[1]، واختلف عن ابن ذكوان، وروي عن ورش وحمزة[2]: الإمالة بين بين، وقرأ الباقون: بالفتح[3].

* * *

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم الزينة، وهو عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة، قال ابن عباس: «وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز»[4].

* * *

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ حث للناس على الاجتماع.

* * *

---

(١) «أيضاً» ساقطة من «ت».

(٢) «حمزة» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٠).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٧).

﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ لَعَلَّنَا ﴾ لكي ﴿ نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ لموسى.

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ أي: تجعل لنا جعلاً.

﴿ إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ لموسى. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَيِنَّ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين بين؛ أي: بين الهمزة والياء، وفصل بين الهمزتين بألف: أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام، وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين[١].

* * *

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ وعدهم فرعون بالإحسان إليهم بشرط غلبة موسى. قرأ الكسائي: (نَعِمْ) بكسر العين، والباقون: بنصبها[٢].

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٠-٣١١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١١).

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ أي : بعدما قالوا له : ﴿ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٥] .

* * *

﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ ﴾ حالفين .

﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ والقسم بغير الله من أقسام الجاهلية ، قال ﷺ : «لا تحلفوا بآبائكم وأمهاتكم ، ولا بالطواغيت ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»(١) .

* * *

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ ﴾ تتبع ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يزورون ويخيلون أن حبالهم وعصيهم حيات . قرأ حفص عن عاصم : (تَلْقَفُ) بإسكان اللام مع تخفيف القاف ، وقرأ الباقون : بفتح اللام مع تشديد القاف ، وقرأ البزي : بتشديد التاء وصلاً ؛ كأنه أراد : تتلقَّفُ ، فأدغم(٢) .

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٤٨) ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : في كراهية الحلف بالآباء ، والنسائي (٣٧٦٩) ، كتاب : الأيمان والنذور ، باب : الحلف بالأمهات ، وابن حبان في «صحيحه» (٤٣٥٧) ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ لكن بلفظ : «بالأنداد» بدل «بالطواغيت» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٤٧١) ، و«التيسير» للداني (ص : ١١٢) ، =

﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝٤٦ ﴾ .

[٤٦] ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ وإنما يدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله، ويدل على أنهم لما رأوا ما رأوا، لم يتمالكوا أنفسهم، فكأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ ﴾ .

[٤٧] ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝٤٨ ﴾ .

[٤٨] ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ قال عكرمة: أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء[١]، فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله.

* * *

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٩ ﴾ .

[٤٩] ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ تقدم تفسير نظيرها، واختلاف القراء في الهمزتين في سورة طه.

= و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١١).

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥١٣).

﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ﴾ أي: لا ضرر علينا بما تصنع بنا. قرأ حمزة: (لاَ ضَيْرَ) بالمد؛ بحيث لا يبلغ الإشباع(١) ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ فيثيبنا.

* * *

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ ﴾ أي: لأن كنا.

﴿ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ في زماننا.

* * *

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (أَنِ اسْرِ) بوصل الألف ويكسرون النون من (أن) للساكنين وصلاً؛ من سرى(٢) يسري(٣)، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة وحمزة يسكت على الساكن قبل الهمز؛ لبيان الهمز وتحقيقه(٤) ﴿ بِعِبَادِىٓ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (بِعِبَادِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٥).

---

(١) سلف كلام المصنف في اختلاف القرّاء عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) في «ت»: «سري».

(٣) «يسري» ساقطة من «ت».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٢).

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، =

﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه؛ ليحولوا بينكم وبين الخروج من مصر، فسر بهم، حتى إذا اتبعكم مصبحين، كان لكم تقدم عليهم؛ بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم البحر، بل يكونون على إثركم حين تلجون البحر، فيدخلون مدخلكم، فأطبقه عليهم، فأغرقهم.

* * *

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ ﴾ حين أخبر بسراهم.

﴿ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ أي: جامعين الناس.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] وقال: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ أي: طائفة.

﴿ قَلِيلُونَ ﴾ ومنه: ثوب شراذم؛ أي: بالٍ منقطع، وكانت الشرذمة ست مئة وسبعين ألفاً، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

* * *

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ مغضِبون، والغيظ: أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه.

* * *

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٣).

﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن ذكوان عن ابن عامر: (حَاذِرُونَ) بألف بعد الحاء؛ أي: تامُّو الأسلحة، وقرأ الباقون: بحذف الألف؛ أي: متيقظون(١).

* * *

﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل.

﴿ وَعُيُونٍ ﴾ من الماء. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر(٢)، وابن ذكوان: (وَعِيُونٍ) بكسر العين حيث وقع، والباقون: بضمها(٣).

* * *

﴿ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَكُنُوزٍ ﴾ وهي أموالهم الظاهرة من الذهب والفضة، سميت كنوزاً؛ لأنها لم يُعط منها حقُّ الله تعالى.

﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: المنازل الحسنة والمجالس البهية.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٣).

(٢) «وأبو بكر» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٢-٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٤).

﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما وصفنا ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا ﴾ بهلاكهم.

﴿ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ وذلك أن الله تعالى ردهم إلى مصر بعد غرق فرعون وقومه، وخولهم في أموالهم ومساكنهم.

***

﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ فَأَتْبَعُوهُم ﴾ أي: لحقوهم القبط.

﴿ مُّشْرِقِينَ ﴾ عند شروق الشمس وإضاءتها.

***

﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ أي: رأى كل الآخر. قرأ حمزة، وخلف: (تَرَاءَى) بإمالة فتحة الراء حالة الوصل، وأما إذا وقفا، أمالا الراء والهمزة جميعاً، ومعهما الكسائي في الهمزة فقط، وأما ورش: على أصله فيهما بين بين؛ بخلاف عنه(١).

﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ سيدركنا قوم فرعون، ولا طاقة لنا بهم.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٥ـ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٤ـ٣١٥).

﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢ ﴾ .

[٦٢] ﴿ قَالَ ﴾ موسى ثقةً بوعد الله إياه: ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ طريق النجاة. قرأ حفص عن عاصم: (مَعِيَ) بفتح الياء[(١)]، وقرأ يعقوب: (سَيَهْدِينِي) بإثبات الياء[(٢)].

* * *

﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ ﴾ .

[٦٣] ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ ﴾ ولما وصل موسى إلى البحر، جاء بموج كالجبال، فقال يوشع: يا مكلم الله! أين أمرت؟ فقال: هاهنا، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه، ثم أقحمه اللج، فارتسب في البحر، وأراد بقيتهم أن يفعلوا مثله فلم يقدروا[(٣)] ﴿ فَٱنفَلَقَ ﴾ ماء البحر بعد أن ضربه، فانشق اثني عشر طريقاً لاثني عشر سبطاً.

﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ ﴾ أي: كل جزء من البحر ﴿ كَٱلطَّوۡدِ ﴾ أي: الجبل.

﴿ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ وهو بحر القلزم، وتقدم ذكره ومحله في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ ﴾ [الآية: ٥٠]، وروي[(٤)] أن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٦).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٦).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٣٥٧).

(٤) في «ت»: «روي».

موسى عليه السلام قال عند ذلك: يا من كان قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء[1].

* * *

﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قرّبنا ﴿ثَمَّ﴾ حيث انفلق البحر.

﴿ٱلْآخَرِينَ﴾ هم القبط، جمعناهم في البحر حتى غرقوا.

* * *

﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ من الغرق.

* * *

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ يعني: فرعون وقومه.

* * *

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إهلاك القبط ﴿لَءَايَةً﴾ عبرة للمعتبرين.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ أي: المصريين ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ قالوا: لم يكن فيهم

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٧١)، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام.

مؤمن إلا آسية امرأة فرعون، وحزبيل المؤمن، ومريم بنت ناموسا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ في انتقامه من أعدائه.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين حين أنجاهم.

* * *

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ على مشركي العرب.

﴿ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: (نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ) بتحقيق الهمزتين، والباقون: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية[١].

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

* * *

﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ والصنم: ما كان على صورة ابن آدم من حجر أو غيره.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٧).

﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ أي: نقيم على عبادتها، ويظل: عرفُها: فعلُ الشيء نهاراً، وباتَ: عرفُها في فعله ليلاً، وطفق: غاية للوجهين، ولكن قد تجيء يظل بمعنى العموم، وهذا الموضع من ذلك، والعكوف: اللزوم، ومنه: المعتكف.

* * *

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم.

﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾ أي: يسمعون دعاءكم ﴿ إِذْ تَدْعُونَ ﴾.

* * *

﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ ﴾ إن عبدتموهم ﴿ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ إن تركتم عبادتهم.

* * *

﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] فلما عجزوا عن الجواب ﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فقلدناهم.

* * *

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾.

* * *

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

[٧٦] ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: أصنامكم ﴿عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ أي: أعداء، ووحَّده على معنى: أن كل معبود لكم عدو لي، وقوله: (عَدُوٌّ لِي) دون (لكم) زيادة نصح وتأدب؛ ليكون أعطف لقلوبهم، وأسرع لها إلى إيمانهم.

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناء منقطع؛ كأنه قال: فإنهم عدو لي، لكن رب العالمين وليي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (عَدُوٌّ لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[(١)]

* * *

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ثم وصف معبوده فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾ مبتدأ، خبره: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى إصلاح الدارين.

* * *

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ تعديد للنعمة في الرزق.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٨).

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ من مرضي، وأسند إبراهيم المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله عز وجل، وهذا أحسن الأدب في العبارة، والكل من عند الله؛ كالخضر حين قال في العيب: ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف: ٧٩]، وفي الخير: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢].

* * *

﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ أدخل (ثم) هنا للتراخي؛ أي: يميتني في الدنيا، ثم يحييني في الآخرة. قرأ يعقوب: (يَهْدِينِي) (يَسْقِينِي) (يَشْفِينِي) (يُحْيِينِي) بإثبات الياء في الأربعة في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما(١).

* * *

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أي: خطاياي يوم الجزاء، وهي قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله لسارة: هذه أختي، وقوله للكوكب(٢): ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام: ٧٦]، وعلق المغفرة بيوم الدين، وإن

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٨).

(٢) في «ت»: «للكواكب».

وجدت هنا؛ لأن فائدتها ثَمَّ تظهر، وأصل الطمع: نزوعُ النفس إلى الشيء شهوةً، وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه، وإخبار أنه لا يصلح للإلهية من لا يفعل هذه الأفعال.

***

﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا ﴾ نبوة.

﴿ وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ بآبائي المرسلين.

***

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ ثناء حسناً ﴿ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ في الأمم بعدي، فأعطاه الله ذلك، فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه.

***

﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَٱجْعَلْنِى ﴾ وارثاً ﴿ مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ في الآخرة، وتقدم معنى الوراثة فيها(١) في أول سورة المؤمنون.

***

﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وقال هذا قبل أن يتبين له أنه

---

(١) «فيها» زيادة من «ت».

عدو لله؛ كما تقدم في سورة التوبة. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (لِأَبِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ يعني: العباد.

* * *

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ ﴾.

[٨٨] وتبدل منه ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ أي: لا ينفعان أحداً.

* * *

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ ﴾.

[٨٩] ﴿ إِلَّا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن.

﴿ مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك.

* * *

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠ ﴾.

[٩٠] ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ ﴾ قُربت ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ فنظروا إليها.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٩).

﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾ أُظهرت.

﴿ لِلْغَاوِينَ ﴾ الكافرين، فيرونها مكشوفة، ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها.

* * *

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ يوم القيامة: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾.

* * *

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الآلهة ﴿ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ ﴾ بدفع العذاب عنكم.

﴿ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟

* * *

﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ ﴾ أُلقوا على رؤوسهم ﴿ فِيهَآ ﴾ في النار.

﴿ هُمْ ﴾ أي: الآلهة ﴿ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الكفار.

* * *

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

[٩٥] ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ ﴾ أتباعه ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ ومن أطاعه من الجن والإنس.

* * *

﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

[٩٦] ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾ أي : الداخلون فيها .

﴿ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ يخاصم بعض بعضاً .

* * *

﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

[٩٧] ويقول العابدون للمعبودين : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ .

* * *

﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

[٩٨] ﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم ﴾ نعدلكم في العبادة ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فنعبدكم .

* * *

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

[٩٩] ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي : رؤساؤهم الذين اقتدوا بهم ؛ كإبليس والشياطين وقابيل ؛ لأنه أول من سن القتل ، وعمل بالمعاصي .

* * *

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

[١٠٠] فثم تشفع الملائكة والأنبياء والمؤمنون في أصدقائهم ، فيقول المشركون تأسفاً : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴾ أي : من يشفع لنا؟

* * *

﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

[١٠١] ﴿ وَلَا صَدِيقٍ ﴾ هو من صدقك مودته ﴿ حَمِيمٍ ﴾ قريب خاص، وحامَّةُ الرجل: خاصته، قال ﷺ: «إن الرجل ليقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقُه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة»(١)، قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإن لهم شفاعة يوم القيامة(٢).

* * *

﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] فلما أيسوا من الشفاعة قالوا: ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ﴾ رجعة إلى الدنيا.

﴿ فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: فنؤمن؛ ليشفع لنا، و(لو) هنا بمعنى ليت.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

[١٠٣] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ أي: فيما ذكر من قصة إبراهيم.

﴿ لَآيَةً ﴾ عظة لمن يعتبر بها.

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم ﴾ يعني: قومه ﴿ مُّؤْمِنِينَ ﴾ به.

* * *

---

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) عن جابر بن عبد الله مرفوعاً، وفيه جهالة، وذكره القرطبي في «في تفسيره» (١٣/ ١١٨).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

[١٠٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلب ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالإمهال .

* * *

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

[١٠٥] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القوم مؤنثة من حيث الـ(قوم) : الأمة والجماعة ، ولذلك تصغر على قويمة ، وجمع (المرسلين) ، وإن كانوا واحداً ؛ لأن من كذب رسولاً واحداً ، فقد كذب جميع المرسلين .

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

[١٠٦] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ في النسب ، لا في الدين .

﴿ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ الله ، فتتركوا عبادة غيره ؟!

* * *

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

[١٠٧] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الوحي .

* * *

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

[١٠٨] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ بطاعته ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما آمركم به من الإيمان .

* * *

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

[١٠٩] ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ أي: على الدعاء والنصح.

﴿ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ ﴾ ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ **قرأ** يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[1]، وكذلك في الأحرف السبعة بعد، **وقرأ** ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب: (أَجْرِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2]، وكذلك في الأحرف الأربعة بعد.

* * *

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾.

[١١٠] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ كرره تأكيداً.

* * *

﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

[١١١] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ إنكاراً عليه: ﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ﴾ أي: وقد اتبعك ﴿ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ جمع الأرذل؛ يعني: السفلة، سموا بذلك؛ لاتضاع حِرفهم؛ كالحجامة والحياكة، وهذا لا يضر بالديانات، فكأنهم قالوا: إنما آمنوا لحقارتهم. **قرأ** يعقوب: (وَأَتْبَاعُكَ) بقطع الهمزة وإسكان التاء مخففة وضم

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣١٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٠).

العين وألف قبلها على الجمع، وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وتشديد التاء مفتوحة وفتح العين من غير ألف[1].

***

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢)﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ المراد: انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم، واطلاعه على سرائرهم.

***

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣)﴾.

[١١٣] ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ ما جزاؤهم.

﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لما عبدتموهم.

***

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤)﴾.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم، وتوقيف إيمانهم عليه.

***

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥)﴾.

[١١٥] ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي: وما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين عن الكفر والمعاصي، سواء كانوا أعزاء أو أذلاء. قرأ قالون عن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٦٥)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٠).

نافع، وأبو جعفر: (أَنَا إِلَّا) بالمد حيث وقع؛ بخلاف عن الأول[1].

***

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾.

[١١٦] ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ ﴾ عما تقول.

﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴾ أي: المقتولين.

***

﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ ﴾.

[١١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴾ قرأ يعقوب: (كَذَّبُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[2].

***

﴿ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

[١١٨] ﴿ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا ﴾ فاحكم بيني وبينهم حكماً.

﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ من قصدهم. قرأ ورش، وحفص: (مَعِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3].

***

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٠).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢١).

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

[١١٩] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ أي: المملوء من الناس والطير والحيوان كلها.

***

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

[١٢٠] ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ أي: أغرقنا بعد إنجاء نوح وأهله من بقي من قومه.

***

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

[١٢١] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

***

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

[١٢٢] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تقدم تفسير نظيرها.

***

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

[١٢٣] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

***

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ .

[١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴾ يعني: في النسب، لا في الدين.

﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ؟

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

[١٢٥] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ على الرسالة .

* * *

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

[١٢٦] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ .

* * *

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

[١٢٧] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

[١٢٨] ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ هو المكان المرتفع ﴿ آيَةً ﴾ علامة .

﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ بمن مر بكم ؛ لأنهم كانوا يبنون الغرف في الأماكن العالية ؛ ليشرفوا على المارة، فيسخرون منهم، ويعبثون بهم .

* * *

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ .

[١٢٩] ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾ أي : حصوناً، وقيل : مصانع الماء تحت الأرض ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ أي : كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون، وقال ابن زيد : (لعل) استفهامٌ بمعنى التوبيخ ؛ أي : فهل تخلدون حتى تبنوها؟

* * *

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ أخذتم وسطوتم ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قتلاً بالسيف، وضرباً بالسوط، والبطش: الأخذ بعنف، والجبار: الذي يضرب ويقتل على الغضب. قرأ ورش عن نافع، والدوري عن الكسائي: (جبَّارِينَ) بالإمالة؛ بخلاف عن الأول[1].

***

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

***

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعطاكم من الخير ما تعلمون.

***

﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ثم ذكر ما أعطاهم فقال: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

***

﴿ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

[١٣٤] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٢).

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ .

[١٣٥] ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ إن عصيتموني ﴿ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ في الدنيا والآخرة.

* * *

﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴾ .

[١٣٦] ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴾ سووا بين وعظه وتركه، والوعظ: كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد.

* * *

﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ .

[١٣٧] ثم قالوا: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ ﴾ أي: ما هذا ﴿ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو[١]، ويعقوب، والكسائي: بفتح الخاء وإسكان اللام؛ أي: اختلاق الأولين وكذبهم[٢]، وقرأ الباقون: بضم الخاء واللام؛ أي: عادة الأولين من قبلنا[٣].

* * *

---

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) «وكذبهم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٢).

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[١٣٨] وأمرهم أنهم يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون، ولا بعث ولا حساب.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ على ما نحن عليه.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾.

[١٣٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ بريح صرصر ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

[١٤٠] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ تلخيصه: أن هوداً أنذر قومه، ووعظهم، فلم يتعظوا، فأهلكوا.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾.

[١٤١] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

[١٤٢] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

* * *

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

[١٤٣] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .

* * *

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

[١٤٤] ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ .

* * *

﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ .

[١٤٥] ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ .

[١٤٦] ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ أي : في الدنيا .

﴿ آمِنِينَ ﴾ من الموت والعذاب .

* * *

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ ﴾ .

[١٤٧] ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

* * *

﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

[١٤٨] ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ﴾ عطفها على (جَنَّاتٍ) مع أن الجنة تعم النخل

وغيره؛ تفضيلاً لها ﴿طَلْعُهَا﴾ هو ما يطلع من النخلة في جوفه شماريخ القنو.

﴿هَضِيمٌ﴾ لطيف لين، ويوصف بهضيم ما دام في كُفُرَّاه، والكُفُرَّى ـ بضم الكاف وفتح الفاء وتشديد الراء ـ: كم النخل؛ لأنه يستر في جوفه.

***

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ١٤٩﴾.

[١٤٩] ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: (فَارِهِينَ) بألف بعد الفاء؛ أي: حاذقين، وقرأ الباقون: بغير ألف؛ أي: بَطِرين.

***

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠﴾.

[١٥٠] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فإن في طاعتي طاعةَ الله تعالى.

***

﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٥١﴾.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين.

***

﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢﴾.

[١٥٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والكفر(١).

(١) في «ت»: «بالكفر والمعاصي».

﴿ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ بطاعة الله فيما أمرهم به .

* * *

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

[١٥٣] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ المسحر : الذي سُحِر كثيراً حتى غلب على عقله .

* * *

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ .

[١٥٤] ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ تأكل الطعام، وتشرب الشراب، ولست بملك .

﴿ فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ﴾ على صحة ما تقول .

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أنك رسول الله إلينا .

* * *

﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ ﴾ .

[١٥٥] ﴿ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٞ ﴾ أي : بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها .

﴿لَّهَا شِرۡبٞ ﴾ نصيب من الماء ﴿ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ فاقتصروا على شربكم، فكانت تشرب جميع الماء يوماً، ويشربون يوماً[١] . فيه دليل على جواز قسمة المنافع بالمهايأة؛ لأن قوله : ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ ﴾ من

---

(١) «ويشربون يوماً» زيادة من «ت» .

المهايأة، واختلفوا في حكم المهايأة، فقال أبو حنيفة: يجبر عليها الممتنع إذا لم يكن الطالب متعنتاً، وقال الثلاثة: هي جائزة بالتراضي، ولا إجبار فيها.

* * *

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾.

[١٥٦] ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ كضرب وعقر.

﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ عظم اليوم لعظم ما يحل فيه.

* * *

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

[١٥٧] روي أن عاقرها قال: لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين، فاستؤذن صغارهم وكبارهم، فرضوا[١] ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أسند العقر إلى كلهم؛ لأنهم رضوا بذلك، فأُخذوا جميعاً ﴿ فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴾ على عقرها؛ خوفاً من نزول العذاب، لا ندمَ توبة.

* * *

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ ﴾.

[١٥٨] ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ الموعود ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٥)، عن قتادة. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤٩٢).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

[١٥٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

* * *

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ .

[١٦٠] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

[١٦١] ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ .

* * *

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ .

* * *

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ .

* * *

﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

[١٦٤] ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

* * *

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ ﴾.

[١٦٥] ثم استفهم منكراً فقال: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ من جميع الناس، عبر عن الفاحشة بالإتيان؛ كما عبر به عن الحلال في قوله: ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، المعنى: أتطؤون الذكور من الناس، مع كثرة إناثهم؟!

* * *

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾.

[١٦٦] ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ وتتركون ﴿ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ ﴾ لأجل استمتاعكم.

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

* * *

﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

[١٦٧] ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ ﴾ عن إنكارك علينا.

﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ من قريتنا.

* * *

﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾.

[١٦٨] ﴿ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ المبغضين.

* * *

﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ .

[١٦٩] ثم دعا فقال: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ من العمل الخبيث؛ أي: من شؤمه وعذابه.

* * *

﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ .

[١٧٠] ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ ﴾ فعصمناه ﴿ وَأَهْلَهُ ﴾ من العذاب ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ .

* * *

﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ .

[١٧١] ﴿ إِلَّا عَجُوزًا ﴾ هي امرأته ﴿ فِي الْغَابِرِينَ ﴾ الباقين في العذاب، تقديره: إلا عجوزاً مقدَّراً غبورها أهلكناها؛ لأنها كانت معينة على الفاحشة، راضية بها، والاستثناء من الأهل؛ لأن الزوجة منهم.

* * *

﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

[١٧٢] ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴾ أي: أهلكناهم.

* * *

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ .

[١٧٣] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم ﴾ على شُذَّاذهم ومسافريهم ﴿ مَّطَرًا ﴾ حجارة.

﴿ فَسَاءَ ﴾ أي: فقبح ﴿ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ مطرُهم.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

[١٧٤] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

[١٧٥] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.

* * *

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

[١٧٦] ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر: (لَيْكَةَ) بلام مفتوحة من غير ألف وصل قبلها، ولا همزة بعدها، وبفتح تاء التأنيث في الوصل مثل طلحةَ، وكذلك رسم في جميع المصاحف، **وقرأ** الباقون: بألف الوصل مع إسكان اللام وهمزة مفتوحة بعدها وخفض تاء التأنيث، وحمزة: على أصله يقف على الساكن قبل الهمز، وورش: ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وحمزة: له النقل إذا وقف بخلاف عنه؛ فـ(أَيْكَة) اسم نكرة لشجر كثير ملتفّ، ثم دخله التعريف، و(لَيْكَة) أيضاً غير مصروف؛ لتعريفه وتأنيثه: اسم علم لبلد، أو شجر[١]، وتقدم ذكر الأيكة ومحلها في سورة الأعراف، فمن قرأ: (الأَيْكَةِ) أراد: الشجر، ومن قرأ: (لَيْكَة) أراد: البلد كما تقول فيمن صرف ثمود

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٤).

أراد: الأب، ومن لم يصرفه أراد: القبيلة، وكذلك اختلافهم في سورة (صٓ)، وأجمعوا على الألف واللام وجر التاء في (الحجر)، و(قٓ) لإجماع المصاحف على ذلك.

* * *

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧﴾.

[١٧٧] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ وإنما لم يقل في شعيب: أخوهم؛ لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة في النسب، وإنما أُرسل إليهم بعد مدين، وكان من أصحاب مدين، فلما ذكر مدين، قال: أخاهم شعيباً في سورتي الأعراف، وهود، وفي الحديث: «إن شعيباً أخا مدين أُرسل إلى أصحاب مدينَ، وإلى أصحابِ الأيكةِ»[١].

* * *

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨﴾.

[١٧٨] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

* * *

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩﴾.

[١٧٩] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٨)، عن قتادة من قوله.

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٠ ﴾.

[١٨٠] ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وإنما كانت دعوة الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة؛ لاتفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة، والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة.

***

﴿ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ ﴾.

[١٨١] وكان أصحاب الأيكة يطففون، فقال: ﴿ ۞أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ ﴾ أتموه. ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴾ الناقصين لحقوق الناس.

***

﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢ ﴾.

[١٨٢] ﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴾ بميزان العدل. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (بِالْقِسْطَاسِ) بكسر القاف، والباقون: بضمها(١).

***

﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣ ﴾.

[١٨٣] ﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ لا تنقصوا شيئاً من حقوقهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٥).

﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بالقتل وقطع الطريق.

* * *

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ ﴾.

[١٨٤] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يعني: الأمم المتقدمين، والجبلة: الخلق، يقال: جُبل؛ أي: خُلق.

* * *

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

[١٨٥] ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾.

* * *

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾.

[١٨٦] ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ تقدم تفسير نظيره، وأتوا بالواو؛ للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة؛ مبالغةً في تكذيبه.

﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ في دعواك.

* * *

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

[١٨٧] ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ **قرأ** حفص عن عاصم: (كِسَفاً) بفتح السين؛ أي: قطعاً، **وقرأ** الباقون: بالإسكان؛ أي: قطعة[(١)]، واختلافهم في الهمزتين من (السَّمَاءِ إِنْ)

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٦).

كاختلافهم فيهما من قوله: (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

* * *

﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.

[١٨٨] ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ فهو مجازيكم بأعمالكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾.

[١٨٩] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ ﴾ هو أنه أصابهم حر شديد، وكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أشد حراً، فخرجوا، فجاءتهم سحابة، فدخلوا تحتها يستظلون، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

[١٩٠] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/٣٢٦).

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾.

[١٩١] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة؛ تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديداً للمكذبين به، وكرر في هذه القصة ما كرره في غيرها تقريراً لمعانيها في الصدور؛ ليكون أبلغ في الوعظ والزجر.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾.

[١٩٢] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن المنزل ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

[١٩٣] ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ هو جبريل ـ عليه السلام ـ؛ لأنه أمين على الوحي. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (نَزَّلَ) بتشديد الزاي ونصب (الرُّوحَ الأمينَ) مفعولاً، الفاعل الله تعالى؛ أي: نزل الله به جبريل ـ عليه السلام ـ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقرأ الباقون: بالتخفيف، ورفعهما الفاعل (الرُّوحُ الأَمِينُ)(١).

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٧).

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ .

[١٩٤] ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمد حتى وعيته.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ المخوِّفين.

* * *

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ .

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ قال ابن عباس: «بلسان قريش؛ ليفهموا ما فيه»(١)، المعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان، وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

* * *

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ .

[١٩٦] ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: ذكر إنزال(٢) القرآن.

﴿لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ لمثبتٌ في كتب الأنبياء قبلك.

* * *

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾ .

[١٩٧] ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على صحة القرآن، ونبوة محمد ﷺ ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ **قرأ** ابن عامر: (تَكُنْ) بالتاء

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٢).

(٢) «إنزال» زيادة من «ت».

على التأنيث (آيَةٌ) بالرفع، جعل الآية اسماً، وخبره (أَنْ يَعْلَمَهُ)، وقرأ الباقون: (يَكُنْ) بالتذكير (آيَةً) بالنصب، جعلوا الآية خبرَ (يَكُنْ)[(١)]، معناه: أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علماء بني إسرائيل آيةً؛ أي: علامة على نبوة محمد ﷺ؛ لأنهم كانوا يخبرون بوجوده في كتبهم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، وهم: بنيامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد، وكان إخبارهم آية على صِدقه، قال ابن عباس: «بعثَ أهلُ مكة إلى اليهود، وهم بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا الزمان زمانه، وإنا نجد في التوراة نعتَهُ وصفتَهُ»[(٢)].

* * *

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾.

[١٩٨] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم، وهو الذي لا يُفصح، ولا يحسن العربية، وإن كان عربياً في النسب، والعجمي: المنسوب للعجم، وإن كان فصيحاً.

ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان.

* * *

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩﴾.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ بغير لغة العرب ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٢٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣٥٧).

﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

[٢٠٠] وقالوا: ما نفقه قولك ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾ أي: أدخلنا الشك والشرك ﴿ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

* * *

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

[٢٠١] ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ عند الموت.

* * *

﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾.

[٢٠٢] ﴿ فَيَأْتِيَهُم ﴾ فيأخذهم ﴿ بَغْتَةً ﴾ فجأة.

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ به في الدنيا.

* * *

﴿ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

[٢٠٣] ﴿ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴾ مؤخَّرون؛ لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة.

* * *

﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾.

[٢٠٤] ولما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب، ومتى هذا العذاب؟! فنزل قوله تعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾

فيقولون: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

[٢٠٥] ثم خاطبَ النبيَّ ﷺ؛ لإقامة الحجة عليهم في أن مدة الإرجاء والإمهال والإملاء لا تغني مع نزول العذاب بعدها، ووقوع النقمة، وذلك في قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾ كثيرة في الدنيا؛ يعني: كفار مكة، ولم نهلكهم. تقدم اختلاف القراء في (أَرَأَيْتَ) في سورة الفرقان عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الآية: ٤٣].

* * *

﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

[٢٠٦] ﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ يعني: العذاب.

* * *

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾.

[٢٠٧] ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ لم يغن عنهم تمتُّعهم المتطاولُ بنعيم الدنيا في دفع العذاب عنهم.

* * *

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ﴾.

[٢٠٨] ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ رسل ينذرونهم.

* * *

﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ ﴾.

[٢٠٩] ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ محلها نصب؛ أي: ينذرونهم تذكرةً، وقيل: رفع؛ أي: تلك ذكرى ﴿ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ في تعذيبهم؛ حيث قدمنا الحجة عليهم، وأعذرنا إليهم.

* * *

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ ﴾.

[٢١٠] ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ﴾ أي: بالقرآن ﴿ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد ﷺ، فنزلت الآية.

* * *

﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾.

[٢١١] ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ ﴾ أن يتنزلوا بالقرآن ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾.

[٢١٢] ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ أي: عن استراقه من السماء.

﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ أي: محجوبون بالشهب مرجومون.

* * *

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾.

[٢١٣] ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ قال ابن عباس:

«يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلهاً غيري، لعذبتك»(١).

* * *

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾.

[٢١٤] ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ فجمع ﷺ قومه، وقال: «إني نذيرٌ لكم بين يَدَي عذاب شديد»(٢).

* * *

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾.

[٢١٥] ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ أَلِنْ جانبك، وتواضَعْ.

﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من عشيرتك وغيرهم؛ فإن الفاسق والمنافق لا يُخفض له الجناح.

* * *

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾.

[٢١٦] ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ أي: خالفوك.

﴿ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٤).

(٢) رواه البخاري (٤٤٩٢)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، ومسلم (٢٠٨)، كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾.

[٢١٧] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ليكفيك كيدَ الأعداء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَتَوَكَّلْ) بالفاء عطفاً على (فَقُلْ)، وكذلك هو في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون: بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم(١).

* * *

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾.

[٢١٨] ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ للتهجُّد.

* * *

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾.

[٢١٩] ﴿ وَتَقَلُّبَكَ ﴾ أي: ويرى تقلبك ﴿ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ أي: تصفح أحوال المتهجدين من أصحابك، وعن ابن عباس قال: «من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً»(٢).

* * *

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾.

[٢٢٠] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما تقوله ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما تنويه.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٠).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٤).

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١﴾.

[٢٢١] ولما قال المشركون: إن الشيطان يلقي السمع[١] على محمد، نزل جواب قولهم: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؟

***

﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾.

[٢٢٢] ثم بين فقال: ﴿تَنَزَّلُ﴾ أي: تتنزل ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب.

﴿أَثِيمٖ﴾ مبالغة من آثم، وهم الكهنة الذين كانت تسرق الجن السمع فتلقيه إليهم. قرأ البزي: (تَّنَزَّلُ) بتشديد التاء في الحرفين حالة الوصل[٢].

***

﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣﴾.

[٢٢٣] ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ أي: يلقون إلى الكهنة ما يسمعون من الملائكة عند استراق السمع ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ﴾ أي: الكهنة.

﴿كَٰذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا يخلطون مع ما يستمعون[٣] كذباً كثيراً. جاء في الحديث: «الكلمةُ يخطَفُها الجني، فيَقُرُّها في أذن وليه، فيزيد فيها أكثر من مئة كذبة»[٤].

---

(١) «السمع» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٢ـ٢٣٤)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٠).

(٣) في «ش»: «يسمعون».

(٤) رواه البخاري (٥٤٢٩)، كتاب: الطب، باب: الكهانة، ومسلم (٢٢٢٨)، كتاب: =

فإذا صدقت تلك الكلمة، كانت سبب ضلال من سمعها، وقال: (أَكْثَرُهُمْ)؛ لأن من الأفاك من قد يصدق.

* * *

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾.

[٢٢٤] ونزل في جماعة من الكفار كانوا يقولون الشعر، ويقولون: نحن نقول كما يقول محمد، واتبعهم غواة على ذلك ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ السفهاء الذين يروون هجاء المسلمين. قرأ نافع: (يَتْبَعُهُمُ) بفتح الباء مخففاً، والباقون: بكسر الباء مشدداً[١].

* * *

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ تمثيل لذهابهم في كل فن من القول. روي عن يعقوب وقنبل: الوقفُ بالياء على (وَادِي).

﴿يَهِيمُونَ﴾ يذهبون على غير قصد، كما يذهب الهائم على وجهه.

* * *

= السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣١).

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾.

[٢٢٦] ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾: فعلنا ﴿ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

[٢٢٧] ولما نزلت هذه الآية، جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، ومن كان ينافح عن النبي ﷺ، وكان غالب شعرهم توحيداً وذكراً، فقالوا: يا رسول الله! قد نزل هذا، والله يعلم أنا شعراء، فقال ﷺ: «إنَّ المؤمنَ يجاهدُ بسيفه ولسانه، وإن الذي ترمونهم به نَضْحُ النبل»(١)، ونزل: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ استثناء لشعراء الإسلام ﴿ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى.

﴿ وَٱنتَصَرُوا۟ ﴾ أي: بالرد على المشركين ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ أي: هُجوا؛ لأن الكفار بدؤوهم بالهجاء، قال ﷺ لحسان: «اهجُ المشركين؛ فإن جبريلَ معك»(٢)، ثم أوعد شعراء المشركين فقال تعالى:

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ أشركوا ﴿ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ أيَّ مرجعٍ يرجعون

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٨٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٥٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٨٦)، وغيرهم عن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣٠٤١)، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ومسلم (٢٤٨٦)، كتاب: ، فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ، عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

إليه بعد مماتهم، قال ابن عباس: «إلى جهنم والسعير»[1]، و(أَيَّ) نعت لمصدر محذوف نُصب بـ: (ينقلبون)، لا بـ(يعلم)؛ لأنها استفهام، تقديره: ينقلبون انقلاباً أيَّ منقلب، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٨١).

سورة النمل

مكية، وآيها: ثلاث وتسعون آية، وحروفها: أربعة آلاف وسبع مئة وتسعون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وتسع وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١)﴾.

[١] ﴿طسٓۚ﴾ تقدم الكلام[1] عليه، ومذاهب القراء فيه أولَ سورة الشعراء، وهو اسم من أسماء الله تعالى، قاله ابن عباس[2]، قيل: معناه هنا: لطيف وسميع.

﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المذكورات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ؛ لأنه خط فيه ما هو كائن، فهو يبينه للناظرين. قرأ ابن كثير: (القُرَانِ) و(قُرَان) و(قُرَاناً) حيث وقع: بالنقل، والباقون: بالهمز[3].

---

(١) في «ت»: «القول».

(٢) تقدم ذكره عنه، وتخريجه.

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٥).

﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ .

[٢] ﴿ هُدًى ﴾ أي: هو هدى من الضلالة.

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ للمصدقين به.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قرأ ورش: (الصَّلاَة) بتغليظ اللام.

﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ المعنى: المؤمنون الموصوفون بهذه الصفات يوقنون بالبعث.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ بخلق الشهوة فيهم، فاعتقدوا أعمالهم القبيحة حسنة؛ لشهوتهم إياها، لا أنا حَسَّنَّا لهم الفواحشَ، وأمرناهم بها. قرأ أبو عمرو: (بِالآخِرَة زَّيَّنَّا) بإدغام التاء في الزاي[١].

﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ يترددون بتحير.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٥).

﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ في الدنيا؛ بالقتل والأسر.

﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ أشد الناس خسراناً؛ لفوت المثوبة، واستحقاق العقوبة.

* * *

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ لتؤتاه.

﴿ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ أي: وحياً من عند الله ذي الحكمة، وهذه الآية رد على كفار قريش في قولهم: إن القرآن من تلقاء محمد بن عبد الله.

* * *

﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ثم قص تعالى خبر موسى عليه السلام، والتقدير: اذكر ﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ ﴾ في مسيره من مدين إلى مصر:

﴿ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ ﴾ أبصرت ﴿ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ ﴾ أخبركم به عن حال الطريق؛ لأنه كان قد ضل عنها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٨ـ٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٦).

﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ﴾ هي الشعلة المضيئة. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (بِشِهَابٍ) بالتنوين، جعلوا القبس نعتاً للشهاب، وقرأ الباقون: بغير تنوين على الإضافة(١).

﴿قَبَسٍ﴾ هو العود الذي في أحد طرفيه نار، قال في (طه): ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ﴾ [الآية: ١٠] ترجِّياً، وهنا (سَآتِيكُمْ) إخباراً؛ لأن الراجي إذا قوي ترجيه، ربما حكم بوقوع الفعل، المعنى: أن موسى قال لزوجته لما ضربها الطلق، ورأى النار: اثبتوا مكانكم، سآتيكم بجزء منها.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ تستدفئون من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: بورك على من في طلب النار، وهو موسى عليه السلام ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ وهم الملائكة، والمراد بالنار: النور؛ لأن موسى حسبه ناراً، وهذا تحية من الله ـ عز وجل ـ لموسى ـ عليه السلام ـ بالبركة؛ كما حيا إبراهيم على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ [هود: ٧٣]، ثم نزه تعالى نفسه فقال:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٨٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٦).

﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من تمام ما نودي به؛ لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً، وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر.

* * *

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾.

[٩] ثم تعرف إلى موسى بصفاته فقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ والهاء في (إِنَّهُ) ضمير الشأن، والشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ صفتان لله تعالى، وروي أن موسى لما سمع الخطاب، فلم ير أحداً، قال: من الذي يكلمني؟ فقيل: ﴿إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[1].

* * *

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠﴾.

[١٠] ثم أرى موسى آية على قدرته تعالى ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ عطف على ﴿بُورِكَ﴾ أي: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ﴾ تتحرك باضطراب. وتقدم اختلاف القراء في (رَآهَا) في سورة الأنبياء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: ٣٦].

﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ حية صغيرة.

﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا﴾ وهرب من الخوف.

﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾ لم يرجع بعد هربه.

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنة» (١/ ٣٠٥) وأبو نعيم عن أنس مطولاً، كما في «الدر المنثور». (٣/ ٥٣٩).

فقال الله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ أي: من أمنته لا ينبغي أن يخاف من حية.

* * *

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن من ظلم من المرسلين بذنب صدر منه؛ كآدم ويونس وداود وموسى(١) ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ ﴾ توبة بعد ذنب.

﴿ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أغفر له، وأزيل الخوف عنه.

* * *

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ثم أراه الله تعالى آية أخرى، فقال: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ أي: قميصك؛ لأنه يُجاب؛ أي يقطع، والجيب: الفتح في الثوب لرأس

---

(١) وعن الفراء أن الاستثناء هنا متصل، لكل من جملة محذوفة، تقديره: وإنما يخاف غيرُهم إلا من ظلم. وردَّه النحاس. وقدره الزمخشري بـ: «لكن» وهي علامة على أنه منقطع. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٥٥). وقد ذكر الطبري رحمه الله في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٢) أقوال النحويين واختلافهم، وذكر من جملة ذلك: في هذه الآية وجهان: أحدهما أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فهذا يخاف ويرجو. والآخر أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة؛ لأن المعنى: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على من سواهم.

الإنسان، وكانت عليه مدرعة من صوف لا كُمَّ لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه، وأخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله تعالى:

﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ حال ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ آفة برص.

﴿ فِي تِسْعِ ﴾ أي: آية في تسع ﴿ ءَايَٰتٍ ﴾ و(إِلَى) متعلق بمحذوف؛ أي: مرسلاً إلى فرعون في تسع آيات، وهي: اليد، والعصا، والفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، أنت مرسل بهن ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ تعليل للإرسال.

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ حال يُبصر بها، ونسب البصر إليها مجازاً، وهو في الحقيقة لمتأمليها ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر.

* * *

﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ أنكروا الآيات، ولم يقروا أنها من عند الله.

﴿ وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ ﴾ أي: وقد استيقنتها ﴿ أَنفُسُهُمْ ﴾ واستيقن أبلغُ من أيقن، المعنى: لما جاءتهم آياتنا واضحات، واستيقنوا صدقها، جحدوا بها ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ شركاً وتكبراً.

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ وسوء منقلبهم حين كذبوا موسى، وفي هذا تمثيل لكفار قريش؛ إذ كانوا مفسدين مستعلين.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ ﴾.

[١٥] ثم ابتدأ بقصص فيه غيوب وعبر، وليس بمثال لقريش، فقال: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ ﴾ أي: علم القضاء، ومنطق الطير والدواب، وتسبيح الجبال.

﴿ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا ﴾ بالنبوة، وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يعني: من لم يؤت علماً.

* * *

﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾.

[١٦] ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ ﴾ في النبوة والملك دون سائر أولاده، وكانوا تسعة عشر. قرأ أبو عمرو: (وَوَرِث سُّلَيْمَانُ) بإدغام الثاء في السين(١)، و(ورث) بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه، فسمي ميراثاً تجوزاً، وهذا نحو قولهم: «العلماء ورثة الأنبياء»، وحقيقة الميراث في المال، والأنبياءُ لا تورث أموالهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا، فهو صدقة»(٢) فأعطي سليمان ما أعطي داود عليهما السلام من

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٣٣٩/٤).

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٢)، كتاب: أبواب الخمس، باب: فرض الخمس، ومسلم (١٧٥٨)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول النبي ـ رضي الله عنه ـ: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

الملك، وزيد له تسخير الجن والريح، وفهم منطق الطير، فثم اعترف بأنعم الله تعالى.

﴿وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فَهْمَ أصواته، والمنطق: الكلام، روي أنه صاح ورشانٌ، فقال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب، وصاحت فاختة، فقال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا، والطاوس يقول: كما تدين تدان، والهدهد يقول: كل حي ميت، وكل جديد بال، والخطاف يقول: قدموا خيراً تجدوه، والحمامة تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمواته وأرضه، والقطا يقول: من سكت سلم، والببغاء يقول: ويل لمن الدنيا همه، والدراج يقول: الرحمن على العرش استوى، والقُبر يقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد، والنسر يقول: ابن آدم عش ما شئت آخره الموت، والعقاب يقول: في البعد من الناس أنس، والحمار يقول: اللهم العن العشار، والفرس يقول إذا التقى الصفان: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، والزرزور يقول: اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا رزاق(١).

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يؤتاه الأنبياء والملوك من أمر الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.

* * *

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٧ـ٣٨٨)، عن كعب. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤)، عن كعب بإسناد واه جداً. انظر: «كشف الخفاء» للعجلوني (٢/ ١٨٣).

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَحُشِرَ ﴾ جُمع ﴿ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ في مسير كان له .

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُحبسون ثم يُساقون، وأصل الوزع : الكف، والوزَّاع : هو الحابس، وهو النقيب، وكان معسكره مئة فرسخ : في مئة فرسخ خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان يأمر الريح العاصف فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، فأوحى الله إليه وهو بين السماء والأرض : أني قد زدت في ملكك : أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك، فبينا هو يسير، رآه وجندَه حَرَّاث، فقال : لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً، فمشى إليه سليمان وقال : إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه، ثم قال : والله لتسبيحة واحدة يتقبلها الله خير مما أوتي آل داود(١) .

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤١٤١) عن محمد بن كعب، وذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٩ـ ٣٩٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٧٦)، وذكر القرطبي عن ابن عطية قوله : واختُلف في معسكره ومقدار جنده اختلافاً شديداً، غير أن الصحيح أن ملكه كان عظيماً مِلأَ الأرض، وانقادت له المعمورة كلُّها .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ وقف يعقوب، والكسائي (وَادِي) بإثبات الياء[١].

روي أن سليمان ـ عليه السلام ـ سار من اصطخر إلى اليمن حتى مر بواد النمل، وهو واد بالطائف، وقيل: بالشام، كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير، وقيل: كان نمل ذلك المكان أمثال الذباب، وقيل كالبخاتي ﴿ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ ﴾ وكانت ملكة النمل لما رأت جند سليمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ ولم يقل: ادخلن؛ لأنه لما جعل لها قولاً، خاطبها خطاب الآدميين ﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ ﴾ يكسرنكم ﴿ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَحْطِمَنْكُمْ) بإسكان النون مخففاً، والباقون: بفتحها مشدداً[٢].

﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بهلاككم إقامة لعذرهم.

* * *

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨ـ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٣٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤١).

[١٩] وسمع سليمان كلام النمل من ثلاثة أميال، وقيل: كان اسمها طاخية.

وعن قتادة: أنه دخل الكوفة، فالتف عليه الناس، فقال: سلوا عما شئتم، وكان أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ حاضراً وهو غلام حَدَث، فقال: سلوه عن نملة سليمان، أكانت ذكراً أم أنثى؟ فسألوه، فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: من أين عرفت؟ فقال: من كتاب الله، وهو قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ولو كان ذكراً، لقال: قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى، فيميز بينهما بعلامة؛ نحو قولهم: حمامة ذكر، وحمامة أنثى، وهو وهي(١).

روي أنه لما أشرف على الوادي، حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم.

وروي أنه قال لعظيم النمل: لِمَ قلت ادخلوا مساكنكم، أخفت عليهم مني ظلماً؟ قال: لا، ولكن خشيت أن يفتنوا بما يرون من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله(٢).

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ حال مؤكدة، والتبسم أول الضحك، وهو ما لا صوت له ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ تعجباً من حذرها وتحذيرها.

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني. **قرأ** ورش، والبزي: (أَوْزِعْنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٣).

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٣٦١)، و«تفسير الرازي» (٢٤/ ١٦١).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٧١) عن أبي إسحاق الثعلبي، قال: رأيت في بعض الكتب. . . فذكره.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: في جملتهم، قال ابن عباس: «يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين»[1].

* * *

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾.

[٢٠] روي أن الهدهد كان دليل سليمان على الماء، وكان يعرف موضع الماء، ويراه تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده، فينقر الأرض فتجيء الشياطين، فيسلخونه ويستخرجون الماء، فنزل سليمان منزلاً، فاحتاج إلى الماء وقت الصلاة، فطلب الهدهد فلم يجده[2]. ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ ليرى الهدهد، فلم يره، والتفقد: طلبُ ما فُقد، ومعنى الآية: طلب ما فقد من الطير.

﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ في جملة الطير. قرأ ابن كثير، وعاصم، والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (مَا لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3]، ثم أدركه الشك في غيبته، فقال:

= ٣٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٢) عن ابن عباس. وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٢).

﴿ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ يعني: أكان من الغائبين؟ والميم صلة.

***

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] فلما تحقق غيبته، قال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا ﴾ أي: تعذيباً.

﴿ شَدِيدًا ﴾ بنتف ريشه وذنبه، ورميه في الشمس، فلا يمتنع على الهوام.

﴿ أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ لأقطعن حلقه، ورسمت (أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ) في بعض المصاحف بزيادة ألف بعد (لأَ).

﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ برهان ظاهر على عذره. قرأ ابن كثير: (لَيَأْتِيَنَّنِي) بنونين: الأولى مفتوحة مشددة، والثانية مكسورة مخففة، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة، أصلها: لَيَأْتِينِي، ثم دخلت النون مشددة، وهي محسوبة بنونين تأكيداً للقسم، وبعدها نون مكسورة للوقاية كنون ضربني، وبني الفعل على الفتح، ففتح الياء التي هي لام الفعل، وقرأ الباقون: بنون واحدة مكسورة مشددة، وكذلك هو في مصاحفهم(١).

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٣).

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] وكان سبب غيبة الهدهد: أن سليمان ـ عليه السلام ـ لما فرغ من عمارة بيت المقدس، خرج للحج، فأقام في الحرم مدة طويلة، يقرب كلَّ يوم خمسة آلاف ناقة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي، صفته كذا وكذا[١]، يعطى النصر على جميع من ناوأه، وتبلغ هيبته مسيرة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، يدين بدين الحنيفية، طوبى لمن أدركه وآمن به، ثم خرج من مكة يطلب صنعاء اليمن، فرأى مكاناً أعجبه، فنزل ليتغدى ويصلي الظهر، وكان الهدهد دليل الماء كما تقدم، واسمه يعفور، فقصد أن يرتفع لينظر في طول السماء وعرضها، فارتفع فرأى بستاناً لبلقيس، فمال إلى خضرته، فإذا بهدهد اسمه عنفير، فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحوش والرياح، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكتها بلقيس، وما أظن ملك سليمان بأعظم من ملكها، فهل أنت منطلق معي تنظر ملكها؟ فقال: أخاف أن يفقدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، فقال: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه، ونظر ملكها.

﴿ فَمَكَثَ ﴾ وقتاً ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ثم جاء. قرأ عاصم، وروح عن يعقوب:

---

(١) «وكذا» ساقطة من «ت».

(فَمَكَثَ) بفتح الكاف، والباقون: بضمها، لغتان[1]، المعنى: أن الهدهد أبطأ في غيبته قدراً يسيراً، فسأل سليمان عريفَ الطير النسرَ عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، ولا أرسلته إلى مكان، فغضب وقال لسيد الطير العقاب: عليَّ به، فارتفع في الهواء، فرأى الهدهد قد أقبل من نحو اليمن، فانقض عليه[2] فقال: بحق الذي قواك وأقدرك علي إلا رحمتني، ولم تتعرض لي بسوء، فقال: ويلك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك، فتلقته الطيور وقالت: ويلك إن نبي الله قد توعدك، وحلف ليهلكنك، قال: وما استثنى؟ قالوا: بلى، إن لم تأت بسلطان مبين، فقال: نجوت إذاً، فجاء العقابُ سليمانَ بالهدهد، وقال: قد أتيتك به، فلما قرب الهدهد، رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعاً لسليمان، فأخذ برأسه وجذبه إليه بشدة، وتهدده، فقال: يا نبي الله! اذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد وعفا عنه، ولطف به؛ خوفاً من الله تعالى، ولئلا يلحقه العجب، وهو الداء العضال، ثم سأله عما لقي في غيبته.

﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ أي: علمت ما لم تعلم، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك[3]، والإحاطة: العلمُ بالشيء من جميع جهاته.

﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ﴾ اسم أرض باليمن، أو رجل. قرأ أبو عمرو، والبزي عن ابن كثير: (سَبَأَ) بفتح الهمزة من غير تنوين، وروى قنبل عن ابن

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٣).

(٢) «عليه» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٢-٣٩٤).

كثير: بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون: بالخفض والتنوين[١]، فمن قرأ منوناً مصروفاً، جعله اسم رجل، ومن قرأ غير مصروف، جعله اسم البلد، والقراءة بإسكان الهمزة تخفيفاً، والنسابون يقولون: هو سبأ بن يشجب بن قحطان، وقد جاء في الحديث: أن النبي ﷺ سئل عن سبأ فقال: «كان رجلاً له عشرة من البنين، تيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة»[٢].

﴿بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿يَقِينٍ﴾.

***

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾.

[٢٣] قال سليمان: وما ذاك؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ أي: تملك قومها، واسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وأمها جنية؛ لأنه ما كان يرى التزوج من الإنس، ولم يكن له ولد غيرها، فملكت ملكه.

﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يليق بها من أسباب الدنيا.

﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ سرير ضخم كان مضروباً من الذهب، مكللاً بالدر

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٥٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، قال مكي عن قراءة الإسكان في الوصل: غير مختار ولا قوي.

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١١١-١١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٢٤)، عن فروة بن مسيك ـ رضي الله عنه ـ.

والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبيات، وعلى كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: «كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً»(١)، وقيل غير ذلك.

***

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا ﴾ وكانوا مجوساً ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ القبيحة ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سبيل الصواب.

﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إليه، وخفي حالها على سليمان، مع قربها منه؛ لأنه كان نازلاً بصنعاء، وهي بمأرب، وبينهما ثلاثة أميال لحكم يعلمها الله تعالى؛ ليعلم الإنسان أنه لا يعلم إلا ما عُلِّم.

***

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ ﴾ قرأ أبو جعفر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (أَلَا) بتخفيف اللام، ويقفون: (أَلَا يَا)، ويبتدئون: (اُسْجُدُوا) بهمزة مضمومة على الأمر على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا: وجعلوه أمراً من الله

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٥).

والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وقوائمه من الياقوت والزمرد، وعليه سبعة أبيات، وعلى كل بيت باب مغلق.

قال ابن عباس: «كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً»[1]، وقيل غير ذلك.

* * *

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا ﴾ وكانوا مجوساً ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ القبيحة ﴿ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ سبيل الصواب.

﴿ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إليه، وخفي حالها على سليمان، مع قربها منه؛ لأنه كان نازلاً بصنعاء، وهي بمأرب، وبينهما ثلاثة أميال لحكم يعلمها الله تعالى؛ ليعلم الإنسان أنه لا يعلم إلا ما عُلِّم.

* * *

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ ﴾ قرأ أبو جعفر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (أَلاَ) بتخفيف اللام، ويقفون: (أَلاَ يَا)، ويبتدئون: (اُسْجُدُوا) بهمزة مضمومة على الأمر على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا: وجعلوه أمراً من الله

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٥).

تعالى مستأنفاً: فحذفت همزة الوصل بعد (يا) وقبل السين من الخط على مراد الوصل دون الفصل.

قال الحافظ أبو عمرو الداني: كما حذفوها في قوله: (يَبْنَؤُمَّ) في طه على مراد ذلك.

قال ابن الجزري: أما (يا بنؤم). فقد رأيته في المصاحف الشامية من الجامع الأموي، ورأيته في المصحف[1] الكبير الذي يذكر أنه الإمام من الفاضلية بالديار المصرية. وفي المصحف المدني: بإثبات إحدى الألفين، ولعل الداني رآه في بعض المصاحف محذوف الألفين، فنقله كذلك. **وقرأ** الباقون: بتشديد اللام، و(يَسْجُدُوا) عندهم كلمة واحدة، مثل ألا يقولوا، فلا يجوز القطع على شيء منها[2]، المعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم؛ لئلا يسجدوا ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ المستتر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فخبء السماء: المطر، وخبء الأرض: النبات.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود. **قرأ** الكسائي، وحفص عن عاصم: (تُخْفُونَ) و(تُعْلِنُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[3].

* * *

---

(١) «المصحف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٨).

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴾ هو المستحق للعبادة والسجود، لا غيره، وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً، فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم.

* * *

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] فلما فرغ الهدهد، من كلامه ﴿ ۞ قَالَ ﴾ له سليمان:

﴿ سَنَنظُرُ ﴾ من نظر التأمل ﴿ أَصَدَقۡتَ ﴾ فيما أخبرت.

﴿ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ فيه(١).

* * *

﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ثم دلهم الهدهد على الماء، فاستخرج، وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علي، وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه، ثم قال له: ﴿ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة: (فَأَلْقِهْ) بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة، وقرأ أبو جعفر،

---

(١) «فيه» زيادة من «ت».

ويعقوب، وقالون، وهشام بخلاف عن الأول: (فَأَلْقِهِ) باختلاس كسرة الهاء لتدل الكسرة على الياء المحذوفة، وقرأ الباقون: بإشباع الكسرة، وصلتها بياء في الوصل[1]؛ لأن الهاء لما يتحرك ما قبلها، ثبت الحرف الذي بعدها؛ لعدم اجتماع الساكنين، المعنى: اقذفه ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إلى بلقيس وقومها.

﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنحَّ مستتراً ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردُّون من الجواب.

* * *

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)﴾.

[٢٩] فأخذ الهدهد الكتاب، وأتى بلقيس وهي نائمة في قصرها، فألقاه على نحرها، فلما رأت الخاتم، أرعدت وخضعت خوفاً؛ لأن ملك سليمان كان فيه، وعرفت أن مُلكَ المرسل إليها أعظم من ملكها، ثم تأخر الهدهد يسيراً، ثم جلست مع أشراف قومها، وكانوا اثني عشر ألفاً، ثم ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ مختوم، قال ﷺ: «كرامةُ الكتابِ خَتْمُه»[2]. واختلاف القراء في الهمزتين من (الْمَلأُ إِنِّي) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٥ـ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٤٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧٢)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٩): فيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متروك.

أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج، قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ثم قرأت عليهم ما في الكتاب، وهو: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

* * *

﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ ﴾ لا تتكبروا ﴿ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ طائعين مؤمنين.

* * *

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ثم ﴿ قَالَتْ ﴾ اختباراً لقومها وتطييباً لقلوبهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى ﴾ أشيروا علي ﴿ فِىٓ أَمْرِى ﴾ فيما عرض لي.

﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً ﴾ منفذة ﴿ أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ تحضرون. قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وابن كثير، ورويس عن يعقوب: (الْمَلأُ أَفْتُونِي) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وهي أن تبدل واواً محضة، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٠).

الهمزتين[1]، [وما ذكر من تسهيل إحدى الهمزتين][2] إنما هو في حالة الوصل، فإذا وقفت على الكلمة الأولى، وبدأت بالثانية، حققت الهمز في ذلك لجميع القراء، وأثبت يعقوب الياء بعد النون في (تَشْهَدُونِي)، وحذفها الباقون[3].

* * *

﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ مجيبين لها: ﴿ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ ﴾ في الأجساد والآلات.

﴿ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ شجاعة ونجدة في الحرب، وهذا تعرض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك.

﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ في القتال وتركه.

﴿ فَٱنظُرِى ﴾ من الرأي ﴿ مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فنحن لك تبع.

* * *

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] فأومأت إلى المسالمة، و﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً ﴾ قهراً ﴿ أَفْسَدُوهَا ﴾ بالتخريب.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١).

﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۖ ﴾ ليستقيم أمرهم، تحذرهم مسير سليمان إليهم، وتناهى الخبر عنها هاهنا، فصدق الله تعالى قولها.

فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ أي: كما قالت.

* * *

﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥ ﴾.

[٣٥] وكانت بلقيس امرأة لبيبة، قد سيست وساست، وعرفت تدبير الملك، فأرادت أن تداري عن بلدها، فقالت للملأ من قومها: ﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ ﴾ أختبر بذلك سليمان، إن كان ملكاً، أخذ الهدية وانصرف، وإن كان نبياً لم يأخذها، ولم نأمنه على بلادنا.

﴿ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ ﴾ أي: بأي شيء.

﴿ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ من قبول الهدية أو ردها، وما يقال لهم. وقف يعقوب والبزي: (بِمَهْ) بزيادة هاء بعد الميم بخلاف عنهما[١]، والهدية: اسم للشيء المعطى بملاطفة ورفق.

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ﴾.

[٣٦] فأهدت بلقيس لسليمان وُصَفاءَ ووصائفَ، وألبستهم لباساً واحداً لئلا يُعرفوا، وكان عددهم خمس مئة جارية، وخمس مئة غلام، وأربع

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥١) عن البزي.

لبنات، كل لبنة مئة رطل من ذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً، وحقة فيها درة ثمينة، وخرزة جزعية معوجة الثقب، وكتبت كتاباً فيه نسخة الهدايا، وقالت فيه: إن كنت نبياً، فميز بين الوصفاء والوصائف، وأخبر بما في الحقة قبل فتحها، واثقب الدرة ثقباً مستوياً من غير علاج إنس ولا جن، وأمرت الغلمان أن يكلموه بكلام فيه لين شبه كلام النساء، والجواري بكلام فيه غلظة شبه كلام الرجال، وأرسلت الهدية مع المنذر بن عمرو من قومها ذي لب ورأي، وضمت إليه رجالاً من قومها، وقالت له: انظر إليه، فإن نظر إليك نظر غضب، فاعلم أنه مَلِك، فلا يهولنك منظره، وإن رأيته هشاً لطيفاً، فاعلم أنه نبي كريم، فتفهم قوله، ورد الجواب كما سمعت. فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد نحو سليمان مسرعاً يخبره الخبر، فأمر سليمان أن يضربوا لبنات الذهب والفضة، وأن يبسطوها من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميداناً واحداً، وأن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللبنات خالياً، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، ثم أمر الجن فجاؤوا بأحسن دواب البحر، فجعلها مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله، وجلس هو في الميدان، وحوله الجن والإنس والشياطين والطير والوحش، فجعل الرسل يمرون بكراديس الجن والإنس والشياطين، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً، وكل الأرض مفروشة، خافوا أن يُتهموا بذلك، فطرحوا ما معهم في ذلك المكان، وتقاصرت نفوسهم لما رأوا ما لم تر أعينهم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ﴾ رسلها ﴿ سُلَيْمَـٰنَ﴾ نظر إليهم بوجه حَسَنٍ طَلْق، وقال: ما وراءكم؟ فأخبر الخبر، وأعطي كتابها، فنظر فيه فقال: أين الحقة؟ فجيء بها، فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وجزعة معوجة الثقب،

فأمر سليمان الأرضة، فأخذت شعرة ودخلت في الدرة حتى خرجت من الجانب الآخر، ودخلت دودة أخرى بخيط في الخرزة المثقوبة حتى خرجت من الجانب الآخر، فجمع بين طرفيه، وختمه، ودفعها إليهم، وميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم بغسل وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها وتجعله على اليد الأخرى، والغلام يأخذ من الآنية يضرب به وجهه، فلما اعتبر الهدية.

﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾ أتزيدونني ﴿بِمَالٍ﴾ وأكثر استعمال الإمداد في المحبوب، والمد في المكروه.

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا، ثم أضرب عن إنكاره عليهم مبيناً سبب حملهم على الإمداد.

فقال: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا[1]، المعنى: إن الله تعالى أعطاني نبوة وملكاً لا مزيد عليه، فلا حاجة بي إلى دنياكم، بل حاجتي إلى إيمان قومكم. قرأ حمزة، ويعقوب: (أَتُمِدُّونِّي) بنون واحدة مشددة وإثبات الياء، وقرأ الباقون: بنونين خفيفتين، وأثبت الياء وصلاً نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وفي الحالين: ابن كثير، ويعقوب، وحمزة[2]، إلا أن حمزة ويعقوب يدغمان النون كما تقدم، وقرأ نافع،

---

(١) «الدنيا» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٢).

وأبو جعفر، وأبو عمرو، وحفص، ورويس: (آتَانِيَ اللَّهُ) بفتح الياء وصلاً، وقف عليها بالياء يعقوب، وحذفها ورش وقفاً، واختلف في الوقف عن أبي عمرو، وقالون، وقنبل، وحفص، وحذفها الباقون في الحالين، وقرأ الكسائي: (آتَانِي اللَّهُ) بالإمالة[1].

* * *

﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) ﴾.

[٣٧] ثم قال سليمان للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ أي: لا طاقة لهم بهم. قرأ حمزة، ويعقوب: (إِلَيْهُمْ) بضم الهاء حيث وقع[2]، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه: يصلون الميم بواو حيث وقع، وقرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (لاَ قِبَل لَّهُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[3].

﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا ﴾ من سبأ ﴿ أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ إن لم يأتوا مسلمين.

فلما رجع رسلها إليها، قالت: قد عرفت أنه ليس بملك، وما لنا به من طاقة، وأرسلت إليه: أني قادمة عليك، وجعلت سرائرها داخل سبعة

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٣).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٦) من سورة الفاتحة.

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٤).

أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليه حرساً، وارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف قَيْلٍ، مع[1] كل قَيْلٍ ألوف كثيرة.

* * *

﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] وكان سليمان رجلاً مَهِيباً لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه، فجلس يوماً على سريره، فرأى رهجاً وجمعاً جماً على فرسخ عنه، فقال: ما هذا؟ قال: بلقيس بجنودها، فأقبل حينئذ سليمان على جنوده، و﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ فيحرم علي أخذه منها[2]. واختلاف القراء في الهمزتين من ﴿ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ﴾ كاختلافهم فيهما من ﴿ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى﴾ [يوسف: ٤٣ والنمل: ٣٢].

* * *

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ هو المارد القوي ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ والإنس، مأخوذ من العفر، وهو التراب، فكأنه يصرع قرنه عليه من الخبر، واسمه كوذي:

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك الذي تقضي فيه، وكان يجلس إلى القضاء إلى نصف النهار.

---

(١) «مع» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٩ـ٤٠١).

﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ على ما فيه من درر وجوهر.

***

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] فقال سليمان: أسرع من هذا ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: من كتابها إليه، وهو آصف بن برخيا، وكان صِدّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وهو يا حي يا قيوم، وقيل غيره[١]، وكان بينه وبين عرشها مقدار شهرين:

﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ أي: تحريك أجفانك إذا نظرت. قرأ حمزة، وخلف بخلاف عن خلاد: (آتِيكَ) بإمالة فتحة الهمزة في الحرفين[٢]. رُوي أن آصف قال لسليمان: أرسل طرفك، فنظر نحو اليمين، فدعا آصف، فسار الكرسي تحت الأرض، ونبع لدى سليمان قبل أن يرجع إليه طرفه[٣].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٣)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٠٢)، و«روح المعاني» للآلوسي، (١٩/ ٢٠٣) وذكر الآلوسي رحمه الله الاختلاف في الذي قال ذلك وناقش مسألة طلب سليمان أن يأتوه بالعرش دون أن يحضره هو بنفسه.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٨) عن وهب بن منبه.

﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ ثابتاً لديه، وحُمل إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ أي: حصول مرادي ﴿ مِن فَضْلِ رَبِّي ﴾ عليَّ.

﴿ لِيَبْلُوَنِيٓ ﴾ ليختبرني ﴿ ءَأَشْكُرُ ﴾ النعمة ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ بكون غيري أعلم مني.

﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ لأن نفع شكره عائد عليه؛ لأن الشكر قيد النعمة الموجودة، وصيد النعمة المفقودة.

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ بترك الشكر على النعمة ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ ﴾ عن شكرهم ﴿ كَرِيمٌ ﴾ ذو فضل على الشاكر والكافر. وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في (رَآهُ عِنْدَهُ) ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ ﴾ [النمل: ١٠]، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (لِيَبْلُوَنِيَ) بفتح الياء الأخيرة، والباقون: بإسكانها[١]، واختلافهم في الهمزتين من (أَأَشْكُرُ) كاختلافهم فيهما من (أَأَنْتَ فَعَلْتَ) في سورة الأنبياء [الأنبياء: ٦٢].

* * *

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ولما جاءت بلقيس، خاف الجن أن تفشي سرهم إلى سليمان؛ لأن أمها كانت جنية[٢]، وأن يتزوجها سليمان، فتلد له ولداً فلا ينفكون من

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٥).

(٢) قال الماوردي: وهذا مستنكر للعقول؛ لتباين الجنسين واختلاف الطبعين؛ إذ الآدمي جسماني والجني روحاني، وهذا من صلصال كالفخار، وذاك من مارج من نار، والامتزاج مع هذا التباين مدفوع، والتناسل مع هذا الاختلاف ممنوع. ورده=

التسخير، فقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإنها شَعْراء الساقين، وإن حافرها كحافر حمار، قال سليمان:

﴿نَكِّرُواْ﴾ غيروا ﴿لَهَا عَرْشَهَا﴾ بأن تجعلوا أعلاه أسفله، ومكان الجوهر الأحمر أخضر، وبالعكس.

﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ إلى معرفته.

﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ فغير عرشها لاختبار عقلها.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾ بلقيس ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ عرفته، لكن شبهت عليهم، لم تقل: نعم؛ خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا؛ خوفاً من التكذيب، فعرف سليمان كمال عقلها؛ حيث لم تقر ولم تنكر.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا﴾ من تتمة كلام بلقيس؛ أي: آمنا بالآيات المتقدمة من أمر الهداية والرسل من قبل هذه المعجزة في العرش.

﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ طائعين له لما أخبرنا بما اقترحنا عليه من الدلالة على نبوته، وقيل: هو من كلام سليمان ـ عليه السلام ـ على جهة تعديد نعم الله

= القرطبي كما في «تفسيره» (١٣/ ٢١٣). وفي حلِّ نكاح الإنس للجن خلاف، ففي «الفتاوى السراجية» للحنفية: لا تجوز المناكحة بين الإنس والجن وإنسان الماء؛ لاختلاف الجنس، وفي «فتاوى البارزي» من الشافعية: لا يجوز التناكح بينهما، ورجَّح ابن العماد جوازه. كذا في «فيض القدير» للمناوي (١/ ١٨٦).

عليه وعلى آبائه؛ أي: وأوتينا العلم بالله تعالى وقدرته على ما يشاء من قبل هذه الآيات، وكنا مسلمين منقادين لحكمه، لم نزل على دينه.

* * *

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَصَدَّهَا ﴾ الله بتوفيقها للإسلام عن عبادة ﴿ مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهي الشمس، وقيل: المعنى: وصدها منعَها من الإيمان قبل ذلك ما كانت تعبد من دون الله.

﴿ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ يعبدون الشمس، فنشأت فيهم، ولم تعرف إلا عبادتها.

* * *

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ولما أراد سليمان أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفهم لما قيل له: إن رجليها كحافر الحمار، وهي شعراء الساقين(١)، وليريها ملكاً أعظم من ملكها، أمر الشياطين فبنوا له صرحاً؛ أي: قصراً من زجاج؛ كأنه الماء بياضاً، وجعل صحن الدار قوارير، وجعل تحته أمثال الحيات والضفادع، فإذا رئي، ظن ماء حقيقة، ووضع سريره في صدر

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٤)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٠٧).

الصحن، وجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ودعا بلقيس، فلما جاءت ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ﴾ القصر.

﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ﴾ هي معظم الماء، ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ لتنجو منه إلى سليمان، فنظر سليمان، فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، إلا أنها كانت شَعراء الساقين. قرأ قنبل عن ابن كثير: (سَأْقَيْهَا) بالهمز الساكن؛ لجواز أن يكون من العرب من يهمز مفرد ساق وجمعه، والباقون: بغير همز(١)، فلما رأى سليمان ذلك، صرف بصره عنها.

ثم ﴿ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ ﴾ بنيان مملس ﴿ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ من زجاج، وليس بماء حقيقة، ثم دعاها إلى الإسلام، فأجابت، و﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بعبادتي غيرك.

﴿ وَأَسْلَمْتُ ﴾ أي: وقد أسلمت ﴿ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ أخلصت له التوحيد.

وأراد سليمان تزوجها، فكره شعر ساقيها، فسأل الإنس: ما يذهب هذا؟ قالوا: الموسى، فقال: إنها تقطع ساقيها، فسأل الجن، فقالوا: لا ندري، ثم سأل الشياطين، فقالوا: نحتال لك حتى تصير كالفضة البيضاء، فأخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ، ويقال: إن الحمام الذي ببيت المقدس بباب الأسباط إنما بني لها، وإنه أول حمام بني على وجه الأرض، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٧).

وأقرها على ملكها، وأمر الجن فابتنوا بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وولدت له فيما ذكر، وتقدم ذكر سليمان وقدر عمره ومدة ملكه ومحل قبره وتاريخ وفاته في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [الآية: ١٠٢].

***

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي: بأن.

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحِّدوه.

﴿فَإِذَا هُمْ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿فَرِيقَانِ﴾ مؤمن وكافر.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كلٌّ: الحقُّ معي.

***

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ أي: العذاب الذي يوعدون به.

﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ قبل التوبة؛ لأنهم كانوا يعتقدون لجهلهم أن العذاب

إذا نزل بهم تنفعهم توبتهم، فيصرون على كفرهم، فأومأ صالح إلى بطلان اعتقادهم بقوله:

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلاَّ ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من كفركم قبل نزول العذاب بكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإن العذاب إذا نزل لا يرفع.

***

﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله: تطيرنا؛ أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ من المؤمنين؛ أي: أصابنا بسببكم شؤم، وهو القحط، وتفريق كلمتنا، وأصل التطير: أن الرجل كان إذا سافر، مر بطائر، فزجره، فإن مر سانحاً، وهو الذي ولاه مياسره، فلا يتمكن من رميه، فيتشاءم به، ثم استعمل في كل ما يُتشاءم به.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾ أي: السبب الذي يجيء منه خيركم وشركم.

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يأتي به إلا هو تعالى، وسمي طائراً؛ لسرعة نزوله، ولا شيء أسرع من قضاء محتوم.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تختبرون بالخير والشر.

***

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي الحِجْر ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: أنفس،

والرهط: مادون العشرة، وليس فيهم امرأة، وتقدم الكلام عليه في سورة هود[1]، وأسماؤهم: رأب، وغلم، والهذيل، ومصدع، وشحيط، ولحيط، وسالف، وقدار، وسمعان رأس الماكرين.

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة، وهم غواة قوم صالح، ورأسهم قدار بن سالف، وهو الذي تولى عقرها، كانوا يعملون بالمعاصي.

***

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)﴾.

[٤٩] ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا﴾ تحالفوا ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ لنقتلنه ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي: قومه الذين أسلموا معه، البيات: مباغتة العدو ليلاً.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ أي: ولي دمه:

﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي: إهلاكهم.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا، ووجه دعواهم الصدق، وقد جحدوا ما فعلوا بهم: أنهم اعتقدوا أنهم إذا بيتوا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لَتُبَيِّتُنَّهُ) (ثُمَّ لَتَقُولُنَّ) بالتاء فيهما، وضم التاء الثانية في الأول، وضم اللام الثانية في الثاني؛ أي: يأمر بعضهم بعضاً بالتحالف على إهلاك صالح وأهله ليلاً؛ من البيات، وقرأ الباقون: بالنون في الفعلين وفتح التاء واللام إخباراً عن أنفسهم[2]، وقرأ أبو بكر عن عاصم: (مَهْلَكَ) بفتح الميم

(١) عند تفسير الآية (٩٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، =

واللام؛ أي: هلاك أهله، وقرأ حفص: بفتح الميم وكسر اللام، والباقون: بضم الميم وفتح اللام[1]، وتقدم معناه.

***

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا ﴾ أي: غدروا غدراً حين قصدوا تبييتَ صالح والفتكَ به.

﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ أي: جازيناهم جزاء مكرهم ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ مرادنا منهم.

***

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (أَنَّا) بفتح الهمزة رداً على العاقبة؛ أي: كانت العاقبة أنا دمرناهم، وقرأ الباقون: بالكسر على الاستئناف[2]، المعنى: أن أولئك التسعة أرادوا الفتك بصالح وأهله، فأهلكناهم.

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٨).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٥٩).

قال ابن عباس: «أرسل الله الملائكة تلك الليلة[1] إلى دار صالح يحرسونه، فأتى التسعةُ دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلتهم»[2] ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أهلكهم الله بالصيحة.

* * *

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ نصب على الحال؛ أي: خالية.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ بسبب ظلمهم وكفرهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتنا.

* * *

﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصي، وهم صالح ومن نجا معه من العذاب، وكانوا أربعة آلاف.

* * *

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿وَلُوطًا﴾ أي: واذكر لوطاً.

---

(١) «الليلة» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٨).

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار.

﴿ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ بقلوبكم أنها خطيئة وفاحشة.

* * *

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ عاقبة فعلكم. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِنَّكُمْ) كاختلافهم فيهما من (أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً) في سورة الشعراء [الآية: ٤١].

* * *

﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن إتيان الذكور.

* * *

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا ﴾ بتخفيف الدال؛ أي: جعلناها، وقرأ الباقون: بتشديد الدال[1]؛ أي: قدرنا عليها؛ من القدر والقضاء.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٠).

﴿ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ الباقين في العذاب، وغَبَر بمعنى: بقي، وقد يجيء أحياناً في بعض كلام العرب يوهم أنه بمعنى مضى.

* * *

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ وهي حجارة السجيل، أهلكت جميعهم.

قال ابن عطية: وهذه الآية أصلاً لمن جعل من الفقهاء الرجم في اللوطية، وبها تأنس؛ لأن الله عذبهم على كفرهم به، وأرسل عليهم الحجارة لمعصيتهم، ولم يقس هذا القول على الزنا، فيعتبر الإحصان[(١)]. وتقدم الكلام على ذلك مستوفىً في سورة النساء، وملخصه: أن مذهب مالك -رحمه الله- رجم الفاعل والمفعول به، أحصنا أو لم يحصنا، ومذهب الشافعي وأحمد حكمه كالزنا، فيه الرجم مع الإحصان، والجلد مع عدمه، ومذهب أبي حنيفة: يعزر، ولا حد عليه؛ خلافاً لصاحبيه، وعن أحمد رواية أن من تلوط بغلام، قُتل، بكراً كان أو ثيباً؛ لقوله ﷺ: «من وجدتموه يعملُ عملَ قومِ لوط، فاقتلوا الفاعلَ والمفعولَ به»[(٢)]، ولكن

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٢٦٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٤٦٢)، كتاب: الحدود، باب: فيمن عمل عمل قوم لوط، والترمذي (١٤٥٦)، كتاب: الحدود، باب: ما جاء في حد اللوطي، وابن ماجه (٢٥٦١)، كتاب: الحدود، باب: من عمل عمل قوم لوط، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٠)، وغيرهم عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.

الصحيح من مذهبه الأول ﴿فَسَآءَ﴾ فبئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ثم أمر الله محمداً ﷺ بحمده، ثم بالسلام على خير خلقه، فقال:

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ هم الرسل.

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أجمع القراء على مد (آللَّهُ)؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل؛ لتفرق بين الاستفهام والخبر، وأجمعوا على عدم تحقيقها؛ لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت بالابتداء، وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته، فقال كثير منهم: تبدل ألفاً خالصة، وقال آخرون: تسهل بين بين[1]، وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (يُشْرِكُونَ) بالغيب إخباراً عن الكفار، وقرأ الباقون: بالخطاب[2]، المعنى: آلله أنفع لعابديه، أم الأصنام لعابديها؟ وهذا إلزام لهم، وتبكيت، لا أن في أصنامهم خيراً.

* * *

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦١).

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: عبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فهو رد مردود على ما قبله من المعنى المتقدم، وفيه معنى التوبيخ لهم، والتنبيه على قدرة الله تعالى، وعجز آلهتهم.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنْزَل لَّكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[١].

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي: حُسن، تبهج من رآها. وقف الكسائي (ذَاهْ) بالهاء[٢].

﴿مَّا كَانَ﴾ أي: ما ينبغي ﴿لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ لأنكم لا تقدرون عليها.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ استفهام على طريق الإنكار؛ أي: هل معه معبود سواه أعانه على صنعه؟ ﴿بَلْ﴾ ليس معه إله ﴿هُمْ قَوْمٌ﴾ يعني: كفار مكة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ يشركون. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَإِلَهٌ) كاختلافهم

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٢).

فيهما من (أَإِنَّكُمْ) حيث وقع، وتقدم التنبيه عليه قريباً.

* * *

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ يُستقر عليها.

﴿ وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ ﴾ أي: وسطها ﴿ أَنْهَٰرًا ﴾ تطرد بالمياه.

﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابت.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ العذب والمالح.

﴿ حَاجِزًا ۗ ﴾ مانعاً لا يختلط أحدهما بالآخر.

﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيدَ الله، فلا يؤمنون.

* * *

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ ﴾ المجهود الذي مسه الضر.

﴿ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ الضر.

﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ﴾ أي: سكان.

﴿ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ ﴾ بعد هلاك المتقدمين.

﴿ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا ﴾ الذي خلقكم بهذه النعمة؟!

﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ والمراد نفي التذكر؛ لأن القلة تستعمل بمعنى

النفي. قرأ أبو عمرو، وهشام عن ابن عامر، وروح عن يعقوب: (يَذَّكَّرُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1]، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: على أصلهم في تخفيف الذال.

***

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63)﴾.

[٦٣] ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ بالنجوم.

﴿فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ليلاً، وبعلامات الأرض نهاراً.

﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: (الرِّيحَ) على الإفراد، وقرأ الباقون: (الرِّيَاحَ) على الجمع[2].

﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قدام المطر، وتقدم الكلام على (نُشْراً)، واختلاف القراء فيها، وتوجيه قراءتهم في سورة الفرقان عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ [الآية: ٤٨].

﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يقدر على فعل ذلك ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

***

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٨-٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٣).

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ للبعث.

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات.

﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يفعل ذلك.

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ حجتكم على دعواكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في إشراككم، والاستفهام في جميع هذه الآيات توبيخ لا استرشاد.

* * *

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ولما سأل المشركون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة، نزل قوله تعالى:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١] رفع بدل من (مَنْ)؛ لأنه فاعل (يَعْلَمُ) تقديره: لا يعلم إلا اللهُ الغيبَ في السموات، فأعلم الله تعالى أنه لا يعلم وقت الساعة سواه، وجاء بلفظ يعم الساعة وغيرها.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني: البشر ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤١١).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «من زعم أن محمداً ﷺ يعلم الغيب، فقد أعظم على الله الفِرْية»[1].

***

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦ ﴾.

[٦٦] ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ (بل) بمعنى: هل. قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (أَدْرَكَ) بقطع الهمزة مفتوحة وإسكان الدال من غير ألف مفتوحة وألف بعدها[2] وأصله: تدارك، أدغمت التاء في الدال؛ أي: تتابع واجتمع علمهم بحدوث الآخر، فليس من اختص بشيء من علمها فهم جهالة بها.

﴿ بَلۡ هُمۡ ﴾ اليوم في الدنيا ﴿ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ ﴾ من الساعة.

﴿ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴾ جمع عمي؛ أي: عنها عمون بقلوبهم.

***

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾ من قبورنا؟ قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِذَا) بكسر الألف على

(١) رواه البخاري (٦٩٤٥)، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾، ومسلم (١٧٧)، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٥).

الخبر (أَئِنَّا) على الاستفهام، ويحققان الهمزة الأولى، ويسهلان الثانية، وأبو جعفر وقالون: يفصلان بينهما بألف، وابن عامر، والكسائي: (أئذا) بالاستفهام في الأول مع تحقيق الهمزتين وبالإخبار في الثانية مع زيادة نون فيه فيقولان (إنّا لمخرجون)، وهشام راوي ابن عامر يفصل بألف في الاستفهام مع تحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بالاستفهام فيهما، فابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب يحققون الأولى، ويسهلون الثانية، ويفصل بينهما أبو عمرو بألف، وعاصم، وحمزة، وخلف، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين[1].

* * *

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٦٨) ﴾.

[٦٨] ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا ﴾ أي: البعث الذي تَعِدُنا به ﴿ نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل محمد ﷺ، وليس ذلك بشيء ﴿ إِنْ هَٰذَآ ﴾ أي: ما هذا.

﴿ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها.

* * *

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٦٩) ﴾.

[٦٩] ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ تهديد لهم بأن ينزل بهم ما نزل بالمكذبين من قبلهم.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٧).

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ في تكذيبهم وإعراضهم.

﴿ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ أي: لا تهتم بتدبيرهم الحيل في إهلاكك، فأنا كافيك وناصرك عليهم. قرأ ابن كثير: (ضِيْقٍ) بكسر الضاد؛ أي: شدة، والباقون: بالفتح؛ أي: غمٌّ(١).

***

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ العذاب الموعود.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أن العذاب ينزل بالتكذيب.

***

﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾ اللام زائدة؛ أي: ردفكم، المعنى: دنا وقرب منكم.

﴿ بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ من العذاب، فحل بهم عذاب يوم بدر.

***

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ حيث إنه لم يعجل عقوبتهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٨).

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ النعمة.

***

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾ تُخفي.

﴿ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الكفر.

***

﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ الغائبة: اسم لكل مستتر، المعنى: ليس شيء في الوجود.

﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ، أثبته تعالى ويعلمه.

***

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ولما اختلف أهل الكتاب في دينهم، وفي عيسى عليه السلام، نزل:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ ﴾[١] المنزل على محمد ﷺ.

﴿ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الذين هم في زمان محمد ﷺ ﴿ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ لأنه مذكور فيه.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤١٣).

﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي : القرآن ﴿ لَهُدًى ﴾ لمن اتبعه .

﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنهم المنتفعون به .

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى ﴾ يفصل ﴿ بَيْنَهُم ﴾ أي : بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة ﴿ بِحُكْمِهِۦ ۚ ﴾ بعدله .

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فلا يرد حكمه .

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم وبحقيقة ما يقضي فيه .

* * *

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

[٧٩] ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ فإنه ناصرك عليهم .

﴿ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الدين الواضح ، وهو الإسلام .

* * *

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

[٨٠] ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ يعني : الكفار .

﴿ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ معرضين ، لما كانوا لا يعون ما يسمعون ، ولا ينتفعون به ، سماهم موتى صماً وعمياً . قرأ ابن كثير : (وَلاَ يَسْمَعُ) بالياء وفتح الميم (الصُّمُّ) بالرفع فاعلاً ، ونصب (الدُّعَاءَ)

مفعولاً، وقرأ الباقون: بالتاء وضمها وكسر الميم ونصب (الصُّمَّ) و(الدُّعَاءَ) مفعولين، والفاعل مضمر[1]، المعنى: لا تقدر يا محمد على هدايتهم. واختلاف القراء في الهمزتين من (الدُّعَاءَ إِذَا) كاختلافهم فيهما من (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢].

* * *

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ ﴾ قرأ حمزة: (تَهْدِي) بالتاء وفتحها وإسكان الهاء من غير ألف[2]، ونصب (العُمْيَ) مفعولاً، وقرأ الباقون: بالباء وكسرها وفتح الهاء وألف بعدها، وجر (العُمْيِ)[3]، ووقف يعقوب (بِهَادِي) بإثبات الياء[4]، تلخيصه: لا سبيل إلى هداية هؤلاء عن ضلالتهم؛ حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر.

﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ القرآن ﴿ فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ مخلصون.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٦٩).

(٢) «ألف» ساقطة من: «ش».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٠).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٠).

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾ أي: وجب العذاب.

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ من ظهور أشراط الساعة.

﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ قيل: هي رجل، وأكثرهم: هي دابة، وظهورُها من أشراط الساعة.

قال ابن عباس: «هي ذات زغب وريش، لها أربع قوائم»[١].

روي أن لها رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، ولون نمر، وصدر أسد، وخاصرة هر، وقرن إيل، وقوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً[٢].

في الحديث: أن طولها ستون ذراعاً.

وعنه ﷺ: «أنها تخرج من الصفا أول ما يبدو رأسها ذات وبر وريش، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب»[٣]، وروي غير ذلك.

﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ قال ابن عباس: «تكلم المؤمن والكافر»[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٠٦٦)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣/ ١٩)، و«الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٤)، عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٦)، بلفظ: «تُكلِّم المؤمنَ، وتُكَلِّم الكافرَ».

﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (أَنَّ النَّاسَ) بفتح الألف؛ أي: تخبر الدابة من رآها أن أهل مكة ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ بمحمد والقرآن ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ وقرأ الباقون: بالكسر على الاستئناف[1]؛ أي: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون: لا يصدقون.

* * *

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَحْشُرُ﴾ نجمع.

﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: من كل قرن من الناس متقدم؛ لأن كل عصر لم يَخْلُ من كَفَرة بالله، من لدن تفرق بني آدم، (مِنْ) للتبعيض، والمراد: الرؤساء.

﴿فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن، و(مِنْ) للتعيين؛ لأن جميع الكفار مكذبون.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبس أولهم على آخرهم، فيحشر رؤساء الأمم بين يدي أممهم إلى الموقف حتى يجتمعوا، ثم يساقون إلى النار.

* * *

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (١/ ٣٧١).

[٨٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى تهديداً لهم:

﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ أي: كذبتم بها غير عالمين بها، ولم تتفكروا في صحتها، بل كذبتم جاهلين، ونصب (عِلْماً) على التمييز.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أم أي شيء كنتم تعملون بعد ذلك؟ وهو للتبكيت؛ إذ لم يفعلوا غير التكذيب.

* * *

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ وجب العذاب.

﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ بتكذيبهم بآيات الله.

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ باعتذار لختم أفواههم.

* * *

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ﴾ أي: خلقناه.

﴿لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ بالنوم والقرار.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئاً، تُبْصَر فيه الأشياء.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون فيعتبرون.

* * *

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ هو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام.

﴿ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا.

روي أن النفخات ثلاث: الأولى نفخة الصور للفزع، والثانية نفخة الصعق للموت، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين للبعث، وهذه النفخة الأولى، المعنى: إذا نفخ في الصور، مات من شدة النفخة جميع الخلائق.

﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ من ثبت عليه من الملائكة، ثم يموتون بعد ذلك، وقيل الاستثناء: فيمن قضى الله من ملائكته وأنبيائه وشهداء عبيده أن ينالهم نوع الفزع في الصور، قال ﷺ: «ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان ممن استثنى الله، أم رفع رأسه قبلي؟ ومن قال: أنا خير من يونس بن متّى، فقد كذب»(١).

﴿ وَكُلٌّ ﴾ أي: جميع الخلائق ﴿ أَتَوْهُ ﴾ قرأ حمزة، وخلف، وحفص عن

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٣)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، ومسلم (٢٣٧٧)، كتاب: الفضائل، باب: في ذكر يونس ـ عليه السلام ـ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وهذا سياق رواية البغوي في «تفسيره» (٣/ ٤١٩).

عاصم: (أَتَوْهُ) بفتح التاء وقصر الهمزة على صيغة الفعل الماضي؛ أي: جاؤوا لأمر الله؛ أي: أجابوه، وقرأ الباقون: بمد الهمز وضم التاء على وزن فاعِلُوه:[1] اسم فاعل من المجيء.

﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

* * *

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

[٨٨] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ واقفة؛ من جمدَ مكانَه.

﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ المعنى: إذا رأيت الجبال وقت النفخة الأولى، ظننتها ثابتة في مكان واحد؛ لعظمتها؛ لأن النظر لا يحيط بها، وهي في الحقيقة تسير سيراً سريعاً كالسحاب إذا ضربته الريح.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ أي: فعلَه ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أحكمَه.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ من الأفعال الباطنة والظاهرة، فيجازيهم عليها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وهشام: (يَفْعَلُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[2].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٩ـ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٢ـ٣٧٣).

(٢) المصادر السابقة.

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩﴾.

[٨٩] ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ وهي قول: لا إله إلا الله ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ قال ابن عباس: «فمنها يصير الخير إليه»(١)؛ يعني: له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما أن يكون له شيء خير من الإيمان، فلا؛ فإنه ليس شيء خيراً من قول: لا إله إلا الله.

﴿وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ قرأ الكوفيون: (فَزَعٍ) بالتنوين (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم؛ أي: فزع شديد، وقرأ الباقون: بغير تنوين على إضافة (فَزَعِ) إلى (يَوْمِئِذٍ)؛ لأنه أعم؛ فإنه يقتضي الأمن من فزع ذلك اليوم، ويفتح نافع وأبو جعفر ميم (يَوْمَئِذٍ)، ويكسرها الباقون(٢).

* * *

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾.

[٩٠] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الشرك ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ أي: ألقوا رؤوسهم.

﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ ويقال لهم تبكيتاً:

﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ من المعاصي والشرك؟!

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٥)، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٣٨٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٣-٣٧٤).

﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ ﴾ .

[٩١] ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ ﴾ أي: قل يا محمد لقومك: إنما أمرت.

﴿ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ﴾ يعني: مكة ﴿ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي: جعلَها حرماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم أحد، ولا يصاد صيد ﴿ وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ ﴾ بالملك والعبودية.

﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ أي: عابداً لله.

* * *

﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ ﴾ .

[٩٢] ﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ ﴾ واتل معناه: تابعْ بقراءتك بين آياته، واسرُدْ.

﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ إلى الإسلام ﴿ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾ أي: فلنفسه ثوابه.

﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ عن الإيمان، وأخطأ طريق الهدى.

﴿ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ المخوِّفين، فليس علي إلا التبليغ للرسالة، وهذا نُسخ بآية السيف.

* * *

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٣ ﴾ .

[٩٣] ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ على نعمه ﴿ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ وعدٌ بعذاب الدنيا؛ كبدر والفتح ونحوهما، وبعذاب الآخرة.

﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ﴾ أنها آيات الله حين[1] لا تنفع المعرفة.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (تَعْمَلُونَ) بالخطاب للكفار، وقرأ الباقون: بالغيب إخباراً عنهم[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «حين» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٣٧٥).

سورة القصص

مكية، إلا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: ٥٢ إلى ٥٥]، وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة بالجحفة وقت هجرة النبي ﷺ، وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [الآية: ٨٥]، وآيها: ثمان وثمانون آية، وحروفها: خمسة آلاف وثماني مئة حرف، وكلمها: ألف وأربع مئة وإحدى وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿طسٓمٓ﴾ تقدم الكلام عليه ومذاهب القراء فيه أول الشعراء.

* * *

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآنُ مبينٌ للأحكام.

* * *

﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ نقص عليك شيئاً من خبرهما.

﴿ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق الذي لا شك فيه.

﴿ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ يصدقون بأن ما تأتيهم به صدق.

* * *

﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾ استكبر وتجبر ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مصر.

﴿ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا﴾ فرقاً مختلفة في خدمته.

﴿ يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ هم بنو إسرائيل، ثم فسر الاستضعاف فقال:

﴿ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ﴾ والسبب في ذلك: أن كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكُك على يده، فطمع بجهله أن يرد القدر، وسُمي: هذا استضعافاً؛ لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ فكذلك اجترأ على خلق كثير من أولاد الأنبياء كما تقدم في سورة البقرة لتخيل فاسد.

* * *

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: بني إسرائيل، يستضعفهم فرعون، ونحن نريد أن ننعم ونعظم المن عليهم، ولما كانت إرادة الله تعالى بالمنة عليهم بالنجاة وغيرها كائنة لا محالة،

جعلت الإرادة كأنها مقارنة استضعافهم.

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ قادةً يقتدى بهم في الخير. وتقدم اختلاف القراء في (أَئِمَّةً) في سورة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً ﴾ [الآية: ٧٣].

﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ أملاكَ فرعونَ والقبط.

***

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ نوطِّنَ لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها لهم مستقراً.

﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم ﴾ من بني إسرائيل.

﴿ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ يتوقَّون مما أخبرهم به الكاهن؛ أي: سيظهر للقبط ما كانوا يخافونه. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَيَرَى) بالياء وفتحها، وإمالة فتحة الراء بعدها، ورفع الأسماء الثلاثة فاعلين، وقرأ الباقون: بالنون وضمها وكسر الراء، ونصب الأسماء الثلاثة مفعولاً(١).

***

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ يوخابد بنت لاوا، وحيَ إلهام لا نبوة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦).

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنك إخفاؤه، ولما وضعت موسى أمه، وخرجت القابلة من عندها، رآها بعض العيون، فقالت أخته: هذا الحرسي بالباب، فألقته أمه في التنور وهو يُسْجَر، فدخلوا فقالوا: ما شأن هذه القابلة عندك؟ قالت: هي مصافية لي فأرضعته ثمانية أشهر، وقيل: أربعة، وقيل: ثلاثة.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتلَ ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ البحر، والمراد هنا: النيل.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الغرق ولا الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ على فراقه.

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ لتربيه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فجمع في[1] هذه الآية بين أمرين ونهيين، وخبرين وبشارتين، والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف غم يلحق لمتوقع، والحزن خوف يلحق لواقع، فخافت عليه، فوضعته في تابوت مطبق، ثم ألقته في النيل ليلاً[2].

* * *

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] وكان لفرعون ابنة يحبها، وبها برص، فوصفوا لها ريق حيوان شبه الإنسان يخرج من النيل يوم كذا عند طلوع الشمس، تلطخ به وجهها، فتبرأ، فأقبل التابوت على وجه الماء، فقال فرعون: عليَّ به.

---

(١) «في» ساقطة من «ش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٦).

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ أي: أخذوه، والالتقاط: هو وجود الشيء من غير طلب، وتقدم حكم اللقطة واللقيط في سورة يوسف[1].

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم.

﴿وَحَزَنًا﴾ يسبي[2] نساءهم، واللام في (لِيَكُونَ) تشبه لام (كي)، وتسمى لام العاقبة، ولام الصيرورة؛ لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً، ولكن صار عاقبة أمرهم إلى ذلك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وحُزْناً) بضم الحاء وسكون الزاي، والباقون: بفتحهما، لغتان[3] بمعنى.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ في كل شيء؛ لأنهم قتلوا ألوفاً لأجله، ثم أخذوا موسى ليكبر وليفعل بهم ما كانوا يحذرون، ففتح التابوت، فوجدوا فيه طفلاً[4] صغيراً في مهده بين عينيه نور، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يرضع منه لبناً، ولعابه يسيل، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوه من التابوت، عمدت إلى مكان يسيل من ريقه، فلطخت به برصها، فبرأت، فقبلته وضمته إلى صدرها.

* * *

---

(١) عند تفسير الآية (١٠).

(٢) في «ش»: «يستعبد».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧).

(٤) «طفلاً» ساقطة من «ش».

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] وأحبه فرعون وزوجته آسية بنت مزاحم وابنته حباً شديداً، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك! إن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر فرقاً، فاقتله، فهم فرعون بقتله، فثبطته عنه آسية، وكانت من خيار النساء من بنات الأنبياء من بني إسرائيل، وكانت أماً للمساكين، ترحمهم وتتصدق عليهم.

﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ ﴾ أي: هو قرة ﴿ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (امْرَأَهْ) (قُرَّهْ) بالهاء فيهما[١].

﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ قال ﷺ: «لو قالت يومئذ: قرةُ عين لي كما هو لك، لهداه الله كما هداها»[٢]، فاستوهبت آسية موسى من فرعون، فوهبها إياه، فتوسمت فيه النجابة.

فقالت: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ في مهامنا ﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ نتبناه.

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أن هلاكهم على يده، وسمته آسية موسى؛ لأن تابوته وجد بين الماء والشجر، والماء في لغتهم (مو)، والشجر (شا).

قال ابن عباس: «لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية: ﴿ عَسَىٰٓ

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧ـ٨).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤٤).

﴿أَن يَنفَعَنَآ﴾، لنفعه الله، ولكنه أبى؛ للشقاء الذي كتبه الله عليه»[1].

* * *

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه؛ لأنها دهشت لما علمت أن فرعون قد التقطه، وكانت قد نسيت وعدَ الله بسلامته.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي: بأمر موسى، وتبوح بسرها.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي: شددنا عليه بالصبر والعصمة.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧].

* * *

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم: ﴿قُصِّيهِ﴾ اتبعي أثره، وانظري فيه.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ أي: بعد.

روي أنها كانت تمشي جانباً، وتنظر إليه مزورة اختلاساً، تُري أنها لا تنظره.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٧).

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنها أخته، وأنها ترقبه.

* * *

﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] وكان هَمُّ امرأةِ فرعون من الدنيا أن تجد له مرضعة، فكلما أتوه بمرضعة، لم يأخذ ثديها، فذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ جمع مرضعة؛ أي: منعناه عن شرب لبن غير أمه ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل قَصِّها أثرَه.

﴿ فَقَالَتْ ﴾ أخته حين رأت ذلك:

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ ﴾ يضمونه ﴿ لَكُمْ ﴾، ويرضعونه، وهي امرأة قد قُتل ولدها، فأحبُّ شيء إليها أن تجد صغيراً ترضعه.

﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ والنصح: ضد الغش، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد، فقال لها هامان: قد عرفت أهله؟ قالت: إنما قلت: هم للملك ناصحون، قالوا: نعم.

* * *

﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] فجاءت بأمها وهو يصيح بعد أن مكث ثماني ليال لا يقبل ثدياً، وهم في طلب مرضعة له، فلما شم ريحها، قبل ثديها، فقال فرعون: من أنت حتى قبل ثديك؟ قالت: إني طيبة الريح، طيبة اللبن، لا أوتى بصبي

إلا قبل ثديي، فدفعه إليها، وأجرى أجرتها عليها، فكانوا يعطونها كل يوم ديناراً[1]، وأخذتها؛ لأنها مال حربي، لا أنها أجرة حقيقة على إرضاعها ولدَها، فذهبت به إلى بيتها، فذلك قوله تعالى:

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ برد موسى إليها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه.

﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ علمَ مشاهدة.

﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ الذي وعدها به ﴿حَقٌّ﴾ برده إليها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ صحةَ ذلك، فمكث عندها إلى أن فطمته، وردَّته، فتبناه فرعون وآسية.

* * *

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ منتهى قوته، وهو ما فوق الثلاثين ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ اعتدلت قوته، وبلغ أربعين سنة، وهو سن بعث الأنبياء.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ قبل نبوته ﴿حُكْمًا﴾ حكمة وفقهاً ﴿وَعِلْمًا﴾ بمصالح الدارين، فكان يتكلم بالحق، وينكر عليهم قبل النبوة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٢٨)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٢٣).

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَدَخَلَ ﴾ موسى ﴿ ٱلْمَدِينَةَ ﴾ هي مدينة مَنْف من أرض مصر، وتقدم ذكرها في سورة يوسف، وهي مدينة فرعون موسى التي كان ينزلها، وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره. روي أن فرعون خاف من موسى، فأخرجه من مدينته، فغاب عنها سنتين، حتى كبر واشتد، فدخلها مستخفياً ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ ﴾ وقت غرة ﴿ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ يوم عيد لهم، وهم مشغولون بلهوهم.

﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ ﴾ إسرائيلياً وقبطياً ﴿ يَقْتَتِلَانِ ﴾ يختصمان.

﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أتباعه، روي أنه السامري ﴿ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ من القبط الذين هم على دين فرعون.

﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ﴾ طلب منه الغوث ﴿ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ وهو الإسرائيلي.

﴿ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ وهو القبطي، وكان موسى قد أعطي شدة عظيمة.

﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ بالعصا، ولم يتعمد قتله، بل أراد دفع ظلمه.

﴿ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ فقتله، فندم، فدفنه في الرمل.

و﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ القتل ﴿ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ أي: بسببه؛ لأنه هيج غضبي.

﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر العداوة، وهذا كان قبل النبوة، وهو مقتضى التلاوة، والسورة تدل عليه.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بقتل القبطي من غير أمر.

﴿ فَٱغْفِرْ لِي ﴾ ذنبي ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ لاستغفاره.

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾ لذنوب عباده ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بهم.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ ﴾ أي: بإنعامك ﴿ عَلَيَّ ﴾ بالمغفرة والقوة والحكم، قسم محذوف الجواب، تقديره: أقسم بما أنعمت لأتوبنَّ، وتفسير الجواب.

﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا ﴾ عوناً ﴿ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ للكافرين، وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافراً، قال ابن عباس: «لم يستثنِ، فابتُلي من الغد»[١].

* * *

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا ﴾ على نفسه، ونصبُه على الحال.

﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ ينتظر المكروه بأن يستعاد.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٣١).

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾ يستغيثه، ويصيح به من بعد على قبطي آخر، قال ابن عباس: أُتي فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا منا واحداً، فخذ لنا حقنا، فقال: ابغوا لي قاتله، ومن يشهد عليه، فلا نستقيم أن نقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي[1].

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ ﴾ أي: قال للإسرائيلي:

﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الغواية؛ لأنك تسببت لقتل رجل، وتقاتل آخر.

***

﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] وكان موسى قد غضب غضباً شديداً ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا ﴾ قرأ أبو جعفر: (يَبْطُشَ) بضم الطاء، والباقون: بكسرها[2]، وذلك أن موسى أدركته الرقة على الإسرائيلي، فمد يده ليبطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يقصد قتله؛ لمكان غضبه، وسمع قوله: ﴿ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨) في حديث طويل.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢).

فثم ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسٗا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ﴾ أي: ما تريد ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالقتل ظلماً.

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ فلما قال ذلك، علموا حينئذ من قاتلُ الأول، فوصل ذلك إلى فرعون، فهمُّوا بقتل موسى.

* * *

﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] فلما أرسل فرعون الذباحين لقتله، أخذوا الطريق الأعظم.

﴿وَجَآءَ رَجُلٞ﴾ مؤمن، وكان ابنَ عم فرعون، واسمه خربيل، وقيل غيره، وهو مؤمن آل فرعون.

﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ آخرها.

﴿يَسۡعَىٰ﴾ أي: يسرع في مشيه، فأخذ طريقاً قريباً حتى يسبق إلى موسى، فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ﴾ يعني: أشراف قوم فرعون ﴿يَأۡتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي: يتشاورون بسببك.

﴿لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ﴾ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

* * *

﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿فَخَرَجَ﴾ موسى ﴿مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾ التعرُّضَ له في الطريق.

﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، فلما أخبر فرعون بهربه، بعث في طلبه، فقال: اركبوا بنيان الطريق؛ فإنه لا يعرف الطريق.

* * *

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] وخرج موسى هارباً بلا زاد ولا ظهر، ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته في بطنه، وما وصل إلى مدين حتى وقع خفُّ قدميه.

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ قصدها ماضياً إليها، وهي قرية شعيب، سميت بمدين بن إبراهيم، وهي على بحر القلزم، وتقدم ذكرها في سورة الأعراف(١) وطه، وهي على مسيرة اثني عشر يوماً من مصر، وكان موسى لا يعرف طريقها، فلذلك.

﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قصدَ الطريق ووسطَه إليها، فبُعث إليه ملك، فدله على الطريق. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٢).

* * *

---

(١) عند تفسير الآية (٨٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢).

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ أي: وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾ جماعة ﴿ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ مواشيهم.

﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ﴾ من مكان أسفل منهم ﴿ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ ﴾ تَكُفَّان غنمَهما عن الماء؛ لئلا تختلط بغنم القوم؛ لضعفها عن السقي معهم.

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ ﴾ ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي ﴾ غنمنا معهم؛ لعجزنا ﴿ حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾ حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء؛ لأنا لا نستطيع أن نزاحم الرجال. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وأبو عمرو: (يَصْدُرَ) بفتح الياء وضم الدال على اللزوم؛ أي: يذهب الرعاء بمواشيهم عن الماء، والباقون: بضم الياء وكسر الدال[١]، فالمفعول محذوف؛ أي: يصدر الرعاء مواشيهم من الماء، وأشمَّ الصاد الزاي حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس، والرعاء جمع راع؛ كتاجر وتِجار.

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ لا يقدر على رعي الغنم، وهو شعيب، وهو نبي القوم، وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله، قال لهما موسى: وهذا الماء لهم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣).

خاصة؟ قالتا: لا، بل لجميع الخلق، وكانوا إذا فرغوا، عمدوا إلى حجر عظيم لا يرفعه إلا عشرة نفر يطبقونه على رأس البئر؛ لئلا يقدر على تنحيته.

***

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] فسكت موسى ـ عليه السلام ـ حتى فرغ الناس من سقي أغنامهم، فأطبقوا الحجر، وانصرفوا، فقام موسى، وقال للمرأتين: قرِّبا أغنامكما من الحوض، ثم إنه تقدم إلى البئر، وضرب الصخرة برجله، فدحاها أربعين ذراعاً على ضعفه من الجوع وسقوط خُفِّ قدمه.

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ أغنامهما.

﴿ ثُمَّ ﴾ بعد فراغه ﴿ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ كان ظل شجرة، فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع.

﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ ﴾ طعام قليل أو كثير.

﴿ فَقِيرٌ ﴾ محتاج.

***

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] فانصرفت المرأتان إلى أبيهما شعيب، فأخبرتاه بما كان، فقال

لإحداهما: اذهبي فأتيني به ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء منه، فأومأت إليه.

و﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ أجرَ سقيك، فقام موسى، ومرت المرأة بين يديه، فكشفت الريح عن ساقيها، فقال لها موسى: تأخري ورائي، ودليني على الطريق، فتأخرت، وكانت تقول: عن يمينك، وشمالك، وقدامك، حتى وقف على باب شعيب[1]، فلما ردت المرأة لأبيها، وأخبرته، فأذن له بالدخول، وشعيب يومئذ شيخ كبير، وقد كُفَّ بصره، فسلم موسى عليه، فرد عليه السلام، وعانقه، ثم أجلسه بين يديه، وكان قد هُيِىء العشاء، فقال: اجلس يا شاب فتعش، فقال: معاذ الله، فقال شعيب: ألست جائعاً؟ قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون عوضاً عما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضاً من الدنيا، فقال شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي، نَقْري الضيف، ونطعم الطعام، فأكل على اسم الله، فلما فرغ من أكله، حمد الله، وأثنى عليه بالجميل، ثم سأله شعيب عن حاله وقصته.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ من حين مولده إلى حين جاءه.

﴿قَالَ﴾ له شعيب: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: فرعون وقومه؛ لأنه لم يكن له سلطان على مدين.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٦٠). عن السدي، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٣٥).

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا.

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ﴾ على العمل ﴿ ٱلْأَمِينُ ﴾ فقال لها أبوها: وما علمُك بقوته وأمانته؟ قالت: أما قوته، فإنه رفع الحجر من رأس البئر، لا يرفعه إلا عشرة، وأما أمانته، فإنه قال لي: امش خلفي حتى لا تصف الريح بدنك. **قرأ** أبو جعفر، وابن عامر: (يَا أَبَتَ) بفتح التاء حيث وقع على تقدير: يا أبتاه، ووقفوا (يَا أَبَهْ) بالهاء الساكنة، ووافقهما على الوقف ابن كثير، ويعقوب، **وقرأ** الباقون، ومنهم ابن كثير، ويعقوب: بكسر التاء لأن. . . . به، والجزم يحرك إلى الكسر[١].

* * *

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] فرغب شعيب في تزويجه.

و﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ ﴾ واسمها صافوراء، وهي التي ذهبت إليه وطلبت استئجاره. **قرأ** ابن كثير: (هَاتَيْنِّ) بالمد وتشديد النون[٢].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠ و١٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥)، =

﴿ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ﴾ تكون أجيراً ﴿ ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ ﴾ أي: سنين، منصوب على الظرف، واحدتها حجة.

﴿ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا ﴾ أي: خدمة عشر سنين ﴿ فَمِنۡ عِندِكَۖ ﴾ تبرُّع لا إلزام مني.

﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ ﴾ بإلزام أتم الأجلين.

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّيَ أُرِيدُ) (سَتَجِدُنِيَ) بفتح الياء فيهما، وقرأ الباقون: بإسكانهما فيهما[1].

* * *

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: هذا الشرط.

﴿ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ ﴾ لا تخرج عنه.

﴿ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ ﴾ أي: أيَّ الأجلين، و(ما) صلة ﴿ قَضَيۡتُ ﴾ أتممت، الثمانَ أو العشرَ ﴿ فَلَا عُدۡوَٰنَ ﴾ فلا يُعتدى ﴿ عَلَيَّ ﴾ بطلب الزيادة على أحدهما.

= و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥ـ١٦).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥ـ١٦).

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ حفيظ، فجمع شعيب المؤمنين من أهل مدين، وزَوَّجه ابنته صافوراء، ودخل موسى البيت، وأقام يرعى غنم شعيب عشرَ سنين.

والإجارة: بيعُ المنفعة بعِوَض، وهي ـ بكسر الهمزة ـ: مصدر أَجَره يأجُره أجراً، وإجارة، فهو مأجور، واشتقاقها من الأجر، وهو العوض، ومنه سمي الثواب أجراً، ومن شرط صحتها أن تكون المنفعة والعوض معلومين بالاتفاق، فإذا استأجر رجل رجلاً لعمل معين؛ كخياطة ثوب، أو بناء حائط، أو رعي غنم، ونحو ذلك بأجرة معلومة، صح بغير خلاف.

وتقدم ذكر الخلاف في منافع الحر، هل يجوز أن تكون صداقاً؟ في سورة النساء، وأما إجارة الملك في العقار ونحوه، فتصح مدة معلومة، وإن طالت، بالاتفاق، واختلفوا في إجارة الوقف، فقال أبو حنيفة: لا تزاد على ثلاث سنين، وقال مالك: تجوز سنتين، ولمن مرجعها له عشر سنين، وقال الشافعي وأحمد: تجوز مدة يمكن فيها بقاء العين غالباً، وهي عند أبي حنيفة عقد جائز تنفسخ بموت أحد المتعاقدين إن عقدها لنفسه، وإن عقدها لغيره لا تنفسخ؛ كالوكيل والوصي ومتولي الوقف لبقاء المستحق عليه والمستحق، حتى لو مات المعقود له صارت عند مالك والشافعي وأحمد عقداً لازماً لا تنفسخ بالموت، والوارث قائم مقامه، وإذا كانت الأجرة مؤجلة، فمات المستأجر، فمذهب أحمد أن الأجرة على حكمها في التأجيل، وتقدم بها وارثه مؤجلة، وعند مالك والشافعي تحل الأجرة بالموت.

* * *

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾ المشروطَ بينهما؛ أي: أتمه، مكث بعد ذلك عند صهره عشراً أخرى، فأقام عنده عشرين سنة، ثم قصد المسير إلى أهله، فبكى شعيب، وقال: يا موسى! كيف تخرج عني وقد ضعفتُ وكبرتُ؟! فقال له: قد طالت غيبتي عن أمي وخالتي وهارون أخي وأختي، فإنهم في مملكة فرعون، فقام شعيب، وبسط يديه، وقال: يا رب إبراهيمَ الخليل، وإسماعيلَ الصفي، وإسحاقَ الذبيح، ويعقوبَ الكظيم، ويوسفَ الصديق! رُدَّ قوتي وبصري، فأَمَّنَ موسى على دعائه، فرد الله عليه بصره وقوته، ثم أوصاه بابنته.

﴿ وَسَارَ ﴾ موسى ﴿ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ نحو مصر ﴿ ءَانَسَ ﴾ أبصر.

﴿ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ أي: من جهته ﴿ نَارًا ﴾ وكان في البرية في ليلة مظلمة، فضرب خيمته على الوادي، وأدخل أهله فيها، وهطلت السماء بالمطر والثلج، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلق، فأراد أن يقدح، فلم يظهر له نار، فاغتمَّ لذلك، فلما رأى النار من بعيد.

﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ قرأ أبو جعفر: (لِأَهْلِهُ امْكُثُوا) بضم الهاء في الوصل[١].

---

(١) لم أقف عليها من قراءة أبي جعفر، وسلفت عند تفسير الآية (١٠) من سورة طه: أن ضمَّ الهاء في الوصل هي قراءة حمزة.

لأن الله كلم موسى فيها، وبعثه نبياً ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: من ناحيتها، وهي شجرة عُنَّاب.

﴿أَن﴾ يحتمل أن تكون مفسرة؛ لأن النداء قول، أو مخففة من الثقيلة؛ أي: نودي بأن.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

***

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك.

﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها، وتقدم اختلاف القراء في (رَآهَا) في سورة الأنبياء.

﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يلتفت، فنودي:

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ عن المخاوف.

***

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩).

[٣٢] ﴿ اَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ هو القميص، وتقدم الكلام عليه في سورة النمل.

﴿ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ برَص، فخرجت لها شعاع كضوء الشمس.

﴿ وَاَضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ أي: يدك ﴿ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن كثير: (الرَّهَبِ) بفتح الراء والهاء، ورواه حفص عن عاصم: بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون: بضم الراء وإسكان الهاء، وكلها لغات بمعنى الخوف[١]، ومعنى الآية: إذا هالَكَ أمرُ يدك، وما ترَى من شعاعها، فأدخلْها في جيبك، تَعُدْ إلى حالتها الأولى.

﴿ فَذَانِكَ ﴾ إشارة إلى العصا واليد البيضاء. قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ورويس: بتشديد النون والمد، وهي لغة قريش، والباقون: بالتخفيف[٢] ﴿ بُرْهَـٰنَانِ ﴾ حجتان ومعجزتان.

﴿ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ وكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠).

(٢) المصادر السابقة، إلا «تفسير البغوي».

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[٣٣] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ بها . قرأ يعقوب : (يَقْتُلُونِي) بإثبات الياء[١] .

* * *

﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ فإنما قال ذلك ؛ للعقدة التي كانت في لسانه من وضع الجمرة في فيه .

﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾ معيناً .

﴿ يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ بتلخيص الحق ، وتقرير الحجة ، لا أن يقول له : صدقت ، أو للجماعة : صدقوه ، يؤيد ذلك قوله قبل : ﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره .

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ يعني : فرعون وقومه . قرأ حفص : (مَعِيَ) بفتح الياء ، والباقون : بإسكانها[٢] ، وقرأ نافع (رِداً) منون غير مهموز بوزن سِوًى طلباً للخفة ، وقرأ أبو جعفر : (رِدَا) بالألف من غير تنوين في الحالين ، وقرأ

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١).

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١).

الباقون: بإسكان الدال وبالهمز والتنوين[1]، **وقرأ** عاصم وحمزة: (يُصَدِّقُنِي) برفع القاف على الحال؛ أي: رِدْءاً مصدقاً، **وقرأ** الباقون: بالجزم جواباً لـ(أرسلْه)[2]، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3]، **وقرأ** ورش عن نافع: (يُكَذِّبُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما[4].

* * *

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥)﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ سنقويك بأخيك، والعضد: قوام اليد، وبشدتها تشتد، وهو ما بين المرفق والكتف، ويقال للضعيف: هو يد بلا عضد، وكان هارون يومئذ بمصر.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ قوة بالعصا، وحجة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢).

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢-٢٣).

﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ أي: تمتنعان منهم بآياتنا، فلا يصلون إليكما بسوء.

﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ أي: لكما ولأتباعكما الغلبةُ على فرعون وقومه.

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٣٦) ﴾.

[٣٦] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحات.

﴿ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ مختلق ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ الذي تدعونا إليه ﴿ فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ كائناً في أيامهم.

* * *

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٣٧) ﴾.

[٣٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ قرأ ابن كثير: (قَالَ مُوسَى) بغير واو؛ كما هي في مصحف أهل مكة على الاستئناف، وقرأ الباقون: بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم[(١)]؛ لأنه عطف جملة على جملة.

﴿ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ ﴾ بالمحق من المبطل.

﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ أي: العقبى المحمودة في الدار الآخرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ أي: الكافرون لا ينجح سعيهم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ أَعْلَمُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَكُونُ لَهُ) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء؛ لتأنيث العاقبة(٢).

* * *

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ نفى علمه بإله غيره دون وجوده؛ إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم، ولذلك أمر ببناء الصرح؛ ليصعد إليه، ويطلع على الحال بقوله:

﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾ اجعله آجراً، وهو أول من عمله.

﴿ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾ قصراً عالياً.

﴿ لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ ﴾ أصعد ﴿ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ فأقتله.

﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ ﴾ أي: موسى في ادعائه إلهاً غيري.

﴿ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ يقول هذا جهلاً وتمويهاً على قومه. قرأ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

الكوفيون، ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون بفتحها[1].

وكان من قصة الصرح: أن هامان جمع خمسين ألف بنَّاء وصانع، وأخذوا في ذلك، وأسسوا حتى بنوا الصرح، وارتفع في الهواء ارتفاعاً لم يبلغه أحد من الخلق، أراد الله أن يفتنهم فيه، واشتد ذلك على موسى وهارون؛ لأن بني إسرائيل كانوا معذبين في بنائه، فلما فرغوا منه، ارتقى فرعون فوقه، وأخذ سهماً، فرمى به نحو السماء، فرد إليه وهو ملطخ دماً، قال: قد قتلت إله موسى، ثم أمر الله جبريل ـ عليه السلام ـ أن يهدم الصرح، فجعل عاليه سافله، وهلك تحته ألف ألف رجل من عسكر فرعون، ولم يبق أحد ممن عمل فيه إلا هلك؛ ممن كان على دين فرعون[2].

***

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ بغير استحقاق.

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٨١) عن السدي، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٤١).

ويعقوب، وخلف: (يَرْجِعُونَ) بفتح الياء، وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[1].

* * *

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر.

﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد.

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وحذِّرْ قومك من مثلها.

قال ﷺ حكاية عن الله تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعَظَمَةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما، ألقيته في النار»[2].

* * *

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ قدوة للضلال، ورؤساء ﴿يَدْعُونَ إِلَى﴾ عمل

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، وابن ماجه (٤١٧٥)، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، وغيرهما، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وهذا لفظ ابن ماجه.

أهل ﴿ٱلنَّارِ﴾ وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في (أَئِمَّةً) أول السورة.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ لا يُمنعون من العذاب.

***

﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزياً وعذاباً.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ المشوَّهين بسواد الوجه وزرقة العيون.

***

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ التوراة.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

﴿بَصَآئِرَ﴾ جمع بصيرة، وهي نور القلب؛ كالبصر نور العين ﴿لِلنَّاسِ﴾ فقط؛ ليبصروا ذلك الكتاب، ويهتدوا به ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بما فيه من المواعظ.

***

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَمَا كُنتَ ﴾ يا محمد ﴿ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ ﴾ أي: بجانب غروب الشمس من الطور، وهو الذي كان فيه الميقات؛ حيث ناجى موسى ربه.

﴿ إِذْ قَضَيْنَآ ﴾ أي: عهدنا ﴿ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾ بالرسالة إلى فرعون.

﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ الحاضرين ذلك المقام، فتذكره من ذات نفسك.

* * *

﴿ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَلَـٰكِنَّآ ﴾ أوحينا إليك ذلك، وأوحينا إليك أنَّا.

﴿ أَنشَأْنَا ﴾ بعد عهد الوحي إليه إلى عهدك ﴿ قُرُونًا ﴾ كثيرة.

﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ﴾ أي: على آخرهم، وهو القرن الذي أنت فيه.

﴿ ٱلْعُمُرُ ﴾ أي: أمد انقطاع الوحي، فجددنا بك العهد.

﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا ﴾ مقيماً ﴿ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ كمقام موسى وشعيب.

﴿ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾ على أهل مكة ﴿ ءَايَـٰتِنَا ﴾ أي: لم تشاهد ما تقدمك، فتخبر به أهل مكة.

﴿ وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ إليك بأخبار المتقدمين، فتتلوها عليهم.

* * *

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ ناحية الجبل.

﴿ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ ليلة المناجاة، والمعنى: لو لم نوح إليك هذا كله، ما علمت.

﴿ وَلَٰكِن ﴾ أعلمناك ﴿ رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ هم أهل مكة.

﴿ مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ لأن أهل مكة لم يجئهم نذير قبل محمد ﷺ، وكانوا في فترة بينه وبين عيسى عليه السلام، وهي مدة تقرب من ست مئة سنة.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون.

* * *

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾ عقوبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من الكفر والمعاصي، وجواب (لولا) محذوف يقتضيه الكلام، تقديره: لعاجلناهم بما يستحقونه من العقوبة.

﴿ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ هلاَّ ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾ ينذرنا.

﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المصدقين، فأرسلناك؛ لتزول حجتهم، وينقطع عذرهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا ﴾ يعني: القرآن، ومحمد ﷺ.

﴿ قَالُواْ ﴾ كفار مكة: ﴿ لَوۡلَآ أُوتِيَ ﴾ هَلاَّ أُعطي محمد.

﴿ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ ﴾ من التوراة وغيرها من الآيات.

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ ﴾ أي: فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﷺ.

﴿ قَالُواْ سِحۡرَانِ ﴾ أي: موسى ومحمد ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ تعاونا، وهذا قول العرب، وقيل المراد: موسى وهارون، وهو قول من لم يؤمن بهما في زمانهما. قرأ الكوفيون: (سِحْرَانِ) بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها؛ أي: التوراة والقرآن، يعني: كل سحر يقوي الآخر، نسب التظاهر إلى السحرين على الاتساع، وقرأ الباقون: بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء، على المعنى الأول(١).

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ ﴾ منهم من كتبهم ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ وكان العرب قد بَعثوا إلى رؤساء اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فأخبروهم أنه صادق، وأن نعته وصفته عندهم.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦).

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد: ﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ﴾ يعني: التوراة والقرآن ﴿ أَتَّبِعْهُ ﴾ جواب ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ في قولكم.

* * *

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ولما كان (فأتوا) أمراً، والأمر يقتضي الإجابة، قال:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ ﴾ دعاءك إلى الإتيان بكتاب.

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾ في كفرهم.

﴿ وَمَنْ ﴾ استفهام نفي.

﴿ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾؟ المعنى: لا أحد أضل ممن اتبع هواه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أنفسهم باتباع الهوى.

* * *

﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ أي: أنزل عليهم القرآن متواصلاً.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ الأدلة، فيؤمنون.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ونزل في علماء المؤمنين من أهل الكتاب: عبد الله بن سلام وأصحابه، مبتدأ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾[١] الضمير للقرآن، وخبر (الذين): ﴿ هُم بِهِۦ ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ يُؤۡمِنُونَ ﴾ لأنه مذكور في كتبهم.

* * *

﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ القرآن ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ أي: من قبل وجوده ونزوله ﴿ مُسۡلِمِينَ ﴾ مؤمنين بمحمد ﷺ.

* * *

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ ﴾ أي: يضعف لهم أجرهم ضعفين؛ لإيمانهم بالكتابين ﴿ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ على العمل بالشريعتين ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية المتقدمة ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ في الطاعة.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٨-٢٩٨٩).

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ ﴾ القبيحَ من القول، واللغو من الكلام: ما هو ساقط العبرة، وهو الذي لا معنى له ﴿ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾ وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب، ويقولون: تباً لكم، تركتم دينكم، فيُعرضون عنهم، ولا يردون عليهم.

﴿ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ فكلٌّ مطالب بعمله.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ سلام توديع ومتاركة، وليس هو سلام التحية؛ أي: لا نعارضكم في شيء ما؛ لأنا.

﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ لا نطلب صحبتهم؛ لئلا نكون مثلهم، والجهل نقيصة، وهو معرفة الشيء على خلاف ما هو عليه، وهذا منسوخ بآية السيف.

* * *

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ولما حرص النبي ﷺ في إيمان أبي طالب، نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[1] هدايته ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ فيدخله في الإسلام.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قصة أبي طالب، ومسلم (٢٤)، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره =

﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ بالمستعدين لذلك.

***

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ أي: يأخذْنا العرب لقتلنا، والقائلون قريش، وسبب نزولها: أن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكنا إن اتبعناك على دينك، خفنا أن تخرجنا العرب من أرض مكة، والاختطاف: الانتزاع بسرعة، فنزل توبيخاً لهم:

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ ﴾(١) نسكنهم ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ يأمنون فيه العدو والخسف مع كفرهم، فكيف لو أسلموا؟! إن العرب كانت تغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمِنون؛ حيث كانوا لحرمة الحرم.

﴿ يُجْبَىٰٓ ﴾ يجمع، ويحمل ﴿ إِلَيْهِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (تُجْبَى) بالتاء على التأنيث؛ لأجل الثمرات، وقرأ الباقون: بالياء

= الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، عن سعيد المسيب، عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «السنن الكبرى» للنسائي (١١٣٨٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٥).

على التذكير؛ للحائل بين الاسم المؤنث والفعل[1] ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما به صلاح حالهم وقوام أمرهم.

﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ ونصبه حال من (ثمرات).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما تقوله حق؛ لأنهم جهلة لا يتفطنون له.

* * *

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ﴾ والبطر: الطغيان في النعمة. قال ﷺ: «[فاضوا] في البطر، فأكلوا رزق الله، وعبدوا الأصنام»[2].

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ أي: يسكنها المارة والمسافرون ساعة أو يوماً.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ جميعَ المخلوقات.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٨).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨)، عن عطاء من قوله.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾ في كل زمان.

﴿ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا ﴾ أي: في أعظمها ﴿ رَسُولًا ﴾ ينذرهم؛ لأن الرسل إنما تبعث غالباً إلى الأشراف، وهم غالباً يسكنون المدن، وقيل: المراد بأم القرى هاهنا: مكة، وبالرسول: محمد ﷺ. قرأ حمزة، والكسائي: (إِمِّهَا) بكسر الهمزة حالة الوصل إتباعاً، وإذا ابتدأا، ضماها، وبه قرأ الباقون في الحالين(١).

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ ﴾ ترغيباً وترهيباً.

﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ أي: مشركون؛ أي: أهلكتهم بظلمهم.

* * *

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ من أسباب الدنيا ﴿ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ ﴾ تتمتعون بها أيام حياتكم، ثم أنتم وهي إلى فناء.

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ لأنه مستمر.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٩).

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني. قرأ أبو عمرو: (يَعْقِلُونَ) بالغيب، وهو أبلغ في الموعظة، وقرأ الباقون: بالخطاب، وهو وجه من أبي عمرو، إلا أن الأشهر عنه الغيب[1].

***

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] فبعد ذكر الحياة الدنيا، وما عند الله، وتفاوتهما، عَقَّبه بالفاء مدخلاً عليها همزة الاستفهام، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ هو الجنة.

﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ صائر إليه.

﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ويزول عن قريب.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في النار؟!

روي أنها نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل، وقيل: نزلت في حمزة وعلي وأبي جهل، وقيل: في عمار والوليد بن المغيرة، وقيل: في المؤمن والكافر[2]. قرأ الكسائي، وقالون، وأبو جعفر بخلاف عنه: (ثُمَّ هْوَ) بإسكان الهاء تخفيفاً، والباقون: بضمها[3].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٩٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٥).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

في الحديث: «من كانت الدنيا همّه، جعل الله فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، ومن كانت الآخرة همّه، جعل الله الغناء في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[1].

* * *

﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَيَوۡمَ ﴾ أي: واذكر يوم.

﴿ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ أنهم شركائي في الدنيا؟

* * *

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣ ﴾.

[٦٣] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ ثبت عليهم مقتضاه، وهو: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩] وهم رؤوس الكفر:

﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ ﴾ أي: أضللناهم كما ضللنا، لم نُكرههم على الغي، إنما غووا باختيارهم، مع تسويلنا لهم.

﴿ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ ﴾ منهم ومن كفرهم، فصرنا أعداء، وكذبوا علينا.

﴿ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾ إنما عبدوا أهواءهم.

* * *

= (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٠).

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٠)، وغيرهما، عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[٦٤] ﴿ وَقِيلَ ﴾ لمن عبد غير الله توبيخاً وتهديداً :

﴿ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ استعينوا بآلهتكم ؛ لتخلصكم من العذاب .

﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ لم يجيبوهم بنفع ؛ لعجزهم .

﴿ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ لأربابهم ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ جوابه محذوف ؛ أي : لما اتبعوهم في الدنيا ، ولما رأوا العذاب في الأخرى .

***

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ أي : يسأل الله الكفارَ .

﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين دعوهم إلى الله ، وهذا النداء كالأول ، ويحتمل أن يكون كل منهما بواسطة من الملائكة ، ويحتمل غير ذلك .

***

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ﴿ فَعَمِيَتْ ﴾ خفيت ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ الأخبار .

﴿ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ لا يسأل بعضهم بعضاً عن خبر .

***

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ الناجين، و(عَسَى) حرف تَرَجٍّ، وهو من الله واجب.

* * *

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ولما قال المشركون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني: الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي، نزل جواباً لهم: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[1] لا مانع له.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: ليس لهم الاختيار في شيء، ثم نزه نفسه تعالى فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

* * *

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ﴾ تخفي.

﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يُظْهِرون.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٥).

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ أي: هو مستحقُّه.

﴿ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ يحمده أولياؤه في الدارين.

﴿ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ ﴾ فصلُ القضاء بين الخلائق.

﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ بالنشور. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[١].

***

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ ﴾ أخبروني يا أهل مكة.

﴿ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا ﴾ دائماً.

﴿ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ لا نهار معه.

﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ ﴾ بنهار تطلبون فيه المعيشة.

﴿ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ سماعَ فهم وقبول، وقرن بالضياء السمع؛ لأن السمع [يدرك] للأبصار البصر. قرأ قنبل عن ابن كثير: (بِضِئَاءٍ) بهمزتين، والباقون: بفتح الياء والهمز بعدها[٢]، واختلاف القراء في (أَرَأَيْتُمْ)

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٠)، و«الغيث» للصفاقسي=

كاختلافهم في (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) في سورة الفرقان [الآية: ٤٣].

***

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لا ليل فيه.

﴿مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ﴾ استراحةً عن متاعب الأشغال.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قدرةَ الله، فتوحدون؟! وقرن بسكون الليل البصر؛ لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما لا تبصر أنت من السكون.

***

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في الليل.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالنهار.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمَ الله سبحانه.

***

= (ص: ٣١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣١).

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يومَ.

﴿ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وكرر هذا المعنى إبلاغاً وتحذيراً، وهذا النداء هو ظهور كل ما وعد الرحمن على ألسنة المرسلين؛ مِن وجوب الرحمة لقوم، والعذاب لآخرين، ومن خضوع كل جبار، وذلة الكل لعزة رب العالمين، فيتوجه حينئذ توبيخ الكفار، فيقول الله لهم على معنى التوبيخ: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾؟!

***

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ وَنَزَعْنَا ﴾ أخرجنا في ذلك اليوم ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ أي: شاهداً، وهو رسولها، وفي هذا الموضع حذف يدل عليه الظاهر، تقديره: ليشهد الشهيد على الأمة بخيرها وشرها.

﴿ فَقُلْنَا ﴾ للأمم على جهة استبراء الحجة والإعذار في المحاورة: ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ حجتكم بأن لله شريكاً، فيسقط حينئذ في أيديهم.

﴿ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ ﴾ في الإلهية، لا شريك له.

قال ابن عطية: ومن هذه الآية انتزع قول القاضي عند إرادة الحكم: أبقيَتْ لك حجة؟[١]

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٢٩٧).

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ من الباطل في الدنيا.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ هو اسم أعجمي؛ كهارون، فلذلك لم ينصرف، وهو ابن عم موسى على الأشهر؛ لأنه يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى بن عمران بن فاهث، وفد من بني إسرائيل بإجماع، وآمن بموسى، واتبعه، وكان يلقب: المنور؛ لحسن صوته، وكان يقرأ التوراة من قلبه، وكان عاملاً لفرعون.

﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ترفع وجاوز الحد على بني إسرائيل؛ بظلمه وكفره وكثرة ماله، وخالف موسى، وكَذَّبه.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾ الأموالَ المدخرة ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ ﴾ (ما) موصولة، و(مفاتحه) جمع مفتاح ـ بالكسر ـ، وهو الذي يُفتح به الباب.

﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ أي: تُثقلهم، وتميل بهم إذا حملوها، وكان فقيراً جداً، فتعلم صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى، وكانت تعرف ذلك، فرزق مالاً عظيماً يُضرب به المثل على طول الدهر، وكان مفاتيح كنوزه تحمل على أربعين بغلاً، وقيل غير ذلك.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾ متعلق بقوله ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ والمراد بقومه: المؤمنون منهم ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ بحطام الدنيا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ البَطِرين بالمال، ولم يشكروا على ما أُعطوا.

***

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾ اطلبْ فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنةَ، وهو أن تشكره على نعمه، وتنفقَ المال في رضاه.

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ هو أن تأخذ ما يكفيك.

﴿ وَأَحۡسِن ﴾ إلى عباد الله ﴿ كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ فيما أنعم عليك ﴿ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ لا تعصِ؛ لأن من عصى الله، فقد طلب الفساد في الأرض.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ لسوء أفعالهم.

***

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ ﴾ أي المال.

﴿ عَلَىٰ عِلۡمٍ ﴾ من ﴿ عِندِيٓۚ ﴾ أي: علم الله فيَّ خيراً، فرآني أهلاً لذلك، ففضلني بالمال عليكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (عِنْدِيَ) بفتح

الياء، والباقون: بإسكانها، واختلف عن ابن كثير[1]، قال الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الكافرة.

﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، وهذا توبيخ له؛ لأنه كان قد علم حال من تقدمه وهلاكه، فلم ينزجر.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لعلمه بهم، بل يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال.

* * *

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ في زينته على بغلة شهباء عليها سرج ذهب، ومعه أربعة آلاف فارس[2] ﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاث مئة غلام، وعن يساره ثلاث مئة جارية، عليهم الحلي والديباج[3] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ من المال ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ جَدٌّ وبَخْتٌ عظيم من الدنيا.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٢).

(٢) «فارس» ساقطة من «ش».

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٤٣٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ١٢٩).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ وهم أحبار بني إسرائيل الزاهدون في الدنيا لغابطي قارون: ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ وأصل وَيْل: الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر.

﴿ ثَوَابُ ٱللَّهِ ﴾ في الآخرة ﴿ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ ﴾ صَدَّق بتوحيد الله.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ مما أُوتي قارون في الدنيا.

﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي: يوفق لهذه الكلمة التي قالها العلماء، وقيل: لا يرزق الأعمال الصالحة.

﴿ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ على طاعة الله.

* * *

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] وسبب هلاك قارون: أنه بغى على موسى، وكان أول طغيانه: أن أوحي إلى موسى: أنْ مُرْ بني إسرائيل أن يعلقوا أرديتهم خيوطاً أربعة خضراً على لون السماء يذكرون إذا رأوها أن كلامي نزل منها، قال موسى: ألا نأمرهم بجعلها كلها خضراً؛ فإنهم يحقرون هذه الخيوط؟ فقال: يا موسىٰ! إن من أمري ليس بصغير وإن هم لم يطيعوني في الصغير، لم يطيعوني في الكبير، فأمرهم، ففعلوا، وامتنع قارون، ولما عبروا البحر، جعل موسى الجودة والقربان في هارون، فقال: يا موسىٰ! تذهب بالرسالة، وهارون

بالقربان والجودة، فما يبقى لي، وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة؟! ليس لي على هذا صبر، فقال موسى: من الله، فقال: لا أصدقك حتى تأتي على ذلك بآية، فأمر موسى أشراف قومه بوضع عصيهم في بيت، ففعلوا، وباتوا يحرسونها، فأصبحت عصا هارون مورقة خضراء، فقال قارون: ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر، واعتزل موسى، وجعل موسى يداريه؛ لما بينهما من القرابة، وهو لا يلتفت إليه، وبنى داراً، وصَفَّحها بالذهب، وجعل أبوابها ذهباً، وتكبر بسبب كثرة ماله على موسى، ولما نزلت الزكاة، صالحه موسى على أن يعطيه عن كل ألف دينار ديناراً، وعن كل ألف درهم درهماً، وعن كل ألف شاةٍ شاة، ثم رجع موسى إلى بيته، فجمعها، فرآها جملة عظيمة، فلم تسمح بذلك نفسه، فمنعها، وخرج عن طاعة موسى، وأحضر امرأة بَغِيّاً، وأمرها بقذف موسى بنفسها، فلما كان يوم العيد، قام موسى خطيباً، فقال: من سرقَ قطعناه، ومن زنى غيرَ محصَنٍ جلدناه، ومن زنى محصناً رجمناه، فقال قارون: ولو كنت أنت؟! قال: وإن كنت أنا، فقال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فأُحضرت، فأنشدها موسى بالله أن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جُعلاً على أن أرميكَ بنفسي، فخرَّ موسى ساجداً يبكي، وقال: يا ربِّ! إن قارون قد بغى علي، فأقبل موسى حتى دخل قارون، وقال: يا عدو الله! تبعث إلي المرأة على رؤوس بني إسرائيل تريد فضيحتي؟! يا أرض خذيه، فساخت داره في الأرض ذراعاً، وسقط قارون عن سريره، فأخذته الأرض إلى ركبتيه، فقال: يا موسىٰ! أغثني، فقال: يا عدو الله تبني مثل هذه الدار، وتشرب في آنية الذهب والفضة، وأنا أدعوك إلى [حظك] فلا تقبله، وتقول: إنما أوتيته على علم عندي؟! يا أرض خذيه، فأخذته، روي أنه ناشده سبعين مرة،

وهو لا يلتفت إليه؛ لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيه، فانطبقت عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] من دون عذابه، فأوحى الله إلى موسى: ما أغلظَ قلبَكَ، استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه؟! فوعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة، لأغثته.

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ الممتنعين مما حل به.

روي أنه خُسف به إلى الأرض السفلى، ولما خسفت به، قال بنو إسرائيل: إنما دعا عليه ليستبد بأمواله، فدعا موسى، فخسف بجميع أمواله[2].

***

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ ﴾ أي: صار أولئك الذين تمنوا ما رزق من المال والزينة.

﴿ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي: بالوقت القريب منهم، استعاره هنا؛ لأن أمس عبارة عن اليوم الذي قبل يومك، يتندمون.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٥_٤٥٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٦_٤٥٧).

و﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق.

﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ فلم يعطنا ما تمنينا.

﴿ لَخَسَفَ بِنَا ﴾ لتوليده فينا ما ولده فيه، فخسف به لأجله.

﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ لنعمة الله؛ كقارون. (وَيْكَأَنَّ) كتبت موصولة كلمة واحدة في جميع المصاحف، وكذلك (وَيْكَأَنَّهُ) لكثرة الاستعمال؛ لأن أصلها: (وَيْ) تعجب و(ما) متصلة بـ(أن) عند البصريين، ولذلك فتحت الهمزة، فصار معناها الندامة، والتنبيه على الخطأ، وعند الكوفيين أن (وَيْكَ) ويلك، ومعناها: ألم تر، واختلف في الوقف عليهما، فوقف أبو عمرو: (وَيْك) على الكاف مقطوعة من الهمزة، وإذا ابتدأ، ابتدأ بالهمزة (أَنَّ)، و(أَنَّهُ)، ووقف الكسائي (وَيْ) على الياء مقطوعة من الكاف، وإذا ابتدأ، ابتدأ بالكاف (كَأَنَّ) و(كَأَنَّهُ)، ووقف الباقون (وَيْكَأَنَّ) (وَيْكَأَنَّهُ) موصولة اتباعاً للمصحف، وهذا هو الأولى والمختار في مذاهب الجميع؛ اقتداء بالجمهور، وأخذاً بالقياس الصحيح[1]، وقرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (لَخَسَفَ) بفتح الخاء والسين، الفاعل الله تعالى، وقرأ الباقون: بضم الخاء وكسر السين مجهولاً[2].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦١)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٣ـ٣٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٤).

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ ﴾ أي : الجنة .

﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا ﴾ بَغْياً .

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ ﴾ عَمَلاً بالمعاصي ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

عن علي رضي الله عنه : أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدوة[١] .

* * *

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي : بعمل صالح .

﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ أي : من ثوابها الموازي لها .

﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أخبر تعالى أن السيئة لا يُضاعف جزاؤها ؛ فضلاً منه ورحمة .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ولما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجراً إلى المدينة، سار في

---

(١) انظر : «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٤٤) .

غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن، رجع إلى الطريق، ونزل الجحفة بين مكة والمدينة، فاشتاق إلى مكة، فنزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[1] أنزله شيئاً بعد شيء ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة، ولما وُعد ﷺ بالعَوْد إلى مكة بعد قول المشركين له: إنَّكَ لفي ضلال مبين، نزل:

﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: هو أعلم بالفريقين، فيجازي كلاً بعمله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

* * *

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: يوحى إليك القرآن.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ نصب على أنه استثناء منقطع؛ أي: لكن رحمة من ربك، فأعطاك القرآن.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ مُعيناً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ عبادتهم.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٦)، عن الضحاك.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤).

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ ﴾ لا يصرفُنَّكَ.

﴿ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ عن قراءتها، والعمل بها.

﴿ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ أي: بعد وقت إنزالها إليك، و(إذ) تضاف إلى الزمان؛ كحينئذ. قرأ يعقوب: (يَصُدُّنْكَ) مجزوم النون، والباقون: بفتحها مشددة(١).

﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ إلى توحيده ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الخطاب الظاهر للنبي ﷺ، والمراد: أهل دينه، وجميع الآية يتضمن المهادنة والموادعة، وهذا كله منسوخ بآية السيف، وسبب هذه الآية: ما كانت قريش تدعو رسول الله ﷺ من تعظيم أوثانهم، وعند ذلك ألقى الشيطان في أمنيته أمرَ الغرانيق كما تقدم في سورة الحج.

* * *

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ نهي عما هم بسبيله، فهم المراد، وإن عري اللفظ عن ذكرهم.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ أي: إلا هو.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٥)، والقراءة المشهورة على يعقوب كقراءة الجمهور.

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ فصلُ القضاء، وإنفاذُ القدرة في الدارين.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إخبار بالحشر والعودة من القبور. **قرأ** يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع؛ من رجوع الآخرة، **وقرأ** الباقون: بضم التاء وفتح الجيم[1]، قال ابن عطية: **وقرأ** أبو عمرو بالوجهين[2]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٠٤).

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكية، إلا الصدر منها العشر الآيات، فإنها مدنية، نزلت في شأن من كان من المسلمين بمكة، وآيها: تسع وستون آية، وحروفها: أربعة آلاف ومئة وخمسة وتسعون حرفاً، وكلمها: تسع مئة وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ تقدم الكلام عليه أول سورة البقرة، وملخصه: أن معناه: أنا الله أعلم، وتقدم الخلاف في الحروف التي في أوائل السور أول سورة مريم. قرأ أبو جعفر: بتقطيع الحروف، يسكت على كل حرف سكتة يسيرة كما تقدم التنبيه عليه غير مرة.

***

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ قرأ ورش: (آلمَ احَسِبَ النَّاسُ) بفتح الميم وحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على الميم تخفيفاً، ويجوز بالمد والقصر في (ميم) كما تقدم عن الجمهور حالة الوصل في أول سورة آل عمران،

لكن الوصل هنا مختص بمذهب ورش، وقرأ الباقون: بإسكان الميم وفتح الهمزة(١).

﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ استفهام تقريع وتوبيخ، والمعنى: أظنوا تركهم غيرَ مفتونين؛ لقولهم: آمنا؟! والفتنة: الامتحان بالشدائد، تلخيصه: لا بد من امتحانهم، وإذا أحب الله عبداً، جعله للبلاء غرضاً.

نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فكانت صدورهم تضيق لذلك(٢)، فنزلت الآية تسلية ومعلمة أن هذه سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين؛ ليعلم الصادق، ويرى ثواب الله له، ويعلم الكاذب، ويرى عقاب الله إياه.

قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب في هذه الجماعة، فهي في معناها باقية في أمة محمد ﷺ موجود حكمها بقية الدهر(٣).

***

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ كالأنبياء والأولياء، فمنهم من نُشر

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ١٥٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٣٩).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٥-١٩٦).

(٣) «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٠٥).

بالمنشار، وعذب بأنواع العذاب، فلم ينصرف عن دينه.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ بالامتحان ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في الإيمان.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: فليظهرن الصادق من الكاذب.

* * *

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (أم) معادلة للألف في قوله: (أَحَسِبَ)، المعنى: أظن المسيئون، وهم الكفار.

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ أي: يفوتونا، فلا نقدر على الانتقام منهم؟!

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس حكماً يحكمون لأنفسهم بهذا الظن.

* * *

﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ يأمل ثوابه، ويخشى البعث والحساب.

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ هو الأمد المضروب للثواب والعقاب ﴿لَءَاتٍ﴾ لكائن. روي عن يعقوب، وقنبل: الوقف بالياء على (لَآتِي).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يفوته شيء.

* * *

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهاد حرب، أو جهاد نفس؛ بالصبر على مضض الطاعة.

﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ لأن ثوابه لها.

و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلا حاجة به إلى جهادهم.

***

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ لنبطلنها بسترها وترك العقوبة عليها.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: نضاعف لهم الحسنات.

***

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ونزل في سعد بن أبي وقاص، وهو من السابقين الأولين لما أسلم، فحلفت أمه ألاّ تأكل ولا تشرب حتى يكفر بمحمد، فقال: والله! لو كان لك مئة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾(١) نصب بـ(وصينا)؛ أي: وصيناه أن يفعل بهما ما يحسن.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنه لي شريك.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ﴾ في ذلك، وجاء في الحديث: «لا طاعة للمخلوق في

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٧٧)، و«أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٢١).

معصية الخالق»[1]، ثم أوعد بالمصير إليه، فقال:

﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من صالح أعمالكم وسيئها، وأجازيكم عليها.

* * *

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى﴾ زمرة.

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهم الأنبياء والأولياء، وهي الجنة.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته والإسلام.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ﴾ أي: عذاب ﴿ٱلنَّاسِ﴾ إياه هنا ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ فساوى بين العذابين، فخاف العاجل، وأهمل الآجل، وهم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا مسهم أذى من الكفار، صرفهم عن الإيمان.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ دولة للمؤمنين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ أي: المرتدون.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٦٦)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٦٠٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٧٣)، وغيرهم عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ على دينكم، ولكنا أُكرهنا على الكفر، فقال تعالى: تكذيباً لهم:

﴿ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ من الإيمان والكفر؟!

* * *

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ (١١) ﴾.

[١١] ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ حقيقةً، فثبتوا على الإيمان عند البلاء.

﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ في إيمانهم؛ بترك الإسلام عند البلاء. وهذه الآيات العشر من أول السورة إلى هنا مدنية، وباقي السورة مكية.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٢) ﴾.

[١٢] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا ﴾ الطريق الذي نسلكه في ديننا ﴿ وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾ أوزاركم؛ أي: إن كان فيها إثم، فنحتمله، فأخبر الله عز وجل أن ذلك باطل، وأنهم لو فعلوه، لم يتحمل عن أحد من هؤلاء المغترين بهم شيء من خطاياهم التي تختص بهم بقوله تعالى:

﴿ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما يزعمون؛ لأنهم لو يعلمون أنهم لا يقدرون على ذلك، وهذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم.

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ﴾ أوزار أعمالهم التي عملوها.

﴿ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ هي أثقال الذين أضلوهم.

﴿ وَلَيُسْـَٔلُنَّ ﴾ سؤال توبيخ.

﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ على الله من الكذب.

***

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ ﴾ بقي ﴿ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ ينذرهم فلا يلتفتون إليه، وفسر العدد بسنة، ثم بعام؛ استثقالاً لتكرير لفظ واحد بلا فائدة، ولما جاء بقصة نوح تهويلاً لما جرى عليه من قومه، ذكر الألف أولاً؛ ليكون أفخم في أذن السامع، ثم أخرج منها الخمسين؛ إيضاحاً لمجموع العدد.

وقد وقع في كلام المؤرخين أن نوحاً عاش العدد المذكور فقط، وظاهر الآية الشريفة يخالفه؛ لأنه يدل على أنه لبث العدد المذكور في قومه بعد إرساله إليهم ينذرهم، وأن الطوفان وقع بعد ذلك، وقد روي أنه عاش ألفاً وأربع مئة وخمسين سنة، وهو يوافق الآية الشريفة؛ لأن ظاهرها يدل على أنه عاش أكثر مما ذكره المؤرخون، وتقدم ذكر نسبه وتاريخ مولده ومحل قبره في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾

[الآية:٣٣]، وتقدم ذكر الاختلاف في عمره حين بعثه الله إلى قومه في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية:٥٩]، وتقدم ذكر تاريخ ركوبه في السفينة، وخروجه منها، وما بين الطوفان والهجرة الشريفة النبوية المحمدية في سورة هود عند آخر القصة.

فلما أنذرهم هذه المدة، وهي تسع مئة وخمسون سنة، فلم يؤمنوا، أذن له في الدعاء، فدعا عليهم.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ ما أطاف وأحاط بغلبة؛ كالسيل، فغرقوا.

﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ مشركون.

***

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ من الغرق.

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ أي: السفينة، أو العقوبة.

﴿ءَايَةً﴾ علامة على قدرة الله تعالى في شدة بطشه ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ يقتضي أنه أخذ قومه فقط، وقد اختلف في ذلك، فقالت فرقة: إنما غرق في الطوفان طائفة من الأرض، وهي المختصة بقوم نوح، وقالت فرقة هي الجمهور: وإنما غرقت المعمورة كلها، وهذا هو ظاهر الأمر؛ لاتخاذه السفينة، وغير ذلك من الدلائل.

فإن قيل: كيف غرق الجميع، والرسالة إلى البعض؟ فالوجه في ذلك أن يقال: إن اختصت شيء بأمة ليس هو بألاَّ يهدي غيرها ولا يدعوها إلى توحيد الله تعالى، وإنما هو بألاَّ تؤخذ بفعال غيرها، ولا يبث العبادات

فيهم، لكن إذا كانت نبوة قائمة هذه المدة الطويلة، والناس حولها يعبدون الأوثان فلا محال أن دعاءه إلى توحيد الله قد كان بلغ الكل، فنالهم الغرق؛ لإعراضهم وتماديهم.

* * *

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)﴾.

[١٦] ﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على نوح؛ أي: وأرسلنا إبراهيم.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ أطيعوا الله وخافوه، وهذه القصة تمثيل لقريش، وكان نمرود وأهل مدينته عَبَدَةَ أصنام، فدعاهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى عبادة الله، ثم فرد لهم ما هم عليه من الضلال.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الكفر ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير والشر.

* * *

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)﴾.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾(١) أصناماً.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تخلقون كذباً.

---

(١) من قوله: «بخيط في الخرزة...» (ص: ١٣٦) من سورة النمل الآية (٣٦) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ من سورة العنكبوت سقط من «ت»، وذلك بمقدار إحدى عشرة لوحة من النسخ الخطية.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا ﴾ لا يستطيعون أن يرزقوكم.

﴿ فَٱبۡتَغُواْ ﴾ فاطلبوا ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ ﴾ فإنه المالك له.

﴿ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ على نعمه.

﴿ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ بالمعاد والحشر. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ ﴾ رسلَهم، فأهلكوا.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله.

* * *

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ ﴾.

[١٩] ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ بالدلائل والنظر. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (تَرَوْا) بالخطاب، والباقون: بالغيب على الحكاية(٢).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، =

﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يخلقه ابتداءً نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم شخصاً سوياً، ثم يميته ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ حياً وقتَ البعث.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يفتقر في فعله إلى شيء.

***

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾ إلى ديارهم وآثارهم.

﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ أي: خلقه ابتداء على غير مثال.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ وهي نشأة القيام من القبور، المعنى: إذا قَدَر على بدء الخلق أولاً، فهو على إنشائه وإحيائه بعد الموت أقدرُ. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (النَّشَاءَةَ) بفتح الشين والمد حيث وقع، والباقون: بسكون الشين مقصورة، وهما لغتان[١]؛ كالرأفة والرآفة، ووقف حمزة على وجهين في ذلك: أحدهما: أن يلقي حركة الهمزة على الشين، ثم يسقطها طرداً للقياس، والثاني: أن يفتح الشين، ويبدل الهمزة ألفاً إتباعاً للخط، ومثله قد سمع من العرب[٢].

= و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٢).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٣).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ فيقدر على النشأة الأخرى كما قدر على الأولى.

* * *

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ بتيسيره لأعمال من حق عليه العذاب.

﴿ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ بتيسيره لأعمال من سبقت عليه[١] الرحمة، لا معترض عليه.

﴿ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ ترجعون.

* * *

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ الله، وإن هربتم.

﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا ﴾ تعجزونه.

﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ لو كنتم فيها، المعنى: لا مخلَصَ لكم من الله.

﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ ﴾ يمنعكم منه[٢].

﴿ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ ينصركم من عذابه، والوليُّ أخصُّ من النصير.

* * *

---

(١) في «ت»: «له».

(٢) في «ت»: «فيه».

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ بدلائل وحدانيته ﴿ وَلِقَآئِهِۦٓ ﴾ بالبعث ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴾ أي: ييئسون منها يوم القيامة، فعبر عنها بالماضي؛ للتحقيق والمبالغة.

﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بكفرهم، فهذه الآيات في تذكير أهل مكة، وتحذيرهم، وهي معترضة في قصة إبراهيم عليه السلام.

* * *

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ثم عاد إلى قصة إبراهيم، فقال تعالى:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ حين دعاهم إلى الإيمان.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وجعلها عليه برداً وسلاماً.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقون.

* * *

﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم لقومه: ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ

﴿بَيْنِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس: (مَوَدَّةُ) رفعاً بلا تنوين (بَيْنِكُمْ) خفضاً بالإضافة على معنى: إن الذين اتخذوا من دون الله هي مودة بينكم في الحياة الدنيا، ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم، وروح عن يعقوب: (مَوَدَّةَ) نصباً من غير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الباقون: (مَوَدَّةً) بالنصب والتنوين (بَيْنَكُمْ) بالنصب[1]، معناه: إنما اتخذتم هذه الأوثان مودةً بينكم.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تتوادُّون على عبادتها، وتتواصلوْن عليها في الدنيا.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: يتبرأ القادة من الأتباع.

﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: يلعن الأتباعُ القادةَ.

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ جميعاً، العابدون والمعبودون، والتابعون والمتبعون.

﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يُخلصونكم منها.

* * *

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ أي: لإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ لما رأى النار لا تحرقه، وهو أول من آمن به.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٤-٤٥).

﴿ وَقَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ ﴾ حيث أمرني.

﴿ رَبِّيٓ ﴾ بالهجرة إليه، فهاجر من كوثا سواد الكوفة إلى حران، ثم إلى فلسطين، وهو أول من هاجر، ومعه لوط وسارة، وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل غير ذلك، ومنه قيل: لكل نبي هجرة، ولإبراهيم هجرتان. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي يمنعني من أعدائي.

﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي يأمرني بما فيه صلاحي.

* * *

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ ﴾ فلم يبعث الله نبياً بعد إبراهيم إلا من نسله ﴿ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ يريد به: الجنس؛ ليتناول التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ هو الثناء الحسن.

﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: في زمرتهم، وهم الأنبياء وأتباعهم صلوات الله عليهم أجمعين.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٦).

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ وهي إتيان الرجال.

﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (إِنَّكُمْ) بالإخبار، وقرأ الباقون، وهم: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (أَئِنَّكُمْ) بالاستفهام، فأبو عمرو يحقق الهمزة الأولى، ويسهل الثانية، وهو على أصله في إدخال ألف بينهما، والباقون: يحققون الهمزتين[١].

* * *

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ طريق المارة، كانوا يجلسون عليها، فمن مر بهم، أخذوه، فأخبثوا به. اتفق القراء على الاستفهام في هذا الحرف، وهم على أصولهم، فنافع، وابن كثير،

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠ و٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢ـ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٢ـ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٦ـ٤٧).

وأبو جعفر، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: يحققون الهمزة الأولى، ويسهلون الثانية بين الهمزة والياء، ويفصل بين الهمزتين بألف: أبو جعفر، وأبو عمرو، وقالون، واختلف عن هشام، والباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين[1].

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ أي: مجلسكم ومتحدَّثكم، والنادي والنديُّ: مجلس القوم ما داموا فيه، فإذا خرجوا منه، فليس بنادي ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ هو إتيان الرجالِ بعضِهم بعضاً في المجالس، روي أنهم كانوا يجلسون على الطريق، وعند كل واحد منهم[2] قصعة فيها حصًا، فمن مر بهم، حذفوه، فمن أصابه منهم، فهو أحق به، فيأخذ ما معه، وينكحه، ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض يقضي بينهم بذلك، ومنه: هو أجورُ من قاضي سدوم، وكان من أخلاقهم مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وفرقعتها، وحل الأزرار، والسباب والفحش، ورمي البندق، واللعب بالحمام.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ لما أنكر عليهم.

﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ له استهزاءً:

﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما تعدنا من نزول العذاب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٣ و٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٧).

(٢) «منهم» ساقطة في «ت».

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] فعند ذلك ﴿ قَالَ ﴾ لوط: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِي ﴾ بتصديق قولي.

﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ لحملهم الناس على ما لا يجوز.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ من الله بإسحاق ويعقوب. قرأ هشام: (أَبْرَاهَامَ) بالألف.

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ ﴾ هي سدوم.

﴿ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ بالكفر والمعاصي.

* * *

﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم للرسل؛ إشفاقاً على المؤمنين، ومجادلة عنهم: أرأيتم إن كان فيهم مئة بيت من المؤمنين، أتتركونهم؟ قالوا: ليس فيهم ذلك، فجعل يتحدر حتى انتهى إلى عشرة أبيات، فقالت الملائكة: ليس فيها عشرة، ولا خمسة، ولا ثلاثة، ولا اثنان، فحينئذ قال إبراهيم:

﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ ﴾ سُمِّيَ بذلك؛ لأن حبه لِيطَ بقلب عمّه إبراهيم؛ أي: تعلق ولصق، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً، فراجعوه حينئذ، و﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ ﴾ لا تخف أن يقع حَيْف على مؤمن.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: بإسكان النون الثانية، وتخفيف الجيم، والباقون: بفتح النون وتشديد الجيم(1).

﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب.

* * *

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ ظن أنهم من الإنس.

﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ فأجأته المساءة والغم خيفة عليهم من قومه. قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (سِيءَ) بإشمام السين الضم(2).

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أصله أن الرجل إذا طالت ذراعه، أدرك ما لم يدرك القصير، فجعل ضيق الذراع عبارة عن تحمل ما لا يطاق، والمعنى: اغتم غماً شديداً؛ خوفاً أن يخبث قومه بهم.

﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا تَخَفْ﴾ علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ بإهلاكنا إياهم.

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٨).

(2) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٩).

﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (مُنْجُوكَ) بإسكان النون وتخفيف الجيم، والباقون: بفتح النون وتشديد الجيم[1].

***

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ ﴾ قرأ ابن عامر: بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون: بإسكان النون[2] وتخفيف الزاي.

﴿ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾ عذاباً.

﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ بسبب فسقهم.

***

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ﴾ أي: من القرية[3].

﴿ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً ﴾ آثار منازلهم الخربة.

﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبرون الآيات تدبُّرَ ذوي العقول.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٠).

(٣) «أي: من القرية» زيادة من «ت».

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ نصب بأرسلنا مقدرة.

﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ افعلوا ما ترجون به العاقبة.

﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ الزلزلة.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ باركين على الركب ميتين.

* * *

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ ﴾ نصب بمضمر؛ أي: أهلكناهما. قرأ حمزة، ويعقوب، وحفص: (وَثَمُودَ) بغير تنوين على تأويل القبيلة، والباقون: بالتنوين، فمن نون، وقف بالألف، ومن لم ينون، وقف بغير ألف، وإن كانت مرسومة، فبذلك جاءت الرواية عنهم منصوصة[١].

﴿ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم ﴾ يا أهل مكة.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٩-٢٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٠).

﴿ مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ ﴾ أي: منازلهم بالحِجْر واليمن ما وصف من إهلاكهم.

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الطريق السوي.

﴿ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴾ عقلاء متمكنين من النظر.

* * *

﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ (٣٩) ﴾.

[٣٩] ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ ﴾ أي: وأهلكناهم.

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ والدلالات

﴿ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾ فائتين عذابنا.

* * *

﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ (٤٠) ﴾.

[٤٠] ﴿ فَكُلًّا ﴾ منهم ﴿ أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ ﴾ عاقبناه به.

﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا ﴾ وهم قوم لوط، والحاصب: الريح التي تحمل الحصباء، وهي الحصا الصغار.

﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ يعني: ثمود.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ يعني: قارون وأصحابه.

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ يعني: قوم نوح، وفرعون وقومه.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ فيعاقبهم بغير جرم.

﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالتعريض للعذاب.

* * *

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ولما كانت العنكبوت أضعف الحيوان، وبيته أضعف البيوت، ضرب مثلاً للأصنام وعابديها، فقيل: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ يعني: الأصنام، يرجون نفعها ونصرها.

﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ ﴾ تأوي إليه، وهو في غاية الضعف، لا يدفع عنها حراً ولا برداً، وكذلك الأوثان لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضراً.

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أن نفعهم بمعبوديهم كنفع العنكبوت ببيتها، لما عبدوهم.

وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: «طهروا بيوتكم من نسيج العنكبوت؛ فإن تركه يورث الفقر»(١).

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٠).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤٢﴾.

[٤٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ أي: قل للكفرة: إن الله يعلم ﴿مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْلَم مَّا) بإدغام الميم في الميم، والباقون: بالفك[1]، وقرأ أبو عمرو، وعاصم، ويعقوب: (يَدْعُونَ) بالغيب؛ لذكر الأمم، وقرأ الباقون: بالخطاب[2]، فأما موضع (ما) من الإعراب، فقيل: معناه: أن الله يعلم الذين تدعون من دون الله من جميع الأشياء: أن حالهم هذه، وأنهم أمر لا قدرة له، و(من) تبيين، المعنى: الله مطلع عليكم وعلى أعمالكم، فيجازيكم.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ القاهر على كل شيء ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل شيئاً إلا بحكمة وتدبير.

* * *

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾.

[٤٣] وكان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون: إن ربَّ محمد يضرب

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٤/ ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥١).

المثل بالذباب والعنكبوت، ويضحكون من ذلك، فنزل: ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: وهذه.

﴿ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ الأشباه، والمثل: كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول، يريد: أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة.

﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ لكفار مكة.

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ يعلم(١) فائدة ضربها.

﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الذين يعقلون عن الله، فيعملون بطاعته، ويجتنبون سخطه.

* * *

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل، وهو أن تكون مساكن عباده، وعبرة للمعتبرين منهم.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لدلالة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على عظم قدرته وتوحيده.

* * *

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: القرآن.

---

(١) في «ت»: «يفهم».

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المعروفة.

﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما قَبُحَ من الأعمال ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ ما لا يُعرف في الشرع، قال ﷺ: «من لم تَنْهَهُ صلاتُه عن الفحشاء والمنكر، لم يَزْدَدْ من الله إلا بُعداً»(١).

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ أي: أفضل الطاعات؛ لأن ثواب الذكر الذكر، قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وسئل ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تفارقَ الدنيا ولسانُك رَطْبٌ من ذكر الله»(٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء.

* * *

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ تخاصموا ﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: باللين إذا بذلوا الجزية ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ بالمعاندة، استثناء من الجنس؛ أي: إلا الذين أبوا أن يعطوا الجزية، ونصبوا الحرب، فأولئك

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦)، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤٤).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٦)، عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ.

انتصِرُوا منهم، وجادلوهم بالسيف حتى يؤمنوا[١]، أو يُقِرُّوا بالجزية.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ المعنى: أخبروهم أنكم مؤمنون بالله، وجميع كتبه.

روي أن رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود، ومُرَّ بجنازة، فقال: يا محمد! هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم»، فقال اليهودي: إنها تتكلم، فقال ﷺ: «ما حدثكم أهلُ الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان باطلاً، لم تصدِّقوه، وإن كان حقاً، لم تكذِّبوه»[٢].

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧﴾.

[٤٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكإنزالنا التوراة ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ وهم من أسلم من كفار مكة ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وذلك أن اليهود عرفوا أن محمداً نبي، والقرآن حق، فجحدوا.

* * *

---

(١) في «ت»: «يسلموا».

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤٤)، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٠٦)، عن ابن أبي نملة الأنصاري، عن أبيه.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ من قبل القرآن.

﴿ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ ﴾ تكتبه ﴿ بِيَمِينِكَ ﴾ وقوله: بيمينك؛ لأن الكتابة غالباً تكون باليمين، المعنى: لم تكن قارئاً ولا كاتباً، ولو كنت تعرف شيئاً من ذلك.

﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ في نبوتك، وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ، وإنما أخذه من كتب من تقدمه.

* * *

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ أي: ذو آيات واضحات.

﴿ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ لأنهم يجدونه في كتبهم كذلك لا يكتب ولا يقرأ، وقيل: المعنى: بل القرآن آيات بينات في صدور المؤمنين الذين حفظوه؛ لأن من خصائص القرآن كونه معجزاً، وهو محفوظ في الصدور، بخلاف سائر الكتب؛ لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه، لم يعرفوا منه شيئاً، سوى الأنبياء، وما نقل عن قارون.

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ اليهود.

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ ﴾ أي: هَلاَّ ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (آيَةٌ) على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: (آياتٌ) على الجمع؛ كالناقة، والعصا، والمائدة[١].

﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ في قدرته، ينزلها إذا شاء، وليس إلي من ذلك شيء.

﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ كُلِّفت الإنذارَ وإبانته بالدلائل الواضحة.

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن.

﴿ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ بصدقك، وهو أعظم الآيات؛ لأنه ثابت على مرور الأيام؛ بخلاف سائر الآيات؛ فإنها انعدمت.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ القرآن الذي هو آية مستمرة.

﴿ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ ﴾ تذكيراً ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٢).

﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ولما لم يصدقوا بالقرآن، نزل: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ ﴾ لي بالبلاغ، وعليكم بالتكذيب؛ لأنه ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ فلا يخفى عليه حالي وحالكم.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ أي: بغير الله.

﴿ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ والمغبونون؛ لاشترائهم الكفر بالإيمان.

***

﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ونزل فيمن استعجل العذاب استهزاءً: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ ﴾ بقولهم: ﴿ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴾ في اللوح المحفوظ؛ أنهم يعذبون فيه، وهو يوم القيامة.

﴿ لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ عاجلاً.

﴿ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ ﴾ فجأة في الدنيا؛ كيوم بدر، والآخرة عند نزول الموت بهم.

﴿ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بإتيانه.

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) ﴾.

[٥٤] ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ أعاده تأكيداً.

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ جامعة لهم.

* * *

﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) ﴾.

[٥٥] ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ ﴾ يُصيبهم ﴿ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ أي: من جميع جوانبهم، المعنى: إذا غشيهم العذاب، أحاطت بهم جهنم.

﴿ وَيَقُولُ ذُوقُوا ﴾ جزاء ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من المعاصي. قرأ نافع، والكوفيون: (وَيَقُولُ) بالياء؛ أي: ويقول لهم الموكَّلُ بعذابهم، وقرأ الباقون: بالنون[١]، وهي إما نون العظمة، أو نون جماعة الملائكة.

* * *

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) ﴾.

[٥٦] ونزل فيمن كان يؤذى بمكة من ضعفاء المسلمين، ويخشى الجوع إن خرج ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ فاخرجوا، فأنا رازقكم حيث كنتم.

﴿ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ والفاء في (فَإِيَّايَ) جواب شرط محذوف، تقديره: إن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٣).

لم تتمكنوا من العبادة بأرض؛ لكثرة المعاصي، فاعبدون بغيرها، في الحديث: «من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض، استوجبَ الجنةَ، وكان رفيقَ إبراهيمَ ومحمدٍ»[1]. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم: (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2]، **وقرأ** ابن عامر: (أَرْضِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[3]، **وقرأ** يعقوب: (فَاعْبُدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[4].

***

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ثم شجَّع المهاجرين بقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ﴾ أي: مرارته؛ كما يجد الذائق طعم المذوق، المعنى: كل أحد ميت أينما كان، فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت.

﴿ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم بأعمالكم. **قرأ** أبو بكر عن عاصم:

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨) عن الحسن مرسلاً، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣٥١).

(٢) انظر «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٤).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢_٥٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٤).

(٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٤).

(يُرْجَعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ويعقوب: على أصله في فتح التاء وكسر الجيم[1].

***

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (لَنُثْوِيَنَّهُمْ) بالثاء المثلثة ساكنة بعد النون، وإبدال الهمزة ياء؛ من الثواء، وهي الإقامة، يقال: ثوى الرجل: إذا أقام، وأثويته: إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه، وقرأ الباقون: بالباء الموحدة وفتحها وتشديد الواو وهمز بعدها[2]، وأبو جعفر: على أصله في إبدال الهمزة ياء مفتوحة[3]؛ من التبوء وهو المنزل؛ أي: لننزلنهم.

﴿ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ علالي ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٣/ ٣٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٥٤_٥٥).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٥).

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

[٥٩] ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على الشدائد ومفارقة الأوطان وأذى المشركين .

﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يعتمدون .

***

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ .

[٦٠] ولما قال النبي ﷺ للمؤمنين الذين كانوا بمكة، وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة»، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة، وليس لنا فيها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن ﴾(١) أي: وكم.

﴿ مِّن دَآبَّةٖ ﴾ هي كل نفس تدب على الأرض من الحيوان. وتقدم اختلاف القراء في (وَكَأَيِّنْ) في سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ [الآية: ٤٥].

﴿ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ﴾ لا تطيق حمله؛ ضعفاً عن حمله وكسبه.

﴿ ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ ﴾ حيث كنتم.

﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم: لا نجد ما ننفق في المدينة.

﴿ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ بما في ضمائركم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١).

قال ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصاً، وتروح بطاناً»[1].

* * *

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يعني: كفارَ مكة.

﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود، وإن اعترفوا بذلك.

فقل: ﴿فَأَنَّىٰ﴾ أي: فكيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن طاعته وتوحيده، مع اعترافهم أنه خالق الأشياء العظام التي هي دلائل القدرة؟! والاستفهام فيه للتوبيخ والتقريع.

* * *

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يُضَيِّق ﴿لَهُ﴾ والضمير في قوله: (يَقْدِرُ لَهُ) لمن يشاء، فكأن بسط الرزق وقدره جُعلا لواحد، ويحتمل أن يكون تقديره: ويبسط لمن يشاء، ويقدر لمن يشاء، فحذف من يشاء، ووضع الضمير موضعه.

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ما يصلح العباد، وما يفسدهم.

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها.

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على ثبوت الحجة عليكم.

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ما يقولون؛ لأنهم مع إقرارهم بذلك يشركون.

* * *

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ ﴾ واللهو: هو الاستمتاع بملذات الدنيا.

﴿ وَلَعِبٌ ﴾ أي: عبث، وسميت بذلك؛ لتشاغلهم بها، وسرعة فنائها.

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ أي: حياتها ﴿ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ أي: حياة لا موت فيها، وسميت بالحيوان؛ لأن في الحيوان زيادة مبالغة على الحياة، وهو مصدر حَيِيَ، وقياسه حَيَيَان، قلبت الياء واواً؛ لئلا تحذف إحدى الألفات، والحياة حركة، والموت سكون، والحيوان مقر الحياة، وهو ضربان: ماله الحاسة، والآخر ماله البقاء الدائم، تلخيصه: لهم البقاء السرمدي.

﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، لم يؤثروا الدنيا على الآخرة.

* * *

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ ﴾ أي: الكفار ومعهم أصنامهم.

﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ في البحر، وخافوا الغرق.

﴿ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: لم يشركوا أحداً معه في الدعاء.

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ عناداً.

* * *

﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ من النعم، لفظه أمر، ومعناه التهديد.

﴿ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ بما بأيديهم من النعم. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وقالون: (وَلْيَتَمَتَّعُوا) بإسكان اللام أمراً تهديداً، وقرأ الباقون: بكسرها(١)، جعلوها لام كي، تلخيصه: لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ ذلك حين يُعاقبون.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٨).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ أهلُ مكة .

﴿ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ يأمنون فيه .

﴿ وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ ﴾ كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون .

﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ ﴾ الأصنام والشياطين ﴿ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ محمد والإسلام ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾ وهذا تذكير لأهل مكة .

***

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

[٦٨] ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بزعمه الشريكَ والولدَ لله تعالى .

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ محمدٍ والقرآن ﴿ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ ﴾ من غير توقف عناداً .

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ مقام للكافرين؟ استفهام بمعنى التقرير؛ لأن همزة الإنكار إذا أدخلت على النفي، صار إيجاباً؛ أي: ألا يستوجبون الثواء فيها، وقد افتروا هذا الكذب الشنيع؟!

***

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

[٦٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا ﴾ أي: من أجلنا؛ لنصرة ديننا .

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾ لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير. قرأ أبو عمرو: (سُبْلَنَا) بإسكان الباء، والباقون: بضمها[1]، وكذلك اختلافهم في (رسلنا) و(رسلهم) و(رسلكم) حيث وقع.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والمعونة، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٥٩).

سورة الروم

مكية، إلا قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾، آيها: ستون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمس مئة وأربعة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثمان مئة وتسع عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ (١)﴾.

[١] نقل المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم؛ لأنهم أصحاب كتاب مثلهم، والمشركون يحبون ظهور فارس؛ لأنهم كانوا مجوساً لا كتاب لهم كالمشركين، فبعث كسرى ملك فارس جيشاً، وبعث قيصر ملك الروم جيشاً، فالتقيا فغلب فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا، لنظهرن عليكم، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿الٓمٓ﴾[1] تقدم التنبيه على

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٥)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٥٤)، =

معناه، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول سورة العنكبوت.

* * *

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾.

[٢] ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ حين قاتلهم الفرس.

* * *

﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أقربها، وهي أذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ الفرسَ.

* * *

﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾.

[٤] ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ هو ما بين ثلاث إلى عشر، فلما نزلت الآيات، قال أبو بكر: «لا يقر الله أعينكم، ستكون لهم الغلبة عليكم» فَنَاحَبَهُ؛ أي: راهنه أُبي بن خلف على عشر قلص إلى ثلاث سنين، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: «إنما البضع من الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وماده في الأجل»، وذلك قبل تحريم القمار، فجعلا المناحبة على مئة قلوص إلى تسع سنين، فمات أُبي بن خلف من طعنة النبي ﷺ حين بارزه، ثم نصرت الروم بعد سبع سنين، وكان يوم الحديبية أو بدر، فأخذ أبو بكر الرهن من

= و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤٧٨).

ورثة أُبي، وجاء به يحمله إلى النبي ﷺ، فقال له: «تصدق به»[1]. **وقرأ** عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، والحسن، وعيسى بن عمر: (غَلَبَتِ الرُّومُ) بفتح الغين واللام، و(سَيُغْلَبُونَ) بضم الياء وفتح اللام[2]، وقالوا: نزلت حين أخبر النبي ﷺ غلبة الروم فارس، ومعنى الآية: غلبت الروم فارس في أدنى الأرض إليكم، وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين، وعند انقضاء هذه المدة أخذ المسلمون في جهاد الروم، قال البغوي: والأول أصح، وهو قول أكثر المفسرين[3].

وقد حكى بعض المؤرخين في معنى ذلك: أن بيت المقدس لما فتح على يد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في سنة خمس عشرة، أو ست عشرة من الهجرة الشريفة، واستمر بأيدي المسلمين أربع مئة وسبعاً وسبعين سنة، ثم تغلب عليه الفرنج، واستولوا عليه في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة من الهجرة الشريفة، واستمر بأيديهم إحدى وتسعين سنة، إلى أن فتحه الله على يد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رحمه الله ـ في يوم الجمعة سابع عشري رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، ووقع من الاتفاقات العجيبة أن الناصر صلاح الدين كان قبل ذلك استولى على مدينة حلب في صفر سنة تسع وسبعين وخمس مئة فامتدحه القاضي محي الدين بن الزكي قاضي دمشق بقصيدة منها:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٧ـ١٨).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٧).

وَفَتْحُكُمْ حَلَباً بِالسَّيْفِ فِي صَفَرٍ ... مبشرٌ بفتوحِ القدسِ في رَجَبِ

فكان كما قال، وفتح القدس في رجب كما تقدم، فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن مرجان[1] في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾، وكان الإمام أبو الحكم بن مرجان الأندلسي قد صنف تفسيره المذكور في سنة عشرين وخمس مئة، وبيت المقدس يومئذ بيد الفرنج لعنهم الله.

قال ابن خلكان في «تاريخه» في ترجمة ابن الزكي: ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية، لم أزل أتطلب تفسير ابن مرجان حتى وجدته على هذه الصورة، ولكن رأيت هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط الأصل، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب، أم هو ملحق، قال وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حين حزره من قوله تعالى: ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾، انتهى[2]، وقد صحح البغوي الأول كما تقدم.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ من قبل قتالهم وبعده، فأي الفريقين كان له الغلبة، فهو بأمر الله وقضائه.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يغلب الروم فارس.

﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

---

(١) «برجان» في: «ت».

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٢٩-٢٣٠).

﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ ﴾ من له كتاب على من لا كتاب له .

﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ فينصر هؤلاء تارة، وهؤلاء أخرى .

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب .

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بالمؤمنين .

* * *

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِۖ ﴾ نصب على المصدر؛ أي: وعد الله وعداً بظهور الروم على فارس .

﴿ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ صحة وعده؛ لجهلهم .

* * *

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ من أمر معاشهم، ولا فرق بين عدم العلم وبين العلم المقصور على الدنيا .

﴿ وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ ساهون لا يتفكرون فيها، وكرر الضمير تأكيداً .

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾ .

[٨] ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدلهم على المطلوب منهم فقال :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ أي: ألم يحدثوا الفكرة الصالحة في قلوبهم.

فيقولوا: ﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: لم يخلقهما عبثاً، بل لحكم ظاهرة ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ آتٍ[1] لوقت معلوم، إذا انتهت إليه، فنيت، وهو يوم القيامة.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث والجزاء.

﴿ لَكَٰفِرُونَ﴾ جاحدون، يظنون بقاء الدنيا، وعبر عنه بلقاء الله؛ لأنه عظم الأمر، وفيه النجاة والهلكة.

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أهل مكة.

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ المعنى: ألم يسافروا، فيعترفوا[2] مصارع المهلكين؛ كعاد وثمود بعد أن.

﴿ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزراعة، وسمي الثور ثوراً؛ لإثارته الأرض؛ كما سميت بقرة لبقرها الأرض.

---

(١) «آتٍ» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «فيعتبروا».

﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ أي: المدمَّرين ﴿أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أكثر من عمارة أهل مكة، فأُهلكوا، فما الظن بأهل مكة، وهم دونهم في العدد والعُدَد وقوة الجسد.

﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ فيدمرهم من غير جرم.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بكفرهم.

***

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ (١٠)﴾.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ﴾ أي: آخر أمر ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾ العمل بكفرهم.

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ، وهو الأقبح، يعني: الخلة التي تسوْؤهم، وهي جهنم.

﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ أي: لأجل أن كذبوا(١).

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ، والقرآن.

﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (عَاقِبَةُ) بالرفع اسم كان، وخبرها (السُّوءَى)، وقرأ الباقون: بالنصب على خبر كان(٢)، وتقديره: ثم كان السوءى عاقبة الذين أساؤوا.

---

(١) «أي: لأجل أن كذبوا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ﴾ ينشئهم ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ بالبعث بعد الموت.

﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ فيجزيهم بأعمالهم. قرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: (يُرْجَعُونَ) بالغيب مع ضم حرف المضارعة، واختلف عن يعقوب، فقرأ رويس: بالخطاب، وروح: بالغيب، وكل منهما يفتح حرف المضارعة على أصل يعقوب، وقرأ الباقون: بالخطاب مع الضم[(١)].

* * *

﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ﴾ أي: ييئس.

﴿ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ المشركون من كل خير.

* * *

﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ ﴾ الذين عبدوهم دون الله.

﴿ شُفَعَٰٓؤُاْ ﴾ يجيرونهم من عذاب الله.

﴿ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ ﴾ أي: بآلهتهم ﴿ كَٰفِرِينَ ﴾ جاحدين، يتبرأ كل

= (٢/ ٢٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٥).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨ و٣٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٧).

واحد منهم من الآخر، وكتب (شُفَعَؤُاْ) بواو قبل الألف؛ كما كتب (عُلَمَؤُاْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) في الشعراء [الآية: ١٩٧]، و(السُّوأَى) بألف قبل الياء إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

* * *

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ بعد الحساب إلى الجنة والنار، فلا يجتمعون أبداً.

* * *

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ ﴾ بستان مخضر في الجنة.

﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ يُسرون، وكل أرض ذات نبات وماء روضة، ونكرت إرادةً الجنس، وتفخيماً لها.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ بالبعث يوم القيامة.

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ لا يغيبون عنه.

* * *

﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن المواقيت الخمس، هل هي في كتاب الله تعالى؟ قال: «نعم»، ثم تلا: ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ ﴾[(١)] أي: نزهوا الله.

﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ تدخلون في المساء، والمراد: صلاتا المغرب والعشاء.

﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ أي: تدخلون في الصباح، وهو صلاة الفجر.

* * *

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس: «يحمده أهل السموات والأرض ويصلون»[(٢)]، ﴿ وَعَشِيًّا ﴾ هي صلاة العصر.

﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ تدخلون في الظهيرة، وهي صلاة الظهر.

واتفق الأئمة على أن الصلوات المفروضات في اليوم والليلة خمس، وعلى أنها سبع عشرة ركعة، الظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، والفجر ركعتان، وتجب الصلاة بأول الوقت لغير معذور، وعليه بآخره بالاتفاق.

فأول وقت الظهر: إذا زالت الشمس، وهو ابتداء طول الظل بعد تناهي

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١).

قصره بالاتفاق، وآخر وقتها: إذا صار ظل الشيء مثله بعد الذي زالت فيه الشمس عند الشافعي وأحمد، وقال مالك: هو آخر وقت الظهر، وهو بعينه أول وقت العصر المختار يكون وقتاً لهما ممتزجاً بينهما، فإذا زاد زيادة بينة، خرج وقت الظهر المختار، واختص الوقت بالعصر، وعند أبي حنيفة آخر وقت الظهر مصير ظل الشيء مثليه، وخالفه صاحباه، فوافقا الشافعي وأحمد.

ثم العصر، ووقتها من خروج وقت الظهر على الاختلاف بينهم، وآخر وقتها المختار مصير ظل كل شيء مثليه عند مالك والشافعي وأحمد، ووقت الضرورة عند الشافعي وأحمد إلى غروب الشمس، وهو آخر الوقت عند أبي حنيفة، وقال مالك: وقت الضرورة ببقاء خمس ركعات من النهار يدرك بها الظهر والعصر، وما دون ذلك يدرك بها العصر دون الظهر.

ثم المغرب، ووقتها من مغيب الشمس بالاتفاق، قال مالك: وقت المغرب في الأخبار مغيب الشمس، وهو وقت واحد مضيق غير ممتد، لا يؤخر عنه، مقدر آخره بالفراغ منها في حق كل مكلف، وآخر وقتها عند الشافعي وأحمد مغيب الشفق الأحمر بالأفق، وهو من بقايا شعاع الشمس، وعند أبي حنيفة هو البياض الذي يبقى بعد الحمرة؛ خلافاً لصاحبيه.

ثم العشاء، ووقتها من مغيب الشفق على الاختلاف بينهم، وآخر وقتها المختار عند مالك والشافعي وأحمد ثلث الليل الأول، ووقت الضرورة عند مالك بقاء أربع ركعات من الليل قبل طلوع الفجر يدرك بها المغرب والعشاء، وما دون ذلك يدرك بها العشاء وحدها، وعند الشافعي وأحمد وقت الضرورة إلى طلوع الفجر الثاني، وهو البياض الذي يبدو من قبل

المشرق معترضاً بالأفق ولا ظلمة بعده، وهو آخر الوقت عند أبي حنيفة.

ثم الفجر، ووقتها من طلوع الفجر الثاني وهو الصادق إلى طلوع الشمس بالاتفاق، وتعجيلها أفضل عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة يستحب الإسفار، فمن أدرك قبل الشمس ركعة، فقد أدرك الصلاة عند الشافعي، وعند مالك مع الطمأنينة، وعند أحمد يدرك الوقت بتكبيرة الإحرام، وكذا الحكم عندهم في جميع الصلوات، وعند أبي حنيفة إذا طلعت الشمس وهو في صلاة الفجر بطلت صلاته، وليس كذلك إذا خرج الوقت في بقية الصلوات، والزائد على قدر واجب في الصلاة في قيام ونحوه نفل بالاتفاق.

***

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة.

﴿ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ عكسه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (الْمَيِّت) بالتشديد في الحرفين، والباقون: بالتخفيف(١).

﴿ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ ﴾ بالمطر وإخراج النبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ ﴾ يبسها.

﴿ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ أي: كذلك نحييكم عند البعث. قرأ حمزة،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤_٢٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٨).

والكسائي، وخلف: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء، واختلف عن ابن ذكوان[1].

***

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ دلائله الدالة على قدرته ووحدانيته.

﴿ أَنْ خَلَقَكُم ﴾ أي: خلق أصلكم، وهو آدم ﴿ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ تنبسطون في الأرض، و(إذَا) للمفاجأة؛ أي: فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين.

***

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ حواء من ضلع آدم، والنساء بعدها من أصلاب الرجال ﴿ لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ لتأووا إلى أزواجكم.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً ﴾ الجماع ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ الولد، فبرحمة الله يتعاطفون، ويرزق بعض بعضاً.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في عظمة الله وقدرته.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (٣/ ٤٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٩).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ باللغات.

﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ أبيض وأسود وغيرهما.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ ظاهرة ﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: بكسر اللام الثالثة، جمع عالم، وهو ذو العلم، وخص العلماء؛ لأنهم أهل النظر والاستدلال، دون الجهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها، وقرأ الباقون: بفتح اللام[1]، جمع العالم، وهم الخلق، معناه: الآيات حجة على كل مخلوق.

***

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم ﴾ أي: نومكم ﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾.

﴿ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي: جعل الليل للسكنى، والنهار للتصرف في طلب المعاش.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ سماع تدبر واعتبار.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٩).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من الصواعق.

﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يبسها.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (وَيُنْزِلُ) بالتخفيف، والباقون: بالتشديد[1].

* * *

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي تدوما قائمتين إلى أجلهما.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ المعنى: من دلائله على ألوهيته قيام السموات والأرض، ثم خروج الموتى حين يقال: يا أهل القبور اخرجوا، فيخرجون بلا توقف ولا إباء.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٦٩).

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ مطيعون لا يمتنعون عليه، والمراد: طاعة الإرادة، لا طاعة العبادة.

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ﴾ ينشئه من العدم أولاً.

﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ بعد الموت للبعث.

﴿ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ ﴾ أي هو هين عليه، وما شيء عليه بعزيز.

﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي: الوصف الذي ليس لغيره مثله.

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ صفتان موافقتان لمعنى الآية؛ لأنه وصف الوحدانية.

* * *

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ثم عقبه بصفات التشريك فقال: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ ﴾ أي: بين لكم شبهاً من حالكم، و(مِنْ) هذه ابتدائية؛ أي: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم، وهي أنفسكم، ثم بين المثل فقال: ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا

﴿مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي: من عبيدكم وإمائكم، و(مِنْ) هنا تبعيض.

﴿مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من المال، و(مِنْ) هنا زائدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ﴾ في المال.

﴿سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ﴾ أي: تخافون مواليكم خيفة ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أمثالكم من الأحرار، المعنى: هل ترضون أن يشارككم مَنْ ملكت أيمانكم فيما رزقناكم، فتكونوا سواء، فتخافونهم أن ينفردوا بأمر دونكم، كما تخافون الشركاء الأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذاك، فكيف ترضون لله بشريك فيما يملكه؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم.

***

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٩)﴾.

[٢٩] فلما لم ينزجروا، أضرب عنهم فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أنفسَهم بالكفر ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل تقليداً للجهالة ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ﴾ أي: أضلَّه.

﴿ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب.

***

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)﴾.

[٣٠] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أخلصْ دينك لله، وذكر الوجه؛ لأنه جامع

حواس الإنسان وأشرفه ﴿حَنِيفًاۚ﴾ مائلاً إليه عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة.

﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقة الله. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي[1]، ويعقوب: (فِطْرَهْ) بالهاء[2]، وهو نصب على الإغراء؛ أي: الزم فطرة الله.

﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ وهي الإسلام.

﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ خبر بمعنى النهي؛ أي: لا تبدلوا دين الله.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ المستقيم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ استقامته؛ لعدم تدبرهم.

* * *

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (٣١)﴾.

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ أي: فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين؛ أي: راجعين إليه بالتوبة؛ لأن مخاطبته ﷺ تدخل معه فيها الأمة.

﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

* * *

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ (٣٢)﴾.

[٣٢] وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ بدل من المشركين؛ أي:

---

(١) «والكسائي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٠).

جعلوه فرقاً مختلفة فيما يعبدونه على اختلاف[1] أهوائهم. قرأ حمزة، والكسائي: (فَارَقُوا) بألف بعد الفاء وتخفيف الراء؛ أي: خرجوا من دينهم وتركوه، وقرأ الباقون: بغير ألف مشدداً على المعنى الأول[2].

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ أي: صاروا فرقاً مختلفة.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدين.

﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون؛ ظناً منهم أنه الحق.

* * *

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)﴾.

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ قحط وشدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ منقلبين.

﴿إِلَيْهِ﴾ بالدعاء.

﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ خصباً ونعمة.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ فأجاء فريق منهم بالإشراك.

* * *

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤)﴾.

[٣٤] ثم أمرهم إيعاداً وتهديداً فقال: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي: بسبب ما أتيناهم، ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد.

فقال: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حالكم في الآخرة.

---

(١) «اختلاف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧١).

﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

[٣٥] ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا ﴾ أي : حجة .

﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾ أي : يبين عذرهم عن شركهم .

* * *

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾ نعمة من مطر ونحوه .

﴿ فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ ﴾ فرح البطر .

﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ ﴾ قحط ونحوه .

﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أعمالهم الخبيثة .

﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ فأجاؤا القنوط ، وهو الإياس من رحمته تعالى . قرأ أبو عمرو ، ويعقوب ، والكسائي ، وخلف : (يَقْنِطُونَ) بكسر النون ، والباقون : بفتحها[١] .

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسّعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ ﴾ يضيق .

---

(١) انظر : «التيسير» للداني (ص : ١٣٦) ، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٤٨) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٢) .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيستدلون بها على قدرته وحكمته.

* * *

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨)﴾.

[٣٨] ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ بأن تبره وتصله ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ من الزكاة، وتقدم الكلام عليهما في سورة التوبة، واختلاف الأئمة فيهما، وفي بقية الأصناف الثمانية ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ يطلبون ثوابه.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم من[١] النعيم المقيم.

* * *

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ قرأ ابن كثير: (أَتَيْتُمْ) بقصر الهمزة، وقرأ الباقون: بالمد[٢]؛ أي: أعطيتم، ومن قصر، فمعناه: ما جئتم من ربا ذلك على وجه الإعلام[٣]؛ كما تقول: أتيت خطأً، وأتيت صواباً، فهو يؤول في المعنى إلى قول من مد ﴿لِّيَرْبُوَ﴾ أي: يزيد ﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ قرأ

(١) «من» ساقطة في «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٢).

(٣) في «ت»: «ومجيئهم ذلك على وجه الإعطاء».

نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: (لِتُرْبُوا) بالتاء المضمومة وسكون الواو على الخطاب؛ أي: لتربوا أنتم، وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، **وقرأ** الباقون: بالغيب وفتح الياء والواو، وجعلوا الفعل للربا[1]؛ لقوله: ﴿فَلَا يَرْبُوا۟﴾ أي: لا ينمو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ولا يبارك فيه.

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ﴾ تبتغون ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ اتفق القراء على مد (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) من أجل قوله: (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)، ثم رجع من الخطاب إلى الغيبة.

فقال: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ تُضاعَف حسناتهم.

* * *

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ المعنى: هو المختص بهذه الأشياء ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ فلم يجيبوا عجزاً.

فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من المعبودين. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (تُشْرِكُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٩٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٣).

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ ﴾ الجدب وقلة البركة ﴿ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ السواحل والمدن التي على ظهر البحر والأنهار، وقال الحسن بن أبي الحسن: البر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة، قال ابن عطية: وهذا هو القول الصحيح، وظهور الفساد فيهما هو بارتفاع البركات، ونزول رزايا وحدوث فتن، وتغلب عدو، وهذه الثلاثة توجد في البر[١] والبحر[٢].

﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي: جزاءً بما كسبت.

﴿ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ من الذنوب.

﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ قرأ روح عن يعقوب، وقنبل بخلاف عنه: (لِنُذِيقَهُمْ) بالنون، والباقون: بالياء[٣] أي عقوبة ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ ﴾ من الذنوب ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ عن معاصيهم بالتوبة.

***

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ ليروا

---

(١) «البر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٤٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٤).

منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ فأهلكوا بكفرهم.

***

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾ تقدم تفسيره.

﴿لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ﴾ المستقيم، وهو دين الإسلام.

﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ لا يقدر أحد على رده ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾. قرأ حمزة: (لاَ مَرَدَّ لَهُ) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع(١).

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرقون: فريق إلى الجنة، وفريق إلى النار.

***

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ أي: وَبالُ كفره.

﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ يوطِّئون منزلاً في الجنة.

***

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ من عطائه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لا يُظهر عليهم أمارات الرحمة، ولا يرضاه لهم ديناً.

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ ﴾ الشمال والصبا والجنوب؛ فإنها رياح الرحمة، وأما الدبور، فريح العذاب ﴿ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ بالمطر.

﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ المنافع التابعة لها.

﴿ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ ﴾ في البحر بالرياح.

﴿ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ لتطلبوا من رزقه بتجارة البحر.

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ نعمة الله.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدلالات على صدقهم.

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ ﴾ عذبنا الذين كذبوهم.

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بإنجائهم من العذاب لإيمانهم.

* * *

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الرِّيحَ)

بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس، والباقون: بألف على الجمع[1]، ولا خلاف في الحرف المتقدم قبل هذا أنه على الجمع.

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تنشره ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: نحوها.

﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من قلة وكثرة.

﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ قرأ ابن عامر، وأبو جعفر: بإسكان السين على التوحيد، وقرأ الباقون: بفتح السين جمع كسفة؛ أي: قطعاً، واختلف عن هشام[2] ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ وسطه.

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ أي: بالودق.

﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بالمطر.

* * *

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿وَإِن كَانُوا۟﴾ أي: الخلق ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ المطر.

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل السحاب ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٤-٧٥).

﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾.

[٥٠] ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (أَثَرِ) بقصر الهمزة وحذف الألف بعد الثاء على التوحيد، **وقرأ** الباقون: بمد الهمزة وألف بعد الثاء على الجمع(١)، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة الثاء(٢)، و(رَحْمَتِ) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب(٣)، المعنى: انظر إلى تأثير المطر.

﴿ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ﴾ بالنبات والأشجار وأنواع الثمار.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ أي: محييها بعد الموت.

﴿ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ وهو الله تعالى.

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ من البعث وغيره.

* * *

﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ٥١ ﴾.

[٥١] ﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا ﴾ مضرة على زرعهم، فأفسدته ﴿ فَرَأَوۡهُ ﴾ أي:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٥).
(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٥٤_٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٦).
(٣) سلفت عند تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

النبات ﴿مُصۡفَرّٗا﴾ بعد خضرته ﴿لَّظَلُّواْ﴾ أي: ليظلُّنَّ ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بعد اصفراره ﴿يَكۡفُرُونَ﴾ يجحدون ما سلف من النعم.

* * *

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٥٢﴾.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾.

* * *

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾.

[٥٣] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ تقدم تفسير نظير هاتين الآيتين. واختلاف القراء فيهما مستوفًى في سورة النمل [الآية: ٨١]، وكذا الحكم في التفسير والاختلاف هنا.

* * *

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤﴾.

[٥٤] ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ أي: من النطف ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ أي: من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب. قرأ أبو عمرو: (خلَقكُّمْ) بإدغام القاف في الكاف، وقرأ: (مِنْ بَعْد ضَّعْفٍ) بإدغام الدال في الضاد[1]، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ﴾ أي: قوة الشباب ﴿ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٧-٧٨).

ضعف الشيخوخة وشيبها. **قرأ** حمزة، وعاصم بخلاف عن رواية حفص: بفتح الضاد في الأحرف الثلاثة، والباقون: بضم الضاد فيهما، فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم(١).

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من ضعف وقوة وشبيبة وشيبة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

* * *

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ التي فيها القيامة.

﴿يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلوا ذلك لما استقبلوا من هول يوم القيامة، ويكذبون ثَمَّ، فيفتضحون.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك الصرف عن الصدق ﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون إلى الكذب في الدنيا. **قرأ** أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (كَذَلِك كَّانُوا) بإدغام الكاف الأولى في الثانية(٢).

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٥-١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ من الملائكة والإنس مُنْكِرين عليهم كذبَهم:

﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: فيما كتبه الله لكم في سابق علمه من اللُّبث في القبور.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ والفاء بعد جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام، تقديره: إن شككتم في يوم البعث.

﴿ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾ الذي كنتم تنكرونه في الدنيا.

﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف: (لَبِثْتُمْ) و(لَبِثْتَ) حيث وقع بإظهار الثاء عند التاء، والباقون: بالإدغام[1].

***

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ اعتذارهم ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ أي: لا تُطلب منهم العتبى؛ أي: لا يقال لهم: أَرضوا ربكم

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

بالتوبة والطاعة[1] كما دُعوا إليه في الدنيا؛ من قولهم: استعتبني فلان، فأعتبته؛ أي: استرضاني، فأرضيته، وحقيقة أعتبته: أزلت عَتْبه، والعتب في معنى الغضب. قرأ الكوفيون: (يَنْفَع) بالياء على التذكير، والباقون: بالتاء على التأنيث[2].

***

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝٥٨ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ ﴾ وصفناهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال. قرأ ابن كثير: (القُرَانِ) حيث وقع بالنقل، والباقون: بالهمز[3].

﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ عناداً:

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ أي: أصحاب باطل.

***

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩ ﴾.

[٥٩] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك الطبع، وهو الختم.

﴿ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ﴾ الجهلَة ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيد الله.

---

(١) «الطاعة» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٨).

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ على أذاهم ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ ﴾ بنصرك، وإظهار دينك، لا بد من إنجازه ﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ﴾ لا يحملنك على الخفة والطيش ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: أمته. قرأ رويس عن يعقوب: (يَسْتَخِفَّنْكَ) بتخفيف النون، والباقون: بالتشديد[(١)]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٧٩).

سُورَةُ لُقْمَان

مكية غير ثلاث آيات، أولهن: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾، آيها: أربع وثلاثون آية، وحروفها: ألفان ومئة وعشرة أحرف، وكلمها: خمس مئة وثمان وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾.

[١] ﴿ الٓمٓ ﴾.

[٢] ﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى الكتب المتقدمة أنها في القرآن معنى.

﴿ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن ﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ أي: ذي الحكمة.

* * *

﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ قرأ حمزة: (وَرَحْمَةٌ) بالرفع على الابتداء؛ أي:

هو هدى ورحمة، وقرأ الباقون: بالنصب على الحال من الآيات[1] ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيان لإحسانهم.

* * *

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بطلبتهم.

* * *

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] وكان النضر بن الحارث بن كلدة يَتَّجِر، فيأتي الحيرة، فيشتري أخبار الأعاجم، ويحدث بها قريشاً، ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه، ويتركون سماع القرآن، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٣).

﴿مَن يَشۡتَرِي﴾[1] يستبدل ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ باطله، وقيل: نزلت فيمن يشتري المغنيات، قال ﷺ: «لا يحل شراء المغنيات، ولا بيعهن، وأثمانهن حرام»[2]؛ لأن في مثل هذا نزلت هذه الآية.

﴿لِيُضِلَّ﴾ ليصير آخر أمره إلى الضلال.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ بل بجهل.

﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي: السبيل ﴿هُزُوًا﴾ سخرية.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ لإهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه. **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيَضِلَّ) بفتح الياء (وَيَتَّخِذُهَا) برفع الذال عطفاً على (يشتري)، و(هُزُؤاً) بضم الزاي والهمز، **وقرأ** حفص عن عاصم: (لِيُضِلَّ) بضم الياء، (وَيَتَّخِذَهَا) بنصب الذال عطفاً على (لِيُضِلَّ)، و(هُزُواً) بضم الزاي وفتح الواو منونة بغير همز، **وقرأ** حمزة، وخلف: (لِيُضِلَّ) بضم الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزْءاً) بإسكان الزاي مع الهمز، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (لِيُضِلَّ) بضم الياء (وَيَتَّخِذَهَا) بفتح الذال (هُزُؤاً) بضم الزاي والهمز[3].

---

(١) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١٩٥)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة لقمان، وقال: حديث غريب، وعلي بن يزيد يضعَّف في الحديث، وابن ماجه (٢١٦٨)، كتاب: التجارات، باب: مالا يحل بيعه، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٧)، عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤ و١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٥ و٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٣ـ٨٤).

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ لا يعبأ بها.

﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ وهو الثقل الذي يغير إدراك المسموعات. قرأ نافع: (أُذْنَيْهِ) بإسكان الذال، والباقون: بضمها[١].

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ وذكر البشارة على التهكم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ لما ذكر الكفرة وتوعدهم بالنار، عقب بذكر المؤمنين، ووعدهم بجنات النعيم؛ ليبين الفرق.

* * *

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ حال من ضمير (لَهُمْ) ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾ مصدران مؤكِّدان، الأول مؤكد لنفسه؛ لأن معنى ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ وعدهم بها، فأكد معنى الوعد بالوعد، ﴿ وَهُوَ ﴾ دال على معنى الثبات، أكد به معنى الوعد، وأكدا جميعاً ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلبه شيء ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أفعاله.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٥).

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ جمع أعمدة، وهي جمع عمود البيت؛ يعني: السواري ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ استشهاد برؤيتهم لها كذلك، والمراد: نفي العمد أصلاً، وهو الأصح، فهي واقفة كالقبة، والقدرة أعظم من ذلك.

﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً رست؛ أي: ثبتت في الأرض.

﴿ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ لئلا تضطرب بكم.

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ ثم رجع من الغيبة إلى الحضور.

فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ والزوج في اللغة: النوع والصنف، وليس بالذي هو ضد الفرد، وقوله: ﴿ كَرِيمٍ ﴾ أي: كثير المنفعة.

* * *

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ يعني: الذي ذكرتُ مما تعاينون مخلوقُ الله.

﴿ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ من آلهتكم التي تعبدونها.

﴿ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: بل هذا الذي قريش فيه ضلال مبين، فذكرهم بالصفة التي تعم معهم سواهم ممن فعل فعلهم من الأمم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ﴾ وهو ابن ناعور ابن أخت أيوب عليه السلام، وقيل غير ذلك ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ العقل والعلم، ولم يكن نبياً، وكان قاضياً في بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام، روي أنه خيره الله بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة.

وروي عن ابن عمر: أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «حقاً أقوله، لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثيرَ التفكر، حسنَ اليقين، أحب الله تعالى، فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة»(١) انتهى، وكان يؤازر داود؛ لحكمته، وعاش ألف سنة، وقبرُ لقمان بقرية صرفند ظاهر مدينة رملة فلسطين، وعليه مشهد، وهو مقصود للزيارة، وقال قتادة: قبره بالرملة ما بين مسجدها وسوقها، وهناك قبور سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان جوعاً في يوم واحد، أخرجهم بنو إسرائيل من القدس، فألجؤوهم إلى الرملة، ثم أحاطوا بهم هناك، فتلك قبورهم.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أي: وقلنا له: أن اشكر لله على ما أعطاك من الحكمة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (أَنُ اشْكُرْ) بضم النون في الوصل، والباقون: بالكسر(٢).

---

(١) رواه الديملي في «مسند الفردوس» (٥٣٨٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٨٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٥)

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثوابه له.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ نعمةَ ربه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على صنعه.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ واسمه أنعم، وقيل: أشكم.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ يذكره بالآخرة ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. قرأ ابن كثير: (يَا بُنَيْ) بإسكان الياء مخففة [في هذا الحرف، وقرأ حفص عن عاصم: (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء مشددة في الأحرف الثلاثة على قولك: يَا بُنَيَّا، ووافقه البزي في: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ)، وقرأ قنبل: (يَا بُنَيْ أَقِمِ الصَّلاَةَ) بإسكان الياء مخففة][١]، وقرأ الباقون: بكسر الياء مشددة في الثلاثة على إدغام إحدى الياءين في الأخرى[٢].

* * *

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: توالى

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٦).

عليها ضعف على ضعف؛ لأن الحمل ضعف، والطلق ضعف، والوضع ضعف ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: مدة فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان.

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ أي: وصيناه بشكرنا، وشكر والديه. قرأ أبو عمرو: (أَنِ اشْكُر لِّي) بإدغام الراء في اللام، ورُوي عنه الإظهار، والوجهان صحيحان عنه(١).

﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع، قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس، فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس، فقد شكر والديه(٢).

* * *

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ باستحقاقه الإشراك.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الشرك.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: صِحاباً معروفاً، وهو البر والصلة.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٦).
(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٢٨٢).

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ أي: دينَ ﴿مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أقبلَ على طاعتي، وهو النبي ﷺ وأصحابه.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وجيء بهاتين الآيتين اعتراضاً في قصة لقمان؛ لمناسبة بينهما؛ لأن فيهما نهياً عن الشرك كما في القصة.

* * *

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ثم قال لقمان مخاطباً ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي: زِنَةَ حبةٍ من حب الخردل. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مِثْقَالُ) برفع اللام؛ أي: إن وقع زنة حبة، وقرأ الباقون: بالنصب[1] على معنى: إن كان العملُ مثقالَ حبة، وتقدم نظيره في سورة الأنبياء.

﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ قال ابن عباس: «هي صخرة تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها»[2].

﴿أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ للجزاء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها، لا يفوته شيء،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٧).

(٢) انظر: «تفسير الصنعاني» (٣/ ١٠٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٠٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤٧) وقال: كأنه من متلقى الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

ويجازي به، روي أن آخر كلمة تكلمها هذه، ثم انشقت مرارته؛ لهيبتها، فمات.

* * *

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾.

[١٧] ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ وابدأ بنفسك، وتقدم تفسير المعروف والمنكر والحكم فيه في سورة التوبة.

﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ من الأذى بسبب ذلك؛ فإنه يورث المحن.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ مما عزمه الله؛ أي: قطعه قطعَ إيجاب.

* * *

﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ لا تُعرض بوجهك عن الناس تكبراً واحتقاراً لهم. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: (تُصَعِّرْ) بتشديد العين من غير ألف، والباقون: بتخفيفها وألف قبلها[١]، ومعناهما واحد؛ من الصَّعَر: داء يأخذ الإبل، فتميل أعناقها منه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٨).

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ بطراً.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ متبختر في مشيته.

﴿ فَخُورٍ ﴾ على الناس صاحبُ خيلاء.

***

﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ اعدل، فلا تَدِب، ولا تَثِب.

﴿ وَٱغْضُضْ ﴾ انقص.

﴿ مِن صَوْتِكَ ﴾ واخفضه في محل الخطاب دون الإرهاب للعدو.

﴿ إِنَّ أَنكَرَ ﴾ أقبح ﴿ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ لأن أوله زفير، وآخره شهيق؛ كصوت أهل النار.

***

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ بأن جعله سبباً لمنافعكم ﴿ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بأن مكنكم من الانتفاع به.

﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ ﴾ أكملَ عليكم ﴿ نِعَمَهُۥ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: (نِعَمَهُ) بفتح العين وضم الهاء على الجمع

والتذكير؛ لأن أنعمه كثيرة، وقرأ الباقون: بإسكان العين وتاء منونة منصوبة على التأنيث والتوحيد[1]؛ إرادة الجنس.

﴿ظَٰهِرَةً﴾ هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة، ولما كان النضر بن الحارث، وأُبي بن خلف، وأمية بن خلف، وأشباههم يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته.

نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2] مستفادٍ من دليل.

﴿وَلَا هُدًى﴾ راجعٍ إلى الرسول.

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

***

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] كما قال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ وجواب (أَوَ لَوْ) محذوف، تقديره: أتتبعون الشيطان، وإن كان يدعوهم إلى عذاب السعير؟ والتقليد لغة: وضع الشيء في العنق محيطاً به، ومنه القلادة، ثم

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٨٩)، والقراءة جاءت بخلاف عن أبي عمرو وابن كثير وعاصم.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥١٢).

استعمل في تفويض الأمر إلى الغير؛ كأنه ربطه في عنقه، واصطلاحاً: قبول قول الغير بلا حجة، فيخرج الأخذ بقوله عليه السلام؛ لأنه حجة في نفسه.

***

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يخلص دينه لله.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله[١].

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: اعتصم بالعهد الأوثق، وهو: لا إله إلا الله.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ فيعطي كلاً جزاءه.

***

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ﴾ فإنه لا يضرك. قرأ نافع: (يُحْزِنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي[٢] ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الدارين.

---

(١) في «ت»: «علمه».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٠).

﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾ بالإهلاك والتعذيب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فمُجازٍ عليه.

* * *

﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا﴾ نمهلهم مدة آجالهم ﴿ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ﴾ نلجئهم.

﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ شديد.

* * *

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إلى إذعانه.

﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ التوحيدَ ووجوبه عليهم.

* * *

﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لا يستحق العبادةَ فيهما غيرُه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ الذي لا حاجة له في وجوده وكماله إلى شيء.

﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المحمود؛ أي: كذلك هو بصفته وذاته.

* * *

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ولما نزل بمكة: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار اليهود، وقالوا: يا محمد ما تريد بقولك: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا أم قومك؟ فقال: كُلاًّ، فقالوا: أليست التوراة فينا؟ قال: هي في علم الله قليل.

فنزل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾[١] أي: شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة إلا قد بُريت أقلاماً.

﴿ وَٱلْبَحْرُ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (وَالْبَحْرَ) بالنصب عطفاً على (ما) التي هي اسم (أن)، وقرأ الباقون: بالرفع على أنه ابتداء، وخبره في الجملة التي بعده[٢].

﴿ يَمُدُّهُۥ ﴾ يزيده، وينصبُ فيه ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[٣]؛ أي: من خلفه ﴿ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨١). وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٩٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٠-٩١).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٠-٩١).

﴿مَّا نَفِدَتْ﴾ المعنى: لو أن جميع أشجار الأرض أقلام، وتنصبُّ في البحر سبعة أبحر، ومياهها مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد، لنفدت الأقلام والمداد، ولم تنفد ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾؛ يعني: علمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

***

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ونزل رداً على منكري البعث: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ مع كثرتكم.

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ﴾ أي: إلا كخلق نفس ﴿وَٰحِدَةٍۚ﴾ وبعثها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ فلا يفوته شيء.

***

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يُدخل أحدَهما في الآخر.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى منتهى معلوم: الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر، وقيل: الأجل المسمى: القيامة التي تنقضي فيها هذه البنية.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ عالم بكنهه.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذي ذكرت ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي: لتعلموا أن الله ﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: صفة الألوهية حق ﴿ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ من الأصنام ﴿ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ المعدوم. قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَدْعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[1].

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾ على كل شيء ﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾ عن أن يكون له شريك.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: إن ذلك من نعمة الله عليكم، و(نِعْمَتِ) رُسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٢).

(٢) سلفت عند تفسير الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ من عجائبه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ صبور على أمر الله.

﴿شَكُورٍ﴾ لنعمه.

* * *

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ يعني: الكفار، وهم في البحر ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ لأن موج البحر يرتفع ويتراكب كالظلل، وهي السحب.

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لا يذكرون معه(١) سواه.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ عدل، موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، قيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل، هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءهم ريح عاصف، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذا، لأرجعن إلى محمد، ولأضعن يدي في يده، فسكنت الرياح، فرجع عكرمة إلى مكة، فأسلم وحسن إسلامه(٢).

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالةِ على قدرتنا ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدَّار.

﴿كَفُورٍ﴾ للإحسان إليه.

* * *

---

(١) «معه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥١٥).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا ﴾ أي: عذابَ يوم.

﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا ﴾ أي: لا يقضي عنه، و(يُجزي) ـ بالضم ـ: يغني، والتلاوة بالأول.

﴿ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ ما روي عن يعقوب وقنبل: الوقف بالياء على (جَازِي)[١].

﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ بالثواب والعقاب ﴿ حَقٌّ ﴾ لا خُلْفَ فيه.

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ الشيطان، والغرور: التطميع بما لا يحصل، ومعنى الآية: أن تعمل بالمعصية، وتتمنى المغفرة.

***

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ولما سئل النبي ﷺ عن الساعة، وعن نزول الغيث، وعن وضع الحمل، والكسب، والموت، نزل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٢] وقتُ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢١).

(٢) انظر: «أسباب نزول» للواحدي (ص: ١٩٩ـ٢٠٠).

قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في محله المعين له في علمه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم: (وَيُنَزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون: بإسكان النون وتخفيف الزاي[1] ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ من ذكر وأنثى، وأسود وأبيض، وغير ذلك.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ من برٍّ وبحر، قال ﷺ: «مفاتحُ الغيبِ خمسة» وتلا هذه الآية[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالأشياء كلها ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم بواطنَها وظواهرَها، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٤).

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١)، كتاب: التفسير: باب: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

وتسمى: سورة المضاجع، مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ إلى تمام ثلاث آيات، وآيها: ثلاثون آية، وحروفها: ألف وخمس مئة وثمانية عشرة حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿الٓمٓ﴾ اختلفوا في إعراب أوائل السور على ثلاثة أقوال: قيل: محلها رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه ألف لام ميم، أو مبتدأ وما بعده خبر، وقيل: محلها نصب على إضمار فعل؛ أي: اقرأ ألف لام ميم، وقيل: في محل جر على إضمار جر بالقسم؛ أي: وألفِ لام ميم، وتقدم تفسيره واختلاف القراء فيه غيرَ مرة.

***

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك في الكتاب أنه تنزيل.

﴿ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأنه معجز، وإذا تؤُمِّل، وُجد كذلك.

***

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ﴾ أي: بل أيقولون: ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ أي: اختلقَ محمدٌ القرآنَ.

﴿ بَلْ هُوَ ﴾ أي: القرآنُ ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ هم العرب.

﴿ مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ لأن العرب لم يُبعث إليهم أحد قبل النبي ﷺ؛ لأنهم كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ بإنذارك إياهم.

***

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ تقدم الكلام فيه في سورة طه ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ من دون عذابه.

﴿ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ المعنى: إذا خالفتموه، فلا ناصر يذب عنكم، ولا شافع يشفع لكم.

﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ بمواعظ الله؟!

***

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ يقضي القضاء وينزله ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ) كاختلافهم فيهما من قوله: (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿إِلَيْهِ﴾ المعنى: ينزل الملك بالوحي من السماء إلى الأرض، ثم يرجع إلى مقره منها.

﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيامكم؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مئة سنة[1]، فيكون هبوط الملك وصعوده في قدر يوم واحد، وأما قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فهو مدة المسافة بين سدرة المنتهى والأرض، ثم عوده إلى السدرة، فالملك يسيره في قدر يوم واحد من أيام الدنيا.

* * *

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾.

[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المدبِّرُ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: يعلم الظاهر والباطن ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده.

* * *

---

(١) في «ت»: «عام».

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ ﴾ قرأ نافع، والكوفيون: (خَلَقَهُ) بفتح اللام؛ أي: كل شيء[١] خلقه حسن، وقرأ الباقون: بإسكانها[٢]؛ أي: أحسنَ كمل[٣] خلقَ كلِّ شيء؛ أي: أتقنه وأحكمه.

﴿ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾ أي: آدم ﴿ مِن طِينٍ ﴾ .

* * *

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ ﴾ ذريته.

﴿ مِن سُلَٰلَةٖ ﴾ من نطفة؛ لأنها تُسل من الإنسان.

﴿ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ ضعيف.

* * *

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ ﴾ قوَّمه وسوَّى خلقه ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ ﴾ أي: جعل فيه الشيء الذي اختص تعالى به، ولذلك أضافه إليه، فصار بذلك حياً حساساً بعد أن كان جماداً، لا أن ثَمَّ حقيقة نفخ، ثم عاد إلى ذريته فقال:

---

(١) «شيء» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٨).

(٣) «كمل» ساقطة في «ت».

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ بعد أن كنتم نُطفاً.

﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يعني: لا تشكرون إلا شكراً قليلاً.

* * *

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ منكرو البعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ذهبنا وصرنا تراباً، و(صَلَلْنَا) بالصاد المهملة: تغيرنا، والتلاوة بالأول ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ المعنى: أنبعث بعد موتنا وانعدامنا؟ واختلف القراء في (أَئِذَا) (أَئِنَّا) في الإخبار بالأول منهما، والاستفهام بالثاني، وعكسه، والاستفهام فيهما، فقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: (إِذَا) بالإخبار (أَئِنَّا) بالاستفهام، وابن عامر: يحقق الهمزتين، وأبو جعفر: يسهل الثانية ويفصل بينهما بألف، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين، وقرأ نافع، والكسائي، ويعقوب: (أَئِذَا) بالاستفهام (إِنَّا) بالإخبار، فنافع يسهل الهمزة الثانية، ورواية قالون: يفصل بينهما بألف، ووافقه رويس عن يعقوب في التسهيل، والكسائي: يحقق الهمزتين، وافقه روح عن يعقوب، وقرأ الباقون: (أَئِذَا) (أَئِنَّا) بالاستفهام فيهما، فابن كثير وأبو عمرو: يسهلان الهمزة الثانية منهما، وأبو عمرو: يفصل بينهما بألف، وعاصم وحمزة وخلف: يحققون الهمزتين[1]، فمن قرأ بالاستفهامين، فذلك

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٢ـ٣٦٤ و٣٧٢ـ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٩٩).

للتأكيد، ومن استفهم في الأول فقط، فإنما يقصد بالاستفهام الموضع الثاني، تقديره: أنبعث ونحشر إذا، ومن استفهم في الثاني فقط، فمعناه: إذا كنا تراباً، أنبعث؟

قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

* * *

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ يقبض أرواحكم ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: وكل بقبض أرواحكم، وهو عزرائيل ـ عليه السلام ـ، والتوفي: هو استيفاء العدد، معناه: أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليهم الموت.

روي أن الدنيا لملك الموت كراحة اليد، يأخذ منها صاحبها ما أحب بلا تعب، فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، روي أن أعوانه ينزعون الروح، فإذا بلغت ثغرة النحر، نزعها هو(١).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت أحياءً، فيجزيكم بأعمالكم. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(٢).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٤١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٠).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ أي: وليتك يا محمد ترى ﴿ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون ﴿ نَاكِسُواْ ﴾ مطأطئو ﴿ رُءُوسِهِمْ ﴾ خجلاً وندماً ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يوم القيامة، فتمنى تعالى أن يراهم نبيُّه ـ عليه السلام ـ على الحالة الرديئة؛ لأنهم آذوه.

﴿ رَبَّنَآ ﴾ أي: ويقولون: ربَّنا ﴿ أَبْصَرْنَا ﴾ صدقَ وعدِك.

﴿ وَسَمِعْنَا ﴾ منك تصديقَ رسلك، تقديره: لو رأيت حالهم، لرأيت العجب.

﴿ فَٱرْجِعْنَا ﴾ إلى الدنيا ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ فيها.

﴿ إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ هنا بما أنكرنا ثَمَّ.

* * *

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ رشدَها إلى الإيمان، وأجبرناها عليه.

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ﴾ أي: ثبت ﴿ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ بالوعيد، وهو: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ أي: الشياطين ﴿ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وهو قوله لإبليس: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٥].

* * *

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ثم يقال: ﴿فَذُوقُواْ﴾ هذا الذي أنتم فيه؛ من التنكيس والخزي.

﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ بسبب نسيانكم ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ وهو يوم القيامة، واشتغالكم بملذاتكم عن الاعتداد له ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدائم في جهنم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

* * *

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم أثنى ـ عز وجل ـ على المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ سقطوا على وجوههم ساجدين خوفاً منه.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ نزهوا الله عما لا يليق به، حامدين له على ما وفقهم.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ على الإيمان به، والسجود له، وهذا محل سجود بالاتفاق، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة وسجود الشكر ملخصاً عند سجدة مريم، ويُسن عند الشافعي وأحمد أن يقرأ في فجر الجمعة في الركعة الأولى: ﴿الٓمٓ﴾ السجدة، وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان] وكره أحمد المداومة عليهما؛ لئلا يُظن أنها مفضلة

بسجدة، وعند أبي حنيفة ومالك: لا يسن، بل كره أبو حنيفة تعيين سورة غير الفاتحة بشيء من الصلوات؛ لما فيه من هجران الباقي، وكره مالك قراءة السجدة في صلاة الفرض جهراً أو سراً، فإن قرأ، هل يسجد؟ فيه قولان.

***

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ ترتفع ﴿ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ جمع مضجع، وهو الفِراش، وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة.

وقال ابن رواحة يمدح النبي ﷺ:

وَفِينا رسولُ الله يَتْلو كتابَهُ ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ

أرانا الهدى بعدَ العمى فقلوبُنا ... به موقِناتٌ أنَّ ما قالَ واقعُ

يبيتُ يُجافي جَنْبَهُ عن فِراشِهِ ... إذا استثقلَتْ بالكافرينَ المضاجِعُ(١)

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من النار ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في الجنة.

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ يتصدقون تطوعاً.

***

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ لا مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبي مرسَل.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٩٩)، كتاب: الأدب، باب: هجاء المشركين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ هو ما تقر به أعينهم. قرأ حمزة، ويعقوب: (أُخْفِي) بسكون الياء معلوماً مستقبلاً؛ أي: أخفي أنا، وقرأ الباقون: بفتحها مجهولاً على بناء الفعل للمفعول(١).

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من الخير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بَلْهَ ما اطلعتم عليه»(٢)، و(بَلْهَ)؛ أي: غيرَ.

* * *

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾.

[١٨] ولما وقع تنازع بين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وبين الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه، فقال الوليد: لعلي: اسكت، فإنك صبي، فقال له علي: «اسكت؛ فإنك فاسق»، نزل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾(٣) عند الله، أفرد مؤمناً وفاسقاً حملاً على لفظ (مَنْ) وجمع (لا يَسْتَوُونَ) حملاً على معناها؛

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠١).

(٢) رواه البخاري (٤٥٠٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾، ومسلم (٢٨٢٤)، في أول كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٠٧)، عن عطاء، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠١ـ٢٠٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لأنها للعموم؛ لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً، بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين.

* * *

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٩) ﴾.

[١٩] ثم بين التفاوتَ بينهما فقال: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ ﴾ استحقاقاً تكرماً منه تعالى ﴿جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ التي يأوي إليها المؤمنون.

﴿ نُزُلًۢا﴾ جزاءً وثواباً ﴿ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٠) ﴾.

[٢٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ إهانة لهم، وزيادة في غيظهم، قال هنا: (الَّذي) أراد: العذاب، وفي سبأ (الَّتي) أراد: النار.

* * *

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: الأقرب عذاب الدنيا من

القتل والأسر والمحن ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة؛ أي: نذيقهم العذاب هنا قبل العذاب.

ثم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

* * *

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾.

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ فلم يتفكروا فيها، و(ثُمَّ) لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أجمعين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ وظاهر الإجرام هنا: أنه الكفر، وروى معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ: أنه قال: «ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من عقدَ لواءً في غير حق، ومن عَقَّ والديه، ومن نصر ظالماً»(١).

* * *

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣)﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ أي: شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله ابن عباس وغيره ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المنزَل على موسى، وهو التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ روي أن

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٦١). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٥٥).

التوراة إنما جعلت هدى لبني إسرائيل خاصة دون بني إسماعيل.

***

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾.

[٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ من بني إسرائيل ﴿أَيِمَّةً﴾ قادة في الخير يُقتدى بهم؛ يعني: الأنبياء الذين كانوا فيهم. واختلاف القراء في (أَئِمَّةً) كاختلافهم فيه في الحرف المتقدم في سورة الأنبياء [الآية: ٧٣] ﴿يَهْدُونَ﴾ يدعون إلى الطاعة ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (لِمَا) بكسر اللام وتخفيف الميم؛ أي: بصبرهم، وقرأ الباقون: بفتح اللام وتشديد الميم[1]؛ أي: حين صبروا على دينهم، وعلى البلاء من عدوهم.

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ إمعانهم فيها النظر.

***

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)﴾.

[٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يقضي بين الأنبياء وأممهم.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٤).

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ ﴾ يُبيِّنْ ﴿ لَهُمْ ﴾ أي: لأهل مكة. قرأ زيد عن يعقوب: (نَهْدِ) بالنون، والباقون: بالياء[١]، فالفاعل على القراءتين مضمر؛ أي: الله.

﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ أي: الأمم؛ كعاد وثمود ﴿ يَمْشُونَ ﴾ أهل مكة ﴿ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ يمرون على ديارهم في متاجرهم.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ المواعظَ فيتعظون؟!

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ أي: اليابسة المعدومة النبات. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (الْمَاءَ إِلَى) كاختلافهم فيهما من قوله: (أَوْلِيَاءَ إِنَّا) في سورة الكهف [الآية: ١٠٢]، المعنى: ألم يستدلوا على قدرتنا بسوقنا المطر إلى الأرض التي لا نبات فيها؟! قال ابن عباس: «هي أرض باليمن»[٢].

---

(١) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٧).

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾ كالتبن ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ كالحبوب والفواكه.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ذلك فيؤمنون؟!

* * *

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ولما قال الكافرون للمؤمنين استهزاء: متى الساعة فيقضي بيننا وبينكم؟! نزل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾(١) أي: القضاء والحكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في الوعد.

* * *

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ وهو يوم القيامة.

﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يُمْهَلون؛ فإنه يوم نصر للمسلمين على الكفرة، والفصل بينهم.

* * *

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد، وهو منسوخ بآية السيف.

﴿وَٱنتَظِرْ﴾ وعدي بنصرك ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ هلاكك.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١١٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٥٧).

عن جابر ـ رضي الله عنه ـ، قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ: ﴿تَبَارَكَ﴾، و﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الترمذي في (٢٨٩٢)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٥٤٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٧)، وغيرهم.

سورة الأحزاب

مدنية، وآيها: ثلاث وسبعون آية، وحروفها: خمسة آلاف وسبع مئة وستة وتسعون حرفاً، وكلمها ألف ومئتان وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾.

[١] رُوي أن أبا سفيان بن حرب، وعِكْرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور بنَ سفيان السلمي قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أُبي رأس المنافقين بعد قتال أُحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وطُعمة بن أُبيرق، ومعتب بن قُشير، وجَدُّ بن قيس، فقالوا للنبي ﷺ، وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربَّكَ، فشق على النبي ﷺ قولُهم، فقال عمر: يا رسول الله! ائذن لي في قتلهم، فقال: «إني قد أعطيتُهم الأمانَ»، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمرَ أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾[1]، ولم يقل: يا محمد؛ كـ: يا آدم، ويا موسى، ويا عيسى؛ تشريفاً له، وأما تصريحه باسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] فللإعلام أنه كذلك، وللتنبيه على اتباعه. قرأ نافع: (النَّبِيء) و(النَّبِيئُونَ) و(النَّبِيئِينَ) و(نَبِيئُهُمْ) و(الأَنْبِئاء) و(النُّبُوءة) بالمد والهمز حيث وقع، فيكون معناه: المخبر؛ من أنبأ ينبىء؛ لأنه إنباء عن الله، وخالفه قالون في حرفين من هذه السورة يأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى، وقرأ الباقون: بترك الهمزة وتشديد الياء[2]، وله وجهان: أحدهما: هو أيضاً من الإنباء، تركت الهمزة فيه تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال، والثاني: هو بمعنى الرفع، مأخوذ من النبوَة، وهو المكان المرتفع.

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دُمْ على التقوى.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة؛ يعني: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور.

﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ من أهل المدينة: عبد الله بن أُبي، وعبد الله بن سعد، وطعمة، فيما يخالف شريعتك، ويعود بوهن في الدين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلق، وهذا تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا عليك منهم، ولا من إيمانهم، فالله عليم بما ينبغي لك، حكيم في هدى من يشاء، وإضلال من يشاء.

* * *

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٢-٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩).

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن ﴿ مِن رَّبِّكَۚ ﴾ واعمل به.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُون) بالغيب، يعني: الكفرة والمنافقين؛ أي: إن الله خبير بمكائدهم، فيدفعها عنك، وقرأ الباقون: بالخطاب[١]، وقوله: (كان) في هاتين الآيتين هي التي تقتضي الدوام[٢]؛ أي: كان ويكون[٣]، وليست الدالة على زمان مخصوص للمضي.

***

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ ثِقْ به ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ حافظاً ورازقاً لك، والوكيل: القائم بالأمر، المغني فيه عن كل شيء.

***

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ﴾.

[٤] ولما قال الكفار: إن لمحمد قلبين: قلب معنا، وقلب مع أصحابه، نزل:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٨ـ٥١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩).

(٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٣) «أي: كان ويكون» زيادة من «ت».

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ وقيل: نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري، وكان لبيباً حافظاً، وكان يقول: إن لي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ، فانهزم مع المشركين ببدر، وإحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقيل له في ذلك، فقال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان، ما نسي نعله في يده(١).

﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى ﴾ جمع التي. قرأ أبو عمرو، والبزي عن ابن كثير: (اللاَّيْ) بياء ساكنة بدلاً من الهمزة في الحالين، وروي عنهما تسهيل الهمزة بين بين، والوجهان صحيحان، **وقرأ** أبو جعفر، وورش عن نافع: بتسهيل الهمزة كذلك، **وقرأ** قالون عن نافع، وقنبل عن ابن كثير، ويعقوب: بتحقيق الهمزة، وحذف الياء بعدها؛ لأن الهمزة المكسورة بدل الياء، **وقرأ** الكوفيون، وابن عامر: بإثبات الياء ساكنة بعد الهمزة، وكلها لغات معروفة(٢)، وكذلك التعليل والاختلاف في (المجادلة)، وموضعَي (الطلاق).

﴿ تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ قرأ عاصم: (تُظَاهِرُونَ) بضم التاء وتخفيف الظاء، وألف بعدها، وكسر الهاء مع تخفيفها؛ كـ(تقاتلون)، **وقرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: كذلك، إلا أنهم بفتح الياء والهاء، أصله:

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧ـ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩ـ١١٠).

تتظاهرون، حذفت إحدى التاءين، وقرأ ابن عامر: كذلك، إلا أنه بتشديد الظاء على إدغام إحدى التاءين في الظاء، وقرأ الباقون، وهم: نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو[١]، ويعقوب: (تَظَّهَّرُونَ) بفتح التاء وتشديد الظاء والهاء وفتحها من غير ألف بينهما، أصله: تتظهرون، وأدغمت التاء في الظاء، فشددت[٢].

وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي؛ أي: حرام كبطن أمي؛ لقربه من الفرج، وكنِّي عنه بالظهر؛ لأنه قوام البنية، المعنى: ما جعل نساءكم اللاتي تقولون لهم هذا في التحريم كأمهاتكم، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة، وسيأتي الكلام على ذلك، وعلى الكفارة فيه، واختلاف الأئمة في حكمه في (سورة المجادلة) إن شاء الله تعالى.

وكان الرجل في الجاهلية يتبنى ولد غيره، فينسب إليه، ويتوارثان، وكان النبي ﷺ قد أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وتبناه قبل الوحي، وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قال المنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عن ذلك.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾[٣] من تبنيتموه ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة

---

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٠ـ ١١١).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٢).

في الحكم والحرمة والنسب، ونُسخ التبني بهذا، والأدعياء: جمع دَعِيّ، وهو من دُعي إلى غير أبيه، تلخيصه: ممتنع أن يكون لرجل قلبان، وأن تكون زوجة الرجل أمه، وأن يكون شخص واحد ابن رجلين، إنما.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ النسب ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ لا حقيقة له.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ وهو أن غير الابن لا يكون ابناً.

﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ الطريق المستقيم.

* * *

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾.

[٥] وكان زيد يدعى بابن محمد ﷺ، فنزل: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾(١) الذين ولدوهم.

﴿هُوَ﴾ أي: دعاؤهم بآبائهم ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ فتنسبوهم إليهم، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ أولياؤكم، المعنى: إذا جهل نسبه، يقول: يا أخي! يا مولاي! يريد: الأخوة في الدين، والولاية فيه.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ والخطأ هنا بمعنى: النسيان.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٠٤)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾، ومسلم (٢٤٢٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ﴾ أي: لا إثم عليكم إذا قلتم لولد غيركم: يا بني! سهواً، وقيل: خطؤهم: التسمية قبل النهي، قال ابن عطية: وهذا ضعيف، لا يوصف ذلك بخطأ إلا بعد النهي، وإنما الخطأ هنا بمعنى النسيان، وما يكون مقابل العمد، والخطأ مرفوع عن هذه الأمة عقابه، وقد قال ﷺ: «رُفع عن أمتي الخطأُ والنسيان وما أُكرهوا عليه»[1].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يريد: لما مضى من فعلهم في ذلك، ثم هي صفتان لله تعالى تَطَّرِد في كل شيء.

* * *

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ﴾ في كل شيء من أمر الدين والدنيا، فيحكم فيهم بما يشاء. قرأ نافع: (النَّبِيءُ أَوْلَى) بالمد والهمز في (النَّبِيء)، وإبدال الهمز الثاني واواً محضة مفتوحة[2].

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ أي: كأمهاتكم في وجوب تعظيمهن، وتحريم

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٤٥)، كتاب: الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٠١)، وغيرهم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٦٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٢).

نكاحهن، لا في النظر إليهن، والخلوة بهن؛ فإنه حرام في حقهن؛ كما في حق الأجانب، ولا يقال لبناتهن: أخوات المؤمنين، ولا لإخوانهن وأخواتهن: هم أخوال المؤمنين وخالاتهم، قالت عائشة: «لستُ بأم نسائِكم، وإنما أنا أم رجالكم»[1]، فبان بهذا أن معنى هذه الأمومة تحريم نكاحهن.

﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ وذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التوارث.

﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ يعني: ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالإيمان والهجرة، وكان في صدر الإسلام يتوارثون بالهجرة والمؤاخاة، فنسخ بهذه الآية، وصارت بالقرابة، وتقدم حكم ميراث ذوي الأرحام واختلاف الأئمة فيه آخر سورة الأنفال.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن فعلكم ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾ الذين يتولونكم من المعاقدين ﴿مَّعْرُوفًا﴾ بالوصية جائزٌ.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: نسخ الميراث بالهجرة، ورده إلى ذوي الأرحام.

﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

* * *

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٠٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٠).

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ وَإِذْ ﴾ أي: واذكر إذ ﴿ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ حين استُلُّوا من نسل[١] آدم مثل الذر ﴿ مِيثَـٰقَهُمْ ﴾ عهودهم بتبليغ الرسالة، وأن يصدق بعضهم بعضاً، وخُصَّ محمد مع جماعة منهم بالذكر[٢]؛ لأنهم أصل الشرائع صلوات الله عليهم أجمعين، وكان محمد ﷺ أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث، فلذلك قدم هنا تشريفاً له، فقال:

﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ فهؤلاء هم أولو العزم من الرسل.

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ عظيم الشأن على الوفاء بما حملوا.

* * *

﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ أي: فعلنا ذلك ليسأل الله الأنبياء الذين صدقوا عن الوفاء بميثاقهم في إبلاغ الرسالة، والحكمة في سؤالهم، مع علمه أنهم صادقون، تبكيتُ من أُرسلوا إليهم، وإثبات الحجة عليهم، ويعطف على ﴿ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ بالرسل ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ المعنى: أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه؛ لأجل إثابة المؤمنين، وأعد للكافرين عذاباً أليماً.

---

(١) في «ت»: «ظهر».

(٢) «بالذكر» زيادة من «ت».

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ يوم الخندق.

﴿ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ هم الأحزاب، وكان ذلك في شوال من السنة الخامسة من الهجرة، وسببها أن نفراً من اليهود حَزَّبوا الأحزابَ على رسول الله ﷺ، وقدموا على قريش بمكة يدعونهم إلى حربه؛ لأن رسول الله ﷺ أجلى بني النضير من ديارهم، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك[١]، أمر بحفر الخندق حول المدينة برأي سلمان الفارسي يحول بين المؤمنين[٢] والكفار، وعمل فيه بنفسه، وفرغ من الخندق، وأقبلت قريش ومن تبعهم من بني قريظة، مقدَّمُهم أبو سفيان، وكانوا عشرة آلاف نزلوا قريباً من الغابة، والنبي ﷺ في ثلاثة آلاف، واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن، وأقام رسول الله ﷺ والمشركون بضعاً وعشرين ليلة، لم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالحصا والنبال.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ ليلاً، وهي الصبا، فأطفأت النيران، وأكفأت القدور، قال ﷺ: «نُصِرْت بالصَّبا، وأُهلكت عاد بالدَّبور»[٣].

---

(١) في «ت»: «فلما بلغ النبي ﷺ ذلك».

(٢) في «ت»: «المسلمين».

(٣) رواه البخاري (٩٨٨)، كتاب: الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: «نصرت بالصبا»، ومسلم (٩٠٠)، كتاب: صلاة العيدين، باب: في ريح الصبا والدبور، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ هم ألف ملك، فكبرت في جوانب العسكر، وقلعت الأوتاد وأطناب الفساطيط، ولم تقاتل يومئذ، وماجت الخيل بعض في بعض، وقذف الرعب في قلوبهم، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: النجاءَ النجاءَ من سحر محمد، فارتحلوا ليلاً منهزمين بغير قتال، وانقلبوا خاسرين، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «الآن نغزوهم ولا يغزونا»[1]، فكان ذلك حتى فتح مكة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب؛ أي: بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة، وقرأ الباقون: بالخطاب[2]؛ أي: بما تعملون من حفر الخندق.

***

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ بدل من (إِذْ جَاءَتْكُمْ) ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل المشرق: بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من بطن الوادي من قبل المغرب: قريش.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت حيرة وشخوصاً من الرعب.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة، وهي منتهى الحلقوم.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق، عن سليمان بن صرد ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٠٩).

﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ أي: اختلف الظنون، فظن المؤمنون النصر لهم، وظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (الظُّنُونَا هُنَالِكَ)، و(الرَّسُولاَ وَقَالُوا)، و(السَّبِيلاَ رَبَّنَا) بألف في الثلاثة وصلاً ووقفاً؛ لأنها مثبتة في المصاحف، **وقرأ** أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب: بغير ألف في الحالين على الأصل، **وقرأ** ابن كثير، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بألف في الوقف دون الوصل، واتفقت المصاحف على رسم الألف في الثلاثة دون سائر الفواصل[1].

* * *

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي: ثَمَّ ﴿ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ اختُبروا بالحصر والقتال؛ ليتبين المخلص من المنافق ﴿ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ حُرِّكوا حركة شديدة من شدة الفزع.

* * *

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ معتب بن قشير وأصحابه.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٧ـ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ١١٣ـ١١٤).

﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك وضعف اعتقاد: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ وعداً باطلاً، وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين، وهم أوس بن قيظي وأصحابه: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ اسم أرض، والمدينةُ في ناحية منها.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (مُقَامَ) بضم الميم؛ أي: لا إقامة لكم. وقرأ الباقون: بالفتح[1]؛ أي: لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه.

﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ أمروهم بالهروب من عسكر رسول الله ﷺ.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ هم بنو سلمة وبنو حارثة.

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: خالية ضائعة غير حصينة، وهي مما تلي العدو، ويخشى عليها السراق، فكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هي حصينة.

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٤).

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم ﴾ أي: المدينة ﴿ مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ نواحيها، المعنى: لو دخل الأحزاب المدينة من جوانبها.

﴿ ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ الردة إلى الكفر ومقاتلة المسلمين.

﴿ لَآتَوْهَا ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير: (لأَتَوْهَا) بقصر الهمزة؛ أي: لجاؤوها وقبلوها، **وقرأ** الباقون: بالمد[1]؛ أي: لأعطوها السائلين.

﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ ﴾ أي: ما احتبسوا عن الفتنة ﴿ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ ولأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبةً به أنفسُهم، وقيل: وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا قليلاً حتى هلكوا.

وحَدُّ حرم المدينة: ما بين ثَوْر إلى عَيْر، وهما جبلان، فثور جبل صغير إلى الحمرة بتدوير خلف أُحد من جهة الشمال، وغير مشهور بها، وقدر الحرم: بريد ببريد، وقد ورد في الحديث: «اللهم إني أُحَرِّمُ ما بين لابَتَيْها»[2]، وفي رواية: «ما بينَ جَبَلَيها»[3]، وفي رواية: «ما بين

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٦).

(٢) رواه البخاري (٥١٠٩)، كتاب: الأطعمة، باب: الحيس، ومسلم (١٣٦٥) (٢/ ٩٩٣)، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه مسلم (١٣٧٤)، كتاب: الحج، باب: الترغيب في سكنى المدينة، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

مَأْزِمَيْها»[1]، ولابتا المدينة: هما الحرَتَّان الشرقية والغربية، والحرة هي: الأرض ذات الحجارة السود، ورواية «ما بين لابتيها» أرجح؛ لتوارد الرواة عليها، ورواية «جبليها» لا تنافيها، فيكون عند كل لابة جبل، فما بين لابتيها بيان لحد حرمها من جهتي المشرق والمغرب، وما بين جبليها بيان لحده من جهتي الجنوب والشمال، وأما رواية «مَأْزِمِيها»، فالمأزم: المضيق بين الجبلين، وقد يطلق على الجبل نفسه، وهذا يدل على أن صيدها وشجرها محرم، وهو قول الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة، ولا جزاء فيه بالاتفاق، والله أعلم، وتقدم ذكر حدود الأرض المقدسة في المائدة، وحرم مكة في التوبة.

***

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ هم بنو حارثة، هموا يوم أُحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل، عاهدوا الله من قبل حفر الخندق.

﴿ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ منهزمين، فوقع يوم الخندق من بني حارثة هذا الاستئذان.

﴿ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ عنه، وهذا توعُّد.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٢)، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الخدمة في الغزو، ومسلم (١٣٦٥) (٢/ ٩٩٣)، كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ قُلْ ﴾ لهم: ﴿ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ لأن من حضر أجلُه، مات أو قتل ﴿ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ ﴾ بعد هذا الفرار.

﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي: إلا مدة آجالكم، وهي قليل.

* * *

﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يمنعكم منه.

﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا ﴾ هزيمة ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ نصرة.

﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا ﴾ قريباً ينفعهم.

﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ناصراً يمنعهم.

* * *

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ أي: المثبطين الناسَ عن رسول الله ﷺ.

﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ ﴾ أي: أقبلوا إلينا، ودعوا محمداً وأصحابه، نزلت في أخوين كان أحدهما مؤمناً، والآخر منافقاً ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ ﴾ لا يحضرون الحرب ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ رياء من غير احتساب.

﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ بُخلاءَ بالنفقة في سبيل الله ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ ﴾ في تلك الحالة.

﴿ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ ﴾ في الرؤوس؛ من الخوف والجبن.

﴿ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ ﴾ لأن من قرب من الموت، وغشيه أسبابه، يذهب عقله، ويشخص بصره فلا يَطْرِف.

﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم ﴾ آذوكم ﴿ بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ سليطة.

﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ ﴾ أي: عند الغنيمة يشاحون المؤمنين، ويقولون: أعطونا؛ فإنا شهدنا معكم القتال، فلستم أحقَّ بالغنيمة منا، وعند البأس هم أجبن قوم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ ﴾ صدقاً ﴿ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ ﴾ أبطل جهادهم؛ لنفاقهم.

﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الإحباط ﴿ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴾ هيناً.

* * *

﴿ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ يَحۡسَبُونَ ﴾ أي: المنافقون ﴿ ٱلۡأَحۡزَابَ ﴾ الطوائفَ المختلفة.

﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ عن قتالهم جبناً وفرقاً.

﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرة ثانية ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ يتمنوا لو كانوا في بادية مع الأعراب؛ من الخوف والجبن.

﴿يَسْأَلُونَ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَسَّاءَلُونَ) بتشديد السين وفتحها وألف بعدها؛ أي: يتساءلون، وقرأ الباقون: بإسكانها من غير ألف[1] ﴿عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ يتعرفون أحوالكم.

﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ يعني: هؤلاء المنافقين ﴿فِيكُم﴾ في الخندق.

﴿مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً؛ رمياً بالحجارة والنبال يقيمون به عذرهم.

***

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ أيها المخلفون ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة صالحة؛ لأنه يقتدى به. قرأ عاصم: (أُسْوَةٌ) بضم الهمزة، والباقون: بكسرها، وهما لغتان[2].

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ أي: ثوابه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ ونعيم الآخرة.

﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في جميع أوقاته وأحواله.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١١٨).

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ واجتماعهم عليهم، ثم رأوا زلزلتهم وخوفهم ورحيلهم منهزمين. واختلاف القراء في (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ) كاختلافهم في (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ) في سورة (الكهف) [الآية: ٥٣] ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من النصر، وهو قوله تعالى في البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الآية: ٢١٤]، فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثلُ ذلك البلاء، فلما رأوا ما أصاب الأحزابَ من الشدة، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله.

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ﴾ الخوف عند مجيء الأحزاب.

﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ لأمر الله.

* * *

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ﴾ من الثبات مع رسول الله ﷺ.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ نَذْره[١]؛ بأن قاتل حتى استُشهد؛ كحمزة، ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر، والنحب: النذر، واستعير للموت،

---

(١) «نذره» زيادة من «ت».

وهو من النفس، قيل: ومنه النحيب؛ لما فيه من التنفس.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الشهادةَ؛ كعثمان وطلحة، قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن ينظرَ إلى رجل يمشي على وجه الأرض قد قضى نحبَهُ، فلينظُرْ إلى هذا» يشير إلى طلحة(1)؛ لأنه وقى النبي ﷺ بيده، فصارت شلاء.

﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ عهدهم(2) ﴿تَبْدِيلًا﴾ شيئاً من التبديل.

* * *

﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤)﴾.

[٢٤] ثم ذكر تعالى جزاء الفريقين فقال: ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ بجزاء وفائهم بالعهد، واللام في (لِيَجْزِيَ) لام الصيرورة والعاقبة، ويحتمل أن تكون لام كي.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ بأن يدعهم على النفاق ﴿إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ فيهديهم إلى الإيمان. واختلاف القراء في الهمزتين من (إِنْ شَاءَ أَوْ) كاختلافهم فيهما من قوله ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

* * *

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٨٩٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٨٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٨)، وغيرهم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) «عهدهم» زيادة من «ت».

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من قريش وغطفان ﴿ بِغَيْظِهِمْ ﴾ لم تُشف صدورُهم بنيل ما أرادوا ﴿ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ ﴾ ظَفَراً ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾ بالملائكة والريح.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا ﴾ يقهر أعداءه ﴿ عَزِيزًا ﴾ ينصر أولياءه.

* * *

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ثم بعد ذهاب الأحزاب إلى بلادهم، رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بأصحابه، فجاءه جبريل ـ عليه السلام ـ، وقال: «وضعتم السلاح؟ إن الملائكة لم تضع أسلحتها منذ أربعين ليلة، إن الله يأمرك بالمسير إلى قريظة، وإني مزلزلٌ حصونَهم»، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فأذن: «أن من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلينَّ العصرَ إلا في بني قريظة»، وأعطى رايته علياً، فسار بالناس حتى دنا من الحصن، فحاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، فقالوا لأبي لبابة: أننزل على حكم محمد؟ فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، وتقدم خبر أبي لبابة في سورة الأنفال، فطلب بنو قريظة من النبي ﷺ أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل رسول الله ﷺ في طلبه، فجاء راكبَ حمارٍ، وكان رجلاً جسيماً، فقال ﷺ: «قوموا إلى سيدكم»، فأنزلوه، فنزل، فقالوا: يا أبا عمرو! إن

رسول الله ﷺ قد ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال لمواليه: «عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت؟» قالوا: نعم، قال: «وعلى من هاهنا؟» في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال: «أحكمُ فيهم أن يُقتل الرجال، وتُقسم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء»، فكبر النبي ﷺ، وقال: «لقد حكمتَ بحكم الله من فوق سبعةِ أرقعةٍ»، فاسْتُنْزِلوا، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحبسهم في دار بنت الحارث: امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فحفر به خندقاً، وضُربت أعناقُهم فيه، وكانوا ستَّ مئة، أو سبع مئة، وقيل: كانوا بين الثمان مئة إلى التسع مئة، ثم قسم الأموال والسبايا، واصطفى لنفسه ﷺ ريحانة بنت شمعون، فكانت في ملكه حتى مات، ولم يستشهد في هذه الغزوة سوى خلاد بن زيد بن ثعلبة، دلت عليه امرأةٌ من بني قريظة رحًى شدخت رأسه، فقال ﷺ: «له أجرُ شهيدين»، وقتلها به(١).

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحدَه، أعزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزابَ وحده، ولا شيء بعده»(٢)، وكانت هذه الغزوة في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة الشريفة، فأنزل الله تعالى في قصة بني قريظة:

---

(١) هذا السياق كله في «سيرة ابن هشام» (٤/ ١٩٩) وما بعدها. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٠٣).

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٨)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق، ومسلم (٢٧٢٤)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شرما لم يعمل.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ أي: أعانوهم؛ يعني: الأحزاب ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ حصونهم، وكل ما يُمتنع به أو فيه صيصية. قرأ يعقوب: (صَيَاصِيهُمْ) بضم الهاء، وابن كثير، وأبو جعفر: يضمان الميم، ويصلانها بواو في اللفظ حالة الوصل، واختلف عن قالون[1].

﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ﴾ يعني: بني قريظة ﴿ ٱلرُّعْبَ ﴾ قرأ ابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: (الرُّعُبَ) بضم العين، والباقون: بإسكانها[2].

﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ منهم، وهم الرجال.

﴿ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ منهم، وهم النساء والذراري.

* * *

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ ﴾ هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. قرأ أبو جعفر: (تَطَوْها) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[3].

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾.

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٠).

(٣) نظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] كان للنبي ﷺ تسع نسوة، فآذينه، وسألنه زيادة نفقة، وتغايرن، فغمَّه ذلك، فصعد إلى غرفة له، فمكث فيها ولم يخرج إلى أصحابه، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾(١) أمر وجوب في تخييرهن، وهو من خصائصه ﷺ ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ ﴾ أي: أجبن إلى ما أعرضُ عليكن، ولم يرد حقيقة الإقبال والمجيء ﴿ أُمَتِّعْكُنَّ ﴾ أعطيكنَّ متعة الطلاق ﴿ وَأُسَرِّحْكُنَّ ﴾ أصل التسريح: الإرسال؛ كالطلاق.

وتقدم اختلاف الأئمة فيه في سورة البقرة، وملخصه: أن صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية عند مالك والشافعي ثلاثة: الطلاق، والفراق، والسَّراح، وعند أبي حنيفة وأحمد: هو لفظ الطلاق ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ طلاقاً للسنة.

واتفق الأئمة على أن السنة في الطلاق أن يطلقها واحدة في طُهر لم يصبها فيه، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها، وإن طلق المدخول بها في حيضها أو طهر أصابها فيها، وهي ممن تحبل، فهو طلاق بدعة محرم، ويقع بالاتفاق، وجَمْعُ الثلاث بدعة عند أبي حنيفة ومالك، وقال أحمد: هو محرم؛ خلافاً للشافعي، ويقع بلا خلاف بينهم.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٤٧٨)، كتاب: الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالبينة، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ و(مِنْ) للتبيين[1]؛ لأنهن كلهن كنَّ محسنات، فأخبر بذلك عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فاختارت رسول الله، ثم اختارت الباقياتُ الصالحاتُ اختيارها.

واختلف الأئمة فيما إذا قال الزوج لامرأته: اختاري نفسك، فاختارت، فقال أبو حنيفة: تطلق واحدة بائنة، وقال مالك: إذا أطلق التخيير، ولم يقيده بعدد مخصوص، فإنها تطلق ثلاثاً، وقال الشافعي وأحمد: تطلق واحدة يملك فيها الرجعة، وإذا قامت من مجلسها قبل أن تختار نفسها، انقطع التخيير باتفاقهم.

واختلفوا فيما إذا قال: أمرُك بيدك، فقال أبو حنيفة: إذا قال: أمرك بيدك في تطليقة، فاختارت نفسها، يقع طلقة رجعية، وإن نوى الثلاث، صح، فلو قالت: اخترت واحدة، فهي ثلاث، وهو كالتخيير يتوقف على المجلس، قال مالك: إن طلقت نفسها ثلاثاً، فناكرها، وذكر أنه قصد بالتمليك طلقة واحدة، فقوله مع يمينه، وإن لم يكن له نية، فلها أن توقع ما شاءت من عدد الطلاق، ولا مناكرة له عليها، فإن مكنته من نفسها، فوطئها أو باشرها، سقط تمليكها، ولها أن تمنع نفسها لتنظر في أمرها، فإذا أبطأت على زوجها، ومنعته نفسها، ولم توقع طلاقاً، كان له

---

(١) «للتبيين» زيادة من «ت».

مخاصمتها إلى الحاكم، فيوقفها الحاكم ويأمرها أن توقع الطلاق، أو تسقط التمليك، فإن أبت الأمرين، أسقط الحاكم تمليكها، وقال الشافعي: له تفويض طلاقها إليها، وهو تمليك في الجديد، فيشترط لوقوعه تطليقها على الفور، وفي قول عنه: توكيل، فلا يشترط الفور، وعلى القولين له الرجوع قبل تطليقها، ولو قال: طلقي، ونوى ثلاثاً، فقالت: طلقت، ونوتهن، فثلاث، وإلا، فواحدة، ولو قال: ثلاثاً، فوحدت، أو عكسه، فواحدة، وقال أحمد: إذا قال: أمرك بيدك، فلها أن تطلق ثلاثاً، وإن نوى واحدة، وهو في يدها أبداً ما لم يقل: فسختُ، أو يطأها، فيبطل بذلك، والله أعلم.

* * *

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ معصيةٍ ظاهرةٍ؛ من نشوز، وسوء خلق. **قرأ** ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها(١).

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ﴾ **قرأ** ابن كثير، وابن عامر: (نُضَعِّفْ) بالنون وتشديد العين وكسرها من غير ألف قبلها، ونصب (العذابَ)، **وقرأ** أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُضَعَّفْ) بالياء وتشديد العين وفتحها

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١).

من غير ألف قبلها، ورفع (العذابُ)، وقرأ الباقون: كذلك، إلا أنهم بتخفيف العين وألف قبلها، وهما لغتان مثل: بَعَّدَ وباعَدَ[1].

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلين ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي: عذابُها ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً، وتضعيف عقوبتهن على المعصية؛ لشرفهن؛ كتضعيف عقوبة الحرة على الأمة، وتضعيف ثوابهن؛ لترفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

* * *

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ يعقوب: (مَنْ تأْتِ مِنْكُنَّ) (وَمَنْ تَقْنُتْ) بالتاء على التأنيث فيهما، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير[2]؛ لأن (مَنْ) أداة تقوم مقام الاسم، يعبر به عن الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث.

﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ﴾ نعطِها ﴿أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مثلَي أجر غيرها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَيَعْمَلْ) (يُؤْتِهَا) بالياء فيهما نسقاً على

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١-١٢٢).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٠)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢١-١٢٢)، والقراءة المشهورة عن يعقوب كقراءة الجمهور.

قوله: (مَنْ يَأْتِ) و(يَقْنُتْ)، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث في الأول، وبالنون في الثاني[1].

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ واسعاً في الجنة.

* * *

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: ليس قدرُكن عندي مثلَ قدرِ غيرِكن من النساء الصالحات، أنتن أكرمُ عليَّ، وثوابكن أعظمُ لديَّ، ولم يقل: كواحدة؛ لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين، والجمع، والمذكر والمؤنث ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ أي: إن أردتن أن تكنَّ متقيات.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾ تلِنَّ ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ للرجال، ولا تُرقِقن الكلام. واختلاف القراء في الهمزتين من (النِّسَاءِ إِنِ) كاختلافهم فيهما من (الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ ريبة، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب؛ لقطع الأطماع.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: بعيداً من طمع المريب.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٣).

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم: (وَقَرْنَ) بفتح القاف من القرار؛ أي: الزمْنَ بيوتكن، وقرأ الباقون: بالكسر؛ من الوقار؛ أي: كُنَّ أهلَ وقار وسكون، قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وورش، وحفص بُيُوتَكُنَّ: بضم الباء، والباقون: بكسرها[١].

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ تُبرِزْنَ محاسنكن للرجال ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ الذين كانوا بين آدم ونوح، والأخرى: بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل غير ذلك. قرأ البزي عن ابن كثير: (وَلاَ تَّبَرَّجْنَ) بتشديد التاء[٢].

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في أمره ونهيه.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الإثم ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب نداء، والمراد: زوجات النبي ﷺ، وقال: (عَنْكُمْ)، ولم يقل: عنكن؛ لأنه ﷺ كان بينهن، فغُلِّبَ.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ من الرجس.

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «في بيتي أُنزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٤).

﴿ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجلل فاطمة وحسناً وحسيناً بكسائه، وعلي خلف ظهره، ثم قال ﷺ: «اللهم هؤلاء أهلُ بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله! أما أنا من أهل البيت؟ قال: «بلى إن شاء الله»(١).

* * *

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن.

﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ السنة. تقدم اختلاف القراء في كسر الباء وضمها من (بيوتكن).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه.

* * *

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٧٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٥٠)، وغيرهم.

[٣٥] روي أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله! ذكر الله الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به؟ إنا نخاف ألاَّ يقبل منا طاعة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[1] المنقادين لحكم الله ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وهم من آمن حقيقة.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ العابدين المطيعين لله في الفرض، وللرسول في السنة ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ فيما عوهدوا عليه أن يفوا به ويكملوه ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ عن الشهوات، وعلى الطاعات والرزايا ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ الخائفين لله، المستكينين لربوبيته الوقورين ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ بالفرض والنفل، وهما الزكاة وصدقة التطوع ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ كذلك في الفرض والنفل.

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ من الزنا وشبهه.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بقلوبهم وألسنتهم، قال ﷺ: «من استيقظَ من الليل، وأيقظ امرأته، فصليا جميعاً ركعتين، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات»[2].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ لجميع المؤمنين ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعتهم.

---

(١) رواه الطبراني في «تفسيره» (٢٢/ ١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦١٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (١٤٥١)، كتاب: الصلاة، باب: الحث على قيام الليل، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٣١٠)، وابن ماجه (١٣٣٥)،كتاب: الصلاة، باب: ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (١١٨٩)، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ونزل في امتناع زينب وأخيها من تزويج زيد بن حارثة بعد أن خطبها رسول الله ﷺ له ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾[1] لعبد الله بن جحش.

﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ زينب.

﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ هو خطبتها لزيد ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ المعنى: لا يجوز لأحد أن يريد إلا ما أراد الله ورسوله. قرأ الكوفيون، وهشام عن ابن عامر: (أَنْ يَكُونَ) بالياء على التذكير؛ للحائل بين التأنيث والفعل، وقرأ الباقون: بالتاء؛ لتأنيث الخيرة[2].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ أخطأ خطأً ظاهراً.

* * *

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] فرضيت زينب وأخوها، وتزوجت بزيد، وبقيت معه مدة، ثم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٥).

أُلقي في نفس زيد كراهتها، فجاء النبيَّ ﷺ فقال: أريد طلاق صاحبتي، فقال: «أرابك منها شيء؟»، قال: لا والله ولكنها تترفع علي، فقال له: «أمسكْ عليكَ زوجَك»، فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾[1] بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ لا تفارقها، نهي تنزيه. قرأ أبو عمرو، وهشام، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَإِذ تَّقُولُ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بالإظهار[2].

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ ما علمته، وهو ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: مظهره، وهو أنه تعالى كان قد أعلمه ﷺ أن زينب ستصير زوجة له.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: اليهود أن يقولوا: تزوجَ امرأةَ ابنه.

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ فلا تفعلْ مثل ذلك، وهذا عتاب شديد، قال عمر، وابن مسعود، وعائشة: «ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشدُّ عليه من هذه الآية»[3]، وعن عائشة: «لو كتم نبيُّ الله شيئاً مما أنزل عليه، لكتم هذه الآية»[4]، فطلقها زيد، فلما انقضت عدتها، قال لزيد: «اذهبْ

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١١١): غريب بهذا اللفظ، ورواه مسلم في «صحيحه» (١٤٢٨) في النكاح مختصراً من حديث أنس.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٦).

(٣) انظر: «عمدة القاري» للعيني (١٩/ ١١٩).

(٤) رواه مسلم (١٧٧)، كتاب: الإيمان، باب: معنى قوله الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾. ورواه البخاري (٦٩٨٤)، كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، لكن عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ.

فاذكرْها عليّ» فقال زيد: «يا زينب! إن نبي الله أرسلني إليك يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر به ربي»، وقامت إلى مسجدها.

فنزل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾[1] أرباً، ولم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه سوى زيد في هذا المحل ـ رضي الله عنه ـ ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخل ﷺ عليها بغير إذن، ولا عقد نكاح، ولا صَداق، ولا شهود، وأطعم الناس خبزاً ولحماً، المعنى: فعلنا ذلك.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ إثم ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ وهم الذين تبنوهم ﴿إِذَا قَضَوْا۟﴾ أي: الأدعياء ﴿مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ تلخيصه: فعل ذلك ليعلم أن نكاح زوجة المتبنَّى حلال؛ بخلاف زوجة الابن.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ مكوناً لا محالة، قال أنس: «كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات»[2].

* * *

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ أي: أحله له ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب مصدر ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ هم الأنبياء عليهم السلام،

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٨)، كتاب: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٠)، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ.

المعنى: لا تؤاخذ بكثرة النساء كالأنبياء قبلك؛ فإنهم كانوا أكثر نساءً؛ كداود وسليمان عليهما السلام.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاءً مقضياً.

***

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ هم الأنبياء، أثنى الله عليهم؛ يعني: سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أي: يفعلون ما يؤمرون، ولا يخافون لائمة أحد.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ كافياً للمخاوف.

***

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ولما قيل: إن محمداً تزوج امرأة ابنه، نزل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الذين لم يلدهم، فلا يحرم عليه زوجة من تبناه بعد فراقها وانقضاء عدتها، و(محمد) معناه: المستغرق لجميع المحامد، وهو الذي كثر حمدُ الحامدين له مرة بعد أخرى، وتقدم تفسير (محمد) في سورة آل عمران بأتم من هذا، وكذلك تفسير (أحمد)، وذكر نسبه الشريف، ولا يجري فيه القول الضعيف أنه لا يجوز أن يقال له: أبو المؤمنين [ولا عبرة من منع ذلك في الحسنين من الأمويين؛ للخبر الصحيح الآتي في الحسن:

«إن ابني هذا سيد»[١]، ومعاوية، وإن نقل عنه ذلك، ولكن نقل عنه ما أنه رجع عن ذلك، وغير معاوية من بقية الأمويين المانع بذلك لا يعتد به، وعلى الأصح، فقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ إنما سيق لانقطاع حكم النبي ﷺ لا يمنع من الإطلاق المراد به: أنه أبو المؤمنين في الاحترام والإكرام من هو أحق][٢].

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ نصب اللام والميم عطفاً على خبر (كَانَ). قرأ عاصم: (وَخَاتَمَ) بفتح التاء على الاسم؛ أي: آخرهم، وقرأ الباقون: بكسرها على الفاعل[٣]؛ لأنه ختم النبيين، فهو خاتمهم؛ أي: لا يُنَبَّأُ نبي بعده أبداً، وإن نزل عيسى بعده، فهو ممن نبىء قبله، ولأنه ينزل بشريعته، ويصلي إلى قبلته، فكأنه من أمته.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ عموم، والمقصد به هنا: علمه تعالى بما رآه الأصلحَ لمحمد ﷺ، وبما قدره في الأمر كله.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بما هو أهله من التهليل والتكبير

---

(١) رواه البخاري (٣٤٣٠)، كتاب: المناقب، باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٢٨).

والتحميد والتقديس ﴿ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبكم، وعلى كل حال.

***

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾.

[٤٢] ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ أي: صلوا له ﴿بُكۡرَةٗ﴾ وهي صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾ هي صلاة العصر، وقيل: المراد: التسبيح باللسان، فيقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسميت هذه الكلمات ذكراً كثيراً؛ لأنه يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾.

[٤٣] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ صلوات الله: رحمتُه ومغفرته، وصلاةُ الملائكة: الدعاءُ والاستغفار للمؤمنين، المعنى: يفعل الله بكم ذلك.

﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان، تلخيصه: برحمته وبسبب دعاء الملائكة فزتم.

﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ حتى اعتنى بصلاح أمرهم.

***

﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾.

[٤٤] ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ﴾ تعالى ﴿سَلَٰمٞ﴾ أي: يسلم الله عليهم، ويسلمهم من الآفات.

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ هو الجنة.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ قرأ نافع: (النَّبِيءُ) بالمد والهمز (إِنَّا): بتسهيل الهمزة، واختلف في كيفية تسهيلها، فذهب جمهور القراء المتقدمين إلى أنها تبدل واواً خالصة مكسورة، وذهب بعضهم إلى أنها تجعل بين الهمزة والياء، وهو مذهب أئمة النحو والمتأخرين من القراء، وهو الأوجه في القياس، وقرأ الباقون: بتشديد الياء، وتحقيق الهمزة من (إِنَّا)(١) ﴿ شَٰهِدًا ﴾ على أمتك، والرسلِ بالبلاغ، ونصبه على الحال، وكذلك جميع المنصوبات بعد ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ لأهل طاعته بالجنة ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ لأهل معصيته بالنار.

***

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى توحيده ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بتسهيله وأمره، وتقديرِه ذلك في وقته وأوانه ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ أي: [يهتدى بك في الدين كما يهتدى](٢) بالسراج المنير في الظلام، فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهي من خصائصه عليه السلام.

***

---

(١) انظرها في تفسير الآية (١) من هذه السورة.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ تفضلاً جزيلاً، قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، دعا رسول الله علياً ومعاذاً، فبعثهما إلى اليمن، وقال: «اذهبا، فبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، فإنه قد نزل عليَّ، وقرأ الآية»[1].

* * *

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ في فسخ عهد، لا فيما لا يحل.

﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ اصبر عليه، ولا تجازهم، ونُسخ بآية السيف.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فهو كافيك ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ مفوضاً إليه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ أي: عقدتم عليهن.

﴿ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾ أي: تطؤوهن. قرأ حمزة،

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٨٤١).

والكسائي، وخلف: (تُمَاسُّوهُنَّ) بضم التاء وألف بعد الميم، والباقون: بفتح التاء من غير ألف(١).

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحسبونها بالأقراء والأشهر.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ إذا لم يكن لهن صَداق، وإن كان لهن صداق، فنصفه بلا متعة، وتقدم الحكم في ذلك، واختلاف الأئمة فيه، وفي حكم العدة بالخلوة في سورة البقرة.

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ خلُّوا سبيلهن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بلا إضرار بهن، وقوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع؛ لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح، فلو قال: متى تزوجتُ فلانة، أو كل امرأة أتزوجها، فهي طالق، لم يقع عليه طلاق إذا تزوج عند الشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: يقع طلاقاً، وقال مالك: إن عين امرأة بعينها، أو من قبيلة، أو بلد، فتزوجها، وقع الطلاق، وإن عَمَّ فقال: كل امرأة أتزوجها من الناس كلهم، فهي طالق، لم يلزمه شيء، والله أعلم.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٢٩/٥).

أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٠)﴾.

[٥٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، وتقدم قريباً مذهب نافع في الهمزتين من (النَّبيءُ إِنَّا) ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء.

﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: غَنَّمَكَ من الكفار؛ كصفية وجويرية، وقد كانت مارية مما ملكت يمينه، فولدت له إبراهيم ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ نساء قريش.

﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾ نساء بني زهرة ﴿ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة، فمن لم تهاجر معه منهن، لم يجز له نكاحها.

عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت: «خطبني رسول الله ﷺ لما فتح مكة، فأنزل الله هذه الآية، فلم أحل له؛ لأني لم أكن من المهاجرات، وكنت من الطلقاء»(١)، ثم نسخ شرط الهجرة بقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾ [فلا يحل له غير المؤمنة، المعنى: أبحنا لك جميع المذكورات، وأبحنا لك امرأة مؤمنة](٢) ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ بطلب نكاحها من غير صداق.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢١٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، وقال: حسن صحيح، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٤).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ المعنى: إذا وهبتك مؤمنة نفسها، حلت لك خاصة بلفظ الهبة بلا صداق، كالزيادة على الأربع، وكان من خصائصه ﷺ أن يتزوج بلا ولي ولا شهود، وإذا خطب امرأة، يحرم على غيره خطبتها حتى يتركها(١)، والواهبةُ نفسَها هي أم شريك بنتُ جابر من بني أسد، وقيل: ميمونة بنت الحارث، وقيل: خولة بنت حكيم من بني سليم، وقيل: زينب بنت خزيمة الأنصارية(٢). **قرأ** نافع (لِلنَّبِيءِ إِنْ) بالهمز والمد في (النَّبِيءِ)، وتسهيل الهمز الثاني بين بين، **وقرأ**: (أَرَادَ النَّبِيءُ أَنْ) بالهمز والمد في (النَّبِيءُ)، وإبدال الهمز الثاني واواً محضة مفتوحة، وخالفه قالون في الحرف الأول، وهو (لِلنَّبِيِّ إِنْ)، فقرأ بتشديد الياء، وتحقيق الهمز بعدها؛ كبقية القراء(٣).

واختلف الأئمة في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة، فقال أبو حنيفة: ينعقد بلفظ الهبة والصدقة والتمليك والبيع والشراء، وعنه في لفظ الإجارة خلاف، وقال مالك: ينعقد بلفظ يدل على التأبيد مدة الحياة؛

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ١٢٨).

(٢) انظر: «التلخيص الحبير» (٣/ ١٣٨)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٢٥ـ ٥٢٦) قال ابن حجر في «الفتح» بعد أن ذكر من خَرَّج الآثار في اللواتي وهبن أنفسهن له صلى الله عليه وسلم، وبعد أن ذكر الحكم الحديثي لكلٍّ، قال: عن عكرمة عن ابن عباس: «لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له» أخرجه الطبري وإسناده حسن. والمراد أنه لم يدخل بواحدةٍ ممَّن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً له؛ لأنه راجع إلى إرادته؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾.

(٣) سلفت هذه القراءة في تفسير الآية (١) من هذه السورة.

كأنكحت، وزوجت، وملكت، وبعت، وكذا وهبت بتسمية صداق، وقال الشافعي وأحمد: لا ينعقد إلا بلفظ النكاح والتزويج.

واختلفوا في اشتراط الشهادة لصحة النكاح، فقال مالك: يصح بلا إشهاد بشرط الإعلان، وتركِ التواصي بالكتمان، وقال الثلاثة: تشترط، فعند أبي حنيفة: ينعقد بحضور رجلين، ورجل وامرأتين، ولا تشترط العدالة، وعند الشافعي وأحمد: تشترط الذكورة، والشافعي يشترط العدالة، والصحيح عنه: أنه ينعقد بمستوري العدالة، فلو بان فسق الشاهد عند العقد، فباطل، وأحمد يشترط العدالة في شاهديه ظاهراً فقط، فلو بانا بعده فاسقين، فالعقد صحيح.

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: أوجبنا على المؤمنين.

﴿ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ من الأحكام ألاَّ يتزوجوا أكثر من أربع.

﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ من الإماء مباح لهم فوق أربع زوجات.

﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ ضيق، وهذا يرجع إلى أول الآية؛ أي: أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لئلا يضيق عليك.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما يعسر التحرز عنه.

﴿ رَّحِيمًا ﴾ بالتوسعة في مظان الحرج.

* * *

﴿ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) ﴾.

[٥١] ﴿۞ تُرۡجِي﴾ تؤخِّر ﴿مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ عنك بطلاق أو غيره ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾ تضم.

﴿إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ منهن. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تُرْجِي) بإسكان الياء بغير همز، وقرأ أبو جعفر: (وَتُووِي) بواوين بغير همز، والباقون: بالهمز فيهما[1]، واختلف المفسرون في معنى الآية، فأشهر الأقاويل أنه في القَسْم بينهن، وذلك أن التسوية بينهن في القَسْم كان واجباً عليه، فلما نزلت هذه الآية، سقط عنه، وصار الاختيار إليه فيهن.

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ أي: طلبت أن تؤوي إليك امرأة.

﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ فصلته بالإرجاء.

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ أي: لا إثم ﴿عَلَيۡكَ﴾ في فعلك بنسائك، فأباح الله له ترك القسم لهن، حتى إنه ليؤخر من يشاء منهن في نوبتها، ويطأ من يشاء منهن في غير نوبتها، ويرد إلى فراشه من عزلها؛ تفضيلاً له على سائر الرجال، فرضين بذلك، واخترنه على هذا الشرط.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ أقرب إلى رضاهن.

﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ﴾ بتخييرهن.

﴿وَلَا يَحۡزَنَّ﴾ بترك القسم لهن ﴿وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ﴾ من

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٣١)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وشعبة ويعقوب: (ترجى).

تقريب وتبعيد، وعزل وإيواء؛ لعلمهن أن ذلك بوحي من الله.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من الميل إلى بعض النساء.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

***

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (تَحِلُّ) بالتاء على التأنيث على معنى جماعة النساء، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير على معنى جمع النساء[(١)]، وهما جنسان؛ لأن تأنيث لفظ النساء ليسس بحقيقي ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن واخترنك، ورضين بمرادك ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ غيرهن ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ قرأ البزي: (وَلاَ أَنْ تَّبَدَّلَ) بتشديد التاء على أصله[(٢)]، وذلك أن النبي ﷺ لما خيرهن، فاخترن الله ورسوله، شكر الله لهن، وحرم عليه النساء سواهن، ونهاه عن تطليقهن، وعن الاستبدال بهن، وهن: خمس من قريش: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان، وأم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية، وسودة بنت أبي زمعة، وغير القرشيات: زينب

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٢).

بنت جحش الأسدية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

واختلف في أنه هل أبيح له النساء من بعد؟ قالت عائشة: «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء»[1]، وقال أنس: «مات على التحريم»[2]، وممن قال بحل النساء له: أبي بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وغيرهم.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ حسن الأزواج المستبدلة، قال ابن عباس: «يعني: أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب، فلما استشهد جعفر ـ رضي الله عنه ـ أراد رسول الله ﷺ أن يخطبها، فنهي عن ذلك[3].

---

(١) رواه النسائي (٣٢٠٤)، كتاب: النكاح، باب: ما افترض الله عز وجل على رسوله ـ عليه السلام ـ وحرَّمه على خلقه، والترمذي (٣٢١٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، وقال: حسن.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٧).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٢١)، قال ابن العربي كما ذكره عنه القرطبيُّ ـ: وهذا حديث ضعيف ١هـ. وقال ابن عادل: وقال بعض المفسرين: ظاهر هذا ناسخ لما كان قد ثبت له عليه الصلاة والسلام من أنه إذا رأى واحدة فوقعت في قلبه موقعاً كانت تحرم على الزوج ويجب عليه طلاقها... ففي أول الأمر أحلَّ الله من وقع في قلبه؛ تفريغاً لقلبه وتوسعاً لصدره لئلا يكون مشغول القلب بغير الله، ثم لما استأنس بالوحي نُسخ ذلك.

﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ ﴾ قال ابن عباس: «ملك بعد هؤلاء مارية»[1].

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ حافظاً.

وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن رجلاً أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها؛ فإن في أعين نساء الأنصار شيئاً»[2]، قال الحميدي: يعني: الصغر، فإذا خطب الرجل امرأة، أبيح له النظر إليها بالاتفاق، فعند أحمد: ينظر إلى ما يظهر غالباً، كوجه ورقبة ويد وقدم، وعند الثلاثة: لا ينظر غير الوجه والكفين.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ونزل تأديباً لناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك، فيأكلون

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤)، كتاب: النكاح، باب: ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها، والحميدي في «مسنده» (١١٧٢).

ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى منهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ ﴾[1] أي: إلا وقت الإذن ﴿ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ ﴾ فيؤذن لكم فتأكلون. **قرأ** نافع: (بُيُوتَ النَّبِيءِ إِلاَّ) بالمد والهمز وتسهيل الهمزة من (إلاَّ)، وخالفه قالون في هذا الحرف أيضاً، فقرأه بتشديد الياء كبقية القراء كما تقدم في قوله: (لِلنَّبِيءِ إِنْ) وهذان الحرفان اللذان تقدم التنبيه عليهما أول السورة، ونبه عليهما في سورة البقرة.

﴿ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ أي: منتظرين نضجه. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: (إِنَاهُ) بإمالة فتحة النون[2].

﴿ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ ﴾ للأكل ﴿ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ ﴾ فرغتم منه ﴿ فَٱنتَشِرُوا۟ ﴾ اخرجوا من منزله ﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ ﴾ جر عطف على (نَاظِرِينَ) ﴿ لِحَدِيثٍ ﴾ تديرونه بينكم بعد الأكل.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ ﴾ الاستئناسَ بعدَ الأكل ﴿ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ﴾ فلا يأمركم بالخروج، وكان ﷺ أشد الناس حياءً[3]، وأكثرهم عن العورات غضاءً، والحياء: رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٨٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٩٥)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٣٦)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٢٢٤)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٩/ ١٦٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٤٨ـ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٣).

(٣) روىٰ البخاري (٣٣٦٩) كتاب المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، ومسلم (٢٣٢٠)، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، من حديث أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها.

كراهته، أو ما يكون تركه خيراً من فعله، والإغضاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: لا يمتنع من تعريفكم الحق والصواب حياء منكم.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: نساء النبي ﷺ، وإن لم يذكرن؛ لأن الحال تدل عليهن.

﴿مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ أي: من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله ﷺ متنقبة كانت أو غير متنقبة. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (فَسَلُوهُنَّ) بالنقل، والباقون: بالهمز[١].

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ السؤال ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الريبة.

وقد صح في سبب نزول الحجاب ما روي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوجُ النبي ﷺ ليلة من الليالي عشياً، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة! حرصاً على أن ينزل آية الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب[٢].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٤).

(٢) رواه البخاري (١٤٦)، كتاب: الوضوء، باب: خروج النساء إلى البَراز، ومسلم=

وعن أنس قال: قال عمر: «وافقني ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله! يدخل عليك البرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني بعض ما آذين به رسولَ الله ﷺ نساؤه، قال: فدخلت عليهن، فجعلت أستفزُّ بهن واحدة واحدة، قلت: والله لتنتهُنَّ، أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكن، حتى أتيت على زينب، فقالت: يا عمر! أما كان في رسول الله ﷺ يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟! قال: فخرجت، فأنزل الله عز وجل: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ إلى آخر الآية [التحريم: ٥]»[١].

واستدل بعض العلماء بأخذ الناس عن أزواج النبي ﷺ من وراء حجاب على جواز شهادة الأعمى إذا تيقن الصوت، وهو مذهب مالك وأحمد، ولم يجزها أبو حنيفة، وقال الشافعي: يجوز فيما رآه قبل ذهاب بصره، أو يقر في أذنه، فيتعلق به حتى يشهد عند قاض به.

= (٢١٧٠)، كتاب: السلام، باب: إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان.

(١) رواه البخاري (٤٢١٣)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ٥٠٥) وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه، ومن مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين، وهما في «الصحيح».

ولما قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قيل: هو طلحة بن عبيد الله: «لئن قبض رسول الله ﷺ، لأنكحن عائشة»، نزل احتراماً له ﷺ، وتطييباً لقلبه:

﴿وَمَا كَانَ﴾[1] أي: ما يجوز ﴿لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بشيء من الأشياء.

﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ إذا مات، أو فارقهن.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: إيذاءه، ونكاحَ نسائه ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنباً.

﴿عَظِيمًا﴾ فنكاحُ أزواجه محرم على غيره بالإجماع.

* * *

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] وبالغ في الوعيد عليه فقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا﴾ لنكاحهن على ألسنتكم.

﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صدوركم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم.

* * *

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٢٠١) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٥٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٩) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نحوه.

﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ولما نزلت آية الحجاب، قال ذوو المحارم: ونحن أيضاً لا نكلمهن إلا من وراء حجاب؟ فنزل: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ ﴾ وإنما لم يذكر العم والخال؛ لأنهما بمنزلة الوالدين، والعرب تسمي العم أباً، والخالة أماً. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ) كاختلافهم فيهما (مِنَ الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور، واختلافهم فيهما من (أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ) كاختلافهم فيهما من (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء [الآية: ٩٩] ﴿ وَلَا نِسَآئِهِنَّ ﴾ أي: المسلمات، وتقدم ذكر الخلاف بين الأئمة في الكتابيات في سورة النور.

﴿ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ ﴾ من الإماء، فلا يكون العبد محرماً لمولاته، وقيل: هو عام، فيكون العبد محرماً لمولاته، وتقدم ذكر الحكم في ذلك، واختلاف الأئمة فيه في سورة النور؛ أي: لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب عن هؤلاء، ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب فقال: ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ ﴾ فيما أُمِرْتُنَّ به.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴾ لا يخفى عليه خافية.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ صلاةُ الله: رحمة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وصلاة المؤمنين: سؤال الصلاة عليه.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ ﴾ ادعوا له.

﴿ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ حيوه بتحية الإسلام.

سئل رسول الله ﷺ: كيفَ الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارِكْ على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»(١).

واختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ هل (يصلون) راجعة على الله والملائكة، أم لا؟ فأجازه بعضهم، ومنعه آخرون؛ لعلة التشريك، وخصوا الضمير بالملائكة، وقدروا الآية: إن الله يصلي وملائكته، والملائكة يصلون، واختلف الأئمة في الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير في الصلاة، فقال أبو حنيفة: هي سنة، وتجب في العمر مرة، والمختار في مذهبه أنها مستحبة كلما ذكر، وعليه الفتوى، وقال مالك: هي سنة في الصلاة، ولكنها واجبة في الجملة، وقال الشافعي: هي فرض، وقال أحمد: هي ركن، فتبطل الصلاة عندهما بتركها، عمداً كان أو سهواً.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي: يخالفون أمره ويعصونه بنسبة الولد

---

(١) رواه البخاري (٤٥١٩) كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾، من حديث كعب بن عُجرة رضي الله عنه.

والشريك إليه سبحانه، هم اليهود، قالوا: عزير ابن الله، ويد الله مغلولة، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه.

﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ بتكذيبه، وقولهم: شاعر ومجنون.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالنار.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ فيحرم أذى النبي ﷺ بالقول والفعل بالاتفاق.

واختلفوا في حكم من سبه والعياذ بالله تعالى من المسلمين، فقال أبو حنيفة والشافعي: هو كفر كالردة يقتل ما لم يتب، وقال مالك وأحمد: يقتل ولا تقبل توبته، [وقتله حداً لا كفراً إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل توبته][1].

وأما الكافر إذا سبه صريحاً بغير ما كفر به؛ من تكذيبه ونحوه، فقال أبو حنيفة: لا يقتل؛ لأن ما هو عليه من الشرك أعظم، ولكن يؤدب ويعزر، وقال الشافعي: ينتقض عهده، فيخير الإمام فيه بين القتل والاسترقاق، والمن والفداء، ولا يبلغ المأمن؛ لأنه كافر لا أمان له، ولو لم يشرط عليه الكف عن ذلك، بخلاف ما إذا ذكره بسوء يعتقده ويتدين به؛ كتكذيب ونحوه، فإنه لا ينتقض عهده بذلك إلا باشتراطه، وتقدم التنبيه على ذلك في سورة التوبة، وقال مالك وأحمد: يقتل ما لم يسلم، واختار جماعة من أئمة مذهب أحمد أن سابه ـ عليه السلام ـ يقتل بكل حال، منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقال: هو الصحيح من المذهب، وأما حكم قذفه ﷺ،

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

فعند أبي حنيفة حكمه كالسب من مسلم وكافر كما تقدم، وظاهر كلام أصحاب مالك فيما اطلعت عليه من كتبهم، ومنهم القاضي عياض في «الشفا»[1]: أنه كالسب، يقتل به المسلم، ويسقط القتل عن الكافر بإسلامه، وحكى القاضي عياض عن ابن سحنون أنه أوجب على الذمي إذا قذف النبي ﷺ حد القذف، ثم قال: ولكن انظر ماذا يجب عليه، هل حد القذف في حق النبي ﷺ هو القتل؛ لزيادة حرمته ﷺ على غيره، أم هل يسقط القتل بإسلامه، ويحد ثمانين جلدة؟ فتأمله، انتهى.

وفي مذهب الشافعي ثلاثة أقوال حكاها النووي رحمه الله في «الروضة»: أحدها: أنه كالمرتد، والثاني: أنه يقتل حداً، والثالث: أنه يجلد ثمانين جلدة[2].

ومذهب أحمد ـ رضي الله عنه ـ: أن من قذفه ﷺ، أو قذف أمه، قتل، مسلماً كان أو كافراً، فلا تقبل من المسلم توبة، ولا من الكافر إسلامه.

وحكم من سب سائر أنبياء الله وملائكته حكمُ من سب نبينا عليهم السلام، وأما من سب الله سبحانه وتعالى والعياذ بالله من المسلمين بغير الارتداد عن الإسلام، ومن الكفار بغير ما كفروا به من معتقدهم في عزير والمسيح ونحو ذلك، فحكمه حكم من سب النبي ﷺ، وكل من الأئمة الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ على أصله كما قدمته، والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

---

(١) انظر: (٢/ ٢٦٦) وما بعد.

(٢) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (١٠/ ٣٣٢).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ونزل في عائشة وصفوان رضي الله عنهما: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ بغير ذنب.

﴿ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ظاهراً.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] كان زي الحرائر والإماء واحداً، فربما تعرض ببعض الحرائر، فنزل نهياً للحرائر عن التشبه بالإماء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ ﴾ يُرْخين.

﴿ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ جمع جلباب، وهي الملاءة تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار[١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الفعل ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقربُ إلى.

﴿ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ بأن يتعرض لهن ذو ريبة.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا ﴾ لما سلف مع التوبة ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بعباده.

***

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ونزل فيمن كان يظهر خلاف ما يضمر، وفيمن كان يرعب قلوب

(١) «والخمار» زيادة من «ت».

المسلمين: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم وكذبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فجور؛ يعني: الزناة ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ بالكذب بما يضعون من الأخبار الكاذبة عن سرايا المسلمين؛ بأنهم قتلوا وكسروا وأخذوا، فترعب قلوب المؤمنين.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زماناً قليلاً حتى يخرجوا منها.

* * *

﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ﴾ مطرودين، نصب على الحال من (لاَ يُجَاوِرُونَكَ) ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ وجدوا.

﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به.

* * *

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: كسنة الله.

﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ﴾ من المنافقين؛ أي: هذا الحكم فيهم.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ لأنه لا يبدلها.

* * *

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] وكان اليهود والمشركون يسألونه ﷺ عن الساعة امتحاناً

واستهزاءً، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يعلمك أمر الساعة؟ ثم أومأ إلى قربها فقال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ شيئاً ﴿قَرِيبًا﴾ وانتصابه على الظرف، وفيه تهديد لهم.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ﴾ أي: عذب ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المكيين بالقتل ببدر.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً في الآخرة.

* * *

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع عنهم.

* * *

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ ظهراً لبطن حين يُسحبون عليها ﴿يَقُولُونَ﴾ المعنى: اذكر يوم يقول التابع والمتبوع: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ في الدنيا.

* * *

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ أي: مقدمينا في الكفر.

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ أخطؤوا بنا طريق الهداية. قرأ ابن عامر، ويعقوب: (سَادَاتِنَا) بكسر التاء وألف قبلها على جمع[1] الجمع، وقرأ الباقون: [بفتح التاء بلا ألف قبلها[2]، وتقدم اختلافهم في (الرَّسُولاَ) و(السَّبِيلاَ) عند (الظُّنُونَا) [الآية: ١٠].

* * *

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: عذبهم مثل عذاب غيرهم ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ قرأ عاصم: (كَبِيراً) بالباء الموحدة من تحت، وقرأ الباقون][3]: بالثاء المثلثة، واختلف عن هشام راوي ابن عامر[4].

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ونزل نهياً عن أذى النبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بأن رموه بالأُدرة، وهو مرض الأنثيين، فوضع ثوبه على الحجر

---

(١) «جمع» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٦).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٣-٥٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٣٦).

ليتوضأ، فهرب الحجر بثوبه حتى وقف به بين ملأ بني إسرائيل، فأدركه فضربه ثنتي عشرة ضربة، فرأوه أحسنَ الناس جسداً[1]، واتهموه بقتل هارون في التيه، فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل، فعرفوا أنه لم يقتله، وقذفوه بالبغي أنه فجر بها، وجعلوه ساحراً مجنوناً.

﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾ بأن أوضح ما نسب إليه، فظهرت براءته منهم.

﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ ذا جاه.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ أي: صواباً.

* * *

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ يتقبل حسناتكم، ويثيبكم عليها.

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ نال غاية مطلوبه، والطاعة: موافقة الأمر، والمعصية: مخالفته.

* * *

(١) انظر ما رواه البخاري في (٢٧٤)، كتاب: الغُسل، باب: من اغتسل عُرياناً وحده في الخلوة، ومسلم (٣٣٩)، كتاب: الحيض، باب: جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، من حديث أبي هريرة.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ هي كل ما افترض على العباد؛ كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، فعرضت الأمانة بما فيها.

﴿ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ عرضَ تخيير، فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن.

﴿ فَأَبَيْنَ ﴾ امتنعن ﴿ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ خِفْن منها خشية ألاَّ يؤدينها، فيلحقهن العقاب.

﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ مع ضعفه، وهو آدم ـ عليه السلام ـ، روي أنه قال: أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق؟ فقيل: من يحملها يحملها بنا، فإن ما هو منا لا يحمل إلا بنا، فحملها.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا ﴾ لنفسه بمعصية ربه.

﴿ جَهُولًا ﴾ بأمر الله، وما احتمل من الأمانة.

* * *

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ بما خانوا الأمانة، ونقضوا الميثاق، واللام تعليل.

﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة، ونصبه عطف على (لِيُعَذِّبَ)، واللام في قوله (لِيُعَذِّبَ) متعلقة بحمل؛ أي: حملها؛ ليعذب العاصي، ويثيب المطيع.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ حيث تاب على فرطاتهم، وأثاب بالفوز على طاعاتهم.

وقد تقدم في تفسير هذه السورة[١] أن من خصائص رسول الله وجوب تخيير نسائه بين فراقه والإقامة معه، وأن يتزوج بأي عدد شاء، وأن يتزوج بلا ولي ولا شهود، وإذا خطب امرأة يحرم على غيره خطبتها حتى يتركها، وله خصائص غير ذلك، منها: أن له أن يتزوج في زمن الإحرام، وكان واجباً عليه السواك والأضحية والوتر، ووجب عليه قيام الليل ولم ينسخ، وفرض عليه إنكار المنكر إذا رآه على كل حال.

ومُنِع من الرمز بالعين، والإشارة بها، وإذا لبس لأْمَة الحرب أن ينزعها حتى يلقى العدو، ومنع أيضاً من الشِّعر والخط وتعليمهما، ومنع من نكاح الكتابية كالأَمَةِ مطلقاً، ومنع من الأخذ من صدقة التطوع.

وأبيح له الوصال في الصيام، وهو ألاَّ يفطر بين يومين فأكثر، وأبيح له خمس خمس الغنيمة وإن لم يحضره، وأبيح له الصفا من المغنم، وهو ما كان يختاره قبل القسمة؛ كجارية وعبد وثوب وسيف ونحوه، ودخول مكة محلاً ساعة، وإذا ادعي عليه أو ادعى هو فقوله بلا يمين، وجعلت تركته صدقة، وله أخذ الماء من العطشان، ويلزم كلَّ أحد أن يقيه بنفسه وماله، فله طلب ذلك، وحرم على غيره نكاح زوجاته فقط، وتقدم في

(١) عند تفسير الآية (٥٠).

التفسير، وهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وهن أمهات المؤمنين بمعنى: في حكم الأمهات في تحريم النكاح، وتقدم في التفسير، والنجس منا طاهر منه، ولم يكن له فيء في شمس ولا قمر، لأنه يوارى، والظل نوع ظلمة، وكانت تجتذب الأرض أثقاله، وساوى الأنبياء في معجزاتهم، وانفرد بالقرآن والغنائم، وجُعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً، ونُصر بالرعب مسيرة شهر، وبُعث إلى الناس كافة، وكل نبي إلى قومه، ومعجزاته باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت معجزات الأنبياء بموتهم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، فلا ينقض وضوءه بنومه مضطجعاً، ويرى من خلفه كما يرى أمامه، قال الإمام أحمد وجمهور العلماء: هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة، والدفن في البنيان مختص به، قالت عائشة: «لئلا يتخذ قبره مسجداً»، وقال جماعة: لوجهين: أحدهما: قوله: «تدفن الأنبياء حيث يموتون» رواه الإمام أحمد[1]، والثاني: لئلا تمسه أيدي المنافقين، وزيارة قبره ﷺ مستحبة للرجال والنساء، ومنها: أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم، فقال: (يا آدمُ) (يا نوحُ) (يا إبراهيمُ) (يا داودُ) (يا زكريا) (يا يحيى)، ولم يخاطَب هو إلا (يا أيها الرسولُ) (يا أيها النبيُّ)[2] (يا أيها المزملُ) (يا أيها المدثرُ)، وتقدم في التفسير، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: خص النبي ﷺ بواجبات ومحظورات ومباحات وكرامات، والله أعلم.

* * *

---

(١) لم أقف عليه هكذا. وقد روى ابن ماجه (١٦٢٨)، كتاب: الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، من حديث ابن عباس في حديث طويل وفيه: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» وإسناده ضعيف كما ذكر الحافظ في «الفتح» (١/ ٥٢٩).

(٢) «يا أيها النبي» سقط من «ت».

سورة سبأ

مكية، واختلف في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ﴾ [الآية: ٦]، فقالت فرقة: هي مكية، والمراد: المؤمنون بالنبي ﷺ، وقالت فرقة: هي مدنية، والمراد: من أسلم بالمدينة من أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه(١) وأشباههم، آيها: أربع وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمس مئة واثنا عشر حرفاً، وكلمها: ثماني مئة وثلاث وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾.

[١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي: الثناء له، والألف واللام لاستغراق الجنس؛ أي: الحمدُ على تنوعه هو لله تعالى ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾ كما هو في الدنيا؛ لأن أهل الحمد يحمدونه في

---

(١) «وأصحابه» ساقطة من «ت».

الآخرة كما يحمدونه في الدنيا؛ لأن النعم في الدارين منه، وحذفت إحداهما لدلالة الأخرى عليها.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكِم لأمور الدارين ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بالأشياء؛ لأن وجودها إنما هو به جلَّت قدرتُه.

***

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من الأموات والكنوز والدفائن وغيرها ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات والأموات عند الحشر، وماء العيون وسائر المخرَجات.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الوحي والرسل والكتب والأقدار والأمطار والصواعق والشهب.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ أي: يصعد فيها(١) من الملائكة والأعمال.

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ للمفرِّطين في شكر نعمته.

***

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ استهزاءً واستبطاء للبعث: ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ

(١) «فيها» ساقطة من: «ت».

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة. قرأ أبو بكر عن عاصم: (بَلَى) بالإمالة[١].

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ورويس عن يعقوب: (عَالِمُ) برفع الميم على الاستئناف؛ أي: هو عالم الغيب، وقرأ الباقون: بخفضها من نعت قوله تعالى: (وَرَبِّي)، وقرأ منهم حمزة، والكسائي: (عَلَّامِ) بتشديد اللام على وزن فَعّال وجر الميم على المبالغة[٢]، روي أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب، قال: واللات والعزى ما ثَمَّ ساعة تأتي، ولا قيام ولا حشر، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يُقسم بربه مقابلة[٣] لقسم أبي سفيان؛ رداً وتكذيباً وإيجاباً لما نفاه.

﴿لَا يَعْزُبُ﴾ قرأ الكسائي: بكسر الزاي، والباقون: بضمها؛ أي: لا يغيب.

﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ أي: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أي: نملة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: المثقال ﴿وَلَا أَكْبَرُ﴾ ورفعُهما عطف على (مِثْقَالُ).

﴿إِلَّا﴾ وهو مثبت.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٩ـ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤١ـ١٤٢).

(٣) «بربه مقابلة» زيادة من «ت».

﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

***

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾.

[٤] ﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ﴾ اللام في (لِيَجْزِيَ) متعلقة بقوله: (لاَ يَعْزُبُ) أي: لا يغيب عنه شيء ليجزي المحسنَ والمسيء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: المؤمنون ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ وهي تغمد الذنوب.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

***

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في إبطال أدلتنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بتشديد الجيم من غير ألف؛ أي: مُثَبِّطين الناس عن الإيمان، والباقون: بالتخفيف وألف بعد العين[١]؛ أي: مسابقين، يحسبون أنهم يفوتوننا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ من سيىء العذاب.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥٨)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٣).

﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم. قرأ ابن كثير، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (أَلِيمٌ) بالرفع صفة (عَذَابٌ)، والباقون: بالجر صفة (رِجْزٍ)[1].

* * *

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَيَرَى﴾ أي: ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ هم الصحابة، أو من آمن من أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ أي: يرون المنزل حقاً.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ يعني: الإسلام، وليس بمعطوف على ما تقدم؛ لأن الله تعالى لم يُحصِ أعمال الخلق ليهتدوا كلهم إلى صراط مستقيم، لكنه مستأنف على تقدير: وهو يهدي، وقيل: هو معطوف على (الحق) أي: يرون المنزل حقاً وهادياً.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ سخرية بنبيهم.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٣).

﴿ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﷺ. قرأ الكسائي: (هَل نَّدُلُّكُمْ) وشبهه بإدغام اللام في النون، والباقون: بالإظهار[1].

﴿ يُنَبِّئُكُمۡ﴾ يخبركم، ويقول لكم: ﴿ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ قُطِّعتم كلَّ تقطيع؛ أي: في القبور ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ أي: تنشؤون خلقاً جديداً بعد تمزيق أجسادكم.

***

﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨﴾.

[٨] ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ﴾ الألف للاستفهام؛ أي: هو مفتر، أم به جنون؟ فرد الله تعالى ذلك بقوله:

﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: البعث.

﴿ فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ ثم ﴿ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ عن الهدى.

***

﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩﴾.

[٩] ثم أومأ تعالى إلى وحدانيته وعظيم قدرته بقوله: ﴿ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٢٢٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٤).

﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: ألم يروا أنهم تحت سمائي وفوق أرضي، فيخافوا عذابي فيؤمنوا؟!

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَآءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ تدل على قدرتنا على البعث.

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ تائب مقبل على ربه، راجع إليه بقلبه. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَشَأْ) (يَخْسِفْ) (أَوْ يُسْقِطْ) بالياء في الثلاثة خبر عن الله تعالى، وأدغم الكسائي الفاء بالباء، وقرأهن الباقون: بالنون إخباراً عن الله تعالى تعظيماً[1]، وقرأ حفص عن عاصم: (كِسَفاً) بفتح السين جمع كِسْفة؛ أي: قطعاً، وقرأ الباقون: بالإسكان على التوحيد[2]؛ أي: قطعه، وجمعه[3] أكساف وكسوف، واختلافهم في الهمزتين من (السَّمَاءِ إِنْ) كاختلافهم فيهما من (الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

***

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ثم ذكر تعالى نعمته على داود وسليمان؛ احتجاجاً على ما منح

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٥).

(٣) «وجمعه» زيادة من «ت».

محمداً؛ أي: لا تستبعدوا هذا، فقد تفضلنا على عبيدنا قديماً بكذا وكذا، فقال تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ﴾ أي: النبوة والملك، وقلنا:

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ رَجِّعي ﴿مَعَهُۥ﴾ التسبيح، فكان داود إذا سبح، سمع تسبيح الجبال، ويعقل معناه؛ معجزة له؛ كما سمع الخطاب من الشجرة، وعقل معناه ﴿وَٱلطَّيْرَۖ﴾ أي: وسخرنا له الطير بأصواتها، فكان داود يقول للجبال: سبحي، وللطير: أجيبي، ثم يأخذ في تلاوة الزبور بصوته الحسن، فلا يُرى شيء أحسن من ذلك فمن سمع صدى الجبال. قراءة العامة: (وَالطَّيْرَ) بالنصب بإضمار فعل تقديره: وسخرنا الطير، وألنا له الحديد، وقرأ يعقوب: بالرفع رداً على (الجبال)؛ أي: أوبي أنت والطير، ووردت عن عاصم، وأبي عمرو[1].

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له ليناً كالشمع، فلا يفتقر إلى نار ولا مطرقة.

* * *

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ أمرناه أن اعمل، و(أن) مفسرة لا موضع لها من الإعراب ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعاً تامة تعم البدن.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٨)، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٦).

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ أي: اجعل المسامير على قدر الحَلَق، والسرد: هو نسج الدروع، وأصل السرد: الوصل، ومنه: سرد كلامه: وصل بعضه ببعض، فكان يعمل كل يوم درعاً، ويبيعها بستة آلاف درهم، ينفق عليه وعلى عياله ألفين، ويتصدق على فقراء بني إسرائيل بأربعة آلاف، وعمل الدروع لأنه كان من عادته أن يَخْرج إلى الناس مُنَكَّراً، ويسأل عن داود وما يقال فيه، فخرج يوماً، فلقيه ملك في صورة آدمي، فسأله عن داود، فقال: نعم العبد هو، إلا أنه يأكل هو وعياله من بيت المال، فتنبه داود، وسأل ربه أن يرزقه سبباً يقوم به، فرزقه صنعة الدروع، قال رسول الله ﷺ: «كان داودُ لا يأكل إلا من كسبِ يدِه»(١) ثم خاطب داود أهله فقال:

﴿وَٱعْمَلُوا صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم عليه.

***

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ أي: وسخرنا له. قرأ أبو بكر عن عاصم: (الرِّيحُ) بالرفع؛ أي: له تسخرت الريح، والباقون: بالنصب، ومنهم

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٥)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٥٥): فكان ينسج الدروع ويبيعها، ولا يأكل إلا من ثمن ذلك، مع كونه كان من كبار الملوك، قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾.

أبو جعفر، قرأ: (الرِّياح) بفتح الياء وألف بعدها على الجمع[1].

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ جريُها بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي كذلك، فكانت تغدو بسليمان وجنوده على البساط من دمشق، فيقيل بإصطخر، وبينهما شهر للراكب المسرع، ويروح من إصطخر، فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أذبنا له معدن النحاس، أساله الله حتى صار كالماء، فكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام، وكان بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان.

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أي: بأمره، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «سخر الله الجن لسليمان، وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به»[2].

﴿وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرنا به من طاعة سليمان.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة، وقيل: في الدنيا، وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان، ضربه ضربة أحرقته.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٦ـ١٤٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٧).

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ أي: مساجد ﴿ وَتَمَٰثِيلَ ﴾ صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد؛ لينشطوا إلى العبادة والاقتداء بهم، وعملوا له في أسفل كرسيه أسدين، وفي أعلاه نسرين، فإذا صعد، بسط له الأسدان ذراعيهما فارتقى عليهما، فإذا جلس أظله النسران بجناحيهما، ولم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرماً، وكان مما عملوا له بيت المقدس، ابتدأه داود، ورفعه قامة رجل، فأوحى الله إليه أني لم أقض ذلك على يدك، ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي إتمامه على يده، فلما توفاه الله تعالى، استخلف سليمان ـ عليه السلام ـ، وكان مولده بغزة، وملك بعد أبيه وله اثنتا عشرة سنة، ولما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار سنة تسع وثلاثين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، ابتدأ سليمان في عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه إليه، وجمع حكماء الإنس والجن، وعفاريت الأرض، وعظماء الشياطين، وجعل منهم فريقاً يبنون، وفريقاً يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام، وفريقاً يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان، وكان في الدر ما هو مثل بيضة النعامة، وبيضة الدجاجة، وبنى مدينة بيت المقدس، وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل كل رَبَض منها سِبْطاً من أسباط بني إسرائيل، وكانوا اثني عشر سبطاً، ثم بنى المسجد بالرخام الملون، وسقفه بألوان الجواهر الثمينة، وفصص سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت، وأنبت الله شجرتين عند باب الرحمة، إحداهما تنبت الذهب، والأخرى تنبت الفضة، فكان في

كل يوم ينزع من كل واحدة مئتي رطل ذهباً وفضة، وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة، وبألواح الفيروزج، فلم يكن يومئذ بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه، وكان ذلك بعد هبوط آدم بأربعة آلاف وأربع مئة وأربع عشرة سنة، وبين عمارة سليمان لمسجد بيت المقدس والهجرة الشريفة النبوية المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ ألف وثماني مئة وقريب سنتين، وتقدم ذكر ذلك ملخصاً في سورة الإسراء.

ولما فرغ من بناء المسجد[1]، سأل الله ثلاثاً: سأله حكماً يوافق حكمه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسأله ألاَّ يأتي هذا المسجدَ أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ سُليمانَ بنَ داود ـ عليهما السلام ـ سأل ربَّه ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن يكون قد أعطاه الثالثةَ: سأله حُكماً يصادف حُكمه فأعطاه، وسأله مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده فأعطاه، وسأله: أيُّما رجُلٍ يخرج من بيته لا يُريد إلا الصلاةَ في هذا المسجد، أن يخرج من خطيئته كيومَ ولدته أمُّه، فنحن نرجو أن يكون قد أعطاه إيَّاه»[2].

ولما رفع سليمان يده من البناء بعد الفراغ منه، جمع الناس وأخبرهم أنه

---

(١) في «ت»: «مسجد بيت المقدس».

(٢) رواه النسائي في «سننه» (٦٩٣)، كتاب: المساجد، باب: فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، وابن ماجه (١٤٠٨)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

مسجد لله تعالى، وهو أمره ببنائه، وأن كل شيء فيه لله تعالى، من انتقصه، أو شيئاً منه، فقد خان الله تعالى، وأن داود عهد إليه ببنائه، ثم اتخذ طعاماً، وجمع الناس جمعاً لم ير مثله، ولا طعام أكثر منه، وقرب القرابين لله تعالى، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً(١).

واستمر بيت المقدس على ما بناه سليمان أربع مئة سنة وثلاثاً وخمسين سنة حتى غزاه بُخت نصَّر، فخرب المدينة، وهدمها، ونقض المسجد، وأخذ جميع ما كان فيه من الذهب والفضة والجواهر، فحمله إلى دار مملكته من أرض العراق، واستمر خراباً(٢) بيت المقدس سبعين سنة كما تقدم ذكره في سورة البقرة [الآية: ٢٥٩] وسورة الإسراء [الآية: ٦](٣).

وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصوناً كثيرة عجيبة من الصخر ﴿وَجِفَانٍ﴾ قصاع كبار ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهو الحوض الكبير.

قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: (كَالْجَوَابِي) بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين(٤) ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا يحركن عن أماكنهن؛ لعظمهن،

---

(١) رواه بنحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٤٧٧) من حديث رافع بن عمير. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٨): وفيه محمد بن أيوب بن سويد الرملي، وهو متهم بالوضع.

(٢) «خراباً» زيادة من «ت».

(٣) وسلف نحو هذا الخبر عند تفسير الآية (٩٧) و(١١٤) من سورة البقرة.

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/١٤٧-١٤٨).

وكان يُصعد عليها بالسلاليم، وكانت باليمن.

﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ أي: وقلنا: اعملوا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ نصبه على النداء؛ أي: اعملوا يا آل داود بطاعة الله ﴿شُكۡرٗاۚ﴾ له على نعمه.

﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ أي: العامل بطاعتي شكراً لنعمتي. قرأ حمزة: (عِبَادِي الشَّكُورُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

* * *

﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] روي أن سليمان ـ عليه السلام ـ كان يتحنث في بيت المقدس الشهر والشهرين، والسنة والسنتين، وأقل وأكثر، وينقطع عن الناس، ويدخل إليه طعامه وشرابه، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء، ويعلمون ما في غد، فدخل بيت المقدس يوماً، وقال: اللهم عَمِّ موتي على الجن حتى تعلمَ الإنسُ أن الجنَّ لا تعلم الغيب، ثم قام يصلي متكئاً على عصاه، فمات قائماً، وكان لمحرابه كوى بين يديه وخلفه[2]، فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته، وينظرون إليه يحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس؛ لطول صلاته قبل ذلك، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولاً

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٨).

(٢) «وخلفه» زيادة من «ت».

كاملاً[1] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي: لما مات.

﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ هي الأرضة.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصاه؛ لأنها ينسأ بها؛ أي: يؤخر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (مِنْسَاتَهُ) بألف ساكنة بعد السين من غير همز، وهذه الألف بدل من الهمزة لغة مسموعة صحيحة، قال أبو عمرو بن العلاء: هو لغة قريش، وأصلها الهمز؛ من نسأت الغنم: سقتها بها، وقرأ ابن ذكوان: بإسكان الهمزة، لغة غريبة صحيحة ورد بها القرآن، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة على الأصل، وحمزة إذا وقف جعلها بين بين على أصله[2].

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سقط على وجهه ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ قرأ يعقوب (تُبُيِّنَتِ) بضم التاء والباء وكسر الياء؛ أي: أعلمت الإنس الجن، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: بفتح التاء والباء والياء[3]؛ أي: علمت الجن وأيقنت ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ أي: في التعب والشقاء المُذِلِّ مسخَّرين لسليمان وهو ميت يظنون حياته، أراد الله بذلك أن يعلم

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٢٢٢) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٠٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٤٩ـ١٥٠).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٠).

الجن أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا يظنون ذلك؛ لغلبة الجهل، وقيل: معنى تبينت الجن: أي: ظهرت وانكشفت للإنس، وتبين أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك، فلما خر ميتاً، وعلموا بموته، شكرت الجنُّ الأرضة، فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب.

وتوفي سليمان وله اثنتان وخمسون سنة، فكان مدة ملكه أربعين سنة، فتكون وفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمس مئة لوفاة موسى ـ عليه السلام ـ، وذلك بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة، وبين وفاته والهجرة الشريفة النبوية المحمدية ألف وسبع مئة وثلاث وسبعون سنة، والله أعلم.

* * *

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] فلما فرغ التمثيل لمحمد ﷺ بسليمان ـ عليه السلام ـ، رجع التمثيل للكفار بسبأ، وما كان من إهلاكهم بالكفر والعتو، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ اسم أرض باليمن، أو رجل. قرأ أبو عمرو، والبزي: بفتح الهمزة من غير تنوين، وروى قنبل: بإسكان الهمزة، وقرأ الباقون: بالخفض والتنوين(١)، فمن قرأ منوناً مصروفاً، جعله اسم رجل، ومن قرأ غير مصروف، جعله اسم البلد ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ قرأ حمزة، وحفص:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٨٠ و٥٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٠ـ١٥١).

(مَسْكَنِهِمْ) بإسكان السين وفتح الكاف بغير ألف على التوحيد، وهو اسم جنس يراد به الجمع، والكسائي، وخلف: كذلك، غير أنهما يكسران الكاف؛ أي: في موضع سكناهم، والباقون: بفتح السين وألف بعدها وكسر الكاف على الجمع[1]؛ لأن كل واحد له مسكن، وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن.

﴿ءَايَةٌ﴾ اسم كان؛ أي: علامة دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من آية؛ أي: بستانان ﴿عَن يَمِينٍ﴾ من بلدهم ﴿وَشِمَالٍ﴾ منه، والمراد: جماعتان من البساتين بها أشجار كثيرة، وثمار طيبة، فقيل لهم:

﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الذي رزقكم ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة؛ أي: اعملوا بطاعته.

﴿بَلْدَةٌ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر؛ أي: هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة ﴿طَيِّبَةٌ﴾ وطيبتها أنها لم يكن بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وكان يمر بها الغريب فيموت قمله؛ لطيب الهواء.

﴿وَرَبٌّ﴾ أي: وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم ربٌّ ﴿غَفُورٌ﴾ للذنوب مع الإيمان به، وهذا من قول الأنبياء لهم. وقرأ رويس عن يعقوب: (بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبّاً غَفُوراً) بالنصب في الكل على المدح[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥١-١٥٢).

(٢) انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٢١)، و«إملاء ما من به الرحمن» للعكبري (٢/ ١٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٢).

﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] وبعث إليهم ثلاثة عشر نبياً، فذكروهم نعم الله، وخوفوهم عقابه ﴿ فَأَعْرَضُواْ ﴾ وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة، فقولوا لربكم أن يحبس عنا هذه النعمة إن استطاع.

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على سدهم، وهو سد بنته بلقيس بين الجبلين، فحقنت به الشجر، وتركت فيه ثقباً على مقدار ما يحتاجون إليه من الماء ﴿ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ وهو السيل الذي لا يُطاق، وأصله من العرامة، وهي الشدة والقوة، فخرب السد، وملأ ما بين الجبلين، وحمل الجنات وكثيراً من الناس ممن لم يمكنه الفرار، وأغرق أموالهم، فتفرقوا في البلاد، فصاروا مثلاً، وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

﴿ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ ﴾ المذكورتين ﴿ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ ﴾ ثمر ﴿ خَمْطٍ ﴾ وهو شجر الأراك وثمره، وقيل: هو كل شجر مر الثمر. **قرأ** يعقوب: (بَجَّنَتَيْهُم) بضم الهاء، وابن كثير وأبو جعفر: يضمان الميم ويصلانها بواو في اللفظ وصلاً، واختلف عن قالون، **وقرأ** أبو عمرو ويعقوب (أُكْلِ) بالإضافة من غير تنوين، **وقرأ** الباقون: بالتنوين، ومنهم نافع وابن كثير يسكنان الكاف، والباقون: يضمونها[١] ﴿ وَأَثْلٍ ﴾ هو الطرفاء، ولا ثمر له، أو شجر يشبه الطرفاء، عطف على (أُكُلٍ).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٢ـ١٥٣).

﴿وَ﴾ كذلك ﴿شيءٍ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾ شجر معروف، وهو النبق، ووصف بالقلة؛ فإن جناه مما يطيب أكلُه، ولذلك يغرس في البساتين، وما بدلوا من السدر لم يكن من ذاك، بل كان سدراً برياً لا ينتفع به، فكان شجرهم من خير الشجر، فصيره الله من شر الشجر، وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم.

***

﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾.

[١٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾ النعمة ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ﴾ يعاقَب؛ أي: وهل يجازى مثلَ هذا الجزاء ﴿إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ البليغ في الكفران. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (نُجَازِي) بالنون مع كسر الزاي (الْكَفُورَ) بالنصب مفعولاً إخباراً منه تعالى عن نفسه؛ لقوله: (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) والكسائي على أصله في إدغام اللام من (هل) في النون، وقرأ الباقون: (يُجَازَى) بضم الياء وفتح الزاي، ورفع (الْكَفُورُ)(١).

***

﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨﴾.

[١٨] ولما هلك مالهم(٢)، قالوا: نحن نتوب، ويرد علينا خيرنا،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٣ـ١٥٤).

(٢) «مالهم» زيادة من «ت».

فرد عليهم خير أكثر من ذلك ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ متقاربة، تظهر الثانية من الأولى؛ لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام، فكانوا يبيتون بقرية، ويَقيلون بأخرى، وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ للمبيت والمقيل، فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم، وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار، وقلنا لهم: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ لمصالحكم ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿ءَامِنِينَ﴾ من العدو والجوع والعطش.

* * *

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] فبطروا النعمة، وسئموا الراحة، ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فاجعل بيننا وبين الشام فلواتٍ ومفاوزَ؛ ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل، وتزود الأزواد، فعجل الله لهم الإجابة بتخريب القرى المتوسطة. **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام: (بَعِّدْ) بنصب الباء وكسر العين مشددة من غير ألف مع إسكان الدال، **وقرأ** الباقون سوى يعقوب كذلك، إلا أنهم بالألف بعد الباء وتخفيف العين(١)، وكلٌّ على وجه الدعاء

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٤ـ١٥٥).

والسؤال، وقرأ يعقوب: (رَبُّنا) برفع الباء (باعَدَ) بفتح العين والدال وألف قبل العين على الخبر[1]، كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بعدم شكر مولاهم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم يتحدثون بأخبارهم.

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾ على الوحدانية والقدرة.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لأنعمه.

* * *

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ قرأ الكوفيون: (صَدَّقَ) بتشديد الدال؛ أي: إبليسُ صدق ظنه الذي ظنَّ فيهم، وهو كفرُهم حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، فصدق ظنه، وحققه بفعله ذلك بهم، واتباعهم إياه، وقرأ الباقون: بتخفيف الدال[2]؛ أي: صدق عليهم في ظنه بهم، واختلف القراء في إدغام الدال من (قَدْ) وإظهارها عند الصاد من (صَدَّقَ)، فأدغمها أبو عمرو، وحمزة،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٧).

والكسائي، وخلف، وهشام، وأظهرها الباقون[1].

﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ الكفار ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني: إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه.

* * *

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: ما كان تسليطنا إياه عليهم.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ليظهر ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ فيتميز المؤمن من الكافر.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

* * *

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب: (قُلِ ادْعُوا) بكسر اللام في الوصل، والباقون: بالضم[2]، وفي الآية حذف؛ أي: ادعوهم لينعموا

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٧/٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (١٥٨/٥).

عليكم بجلب نفع أو دفع ضر، لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم، ثم أجاب عنهم إشعاراً بتعيين الجواب فقال:

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ في خير أو شر.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في أمر ما.

﴿وَمَا لَهُمْ﴾ لآلهتهم ﴿فِيهِمَآ﴾ في السموات والأرض.

﴿مِن شِرْكٍ﴾ أي: شركة مع الله.

﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ أي: الآلهة.

﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾ معين، فهو تعالى غني عن خلقه، وآلهتهم عجزة عن كل شيء.

* * *

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالى ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ في الشفاعة لغيره. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (أُذِنَ) بضم الهمزة مجهولاً أقيم (لَهُ) مقام الفاعل، وقرأ الباقون: بفتحها معلوماً[(١)]، الفاعلُ اللهُ تعالى.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أزيل عنها الفزع. قرأ ابن عامر، ويعقوب:

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٢٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٨).

(فَزَّعَ) بفتح الفاء والزاي، الفاعلُ الله تعالى؛ أي: حتى إذا كشف تعالى الفزعَ عن قلب الشافع والمشفوع له بالإذن في الشفاعة، وقرأ الباقون: بضم الفاء وكسر الزاي[1] مجهولاً[2]؛ كدُفِع إلى زيد: إذا علم المدفوع، المعنى: إذا أذن في الشفاعة، فرحوا، وسأل بعضهم بعضاً استبشاراً، ثم ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشفاعة؟ ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ نصب مفعول؛ أي: قال القول الحق، وهو الإذن في الشفاعة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء.

* * *

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤)﴾.

[٢٤] ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فالرزق من السموات المطر، ومن الأرض النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ يعني: إن لم يقولوا: رازقنا الله، فقل أنت: إن رازقكم الله.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل أحد الفريقين مهتد، والآخر ضال، المعنى: إنا على الهداية يقيناً؛ لأنا موحدون، وأنتم على الضلالة يقيناً؛ لأنكم مشركون، ولم

---

(١) «وكسر الزاي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٥٨ـ١٥٩).

يصرحوا بذلك تأدباً؛ لأنه أدعى إلى الإيمان، وهذا غاية الإنصاف، وقريباً من هذا قولهم: أخزى الله الكاذب.

* * *

﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ثم أوضح ذلك فقال: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ اكتسبنا من الذنب.

﴿ وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بل كل مطالب بعمله.

* * *

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ أي: يقضي.

﴿ بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ ﴾ الحاكم في القضايا المنغلقة.

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بما ينبغي أن يقضى به.

* * *

﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَآءَ ﴾ أي: أشركتموهم مع الله تعالى في العبادة، المراد بذلك: إظهار خطأ الكفار بعبادة العاجز، ثم ردهم عن اعتقادهم، فقال: ﴿ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ ﴾ وحده ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره.

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في تدبيره، فأنى يكون له شريك في ملكه؟!

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ ﴾ نصب على الحال ﴿ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: عامة لهم ﴿ بَشِيرٗا ﴾ بالجنة ﴿ وَنَذِيرٗا ﴾ بالنار، حالان.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ فيحملهم الجهل على مخالفتك. قال ﷺ: «كان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً، وبُعثت إلى الناس عامةً»[١]، وقيل: (كَافَّةً)؛ أي: لتكف الناس عن المعاصي، والهاء للمبالغة.

* * *

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: الكافرون استهزاءً: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ ﴾ الذي تعدوننا به.

﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ يخاطبون به رسول الله ﷺ والمؤمنين.

* * *

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ ﴾ هو يوم البعث.

﴿ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ إذا فاجأكم، وهو جواب تهديد.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨)، كتاب: التيمم، ومسلم (٥٢١)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ ولا بما دل عليه من البعث وغيره ﴿ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِۗ ﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ يا محمد ﴿ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ ﴾ محبوسون.

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ ﴾ أي: يرد ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ ﴾ في الجدال.

﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ﴾ استُحقروا، وهم الأتباع.

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ وهم القادة والأشراف:

﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ لأنكم منعتمونا عن الإيمان.

* * *

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ ﴾ إنكاراً عليهم.

﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ مشركين باختياركم.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾ إبطالاً لإضرابهم بإضرابهم عن مجادلتهم: ﴿ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أي: مكركم بنا دائماً ليلاً ونهاراً، فأجرى الظرف مجرى المفعول به، وأضيف المكر إليهما اتساعاً، تلخيصه: إنما أشركنا بسببكم.

﴿ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ﴾ والند: المثيل والشبيه.

﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ اعتقدوها في نفوسهم؛ أي: كل من المستكبرين والمستضعفين ﴿ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ ﴾ في النار من الأتباع والمتبوعين، وقيل استهزاءً بهم وإيجاباً لعذابهم:

﴿ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا؟!

* * *

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾ أغنياؤها.

﴿ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ هذه الآية تسلية للنبي ﷺ؛ أي: يا محمد! هذه سيرة الأمم، فلا يهمك أمر قومك.

﴿وَقَالُوا۟ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلًا وَأَوۡلَـٰدًا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الكفار المترفون للفقراء المؤمنين؛ فخراً بزخارف الدنيا.

﴿نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلًا وَأَوۡلَـٰدًا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لأنه أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد، فلا يعذبنا.

* * *

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يضيق ابتلاء، وليس في شيء من ذلك دليل على رضا الله تعالى والقرب منه؛ لأنه قد يعطي ذلك[١] إملاء واستدراجاً.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك؛ كأنتم أيها الكفرة.

* * *

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُكُم﴾ أي: جماعة أموالكم وجماعة أولادكم ﴿بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: تقريباً، نصب مصدر؛ كـ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

---

(١) «ذلك» زيادة من «ت».

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ استثناء منقطع.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ أن تضاعف حسناتهم الواحدة بعشر إلى سبع مئة ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (جَزَاءً) بالنصب على الحال مع التنوين وكسره وصلاً، ورفع (الضِّعْفُ) بالابتداء؛ كقولك: في الدار زيدٌ قائماً، تقديره: فأولئك لهم الضعف جزاءً، وقرأ الباقون: (جَزَاءُ) بالرفع من غير تنوين، وخفض (الضِّعْفِ) بالإضافة(١).

﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ المنازل الرفيعة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من المكاره. قرأ حمزة: (في الْغُرْفَةِ) بإسكان الراء من غير ألف على التوحيد على اسم الجنس، والمراد به: الجمع، وقرأ الباقون: بضم الراء مع الألف على الجمع(٢)؛ لقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ١٧].

***

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ تقدم تفسيره واختلاف القراء فيه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ من الإحضار.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٤).

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ﴾ كرر القول بذلك تأكيداً وتبييناً، وقصد به هنا رزق المؤمنين، وليس عليه[1] سوقه على المعنى الأول الذي قيل للكافرين، بل هذا هاهنا على جهة الوعظ والتزهيد في الدنيا، والحض على النفقة في الطاعات، ثم وعد بالخلف في ذلك بقوله:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ أي: فالله يعوضه هنا بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا يفنى، وفي الآخرة بالثواب.

﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ خير مَنْ يعطي ويرزق، وقوله: ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ من حيث يقال في الإنسان إنه يرزق عياله، والأمير جنده، ولكن ذلك من مال يملك عليهم، والله تعالى من خزائن لا تفنى.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «قال الله لي: أَنفِق أُنْفِق عليك»[2].

وفي «البخاري»: «إن الملك ينادي كل يوم: اللهمَّ أعطِ منفقاً[3] خَلَفاً، ويقول مَلَكٌ آخَرُ: اللهم أعطِ ممسِكاً تلَفاً»[4].

---

(١) «عليه» ساقطة من: «ت».

(٢) رواه البخاري (٤٤٠٧) كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، ومسلم (٩٩٣)، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٣) في «ت»: «كل منفق».

(٤) رواه البخاري (١٣٧٤)، كتاب: الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾، =

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: المستكبرين والمستضعفين.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إثباتاً للحجة على الكفار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ في الدنيا؟ وهو استفهام تقرير؛ كقوله لعيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (يَحْشُرُهُمْ) (ثُمَّ يَقُولُ) بالياء فيهما، والباقون: بالنون(١)، واختلافهم في الهمزتين من (هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ) كاختلافهم فيهما من (الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

* * *

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] فتتبرأ منهم الملائكة ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ الذي نتولاه، ونلتجىء إليه من دونهم، لا موالاة بيننا وبينهم.

﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ يطيعون ﴿ٱلْجِنَّ﴾ أي: الشياطين؛ لأنهم زينوا لهم عبادة الملائكة، فكانوا يطيعونهم.

= ومسلم (١٠١٠)، كتاب الزكاة، باب: في المنفق والممسك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦١٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٥).

﴿أَكْثَرُهُم﴾ أي: الكفار ﴿بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ بالجن وبما يقولون من الكذب، والملائكة بنات الله.

* * *

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ثم يقول الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا﴾ بالشفاعة.

﴿وَلَا ضَرًّا﴾ بالعذاب؛ لأن الأمر كله لله.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ قال هنا: (ٱلَّتِي) أراد: النار، وفي السجدة: (ٱلَّذِي) أراد: العذاب.

* * *

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ يعنون محمداً ﷺ.

﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ فيستتبعكم بما يستبدعه.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ لعدم مطابقة ما فيه الواقع.

﴿مُّفْتَرًى﴾ بإضافته إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ والمراد: محمد، والقرآن:

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر سحريته.

* * *

﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم ﴾ يعني: العرب ﴿ مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ يقرؤونها، فيعلمون ذلك.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ إلى العرب الذين بعثت ﴿ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ وليس المراد: من تقدمه من العرب؛ لأن إسماعيل كان مبعوثاً قبله إلى العرب.

* * *

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم رسلَنا، وهم عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وغيرهم.

﴿ وَمَا بَلَغُوا۟ ﴾ كفارُ مكة ﴿ مِعْشَارَ ﴾ أي عشرَ؛ كالمرباع الربع.

﴿ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ أي: الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر.

﴿ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ﴾ عناداً.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري عليهم، يحذرهم عذاب من تقدم. قرأ ورش عن نافع: (نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون بحذفها في الحالين[1].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٦).

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ أي: بخصلة واحدة، وهي:

﴿ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ ﴾ أي: لأجله تعالى، وليس المراد: حقيقة القيام، بل الاهتمام بالمطلوب.

﴿ مَثْنَىٰ ﴾ اثنين اثنين ﴿ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ واحداً واحداً في تجريد العناية في البحث عن شأن محمد ﷺ حتى يظهر لكم شأنه.

﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ جميعاً في حاله، فتعلموا.

﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أي: جنون. قرأ رويس عن يعقوب: (ثُمَّ تَفَكَّرُوا) بتاء واحدة مشددة حيث وصل، ومع الابتداء يظهر التاءين كبقية القراء[١].

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ قدامه[٢]؛ لأنه ﷺ جاء في الزمن من قبل العذاب الشديد الذي توعدوا به، وفائدة التقييد بالاثنين والفرادى: أن الاثنين إذا التجأا إلى الله تعالى، وبحثا طلباً للحق مع الإنصاف، هدوا إليه، وكذلك الواحد إذا فكر في نفسه مجرداً عن الهوى؛ لأن كثرة الجمع مما يقل فيه الإنصاف غالباً، ويكثر فيها الخلاف.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٧).

(٢) «قدامه» زيادة من «ت».

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧ ﴾.

[٤٧] ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ﴾ أي: جُعْلٍ على إنذاري وتبليغي الرسالة.

﴿ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ لا أسألكم شيئاً، نحو: ما لي في هذا، فهو لك؛ أي: ليس لي فيه شيء.

﴿ إِنْ أَجْرِيَ ﴾ ما ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ مُطَّلع. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (أَجْرِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

* * *

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٤٨ ﴾.

[٤٨] ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ ﴾ يلقيه على الباطل، فيزهقه، والمراد: الوحي، وآيات القرآن، واستعار له القذف من حيث كان الكفار يرمون بآياته وحكمه ﴿ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ رفع بخبر (إِنَّ)؛ أي: وهو علام الغيوب. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: (الْغِيُوبِ) بكسر الغين، والباقون: بضمها[2].

* * *

---

(١) نظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٧).

﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩ ﴾.

[٤٩] ﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ ﴾ الإسلام وما فيه من الأحكام.

﴿ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ أي: ذهب فلم يبق منه بقية تُبدىء شيئاً أو تعيد.

* * *

﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠ ﴾.

[٥٠] ولما قال كفار مكة له ﷺ: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ ﴾(١) أي: إثمُ ضلالي على نفسي.

﴿ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ ﴾ من القرآن، وهدايتي بفضله، فلا منة عليَّ لغيره.

﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾ لا يفوته شيء. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٢).

* * *

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٦١٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣١٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٨).

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ ﴾ حين البعث، وجواب (وَلَوْ) محذوف؛ أي: لرأيت أمراً عظيماً.

﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ لهم من العذاب ﴿ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من الموقف إلى النار.

* * *

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ وَقَالُوٓاْ ﴾ عند معاينة العذاب: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي: بمحمد ﷺ.

﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ﴾ أي: ومن أين لهم ﴿ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (التَّنَاؤُشُ) بالمد والهمز، معناه: الطلب؛ أي: وأنى لهم[1] طلب مرادهم وقَد بَعُد؟ وقرأ الباقون: بضم الواو دون همز[2]، معناه: التناول؛ أي: كيف لهم تناول ما بَعُدَ عنهم، وهو الإيمان والتوبة؟

* * *

﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ أي: بالقرآن، وبمحمد ﷺ ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الدنيا.

---

(١) «لهم» زيادة من: «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٦٩).

﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ يعني: وكانوا يتكلمون بالشيء الغائب، وهو قولهم في رسول الله ما ليس فيه ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ من حيث لا يعلمون أنهم غير محققين صدق ما يقولون.

***

﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ٥٤﴾.

[٥٤] ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان حينئذ. قرأ ابن عامر، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (وَحِيلَ) بإشمام الحاء الضمَّ[١] ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم﴾ أي: بأشباههم ﴿مِن قَبۡلُ﴾ من كَفَرة الأمم الماضية.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ مُوقعٍ لهم في الريبة والتهمة، وهو أقوى ما يكون من الشك، وأشد إطلاقاً، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٠).

سورة فاطر

وتسمى: سورة الملائكة، مكية، وآيها: خمس وأربعون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف ومئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وسبع وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ تقدم الكلام فيه أول سورة سبأ وقبلها ﴿ فَاطِرِ ﴾ أي: خالق ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ والمراد: الانفراد بالابتداء؛ لخلقها على غير مثال سبق.

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ وسائطَ بينه وبين أنبيائه في تبليغ رسالاته بالوحي.

﴿ أُو۟لِىٓ ﴾ أي: أصحاب ﴿ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ لبعضهم جناحان، ولبعضهم ثلاثة، ولبعضهم أربعة، وروي أن لجبريل عليه السلام ستَّ مئة جناح، منها اثنان تبلغ من المشرق إلى المغرب[١].

---

(١) روى البخاري (٣٠٦٠)، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين =

﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ من الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُ﴾ تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب عند الخبر بالملائكة أولي الأجنحة؛ أي: ليس هذا ببدع في قدرته؛ فإنه يزيد في خلقه ما يشاء، قال الجوهري: التواضع في الأشراف، والسخاء في الأغنياء، والتعفف في الفقراء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الزيادة والنقصان. واختلاف القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٣٣].

***

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿مَّا يَفْتَحِ﴾ أي: ما يرسل ﴿ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ نعمة، ونُكِّرت؛ لتشيع في جميع النعم ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ لا يستطيع أحد حبسها، وأنث الضمير؛ رداً إلى لفظ الرحمة ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: من بعد إمساكه تعالى له، وذكر الضمير؛ رداً إلى معناها؛ لأن الرحمة بمعنى الخير ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فيما أمسك.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما أرسل.

***

= والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسلم (١٧٤) كتاب: الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى، عن زر بن حُبيش قال: حدثنا عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ رأى جبريل له ست مئة جناح.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ ﴾ احفظوا ﴿ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بشكرها، ولا تنسوها بكفرها، والخطاب لقريش، وهو متجه لكل كافر، ولا سيما لعبَّادِ غيرِ الله، و(نِعْمَت) رسمت بالتاء في أحد عشر موضعاً، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب.

﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (غَيْرِ اللهِ) بخفض الراء نعتاً لـ: (خَالِقٍ) على اللفظ، وخبرُ الابتداء: ﴿ يَرۡزُقُكُم ﴾ وقرأ الباقون: برفعها نعتاً لـ(خَالِقٍ) محلاً[١]؛ لأن (خالق) مبتدأ محذوف الخبر، و(مِنْ) زائدة، تقديره: هل خالقٌ غيرُ الله يرزقكم ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ المطر ﴿ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ النبات والاستفهام على طريق التقرير؛ أي: لا خالقَ غيرُ الله يرزقكم.

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ فكيف تُصرفون عن الإيمان؟!

* * *

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤ ﴾.

[٤] ثم سلَّى نبيه ﷺ بما سلف من حال الرسل مع الأمم، فقال تعالى:

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦١٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٤).

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فتأسَّ بهم في الصبر على تكذيبهم.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ وتنكير الرسل يؤذن بكثرة من كُذِّب منهم. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ﴾ لا خُلْفَ فيه.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان بتزيينه، وقوله: إن الله يغفر الذنوب جميعاً، اعملوا ما شئتم.

* * *

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ قديماً ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاحذروه.

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ أتباعه ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ يسوقهم إلى النار.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٥).

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ۝٧ ﴾.

[٧] ثم بين حال موافقته ومخالفته، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴾.

* * *

ونزل في أبي جهل ومشركي مكة، وقيل: في أصحاب الأهواء والبدع:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ ﴾(١) أي: لُبس عليه ومُوِّه ﴿ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ ﴾ جميلاً؛ بوسوسة الشيطان. واختلاف القراء في قوله: (فَرَآهُ) كاختلافهم في قوله: ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ في سورة الأنبياء [الآية: ٣٦]، والاستحسان لغة: هو اعتقاد الشيء حسناً، وعرفاً: العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل شرعي، وقال به الحنفية، والإمام أحمد في مواضع، وكتب أصحاب مالك مملوءة منه، ولم ينص عليه، وأنكره الشافعي.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ تلخيصه: أفمن ضل، كمن هُدي؟!

﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾ والحسرة: شدة الحزن على ما فات من الأمر؛ أي: لا تغتمَّ بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا. قرأ أبو جعفر:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦١٧)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ٣٢٥).

(تُذْهِبْ) بضم التاء وكسر الهاء (نَفْسَكَ) بنصب السين، وقرأ الباقون: بفتح التاء والهاء ورفع السين[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

***

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾.

[٩] ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: (الرِّيحَ) بغير ألف على الإفراد، والباقون: بألف على الجمع[2].

﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ هذه آية احتجاج على الكفرة في إنكارهم البعث من القبور، فدلهم تعالى على المثال الذي يعاينونه، وهذا سواء مع إحياء الموتى.

﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ﴾ هو الذي لا نبت فيه قد اغبرَّ من القحط. قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مَيِّتٍ) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها[3] ﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ يبسها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: مثل إخراج النبات من الأرض تخرجون من القبور.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٧).

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ولما تعزز الكفار بأصنامهم، نزل قوله تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ المعنى: عزةُ الدارين مختصة بالله سبحانه وتعالى، فلا تُطلب إلا منه بتقواه، ومن أراد التعزز، فليتعزز بطاعته تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ هو: لا إله إلا الله، ونحوها.

﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ اختلف في الضمير في (يَرْفَعُهُ) على من يعود؟ فقيل: يرجع إلى الكَلِم، فيكون المعنى: أن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح؛ بأن يُتقبل منه بسببه؛ لأن الطاعة إنما تقبل مع التوحيد؛ لأن طاعة الكافر مردودة، وقيل: يرجع إلى (العمل)، فيكون المعنى: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فكأن التوحيد إنما قُبل بسبب الطاعة؛ لأن التوحيد مع المعصية لا ينفع؛ لأنه يعاقب على المعصية، وقال بعضهم: الفعل مسند إلى الله تعالى؛ أي: والعمل الصالح يرفعه الله تعالى؛ بأن يتقبله، قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ: وهذا أرجح الأقوال[١].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ﴾ أي: مكروا المكرات ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ والمراد: مكر المشركين به ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة، وتقدم ذكر القصة في الأنفال، المعنى: المحتالون في هلاكك.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٣١).

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ بما يمكرون ﴿ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الكفار ﴿ هُوَ يَبُورُ ﴾ يكسد ويبطل.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعني[١]: آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعني: بالتناسل من مَنِيِّ[٢] الرجال ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أنواعاً، وقيل: ذكراناً وإناثاً.

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ إلا معلومة له.

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ ﴾ أي: ما يطول عمر ﴿ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾ أي: طويل العمر، سمي بما يؤول إليه ﴿ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ﴾ أي: من عمر معمر آخر. قرأ يعقوب: (يَنْقُصُ) بفتح الياء وضم القاف، والباقون: بضم الياء وفتح القاف[٣].

﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى تحصيل هذه الأعمار، وإحصاء دقائقها وساعاتها.

* * *

---

(١) «يعني» زيادة من «ت».

(٢) «مني» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٨).

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ يعني: العذب والمالح، ثم ذكرهما.

فقال: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ طيب يكسر العطش.

﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ لذيذ سلس الدخول في الحلق.

﴿وَهَٰذَا﴾ أحدُهما ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة.

﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، وصف بالطراوة؛ لتسارع الفساد إليه، فيسارع إلى أكله طرياً.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح خاصة.

﴿حِلْيَةً﴾ زينة ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ وهي اللؤلؤ والمرجان، فدل على أنهما من الحلي، ولم يقل هنا: منه؛ لأنه معلوم، وقد ذكر في سورة النحل.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة، وكلِّ سفر له وجهٌ شرعي.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على نعمه، استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم، والمعنى: كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء، فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته، وكذلك لا يتساوى

المؤمن والكافر، وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات؛ كالشجاعة والسخاوة؛ لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى، وبقاء أحدهما على الفطرة الأصلية، وهي التوحيد، دون الآخر.

***

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ معنى يولج: يُدْخِل، وهذه عبارة عن أن ما نقص من الليل زاد في النهار، فكأنه دخل فيه، وكذلك كل ما نقص من النهار يدخل في الليل.

﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ﴾ هي مدة دوره.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ ﴾ الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء.

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ تعالى من الأصنام.

﴿ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ هي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة، وتقدم تفسير الفتيل والنقير في سورة النساء [الآية: ٥٣ و٧١].

***

﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾.

[١٤] ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾ لأنهم جماد.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ على سبيل الفرض والتمثيل ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لعجزهم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم لهم، وعبادتكم إياهم، ويتبرؤون منكم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ عالمٍ به، وهو الله تعالى.

* * *

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن جميع خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على صنعه. واختلاف القراء في الهمزتين من (الْفُقَرَاءُ إِلَى) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٥].

* * *

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بإهلاككم

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.

* * *

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمتعذر.

* * *

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب غيره، وأما قوله: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣]، فالمراد: الضالون والمضلون، وإضلال تابعيهم من جملة ذنوبهم، فلذلك حملوه.

﴿ وَإِن تَدْعُ ﴾ نفس ﴿ مُثْقَلَةٌ ﴾ بالذنوب ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا ﴾ الذي عليها من الذنوب.

﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ ﴾ من حملها ﴿ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ﴾ المدعو ﴿ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾ ذا قرابة؛ كأم وأب وأخ.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ إنما ينتفع بإنذارك ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي: يخافونه، ولم يروهُ، وخص الخاشون بالإنذار؛ لأنهم هم المنتفعون به ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ خص من الأعمال إقامة الصلاة؛ تنبيهاً عليها، وتشريفاً لها، ثم أومأ تعالى إلى غناه عن خلقه بقوله:

﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ ﴾ تطهَّر عن دنس المعاصي، وأصلح العمل.

﴿ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾ فصلاحُه مختصٌّ به.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ فيجازيهم على تزكيتهم.

* * *

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ المؤمن والكافر، وقيل: الجاهل والعالم.

﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾ أي: الشرك والإيمان؛ أي: لا تساوي بينهما، وقوله: (وَلاَ النُّورُ) دخول (لاَ) فيها وفيما بعدها إنما هو على نية التكرار؛ كأنه قال: ولا الظلمات والنور، ولا النور والظلمات، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثواني، ودل مذكور الكلام على متروكه.

* * *

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ ﴾ الجنة.

﴿ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ النار، وقال ابن عباس: الحرور: الريح الحارة ليلاً، والسموم نهاراً[١].

* * *

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ ﴾ المؤمنون ﴿ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ الكفار، وقيل: العلماء والجهال، كلها أمثال ضُربت للمؤمن والكافر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ ﴾ الإنذارَ سماعَ هداية[٢] ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ إيمانَه.

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ يعني: الكفار، شبههم في عدم الانتفاع بالمقبور.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٢١).

(٢) «الإنذار سماع هداية» زيادة من «ت».

﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار، ونُسخ معناها بآية السيف .

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ محققين[1] ﴿ بَشِيرًا ﴾ بالوعد ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ بالوعيد .

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ ﴾ من الأمم الماضية ﴿ إِلَّا خَلَا ﴾ مضى ﴿ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ نبي يُنذر من عذاب الله، واكتفى بنذير هنا عن ذكر بشير؛ لدلالته عليه؛ لأن النذارة قرينة البشارة، وهما مذكوران قبل، وأما فترة عيسى، فلم يزل فيها من هو على دينه، وداعٍ إلى الإيمان .

* * *

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وقد .

﴿ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات .

﴿ وَبِٱلزُّبُرِ ﴾ كصحف إبراهيم ﴿ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ الواضح، وهو التوراة والإنجيل، والبينات والزبر والكتاب المنير شيء واحد، لكنه أكد

---

(١) في «ت»: «محقين» .

أوصافه بعضها ببعض، وذكره بجهاته، والزبور من زبرت الكتاب: إذا كتبته.

* * *

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ثم توعد قريشاً بذكر الأمم الكافرة فقال: ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكاري بالعقوبة، وتقدم اختلاف القراء في (نَكِيرِ) في آخر سبأ [الآية: ٤٥].

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ المراد: رؤية القلب ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ورجع من خطاب بذكر الغائب إلى المتكلم بنون العظمة؛ لأنه أهيبُ في العبارة.

فقال: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ ﴾ كالخضرة والصفرة والحمرة والبياض والسواد، وغير ذلك، وقيل: المراد: أجناسها وأصنافها، قدم النعت على الاسم، فلذلك نصب.

﴿ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ ﴾؛ أي: طرق تكون في الجبال ﴿ بِيضٌ وَحُمْرٌ ﴾ واحدتها جُدَّة.

﴿ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ ﴾ بالشدة والضعف.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي: وطرق سود كالغرابيب؛ تشبيهاً بالغراب، يقال: أسود غِرْبيب؛ أي: شديد السواد.

* * *

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثمرات والجبال، وتم الكلام هاهنا، ثم ابتدأ.

فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال ابن عباس: «يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني[١]»، وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن بأنه لا يخشى اللهَ تعالى إلا العلماءُ، ولو عكس، لكان المعنى: أن العلماءَ لا يخشون الله[٢] نحو ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده. واختلاف القراء في الهمزتين من (العُلَمَاءُ إِنَّ) كاختلافهم فيهما من ﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾[٣] [فاطر: ١٥].

* * *

---

(١) «وسلطاني» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «لا يخشون أحداً إلا الله».

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٢).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ يداومون على قراءة القرآن، ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بجميع شروطها.

﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ في الصدقات ووجوه البر، فالسر من ذلك هو التطوع، والعلانية هو المفروض، وخبر (إِنَّ): ﴿ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ أي: تكسد ويتعذر ربحها.

***

﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ ﴾ بالإنفاق ﴿ أُجُورَهُمۡ ﴾ أي: ثواب التلاوة وإقامة الصلاة وإنفاقهم.

﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ سوى الثواب ما لم تر عين، ولم تسمع أذن.

﴿ إِنَّهُۥ غَفُورٞ ﴾ لهم ذنوبهم ﴿ شَكُورٞ ﴾ مثيب لأعمالهم.

***

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ يعني: القرآن، و(مِن) للتبيين.

﴿ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا ﴾ حال مؤكدة.

﴿ لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾ لما تقدمه من الكتب المنزلة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ عالم بالبواطن والظواهر.

***

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ﴾ أي: أعطينا ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآن، و(ثُمَّ) للترتيب، تقديره: والذي أوحينا إليك، ثم أورثناه ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ هم أمتك يا محمد، ثم قسمهم.

فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ هو الذي رجحت سيئاته ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ هو الذي ساوت حسناته سيئاته ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ ﴾ إلى الجنة ﴿ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ بالأعمال الصالحة، وهو الذي رجحت حسناته ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ بتوفيقه، والأصناف الثلاثة في الجنة، قال ﷺ: «سابقُنا سابق، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له»(١).

---

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٢٤)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه الكردي، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر، به. قال العقيلي: الفضل بن عميرة لا يتابع على حديثه، ويروى من غير هذا الوجه بإسناد أصلح من هذا.
قلت: وهو ما رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ١٥١ـ ١٥٢) من طريق فرج ابن فضالة، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، عن عمر، به. وبإسناده ليس بالقوي، كما ذكر البيهقي في «البعث والنشور». وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٥٢ـ ١٥٣). قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٦٢٢)=

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إيراثهم الجنة ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

***

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ومما يدل على دخولهم جميعهم الجنة قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ مبتدأ، خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ قرأ أبو عمرو: بضم الياء وفتح الخاء مجهولاً، فالواو قام مقام الفاعل، والباقون: بنصب الياء وضم الخاء معلوماً(١)، فالواو الفاعل.

﴿يُحَلَّوْنَ﴾ نساءً ورجالاً ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة، و(مِنْ) تبعيض ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ روي أن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ(٢)، هذه حليتهم.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر: (وَلُؤْلُؤاً) بالنصب على معنى: ويحلَّون لؤلؤاً، فأبو جعفر يترك الهمزتين، فيسكن الواو الأولى، وينصب الثانية، وأبو بكر عن عاصم يترك الأولى فقط، وقرأ

= عند إيراده لهذا الحديث: فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً، وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله، ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه، فإن شرط ذلك صحة التوبة.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٥).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٣/ ٦٢٣).

الباقون: بالخفض عطفاً على (أَسَاوِرَ)، وأبو عمرو يترك الهمزة الأولى[1]، وتقدم في سورة الحج اختلاف الأئمة في حكم الحرير والجلوس عليه عند تفسير نظير هذه الآية.

* * *

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: ويقولون إذا دخلوا الجنة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ أي: أزال عنا كل شيء يوجب الحزن.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ مثيب للمطيعين.

* * *

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ بمعنى: الإقامة.

﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياء ومشقة، فاللغوب: نصب وزيادة؛ لأنه نتيجة النصب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٤-٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٥-١٨٦).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ ﴾ لا يحكم ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ بالموت.

﴿ فَيَمُوتُواْ ﴾ نصب جواب النفي.

﴿ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ ﴾ مثلَ ذلك الجزاء.

﴿ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ مبالغ في الكفر والكفران. قرأ أبو عمرو: (يُجْزَى) بالياء وضمها وفتح الزاي مجهولاً، ورفع (كُلُّ) مفعول المجهول، وقرأ الباقون: بالنون وفتحها وكسر الزاي، ونصب (كُلَّ) مفعولاً صريحاً[١]، المعنى: الكفار معذبون أبداً.

* * *

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ أي: يستغيثون في جهنم بشدة وعويل، يقولون:

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا ﴾ منها ﴿ نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ لأنهم كانوا يعتقدون صلاح عملهم في الدنيا، فأجيبوا توبيخاً:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٧).

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ المعنى: ألم نطل أعماركم وقتاً يتذكر فيه التوبة من تذكر، وتعطف على معنى[1] ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ ما بعد؛ لأن لفظه استخبار، ومعناه إخبار، تقديره: عمرناكم.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ محمد ﷺ، وقيل: القرآن، وقيل: الشيب، ويجوز أن يراد: كُلُّ ما يؤذن بالانتقال.

﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

***

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٣٨)﴾.

[٣٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والغيب: ما غاب عن البشر؛ أي: لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: ما فيها من المعتقدات، تعليل لهم؛ لأنه إذا علم مضمرات الصدور، وهي أخفى ما يكون، علم كل غيب، و(ذَاتُ) تأنيث (ذو).

***

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)﴾.

[٣٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليف؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً.

---

(١) «معنى» ساقطة من «ت».

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ أي: وبالُ كفره.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ بغضاً[1] واحتقاراً.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ أي: خسروا آخرتهم ومعادهم.

***

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا﴾ أيَّ شيء.

﴿خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ﴾ أي: شركة مع الله تعالى.

﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: في خلقها، المعنى: أخبروني عن هؤلاء الشركاء بزعمكم، أَستبدوا بخلق شيء، أم شاركوه تعالى في شيء من خلقه.

﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ هل أعطينا كفار مكة أو الأصنام.

﴿كِتَٰبٗا﴾ ينطق بأنهم شركاؤه.

﴿فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ﴾ أي: على حجة وبرهان من ذلك الكتاب. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وخلف، وحفص عن عاصم: (بَيِّنَةٍ) بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: (بَيِّنَاتٍ) بالألف على الجمع[2]؛

---

(١) «بغضاً» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٨).

لكثرة ما جاء به ﷺ، ورسمها بالتاء، تلخيصه: هل لمعبوديكم ما يستحقون أن يعبدوا بسببه؟

﴿ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم ﴾ الرؤساء ﴿ بَعْضًا ﴾ الأتباع.

﴿ إِلَّا غُرُورًا ﴾ باطلاً، وهو ما يغر الإنسان.

***

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ﴾ يَضْبِط ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن ﴾ أي: كي لا ﴿ تَزُولَا ﴾ رُوي أنه لما قالت النصارى: المسيح ابن الله، واليهود: عزير ابن الله، كادت السموات والأرض أن تزولا وتعدما، فأمسكهما الله تعالى[١].

﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ ﴾ أي: ما ﴿ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾ من بعد إمساكه.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ حيث أمسكهما عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة.

***

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ولما بلغ قريشاً أن أهل الكتاب كذبوا رسلَهم، حلفوا إن جاءهم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٧) عن الكلبي، وقال: وهو كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ [مريم: ٨٩-٩٠].

رسول، اتبعوه، فنزل: ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي: كفار مكة.

﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ منصوب على المصدر؛ أي: بغاية اجتهادهم.

﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ يعني: من اليهود والنصارى؛ لأن كل واحدة منهما أمم، وليس المراد: إحدى الأمتين دون الأخرى، بل هما جميعاً؛ لأن (إحدى) شائعة فيهما تصلح لكل واحدة منهما، ولم يقل: الأمتين، [ولا الأمم بلا إحدى؛ ليعم جميع أفراد الأمتين][(١)]؛ لأن (إحدى) تأنيث (أحد)؛ كأنه قال: ليكونن أهدى من كل واحدة من الأمم، ولو حذف إحدى، لجاز أن يراد: بعض الأمم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيء النذير من الإيمان.

﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: تباعداً عن الهدى.

* * *

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدل من (نُفُوراً)، ثم تعطف على (نُفُوراً)، أو (استكباراً) ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ العمل القبيح، وأضيف المكر إلى السيىء وهو صفته كما قيل: دار الآخرة، ومسجد الجامع، وجانب الغربي. قرأ حمزة: (السَّيِّءْ) بإسكان الهمزة في الوصل؛ لتوالي الحركات تخفيفاً، كما

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

أسكنها أبو عمرو في (بَارِئْكُمْ) لذلك، قال الكواشي: وزعم بعضهم لجهله بكلام العرب أنه لحن، وهو اللاحن، ونصر العلامة ابن الجزري في «النشر» صحتها، وقرأ الباقون: بكسرها، وإذا وقف حمزة، أبدلها ياء خالصة، وكذلك هشام إذا خفف من طريق الحلواني، إلا أنه يزيد على حمزة بالروم بين بين(١).

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط(٢) ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أي: وَبالُ الشرك مختص بمن أشرك. واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّيِّىءُ إِلاَّ) كاختلافهم فيهما من (نَشَاءُ إِلَى) في سورة الحج.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون هؤلاء إلا نزول العقاب بهم كما نزل بمن تقدمهم.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ في نزول العذاب بالكفار.

﴿تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ للعذاب إلى غير مستحقه، ورسمت (لِسُنَّتِ) في الموضعين بالتاء، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب(٣).

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٢-١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٨٩-١٩٠).

(٢) «يحيط» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩١).

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ ﴾ أي: المشركون

﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إلى متاجرهم.

﴿ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ ﴾ هلكوا.

﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ لما كذبوا الرسل.

﴿ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فأُهلكوا مع ذلك.

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بالأشياء كلها ﴿ قَدِيرًا ﴾ عليها.

***

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ أي: لو جازى على الذنوب في الدنيا ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا ﴾ أي: على ظهر الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ يعني: لأهلك الجميع، وقوله: ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ مبالغة، والمراد: بنو آدم؛ لأنهم المجازون.

﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وقتٍ معلوم، وهو القيامة.

﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴾ توعد، وفيه للمتقين وعد. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهُمْ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥]، والله أعلم.

* * *

سورة يس

عليه السلام

مكية، وآيها: ثلاث وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وعشرون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وسبع وعشرون كلمة.

روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل شيء قلباً، وإن قلبَ القرآن يٓس»(١)، وروي: «من قرأ يٓس، كتب الله له بقراءتها قراءةَ القرآن عشرَ مرات»(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ①﴾.

[١] ﴿يسٓ﴾ أمال الياء: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب، وفتحها الباقون، وأبو جعفر يقطع الحروف

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٨٧)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل يس، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفيه هارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق، ولا يصح من قِبل إسناده وإسناده ضعيف، وفي الباب عن أبي هريرة.

(٢) هو قطعة من حديث أنس السابق.

على أصله، وأدغم نون السين في الواو بغنة: الكسائي، ويعقوب، وخلف، وهشام راوي ابن عامر، واختلف عن نافع، وعاصم، والبزي راوي ابن كثير[1] وابن ذكوان راوي ابن عامر، وقرأ الباقون: بالإظهار وجهاً واحداً، وهم أبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر، وقنبل راوي ابن كثير، والخلاف في معنى (يس) كما تقدم في الحروف المقطعة في أوائل السور، وتختص هذه بأقوال، منها: أن سعيد بن جبير قال: «إنه من أسماء محمد ﷺ»[2] دليله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وعن ابن عباس: «معناه: يا إنسان! بلغة طيء»، وقال أبو بكر الوراق: معناه: يا سيد البشر.

* * *

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي: المحكم. قرأ ابن كثير: (وَالْقُرَانِ) بالنقل، والباقون: بالهمز[3].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٧ـ١٨ و٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٥ـ١٩٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣١)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٤).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٦).

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ المعنى: أنه تعالى أقسم بالقرآن أن محمداً من المرسلين، وهو رد على الكفار حيث قالوا: ﴿ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: ٤٣].

***

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي: طريق هدى، ومهيع: رشاد لا اعوجاج فيه، ولا عدول عن الحق، ولم يقسم الله ـ تبارك وتعالى ـ لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ، وهو خبر بعد خبر إنه من المرسلين، وإنه على صراط مستقيم. قرأ قنبل عن ابن كثير، ورويس عن يعقوب: (السِّرَاط) بالسين، وأشم الصاد الزاي: حمزة، والباقون: بالصاد(١)، وكلها لغات صحيحة.

***

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَنْزِيلَ) بنصب اللام بإضمار أعني، أو فعله؛ أي: نزله تنزيلَ، وقرأ الباقون: بالرفع(٢)؛ أي: هو تنزيلُ.

***

---

(١) سلف عند تفسير الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٧).

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ﴾ نفي؛ أي: لم تنذرْ ﴿ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ عن الإيمان والرشد.

* * *

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾ وجب العذاب ﴿ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾ أي: أهل مكة بالكفر.

﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لما سبق في علمه تعالى من عدم إيمانهم.

* * *

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ولما حلف أبو جهل أن يرضخ رأس النبي ﷺ بحجر إن رآه يصلي، فرآه ساجداً، فأراد أن يلقي عليه حجراً، فلزق في يده، وتشبثت يده في عنقه، نزل قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾(١) أراد: في أعناقهم وأيديهم؛ لأن الغُلَّ لا يكون في العنق دون اليد.

﴿ فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾ جمع ذقن، وهو مجتمع اللحيين؛ أي: فأيديهم مجموعة إلى أذقانهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٥) عن عكرمة. وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٢).

﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ رافعو رؤوسهم مع غض الأبصار لا يستطيعون الإطراق؛ لأن من غُلّت يده إلى ذقنه، ارتفع رأسه.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾.

[٩] فلما عاد أبو جهل إلى أصحابه، وأخبرهم بما رأى، وسقط الحجر من يده بعد أن فكوه عنها بجهد، قال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، وأخبرهم بالحال فنزل: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سَدّاً) بفتح السين فيهما، وقرأ الباقون: بالضم[1]، وهما لغتان، والسدُّ: ما سدَّ وحال.

﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾ أعميناهم؛ من التغشية.

﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ طريقَ الهدى، أو محمداً ﷺ حيث أرادوه بالسوء.

* * *

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: مستوٍ عندهم.

﴿ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ أعلمتهم محذِّراً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٨).

﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه مخاطبة لمحمد ﷺ، وضمنها تسلية له عنهم؛ أي: إنهم قد ختم عليهم بالكفر، فسواء إنذارك وتركه، والألف في قوله: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) ألفُ التسوية؛ لأنها ليست كالاستفهام، بل المستفهم والمستفهم مستويان في علم ذلك. قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، ورويس عن يعقوب: (أَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، وورش: يبدلها ألفاً خالصة، وروي عنه التسهيل بين بين، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن ذكوان راوي ابن عامر، وروح راوي يعقوب: بتحقيق الهمزتين من غير فصل بينهما، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل بألف مع تحقيق الهمزتين، واختلف عنه أيضاً في تسهيل الثانية بين بين وتحقيقها.

* * *

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أي: إنما ينفع إنذارك ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآنَ، وعمل به ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: بالخلوات عند[١] مغيب الإنسان من عيون البشر.

﴿فَبَشِّرْهُ﴾ وحد الضمير مراعاة للفظ.

﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

---

(١) في «ت»: «عن».

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ عند البعث ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ ﴾ أسلفوا من الأعمال من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾ ما سَنُّوا من حسنة وسيئة.

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ ﴾ حفظناه وبيناه.

﴿ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ.

قال ﷺ: «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنةً حسنةً يُعمل بها من بعده، كان له أجرُها ومثلُ أجر من عمل بها من غير أن ينقصَ من أجورهم شيئاً، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سَيِّئة يُعمل بها مِنْ بعده، كان عليه وِزْرُها ووزرُ من عمل بها مِن غير أن يَنْقُصَ من أوزارهم شيئاً»[١].

* * *

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ أي: مَثِّل للمشركين مثلاً من قصة أصحاب القرية، وهي أنطاكية.

﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ رسلُ عيسى عليه السلام.

* * *

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧) كتاب: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٦/ ٢٢٧): وسواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقاً إليه.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ أي: أَرسل عيسى بأمرنا ﴿إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ هما يوحنا ويونس؛ ليدعواهم إلى الإسلام، فقربا منها، فرأيا شيخاً، وهو حبيب النجار، فأخبراه خبرهما، فقال: هل من آية؟ قالا: نبرىء الأكمه والأبرص والمريض، فأبرأا خلقاً كثيراً، فدعاهما الملك، واسمه أنطيخس، وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، فقال: لم جئتما؟ قالا: ندعوك إلى عبادة الرحمن، فقال: أَلَنا رَبٌّ سوى آلهتنا؟ قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك، فقال: قُوما حتى أنظر في أمركما، فذهبا عنه.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ وضربوهما وحبسوهما.

﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: بتخفيف الزاي؛ من عزه: غلبه، فالمفعول محذوف؛ أي: غلبنا أهل المدينة ﴿بِثَالِثٍ﴾ وقرأ الباقون: بتشديدها[١]؛ من القوة، والمفعول محذوف أيضاً؛ أي: قوينا المرسلين برسول ثالث، وهو شمعون الصفا رأس الحواريين؛ لأن عيسى بعثه بعد الرسولين تقويةً لهما، فتوصل إلى أن أَنِسَ به الملك، فقال له يوماً: سمعتُ إنك حبست رجلين، فهل سمعت ما يقولان؟ قال: لا، فأحضرهما، فقال لهما شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله، قال: صِفاه وأوجزا، قالا: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فدعا بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة، فدعوا الله، فانشق له بصره، فقال شمعون للملك: ادع إلهك

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٩٩).

حتى يصنع كذلك، فيكون لك وله الشرف، فقال له: ليس لي دونك سر، إن إلهي لا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع ولا يضر، ثم قال لهما شمعون: إن قدر إلهكما على إحياء ميت، آمنا به، فجيء بميت من سبعة أيام، فدعوا علانية، وشمعون سراً، فحيي الغلام فقال: دخلت في سبعة أودية من نار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء، فرأيت شاباً يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن هم؟ قال: شمعون، وهذان، فآمن الملكُ وبعض أصحابه بعد أن أخبره شمعون بالحال، وكفر آخرون.

﴿فَقَالُوٓاْ﴾ أي: رسل عيسى.

﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم﴾ أي: أهل أنطاكية ﴿مُّرۡسَلُونَ﴾(١).

* * *

﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ لا مزيةَ لكم علينا.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ وحي ورسالة.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ في دعواكم.

* * *

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ وقوله: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ جرى مجرى القسم في التوكيد، وكذلك: شهد الله، وعلم الله، ولم يأت باللام

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ١٤).

في (مرسلين) الأول، وأتى بها في الثاني؛ لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب إنكار.

* * *

﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ التبليغ الظاهر الأدلة الواضحة؛ لأنه لو ادعى إنسان شيئاً، وقال: والله إني لصادق بلا بينة، استقُبح ذلك، ولم يُسمع قولُه.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] فثم ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ للرسل: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا ﴾ تشاءمنا ﴿ بِكُمْ ﴾ وذلك أن المطر حُبس عنهم، ثم قالوا للرسل:

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ ﴾ عن مقالتكم ﴿ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ لنقتلنكم بالحجارة.

﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

* * *

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم ﴾ شؤمكم ﴿ مَّعَكُمْ ﴾ بكفركم، ثم أدخل همزة الاستفهام على الشرط توبيخاً لهم، فقال:

﴿ أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ وُعظتم، وجواب الشرط محذوف؛ أي: أئن ذُكِّرتم تطيرتم بنا وكفرتم؟! قرأ أبو جعفر: (أَأَنْ) بفتح الهمزة الثانية وتسهيلها بين

بين، ويفصل بين الهمزتين بألف، **وقرأ** (ذُكِرْتُمْ) بتخفيف الكاف، **وقرأ** الباقون: بكسرها، وهم في التسهيل والتحقيق والفصل وعدمه على أصولهم كما تقدم في (أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً) في سورة الشعراء [الآية: ٤١]، **وقرؤوا** (ذُكِّرْتُمْ): بتشديد الكاف[1].

﴿ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ مشركون مجاوزون الحدَّ.

* * *

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ ﴾ وهو حبيب النجار، وكان قد آمن بالرسل، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة.

﴿ يَسۡعَىٰ ﴾ يشتد عَدْواً؛ ليعلِمَ الرسلَ بذلك.

ثم ﴿ قَالَ ﴾ لقومه: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾.

* * *

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾ على تبليغ الرسالة.

﴿ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ إلى خير الدارين.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩ـ٣٧٠ و٢/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٠ـ٢٠٢).

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] فقالوا: أنت على دينهم، وكان يكتم إيمانه، فقال عاتباً على نفسه؛ تنبيهاً لهم، وإثباتاً للحجة عليهم: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم. قرأ حمزة، ويعقوب، وخلف: (وَمَا لِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[١]، أضاف الفطرة إلى نفسه، والرجوع إليهم؛ لأن الفطرة أثر النعمة، وكان عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر، وكان بهم أليق. وقرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم.

***

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا أتخذ من دونه آلهة. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَتَّخِذُ) كاختلافهم فيهما من (أَأَنْذَرْتَهُمْ).

﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ بسوء ﴿لَّا تُغْنِ﴾ لا تدفع ﴿عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ أي: شفاعة الأصنام ﴿شَيْـًٔا﴾ أي: لا شفاعة لها فتغني ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ من مكروه ما. قرأ أبو جعفر: (يُرِدْنِي) بإثبات الياء ساكنة وقفاً، مفتوحة

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٢).

وصلاً، وافقه يعقوب وقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[1]، وقرأ ورش: (يُنْقِذُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2].

* * *

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٤﴾.

[٢٤] ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ إن عبدت غيره.

* * *

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾.

[٢٥] ثم أظهر إيمانه بقوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ أي: أطيعون. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي إِذاً) (إِنِّي آمَنْتُ) بإسكان الياء فيهما، وافقهما ابن كثير في الأول، وقرأ يعقوب: (فَاسْمَعُونِي) بإثبات الياء[3].

* * *

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾.

[٢٦] فلما قال ذلك، وثب إليه القوم وثبة رجل واحد، فقتلوه، فمات

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٦-٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٣).

(٣) المصادر السابقة.

وهو يقول[1]: اللَّهُمَّ اهدِ قومي، وقبره بأنطاكية، فلما قتله قومه ﴿قِيلَ﴾ له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ فلما أفضى إلى الجنة ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾.

* * *

﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: بالذي غفر لي من الذنوب.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ ليؤمنوا، أراد بذلك الإشفاق والنصح لهم؛ أي: لو علموا ذلك، لآمنوا بالله تعالى، وفي ذلك قال النبي ﷺ: «نصحَ قومَه حياً وميتاً»[2]، وقال قتادة: نفعهم على حالة الغضب والرضا، وكذلك المؤمن لا يكون إلا ناصحاً للناس.

* * *

﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨﴾.

[٢٨] فلما قُتل حبيب، غضب الله له، وعجل لهم النقمة، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة، فهلكوا عن آخرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ أي: قوم حبيب ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد إهلاكهم ﴿مِن

---

(١) «يقول» ساقطة من «ت».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٠) عن ابن عباس، ورواه ابن مردويه كما قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» من حديث المغيرة بن شعبة، في قصة عروة بن مسعود.

﴿جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [أي: إن الله كفى أمرهم بصيحة ملك، ولم ينزل لإهلاكهم جند من السماء][1].

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ملائكةً بعد إهلاك هؤلاء لتعذيب أحد، و(ما) في هذين الحرفين نافية.

* * *

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ثم بين عقوبتهم فقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ رُوي أن جبريل أخذ بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ ميتون، شبهوا بالرماد الذي خمدت ناره وطفئت. قرأ أبو جعفر: (صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ) بالرفع فيهما على أن (كان) تامة، و(صيحةً) فاعل؛ أي: ما وقعت إلا صيحة واحدة، وقرأ الباقون: بالنصب على أن (كان) ناقصة[2]؛ أي: ما كانت هي؛ أي: الأخذة، إلا صيحةً واحدة.

* * *

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ والحسرة: أن يلحق الإنسان من الندم ما يصير به حسيراً، ونصب (حَسْرَةً) منادى، ومعنى النداء: احضري، فهذا

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٤).

موضع حضورك، المعنى: يا حسرة من العباد على أنفسهم، وتندماً وتلهفاً في استهزائهم برسل الله، وعدم إيمانهم بهم، ثم بين سبب الحسرة والندامة.

فقال: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ تمثيل لفعل قريش.

* * *

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) ﴾.

[٣١] ﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ أهل مكة رؤيةَ البصر ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾ وهم أهل كل عصر، سُموا بذلك؛ لاقترانهم بالوجود، و(كَمْ) هنا خبرية ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي: الماضين ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ إلى المكيين ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ أي: من مات لا يعود إلى الدنيا، أفلا يعتبرون؟!

* * *

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) ﴾.

[٣٢] ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر بخلاف عنه: (لَمَّا) بالتشديد، جعلوا (إِنْ) بمعنى الجحد، و(لَمَّا) بمعنى إلاَّ، تقديره: وما كلٌّ إلاَّ جميع، وقرأ الباقون: بالتخفيف(١)، جعلوا (إِنْ) للتحقيق، و(ما) صلة، مجازه: وكلٌّ لَجميع لدينا، المعنى: كل الخلائق يجتمعون لدينا في الموقف للحساب.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٦).

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣﴾.

[٣٣] ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ اليابسة. **قرأ** نافع، وأبو جعفر: (الْمَيِّتَةُ) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بالماء.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ جنسَ الحب؛ كالحنطة والشعير وما أشبههما.

﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وخص الحب بالذكر؛ لأنه أكثر المطلوب.

* * *

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ **قرأ** ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (الْعِيُونِ) بكسر العين، والباقون: بضمها[(١)].

* * *

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾.

[٣٥] ثم علل تفجير العيون فقال: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (ثُمُرِهِ) بضم الثاء والميم؛ أي: الأموال الكثيرة

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٤-٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٦).

المثمرة من كل صنف، جمع ثمار، **وقرأ** الباقون: بفتحها[1]؛ أي: ليأكلوا من الثمر الحاصل بالماء مما يخرجه الشجر[2].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (عَمِلَتْ) بغير هاء ضمير، حذفت من صلة الاسم، وهي مرادة، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، **وقرأ** الباقون: بالهاء، ووصلها ابن كثير على أصله، وهي في مصاحفهم كذلك[3]؛ أي: يأكلون من الذي عملته أيديهم من الزرع والغرس، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَ الله عليهم؟

* * *

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾.

[٣٦] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصنافَ ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من دوابِّ البر البحر.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٧).

(٢) في «ت»: «الثمر».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٧).

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾ تدلُّ على قدرتنا ﴿ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ ﴾ نُزيل ضوءه، ونخرج ﴿ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ فنجيء بالظلمة؛ لأن الأصل هي الظلمة، والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس، سلخ النهار من الليل.

﴿ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ داخلون في الظلام.

* * *

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ أي: موضع تستقر فيه، وهو مغربها لا تجاوزه، ومستقرها تحت العرش، ورد به الحديث عن النبي ﷺ[١]. قرأ أبو جعفر بخلاف عنه: (لِمُسْتَقِرٍّ) بكسر القاف، وقرأ الجمهور: بالفتح[٢].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ السيرُ ﴿ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ المحيطِ علمُه بكل معلوم.

* * *

﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وروح عن

---

(١) رواه البخاري (٤٥٢٥) كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾، ومسلم (١٥٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾؟ قال: «مستقرها تحت العرش».

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٨).

يعقوب: برفع الراء على الابتداء، والباقون: بنصبها[1] بفعل يفسره ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ حال؛ أي: قدرنا القمر ذا منازل، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، وهي السرطان إلى الرشاء، وهو بطن الحوت، وهي مقسومة على اثني عشر برجاً، وهي الحمل إلى الحوت، فينزل القمر كل ليلة منزلاً من منازله، ويسير سيراً غير متفاوت، ويستسر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين، وليلة إن كان تسعاً وعشرين، فإذا قطع منازله، دَقَّ في رأي العين وتقوس ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾ كعذق النخلة ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ لأن العذق إذا عتق، دَقَّ وتقوَّسَ واصفرَّ، فشبه القمر به، وتقدم في سورة يونس ذكرُ منازل القمر، والكلام عليه بأتمَّ من هذا.

***

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾ أي: لا يصح لها ولا يستقيم.

﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ أن تجتمع معه فتطمسَ نوره؛ لأن فلكها غيرُ فلكه، ولأنها تقطع فلكها كل سنة مرة، والقمر كل شهر مرة.

﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ وإن كان سير القمر أسرعَ من سيرها، فهما يتعاقبان بحساب معلوم، لا يجيء أحدهما قبل وقته، ولا يجتمعان حتى يبطل الله سبحانه هذا التأليف، ويطلع الشمس من مغربها، ويجمع بين

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٨).

الشمس والقمر، وهو من أشراط الساعة.

﴿وَكُلٌّ﴾ تنوين عوض من المضاف إليه؛ أي: كل واحد من النيرين والنجوم.

﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ لأن كل واحد يجري في فلكه.

* * *

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١)﴾.

[٤١] ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: ذرية قوم نوح، والمراد بالذرية: الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بالألف على الجمع مع كسر التاء؛ لكثرة من حمل معه في السفينة، وقرأ الباقون: (ذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء إرادة الجنس[1].

﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء، والمراد: سفينة نوح عليه السلام، وهؤلاء من نسل من حُمل معه، وكانوا في أصلابهم.

* * *

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)﴾.

[٤٢] ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ﴾ للذرية ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي: في الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل، وهي سفن البر.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٠٩).

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ مع إيجاد السفن .

﴿ فَلَا صَرِيخَ ﴾ لا مُغيثَ ﴿ لَهُمْ ﴾ إذا وقعوا في الغرق .

﴿ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ يخلصون من الغرق .

* * *

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ نصب على الاستثناء ؛ كأنه قال : إلا أن نرحمهم ، وقيل : نصب على المفعول من أجله ؛ كأنه قال : إلا لأجل رحمتنا إياهم .

﴿ وَمَتَاعًا ﴾ عطف على (رحمةً) وقوله : ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ يريد : إلى آجالهم المضروبة لهم .

* * *

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ﴾ من أمر الآخرة ، فاعملوا لها .

﴿ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ من الدنيا ، فلا تغتروا بها ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لتكونوا راجين رحمة الله ، وجواب (إذا) محذوف ، تقديره : إذا قيل لهم ، أعرضوا ، يدل عليه (مُعْرِضِينَ) بعدُ .

* * *

﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ والآيات : العلامات والدلائل .

﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لأنهم اعتادوا الإعراض، وتمرنوا عليه.

* * *

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لكفار مكة:

﴿أَنفِقُوا۟﴾ على المساكين.

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ﴾ أنرزُق ﴿مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله، فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا مما يتمسك به البخلاء، ويقولون: لا نعطي من حرمه الله، وذلك أنهم كانوا يسمعون المؤمنين يعلقون الأشياء بمشيئة الله، فأخرجوا هذا الجواب مخرجَ الاستهزاء بالمؤمنين، لا اعتقاداً، يوضح ذلك قولهم للمؤمنين: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لقولكم لنا: أنفقوا من مالكم.

* * *

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يوم البعث ﴿إِن كُنتُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ وأصحابه ﴿صَـٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون.

* * *

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] قال الله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ ﴾ ما ينتظرون.

﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يعني: النفخة الأولى. اتفق القراء على نصب (صَيْحَةً وَاحِدَةً)؛ إذ هو مفعول (يَنْظُرُونَ).

﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ قرأ حمزة: (يَخْصِمُونَ) بإسكان الخاء وتخفيف الصاد، كيضربون؛ أي: يخصم بعضُهم بعضاً، **وقرأ** حفص عن عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: بكسر الخاء وتشديد الصاد[1]، أصله يختصمون، أدغمت التاء في الصاد، فاجتمع ساكنان، فكسرت الخاء لهما، **وقرأ** أبو بكر عن عاصم بخلاف عنه: بكسر الياء إتباعاً للخاء، **وقرأ** أبو جعفر: بسكون الخاء وتشديد الصاد، فيجمع بين ساكنين، **وقرأ** ابن كثير، وورش عن نافع، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: بفتح الخاء وكسر الصاد مشددة، أصله: يختصمون أيضاً، نقلت حركة التاء إلى الخاء، ثم أدغمت التاء في الصاد؛ لقربها منه، **وقرأ** أبو عمرو، وقالون عن نافع: باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد، أصله: يختصمون، حذفت فتحة التاء، فاجتمع ساكنان، فحركت الخاء حركة مختلسة؛ لتدل على أن أصل الخاء السكون، ثم أدغمت التاء في الصاد، المعنى: يُصاح بهم في النفخة الأولى وهم مشغولون يتبايعون ويتجادلون، فتأخذهم الصيحة وهم غادون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٠-٢١١).

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠ ﴾.

[٥٠] ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ وصية ﴿ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ينقلبون؛ أي: عجلوا عن الوصية وعن الرجوع إلى أهليهم(١).

* * *

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ ﴾.

[٥١] ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ هو قرن، وهي النفخة الأخيرة، وبينهما أربعون سنة، وتقدم ذكر النفخات الثلاث في سورة النمل.

﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ يسرعون، وبين النفختين لا يعذبون.

* * *

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ ﴾.

[٥٢] فإذا رأوا ما ثم ﴿ قَالُوا۟ ﴾ تحسراً على رقدتهم(٢) بين الرقدتين:

﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا ﴾ أيقظنا(٣) ﴿ مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ منامنا الذي كنا فيه؟ حفص عن عاصم: يسكت يسيراً على (مَرْقَدِنَا)(٤).

---

(١) في «ت»: «إليهم».

(٢) في «ت»: «قدرتهم».

(٣) «أيقظنا» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٣).

ثم يقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ أي: الذي وعده، وهو من كلام الكفار.

﴿وَصَدَقَ﴾ أي: والذي صدق فيه.

﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ وهو الإنذار، أقروا حين لا ينفع الإقرار.

* * *

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿إِن كَانَتۡ﴾ النفخةُ الأخيرة ﴿إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ قرأ أبو جعفر: (صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ) بالرفع فيهما، والباقون: بالنصب، وتقدم توجيه القراءات في الحرف المتقدم، وهو ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾.

﴿فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾ للحساب.

* * *

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ حكاية لما يقال لهم حينئذ.

* * *

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ﴾ عن النار وأهلها. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: بإسكان الغين، والباقون: بضمها[1]، وهما لغتان، مثل: السُّحْت، والسُّحُت.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، =

﴿ فَـٰكِهُونَ ﴾ منعَّمون. قرأ أبو جعفر: (فَكِهُونَ) بغير ألف بعد الفاء، والباقون: بالألف[1]، وهما لغتان؛ مثل: الحاذر، والحذر.

* * *

﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ظُلَلٍ) بضم الظاء من غير ألف، جمع ظلة، وقرأ الباقون: بكسر الظاء وألف، جمع ظِلّ[2].

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي ستر كالبيت، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا، المعنى: لا تصيبهم الشمس، وهم في الجنة على السرر المرخاة عليها الستور.

﴿ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (مُتَّكُونَ) بضم الكاف وسكون الواو بغير همز، والباقون: بكسر الكاف والهمز[3].

* * *

= و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٣).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٥).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٥).

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ يشتهون.

***

﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ أي: ولهم سلام ﴿ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ أي: يقوله الله قولاً، وهو مبالغة في تعظيمهم أن السلام وقع منه بغير واسطة.

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أهلُ الجَنَّة في نعيمهم، إذ سَطَع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ ـ عز وجل ـ قد أَشْرَف عليهم من فوقهم، فقال: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الجنة، فذلك قوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا ينقلبون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجبَ عنهم، فيبقى نورُه وبركتُه عليهم في ديارهم»(١).

***

﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ﴾ فيه حذف، تقديره: ونقول للكفرة: امتازوا؛ أي: اعتزلوا من أهل الجنة ﴿ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ لأن العالم في الموقف مختلطون، وهذه معادلة لقوله لأصحاب الجنة: ﴿ سَلَٰمٌ ﴾.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤) باب: فيما أنكرت الجهمية. وإسناده ضعيف، انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٦/ ١٣).

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ أي: ألم أُوصِكم على لسان رسلي.

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ إبليس؛ أي: لا تطيعوه في معصية الله.

﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهرُ العداوة.

* * *

﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ﴾ وَحِّدوني ﴿ هَٰذَا ﴾ أي: العهد المعهود إليكم.

﴿ صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ طريق بليغ في الاستقامة.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا ﴾ خَلْقاً ﴿ كَثِيرًا ﴾: قرأ أبو عمرو، وابن عامر: (جُبْلاً) بضم الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام، جمع جبيل، وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: بضم الجيم والباء جميعاً، وتخفيف اللام، وروى روح عن يعقوب كذلك، إلا أنه بتشديد اللام، وقرأ الباقون، وهم نافع، وأبو جعفر، وعاصم: بكسر الجيم والباء وتشديد اللام[1]، جمع جبلة، وكلها لغات معناها واحد.

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٤)، =

﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ ما حل بهم فتؤمنون.

***

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾.

[٦٣] فثَمَّ يقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

***

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤﴾.

[٦٤] ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ ذوقوا حرها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ في الدنيا.

***

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾.

[٦٥] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ نُخرسهم ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ بعملها.

﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ بما صدر منهم، والمراد: جميع الجوارح؛ لأن كل عضو يعترف بما صدر منه، وفائدة نطق الأعضاء؛ ليعلم أن ما كان عوناً على المعاصي صار شاهداً، فلا ينبغي لأحد أن يصحب أحداً إلا الله تعالى؛ لئلا يُفتضح ثَمَّ بسبب صحبته.

***

= و«تفسير البغوي» (٣/٦٤٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢١٧).

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ۝٦٦ ﴾.

[٦٦] ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ ﴾ محونا آثار عيونهم؛ يعني: قريشاً.

﴿ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿ فَأَنَّىٰ ﴾ أي: فكيف ﴿ يُبۡصِرُونَ ﴾ الطريق إلى مقاصدهم؟ أي: لا يبصرون، وكيف إنكار هنا، فيفيد النفي، المعنى: لو شئنا، لختمنا عليهم بالكفر، فلم يهتد منهم أحد أبداً.

* * *

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ۝٦٧ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ ﴾ قردة وخنازير.

﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ ﴾ أي: مسخاً يثبتهم على مكانهم بحيث يجمدون فيه. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِهِمْ) بألف بعد النون على الجمع، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد(١).

﴿ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا ﴾ إلى الدنيا ﴿ وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴾ إليها.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢١٩).

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝٦٨ ﴾.

[٦٨] ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ ﴾ نطيل عمره ﴿ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: (نُنَكِّسْهُ) بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشدداً، وقرأ الباقون: بفتح النون الأولى وإسكان الثانية، وضم الكاف مخففاً[(١)]، لغتان بمعنى: جعل أعلى الشيء أسفله، المعنى: من يُطل عمره، يرده بعد كمال خلقه وخلقه وعلمه إلى مثل حال صغره.

﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أن القادر على ذلك قادرٌ على البعث، فيؤمنون؟! قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَعْقِلُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[(٢)].

* * *

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩ ﴾.

[٦٩] ولما قال كفار مكة: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر، أنزل الله تكذيباً لهم: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ أي: ما يتسهل له عمله، ولا إنشاده موزوناً؛ لنفي الطعن فيه، فأما نحو: «أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطَّلِبْ»[(٣)]، فليس بشعر عند أرباب هذا الشأن، ثم بين الذي علَّمه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢١).

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٩)، كتاب: الجهاد والسير، باب: من قاد دابة غيره في الحرب، ومسلم (١٧٧٦)، كتاب: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين، =

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: المعلَّم، وهو الموحى إليه ﷺ.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ الأحكام، المعنى: إنما منعناه من عمل الشعر وتعليمه؛ لئلا يتهم.

* * *

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾.

[٧٠] ﴿لِّيُنذِرَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (لِتُنْذِرَ) بالخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالغيب إخباراً عن القرآن[١] ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ عاقلاً.

= من حديث البراء بن عازب. قال ابن حجر رحمه الله ـ: قال ابن التين: كان بعض أهل العلم يقوله بفتح الباء من قوله: «لا كَذِبَ» ليخرجه عن الوزن. وقد أجيب عن مقالته صلى الله عليه وسلم هذا الرجزَ بأجوبة أحدها: أنه نظم غيره، وأنه كان فيه: أنت النبي لا كذب.. أنت ابن عبد المطلب، فذكره بلفظ «أنا»... وذكر رحمه الله أجوبة أقربها للصواب والله أعلم: أنه دلَّ على جواز وقوع الكلام منه صلى الله عليه وسلم منظوماً من غير قصدٍ إلى ذلك، ولا يسمى ذلك شعراً، وكان قد وقع الكثير من ذلك في القرآن العظيم، منها: ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾... ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم﴾ ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾... إلخ ما ذكر رحمه الله. انظر «الفتح» (٨/ ٣١) و(١٠/ ٥٤٢).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢١).

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ ويجب العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ المصرِّين على الكفر.

* * *

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ تولَّينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد ﴿أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ متصرفون، لم تُخلق وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها.

* * *

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أي: ما يركبون.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ اللحم والوَدَك.

* * *

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها.

﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن، جمع مَشْرَب، وهو الشرب. قرأ هشام، وابن ذكوان بخلاف عنهما: (وَمَشَارِبُ) بإمالة فتحة الشين[1].

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المنعمَ عليهم؟!

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٢).

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤ ﴾ .

[٧٤] ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً ﴾ يعبدونها .

﴿ لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي : لعلهم يمنعون من العذاب بشفاعة آلهتهم .

* * *

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥ ﴾ .

[٧٥] ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ الآلهةُ ﴿ نَصْرَهُمْ ﴾ أي : نصر عابديهم .

﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ أي : الكفارُ جندٌ للأصنام ، يحضرونها في الدنيا ، ويغضبون لها ، وهي لا تنفعهم .

* * *

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦ ﴾ .

[٧٦] ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يعني : كفار مكة في تكذيبك . قرأ نافع : (يُحْزِنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي ، والباقون : بفتح الياء وضم الزاي(١) .

﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الكفر وتكذيبك ، فنجازيهم عليه .

* * *

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ ﴾ .

[٧٧] ونزل في أُبي بن خلف لما أنكر البعث ، وأتى النبيَّ ﷺ بعظم

---

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص : ٣٦٧) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٢) .

رميم، ففتَّه وقال: يا محمد! أترى يحيي اللهُ هذا بعدما بَلِيَ ورَمَّ؟ فقال النبي ﷺ: «نعم، ويدخلك النار».

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: منيٍّ.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾ بيِّنُها بعدما كان ماء مهيناً، المعنى: ألم يستدل بخلقه على إمكان البعث؟!

* * *

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)﴾.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ بفتِّه العظام.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ من المني، فهو أغرب من إحياء العظم.

﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ بالية، ولم يؤنث (رَمِيم)؛ لأنه معدول من فاعله، وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه، كان مصروفاً عن إعرابه؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] أسقط الهاء لأنها مصروفة عن باغية.

وفي الآية حجة في إثبات الحياة في العظم، ونجاسته بالموت، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا تحل الحياة بالعظم، فلا ينجس بالموت، له أن المعنى أنها ترد كما كانت رطبة في بدن حساس.

واختلفوا في الآدمي هل ينجس بالموت؟ فقال أبو حنيفة: ينجس، إلا أن المسلم يطهر بالغسل، وتكره الصلاة عليه في المسجد، وعن مالك خلاف، والذي اختاره ابن رشد: الطهارة، وهو الأظهر عند صاحب «المختصر»(١)، وأما الصلاة في المسجد، فالمشهور من مذهبه كراهتها

---

(١) انظر: «مختصر خليل» (ص: ١٠) قال: والنجس ما استثني ما ذكر=

كقول أبي حنيفة، وعند الشافعي وأحمد: لا ينجس بالموت، ولا تكره الصلاة عليه في المسجد.

***

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات قبل خلقها وبعده.

***

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ هما شجرتان يقال لإحداهما: المرخ، وللأخرى: العفار، يقطع منهما قضيبان وهما خضراوان، فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهو أنثى، فتنقدح النار بإذن الله تعالى.

﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ تقدحون، وهذا دليل على القدرة على البعث؛ لأنه تعالى جمع بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب.

***

= ولو قملة أو آدمياً، والأظهر طهارته.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال:

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ مع عظمها على غير مثال سابق ﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ ﴾ أي: مثل الأناسي في الصغر؛ أي: لا يعجزه شيء. قرأ رويس عن يعقوب: (يَقْدِرُ) بياء مفتوحة وإسكان القاف من غير ألف، وضم الراء على أنه فعل مستقبل مثل يَضْرِف، وقرأ الباقون: بالباء وفتح القاف وألف بعدها وخفض الراء منونة على وزن فاعل[١].

﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ﴾ الكثير الخلق ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بجميع ما خلق.

***

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ قرأ ابن عامر، والكسائي: (فَيَكُونَ) بالنصب عطفاً على (يَقُولَ)، وقرأ الباقون: بالرفع[٢]؛ أي: فهو يكونُ، وهذا إشارة إلى سرعة تكوُّن الشيء، وأنه تعالى لا يلحقه نَصَب في إيجاد المعدوم وإعدام الموجود.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٣).

﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] ثم نزه تعالى نفسه تنزيهاً عاماً مطلقاً فقال: ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (بِيَدِهِ) باختلاس كسرة الهاء، والباقون: بإشباعها[١] ﴿مَلَكُوتُ﴾ أي: مُلْكُ ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾ وزيدت الواو والتاء للمبالغة، ومعناه: ضبطُ كل شيء، والقدرةُ عليه.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[٢]، وهو وعد ووعيد للمقرين والمنكرين.

قال ﷺ: «اقرؤوا على موتاكم يَس»[٣]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٤).

(٣) رواه أبو داود (٣١٢١)، كتاب: الجنائز، باب: القراءة عند الميت، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩١٣)، وابن ماجه (١٤٨٨)، باب: ما جاء فيما يقال عند المريض إذا، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠٠٢). من حديث معقل بن يسار. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٠٤): أعلَّه ابن القطان بالاضطراب وبالوقف، وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه، ونقل أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. وقال أحمد في «مسنده»: كانت المشيخة يقولون: «إذا قُرئت» يعني «يس» عند الميت خُفِّفَ عنه بها. اهـ.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكية، وآيها: مئة وثمانون وآيتان، وحروفها: ثلاثة آلاف وثماني مئة وستة وعشرون حرفاً، وكلمها ثماني مئة وستون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ ﴾.

[١] ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ ﴾ جمع صافَّة ﴿ صَفًّا ﴾ مصدر، وكذلك (زَجْراً) و(ذِكْراً) بعد؛ يعني: الملائكة صفوفاً في السماء كصفوف الصلاة.

* * *

﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾ الملائكة تزجر السحاب وتسوقه.

* * *

﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ هم الملائكة يتلون ذكر الله، وهذا كله قسم، أقسم الله بها، وليس لغيره ذلك.

* * *

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ ﴾ .

[٤] وجواب القسم: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴾ في معناه وذاته وصفاته، وجيء بالفاء لتدل أن القسم مجموع المذكورات، والواو لا تفيده. قرأ أبو عمرو، وحمزة: (وَالصَّافَّات صَّفاً. فَالزَّاجِرَات زَّجْراً. فَالتَّالِيَات ذِّكْراً) بإدغام التاء فيما بعدها من غير إشارة، والباقون: بكسر التاء من غير إدغام(١).

* * *

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ مشارق الشمس ومغاربها، وحذفها لدلالة (مشارق) عليها، وقد قال في سورة المزمل: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [الآية: ٩] أراد به: الجهة، فالمشرق جهة، والمغرب جهة، وقال في سورة الرحمن: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الآية: ١٧] يعني: مشرقي الصيف والشتاء، ومغربيهما، وقال في سورة المعارج: ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [الآية: ٤٠] مشرق كل يوم من السنة، ومغربه.

روي أن الله تعالى خلق للشمس ثلاث مئة وستين كوة في المشرق، ومثلها في المغرب، على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى الكوة التي تطلع منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغارب(٢)، المعنى: هو ربُّ جميع الموجودات.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٥٤)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٦٣)، =

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ **قرأ** أبو بكر عن عاصم: (بِزِينَةٍ) منونة (الْكَوَاكِبَ) نصب؛ أي: بتزييننا الكواكبَ، **وقرأ** حمزة، وخلف[١]، وحفص عن عاصم: (بِزِينَةٍ) منونة (الْكَوَاكِبِ) خفضاً بدلاً من (زينةٍ)، **وقرأ** الباقون: (بِزِينَةِ) بغير تنوين، وجرّ (الْكَوَاكِبِ) إضافة، المعنى: زينا السماء القريبة إليكم بالكواكب.

* * *

﴿ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَحِفۡظًا ﴾ نصب بمحذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً بالشهب.

﴿ مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ متمرد يُرمون بها.

* * *

﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يَسَّمَّعُونَ) بتشديد السين والميم؛ أي: لا يستمعون، فأدغمت التاء في السين، **وقرأ** الباقون: بتخفيفها[٢]؛ أي: لا يستطيعون الاستماع.

﴿ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ الملائكة؛ لأنهم في السماء.

= ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٦٣)، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(١) «وخلف» ساقطة من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ يُرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ بالشهب.

* * *

﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾.

[٩] ﴿دُحُورًا﴾ إبعاداً، وأصل الدحر: الطرد.

﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم لا ينقطع.

* * *

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿إِلَّا﴾ استثناء من الجنس، وتقدم حكم الاستثناء من غير الجنس، واستثناء الكل، وغير ذلك من أحكام الاستثناء في سورة الكهف.

﴿مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ اختلس الكلمة من كلام الملائكة مُسارقةً.

﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ لحقه ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كوكب مضيء لا يخطئه، يثقب الجني فيقتله أو يحرقه أو يخبله، وإنما يعودون لاستراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه؛ طمعاً في السلامة ونيل المراد؛ كراكب البحر.

* * *

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾.

[١١] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ فاستخبرْ كفار مكة توبيخاً، وسلهم سؤال مُحاجَّة. قرأ رويس عن يعقوب: بضم الهاء، والباقون: بكسرها[١].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٧٢)، «ومعجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٠).

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما، وجيء (بمن) تغليباً للعقلاء، وقيل: أم من خلقنا من الأمم قبلهم، ثم أومأ إلى ضعفهم؛ لأن من خُلق من ضعف فهو ضعيف.

فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ لاصق يعلق باليد.

***

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بضم التاء خبراً عن النبي ﷺ؛ أي: قل يا محمد: بل عجبتُ، وقيل: هو خبر عن الله تعالى، والتعجب من الله ليس كالتعجب من الآدميين؛ لأنه من الناس إنكار وتعظيم، ومن الله قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث: «عجبَ ربُّكم من شابٍّ ليست له صَبْوةٌ»(١)، وهي عبارة عما يظهره الله تعالى في جانب المتعجَّب منه من التعظيم أو التحقير، حتى يصير الناس متعجبين منه، وقرأ الباقون: بالفتح خطاباً للنبي ﷺ(٢)، المعنى: تعجبت يا محمد من تركهم الإيمان بعد قيام البرهان.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٥١) وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٠٩) من حديث عقبة بن عامر، وفيه ابن لهيعة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٠): وإسناده حسن.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣١).

﴿ وَيَسۡخَرُونَ﴾ أي: وهم يسخرون منك ومن تعجبك.

* * *

﴿ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣﴾.

[١٣] ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وُعظوا بالقرآن ﴿ لَا يَذۡكُرُونَ﴾ لا يتعظون.

* * *

﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤﴾.

[١٤] ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ﴾ تدل على صدقك.

﴿ يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية والاستهزاء بك.

* * *

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥﴾.

[١٥] ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ بيِّن.

* * *

﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾.

[١٦] ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ أي: أنبعث إذا متنا؟ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِذَا) (أَئِنَّا)، وفي ضم الميم وكسرها من (مِتْنَا) كاختلافهم في ذلك في سورة (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ).

* * *

﴿ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾.

[١٧] ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ الأقدمون. قرأ أبو جعفر، وابن عامر،

وقالون: بإسكان الواو، وهي (أو) التي هي للقسمة والتخيير، وقرأ الباقون: بفتح الواو، وهي واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام، واختلف عن ورش، فروي عنه كالأول، إلا أنه ينقل حركة الهمزة بعدها إليها كسائر السواكن، وروي عنه الفتح كالجمهور[1]، تلخيصه: ويقولون: أنبعث نحن ويُبعث آباؤنا أيضاً؟! استبعاداً لذلك؛ لأن آباءهم أقدم، فبعثُهم أغرب.

* * *

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿نَعَمْ﴾ تُبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون. قرأ الكسائي: (نَعِمْ) بكسر العين، والباقون: بفتحها[2].

* * *

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] وجواب الشرط المقدر ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي: إذا وجد ذلك، فما نفخة البعث إلا ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الخلائق أحياء.

﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفعل بهم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٢).

﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني : الكافرين ثَمَّ :

﴿ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ أي : الحساب والجزاء .

* * *

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ثم تقول الملائكة : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾ القضاء بين الخلائق .

﴿ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

* * *

﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ثم يقال للملائكة : ﴿ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ هم المشركون .

﴿ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ أي : أشباههم ، فيحشر صاحب الربا والزنا والخمر وغيرهم ، كلٌّ مع صاحبه .

﴿ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴾ .

* * *

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهم الأوثان ﴿ فَٱهْدُوهُمْ ﴾ دلوهم وسوقوهم .

﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ طريق النار .

* * *

﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَقِفُوهُمْۖ ﴾ احبسوهم ﴿ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

قال ﷺ: «لا تزولُ قدمُ ابنِ آدمَ يومَ القيامة حتى يُسأل عن أربعة: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»(١).

* * *

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] فثَمَّ يقال لهم توبيخاً: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا. قرأ أبو جعفر، والبزي: (لاَ تَّنَاصَرُونَ) بتشديد التاء(٢).

* * *

﴿ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ منقادون أذلاء لا حيلة لهم.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٣-٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٣).

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي : الأتباع على الرؤساء .

﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يتخاصمون .

* * *

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي : الأتباع للرؤساء .

﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها ؛ لحلفكم إنكم على الحق ، فصدقناكم ، فأنتم أضللتمونا .

* * *

﴿ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي : الرؤساء للأتباع : ﴿ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ بل لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه ، إنما الكفر من قِبَلِكم .

* * *

﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ من قوة فنقهركم على الكفر .

﴿ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ ضالين .

* * *

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ فَحَقَّ ﴾ وجب ﴿ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ﴾ بالعذاب ، وهو : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ جميعاً العذاب.

* * *

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾ أضللناكم عن الهدى ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ ضالين.

* * *

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: التابعون والمتبوعون.

﴿يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ لاشتراكهم في الغواية.

* * *

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الذين جعلوا لله شركاء.

* * *

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن كلمة التوحيد.

* * *

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِنَّا) كاختلافهم فيهما من (أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً) في سورة

الشعراء [الآية: ٤١]، وكذلك (أَئِنَّكَ) (أَئِفْكاً)، المعنى: أنترك عبادة الأصنام لقول محمد؛ لأنهم وصفوه بالشعر والجنون.

***

﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: أتى بما أتى به المرسلون قبله.

***

﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾ الوجيع بإشراككم.

***

﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ من الشرك.

***

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ﴾ أي: لكن عباد الله ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ على الاستثناء المنقطع. **قرأ** الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر: (الْمُخْلَصِينَ) حيث وقع بفتح اللام؛ أي: المختارين، **وقرأ** الباقون: بكسرها[1]؛ أي: المخلِصين لله الطاعة.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٤).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٞ مَّعْلُومٞ ۝٤١﴾.

[٤١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٞ مَّعْلُومٞ﴾ هو طعامهم في الجنة بكرة وعشياً.

* * *

﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢﴾.

[٤٢] ﴿فَوَٰكِهُ﴾ جمع فاكهة، وهي ما يؤكل تلذذاً، لا للقوت؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظ الصحة بالغذاء؛ لأن أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد، وكانت أرزاقهم فواكه خالصة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ بثواب الله.

* * *

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣﴾.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: في جنات ليس فيها إلا النعيم.

* * *

﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٤﴾.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لدوران الأسِرَّة بهم.

* * *

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٖ مِّن مَّعِينِۭ ۝٤٥﴾.

[٤٥] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٖ﴾ هو الإناء بشرابه، فإن لم يكن فيه شراب، فهو إناء.

﴿مِّن مَّعِينِۭ﴾ أي: من خمر يجري كالماء.

* * *

﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ بَيْضَآءَ ﴾ أي: اللون ﴿ لَذَّةٍ ﴾ عذبة طيبة ﴿ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة[١].

* * *

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ أي: لا تُذهب عقولهم ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بكسر الزاي؛ أي: لا تفنى خمورهم، وقرأ الباقون: بالفتح[٢]؛ أي: لا تزال عقولهم.

* * *

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ لا ينظرن إلى غير أزواجهن؛ لحسنهم عندهن ﴿ عِينٌ ﴾ حِسان الأعين.

* * *

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ كَأَنَّهُنَّ ﴾ أي: القاصرات ﴿ بَيْضٌ ﴾ للنعام.

﴿ مَّكْنُونٌ ﴾ مصون يستره النعام بريشه، فلا يصل إليه غبار.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٥).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يعني: أهل الجنة فيها عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه.

* * *

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ صاحب في الدنيا ينكر البعث.

* * *

﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ يَقُولُ ﴾ أي: في الدنيا هزؤاً: ﴿ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴾ بالبعث؟ وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الهمزتين من (أَئِنَّكَ).

* * *

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ محاسَبون مجزيون، وتقدم التنبيه أيضاً على اختلاف القراء في (أَئِذَا مِتْنَا أَئِنَّا) في الآية السابقة، وهذا استفهام إنكار.

* * *

﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ قَالَ ﴾ الله ـ عز وجل ـ لأهل الجنة: ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ إلى النار؟ فإن في الجنة كوًى تنظر إلى النار، المعنى: أتحبون الاطلاع في النار، فتنظروا أهلكم ومنازلكم فيها لو لم تؤمنوا؟

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿فَاطَّلَعَ﴾ فنظر هذا المؤمن ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: رأى قرينه في وسط النار، وسُمي وسطُ الشيء سواء؛ لاستواء الجوانب منه. وتقدم اختلاف القراء في الفتح والإمالة من (رَآهُ) في سورة الأنبياء عند تفسير قوله: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: ٣٦].

***

﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] فلما رأى قرينه فيها ﴿قَالَ﴾ متشمتاً به: ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ أي: والله لقد قاربت أن تهلكني. قرأ ورش عن نافع: (لَتُرْدِينِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[١].

***

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي بالإيمان.

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار.

***

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] وعند ذبح الموت استفهمَ أهل الجنة استفهام تحدث بنعم الله

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٣٧ـ٢٣٨).

تعالى وتلذذ، لا استفهام شك، فقالوا: ﴿أَفَمَا﴾ الفاء عاطفة على محذوف تقديره: أنحن منعمون مخلدون، فما ﴿نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾.

* * *

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ في الدنيا، نصب استثناء منقطع.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كالكفار.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

[٦٠] ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وهذا من كلامهم على جهة الحديث بنعمة الله عليهم أنهم لا يموتون ولا يعذبون.

* * *

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[٦١] فثم يقول الله تعالى لأهل الجنة تطييباً لقلوبهم: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ الخلود والتنعيم ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ أي: لمثلِ[١] هذا يجب أن يعمل العاملون، لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام.

* * *

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾.

[٦٢] ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر لأهل الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ نصب تمييز،

---

(١) في «ت»: «لنيل مثل».

والنزل: ما يعد للنازل كضيف وغيره، ومنه أنزال الأجناد لأرزاقهم.

﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المعدة لأهل النار، والألف من قوله: (أَذَٰلِكَ) للتقرير، والمراد: تقرير قريش والكفار، وجاء بلفظ التفضيل بين شيئين؛ لاشتراك بينهما من حيث كان الكلام تقريراً، والاحتجاج يقتضي أن يوقف المتكلم خصمه على قسمين، أحدهما فاسد، ويحمله بالتقرير على اختيار أحدهما، ولو كان الكلام خبراً، لم يجز، ولا أفاد أن يقال: الجنة خير من شجرة الزقوم، والزقوم ثمرةُ شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يُكره أهلُ النار على تناوله، فهم يتزقمونه على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقَّمَ الطعامَ: إذا تناوله على كره ومشقة.

قال ابن عطية: وفي بعض البلاد الجدبة المجاورة للصحارى شجرة مرة مسمومة لها لبن إن مس جسم أحد، تورم ومات منه في أغلب الأمر، تسمى: شجرة الزقوم[1].

* * *

﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً﴾ محنة.

﴿لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾ لأن الكفار لما ذكر أن الزقوم ينبت في النار، افتتنوا وكذبوا، وقالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟!

* * *

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٥).

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] وروي أن ابنَ الزِّبَعرى قال: إن محمداً يخوفكم الزقوم، وهو بلغة بربر: الزُّبْد والتمر، فأطعمهم ذلك أبو جهل، وقال: هذا ما يتوعدكم به محمد(١)، فقال تعالى:

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ نابتة، فأصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها، من النار خلقت، وبها عذبت.

* * *

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ طَلْعُهَا ﴾ ثمرها ﴿ كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ الحيات.

* * *

﴿ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ أي: الكفار ﴿ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا ﴾ مع قبحها؛ لشدة جوعهم. ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ بحيث لا يحتمل الزيادة عليه.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا ﴾ لخلطاً.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٢٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، وانظر «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٩٦).

﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ من ماء حار، قد بلغ نهاية الحر، المعنى: أنهم يشربون الماء الحار على الزقوم مختلطاً في أجوافهم، فيصير شوباً لهم.

* * *

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ فالحميم خارج الجحيم، فإذا أكلوا الزقوم، سيقوا إلى الحميم فشربوه مع نكارته، ثم يردون إلى الجحيم.

* * *

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾.

* * *

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ﴾ متبعين بسنتهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون.

* * *

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الخالية.

* * *

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ أنبياء أنذروهم.

* * *

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

[٧٣] ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ من الشدة والفظاعة .

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

[٧٤] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ الموحدين نجوا من العذاب . وتقدم اختلاف القراء في (الْمُخْلَصِينَ) [الآية : ٤٠]، وتوجيه قراءاتهم في الحرف السابق، والخطاب مع النبي ﷺ، والمقصود: خطاب قومه؛ فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم، ورأوا آثارهم .

* * *

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ ﴾ دعانا مستنصِراً على قومه، واللام بعد جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: والله لقد نادانا نوح .

﴿ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾ أي: فأجبناه أحسن الإجابة، فو اللهِ نعم المجيبون نحن، أهلكنا قومه .

* * *

﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الذي لحق قومه، وهو الغرق .

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ مدة الدنيا؛ لأن الناس كلهم من نسله، وكان له ثلاثة أولاد: حام وسام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج.

* * *

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ أي: أبقينا عليه ثناءً حسناً فيمن بعده من الأنبياء.

* * *

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ ﴾ أي: جعلنا هذا اللفظ يقال بعده.

﴿ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى يوم القيامة من الأنبياء[١]؛ لكرامته علينا.

* * *

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾ أي: جزاءً كفعلنا بنوح.

﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ على إحسانهم.

* * *

---

(١) «من الأنبياء» ساقطة من «ت».

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

[٨١] ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تعليل لإحسانه بالإيمان.

* * *

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

[٨٢] ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ من الكافرين.

* * *

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

[٨٣] ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أهل سنته وأتباعه على أصل الدين، وإن اختلفت الشرائع ﴿ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وروي أن بينهما ألفين وست مئة وأربعين سنة[١]، وقيل غير ذلك، بما في شيعته من معنى المشايعة.

* * *

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

[٨٤] ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ من الشرك، والمجيء هنا بمعنى: الإخلاص والإقبال على الطاعة.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

[٨٥] ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ ﴾ موبخاً ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾؟!

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩١).

﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

[٨٦] ﴿ أَئِفْكًا ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وتبدل منه.

﴿ ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ أي: أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله؟! وتقدم التنبيه على اختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (أَئِفْكًا).

* * *

﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

[٨٧] ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إذا لقيتموه أن يصنع بكم؟

* * *

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

[٨٨] وكان قومه نجّامين، فخرجوا إلى عيدٍ لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا له: اخرج معنا.

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴾ في ذاتها، أراهم بأنه استدل بها على أنه مشارف للسقم؛ لئلا يخرجوه معهم.

* * *

﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] ﴿ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ أي: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون.

* * *

﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

[٩٠] ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ إلى عيدهم.

* * *

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.

[٩١] ﴿ فَرَاغَ ﴾ أي: مال في خفاء ﴿ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ بزعمهم، وهي الأصنام، وبين أيديهم الطعام ﴿ فَقَالَ ﴾ استهزاءً بهم: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ فلم ينطقوا.

* * *

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

[٩٢] فقال: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ فلم تجب.

* * *

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾.

[٩٣] ﴿ فَرَاغَ ﴾ مال ﴿ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ أي: كان يضربهم بيده اليمنى؛ لأنها أقوى على العمل من الشمال، فتسمعوا ذلك.

* * *

﴿ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

[٩٤] ﴿ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ يسرعون في المشي مع تقارب الخطا. قرأ حمزة: (يُزِفُّونَ) بضم الياء؛ أي: يحملون غيرهم على الإسراع، وقرأ

الباقون: بنصب الياء[1]؛ أي: يسرعون هم.

* * *

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥)﴾.

[٩٥] وكان بعض قد رآه يكسرها، وبعض لم يره، فأقبل من رآه مسرعاً نحوه، ثم جاء من لم يره يكسرها[2]، فقال لمن رآه: من فعل هذا بآلهتنا؟ ثم قالوا له أجمعون: نحن نعبدها، وأنت تكسرها؟! فثم ﴿قَالَ﴾ موبخاً على وجه الحِجاج:

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً؟

* * *

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾.

[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده، وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

* * *

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)﴾.

[٩٧] فثم ﴿قَالُوا﴾ بينهم: ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ فاملؤوه حطباً، وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٠-٢٤١).

(٢) «يكسرها» زيادة من «ت».

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ شراً؛ بإلقائه[١] في النار.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين، وتقدم ذكر القصة في سورة الأنبياء.

* * *

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [أي: حيث أمرني، فهاجر إلى الشام][٢] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى ما فيه صلاح ديني. قرأ يعقوب: (سَيَهْدِينِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[٣].

* * *

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[١٠٠] فلما قدم الأرض المقدسة، سأل ربه الولد، فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بعض الصالحين يُعينني على الدعوة والطاعة، ويؤنسني في الغربة.

* * *

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ في كبره، عليم في صغره، ففيه بشارة

---

(١) في «ت»: «في إلقائه».

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٤٤١).

أنه ابن، وأنه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

***

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[١٠٢] ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ يعني: المشي معه في الجبل، وكان له ثلاث عشرة سنة، أو سبع ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (يَا بُنَيَّ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها(١).

﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ ﴾ أي: رأيت ﴿ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ من الرأي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَرَى) (أَنِّيَ أَذْبَحُكَ) بنصب الياء فيهما، والباقون: بإسكانها(٢)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (مَاذَا تُرِي) بضم التاء وكسر الراء كسرة خالصة بعدها ياء؛ أي: ماذا تُريناه من رأيك، أتجزع أم تصبر؟ وقرأ الباقون: بفتح التاء والراء، وأبو عمرو: يميل فتحة الراء، وورش: بين بين على أصلهما، والباقون: بإخلاص فتحها(٣)، وليس كرأي العين على القراءتين، وإنما

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦-١٨٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٦٩-٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٢).

شاور ولده؛ ليعلم صبره، لا ليصبره، وشاوره ليأنس بالذبح؛ فإن صدور العظيم بغتة عظيم، وليحصل له الأجر بانقياده لطاعة الله وطاعة والده.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على ذلك، ومن أسند المشيئة إلى الله تعالى، والتجأ إليه، لم يعطب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (يَا أَبَتَ) بفتح التاء، ووقفا: (يَا أَبَهْ) بالهاء، وافقهما في الوقف ابن كثير، ويعقوب[1]، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (سَتَجِدُنِيَ) بفتح الياء: والباقون: بإسكانه[2].

والذبيح[3] هو إسماعيل ـ عليه السلام ـ على قول الجمهور، وهو الراجح؛ بدليل أن ذكر البشارة بإسحاق ـ عليه السلام ـ بعد الفراغ من قصة المذبوح، فقال تعالى: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فدل على أن المذبوح غيره، وأيضاً فإن الله تعالى قال في سورة هود: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [الآية: ٧١] فلما بشره بإسحاق، بشره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق، وقد وعد له بنافلة منه، وهو قول العباس بن

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٧)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٣).

(٣) جاء على هامش «ت»: «والقصة بحذافيرها تذكر في أكثر التفاسير والسير والقصص والتواريخ وشبهها، مع ما فيه من الكلام، وقد ذكرنا بعضها بتوفيق العزيز العلام».

عبد المطلب، وابنه، وعبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، ومجاهد، وغيرهم[١].

وروي عن معاوية أنه ذكر عنده: هل الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ قال: على الخبير سقطتم، كنت عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل فقال له: يا ابن الذبيحين! فضحك رسول الله ﷺ، فقيل لمعاوية: يا أمير المؤمنين! وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما حفر زمزم، نذر لئن سهل الله له أمرها، ليذبحن أحد أولاده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، فقالوا له: افد ابنك بمئة من الإبل، ففداه، والثاني إسماعيل عليه السلام[٢].

وعن بعض علماء اليهود ممن أسلم وحسن إسلامه: أن علماء اليهود يعلمون أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدون العرب أن يكون أباً لهم[٣].

وعند أهل الكتابين[٤] أن الذبيح إسحاق، وهو قول عمر، وعلي،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١٠٨) وما بعد.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٦). قال الذهبي في «مختصره»: وإسناده واه. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي» (٣/ ١٧٨).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٦٦)، والزمخشري في الكشاف (٥/ ٤٨٠)، ورواه ابن إسحاق وابن جرير عن محمد بن كعب، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٤).

(٤) جاء على هامش «ت»: «حكاه القرطبي وغيره عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله».

وابن مسعود، وكعب، ومقاتل، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وغيرهم، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا﴾ أمر بذبح مَنْ بُشر به، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحق، وهو قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [الآية: ٧١]، وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ.

وروي أنه لما بُشر بالولد، قال: هو بإذن الله ذبيح. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ قيل له: أوف بنذرك، فقال لولده: انطلق نقربْ قرباناً لله ـ عز وجل ـ، وأخذ سكيناً وحبلاً، فانطلق معه حتى ذهب بين الجبال، فقال: يا أبت! أين قربانك؟ ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾، فمن قال: إن الذبيح إسماعيل، فيقول: إن الذبح كان بمكة، ومن الدليل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصيمع! أين ذهب عقلك؟ متى كان إسحق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه(١).

وعن ابن عباس قال: «الذبيح إنه إسماعيل، وتزعم اليهود أنه إسحق، وكذبت اليهود»(٢).

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٦٦).
(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسير» (٢١/ ٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٧).

ومن زعم أن إسحق هو الذبيح، فيقول: كان موضع الذبح بالشام على ميلين من إيلياء، وهي بيت المقدس، وزعمت اليهود أنه كان على صخرة بيت المقدس، فأراد الشيطان فتنتهم، فجاء أم الغلام على صورة رجل، فقال: تدرين أين ذهب بابنك؟ قالت: ذهب به يحتطب، قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا، هو أرحم به، وأشد حباً له من ذلك، قال: زعم أن الله أمره بذلك، قالت: فإن أمره بذلك، فقد أحسن أن يطيع ربه، فأتى الابنَ فقال: تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: يحتطب، قال: لا والله ما يريد إلا ذبحك، قال: ولم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به، فسمعاً وطاعة، ثم جاء الأبَ فقال: أين تريد؟ فقال: هذا الشعب لحاجة، قال: أرى الشيطان قد جاءك مناماً، فأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه، فقال: إليك عني يا عدو الله، فوالله لأمضين لأمر ربي، فرجع إبليس بغيظه، لم يصب من إبراهيم وأهله شيئاً مما أراد.

وروي أن إبليس عرض لإبراهيم بهذا المشعر، فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم ـ عليه السلام ـ لأمر الله تعالى، ومنه شُرِع رمي الجمار في الحج، وهو من واجبات الحج، يجب بتركه الفدية باتفاق الأئمة. ولما عزما على الذبح، قال: يا أبتاه! اشدد وثاقي لئلا أضطرب، واجمع عليك ثيابك لئلا يصيبها دمي، واستحد شفرتك، وأسرع مَرَّها على حلقي، فهو أهون علي، وسلم على أمي، واردد عليها قميصي؛ فهو أسلى لها، فقال:

نعم العون أنت يا بني على أمر الله تعالى، ففعل ما أمر به ابنه، وقبله بين عينيه وقد ربطه وهو يبكي.

* * *

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ۝١٠٣﴾.

[١٠٣] ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ استسلما وانقادا لأمر الله ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ صرعه على جانب الجبهة، وكان ذلك بمنى عند الصخرة، ثم أوثقه، ووضع السكين على حلقه، فانقلبت السكين مراراً، ولم تعمل شيئاً بقدرة الله سبحانه، فقال: أكبني لوجهي لئلا ترحمني إذا نظرته، ولئلا أجزع من الشفرة، ففعل ووضع الشفرة على قفاه، فانقلبت، فقال: اطعن بها طعناً، فطعنه فانثنت(١)، وجواب (فلما) محذوف؛ أي: فلما أسلما وتله.

* * *

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤﴾.

[١٠٤] ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾.

* * *

﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥﴾.

[١٠٥] ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ أي: عملت بما أُمرت أجزل أجرهما،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٧-٦٦٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٧٨) عن ابن عباس.

ونحو هذا مما يقتضيه المعنى. قرأ الكسائي، وخلف: (الرُّؤْيَا) بالإمالة[١].

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل لإفراج تلك الشدة عنهما بإحسانهما.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦)﴾.

[١٠٦] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبح ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ الاختبار الظاهر.

* * *

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾.

[١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ هو كبش رعى في الجنة أربعين خريفاً[٢]، روي أنه الذي قربه قابيل ابن آدم، فنظر إبراهيم، فإذا هو بجبريل ـ عليه السلام ـ معه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء ابنك فاذبحه دونه، فكبر جبريل ـ عليه السلام ـ، وكبر الكبش، وكبر إبراهيم، وكبر ابنه ـ عليهما السلام ـ[٣]، فأخذ إبراهيم الكبش، وأتى به المنحر من منى، فلما ذبحه، قال جبريل: الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٨) عن سعيد بن جبير. وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ١١٣).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٦٩).

إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فبقي سنة، وتقدم في سورة البقرة [الآية: ١٨٥] وقت التكبير للعيدين، واختلاف الأئمة في صفته.

* * *

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨)﴾.

[١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسناً.

* * *

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)﴾.

[١٠٩] ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

* * *

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)﴾.

[١١٠] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

* * *

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١)﴾.

[١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدم تفسيره في قصة نوح.

قال البيضاوي: لعله طرح عنه (إنا) اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة[١].

* * *

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)﴾.

[١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ حال مقدرة من إسحاق؛ أي: يوجد نبياً.

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٣).

﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ فمن جعل الذبيح إسماعيل، قال: بشر بعد هذه القصة بإسحاق نبياً جزاء الطاعة، ومن جعل الذبيح إسحاق، قال: بشر بنبوة إسحاق، رواه عكرمة عن ابن عباس قال: «بشر به مرتين: حين ولد، وحين نبئ»(١).

* * *

﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

[١١٣] ﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني: إبراهيم في أولاده ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ﴾ بكون أكثر الأنبياء من نسله.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ ظاهر.

* * *

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ بالنبوة.

* * *

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾.

[١١٥] ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٤٤). وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٠).

﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ﴾ أي: من الغم ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ وهو استرقاق فرعون.

* * *

﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٦﴾.

[١١٦] ﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾ يعني: موسى وهارون وقومهما.

﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ على القبط.

* * *

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧﴾.

[١١٧] ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ﴾ البليغ في بيان الحدود والأحكام، وهو التوراة.

* * *

﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١١٨﴾.

[١١٨] ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الطريق الموصل إلى الحق.

* * *

﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩﴾.

[١١٩] ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

* * *

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠﴾.

[١٢٠] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

* * *

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٢١ ﴾.

[١٢١] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٢٢ ﴾.

[١٢٢] ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تقدم تفسير نظيره.

* * *

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٢٣ ﴾.

[١٢٣] ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ ﴾.

[١٢٤] ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (وَإِنَّ الْيَاسَ) بوصل همزة (الْيَاسَ)، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مكسورة(١).

وإلياس من أنبياء بني إسرائيل، قال ابن عباس: «هو ابن عم اليسع»، وقال محمد بن إسحاق: هو ابن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٩-٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٥٨).

روي أن سبطاً من أسباط بني إسرائيل كانوا ببعلبك ونواحيها، وعليهم ملك اسمه آجب قد أضل قومه، وأجبرهم على عبادة الأصنام، وكان يعبد هو وقومه صنماً من ذهب يقال له: بعل، طوله عشرون ذراعاً، فبعث الله إليهم إلياس نبياً، فدعاهم إلى الله ـ عز وجل ـ، فلم يسمعوا منه شيئاً، إلا الملك؛ فإنه آمن، وبعلبك مدينة معروفة بالشام، وكان اسمها بك، وبعل هو اسم الصنم، وهو بلغة اليمن الرب، فنسبت المدينة إليه، وسميت بعلبك، وكانت امرأة الملك غير محصنة، قتالة للأنبياء والصالحين، واسمها أزبيل، فقتلت جارها، وكان رجلاً صالحاً اسمه مزدكي، وأخذت بستانه، فغضب الله تعالى له، فبعث إليه إلياس، وقال: قل له لتردن بستانه على ورثته، وإلا لتهلكن، فقال إلياس لقومه: ألا تتقون الله، وتردون البستان، وتذرون عبادة الأوثان!

***

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

[١٢٥] ثم وبخهم على ذلك فقال: ﴿أَتَدْعُونَ﴾ تعبدون.

﴿بَعْلًا﴾ اسم الصنم ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ وتتركون عبادته.

***

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

[١٢٦] ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ) بنصب الأسماء الثلاثة، فنصب اسم (الله) بدل من (أَحْسَنَ) (رَبَّكُمْ) نعته، وتعطف

عليه (وَرَبَّ آبَائِكُم)، وقرأ الباقون: برفع الأسماء الثلاثة (اللَّهُ) مبتدأ، (ربُّكُمْ) خبره، (وَرَبُّ آبَائِكُمْ) عطف عليه[1].

* * *

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

[١٢٧] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ مجموعون للعذاب.

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

[١٢٨] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ فإنهم نجوا من العذاب، وتقدم اختلاف القراء في (الْمُخْلَصِين) [الآية: ٤٠]، فلما سمع الملك كلامه، غضب غضباً شديداً، وعاد إلى الكفر وعبادة بعل، وهمَّ بقتل إلياس، فلحق بالجبال متعبداً، ثم دعا الله تعالى أن يريحه منهم، فأهلك الله الملك وقومه وزوجته، ورفع الله إلياسَ إلى السماء، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فكان إنسياً ملكياً، أرضياً سماوياً.

وروي أن إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويوافيان الموسم كل عام.

وروي أن إلياس موكل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار، والله أعلم[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٢١٠) عن الحسن. وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٦). وهذا الخبر هو من أخبار بني إسرائيل، ومرجعه إلى =

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ ﴾.

[١٢٩] ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾.

* * *

﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

[١٣٠] ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ **قرأ** نافع، وابن عامر، ويعقوب: (آلِ يَاسِينَ) بفتح الهمزة والمد، وقطع اللام من الياء وحدها مع كسرها؛ مثل: (آلِ يَعْقُوبَ)، وكذا رسمت في جميع[(١)] المصاحف، المعنى: أنه سلم على آل هذا النبي، فتكون على هذه القراءة كلمتين، فيجوز قطعها وقفاً، وقيل: المراد: آل محمد ﷺ، قال البغوي[(٢)]: وهذا القول بعيد؛ لأنه لم يُسْبَق له ذكر، قال البيضاوي: لا يناسب نظم سائر القصص[(٣)]؛ فإن المذكور في سائر القصص هو السلام على الأنبياء؛ نحو: سلام على موسى وهارون، وسلام على نوح، فأضيف الآل إليه، **وقرأ** الباقون: بكسر الهمزة وقصرها، وإسكان اللام بعدها، ووصلها بالياء كلمة واحدة في

= مسلمة أهل الكتاب، ومن تتبع الروايات التي تذكر الخضر وإلياس، يجد اضطراباً شديداً وتضارباً وتناقضاً عجيباً، فمثلاً يرى رواية تقول: «إن الله أوحى إلى إلياس: إني قد جعلت أرزاقهم بيدك» وفي هذه الرواية «موكل بالبحار»!!؛ وهكذا الباطل يكون مضطرباً لجلجاً، وأما الحق فهو ثابت أبلج. انظر: «الإسرائيليات» للشيخ أبي شهبة (ص: ٢٦١ـ٢٦٤).

(١) في «ت»: «بعض».

(٢) في «تفسيره» (٣/ ٦٧٧).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٦).

الحالين(١)، وإن انفصلت رسماً، فعلى قراءة هؤلاء [لا يجوز قطعها والوقف على اللام؛ لكونها من نفس الكلمة اتفاقاً، وتكون هذه الكلمة على قراءة هؤلاء](٢) قطعت رسماً، واتصلت لفظاً، ولا يجوز اتباع الرسم فيها وقفاً إجماعاً، ولم يقع لهذه الكلمة نظير في القراءة، [والمعنى على هذه القراءة: السلام على هذا النبي، وعلى من وسم باسمه، أو عليه وعلى](٣) أهل دينه، وجمعوا معه؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وكان إلياس قبل زكريا عليه السلام.

***

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾.

[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

***

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

[١٣٢] ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدم تفسيره.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٦_٢٤٧).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

[١٣٣] ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ هو لوط ابن أخي إبراهيم عليهما السلام.

* * *

﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

[١٣٤] ﴿ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

[١٣٥] ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ الباقين في العذاب، وهي امرأته، وكانت كافرة، وكان نكاح الوثنيات والإقامة عليهن جائزاً، والغابرون: الباقون، ومعناه هنا: بقيت في الهلاك.

* * *

﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

[١٣٦] ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ والتدمير: الإهلاك، وتقدم ذكر قصته في هود، والحجر.

* * *

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾.

[١٣٧] ثم خاطب تعالى قريشاً، وهو على معنى: قل لهم يا محمد: ﴿ وَإِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم ﴾ أي: آثار قوم لوط إذا سافرتم ﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ وقت الصباح.

﴿ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨ ﴾.

[١٣٨] ﴿ وَبِٱلَّيۡلِۚ﴾ أي: وبالنهار.

﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ بما حل بمن تقدمكم، فتعتبرون بهم؟!

* * *

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ ﴾.

[١٣٩] ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ من جملة من أرسله الله عز وجل.

* * *

﴿ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ ﴾.

[١٤٠] ﴿ إِذۡ أَبَقَ ﴾ هرب، وعبر عن هروبه بالإباق؛ من حيث هو عبد الله فَرَّ عن غير إذن من مولاه، فهذا حقيقة الإباق، روي أنه كان في سيرتهم أن يقتلوا الكذاب إذا لم تقم له بينة، فخاف يونس، وغضب مع ذلك، فأبق ﴿ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ السفينة المملوءة؛ لأن يونس لما لم ينزل العذاب بقومه، خرج كالمتسور منهم، فجاء إلى البحر ومعه امرأته وابنان له، فأركب امرأته في مركب، فحال بينهما الموج، جاءت موجة فأخذت أحد ابنيه، وأخذ الذئب الآخر، فبقي وحيداً، فركب سفينة، فلما لججوا في البحر، وقفت، فقال الملاحون: هنا عبد آبق[١].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٨).

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ .

[١٤١] ﴿ فَسَاهَمَ ﴾ قارعَ أهل السفينة من الآبق .

﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾ المقروعين المغلوبين .

* * *

﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ .

[١٤٢] فألقوه في البحر ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ داخل في الملامة .

* * *

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

[١٤٣] ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴾ الذاكرين الله قبل ذلك، وكان كثير الذكر .

* * *

﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

[١٤٤] ﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة .

روي أنه أُوحي إلى الحوت : إنا جعلنا بطنك له سجناً ، ولم نجعله لك طعاماً[١] .

* * *

---

(١) انظر : «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٤٨٦) .

﴿ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

[١٤٥] ﴿ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ ﴾ طرحناه ﴿ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ وجه الأرض ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ عليل كالفرخ الممعط، قد بلي لحمه، ودق عظمه، ولم يبق له قوة(١).

* * *

﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ ﴾.

[١٤٦] ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ هي القرع؛ ليستظل بظلها، ولئلا يقربه ذباب، وجاءته وعلة يشرب لبنها صباحاً ومساء، فاشتد لحمه، ونبت شعره.

* * *

﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

[١٤٧] ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ ﴾ هو ما سبق من إرساله، وقيل: إرسال ثان.

﴿ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ وهم أهل نينوى بأرض الموصل، أُرسل إليهم قبل الحوت، وأرسل إلى غيرهم بعد الحوت، وكانت الزيادة عشرين، وقيل: ثلاثين، وقيل: سبعين ألفاً.

* * *

﴿ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

[١٤٨] ﴿ فَـَٔامَنُوا۟ ﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ ﴾ أبقيناهم ممتعين.

﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ تنقضي آجالهم فيه، وتقدم ذكر قصته في سورة يونس(٢).

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) في «ت»: «الأنبياء».

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

[١٤٩] ولما زعم جهينة وبنو سلمة بن عبد الدار أن الملائكة بنات الله، نزل رداً عليهم: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾ فسل يا محمد أهل مكة سؤالَ توبيخ.

﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴾ المعنى: كيف يخصكم بالأسنى، ويختص بالأردأ، مع قدرته؟ هذا لا يقبله عقل.

* * *

﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

[١٥٠] ثم زادهم توبيخاً فقال: ﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴾ حاضرون ذلك، فيقدمون على ما يقولون.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ .

[١٥١] ثم صرح بتكذيبهم فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ ﴾ من كذبهم ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ .

* * *

﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ .

[١٥٢] ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله، والولد يعم الذكر والأنثى، والقليل والكثير، تلخيصه: قالوا: لله ولد ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في قولهم.

* * *

﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ۝١٥٣ ﴾ .

[١٥٣] ﴿ أَصۡطَفَى ﴾ المعنى: أَختارَ تعالى ﴿ ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ .

* * *

﴿ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝١٥٤ ﴾ .

[١٥٤] ﴿ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الفاسد. قرأ أبو جعفر: (لَكَاذِبُونَ اصْطَفَى) بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدىء بهمزة مكسورة حذف حرف الاستفهام، وهو مراد، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة وقطعها مما قبلها وصلاً[١]؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة الوصل، فحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام، وبقيت همزة الاستفهام مفتوحة.

* * *

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٥٥ ﴾ .

[١٥٥] ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ تتعظون. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذْكُرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديدها[٢].

﴿ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٌ مُّبِينٌ ۝١٥٦ ﴾ .

[١٥٦] ﴿ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾ حجة واضحة أن لله ولداً.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٨).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٩).

﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

[١٥٧] ﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ ﴾ الذي لكم فيه حجة .

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولكم .

* * *

﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ .

[١٥٨] ﴿ وَجَعَلُوا۟ ﴾ أي : الملائكة المشركون ﴿ بَيْنَهُۥ ﴾ تعالى .

﴿ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ أي : الملائكة ﴿ نَسَبًا ﴾ بقولهم : الملائكة بنات الله .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ﴾ يعني : قائلي هذه المقالة .

﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴾ في النار ، والملائكة سميت بذلك ؛ لأنها مستجنة ؛ أي : مستترة من الأبصار .

* * *

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

[١٥٩] ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه الناس ولا يليق به ، فقال :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ بأن له ولداً .

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ .

[١٦٠] ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء من (يَصِفُونَ) ؛ لأن المخلصين يصفونه بصفاته العلا .

* * *

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ .

[١٦١] ﴿ فَإِنَّكُمْ ﴾ يعني : المشركين ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ من الأصنام .

* * *

﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

[١٦٢] ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ الضمير في (عليه) لله سبحانه .

﴿ بِفَٰتِنِينَ ﴾ مضلين على الله بالإغواء .

* * *

﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

[١٦٣] ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ إلا الذين سبق في علمه تعالى أنهم يصلونها . وقف يعقوب (صالي) بإثبات الياء(١) .

* * *

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

[١٦٤] ثم أخبر جبريل ـ عليه السلام ـ أن لكل واحد منهم مقاماً مختصاً به ، وأنهم عبيد مربوبون مسبحون ، فقال : ﴿ وَمَا مِنَّآ ﴾ أحد .

﴿ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ في السموات يَعبد فيه ، ولا يتجاوزه إلا بإذن .

* * *

---

(١) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٤٩) .

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ .

[١٦٥] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ أقدامنا للصلاة .

* * *

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ .

[١٦٦] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ المنزهون الله تعالى عما لا يليق به .

* * *

﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ .

[١٦٧] ولما قال الكفار: لو كان لنا كتاب كالتوراة والإنجيل، لآمنا وخضعنا، فلما جاءهم ـ عليه السلام ـ بالقرآن، كفروا به، نزل: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴾[1] .

* * *

﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ .

[١٦٨] ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا ﴾ كتاباً ﴿ مِّنَ ﴾ كتب ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ التي نزلت عليهم .

* * *

﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ .

[١٦٩] ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ له، ولم نخالف مثلَهم .

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦٩).

﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ .

[١٧٠] ﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ ﴾ أي: فلما أتاهم ذلك الكتاب، وهو القرآن، كفروا به.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة كفرهم.

***

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ .

[١٧١] ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾ عِدَتُنا بالنصر ﴿ لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهي: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وسميت جماعة الحروف كلمة؛ لأنها في معنى واحد.

***

﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ .

[١٧٢] ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي: الرسل ﴿ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ على من ناوأهم.

***

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ .

[١٧٣] ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا ﴾ المؤمنين ﴿ لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ المظفرون بإرادتهم، المستوجبون الفلاحَ في الدارين.

***

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ .

[١٧٤] ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أعرضْ عن كفار مكة وعن أذاهم.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: حين نأمرك بقتالهم، فالآية محكمة.

* * *

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما ينكرون.

* * *

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

[١٧٦] فثَمَّ قالوا استهزاء واستعجالاً: متى نزول العذاب؟ فنزل: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[1]؟

* * *

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

[١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ هي الرحبة التي يديرون أخبيتهم حولها ﴿فَسَآءَ﴾ فبئس ﴿صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الذين أنذروا فلم يؤمنوا، والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب. ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة في الصباح، سموا الغارة: صباحاً، وإن وقعت في وقت آخر.

* * *

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾.

[١٧٨] وكرر: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨١).

﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾.

[١٧٩] ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما يُفعل بهم؛ تهديداً لهم، وتسلية له ﷺ.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

[١٨٠] ثم نزه نفسه تعالى فقال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾ الغلبةِ والقدرةِ؛ أي: مالكها ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ من اتخاذ الأزواج والأولاد.

* * *

﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ ﴾.

[١٨١] ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ الذين بلَّغوا عن الله الشرائع والتوحيد، تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.

* * *

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

[١٨٢] ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ على نصر أنبيائه، وإهلاك أعدائه، وعلى كل حال.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سَلَّمتم عليَّ، فسلموا على المرسلين؛ فإنما أنا أحدُهم»[١]، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة مرفوعاً. وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٤٩٠)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٦).

مُحتَوَى المُجَلَّد الخَامِس

* * *

فتح الرحمن
في
تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ISBN : ٩٧٨ _ ٩٩٣٣ _ ٤١٨ _ ١٦ _ ٨ : ردمك

9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَّسَة دار النَّوادر م. ف - سُورية * شركة دار النَّوادر اللُّبنانيَّة ش. م. م - لُبنان * شركة دار النَّوادر الكُويتيَّة - ذ. م. م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب : ١٤/٥١٨٠ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسَّسَهَا سَنَة : ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَام وَالرَّئِيسُ التَّنفِيذِي

فتح الرحمن في تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد السادس

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص

مكية بإجماع من المفسرين، وآيها: ثمان وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وتسعة وستون حرفاً، وكلمها: سبع مئة واثنتان وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ١﴾.

[١] ﴿صٓ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت، فيقف على ص، والقراء العشرة متفقون على أن قراءة (صَادْ) بسكون الدال[١]؛ لأنها لا تستحق حركة بناء؛ لأن سكونها عارض؛ لأنها لفظ محكي[٢] كألفاظ الأعداد، ولا إعراب؛ لعدم مقتضيها، والجمهور على أنه حرف المعجم المعروف، ويدخله ما يدخل سائر السور من الأقوال.

واختلف في معناه على وجوه، منها: أنه مفتاح أسماء الله تعالى التي أولها صمد، وصادق الوعد، ومنها: أن معناه صدق الله، ومنها: أنه إشارة

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٣).

(٢) «لأنها لفظ محكي» زيادة من «ت».

إلى صدود الكفار عن القرآن، وعن ابن عباس: معناه: «صدق محمد»[(١)]، وقيل غير ذلك.

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ أي: ذكر البيان، وهو قسم جوابه محذوف، تقديره: إنه لكلام معجز. قرأ ابن كثير: (وَالْقُرَانِ) بالنقل، والباقون: بالهمز[(٢)].

* * *

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾.

[٢] ثم قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة.

﴿فِي عِزَّةٖ﴾ تكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٖ﴾ عداوة للنبي ﷺ.

* * *

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣﴾.

[٣] ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾ من الماضين ﴿فَنَادَواْ﴾ استغاثة عند حلول النقمة، ﴿وَّلَاتَ﴾ بمعنى ليس، واسمها تقديره: ولاتَ الحينُ.

﴿حِينَ مَنَاصٖ﴾ والمناص: المفر، ناص ينوص: إذا فات، المعنى: ليس وقت فرار. ووقف الكسائي: (وَلاَهْ) بالهاء[(٣)].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٨٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٤٩١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٤).

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ٢٣٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٤).

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

[٤] ولما قال النبي ﷺ للكفار: إن إلهكم إله واحد، نفروا ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ هو محمد ﷺ.

﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ فيما يقوله على الله.

***

﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ كيف يسعُ الخلقَ كلَّهم إلهٌ واحد.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ بليغ في العجب.

***

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ ﴾ وهم أشراف قريش بعد اجتماعهم في مجلس أبي طالب، وشكواهم إليه: أن رسول الله ﷺ يسب آلهتهم، فبكّتهم النبي ﷺ، وأمرهم بالتوحيد، فنفروا من ذلك، وانطلقوا من ذلك[١] الجمع قائلين بعضهم لبعض:

﴿ أَنِ ٱمْشُوا۟ ﴾ سيروا على طريقتكم ﴿ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ﴾ عبادة ﴿ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ ولا تلتفتوا إلى قول محمد.

﴿ إِنَّ هَٰذَآ ﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﷺ.

---

(١) «وانطلقوا من ذلك» زيادة من «ت».

﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ أي: لأمر يريده الله، وقيل: يريدون: ظهورَ محمد ﷺ وعلوه بالنبوة؛ أي: يراد الانقياد منا إليه، وذلك أن عمر ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم، وحصل للمسلمين قوة بمكانه، قالوا ذلك.

***

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)﴾.

[٧] ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ التوحيد ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: دين قريش.

﴿إِنْ هَٰذَا﴾ القولُ بالتوحيد والبعث ﴿إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ كذب، اختلقه محمد من تلقاء نفسه.

***

﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)﴾.

[٨] ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ أَخُصَّ بالقرآن من دوننا؟ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَانْزِلَ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، واختلف عن أبي عمرو وقالون، وقرأ الباقون، وهم الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام راوي ابن عامر في الفصل مع تحقيق الهمزتين[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٦).

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ﴾ من القرآن، فلم يؤمنوا ﴿ بَل لَّمَّا ﴾ أي: بل[1] لم.

﴿ يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ فلذلك شكوا، فإذا عذبوا، زال شكهم، وآمنوا، فلا ينفعهم إيمانهم. قرأ يعقوب: (عَذَابِي) بإثبات الياء[2].

* * *

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾ المعنى: أيملكون مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤوا؟!

* * *

﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ فإن زعموا ذلك.

﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ أي: ليصعدوا في الطرق التي توصلهم إلى السماء، وليأتوا منها بالوحي لمن يختارون.

* * *

﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾ (ما) زائدة بمعنى النفي، و(هُنَالِكَ) إشارة إلى حيث وضعوا أنفسهم من الكفر ومعاداة

---

(١) «أي: بل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٦).

رسول الله ﷺ، المعنى: ما هم إلا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ مكسورٌ عن قريب، فمن أين لهم التدابير الإلهية؟! فلا يضيق صدرك، فإني ناصرك.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ ﴾.

[١٢] ثم ذكر المتحزبين قبلهم فقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ أي: البناء المحكم، وكان أيضاً يعذب الناس بالأوتاد.

* * *

﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ ﴾ وهم قوم شعيب، وتقدم تفسير (الأيكة)، واختلاف القراء فيها في سورة الشعراء.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المذكورون ﴿ ٱلْأَحْزَابُ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء.

* * *

﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ ﴾.

[١٤] ﴿ إِن كُلٌّ﴾ أي: ما كل واحد من الأحزاب ﴿ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدهم، فقد كذبوا جميعَهم؛ لأن دعوتهم واحدة.

﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ وجب عليهم عذاب. قرأ يعقوب: (عِقَابِي) بإثبات الياء[١].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٧).

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَمَا يَنظُرُ ﴾ أي: ينتظر ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً ﴾ تحل بهم العذاب سريعاً، وهي النفخة الأولى. واختلاف القراء في الهمزتين من (هَؤُلاَءِ إِلاَّ) كاختلافهم فيهما من (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣] ﴿ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ أي: ليس بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فُوَاقٍ) بضم الفاء، والباقون: بفتحها(١)، وهما لغتان، فالفتح لغة قريش، والضم لغة تميم.

* * *

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ولما نزل في الحاقة: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ ﴾ [الآية: ٢٥]، استهزأ المشركون ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ كتابنا(٢) في الدنيا.

﴿ قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ والقِطُّ: الصحيفة التي أحصت كل شيء.

* * *

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] قال الله تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ يا محمد فيك مما يؤذيك، فإني ناصرك، ولما أُمر بالصبر، أُمر بذكر داود ـ عليه السلام ـ، وما جرى

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٨٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٥٧ـ٢٥٨).

(٢) «كتابنا» زيادة من «ت».

له؛ ليعلم الكفار أن داود وإن كان عظيماً عند الله تعالى، لما صدرت عنه المعصية[1]، لم يزل مستغفراً إلى أن فارق الدنيا، فلعلهم يؤمنون؛ لأن كفرهم أعظم من ذنب داود، فقال تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ذا القوة في الدين والعبادة.

قال ﷺ: «إنَّ أَحَبَّ الصيام إلى الله صيامُ داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل الأول، ويقوم ثلثَه، وينام سدسَه»[2] مع سياسته الملك، وكان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوماً: يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو في عبادة ربه، ويوماً لنسائه وأشغاله ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاع إلى الله.

* * *

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ وقت العشاء.

﴿وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ حين تشرق الشمس.

---

(١) انظر ما سيأتي من التعليق (ص ١٧ـ ١٨) لتعلم أن الأخبار الواردة في شأن سيدنا داود ـ عليه السلام ـ غير ثابتة، وليس لها من الصحة أدنى نصيب، ومعلوم أن من أسباب وضعها واختلاقها أن يبرِّر واضعوها ـ وهم بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى ـ لأنفسهم المعاصي والآثام، وأما الذي نصَّ عليه القرآن في قصته: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾.

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٨)، كتاب: الأنبياء، باب: أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، ومسلم (١١٥٩)، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر، من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَٱلطَّيْرَ ﴾ عطف على الجبال .

﴿ مَحْشُورَةً ﴾ حال ؛ أي : مجموعةً إليه .

﴿ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ مطيع رجَّاع بصوته ، فكان إذا سبح ، سبحت الجبال ، وجمعت له الطير ، فسبحت معه .

* * *

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَشَدَدْنَآ ﴾ قوّينا ﴿ مُلْكَهُۥ ﴾ بالعدل والتأييد .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ النبوة ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ علم القضاء ، والخطاب : قول يفهم منه من سمعه شيئاً مفيداً .

* * *

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] روي أن داود لما صار له ثمان وخمسون سنة ، وهي السنة الثانية والعشرون من ملكه ، كانت قصته مع أوريا وزوجته ، وملخصها : أنه رأى في الكتب ما أُعطي إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ ، فقال : يا رب! أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي ، فأوحى الله إليه أنهم ابتلوا فصبروا ، فقال : يا رب! لو ابتليتني ، لصبرت ، فأوحي إليه أنك تبتلى في شهر كذا في يوم كذا ، فاحترس ، فلما جاء الموعد ، دخل محرابه ، وأغلق عليه بابه ، فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن ، فوقعت بين رجليه ، فأراد أخذها

ليري بني إسرائيل قدرة الله تعالى، فذهبت إلى كوة هناك، فأراد أخذها، فذهبت، فنظر في الكوة، فإذا بامرأة من أجمل النساء تغتسل، فعجب داود من حسنها، فالتفتت فأبصرت ظله، فنقضت شعرها، فغطى جميع بدنها، فزاد عجباً، فسأل عنها، فقيل: هي تيشارع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها في غَزاة في البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود، فكتب داود إلى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا، وقدمه قبل التابوت[1]، وكان من قدم على التابوت، لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه، أو يستشهد، فبعثه وقدمه، ففتح عليه [ثم أرسل إليه أن قدمه إلى جيش كذا، أعظم من الأول، فقدمه، ففتح عليه][2]، فأمره أن يقدمه ثالثة إلى جيش أعظم من الأولين، ففعل، فقتل، وانقضت عدتها، فتزوجها داود، وهي أم سليمان ـ عليه السلام ـ، فلما دخل بها، لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله إليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته، وهما جبريل وميكائيل، فطلبا أن يدخلا عليه، فمنعهما الحرس، فتسورا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي إلا بهما بين يديه جالسين، فذلك قوله تعالى: ﴿ ۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾ مفرد يعم الذكر والأنثى، والقليل والكثير، والمراد: الملكان ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ﴾ تصعدوا سور ﴿ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ صدر المسجد.

قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (الْمِحْرَابَ) بالإمالة[3]، والاستفهامُ هنا بمعنى الإخبار، المعنى: قد وصل إليك خبرهما.

---

(١) «التابوت» ساقطة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/٢٥٩).

﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ ﴾ بغتة من غير الباب.

﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ حين هجما عليه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما علي؟

﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْ ﴾ نحن.

﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ جئناك لتقضي بيننا، فرضا ذلك فرضاً.

﴿ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ لا تَجُرْ في حكمك.

﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ أرشدنا إلى طريق الصواب.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] فقال داود: تكلما، فقال أحدهما: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى ﴾ أي: في الدين.

﴿ لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ تمييز، يعني: امرأة ﴿ وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ والعرب تكني بالنعجة عن المرأة. قرأ حفص عن عاصم (وَلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ ضُمَّها إلي(٢)؛ أي: طلقها لأتزوجها

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦١).

(٢) «ضمها إلي» زيادة من «ت».

﴿ وَعَزَّنِي ﴾ غلبني ﴿ فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾ أي: في القول، المعنى: له الغلبة علي بكل حال، وإن كان الحق لي؛ لضعفي، وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود؛ حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة، ولأوريا امرأة واحدة، فضمَّها إلى نسائه.

* * *

﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] فبعد اعتراف المدعى عليه ﴿ قَالَ ﴾ داود: ﴿ لَقَدۡ ظَلَمَكَ ﴾ قرأ أبو عمرو، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لَقَد ظَّلَمَكَ) بإدغام الدال في الظاء، واختلف عن هشام في هذا الحرف، وقرأ الباقون: بالإظهار(١).

﴿ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ ﴾ أي: بسؤاله إياها ليضيفها.

﴿ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ ﴾ الشركاء.

﴿ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ يظلم بعضهم بعضاً(٢).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ استثناء من (بَعْضُهُمْ)؛ أي: لا يظلمون أحداً.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٢).
(٢) «يظلم بعضهم بعضاً» زيادة من «ت».

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليلٌ، و(ما) زائدة، فلما قضى بينهما داود، تحولا في صورتيهما، وصعدا إلى السماء وهو ينظر، ويقولان: قضى الرجل على نفسه.

﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقن.

﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أنا ابتليناه بالذنب، ونبهناه على خطئه بتلك الحكومة.

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [حال؛ أي: ساجداً، على تسمية السجود ركوعاً، لأنه مبدؤه؛ لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع](١).

﴿وَأَنَابَ﴾ رجع عن جميع المخالفات، ثم مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه إلا لحاجة ضرورية، أو لصلاة مكتوبة، لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه، وهو يجهد نفسه بالبكاء الدائم، والتضرع والاستغفار حتى كاد يهلك(٢)، وهذه السجدة من عزائم السجود

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٨٥ـ١٨٦)، وانظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩٦ـ٦٩٨)، وحيثما وقعت هذه القصص وأمثالها، فعقيدة أهل السنة والجماعة تنزيه الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عمَّا يخلُّ بعصمتهم.
قال العلامة الآلوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٥): وللقصاص كلام مشهور، لا يكاد يصح لما فيه من مزيد الإخلال بمنصبه ـ عليه السلام ـ، وقال أبو حيان: «الذي نذهب إليه ما دلَّ عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب، كانوا من الإنس، دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم، وأنه فزع منهم؛ ظاناً أنهم يغتالونه إذ كان منفرداً، فلما اتضح له أنهم جاؤوا في حكومة... فاستغفر من ذلك الظن وخرَّ ساجداً ورجع إلى الله، وأنه =

عند أبي حنيفة ومالك، وكل منهما على أصله، فأبو حنيفة يقول: هي واجبة، ومالك يقول: هي فضيلة؛ كما تقدم ذكره عند سجدة مريم، وعند الشافعي وأحمد: هي سجدة شكر تستحب في غير الصلاة، فلو سجد بها في الصلاة، بطلت عندهما.

* * *

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] فلما مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، نودي: يا داود! أجائع فتطعم، أو ظمآن فتسقى، أو عار فتكسى؟ فأجيب في غير ما طلب، فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله التوبة والمغفرة، وأتاه نداء: إني قد غفرت لك، قال: يا رب! كيف وأنت[1] لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أوريا، فناده، وأنا أُسمعه نداءك، فتحللْ منه، فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره، ثم نادى أوريا، فقال: لبيك، من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما حاجتك يا نبي الله؟ قال: أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك، قال: وما كان منك إلي؟ قال: عَرَّضتك للقتل، قال: عرضتني للجنة، فأنت في حل، فأوحى الله إليه: يا داود! ألم تعلم أني حكم عدل، لا أقضي بالتعنت؟ ألا أعلمته أنك قد

= سبحانه غفر له ذلك الظن، فإنه ـ عز وجل ـ قال: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ ولم يتقدم سوى قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ ﴾، انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٧).
وانظر: ما سيذكره المصنف قريباً بعد ذكره لهذه القصص المكذوبة.

(١) «وأنت» ساقطة من «ت».

تزوجت امرأته؟ فرجع إليه فناداه، فأجابه، فقال: من هذا الذي قطع علي لذتي؟ قال: أنا داود، قال: يا نبي الله! أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم، ولكن إنما فعلت ذلك لمكان امرأتك، وتزوجتها، فسكت فلم يجبه، ودعاه فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه، ثم نادى: الويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط، سبحان خالق النور، الويل لداود، ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود! قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءك، واستجبت دعاءك، وأقلت عثرتك، قال: يا رب! كيف وصاحبي لم يعف عني؟ قال: يا داود! أُعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم تر عيناه، وما لم تسمع أذناه، فأقول له: رضي عبدي؟ فيقول: يا رب! أنى لهذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه، فيهبك لي، قال: يا رب! الآن عرفت أنك قد غفرت لي، فذلك قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ الذنب.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا﴾ بعد المغفرة يوم القيامة ﴿لَزُلْفَىٰ﴾ لقربى ومكانة.

﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ حسن مرجع ومنقلب يوم القيامة.

ولما تاب الله على داود، قال: يا رب! قد غفرت لي، فكيف لي ألاَّ أنسى خطيئتي، فأستغفر منها لي وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا بسط راحته، فاستقبلَ الناسَ ليروا وسم خطيئته، واستغفر للخطائين قبل نفسه، وكان إذا ذكر عقاب الله، تخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله، تراجعت.

وقد أنكر القاضي عياض ـ رحمه الله ـ ما نقله المؤرخون والمفسرون في هذه القصة، ووهّى قولهم فيها، ونقل عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قالا: «ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك، وأكفلنيها»، فعاتبه الله على ذلك[1]، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، قال: وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره، وحكى قولاً أنه خطبها على خطبته، وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد، ونقل عن الداودي أنه ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم، انتهى[2].

***

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ ﴾ في الكلام حذف يدل عليه ظاهر الكلام، تقديره: وقلنا له: يا داود ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تدبر أمر العباد بأمرنا، والخليفة: من استُخلف مكان من كان قبله، مأخوذ من أنه خلف لغيره،

---

(١) «ذلك» ساقطة من «ت».

(٢) قال الشيخ محمد أبو شهبة بعد ذكره لهذه الأقوال من أنه ـ عليه السلام ـ «خطبها أو أحب بقلبه أن يستشهد...»: وهذه الأقوال ونحوها لست منها على ثلج ولا اطمئنان؛ فإنها وإن كانت لا تخل بالعصمة، لكنها تخدشها، ثم هي لا تليق بالصفوة المختارة من الخلق وهم الأنبياء...، وقال الشيخ الساعاتي: بل لا يصح وقوعها من المتسمين بالصلاح فضلاً عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ: انظر: «الإسرائيليات» (ص: ٢٦٩ـ٢٧٠)، و«الأحاديث الصحيحة في أخبار الأنبياء» لإبراهيم العلي (ص: ١٨٠).

يقوم مقامه في الأمر الذي أُسند إليه فيه؛ كما قيل: أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، فأما الإمام، فمأخوذ من التقدم على غيره في سائر الأمور الشرعية، وعلى الرعية كلها أن يطيعوه في أمره، ويتدبروا بتدبيره، فهو المقدم عليهم إذا انعقد له ذلك بالحجة التي يجب على الجماعة التسليم لها، والانقياد لمن دعا إليها.

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعدل، والحكم لغةً: الفصل، وشرعاً: أمر ونهي يتضمن إلزاماً ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ﴾ نصب جواب، أو جزم جواب النهي، وفتحت اللام للساكنين ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن الدلائل الدالة على الوحدانية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: بتركهم الإيمان به، والإعداد له.

* * *

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ خلقاً.

﴿بَٰطِلٗاۚ﴾ إلا لغرض صحيح.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يعني أهل مكة، ظنوا أنهما خلقا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب.

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

* * *

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ولما قال الكفار[1] للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة مثلَ أجركم، نزل:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ أي: لا نجعل الصالحين كالطالحين، ولا المتقين كالكافرين.

* * *

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا كتاب.

﴿ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ لينظروا في معانيها فيؤمنون. قرأ أبو جعفر: (لِتَدَبَّرُوا) بالخطاب بتاء واحدة مع تخفيف الدال، وقرأ الباقون: بالغيب وتشديد الدال؛ أي: ليتدبروا، فأدغمت التاء[2].

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ويتعظ ذوو العقول السليمة.

* * *

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ سليمانُ؛ لأنه المخصوص بالمدح.

---

(١) في «ت»: «ولما قال كفار قريش».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٤).

﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ رَجّاع عن المخالفات.

***

﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ولفظة (أَوَّاب) هي العامل في: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ﴾ وهو ما بعد الزوال، وكان لسليمان ألف فرس، فصلى الظهر، وكان يريد جهاداً، فجلس على سريره، فأمر أن تُعرض عليه ﴿ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ﴾ جمع صافن من الخيل، وهو القائم على ثلاثة قوائم، ويثني الرابعة، والصفون يختص به عِتاقُ الخيل.

﴿ ٱلۡجِيَادُ ﴾ جمع جواد، وهو الخيار، إن استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت.

***

﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] فعرضت عليه تسع مئة، فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غربت، ولم يُعلم بذلك هيبةً له، فندم ﴿ فَقَالَ ﴾ اعترافاً بذنبه: ﴿ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ أي: آثرت حبَّ الخيل، والعرب تعاقب بين الراء واللام، وسميت بذلك؛ لأن الخير معقود بنواصيها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١)، المعنى اشتغلت بنظري إلى الخيل.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٤).

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ عن صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ الشمس.

﴿بِالْحِجَابِ﴾ ظلمة الليل.

* * *

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ثم قال: ﴿رُدُّوهَا﴾ أي: الخيل ﴿عَلَيَّ﴾ فردُّوها.

﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فجعل يقطع سوقها وأعناقها بالسيف، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته، فذبحها وتصدق بلحومها، فأبدله الله خيراً منها الريح.

روي أنه قتلها إلا مئة، فجميع خيل الدنيا من تلك المئة. قرأ قنبل عن ابن كثير: (بِالسُّؤُقِ) بهمز الواو مضموماً، وعنه وجه ثان بالهمز مجزوماً، وقرأ الباقون: بإسكان الواو بغير همز(١).

* * *

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه(٢)، وسببه أنه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«الكشف» لمكي (٢/ ١٦٠-١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٤).

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨١): نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها، وهي ممَّا لا يحل نقلها؛ وهي من أوضاع اليهود والزنادقة، ولم يبين اللهُ الفتنةَ ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على=

غزا مدينة حصينة في البحر يقال لها: صيدون، فقتل ملكها، وأخذ ابنته جرادة، فاصطفاها لنفسه لحسنها، فعملت تمثال أبيها في بيتها بإذن سليمان لتأنس به، فجعلت هي وجواريها يسجدون له بكرة وعشياً أربعين يوماً، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك، وبلغ ذلك آصفَ بنَ برخيا، وكان صِدِّيقاً، وكان مقرَّباً عند سليمان، فقال: يا نبي الله! كبرت سني، ورق عظمي، ونفد عمري، ولقد حان مني ذهابه، وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأُثني عليهم بعلمي فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً، فذكر من مضى من أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه[1]، فذكر ما فضله الله به حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأفضلك في صغرك[2]، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك! ثم انصرف، فوجد سليمانُ في نفسه من ذلك حتى ملأه غيظاً، فلما دخل سليمان داره، أرسل إليه، فقال: يا آصف! ذكرت من مضى من أنبياء الله، فأثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني، جعلت تثني علي بخير

= كرسي سليمان، وأقرب ما قيل فيه أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن بالحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة.. فلم تحمل إلا امرأة واحدة وجائته بشق رجل»، فالفتنة هو هذا، والجسد الملقى هو المولود شقَّ رجل اهـ، ولتمام الفائدة انظر التعليق في نهاية هذه القصة المختلقة.

(١) «بما فيه» زيادة من «ت».

(٢) «وأفضلك في صغرك» ساقطة من «ت».

في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري، فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فهدم التمثال، وعاقب النساء، ثم أتى الخلاء ووضع خاتمه عند امرأته الأمينة، وكان ملكه في خاتمه، وكان لا يمسه إلا وهو طاهر، فأتاها الشيطان صاحب البحر، واسمه صخر، على صورة سليمان، فأعطته الخاتم، فلبسه، وجلس على كرسي سليمان يحكم بين الناس، وعكفت عليه الطير والوحش والإنس والجن، فخرج سليمان فأتى الأمينة، وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رآه، فقال: يا أمينة! خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت، فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه، وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج، فكان يقول لمن مر به: أنا سليمان بن دواد، فيهزؤون منه، ويحثون التراب في وجهه، فعمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان[1] لأصحاب البحر إلى السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى، باع إحدى سمكتيه بأرغفة، وشوى الأخرى فأكلها، فمكث كذلك أربعين صباحاً عِدَّةَ ما كان عُبد الوثنُ في داره، فأنكر آصف بن برخيا وعظماء بني إسرائيل حكم[2] عدو الله الشيطان في تلك الأربعين، ثم استخبر آصف نساء سليمان، فأخبرنه بأمور قبيحة يعتمدها ذلك الشيطان، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم خرج على بني إسرائيل، وأخبرهم بالحال، فاجتمع القراء والعلماء، وأقبلوا حتى أحدقوا به ونشروا التوراة

---

(١) في «ت»: «الحيات».

(٢) «حكم» ساقطة من «ت».

فقرؤوها، فطار من بين أيديهم، وألقى الخاتم في البحر، فابتلعه حوت، فأخذه بعض الصيادين، وقد عمل له سليمانُ صدرَ يومه ذلك، حتى إذا كان العشي، أعطاه سمكتيه، فباع إحداهما بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها، فوجد الخاتم في جوفها، فلبسه، وخر ساجداً شكراً لله تعالى، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس، وعاد إلى حسنه وبهائه وملكه كحاله الأول، ثم جلس على كرسيه، وطلب صخراً، فجيء به، فجعله في صخرة، وأطبق عليه أخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، وختم عليها بخاتمه، وألقاه في البحر، وكانت فتنته بعد عشرين سنة من ملكه، وملك بعدها عشرين سنة(١).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٩٧ـ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧٠٤ـ٧٠٦)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٧).
قال الإمام ابن كثير: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان ـ عليه السلام ـ؛ فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء. . . وقد رويت القصة مطولة عن جماعة من السلف. . . وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ
يقول الشيخ محمد أبو شهبة ـ رحمه الله ـ ما ملخصُّه: قوة السند لا تنافي كونها مما أخذه ابن عباس وغيره عن كعب الأحبار وأمثاله من مُسلمة أهل الكتاب؛ فثبوتها في نفسها لا ينافي كونها من إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم وافتراءاتهم على الأنبياء. . . والحق أن نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح في هذا، وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله (سليمان)، فأيّ ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟ وكيف يسلِّطُ اللهُ الشيطان على نساء نبيه سليمان، وهو أكرم على الله من ذلك؟! وأيُّ ملك ونبوة يتوقف أمرهما على (خاتم) يدومان بدوامه ويزولان بزواله!!؟ وإذا=

وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن عفريتاً من الجن تفلَّت البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ فرددته خاسئاً»[1].

ولما رد الله على سليمان ملكه وبهاءه، وحامت عليه الطير، وعرف الناس أنه سليمان، قاموا يعتذرون إليه مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، هذا أمر كان لا بد منه.

وأطاعَ سليمانَ جميعُ ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمر على ذلك حتى توفي، وتقدم ذكر وفاته في سورة سبأ، ومحل قبره في سورة البقرة، ومعنى الآية: اختبرنا سليمان بن داود بزوال ملكه.

﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ يعني: العفريت الذي أخذ خاتمه، وجلس على كرسيه، وهو صخر صاحب البحر على أشهر الأقاويل، وسمي جسداً؛ لأنه قد تمثل في جسد سليمان، وليس به.

= كان (خاتم سليمان) ـ عليه السلام ـ بهذه المثابة، فكيف يُغفِلُ اللهُ شأنه في كتابه، فلم يذكره بكلمة! وهل غيَّر اللهُ خِلْقَةَ سليمان في لحظة، حتى أنكرته أعرف الناس به وهي زوجته؟! إذن آثار الكذب والاختلاق بادية على نسج القصة. انظر: «الإسرائيليات» (٢٧٠ـ٢٧٤).

(١) رواه البخاري (٣٢٤١)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ﴾، ومسلم (٥٤١)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة.

وقد أنكر[1] القاضي عياض ـ رحمه الله ـ هذه القصة، وقال: إن معنى ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه، وابتلاؤه ما حكي عن النبي ﷺ: «أنه قال: لأطوفنَّ الليلة على مئة امرأة، أو تسع وتسعين امرأة، كلُّهن يأتينَ بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فلم تحملْ منهن إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءت بِشِقِّ رَجُل»، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده! لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله»[2]، قال أصحاب المعاني: والشقُّ: هو الجسد الذي أُلقي على كرسيه حين عرض عليه، وهي عقوبته ومحنته، قال القاضي عياض[3] ـ رحمه الله ـ: وإن سئل: لِمَ لَمْ يقلْ سليمانُ في القصة المذكورة: إن شاء الله؟ فعنه أجوبة، أَسَدُّها ما روي في الحديث الصحيح: أنه نسي أن يقولها، وذلك لينفذ مراد الله، والثاني: أنه لم يسمع صاحبه، وشغل عنه.

﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً.

***

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٣٥)﴾.

[٣٥] فلما رجع ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي﴾ لا يكون.

---

(١) جاء على هامش «ت»: «وقد ذكر الزمخشري عن صاحب «المدارك» أنه من الأباطيل كما ذكرنا، وأنها مما لا يصح نقلها كما في «النهر»».

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٢)، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾، ومسلم (١٦٤٥)، كتاب الأيمان، باب: الاستثناء، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ المراد: أراد أن يفرده في البشر؛ ليكون خاصة له وكرامة، ولم يفعل هذا غيرةً على الدنيا، ولا نفاسةً بها.

قال ابن عطية: وهذا هو الظاهر من قول النبي ﷺ في خبر العفريت الذي عرض له في صلاته، وقيل: أراد: لا ينبغي لأحد من بعدي مدة حياتي؛ أي: لا أُسلبه ويصير إلى أحد كما صار إلى الجني[1]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (مِن بَعْدِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ المعطي ما تشاء لمن تشاء.

* * *

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ۝٣٦﴾.

[٣٦] ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾ فذللناها لطاعته إجابةً لدعوته. قرأ أبو جعفر: (الرِّيَاحَ) بألف بعد الياء على الجمع، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد[3].

﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً﴾ حال من ضمير (تجري)؛ أي: رخوة لينة.

﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾ أي: قصد.

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٠٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٥).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٥).

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ عطف على ﴿ بَنَّآءٖ ﴾ وتبدل من الشياطين.

﴿ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴾ فكانوا يبنون له الأبنية العجيبة، ويغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ.

* * *

﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] وتعطف على ﴿ وَغَوَّاصٖ ﴾: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ ﴾ مشدودين ﴿ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴾ بالقيود، فكان يأخذ مَرَدَةَ الشياطين، فيجمع أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع، ويتركهم كذلك.

* * *

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا ﴾ الذي لا يقدر عليه غيرنا.

﴿ فَٱمۡنُنۡ ﴾ فأعطِ منه مَنْ شئت.

﴿ أَوۡ أَمۡسِكۡ ﴾ امنع عن الإعطاء من شئت ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ أي: غيرَ محاسَبْ على الإعطاء والمنع، وكان إذا أعطى أُجر، وإن منع لم يأثم، بخلاف غيره.

* * *

﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ ﴾ لقربى في الآخرة ﴿ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾ وهو الجنة.

* * *

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ثم أمر ﷺ بذكر ـ أيوب عليه السلام ـ وما ابتلي به؛ ليأتم به[١] الصابرون، فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّىٓ ﴾ أي: بأني[٢] ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ ﴾ مشقة ﴿ وَعَذَابٍ ﴾ ألم المرض. قرأ حمزة: (مَسَّنِي الشَّيْطَانُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها، وقرأ أبو جعفر: (بِنُصُبٍ) بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب: بفتحهما[٣]، وقرأ الباقون: بضم النون وإسكان الصاد[٤]، وكلها لغات بمعنى البلاء والشدة، والمراد: ما قاساه في مرضه قال: ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ تأدباً مع الله تعالى، وإن كانت الأشياء كلها منه تعالى، ونسب ذلك إلى الشيطان؛ لأنه كان بسببه ووسوسته، وتقدم ذكر القصة في سورة الأنبياء.

* * *

﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] فعوفي، وقيل له: ﴿ ٱرْكُضْ ﴾ اضرب الأرض ﴿ بِرِجْلِكَ ﴾ فركض، فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ ﴾ أي: موضع غسل.

﴿ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ أي: ماء تغتسل به، وتشرب منه فتبرأ.

---

(١) «ليأتم به» ساقطة من «ت».

(٢) «أي: بأني» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٦).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٦-٢٦٧).

روي أنه ركض باليمنى[١]، فخرجت عين حارة، وركض باليسرى، فخرجت عين باردة، فاغتسل من الحارة، وشرب من الباردة، فزال عنه كل ألم كان بظاهره وباطنه[٢].

وروي أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على مَلِكهم، فكلَّموه في ظلمه، وأغلظوا له، إلا أيوب؛ فإنه رفق به مخافة على زرعه، فعاقبه الله على ذلك ببلائه[٣].

* * *

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ روي أن الله سبحانه وهب له أهله وماله في الدنيا، فأحيا الله[٤] مَنْ مات منهم، وما هلك من ماشيته وماله[٥].

﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ بارك في جميع ذلك، وولد له الأولاد حتى تضاعف الحال.

---

(١) في «ت»: «باليمين».

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٩٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٨٤)، وظاهر نظم القرآن الكريم عدم تعدد الضرب والنبع، كما ورد في «روح المعاني» للألوسي (٢٣/ ٢٠٧)، و«الإسرائيليات» لأبي شهبة (ص: ٢٨١).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٦١)، عن الليث بن سعد.

(٤) لفظة الجلالة لم ترد في «ش».

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٠٨).

﴿ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ أي: لرحمتنا عليه.

﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: وتذكيراً لذوي العقول.

* * *

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] روي أن أيوب ـ عليه السلام ـ كانت زوجته مدة مرضه تختلف إليه، فيتلقاها الشيطان في صورة طبيب، ومرة في هيئة ناصح، فيقول لها: لو سجد هذا المريض للصنم الفلاني، لبرىء، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني، لبرىء، ويعرض عليها وجوهاً من الكفر، فكانت هي ربما عرضت ذلك على أيوب، فيقول لها: أَلَقيتِ عدوَّ الله في طريقك؟ فلما أغضبته ونحوه[١]، حلف إن عوفي ليجلدنها مئة جلدة[٢]، فلما عوفي، لطف الله تعالى بها؛ لخدمتها أيوب، فقال:

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو قبضة من الشجر فيها مئة قضيب.

﴿ فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك لتبرَّ بيمينك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ أي: لا تدع الضرب فتحنث، فأخذ مئة عود، وضربها ضربة واحدة، فحلل الله يمينه، وهي رخصة في الحدود.

واختلف الأئمة فيها، فمذهب الشافعي إذا وجب الحد على مريض، وكان جلداً، أُخِّر للمرض، فإن لم يرج برؤه، جُلد بعثكال عليه مئة غصن،

---

(١) «ونحوه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢١٢).

فإن كان خمسون، ضرب به مرتين، وتمسه الأغصان، أو ينكس بعضها على بعض ليناله بعض الألم، فإن برىء، أجزأه، ومذهب أبي حنيفة: يؤخر فلا يجلد حتى يبرأ؛ كمذهب الشافعي، فإن كان ضعيف الخلقة يخاف عليه الهلاك لو ضرب ضرباً[(١)] شديداً، يضرب مقدار ما يتحمله من الضرب، ومذهب مالك: لا يضرب إلا بالسوط، ويفرق الضرب، وعدد[(٢)] الضربات مستحق لا يجوز تركه، فإن كان مريضاً، أخر إلى أن يبرأ؛ كمذهب الشافعي وأبي حنيفة، ومذهب أحمد: يقام الحد في الحال، ولا يؤخر للمرض، ولو رجي زواله، ويضرب بسوط يؤمن معه التلف؛ كالقضيب الصغير، فإن خشي عليه من السوط، أقيم بأطراف الثياب، وعثكول النخل، فإن خيف عليه من ذلك، جمع ضغث فيه مئة شمراخ، فضرب به ضربة واحدة؛ كقول الشافعي.

وأما إذا كان الحد رجماً، فلا يؤخر بالاتفاق، ولا يقام الحد على حامل حتى تضع بغير خلاف، فأبو حنيفة إن كان حدها[(٣)] الجلد، فحتى تتعالى؛ أي: تخرج من نفاسها، وإن كان الرجم، فعقيب الولادة، وإن لم يكن للصغير من يربيه، فحتى يستغني عنها، والشافعي: حتى ترضعه اللبأ ويستغني بغيرها، أو فطام لحولين، ومالك وأحمد: بمجرد الوضع.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ على البلاء، وقول أيوب: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لم يكن جزعاً؛ لأنها شكاية إلى المحبوب، فدل على أنه في غاية الصبر.

---

(١) «ضرباً» ساقطة من «ت» و«ش».

(٢) «الضرب وعدد» زيادة من «ت».

(٣) «حدها» ساقطة من «ت».

﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ أيوبُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ رجاع إلى الله تعالى.

* * *

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ قرأ ابن كثير: (عَبْدَنَا) بفتح العين وإسكان الباء بغير ألف على الإفراد، فيجعل (إِبْرَاهِيمَ) عطفَ بيان، ويُعطف عليه (وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ)، وقرأ الباقون: (عِبَادَنَا) بكسر العين وفتح الباء وألف بعدها على الجمع[1]، جعلوا الأسماء الثلاثة بعده عطفَ بيان، ولم يذكر إسماعيل معهم؛ لأنه لم يُبتل كهؤلاء، تلخيصه: أخبر يا محمد عن هؤلاء.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾ القوة على العبادة والأفعال الجميلة، وعبر باليد عنها؛ لأنها غالباً تفعل باليد ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ البصائر في الدين والعلم.

* * *

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ اصطفيناهم ﴿بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه: (بِخَالِصَةِ) بغير تنوين على الإضافة؛ أي: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة؛ أي: يعملون لها، والذكرى بمعنى الذكر، وقرأ الباقون: بالتنوين[2]؛ أي: بخالصةٍ هي ذكرى الدار، فتكون (ذِكْرَى الدَّارِ) بدلاً عن (الْخَالِصَةِ).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٠)، =

﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ﴾ المختارين، جمع مصطفى.

﴿ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ جمع خيِّر.

* * *

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ ﴾ هو ابن إبراهيم عليهما السلام.

﴿ وَٱلْيَسَعَ ﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز [استخلفه إلياس على بني إسرائيل، ثم استنبىء، وتقدم ذكره في سورة الأنعام، وكان هو وإلياس قبل زكريا عليهم السلام][1]. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَاللَّيْسَعَ) بتشديد اللام وإسكان الياء، والباقون: بإسكان اللام مخففة وفتح الياء[2]، وهما لغتان، فمن قرأ بلامين، فأصل الاسم لَيْسَع، ثم أدخلت الألف واللام [للتعريف، ومن قرأ بلام واحدة، فالاسم يَسَعُ، ودخلت الألف واللام][3] زائدتين؛ كزيادتهما في نحو الخمسة عشر.

﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ تقدم ذكره[4] في سورة الأنبياء.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٦٩).

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٠).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) في «ت»: «تفسيره».

﴿ وَكُلٌّ ﴾ تنوينه عوض من محذوف ؛ أي : كلهم ﴿ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ .

* * *

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ هَٰذَا ﴾ أي : الذي يتلى عليكم ﴿ ذِكْرٌ ﴾ شرف وثناء جميل للأنبياء .

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ مَرْجِع .

* * *

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ عطف بيان لحسن مآب .

﴿ مُّفَتَّحَةً ﴾ نعت للجنات ﴿ لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ رفع ، بدل من الضمير ، تقديره : مفتحة هي الأبواب .

* * *

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾ على الأرائك ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ والاقتصار على الفاكهة للإشعار بأن مطاعمهم لمحض التلذذ .

* * *

﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

﴿أَتْرَابٌ﴾ جمع تِرْب، وهم الأصفياء على سن واحد، فكأن التراب[1] قد مسهم في وقت واحد عند الولادة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، لا يتباغضن ولا يتغايرن.

* * *

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (يُوعَدُونَ) بالغيب؛ أي: المتقون، وقرأ الباقون: بالخطاب[2]؛ أي: قيل لهم ثَمَّ: هذا ما توعدون.

﴿لِيَوْمِ﴾ أي: لأجل يوم[3] ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ كادخر هذا ليوم كذا.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقطاع.

* * *

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿هَٰذَا ۚ﴾ أي: الأمر هذا.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ للكافرين ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ مرجع.

---

(١) «التراب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» للداني (ص:١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧١).

(٣) «يوم» زيادة من «ت».

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدل من (لَشَرَّ) ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها.

﴿ فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ الفراش.

* * *

﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ هَٰذَا ﴾ أي: العذاب ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ ﴾ وهو الماء الحار الذي انتهى حره ﴿ وَغَسَّاقٌ ﴾ الزمهرير، وقيل: هو ما يسيل من صديد أهل النار وفروج الزناة. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (وَغَسَّاقٌ) بتشديد السين، والباقون: بتخفيفها[1]، ومعناهما واحد.

* * *

﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَءَاخَرُ ﴾ **قرأ** أبو عمرو، ويعقوب: بضم الألف من غير مد على الجمع؛ أي: مذوقات أخر، **وقرأ** الباقون: بفتح الهمزة مشبعة على التوحيد[2]؛ أي: وعذاب آخر ﴿ مِن شَكْلِهِۦٓ ﴾ أي: مثله.

﴿ أَزْوَٰجٌ ﴾ أجناس تماثل العذاب؛ أي: يعذبون بأنواع مختلفة.

* * *

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧١_٢٧٢).

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ .

[٥٩] فإذا دخل القادة النار، ثم دخل بعدهم الأتباع، قالت الخزنة للقادة إشارة إلى الأتباع: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ جمع.

﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ النار، والاقتحام: الدخول بشدة.

روي أن الزبانية تضربهم بالمقامع في النار، فثم يقول القادة دعاءً منهم على أتباعهم:

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لا سعة عليهم في عيشهم، والمرحبة والرحبة: السعة، تقول العرب: مرحباً، وأهلاً وسهلاً؛ أي: أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك؛ أي: لا رحبت عليك الأرض.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ داخلوها مثلنا.

***

﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ .

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع للقادة: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ بل أنتم أحق بما قلتم.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكفر، وشرعتموه.

﴿لَنَا﴾ فلنا ولكم النار ﴿فَبِئْسَ﴾ الدارُ ﴿الْقَرَارُ﴾ جهنم.

***

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾ .

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ أي: هذا الدين، وهو الكفر ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مضاعفاً ﴿فِي النَّارِ﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ولما دخل الكفار من صناديد قريش النار، تحيروا ﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ ﴾ هنا ﴿ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم ﴾ في الدنيا ﴿ مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾؟ يعنون: فقراء المسلمين، وهم عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسلمان رضي الله عنهم[١].

***

﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا: ﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (مِنَ الأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ) بوصل همزة (اتَّخَذْنَاهُمْ) على الخبر؛ أي: إنا اتخذناهم، ويبتدئون بكسر الهمزة، وقرأ الباقون: بقطع الهمزة مفتوحة على استفهام توبيخ أنفسهم[٢].

﴿ سِخْرِيًّا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بضم السين؛ من التسخير، وهو العمل بلا أجر، وقرأ الباقون: بكسرها؛ من الهزء[٣].

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٢٢٦). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٠١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦١ـ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٣).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٦٠)، =

﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: هم معنا ولا نراهم.

* * *

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذي وصفنا ﴿لَحَقٌّ﴾ لصدق.

﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ سمي تخاصماً؛ لتقاولهم.

* * *

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٥] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ مخوِّفٌ.

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكل شيء.

* * *

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

[٦٦] ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهو مالك جميع العالم.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لمن تاب.

* * *

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٣).

﴿نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ يتضمن وعظُه: أن التصديق فيه نجاة، والتكذيب فيه هلكة.

* * *

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لتمادي غفلتكم، هو توبيخ لهم.

* * *

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

[٦٩] ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ﴾ هم الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم حين قال اللهُ لهم: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]. قرأ حفص عن عاصم: (مَا كَانَ لِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(١).

* * *

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾.

[٧٠] ﴿إِن يُوحَىٰٓ﴾ أي: ما يوحى ﴿إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ قرأ أبو جعفر: (إِنَّمَا) بكسر الهمزة على الحكاية، كأنه قيل له: إنما أنت نذير مبين، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول إنسان: أنا عالم، فيقال له: لم قلت: إنك عالم؟ فيحكي المعنى، وقرأ الباقون: بالفتح(٢)؛ كأنه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٣).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٧١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

يقول: إلا الإنذار، والمعنى: ما علمت هذا إلا بوحي.

* * *

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ بدل من قوله: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾:

﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ يعني: آدم.

* * *

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممت خلقه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه ﴿فَقَعُوا۟﴾ خروا ﴿لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ تكرمةً وتبجيلاً، لا عبادة، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، وإنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام، أبطله.

* * *

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

* * *

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

[٧٤] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ استثناء من الساجدين.

﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾ عن السجود ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ باستكباره.

= (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٤).

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ قَالَ ﴾ الله: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ بنفسي من غير توسيط كأب وأم؟ واليدان صفة من صفات الله تعالى ـ عز وجل ـ نؤمن بها كما جاءت، ونكل العلم فيها إلى الله، ثم أدخلت همزة استفهام التوبيخ على همزة الوصل، فحذفت وبقيت مفتوحة، فقيل:

﴿ أَسۡتَكۡبَرۡتَ ﴾ عن السجود لآدم ﴿ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ المتكبرين من غير استحقاق؟

* * *

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ تقدم الكلام عليه في سورة الأعراف، والحجر، والإسراء.

* * *

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٧] ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾ من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ مطرود.

* * *

﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (لَعْنَتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

[٧٩] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

* * *

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ هي النفخة الأولى.

* * *

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

* * *

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناء منقطع. وتقدم اختلاف القراء في (الْمُخْلَصِينَ)، وتوجيه قراءاتهم في سورة الصافات [الآية: ٤٠].

* * *

= (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٥).

﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾.

* * *

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ ﴾ يا إبليس وذريتك ﴿ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ أي: من ذرية آدم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ تأكيد للضمير في (مِنْهُمْ). قرأ عاصم، وحمزة، وخلف: (فَالْحَقُّ) بالرفع في الأول، معناه: أنا الحقُّ، وأقول الحقَّ، والباقون: بالنصب فيهما(١)، فنصب الأول على الإغراء؛ كأنه ألزم الحق، والثاني بإيقاع الفعل عليه؛ أي: أقول الحقَّ، ومن رفعهما على القراءة الشاذة، فمعناه: أنا الحقُّ، والحقُّ أقوله، والمراد بالحق: اسمه تعالى في قوله: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥].

* * *

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ جُعل.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ المتقوّلين القرآنَ من تلقاء نفسي.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٧١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ٢٧٦).

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) ﴾ .

[٨٧] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي : القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ ﴾ موعظة .

﴿ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ للخلق أجمعين .

* * *

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ .

[٨٨] ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ ﴾ أيها المشركون ﴿ نَبَأَهُ ﴾ صدقَ ما أخبرتُكم به في القرآن من الوعيد ﴿ بَعْدَ حِينٍ ﴾ بعد مدة، وهو يوم القيامة، والله أعلم .

* * *

سورة الزمر

مكية إلا ثلاث آيات، نزلت في شأن وَحْشي قاتلِ حمزة بن عبد المطلب، وهي: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآيات الثلاث[1]، وقالت فرقة: بل إلى آخر السورة مدني، وقيل: فيها مدني سبع آيات، وآيها: خمس وسبعون آية، وحروفها: أربعة آلاف وسبع مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ألف ومئة واثنتان وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) ﴾.

[١] ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذا تنزيل الكتاب، وإن شئت جعلته مبتدأ، وخبره ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ﴾ في قدرته ﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ في إرادته[2]، والإشارة إلى القرآن أنه تنزيل من الله لا من غيره.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٤٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٣٩).

(٢) في «ت» و«ش»: «إبداعه».

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ فيه، وفي أحكامه وأخباره.

﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا ﴾ حالٌ من العابد ﴿ لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ نصب به؛ أي: الطاعة.

***

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ أَلَا لِلَّهِ ﴾ أي: من حقه، ومن واجباته.

﴿ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ من الشرك، لا يقبل غيره.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ﴾ أي: من دون الله ﴿ أَوۡلِيَآءَ ﴾ والعائد إلى (الَّذِينَ) محذوف؛ أي: والذين اتخذهم الكفار آلهة من دون الله؛ كالأصنام، وعيسى، والعزير، والملائكة، قالوا:

﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ تقريباً، مصدر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ بين العابد والمعبود، والمسلم والكافر.

﴿ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ ﴾ من الدين، فيدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ﴾ إلى الإسلام ﴿ مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ ﴾ في أن الآلهة تشفع

له، أو تقربه ﴿كَفَّارٌ﴾ وهذه المبالغة إشارة إلى المتوغل في الكفر، العاتي فيه.

***

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾ لاختار.

﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ولم يخص[١] مريم ولا عيسى بذلك، ولخلق أشرف منه، واتخذه ولداً[٢] ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ المنفرد عن الصاحبة والولد ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ اتصاف على الإطلاق؛ لأن أحداً من البشر إن اتصف بالقهر، فمقيد في أشياء قليلة، وهو في حيز قهره لغيره مقهور لله تعالى على أشياء كثيرة.

***

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالواجبِ الواقعِ موقعَه، الجامعِ للمصالح.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ يذهب أحدهما،

---

(١) في «ت»: «يختص».

(٢) «ولداً» زيادة من «ت».

ويغشي مكانه الآخر، فيكون كأنه قد غشيه، ولف عليه، وأصل التكوير: اللفُّ والجمع، ومنه كور العمامة التي تلوى بعضها على بعض.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وتسخيرهما: دوامهما على الجري لمصالح العباد.

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدة الدنيا ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر على كل ممكن ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لذنوب التائبين.

***

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦)﴾.

[٦] ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني: نفس آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء خلقت من ضلعه القصيرى، و(ثم) لترتيب الأخبار، لا لترتيب المعاني؛ لأنه لما كان خلق حواء من آدم غريباً عادة، عطفت (ثم) ما بعدها على ما قبلها لفظاً، فكأنه قال: ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها.

﴿وَأَنزَلَ﴾ أحدث ﴿لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ هي المذكورة في سورة الأنعام. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنْزَل لَّكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية(١).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩).

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا ﴾ مصدر ﴿ مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ أي: نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً، ثم عظاماً، ثم خلقاً سوياً. قرأ حمزة: (إِمِّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم، وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك(1).

﴿ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾ هي ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ﴿ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ فكيف تعدلون عن طريق الحق، وبأي سبب تضلون؟!

* * *

﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾.

[7] ثم بين أن لا حاجة به إليهم، فقال: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ ﴾ مع ذلك.

﴿ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ رحمة لهم إذا وقعوا فيه ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا۟ ﴾ لله تعالى، فتؤمنوا ﴿ يَرْضَهُ ﴾ أي: يرضى الشكر ﴿ لَكُمْ ﴾ لأنه سبب فلاحكم. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (يَرْضَهُ) بإشباع ضمة الهاء، وقرأ السوسي عن أبي عمرو: بإسكان الهاء، وقرأ نافع، وحمزة، ويعقوب، وحفص عن

---

(1) انظر: «التيسير» للداني (ص: 94)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: 375)، و«معجم القراءات القرآنية» (6/ 9).

عاصم: باختلاس ضمة الهاء، وروي عن كل من الدوري راوي أبي عمرو، وابن جماز راوي أبي جعفر: وجهان: الإسكان، والإشباع، وروي عن كل من هشام راوي ابن عامر، وأبي بكر راوي عاصم: وجهان: الإسكان، والاختلاس، وروي عن كل من ابن ذكوان راوي ابن عامر، وابن وردان راوي أبي جعفر: وجهان: الاختلاس والإشباع[1].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنب غيره.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

* * *

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً إليه مستغيثاً.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ أعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ من الله.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٧-٣٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩-١٠).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ يعني: الأوثان ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ليصد عن دين الإسلام. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس بخلاف عنه: (لِيَضِلَّ) بفتح الياء، والباقون: بضمها[1].

﴿قُلْ﴾ لهذا الكافر: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى انقضاء أجلك. ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

* * *

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ونزل في كل مؤمن: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ مصلٍّ ساعاته. قرأ نافع، وابن كثير، وحمزة: (أَمَنْ) بتخفيف الميم دخلت همزة الاستفهام على (مَنْ)، تقديره: أمن هو قانت كغيره؟ وقرأ الباقون: بتشديدها[2]، دخلت (أَمْ) على (مَنْ)، فأدغمت فيها الميم، فـ(أم) منقطعة، تقديره: الكافر خير أم المطيع؟ فمن خفف، اتبع المصحف؛ لأنها فيه بميم واحدة، ومن شدد، فعلى الأصل.

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ يعني: في الصلاة، ونصبهما حال من ضمير (قَانِتٌ) ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ هي المغفرة، ثم بين أَنْ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠-١١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١).

لا مساواة بين من نزلت فيه هذه الآية، وبين من نزلت فيه الآية التي قبل بقوله:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ التوحيدَ، ويعملون بمقتضاه، وهم المؤمنون.

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، وهم الكفار؟

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ بأمثال هذه البيانات.

***

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ بطاعته. أجمع القراء على الوقف على (يَا عِبَادِ) بالحذف، إلا ما انفرد به الحافظ أبو العلاء عن رويس.

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴾ أي: للمحسنين بالطاعات في الدنيا مثوبة ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ في الآخرة.

﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ قال ابن عباس: «يعني: ارتحلوا من مكة»[(١)]، وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي.

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ ﴾ الذين صبروا على دينهم، فلم يتركوه للأذى.

﴿ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي: مكيال، قيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩).

وأصحابه؛ حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء، وصبروا(١).

* * *

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ التوحيدَ، لا أشرك به شيئاً. قرأ نافع، وأبو جعفر: (إِنِّيَ) بفتح الياء(٢)، والباقون: بإسكانها(٣).

* * *

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من أمتي، و(أُمِرْتُ) الثاني معطوف على (أُمِرْتُ) الأول، وإن كان لفظهما واحداً؛ لأن الأول أمر بالعبادة مع الإخلاص، والثاني بالسبق، فلاختلاف جهتيهما تنزَّلا منزلةَ المختلفين، وصح عطف أحدهما على الآخر.

* * *

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ عبدتُ غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا حين دُعي إلى دين آبائه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٠).

(٢) «الياء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢).

وأبو عمرو[١]: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢].

* * *

﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ قُلِ ٱللَّهَ ﴾ نصب بقوله: ﴿ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾ أُمر بالإخبار عن إخلاصه، وأن يكون مخلصاً له دينه بعد الأمر بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص، خائفاً على المخالفة من العقاب.

* * *

﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ ﴾ أمر توبيخ وتهديد؛ كقوله: ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ المبالغين في الخسران ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ بدخول النار ﴿ وَأَهۡلِيهِمۡ ﴾ المعدين لهم في الجنة من الحور والولدان لو آمنوا؛ بعدم وصولهم إليهم ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ حين يدخلون النار بدل الجنة.

﴿ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ مبالغة في خسرانهم.

* * *

---

(١) «وأبو عمرو» زيادة من «ت».

(٢) المصادر السابقة.

﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ أطباق وسرادقات من النار[١] ودخانها.

﴿ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ لمن تحتهم، وهي فرش لهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾ المؤمنين؛ ليتقوه، يوضحه:

﴿ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (يَا عِبَادِي فَاتَّقُونِي) بإثبات الياء فيهما، وافقه روح في الثاني[٢].

***

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ونزل في أبي ذر، وسلمان، وزيد بن عمرو بن نفيل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٣] أي: الأوثان، وتذكر وتؤنث، وهو من الطغيان، وزيدت التاء فيه مبالغة؛ كالرحموت.

---

(١) «أطباق وسرادقات من النار» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٤). قال ابن عطية: وهي على كل حال عامة في الناس إلى يوم القيامة يتناولهم حكمها.

﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ رجعوا إلى عبادته ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ في الحياة الدنيا بالثواب، وفي الآخرة بحسن المآب على ألسنة الرسل ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ .

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ .

[١٨] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ أي: قول الله. قرأ السوسي عن أبي عمرو: (عِبَادِي) بإثبات الياء ساكنة وقفاً، مفتوحة وصلاً، وافقه يعقوب وقفاً(١) ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ أي: أفضله، وهو ما في القرآن من عفو وصفح، واحتمال على صبر، ونحو ذلك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المذكورون مبتدأ، خبره ﴿ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ لأنهم كانوا يأخذون بعزائم القرآن، وهو أحسنه بالنسبة إلى أخذه؛ لأنه كله حسن، لا أن فيه حسناً وأحسن.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ العقول السليمة.

* * *

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ .

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ﴾ أي: ثبت ﴿عَلَيْهِ﴾ من الكفار ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ وهي: هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالي ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ هذه الآية جملة

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ٦٧ و١٨٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨ و٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣).

واحدة من شرط وجزاء، فالشرط (مَنْ)، وجيء بالفاء قبله للعطف على محذوف، والهمزة قبلها للإنكار، والفاء في (أَفَأَنْتَ) جزاء الشرط، والهمزة قبلها زيادة في الإنكار، تقديره: أأنت المتصرفُ، فمن وجب عليه العذاب، فأنت منقذه؟ أي: لا تقدر على هداية الكافرين، والمراد: أبو لهب وولده، قاله ابن عباس[1].

***

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۚ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾.

[٢٠] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ قرأ أبو جعفر: (لَكِنَّ) بتشديد النون، والباقون: بتخفيفها[2].

﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ علالي ﴿مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ كبناء المنازل في الأرض، بعضُها فوق بعض.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: من تحت المنخفضة والمرتفعة من غير تفاوت بين العلو والسفل.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد.

﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ لأن الخلف نقص، وهو تعالى منزه عنه.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١١)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ هو المطر ﴿ فَسَلَكَهُۥ ﴾ أدخله ﴿ يَنَٰبِيعَ ﴾ عيوناً وركايا ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فكل ما في الأرض من السماء ينزل منها إلى صخرة بيت المقدس، ثم يقسمه الله تعالى في الأرض كالعروق في الأجساد.

وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنه قال: «المياه العذبةُ، والرياح اللواقحُ من تحتِ صخرةِ بيتِ المقدس»[(١)].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأنهار الأربعةُ سيحانُ وجيحانُ والنيلُ والفراتُ»، فأما سيحان، فنهر بلخ، وأما جيحان، فدجلة، وأما النيل، فنيل مصر، وأما الفرات، ففرات الكوفة، فكل ما يشرب ابن آدم، فهو من هذه الأربعة، وتخرج من تحت الصخرة[(٢)].

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ ﴾ بالماء ﴿ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ من أخضر وأحمر وغيرهما.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٧٣)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وهو حديث منكر كما قال ابن عدي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٥ـ١٣٦)، وروى مسلم في «صحيحه» (٢٨٣٩)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة، من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «سَيحان وجيحان، والفرات والنيل، كلٌّ من أنهار الجنة».

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يتم جفافه ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ بعد خضرته وحسنه.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ فتاتاً.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إذ لا يتذكر به غيرهم، وهذا مثل الدنيا.

***

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ أي: وسعه ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فقبله، وأقبل عليه.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ هدى ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وجواب (مَنْ) محذوف، تقديره: أفمن شرح صدره، فاهتدى، كمن طبع على قلبه فضل؟ يدل عليه:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ المعنى: إذا ذكر عندهم، ازدادت قلوبهم قسوة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ والآية نزلت في حمزة وعلي ـ رضي الله عنهما ـ، وأبي لهب وولده، قال مالك بن دينار: «ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظمَ من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة»(١).

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٢)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٨).

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن، وتبدل من (أَحْسَن) ﴿ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ يشبه بعضه بعضاً حسناً ونظماً ﴿ مَّثَانِيَ ﴾ أي: مردَّد ومكرَّر في أحكامه ﴿ تَقۡشَعِرُّ ﴾ تضطرب وتشمئز ﴿ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ خوفاً وإجلالاً لله تعالى، والقشعريرة: تغير في جسد الإنسان عند الوجد والخوف.

﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ فهي تقشعر عند الوعيد، وتلين عند الوعد.

عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعر جلدُ العبد من خشية الله، تَحاتَّتْ عنه ذنوبُه كما تتحاتُّ عن الشجرة اليابسة وُرقها»(١).

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الكتاب ﴿ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ ﴾ بخذلانه.

﴿ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ ينقذه من الضلال. قرأ ابن كثير: (هَادِي) بإثبات الياء

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٣٢٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٣)، من حديث العباس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٠): فيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات.

حالة الوقف، وروي ذلك عن قنبل، ويعقوب[1].

* * *

﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي﴾ معناه: أفمن يدخل النارَ فيتقي ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشدَّه، كمن هو آمن منه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ المعنى: أن الإنسان إذا عرض له ما يخافه، اتقاه بيده، وطلب أن يتقي بها وجهه؛ لأنه أعز أعضائه، والذي يلقى في النار مغلولةً يداه إلى عنقه، فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه ﴿ وَقِيلَ﴾ أي: ويقول الخزنة.

﴿ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ﴾ جزاء.

﴿ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

* * *

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ثم حذر كفار مكة بعذاب من تقدمهم، فقال:

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلَهم.

﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ من جهة لا يخطر ببالهم أن العذاب يأتيهم منها.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٦-١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥).

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ ﴾ الذلَّ والهوان، والمسخ والقتل والسبي، وغيرها.

﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ المعَدُّ لهم ﴿ أَكْبَرُ ﴾ لشدته ودوامه.

﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، لاعتبروا به.

* * *

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ يحتاج إليه.

﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون.

* * *

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ حال مؤكدة؛ كقولك: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وإنساناً عاقلاً، ويجوز أن ينتصب على المدح.

﴿ غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ بريئاً من التناقض.

﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الكفر.

* * *

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا ﴾ بدل من (مَثَلاً) ﴿ فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ متنازعون، سيئة أخلاقُهم.

﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (سَالِماً) بألف بعد السين وكسر اللام؛ أي: خالصاً، لا مشاركَ له فيه، وقرأ الباقون: (سَلَماً) بغير ألف وفتح اللام(١)؛ أي: لا تنازع فيه، وهذا مثل ضربه الله لأهل التوحيد، ومثَّل الذي عبد الآلهة كمثل الشركاء.

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ في الصفة ﴿ مَثَلًا ﴾ نصب على التمييز، وهذا توقيف لا يجيب عنه أحد إلا بأنهما لا يستويان، فلذلك عاملتهم العبارة الوجيزة على أنهم قد أجابوا، فقال:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: على ظهور الحجة عليكم من أقوالكم، ثم قال تعالى:

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما يصيرون إليه، فأضرب عن مقدر محذوف يقتضيه المعنى، تقديره: الحمد لله على ظهور الحجة، وأن الأمر ليس كما يقولون، بل أكثرهم لا يعلمون.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦).

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ولما استبطؤوا موته ﷺ، نزل:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١] أي: ستموت، ويموتون، فلا شماتة بالموت.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ بعدَ البعث.

﴿ تَخْتَصِمُونَ ﴾ تتحاكمون؛ يعني: المحق والمبطل، والظالم والمظلوم.

عن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال: «كنا نقول: ربُّنا واحد، وديننا واحد، ونبينا واحد، فما هذه الخصومة؟! فلما كان يوم صفين، وشدَّ بعضُنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم، هو هذا»[٢].

* * *

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

[٣٢] ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ ﴾ بإضافة الولد والشريك إليه.

﴿ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ ﴾ القرآنِ ﴿ إِذْ جَاءَهُ ﴾ من غير تفكر في أمره.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٥).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٣٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٥٥)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢٠٤).

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ منزلٌ ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

* * *

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو محمد ﷺ.

﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ هو أبو بكر رضي الله عنه، وقيل: (الذي) هاهنا للجنس؛ ليتناول الرسل والمؤمنين؛ لقوله:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ قال ابن عطية: وهو أصوب الأقوال(١).

* * *

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ﴾ في الجنة.

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ على إحسانهم.

* * *

﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ يسترها عليهم بالمغفرة.

﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: يجزيهم بمحاسن أعمالهم، ولا يجزيهم بمساوئها.

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣١).

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ استفهام إنكار للنفي؛ مبالغة في الإثبات. قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (عِبَادَهُ) بألف على الجمع؛ يعني: الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، قصدهم قومهم بالسوء، فكفاهم الله شر من عاداهم، وقرأ الباقون: (عَبْدَهُ) بغير ألف على التوحيد[١]؛ يعني: محمداً ﷺ، وروي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء[٢] على (بِكَافِي).

﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾ الكفارُ يا محمد ﴿ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ بالمعبودين من دون الله تعالى، وهي الأصنام؛ لأنهم قالوا له: نخشى عليك أن تقتلك، أو تخبلك.

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ يهديه. وقف ابن كثير (هَادِي): بإثبات الياء، وروي ذلك عن يعقوب[٣].

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨).

(٢) «بالياء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٦ـ١٣٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩).

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ إذ لا راد لفعله.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴾ غالب ﴿ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ من الكافرين؟

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ﴾ لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية.

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من آلهتكم ﴿ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ بشدة وبلاء ﴿ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾ بنعمة وبركة ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ ﴾ المعنى: أفرأيتم هؤلاء إذا أراد الله أمراً لهم قدرةٌ على نقضه؟ وحذف الجواب عن هذا؛ لأنه من البين أنه لا يجيب أحد إلا بأنه لا قدرة للأصنام على شيء من ذلك. قرأ حمزة: (أَرَادَنِي اللَّهُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: (كَاشِفَاتٌ) (مُمْسِكَاتٌ) بالتنوين، ونصب (ضُرَّهُ) و(رَحْمَتَهُ) على الأصل؛ لأنه اسم فاعل بمعنى الاستقبال، وقرأ الباقون: بغير تنوين فيهما تخفيفاً، وخفض (ضُرِّهِ) و(رَحْمَتِهِ) على الإضافة[١]، فسألهم رسول الله ﷺ عن ذلك،

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨)، و«النشر في =

فسكتوا، فقال الله له: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾[1] من كل شيء.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

* * *

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ثم أمره بتوعدهم بقوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على ما رأيتموه متمكناً لكم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (مَكَانَاتِكُمْ) بألف بعد النون على الجمع، والباقون: بغير ألف على الإفراد[2].

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ أي: على مكانتي، فحذف؛ للاختصار، والمبالغة في الوعيد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

* * *

﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو عذاب الدنيا يوم بدر.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، وهو عذاب الآخرة أعاذنا الله منه برحمته.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٤).

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٣٢)، ، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠).

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القرآنَ ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لأجلهم؛ لما فيه من مصلحة العالم وهداية الناس ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ في أخباره وأحكامه.

﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ عمل وسعى.

﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ فإن وبال ضلاله عليه.

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ والوكيل: القائم على الأمر حتى يكمله.

* * *

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ثم نبه تعالى على آية من آياته الكبرى تدل الناظر على الوحدانية، وأن ذلك لا شرك فيه لصنم ولا غيره، فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ لأن للإنسان نفسين: نفس الحياة، هي الروح تفارق بالموت، ونفس التمييز تفارق بالنوم، وتبقى نفس الحياة، وبينهما مثل شعاع الشمس، قال ابن عباس: «فيقبض الله تعالى جميع الأنفس التمييزية والحيوانية».

﴿ حِينَ ﴾ أي: وقت ﴿ مَوْتِهَا ﴾ لانقضاء أجلها.

﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ ﴾ والأنفس التي لم يحكم بموتها يقبض نفسها التمييزية ﴿ فِى مَنَامِهَا ﴾ أي: وقت نومها؛ بأن تخرج عن جسدها، وتبقى فيه

الحيوانية؛ لأن النفس والحركة بها تكون والنائم نفس[١] يتنفس ويتحرك.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ فلا يردها إلى جسدها. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (قُضِيَ) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء (الْمَوْتُ) بالرفع على ما لم يُسم فاعله، وقرأ الباقون: بفتح القاف والضاد، فتصير الياء ألفاً، ونصب (الْمَوْتَ)[٢] مفعولاً به لقوله: (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ)[٣].

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ يردُّ النفسَ التي لم يحكم عليها بالموت إلى جسدها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقتِ موتها، المعنى: يتوفى الأنفس التي حكم بموتها وقتَ الموت، ويتوفى الأنفس التي لم يحكم بموتها وقت النوم، شبه النائم بالميت؛ لعدم تمييزه، وروي أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم إلى السماء، فمن كان منهم طاهراً، أذن له في السجود، ومن لم يكن منهم طاهراً، لم يؤذن له فيه[٤].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لدلالات.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيستدلون على قدرته تعالى على البعث.

* * *

---

(١) «نفس» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «ونصب الياء».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١).

(٤) انظر: «تفسير النسفي» (٤/ ٥٦).

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ ﴾ أي: بل اتخذ قريش ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من غير إذنه ﴿ شُفَعَآءَ ﴾ والهمزة إنكار عليهم؛ لاعتقادهم شفاعة الأصنام حيث قالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ [يونس: ١٨].

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ أَوَلَوْ كَانُواْ ﴾ أي: وإن كانوا؛ يعني: الآلهة.

﴿ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا ﴾ من الشفاعة ﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ أنكم تعبدونهم؟ وجواب هذا محذوف، تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

***

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ ﴾ هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه؛ لأنه.

﴿ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ﴾ يُحصي أعمالكم هنا.

﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ ﴾ إلى حسابه ثَمَّ ﴿ تُرْجَعُونَ ﴾ فيجازيكم. قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء ونصب الجيم[١].

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١).

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ أي: أُفرد بالذكر دون آلهتهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾ نفرت ﴿قُلُوبُ﴾ الكافرين.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني: الأصنام.

﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ يفرحون بذلك.

روي أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته: تلك الغرانيق العلا، ففرح الكفار بذلك[1].

* * *

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٠): جاءت من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح. وقال الآلوسي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٧) بعد أن ذكر من أسند هذه القصة: قد أنكر كثير من المحققين هذه القصة؛ فقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل. وقال القاضي عياض في «الشفا»: يكفيك في توهين هذا الحديث أنه لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. ثم ذكر ـ رحمه الله ـ عن محمد بن إسحاق وأبي منصور الماتريدي ما ملخصه: أن هذه القصة من وضع الزنادقة يلقونها بين الضعفاء وأرقاء الدِّين ليرتابوا في صحة الدين، وحضرةُ الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية.. إلخ. وانظر: «الإسرائيليات» لأبي شهبة (ص: ٣١٤ـ٣٢٢).

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ﴾ خالقَ ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي: التجىء إليه بالدعاء؛ فإنه قادر على ما يشاء، ومعنى اللهم: يا أَلله برحمتك وفضلك، والغيب: ما غاب عن البشر، والشهادة: ما شهدوه.

﴿ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا افتتح صلاةً من الليل يقول: اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السموات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخْتُلف فيه من الحق بأمرك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

***

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ أخبر تعالى عن سوء حال الكفرة يوم القيامة، وأن ما نزل لو قدروا على الافتداء منه بضعف الدنيا بأسرها، لفعلوا.

---

(١) رواه مسلم (٧٧٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ أي: ظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن في حسابهم.

* * *

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾ أي: جزاء سيئات ﴿مَا كَسَبُوا۟﴾ من الشرك عند عرض صحائفهم.

﴿ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من البعث والعذاب.

* * *

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ﴾ شدةٌ ﴿دَعَانَا﴾ وعطف هذه الآية بالفاء، وعطف مثلها في أول السورة بالواو؛ لأن هذه وقعت مسببة عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ على معنى: إنهم يشمئزون عن ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مس أحدَهم ضر، دعا من اشمأز من ذكره، دونَ من استبشر بذكره، وما بينهما من الآيات[1] اعتراض مؤكد لإنكار ذلك عليهم.

﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ تفضُّلاً ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ أي: علم من الله أني أهل له، وذكر الكناية؛ لأن المراد بالنعمة: الإنعام.

---

(١) في «ت»: «من الآتي».

﴿ بَلۡ هِيَ ﴾ أي: النعمة ﴿ فِتۡنَةٞ ﴾ استدراجٌ لهم.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ ذلك.

* * *

﴿ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٥٠ ﴾.

[٥٠] ﴿ قَدۡ قَالَهَا ﴾ أي: مقالتَهُ ﴿ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ يعني: قارون؛ حيث قال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ [القصص: ٧٨].

﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ من الأموال والمعاصي.

* * *

﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٥١ ﴾.

[٥١] ﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ ﴾ أي: جزاؤها وهو العذاب.

﴿ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: كفار مكة.

﴿ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾ كما أصاب أولئك.

﴿ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ بفائتين، فقتل صناديدهم ببدر، وقحطوا سبع سنين.

* * *

﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ ﴾.

[٥٢] ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ فإنه وسَّع عليهم سبع سنين بعد تلك السبعة.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

* * *

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] عن ابن عباس: أَنَّ ناساً من المشركين كانوا قَتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾(١) فَرَّطوا وتعدَّوا الطورَ ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ القنط: أعظم اليأس. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم(٢): (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، **وقرؤوا** هم وحمزة: (لا تَقْنَطُوا) بفتح النون، **وقرأ** الباقون: بإسكان الياء وكسر النون(٣).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ عموم بمعنى الخصوص، على أن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعاً، وهي أيضاً في العاصي مقيدة بالمشيئة، و(جَمِيعاً) نصب على الحال.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٣٢) كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا ﴾، ومسلم (١٢٢)، كتاب: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «وعاصم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦ و١٩٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢).

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

قال ﷺ: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي»(١).

* * *

﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ ﴾ وارجعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ عن الذنب تائبين.

﴿ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ أخلصوا العمل لوجهه.

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ في الدنيا والآخرة.

﴿ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ إن لم تتوبوا قبل نزول العذاب.

* * *

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ وهو القرآن.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً ﴾ فجأة.

﴿ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ لشغلكم(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٧) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الزمر، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٤) من حديث أسماء بنت يزيد، قال الترمذي: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب.

(٢) في «ت»: «لغفلتكم».

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ أَن تَقُولَ ﴾ (أن) في هذه الآية مفعول من أجله؛ أي: وأنيبوا وأسلموا من أجل أن تقول ﴿ نَفْسٌ ﴾ نكر نفساً إرادة الكثرة؛ ليشيع في كل النفوس ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ أصلها: يا حسرتي، ومن العرب من يرد ياء الإضافة ألفاً، فيقول: يا غلاما، ويا جارا. قرأ أبو جعفر: (يَا حَسْرَتَاي) بياء بعد الألف، وروي عنه فتحها وإسكانها، وكلاهما صحيح عنه، وقرأ الباقون: بغير ياء، ووقف يعقوب: (يَا حَسْرَتَاهْ) بهاء ساكنة بعد الألف(١).

﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ ﴾ قصَّرت ﴿ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: طاعة الله.

﴿ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ ندامة على استهزائه بأمر الله تعالى، والسخر: الاستهزاء.

* * *

﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى ﴾ بألطافه.

﴿ لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الشركَ.

* * *

﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ ﴾ عياناً: ﴿ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً ﴾ رجعة

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣).

إلى الدنيا ﴿ فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الموحِّدين، ويحمله على هذا القول تحيره وندمه حيث لا ينفع.

* * *

﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] فثم يقال رداً عليه[1]: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى ﴾ يعني: القرآن، وهي سبب الهداية ﴿ فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ ﴾ عنها.

﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ بها.

* * *

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بأن جعلوا له البنات والصاحبة، وشرعوا ما لم يأذن به، إلى غير ذلك.

﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ بما ينالهم من الشدة.

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ مقام ﴿ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمان؟

* * *

﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ قرأ روح عن يعقوب:

---

(١) «فثم يقال رداً عليه» زيادة من «ت».

(وَيُنْجِي اللَّهُ) بإسكان النون وتخفيف الجيم، وقرأ الباقون: بفتح النون وتشديد الجيم[1]، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِمَفَازَاتِهِمْ) بألف بعد الزاي على الجمع؛ لأن لكل واحد مفازة؛ أي: بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز، وقرأ الباقون: بغير ألف على الإفراد إرادة الجنس[2]، وهو مصدر من الفوز: النجاة؛ أي: مكان الفوز، وهو الجنة.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوٓءُ﴾ لا يصيبهم المكروه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ تفسير للمفازة.

***

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كلام مستأنف دال على الوحدانية.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ والوكيل: القائم على الأمر، الزعيم بإكماله، فالخلق غير المخلوق، وهو فعل الرب تعالى القائم به، مغاير لصفة القدرة في قول الحنفية وأئمة الشافعية والسلف وأكثر أصحاب أحمد؛ خلافاً لأكثر المعتزلة وغيرهم في قولهم: هو هو.

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦-٢٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٧).

﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ﴾ أي: مفاتيح خزائن ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ واحدها مِقْلاد، فمفاتيح السموات: المطر، والأرض: النبات.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ متصل بقوله: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ وما بينهما اعتراض، التقدير: وينجي المتقين، والكافرون هم الخاسرون.

* * *

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه. قرأ ابن عامر: (تأْمُرُونَنِي) بنونين ظاهرتين خفيفتين على الأصل، الأولى علم الرفع، والثانية للوقاية، ويسكن ياء الإضافة، وقرأ نافع، وأبو جعفر: بنون واحدة خفيفة على الحذف مع فتح ياء الإضافة، وقرأ الباقون: بنون واحدة مشددة على الإدغام، فابن كثير منهم يفتح ياء الإضافة، والباقون: يسكنونها[١].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠ـ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٣ـ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٧ـ٢٨).

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾ من الرسل.

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الذي عملته قبلَ الشرك وحبط معناه: بطل، فالخطاب مع الرسول ﷺ، والمراد منه: غيره.

﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ في صفقتك بسبب حبوط عملك، وتقدم حكم بطلان أعمال المرتدين من صلاة وحج، واختلاف الأئمة في ذلك في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ [الآية: ٢١٧].

* * *

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾ الفاء جواب شرط محذوف، تقديره: لا تعبد ما أمرك الكفار بعبادته، بل إن عبدت، فاعبد الله، فحذف الشرط، وأقيم المفعول مقامه، معناه: لا تعبد إلا الله.

﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ له على فضله.

* * *

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ثم أخبر عن عظمته.

فقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا﴾ حال من الأرض[1] ﴿قَبۡضَتُهُۥ﴾ أي: في تصرفه، والمراد: الأرضون السبع؛ لقوله: (جَمِيعاً).

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ أي: مجموعات بقدرته.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: هو منزه عن الشبه الذي لا يليق به.

***

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وهو قرن، والصحيح أنها النفخة الثانية بعد نفخة الفزع بأربعين سنة، وفي الخبر: أنها ثلاث نفخات، وتقدم ذكرها في سورة النمل.

﴿فَصَعِقَ﴾ فمات.

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ من الحور والولدان وغيرهما.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ نفخة[2] ﴿أُخۡرَىٰ﴾ هي نفخة البعث، وروي أن بين النفختين أربعين، لا يدري أبو هريرة سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة[3].

---

(١) «حال من الأرض» زيادة من «ت».

(٢) «نفخة» زيادة من «ت».

(٣) رواه البخاري (٤٥٣٦) كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ومسلم (٢٩٥٥) كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين.

﴿فَإِذَا هُم﴾ جميع الخلائق ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أهوالَ يوم القيامة وما يُفعل بهم.

* * *

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: أضاءت عرصات يوم القيامة.

﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إضافة خلق إلى خالق؛ أي: بنور الله تعالى، وقيل: بعدله.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: كتاب الأعمال، ووحّد على اسم الجنس؛ لأن كل واحد له كتاب على حدة ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشهدوا على أممهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يشهدون للرسل بالإبلاغ، وهم أمة محمد ﷺ الذين جعلهم الله شهداء على الناس، وقيل: الحفظة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ أي: بين العالم بأجمعه ﴿بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(١) لا يوضع شيء من أمورهم في غير موضعه. قرأ قنبل عن ابن كثير، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب: (وَجِيءَ) و(قِيلَ)، (وَسِيقَ): بإشمام الضم الجيمَ والقافَ والسينَ، وافقهم في إشمام السين: ابنُ ذكوان راوي ابن عامر(٢).

* * *

(١) في «ت» كتبت الآية: ﴿بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ وهو خطأ.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢ و١٨١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٠).

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

[٧٠] ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ثواب .

﴿ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ لا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد .

***

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧١] ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ ﴾ جماعات، واحدتها زُمرة، ونصبه على الحال؛ أي: يساقون سوقاً خبيثاً إلى النار .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ السبعة عند مجيئهم؛ تهويلاً لشأنها، ولم تفتح قبل؛ لبقاء حرها .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ ﴾ وهم الزبانية توبيخاً: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ من جنسكم ﴿ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ ﴾ يخوفونكم .

﴿ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ ﴾ وهو وقت دخول النار .

﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩] ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فوجبت لنا النار .

***

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾.

[٧٢] ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ جهنمُ، وأُبهِمَ القائل؛ لتهويل ما يقال لهم.

***

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

[٧٣] ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ ﴾ تكرمة لهم، ونصبه على الحال. قرأ أبو عمرو: (إِلَى الْجَنَّة زُمَراً) بإدغام التاء في الزاي(١).

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ وجواب (حتى) محذوف تقديره: حتى إذا جاؤوها، اطمأنوا، وجيء بالواو في (وَفُتِحَتْ) للإيذان [أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم تكرمةً، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠] قالوا: وللحال تقديره: جاؤوها وقد فتحت أبوابها، وحذفها في الآية الأولى لبيان](٢) أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم، فالكفار يساقون إلى النار سريعاً إهانةً، والمتقون يساقون إلى الجنة ليصلوا إلى ما أعد لهم فيها تكرمة لهم. قرأ الكوفيون، وهم: عاصم، وحمزة،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٢).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

والكسائي، وخلف: (فُتِحَتْ) (وَفُتِحَتْ) بتخفيف التاء فيهما، والباقون: بالتشديد على التكثير(١).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ لا يعتريكم بعدُ مكروه.

﴿ طِبْتُمْ ﴾ أي: طاب لكم المقام ﴿ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم، فدخلوها.

* * *

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) ﴾.

[٧٤] فلما رأوا ما أعد لهم فيها، أعجبوا سروراً ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ بالبعث والثواب ﴿ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴾ أي: أرض الجنة، والوراثة هنا مستعارة؛ لأن حقيقة الميراث أن يصير شيء إلى إنسان بعد موت إنسان، وهؤلاء إنما ورثوا مواضع أهل النار لو كانوا مؤمنين ﴿ نَتَبَوَّأُ ﴾ نتنزل ﴿ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ منها، ثم يدخل سائر الأمم(٢)، وهو إشارة إلى السعة والزيادة عن قدر الحاجة، لا أن أحداً ينزل في غير منزله، روي أن أمة محمد ﷺ تدخل أولاً الجنة، فتنزل حيث تشاء منها، ثم يدخل سائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ ثواب المطيعين.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣١).

(٢) «منها ثم يدخل سائر الأمم» ساقطة من «ت».

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

[٧٥] ثم وصف حال الملائكة فقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: محيطين بجوانبه.

﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد؛ لأن التكليف يزول في ذلك اليوم.

﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ أي: بين جميع الخلائق.

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالعدل، فيدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

﴿ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والقائلون هم المؤمنون؛ شكراً لله حين تم وعده لهم، وقد فتح الله أول الخلق بالحمد فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ١]، وختم القيامة بالحمد في هذه الآية؛ للإيذان أن يحمد تعالى في أول كل أمر وخاتمته، والله أعلم.

* * *

سورة غافر

مكية بإجماع، وقد روي في بعض[1] آياتها أنها مدنية، وذلك ضعيف، والأول أصح، وآيها: خمس وثمانون آية، وحروفها: أربعة آلاف وتسع مئة وستون حرفاً، وكلمها: ألف ومئة وتسع وتسعون كلمة.

روى أنس عن النبي ﷺ: «أن الحواميمَ ديباجُ القرآن»[2]، ومعنى العبارة أنها خلت من الأحكام، وقصرت على المواعظ والزجر وطرق الآخرة محضاً، وأيضاً فهي قصار لا يلحق قارئها فيها سآمة.

وعن عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «من أراد أن يرتعَ في رياض مؤنقةٍ من الجنة، فليقرأ الحواميم»[3].

وعن ابن عباس قال: «لكل شيء لُباب، ولُباب القرآن الحواميم»[4].

---

(١) «بعض» ساقطة من «ت».

(٢) رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم، والديلمي، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٩). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٧١)، عن ابن مسعود موقوفاً عليه من قوله.

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٩).

(٤) رواه القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٨).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ①﴾.

[١] ﴿حمٓ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف[١]، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بإمالة الحاء محضاً، وقرأ ورش عن نافع: بإمالتها بين اللفظين، واختلف عن أبي عمرو، فروي عنه بين اللفظين، والفتح، والوجهان صحيحان عنه، وقرأ الباقون، وهم: ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم، وقالون عن نافع، وهشام عن ابن عامر: بالفتح، وأبو جعفر: يقطع الحروف على أصله، وكذا اختلافهم في بقية الحواميم، وقد تقدم الكلام في الحروف المقطعة في أوائل السور، ويختص هذا المحل بقول آخر: أن هجاء (حُمَّ) بضم الحاء وشد الميم المفتوحة[٢][٣]؛ كأنه يقول: حتم الأمر[٤]، ووقع، وقال ابن عباس: «(الٓر) و(حمٓ) و(نٓ) هي حروف (الرحمن) مقطعة في سور[٥]»، وروي أنه

---

(١) «وخلف» ساقطة من «ت».

(٢) في «ش»: «مفتوحة».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٧٠ـ٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٥).

(٤) في «ت»: «حُمَّ الأرض».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٣)، والتعليق الآتي عند تفسير الآية (١) من سورة الشورى.

اسم الله الأعظم، أقسم بحلمه وملكه، وقيل: الأقرب هاهنا أن يقال: (حمٓ) اسم السورة.

* * *

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] فقوله: ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، خبره ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ والتقدير: أن هذه السورة المسماة بحم تنزيلُ الكتاب من الله.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا مثل له ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بكل المعلومات.

* * *

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿غَافِرِ﴾ أي: ساتر ﴿ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين، والذنب: مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل، ومنه ذَنَبُ كل شيء؛ أي: آخره ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لهم؛ أي: التوبة، مصدر تاب يتوب توباً ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للمشركين.

﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي: ذي التطول[(١)] والمن بكل نعمة، فلا خير إلا منه، فترتب في هذه الآية وعيد بين ضدين، وهكذا رحمة الله تغلب غضبه، وقال ابن عباس: «الطَّول: السعة والغنى»[(٢)]، ثم صدع بالتوحيد في قوله:

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وبالبعث والحشر في قوله: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيجازي المطيع والعاصي.

---

(١) «أي: ذي التطول» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٤)، وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٤٦).

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤ ﴾.

[٤] ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في دفعها بالباطل.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بقولهم مرة: إنه سحر، ومرة: إنه قول الكهنة، ومرة: هو أساطير الأولين(١)، ومرة: إنما يعلمه بشر، وأشباه هذا، أما الجدال فيه لحل عقده، واستنباط حقائقه، وتقرير الحق فيه، فمن أعظم الطاعات.

روي أن رسول الله ﷺ سمع قوماً يتمارون فقال: «إنما هلكَ مَنْ كان قبلكم بهذا، ضربوا كتابَ الله بعضَه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدِّقُ بعضُه بعضاً، فلا تكذبوا بعضَه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكِلوه إلى عالمه»(٢).

﴿ فَلَا يَغۡرُرۡكَ ﴾ يا محمد ﴿ تَقَلُّبُهُمۡ ﴾ تصرُّفهم للتجارة.

﴿ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ فإنهم إن تمتعوا بزخارف الدنيا، فإنهم يعذبون في الآخرة.

* * *

(١) «الأولين» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٣٦٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] لأنهم كذبوك كما ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ نوحاً ﴿ وَٱلْأَحْزَابُ ﴾ الذين تحزبوا على أنبيائهم، وكفروا بهم ﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد قوم نوح.

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ ﴾ كافرة ﴿ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ أي: ليقتلوه.

﴿ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ بالشرك، والباطل: ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة، إما لانعدام الأهلية، أو لانعدام الحِلِّية[١]؛ كبيع الخمر وبيع الصبي.

﴿ لِيُدْحِضُوا۟ ﴾ ليزيلوا ﴿ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ الإسلام.

﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ بالإهلاك ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ فإنكم تمرون على آثارهم، وهذا تهديد لكفار مكة. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (فَأَخَذْتُهُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام[٢]، وقرأ يعقوب: (عِقَابِي) بإثبات الياء، والباقون بحذفها[٣].

* * *

---

(١) في «ت»: «المحلية».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٦).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٦).

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أي: العذاب ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ من قومك، كما حقت على الأمم المكذبة.

﴿ أَنَّهُمْ ﴾ أي: بأنهم ﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ سكانها. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (كَلِمَاتُ رَبِّكَ) بألف بعد الميم على الجمع، والباقون: بغير ألف على التوحيد، وهي للجنس(١).

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ من الحافين به، وهم الكَرُوبيُّون سادة الملائكة. قال ابن عباس: «حملةُ العرش ما بين كعبِ أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرةُ خمس مئة عام، وهم خشوع، لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء [السابعة، وكل أهل سماء أشدُّ خوفاً من أهل السماء](٢) التي دونها».

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٦-٣٧).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الملك الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

روي أن حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: [سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حكمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون][1]: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك[2]، وكأنهم يرون ذنوب بني آدم.

وروي أن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة يطوفون ويحمدون مسبحين بحمد ربهم[3] ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تعالى أنه واحد[4] لا شريك له.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقولون:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وسعتْ رحمتُك وعلمك كل شيء، ونصبه على التمييز.

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ دينَ الإسلام.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٦١)، عن شهر بن حوشب.
وروان أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٥٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٤)، عن هارون بن رئاب.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٦).

(٤) «واحد» زيادة من «ت».

﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ احفظهم عنه. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه: (وَقِهِمُ) بضم الهاء[1].

قال مطرف: أنصحُ عباد الله للمؤمنين الملائكةُ، وأغشُّ الخلقِ للمؤمنين هم الشياطين، وتلا هذه الآية[2].

* * *

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ إياها.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ عطف على (هم) في (وَأَدْخِلْهُمْ)؛ أي: أدخل معهم هؤلاء؛ ليتم سرورهم.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يمتنع عليه مقدور ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما يفعله.

* * *

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ادفعْ عنهم العقوبات يوم القيامة، والمعنى:

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٠٨)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٧٦).

وقهم ما يسوؤهم. قرأ رويس عن يعقوب: (وَقِهُمُ السَّيِّئَاتِ) بضم الهاء والميم، والباقون: بكسرهما[1].

﴿ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ ﴾ عند دخولِ النار ورؤيتِهم أعمالَهم الخبيثةَ ومقتِهم أنفسَهم.

﴿ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴾ المعنى: أنه يقال لهم يوم القيامة: لمقتُ الله أنفسَكم حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون أشدُّ مما تمقتونها اليوم وأنتم في النار.

***

﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ أي: إماتتين: الأولى: أن خلقوا في أصلاب آبائهم مواتاً، والثانية: عند انقضاء آجالهم.

﴿ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ إحياءتين: الأولى: الخروج من البطن، والثانية: البعث يوم القيامة.

---

(١) انظر: المصادر السابقة.

﴿ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث.

﴿ فَهَلۡ﴾ لنا[1].

﴿ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا[2].

﴿ مِّن سَبِيلٖ﴾ طريق.

* * *

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ۝١٢﴾.

[١٢] ﴿ ذَٰلِكُم﴾ تعليل في المعنى؛ أي: الذي أنتم فيه من العذاب ﴿ بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي: بسبب أنكم ﴿ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ بالتوحيد ﴿ كَفَرۡتُمۡ﴾ وقلتم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص: ٥].

﴿ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ﴾ معبودكم ﴿ تُؤۡمِنُواْ﴾ تصدقوا ذلك المشرك.

﴿ فَٱلۡحُكۡمُ﴾ اليوم بعذابكم وتخليدكم في النار ﴿ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ لا لتلك التي كنتم تشركونها معه في الألوهية، والْعَلِيُّ الْكَبِيرُ صفتا مدح من صفاته تعالى.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾.

[١٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ الدالةَ على وحدانيته.

---

(١) «لنا» ساقطة من «ت».

(٢) «ربنا» زيادة من «ت».

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ أي: مطراً هو سبب الأرزاق.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ يرجع عن الشرك.

* * *

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾.

[١٤] ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك.

﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ إخلاصكم.

* * *

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ۝١٥﴾.

[١٥] ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي: رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خالقه.

﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾ ينزل الوحي، سماه روحاً؛ لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح ﴿مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ من قضائه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ الأنبياء.

﴿لِيُنذِرَ﴾ قراءة العامة: بالغيب؛ أي: لينذر النبي بالوحي، وقرأ روح عن يعقوب من رواية زيد: (لِتُنْذِرَ) بالخطاب[1]؛ أي: لتنذر أنت يا محمد.

﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ هو يوم القيامة؛ لأن الخلائق تلتقي فيه. قرأ نافع، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني وعن قالون راوي الأول: (التَّلَاقِي)

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، وذكرها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص: ١٣٢) عن ابن السَّمَيْفع.

و(التَّنَادِي) بإثبات الياء فيهما وصلاً، وأثبتها[1] ابن كثير ويعقوب فيهما وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون فيهما في الحالين[2].

***

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ خارجون من قبورهم في بَراز من الأرض، ينظرُهم البصر، لا تسترهم أَكَمَةٌ ولا غيرها، ونصب (يَوْمَ) على البدل من الأول، فهو نصب لمفعول ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في الدارين ﴿مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ من أعمالهم وأحوالهم، فبعد فناء الخلق يقول تعالى:

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ فلم يُجَبْ، فيجيب نفسه تعالى بقوله:

﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ الذي قهر الخلق بالموت.

***

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ﴾ يُجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

---

(١) في «ت»: «وأثبتهما».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٣٨-٣٩).

﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ يحاسبهم في وقت واحد، فلا يشغله حساب عن حساب.

* * *

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾ خوِّفْهم ﴿ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾ القيامة، سميت به؛ لأزفها؛ أي: قربها، نظيره: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴾ [النجم: ٥٧]؛ أي: قربت القيامة.

﴿ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ ﴾ وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر ﴿ كَـٰظِمِينَ ﴾ مكروبين.

﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ قريب ينفعهم ﴿ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ فيشفع لهم.

* * *

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ﴾ أي: خافية ﴿ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ هي استراقُ النظر إلى محرم؛ كفعل أهل الريب ﴿ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ تضمره القلوب.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ﴾ يحكم بالعدل.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وهم الأصنام ﴿ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ لعجزهم. قرأ نافع، وهشام عن ابن عامر: (تَدْعُونَ) بالخطاب على معنى: قل لهم يا محمد: والذين تدعون أنتم، والباقون: بالغيب على ذكر الغائب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ صفتان بَيَّنَ عُرُوَّ الأصنام عنهما، وهي عبارة عن الإدراك على إطلاقه.

***

﴿ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ (٢١)﴾.

[٢١] ﴿ ۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ كعاد وثمود.

﴿ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ﴾ قرأ ابن عامر: (أَشَدَّ مِنْكُمْ) بالكاف، وكذا هو في المصحف الشامي، والباقون: بالهاء، وكذا هو في مصاحفهم(١).

﴿ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعنى: ألم يعتبروا بمن قبلهم؟ كانوا أشد منهم بأساً وأجساداً، وأحصن قصوراً، فكفروا.

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ فأهلكهم.

﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ يدفع عنهم العذاب. قرأ ابن كثير: (وَاقِي)

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٠).

و(هَادِي) بإثبات الياء وقفاً، وروي ذلك عن يعقوب[1].

***

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوهم.

﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾ متمكن مما يريده.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وهذا كله وعيد لقريش.

***

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ثم ابتدأ تعالى قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون وملئه، وهي قصة فيها للنبي ﷺ تسلية وأسوة، وفيها لقريش وعيد ومثال يخافون منه أن يحل بهم ما حل بأولئك من النقمة، وفيها وعد للمؤمنين بالنصر والظفر، فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ وهي المعجزات.

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان ظاهر.

***

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ﴾ في أمر العصا.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٠ و٤٥).

﴿ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه رسول من الله، وخص هامان وقارون بالذكر؛ تنبيهاً على مكانهما من الكفر، ولكونهما أشهر رجال فرعون.

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ﴾ أي: أعيدوا القتل الذي كان أولاً عند مولد موسى عليه السلام.

﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ عبارة وجيزة تعطي قوتها أن هؤلاء الثلاثة لم يقدرهم الله تعالى على قتل أحد من بني إسرائيل، ولا نجحت لهم فيه سعاية، بل أضل الله سعيهم وكيدهم.

* * *

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لقومه: ﴿ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ الذي يزعم أنه أرسله، هل يمنعه من القتل؟

﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾ يغير ما أنتم عليه ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ فساد دينكم ودنياكم بما يحدث عليكم(١) بسبب إيمانكم من قتل وغيره. قرأ ابن كثير: (ذَرُونِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها، [وقرأ

---

(١) في «ت»: «منكم».

نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1]][2]، وقرأ الكوفيون ويعقوب: (أَوْ أَنْ) بزيادة ألف مفتوحة قبل الواو، وبإسكان الواو، وكذلك هي في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقون: بالواو مفتوحة ليس قبلها ألف، وكذلك هو في مصاحفهم، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (يُظْهِرَ) بضم الياء وكسر الهاء (الفَسَادَ) بالنصب مفعولاً؛ أي: يحدث موسى الفساد، وقرأ الباقون: بفتح الياء والهاء (الفَسَادُ) بالرفع فاعلاً[3]، فصار حفص عن عاصم ويعقوب على أصل واحد، وهو زيادة الألف قبل الواو، وضم الياء من (يُظْهِرَ) ونصب (الفَسَادَ)، ونافع، وأبو جعفر وأبو عمرو على أصل، وهو إسقاط الألف وضم الياء من (يُظْهِرَ) ونصب (الفَسَادَ)، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم على أصل، وهو زيادة الألف قبل الواو، وفتح الياء من (يَظْهَرَ) ورفع (الفَسَادُ)، وابن كثير، وابن عامر على أصل، وهو إسقاط الألف، وفتح الياء من (يَظْهَرَ)، ورفع (الفَسَادُ)، فعلى القراءة بالواو وبغير ألف قبلها: خاف عليهم تبديل دينهم والفساد، وعلى القراءة بالألف قبل الواو: خاف عليهم تبديل دينهم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤١).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤١-٤٢).

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ ﴾ لما سمع قولَ فرعون: ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ لجهله. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (عُذتُّ) بإدغام الذال في التاء، والباقون: بالإظهار، بخلاف عن أبي جعفر(١).

* * *

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ وهو ابن عمه، واسمه خربيل، وقيل غيره، وهو الذي حكى الله عنه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ [القصص: ٢٠]، وكان قد آمن بموسى وهو ﴿ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ حكى ابن عطية في «تفسيره»(٢) عن أبيه: أنه سمع أبا الفضل ابن الجوهري على المنبر يقول وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة، فأطرق قليلاً، ثم رفع رأسه فقال:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٢).

(٢) في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٥).

عَنِ المرءِ لا تسألْ وسَلْ عن قرينهِ   فكــلُّ قــريــنٍ بــالمقــارنِ يقتــدي

ماذا ترون من قوم قرنهم الله تعالى بنبيه، وخصهم بمشاهدته، وتلقي الوحي منه، وقد أثنى الله ـ عز وجل ـ على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إيمانه وأسره، فجعله تعالى في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلامٍ قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذ جرد سيفه بمكة وقال: والله لا أعبد الله سراً بعد هذا اليوم، انتهى.

﴿أَتَقْتُلُونَ﴾ ظلماً بلا دليل ﴿رَجُلًا أَن﴾ أي: لأن.

﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: بما يدل على صدقه، ثم فصل شأن موسى بقوله:

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: ضرر كذبه. قرأ أبو عمرو: (وَإِنْ يَك كَّاذِباً) بإدغام الكاف في الكاف، وقرأ الباقون: بالإظهار[1]؛ لنقصان الحرفين بعدها[2] من الكلمة مع قلة حروفها.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً، وبذلك المقدار تهلكون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ على الله.

***

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٣).

(٢) «بعدها» زيادة من «ت».

﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ثم استعطفهم بقوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: غالبين في أرض مصر.

﴿ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ ﴾ يمنعنا من عذابه.

﴿ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ إذا قتلتم أولياءه.

فثمَّ ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ﴾ إضراباً عن مجادلة المؤمن انقطاعاً لقومه:

﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى.

﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ ﴾ أدعوكم ﴿ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ طريقَ الفلاح.

***

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ﴾ أي: أيام ﴿ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾ لأنه كان لكل حزب يوم. وتقدم اختلاف القراء في فتح الياء وإسكانها من (إِنِّي أَخافُ).

***

﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ ﴾ عطف بيان لـ(مثل) قيل: أي: مثل عادة.

﴿قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾ كقوم لوط، المعنى: أخاف عليكم مثل جزاء عادة من كفر قبلكم أن يحل بكم مثلهم.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ لأنه عادل، فلا يهلكهم قبل ثبوت الحجة عليهم، وهذا أبلغ من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]؛ لأنه نفى إرادة ظلمٍ ما. قرأ أبو عمرو: (يُرِيد ظُّلْماً) بإدغام الدال في الظاء[١].

* * *

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾.

[٣٢] ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يومَ ينادي الناس بعضُهم بعضاً في القيامة، وهو يوم الأعراف، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وبالعكس، وينادى: ألا إن فلانَ بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، [وأن فلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً][٢]، وينادى حين يُذبح الموت: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت. قرأ ابن عامر: (يَوْمَ التَّنَادِّ) بتشديد الدال؛ أي: يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا، فندوا في الأرض كما تندُّ الإبل إذا شردت عن أربابها، قاله البغوي[٣].

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٤).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) في «تفسيره» (٤/ ٤٢)، والقراءة عنده وعند ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٤) ذكرت عن ابن عباس.

﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣) ﴾.

[٣٣] ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار، وقيل: هاربين من النار إذا لفحهم زفيرها.

﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من عذابه ﴿ مِنْ عَاصِمٍۗ ﴾ مانع.

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ وتقدم اختلاف القراء في الوقف على الياء من (التَّنَادِي) و(هَادِي).

* * *

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ (٣٤) ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ ﴾ وهو ابن يعقوب ـ عليهما السلام ـ، بعث إلى القبط ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل موسى ـ عليه السلام ـ ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالدلالات على صدقه، وهو قوله: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩].

﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ ﴾ من الدين.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ ﴾ مات ﴿ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ ﴾ أي: أقمتم على كفركم، وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة، فلم تزالوا كافرين بيوسف وغيره.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كهذا الإضلال ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ في الأمور، متعدِّ الطورَ ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاكٌّ؛ لغلبة الوهم، والانهماك في التقليد.

***

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ثم أنحى لهم على قوم صفتُهم موجودة في قوم فرعون، فكأنه أرادهم، فزال عن مخاطبتهم حسنَ أدب واستجلاباً، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالإبطال لها والرد ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان.

﴿أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ﴾ جدالُهم ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ يختم ويحجب عن الهدى ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر بخلاف عنه: (قَلْبٍ) بالتنوين (مُتكبِّرٍ) صفته، نسب الكبر إلى القلب، والمراد: صاحبُه، وقرأ الباقون: بغير تنوين بإضافة (قَلْبِ) إلى (مُتكَبِّرٍ)(١)، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه، وبالعكس.

***

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بناء ظاهراً عالياً لا يخفى على الناظر وإن بعد، وأصلُه من التصريح، وهو الإظهار.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٥).

﴿ لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴾ ما أتوصل به إلى نيل مرادي. قرأ الكوفيون ويعقوب: (لَعَلِّي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[1].

***

﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ طرقَها وأبوابها ﴿ فَأَطَّلِعَ ﴾ قرأ حفصٌ عن عاصم: (فَأَطَّلِعَ) بنصب العين على جواب (لعل)، لأنها هنا بمعنى التمني، وقرأ الباقون: برفعها عطفاً على (أَبْلُغُ)[2]، المعنى: لعلي أبلغ ما يوصلني إلى السماء، فأطلع ﴿ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ لأنظر ما هو.

﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ ﴾ يعني: موسى ﴿ كَٰذِبٗا ﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً، وتقدم ذكر قصة الصرح في سورة القصص.

﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ ﴾ قرأ الكوفيون، ويعقوب: (وَصُدَّ) بضم الصاد مجهولاً نسقاً على قوله (زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ)[3]، قال ابن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٦). وذكر البغوي أن قراءة (فأطلعَ) بالنصب، هي قراءة حميد الأعرج أيضاً.

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٣٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٧).

عباس: «صدَّه اللهُ عن سبيل الهدى»[1]، وقرأ الباقون: بالفتح معلوماً؛ أي: صَدَّ فرعونُ الناسَ ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيلِ الرشاد.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى.

﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ هلاك وخسران.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ طريق الهدى. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون عن نافع: (اتَّبِعُونِي) بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2].

* * *

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تُمتعون بها يسيراً، ثم تزول.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٧ـ٤٨).

﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِـرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَـرَارِ﴾ الإقامة، فليُعْتَدَّ لها.

***

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] لأنه ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ﴾ وهو النار إن لم يتب.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والصالح: الطاعات.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة. قرأ نافع، وابن عامر[١]، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الخاء[٢].

***

﴿۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ من النار بالتوحيد. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (مَا لِي) بإسكان الياء،

---

(١) «وابن عامر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٨-٤٩).

والباقون: بفتحها[1]، وأبو عمرو يدغم الميم في الميم من (يَا قَوْم مَّا لِي)[2] ﴿وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بالإشراك، كرر نداءهم؛ إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه.

***

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ثم فسر فقال: ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بربوبيته.

﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ممن كفر.

﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ لذنوب أهل التوحيد. قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَأَنَا أَدْعُوكُمْ) بالمد[3].

***

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿لَا جَرَمَ﴾ قرأ حمزة: (لَا جَرَمَ) بالمد بحيث لا يبلغ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٩).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٩).

الإشباع[1]، يعني: حقاً ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ لأعبده.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ إلى نفسه قط بالعبادة.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لعجزه.

﴿وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ينتفع بها.

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيجازي كلاً بما يستحقه.

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ ملازموها.

* * *

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٤٤)﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصيحة، فثَمَّ توعدوه لمخالفته دينَهم، فقال:

﴿وَأُفَوِّضُ﴾ أردُّ ﴿أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ معتمداً عليه. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (أَمْرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ يعلم المحق من المبطل.

* * *

---

(١) انظر: المصدرين السابقين.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٠).

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ثم خرج المؤمن من بينهم، فقصدوا قتله.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ به، فنجا مع موسى.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ الغرقُ في الدنيا، والنار في الآخرة.

* * *

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

[٤٦] وذلك قوله: ﴿ٱلنَّارُ﴾ وهي رفع على البدل من (سُوءُ الْعَذَابِ).

﴿يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ أي: يُحرقون بها نحو: عُرِض القوم على السيف؛ أي: قتلوا به.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ﴾ صباحاً ومساءً.

قال ابن مسعود: «أرواحُ آلِ فرعونَ في أجوافِ طيرٍ سود يُعرضون على النار كلَّ يوم مرتين حتى تقوم الساعة»[١].

ثم أخبر عن مستقرهم يوم القيامة فقال:

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٧). ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤١٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٥) عن الهذيل بن شرحبيل.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بوصل همزة (ادْخُلُوا) وضم الخاء، ويبتدئون بضم الهمزة؛ من الدخول؛ أي: يقال لهم: ادخلوا يا آلَ فرعون، فـ (يا) محذوفة، وقرأ الباقون: (أَدْخِلُوا) بقطع الهمزة مفتوحة في الحالين، وكسر الخاء؛ من الإدخال[1]؛ أي: يقال للملائكة: أَدخِلوا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾.

﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ فيعاد عليهم الإحراق مرة بعد مرة دائماً.

* * *

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك وقتَ تخاصمهم.

﴿فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ في القدر والمنزلة في الدنيا.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ وهم أشراف الكفار وكبراؤهم، ولم يصفهم بالكبر إلا من حيث استكبروا، لا أنهم في أنفسهم كبراء ولو كانوا كذلك في أنفسهم، لكانت صفتهم الكبر أو نحوه مما يوجب الصفة لهم.

﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمعٌ واحدُه تابع؛ أي: كنا نطيعكم في الدنيا.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؟

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٠ـ٥١).

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ ﴾ تنوينه عوضٌ من المضاف إليه؛ أي: نحن وأنتم جميعاً ﴿ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ فأدخل المؤمن الجنة، والكافر النار.

* * *

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ ﴾ حين اشتدت عليهم.

﴿ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ ﴾ شافعين لنا ﴿ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا ﴾ أي: قدر يوم ﴿ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ أي: شيئاً منه.

* * *

﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ أي: الخزنة؛ توبيخاً: ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ قرأ أبو عمرو: (رُسْلُكُمْ) (رُسْلنا) حيث وقع بإسكان السين، والباقون: بضمها[١].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥١ـ٥٢).

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ﴾ لهم تهكماً بهم: ﴿فَادْعُواْ﴾ أنتم؛ فإنا لا نشفع لكافر، ثم قال تعالى:

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك؛ لأنه لا ينفعهم.

* * *

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على أعدائهم.

﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ بثبوت حجتهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، وهم الحفظة، يقومون يوم القيامة، فيشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

* * *

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ قرأ نافع والكوفيون: (يَنْفَعُ) بالياء على التذكير؛ لأن المعذرة والعذر واحد، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث المعذرة[١]، المعنى: لو اعتذروا، لم يقبل عذرهم.

﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعدُ من الرحمة.

﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة، وهو شدة عذابها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٠).

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ النبوة والحكمة، والتوراة تعم جميع ذلك.

﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ من بعد موسى.

﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهي عبارة عن أن طوائف بني إسرائيل قرناً بعد قرن تصير فيهم التوراة إماماً، فكان بعضهم يرثها عن[1] بعض.

* * *

﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ ﴾ إرشاداً وتذكرة.

﴿ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ دون الأغمار الذين لا يعقلون.

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد على أذاهم.

﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ بنصر أوليائه وقهر أعدائه، فكما نصر موسى وأبقى التوراة في بني إسرائيل، فكذلك ينصرك ويبقي آثارك في أتباعك.

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ ليُستن بك ﴿ وَسَبِّحْ ﴾ صلِّ[2].

---

(١) في «ت»: «على».

(٢) «صلِّ» زيادة من «ت».

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ الصلوات الخمس، وقيل: صلاة الفجر والعصر.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ونزل في اليهود لما قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح ابن داود ـ يعنون: الدجال ـ يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويسير معه الأنهار، ويرد الملك إلينا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾[(1)] برهان ﴿أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ﴾ ما في قلوبهم ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي: تكبر وتعاظُم ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾ لأن الله مُذِلُّهم، فليسوا بمدركي مقتضاه.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ﴾ فالتجىء إليه من فتنة الدجال.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لأقوالكم وأفعالكم.

وتقدم ذكر ما ورد في الدجال في آخر تفسير سورة الكهف.

***

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٨)، وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٤) لعبد بن حميد وقال: بسند صحيح عن أبي العالية، وذكر ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٥) نحوه، وقال: هذا قول غريب، وفيه تعسف بعيد، وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه، والله أعلم.

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ابتداءً.

﴿ أَكْبَرُ ﴾ أعظمُ في الصدور.

﴿ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ الكفار.

﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، ولا توحيده تعالى، وهو توبيخ للكفار.

***

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ هو الجاهل ﴿ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ هو العالم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وهم المحسنون ﴿ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ﴾ اسم جنس يعم المسيئين، و(لا) زائدة؛ لأنه في مقابلة المؤمنين.

﴿ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: تذكراً (ما) قليلاً يتذكرون، والضمير للناس أو للكفار. قرأ الكوفيون: (تَتَذَكَّرُونَ) بتاءين على الخطاب، وقرأ الباقون: بالغيب[١]؛ لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٤٥).

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

[٥٩] [﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ﴾ القيامة.

﴿ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ لا شك في مجيئها][١].

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لا يصدقون بها.

***

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

[٦٠] ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ ﴾ اعبدوني. قرأ ابن كثير: (ادْعُونِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[٢]، وأبو عمرو يدغم اللام في الراء، وكذلك في قوله (وَقَال رَّجُلٌ) وشبهه حيث وقع[٣] ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ أُثِبْكم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ صاغرين. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (سَيُدْخَلُونَ) بضم الياء وفتح الخاء مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الخاء معلوماً[٤]، وقيل: الدعاء هو الذكر والسؤال.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٤).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٤).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١-٥٢)، =

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ لم يدعُ الله، غضبَ عليه»(١).

***

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

[٦١] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ ﴾ لتستقروا ﴿ فِيهِ ﴾ بأن خلقه بارداً مظلماً؛ ليؤدي إلى ضعف المحركات وهدوء الحواس.

﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ ﴾ يبصر فيه، وإسناد البصر إليه مجازي.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ وتنكيره الفضل يؤذن بكثرة فضله تعالى، وشياعه في كل فضل.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ لجهلهم بالمنعم، وفي تكرير (الناس) توبيخ لهم.

***

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الذي لا يشارك.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٤ـ٥٥).

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٣)، كتاب: الدعوات، باب: (٢)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء.

﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟

***

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أُفِكْتُم عن الحق مع قيام الدلائل، كذلك.

﴿يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ولم يتأملوها.

***

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

[٦٤] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً كالقبة.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ قال ابن عباس: «خلق ابن آدم قائماً معتدلاً، يأكل ويتناول بيده، وغيرُ ابن آدم يتناول بفيه»[١].

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ اللذائذ غير رزق البهائم.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فإن كل ما سواه مربوب.

***

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٢).

﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ ﴾ الذي لا يموت .

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إذ لا موجود يساويه .

﴿ فَٱدۡعُوهُ ﴾ فاعبدوه ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ﴾ من الشرك .

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ هو إخبار ، وفيه إضمار الأمر ، مجازه : فادعوه واحْمَدوه .

* * *

﴿ ۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ولما طلب الكفار منه ﷺ عبادة الأوثان ، نزل : ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ ﴾[١] تعبدون ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ دلائل التوحيد ﴿ مِن رَّبِّي ﴾ وإن كان منهياً عن عبادتها أبداً عقلاً ، فهو مع البينات آكد ، ويجوز أنه نهي له ﷺ ، والمراد غيره ، يوضحه :

﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ لأنه كان مسلماً .

* * *

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (٤/ ٥٣) .

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٧] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أي: أطفالاً، وتعلق (لِتَبْلُغُوا) بمحذوف تقديره: يُبقيكم.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامُلَ قوتكم، وكذلك.

﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (شِيُوخاً) بكسر الشين، والباقون: بضمها(١).

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ﴾ من قبل الأَشُدّ، ومن قبل أن يصير شيخاً، يفعل ذلك بكم لتعيشوا.

﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدداً، وهو وقت الموت.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد، فتؤمنون.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

[٦٨] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراده.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٦).

﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ عقب الإرادة بلا إباء. قرأ ابن عامر: (فَيَكُونَ) بنصب النون، والباقون: بالرفع(١).

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: القرآن، يقولون: ليس من عند الله ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ عن التصديق به؟!

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن.

﴿ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ﴾ من سائر الكتب.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ جزاء تكذيبهم.

* * *

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

[٧١] ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ ﴾ (إذْ) ظرف زمان ماض بمعنى الاستقبال؛ لأن مستقبل فعله تعالى كالماضي في تحققه لـ (يعلمون) ﴿ وَٱلسَّلَٰسِلُ ﴾ عطف على (الأغلالُ)، فالخبر: (في أعناقهم).

﴿ يُسْحَبُونَ ﴾ بها.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٦)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٧).

﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ۝٧٢﴾ .

[٧٢] ﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ أي: يُجرون بالسلاسل[١]، ويجرونها في جهنم ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ﴾ بعد جر السلاسل ﴿يُسۡجَرُونَ﴾ يوقدون، فيصيرون سجار جهنم[٢].

* * *

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ۝٧٣﴾ .

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ﴾ بعد الإحراق تبكيتاً: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ .

* * *

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ .

[٧٤] ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم، وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم.

﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗا﴾ أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً ينفع ويضر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أضل هؤلاء.

﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ حتى لا يهتدوا.

* * *

---

(١) «يجرون بالسلاسل» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «النار».

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥﴾.

[٧٥] ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب الذي نزل بكم.

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تبطرون وتتكبرون.

﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الشرك والطغيان.

﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح وتختالون.

* * *

﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾.

[٧٦] ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة أي: مقدرين الخلود فيها.

﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ ولم يقل: فبئس مدخل؛ للإعلام أن الغرض من الدخول الإقامة.

* * *

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾.

[٧٧] ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب وهو القتل والأسر ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل حلول العذاب بهم.

﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فنعذبهم أشد العذاب. قرأ يعقوب:

(يَرْجِعُونَ) بفتح الياء وكسر الجيم، والباقون: بضم الياء وفتح الجيم[1].

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

[٧٨] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ خبرَهم في القرآن.

﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾ لم نذكر لك خبرهم.

روي أن عدد الأنبياء مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً[2].

وروي أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس[3].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧١)، من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٥٩): ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل، وفيه أن عددهم: «مئة ألف وعشرون ألفاً».

(٣) رواه أبو يعلى في «المسند» (٤١٣٢). من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٠): فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف جداً. وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٨٧).

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: «أن الله تعالى بعث نبياً أسود، وهو ممن لم يقصص الله عليه»[1].

وتقدم في سورة البقرة أسماء الأنبياء الذين ذكروا في القرآن بأسمائهم، والذين أشير إليهم.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ تقترح عليه.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فإنهم عبيد مربوبون.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِىَ﴾ بين الرسل عليهم السلام ومكذبيهم ﴿بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ ثَمَّ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ المعاندون بعد ظهور الآيات المغنية عما يقترحون. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَمْرُ اللهِ) كاختلافهم فيهما من ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

* * *

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ هي الأزواج الثمانية المذكورة في سورة الأنعام ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا﴾ بعضاً؛ كالإبل ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كالغنم والبقر، فـ(منها) الأولى للتبعيض؛ لأن المركوب ليس من الأنعام، بل من

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٩). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢٢٢).

الإبل خاصة، و(منها) الثانية لبيان الجنس؛ لأن الجميع منها يؤكل.

* * *

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها.

﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد.

﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ أي: على الإبل في البر[1] ﴿ وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ في البحر ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾ نظيره قوله: ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

* * *

﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ ﴾ دلائلَ قدرته ﴿ فَأَيَّ ﴾ أي: أيَّ آيةٍ من.

﴿ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار.

* * *

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ من الأمم السالفة.

---

(١) «في البر» زيادة من «ت».

﴿كَانُوٓا۟ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ﴾ عدداً.

﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من المصانع والقصور.

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ لم ينفعهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكۡسِبُونَ﴾ حين جاءهم عذاب الله، و(ما) الأولى نافية، والثانية موصولة.

* * *

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وهو قولهم: نحن أعلم، لن نبعث، ولن نعذب، سمي ذلك علماً على ما يزعمونه على طريق التهكم.

﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ أي: جزاء استهزائهم.

* * *

﴿فَلَمَّا رَأَوۡا۟ بَأۡسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوۡا۟ بَأۡسَنَا﴾ شدةَ عذابنا ﴿قَالُوٓا۟﴾ بألسنتهم دون قلوبهم:

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾ أي: تبرأنا مما كنا نعدل بالله.

* * *

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] [﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ ﴾][١] لامتناع قبوله حينئذ.

﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ ﴾ ونصب (سُنَّتَ) مصدر مؤكد؛ أي: سن الله ذلك سنة ماضية في العباد أن الإيمان وقت نزول العذاب لا ينفع، و(سنت) رسمت بالتاء في خمسة مواضع، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي[٢].

﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ اسم مكان استعير للزمان؛ فإن قوله: (هُنَالِكَ) إشارة إلى أوقات العذاب؛ أي: ظهر خسرانهم، وحضر جزاء كفرهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٥٩).

سورة فصلت

وتسمى: المصابيح، وهي مكية بإجماع من المفسرين، وآيها: أربع وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمسون حرفاً، وكلمها: سبع مئة وست وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١﴾.

[١] ﴿حمٓ﴾ تقدم الكلام في مذاهب القراء، وتفسير (حم) أول سورة غافر، فعلى القول المتقدم بأن (حٓم) اسم للسورة، يكون مبتدأ.

* * *

﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾.

[٢] خبره ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ صفتا رجاء ورحمة لله.

* * *

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾.

[٣] ﴿كِتَٰبٌ﴾ بدل من (تَنْزِيلٌ)، أو خبر بعد خبر ﴿فُصِّلَتْ﴾ بُينت. ﴿ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالأحكام والقصص والمواعظ.

﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ نصب على الاختصاص والمدح؛ أي: أريد بهذا الكتاب المفصل قرآناً من صفته كيت وكيت.

﴿ لِقَوۡمٍ ﴾ عرب ﴿ يَعۡلَمُونَ ﴾ أنه منزل[1] بلغتهم فيفهمونه.

* * *

﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ بَشِيرًا ﴾ للعالمين به ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للمخالفين له، وهما نعتان للقرآن.

﴿ فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ ﴾ عن قبوله.

﴿ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ السماعَ النافعَ الذي يُعتد به سمعاً.

* * *

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ يعني: المشركين.

﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ ﴾ أغطية، جمع كِنان.

﴿ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ ﴾ فلا نفقه ما تقول.

﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ ﴾ ثقل[2]، فلا نسمع ما تقول، وإنما قالوا ذلك؛ لِيُؤْيِسُوه من قبولهم لدينه، وهو على التمثيل. قرأ الدوري عن الكسائي: (آذَانِنَا) و(آذَانِهِمْ) بإمالة فتحة الذال حيث وقع[3].

---

(١) في «ت»: «نزل».

(٢) «ثقل» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٣).

﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾ أي: خلاف في الدين، فلا نلتفت إلى إنذارك، ولا نؤمن بك ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ يا محمد في هلاكنا ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ في مثل ذلك، وقيل: فاعمل أنت على دينك، إننا عاملون على ديننا.

* * *

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ لست ملكاً ولا جنياً.

﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ ولولا الوحي ما دعوتكم.

﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ تعالى؛ أي: توجهوا إليه بالطاعة، ولا تعدلوا عنه إلى عبادة غيره ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ من ذنوبكم ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾.

[٧] صفتهم ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لا يقولون: لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، فلا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ وأعاد الضمير في قوله: (هم) تأكيداً.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨﴾.

[٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ لا[١] مقطوع ولا منقوص.

---

(١) «لا»: ساقطة من «ت».

﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩﴾.

[٩] ﴿ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الأحد والإثنين. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، وفصل بين الهمزتين بألف: أبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام، وقرأ الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين(١) ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ أشباهاً وأمثالاً.

﴿ذَٰلِكَ﴾ خالق الأرض ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الذي خلق جميع الموجودات.

* * *

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي: في الأرض.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً(٢) ثوابت.

﴿مِن فَوۡقِهَا﴾ من فوق الأرض مرتفعة عليها ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بما خلق من المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ أي: قسم في الأرض الأرزاق

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٤).

(٢) «جبالاً» زيادة من «ت».

بقدر الحاجة ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي: تتمة أربعة أيام، المعنى: خلق الأرض في يومين: الأحد والإثنين، وقدر الأقوات في الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين المتقدمين أربعة أيام ﴿سَوَآءٗ﴾ قرأ أبو جعفر، (سَوَاءٌ) بالرفع على الابتداء؛ أي: هي سواء، وقرأ يعقوب: (سَوَاءٍ) بالكسر صفة لأيام، وقرأ الباقون: بالنصب على المصدر(١)؛ أي: استوت سواء واستواء، ومعناه: سواء ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خلقها بما فيها.

***

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾.

[١١] ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ عمد إلى خلقها.

﴿وَهِيَ دُخَانٞ﴾ روي أن العرش كان قبل خلق السماء والأرض على الماء، فارتفع من ذلك الماء بخار فسمي دخاناً، فأيبس الله تعالى الماء فجعله أرضاً، ثم فتقها أرضين، ثم خلق من ذلك البخار السماءَ.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا﴾ أي: كونا كما أردتُ.

﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ مصدران في موضع الحال.

قال ابن عباس: «قال تعالى للسماء: أخرجي شمسك ونجومك، وللأرض: شقي أنهارك وأخرجي ثمرك ونباتك، فإن فعلتما ذلك طوعاً، وإلا ألجأتكما أن تفعلاه كرهاً»(٢).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٤ـ٦٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» =

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ﴾ حال.

* * *

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] فلما وصفهما بالقول، أجراهما في الجمع مجرى من يعقل ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أتمهن؛ يعني: السموات ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الخميس والجمعة، وفرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها ـ أي: تلك الساعة ـ خلق آدم، وفيها تقوم الساعة، وسمي بالجمعة؛ لاجتماع المخلوقات فيه، وتكاملها، ولما لم يخلق الله تعالى يوم السبت شيئاً، امتنع بنو إسرائيل من الشغل فيه.

قال ابن عطية[1]: والظاهر من القصص في طينة آدم: أن الجمعة التي خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها المخلوقات هي أول الأيام؛ لأن بإيجاد الأرض والسماء والشمس والقمر وجد اليوم ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ أي: ما أمر به فيها.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ كواكب ﴿وَحِفۡظٗاۚ﴾ نصب بمصدر محذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً من استراق السمع والشهب الصادرة عن الكواكب.

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ البالغ في القدرة والعلم.

= (٧/ ٣١٦) إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(١) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥).

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾ كفار مكة عما جئتهم به ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ ﴾ خوفتكم.

﴿ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ لأنكم تمرون على آثارهم إذا سافرتم إلى الشام، والصاعقة: المهلكة من كل شيء.

* * *

﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ﴾ ظرف لـ(أَنْذَرْتُكُمْ)؛ أي: إن كذبتم، يحل بكم ما حل بهم حين جاءتهم ﴿ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: من كل جانب ﴿ أَلَّا ﴾ أي: بأن لا ﴿ تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ .

فثَمَّ ﴿ قَالُوا۟ ﴾ استخفافاً برسلهم: ﴿ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا ﴾ هدايتنا ﴿ لَأَنزَلَ ﴾ بدلَ هؤلاء الرسل ﴿ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ فآمنا بهم.

﴿ فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ لأنكم بشر مثلنا، لا مزية لكم علينا.

لطيفة[١] :

روي أن عتبة بن ربيعة قال لقريش: أنا أستخبر لكم محمداً، وكان قد قرأ الكتب، وتعلم الكتابة والكهانة، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ تشتم آلهتنا وتضللنا، فإن كنت تريد الرياسة، عقدنا لك اللواء، فكنت

---

(١) «لطيفة» ساقطة من «ت».

رئيسنا، وإن تك بك الباءة، زوجناك عشر نسوة، تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك حب المال، جمعنا لك ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة، ومر في صدرها حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾» فوثب عتبة، ووضع يده على فم النبي ﷺ، وناشده الله أن يسكت، فسكت، وانصرف عنه، فأخبرهم أنه سمع ما لا يشبه كهانة ولا شعراً ولا سحراً، قال: ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي[1].

***

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تعظَّموا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن استولوا عليها، وأخذوها من أهلها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ظلماً ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ نحن ندفعه إذا نزل بنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، فكان أحدهم يقتلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث شاء، قال الله رداً عليهم:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ينكرونها، وهم يعرفون أنها حق.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٠ـ٦١). وقد رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٢٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٢٤٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢٢٧).

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ عاصفة شديدة الصوت، تُحرق ببردها كحرق النار بحرها ﴿ فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (نَحْسَاتٍ) بإسكان الحاء، والباقون: بكسرها[١]؛ أي: نكدات مشؤومات، فأمسك عنهم المطر ثلاث سنين، ودأبت عليهم الريح بلا مطر.

﴿ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ ﴾ الذل ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ وصف العذاب بالخزي؛ لأنه حيث حل، حل الخزي معه.

﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ ﴾ أشد ﴿ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ بدفع العذاب عنهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ بينا لهم سبيل الهدى.

﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ ﴾ الكفر.

﴿ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ الإيمان.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٦-٦٧).

﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ ﴾ الذي يُهينهم.

﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ من اختيار الكفر.

* * *

﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ قرن تعالى بذكرهم ذكرَ من آمن واتقى، ونجاته؛ ليبين الفرق.

* * *

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَيَوْمَ ﴾ أي: واذكر يوم ﴿ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ ﴾ يُجمعون ﴿ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يُحبس أولُهم على آخرهم. قرأ نافع، ويعقوب: (نَحْشُرُ) بالنون وفتحها وضم الشين (أَعْدَاءَ) بالنصب، وقرأ الباقون: بالياء وضمها وفتح الشين، ورفع (أَعْدَاءُ) على البناء للفاعل[١]، وهو الله سبحانه.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا ﴾ (ما) زائدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور.

﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يُنطقها الله تعالى كإنطاق اللسان، فتشهد بما صدر منها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٦٩).

﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي: الكفار ﴿ لِجُلُودِهِمْ ﴾ توبيخاً لهم:

﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ فعنكن كنا نناضل؟

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ معتذرين: ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ له النطق.

﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ يعقوب: (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[1].

***

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] فأخبر الله تعالى: أن الجلود ترد جوابهم؛ بأن الله الخالق المبدىء المعيد هو الذي أنطقهم ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ بالحُجب عن ارتكاب الفواحش ﴿ أَن ﴾ أي: لأن.

﴿ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴾ المعنى: لم تستتروا عند ارتكاب الفاحشة خوفَ شهادة جوارحكم عليكم؛ لأنكم لم توقنوا بالبعث.

﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ ﴾ عند استتاركم.

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من الخفيات.

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٠).

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ (٢٣) ﴾.

[٢٣] ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ أهلككم ﴿ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ (٢٤) ﴾.

[٢٤] ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فقال: ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ ﴾ على العذاب.

﴿ فَٱلنَّارُ مَثْوًى ﴾ منزل ﴿ لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ ﴾ يطلبوا العتبى، وهي الرجوعُ عن الإساءة، وطلبُ الرضا ﴿ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ المجابين.

* * *

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ (٢٥) ﴾.

[٢٥] ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا ﴾ بعثنا ﴿ لَهُمْ ﴾.

ووكلنا ﴿ قُرَنَآءَ ﴾ نُظَراء من الشياطين.

﴿ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمر الدنيا، وما تقدم من أعمالهم.

﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب، وما هم عازمون عليه من الأعمال.

﴿وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ بالعذاب ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ في جملة أمم[1].

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ﴾ أي: جميع المذكورين ﴿خَٰسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب.

***

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حين قراءته ﷺ: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ عارضوه إذا قرىء بإكثار الصياح بالهذيان والخرافات، وإنشاد الأشعار، واللغو: هو الساقط من الكلام.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ محمداً على قراءته، فيسكت.

***

﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ وهو النار.

﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أقبح جزاء عملهم.

***

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ﴾ عطف بيان لجزاء قبل. واختلاف

(١) «في جملة أمم» زيادة من (ت).

القراء في الهمزتين من ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾ كاختلافهم فيهما من قوله: ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ في سورة النمل [الآية: ٣٢] ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ الإقامة.

﴿جَزَآءًۢ﴾ مصدر أو حال ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ينكرون الحق.

* * *

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٢٩﴾.

[٢٩] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم في النار: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ يعنون: إبليس، وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه؛ لأنهما سنا الكفر والمعصية. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم، والسوسي عن أبي عمرو: (أَرْنَا) بإسكان الراء، وروي عن الدوري: اختلاس كسرتها، وقرأ الباقون: بكسر[١] الراء، وكلها لغات بمعنى الرؤية[٢]، وقرأ ابن كثير: (ٱلَّذَيْنِّ) بتشديد النون والمد وتمكين الياء لالتقاء الساكنين، والباقون: بالتخفيف[٣].

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ فيها جزاء إضلالهم إيانا.

---

(١) في «ت»: «بإسكان»، وهو خطأ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧١).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على قولهم، فلم يختل توحيدهم، ولا اضطرب إيمانهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت بالبشرى ﴿أَلَّا﴾ أي: بأن لا ﴿تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أَمَنَةٌ عامة في كل مهم مستأنف، وتسليةٌ عامة في كل فائت ماض، والخوف: غم يلحق لتوقع المكروه، والحزن: غم يلحق لوقوعه؛ من فوات نافع، أو حصول ضار، والمعنى: أن الله كتب لكم الأمن من كل غم، فلن تذوقوه أبداً.

﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا على لسان الرسل.

***

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ يعني: حفظتكم.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ من الكرامات(١).

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تتمنون.

***

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿نُزُلًا﴾ رزقاً، ونصبه على المصدر ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾.

---

(١) في «ت»: «المكرمات».

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ونزل فيه ﷺ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ إلى توحيده.

﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ فيما بينه وبين ربه، وبينه وبين العباد.

﴿ وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ معتقداً ذلك.

***

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ فالحسنة أفضل، وكرر (لا) في قوله (ولا السَّيِّئَةُ) تأكيداً؛ ليدل على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة، ولا السيئة والحسنة، فحذفتا اختصاراً، ودلت (لا) على هذا الحذف.

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ آية جمعت مكارمَ الأخلاق وأنواعَ الحكم، المعنى: ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أحسن الفعلات والسير، فمن ذلك: بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقتضاء، وغيره.

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ المعنى: إذا فعلت ذلك، صار العدو كالصديق القريب في محبته.

روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم

أسلم[1] فصار ولياً بالإسلام، حميماً بالقرابة، أو نزلت في شأن أبي جهل وإيذائه رسول الله[2] ﷺ، فأمر بالصفح عنه، ونسختها آية القتال[3].

***

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي: هذه الخصلة.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ على كظم الغيظ.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ في الخير والثواب.

***

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٦ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾ (إمَّا) شرط، وجواب الشرط قوله: ﴿ فَٱسْتَعِذْ ﴾ والنزغ شبهُ النخس، وهو الوسوسة، فكان الشيطان[4] ينخس الإنسان، ويحركه، ويبعثه على ما لا يحل، المعنى: إن صرفك الشيطان بوسوسته عن الخير، فاستعذ ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ منه، وهو يعصمك.

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لاستعاذتك ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بنيتك.

***

---

(١) «ثم أسلم» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الرسول».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٧)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٦٢).

(٤) «فكان الشيطان» زيادة من «ت».

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ لأنهما مخلوقان مثلكم.

﴿ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ الضمير للأربعة المذكورة، وأُنث؛ لأنها آيات.

﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فإن السجود أخص العبادات، وهذا محل السجدة عند الإمام مالك رضي الله عنه.

* * *

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن امتثال أمرك في ترك السجود لغير الله سبحانه.

﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ من الملائكة.

﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ يصلون ﴿ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ دائماً.

﴿ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾ لا يملون، وهذا محل السجدة عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد ـ رضي الله عنهم ـ، وكل من الأئمة على أصله في السجود، فأبو حنيفة هو واجب، ومالك هو فضيلة، والشافعي وأحمد هو

سنة، وتقدم ذكر اختلافهم ملخصاً[1] عند سجدة مريم.

* * *

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ دلائل قدرته.

﴿ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ يابسة لا نبات فيها.

﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ ﴾ انتفخت بالنبات، وتزخرفت.

﴿ وَرَبَتْ ﴾ زادت. قرأ أبو جعفر: (وَرَبَأَتْ) بهمزة مفتوحة بعد الباء، والباقون: بحذفها[2].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا ﴾ بعد موتها.

﴿ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من الإحياء والإماتة.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ ﴾ يميلون ﴿ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ بالطعن فيها. قرأ حمزة: (يَلْحَدُونَ) بفتح الياء والحاء، والباقون: بضم الياء وكسر الحاء[3].

---

(١) «ملخصاً» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٣-٧٤).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٤).

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنجازيهم على إلحادهم، ونزل استفهاماً وعيداً ووعداً:

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ أمر تهديد ووعيد.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وجواب (إن) محذوف؛ أي: خسروا، ثم وصف الذكر فقال:

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ كريم على الله.

* * *

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: ليس فيما تقدمه من الكتب ما يبطل شيئاً منه، وليس فيما[1] بعده من نظر ناظر وفكرة عاقل ما يبطل شيئاً منه، ولا يتطرق إليه ما يبطله من جهة ما، ولا يجد إليه سبيلاً.

وهو ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ يحمده كل مخلوق.

* * *

---

(١) في «ت»: «يأتي».

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾ يا محمد؛ من التكذيب ﴿ إِلَّا ﴾ مثل.

﴿ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ ﴾ من التكذيب ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ وهو تسلية له ﷺ عن مقالات قومه، وما يلقى من المكروه منهم.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ لأوليائه ﴿ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لأعدائه.

* * *

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ ﴾ أي: هذا الكتاب الذي يُقرأ على الناس.

﴿ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا ﴾ يُقرأ بغير لغة العرب.

﴿ لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ﴾ هلاَّ بُينت ﴿ ءَايَاتُهُۥٓ ﴾ بالعربية.

﴿ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ الهمزة للإنكار، المعنى: لأنكروا، وقالوا: قرآن أعجمي، ورسول عربي؟ والأعجمي ـ بسكون العين ـ: من لا يفصح، وإن كان عربياً، وليست نسبة حقيقة، إنما هي توكيد لمعنى الصفة؛ كأحمريّ في أحمر. قرأ قنبل عن ابن كثير، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب باختلاف عنهم: (أَعْجَمِيٌّ) بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ الباقون: بهمزتين على الاستفهام، فحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وروح عن يعقوب: يحققون الهمزتين، والباقون: يحققون

الأولى، ويسهلون الثانية بين الهمزة والألف، وهم على أصولهم، فورش اختلف عنه في إبدالها ألفاً خالصة، وتسهيلها بين بين، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وقالون: يفصلون بين الهمزتين بألف، واختلف عن هشام في تسهيلها وتحقيقها وإدخال الألف بينهما مع تحقيقهما، وروي عن ابن ذكوان وحفص: إدخال الألف بين الهمزتين مع تحقيقهما[1] ﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: القرآن.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ من الضلالة.

﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما في القلوب من الشكوك.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هو[2] ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وذلك لتصامِّهم عند سماعه، وتعاميهم عما يرون من آياته، ولما كانوا لا يعون ما يسمعون من القرآن، قال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يُنادَى من بعد، لم يسمع، ولم يفهم.

* * *

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)﴾.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ كما اختُلف في القرآن، فصدقه قوم، وكذبه آخرون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦-٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٥-٧٦).

(٢) «هو» زيادة من «ت».

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بأن يفصل يوم القيامة بين الخلائق، والكلمة: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦].

﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بتعجيل إهلاك المكذبين.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من صدقك.

﴿مُرِيبٍ﴾ موقع للريبة.

* * *

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾.

[٤٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ نفعه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ ضرُّه.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فلا يضع شيئاً من عقوبات عبيده في غير موضعها، بل هو العادل المتفضل الذي يجازي كل عبد بكسبه.

* * *

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧)﴾.

[٤٧] ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمه غيره تعالى.

﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (ثَمَرَةٍ) بغير ألف على التوحيد، وقرأ الباقون: بألف بعد الراء على الجمع[١]؛ لاختلاف الأنواع

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧١)، و«النشر في=

﴿ مِنْ أَكْمَامِهَا ﴾ جمع كِمّ، وهو وعاء الثمر.

﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ ﴾ أي: ما يحدث حدوثٌ؛ من خروج ثمرٍ، وحملِ حاملٍ ووضعِه، وغيرِ ذلك.

﴿ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ فيعلمه تعالى على أي وصف وجد.

﴿ وَيَوْمَ ﴾ القيامة ﴿ يُنَادِيهِمْ ﴾ أي: الكفار ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِى ﴾ بزعمكم.

﴿ قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ ﴾ أعلمناك ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ أي: شاهد يشهد بأن لك شريكاً، لما عاينوا العذاب. قرأ ابن كثير: (شُرَكَائِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم ﴾ ثَمَّ ﴿ مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ ﴾ يعبدون.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ في الدنيا من الأصنام.

﴿ وَظَنُّواْ ﴾ أيقنوا ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ مهرب.

* * *

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ لا يمل الكافر.

﴿ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾ من طلب السعة في المال.

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٧).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٨).

﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾ الفقر والشدة.

﴿ فَيَـُٔوسٌ ﴾ من فضل الله ﴿ قَنُوطٌ ﴾ قاطع الرجاء من رحمته.

* * *

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ ﴾ آتيناه ﴿ رَحْمَةً ﴾ سعة وعافية.

﴿ مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ أي: بعملي. قرأ أبو عمرو: (مِنْ بَعْد ضَّرَّاءَ) بإدغام الدال في الضاد[١].

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ كزعم محمد.

﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ فرضاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها، واختلف عن قالون[٢].

﴿ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة، يقول ذلك استهزاء.

﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ من الأعمال الموجبة لهم النار.

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ شديد.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٨).

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ ﴾ عن شكره تعالى.

﴿ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ بَعُدَ، ولم يملْ إلى شكر ولا طاعة. قرأ أبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَنَاءَ) بألف قبل الهمز مثل وناع؛ من النوء، وهو النهوض والقيام، والباقون: بألف بعد الهمزة، [وأمال الكسائي، وخلف لنفسه وعن حمزة فتحة النون والهمزة](١)، وأمال السوسي عن أبي عمرو بخلاف عنه، وخلاد عن حمزة فتحَ الهمزة فقط، وفتحا النون، وقرأ الباقون: بفتح النون والهمزة على وزن نَعَى(٢).

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، فيقال: أطال فلان الكلام والدعاء، وأعرض؛ أي: أكثر.

* * *

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني ﴿ إِن كَانَ ﴾ القرآن.

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٩).

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ عناداً، ألستم على هلكة من قبل الله.

﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق؛ أي: فلا أحد أضل منكم؛ لأنكم أهلكتم أنفسكم بتكذيبه.

* * *

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ يعني وقائع الله في الأمم، وما يفتحه الله[١] على رسوله ﷺ من الأقطار حول مكة وغير ذلك من الأرض؛ كخيبر، وقهر العرب والعجم.

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يوم بدر، وفتح مكة.

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الشرع والقرآن.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلع لا يغيب عنه شيء.

* * *

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ في شك من البعث.

﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ علماً وقدرةً، ومعناه الوعيد لهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

سورة الشورى

مكية، وقال مقاتل: فيها مدني ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إلى ﴿ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾ إلى ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾، وآيها: ثلاث وخمسون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وخمس مئة وثمانية وثمانون حرفاً، وكلمها: ثماني مئة وست وستون كلمة، وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، والقول الثاني: أنه من سورة النجم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾.

[١-٢] ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ تقدم ذكر الإمالة، ومذهب أبي جعفر في تقطيع الحروف أول غافر، وأشبع ورش مد (عٓ) بخلاف عنه؛ كأول سورة مريم، قال ابن عباس: «إن (حمٓ عٓسٓقٓ) هذه الحروف بأعيانها نزلت في كل كتب الله المنزلة على كل نبي أُنزل عليه كتاب الله[1]»[2] ولذلك قال تعالى:

---

(١) لفظ الجلالة «الله» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٣)، و«تفسير الرازي» (٢٧/ ١٢٣). قال الرازي: وهذا عندي بعيد.

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ وفُصِلَتْ (حٓم) من (عٓسٓقٓ)، ولم يفعل ذلك بـ(كٓهيعٓصٓ) لتجري هذه مجرى الحواميم أخواتها، ولأنهما عُدَّا آيتين، و(كٓهيعٓصٓ) عُدَّت آية واحدة، والأقوال في هذه كالأقوال في أوائل السور.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: «(ح) حلمه (م) مجده (ع) علمه (س) سناؤه (ق) قدرته، أقسم الله بها»[1].

وروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الحروف التي في أوائل السور[2].

وروى حذيفة بن اليمان: «أن رجلاً يقال له: عبد الإله، أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاً، فتهلك إحدى المدينتين ليلاً، ثم تصبح الأخرى سالمة، فيجتمع فيها جبابرة

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٣)، و«فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٥٢٥)، وقال: وقيل غير ذلك مما هو متكلّف متعسف لم يدلَّ عليه دليل، وجاءت به حجة ولا شبهة حجة.

(٢) قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته: ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد تحصَّل لي فيها عشرون قولاً وأزيد، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم. انظر: «الإتقان» للسيوطي (٢/ ٢٦)، وفي مقدمة من نفى هذا العلم عن سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ، هذا ولمّا سئل السبكي عن دلالة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فكان من إجابته رحمه الله ـ: . . وأكثر ذلك يكون معصية ممّا يجب إنكارُه وبعضه ممّا جربناه فلم نجده صحيحاً مما لا فائدة فيه. انظر: «فتاوى السبكي» (٢/ ٥٦٣).

المدينتين متعجبين من سلامتها، فتهلك من الليلة القابلة، وإن (حَم) معناه: حتم[1] هذا الأمر، و(عين) معناه: عدلاً من الله، و(سين): سيكون ذلك، و(قاف) معناه: يقع ذلك بهم»[2].

***

﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾.

[٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني.

﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَإِلَى﴾ الرسل ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: كما أوحينا إليك، وأوحينا إليهم. قرأ ابن كثير: (يُوحَى) بفتح الحاء مجهولاً، القائم مقام الفاعل (إليك)، وقرأ الباقون: بكسر الحاء معلوماً، فالفاعل (الله) تعالى، وقرأ أبان عن عاصم: (نُوحِي) بنون العظمة[3]، فعلى قراءة ابن كثير (كَذَلِكَ) مبتدأ، خبره (يُوحَى)، وعلى قراءة الباقين (اللَّهُ) مبتدأ، خبره (العزيزُ الحكيمُ)، وقال (يُوحِي) مضارعاً دون ﴿أَوْحَى﴾؛ للإيذان أن إيجاد مثله عادته، و(العزيزُ الحكيمُ) صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به.

---

(١) في «ت»: «حُمَّ».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٧). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٠٧): غريب عجيب.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٩)، و«السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٣ـ٨٤).

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ﴾ في قدره ﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾ في سلطانه.

* * *

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قرأ نافع، والكسائي: (يَكَادُ) بالياء مذكراً؛ لتذكير الجمع، والباقون: بالتاء مؤنثاً[(١)]؛ لتأنيث (السَّمَوَات)، و(كادَ) من أفعال المقاربة.

﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: (يَنْفَطِرْنَ) بالنون وكسر الطاء مخففة؛ وقرأ الباقون: بالتاء وفتح الطاء مشددة[(٢)]؛ أي: يتشققن ﴿ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ أي: كل[(٣)] منها تنفطر فوق التي تليها، أو من فوق الأرضين السبع، من قول المشركين: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [البقرة: ١١٦].

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يقولون: سبحان الله، وقيل: يصلون.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٤).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٤).

(٣) في «ت» زيادة: «من» بعد «كل».

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي يطلب هذا منه؛ إذ هذه أوصافه، وهو أهل المغفرة.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ شركاء.

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب يحصي أعمالهم؛ ليجازي بها.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بموكَّل بهم، ولا بلازم لأمرهم حتى يؤمنوا، والوكيل: المقيم على الأمر، وما في هذا[١] اللفظ من موادعة، فهو منسوخ بآية السيف.

* * *

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثلَ ذلك الإيحاء البين.

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة؛ أي: أصل البلاد، والمراد: أهلها، ولذلك عطف عليها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ و(مَنْ) في الأغلب لمن يعقل؛ يعني: قرى الأرض كلها.

﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ هو يوم القيامة؛ أي: تخوفهم إياه؛ لما

---

(١) في «ت»: «هذه».

فيه مِنْ عذاب مَنْ كفر، ويسمى يوم الجمع؛ لاجتماع أهل الأرض وأهل السماء فيه.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ أي: في نفسه وذاته، وارتياب الكفار فيه لا يعتد به، ثم بعد الجمع يتفرقون.

﴿فَرِيقٌ﴾ مرتفع على خبر الابتداء المضمر؛ أي: هم فريق.

﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ هم المؤمنون ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ هم الكافرون.

***

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ثم قرن[١] تعالى تسلية نبيه بأن عرفه بأن الأمور موقوفة على مشيئته تعالى، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد، وهو الإسلام.

﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ﴾ إيمانَه، وهو من سبقت له السعادة عنده.

﴿فِي رَحْمَتِهِۦۚ﴾ في دين الإسلام.

﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ الكافرون الميسرون لعمل الشقاوة.

﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينقذهم من عذابه تعالى.

***

---

(١) في «ت»: «قوّى».

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ ﴾ وهذا كلام منقطع مما قبله، وليس بمعادلة، ولكن الكلام كأنه[١] أضرب عن حجة لهم أو مقالة مقررة، فقال: بل اتخذوا ﴿ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ شركاء وأنداداً، و(الفاء) بعد جواب شرط مقدر، تقديره: بعد نفي جميع الآلهة إن أرادوا ولياً حقاً.

﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾ لك يا محمد ولمن اتبعك.

﴿ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ يبعثهم من قبورهم.

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ قدرته تعطي هذا وتقتضيه.

* * *

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ثم أُمر ﷺ أن يقول للمؤمنين حيث اختلفوا هم و[٢] المشركون بين يديه:

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ ﴾ أنتم والكفار.

﴿ مِن شَيۡءٖ ﴾ من الدين وغيره ﴿ فَحُكۡمُهُۥٓ ﴾ مردود ﴿ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾.

---

(١) «كأنه» زيادة من «ت».

(٢) «و»: سقط من «ت».

﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾ الموصوفُ بهذا الوصف.

﴿ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ في جميع الأمور.

﴿ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ أَرْجِع.

***

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾.

[١١] وهو ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي: خالق الآفاق.

﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ أي: من جنسكم. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (جَعَل لَّكُمْ) بإدغام اللام الأولى في الثانية[١].

﴿ أَزۡوَٰجٗا ﴾ حلائلَ، وليس الأزواج هاهنا الأنواع ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ ﴾ ذكراً وأنثى؛ إكراماً لكم.

﴿ يَذۡرَؤُكُمۡ ﴾ يخلقكم، والضمير للأناسي والأنعام، فغلّب الأناسي.

﴿ فِيهِۚ ﴾ في هذا التدبير، وهو جعلُ الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد.

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ ﴾ أي: ليس كهو ﴿ شَيۡءٞۖ ﴾ يزاوجه ويناسبه، والمراد من (مثله): ذاتُه، والشيء: عبارة عن الموجود، قال ابن عباس: «ليس له نظير»[٢]، فالتوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة من

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٧).

الصفات، ليس كذاته ذوات[1]، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وجَلَّت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة، وحيث تراءى في مرآة القلب صورة، أو خطر بالخاطر مثال، أو ركنت النفس إلى كيفية، فليجزم بأن الله بخلافه؛ إذ كل ذلك من سمات الحدوث؛ لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوق، المنزهِ عنهما الخالق تعالى، ولقد أقسم سيد الطائفة الجنيد بأنه ما عرف اللهَ إلا اللهُ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ لكل ما يُسْمَع ويُبْصَر.

* * *

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الزمر.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ يوسِّع ويضيِّق؛ لأن مفتاح الرزق بيده ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيفعله على ما تقتضيه حكمته.

* * *

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى

---

(١) في «ت»: «ذات».

ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿﴿شَرَعَ﴾ بَيَّنَ.

﴿لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وهو أول أنبياء الشريعة.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن وشرائع الإسلام ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (إِبْرَاهَامَ) بألف بين الهاء والميم[١] ﴿وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ ثم بين المشروع المشترك فيه هؤلاء، وهو:

﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ وهو توحيد الله وطاعته، وما به يكون الإنسان مسلماً.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ في القدر المشترك بينكم من الدين، ولم يرد الاشتراك في جميع الشرائع؛ لأنها متفاوتة؛ لقوله تعالى:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم أخبر تعالى نبيه ﷺ بصعوبة موقع هذه الدعوة إلى إقامة الدين على المشركين بالله العابدين للأصنام بقوله:

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ﴾ يا محمد.

﴿إِلَيْهِ﴾ من التوحيد، ثم سلاَّه عنهم بقوله:

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ﴾ يختار ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: لدينه[٢].

﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ﴾ بالتوفيق.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٦).

(٢) «أي: لدينه» زيادة من «ت».

﴿مَن يُنِيبُ﴾ يُقبل إلى طاعته، وكان نبينا ﷺ قبل البعثة متعبداً في الفروع بشرع من قبلَه مطلقاً، وقيل: مُعَيَّن، فقيل: آدم، أو نوح، أو إبراهيم، أو موسى، أو عيسى، وقيل: بوضع شريعة اختارها، وقيل: بالإلهام، ولم يكن ﷺ على ما كان عليه قومه باتفاق الأئمة وإجماع الأمة.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: من زعمه، فقول سوء.

وامتناع المعصية منه ﷺ قبل البعثة عقلاً مبني على التقبيح العقلي، وبعدها معصوم من تعمد ما يُخِلُّ بصدقه فيما دلت المعجزة على صدقه من رسالة وتبليغ بالاتفاق.

***

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ (١٤) ﴾.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي: أهلُ الكتاب ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بأن التفرق ضلال ﴿بَغۡيَۢا﴾ لأجل البغي الحاصل.

﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ المؤدي إلى اختلاف الرأي وافتراق الكلمة.

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب والجزاء.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وهو يوم القيامة.

﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾ في الدنيا، وغلب المحقُّ المبطلَ.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى المعاصرين لمحمد ﷺ.

﴿مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعد مَنْ تقدمهم ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنۡهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ ووصف الشك بمريب مبالغة فيه.

***

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ﴿فَٱدۡعُ﴾ أنت إلى ربك، وبلغ ما أُرسلت به ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ على دينهم.

﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ أي: دُمْ على استقامتك؛ لأنه كان مستقيماً، وفي هذا المعنى قال النبي ﷺ: «شيبتني هودٌ وأخواتُها»، فقيل له: لم ذلك؟ فقال: «لأن فيها ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾»[١]، وهذا خطاب له ﷺ بحسب قوته في أمر الله تعالى، وقال هو لأمته بحسب ضعفهم: «استقيموا ولَنْ تُحصوا»[٢].

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ يعني: قريشاً فيما كانوا يهوونه من أن يعظِّم محمد ﷺ آلهتهم، وغير ذلك.

﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ﴾ يعني: جميع الكتب المنزلة من عند الله، وهو أمر يعم سائر أمته.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٧)، كتاب: الطهارة، باب: المحافظة على الوضوء، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٦)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. وصححه المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٩٧).

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ واللام بمعنى أن؛ أي: أمرت بأن أعدل.

﴿بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم، ولا أطالبكم بأكثر مما افترض الله عليكم.

﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ خالق كل شيء.

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وكلٌّ مجازى بعمله.

﴿لَا حُجَّةَ﴾ لا مخاصمة ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ نسخها آية القتال.

﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ وعيد للكفار.

* * *

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)﴾.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: في توحيده.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أي: من بعد ما أجاب المسلمون بالإيمان.

﴿حُجَّتُهُمْ﴾ مجادلتهم ﴿دَاحِضَةٌ﴾ باطلة.

﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)﴾.

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ في أحكامه.

﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدلَ، سمي ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف، ولما سئل ﷺ عن الساعة، نزل:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾[1] أي: البعث ﴿قَرِيبٌ﴾.

* * *

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ثم وصف تعالى حال الجهلة المكذبين بها، فقال:

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ استهزاءً ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ بقيامها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ خائفون من شدائدها.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا﴾ أي: مجيئها ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الواقع.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ وإبطال مجيئها عناداً.

﴿لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

* * *

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ بارٌّ بعباده بصنوف من البر ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ ما يشاء[2]، فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته.

﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ القادر ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلب.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٨).

(٢) «ما يشاء» زيادة من «ت».

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ عملَها؛ أي: من كان يريد بعمله الآخرةَ.

﴿ نَزِدْ لَهُۥ فِى ﴾ جزاء ﴿ حَرْثِهِۦ ﴾ بتضعيف الحسنة إلى العشر، وتزاد إلى ما شاء الله.

﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا ﴾ يريد بعمله الدنيا ﴿ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ ما قُسم له بلا تضعيف ﴿ وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ لأنه لم يعمل لها. قرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: (نُؤْتِهْ) بسكون الهاء، واختلف عن أبي جعفر، وقرأ يعقوب، وقالون عن نافع: بكسر الهاء من غير صلة، واختلف عن أبي جعفر وهشام، وقرأ الباقون، وهم ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: بصلتها، واختلف عن هشام(١).

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل ﴿ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾ والهمزة للتقرير والتقريع،

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ٣٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٠٥ـ٣٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٧).

وشركاؤهم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: عملوا شريعة لهم.

﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الفاسد، وهو الشرك.

﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ لأنه سبحانه منزه أن يأذن في عمل الباطل.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق بتأجيل الجزاء.

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الكافرين والمؤمنين في الدنيا.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

***

﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ المشركين يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ وَجِلين.

﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ من السيئات ﴿وَهُوَ﴾ أي: جزاء كسبهم ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ أشفقوا، أو لم يشفقوا. **قرأ** أبو عمرو (وَهُو وَّاقِعٌ) بإدغام الواو في الواو[1].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ أي: أطيب بقاعها، وهي المواضع المؤنقة، وهي مرتفعة في الأغلب، وهي الممدوحة عند العرب وغيرهم.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ أي: ما يشتهون ثابتٌ لهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي يصغُر دونه ما لغيرهم في الدنيا.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٨).

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المعدُّ لهم في الجنة ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ به.

﴿عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (يَبْشُرُ) بفتح الياء وإسكان الباء وضم الشين مخففة؛ من بَشَرَ، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة(١)؛ من بَشَّرَ، وهما لغتان بمعنى البشارة.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا﴾ نفعاً منكم.

﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم، قال ابن عباس: «لم يكنْ بطنٌ من قريش إلا له فيهم قرابة»(٢).

روي أنها لما نزلت، قيل: يا رسول الله! من قرابتك من هؤلاء؟ قال: «عليٌّ وفاطمةُ وابناها»(٣)، وقيل: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس(٤).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٨٨-٨٩).

(٢) رواه البخاري (٤٥٤١)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٥٩) عن ابن عباس، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): فيه جماعة ضعفاء وقد ثقوا كلهم، وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨١).

﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ﴾ يكسِبْ طاعة ﴿نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ بتضعيفها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ ساترُ ذنوبَ[1] عبيده ﴿شَكُورٌ﴾ مجازٍ على الدقيقة من الخير، لا يضيع عنده لعامل عمل.

***

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٤﴾.

[٢٤] ﴿أَمۡ﴾ أي: بل ﴿يَقُولُونَ﴾ كفار مكة: ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ محمد.

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بنسبته القرآن إلى الله ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ أي: ينسيك القرآن، والمراد: الرد على مقالة الكفار، وبيان إبطالها، وذلك كأنه يقول: وكيف يصح أن تكون مفترياً، وأنت من الله بمرأى ومسمع، ولو شاء الله أن يختم على قلبك، فلا تعقل ولا تنطق، ولا يستمر افتراؤك؟! فمقصد اللفظ هذا المعنى، وحذف ما يدل عليه الظاهر اختصاراً واقتصاراً، وهذا التأويل تهديد لهم، وقيل: المعنى: يختم على قلبك بالصبر، فلا تتأذى منهم، وهذا التأويل تسلية له ﷺ.

قال ابن عطية[2]: هذا التأويل لا يتضمن الرد على مقالتهم.

﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ وهو الكفر، فعل مستقبل خبر من الله تعالى أنه يمحو الباطل ولا بد، إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وكتبت (يَمْحُ) في المصحف بحاء مرسلة، كما كتبوا ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١] إلى غير ذلك مما ذهبوا

---

(١) في «ت»: «عيوب».

(٢) في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥).

فيه إلى الحذف والاختصار نظراً إلى اللفظ وحملاً للوقف على الوصل.

﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ يُثبت الإسلام.

﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بوحيه وقضائه، وقد فعل الله تعالى ذلك، فمحا باطلهم، وأعلى كلمة الإسلام.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما تضمره القلوب، فيجازي كلاً بعمله.

* * *

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] قال ابن عباس: لما نزل ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ووقع في قلوب قوم منها شيء، وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل، فأخبره أنهم اتهموه، وأنزل هذه الآية، فقال القوم: يارسول الله! فإنا[١] نشهد أنك صادق، فنزل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ﴾[٢] أي: من ﴿عِبَادِهِ﴾ يريد: أولياءه وأهل طاعته، والتوبة: الرجوع عن الذنب ندماً، والعزم ألاَّ يعود إليه أبداً ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ إذا تيب منها، فيمحوها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَفْعَلُونَ) بالخطاب؛ لأنه خطاب للمشركين، وقرأ الباقون: بالغيب[٣]؛ لأنه بين خبرين عن قوم.

---

(١) «فإنا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٠).

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] فقال قبله: ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾، وبعده: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يجيب تعالى دعاء المؤمنين الصالحين إذا دعوه.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ زيادة على ثواب عملهم؛ تفضلاً منه.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل.

* * *

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله الآية[١]. والبغي: الطغيان والعتو في الأرض ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ من الأرزاق.

﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ مصلحة لعباده.

﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ يعلم ما ظهر من أمرهم وما بطن. قرأ الكوفيون، ونافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (يُنَزِّلُ) بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون وهم ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنْزِلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي[٢]، واختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كاختلافهم

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٢٨)، و«تفسير الرازي» (٢٧/ ١٤٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

فيهما من (مَنْ نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) في سورة الحج [الآية: ٥].

في الحديث: عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله سبحانه: «وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه [إلا الفقر، ولو أغنيته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه](١) إلا الغنى، ولو أفقرته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته، لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني عليم خبير»(٢).

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ المطر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، وابن عامر: (يُنَزِّلُ) بالتشديد كما تقدم، والباقون: بالتخفيف.

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ أيسوا منه، روي أن الله حبس المطر على أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر، فذكَّرهم تعالى نعمتَه.

= (٢/ ٢١٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٠).

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٢٨٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. وانظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/ ٤٥).

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ وهي الشمس، فذلك تعديد نعمة غير الأولى[1]، وذلك أن المطر إذا جاء بعد القنط، حسن موقعه، فإذا دام، سئم، فتجيء الشمس بعده عظيمة المواقع.

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ لأهل طاعته ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد على كل حال.

* * *

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ﴾ أي: فرَّق.

﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ﴾ أي: وقت يشاء.

﴿قَدِيرٌ﴾ متمكن منه، والمراد: يوم القيامة عند الحشر من القبور.

* * *

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة.

﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فبسبب معاصيكم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (بِمَا كَسَبَتْ) بغير فاء قبل الباء، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون: بالفاء، وكذلك هي في مصاحفهم[2]، فالقراءة

---

(١) «غير الأولى» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٨٥)، و«النشر في=

بالفاء جواب ما قبل؛ لأنها شرطية محلها رفع ابتداء، ومن حذف الفاء، جعل ما في أول الآية مبتدأ، و(بِمَا كَسَبَتْ) خبرها.

قال ﷺ: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾، والله أكرم من أن يُثَنِّيَ عليكم العقوبة في الآخرة»[1] ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ من الذنوب، فلا يعاقب عليها. قال ﷺ: «والذي نفسي بيده! ما من خَدْشٍ، ولا عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»[2].

***

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٣١﴾.

[٣١] ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ بفائتين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هرباً حيثما كنتم.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ يدفع عنكم المصائب.

***

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩١).

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٨٥)، وأبو يعلى الموصلي في «المسند» (٤٥٣). قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٠٤): فيه أزهر بن راشد، وهو ضعيف.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٩٢)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٨).

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ ﴾ السفن. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين، وأمال فتحة الواو حيث وقع: الدوري عن الكسائي(١).

﴿ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ أي: كالجبال، وكل مرتفع عَلَم.

* * *

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ إِن يَشَأْ ﴾ شرط ﴿ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ ﴾ جوابه، وتعطف عليه ﴿ فَيَظْلَلْنَ ﴾ أي: السفن ﴿ رَوَاكِدَ ﴾ سواكنَ ﴿ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ أي: ظهر البحر.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ أي: لكل مؤمن؛ لأن من صفته الصبر في الشدة، والشكر في الرخاء. قرأ نافع، وأبو جعفر:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٨)، وَقَرأَها الكسائي (الجوري) بالإمالة في «الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩١-٩٢).

(الرِّيَاحَ) بفتح الياء وألف بعدها على الجمع، والباقون: بإسكان الياء وحذف الألف على الإفراد[1].

* * *

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] وتعطف على الجواب ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلِكْهن بالغرق.

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب، وتعطف على (يوبقهن).

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها.

* * *

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ تكذيباً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (وَيَعْلَمُ) برفع الميم [على الاستئناف، وقرأ الباقون: بنصبها عطفاً على تعليل محذوف[2]، تقديره: لينتقم منهم][3]، وليعلم.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٢).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ شرط، جوابه:

﴿ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ تتمتعوا به يسيراً، ثم يزول.

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ من حطام الدنيا.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين أنفق جميع ماله، وتصدق به، فلامه الناس(١).

***

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] وعطف على قوله: ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ هي الشرك، وقتل النفس، وقذف المحصن، وأكل مال اليتيم، والربا، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وتقدم الكلام على ذلك في سورة النساء. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَبِيرَ) بكسر الباء من غير ألف ولا همزة على التوحيد إرادة الجنس، وقرأ الباقون: بفتح الباء والألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع(٢) ﴿ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ هي موجبات الحدود.

﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ يكظمون الغيظ، ويتجاوزون.

***

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٥).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته.

﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الخمس.

﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي: يتشاورون فيه، لا ينفرد واحد منهم برأي دون صاحبه.

﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ في سبل الخير، فهؤلاء صنف.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾ صنف؛ أي: ينتقمون من ظالميهم[1] من غير أن يعتدوا.

* * *

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ سمي الجزاء سيئة؛ لتشابههما في الصورة.

﴿ فَمَنۡ عَفَا ﴾ عن ظالمه ﴿ وَأَصۡلَحَ ﴾ الودَّ بينه وبين خصمه بالعفو.

﴿ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ عِدَةٌ مبهمة تدل على عظم الموعود.

---

(١) «من ظالميهم» ساقطة من «ت».

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يبتدئون بالسيئة، أو يتجاوزون في الانتقام.

* * *

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ﴾ اقتصَّ ﴿بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: بعد ظلم الظالم إياه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ طعن ولا عيب.

* * *

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تكبراً.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يعملون فيها بالمعاصي.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على ظلمهم وبغيهم.

* * *

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ فلم ينتصر.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ منه.

﴿لَمِنْ عَزْمِ﴾ أي: محكم ﴿ٱلْأُمُورِ﴾ ومتينها.

* * *

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ﴾ أي: يخذله.

﴿ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾ يلي هدايته.

﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ يوم القيامة.

﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ مِّن سَبِيلٍ ﴾؟

***

﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ على النار ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ خاضعين.

﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ ﴾ ضعيف، يسارقون النظر إلى النار؛ خوفاً منها؛ كنظر المقتول إلى السياف.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ ﴾ أي: يخسرون.

﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ بدخول النار ﴿ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ أي: الحور المعدة لهم في الجنة[١]، لو آمنوا.

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ دائم، وهذا تمام كلام المؤمنين، ويحتمل أنه تصديق من الله لهم.

---

(١) «في الجنة» ساقطة من «ت».

﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من دون عذابه .

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾ طريق إلى الهداية .

***

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم ﴾ أجيبوا داعي الله ؛ يعني : محمداً ﷺ .

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ لا يقدر أحد على دفعه ، وهو يوم القيامة . قرأ حمزة : (لا مَرَدَّ لَهُ) بالمد بحيث لا يبلغ الإشباع .

﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ من عذابه ﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ أي : لا تقدرون أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ، تلخيصه : أنتم عجزة معترفون ثَمَّ بذنوبكم .

***

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ ﴾ عن إنذارك يا محمد .

﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ تحفظ أعمالهم ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ ونُسخ هذا بآية السيف ﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ أراد الجنس ﴿ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ نعمة .

﴿ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ بلاء.

﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الكافر ﴿كَفُورٞ﴾ يفرح بالنعم، ويكفر بسبب النقم.

***

﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ له التصرف فيهما بما يريد.

﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من غير لزوم.

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ لا اعتراض عليه.

قال ﷺ: «إنَّ من يُمْنِ المرأة تبكيرَها بالأنثى قبلَ الذكر»، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[1] ألا ترى أنه بدأ بالإناث قبل الذكور، وقدَّم (إناثاً)، ونكرهن، وعرف الذكر؛ لأنه في معرض أنه فعال لما يختار، لا لما يختاره العباد.

قال الكواشي: ويجوز أنهن قُدِّمن توبيخاً لمن كان يَئِدُهن، ونُكِّرْنَ إيماء إلى ضعفهن؛ ليُرْحَمْن، فيُحْسَنَ إليهن، ثم قدم الذكور عليهن بعدُ، مع

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٢٢٥)، من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جداً، وصرح ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٧٦) أنه موضوع. وانظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ١٦٢).

جمعهن معهم منكرين؛ إيذاناً أن لا غناء لأحدهما عن الآخر، ولأنهما أصل الخلق، انتهى.

واختلاف القراء في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَاثاً) كاختلافهم فيهما من (يَشَاءُ إِنَّهُ) كما تقدم التنبيه عليه.

* * *

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ يجمع له بينهما، فيولد له الذكور والإناث.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا تلد، ولا يولد له، والعقم في اللغة: المنع.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يفعل ما يختار بحكمته.

* * *

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ولما قال اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه كموسى إن كنت نبياً؟ نزل: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[1] أي: ما صح لأحد.

﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ أي: إلهاماً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨٩-٩٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٥٣).

﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ فيسمع صوتاً، ولا يرى شخصاً ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ﴾ تعالى ﴿ رَسُولًا ﴾ إما جبريل، أو غيره ﴿ فَيُوحِيَ ﴾ تعالى إلى ذلك الرسول ﴿ بِإِذۡنِهِۦ﴾ باختياره تعالى.

﴿ مَا يَشَآءُ﴾ من الوحي، فيكلم ذلك الرسول بالموحَى إليه الرسلَ؛ بأن يلقيه عليهم.

﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. قرأ نافع (أَوْ يُرْسِلُ) برفع اللام على الاستئناف (فَيُوحِي) بإسكان الياء عطف على (يُرْسِلُ)؛ أي: ما جاز أن يفهم ما عنده تعالى أحد من البشر إلا من هذه الأوجه الثلاثة، أو بعضها، مع عدم الرؤية. وقرأ الباقون: بنصب اللام والياء عطفاً على محل (وَحْياً)(١)؛ لأنه بتأويل المصدر فـ (مِنْ) في (مِنْ وَرَاءِ) متعلقة بمحذوف تقديره: إلا أن يوحي، أو أن يُسمع من وراء حجاب، أو أن يرسل، و(فيوحي) عطف على (يُرْسل)، وتقدم التنبيه على اختلافهم في الهمزتين من (يَشَاءُ إِنَّهُ) في الحرف المتقدم.

* * *

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومثل إيحائنا إلى الرسل.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٩٦).

﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾ أي: نبوة؛ لأن الموحى إليه للدين كالروح للجسد.

﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي ﴾ قبل الوحي ﴿ مَا ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ أي: القرآنُ.

﴿ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ يعني: شرائعه ومعالمه، والأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان محمد ﷺ يعبد على دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وقيل: غيره.

في الحديث: أنه ﷺ كان يوحِّدُ، ويُبغض اللات والعزى، ويحج ويعتمر، ويتبع شريعة إبراهيم، وتقدم ذكر الخلاف في ذلك، وما كان يتعبد به قبل البعثة عند تفسير قوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ [الآية: ١٣].

﴿ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ ﴾ أي: القرآنَ ﴿ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ ﴾ أي: نُرشد.

﴿ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ ﴾ بالتوفيق للقبول.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ ﴾ لتدعو ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ دينِ الإسلام.

* * *

﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] وتبدل من (مُسْتَقِيمٍ) ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ أي: شرعِ الله ورحمتِه وجنته.

﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ ملكاً وخلقاً.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أمور جميع الخلائق في الآخرة، وهي صائرة على الدوام إلى الله تعالى، وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مكية إلا ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، نزلت ببيت المقدس ليلة أُسري به ﷺ(١)، وآيها: تسع وثمانون آية، وحروفها: ثلاثة آلاف وأربع مئة حرف، وكلمها: ثماني مئة وثلاث وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١﴾.

١] ﴿حمٓ﴾ خبر مبتدأ محذوف.

* * *

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

[٢] ثم تبتدىء مقسماً ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ يعني: القرآن الذي أبان الهدى، وما تحتاج إليه الأمة.

* * *

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٦١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠١)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٩٥).

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾.

[٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: أنزلناه وبيناه، ويستحيل أن يكون بمعنى الخلق، وهو إخبار عليه وقع القسم، والضمير في (جَعَلْنَاهُ) عائد على (الْكِتَابِ).

﴿ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ بلسانكم؛ لئلا يبقى لكم عذر.

﴿ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ تَرَجٍّ بحسب معتقد البشر؛ أي: إذا أبصر المبصر من البشر هذا الفعل منا، يرجى منه أن يعقل الكلام، ويفهم؛ لأنه لو نزل بغير لغتهم، ما فهموه.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في اللوح المحفوظ. قرأ حمزة، والكسائي: (إِمِّ) بكسر الهمزة حالة الوصل إتباعاً، وإذا ابتدأا، ضمَّاها، وبه قرأ الباقون في الحالين(١).

﴿ لَدَيْنَا ﴾ عندنا ﴿ لَعَلِىٌّ ﴾ رفيع الشأن ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ذو حكمة بالغة.

* * *

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ ﴾.

[٥] ثم استفهم منكراً فقال: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ أفنترك

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠١).

عنكم الوحيَ وإنزالَ القرآن عفواً عنكم، وغفراً لإجرامكم ﴿أَن كُنتُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (إِنْ كُنْتُمْ) بكسر الهمزة؛ أي: إذ كنتم، والباقون: بفتحها[1]؛ أي: لأن كنتم.

﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ في كفركم، فلا تؤمرون ولا تنهون.

* * *

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦)﴾.

[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ تسليةٌ لنبيه ﷺ.

* * *

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧)﴾.

[٧] وذكرُ أسوةٍ له، ووعيد لهم وتهديد: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك.

* * *

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)﴾.

[٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ نصب على التمييز.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سلفَ في القرآن في غير موضع ذكرُ قصتهم التي يُسار بها لشهرتها مسيرَ الأمثال، وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠١).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم ﴾ يعني: قومَك.

﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وهم مع ذلك يعبدون أصناماً، ويدعونها آلهتهم، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا: خلقهن الله، فلما ذكر تعالى المعنى، جاءت العبارة عن الله تعالى بالعزيز العليم؛ ليكون ذلك توطئة لما عدَّدَهُ بعدُ من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها، وقطعها من الكلام الذي حكي معناه عن قريش.

* * *

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] وهو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ فتستقرون فيها. قرأ الكوفيون: (مَهْداً) بفتح الميم وإسكان الهاء من غير ألف، والباقون: بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعدها[١] ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ طرقاً تسلكونها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إلى مقاصدكم من بلد إلى بلد.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٢).

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ ﴾ بمقدار الحاجة، ولم يكن طوفاناً كالمرسَل على قوم نوح حتى أهلكهم.

﴿ فَأَنشَرْنَا ﴾ فأحيينا ﴿ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ ﴾ مال عنه النماء، وذُكِّر؛ لأن البلدة بمعنى البلد. قرأ أبو جعفر: (مَيِّتاً) بتشديد الياء، والباقون: بتخفيفها[١].

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ إحياء هذه البلدة الميتة بالمطر ﴿ تُخْرَجُونَ ﴾ من قبوركم أحياءً. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (تَخْرُجُونَ) بفتح التاء وضم الراء، والباقون: بضم التاء وفتح الراء[٢].

***

﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ ﴾ الأصناف.

﴿ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ في البحر والبر.

***

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٢-١٠٣).

﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ ذُكِّر الضمير رداً إلى لفظ (ما)؛ أي: لتثبتوا على ظهور ما تركبونه.

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ ﴾ عليكم ﴿ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ على مركوبكم.

﴿ وَتَقُولُوا۟ ﴾: ما نُقل عن النبي ﷺ حين وضع رجلَه في الركاب، وهو: «باسم الله»، فلما استوى على الدابة قال: «الحمد لله ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا ﴾»[1]؛ أي: ذلله. قرأ أبو عمرو: (سَخَّر لَّنَا) بإدغام الراء في اللام[2] ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ مُطيقين، ثم حمد الله ثلاثاً، وكبر ثلاثاً، ثم قال: «لا إله إلا الله، ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت»[3]، ويقال إذا ركب السفينة: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١].

***

﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ لمنصرفون في المعاد.

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٢٦٠٢)، كتاب: الجهاد، باب: ما يقول الرجل إذا ركب، والترمذي (٣٤٤٦)، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا ركب الناقة وقال: حسن صحيح، وأحمد في «المسند» (١/ ٩٧) من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٤٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٣).

(٣) انظر: تخريج الحديث السابق.

﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ ﴾ أي: حكموا أن لله تعالى ﴿ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ﴾ أي: نصيباً، وهو قولهم: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء الوالد. **قرأ** أبو جعفر: (جُزّاً) بتشديد الزاي بغير همز، **وقرأ** أبو بكر: بضم الزاي والهمز، والباقون: بالجزم والهمز(١).

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الكفران.

* * *

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم جيء (بأم) المنقطعة تجهيلاً لهم، فقيل: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ ﴾ تعالى لنفسه.

﴿ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم ﴾ أَخْلَصَكم.

﴿ بِٱلْبَنِينَ ﴾ هذا مستحيل في صفاته.

* * *

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ﴾ بالجنس الذي جعل له مثلاً؛ إذ الولد لا بد أن يماثل الوالد.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٣).

﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ أي: صار وجهه أسود.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ والكظيم: الممتلىء غيظاً، الذي قد ردَّ غيظَه إلى جوفه، فهو يتجرَّعُه ويروم رده، وهذا محسوس عند الغيظ.

* * *

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾.

[١٨] ثم زاد توبيخهم وإفساد رأيهم بقوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (يُنَشَّأُ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين؛ أي: يُرَبَّى، وقرأ الباقون: بفتح الياء وإسكان النون وتخفيف الشين[١]؛ أي: يَنْبُتُ ﴿فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾ في الزينة؛ يعني: النساء ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ بالحجة؛ من ضعفهن، والمعنى: أو يُجعل للرحمن من الولد[٢] مَنْ هذه صفتُه؟

* * *

﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾.

[١٩] ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (عِنْدَ) بالنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف على أنه ظرف، وتصديقه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، **وقرأ**

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٤).

(٢) «من الولد» زيادة من «ت».

الباقون: بالباء وألف بعدها ورفع الدال[1]، جمع عبد؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَأُشْهِدُوا) بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة على أصلهما، مع إسكان الشين، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، وقالون على أصلهما؛ أي: أَأُحْضِروا، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين[2]؛ أي: أحضروا خلقَ الملائكة إناثاً؟ وهذا استهزاء بهم، وتوبيخ لهم.

روي أنه ﷺ قال: «وما يُدريكم أن الملائكةَ إناثٌ؟» قالوا: سمعنا من آبائنا، ونشهد بصدقهم، فنزل:

﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾[3] على آبائهم بأنوثة الملائكة هنا.

﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيجازون عليها.

***

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾.

[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ يعنون: الملائكة وغيرهم؛ أي: لولم يرض، لعجَّلَ عقوبتنا.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٤-٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٨-٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٥-١٠٦).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٥)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٧٣).

قال الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ لأنهم لو قالوا: لو شاء الرحمن، معتقدين ذلك، لوصفوا بالعلم، ولمدحوا على ذلك، وأيضاً فحال الكافر يقتضي الاستهزاء بالمؤمن في كل وقته، ويدل على استهزائهم أيضاً أن قيل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون.

***

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ثم زادهم توبيخاً فقال: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ﴾ بالكتاب[1] ﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾.

***

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] فلم يجيبوا انقطاعاً، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ طريقة وملة.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين، فلا حجة لهم على ذلك غير تقليد آبائهم الجهلة.

***

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ أغنياؤها ورؤساؤها:

---

(١) «بالكتاب» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ متبعون.

* * *

﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ ۞ قَٰلَ ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص: (قَالَ) على الخبر، وقرأ الباقون: (قُلْ) على الأمر[١] ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُم ﴾ ألف الاستفهام دخلت على واو العطف. قرأ أبو جعفر: (جِئْنَاكُمْ) بنون وألف على الجمع، ويبدل الهمزة ياء ساكنة، ويصل الميم بواو في اللفظ حالة الوصل على أصله، وقرأ الباقون: بالتاء مضمومة على التوحيد، وأبو عمرو يبدل الهمزة كأبي جعفر، وابن كثير وقالون يصلان الميم بخلاف عن الثاني[٢].

﴿ بِأَهْدَىٰ ﴾ بدينٍ أصوبَ.

﴿ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ أتتبعون آباءكم، فأبوا أن يقبلوا.

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾ أيها الرسل.

﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ أي: ثابتون على الكفر.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٨).

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ بإهلاكهم.

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وعيد لقريش، وضربُ مثل لمن سلف من الأمم المعذَّبة المكذِّبة بأنبيائها كما كذبت هي برسول الله ﷺ.

* * *

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ أي: واذكر وقتَ قولِه ﴿ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾:

﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ ﴾ أي: متبرىء ولا يُثَنَّى (البراءُ) ولا يجمع ولا يؤنث؛ لأنه مصدر وُضع موضعَ النعت ﴿ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ من آلهتكم.

* * *

﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن الذي فطرني لا أبرأ منه.

﴿ فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ يرشدني، قال هنا: (سَيَهْدِينِ)، وقال في الشعراء [الآية: ٧٨]: (يَهْدِينِ)؛ للإيذان بدوام الهداية حالاً واستقبالاً. قرأ يعقوب: (سَيَهْدِينِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١].

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٠٩).

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ إبراهيم ﴿ كَلِمَةَۢ ﴾ يعني: كلمة التوحيد.

﴿ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله.

﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الإيمان إذا علموا أن أباهم إبراهيم أوصى بذلك، وهي قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢].

* * *

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ المشركين بدنياهم ﴿ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ القرآنُ ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ يبين الأحكام ويوضحها، وهو محمد ﷺ.

* * *

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ القرآنُ؛ لينبههم عن غفلتهم، جاؤوا بما هو أقبح من غفلتهم؛ حيث ﴿ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾ ضموا إلى شركهم: معاندةَ الحق، واستخفافَ القرآن، واستحقارَ الرسول ﷺ.

* * *

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا ﴾ هلاَّ ﴿ نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ ﴾ مكة

والطائفِ ﴿عَظِيمٍ﴾ في رئاسته بالمال والجاه، يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي بمكة، وعروةَ بنَ مسعود الثقفي بالطائف، وقيل غيرهما.

* * *

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾.

[٣٢] ثم قال تعالى: على جهة التوبيخ لهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾ أي: نبوَّته، فيجعلون من شاؤوا أنبياء مع عجزهم؟ و(رَحْمَت) رسمت بالتاء في سبعة مواضع، ووقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب(١). ثم قال تعالى:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ ما يعيشون به ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾ لأنا قادرون على ذلك.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ بالفقر والغنى، والحرية والرق ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ﴾ بضم السين باتفاق القراء؛ من التسخير؛ أي: ليسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب معاش، فيلتئم قوام أمر العالم.

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الأموال.

* * *

---

(١) وقد سلفت عند تفسير الآية (٢١٨) من سورة البقرة.

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ثم أومأ تعالى إلى أن لا قدر للدنيا عنده بقوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي: لولا أن يصيروا كلهم كفاراً، فيجتمعون على الكفر.

﴿ لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ وتبدل من (لِمَنْ) ﴿ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ **قرأ** ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (سَقْفاً) بفتح السين وإسكان القاف مفرداً، **وقرأ** الباقون: بضم السين والقاف جمعاً[1].

﴿ وَمَعَارِجَ ﴾ مصاعِدَ، جمع مَعْرَج ﴿ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يعلون إلى السطح.

***

﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا ﴾ من فضة ﴿ عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴾ **قرأ** أبو جعفر: (يَتَّكُونَ) بضم الكاف وإسكان الواو من غير همز، والباقون: بكسر الكاف والهمز[2].

***

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١١).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٢).

﴿ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ ذهباً؛ أي: لولا الخوف على المؤمن، لأعطينا الكافر هنا عطاءً جزيلاً؛ إذ لا حظ له في الآخرة في النعيم.

﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَمَّا ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، وابن جماز عن أبي جعفر، وهشام بخلاف عنه: (لَمَّا) بتشديد الميم، فتكون (إِنْ) نافية بمعنى (ما)، و(لَمَّا) بمعنى (إلاَّ)، تقديره: وما كلُّ ذلك إلاَّ، وقرأ الباقون: بتخفيف الميم[1]، فتكون (إِنْ) مخففة من الثقيلة، و(لَمَا) بمعنى الذي، والعائد عليها من صلتها محذوف، والتقدير: وإنْ كلُّ ذلك لَلَّذي هو.

﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ تلخيصه: حطام الدنيا يزول، وقد يشترك فيه المؤمن والكافر في الدنيا.

﴿ وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي: الجنة خاصة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الكفرَ.

قال ﷺ: «لو كانتِ الدنيا تزنُ عندَ الله جناحَ بعوضة، لما سقى منها كافراً شربةَ ماء»[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٢-١١٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل وقال: صحيح غريب، وابن ماجه (٤١١٠)، كتاب: الزهد، باب: مثل الدنيا. من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ يُعرض ﴿ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فلم يخفْ عقابه، والمراد بذكر الرحمن: القرآن[١].

[قال رسول الله ﷺ: «عليكم بلا إلهَ إلا اللَّهُ، والاستغفار، وأكثروا منهما؟ فإن إبليس قال: أهلكتُ الناسَ بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار، ولا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك، أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون»][٢] [٣].

﴿ نُقَيِّضْ ﴾ نسبب ﴿ لَهُۥ شَيْطَٰنًا ﴾ نسلطه عليه. قرأ يعقوب: (يُقَيِّضْ) بالياء؛ أي: الرحمن، وقرأ الباقون: بالنون، واختلف عن أبي بكر راوي عاصم[٤].

﴿ فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ لا يفارقه يغويه دائماً.

* * *

---

(١) «القرآن» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين ساقطة من «ت».

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٦)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٧): فيه عثمان بن مطر. وهو ضعيف.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٤).

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَإِنَّهُمْ ﴾ يعني: الشياطين ﴿ لَيَصُدُّونَهُمْ ﴾ يمنعون العاشين.

﴿ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ عن طريق الهدى ﴿ وَيَحْسَبُونَ ﴾ كفارُ الإنس ﴿ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (جَاءَانَا) بألف بعد الهمزة على التثنية؛ أي: العاشي والشيطان، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد[1]؛ أي: إذا جاء العاشي القيامةَ، ورأى أهوالَها ﴿ قَالَ ﴾ لشيطانه تندماً:

﴿ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ﴾ أي: بُعْدَ ما بينَ المشرق والمغرب، فغلَّب المشرقُ كتغليب القمر في القمرين للشمس والقمر.

﴿ ٱلْقَرِينُ ﴾ الشيطانُ.

* * *

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] فعند دخول العاشين النار يقال لهم: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ في الآخرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٤ـ١١٥).

﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أشركتم في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا ينفعكم الاشتراك في العذاب، ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئاً منه؛ لأن لكل واحد منهم[1] من الكفار والشياطين الحظَّ الأوفرَ من العذاب.

* * *

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] ولما كان ﷺ يبالغ في طلب إيمان الكفار، نزل إيماءً إلى أن لا نافعَ إلا هو تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ والمراد: من حقت عليه كلمة العذاب.

* * *

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ يا محمد؛ بأن نُميتك قبلَ تعذيب الكفار، هنا قرأ رويس عن يعقوب: (نَذْهَبَنْ) (أو نُرِيَنْكَ) بإسكان النون مخففة فيهما، والباقون: بفتحها مشددة فيهما[2].

﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعدك بالقتل وفي الآخرة بالعذاب.

* * *

---

(١) «منهم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٥-١١٦).

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴾ في حياتك ﴿ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ ﴾ به من العذاب إن لم يؤمنوا.

﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِم ﴾ وعلى إهلاكهم ﴿ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ قادرون.

* * *

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ ﴾ وهو القرآن، واعمل به، أمرٌ له ﷺ، والمرادُ غيرُه.

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لا عِوَجَ له.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَذِكْرٌ ﴾ لشرفٌ ﴿ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ ﴾ قريش.

﴿ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ عن القيام بحق القرآن.

* * *

﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ أي: الأنبياء الذين لقيتَهم ليلةَ الإسراء، وهم سبعون جُمعوا له ببيت المقدس:

﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ومعنى السؤال: التقريرُ لمشركي

مكة أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل، فلم يشكك ﷺ، ولم يسألهم، وكان أثبت يقيناً من ذلك، وتقدم ذكر ذلك في سورة الإسراء في قصة المعراج. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (وَسَلْ) بالنقل، والباقون: بالهمز، وقرأ أبو عمرو: (رُسْلِنا) بإسكان السين، والباقون: بضمها(١).

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ وهذه آية ضرب مثل وأسوة لمحمد ﷺ بموسى عليه السلام، ولكفار قريش بقوم فرعون وملئه، والآيات التي أرسل بها موسى هي التسع وغيرها.

* * *

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ استهزاءً.

* * *

﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٦).

[٤٨] ﴿وَمَا نُرِيهِم﴾ أي: القبطَ ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ كالطوفان والجراد والضفادع.

﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ التي قبلها؛ ليكون العذاب أعظم. قرأ يعقوب: (نُرِيهِمُ) بضم الهاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون بخلاف عنه: (نُرِيهِمُو) بصلة الميم بواو في اللفظ[١] حالة الوصل، والباقون: بكسر الهاء وإسكان الميم[٢].

﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ بالسنين، والطوفان، وغيرِهما.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

***

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] وعند مجيء موسى ـ عليه السلام ـ بالآيات، ذلوا ﴿وَقَالُوا﴾ تعظيماً له:

﴿يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل. قرأ ابن عامر: (يَا أَيُّهُ) بضم الهاء في الوصل، والباقون: بفتحها، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: يقفون (يَا أَيُّهَا) بالألف، والباقون: بغير ألف[٣] ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ﴾ أي:

---

(١) «في اللفظ» زيادة من «ت».

(٢) انظرها عند تفسير الآية (٦) من سورة البقرة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١ـ١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٧ـ١١٨).

بعهده ﴿عِندَكَ﴾ أنك مجاب الدعوة.

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ مؤمنون، وعدٌ منهم معلن بشرط الدعاء.

***

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ بدعاء موسى.

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقُضون عهدَهم، ويُصِرُّون على كفرهم.

***

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾ افتخاراً.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ وهو من نحو الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل ﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ وهي الخلجان الكبار الخارجة من النيل، وأعظمها نهر الإسكندرية، وتنبس، ودمياط، ونهر طولون ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ أي: من تحت قصوري وسريري، وبين يدي[١]، وفي بساتيني.

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي ـ رحمه الله ـ يوماً في قول فرعون: ﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾: ويحه! افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب، وقنبل عن ابن كثير: (تَحْتِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[٢].

---

(١) «وبين يدي» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، =

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ عظمتي؟

* * *

﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾ ضعيف حقير.

﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ معنى كلامه إشارة إلى العقدة في لسانه التي حدثت بسبب الجمرة.

* * *

﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ ﴿ أُلْقِىَ عَلَيْهِ ﴾ إن كان صادقاً ﴿ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾ جمع سِوار؛ لأنهم إذا سَوَّدوا رجلاً، ألبسوه أسورة ذهب، وطوقوه طوق ذهب، فقال فرعون: هلاَّ ألقى رب موسى عليه من السماء أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب طاعته. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (أَسْوِرَةٌ) بإسكان السين من غير ألف بعدها جمع سوار، وقرأ الباقون: بفتح السين وألف بعدها[1]، جمع أسورة، وهي جمع الجمع.

﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٨).

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١١٩-١٢٠).

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ ﴾ استعجلهم وطلب خِفَّتهم، وطلب[١] إجابتهم إلى غرضه ﴿ فَأَطَاعُوهُۚ ﴾ فيما يريده.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق.

***

﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

[٥٥] ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أغضبونا[٢].

﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ في اليم.

***

﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بضم السين واللام، جمع سَليف؛ من سلَفَ؛ أي: تقدم، وقرأ الباقون: بفتحهما[٣]، جمع سالف؛ أي: جعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون ﴿ وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴾ بعدَهم، يتمثلون بحالهم، فلا يُقْدِمون على مثل فعالهم.

***

---

(١) «وطلب» ساقطة من «ت».

(٢) «أغضبونا» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٠).

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا ﴾ في خلقه من غير أب، فشبه بآدم في خلقه من غير أب ولا أم، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿ إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وعاصم، وحمزة: بكسر الصاد؛ أي: يَضِجُّون، يقولون: ما يريد محمدٌ منا إلا أن نعبده ونتخذه إلهاً؛ كما عبدت النصارى عيسى، وقرأ الباقون: بضم الصاد[1]؛ أي: يعرضون.

***

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ ﴾ يعنون محمداً، فنعبده ونترك آلهتنا. قرأ الكوفيون، وروح عن يعقوب: (أَآلِهَتُنَا) بتحقيق الهمزتين، وقرأ الباقون: بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية[2]، ولم يدخل هنا أحد بينهما ألفاً؛ لئلا يصير اللفظ في تقدير أربع ألفات: الأولى همزة الاستفهام، والثانية الألف الفاصلة، والثالثة همزة القطع، والرابعة المبدلة من الهمزة الساكنة، وذلك إفراط في التطويل، وخروج عن كلام العرب.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٤-٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢١-١٢٢).

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ ﴾ أي: هذا المثلَ، وهو ﴿ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ﴾.

﴿ إِلَّا جَدَلًا ﴾ خصومة بالباطل.

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ لُدٌّ شديدو الخصومة، والجدل: فتل الخصم عن قصده؛ لطلب صحة قوله، وإبطال غيره، وهو مأمور به على وجه الإنصاف وإظهار الحق بالاتفاق.

* * *

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) ﴾.

[٥٩] ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي: عيسى ﴿ إِلَّا عَبْدٌ ﴾ مربوبٌ، فلا يجوز أن يكون إلهاً، لكن ﴿ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ بالنبوة ﴿ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا ﴾ آية ﴿ لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يستدلون بها على قدرة الله على خلقه من غير أب.

* * *

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) ﴾.

[٦٠] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم ﴾ أي: أهلكناكم، وجعلنا بدلاً منكم.

﴿ مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ يكونون خلفاً منكم.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) ﴾.

[٦١] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: نزول عيسى ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ أي: شرط من أشراط الساعة.

﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ لا تشكُّنَّ فيها ﴿ وَاتَّبِعُونِ ﴾ على التوحيد.

﴿ هَٰذَا ﴾ الذي آمرُكم به ﴿ صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ لا يضل سالكه. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر: (وَاتَّبِعُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين(١).

***

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ﴾ يصرفنَّكم ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ عن دين الله.

﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ بيِّنُ العداوة.

***

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ ﴾ بني إسرائيل ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ بشرائع الإنجيل ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ من أحكام التوراة؛ لأنهم اختلفوا في أمر الدين وغيره، فبين لهم أمر الدين دون أمر الدنيا.

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ قرأ يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٤).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

[٦٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ بيان لما أمرهم به ، وهو التوحيد .

﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ حكاية عن عيسى ؛ إذ أشار إلى شرعه .

* * *

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

[٦٥] ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ الذين تحزبوا من بني إسرائيل ، فمنهم من آمن به ، وهو قليل ، وكفر الغير ، وهذا إذ كان معهم حاضراً ﴿ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ من تلقائهم ، ومن أنفسهم ثار شرهم ، ولم يدخل عليهم اختلاف من غيرهم .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ وهم المشركون .

﴿ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة .

* * *

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

[٦٦] ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي : ينتظرون ؛ يعني : قريشاً ﴿ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ فجأة دون مقدمة ولا إنذار بها ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ لاشتغالهم بالدنيا .

* * *

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

[٦٧] ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يومَ القيامة .

﴿ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ المتحابين في الله على طاعته؛ فإن خلتهم نافعة أبداً.

* * *

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾ أي: يقال للمتقين: يا عبادي. قرأ أبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَا عِبَادِيَ) بفتح الياء، ووقفا عليها ساكنة، وأسكنها نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وابن عامر في الوصل والوقف، وحذفها الباقون في الحالين، وهذه الياء مثبتة في مصاحف المدينة والشام، محذوفة في مصحف أهل مكة والعراق[1].

﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] روي أن الناس يبعثون، وكلٌّ فزع، فينادي مناد: ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾ الآية، فيرجوها الناس كلهم، فإذا قيل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ فييئسون منها غير المسلمين[2].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٣٩)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٠٦).

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

[٧٠] ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ تُسَرُّون .

* * *

﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

[٧١] فإذا دخلوا الجنة، واستقروا فيها ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ ﴾ بقِصاع ﴿ مِّن ذَهَبٖ ﴾ جمع صحيفة، وهي القصعة الواسعة ﴿ وَأَكۡوَابٖ ﴾ جمع كوب، وهي أباريق لا عرا لها ولا خراطيم؛ ليشرب الشارب من حيث شاء.

﴿ وَفِيهَا ﴾ أي: في الجنة ﴿ مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ ﴾ تلذذاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (تَشْتَهِيهِ) بزيادة هاء ضمير مذكر بعد الياء على الأصل، وكذلك هو في المصاحف المدنية والشامية، وقرأ الباقون: بحذفها استخفافاً، وكذلك هو في مصاحف العراق(١) ﴿ وَتَلَذُّ ﴾ أي: تلتذُّ به ﴿ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ﴾ إذا شوهد.

﴿ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ دائمون.

* * *

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

[٧٢] ﴿ وَتِلۡكَ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ ٱلۡجَنَّةُ ﴾ صفتها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٥).

﴿ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ المعنى: أن الجنة قد دخلت في ملككم كدخول الميراث في ملك وارثه؛ بفضل الله وهداه، وليس المعنى: أن أعمالهم أوجبت على الله دخولهم الجنة، وإنما حظوظُهم منها على قدر أعمالهم. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (أُورثُّمُوها) بإدغام الثاء في التاء، وقرأ الباقون: بالإظهار[1].

***

﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾.

[٧٣] ﴿لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ في الحديث: «لا ينزعُ رجلٌ من الجنة من ثمرها إلاَّ نبت مكانها مِثْلاها»[2].

***

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤﴾.

[٧٤] ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وهم الكفار ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ خبر (إن).

***

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥﴾.

[٧٥] ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ لا يُخفَّف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ العذابُ.

﴿وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ آيسون.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٥).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (١٠/ ٤١٤ـ «مجمع الزوائد» للهيثمي)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٤٩)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. قال الهيثمي: وأحد إسنادي البزار ثقات.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

[٧٦] ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بأن وضعنا العذاب فيمن لا يستحقه .

﴿ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بأن وضعوا العبادة فيمن لا يستوجبها، ووضعوا الكفر في جنب الله .

* * *

﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

[٧٧] ﴿ وَنَادَوْا۟ ﴾ عند طول مكثهم وشدة العذاب : ﴿ يَٰمَٰلِكُ ﴾ يدعون خازن النار ﴿ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ ﴾ أي : ليمتنا فنستريح ، قال مجيباً لهم بعد ألف سنة :

﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ مقيمون في العذاب .

* * *

﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

[٧٨] ثم يقال لهم توبيخاً : ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم ﴾ أي أرسلنا إليكم رسولَنا .

﴿ بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ لما في اتباعه من إتعاب النفس، وقد ورد لفظ القضاء في القرآن على عشرة أوجه: الأول: بمعنى الفراغ من الشيء، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ ﴾ [الآية: ٢٠٠]، الثاني: بمعنى وجوب العذاب، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [الآية: ٢١٠]، الثالث: بمعنى تقدير المدة، ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ ﴾ [الآية: ٢]، الرابع: بمعنى التمام، ومنه قوله في سورة الأنعام أيضاً: ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ﴾ [الآية: ٦٠]،

الخامس: بمعنى الفصل، ومنه قوله في سورة يونس: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: ٥٤]، السادس: بمعنى الختم، ومنه قوله في سورة يوسف: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية: ٤١]، السابع: بمعنى الخبر، ومنه قوله في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: ٤]، الثامن: بمعنى الأمر، ومنه قوله في سورة الإسراء أيضاً: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الآية: ٢٣]، التاسع: بمعنى الفعل، وهو قوله في طه: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [الآية: ٧٢]، العاشر: بمعنى الموت، ومنه قوله هنا: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾، وقد ذُكر كل شيء من ذلك في محله.

* * *

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟﴾ أحكموا: أهل مكة ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد ﷺ؛ كما فعلوا في اجتماعهم على قتله في دار الندوة، إلى غير ذلك.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدَنا بإهلاكهم.

* * *

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ ما يخطر ببالهم ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يتناجون بينهم جهراً ﴿بَلَىٰ﴾ نسمعُها ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظةُ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما يُسرون وما يُعلنون.

* * *

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ ﴾ في زعمكم. قرأ حمزة، والكسائي: (وُلْدٌ) بضم الواو وإسكان اللام، والباقون: بفتحهما[1] ﴿ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ لله؛ فإنه واحد لا شريك له، ولا ولد، نزلت لما قيل: الملائكة بنات الله؛ تبكيتاً لهم. قرأ نافع، وأبو جعفر: (فَأَنَا أَوَّلُ) بالمد[2].

* * *

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ثم نزه تعالى نفسه، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ الله[3].

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ يقولون؛ من الكذب، وخص السموات والأرض والعرش؛ لأنها أعظم المخلوقات.

* * *

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

[٨٣] ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا۟ ﴾ في دنياهم.

﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة. قرأ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٩ـ١٥٠)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠ـ٢٣١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٧ـ١٢٨).

(٣) لفظ الجلالة «الله» سقط من «ت».

أبو جعفر: (يَلْقَوْا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف[1].

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾.

[٨٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي: هو النافذ أمره في كل شيء، وهو المستحق لأن يُعبد في السماء والأرض.

﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في تدبير خلقه.

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بصلاحهم. واختلاف القراء في الهمزتين من قوله: (فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ) كاختلافهم فيهما من قوله (عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ) في سورة النور [الآية: ٣٣].

* * *

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

[٨٥] ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾ تعظَّمَ وتقدَّس.

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من جميع الموجودات.

﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: علمُ تحديدِ قيامها، والوقوف على تعيينه وحصره.

﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف،

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٨).

ورويس عن يعقوب: (يُرْجَعُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ومنهم روح عن يعقوب، ويعقوب على أصله في فتح حرف المضارعة وكسر الجيم(١).

* * *

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

[٨٦] ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ﴾ آلهتُهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ من دون الله ﴿ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن من شهد.

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم عُبدوا من دون الله، ويملكون شفاعة بأن يملِّكها الله إياهم؛ إذ هم ممن شهد بالحق، وهو قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد.

﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

* * *

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

[٨٧] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ يُصْرَفون(٢) عن عبادته.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٢٩).

(٢) «يصرفون» زيادة من «ت».

﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[٨٨] ﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ ﴾ يعني: قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربه: يا ربِّ ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ قرأ عاصم، وحمزة: (وَقِيلِهِ) بخفض اللام وكسر الهاء على معنى: وعندَه علمُ الساعة وعلمُ قيلِه: يا رب! وقرأ الباقون: بنصب اللام وضم الهاء[1]، ولها وجهان: أحدهما: معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، وقيلَه: يا رب! والوجه الثاني: وقالَ وقيلَه.

* * *

﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَـٰمٌۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

[٨٩] ﴿ فَٱصۡفَحۡ ﴾ فاعف ﴿ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَـٰمٌۚ ﴾ أي: قولاً تسلم به من شرهم، ومعناه: المتاركة، ونسختها آية السيف.

﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ وعيدٌ من الله لهم، وتسليةٌ للنبي ﷺ. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (تَعْلَمُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨١٠) و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣١).

سورة الدخان

مكية إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ الآية، وآيها: تسع وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأحد وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وست وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١﴾.

[١] ﴿حمٓ﴾ تقدم الكلام في معناه ومذاهب القراء فيه أول سورة غافر، وتقدم إعرابه في أول الزخرف.

***

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ تقدم تفسيره، وهو قَسَم أقسم الله به.

***

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾.

[٣] وجواب القسم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: الكتابَ، وهو القرآن ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر على المشهور، ويأتي الكلام عليها في سورة القدر،

نزل فيها القرآن من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ نجوماً في نيف وعشرين سنة، وقيل: هي ليلة النصف من شعبان، وسميت مباركة؛ لكثرة خيرها وبركتها على العالمين.

روي عن النبي ـ عليه السلام ـ: أنه قال: «ينزل الله ـ جل ثناؤه ـ ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لكل نفس، إلا إنساناً في قلبه شيء»[1]؛ أي: شركاً بالله.

وعنه ﷺ: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، ولقد أخرج اسمه في الموتى»[2].

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ للكافر بالعذاب.

***

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)﴾.

[٤] ﴿فِيهَا﴾ في الليلة المباركة ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل[3] ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم من خير وشر، وأجل ورزق، وكل ما هو كائن من السنة إلى السنة.

***

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٩)، من حديث القاسم بن محمد، عن أبيه أو عمه، عن جده أبي بكر رضي الله عنه، به. وإسناده ضعيف. قال العقيلي: وفي النزول في ليلة النصف من شعبان أحاديث فيها لين، والرواية في النزول في كل ليلة أحاديث ثابتة صحاح، فليلة النصف من شعبان داخلة فيها إن شاء الله.

(٢) رواه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٣٨٣٩) عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، مرسلاً.

(٣) «يفصل» زيادة من «ت».

﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ أَمْرًا ﴾ أي: أنزلناه أمراً.

﴿ مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ محمداً ﷺ إلى عبادنا.

* * *

﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ قال ابن عباس: «رأفة مني بخلقي، ونعمة عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل»(١).

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوال العباد ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالهم.

* * *

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ إن الله رب السموات والأرض. قرأ الكوفيون: (رَبِّ السَّمَوَاتِ) بالخفض رداً على قوله: (مِنْ رَبِّكَ)، والباقون: بالرفع رداً على قوله: (هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)، وإن شئت على الابتداء(٢).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١١٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٦).

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ ﴾.

[٨] ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ لا شريك له ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ ﴾ بقدرته.

﴿ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ فأيقنوا أن القرآن تنزيله، وأن محمداً رسوله.

* * *

﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩ ﴾.

[٩] ﴿ بَلۡ ﴾ إضراب قبله نفي مقدر؛ كأنه يقول: ليس هؤلاء ممن يؤمن، بل.

﴿ هُمۡ فِي شَكّٖ ﴾ من الساعة والقرآن ﴿ يَلۡعَبُونَ ﴾ استهزاء بك يا محمد.

* * *

﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ فانتظر ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ ظاهر، وذلك لما دعا النبي ﷺ على قريش فقال: «اللهم أَعِنِّي عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسفَ»، فأخذتهم سَنَةٌ حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، فكان الجائع يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، فجاء أبو سفيان النبيَّ ﷺ، وقال: يا محمد! تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادعُ لهم؛ فإنهم لك مطيعون، فقرأ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ ﴾ إلى ﴿ عَآئِدُونَ ﴾[١].

---

(١) رواه البخاري في (٤٤٩٦)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الروم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ـ. قال ابن بطّال (١٩/ ١٧٢): كان ﷺ يدعو على المشركين على حسب ذنوبهم وإجرامهم، فكان يبالغ في الدعاء على مَن =

﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ يحيط بهم، فإذا غشيهم، قالوا: ﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

* * *

﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ويقولون: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ مصدقون بنبينا .

* * *

﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] وعلم الله تعالى قولهم في حال الشدة: (إِنَّا مُؤْمِنُونَ) إنما هو عن حقيقة منهم، فدل على ذلك بقوله: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ كيف يتذكرون الإيمان عند نزول العذاب .

﴿ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ يبين لهم أحكام الدين؛ يعني: محمداً ﷺ .

* * *

= اشتد أذاه للمسلمين، ألا ترى أنه لمَّا يئس من قومه قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر . .» ودعا على أبي جهل، ودعا على الأحزاب بالهزيمة والزلزلة، فأجاب اللهُ دعاءه فيهم . . . فبالغ في الدعاء عليهم لشدة إجرامهم، ونهى عائشة عن الرد على اليهود باللعنة، وأمرها بالرفق في المقارضة لهم، والرد عليهم مثل قولهم، ولم يبح لها الزيادة والتصريح، فيمكن أن يكون كان ذلك منه ﷺ على وجه التألف لهم والطمع في إسلامهم . والله أعلم .

﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا ﴾ أعرضوا ﴿ عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ ﴾ أي: عُلِّم ما جاء به، وليس من عند الله، يقول هذا بعضُهم، وبعضهم يقول: إنه ﴿ مَّجْنُونٌ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا ﴾ أي: زماناً يسيراً، وإن كشفناه عنكم.

﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ إلى كفركم، فرفع عنهم القحط بدعاء النبي ﷺ، فعادوا إلى الشرك.

* * *

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ يَوْمَ ﴾ المعنى: ننتقم منكم إن عدتم إلى كفركم يوم.

﴿ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ﴾ وهو يوم بدر.

﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (نَبْطُشُ) بضم الطاء، والباقون: بكسرها[١]، والكسائي يميل الشين حيث وقف على هاء التأنيث.

* * *

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ﴾ بَلَونا ﴿ قَبْلَهُمْ ﴾ قبلَ قريش.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٣).

﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ﴾ بالإمهال، وكثرة الأموال، فارتكبوا المعاصي.

﴿وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ﴾ على الله، وهو موسى بن عمران عليه السلام.

***

﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨﴾.

[١٨] فقال لهم: ﴿أَنۡ أَدُّوٓاْ﴾ سلِّموا ﴿إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ﴾ بني إسرائيل؛ لأذهب بهم إلى الشام ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ على الوحي.

***

﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩﴾.

[١٩] ﴿وَأَن لَّا تَعۡلُواْ﴾ تطْغوا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ فتعصوه ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ حجة ظاهرة، ودليل واضح على رسالتي. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

***

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠﴾.

[٢٠] فلما قال ذلك، توعدوه بالقتل، فقال:

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ﴾ أي: تقتلون. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب بخلاف عن أبي جعفر: (عُذْتُ)

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨) و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٨).

بإظهار الذال عند التاء[1]، والباقون: بإدغامها[2]، وقرأ ورش: (تَرْجُمُونِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[3].

* * *

﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ فاعتزلوا أذاي باليد واللسان. واختلاف القراء في (فَاعْتَزِلُونِي) كاختلافهم في (تَرْجُمُونِ)، وورش بفتح الياء من (لِيَ)، والباقون يسكنونها.

* * *

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] فلم يؤمنوا ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ ﴾ عليهم ﴿ أَنَّ ﴾ أي: بأن.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ مشركون.

* * *

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] فقال الله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير:

---

(١) «عند التاء» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٨-١٣٩).

بوصل الألف، والباقون: بقطع الهمزة مفتوحة[1].

﴿بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ليقتلكم.

* * *

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ﴾ ساكناً بعد أن انفرق؛ لأن موسى لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم؛ خوفاً أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: اترك البحر كحاله حتى يدخله القبط.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ أخبر موسى بإغراقهم؛ ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه.

* * *

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ثم ذكر ما تركوه بمصر، فقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟﴾ (كَمْ) خبر للتكثير.

﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ روي أنها كانت متصلة من رشيد إلى أسوان، وقدر المسافة بينهما أكثر من عشرين يوماً. **قرأ** ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَعِيُونٍ) بكسر العين، والباقون: بضمها[2].

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٩-١٤٠).

(٢) المصدران السابقان.

﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ مجلس حسن، وسمي كريماً؛ لأنه مجلس الملوك.

* * *

﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَنَعْمَةٍ ﴾ ـ بفتح النون ـ: الترفُّه، وبالكسر: الإنعام، وـ بالضم ـ: المسرة، والتلاوة بالأول ﴿ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (فَكِهِينَ) بغير ألف بعد الفاء؛ أي: بَطِرين، وقرأ الباقون: بالألف[1]؛ أي: ناعمين.

* * *

﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: أفعل بمن عصاني ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا ﴾ أي: أموالَ القبط. ﴿ قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ من بني إسرائيل.

* * *

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ ذلك أن المؤمن إذا مات، تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٠).

الأرض عليه، فأهلكوا، ولم يكن لهم قدر.

﴿ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ مؤخَّرين عند نزول العذاب[1].

* * *

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ قتلِ الأبناء، واستحياءِ النساء، والتعبِ من العمل.

* * *

﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] وتبدل من العذاب ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا ﴾ متكبراً[2].

﴿ مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ في العتو.

* * *

﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ مِنَّا بحالهم.

﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: عالَمي زمانهم.

* * *

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ كفرق البحر، والمن والسلوى، وغيرها.

---

(١) «عند نزول العذاب» زيادة من «ت».

(٢) «متكبراً» زيادة من «ت».

﴿ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴾ اختبار ظاهرَ، والله تعالى يختبر بالنعم كما يختبر بالنقم.

* * *

﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ حين قيل لهم: إنكم تموتون ثم تحيون:

* * *

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ التي في الدنيا ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ بمبعوثين.

* * *

﴿ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ ﴾ الذين ماتوا ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أنا نُبعث أحياء بعد الموت.

* * *

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ثم خوَّفهم مثلَ عذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ ﴾ في القوة والمنعة.

﴿ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ هو الحِمْيَرِيُّ ملك اليمن، سمي بذلك؛ لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى تُبَّعاً؛ لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا يعبد النار، فأسلم

ودعا قومه إلى الإسلام، وهم حِمْيَر، فكذبوه، فذم الله قومه ولم يذمه، وكانت عائشة تقول: «لا تَسُبُّوا تبعاً؛ فإنه كان رجلاً صالحاً[1]»[2]، وقال سعيد بن جبير: «هو الذي كسا البيت، وهو الذي بنى سمرقند، وكان اسمه أسعد[3] أبو كرب بن مليك»[4].

وعنه ﷺ أنه قال: «لا تَسُبُّوا تُبَّعاً؛ فإنه كان قد أسلم»[5].

﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم الكافرة ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ بالكفر.

* * *

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ أي: بين الجنسين ﴿لَٰعِبِينَ﴾ لاهِين.

---

(١) «صالحاً» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٨).

(٣) «أسعد» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١١٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٤٦).

(٥) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠١٣)، من حديث سهل بن سعد الساعدي، ورواه الطبراني أيضاً في «المعجم الكبير» (١١٧٩٠) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٧١) رواه أحمد من حديث سهل، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس مثله، وإسناده أصلح من إسناد سهل.

﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ بالواجب المقتضي للخيرات .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلة نظرهم .

* * *

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ بين الخلائق ، وهو يوم القيامة .

﴿ مِيقَٰتُهُمْ ﴾ وقتُ اجتماع الخلائق .

﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ يوافي الأولون والآخرون .

* * *

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] وتبدَلُ من ﴿ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى ﴾ من قرابة ، وغيرها من موالي العتق والصدقة ﴿ عَن ﴾ أيِّ ﴿ مَّوْلًى ﴾ كان ﴿ شَيْـًٔا ﴾ من العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يُمنعون من العذاب .

* * *

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ﴾ من المؤمنين ؛ فإنه يُشفع له ، ويُشَفَّع ، استثناء متصل .

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يُنصر منه من أراد تعذيبه .

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ لمن أراد أن يرحمه .

* * *

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ ﴾.

[٤٣] ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ تقدم ذكرها في سورة الصافات. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب على (شَجَرَةَ) بالهاء[(١)].

***

﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ ﴾.

[٤٤] ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ أي: كثير الإثم، وهو أبو جهل وأصحابه.

روي عن أبي الدرداء: «أنه أقرأ إنساناً ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾، فقال: طَعَامُ اليتيمِ، مراراً، فقال: قُلْ: طعامُ الفاجرِ يا هَذا»[(٢)]، وفي هذا دليل لمن يجوِّزُ إبدالَ كلمة بكلمة إذا أَدَّت معناها، وتقدم في الفصل الرابع أول التفسير ذكر الخلاف في جواز القراءة بالفارسية.

***

﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ ﴾.

[٤٥] ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ وهو دُرْدِيُّ الزيت ﴿ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (يَغْلِي) بالياء على التذكير؛ يعني: المهل، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث[(٣)]؛ يعني: الشجرة.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٤). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٤١٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١١٩)، و«النشر في=

﴿ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ كالماء الحار إذا اشتد غليانه.

***

﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] فيؤمر بإلقاء الكافر في النار، فيقال للزبانية: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (فَاعْتُلُوهُ) بضم التاء، والباقون: بكسرها، وهما لغتان[١]؛ أي: سوقوه بعنف ﴿ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ وسطه.

***

﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾.

***

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ثم يقال لأبي جهل: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ ﴾ قرأ الكسائي: (أَنَّكَ) بفتح الهمزة؛ أي: لأنك ﴿ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ على سبيل التهكم، وقرأ الباقون: بكسرها على الابتداء[٢].

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٢).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٢٠)، وباقي المصادر في التعليق السابق.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٢-١٤٣).

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾.

[٥٠] وذلك أن أبا جهل كان يقول للنبي ﷺ: أنا أعز أهل الوادي، وأكرمُهم، فوالله لن تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً[١]، فثَمَّ يقال له:

﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ أي: الأمر الذي أنتم فيه ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ تشكُّون.

***

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (مُقَامٍ) بضم الميم على المصدر؛ أي: في إقامة، وقرأ الباقون: بالنصب[٢]؛ أي: مجلس ﴿أَمِينٖ﴾ من الفتن والمحن.

***

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ بدل من مقام ﴿وَعُيُونٖ﴾ تقدم اختلاف القراء في كسر العين وضمها من (عُيُونٍ) في الحرف المتقدم [الآية: ٢٥].

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨) عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٢٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٥١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٣).

﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٥٣ ﴾.

[٥٣] ﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ ﴾ وهو ما رَقَّ من الديباج ﴿ وَإِسۡتَبۡرَقٖ ﴾ وهو ما غَلُظ منه ﴿ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لدوران الأسرة بهم.

***

﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ٥٤ ﴾.

[٥٤] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: والأمر كذلك ﴿ وَزَوَّجۡنَٰهُم ﴾ قَرَنَّاهم.

﴿ بِحُورٍ عِينٖ ﴾ عِظامِ العيون حسانها، نقيات البياض؛ أي: جعلناهم اثنين اثنين، ذكراً وأنثى، ليس من عقد التزويج.

***

﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥ ﴾.

[٥٥] ﴿ يَدۡعُونَ فِيهَا ﴾ يطلبون في الجنة أن يجاؤوا ﴿ بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ﴾ اشتهوها ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ من انقطاعها ومضرتها، ومن كل مخوف.

***

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ ﴾.

[٥٦] ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾ التي في الدنيا.

﴿ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾.

***

﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ أي: أُعطوا ذلك تفضلاً منه ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .

* * *

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ ﴾ أي: القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ ﴾ بلغتك؛ لتفهمه العرب عنك ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعظون فيؤمنون.

* * *

﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

[٥٩] ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ فانتظر نصرَنا لك ﴿ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ فيما يظنون الدوائرَ عليك، وفي هذه الآية وعد له ﷺ، ووعيد لهم، وفيه متاركة لهم، وهذا وما جرى مجراه منسوخ بآية السيف، والله أعلم.

* * *

سورة الجاثية

مكية إلا ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ الآية، وآيها: سبع وثلاثون آية، وحروفها: ألفان ومئة وواحد وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثمان وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ①﴾.

[١] ﴿حمٓ﴾ مبتدأ.

* * *

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ②﴾.

[٢] خبره ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في شدةِ أخذه إذا انتقم، ودفاعِه إذا حمى ونصر ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكِم للأشياء.

* * *

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ③﴾.

[٣] ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في خلقها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ لدلالاتٍ على قدرته تعالى وتوحيده ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدِّقين.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

[٤] ﴿ وَفِي ﴾ تغيير ﴿ خَلْقِكُمْ ﴾ من حال إلى حال دلالة أيضاً على ذلك .

﴿ وَمَا يَبُثُّ ﴾ يفرِّق في الأرض ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ هي كل حيوان يدب .

﴿ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (آيَاتٍ) بكسر التاء رداً على قوله: (لآيَاتٍ)، وهي موضع النصب، وقرأ الباقون: بالرفع على الاستئناف[1].

* * *

﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

[٥] ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ﴾ جر بـ(في) غير الأولى، التقدير: وفي اختلاف.

﴿ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بالنور والظلام.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ ﴾ أي: مطر؛ لأنه سبب الرزق.

﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يبسها.

﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها.

﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: (الرِّيحِ) بغير ألف على التوحيد (آيَاتٍ) بكسر التاء، وقرأ خلف: (الرِّيحِ) على التوحيد، (آيَاتٌ) بالرفع، وقرأ يعقوب: (الرِّيَاحِ) بألف على الجمع، (آيَاتٍ) بالكسر، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٧)، وقراءة (آيَاتٍ) بكسر التاء هي قراءة يعقوب أيضاً.

(الرِّيَاحِ) على الجمع، (آيَاتٌ) بالرفع[1]، تلخيصه: إن في المذكور لدلالاتٍ على الوحدانية ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليلَ، فيؤمنون.

* * *

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورات.

﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق والإعلام بحقائق الأمور في أنفسها.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد كتابه ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾ معجزاتِ أنبيائه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ توبيخ وتقريع، وفيه قوة التهديد. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، وروح، وحفص: (يُؤْمِنُونَ) بالغيب موافقة لما قبله، وقرأ الباقون: بالخطاب[2] على معنى: قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون؟

* * *

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ وهو النضر بن الحارث.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧١ـ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٨ـ١٤٩).

﴿ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ صفة أثيم ﴿ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾ يقيم على كفره.

﴿ مُسْتَكْبِرًا ﴾ عن الإيمان، وجيء بـ(ثم) هنا؛ لاستبعاد الإصرار على الكفر بعد سماع القرآن.

﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ أي: كأنه، فخفف، وحذف ضمير الشأن، المعنى: يصر على الكفر مثلَ غير السامع.

﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فقتل يوم بدر صبراً.

***

﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا ﴾ أي: جميعَ الآيات؛ لمبالغته في الكفر ﴿ هُزُوًا ﴾ سخرية؛ كفعل أبي جهل حيث أطعمهم الزبد والتمر، وقال: تزقَّموا، فهذا ما يتوعدكم به محمد. قرأ حفص: (هُزُواً) بضم الزاي ونصب الواو بغير همز، وحمزة وخلف: بإسكان الزاي والهمز، والباقون: بضم الزاي والهمز(١) ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ أي: الأفاكون.

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ذكر بلفظ الجمع إشارة إلى كل أفاك أثيم؛ لشموله الأفاكين.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٤٩).

﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ ﴾ أي: أمامهم ﴿ جَهَنَّمُۖ ﴾ وأصله ما توارى عنك من خلف أو قدام ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ ﴾ من الأموال.

﴿ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الأصنام.

﴿ أَوْلِيَآءَۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يتحملونه.

***

﴿ هَٰذَا هُدًىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ هَٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ هُدًىۖ ﴾ بيانٌ من الضلالة.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ والرجز: أشد العذاب. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: (أَلِيمٌ) بالرفع صفة (عَذَابٌ) والباقون: بالجر صفة (رِجْزٍ)[١].

***

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ على ضعفكم.

﴿ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بتسخيره وأنتم راكبوها.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٠)، و«الكشف» لمكي (١/ ٢٠١ـ٢٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٠).

﴿ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ بالتجارة والصيد وغيرهما.

﴿ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ هذه النعم.

***

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الشمس والقمر والنجوم، والسحاب والرياح والهواء، والملائكة الموكلة بهذا كله ﴿ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من البهائم والمياه والأودية والجبال، وغير ذلك ﴿ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ أي: كلُّ إنعام فهو من فضله تعالى؛ لأنه لا يستحق أحد عليه شيئاً، بل هو يوجبه على نفسه تكرماً.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في صنع الله تعالى.

***

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ اغفروا ﴿ يَغۡفِرُواْ ﴾ يعفوا ويصفحوا.

﴿ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ ﴾ يخافون ﴿ أَيَّامَ ٱللَّهِ ﴾ وقائعَه في الأمم الماضية، ولا يخشون نقمته.

﴿ لِيَجۡزِيَ ﴾ الله ﴿ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ من الإحسان والغفر للكافر، نزلت في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وذلك أن رجلاً من بني غفار

شتمه بمكة، فهمَّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله الآية، وأمره أن يعفو عنه[1].

قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لِنَجْزِيَ) بالنون التي للعظمة، وقرأ الباقون، ومنهم أبو جعفر: بضم الياء وفتح الزاي مجهولاً، وجاءت أيضاً عن عاصم[2]، وهذا على أن يكون التقدير: ليُجزى الجزاءُ قوماً، ونظيره (وَنُجِّي الْمُؤْمِنِينَ) على قراءة ابن عامر وأبي بكر في سورة الأنبياء؛ أي: نُجِّي النَّجاءُ المؤمنين، وتقدم التنبيه على ذلك في محله.

* * *

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥﴾.

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ عقابه.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم. قرأ يعقوب: (تَرْجِعون) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم[3].

* * *

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٨٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٢).

﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ الحكمة والفقه ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ الحلالات؛ كالمن والسلوى.

﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ عالمي زمانهم.

* * *

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ دلالاتٍ على العلم بمبعث محمد ﷺ.

﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ ﴾ في محمد ﷺ، وكفروا ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ به، وبالدين ﴿ بَغْيًۢا ﴾ أي: لبغي حدث ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ حسداً وعداوة له ﷺ.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ بالمؤاخذة والمجازاة.

* * *

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ ﴾ سنة وطريقة مسلوكة.

﴿ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ أمر الدين.

﴿ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هم رؤساء قريش كانوا يقولون له: ارجع إلى دين آبائك.

﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ ﴾ لن يدفعوا.

﴿ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من عذاب الله[١].

﴿ شَيْـًٔا ﴾ إن اتبعت أهواءهم.

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ فَوالِهِ بالتقوى واتباع الشريعة.

* * *

﴿ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ هَـٰذَا ﴾ أي: القرآن ﴿ بَصَـٰٓئِرُ ﴾ معالِمُ ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ يتبصرون بها دينهم.

﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلال ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ بالبعث.

* * *

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ولما قال نفر من مشركي مكة للمؤمنين: لئن كان ما تقولون من البعث حقاً، لنُفَضَّلَنَّ عليكم في الآخرة كما فُضِّلنا في الدنيا، نزل إنكاراً

---

(١) «الله»: لفظ الجلالة لم يرد في «ت».

عليهم، وأنْ لا مساواة بينهم: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ﴾[1] اكتسبوا.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أن نُصَيِّرهم.

﴿كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مثلَهم.

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (سَوَاءً) بالنصب؛ أي: نجعلهم سواءً؛ يعني: أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين سواء؟ كلا، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء والخبر[2]؛ أي: محياهم ومماتهم سواء، فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، وقرأ الكسائي: (مَحْيَاهُمْ) بالإمالة، والباقون: بالفتح[3]، المعنى: لا يستويان في موتهما كما استويا في حياتهما، لأن المؤمن والكافر قد استويا في الرزق والصحة والمرض وغيرها في الدنيا، وافترقا في الآخرة بالجنة والنار ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يقضون.

***

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢)﴾.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لما فيه من فيض الخيرات، وليدل على قدرته تعالى ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا بتضعيف عقاب.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٨٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٢-١٥٣).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٣).

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ونزل توبيخاً لمن عبد غيرَ الله كالأصنام بهوى نفسه:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول، رموه أو كسروه وعبدوا الآخر.

﴿ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من الله تعالى بأنه من أهل النار، وقيل: على علم من الضال بطريق الهداية بأن ضل عناداً.

﴿ وَخَتَمَ ﴾ طبع ﴿ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾ فلم يسمع ولم يعقل الهدى.

﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ ظلمة، فهو لا يبصر الهدى. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (غَشْوَةً) بفتح الغين وإسكان الشين من غير ألف، **وقرأ** الباقون: بكسر الغين وفتح الشين وألف بعدها[1].

﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ﴾ إضلال ﴿ ٱللَّهِ ۚ ﴾ إياه.

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديدها[2].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٦-١٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٤-١٥٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٤-١٥٥).

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤)﴾.

[٢٤] ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: منكري البعث:

﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ التي نحن فيها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت البعض، ويحيا البعض.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: ممر السنين والأيام، وكانت العرب إذا أصابهم سوء، نسبوه إليه اعتقاداً منهم أنه الفعال له، فقال ﷺ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ هُوَ الله[(١)]، بيده الأمرُ»[(٢)]؛ أي: الله الفعال لذلك.

﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ﴾ القولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ذلك ظناً بلا تحقيق.

* * *

---

(١) في «ت»: «فإن الله هو الدهر».

(٢) رواه البخاري (٤٥٤٩)، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، ومسلم (٢٢٤٦)، كتاب: الألفاظ من الآدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٠/ ٥٦٥): معنى النهي عن سب الدهر: أنَّ من اعتقد أنه الفاعل للمكروه فسبَّه أخطأ، فإن الله هو الفاعل، فإذا سببتم من أنزل ذلك بكم رجع السبُّ إلى الله... ومحصَّل ما قيل في تأويله ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن المراد أن الله هو الدهر: أي المدبر للأمور، ثانيها: أنه على حذف مضاف، أي صاحب الدهر، ثالثها: التقدير: مقلِّب الدهر. اهـ.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحاتِ الدلالة.

﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ ﴾ ما كان لهم متشبَّثٌ يعارضونها به.

﴿ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّا نُبعث. **قراءة الجمهور:** (حُجَّتَهُمْ) بالنصب خبر (كانَ)، واسمها (إِلاَّ أَنْ قَالُوا)، وانفرد ابن العلاف عن رويس راوي يعقوب بالرفع، ووردت عن أبي بكر وابن عامر، فتكون (حُجَّتُهُمْ) في هذه القراءة اسمَ (كان)، والخبر (إِلاَّ أَنْ قَالُوا)[1].

* * *

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فإن القادر على الإبداء قادر على الإعادة.

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لقلة تفكرهم، وقصور نظرهم.

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ تبدل منه

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٦).

﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي: يظهر خسرانُهم ثَمَّ.

* * *

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ بارِكَةً على الرُّكَب، وهي جلسة المخاصِم بيْن يدي الحاكم ينتظر القضاء.

﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ قرأ يعقوب: (كُلَّ) بنصب اللام على أنه بدل الأول، و(تُدْعَى) صفة، وقرأ الباقون: برفعها على أنه مبتدأ[1]، خبره:

﴿تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ الذي فيه أعمالُها؛ لتحاسب، ويقال لهم:

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ ديوان الحفظة، أو القرآن.

﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يشهد عليكم ببيان شافٍ.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نستكتب الحفظةَ.

﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأنا لا نهمل شيئاً.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٦ـ١٥٧).

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ جنته.

﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ الظَّفَرُ الظاهر.

***

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ يُقال لهم تهديداً: ﴿ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ بالإنذار على لسان رسلي.

﴿ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾ كافرين[١].

***

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ لكم: ﴿ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ كائنٌ ﴿ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا ﴾ أي: لا شكَّ في البعث. قرأ حمزة: (السَّاعَةَ) بالنصب عطفاً على (وَعْدَ)، والباقون: بالرفع على الابتداء[٢].

---

(١) «كافرين» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٧).

﴿ قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ أي: لا اعتقادَ لنا إلا الشكُّ، والظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان، ويجيء الظن بمعنى اليقين؛ نحو قوله: ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ أي: أيقنوا أن الجبل واقع بهم.

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ أنها كائنة.

* * *

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَبَدَا ﴾ ظهر ﴿ لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ في الدنيا.

﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وهو الجزاء. **قرأ** أبو جعفر: (يَسْتَهْزُونَ) بضم الزاي بغير همز، والباقون: بكسر الزاي والهمز[١].

* * *

﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ ﴾ نترككم في العذاب كالشيء المنسيِّ الذي لا يُلتفت إليه.

﴿ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ أي: كما تركتم العمل للقاء هذا اليوم.

﴿ وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ يخلِّصونكم من عذابها.

* * *

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٦٤) من سورة التوبة.

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ ذَٰلِكُم ﴾ العذابُ النازل بكم ﴿ بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ﴾ أي: بسبب اتخاذكم.

﴿ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآنَ ﴿ هُزُوًا ﴾ استهزأتم بها. **قرأ** ابن كثير، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (اتَّخَذْتُمْ) بإظهار الذال عند التاء، والباقون: بالإدغام، **وقرأ** حفص: (هُزُواً) بإبدال الهمزة واواً، والباقون: بالهمز(١).

﴿ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ حتى قلتم: لا بعثَ ولا حساب.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (يَخْرُجُونَ) بفتح الياء وضم الراء، والباقون: بضم الياء وفتح الراء(٢).

﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ لا يطلب منهم أن يُعتبوا ربهم؛ أي: يُرضوه بالطاعة؛ لأنه لا عذر في ذلك اليوم ولا توبة.

***

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تحميدٌ لله، وتحقيق لألوهيته، وفي ذلك كسر لأمر الأصنام.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٨).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٧٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٧ـ٢٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٥٨).

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ العظمة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ إذ ظهر فيهما آثارها.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما قضى.

وفي الحديث الشريف: يقول الله تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعَظَمة إزاري، فمن نازعني شيئاً منهما، قَصَمْتُه»(١)، والله أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكبر، وابن ماجه (٤١٧٤)، كتاب: الزهد، باب: البراءة من الكبر والتواضع، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ورواه مسلم (٢٦٢٠)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما بلفظ: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته».

سورة الأحقاف

مكية، لم يُختلف منها إلا في آيتين، وهو قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وُضعتا في سورة مكية قاله ابن عطية[1].

وقال الكواشي[2]: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ الثلاث.

وآيها: خمس وثلاثون آية، وحروفها: ألفان وست مئة حرف، وكلمها: ست مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾.

[١-٢] ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تقدم نظيره في الجاثية.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩١).

(٢) «وقال الكواشي» زيادة من «ت».

﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا ﴾ خلْقاً ملتبساً[١] ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ الواجبِ الذي حقَّ أن يكون.

﴿ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ وَقَّتناه وجعلناه موعداً لفساد هذه البنية، وهو يوم القيامة، ومعنى الآية: موعظة وزجر؛ أي: فانتبهوا أيها الناس، وانظروا ما يراد بكم، ولمَ خُلقتم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ ﴾ به من القرآن.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ عن الاهتمام لذلك المقام.

***

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم ﴾ استفهام على معنى التوبيخ ﴿ مَّا تَدْعُونَ ﴾ تعبدون.

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ ﴾ أي: للأصنام ﴿ شِرْكٌ ﴾ أي: مشاركة ﴿ فِي ﴾ خلق ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ﴾ مع الله حتى تشركوهم في عبادته.

﴿ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ ﴾ يعني: جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون.

---

(١) «خلقاً ملتبساً» زيادة من «ت».

﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم يؤثر عن الأولين.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دعواكم.

* * *

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾ إنكار أن يكون أحد أضلَّ من المشركين؛ حيث تركوا عبادة الله، وعبدوا الأصنام التي لا تسمع دعاءهم، ولا تجيبهم.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني: أبداً ما دامت الدنيا.

﴿وَهُمْ عَن﴾ إجابةِ ﴿دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

* * *

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾ أي: لعابديها.

﴿أَعْدَآءً وَكَانُواْ﴾ أي: الأصنام ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ بعبادة عابديهم ﴿كَـٰفِرِينَ﴾ جاحدين، بيانه ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣].

* * *

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾ أي: لما يسمع المشركون القرآن.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ ظاهرٌ بطلانُه .

***

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل[١] ﴿ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ اختلقَ محمدٌ القرآنَ، إضرابٌ عن ذكر تسميتهم القرآنَ سحراً، إلى ذكر ما هو أشنعُ منه، وإنكارٌ له .

﴿ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ ﴾ فرضاً ﴿ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ ﴾ أي: من عذابه ﴿ شَيْـًٔا ﴾ أن: تردُّوه عني إن عذبني على افترائي .

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ ﴾ تخوضون ﴿ فِيهِ ﴾ من التكذيب بآياته، والقدحِ فيها .

﴿ كَفَىٰ بِهِۦ ﴾ تعالى ﴿ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهد لي بالصدق، وعليكم بالكذب .

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ترجية واستدعاء إلى التوبة؛ لأنه في خلال تهديده إياهم بالله تعالى جاءت هاتان الصفتان .

***

(١) «أي: بل» زيادة من «ت» .

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾.

[٩] ثم أمر تعالى بأن يحتج عليهم، فقال: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: بديعاً؛ أي: لستُ بأولِ مرسَل، قد بُعث قبلي غيري، والبدع والبديع من الأشياء: ما لم ير مثله، المعنى: فكيف تنكرون نبوتي؟.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ قال ابن عباس وأنس وغيرهما: «معناه: في الآخرة»[١]، وكان هذا في صدر الإسلام، ثم بعد ذلك عرفه تعالى بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبأن المؤمنين لهم من الله فضل كبير، وهو الجنة، وبأن الكافرين في نار جهنم.

وروي أن رسول الله ﷺ رأى في النوم مُهاجَره إلى أرض ذاتِ نخل، فأخبر أصحابه، فسألوه عنها، فسكت، فنزل: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[٢]، المعنى: وما أدري أأخرُجُ أم أُخْرَج كما أُخرج الأنبياء قبلي، أم أُقتل كما قُتلوا، وأنتم أيها المصدقون ما أدري أتخرجون معي[٣]، أم تتركون، وأنتم أيها المكذبون ما أدري أترمون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم.

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣٠١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٩٤)، وقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٠) عن الحسن قوله: أما في الآخرة، فمعاذ الله؛ فقد علَّم الله أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا. وهو الصحيح كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٨٦).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٤)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٨٧).

(٣) «معي» زيادة من «ت».

﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ ما أتبع ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ من القرآن، وما أبتدع من عندي شيئاً.

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يبين الإنذار بالمعجزات الظاهرة. قرأ نافع، وأبو جعفر بخلاف عن قالون: (أَنَا إِلَّا) بالمد[1].

* * *

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ماذا تقولون ﴿إِن كَانَ﴾ القرآن.

﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ. قرأ أبو عمرو: (وَشَهِد شَّاهِدٌ) بإدغام الدال في الشين[2] ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ أي: القرآن، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة له.

﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهدُ ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان به، وجواب الشرط في (أَرَأَيْتُمْ) محذوف، وهو: ألستم ظالمين؟ لدلالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لدينه.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٣).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٣).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ﴾ دينُ محمد.

﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ﴾ يعني: عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: نزلت في مشركي مكة، وقالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيراً، ما سبقنا إليه عمار وصهيب وبلال ونحوهم ممن أسلم، وهم دوننا في الشرف.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان، والعامل في ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ﴾ محذوف تقديره: وقتَ عدمِ إيمانهم ظهرَ عنادُهم.

﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ ووصفوه بالقدم بمعنى أنه في أمور متقادمة.

* * *

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن، أومحمد ﷺ.

﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ التوراة.

﴿إِمَامًا﴾ يؤتَمُّ به في دين الله وشرائعه ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به، وفي الكلام محذوف تقديره: وتقدمه كتاب موسى إماماً، ولم يهتدوا به؛ كما قال في الآية الأولى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ ﴿وَهَٰذَآ﴾ أي: القرآنُ ﴿كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير (كِتَابٌ) في (مُصَدِّقٌ)؛

أي: القرآن مصدق لسان محمد ﷺ، وهو عربي ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بوضع العبادة في غير موضعها، وهم مشركو مكة. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (لِتُنْذِرَ) بالخطاب للنبي ﷺ، **وقرأ** الباقون: بالغيب؛ يعني: الكتاب، واختلف عن البزي راوي ابن كثير[1] ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (وبشرى) في محل الرفع؛ أي: هذا كتاب مصدق وبشرى.

***

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على العمل بموجب الإقرار بالتوحيد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يحل بالكفرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على أمر ما.

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال الصالحة.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٤).

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ ألزمناه[١]، والمراد: النوع، فهي وصية من الله في عباده ﴿بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: ليفعل ذا حسن. قرأ الكوفيون: (إِحْسَاناً) بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها، وكذلك هو في مصاحف الكوفة، وقرأ الباقون: بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة ولا ألف، وكذلك هو في مصاحفهم[٢].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ على مشقة حين تتوقع حوادثه ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: كارهة، والمراد: شدة الطلق. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر: (كُرْهاً) بضم الكاف، والباقون: بالنصب فيهما، وهما لغتان[٣]، وقد عدد تعالى على الأبناء مِنَنَ الأمهات، وذكر الأم في هذه الآيات في أربع مراتب، والأب في واحدة، جمعها الذكر في قوله: ﴿لَهُمْ

---

(١) «ألزمناه» زيادة من «ت».
(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٥).
(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٥-١٦٦).

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَـٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ ثم ذكر الحمل للأم، ثم الوضع لها، ثم الرضاع الذي عبر عنه بالفصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله ﷺ حين جعل للأم ثلاثة أرباع البر، والربعَ للأب، وذلك إذ قال له رجل: يا رسول الله! من أبر؟ قال: «أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك»(١).

﴿وَحَمْلُهُۥ﴾ أي: مدة حمله ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ﴾ عن الرضاع، والمراد: فطامه. قرأ يعقوب: (وَفَصْلُهُ) بفتح الفاء وإسكان الصاد من غير ألف، وقرأ الباقون: بكسر الفاء وفتح الصاد وألف بعدها(٢).

﴿ثَلَـٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾ يريد: أقل مدة الحمل، وهي ستة أشهر، وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً.

وعن ابن عباس قال: «إذا حملت المرأة تسعة أشهر، أرضعت إحدى وعشرين شهراً، وإذا حملت ستة أشهر، أرضعت أربعة وعشرين شهراً»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٦٢٦)، كتاب: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، ومسلم (٢٥٤٨)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٦ـ ١٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٦).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧).

واتفق الأئمة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، واختلفوا في أكثر مدته، فقال أبو حنيفة: سنتان، والمشهور عن مالك: خمس سنين، وروي عنه: أربع، وسبع، وعند الشافعي وأحمد: أربع سنين، وغالبها: تسعة أشهر، وتقدم نظير ذلك في سورة الرعد.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، وأكثره أربعون سنة.

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ نزلت في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ [وأبيه أبي قحافةَ عثمانَ بن عمرو، وأُمِّه أم الخير بنتِ صخر بن عمر[1].

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ][2]: الآية في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده[3]، وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة، ونُبِّىء النبي ﷺ، آمن به، ثم دعا ربه، و﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني. قرأ ورش عن نافع، والبزي عن ابن كثير: (أَوْزِعْنِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[4].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٩٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٩٢).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٩٤).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦ـ ٥٩٧)، و«التيسير» للداني =

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ بها، وهي التوحيد.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ قال ابن عباس: «هي الصلوات الخمس»، وقيل: أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضا الله تعالى.

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ اجعل الصلاح راسخاً فيهم.

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عما لا ترضاه ﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ المخلصين لك، فأجابه ـ الله عز وجل ـ، فأعتق تسعة من المؤمنين يُعذبون في الله، ولم يُرِدْ شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ولم يكن له ولد إلا آمنوا، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً، فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ، وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر(1)، وابن عبد الرحمن هو محمد يكنى: أبا عتيق، كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة.

* * *

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ يعني: طاعاتهم.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ فلا يعاقبهم. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف،

= (ص: ٢٠٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٦).

(١) «بن أبي بكر» زيادة من «ت».

وحفص عن عاصم: (نَـتَقَبَّلُ عَنْهُمْ) (وَنَـتَجَاوَزُ) بنون مفتوحة فيهما، وهي النون التي للعظمة (أَحْسَنَ) بالنصب، **وقرأ** الباقون (يُتَقَبَّلُ) (وَيُتَجَاوَزُ) بالياء مضمومة فيهما على بناء الفعل للمفعول (أَحْسَنُ) بالرفع(١).

﴿فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ يريد: الذين سبقت لهم رحمة الله.

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾ نصب على المصدر المؤكد لما قبله؛ فإن يتقبل ويتجاوز وعد.

﴿ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

***

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧﴾.

[١٧] ونزل في كافر عاقٍّ لوالديه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ إذ دعواه للإيمان بالله، والإقرار بالبعث: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ وهي كلمةُ كراهية. **قرأ** ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: (أُفَّ) بفتح الفاء من غير تنوين، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وحفص عن عاصم: (أُفٍّ) بكسر الفاء مع التنوين، **وقرأ** الباقون: بكسر الفاء من غير تنوين(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٦ـ٣٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٦٨).

﴿أَتَعِدَانِنِيٓ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: بنون واحدة مشددة، وقرأ الباقون: بنونين مكسورتين، وفتحَ ياءَ الإضافة: نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأسكنها: الباقون(1).

﴿أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ من قبري بعد الموت.

﴿وَقَدۡ خَلَتِ﴾ مضت ﴿ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾ فلم يُبعث منهم أحد.

﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ﴾ يستصرخان ﴿ٱللَّهَ﴾ عليه، ويقولان له:

﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾ بالبعث، وهو دعاء عليه بالويل، والمراد به: الحث على الإيمان.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ﴾ القولُ.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أباطيل(2) ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ التي كتبوها.

***

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

[18] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾ أي: وجب ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ منه تعالى بتعذيبهم.

﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ أي: مع أمم ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: 597-599)، و«التيسير» للداني (ص: 199-200)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (1/ 303 و2/ 373)، و«معجم القراءات القرآنية» (6/ 168-169).

(2) «أباطيل» زيادة من «ت».

خَٰسِرِينَ ﴾ وزعم بعضهم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه[١]، وأنكرته عائشة ـ رضي الله عنها ـ[٢]، والصحيح ما تقدم أنها نزلت في رجل كافر، ويدل على فساد قول من زعم أنها في عبد الرحمن بن أبي بكر قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ الآية، أعلم الله سبحانه أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب[٣]، وعبد الرحمن أسلم وحسن إسلامه، وصار من أفاضل المسلمين، فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، والله أعلم.

* * *

﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩ ﴾.

[١٩] ﴿ وَلِكُلّٖ ﴾ تنوينه عوض من ضمير جنس المؤمن والكافر؛ أي: ولكلِّ الجنسين ﴿ دَرَجَٰتٞ ﴾ منازلُ ومراتبُ عند الله يوم القيامة، فدرج أهل

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٦٠). قال الحافظ ابن كثير: هذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن، فقوله ضعيف؛ لأنه أسلم بعد وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه.

(٢) روى البخاري (٤٥٥٠)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ ﴾ عن يوسف بن ماهَك، وقال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية فخطب... فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ ﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري.

(٣) «العذاب» زيادة من «ت».

النار يذهب سفالاً، ودرج أهل الجنة يذهب علواً.

﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟ۖ﴾ فيجازيهم بأعمالهم.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان عن ابن عامر: (وَلِنُوَفِّيَهُمْ) بالنون، والباقون: بالياء، واختلف عن هشام(١) ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص ثواب، ولا زيادة عقاب.

***

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ وهذا العرض هو بالمباشرة كما تقول عرضت العود على النار، والجاني على السوط، فيقال لهم:

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ المعدَّةَ لكم في الجنة لو آمنتم؛ باشتغالِكم بلذاتكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، والكوفيون: (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة مفتوحة(٢) واحدة على الخبر، وقرأ الباقون، وهم: ابن عامر، وابن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٠).

(٢) «مفتوحة» ساقطة من «ت».

كثير، وأبو جعفر، ويعقوب: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فابن ذكوان عن ابن عامر يحقق الهمزتين على الأصل، وهشام عنه بهمزة ومدة؛ لأنها همزة استفهام دخلت على همزة القطع، فجعلت همزة القطع بين الهمزة والألف، والثلاثة يحققون الهمزة الأولى، ويسهلون الثانية، وأبو جعفر على أصله في إدخال ألف بين الهمزة المحققة والملينة، وكلاهما فصيحان؛ لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أَذَهَبْتَ ففعلتَ كذا، وذهبت ففعلت كذا(١).

﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهَا﴾ فما بقي لكم منها شيء.

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ تخرجون عن طاعة الله.

قال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: رأى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كلما اشتهيتَ يا جابرُ اشتريت؟ أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٦/ ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٠ـ١٧١).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٥٢٤) والحاكم في «المستدرك» (٣٦٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧٢).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما شبعَ آلُ محمدٍ خبزَ الشعير يومين متتابعين حتى قُبِض رسولُ الله ﷺ[1].

***

﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ثم أمر تعالى نبيه بذكر هود وقومه على جهة المثال لقريش، فقال:

﴿ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾ يعني: هوداً عليه السلام، وهذه الأخوة أخوة القرابة؛ لأن هوداً كان من أشراف القبيلة التي هي عاد.

﴿ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ الصحيح من الأقوال: أن بلاد عاد كانت في اليمن، ولهم كانت إرم ذات العماد، والأحقاف جمع حقف، وهو الجبل المستطيل المعوَجُّ من الرمل، وكثيراً ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل في الصحارى؛ لأن الريح تصنع ذلك.

﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ ﴾ مضت الرسل ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ من قبله ومن بعده، المعنى: خَوَّفَ قومَه وهم بهذا المكان بقوله:

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هائل؛ بسبب شرككم. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[2].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٠) في أول كتاب: الزهد والرقائق.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢).

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا ﴾ لتصرِفَنا ﴿ عَنۡ ﴾ عبادة.

﴿ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ من العذاب.

﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في وعدك.

* * *

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هو يعلم متى يأتيكم العذاب.

﴿ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ ﴾ من الوحي إليكم(١)، ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ [النور: ٥٤].

﴿ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ باستعجالكم العذاب. قرأ أبو عمرو: (وَأُبْلِغُكُمْ) بإسكان الباء وتخفيف اللام، والباقون: بفتح الباء وتشديد اللام(٢)، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، والبزي عن ابن كثير: (وَلَكِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٣).

---

(١) «إليكم» ساقطة من «ت».
(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢).
(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٨-٥٩٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٢).

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي: العذابَ ﴿ عَارِضًا ﴾ نصب على الحال؛ أي: سحاباً يعرض في أفق السماء؛ لأنهم لما رأوا العذاب ﴿ مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ ﴾ ظنوه سحاباً؛ لأنهم قد حبس عنهم المطر، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: المغيث، فلما رأوها، استبشروا.

و﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ يأتينا بالمطر، فقال لهم هود: ليس الأمرُ كما رأيتم.

﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ في قولكم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾.

ثم قال: ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ فجعلت[1] الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة.

* * *

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ تُدَمِّرُ ﴾ تُهلك ﴿ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ مرت به من رجال عاد وأموالهم.

﴿ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ وجلس هود بمؤمنيه في حضيرة لا يصيبهم منها إلا ما يلين أبشارهم، وتلتذ[2] بها نفوسهم، وروي أن هذه[3] الريح أمالت عليهم الأحقاف، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام، ثم كشفت عنهم،

---

(١) في «ت»: «فجعل».

(٢) في «ت»: «تلذ».

(٣) في «ت»: «هذا».

واحتملتهم الريح، ورمتهم أجمعين في البحر.

﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف: (يُرَى) بياء مضمومة على الغيب مجهولاً، (مَسَاكِنُهُمْ) بالرفع فاعل المجهول، وقرأ الباقون: بالتاء وفتحها على الخطاب معلوماً[1]؛ أي: لا ترى يا محمدُ إلا مساكنَهم، ونصب (مَسَاكِنَهُمْ) مفعولاً صريحاً، وأمال أبو عمرو والكسائي الراء من (تَرَى)[2]، المعنى: هلكوا بأموالهم، وبقيت مساكنهم. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

كان ﷺ إذا رأى الريح، فزع، ويقول: «اللهمَّ إني أسألُك خيرَها وخيرَ ما أُرْسِلَتْ به، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما أُرْسِلَتْ به»[3].

***

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ثم خاطب تعالى قريشاً على جهة الموعظة، فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ (ما) موصولة بمعنى الذي، و(إن) نافية بمعنى (ما)

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٣ـ١٧٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٥/ ١٧٣).

(٣) رواه مسلم (٨٩٩)، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وقعت مكانها؛ ليختلف اللفظ تخفيفاً؛ لئلا يجمع بين كلمتين بلفظ واحد[1]، المعنى: مكَّنَّا عاداً في الذي ما مكناكم فيه يا كفار مكة.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ فكانت أعمارهم[2] طويلة، وأجسادهم قوية، وأموالهم كثيرة.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ فما دفع ذلك عنهم شيئاً مما حل بهم من العذاب.

﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم﴾ جزاءُ ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من العذاب، وهذا تهديد للمشركين.

***

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ثم زادهم تهديداً بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة.

﴿مِّنَ﴾ أهل ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ كعاد وثمود وقوم لوط.

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ بيَّناها بالإنذار بالعذاب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم، فلم يرجعوا، فأهلكناهم.

***

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) «واحد» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «أعمالهم».

[٢٨] ﴿ فَلَوْلَا ﴾ فهلاَّ[١] ﴿ نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ ﴾ يعني: الأوثان يتقربون بها إلى الله عز وجل.

﴿ بَلْ ضَلُّواْ ﴾ غابوا عند نزول العذاب بهم ﴿ عَنْهُمْ ﴾ قرأ الكسائي: (بَل ضَّلُّوا) بإدغام اللام في الضاد، والباقون: بالإظهار[٢].

﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ اتخاذُهم الآلهة واعتقادُهم فيها ﴿ إِفْكُهُمْ ﴾ كذبُهم ﴿ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ولما مات أبو طالب، خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرَ والمنعةَ له من قومه، فلم يطيعوه، فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة عند سوق عكاظ، قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته، وَلَّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا، وأجابوا لما سمعوا، فقصَّ الله خبرهم عليه، فقال: ﴿ وَإِذْ ﴾[٣] أي: واذكر إذ ﴿ صَرَّفْنَا ﴾ أَمَلْنا ﴿ إِلَيْكَ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف: (وَإِذْ صَرَفْنَا) بإظهار

---

(١) «فهلا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٤).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤١٩) وما بعد.

الذال عند الصاد، والباقون: بالإدغام[1] ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جن نصيبين اليمن، قال ابن عباس: «هم تسعة: سليط، وشاصر، وماصر، وحسا، ومسا، وعليم، والأرقم، والأدرس، وحاصر[2]»[3].

﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ منك.

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: استماعَ القرآن؛ أي: كانوا منه بحيث يسمعون ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُواْ﴾ أصغوا لاستماعه، قالوا: صَهْ.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فُرغ من تلاوته ﴿وَلَّوْاْ﴾ رجعوا.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ مخوِّفين بأمر النبي ﷺ.

في الحديث: «الجنُّ ثلاثةُ أصناف: صنفٌ لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف كلاب وحيات، وصنف يحلُّون ويرتحلون»[4].

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٦).

(٢) انظر: «الروض الأُنف» (١/ ٣٥٤ و٢/ ٢٣٥) و«فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٦٧٤).

(٣) جاء على هامش النسخة «ت»: [أسماء الجن: وفيها، وكذا في عددهم خلاف ذكره السهيلي وغيره، ونصيبين بفتح النون ـ: بلدة بالجزيرة بشمال سنجار وفي قرب منها جبل الجودي كما في «تقويم البلدان» وغيره.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٢)، من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه. قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٣٩): رفعه غريب جداً.

﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] وكان دينهم اليهودية، فلذلك ﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا ﴾ هو القرآنُ ﴿ أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ قال ابن عباس: «إنهم لم يعلموا بعيسى، فلذلك قالوا: من بعد موسى» ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ هي التوراة ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ العمل به.

* * *

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان.

﴿ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ﴾ الضمير عائد على (الله).

﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ أي: ذنوبكم، وقيل: المراد: يغفر لكم بعض ذنوبكم، وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى، لا مظالم العباد؛ لأنه تعالى لا يغفرها إلا برضا أربابها.

﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هو مُعَدٌّ للكفار، فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا لرسول الله ﷺ، فوافوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم(١)، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً(٢)

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٤٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢١٧).

(٢) «مبعوثاً» زيادة من «ت».

إلى الإنس والجن جميعاً، ولم يبعث قبله نبي إليهما جميعاً.

واختلف الأئمة في حكم مؤمني الجن، فقال أبو حنيفة: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم[1]، وقال مالك والشافعي وأحمد: لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة؛ كالإنس، وهم في حكم بني آدم؛ لأنهم مكلَّفون مثلهم.

ولم يرسل ﷺ إلى الملائكة، صرح به البيهقي في الباب الرابع من «شعب الإيمان»، وصرح في الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه، وفي «تفسير الإمام الرازي»، و«البرهان النفسي» حكاية الإجماع، قال ابن حامد من أصحاب أحمد: ومذهب العلماء إخراجُ الملائكة عن التكليف، والوعد والوعيد، وهم معصومون كالأنبياء بالاتفاق، إلا من استثني؛ كإبليس، وهاروت وماروت، على القول بأنهم من الملائكة.

* * *

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ليس له مهرب.

﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من دون عذابه تعالى ﴿أَوْلِيَآءُ﴾ أنصارٌ يمنعونه من الله.

---

(١) جاء على هامش «ت»: «وفي شرح عقائد الطحاوي لابن السراج: أن أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ توقف في كيفية ثوابهم؛ حيث لم ينص شيء في القرآن».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ واختلف القراء في الهمزتين من (أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ)، ولم يرد في القرآن همزتان متفقتان بالضم في كلمتين إلا في هذا المحل، **فقرأ** أبو عمرو: بإسقاط الهمزة الأولى منهما بلا عوض منها، وتحقيق الثانية، **وقرأ** قالون عن نافع، والبزي عن ابن كثير: بتسهيل الأولى بين الهمزة والواو، وتحقيق الثانية، **وقرأ** أبو جعفر، ورويس عن يعقوب: بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، واختلف عن قنبل راوي ابن كثير، وورش راوي نافع، فروي عن الأول: جعل الهمزة الثانية بين بين، وروي عنه إسقاط الهمزة الأولى، وهو الذي عليه الجمهور من أصحابه، وروي عن الثاني: إبدال الهمزة الثانية حرف مد، وروي عنه: تسهيلها بين بين، **وقرأ** الباقون، وهم: الكوفيون، وابن عامر، وروح عن يعقوب: بتحقيق الهمزتين[1].

***

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يتحير فيه، ولم يعجز عنه ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الباء في قوله (بِقَادِرٍ) زائدة مؤكدة، ومن حيث تقدم نفيٌ في صدر الكلام، حَسُنَ التأكيدُ بالباء، ولم يكن المنفي ما دخلت هي عليه؛ كما في قولك: ما زيدٌ بقائمٍ، كأنَّ بدل (أَوَلَمْ يَرَوْا): أَوَلَيْسَ الذي خَلَق. قرأ يعقوب: (يَقْدِرُ) بياء مفتوحة

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٦ـ١٧٧).

وإسكان القاف من غير ألف وضم الراء، وقرأ الباقون: بالباء وفتح القاف وألف بعدها، وخفضِ الراء منونة[1]. قرر القدرة على إحياء الموتى، وأكده بقوله:

﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ كما قرر الربوبية بـ(بلى) في قوله[2]: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

* * *

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤﴾.

[٣٤] ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ويقال[3] لهم: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا﴾ التعذيبُ ﴿بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ وذلك تصديقٌ حيث لا ينفع ﴿قَالَ﴾ أي: فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ بسبب كفركم.

* * *

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾ أي: الجد والحزم ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٧٧).

(٢) «في قوله» سقط من «ت».

(٣) في «ت»: «فيقال».

وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فهم مع محمد ﷺ خمسة، ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]، المعنى: اصبر على أذى قريش؛ كصبر الرسلِ قبلَك.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ نزولَ العذاب؛ فإنه نازل.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً﴾ المعنى: إذا عاينوا العذاب، استقصروا من هوله مدةَ لبثهم في الدنيا والبرزخ، فظنوها ساعة.

﴿مِّن نَّهَارٍ﴾ لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن.

﴿بَلَٰغٌ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه تبليغٌ من الله إليكم.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ بالعذاب إذا نزل ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله، وفي هذه الألفاظ وعد محض، وإنذار بيِّنٌ، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وتسمى: سورةَ القتال، مدنية بإجماع، وقيل: إن قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ الآية نزلت بمكة في وقت دخول النبي ﷺ فيها عام الفتح، أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا، فهو معدود في المدني؛ لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها، وآيها: ثمان وثلاثون آية، وحروفها: ألفان وثلاث مئة وتسعة وأربعون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وتسع وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾.

[١] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مبتدأ ﴿وَصَدُّوا۟﴾ نفوسهم وغيرهم.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: شرعِ الله وطريقِه الذي دعا إليه، وهو الإسلام، وخبر المبتدأ.

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أبطلها، فلم يقبلها، وهي ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، والإشارة في ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله ﷺ.

***

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ﴾.

[٢] ثم أشار إلى الأنصار أهل المدينة الذين آووه بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مبتدأ أيضاً ﴿ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾ يعني: القرآن.

﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وسمي دينُ محمد حقاً؛ لأنه لا يردُ عليه النسخ، وخبر المبتدأ.

﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ سترها بالإيمان.

﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ حالَهم؛ بتوفيقه.

* * *

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) ﴾.

[٣] ﴿ ذَلِكَ ﴾ الواقع من الضلالة والهدى ﴿ بِأَنَّ ﴾ أي: بسبب أن.

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴾ الشيطانَ.

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وهو القرآن.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: مثلَ ذلك الضرب.

﴿ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ أي: يذكر لهؤلاء الناس قصصَ أمثالهم؛ ليتعظوا بهم.

* * *

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ في المحاربة ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ مصدر بمعنى الفعل؛ أي: فاضربوا الرقاب ضرباً، المعنى: إذا لقيتموهم، فاقتلوهم، وعَيَّنَ من أنواع القتل أشهرَه وأعرفه، فذكره.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾ أكثرتم فيهم القتل، وأوهنتموهم به.

﴿ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ ﴾ أي: فَأْسِروهم، واحتفظوا بهم حتى لا يُفلتوا منكم، ولما قوي الإسلام، نزل:

﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ ﴾ أي: تمنون عليهم مناً بإطلاقهم بعد أسرهم.

﴿ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ أي: تفادوهم فداء؛ أي: أنتم مخيرون في ذلك.

﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ ﴾ أي: أصحابها.

﴿ أَوْزَارَهَا ﴾ سلاحها، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر: ما يحمله الإنسان.

واختلفوا في حكم الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وبقوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، وهو قول أبي حنيفة، وذهب آخرون إلى أنها محكمة، والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم، أو يسترقهم، أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض، أو يفاديهم بالمال، أو بأسارى المسلمين، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد؛ لأنه

عمل به رسول الله ﷺ، والخلفاءُ بعده، ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل[1] كلّها في الإسلام، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهادُ ماضٍ منذُ بعثني الله إلى أن يُقاتل آخر أُمتي الدجَّالَ»[2].

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم بغير قتال.

﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بالقتال ﴿لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ ليختبر المؤمنين بالكافرين؛ بأن يجاهدوهم، فيستوجبوا[3] الثواب، والكافرين بالمؤمنين؛ بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم؛ ليرتدع بعضهم عن الكفر.

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: (قُتِلُوا) بضم القاف وكسر التاء من غير ألف بينهما؛ يعني: الشهداء، وقرأ الباقون: بفتح القاف والتاء وألف بينهما[4]؛ يعني: المجاهدين.

---

(١) في «ت»: «الملك».

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢)، كتاب: الجهاد، باب: في الغزو مع أئمة الجور، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في «ت»: «فيستجيبوا».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٤).

﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ روي أنها نزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.

* * *

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾ في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات.

﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ يرضي خصماءهم، ويقبل أعمالهم.

* * *

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ أي: عرفهم منازلَهم فيها.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي: دينه.

﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ على أعدائكم.

﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ عند القتال.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ مبتدأ، خبره محذوف؛ أي: تَعِسوا، يدل عليه: ﴿ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ أي: عِثاراً وسقوطاً، ودخلت الفاء للجزاء، وتعطف على تعسوا المحذوف.

﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أبطلها.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التعسُ والإضلالُ.

﴿ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن وأحكامِه.

﴿ فَأَحْبَطَ ﴾ أبطلَ ﴿ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾.

* * *

﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ثم خوَّف الكفار فقال: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾ أهلكهم وأموالهم وأولادهم.

﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ أمثالُ عاقبة المدمَّرِ عليهم إن لم يؤمنوا، توعُّد لمشركي مكة.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكورُ من نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وليهم وناصرهم ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ يُنجيهم، والمراد: ولاية النصرة، لا ولاية العبودية؛ فإن الخلق كلهم عباده تعالى.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، ولا يفكرون في مآلهم ﴿ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ أي: موضع إقامتهم.

* * *

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن ﴾ أهل[١] ﴿ قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ ﴾ أي: أخرجك أهلُها، المعنى: كم رجال هم أشدُّ من أهل مكة.

﴿ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴾ من إهلاكنا. وتقدم اختلاف القراء في (وَكَأَيِّنْ) في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار، التفت إلى مكة وقال: «أنت أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبُّ بلاد الله إليَّ، ولو أن المشركين لم يخرجوني، لم أخرجْ منك»، فأنزل الله هذه الآية[٢].

* * *

(١) «أهل» زيادة من «ت».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٦٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٥)، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ يقينٍ من دينه، وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر (مَنْ):

﴿ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ وهم مشركو مكة ﴿ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴾ المعنى: لا مساواة بين المهتدي والضال.

* * *

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ أي: صفتها.

﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ قرأ ابن كثير: (أَسِنٍ) بقصر الهمزة، والباقون: بمدها[1]؛ أي: غير متغير الطعم والرائحة.

﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ﴾ كلبن الدنيا.

﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ لم تَدُسْها الأرجل، ولم تدنسها الأيدي؛ لأن خمر الدنيا كريهة الطعم عند التناول، وشربها يبعد من الله تعالى؛

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٧).

بخلاف خمر الجنة. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (لِلشَّارِبِينَ) بالإمالة بخلاف عنه.

﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ لا شمعَ فيه ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا ﴾ مع كل[1] ذلك.

﴿ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ أصناف ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ عطف على الصنف المحذوف؛ أي: ونعيم أعطته المغفرة وسببته، وإلا فالمغفرة إنما هي قبل الجنة.

﴿ كَمَنْ ﴾ أي: أمثال أهل الجنة وهي بهذه الأوصاف كمن.

﴿ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا ﴾ شديدَ الحر يُسقط فروةَ الوجه عند الشرب.

﴿ فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ ما في بطونهم من الحوايا؛ من فرط الحرارة، فخرجت من أدبارهم.

***

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ (١٦) ﴾.

[١٦] ﴿ وَمِنْهُم ﴾ أي: المنافقين ﴿ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ولا يَعون كلامَك.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ من الصحابة؛ استهزاءً وسخرية.

﴿ مَاذَا قَالَ ﴾ محمد ﴿ ءَانِفًا ﴾ قرأ البزي عن ابن كثير بخلاف عنه: (أَنِفاً) بقصر الهمزة، والباقون: بمدها[2]؛ يعني: الآن، ونصبه ظرف؛ أي: وقتاً مؤتنفاً، وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب، ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من

---

(١) «كل» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٨٨).

المسجد، سألوا عبد الله بن مسعود: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ أي: ما معناه؟ وما نفعه؟ قال ابن عباس: «وقد سُئلت فيمن سُئل»[1].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالنفاق ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الكفر، فلا يؤمنون.

* * *

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ وهم المسلمون ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ علماً وبصيرة.

﴿وَآتَاهُمْ﴾ تعالى ﴿تَقْوَاهُمْ﴾ أي: جعلهم متقين.

* * *

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ وتبدل من (الساعة) بدلَ اشتمال ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتُها، وبَعْثُه ﷺ من أشراطها، ومن أشراطها: أن يُرفع العلم، ويكثر الجهل والربا وشرب الخمر، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٥).

(٢) رواه البخاري (٨٠)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وظهور الجهل، ومسلم (٢٦٧١)، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال ﷺ: «إذا ضُيِّعت الأمانةُ، فانتظروا الساعة»، فقيل: كيفَ إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله، فانتظرِ الساعة»(١).

واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَشْرَاطُهَا) كاختلافهم فيهما من قوله(٢): (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ لا ينفعهم ثَمَّ، نحو: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

* * *

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ۝١٩﴾.

[١٩] ﴿فَٱعْلَمْ﴾ يا محمدُ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: دُمْ موحِّداً.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ليستنَّ بك غيرُك.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ لتغفرَ ذنوبُهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ منصرَفكم في الدنيا.

﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ مصيرَكم في الآخرة إلى الجنة أو النار.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٩)، كتاب: العلم، باب: من سئل وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «قوله» ساقطة من «ت».

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ حرصاً على طلب الجهاد: ﴿ لَوْلَا ﴾ هلاَّ .

﴿ نُزِّلَتْ سُورَةٌ ﴾ فيها ذكرُ الجهاد .

﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ مثبتة غير منسوخة الأحكام من الجهاد وغيره .

﴿ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ﴾ أي: الأمر به .

﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: شك، وهم المنافقون .

﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ﴾ أي: نظراً مثل ﴿ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ إذا نزل به، وعاين الملائكة؛ بغضاً لك، وخوفاً منك ﴿ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ وعيد بمعنى: فويل؛ أي: قَرُبَ منهم ما يكرهون .

* * *

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ استئناف، والخبر محذوف؛ أي: هما خير لهم، والقول المعروف: هو الأمر المرضي .

﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي: جدَّ ولزمَ فرضُ القتال، وجواب (إذا) محذوف؛ أي: كذبوا .

﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ في إظهار الإيمان والطاعة إذا جد أصحاب أمر القتال.

﴿لَكَانَ﴾ الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من الكراهة والكذب.

* * *

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب لضرب من الإرهاب، فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: فلعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أمرَ هذه الأمة، وقيل: معناه: إن أعرضتم عن الحق.

﴿أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي، والافتراق بعد الاجتماع على الإسلام.

﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ﴾ بالقتل والعقوق ووأد البنات، المعنى: فهل يتوقع منكم إلا الإفساد وتقطيع الأرحام؟ قال البغوي[١]: نزلت في بني أمية وبني هاشم. قرأ نافع: (عَسِيتُمْ) بكسر السين، والباقون: بفتحها[٢]، وقرأ رويس عن يعقوب: (تُوُلِّيتُم) بضم التاء والواو وكسر اللام، والباقون: بفتحهن[٣]، وقرأ يعقوب: (تَقْطَعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء

---

(١) في «تفسيره» (٤/ ١٦٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٢).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٢).

مخففة، [والباقون: بفتحهن، وقرأ يعقوب: (تَقْطَعُوا) بفتح التاء وإسكان القاف وفتح الطاء مخففة][1]، والباقون: بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة[2].

* * *

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣﴾.

[٢٣] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المفسدون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لإفسادهم.

﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ أي: بصائرهم عن طريق الهداية.

* * *

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرفون الحق، والتدبر: النظر إلى ما يؤول إليه الكلام، فلما لم يتدبروا، أضرب عنهم، فقال: ﴿أَمْ﴾ أي: بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ المعنى: قلوبهم مقفلة، فلا يتدبرون، ولا يعون، ونكرت القلوب إرادة بعض القلوب[3]، وهي قلوب المنافقين وأعداء الدين.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٢_١٩٣).

(٣) «إرادة بعض القلوب» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ونزل في اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، وهم يعرفونه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم ﴾[١] أي: رجعوا إلى الكفر.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ﴾ في التوراة، وهو أن محمداً حق ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ سَوَّلَ ﴾ زيَّنَ ﴿ لَهُمْ ﴾ أعمالَهم ﴿ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (وَأُمْلِي لَهُمْ) بضم الهمزة وكسر اللام، فأبو عمرو يفتح الياء على ما لم يسم فاعله، ويعقوب يسكنها على وجه الخبر من الله سبحانه عن نفسه أنه يفعل ذلك، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة واللام، وقلب الياء ألفاً[٢]؛ أي: أطال الشيطان لهم المدة، ومد لهم في الأمل.

***

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الإضلالُ ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ﴾

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٧٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١١٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٠ـ١٦١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٤ـ١٩٥).

وهم المشركون: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ التعاون على عداوة محمد ﷺ، وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سراً، فأظهره تعالى بقوله:

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (إِسْرَارَهُمْ) بكسر الهمزة مصدر أَسَرَّ، وقرأ الباقون: بفتحها، جمع سِرّ[1].

* * *

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ يعملون.

﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع الحديد.

قال ابن عباس: «لا يُتَوَفَّى أحدٌ على معصية، إلا تضرب الملائكةُ وجهَه ودُبُرَهُ»[2].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥).

(٢) انظر: «الكشّاف» للزمخشري (٤/ ٣٢٩).

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التوفِّي ﴿ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾ من كتمان نعته عليه السلام ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ أي: أبغضوا العمل بما يرضيه. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَانَهُ) بضم الراء، والباقون: بكسرها(١).

﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أبطلها لذلك.

***

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أظنَّ المنافقون.

﴿ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ يعرفوا نفاقهم.

***

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ أي: لو أردنا، لدللناك على المنافقين.

﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ ﴾ بعلامتهم.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥).

قال ابن عباس[1]: قال أنس: ما أُخفيَ على النبي ﷺ شيء من أمر المنافقين بعد نزول هذه الآية[2].

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فحواه، المعنى: أنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمور المسلمين، فكان لا يتكلم عنده ﷺ منافق إلا عرفه، والأكابر يعرفون صدق المريد من كذبه بسؤاله وكلامه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيجازيكم بها.

***

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنعاملنكم معاملة المختبرين؛ بأن نأمركم بالجهاد والقتال ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ والمراد: علم الظهور؛ أي: نبلوكم حتى يظهر ما نخبر به عنكم من أفعالكم؛ من جهاد وصبر وغيرهما ﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ نظهرها بسبب طاعتكم وعصيانكم[3]. قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى يَعْلَمَ)، (وَيَبْلُوَ) بالياء في الثلاثة؛ لقوله تعالى: (وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ)، وقرأهن الباقون: بالنون، لقوله: (وَلَوْ نَشَاءُ

(١) قوله: «ابن عباس» سقط من «ت».
(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٥٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٣٠).
(٣) في «ت»: «إبائكم».

لأَرَيْنَاكَهُمْ)[1]، **وقرأ** رويس عن يعقوب: (وَنَبْلُو) بإسكان الواو؛ أي: ونحن نبلو، **وقرأ** الباقون: بفتحها رداً على قوله: (حَتَّى نَعْلَمَ)[2].

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢ ﴾.

[٣٢] ونزل فيمن عصى الله وكره الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ هم قريظة والنضير.

﴿ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ بكفرهم وبصدِّهم.

﴿ وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ يبطلها، فلا يرون لها ثواباً.

***

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣ ﴾.

[٣٣] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ بالمعاصي والكفر.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٥ـ١٩٦).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٦).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ونزل في أصحاب القَليب ومَنْ جرى مجراهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه.

***

﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ فَلَا تَهِنُواْ ﴾ لا تضعفوا ﴿ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ أي: لا تدعوا إلى الصلح ابتداءً إذا لقيتم الكفار. قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (السِّلْمِ) بكسر السين، والباقون: بفتحها[1]، وهما لغتان بمعنى.

﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ الغالبون ﴿ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ بالعون والنصرة.

﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ ﴾ ينقصكم ﴿ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ أي: ثواب أعمالكم.

***

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ باطل وغرور، لا ثباتَ لها، فلا

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥).

تهنوا في الجهاد بسببها ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الفواحشَ.

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ ثوابَ إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ جميعَها، بل الزكاة المفروضة، وهي ربع العشر، فَطَيِّبوا أنفسَكم.

* * *

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ٣٧﴾.

[٣٧] ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يُلِحّ عليكم ﴿تَبْخَلُواْ﴾ بها ﴿وَيُخْرِجْ﴾ البخل ﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾ أحقادَكم ومعتقداتكم السوء. قرأ يعقوب: (وَنُخْرِجْ) بالنون، والباقون: بالياء[١].

* * *

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾.

[٣٨] ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، ونافع: بتسهيل الهمزة بين بين، وقرأ الكوفيون، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: بتحقيق الهمزة بعد الألف، وروي عن ورش: (هَآنْتُمْ) مداً بلا همزة، وعنه وجه ثان (هَئَنْتُمْ) بهمزة مقصورة بين الهاء والنون؛ مثل: سَأَلْتُم، وروي عن قنبل: كالوجه الثاني عن ورش، أصلها أَأَنْتُمْ، قلبت الهمزة الأولى هاء؛ كقولهم هَرَقْتُ، وأَرَقْتُ[٢].

---

(١) انظر: «مختصر القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٢ و٦٠٧)، و«النشر في القراءات العشر»=

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أصلُه: أولاء، دخلت عليه هاء التنبيه، وهو في موضع النداء، يعني: أنتم يا هؤلاء المخاطبون، ثم استأنف فقال: .

﴿تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما فرض عليكم.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُ﴾ بالزكاة المفروضة، و(يَبْخَلُ) رفع؛ لأن (مَنْ) هذه ليست بشرط؛ لاستئنافك ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ﴾ بالصدقة والمفروض، و(يَبْخَلْ) جزم؛ لأن (مَنْ) هذه شرط، جوابه ﴿فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ﴾ رفعٌ أيضاً.

﴿عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: عليها، المعنى: جزاءُ بخله مختص به.

﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عنكم وعن صدقتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ عن الطاعة ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ خيراً منكم، وهم الأنصار.

﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ في البخل والتولي ونحوهما، بل يكونوا خيراً منكم، وأطوعَ لله، والله أعلم.

* * *

= لابن الجزري (١/ ٤٠٠-٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٩٨).

سورة الفتح

مدنية، نزلت على النبي ﷺ منصرَفَهُ من الحديبية[1]، وهي بهذا في حكم المدني، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وثمانية وثلاثون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ١﴾.

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ الأكثرون على أنه صلح الحديبية[2]، ونزلت السورة مؤانسة للمؤمنين؛ لأنهم كانوا استوحشوا من رد قريش لهم، ومن تلك[3] المهادنة التي هادنهم النبي ﷺ، فنزلت السورة مؤنسة لهم في صدهم عن البيت، ومذهِبَة ما كان في قلوبهم.

وملخص القصة: أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة معتمراً، لا يريد حرباً، وساق الهدي، وأحرم بالعمرة، وسار حتى وصل إلى ثنية المزار مهبط الحديبية أسفل مكة، والحديبية بئر،

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك.

(٢) رواه البخاري (٣٩٣٩)، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، عن أنس.

(٣) «تلك» زيادة من «ت».

ووقع من معجزاته ﷺ آية الماء في بئر الحديبية؛ حيث وضع فيه سهمه، وثاب الماء حتى كفى الجيش.

وتأهبت قريش للقتال، وبعثوا رسولهم إلى النبي ﷺ، فبعث إليهم عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يعلمهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت، فلما وصل إليهم، أمسكوه وحبسوه، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قتل، فدعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبايع الناس على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد، حتى قال سلمة بن الأكوع وغيره: «بايعنا رسول الله ﷺ على الموت»(١)، ثم أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل، ثم وقع الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش؛ فإنهم بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح، فأجاب النبي ﷺ، ثم دعا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال لعلي: امح رسول الله، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: فأرنيه، فأراه إياه(٢)، فمحاه النبي ﷺ، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠)، كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، ومسلم (١٨٦٠)، كتاب: الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال.

(٢) «إياه» زيادة من «ت».

وعهدهم دخل فيه»، وأشهدوا في الكتاب على الصلح رجالاً من المسلمين والمشركين، ثم نحر رسول الله ﷺ هديه، وحلق رأسه، وفعل الناس كذلك[1]، ثم عاد إلى المدينة، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح.

ودخل في[2] هذه السنة في الإسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك وأكثر، فكان هذا الفتح الأعظم، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المسلمين خيراً، واتفقت في ذلك الوقت[3] ملحمة عظيمة بين الروم وفارس، ظهرت فيها الروم، فكانت من جملة الفتح على رسول الله ﷺ، وسر بها والمؤمنون؛ لظهور أهل الكتاب على المجوس، وانحصاد الشوكة العظمى من الكفرة، والفتح: الظفر بالبلد عنوة أو صلحاً.

﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أي: قضينا لك قضاء بيِّناً.

***

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ هي لام (كي)؛ لكنها تخالفها في المعنى. قرأ

---

(١) رواه مطولاً البخاري (٢٥٨١)، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، من حديث المسْوَر بن مخرمة، ومسلم (١٧٨٤)، كتاب: الجهاد، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) «في» ساقطة من «ت».

(٣) «الوقت» زيادة من «ت».

أبو عمرو: (لِيَغْفِر لَّكَ) بإدغام الراء في اللام[1]، والمراد هنا: أن الله فتح لك؛ لكي يجعل ذلك أمارة وعلامة لغفرانه لك؛ فكأنها لام صيرورة، ولهذا قال ﷺ: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة هي أحبُّ إليَّ من الدنيا»[2].

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ يعني: ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك.

﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنوب أمتك بدعوتك، وقيل: مقصد الآية: أنك مغفور لك، غير مؤاخذ بذنب أن لو كان.

﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بإظهارك وتعليتك على عدوك، والرضوان في الآخرة.

﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ أي: إلى صراط؛ أي: يثبتك على الدين، فجمع الله لنبيه ﷺ في هذه السورة نعماً مختلفة من الفتح المبين، وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة، وهي من أعلام المحبة، وتمام النعمة، وهي من أعلام الاختصاص، والهداية، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تبرئة من العيوب، وتمام النعمة بلاغ[3] الدرجة الكاملة، والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة.

* * *

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ وهو الذي معه غلبة العدو، والظهور عليه،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠١).

(٢) رواه مسلم (١٧٨٦)، كتاب: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في «ت»: «إبلاغ».

والنصر غيرُ العزيز: هو الذي مضمنه الحماية ودفع العدو فقط.

***

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ الطمأنينة والوقار ﴿ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهو تسكينها لتلك الهدنة مع قريش حتى اطمأنوا وعلموا أن وعد الله على لسان رسول الله ﷺ حق.

﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ يقيناً ﴿ مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ الأول، ويكثر تصديقهم.

قال ابن عباس: بعث ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه، زادهم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم الجهاد(١).

واختلف الأئمة في زيادة الإيمان ونقصانه، فقال أبو حنيفة: لا يزيد ولا ينقص، ولا استثناء فيه، وقال الثلاثة: يزيد وينقص، ويجوز الاستثناء فيه.

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم، لفعل.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بخلقه ﴿ حَكِيمًا ﴾ في صنعه، وقوله: (وَكَانَ)؛ أي: كان ويكون، فهي دالة على الوجود بهذه الصفة، لا معينة وقتاً ماضياً.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٣). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٨)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٥١٤).

﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٥ ﴾.

[٥] روي أنه لما أنزلت: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: ٩]، تكلم فيها أهل الكتاب، وقالوا: كيف نتبع من لا يعرف ما يفعل به وبالناس معه؟ فبين الله في هذه السورة ما يفعل به بقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾، فلما سمعها المؤمنون، قالوا: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزل: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾. قال أهل المعاني: وإنما كررت اللام في قوله: (لِيُدْخِلَ) بتأويل تكرير الكلام، مجازه: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً؛ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إنا فتحنا لك؛ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار[١].

﴿وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ﴾ يسترها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإدخال والتكفير.

﴿عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ لأنه منتهى ما يطلب من جلب نفع أو دفع ضر.

* * *

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦ ﴾.

[٦] روي أن النبي ﷺ أتي بجماعة، فقالوا: ما لنا عند الله؟ فنزل: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ أن الله لا ينصر محمداً ﷺ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٤٣).

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالعذاب والهلاك. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (دَائِرَةُ السُّوءِ) بضم السين، وقرأ الباقون: بفتحها كالحرف الأول[1]، وهما لغتان، غير أن المفتوح غلب في أن يضاف إليه ما يراد ذمه من كل شيء، والمضموم جرى مجرى الشر الذي هو نقيض الخير، يقال: أراد به السُّوْء، وأراد به الخير، وسَمَّى المصيبة التي دعا بها عليهم: (دَائِرَة) من حيث يقال في الزمان: إنه يستدير، ألا ترى أن السنة والشهر كأنها مستديرات، تذهب على ترتيب، وتجيء من حيث هي تقديرات للحركة العظمى، ومنه قول النبي ﷺ: «إن الزمانَ قد استدار كهيئته يومَ خَلَق الله[2] السمواتِ والأرضَ»[3]، ويحسُن أن تسمى المصيبة دائرة؛ من حيث إنها تدير: تحيط بصاحبها كما يحيط شكل الدائرة على السواء من النقطة.

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ أبعدهم من رحمته.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ جهنم.

* * *

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الغزاة في سبيل الله.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠١).

(٢) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت».

(٣) رواه البخاري (٣٠٢٥)، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، ومسلم (١٦٧٩)، كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، من حديث أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ على أمتك يوم القيامة.

﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ بالجنة مَنْ عمل خيراً من أهل الإيمان.

﴿ وَنَذِيرًا ﴾ منذراً أعداءَ الله بالنار، ومن عمل سوءاً.

***

﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ يُقَوُّوه وينصروه ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ يعظِّموه ويفخِّموه، والهاء في (يُعَزِّرُوهُ ويُوقِّرُوهُ) للنبي ﷺ، وهاهنا وقف، والهاء في ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لله ـ عز وجل ـ أي: يصلوا له.

﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ بالغداة والعشي. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (لِيُؤْمِنُوا) (وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوه وَيُسَبِّحُوهُ) بالغيب في الأربعة على استمرار الخطاب للنبي ﷺ، وقرأ الباقون: بالخطاب للناس(١)، على معنى: قل لهم.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ يا محمد بيعةَ الرضوان بالحديبية على ألاَّ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٢ـ٢٠٣).

يفروا، وخبر (إنَّ) ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: حولُه وقُوَّتُه فوق حولهم وقوتهم؛ أي: في نصرك ونصرهم، وهذا تعديد نعمة عليهم مستقبَلة مخبر بها.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ نقضَ البيعةَ ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾ فإنما يرجع وبالُ نقضه.

﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ ثبت على البيعة. قرأ حفص عن عاصم: (عَلَيْهُ الله) بضم الهاء، حذفت الواو لسكونها، وبقيت الضمة تدل عليها، وقرأ الباقون: بكسر الهاء، أبدلوا من الضمة كسرة[1]، يقال: أوفى بالعهد، ووفَّى به: إذا لم ينقضه.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنة فما فوقها. قرأ أبو عمرو، والكوفيون، ورويس عن يعقوب: (فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء؛ أي: فسيؤتيه الله، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة[2].

***

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ولما سار ﷺ إلى مكة عام الحديبية، طلب ناساً من الأعراب

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٤).

ليرتحلوا معه، فتخلفوا عنه جبناً، واعتلُّوا بالأموال والأولاد، فنزل: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ عنك ﴿ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ إذا رجعت من الحديبية.

﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ اللهَ ليغفر لنا تخلُّفنا عنك، فكذبهم الله في اعتذارهم، فقال: ﴿ يَقُولُونَ ﴾ يُظهرون.

﴿ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ لأنهم لا يبالون باستغفارك.

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ سوءاً ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ﴾ أي: لا يقدر على دفع ضر ولا جلب نفع إلا هو تعالى. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ضُرّاً) بضم الضاد، والباقون: بفتحها[1]، وهما لغتان، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم أنه إن أراد شيئاً من ذلك، لم يقدر أحد على دفعه ﴿ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه.

***

﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ﴾ لظنكم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون. قرأ الكسائي، وهشام: (بَل ظَّنَنْتُمْ) بإدغام اللام في الظاء، والباقون: بالإظهار[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٥).

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فتمكن فيها ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وهو سائر ما يظنون بالله ورسوله من الأمور الزائغة ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى جمع بائر؛ أي: لا تصلحون لشيء من الخير.

***

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾ وهي النار المؤججة، ونكر[١] (سَعِيراً)؛ للتهويل.

***

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يدبره بقدرته وحكمته.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ رحمتُه سابقة لغضبه؛ حيث يكفِّر السيئات باجتناب الكبائر، ويغفر الكبائر بالتوبة.

***

﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الحديبية.

﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ أي: غنائم خيبر.

---

(١) في «ت»: «وتنكير».

﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر، وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً من غنائم أهل مكة؛ لأنهم انصرفوا منها على صلح، ولم يصيبوا منها[1] شيئاً، قال الله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَلِمَ اللهِ) بكسر اللام من غير ألف، جمع كلمة، وقرأ الباقون: بفتح اللام وألف بعدها[2]، والمعنى فيه متقارب، ومعناه: يريدون أن يغيروا وعده لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلى خيبر.

﴿كَذَٰلِكُمْ﴾ أي: كقولي لكم ﴿قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ من قبلِ عَوْدِنا.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ فلذلك قلتم هذا القول.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، وهم المؤمنون.

***

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ عن الحديبية، وكرر ذكرهم بهذا الاسم

---

(١) في «ت»: «منهم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٦).

مبالغةً في الذم، وإشعاراً بشناعة التخلف؛ أي: قل لهم إن كنتم تريدون الغزو:

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وهم فارس والروم، أو هم بنو حنيفة والمرتدون، قال منذر بن سعيد: يتركب على هذا القول أن الآية مؤذنة بخلافة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -؛ لأن أبا بكر قاتل أهل الردة، وعمر قاتل فارس والروم(١).

﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: يكون أحد الأمرين لا غير، ومن عداهم يقاتل حتى يسلم، أو يعطي الجزية.

وعن رافع بن خديج قال: واللهِ لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم مَنْ هم، حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم أريدوا(٢).

﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ تُعْرِضوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عامَ الحديبية.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهو النار.

***

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢١٩) عن ابن عباس، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٧٣).

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] فلما نزلت هذه الآية، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ في التخلف عن الجهاد.

﴿ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ هذا عذر لهم في تخلفهم عن الحديبية.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُدْخِلْهُ) (نُعَذِّبْهُ) بالنون فيهما للعظمة، والباقون: بالياء فيهما؛ لقوله: (وَمَنْ يُطِعِ الله)[١].

* * *

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ كانوا ألفاً وثلاث مئة، وقيل غير ذلك.

﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ وكانت سَمُرة ﴿ فَعَلِمَ ﴾ الله ﴿ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٧).

من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ﴾ جازاهم ﴿فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافه من مكة.

* * *

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٩﴾.

[١٩] ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ﴾ من أموال اليهود، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فقسمها رسول الله بينهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ غالباً ﴿حَكِيمٗا﴾ مراعياً مقتضى الحكمة.

* * *

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢٠﴾.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ أي: مغانم خيبر.

﴿وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾ هم قبائل من أسد وغطفان هموا أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة في غيبتهم في غزوة خيبر، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة ﴿ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ على صدقك.

﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ يثبتكم على الإسلام.

ولما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعضَ المحرم، ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع من الهجرة إلى خيبر، وهي على ثماني بُرُد من المدينة، فأشرف عليها، وقال لأصحابه: «قفوا،

ثم قال: اللهمَّ ربَّ السمواتِ وما أَظْلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ وما أَقْلَلْنَ، ورَبَّ الشياطينِ وما أَضْلَلْنَ، وربَّ الرياح وما ذَرَيْنَ، نسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا باسم الله»، ونزل عليها ليلاً، وكان إذا غزا لم يُغر حتى يصبح، فإن سمع أذاناً، كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً، أغار عليهم، فلما أصبحوا، خرجوا إلى عملهم بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوه عادوا وقالوا: محمدٌ والخميس، يعنون: الجيش، فقال النبي ﷺ: «الله أكبرُ خربتْ خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساءَ صَباحُ المنذَرين»، ثم حاصرهم وضيق عليهم، فخرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قدْ علمتْ خيبرُ أَني مَرْحَبُ ... شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ ... إذا الليوثُ أقبلتْ تلتهب

فبرز إليه عامر وقال:

قد علمتْ خيبرُ أني عامرُ ... شاكي السلاح بطلٌ مغامرٌ

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسُه، فمات رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «له أجرُه مرتين»، وكان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه، فلما أصبحوا، جاء علي، فتفل النبي ﷺ في عينيه، فما[1] اشتكى رمداً بعدها، فلما مات عامر، برز علي لمرحب بعد أن أعطاه رسول الله ﷺ الراية، وقال رضي الله عنه:

---

(١) في «ت»: «فلما».

أنـا الـذي سمتنـي أُمِّـي حَيْـدَرَهْ　　　أَكِيلُهـم بـالسيـفِ كيـلَ السَّنْـدَرهْ

لَيثٌ بغابات شديدُ القسوره

واختلف بينهما ضربتان، فسبقه علي ـ رضي الله عنه ـ وضرب رأسه فقتله، فسقط عدو الله ميتاً(١).

وكان فتح خيبر في صفر على يد علي رضي الله عنه، فأخذ رسول الله ﷺ الأموال، وفتح الحصون، ورجع إلى المدينة، وأصاب سبايا منهن صفية بنت حيي، فاصطفاها ﷺ لنفسه، وجعل عتقها صداقها، وهو مذهب الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ مستدلاً بذلك، فإذا قال الرجل لأمته القن، أو المُدَبَّرة، أو المكاتبَة، أو أم ولده، أو المعلق عتقُها على صفة: أعتقتُك وجعلتُ عتقَك صداقَك، أو جعلت عتقَ أمتي صداقَها، أو صداق أمتي عتقها، أو قد أعتقتها(٢) وجعلت عتقها صداقها، أو أعتقتك على أن أتزوجك وعتقك صداقك، صح إن كان متصلاً(٣) بحضرة شاهدين، وينعقد النكاح والإعتاق، ويصح جعل صداق مَنْ بعضُها رقيق عتقَ ذلك البعض، وإن طلقها قبل الدخول، رجع عليها بنصف قيمتها، فإن لم تكن قادرة، أجبرت على الاستسعاء، ولو أعتقها بسؤالها على أن تنكحه، أو قال: أعتقتك على أن تنكحيني، ورضيت، صح، ثم إن نكحته، وإلا لزمتها قيمة نفسها، وهذا من مفردات مذهب أحمد؛ خلافاً للثلاثة رضي الله عنهم.

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٧)، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قراد وغيرها. من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٢) «أو قد أعتقتها» زيادة من «ت».

(٣) «متصلاً» زيادة من «ت».

وفي غزوة خيبر أهديت للنبي ﷺ[1] الشاة المسمومة، فأخذ منها قطعة ولاكها، ثم لفظها، وقال: «تخبرني هذه الشاة أنها مسمومة»[2].

* * *

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي: وعدكم فتح بلدة أخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يعني: بلاد فارس والروم، وقيل: الإشارة إلى مكة، قال ابن عطية: وهذا هو القوي الذي يتسق معه المعنى ويتأيد[3]، وقيل: ومعنى (وَأُخْرَى)؛ أي: مغانم هوازن في غزوة حنين، ومعنى (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا)؛ لما كان فيها من اضطراب المسلمين.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ بالقدرة والقهر لأهلها؛ أي: قد سبق في علمه ذلك، وظهر فيها أنهم لم يقدروا عليها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ لأن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء.

* * *

---

(١) «أهديت للنبي ﷺ» زيادة من «ت».

(٢) رواه أبو داود (٤٥١٢)، كتاب: الديات، باب: فيمن سقىٰ رجلاً سماً أو أطعمه فمات، أيقاد منه؟، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٦٨)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢٤٥).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٥).

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يعني : أسد وغطفان وأهل خيبر .

﴿ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ لانهزموا ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا ﴾ يحرسهم .

﴿ وَلَا نَصِيرًا ﴾ ينصرهم .

* * *

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ ﴾ أي : كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه .

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ تغييراً .

* * *

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم ﴾ يعني : كفار قريش .

﴿ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ بداخلها .

﴿ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ ﴾ أي : أظهركم عليهم، وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمس مئة إلى الحديبية يطلبون غِرَّة في عسكر رسول الله ﷺ، فلما أحسَّ بهم المسلمون، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وسماه سيف الله في جملة من الناس، فهزمهم حتى أدخلهم مكة،

وأسر منهم جملة، فسيقوا إلى رسول الله ﷺ، فمنَّ عليهم وأطلقهم، فهذا هو أن كف الله أيديهم عن المسلمين بالرعب، وكف أيدي المسلمين عنهم بدخولهم مكة، تلخيصه: حجز بينكم بعد ظفركم بهم.

﴿عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم. قرأ أبو عمرو: (يَعْمَلُونَ) بالغيب على ذكر الكفار وتمردهم، وقرأ الباقون: بالخطاب للكفار[1].

* * *

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ منعوكم ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ عن دخوله والوصول إليه ﴿وَٱلْهَدْيَ﴾ أي: وصدُّوا الهديَ، وكانت سبعين بدنة ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً، نصب على الحال.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ﴾ مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في محل النحر للمُحْصَر في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ يعني: المستضعفين بمكة.

﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لم تعرفوهم؛ لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٨).

بالقتل. قرأ أبو جعفر: (تَطَوْهُمْ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز مضموماً[1].

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾ من جهتهم ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾ مشقة وإثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ(أَنْ تَطَؤُوهُمْ)، أي: تطؤوهم غيرَ عالمين بهم، وجواب (لَوْلاَ) محذوف، تقديره: لأذنَ لكم في دخولها، ولكنه حالَ بينكم وبين ذلك.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ في دين الإسلام.

﴿مَن يَشَآءُ﴾ من أهل مكة بعدَ الصلح قبل أن تدخلوها.

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ أي: تميزوا؛ يعني: المؤمنين من الكفار، وجواب (لَوْ تَزَيَّلُوا):

﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بدخولكم مكة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالسبي والقتل بأيديكم.

* * *

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿إِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأنَفَة حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمد رسول الله، قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٠٩).

وإخواننا، ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه.

﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ التي دخلت قلوبهم. قرأ أبو عمرو، وهشام: (إِذ جَّعَلَ) بإدغام الذال في الجيم، والباقون: بالإظهار[1].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أي: الثبات والوقار ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ ﷺ.

﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لم يدخلهم ما دخل المشركين من الحمية، فيعصوا الله في قتالهم.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هي كلمة الشهادة؛ أي: يثبتهم عليها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ ممن أباها من المشركين ﴿وَأَهْلَهَا﴾ في علم الله وسابق قضائه لهم، وقوله تعالى:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الذين دفع عن الكفار من قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية، فيروى أنه لما انعقد، أمن الناس في تلك المدة الحرب والفتنة، وعلت دعوة الإسلام، وانقاد إليه كل من كان له فهم من العرب، وزاد عدد الإسلام في تلك المدة أضعاف ما كان قبل ذلك، ويقتضي ذلك أن رسول الله ﷺ كان في عام الحديبية في أربع عشرة مئة، ثم سار إلى مكة بعد ذلك بنحو عامين في عشرة آلاف فارس ﷺ.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٠٩).

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] روي أن رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه إلى الحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا، وظنوا أنه يكون في ذلك العام، فلما انصرفوا ولم يدخلوا، قال المنافقون: وأين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا ﴾ التي رآها في النوم ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق. قرأ الكسائي، وخلف: (الرُّؤْيَا) بالإمالة، والباقون: بالفتح[1].

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ﴾ اللام لام القسم الذي يقتضيه (صدق)؛ لأنها من قبيل تبين وتحقق ونحوها مما يعطي القسم، تقديره: والله لتدخلن.

﴿ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ ودخول الاستثناء في إخبار الله ـ عز وجل ـ فيه وجوه: أن يعلق عدته بالمشيئة؛ تعليماً لعباده أن يقولوا في عِداتهم مثلَ ذلك متأدبين بأدب الله، ومقتدين بسنته، أو يريد: لتدخلن جميعاً إن شاء الله، ولم يمت منكم أحد، أو: كان ذلك على لسان ملك، فأدخل الملك إن شاء الله، أو: هي حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه، وقص عليهم، وقيل: هو متعلق بـ(آمِنِينَ)، وقيل: (إنْ) بمعنى (إذْ)؛ فكأنه قال: إذ شاء الله، قال ابن عطية: وهذا أحسن في معناه، لكن كون (إن)

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٠).

بمعنى (إذ) غير موجود في لسان العرب، انتهى[١].

﴿ مُحَلِّقِينَ ﴾ حال من (آمِنِينَ) مفعوله ﴿ رُءُوسَكُمْ ﴾ أي: جميعَ شعورها ﴿ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ بعض شعورها، وتقدم حكم الحلق والتقصير في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾ [الآية: ١٩٦].

﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ أبداً ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ من الحكمة في تأخير الفتح.

﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ ﴾ أي: فتح مكة ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل، فكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة.

* * *

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) ﴾.

[٢٨] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ ﴾ ملتبساً به ﴿ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ الإسلام ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ليعليَه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقاً، وإظهار فساد ما كان باطلاً، وهذا موجود الآن في دين الإسلام؛ فإنه قد عم أكثر الأرض، وظهر على كل دين.

﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي: شاهداً بهذا الخبر، ومعلماً به، وعلى هؤلاء الكفار المنكرين أمرَ محمد ﷺ الرادين في صدره، ومعاقباً لهم بحكم الشهادة.

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٩).

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ، خبره ﴿رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ شهد له بالرسالة، وتقدم تفسير (محمد) في سورة آل عمران، وفي الأحزاب، ثم قال مبتدئاً:

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَشِدَّآءُ﴾ صفة الصحابة خاصة، فلا يكون ﷺ داخلاً مع الصحابة في الشدة ﴿عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ غلاظ عليهم كالأسد في فريسته.

﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ متعاطفون بعضهم على بعض كالوالد مع الولد.

﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ لأنهم مشغولون في الصلاة في أكثر أوقاتهم.

﴿يَبۡتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أن يدخلهم الجنة ﴿وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ أن يرضى عنهم. قرأ أبو بكر عن عاصم: (رُضْوَاناً) بضم الراء، والباقون: بكسرها[١].

﴿سِيمَاهُمۡ﴾ علاماتهم ﴿فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ وهو نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا، وروي أن مواضع السجود تكون في وجوههم كالقمر ليلة البدر.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١١).

﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: صفة محمد ﷺ وأصحابه.

﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وتعطف عليه.

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ أي: ذلك مثلهم في الكتابين ﴿كَزَرْعٍ﴾ تمثيل مستأنف؛ أي: هم كزرع ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ فرخه؛ يقال: أشطأ الزرع: إذا فرخ. قرأ ابن كثير، وابن ذكوان عن ابن عامر: بفتح الطاء، والباقون: بإسكانها[1]، وهما لغتان كالنهْر والنهَر، وقرأ أبو عمرو: (أَخْرَج شَّطْأَهُ) بإدغام الجيم في الشين[2].

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ قرأ ابن ذكوان: بقصر الهمزة، والباقون: بالمد[3]؛ أي: قواه؛ من المؤازرة، وهي المعاونة ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ذلك الزرع.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق؛ أي: قوي واستقام على أصوله، وهذا مثل ضربه الله لنبيه، خرج وحده، فآزره بأصحابه. قرأ قنبل عن ابن كثير: (سُؤْقِهِ) بهمزة ساكنة، وعنه وجه ثان: بهمزة مضمومة، وقرأ الباقون: بغير همز[4].

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ الذين زرعوه، وهذا مثل ضربه الله لبدء الإسلام وقوته

---

(1) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٣).

(2) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٣).

(3) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٤).

(4) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٤-٢١٥).

بالصحابة بأن يكونوا قليلاً فيكثروا وضعفاء، فيقوون، يوضح ذلك أن علله بقوله:

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: إنما كثرهم وقواهم؛ ليكونوا غيظاً للكافرين.

قال عكرمة: أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي بن أبي طالب.

ومن غيظ الكفار قولُ عمر بمكة: «لا أعبد[1] الله سراً بعد هذا اليوم»[2].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقُهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليٌّ، وأقرؤهم أُبي بن كعب، وأفرضهم زيدُ بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أظلت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء من ذي لهجة أصدقَ من أبي ذر، ولكل أمة أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» رضي الله عنهم أجمعين[3].

---

(١) في «ت»: «لا عبد».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٩٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٩١)، كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبي عبيد بن الجراح رضي الله عنهم، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٥٤) في المقدمة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. دون قوله: «وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر». وقد رواه الترمذي (٣٨٠٢)، كتاب: المناقب. باب: مناقب أبي ذر رضي الله عنه، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٣٢)، وغيرهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ و(مِنْهُمْ) لبيان الجنس وليست للتبعيض؛ لأنه وعد للجميع.

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة، وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الآية، وهي ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر السورة، أول حروف المعجم فيها ميم من (محمد)، وآخرها صاد من (الصالحات)، وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [الآية: ١٥٤]، وليس في القرآن آيتان كل آية حوت حروف المعجم غيرهما[١] من دعا الله بهما، استجيب له، والله أعلم.

* * *

(١) من قوله (ص: ٣٤٧): «وقيل: الإشارة إلى مكة» إلى هنا سقط من «ش».

سورة الحجرات

مدنية بإجماع من أهل التأويل، وآيها: ثماني عشرة آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وثلاث وأربعون كلمة، وهذا أول المفصل على الراجح من مذهب الشافعي، وبعض(١) الأقوال المعتمدة عند أبي حنيفة، وعنه قول آخر معتمد: أن أوله (قٓ).

قال ﷺ: «فضلني ربي بالمفصل»(٢)، وتقدم في أول التفسير أن المفصل من القرآن هو ما بعد الحواميم وقصار السور إلى آخر القرآن، وسميت مفصلاً؛ لكثرة الفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم؛ لأنها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الأخرى، فكثر التفصيل فيها، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾.

---

(١) في «ت»: «وأحد».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٧)، والطيالسي في «مسنده» (١٠١٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤١٥)، وغيرهم من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ قرأ يعقوب: (تَقَدَّمُوا) بفتح التاء والدال؛ من التقدم؛ أي: لا تتقدموا، على حذف إحدى التاءين، وقرأ الباقون: بضم التاء وكسر الدال؛ من التقديم[١]؛ أي: لاتعجلوا بالأمر والنهي دونه، المعنى: لا تفعلوا ولا تقولوا شيئاً حتى يحكما به، ويأذنا فيه، ولا تفتاتوا عليهما، وقد كانت عادة العرب الاشتراك في الآراء، وأن يتكلم كل بما شاء، ويفعل ما أحب، فمشى بعض الناس مع النبي ﷺ على بعض ذلك، فربما قال قوم: لو نزل كذا وكذا في معنى كذا، ولو فعل الله كذا، أو ينبغي أن يكون كذا، وأيضاً فإن قوماً ذبحوا ضحاياهم قبل النبي ﷺ، وقوماً فعلوا في بعض خروجه وغزواته أشياء بآرائهم، فنزلت هذه الآية ناهية عن جميع ذلك، وتحقيق معنى الآية الأمرُ بتعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته، وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ، وكره بعضهم رفع الصوت في مجالس الفقهاء؛ تشريفاً لهم؛ إذ أنهم[٢] ورثة الأنبياء.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ في مخالفة أمره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لأقوالكم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأحوالكم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٩٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢١٩).

(٢) في «ت»: «هم».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ونزل فيمن رفع صوته لدى النبي ﷺ، وهو ثابت بن قيس[1] بن شماس، وكان جهوري الصوت، وربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾[2] إذا نطقتكم.

﴿ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ إذا نطق ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ إذا ناجيتموه ﴿ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ أي: لا تغلظوا له الخطاب، ولا تنادوه باسمه يا محمد يا أحمد كما ينادي بعضكم بعضاً، ولكن فخموه، وقولوا له قولاً ليناً: يا رسول الله! يا نبي الله! نظيره: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

﴿ أَن تَحْبَطَ ﴾ أي: مخافة أن تبطل ﴿ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] فلما نزل، دخل ثابت في بيته، فجعل يبكي، وقال لامرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول: لا أخرج حتى يتوفاني الله، أو يرضى عني رسوله، إني رفيع الصوت، وإني أخاف أن يحبط عملي، وأكون من أهل

---

(١) «بن قيس» زيادة من «ت».

(٢) رواه مسلم (١١٩)، كتاب: الإيمان، باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

النار، فدعاه النبي ﷺ، وقال: «أما[1] ترضى أن تعيشَ حميداً وتموتَ شهيداً وتدخلَ الجنة؟»، فقال: رضيتُ ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[2] إجلالاً له.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: اختبرها بأنواع المحن ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: لتظهر التقوى بالاختبار وصد النفس عن مرادها ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ واستُشهد ثابت يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ونزل في وفد بني تميم حين وفدوا على رسول الله ﷺ، فدخلوا المسجد، ودنوا من حُجَر أزواج النبي ﷺ، وهي تسعة، فعجلوا، ولم ينتظروا، ونادوا بجملتهم: يا محمد! اخرج إلينا؛ فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فتربص مدة، ثم خرج ﷺ وهو يقول: «إنما ذلكم اللهُ الذي مدحُه زَيْن وذمُّه شَيْن»: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾[3] جمع حجرة، وهو ما يحجر عليه من الأرض بحائط، والمراد: حجرات نساء النبي ﷺ. قرأ

---

(١) في «ت»: «إنما».

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٤٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١١٩/٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣١٠)، والحاكم في «المستدرك» (٥٠٣٤).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٤٦/٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٠٦/٨)، و«تفسير الثعلبي» (٧٣/٩).

أبو جعفر: (الحُجَرَاتِ) بفتح الجيم، والباقون: بضمها[1]، وهما لغتان، فكان كل واحد ينادي من وراء حجرة؛ لأنهم لم يتحققوا مكانه، والإنكار إنما وقع لأنهم نادوه من ظاهر الدار بجفاء وغلظة مناداةَ الأعرب.

﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ جهال ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ العقل يقتضي حسنَ الأدب، وسئل رسول الله ﷺ عنهم فقال: «هم جُفاةُ بني تميم، لولا أنهم من أشدِّ الناسِ قتالاً للأعور الدجَّال، لدعوتُ الله عليهم أن يُهلكهم»[2].

* * *

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ أي: ولو ثبت صبرهم وانتظارهم.

﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾ الصبر.

﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وأحسنَ لأدبهم، والصبر: حبسُ النفس عن أن تنازع إلى هواها.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٠).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٧)، من حديث سعد بن عبد الله. وقد روى البخاري (٢٤٠٥)، كتاب: العتق، باب: من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع..، ومسلم (٢٥٢٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة ومزينة وتميم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما زلت أحبُّ بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: «هم أشدُّ أمتي على الدجال».

﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب[1]، والتاركين تعظيم الرسول.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾.

[٦] روي أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه إلى بني المصطلق مُصَدِّقاً، وكان بينه وبينهم عدواة في الجاهلية، فلما سمع به القوم، خرجوا يتلقونه تعظيماً لأمر رسول الله، فخافهم، فرجع من الطريق هارباً، فجاء النبيَّ ﷺ، وقال: إنهم قد منعوا الصدقة، وهموا بقتلي، فغضب رسول الله ﷺ، وهَمَّ بغزوهم، فأتوا رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله! خرجنا نتلقاه، فرجع، فخشينا أن يكون قد رده كتاب أتاه منك، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم في قولهم، وأرسل إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالد بن الوليد، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بذلك، فأنزل الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ ﴾[2] يعني: الوليد بن عقبة ﴿ بِنَبَإٖ ﴾ بخبر ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (فَتَثَبَّتُوا) بالتاء والثاء؛ من التثبت؛ أي: توقفوا، وقرأ الباقون: بالياء والنون؛ من التبين[3]؛ أي:

---

(١) «الأدب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٤٦).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٧)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٩٤)،=

تفحصوا، وتنكير (فَاسِقٌ) يؤذن بالاحتراز من كل فاسق.

﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ كيلا تصيبوا بالقتل ﴿قَوْمًا﴾ برآء ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾ جاهلين بحالهم.

﴿فَتُصْبِحُواْ﴾ فتصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ مغتمين.

* * *

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ﴾ إن كذبتم، أخبره الله، فتفتضحوا.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ يقبل منكم ﴿فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الذي تخبرونه به، فيحكم برأيكم ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لأثمتم وهلكتم.

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ فجعله أحبَّ الأديان إليكم.

﴿وَزَيَّنَهُۥ﴾ حَسَّنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ﴾ بالبرهان، وثبته فيها.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ الكذبَ ﴿وَٱلْفُسُوقَ﴾ الخروجَ عن الطاعة ﴿وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ جميع معاصي الله، ومعنى تحبيب الله وتكريهه: اللطف والإمداد بالتوفيق، ثم عاد من خطاب المؤمنين إلى الإخبار عنهم، فقال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم.

* * *

= و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٠ـ٢٢١).

﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ مصدر مؤكد لنفسه؛ لأن ما قبله هو بمعناه؛ إذ التحبيب والتزيين هو نفس الفضل.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بأحوال المؤمنين ﴿ حَكِيمٌ ﴾ بإنعامه عليهم بالتوفيق.

* * *

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] روي أن رسول الله ﷺ توجه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه، وركب حماراً، فمر بعبد الله بن أبي بن سلول، فقال عبد الله بن أبي(١) لما غشيَه حمارُ رسول الله ﷺ: لا تغبروا علينا، والله لقد آذاني نتنُ حمارك، فقال عبد الله بن رواحة لابن أبي: واللهِ لحمارُ رسولِ الله ﷺ أطيبُ ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فتشاتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، وكان فيمن غضب لابن أبي مؤمنون، وقيل غير ذلك، فنزل:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾(٢) جُمع نظراً إلى المعنى؛ لأن كل

---

(١) «ابن سلول فقال عبد الله بن أبي» زيادة من «ت».

(٢) رواه البخاري (٢٥٤٥)، كتاب: الصلح، باب: ما جاء في الإصلاح بين الناس، ومسلم (١٧٩٩)، كتاب: الجهاد والسِّير، باب: في دعاء النبي ﷺ، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٣).

طائفة جماعة ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ بالنصح والدعاءِ إلى حكم الله تعالى، وثُني نظراً إلى اللفظ.

﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ بأن كانت الباغية مبطلة، والأخرى محقة.

﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ ترجع إلى حكمه المذكور في كتابه من الصلح. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب: (تفِيءَ إِلَى) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين اللفظين، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين(١).

﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾ رجعت عن البغي ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ اعدلوا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ والقَسْط بالفتح الجور؛ من القسط: اعوجاج في الرجلين، و ـ بالكسر ـ: العدل، وفعله أقسط، وهمزته أصلية(٢)؛ أي: أزيلوا الجور، يقال: قسط: جار، وأقسط: عدل، والباغي في الشرع: هو الخارج على إمام العدل.

وأما حكم قتال أهل البغي، فقد اتفق الأئمة على أن نصب الإمام فرض كفاية، وتنعقد الإمامة بالبيعة، وباستخلاف(٣) الإمام، وقهرِ قرشيٍّ حر ذكر، ويحرم قتاله بالاتفاق، فإذا خرج على الإمام طائفة ذات شوكة بتأويل

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢١_٢٢٢).
(٢) في «ت»: «للسلب».
(٣) في «ت»: «وبالاستخلاف».

سائغ، ونصبوا إماماً، وقالوا: الحق معنا، دعاهم، وكشف شبهتهم التي استندوا إليها في خروجهم عن طاعته، وأزال ما يذكرونه من مظلمة؛ فإن فاؤوا، وإلا أبيح قتالهم بالاتفاق حتى يفيئوا إلى أمر الله، فإذا فاؤوا، كف عنهم، فإن لم يكن لهم شوكة، أو لم يكن تأويل، أو لم ينصبوا إماماً، فقطاع طريق تقدم حكمهم في سورة المائدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣].

واختلفوا في اتباعِ مدبرِ البغاةِ، وقتلِ جريحهم، فقال أبو حنيفة: إن كان لهم فئة يرجعون إليها، جاز ذلك، وإلا فلا، وقال الثلاثة: لا يجوز.

واتفقوا على أن أموالهم يحرم أخذها، وهي باقية لهم.

واختلفوا هل يجوز أن يستعان على حربهم بسلاحهم؟ فقال الشافعي، وأحمد: لا يجوز، وقال أبو حنيفة ومالك: يجوز مع قيام الحرب، فإذا انقضت، ردت إليهم.

واتفقوا على أن البغاة إذا أخذوا خراجاً أو جزيةَ ذمي، فإنه يلزم أهل العدل أن يحتسبوا بذلك، بخلاف عن مالك.

واتفقوا على أن ما يتلفه أهل العدل على أهل البغي وعكسه من نفس ومال حالَ الحرب، فلا ضمان فيه، وتقبل شهادة البغاة[1] وقضاء قاضيهم فيما يقبل فيه قضاء قاضينا بالاتفاق بخلاف عن مالك، ويحرم سبي ذراريهم بالاتفاق، ومن أسر منهم من رجل أو امرأة أو صبي، حُبس حتى ينقضي الحرب، ثم يرسل بالاتفاق، ويحرم قتالهم بما يعم إتلافه؛ كنار

---

(١) «فلا ضمان فيه وتقبل شهادة البغاة» زيادة من «ت».

ومنجنيق إلا لضرورة عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة: يجوز، وعند مالك: للإمام العدل في قتالهم ما له في الكفار بعد أن يدعوهم إلى الحق.

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ المتنازعين، وثُني؛ لأن النزاع إنما يكون أولاً بين اثنين، ثم يتعدى إلى الجماعة، ويجوز أن يراد: الحزبان؛ كقوله: (طَائِفَتَانِ). قرأ يعقوب: (إِخْوَتِكُمْ) بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية(١).

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ فلا تعصوه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان؛ لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين، مع كونهم باغين، يدل عليه ما روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنه سئل، وهو القدوة في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا، من الشرك فروا، فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغوا علينا(٢).

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٧٦٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٧٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ .

[١١] ونزل في ثابت بن قيس حين سأل رجلاً: من أنت؟ فقال: ابن فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة، فخجل الرجل؛ لأنه كان يُعير بها في الجاهلية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾[١] أي: رجال من رجال، والقوم: الرجال خاصة؛ لأنهم القوام على النساء، جمع قائم، ويسخر معناه: يستهزىء.

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ المعنى: اجتنبوا السخرية، فربما كان المستسخَر به خيراً عند الله من الساخر.

﴿ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ ﴾ ونكر (قَوْمٌ) و(نِسَاءٌ)؛ ليعم النهي[٢] قبيلهما[٣]، ولم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة؛ أي: فرد من فرد؛ لأن السخرية تكون غالباً بين جمع.

عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: «هَلاَّ قلتِ: إن أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد»[٤].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٦)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٨٠)، و«تفسير النسفي» (٤/ ١٦٦).

(٢) «النهي» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «قبيلهما».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٦)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٨١)، =

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا يعيب بعضُكم بعضاً. قرأ يعقوب: (تلْمُزُوا) بضم الميم، والباقون: بكسرها[(١)].

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ النبز: اللقب، واللقب: ما يسمى به الإنسان بعد اسمه العَلَم، يعم المدح والذم، والتنابز: هو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمي به مما يكرهه، المعنى: لا تلقبوا غيركم بالألقاب القبيحة؛ كالفاسق ونحوه، ولا تنادوه بها. قرأ البزي عن ابن كثير: (وَلاَ تَّنَابَزُوا) (وَلاَ تَّجَسَّسُوا) (لِتَّعَارَفُوا) بتشديد التاء في الثلاثة، والباقون: بالتخفيف[(٢)].

﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: بئس الذكرُ المرتفع للمؤمنين أن يُذكروا بالفسق بعد دخولهم بالإيمان، واشتهارهم به.

﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ﴾ عما نُهي عنه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الساخرون واللامزون.

﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلاد عن حمزة بخلاف عنه: (يَتُب فَّأُولَئِكَ) بإدغام الباء في الفاء، والباقون: بالإظهار[(٣)].

= و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣٨٣). وقوله: «هلاَّ قلتِ... محمد» أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٨٩٢) في كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٩٠). وهو ضعيف الإسناد؛ قال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوي.

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٣_٢٢٥).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٣_٢٢٤). =

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾.

[١٢] ونزل في رجلين اغتابا رفيقهما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾(١) أي: أبعِدوه عنكم، واجعلوه جانباً منكم.

﴿ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ ﴾ يستحق عليه العقاب، وذلك البعض كثير؛ لأنه ظن السوء بالمؤمنين، والتبعيض يؤذن باجتناب بعض الظن، ولا يقدم عليه إلا بعد النظر في حال الشخص، فإن كان موسوماً بالصلاح، فلا يظن به السوء بأدنى توهم، بل يحتاط في ذلك، ولا تظنن سوءاً إلا بعد ألا تجد إلى الخير سبيلاً، وأما ظن الصلاح بالصلحاء والعلماء بالله والشرع، فمندوب إليه، وأما الفساق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ ولا تتبعوا عورات الناس، ولا تبحثوا عن أخبارها حتى لا يظهر ما ستره الله منها ﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾ الغيبة: أن يقول في الرجل ما فيه مما يكرهه.

﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا ﴾ أي: أن ما يناله من عرض أخيه كأكل لحم ميت. قرأ نافع، وأبو جعفر: (مَيِّتاً) بكسر الياء مشددة(٢)، والباقون: بإسكانها مخففة(٣)، ونصبه على الحال من (لَحْمَ).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٣٠).

(٢) «مشددة» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ فَكَرِهْتُمُوهُۚ ﴾ المعنى: إن صح ذلك، أو عرض عليكم هذا، فقد كرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ لمن اتقى ما نهي عنه، وتاب مما فرط منه.

* * *

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ونزل نهياً عن التفاخر: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ من آدم وحواء.

﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا ﴾ جمع شعب ـ بفتح الشين ـ، وهو أكبر من القبيلة؛ لأنه يجمع القبائل مثل: ربيعة ومضر، والأوس والخزرج، سموا شعوباً؛ لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر ﴿ وَقَبَآئِلَ ﴾ وهي دون الشعوب، واحدتها قبيلة، والقبيلة تجمع العمائر، [والعمائر تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل][(١)] مثاله: خزيمة شعب، كنانة قبيلة، قريش عمارة، قصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة، المعنى: خلقناكم من أصل واحد، ثم فرقناكم.

﴿ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ ليعرف بعضكم بعضاً، ويعطيه حقه، لا للتفاخر، ثم بين ما به[(٢)] الفخر فقال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ فإن التقوى بها تكمل

= (٢/ ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٤).

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) «ما به» زيادة من «ت».

النفوس، وتتفاضل الأشخاص، قال ﷺ: «من أحبَّ أن يكونَ أكرمَ الناس، فليتق الله»(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

***

﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ونزل في طوائف من الأعراب قَدِموا المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الإسلام ليأمنوا بذلك على نفوسهم وأموالهم، ومَنُّوا بذلك على النبي ﷺ: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل﴾ يا محمد: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ حقيقة، وأوقع ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ موقع كذبتم؛ لأنه نفي ما ادعوه تأدباً.

﴿وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا واستسلمنا؛ مخافةَ القتل والسبي.

﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ فالإسلام: الخضوع والقبول لأمر رسول الله ﷺ، فإن وجد معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فهو إيمان، وتقدم ذكر الإيمان واختلاف الأئمة فيه أول سورة البقرة.

﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإخلاص وترك النفاق.

---

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٦٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف. انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ٣٤٠).

﴿لَا يَلِتْكُم﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: (يَأْلِتْكُمْ) بهمزة ساكنة بين الياء واللام، ويبدلها أبو عمرو على أصله؛ من ألت يألت؛ كضرب يضرب، لقوله تعالى: (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ)، وقرأ الباقون: بكسر اللام من غير همز[1]؛ من لات يليت؛ كباع يبيع، وهما لغتان، معناهما: لا ينقصكم.

﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما[2] فرط من المطيعين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالتفضل عليهم.

***

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم بين المؤمنين حقيقة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ لم يشكوا.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم.

***

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] فلما نزلت هاتان الآيتان، أتت الأعراب رسولَ الله ﷺ يحلفون

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/٢٢٦).

(٢) في «ت»: «لمن».

بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعلم الله غير ذلك منهم، فأنزل:

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾[1] التعليم بمعنى الإعلام؛ أي: أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه.

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يحتاج إلى إخباركم.

* * *

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ثم أمر تعالى نبيه ﷺ أن ينفي مِنَّةَ الأعراب، فقال: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ﴾ أي: بإسلامكم، فنصب بنزع الخافض.

﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ على ما زعمتم.

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ في إيمانكم، وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله؛ أي: فلله المنة عليكم لا لكم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ ما غاب فيهما.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢١٣-٢١٤)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٩٠)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٤٩).

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ في سركم وعلانيتكم. **قرأ ابن كثير**: (يَعْمَلُونَ) بالغيب؛ لما في الآية من الغيبة عن النبي ﷺ، **وقرأ الباقون**: بالخطاب[1]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٢٧).

سُورَةُ ق

مكية بإجماع من المتأولين، وقيل: إلا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ﴾ الآية، فمدني، وآيها: خمس وأربعون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وأربعة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وخمس وسبعون كلمة.

روي عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: أنه قال: «مَنْ قرأ سورةَ ق هَوَّنَ الله عليه الموتَ وسَكَراتِه»(١).

وهذا أول المفصل عند الإمام أحمد، وأحد الأقوال المعتمدة عن أبي حنيفة، وتقدم التنبيه عليه في أول الحجرات عند ذكر الأقوال الأخرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾.

[١] ﴿قٓ﴾ أبو جعفر على أصله في السكت يقف على (ق)، والكلام فيه كالكلام في (صٓ)؛ لأنهما في أسلوب واحد، واختلف في معناه، فقيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، أو من أسماء القرآن، أو هو مفتاح

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٢)، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣٦١).

أسماء الله تعالى التي هي القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض، وقيل: هو جبل محيط بالأرض من زُمردة خضراء منه خضرة السماء، والسماء مقبيَّةٌ عليه، وعليه كنفاها، وقيل: معناه: قضي الأمر، وقضي ما هو كائن، كما قالوا في (حَم)، وقيل: هو اسم السورة.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الكريم في أوصافه، ومن عمل بالقرآن مَجُدَ؛ أي: شَرُف على الناس، و(قٓ) مُقْسَم به وبالقرآن المجيد، وجواب القسم محذوف[1] تقديره: لَتُبْعَثُنَّ؛ لأنهم أنكروا البعث.

قال ابن عطية[2]: و[3] هذا قول حسن، ثم قال: وأحسنُ منه أن يكون الجواب هو الذي يقع عنه الإضراب بـ(بل)؛ كأنه قال: والقرآنِ المجيدِ ما ردوا أمرك بحجة، أو ما كذبوك ببرهان.

***

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾ كفار مكة[4] ﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ﴾ مخوِّف ﴿مِّنْهُمْ﴾ يعرفون نسبه وصدقه.

﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: قولُ محمد: إنا نحيا بعد الموت، وقيل: الضمير في (عَجِبُوا) لجميع الناس، مؤمنِهم وكافرِهم؛ لأن كل مفطور عجبَ من بعثة بشرٍ رسولَ الله، لكن المؤمنون نظروا واهتدوا،

---

(١) «محذوف» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٥).

(٣) «و» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «قريش».

والكافرون بقوا في عمايتهم، وحاجوا بذلك العجب، ولذلك قال: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

***

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾.

[٣] ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ استفهام إنكار جوابه محذوف؛ أي: أنرجع إذا متنا وصرنا تراباً؟ ثم أنكروا ذلك أصلاً، فقالوا: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ﴾ إلى الحياة ﴿بَعِيدٌ﴾ عن العادة. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (أَئِذا) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء، وفصل أبو جعفر، وأبو عمرو، وقالون بين الهمزتين بألف، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين، واختلف عن هشام في الفصل[١]، وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِتْنَا) بكسر الميم، والباقون: بضمها[٢].

***

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤﴾.

[٤] قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكل من لحومهم، وهو رَدٌّ لاستبعادهم.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٩-٣٧٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٢).

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ محفوظ من الشياطين، جامع لم يفته شيء، وهو اللوح المحفوظ.

في الحديث: «كلُّ ابنِ آدمَ يَبْلى إلا عَجْبَ الذَّنَب»[١]، وهو عظم كالخردلة، فمنه يركب ابن آدم.

قال ابن عطية: وحفظ ما تنقص الأرض إنما هو ليعود بعينه يوم القيامة، وهذا هو الحق، وذهب بعض الأصوليين إلى أن الأجساد المبعوثة يجوز أن تكون غير هذه، قال ابن عطية: وهذا عندي خلاف لظاهر كتاب الله تعالى، ولو كانت غيرها، فكيف كانت تشهد الجلود والأيدي والأرجل على الكفرة؟ إلى غير ذلك مما يقتضي أن أجساد الدنيا هي التي تعود[٢].

وسئل شيخ الإسلام ابن حجر: هل الأجساد إذا بليت وفنيت، وأراد الله إعادتها كما كانت أولاً، هل تعود الأجساد الأول، أم يخلق الله للناس[٣] أجساداً غير الأجساد الأول؟ فأجاب: إن الأجساد التي يعيدها الله هي الأجساد الأول، لا غيرها، قال: وهذا هو الصحيح، بل الصواب ومن قال غيره عندي، فقد أخطأ فيه؛ لمخالفته ظاهر القرآن والحديث.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٥١)، كتاب: التفسير، باب: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، ومسلم (٢٩٥٥)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، من حديث أبي هريرة. قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٥٢): قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سرٌّ لا يعلمه إلا الله؛ لأن من يُظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه. ويحتمل أن يكون ذلك جُعِلَ علامةً للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١٥/ ١٥٦)، ووقع فيه: «الأجساد المبعثرة» بدل: «المبعوثة».

(٣) «للناس» زيادة من «ت».

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ بالقرآن ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ مضطرب، قالوا مرة: شعر، ومرة: كهانة، فلم يثبتوا على حال.

***

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ ﴾ معتبرين حين أنكروا البعث.

﴿ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ ﴾ ظرف لـ(يَنْظُرُوا).

﴿ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾ بلا عمد ﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ بالكواكب.

﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ شقوق وصدوع، فهي مزينة سليمة من العيب.

***

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَٱلْأَرْضَ ﴾ نصبٌ بمضمر يفسره ﴿ مَدَدْنَٰهَا ﴾ دَحَوْناها على وجه الماء.

﴿ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ من كل صنف حسن.

***

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ تَبْصِرَةً ﴾ أي: جعلنا ذلك تبصرة ﴿ وَذِكْرَىٰ ﴾ أي: تذكيراً.

﴿ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ رَجَّاع إلى طاعة الله تعالى.

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ كثيرَ البركة ، وهو المطر .

﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ ﴾ أشجاراً وثماراً ﴿ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ أي : وحب الزرع الذي من شأنه أن يُحصد .

* * *

﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ أي : طوالاً في السماء ﴿ لَّهَا طَلْعٌ ﴾ ثمر ، والطلع : أول ظهور[١] الثمر في أكمامه قبل أن ينشق ، وهو أبيض كحب الرمان ﴿ نَّضِيدٌ ﴾ أي : منضود بعضُه فوق بعض ، فما دام ملتصقاً كذلك ، فهو نضيد ، فإذا خرج من أكمامه وتفرق ، فليس بنضيد .

* * *

﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ ﴾ نصب على المصدر ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ ﴾ أي : بالمطر .

﴿ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ ﴾ أرضاً جدبة أنبتنا فيها الكلأ . قرأ أبو جعفر : (مَيِّتاً) بتشديد الياء ، والباقون : بالتخفيف[٢] .

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي : مثلَ ذلك الإحياء ﴿ ٱلْخُرُوجُ ﴾ من القبور .

* * *

---

(١) «ظهور» زيادة من «ت» .

(٢) انظر : «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٥) ، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٢) .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبلَ قريش ﴿ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ ﴾ قومٌ كان لهم بئر عظيمة، وهي الرس، وكل ما لم يُطْوَ من بئر أو معدن أو نحوه، فهو رَسٌّ، وتقدم ذكرهم في سورة الحج، وفي سورة الفرقان ﴿ وَثَمُودُ ﴾ .

* * *

﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ﴾ والمراد بفرعون: إياه وقومه.

﴿ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ وأخواته؛ لأنهم كانوا أصهاره.

* * *

﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ قوم شعيب ﴿ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ هو تُبَّع الحِمْيَرِيُّ، ذم الله قومه، ولم يذمه؛ لأنه أسلم، وتقدم ذكر قصته في سورة الدخان.

﴿ كُلٌّ ﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿ كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ كقريش ﴿ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ وجب نزول العذاب عليهم، وفيه تسلية للنبي ﷺ، وتهديد لهم. **قرأ** ورش عن نافع: (وَعِيدِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[١].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٢_٢٣٣).

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ثم وبخهم بقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أفعجزنا عن الإتيان به ابتداءً، فنعجز عن إعادته؟! المعنى[١]: كما لم نعجز عن ابتداء الخلق، لا نعجز عن إحيائه بعد الموت، فلما لم يؤمنوا، قيل: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِّنْ خَلْقٍ﴾ بعد الموت ﴿جَدِيدٍ﴾ وهو البعث؛ لأنهم ينكرونه.

***

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ثم دل على قدرته تعالى، فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ﴾ أي: تحدث ﴿بِهِ نَفْسُهُ﴾ فلا يخفى علينا ضمائره.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ إلى الإنسان ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وهما عرقان كبيران في العنق، يقال لهما: وريدان، عن يمين وشمال، وسمي وريداً؛ لورود الروح فيه، والحبلُ هو الوريد، فأضيف إلى نفسه؛ [لاختلاف اللفظين، وقيل: ليس هذا بإضافة الشيء إلى نفسه][٢]، بل هي[٣] كإضافة الجنس إلى نوعه، والقرب: هو بالقدرة والسلطان؛ إذ لا ينحجب عن علم الله تعالى باطن ولا ظاهر[٤].

***

---

(١) «المعنى» زيادة من «ت».

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٣) «بل هي» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «ظاهر ولا باطن».

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ﴾ أي : واذكر إذ يتلقى ﴿ ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ أي : يتلقن، ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ويكتبانه .

﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات ﴿ قَعِيدٌ ﴾ أي : مُقاعِد، وهو المجالس الملازم، ولم يقل : قعيدان اكتفاءً بأحدهما عن الآخر .

قال ﷺ : «كاتبُ الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة، كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة، قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبعَ ساعات؛ لعله يسبح أو يستغفر»(١) .

* * *

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ مَا يَلْفِظُ ﴾ الإنسان ﴿ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ يرقب قوله ويحفظه عليه .

﴿ عَتِيدٌ ﴾ حاضر معه، وأراد : رقيبين وعتيدين، فاكتفى بأحدهما عن الآخر .

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٨٧)، وفي «مسند الشاميين» (٤٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٤٩)، والروياني في «مسنده» (١٢١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٩)، ومن طريقه : البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢١٩)، كلهم من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٨) : وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب .

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ شدتُه الذاهبة بالعقل ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: بحقيقة الموت.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الموت ﴿ مَا كُنتَ مِنْهُ ﴾ أيها الإنسان ﴿ تَحِيدُ ﴾ تميل وتهرب.

* * *

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ﴾ نفخة البعث ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: النفخ.

﴿ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴾ للكفار بالعذاب.

* * *

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ ﴾ مَلَكٌ يحثها إلى المحشر.

﴿ وَشَهِيدٌ ﴾ ملك يشهد عليها بما عملت، وهل الملكان الكاتبان في الدنيا هما اللذان ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿ سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ أم غيرهما؟ فيه خلاف.

* * *

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ولما كانت الغفلة ساترة الكافر عن الإيمان وأهوال يوم القيامة،

شبهت بالغطاء، فقيل: ﴿لَقَدۡ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ النازلِ بك اليوم.

﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا من الغفلة.

﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا.

* * *

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾.

[٢٣] ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الملَك الموكَّل به:

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ هذا ما هو مكتوب عندي مُعَدٌّ محضَر.

* * *

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤﴾.

[٢٤] ثم يقال للسائق والشهيد، أو خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، والمراد: مالك؛ كأنه قيل: ألق ألق تأكيداً ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾ معاند للحق.

* * *

﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥﴾.

[٢٥] ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ مطلقاً[1] ﴿مُعۡتَدٖ﴾ ظالم. روي عن يعقوب، وقنبل: الوقف بالياء على (مُعتَدِي).

﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكٍّ في دينه.

---

(١) «مطلقاً» زيادة من «ت».

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ أي: أشرك، مبتدأ ضُمن معنى الشرط، جوابه:

﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ من النار.

* * *

﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ ﴾ هو شيطانه المقيض له تبرُّأً منه ﴿ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ ما أضللته أنا ﴿ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ عن الإيمان.

* * *

﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ قَالَ ﴾ أي: فيقول الله: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ ﴾ فما ينفعكم الخصام هنا.

﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم ﴾ في الدنيا ﴿ بِٱلْوَعِيدِ ﴾ أي: خوَّفتكم الرسلُ بما أعددتُ لكم من العذاب هنا إن لم تؤمنوا، أو لا بد منه.

* * *

﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ مَا يُبَدَّلُ ﴾ ما يُغيِّر ﴿ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ بالثواب والعقاب.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فأعذبهم بغير جرم.

* * *

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ أي: واذكر يوم ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ استفهام توبيخ لداخليها، وتصديق لقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ فتجيب مستفهمة تأدباً، وليكون الجواب وفق السؤال ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ زيادة. قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: (يَوْمَ يَقُولُ) بالياء؛ أي: يقول الله، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة[1]، واختلف الناس هل يقع التقرير وهي قد امتلأت، أو هي لم تمتلىء بعد؟ فقال بكلٍّ وجه جماعةٌ من المتأولين، وبحسب ذلك تأولوا قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾، فمن قال: إنها تكون ملأى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على معنى التقرير ونفي المزيد؛ أي: وهل عندي موضع يزاد فيه شيء؟ وهو قول عطاء، ومجاهد، ومن قال: إنها تكون غير ملأى، جعل قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ على معنى السؤال والرغبة بالزيادة، وهو قول ابن عباس[2].

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ جهنم تقولُ: هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمَه، فتقول قَطْ قَطْ وعزتك، وتزوي بعضها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى يُنشىء الله خلقاً فيسكِنَهُ فُضولَ الجنة»[3]، وقوله: قط قط: حسبي حسبي.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٦٥).

(٣) رواه البخاري (٦٢٨٤)، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحَلِف بعزة الله وصفاته، ومسلم (٢٨٤٨)، كتاب: الجنة، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، من حديث أنس. =

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَأُزْلِفَتِ ﴾ قُرِّبت ﴿ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ ﴾ أي: مكاناً غير ﴿ بَعِيدٍ ﴾.

* * *

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] فإذا شاهدوها وما فيها، يقال لهم: ﴿ هَٰذَا ﴾ المشاهَد.

﴿ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من الجزاء. قرأ ابن كثير: (يُوعَدُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[١] ﴿ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ بدل من ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي: رجَّاع عن الذنوب ﴿ حَفِيظٍ ﴾ حافظ لأمر الله تعالى، ولذنوبه حتى يستغفر منها.

* * *

﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ محل (مَنْ) رفع بالابتداء والخبر؛ أي: خاف الرحمن وأطاعه، ولم يره.

﴿ وَجَآءَ ﴾ يوم القيامة ﴿ بِقَلْبٍ ﴾ سليم[٢] ﴿ مُّنِيبٍ ﴾ مقبل على الطاعة.

* * *

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] وخبر الابتداء ﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾ أي: فيقال لهم: ادخلوا الجنة

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٦).

(٢) «سليم» ساقطة من «ت».

﴿بِسَلَٰمٍ﴾ أي: بأمن وسلامة من جميع الآفات.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ البقاءُ في الجنة.

* * *

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ فيعطون ما شاؤوا مما يسألونه.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة فوق ما طلبوا، قال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم(١).

* * *

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ (كَمْ) للتكثير، وهي خبرية، المعنى: أهلكنا قروناً كثيرة قبل كفار مكة.

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: طافوا في نقوبها: طرقها.

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: هل لهم من مفر من أمر الله عز وجل؟

* * *

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٢٦).

أي: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أصغى لسماع كتاب الله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضرُ القلب غيرُ غافل.

* * *

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ولما قال اليهود: يا محمد! أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة، فقال: «خلق الله الأرضَ يومَ الأحد والإثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسمواتِ والملائكةَ يومَ الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم»، قالوا: صدقت إن أتممت، قال: «وَمَا ذَاكَ؟»، قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تكذيباً لهم، ورداً عليهم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(١) إعياء؛ لأنا منزهون عن صفات المخلوقين؛ إذ لا مماسة ثَمَّ فيقع تعب، إنما أمرنا بالشيء ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٢) و(٢٢/ ٤٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ضعيف لضعف أبي سعيد البقّال، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥٥٨).

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: اليهودُ والمشركون من التشبيه والتكذيب، واختُلف في الأمر بالصبر، فبعضهم يقول: نسخ بآية السيف، وبعضهم يقول: ثابتٌ، ويرى أن الصبر مأمور به في كل حال.

﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ صلِّ حمداً لله تعالى.

﴿ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ هي صلاة الفجر ﴿ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾ هما الظهر والعصر.

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ ﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء.

﴿ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ الركعتان بعد صلاة المغرب. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وحمزة، وخلف: (وَإِدْبَارَ) بكسر الهمزة مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الباقون: بفتحها على جمع الدُّبُر(١).

* * *

﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ ﴾ ما أُخبرك به يا محمد ﴿ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ ﴾ هو إسرافيل ـ عليه السلام ـ ينادي بالحشر.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٧ـ٢٣٨).

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ إلى السماء، وهو صخرة بيت المقدس، وهو وسط الأرض، وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر أو ثمانية عشر ميلاً: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[١]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الْمُنَادِي) بإثبات الياء وصلاً، وقرأ ابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[٢].

* * *

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] وتبدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ﴾ هي النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالبعث ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور.

* * *

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾ في الدنيا ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾.

[٤٤] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف له ﴿تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢) عن كعب.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٨).

والكوفيون: (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين، والباقون: بتشديدها[1] ﴿سِرَاعًا﴾ جمع سريع، ونصبه على الحال؛ أي: تتشقق الأرض عنهم، فيخرجون مسرعين.

﴿ذَالِكَ﴾ الخروجُ ﴿حَشْرٌ﴾ بعث ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ سهل، وهو كلام معادل لقول الكفرة: ﴿ذَالِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

***

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

[٤٥] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني: كفار مكة في تكذيبك، تسليةٌ له ﷺ، وتهديد لهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ بمسلَّط تُجبرهم على الإسلام، وإنما أنت داع. قرأ أبو عمرو، والكسائي من رواية الدوري: (بِجَبَّارٍ) بالإمالة، واختلف عن ابن ذكوان، وروي عن ورش وحمزة بين بين، وقرأ الباقون: بالفتح[2].

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ﴾ قرأ ابن كثير (بِالْقُرَانِ)[3] بالنقل، والباقون: بالهمز ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: ما أوعدت من عصاني من العذاب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦٣ـ١٦٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٣٩).

(٣) «بالقران» زيادة من «ت».

روى ابن عباس: «أن المؤمنين قالوا: يا رسول الله! لو خوفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾»[1].

وتقدم اختلاف القراء في إثبات الياء وحذفها من (وَعِيدِي) في الحرف السابق، وكذلك اختلافهم في هذا الحرف، وكان رسول الله ﷺ يخطب بسورة (قٓ) في كثير من الأوقات؛ لاشتمالها على ذكر الله تعالى، والثناء عليه، ثم على علمه بما توسوس به النفوس، وما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان، ثم تذكير الموت وسكرته، ثم تذكير القيامة وأهوالها، والشهادة على الخلائق بأعمالهم، ثم تذكير الجنة والنار، ثم تذكير الصيحة والنشور والخروج من القبور، ثم بالمواظبة على الصلوات، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٧٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٨).

سُورَةُ الذَّارِيَات

بإجماع المفسرين مكية، وآيها: ستون آية، وحروفها: ألف ومئتان وسبعة وثمانون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وستون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ يعني: الرياح التي تذرو[١] التراب ذرواً، وذرواً[٢] نصب على المصدر. قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو، وحمزة: بإدغام التاء في الذال، والباقون: بكسر التاء من غير إدغام[٣].

* * *

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢﴾.

[٢] ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾ أي: السحاب الموقرة بالماء.

﴿وِقْرًا﴾ ثقلاً، مفعول (الحاملات).

---

(١) «تذرو» زيادة من «ت».

(٢) «وذرواً» سقط من «ت».

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ١٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٢٨٨-٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٣).

﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ ﴾ أي: السفن.

﴿ يُسْرًا ﴾ تجري في الماء جرياً سهلاً[١]. قرأ أبو جعفر: (يُسُراً) بضم السين، والباقون: بإسكانها[٢]، ويسراً مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة.

* * *

﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق؛ من الأرزاق والأمطار وغيرها على ما أمروا به، و[٣] (أَمْراً) مفعول (الْمُقَسِّمَاتِ)، أقسم الله تعالى بهذه الأشياء؛ لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

* * *

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] وجواب القسم: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الثواب والعقاب.

﴿ لَصَادِقٌ ﴾ أي: لوعد صادق.

* * *

﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ ﴾ أي: الحساب والجزاء ﴿ لَوَٰقِعٌ ﴾ لا محالة.

---

(١) «سهلاً» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٣).

(٣) «و» زيادة من «ت».

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ الطرائق التي تكون في السماء من آثار الغيم، جمع حبيكة، وهو قَسَمٌ ثانٍ.

* * *

﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ ﴾ .

[٨] جوابه: ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة.

﴿ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾ تصديق وتكذيب بمحمد، أو في قول مختلف في نفسه، قوم منكم يقولون: ساحر، وقوم: كاهن، وقوم: شاعر، وقوم: مجنون، إلى غير ذلك.

* * *

﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ ﴾ يُصرف عن الإيمان به.

﴿ مَنْ أُفِكَ ﴾ من صُرف عن السعادة في الأزل.

* * *

﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ أي: لُعن الكذابون أصحابُ القول المختلف.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ ﴾ .

[١١] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴾ أي: في غلبة الجهل، غافلون عما يراد بهم.

﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ يَسْـَٔلُونَ ﴾ استهزاءً : ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ أي : متى يوم الجزاء؟

* * *

﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ ﴾ أي : يكون هذا الجزاء في يوم.

﴿ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ يعذبون .

* * *

﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] فإذا عذبوا ، قيل لهم : ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ ﴾ أي : حريقكم .

﴿ هَـٰذَا ﴾ العذابُ ﴿ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ تكذيباً به واستهزاء .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم ، وابن ذكوان عن ابن عامر : (وَعِيُونٍ) بكسر العين ، والباقون : بضمها[١] .

* * *

---

(١) انظر : «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٥).

﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ ءَاخِذِينَ ﴾ قابلين ﴿ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ ﴾ بسرور؛ لأنه في غاية الجودة، فليس فيه ما يُرَدُّ ﴿ إِنَّهُمۡ ﴾ أي: المتقون ﴿ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾ أعمالَهم.

* * *

﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] لأنهم ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ خبر (كان).

﴿ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ ينامون، و(ما) زائدة، و(قَليلاً) نعت لمصدر محذوف؛ أي: هجوعاً قليلاً؛ أي: كانوا في معظم الليل يصلون ويذكرون.

* * *

﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ قيل: يا رسول الله! كيف الاستغفار؟ قال: «قولوا: اللهمَّ اغفر لنا، وارحمنا، وتب علينا؛ إنك أنت التواب الرحيم»(١).

* * *

﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ ﴾ الطالب ﴿ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ أي: يُحسب غنياً، فيحرم؛ لتعففه.

* * *

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٩٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٣٢)، من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ ﴾ دلالات على التوحيد.

﴿ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات.

* * *

﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ آيات أيضاً بتنقلها من حال إلى حال، ثم إلى الزوال.

﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ الصنعة، فتستدلون بها على صانعها؟

* * *

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي: المطر؛ لأنه سبب الرزق.

﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من الجنة؛ لأنها فوق السماء السابعة، وجميع المقدر مكتوب في السماء.

* * *

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ثم أقسم بنفسه فقال: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ ﴾ أي: هذا القول.

﴿ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ فتقولون: لا إله إلا الله. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (مِثْلُ) برفع اللام صفة لـ(حقٌّ)؛

لأنه نكرة لكثرة المماثل، و(ما) زائدة تعطي تأكيداً، وقرأ الباقون: بالنصب صفة لمصدر محذوف[1]؛ أي: إنه لحق حقاً مثلَ ما إنكم تنطقون.

قال الحسن في هذه الآية: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسمَ الله لهم بنفسه، فلم يصدِّقوه»[2].

***

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ **قرأ** هشام: (إِبْرَاهَامَ) بالألف، وأبو عمرو: (حَدِيث ضَّيْفِ) بإدغام الثاء في الضاد[3]، وضيف اسم جنس يقع للجمع والواحد، وروي أن أضياف إبراهيم هؤلاء: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وأتباع لهم من الملائكة صلى الله عليه وعليهم.

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ لأنهم كرام على الله، ولأن إبراهيم خدمهم هو وامرأته، وسماهم ضيفاً؛ لأنهم كانوا في صورة الضيف.

قال ﷺ: «مَنْ كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فليكرمْ ضيفَه»[4].

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٣٩٢)، والإدغام في «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٦).

(٤) رواه البخاري (٥٦٧٢)، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم (٤٧)، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ ﴾ عند دخولهم ﴿ سَلَٰمًا ﴾ مصدر؛ أي: سلموا سلاماً.

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ عليكم، مبتدأ وخبره. قرأ حمزة، والكسائي: (سِلْمٌ) بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف، وقرأ الباقون: بفتح السين واللام وألف بعدها[١]، فنكرهم، فقال: أنتم ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ أي: غرباء لا نعرفكم.

* * *

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ فَرَاغَ ﴾ فمال[٢] ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ سراً ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ مشوي.

* * *

﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ليأكلوه، فتركوه.

﴿ قَالَ ﴾ إنكاراً عليهم[٣]: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ منه؟

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٥٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٧).

(٢) «فمال» زيادة من «ت».

(٣) «عليهم» زيادة من «ت».

﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ فأضمر في نفسه ﴿ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ لأنه ظنهم أعداءً؛ لعدم أكلهم، ولغرابة شكلهم.

﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ﴾ روي أن جبريل مسح بجناحه العجل، فقام يمشي خلف أمه.

﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ ﴾ هو إسحق عليه السلام ﴿ عَلِيمٍ ﴾ يكمُلُ علمُه إذا بلغ. قرأ ابن كثير: (وَبَشَّرُوهُو) بواو يصلها بهاء الكناية في الوصل وشبهه حيث وقع.

* * *

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ سارة إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم.

﴿ فِى صَرَّةٍ ﴾ شِدَّة صوت؛ من الصرير.

﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ لطمته بجميع أصابعها تعجُّباً كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً.

﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ فكيف ألد؟ والعقيم: من مُنع الولد، والعُقْم في اللغة: المنع، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

* * *

﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ ﴾ مثلَ ذلك الذي بشرنا به ﴿ قَالَ رَبُّكِ ﴾ وإنما نخبرك به عنه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ ذو الحكمة ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالمصالح وغير ذلك من المعلومات.

***

﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ثم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ـ عليه السلام ـ للملائكة:

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ والخطب: الأمر المهم، وقلما يعبر به إلا عن الشدائد والمكاره، حتى قالوا: خطوب الزمان، ونحو هذا، فكأنه يقول لهم: ما هذه الطامة التي جئتم لها؟

***

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني: قوم لوط، والمجرم: فاعلُ الجرائم، وهي صعاب المعاصي.

***

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ مطبوخٍ بالنار، روي أنه طين طبخ في نار جهنم حتى صار حجارة كالآجُرّ.

***

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلَّمة، عليها اسمُ من يُرمى بها، ونصبه على الحال.

﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ والمسرف: الذي يتعدى الطور، فإذا جاء مطلقاً، فهو لأبعد الغايات: الكفر فما دونه.

* * *

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ في قرى لوط، وإن لم يجر لها ذكر؛ لأن ذلك معلوم.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ممن آمن بلوط منجياً لهم، وذلك قوله: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٦٥].

* * *

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هو بيت لوط، وكان هو وابنتاه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

* * *

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ في مدينة قوم لوط، وهي سدوم.

﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فإنهم المعتبرون بها.

* * *

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] وتعطف على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ أي: وتركنا فيه

وقصته أثراً أيضاً هو آية ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ هو صاحب مصر.

﴿ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ بحجة ظاهرة.

* * *

﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾ أعرض عن الإيمان بجمعه؛ لأنهم له كالركن للبناء.

﴿ وَقَالَ ﴾ لموسى: هو ﴿ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ تقسيم ظن؛ أي: إنه لابد أن يكون أحدَهما.

* * *

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ فطرحناهم في البحر.

﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ والمليم: الذي أتى من المعاصي ونحوها ما يُلام عليه.

* * *

﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَفِى عَادٍ ﴾ أي: في إهلاكهم آيةٌ ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ التي لا خير فيها، لا تلقح شجراً، ولا تسوق مطراً، وهي الدبور.

* * *

﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ ﴾ من أنفسهم وأموالهم.

﴿ أَتَتْ ﴾ مرّت ﴿ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ البالي.

﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَفِي ﴾ هلاكِ[1] ﴿ ثَمُودَ ﴾ آيةٌ.

﴿ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ إلى انقضاء آجالكم، وهي ثلاثة أيام.

* * *

﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] وذلك أنهم لما عقروا الناقة، قيل لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

﴿ فَعَتَوْا ﴾ ترفعوا ﴿ عَنْ ﴾ امتثال ﴿ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ﴾ بعد الأيام الثلاثة. قرأ الكسائي: (الصَّعْقَةُ) بإسكان العين من غير ألف، والباقون: بكسر العين وألف قبلها[2]، وهي على القراءتين: الصيحة العظيمة، ومنه يقال للوقعة الشديدة من الرعد: صاعقة، وهي التي معها النار ﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ إليها نهاراً.

* * *

﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ ﴾ ما قدروا على النهوض عند نزول العذاب بهم.

﴿ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴾ ممن أهلكهم.

* * *

---

(١) في «ت»: «إهلاك».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٨).

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: (وَقَوْمِ) بخفض الميم عطفاً على (وَفِي ثَمُودَ)، وقرأ الباقون: بنصبها بمضمر[1]؛ أي: وأهلكنا قومَ نوح.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إهلاك[2] هؤلاء المذكورين.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ بالكفر والعصيان.

* * *

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾ بقوة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ لقادرون.

* * *

﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا ﴾ مَهَدْناها ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾ نحن.

* * *

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين ونوعين مختلفين، وهي إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء؛ كالليل والنهار، والشقاوة والسعادة، والهدى والضلالة، والسماء والأرض، والسواد والبياض،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤٨).

(٢) «إهلاك» زيادة من «ت».

والصحة والمرض، والكفر والإيمان، ونحو هذا ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرفون الخالق فتعبدونه.

* * *

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾.

[٥٠] ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ بالتوبة والطاعة ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

* * *

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾.

[٥١] ثم نهى عن عبادة كل مدعو من دون الله تعالى بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ وكرر ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ حرصاً على هدايتهم.

* * *

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢﴾.

[٥٢] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: سيرة الأمم كذلك ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ أي: قبلَ قومك يا محمد.

﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ له: أنتَ ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ تلخيصه: المرسلون قبلك كُذِّبوا كما كُذِّبت.

* * *

﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣﴾.

[٥٣] ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ توقيف وتعجيب من تراود نفوس الكفرة في تكذيب الأنبياء على تفرق أزمانهم؛ أي: إنهم لم يتواصوا.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ جمعَهم على ذلك الطغيان، والطاغي: المستعلي في الأرض المفسد العاتي على الله.

* * *

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: عن الحرص المفرط عليهم، وذهاب النفس حسرات.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ لأنك بلغت الرسالة.

* * *

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿وَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولمن قُضِي[١] له أن يكون منهم.

قال ابن عطية: وعلى هذا التأويل، فلا نسخ في الآية، إلا في معنى الموادعة التي فيها؛ فإنّ آية السيف نسخت جميع الموادعات[٢].

* * *

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال ابن عباس، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ: المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا

(١) في «ت»: «قضي له».
(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٢).

لآمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية[1]، فعبر عن ذلك بقوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ إذ العبادة هي مضمن الأمر، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته.

* * *

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٧] ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ لي، ولا لأنفسهم وغيرهم.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ ولا أنفسَهم ولا غيرَهم.

* * *

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾.

[٥٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ الذي يرزق كلَّ ما يفتقر إلى الرزق.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد القوة نعتاً لـ(ذو)، المعنى: أنا غني عنكم، فاشتغلوا بما أمرتكم به تفلحوا.

* * *

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾﴾.

[٥٩] ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسَهم بالكفر ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيباً من العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ﴾ نصيب ﴿أَصْحَٰبِهِمْ﴾ المراد: من تقدم من الأمم المعذبة، وهذا

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٥٥).

استعارة؛ لأن الذَّنوب: الدلو العظيمة، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة[1] الماء بالدلاء.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب، فهو نازل بهم لا محالة في وقته المحتوم. قرأ يعقوب: (لِيَعْبُدُونِي) (يُطْعِمُونِي) (يَسْتَعْجِلُونِي) بإثبات الياء فيهن وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[2].

***

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)﴾.

[٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه بالعذاب، وهو يوم القيامة، والويل: الشقاء والهم، وروي أن في جهنم وادياً يسمى ويلاً، والله أعلم.

* * *

---

(١) في «ت»: «القساة».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٠-٢٥١).

سورة الطور

مكية بإجماع المفسرين، وآيها: تسع وأربعون آية، وحروفها ألف وثلاث مئة وثمانية أحرف، وكلمها: ثلاث مئة واثنتا عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ (١)﴾.

[١] ﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل بالسريانية، والمراد: الذي كلم الله عليه موسى ـ عليه السلام ـ، واسمه زبير، وهو بمدين.

* * *

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)﴾.

[٢] ﴿وَكِتَابٍ﴾ هو ما كتبه الله لموسى من التوراة، وقيل: هو القرآن ﴿مَسْطُورٍ﴾ مكتوب، والسطر: ترتيب الحروف المكتوبة.

* * *

﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣)﴾.

[٣] ﴿فِي رَقٍّ﴾ جلد، وسمي رقاً؛ لأنه مرقق، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان ﴿مَنْشُورٍ﴾ مبسوط، وهو خلاف المطوي.

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ هو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، والمعمور: المأهول، وعمارته بالملائكة.

* * *

﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ هو السماء.

* * *

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ المملوء، والجمهور على أنه بحر الدنيا، والواو الأولى للقسم، وباقيها للعطف.

* * *

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ .

[٧] وجواب القسم: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴾ لنازلٌ، والمراد: عذاب الآخرة للكفار.

* * *

﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴾ يدفعه.

* * *

﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ تضطرب، فتجيء وتذهب ﴿ مَوۡرٗا ﴾ مصدر .

* * *

﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ ﴾ كما يسير السحاب ﴿ سَيۡرٗا ﴾ ثم تتفتت أثناء السير حتى تصير آخراً كالعهن المنفوش؛ لهول ذلك اليوم .

* * *

﴿ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ﴾ .

[١١] والفاء في قوله: ﴿ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ ﴾ عاطفة جملة على جملة، وهي تتضمن ربطَ المعنى وتأكيدَه، وإثباتَ الويل .

﴿ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ للرسل، وتقدم ذكر الويل في آخر الذاريات .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢ ﴾ .

[١٢] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ ﴾ والخوض: التخبط في الأباطيل تَشَبُّهٌ بخوض الماء ﴿ يَلۡعَبُونَ ﴾ استهزاءً بالنبي ﷺ .

* * *

﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ ﴾ .

[١٣] وتبدل من ﴿ يَوۡمَئِذٖ ﴾ ﴿ يَوۡمَ يُدَعُّونَ ﴾ يُدْفَعون بعنف .

﴿ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ بأن تجمع أيديهم إلى أعناقهم، ونواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون في النار.

* * *

﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] فإذا جُعلوا[١] فيها، قيل لهم تبكيتاً: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا ﴾ في الدنيا ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾.

* * *

﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم قيل لهم: ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ ﴾ العذابُ ﴿ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ العذابَ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه؟!

* * *

﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾ ادخلوها، ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: ﴿ فَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ عليها ﴿ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ ﴾ خبر محذوف[٢] المبتدأ؛ أي: صبرُكم وجزعُكم سواءٌ ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم.

﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: هذا عذابكم حتمٌ لا بدَّ منه جزاءَ أعمالكم.

---

(١) في «ت»: «حصلوا».

(٢) «محذوف» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ إخبار لمحمد ﷺ ومعاصريه، لما فرغ من ذكر عذاب الكفار، عقب ذلك بنعيم المتقين؛ ليبين الفرق، ويقع التحريض على الإيمان.

***

﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ فَٰكِهِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر: (فَكِهِينَ) بغير ألف بعد الفاء، يعني: مسرورين، وقرأ الباقون: بالألف، يعني: متنعمين(١).

﴿ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ من إنعامه ورضاه عنهم ﴿ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

***

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ثم يقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ أكلاً وشرباً.

﴿ هَنِيٓـًٔۢا ﴾ لا تنغيص فيه، ونصبه على المصدر.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ معناه: إن رُتَب الجنة ونعيمها هي بحسب الأعمال، وأما نفس دخولها، فهو برحمة الله وتغمده، والأكل والشرب والتهني ليس من الدخول في شيء، وأعمال العباد الصالحة لا توجب

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٥).

على الله التنعيم إيجاباً، لكنه قد جعلها أمارة على من سبق في علمه تنعيمه، وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذي في الأعمال.

* * *

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على الحال. قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِينَ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز[١] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ صُفَّ بعضُها إلى بعض.

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم﴾ قرنَّاهم، وليس في الجنة تزويج كالدنيا ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء، وهي البيضاء القوية بياض العين وسواد سوادها.

﴿عِينٍ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين مع جمالها.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَأَتْبَعْنَاهُمْ) بقطع الألف وفتحها وإسكان التاء والعين ونون وألف بعدها، والباقون: (وَاتَّبَعَتْهُمْ) بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وتاء ساكنة بعدها[٢].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٦).

﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر: بألف بعد الياء على الجمع، وأبو عمرو وحده يكسر التاء والهاء، ويعقوب وابن عامر يضمانهما، وقرأ الباقون: بغير ألف على التوحيد مع ضم التاء والهاء[1].

﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ المعنى: أن المؤمنين اتبعتهم ذريتهم، وهم أولادهم الصغار والكبار بسبب إيمانهم، فكبارهم بإيمانهم بأنفسهم، وصغارهم بأن أُتْبِعوا في الإسلام بآبائهم بسبب إيمانهم؛ لأن الولد يُحكم بإسلامه تبعاً لأحد أبويه إذا أسلم، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وقال مالك: يحكم بإسلامه تبعاً لإسلام أبيه دون أمه، وأما إذا مات أحد أبويه في دار الإسلام، فقال أحمد: يحكم بإسلامه، وهو من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة، واختلفوا في إسلام الصبي المميز ورِدَّته، فقال الثلاثة: يصحان منه، وقال الشافعي: لا يصحان.

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم، وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجة آبائهم؛ تكرمة لآبائهم؛ لتقر بذلك أعينهم. قرأ ابن كثير، والكوفيون: (ذُرِّيَّتَهُمْ) بغير ألف على التوحيد مع فتح التاء، وقرأ الباقون: بالألف على الجمع مع كسر التاء.

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ قرأ ابن كثير: بكسر اللام، والباقون: بنصبها[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٨).

﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ (مِنْ) الأولى متعلقة بـ(ألتناهم)، والثانية زائدة، المعنى على القراءتين: ما نقصناهم من عملهم شيئاً.

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من خير وشر ﴿رَهِينٌ﴾ مرهون، فنفس المرء مرهونة بعمله، ومطالَبة ومجازاة به.

***

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢)﴾.

[٢٢] ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ زِدْناهم في وقت بعد وقت.

﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

***

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣)﴾.

[٢٣] ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يتداولون بينهم ﴿فِيهَا كَأْسًا﴾ خمراً.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يُذهب عقولَهم فيَلْغُوا ويأثموا كشاربي خمر الدنيا. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (لاَ لَغْوَ وَلاَ تَأْثِيمَ) بفتح الواو والميم بغير تنوين، والباقون: برفعهما مع التنوين[١].

***

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤)﴾.

[٢٤] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ مع ذلك للخدمة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٩).

﴿ غِلْمَانٌ ﴾ أرقّاءُ ﴿ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ ﴾ حسناً ولطافة.

﴿ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ مصون[1] في الصَّدَف. قرأ أبو جعفر: (لُوْلُؤٌ) بإسكان الواو الأولى ورفع الثانية منونة من غير همز فيهما[2]، وأبو بكر عن عاصم، وأبو عمرو: بإبدال الهمز الأول، وبالهمز في الثاني، والباقون: بالهمز فيهما.

قال ﷺ: «أدنى أهلِ الجنة منزلةً مَنْ ينادي الخادمَ من خدامه، فيجيبه ألفُ خادمٍ ببابه: لَبَّيْكَ لَبيك»[3].

* * *

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ بعدَ اجتماعِهم ودورانِ الكأس عليهم ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يسأل بعضهم بعضاً؛ تلذذاً واعترافاً بالنعمة عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه.

* * *

---

(١) «مصون» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠-٣٩٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٥٩).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٩)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٨٣١)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣٧٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٦٩).

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا ﴾ في الدنيا ﴿ مُشۡفِقِينَ ﴾ خائفين من عذابه تعالى .

* * *

﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴾ بالمغفرة ﴿ وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ اسمٌ من أسماء جهنم، والسموم: الحار الذي يبلغ مسام الإنسان، وهو النار في هذه الآية .

* * *

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ ﴾ من قبل البعث ﴿ نَدۡعُوهُۖ ﴾ نعبده موحِّدين ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، والكسائي: بفتح الهمزة، أي: لأنه، **وقرأ** الباقون: بكسرها على الاستئناف[١] ﴿ هُوَ ٱلۡبَرُّ ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ العظيم الرحمة .

* * *

﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ فَذَكِّرۡ ﴾ دُمْ على تذكير المشركين ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ ﴾ برحمته

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٠).

وعصمته، و(نِعْمَت) رُسمت بالتاء، وقف عليها بالهاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب[1] ﴿بِكَاهِنٍ﴾ هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون.

* * *

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠)﴾.

[٣٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل أيقولون: هو ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر.

﴿بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ حوادثَ الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

* * *

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)﴾.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ انتظروا هلاكي، وعيدٌ في صيغة أمر.

﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ المنتظرين هلاككم، فعُذِّبوا بالسيف يوم بدر.

* * *

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢)﴾.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ عقولُهم ﴿بِهَذَا﴾ القولِ المتناقض، وهو قولهم له ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر، وذلك أن عظماء قريش كانوا يعرفون[2] بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة الحق من الباطل.

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢٣١) من سورة البقرة.

(٢) في «ت»: «يوصفون».

﴿ أَمْ هُمْ ﴾ بل هم ﴿ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ مجاوزون الحدَّ في العناد.

* * *

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ﴾ اختلقَ محمدٌ القرآن.

﴿ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ المعنى: لم يمتنعوا عن الإيمان بالقرآن لأنه مختلَق، بل تكبراً.

* * *

﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] فإن كان كما زعموا مختلقاً ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ ﴾ أي: مثلِ القرآن ونظمِه وحسنِ بيانه ﴿ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ في قولهم.

* * *

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ ﴾ أي: من غير مقدر.

﴿ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ لأنفسهم، ولا بد للخلق من خالق، فهلاَّ يوحِّدون خالقهم.

* * *

﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ ﴾ فلا يعبدون خالقهما[١].

﴿ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ بخالقهما.

---

(١) في «ت»: «خالقهم».

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ ﴾ أي: مفاتيح خزائن رحمة ﴿ رَبِّكَ ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا. قرأ أبو عمرو: (خَزَائِن رَّبِّكَ) بإدغام النون في الراء[١].

﴿ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ المسلطون الجبارون. قرأ هشام عن ابن عامر، وقنبل عن ابن كثير، وحفص عن عاصم، بخلاف عن الثاني والثالث: (الْمُسَيْطِرُونَ) بالسين، وقرأ حمزة: بين الصاد والزاي، بخلاف عن رواية خلاد، وقرأ الباقون: بالصاد الخالصة[٢].

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾ يرتقون به إلى السماء ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ الوحيَ وكلامَ الملائكة، فيقولوا ما شاؤوا، فإن كان كذلك.

﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم ﴾ فَرَضاً على دعواهم ﴿ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ حجة بينة.

* * *

﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ ﴾ بزعمكم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦١-٢٦٢).

﴿ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ فيه تسفيه لهم، وإشعار بأن مَنْ هذا رأيه، فلا[1] يُعَدُّ من العقلاء.

* * *

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا ﴾ على الإنذار ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ ﴾ أي: غُرم، وهو ما يلزم أداؤه، فهم بذلك ﴿ مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يُسْلِمون.

* * *

﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ.

﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه، ويخبرون الناس به.

* * *

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ﴾ مكراً بك؛ ليهلكوك.

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ المهلكون[2] جزاء كيدهم.

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ﴾ يستحق العبادة ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ من

---

(١) في «ت»: «لا».

(٢) «المهلكون» زيادة من «ت».

الآلهة، وجميع ما في هذه السورة من ذكر (أَمْ) استفهام غير عاطفة، واستفهم تعالى مع علمه بهم؛ تقبيحاً عليهم، وتوبيخاً لهم؛ كقول الشخص لغيره: أجاهل أنت؟ مع علمه بجهله.

* * *

﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا ﴾ قطعاً ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا ﴾ عليهم؛ ليعذَّبوا به.

﴿ يَقُولُواْ ﴾ عناداً وجهلاً: ﴿ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ بعضُه فوق بعض يَسقينا.

* * *

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ ﴾ يعاينوا. قرأ أبو جعفر: (يَلْقَوْا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف[١].

﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ وذلك عند النفخة الأولى. قرأ ابن عامر، وعاصم: (يُصْعَقُونَ) بضم الياء؛ أي: يهلكون، وقرأ الباقون: بفتحها؛ أي: يموتون[٢].

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٢٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٢).

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ .

[٤٦] وتبدل من ﴿يَوْمَهُمُ﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ من الإغناء في رد العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله .

* * *

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ .

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قبل المعد لهم يوم القيامة، وهو القتل ببدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك .

* * *

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ .

[٤٨] ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بالإمهال، ولا يضيق صدرك. قرأ أبو عمرو: (وَاصْبِر لِّحُكْمِ) بإدغام الراء في اللام، وروي عنه الإظهار، والوجهان صحيحان عنه(١) .

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ بحيث نراك ونلحظك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك .

* * *

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ .

[٤٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صلِّ له، يعني: المغرب والعشاء .

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٦٣) .

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم؛ أي: تغيب بضوء الصبح. **اتفق القراء على كسرة الهمزة في** (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)؛ إذ المعنى على المصدر؛ أي: وقت أُفول النجوم وذهابها، لا جمع دبر، كما تقدم لبعض القراء في (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) في سورة (ق) [الآية: ٤٠]، والله سبحانه أعلم.

* * *

سورة النجم

مكية بإجماع من[1] المتأولين، وآيها: اثنتان وستون[2] آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وخمسة أحرف، وكلمها ثلاث مئة وستون كلمة، وهي أول سورة أعلنَ بها رسول الله ﷺ وجهرَ بقراءتها في الحرم، والمشركون يستمعون، وفيها سجد، وسجد معه المؤمنون والمشركون، والجن والإنس غير أبي لهب؛ فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا.

وسبب هذه السورة أن المشركين قالوا: إن محمداً ﷺ يتقول القرآن، ويختلق أقواله، فنزلت الآية في ذلك.

وهذه السورة أول المفصل على أحد القولين في مذهب مالك، وتقدم التنبيه عليه في أول الشورى عند ذكر القول الآخر، وقد ذكر اختلاف الأئمة في المفصل في أول التفسير، ثم ذكر كل مذهب في محله، وهو عند أول الشورى، والحجرات، وق، وهذا المحل، والله الموفق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١)﴾.

---

(١) «من» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «ستون وآيتان».

[١] ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ يعني: الثريا، والعرب لا تقول النجم مطلَقاً إلا للثريا.

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ سقط عند غروبه، وقيل: المراد: الجملة من القرآن إذا تنزلت، وذلك أنه روي أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ نجوماً؛ أي: أقداراً مقدرة في أوقات ما، ويجيء (هَوَى) على هذا التأويل بمعنى: نزل.

قال ابن عطية: وفي هذا المعنى بُعد وتحامُل على اللغة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، والخلاف في هذه كالخلاف في تلك[١]، وهو قسم بالنجم وقتَ هويِّه، أو بالقرآن وقتَ نزوله.

* * *

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾.

[٢] وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ يعني: محمداً ﷺ عن طريق الهدى ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابسَ الغَيَّ، وهو نقيض الرشد. قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: بإمالة رؤوس آي هذه السورة؛ بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف[٢].

* * *

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ أي: لا يتكلم بالباطل عن هوى نفسه.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٧ وما بعدها).

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ إِنۡ هُوَ ﴾ أي: نطقُه ﷺ بالقرآن وما يأتيه من السماء ﴿ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ إليه، لم يقله من تلقاء نفسه.

* * *

﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ هو جبريل عليه السلام، والقوى: جمع القوة.

* * *

﴿ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ ذُو مِرَّةٖ ﴾ قوة شديدة في خلقه ﴿ فَٱسۡتَوَىٰ ﴾ فاستقر جبريل.

* * *

﴿ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَهُوَ ﴾ يعني: محمداً، المعنى: استوى جبريل ومحمدٌ ليلة المعراج.

﴿ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ عند مطلع الشمس.

* * *

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ قَرُب جبريل من محمد ﴿ فَتَدَلَّىٰ ﴾ زادَ في القُرب، والأكثرون على أن هذا الدنوَّ والتدلِّي منقسم بين جبريل ـ عليه السلام ـ، ومحمد ﷺ، أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من سدرة المنتهى.

وقال ابن عباس: «هو محمدٌ دنا وتدلى من ربه».

وحكي عن ابن عباس أيضاً: «هو الربُّ دنا من محمد، فتدلَّى إليه؛ أي: أمرُه وحكمُه»[1].

قال القاضي أبو الفضل ـ رضي الله عنه ـ في كتاب «الشفا»: فاعلم أن ما وقع في إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله، فليس بدنو مكان ولا قرب حداً، بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق: «فليس بدنو حَدّ، وإنما دنوُّ النبي من ربه وقربُه منه إبانةُ عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس، وبسط وإكرام»[2].

***

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٩٧)، و «تفسير البغوي» (٤/ ٢٥١).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٠٤)، وقول ابن عباس السالف منه. وقال القاضي في نهاية هذا الكلام: ويتأول فيه ما يُتأول في قوله: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا». وذكر الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٦٥) ما يؤيد قولَ ابنِ عباس الأخير بما روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: دنا الجبَّار ربُّ العزة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى. اهـ وهذا القول متأوَّل على ما ذكر القاضي عياض. ومن المعلوم أن أكثر العلماء على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم، أو مختص بأحدهما من الآخر ومن السدرة المنتهى. كما ذكر النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٣/ ٤).

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ فَكَانَ قَابَ ﴾ قدرَ ﴿ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ بل أقرب، فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، واتضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب قربٌ بالإجابة والقبول، وإتيانٌ بالإحسان وتعجيل المأمول، وإنما ذكر (القَوْسَين)؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس، ويقال: قاب قوسين؛ يعني: قدر ذراعين، وإنما سمي الذراع قوساً؛ لأنه يقاس به الأشياء.

* * *

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فَأَوْحَىٰٓ ﴾ اللهُ ﴿ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ ﷺ ﴿ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ في قوله تعالى: (مَا أَوْحَى) إبهام على جهة التفخيم والتعظيم، والذي عُرف من ذلك فرضُ الصلاة.

* * *

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ ﴾ قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر: (كَذَّبَ) بتشديد الذال؛ يعني: ما كذب قلب محمد ﷺ.

﴿ مَا رَأَىٰٓ ﴾ بعينه، وقرأ الباقون: بتخفيفها[١]؛ أي: ما ارتابَ القلب،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩).

وقرأ ورش عن نافع: (الْفُوَادُ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز، تلخيصه: لم يوهم القلبُ العينَ غيرَ الحقيقة، بل صَدَّق رؤيتَها.

واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء؟ فأنكرته عائشة، وخالفها ابن عباس وجمع، وتقدم الكلام في ذلك مستوفىً في أول سورة الإسراء في قصة المعراج.

***

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (أَفَتَمْرُونَهُ) بفتح التاء وإسكان الميم من غير ألف؛ أي: أتجحدونه، **وقرأ** الباقون: بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها؛ أي: أتجادلونه[1] ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ لأن المشركين أنكروا إسراءه ﷺ، ومشاهدته جبريل عليه السلام.

***

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى محمدٌ جبريلَ على صورته حقيقة، وعلى قول ابن عباس ومَنْ وافقه: رأى رَبَّه. **قرأ** ورش، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وخلف، وابن ذكوان بخلاف عنه: (رَآهُ) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، =

﴿نَزْلَةً﴾ مرةً ﴿أُخْرَىٰ﴾ لأنه ﷺ عرج إلى السماء مرات بسبب الصلوات، فكان لكل عرجة نزلة.

* * *

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] وكانت الرؤيا ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة ولا غيرهم، ولا يعلم ما وراءها إلا هو تعالى، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها.

* * *

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ أراد أن يعظم مكان السدرة ويشرفه بأن جنة المأوى عنده، وهي الجنة التي يأوي إليها الملائكة.

* * *

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿إِذْ يَغْشَى﴾ يغطِّي ﴿ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ العامل في (إِذْ) (رَآهُ)، والمعنى: رآه في هذه الحال، و﴿مَا يَغْشَى﴾ معناه: من قدرة الله وأنواع الصفات التي يخترعها لها، وذلك مبهم على جهة التفخيم والتعظيم.

قال ﷺ: «رأيتُ على كل ورقة منها ملكاً قائماً يُسَبِّحُ الله»(١).

= و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧ و١٠).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٩) عن عبد الرحمن بن زيد، مرسلاً. =

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ ﴾ ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، أضاف الأمر للبصر.

﴿ وَمَا طَغَىٰ ﴾ أي: ما جاوز ما رأى.

* * *

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ﴾ التي يمكن أن يراها البشر الآية ﴿ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان: (مَا رَأَى) (لَقَدْ رَأَى) بإمالة الراء والهمزة، واختلف عن هشام وأبي بكر، وأمال أبو عمرو الهمزة فقط.

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ مخاطبة لقريش، وهي من رؤية العين، لما فرغ من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته، قال على جهة التوقيف: أرأيتم هذه الأوثانَ وحقارتَها، وبعدَها عن هذه القدرة والصفات العلية ﴿ ٱللَّٰتَ ﴾ صنم ثقيف بالطائف. **قرأ** رويس عن يعقوب: بتشديد التاء، ويمدُّ الساكنين، **وقرأ** الباقون: بتخفيفها، والكسائي يقف عليها بالهاء[١].

= وانظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٤٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٤٨)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٩٦).

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٢ و٣٧٩)، و«معجم =

﴿وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ سَمُرة كانت غطفان تعبدها، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، واجتث أصلها، فخرجت من أصلها شيطانة، فقتلها.

* * *

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾.

[٢٠] ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ اسم علم[١] لصنم هُذيل وخُزاعة، وألفها منقلبة عن ياء؛ لأنها من منى يمني. قرأ ابن كثير: (مَنَاءَةَ) بهمزة بعد الألف، فيمد للاتصال، وقرأ الباقون: بغير همز، والوقف عليها لجميع القراء بالهاء اتباعاً للرسم[٢] ﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾ نعت لـ(مناة)؛ لأنها ثالثة الصنمين.

﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ نعت ذم، نحو: و﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف: ٣٩]؛ أي: ضعفاؤهم لرؤسائهم؛ أي: مناة الحقيرة، وقيل: اللات والعزى ومناة كانت أصناماً من حجارة في جوف الكعبة يعبدونها، واشتقوا لها أسماء من أسماء الله سبحانه، فقالوا: من الله: اللات، ومن العزيز: العزى، ومن المنان: مناة، ومعنى الآية: أخبرونا ألهذه الآلهة المعبودة قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله تعالى؟! وتقدم في سورة الحج ما ألقاه الشيطان في قراءة النبي ﷺ لما قرأ هذه الآية.

= القراءات القرآنية» (٧/ ١٢). وذكرها البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٦)، من قراءة ابن عباس وأبي صالح.

(١) «علم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣).

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ ﴾.

[٢١] ولما قالوا: الملائكة والأصنام بنات الله، مع كراهتهم البنات، نزل إنكاراً عليهم: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ المعنى: إذا كرهتم البنات، فكيف تجعلون لكم البنين، وله تعالى البنات؟!

* * *

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ ﴾.

[٢٢] ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ جائرة؛ حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قرأ ابن كثير: (ضِئْزَى) بالهمز؛ من ضأزه يضأزه ضأزاً، وقرأ الباقون: بغير همز[1]؛ من ضازه يضيزه ضيزاً.

* * *

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِنْ هِيَ ﴾ أي: الأصنام ﴿ إِلَّآ أَسْمَآءٌ ﴾ لا حقيقة تحتها من نفع أو ضر ﴿ سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ أي: سميتم بها ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ آلهة تخرُّصاً.

﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ بتلك الأسماء ﴿ مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ حجة على تسميتهم، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة، فقال: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ في قولهم: إنها آلهة ﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ الخبيثة مما زين لهم الشيطان.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ على لسان الرسل.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤).

﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ ﴾ (أَمْ) منقطعة، والهمزة فيها للإنكار، المعنى: ليس للكافر.

﴿ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ من شفاعة الأصنام.

* * *

﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴾ يحكم فيهما بما يريد، فالأمر كله لله.

* * *

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ إن شفعوا لا يشفعون.

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أن يشفع له ﴿ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ عنه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾ لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله.

* * *

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ ﴾ أي : بذلك القولِ ﴿ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ فإنه[1] لا اعتبار له في المعارف الحقيقية .

* * *

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ فَأَعْرِضْ عَن ﴾ إبلاغ ﴿ مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ عن العمل بالقرآن .

﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف .

* * *

﴿ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

[٣٠] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي : طلب الدنيا ﴿ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ ﴾ لا يتجاوزه علمُهم .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ أي : هو أعلم بالفريقين ، فيجازيهم .

* * *

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ .

[٣١] ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فهذا معترض بين الآية الأولى ،

---

(١) في «ت» : «فإن» .

وبين قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك، فاللام في (لِيَجْزِيَ) متعلق بمعنى الآية: إذا كان أعلم بهم، جازى كلاً بما يستحقه.

﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ وحَّدوا ربهم ﴿بِالْحُسْنَى﴾ بالجنة.

* * *

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾.

[٣٢] ثم وصفهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ الشرك. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (كَبِيرَ) بكسر الباء من غير ألف ولا همز على التوحيد، والباقون: بفتح الباء وألف وهمزة مكسورة بعدها على الجمع[(١)].

﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما فَحُش من الذنوب ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع، واللمم: ما صغر من الذنوب؛ كالغمزة والنظرة واللمسة والقبلة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لمن فعل ذلك وتاب.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباكم آدمَ من تراب.

﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين، سمي جنيناً؛ لاجتنانه؛ أي[(٢)]: استتاره في البطن.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦).

(٢) «لاجتنانه؛ أي» زيادة من «ت».

﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ قرأ حمزة: (إِمِّهَاتِكُمْ) بكسر الهمزة والميم، وقرأ الكسائي: بكسر الهمزة فقط، وكل منهما بشرط الوصل، وقرأ الباقون: بضم الهمزة وفتح الميم، واتفقوا على الابتداء كذلك[1].

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ تثنوا عليها ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ وأخلصَ العمل.

***

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] كان الوليد بن المغيرة المخزومي قد سمع قراءة النبي ﷺ، وجلس إليه، ووعظه رسول الله ﷺ، فقرب إلى الإسلام، وطمع النبي ﷺ فيه، ثم إنه عاتبه رجل من المشركين، وقال له: أتترك ملة آبائك؟ ارجعْ إلى دينك، اثبت عليه، وأنا أتحمل لك بكل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عما همَّ به من الإسلام، وضل ضلالاً بعيداً، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل، ثم أمسك عنه وشحَّ، فنزل: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾[2] عن الإيمان.

***

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ﴾ صاحبَه ﴿قَلِيلًا﴾ من ماله ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ قطعَ عطيته بخلاً، وأصله من الكدْيَة: أرضٌ صلبة كالصخرة تمنع حافرَ البئر من النفوذ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦ـ١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١١١) عن ابن زيد ومقاتل.

﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ أعلمَ من الغيب أنَّ مَنْ تحمل ذنوبَ أحد، فإن المتحمل عنه ينتفع بذلك ﴿ فَهُوَ ﴾ لهذا الذي علمه ﴿ يَرَىٰٓ ﴾ الحقَّ، وله فيه بصيرة؟!

* * *

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ أَمْ ﴾ هو جاهل ﴿ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ يعني: أسفار التوراة. قرأ أبو جعفر: (يُنَبَّا) بإبدال الهمز، والباقون: بالهمز[(١)] [(٢)].

* * *

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (أَبْرَاهَامَ) بالألف، والباقون: بالياء[(٣)] ﴿ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ أي: تمم ما أُمر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه.

عن أبي ذر الغفاري[(٤)] ـ رضي الله عنه ـ قال: قلتُ: يا رسول الله! كم من كتابٍ أنزل الله ـ عز وجل ـ؟ قال: «مئة كتاب، وأربعة كتب،

---

(١) «والباقون: بالهمز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨).

(٤) «الغفاري» زيادة من «ت».

أنزل الله[1] على آدم عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل الله[2] التوراة والإنجيل والزبور والفرقان»، قلت: يا رسول الله! ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً: أيها الملِكُ المبتلى المغرور! إني لم أبعثك فتجمعَ الدنيا بعضَها إلى بعض، ولكن بعثتُك، تردُّ دعوة المظلوم، فإني لا أردها، وإن كانت من كافر، وكان فيها أمثال منها: على العاقل ـ ما لم يكن مغلوباً على عقله ـ أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، ويفكر في صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن علم أن كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه».

ويأتي ما نقل من صحف موسى آخر سورة (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى).

***

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ثم بين تعالى ما في صحفهما، فقال: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أي: لا تحمل حاملة حملَ غيرِها بأن تؤخذ بإثمها، وفي هذا إبطال قول من قال للوليد بن المغيرة: إنه يحمل عنه الإثم.

***

---

(١) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

(٢) لفظ الجلالة زيادة من «ت».

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] وتعطف على ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ عمل ونوى، أي: كما لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، لا يثاب بفعله، وما جاء في الأخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت، فلكون الناوي له كالنائب عنه.

واختلف الأئمة فيما يُفعل من القرب؛ كالصلاة والصيام وقراءة القرآن والصدقة[١]، ويُهدى ثوابه للميت المسلم، فقال أبو حنيفة وأحمد: يصل ذلك إليه، ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته، وقال الشافعي ومالك: يجوز ذلك في الصدقة والعبادة المالية، وفي الحج، وأما في غير ذلك من الطاعات؛ كالصلاة والصوم وقراءة القرآن وغيره، لا يجوز، ويكون ثوابه لفاعله، وعند المعتزلة: ليس للإنسان جعلُ ثواب عملِه في شيء من الأعمال لغيره، ولا يصل، ولا ينفعه.

واختلفوا فيمن مات قبل أن يحج، فقال أبو حنيفة ومالك[٢]: يسقط عنه الحج بالموت، ولا يلزم الحج عنه إلا أن يوصي بذلك، وقال الشافعي وأحمد: لا يسقط عنه، ويلزم الحج عنه من رأس ماله.

واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه، هل يصح أن يحج عن غيره؟ فقال أبو حنيفة ومالك: يصح، ويجزىء عن الغير مع الكراهة، وقال الشافعي وأحمد: لا يصح، فلو فعل، وقع عن نفسه.

وأما الصلاة، فهي عبادة بدنية، لا تصح فيها النيابة بمال ولا بدن بالاتفاق، وعند أبي حنيفة: إذا مات وعليه صلوات، يعطى لكل صلاة

(١) «والصدقة» زيادة من «ت».

(٢) «ومالك» زيادة من «ت».

نصف صاع بر، أو صاع من تمر، أو شعير، أو قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين، وليس للمدفوع إليه عدد مخصوص، فيجوز أن يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات، ولا يجوز أن تدفع فدية صلاة لأكثر من مسكين، ثم لا بد من الإيصاء بذلك، فلو تبرع الورثة بذلك، جاز من غير لزوم، وهو من مفردات مذهبه، وهو[1] خلاف[2] للثلاثة.

* * *

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ في ميزانه يوم القيامة.

* * *

﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ﴾ أي: يُجزى[3] العبدُ سعيَه ﴿ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ الأكملَ، والقراءة بفتح (أَنَّ) على أن[4] هذا كله في صحف موسى.

* * *

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ أي: الانتهاء، وهو رجوع الخلائق إليه تعالى بعد الموت، فيجازيهم.

---

(١) «وهو» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «خلافاً».

(٣) «أي يجزى» زيادة من «ت».

(٤) «على أن» زيادة من «ت».

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾ ذكر الضحك والبكاء؛ لأنهما صفتان تجمعان أوصافاً كثيرة من الناس؛ إذ الواحدة دليل السرور، والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة، فنبه تعالى بهاتين الخاصتين اللتين هما للإنسان وحده.

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ ﴾ في الدنيا.

﴿ وَأَحۡيَا ﴾ للبعث، فلا يقدر على الإماتة والإحياء غيره.

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ﴾ الصنفين ﴿ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ من كل حيوان.

* * *

﴿ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴾ تُراق في الرحم.

* * *

﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ﴾ الخلقة ﴿ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ للبعث بعد الموت. وتقدم اختلاف القراء في (النَّشْأَة) في سورة العنكبوت.

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ ﴾ الناسَ بالكفاية والأموال.

﴿ وَأَقۡنَىٰ ﴾ أعطى القُنية وما يدخرونه بعد الكفاية.

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ وهو كوكب خلف الجوزاء، وهما شعريان، يقال لأحدهما: العبور، وهي اليمانية، وللأخرى: الغميصاء، والمراد هنا: العبور، وهي أشد ضياء، عبدها أبو كبشة من خزاعة، وخالف قريشاً في عبادة الأوثان، فلذلك كانوا يسمون النبي ﷺ: ابن أبي كبشة؛ لخلافه إياهم كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعرى. **قرأ** أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (وَأَنّه هُّوَ) بإدغام الهاء في الهاء في الأحرف الأربعة؛ بخلاف عن رويس(١).

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (عادً الأُولى) بإدغام التنوين في اللام وتشديدها مضمومة بلا همز بعدها، على أنهم لم يحركوا التنوين؛ لالتقاء الساكنين، بل أدغموه في لام التعريف بعد أن حركوا اللام بحركة الهمزة التي هي فاء الفعل حتى ساغ

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠).

الإدغام فيه، وقرأ الباقون وهم: ابن كثير، والكوفيون، وابن عامر: بكسر التنوين؛ لاجتماع الساكنين، وإسكان اللام، وتحقيق الهمزة بعدها[1]، وهذا حكم الوصل، وأما حكم الابتداء، فيجوز في مذهب أبي عمرو، ويعقوب، وقالون، وأبي جعفر إذا لم يهمزوا الواو ثلاثةُ أوجه: (أَلُولى) بإثبات همزة الوصل وضم اللام بعدها، الثاني: (لُولَى) بضم اللام وحذف همزة الوصل قبلها اكتفاء عنها بتلك الحركة، الثالث: (الأُولَى) ترد الكلمة إلى أصلها، فتأتي بهمزة الوصل وإسكان اللام وتحقيق الهمزة المضمومة بعدها، وعن قالون في الابتداء بها في وجه همز الواو [ثلاثة أوجه: الأول: (الُؤْلَى) بهمزة الوصل وضم اللام وهمزة ساكنة على الواو][2]، والثاني: (لُؤْلَى) بضم اللام وحذف همزة الوصل وهمز الواو، الثالث: (الأُولَى) كوجه أبي عمرو الثالث، وعن أبي جعفر في هذه الأوجه الثلاثة خلاف، وكلهم يقف على (عاداً) بالألف؛ لأنها بدل من التنوين؛ لأنه اسم رجل، وعاد الأولى هم قوم هود، أُهلكوا بريح صرصر، وكان لهم عقب، فكانوا عاداً الأولى.

***

﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١﴾.

[٥١] ﴿وَثَمُودَاْ﴾ هم قوم صالح، أهلكهم الله بالصيحة. قرأ عاصم،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤١٠-٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١-٢٢).

(٢) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

وحمزة، ويعقوب: بغير تنوين: اسم للقبيلة، وقرأ الباقون: بالتنوين[1]: اسم للأب، منصوب بأهلكنا مقدرة، وكل من نوَّنَ وقف بالألف، ومن لم ينون، وقف بغير ألف، وإن كانت مرسومة، فبذلك جاءت الرواية عنهم منصوصة ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ منهم أحداً.

***

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢﴾.

[٥٢] ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ أهلكناهم أيضاً ﴿مِّن قَبۡلُ﴾ أي: قبلَ عاد وثمود ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾ لطولِ دعوة نوح إياهم، وعتوِّهم على الله بالمعصية والتكذيب.

***

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣﴾.

[٥٣] ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ﴾ قرى قوم لوط. قرأ أبو جعفر: (وَالْمُوْتَفِكَةَ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز، واختلف عن قالون[2].

﴿أَهۡوَىٰ﴾ أسقطَ؛ لأن جبريل ـ عليه السلام ـ رفعها إلى السماء، ثم أسقطها مقلوبة إلى الأرض.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣).

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ ألبسَها اللهُ ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ ولم يذكر المغشَّى؛ تهويلاً لشأنه.

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ أي: أَنْعُمه الدالة على الوحدانية أيها الإنسان ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ تتشكك، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد: غيره. قرأ يعقوب: (رَبِّك تَّمَارَى) بتاء واحدة مشددة حيث قرأها بالوصل، وأما إذا ابتدأ بقوله (تتَمَارَى)، أظهر التاءين جميعاً؛ لموافقة الرسم والأصل، وبذلك قرأ الباقون[1]؛ فإن الإدغام إنما يتأتى في الوصل، وهذا بخلاف الابتداء بتاءات البزي في البقرة؛ فإنها مرسومة بتاء واحدة، فكان الابتداء كذلك موافقة للرسم، فلفظ الجميع في الوصل واحد، والابتداء مختلف؛ لما ذكر.

* * *

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ﴾ أي: الرسل.

﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ يعني: من جنسهم أُرسل إليكم كما أُرسلوا إلى أقوامهم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤).

﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

[٥٧] ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾ قربت القيامة .

* * *

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

[٥٨] ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي : كاشف مزيل لها إذا جاءت، والهاء للمبالغة .

* * *

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

[٥٩] ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي : القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ تكذيباً . قرأ أبو عمرو : (الْحَدِيث تَّعْجَبُونَ) بإدغام الثاء في التاء[١] .

* * *

﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

[٦٠] ﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ استهزاءً ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ مما فيه من الوعيد .

* * *

﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

[٦١] ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ لاهون .

* * *

---

(١) انظر : «الغيث» للصفاقسي (ص : ٣٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٢٤) .

﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

[٦٢] ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ سجودَ التلاوة، أو صلوا المفروضات ﴿ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾ وحِّدوا، وهذا محل سجود عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وهو قول عمر بن الخطاب؛ لأنه صح عن رسول الله ﷺ أنه سجد بالنجم، وليس يراها مالك ـ رحمه الله ـ؛ لما روي عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ: «أنه قرأ على النبي ﷺ: ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ ، فلم يسجد فيها»[١]، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في حكم سجود التلاوة هل هو واجب أو مسنون عند سجدة مريم، والله سبحانه أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (١٠٢٢)، كتاب: أبواب سجود القرآن، باب: من قرأ السجدة ولم يسجد، ومسلم (٥٧٧)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة.

سورة القمر

مكية، وقال بعضهم: إلا قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ الآية، وآيها: خمس وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربع مئة وثلاثة وعشرون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة واثنتان وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١)﴾.

[١] ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ دنت القيامة ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

* * *

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢)﴾.

[٢] روي أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِرَاءَ بينهما(١)، ورئي فرقتين: فرقة على قُعَيْقِعَان، وفرقة على أبي قُبَيْس(٢)، فقالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّار،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: انشقاق القمر، ومسلم (٢٨٠٢)، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: انشقاق القمر، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية»، كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧١) وذكره القرطبي في=

فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه[1]، فنزلت الآية:

﴿وَإِن يَرَوْاْ﴾ أي: قريش ﴿ءَايَةً﴾ دالةً على معجزة محمد ﷺ؛ كانشقاق القمر ﴿يُعْرِضُواْ﴾ عن الإيمان بها.

﴿وَيَقُولُواْ﴾ هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ذاهب، سوف يبطل؛ من قولهم: مر: إذا ذهب، وقيل: معناه: دائمٌ متمادٍ، ومعنى تسمية ما جاءت به الأنبياء معجزة: هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بها.

* * *

﴿وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَكَذَّبُواْ﴾ النبيَّ ﴿وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الباطل.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ بأهله في الجنة أو في[2] النار. قرأ أبو جعفر: (مُسْتَقِرٍّ) بخفض الراء نعتاً لـ(أَمْرٍ)؛ أي: اقتربت الساعة، واقترب كل أمر مستقرٍّ يستقرُّ ويتبين حاله، وقرأ الباقون: برفعها على المعنى الأول[3].

* * *

= «تفسيره» (١٧/ ١٢٧) عن ابن عباس. وقعيقعان وأبو قبيس هما جبلا مكة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٨٥)، ومن طريقه: الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٢). ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٦)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٣٥٥).

(٢) «في» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٩).

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُم ﴾ في القرآن ﴿ مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ ﴾ المتقدمة عن الأمم الماضية.

﴿ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴾ مُتَّعظ، زجرته وازدجرته: نهيته.

***

﴿ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ حِكۡمَةُۢ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا حكمة.

﴿ بَٰلِغَةٞۖ ﴾ تامة قد بلغت الغاية.

﴿ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ نفي واستفهام توبيخ. وقف يعقوب (تُغْنِي) بإثبات الياء، والنذر: جمع نذير[١].

***

﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ ﴾ أي: لا تذهب نفسُك عليهم حسرات، وتم القول في قوله: (عَنْهُمْ)، ثم ابتدأ وعيدهم فقال:

﴿ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ ﴾ هو إسرافيل عليه السلام، ونصب (يَوْمَ) بـ: اذكر مقدرة. قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش: (الدَّاعِي) بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب والبزي: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين[٢].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري=

﴿ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾ فظيع، تنكره النفوس؛ لأنها لم تعهَدْ مثله. قرأ ابن كثير: (نُكْرٍ) بإسكان الكاف، والباقون: بضمها[1].

* * *

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ خُشَّعًا ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف: (خَاشِعاً) بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين بعدها مخففة على الواحد، وقرأ الباقون: (خُشَّعاً) بضم الخاء وفتح الشين مشددة من غير ألف[2]، جمع خاشع، حال العاملُ فيها (يَدْعُو)، وصاحب الحال ضميرٌ محذوف تقديره: يدعوهم الداعي، ولم يؤنث خاشع؛ لأن تأنيثه غير حقيقي.

﴿ أَبْصَٰرُهُمْ ﴾ أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب، وخص الأبصار بالخشوع؛ لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في الإنسان من حياء أو خوف ونحوه إنما يظهر في البصر.

﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ لكثرتهم وما بهم من الخوف والحيرة.

﴿ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ مُنْبَثٌّ لا يدرون أين يذهبون.

* * *

= (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧ـ٦١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٠ـ٣١).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ مُّهْطِعِينَ ﴾ حال من (يَخْرُجُونَ)؛ أي: مسرعين مادِّي أعناقهم.

﴿ إِلَى ٱلدَّاعِ ﴾ إلى صوت إسرافيل. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (الدَّاعِي) بإثبات الياء، وابن كثير ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين(١).

﴿ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ صعب شديد.

* * *

﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ ﴾ قبلَ قريش ﴿ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ نوحاً ﴿ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا ﴾ نوحاً؛ أي: كذبوه تكذيباً بعد تكذيب، فكان كلما ذهب قرن مكذِّب، تبعه قرن مكذِّب.

﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ هو ﴿ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ انتُهِر وزُجر عن التبليغ بأنواع الأذية.

* * *

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فَدَعَا ﴾ نوحٌ ﴿ رَبَّهُۥٓ ﴾ منتصراً عليهم ﴿ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ لي منهم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٢).

﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ فَفَتَحْنَآ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[١] ﴿ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ كثيرٍ سريع الانصباب، لم ينقطع أربعين يوماً.

* * *

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ وَفَجَّرْنَا ﴾ أي: جعلنا ﴿ ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ كلها تنبع. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (عِيُوناً) بكسر العين، والباقون: بضمها[٢] ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾ أي: ماء الأرض وماء السماء، فصارا ماء واحداً.

﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ ﴾ أي: حال ﴿ قَدْ قُدِرَ ﴾ مضى عليهم، وهو الغرق.

* * *

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ ﴾ أي: نوحاً ﴿ عَلَىٰ ﴾ سفينة ﴿ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ ﴾ هي خشباتها العِراض.

﴿ وَدُسُرٍ ﴾ جمع دِسار؛ أي: المسامير التي تشد بها الألواح.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٣).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٣).

﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي: بحفظنا وحمايتنا ﴿ جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ يعني: فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثواباً لمن جُحِد أمرُه، وهو نوح ﷺ.

* * *

﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ﴾ أي: أبقينا السفينة بباقَرْدَى من بلد الجزيرة حتى أبصرها أوائل هذه الأمة، أو أبقينا الفعلة بقوم نوح.

﴿ ءَايَةٗ ﴾ يُعتبر بها ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ معتبرٍ خائفٍ مثلَ عقوبتهم.

* * *

﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ استفهام تعظيم، ووعيد لقريش، والنذر هنا جمع نذير، المعنى: كيف كان عاقبة إنذاري لمن لم يحصل به كأنتم أيها القوم. قرأ ورش عن نافع: (وَنُذُرِي) في الأحرف الستة بإثبات الياء وصلاً، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين(١).

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٤_٣٥).

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ سهَّلناه للتلاوة والحفظ عن ظهر قلب.

﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ استدعاء وحض على ذكره وحفظه؛ لتكون زواجره وعلومه وهدايته حاضرة في النفس، وقيل: معناه: هل من طالب علم، فيعان عليه.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ﴾ وهي قبيلة، وتقدم قَصَصُها.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله.

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ شديدةَ الهبوب.

﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ شؤم ﴿ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ صفته؛ أي: دائم الشؤم.

* * *

﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ تقلَعُهم عن أماكنهم؛ لأنهم كانوا يدخلون الشعاب، ويحفرون الحفر يندسون فيها، فكانت الريح تقلعهم، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدقُّ رقابهم، فَيَبين الرأس عن الجسد.

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ ﴾ أصولُ ﴿ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ منقلع، وشبهوا بالنخل؛ لطولهم،

وذكر منقعر حملاً على لفظ (نخل)، ولو حمل على المعنى، لأنث؛ كـ ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

* * *

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كرره للتهويل.

* * *

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدم تفسيره.

* * *

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ بالإنذار الذي جاءهم به صالح عليه السلام.

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (كَذَّبَت ثَّمُودُ) بإدغام التاء في الثاء، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالإظهار(١).

* * *

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا﴾ وانتصابه بفعل يفسره.

﴿نَّتَّبِعُهُ﴾ ونحن جماعة كثيرة، فكيف نتبعه وهو واحد منا، وليس بملك؟

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٥).

﴿ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ ﴾ خطأٍ ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ جنون إن اتبعناه.

* * *

﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ ﴾ الوحيُ ﴿ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ ونحن أحقُّ به منه. واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأُلْقِيَ) كاختلافهم فيهما من (أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) في سورة صٓ [الآية: ٨] ﴿ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ ﴾ في قوله، ﴿ أَشِرٌ ﴾ متكبر بَطِر.

* * *

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة: (سَتَعْلَمُونَ) بالخطاب على معنى: قل يا صالح لهم، وقرأ الباقون: بالغيب؛ أي: يقول الله: سيعلمون(١).

﴿ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ وقوله: (غداً) تقريب يريد به الزمان المستقبل، لا يوماً بعينه(٢).

* * *

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ﴾ مخرجوها، وذلك أنهم تعنتوا على صالح،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٣٦-٣٧).

(٢) من قوله: «لهم عقب. . .» (ص: ٤٥٢) إلى هنا سقط من «ش».

فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، فقال الله لهم: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾.

﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ اختباراً لهم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظر هلاكهم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم.

***

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة، فيومٌ لهم ويومٌ لها.

﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ يحضره من كان نوبته، هم أو الناقة.

***

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] فهموا بقتلها ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف.

﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ فتناول الناقة بسيفه ﴿فَعَقَرَ﴾ الناقة؛ أي: قتلها.

***

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

***

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ثم بين عذابهم فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي صيحة جبريل عليه السلام ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ هو الرجل يجعل لغنمه

حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم، فهو هشيم، وقيل: هو يبس الشجر إذا تحطم.

* * *

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴾.

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصى.

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يعني: لوطاً وابنتيه، والاستثناء منقطع.

﴿ نَّجَّيْنَٰهُم ﴾ من العذاب ﴿ بِسَحَرٍ ﴾ وهو السدس الآخر من الليل.

* * *

﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ نِّعْمَةً ﴾ أي: جعلناه نعمة عليهم ﴿ مِّنْ عِندِنَا ۚ ﴾ حيث أنجيناهم.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما أنعمنا على آل لوط ﴿ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾ أَنْعُمَنا، وهو مؤمن.

* * *

﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم ﴾ لوط ﴿ بَطْشَتَنَا ﴾ أخذتنا بالعذاب.

﴿ فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ شكُّوا في الإنذار.

* * *

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ ﴾ ليخبثوا بهم، فصدهم وأغلق بابه، فعالجوا فتحه، فقالت الملائكة: خَلِّ بيننا وبينهم، ففتحه، فصفقهم جبريل بجناحه.

﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ مسحناها، فصاروا عمياً لا يبصرون، فثَمَّ قالت الملائكة إخباراً عنه تعالى: ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ أي: وما أنذركم به لوط.

* * *

﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً ﴾ نصب على الظرف، وصرفت؛ لتنكيرها؛ أي: حل بهم وقتَ الصبح ﴿ عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ دائم متصل.

* * *

﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾.

* * *

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ كرر ذلك في كل قصة؛ لأن التخويف والوعظ متى كررا، كانا أوقع في القلوب، وأردع للنفوس.

* * *

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾ هما موسى وهارون. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ آلَ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

* * *

﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ كَذَّبُوا۟ ﴾ أي: كذب فرعون وقومه ﴿ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا ﴾ يعني: الآيات التسع، وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وحل عقدة من لسانه، وانفلاق البحر.

﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ ﴾ بالعذاب ﴿ أَخْذَ عَزِيزٍ ﴾ غالب في انتقامه ﴿ مُّقْتَدِرٍ ﴾ قادر على إهلاكهم.

* * *

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ يا قريش ﴿ خَيْرٌ ﴾ أشد وأعظم ﴿ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون؟! وهذا استفهام بمعنى الإنكار.

﴿أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ﴾ من العذاب ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.

* * *

﴿أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ٤٤﴾.

[٤٤] ﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ جهلاً منهم ﴿نَحۡنُ جَمِيعٞ﴾ أي: جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٞ﴾ أي: ممتنع لا نُضام، ووحد منتصر؛ لأنه وصف للفظ (جميع).

* * *

﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾.

[٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾[١] قرأ روح، وزيد عن يعقوب: (سَنَهْزِمُ) بالنون مفتوحة وكسر الزاي ونصب (الجمعَ) مفعولاً، وقرأ الباقون: بالياء[٢] ورفعها (الجمعُ) رفع على غير تسمية الفاعل، المعنى: ينصر تعالى رسوله، ويهزم جمع المشركين.

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، وإفراده لإرادة الجنس، فهزموا ببدر.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٠٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٧٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٧٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٠).

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ بالتعذيب ﴿ وَٱلسَّاعَةُ ﴾ أي : عذابها .

﴿ أَدْهَىٰ ﴾ أعظم داهية ﴿ وَأَمَرُّ ﴾ أشدُّ مرارة من الأسر والقتل يوم بدر .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ المشركين .

﴿ فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ في الدنيا ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ نيران في العقبى .

* * *

﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] وسعر مظروف ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ ويقال لهم :

﴿ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ أي : حر النار ؛ فإن مسها سبب للتألم بها ، وسقر : علم لجهنم ، ولذلك لم يصرف .

* * *

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

[٤٩] ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ ﴾ نصب لفعل يفسره ﴿ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ أي : بتقدير سابق .

* * *

﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

[٥٠] ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ ﴾ بشيء نريد تكوينه .

﴿ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾ أي: كلمة واحدة ﴿ كَلَمۡحِۭ ﴾ كنظر سريع ﴿ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ بالعين.

* * *

﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ ﴾ أشباهكم في الكفر ممن قبلكم[١].

﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ متعظ فيخاف.

* * *

﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ ﴾ مبتدأ، نعته ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ أي: العباد، مكتوب خبره.

﴿ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾ في كتب الحفظة.

* * *

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.

[٥٣] ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ ﴾ من الخلق وأعمالهم وآجالهم.

﴿ مُّسۡتَطَرٌ ﴾ مكتوب محفوظ.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ ﴾.

[٥٤] ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ ﴾ بساتين ﴿ وَنَهَرٖ ﴾ أي: أنهار، وتوحيده على أنه اسم الجنس، وهي أنهار الماء واللبن والعسل والخمر في الجنة.

---

(١) «ممن قبلكم» زيادة من «ت».

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥ ﴾.

[٥٥] ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾ مكان مرضي مُقرَّبين. قرأ أبو عمرو: (مَقْعَد صِّدْقٍ) بإدغام الدال في الصاد[١].

﴿ عِندَ مَلِيكٍ ﴾ عزيز الملك ﴿ مُّقْتَدِرٍ ﴾ قادر[٢] لا يعجزه شيء، وهذا إشارة إلى الرتبة والقربى، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦١)، و«لقراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٢).

(٢) «قادر» زيادة من «ت».

سُورَةُ الرَّحْمَن عَزَّ وَجَلَّ

مكية على الأصح، نزلت حين قالت قريش بمكة: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠]، وفي السيرة: أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش، فضربوه، وذلك قبل الهجرة[١]، وآيها: ثمان وسبعون آية[٢]، وحروفها: ألف وست مئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وإحدى وخمسون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ①﴾.

[١] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مبالغة الرحمة، وهو اسم لا يوصف به غيره سبحانه، وقال الجمهور: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ جزء آية، وهو مبتدأ.

* * *

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ②﴾.

[٢] خبره ﴿عَلَّمَ﴾ محمداً ﷺ ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ بواسطة جبريل عليه السلام،

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣١٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥١).

(٢) في «ت»: «سبعون وثمان آيات».

وقيل: مَنَّ به وعلَّمه الناسَ، وخص حفاظه وفهمته بالفضل، قال ﷺ: «خيركم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه»[1]. قرأ ابن كثير: (الْقُرَانَ) بالنقل، والباقون: بالهمز[2].

***

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾.

[٣] ومن الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أن الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعاً، ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً، كلها نصَّ[3] على خلقه، وقد اقترن ذكرهما في هذه السورة على هذا النحو ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو آدم عليه السلام.

***

﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ أسماء كل شيء، والبيان: هو إظهار المعنى وإيضاحه عما كان مستوراً قبله، وقيل: المراد بالإنسان: اسم الجنس، وبالبيان: النطق والفهم والإبانة عن ذلك، وذلك هو الذي ميز به من سائر الحيوان، وهذه الأفعال الثلاثة مع ضمائرها أخبار مترادفة للرحمن، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد؛ كما تقول: زيد أغناك

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٥).

(٣) في «ت»: «نصبٌ».

بعد فقر، أعزك بعد ذل، كثَّرك بعد قلة، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد، فما تنكر من إحسانه.

* * *

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ رفع بالابتداء، وهذا ابتداء تعديد نِعَم، المعنى: الشمس والقمر يجريان ﴿ بِحُسْبَانٍ ﴾ بحساب معلوم، ومنازل معدودة؛ ليعرف الإنسان بذلك الأوقات، والحسبان ـ بالضم ـ: مصدر حَسَبْتُ الحساب ـ بفتح السين ـ أحسُبه ـ بضمها ـ حَسْباً وحِساباً وحِسْبَة.

* * *

﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ وَٱلنَّجْمُ ﴾ ما ليس له ساق من النبات؛ كاليقطين، وقيل: المراد: نجوم السماء.

﴿ وَٱلشَّجَرُ ﴾ ماله ساق تبقى في الشتاء ﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ وسجودهما سجود ظلهما، وفي النجم بالغروب ونحوه، وثنى ضمير (يسجدان) نظراً إلى لفظهما، وسمي نجماً؛ لأنه نَجَمَ؛ أي: ظهر وطلع، وسمي الشجر؛ من اشتجار غصونه، وهو تداخلها.

* * *

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَٱلسَّمَآءَ ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿ رَفَعَهَا ﴾ سقفاً لمصالح العباد.

﴿ وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ أمر بالعدل.

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ لئلا تجاوزوا العدل.

* * *

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ ﴾ أي: وزنكم بالميزان المعروف ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ بالعدل.

﴿ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ لا تنقصوا الموزون، خسرت الشيء ـ بالفتح ـ، وأخسرته: نقصته.

* * *

﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَٱلْأَرْضَ ﴾ نصب بفعل يفسره.

﴿ وَضَعَهَا ﴾ بسطها ﴿ لِلْأَنَامِ ﴾ الخلق الذين بثهم فيها.

* * *

﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ ﴾ يعني: أنواع الفواكه ﴿ وَٱلنَّخْلُ ﴾ عطف على (فاكهةٌ).

﴿ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴾ أوعية ثمر النخل، وهو الطلع، جمع كِمّ، وكل ما ستر شيئاً، فهو كم، ومنه كُمُّ القميص.

* * *

﴿ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَٱلۡحَبُّ ﴾ هو البر والشعير ونحوهما ﴿ ذُو ٱلۡعَصۡفِ ﴾ التبن وورق النبات اليابس.

﴿ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴾ هو الرزق في قول ابن عباس والأكثرين، وقيل: هو المشموم. قرأ ابن عامر: (وَالْحَبَّ ذَا الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانَ) بنصب الثلاثة الأسماء عطفاً على (الأرض)؛ أي: وضع الأرض، وخلق الحب، وخلق الريحان، وكذا كتب (ذَا الْعَصْفِ) في المصحف الشامي بالألف، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (وَالْحَبُّ)[1] و(ذُو) بالرفع، (وَالرَّيْحَانِ) بخفض النون عطفاً على (الْعَصْفِ)، وقرأ الباقون: برفع الأسماء الثلاثة عطفاً على (النَّخْلُ)[2]؛ أي: والحب ذو العصف، وذو الريحان، فحذف (ذو)، وأقيم (الريحان) مقامه، و(ذُو الْعَصْفِ) في مصاحفهم بالواو، فذكر تعالى قوت الناس والأنعام.

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ثم خاطب الجن والإنس فقال: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ﴾ جمع أَلَى؛ كقفا؛ أي: بأي أنعم ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ روى الأصبهاني عن ورش: [(فَبِأَيِّ)

---

(١) «والحب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٦).

بالإبدال حيث وقع بالفاء، واختلف عنه فيما تجرد عن الفاء نحو][1] (بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) (بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ)، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمز[2]، وكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة؛ تقريراً للنعمة، وتذكيراً بها، وتوبيخاً لمنكريها، ومن عادة العرب إذا ذكروا النعم أن يفصلوا بين كل نعمتين بما ينبه عليهما؛ نحو: ألم تكن فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟ [ألم تكن جائعاً فأطعمتك، أفتنكر هذا][3]؟

* * *

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ۝١٤﴾.

[١٤] ويدل على أنه خطاب للثقلين قوله بعد: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ من طين يابس له صلصلة ﴿كَٱلْفَخَّـارِ﴾ كالطين المطبوخ، نعت لصلصال، المعنى: جعل آدم أولاً تراباً، ثم طيناً، ثم حمأً مسنوناً، ثم صلصالاً.

* * *

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾.

[١٥] ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ هو أبو الجن[4].

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٤) جاء على هامش «ت»: «الجان بنو الجن، عن الضحاك، أو هو مسيخ الجن كما=

﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهب النار الصافي الذي لا دخان فيه.

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما أفاض عليكما في أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات؟

* * *

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وتقدم الكلام عليهما، وعلى قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨] ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥] في أول سورة الصافات.

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى؛ كاعتدال الهواء، واختلاف الفصول، وحدوث ما يناسب كل فصل فيه.

= أن القردة والخنازير مسيخ الإنس، عن عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، أو بنو إبليس كما قاله الحسن وعطاء وقتادة ومقاتل رحمهم الله تعالى كذا في «شذور العقود» لابن الجوزي........ قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ الآية، وفي الأولين نظر.......».

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ مَرَجَ ﴾ أرسل ﴿ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ الملحَ والعذبَ متجاورين.

﴿ يَلْتَقِيَانِ ﴾ لا فصل بينهما في رأي العين.

* * *

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى.

﴿ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يختلطان، ولا يطغيان على الناس بالغرق.

[٢١] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُخْرَجُ) بضم الياء وفتح الراء مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الراء معلوماً(١)، وثنى الضمير، وإنما يخرجان من الملح؛ لأنهما لما التقيا، صارا كالشيء الواحد.

﴿ ٱللُّؤْلُؤُ ﴾ الدر. قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو: (اللُّوْلُؤُ) بإبدال الهمز الأول، وهو الساكن، فيسكنان الواو، والباقون: بالهمز(٢).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٠-٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٧-٤٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠-٣٩٤)، و«معجم =

﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الخرز الأحمر، قال ابن عباس: «إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهها، فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة»[(١)].

[٢٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن. قرأ يعقوب: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وقفاً، وحذفها الباقون في الحالين، وأمال الدوري عن الكسائي فتحة الواو ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ صفة الجواري. قرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم بخلاف عنه: بكسر الشين؛ أي: المحدِثاتُ السيرَ، وقرأ الباقون: بالفتح[(٢)]؛ أي: المرفوعات، وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ كالجبال، جمع عَلَم.

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها.

= القراءات القرآنية» (٧/ ٤٨).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٢). وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٦٩٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٦ـ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٤٩).

﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا ﴾ أي: الأرض[١] ﴿ فَانٖ ﴾ هالك. روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (فَانِي) و(آنِي) و(دَانِي).

* * *

﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ ﴾ أي: ذات ﴿ رَبِّكَ ﴾ ويعبر بالوجه عن الجملة.

﴿ ذُو ﴾ صفة (وَجْهُ)، ومعنى ذي ﴿ ٱلۡجَلَٰلِ ﴾ الذي يعظمه ويجله المؤمنون[٢] عن سمات المحدثات ﴿ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ الذي يكرم عبيده بالنعمة عليهم. قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (وَالإِكْرَامِ) بالإمالة حيث وقع[٣].

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما يبقى وهو وجه ربك.

* * *

﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ أي: الكلُّ محتاجون إليه ﴿ كُلَّ يَوۡمٍ ﴾

---

(١) «أي: الأرض» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الموحدون».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٠).

نصب على الظرف ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: كل حين ووقت يُحدِث أموراً ويُجدد أحوالاً.

***

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠﴾.

[٣٠] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مما يسعف به سؤالكما.

***

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢﴾.

[٣١] ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (سَيَفْرُغُ) بالياء؛ لقوله: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)، و(وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ)، و(وَلَهُ الْجَوَارِ)، فأتبع الخبر الخبر، وقرأ الباقون: بالنون[1] إخباراً منه تعالى عن نفسه، وهو وعيد من الله سبحانه للخلق بالمحاسبة، وليس المراد منه الفراغ عن شغل؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن.

﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الجن والإنس، سميا بذلك؛ لأنهما ثقلا الأرض أحياءً وأمواتاً، وكتب (أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ) في النور [الآية: ٣١] و(يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ) في الزخرف [الآية: ٤٩]، و(أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) هنا بغير ألف، وما سواها: (يَا أَيُّهَا)، و(يَا أَيَّتُهَا) بالألف. قرأ ابن عامر (أَيُّهُ) بضم الهاء على الإتباع لضمة الياء قبلها، وقرأ الباقون: بفتحها، ووقف أبو عمرو، والكسائي، ويعقوب

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٠-٥١).

(أَيُّهَا) بالألف على الأصل خلافاً للرسم، ووقف عليها الباقون بالحذف إتباعاً للرسم(١).

[٣٢] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ تخرُجوا ﴿مِنۡ أَقۡطَارِ﴾ أي: جوانب ﴿أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هاربين من قضائه تعالى ﴿فَٱنفُذُواْۚ﴾ فاخرجوا ﴿لَا تَنفُذُونَ﴾ لا تقدرون على الخروج(٢) ﴿إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ بقوة وقهر، وأنى لكم ذلك؟!

* * *

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قدم هنا الجن على الإنس، وقال في سورة الإسراء ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ [الآية: ٨٨]، والتقديم يقتضي الأفضلية، ولكن الجن خلق قبل الأنس، ففي هذه السورة ترتيب الخلقة، لا ترتيب الفضيلة، وفي سورة الإسراء عكسه، وكذا قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٦١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥١ـ٥٢).

(٢) في «ت»: «النفوذ».

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وأولو العلم أفضل من الملائكة، ولكن قدمهم لتقدم الخلقة.

* * *

﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٥] ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ﴾ لهب بلا دخان. قرأ ابن كثير: بكسر الشين، والباقون: بضمها[(١)]، وهما لغتان، وجمع الضمير في (اسْتَطَعْتُمْ) نظراً إلى معنى (الثَّقَلَيْنِ)، وثناه في (عَلَيْكُمَا) نظراً إلى اللفظ ﴿مِّن نَّارٖ﴾ صفة شواظ ﴿وَنُحَاسٞ﴾ هو الدخان. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بخفض السين عطفاً على النار، والباقون: بالرفع عطفاً على الشواظ[(٢)]، المعنى: إذا خرجتم من قبوركم، يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقانكما إلى المحشر ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ لا تمتنعان من ولوج النار.

[٣٦] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ انفرجت فصارت أبواباً لنزول الملائكة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٢-٥٣).

(٢) المصادر السابقة.

﴿ فَكَانَتْ وَرْدَةً ﴾ أي: حمراء؛ من الورد المعروف ﴿ كَالدِّهَانِ ﴾ الأديم الأحمر، وألوانه تختلف، قال قتادة: إنها اليوم خضراء، ويكون لها يومئذ لون آخر إلى الحمرة.

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨ ﴾.

[٣٨] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مما يكون بعد ذلك.

* * *

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم تنشق السماء ﴿ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ لأنهم يعرفون، فالمؤمن يعرف بغرته وتحجيله، والكفار بسيماهم على ما يأتي بعد.

وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢] قال: «لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم: لمَ عملتم كذا وكذا؟»، وعنه أيضاً: «لا يُسألون سؤال شفاء وراحة، وإنما يُسألون سؤالَ تقريع وتوبيخ»(١).

* * *

---

(١) نظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٠)، وعنده: «لا يسألون سؤال شفقة ورحمة».

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ بما أنعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم .

* * *

﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ ﴾ بسواد الوجه وزرقة العيون ﴿ فَيُؤْخَذُ ﴾ المجرمُ ﴿ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ أي : يجمع بين ناصيته وقدميه من وراء ظهره، ثم يلقى في جهنم .

[٤٢] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ثم يقال لهم : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ المشركون .

* * *

﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا ﴾ بين النار يحترقون بها .

﴿ وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ ماءٍ حار بلغ النهاية في الحرارة يُصب عليهم .

* * *

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فكل ما ذكر الله ـ عز وجل ـ من قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ فإنه مواعظ وتخويف، وكل ذلك نعمة منه تعالى؛ لأنه يزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٦] ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه، فقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: مقامه بين يدي ربه للحساب[١] ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ جنة عدن، وجنة النعيم.

[٤٧] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٨] ثم وصف الجنتين فقال: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ أغصان، جمع فنن، وهو الغصن المستقيم طولاً.

[٤٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ في الأعالي والأسافل بالماء الزلال، إحداهما السلسبيل، والأخرى التسنيم.

---

(١) «أي: مقامه بين يدي ربه للحساب» زيادة من «ت».

[٥١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ صنفان: رطب، ويابس، ونحوهما. قرأ يعقوب: (فِيهُمَا) بضم الهاء، والباقون: بكسرها[١].

[٥٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ﴾ جمع فراش ﴿بَطَآئِنُهَا﴾ جمع بطانة، وهي التي تلي الظِّهارة.

﴿مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ وهو ما غَلُظ من الديباج، وظهائرها من سندس، وهو ما رَقَّ منه، وقيل: إن الإستبرق فارسي معرب. قرأ ورش عن نافع، ورويس عن يعقوب: (مِنِ اسْتَبْرَقٍ) بحذف الألف وكسر النون لإلقاء حركة الهمزة عليها، والباقون: بإسكان النون وكسر الألف وقطعها[٢].

﴿وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ﴾ أي: ما يجتنى منهما، وهو الثمر.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٤٠٨ـ٤٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٦).

﴿ دَانٍ﴾ قريب المتناوَل للقائم والقاعد والنائم.

[٥٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

[٥٦] ﴿ فِيهِنَّ﴾ أي: فيهما وفي غيرهما من الجنان ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ خافضات[١] الأعين من النظر إلى غير أزواجهن، ولا يردن غيرهم.

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ ﴾ يمسسهن، والطمث: الجماع بالتدمية، ومنه قيل للحائض: طامث؛ كأنه قال: لم يُدْمِهن بالجماع.

﴿ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ قرأ الكسائي بخلاف عنه: (يَطْمُثْهُنَّ) بضم الميم في هذا الحرف والحرف الثاني، وروي عنه التخيير في أحدهما، بمعنى أنه إذا ضم الأول كسر الثاني، وإذا كسر الأول ضم الثاني، والوجهان ثابتان عنه من التخيير وغيره، وقرأ الباقون: بالكسر[٢]، وفي هذا دليل على أن الجن يغشى كالإنسي.

[٥٧] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

* * *

---

(١) في «ت»: «غاضات».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٦-٥٧).

﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٩ ﴾ .

[٥٨] ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ في حمرة الوجنة وبياض الوجه وصفائهما.

عن رسول الله ﷺ: «لكلِّ رجلٍ منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها»[١].

وروي: أن المرأة تلبس سبعين حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء[٢][٣].

[٥٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

* * *

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦١ ﴾ .

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٢)، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: (٦٠)، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. واللفظ الذي ساقه المؤلف هو للبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٧٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٦٤)، عن ابن مسعود موقوفاً.
ورواه البزار في «مسنده» (١٨٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٢١)، وفي «المعجم الأوسط» (٩١٥)، عن ابن مسعود مرفوعاً. وانظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ٤١١) و(١٠/ ٤١٨).

(٣) في «ش»: «لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة، فيرى ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، ويرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها. كما روي أن المرأة تلبس سبعين حلة». وما أثبت من «ت»، وهو الموافق لمراجع التخريج.

[٦٠] ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بالتوحيد[1] ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ بالجنة.

[٦١] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

***

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾.

[٦٢] ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: من دون الجنتين الأوليين؛ أي: أمامهما.

﴿جَنَّتَانِ﴾ أخريان فالأوليان جنتا السابقين، والأخريان[2] جنتا أصحاب اليمين.

[٦٣] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

***

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾.

[٦٤] ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قد علا لونهما في دهمة وسواد من شدة الخضرة والري، نعت (جَنَّتَانِ).

[٦٥] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

***

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

***

---

(١) «بالتوحيد» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «الأولتان» و«الأخرتان».

﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ ﴾.

[٦٨] ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ ﴾ وعطف على (فاكهة) ﴿ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ وإن كانا منها؛ تخصيصاً وبياناً لفضلهما، فكأنهما قد صارا جنسين آخرين نحو ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء، وثمرة الرمان فاكهة ودواء، واحتج به أبو حنيفة على أن من حلف لا يأكل فاكهة، فأكل رطباً أو رماناً، لم يحنث؛ لأنه لا يجعلهما من الفاكهة، وكذا الحكم عنده في العنب، وهذا من مفردات مذهبه؛ خلافاً لصاحبيه والأئمة الثلاثة.

[٦٩] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ ﴾.

[٧٠] ﴿ فِيهِنَّ ﴾ يعني: الجنان الأربع ﴿ خَيۡرَٰتٌ ﴾ أي: خَيِّرات ـ بالتشديد ـ، فخفف؛ لأن خَيْراً الذي بمعنى أَخْيَرَ لا يجمع، فلا يقال فيه: خيرون، ولا خيرات.

﴿ حِسَانٌ ﴾ المعنى: فاضلات حسنات خَلْقاً وخُلُقاً.

[٧١] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ ۝٧٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٣ ﴾.

[٧٢] ﴿ حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ ﴾ مخدَّرات مستورات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

﴿ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ جمع خيمة، وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «هي دُرٌّ مجوف»[1]، ورواه ابن مسعود عن النبي ﷺ.

[٧٣] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ ﴾ أي: قبل أصحاب الجنتين.

﴿ وَلَا جَآنٌّ ﴾ كحور الأولين، وتقدم تفسيره، ومذهب الكسائي فيه.

[٧٥] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

* * *

﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ ﴾.

[٧٦] ﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ نصب على الاختصاص أو الحال ﴿ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ هو ما تدلَّى من الأسرة من عالي الثياب والبسط، وقيل: هي رياض الجنة، قال ابن عطية[2]: والأول أصوب وأبين[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٢٨).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٦).

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ هي بسط حسان فيها صور وغير ذلك، منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنه بلد الجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب، وقيل: العبقري: هي الزرابي، واحدتها عبقرية، والطنافس الثخان، والعرب إذا استحسنت شيئاً واستجادته، قالت: عبقري، قال ابن عطية[1]: ومنه قول النبي ﷺ: «فلم أرَ عَبْقَرِياً من الناس يَفْري فَرْيَهُ»[2].

[٧٧] ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

***

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته، فما ظنك بذاته.

﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾. قرأ ابن عامر: (ذُو الْجَلاَلِ) بواو بعد الذال كالحرف الأول نعتاً للاسم، وكذلك هو في المصاحف الشامية، وقرأ الباقون: (ذِي الْجَلاَلِ) بياء بعد الذال نعتاً للربّ، وكذلك هو في مصاحفهم[3]، وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه، قال ﷺ: «أَلِظُّوا

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٤)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم (٢٣٩٣)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٩).

بِيا ذا الجلالِ والإكرامِ»[1]، والدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الإجابة، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، كتاب: الدعوات، باب: (٩٢)، وقال: حديث غريب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٧١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٦)، وغيرهم من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

مكية بإجماع من يعتد به من المفسرين، وقيل: فيها بعض آيات مدنية، وليس بثابت، وآيها: ست وتسعون آية، وحروفها: ألف وسبع مئة وثلاثة أحرف، وكلمها ثلاث مئة وثمان وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١)﴾.

[١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة، وسماها واقعة؛ لتحقق وقوعها، وتنصب (إذا) بمضمر مثل (اذكرْ)، وقال بعض المفسرين: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع عند القيامة(١).

***

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)﴾.

[٢] ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ لمجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ كذب؛ يعني: أنها تقع صدقاً.

***

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٠٢)، و«روح المعاني» للآلوسي (٢٧/ ١٢٩)، قال ابن عطية: وهذا ضعيف. وقال الألوسي: وليس بشيء.

﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ خَافِضَةٌ ﴾ قوماً إلى النار ﴿ رَّافِعَةٌ ﴾ آخرين إلى الجنة .

* * *

﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ ﴾ .

[٤] وتبدل من ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ﴾ ﴿ إِذَا رُجَّتِ ﴾ حُرِّكت ﴿ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴾ تحريكاً شديداً .

* * *

﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ وَبُسَّتِ ﴾ فُتِّتَتْ ﴿ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ فصارت كالدقيق المبسوس ، وهو المبلول .

* * *

﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً ﴾ أي[١] : غباراً ﴿ مُّنۢبَثًّا ﴾ متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس .

* * *

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ﴿ ثَلَٰثَةً ﴾ .

* * *

---

(١) «أي» ساقطة من «ت» .

﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ ﴾ .

[٨] ثم فسر الأزواج فقال: ﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ الذين يؤتَون كتبَهم بأيمانهم، ثم عَجَّب نبيه ﷺ فقال:

﴿ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴾ كأنه قال: ما هم، وأي شيء هم؟! وقوله (فأصحابُ الميمنةِ) ابتداء، و(ما) ابتداء ثان، وأصحاب الميمنة خبر (ما)، والجملة خبر الابتداء الأول، في الكلام معنى التعظيم؛ كما تقول: زيد و[١] ما زيد؟!

* * *

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩ ﴾ .

[٩] ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ الذين يؤتَونها بشمالهم.

﴿ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾ وهم الذين يؤخذ بهم ذاتَ الشمال إلى النار، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشؤم[٢] ، ومنه سمي الشام واليمن؛ لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها.

* * *

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ إلى الإيمان من كل أمة هم ﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ إلى الجنة.

* * *

---

(١) «و» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «الشومىٰ».

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ إلى الله.

* * *

﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ قد أُعليت مراتبُهم.

* * *

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ ثُلَّةٌ ﴾ جماعة كثيرة غير محصورة العدد ﴿ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: من الأمم الماضية من لدن آدم ـ عليه السلام ـ إلى زمان نبينا محمد ﷺ، واشتقاقها من الثَّلِّ، وهو القطع.

* * *

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، ولا يخالف ذلك قوله ـ عليه السلام ـ: «إنَّ أمتي يكثرون سائرَ الأُمم»[١]؛ لجواز أن يكون سابقو سائر الأمم أكثرُ من سابقي هذه الأمة، وتابعو هذه أكثر من تابعيهم، ولا يرده قوله في أصحاب اليمين: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ لأن كثرة الفريقين لا ينافي أكثرية أحدهما، وروي مرفوعاً أنهما من هذه الأمة، وقيل: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يعني: الأنبياء من آدم إلى محمد، ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ يعني: الصحابة؛ لأن الأولين هم الأنبياء السابقون، وهم مئة

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٢): لم أقف عليه.

ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فالصحابة بالنسبة إليهم قليل، وهذا قول حسن صحيح للمناظرة، المعنى: جماعة من المتقدمين والمتأخرين.

* * *

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴾ منسوجة بالذهب مشتبكة بالدرِّ والياقوت.

* * *

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ حالان من الضمير في (عَلَى). قرأ أبو جعفر: (مُتَّكِينَ) بإسكان الياء بغير همز، والباقون: بالهمز[1].

* * *

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ للخدمة ﴿ وِلْدَٰنٌ ﴾ غلمان ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ مبقَون معهم.

* * *

﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ بِأَكْوَابٍ ﴾ الكوب: إناء لا عروة ولا خرطوم له ﴿ وَأَبَارِيقَ ﴾ هي آنية لها ذلك ﴿ وَكَأْسٍ ﴾ يشربونها من خمر جارية ﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ منبع لا ينقطع أبداً.

* * *

﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ ﴾ لا يفرَّقون ﴿ عَنْهَا ﴾ بسكر ولا غيره كخمر الدنيا.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٥٦).

﴿ وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ **قرأ** الكوفيون: بكسر الزاي؛ أي: لا يَنْفَد شربهم[1]، **وقرأ** الباقون: بالفتح[2]؛ أي: لا تغلبهم على عقولهم.

* * *

﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ أي: يختارون.

* * *

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ يتمنون، قال ابن عباس: «يخطر على قلبه لحمُ الطير، فيصير بين يديه على ما اشتهى[3]»[4].

* * *

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وأبو جعفر: بخفض الاسمين عطفاً على (جَنَّاتِ النَّعِيمِ)؛ أي: هم في جنات النعيم، ومحادثةِ حور عين، **وقرأهما** الباقون: بالرفع[5]؛ أي: وعندهم حورٌ عين وتفسير حور عين[6] أي: بِيضٌ ضِخامُ العيون.

---

(١) في «ت»: «شرابهم».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٤-٦٥).

(٣) في «ت»: «أشهى».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٤).

(٥) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٥).

(٦) «وتفسير حور عين» ساقط من «ت».

﴿ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ المخزونُ في الصدف، وخص المكنون من اللؤلؤ؛ لأنه أصفى لوناً، وأبعدُ عن الغير. وتقدم مذهب أبي جعفر، وأبي عمرو في إبدال همزة (اللُّؤلُؤ) في سورة الرحمن [الآية: ٢٢].

* * *

﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: إن هذه الرتب والنعم هي لهم بحسب أعمالهم؛ لأنه روي أن المنازل والقسم في الجنة هي منقسمة على قدر الأعمال، ونفس دخول الجنة هو برحمة الله وفضله، لا بعمل عامل.

* * *

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ باطلاً ﴿ وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ إثماً؛ أي: ما يُحدث الإثم.

* * *

﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ إِلَّا قِيلًا ﴾ استثناء منقطع؛ أي: قولاً، وتبدل من (قِيلاً).

﴿ سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾ أي: يفشون السلام بينهم، ويسلمون سلاماً بعد سلام، فلا يسمع إلا السلام.

* * *

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ هم المسلمون .

* * *

﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿فِي سِدۡرٖ﴾ هو شجر النبق ﴿مَّخۡضُودٖ﴾ لا شوكَ فيه .

* * *

﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿وَطَلۡحٖ﴾ هو الموز في قول أكثر المفسرين ﴿مَّنضُودٖ﴾ متراكم بالثمرة من أسفله إلى أعلاه .

* * *

﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠﴾ .

[٣٠] ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ أي دائم .

* * *

﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١﴾ .

[٣١] ﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ﴾ يجري على الأرض أين شاؤوا بلا تعب .

* * *

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢﴾ .

[٣٢] ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾ كثيرة الأجناس .

* * *

﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ ﴾ في زمن ﴿ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ عنهم.

* * *

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ على الأسرة، في الحديث: «ارتفاعُها كما بينَ السماء والأرض»[١].

* * *

﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ ﴾ ابتدأنا خلقهن، في الحديث: «هم اللواتي قُبضن في دار الدينا عجائزَ شُمْطاً رُمْصاً»[٢] ﴿ إِنشَآءً ﴾ خلقاً جديداً.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رِشدين بن سعد.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن تفسير سورة الواقعة، من حديث أنس، بلفظ: «إن من المنشآت التي كن في الدنيا عجائز عمشاً رمصاً»، قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ ﴾ بعد أن كنَّ عجائزَ ﴿أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن، وجدوهن أبكاراً، ولا وجع ثَمَّ.

***

﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ عُرُبًا ﴾ قرأ حمزة، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بإسكان الراء تخفيفاً، والباقون: بضمها على الأصل(١)، وهي جمع عَروب؛ أي: عواشق متحببات لأزواجهن ﴿ أَتْرَابًا ﴾ جمع تِرْب؛ أي: مستويات في السن، بنات ثلاث وثلاثين، وسن أزواجهن كذلك.

قال ﷺ: «يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْداً مُرْداً بِيضاً جِعاداً مُكَحَّلين، أبناءَ ثلاث وثلاثين، على طول آدم، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع»(٢).

وروي أن الرجل يرى وجهه في وجه زوجته؛ لصفائه.

وقيل: الضمير عائد على الحور العين المذكورات قبل، قال ابن عطية: وهذا فيه بعد؛ لأن تلك قصة قد انقضت جملة(٣).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٢٥٤٥)، كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سن أهل الجنة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ نحوه.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٤).

﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٨ ﴾ .

[٣٨] ﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ هم المسلمون، واللام صلة (أَنْشَأْنَاهُنَّ).

* * *

﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ ﴾ .

[٣٩] ﴿ ثُلَّةٞ ﴾ جماعة ﴿ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ .

* * *

﴿ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٤٠ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ وهاتان الفرقتان في أمة محمد ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «الثلتان من أمتي»[١]، فعلى هذا: التابعون بإحسان، ومن جرى مجراهم ثلة أولى، وسائر الأمة ثلة أخرى في آخر الزمان، وقيل: الأولون سالف الأمم منهم جماعة عظيمة أصحاب يمين، والآخرون هذه الأمة منهم جماعة عظيمة أهل يمين، قال ابن عطية: بل جميعهم إلا من كان من السابقين[٢].

* * *

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ ﴾ .

[٤١] ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ هم الكفار.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٩١) وقال: من وجه غير صحيح.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٥).

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ ماء في غاية الحر .

* * *

﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ دخان أسود .

* * *

﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ لَّا بَارِدٍ ﴾ كغيره من الظلال ﴿ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ حسن .

* * *

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ منعَّمين .

* * *

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ يقيمون .

﴿ عَلَى الْحِنثِ ﴾ الذنب ﴿ الْعَظِيمِ ﴾ بجعل الشريك لله تعالى .

* * *

﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ محشورون ،

قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب. واختلف القراء في (أَئِذَا) (أَئِنَّا)، فقرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، ويعقوب: بالاستفهام في الأول، والإخبار في الثاني، وقرأ الباقون: بالاستفهام فيهما، وهم على أصولهم في التحقيق والتسهيل، وإدخال الألف كما تقدم في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ واختلفوا في كسر الميم وضمها من (متنا)، فقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بالكسر، والباقون: بالضم[1].

***

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

[٤٨] ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الأقدمون، وتقدم تفسيره، ومذاهب القراء فيه، وتوجيه قراءتهم في سورة الصافات.

***

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ثم أمر الله نبيه أن يُعْلِمهم بأن العالم محشور مبعوث إلى يوم القيامة، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ﴾.

***

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ وقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ هو يوم القيامة.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٨).

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

[٥١] ثم خاطب أهل مكة بقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴾ بالبعث .

* * *

﴿ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

[٥٢] ﴿ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ (مِنْ) الأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الجنس، وتقدم ذكر شجرة الزقوم في سورة الصافات .

* * *

﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

[٥٣] ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ﴾ من جماعة الشجر، و(مِنْ) للتبعيض ﴿ ٱلْبُطُونَ ﴾ من شدة الجوع. قرأ أبو جعفر : (فَمَالُونَ) بضم اللام بغير همز، والباقون : بكسر اللام والهمز .

* * *

﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

[٥٤] ﴿ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾ على الزقوم؛ لغلبة العطش ﴿ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾ الماء الحار .

* * *

﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

[٥٥] ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وعاصم، وحمزة :

(شُرْبَ) بضم الشين اسم للمشروب، والباقون: بالفتح على المصدر[1]، و(الهيم): إبل يصيبها داء يقال له الهيام، تشرب الماء فلا تروى، ولا تزال تشرب حتى تهلك.

* * *

﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

[٥٦] ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ ﴾ رزقهم المعَدُّ لهم ﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ يوم الجزاء بأعمالهم.

* * *

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.

[٥٧] ثم احتج عليهم في البعث بقوله: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا ﴾ فهلاَّ[2] ﴿ تُصَدِّقُونَ ﴾ بالبعث؛ لأنكم إذا نظرتم النظر الصحيح، علمتم أن القادر على الإنشاء قادرٌ على الإعادة.

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

[٥٨] ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ تَصُبُّون في أرحام النساء من المني الذي يكون منه الولد.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٦٩).

(٢) «فهلا» زيادة من «ت».

﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ .

[٥٩] ﴿ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ﴾ تجعلون المني بشراً ﴿أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَنْتُمْ) في الأحرف الأربعة كاختلافهم فيهما من (أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا) في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢].

* * *

﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٦٠﴾ .

[٦٠] ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الدال، والباقون: بتشديدها(١)، وهما لغتان؛ أي: قضينا.

﴿بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ وأقّتنا موتَ كلٍّ بوقت معين ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ بعاجزين.

* * *

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦١﴾ .

[٦١] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ أي: نجعل ﴿أَمۡثَٰلَكُمۡ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمۡ﴾ نخلقكم.

﴿فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من أوصاف لا يصلُها علمُكم، ولا يحيط بها فكركم، قال الحسن: من كونهم قردة وخنازير، تأول هذا؛ لأن الآية تنحو إلى الوعيد(٢).

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧١).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٤٨).

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

[٦٢] ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الخلق في الرحم. وتقدم اختلاف القراء في (النَّشْأَة) في سورة العنكبوت [الآية: ٢٠].

﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ تعتبرون فتؤمنون. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (تَذْكُرُون) بتخفيف الذال، والباقون: بتشديدها[١].

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

[٦٣] ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ تثيرون من الأرض، وتلقون فيها من البذر.

* * *

﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

[٦٤] ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ ﴾ تنبتونه ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ المنبتون.

* * *

﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

[٦٥] ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ فُتاتاً ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ تعجبون. قرأ البزي عن ابن كثير بخلاف عنه: (فَظَلْتُمُ تَّفَكَّهُونَ) بتشديد التاء.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧١).

﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[٦٦] ﴿ إِنَّا ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: (أَئِنَّا) بهمزتين محققتين، إحداهما استفهام إنكار للعذاب الواقع بهم، وقرأ الباقون: بهمزة واحدة إخبار بمعنى الإنكار والجحود أيضاً، والقول مضمر على القراءتين؛ أي: يقولون: إنا[١].

﴿ لَمُغْرَمُونَ ﴾ معذَّبون، والغرام: العذاب.

* * *

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

[٦٧] ﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ قوم ﴿ مَحْرُومُونَ ﴾ ممنوعون من الرزق.

* * *

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

[٦٨] ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ﴾ العذبَ ﴿ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴾ أي: تشربونه.

* * *

﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾.

[٦٩] ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ ﴾ السحاب ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ بقدرتنا.

* * *

﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

[٧٠] ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾ شديد الملوحة، وتثبت اللام جواباً[٢] لـ(لو)

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٢).

(٢) في «ت»: «وجوباً».

في (لَجَعْلنَاهُ حُطَاماً)، وحذفت في هذا الحرف اختصاراً؛ لدلالة الموجودة عليها.

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمَ.

* * *

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ تقدحونها من زندكم.

* * *

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾.

[٧٢] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي يُقدح منها النار، وهي المرخ والعفار، وتقدم ذكرهما في آخر سورة (يس) ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ الشجرةَ. قرأ أبو جعفر: (الْمُنْشُونَ) بإسكان الواو بغير همز، والباقون: بالهمز[١].

* * *

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

[٧٣] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ أي: النارَ ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم.

﴿وَمَتَٰعًا﴾ منفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: المسافرين الذين ينزلون القواء، وهي القفر.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٢).

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾.

[٧٤] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ الباء زائدة؛ أي: نَزِّه ربك.

﴿ الْعَظِيمِ ﴾ والعظيم صفة للاسم، أو الرب.

***

﴿ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾.

[٧٥] ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ معناه: أقسم، و(لا) زائدة، وقيل: قوله: (فلا) رد لما قاله الكفار في القرآن أنه سحر وشعر وكهانة، معناه: ليس الأمر كما يقولون، ثم استأنف القسم فقال: أقسم

﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ **قرأ** السوسي عن أبي عمرو: (أُقْسِمْ) بإسكان الميم عند الباء حيث وقع، وتقدم الكلام عليه في الكهف، **وقرأ** حمزة والكسائي[1] وخلف: (بِمَوْقِعِ النُّجُومِ) بإسكان الواو من غير ألف على التوحيد، والباقون: بفتح الواو وألف بعدها على الجمع[2]، والمراد: نجوم القرآن حين نزلت فإنه كان ينزل على رسول الله ﷺ متفرقاً نجوماً، وهذا قول ابن عباس، وقال جماعة: المراد: مغارب النجوم ومساقطها.

***

﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾.

[٧٦] ثم اعترض بين القسم وجوابه بموصوف وصفته، وهو:

---

(١) «الكسائي» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٣).

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ ثم اعترض بين الموصوف وصفته بقوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ لأن صفته ﴿عَظِيمٌ﴾.

* * *

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

[٧٧] وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ على الله؛ لكثرة ما فيه من التنزيه والمواعظ والأحكام.

* * *

﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾.

[٧٨] ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ صفة قرآن ﴿مَّكْنُونٍ﴾ مَصون، وهو اللوح المحفوظ.

* * *

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

[٧٩] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ أي: ذلك الكتابَ المكنونَ ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم الملائكة عليهم السلام الموصوفون بالطهارة، وقيل: قوله: ﴿لا يمسه﴾ إخبار مضمنه النهي، وضمة السين تعود إلى القرآن؛ أي: لا يمس المصحف من بني آدم إلا الطاهرُ من الكفر والجنابة والحدث الأصغر، وضعَّفَ ابن عطية هذا القول[١].

وأما حكم مسِّ المصحف بعلاقة[٢]، فقال أبو حنيفة: يجوز للجنب والمحدث والحائض حمل المصحف بعلاقة[٣]، ولا بأس أن يمسه

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٥٢).

(٢) «بعلاقة» ساقطة من «ت».

(٣) «بعلاقة» زيادة من «ت».

بكمه، وقال مالك: لا يجوز لمحدث حدث الوضوء فما فوقه أن يمس المصحف، ولا يحمله بعلاقته، ولا على وسادة، ولا بأس بحمله[1] في خرجه وعدله، ولا بأس بحمل الصبيان المصاحف على غير طهارة، ولا تمسه حائض، وقال الشافعي: يحرم بالحدث والجنابة حمل المصحف، ومسُّ ورقه، وكذا جلده، وخريطة وصندوق فيهما مصحف، وما كتب لدرس قرآن؛ كلوح، والصبي المحدث لا يمنع، ويباح قلب ورقه بعود، وحمله في أمتعة، ويحرم بالحيض ما يحرم بالجنابة، وقال أحمد: يحرم على المحدث والجنب مس المصحف وبعضِه من غير حائل، حتى جلده وحواشيه[2]، وهو أشبه؛ لشمول اسم المصحف له، وله حمله بعلاقته، وفي غلافه، وفي كمه، وتصفحه به، وبعود، ومسه من وراء حائل، ويباح لصغير مس لوح فيه قرآن، وحكمه في المصحف كالرجل، ولا تمسسه حائض مطلقاً.

وأما قراءة القرآن للجنب والحائض، فقال أبو حنيفة: لا يجوز للجنب قراءة القرآن، ولا بأس أن يقرأ شيئاً منه ولا يريد به القرآن؛ كالبسملة، والحمدلة، والحائض كالجنب، وقال مالك: لا يجوز للجنب أن يقرأ الكثير من القرآن، ولا بأس بقراءة اليسير؛ كالآية والآيتين ونحوهما، وعنه في قراءة الحائض روايتان: المشهور جواز القراءة لها، وقال الشافعي: يحرم على الجنب والحائض قراءة القرآن، ويحل أذكاره بغير قصد قرآن، وقال أحمد: يجوز للجنب قراءة بعض آية، ولو كرر، ما لم يتحيل[3]

---

(١) «بحمله» زيادة من «ت».

(٢) «وحواشيه» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «يحتمل».

على قراءة محرم عليه، وله قولٌ ذكر وما وافق قرآناً ولم يقصده، ويحرم على الحائض مطلقاً.

***

﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

[٨٠] ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: القرآن منزَّلٌ.

﴿ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ سمي المنزل تنزيلاً على اتساع اللغة؛ كما يقال للمقدور: قَدَر، وللمخلوق: خَلْق، على قول من يجيزه، وتقدم الكلام في ذلك في سورة الزمر.

***

﴿ أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

[٨١] ﴿ أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي: القرآن.

﴿ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ متهاونون مكذبون، وأصله الجري في الباطل خداعاً.

***

﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

[٨٢] ونزل لما قيل: مطرنا بنوء كذا: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ شكركم.

﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ أي: تجعلون شكر رزقكم التكذيبَ.

قال ﷺ: «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزل الله الغيث، فيقولون: بكوكب كذا وكذا»[١]، فالسنة أن يقول: مُطرنا بفضل الله وبرحمته.

---

(١) رواه مسلم (٧٢)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ ﴾ .

[٨٣] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلاَّ ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ﴾ الروحُ ﴿ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ الحلقَ .

* * *

﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ ﴾ .

[٨٤] ﴿ وَأَنتُمْ ﴾ يا حاضري الميت ﴿ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ إليه ولا تنفعونه .

* * *

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ ﴾ .

[٨٥] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ علماً وقدرة منكم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ الملائكة .

* * *

﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ ﴾ .

[٨٦] ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ كررت للتأكيد ﴿ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ مملوكين أذلاء .

* * *

﴿ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧ ﴾ .

[٨٧] ﴿ تَرْجِعُونَهَآ ﴾ أي : تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم .

﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فيما تدعون من عدم القدرة عليكم، فأجاب عن قوله : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ وعن قوله : ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ بجواب واحد، ومثلُه قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٨] أجيبا بجواب واحد.

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

[٨٨] ثم بين طبقات الخلق عند الموت، وبين درجاتهم، فقال: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ ﴾ الميتُ ﴿ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ إلى رحمة الله تعالى.

***

﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

[٨٩] وجواب (أَمّا): ﴿ فَرَوۡحٞ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: (فَرُوحٌ) بضم الراء؛ أي: فله حياة طيبة لا موت فيها، وقرأ الباقون: بالفتح[1]؛ أي: فله راحة من كل تعب.

﴿ وَرَيۡحَانٞ ﴾ رزق طيب ﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾ ذات تنعم، وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَجَنَّهْ) بالهاء.

***

﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

[٩٠] ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ ﴾ الميتُ [﴿ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ .

***

﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ .

[٩١] ﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴾ أي: سلامة لك من الاغتمام لهم، فلا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب][2].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ٧٤-٧٥).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢﴾.

[٩٢] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميت ﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم الكفار أصحاب الشمال والمشأمة.

* * *

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣﴾.

[٩٣] ﴿فَنُزُلٌ﴾ هو أول شيء يُقدم للضيف ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

* * *

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾.

[٩٤] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ قرأ أبو عمرو: (وَتَصْلِيَة جَّحِيمٍ) بإدغام التاء في الجيم[١]، والتصلية: أن يباشر بهم النار، والجحيم: معظم النار وحيث تراكمها.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾.

[٩٥] ولما كمل تقسيم أحوالهم، وانقضى الخبر بذلك، أكد تعالى الأخبار بأن قال لنبيه ﷺ مخاطبة تدخل معه أمته فيها:

﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ الذي أخبرنا به ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ عبارة فيها مبالغة؛ لأنها بمعنى واحد؛ كما تقول في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين، أو صواب

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٥).

الصواب؛ بمعنى: أنه نهاية الصواب، فهي عبارة مبالغة وتأكيد، معناها: أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته.

* * *

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

[٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ هذه عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار، وسائر أمور الدنيا المختصة بها، وبالإقبال على أمور الآخرة، وعبادة الله والدعاء إليه.

وروي أنه لما نزل ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزل ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم»(١)، وكان ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى»(٢).

واختلف الأئمة في ذلك، فقال أحمد: هو واجب تبطل الصلاة بتركه عمداً، ويسجد لتركه سهواً، والواجب عنده مرة واحدة، وأدنى الكمال ثلاث، وقال أبو حنيفة والشافعي: هو سنة، وقال مالك: يكره لزوم ذلك؛

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وابن ماجه (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب التسبيح في الركوع والسجود، من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٨٧١)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، والترمذي (٢٦٢)، كتاب: الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، والنسائي (١٠٠٨)، كتاب: الافتتاح، باب: تعوذ القارئ إذا مرَّ بآية عذاب، من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ.

لئلا يعد واجباً فرضاً، والاسم هنا بمعنى الجنس؛ أي: بأسماء ربك، والعظيم: صفة الرب.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من داومَ على قراءةِ سورة الواقعة لم يفتقرْ أبداً»[1]، قال ابن عطية: فيها ذكر القيامة، وحظوظ الناس في الآخرة، وفهم ذلك غنىً لا فقر معه، ومن فهمه، شغل بالاستعداد[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٩٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٨٨)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال البيهقي: تفرد به شجاع أبي طيبة.
والحديث إسناده ضعيف، ومتنه منكر. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٤١٣ـ ٤١٤) وبيان وجوه ضعف هذا الحديث.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٨).

سورة الحديد

مدنية، وقيل: مكية، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: ألفان وأربع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: خمس مئة وأربع وأربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ التسبيح هنا: هو التنزيه المعروف في قولهم: سبحان الله، وهو إخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوام، وأن التسبيح مما ذكر دائم مستمر، وهو تسبيح حقيقة، وجاء في فاتحة هذه السورة، وفي الحشر، والصف على لفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن على لفظ المضارع، وذلك إشارة إلى أن تسبيح هذه الأشياء غير مختص بوقت دون وقت، بل كانت مسبحة أبداً في الماضي، وستكون مسبحة أبداً في المستقبل.

﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من جميع المخلوقات.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقدرته وسلطانه ﴿الْحَكِيمُ﴾ بلطفه وتدبيره.

* * *

﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢﴾ .

[٢] ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: سلطانها الحقيقي الدائم؛ لأن ملك البشر مجاز ﴿يُحۡيِۦ﴾ الموتى للبعث ﴿وَيُمِيتُۖ﴾ الأحياء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ تام القدرة.

* * *

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ .

[٣] ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ السابق للأشياء قبل وجودها الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة.

﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الدائم الباقي بعد فناء الأشياء الذي ليس له نهاية منقضية.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ الغالب العالي على كل شيء.

﴿وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ بلطفه وغوامض حكمته وباهي صفاته التي لا تصل إلى معرفتها على ما هي عليه الأوهام ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ يستوي عنده الظاهر والخفي.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ .

[٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ تقدم القول فيها في سورة (فصلت)، قال بعض المفسرين: الأيام الستة من أيام القيامة، وقال الجمهور: بل من أيام الدنيا، قال ابن عطية: وهو الأصوب(١) .

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٥٧).

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بعظمته، وتقدم الكلام فيه في سورة (طه)، وفي (الأعراف) أيضاً.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من المطر والأموات وغير ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالزرع ونحوه.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكة، والرحمة، والعذاب، وغير ذلك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الأعمال صالحها وسيئها.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بعلمه وقدرته وإحاطته.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

* * *

﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يتصرف فيه كما أراد.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ خبر يعم الموجودات. قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب: (تَرْجِعُ) بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون: بضم التاء وفتح الجيم(١).

* * *

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿يُولِجُ﴾ يُدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ فيه تنبيه على

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٩).

العبرة فيما يتجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر، وذلك متشعب[1] مختلف حسب اختلاف الأقطار والأزمان الأربعة، وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من الأسرار والمعتقدات، وذلك أغمض ما يكون.

* * *

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أمرٌ للمؤمنين بالثبوت على الإيمان.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من أموال متقدميكم، وفيه تزهيد وتنبيه على أن الأموال إنما تصير للإنسان من غيره، ويتركها لغيره، روي أنها نزلت في غزوة العسرة، وهي غزوة تبوك، والإشارة بقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وحكمها باق يندب إلى هذه الأفعال بقية الدهر.

* * *

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾.

[٨] وقوله[2]: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾

---

(١) «متشعب» زيادة من «ت».

(٢) «وقوله» زيادة من «ت».

توطئة لدعائهم، وإيجاب لأنهم أهل هذه الرتب الرفيعة، فإذا تقرر ذلك، فلا مانع من الإيمان، وهذا كما تريد أن تندب رجلاً إلى عطاء، فتقول له: أنت يا فلان من قوم أجواد، فينبغي أن تكرم، وهذا مطرد في جميع الأمور إذا أردت من أحد فعلاً خَلَّقته بخلق أهل ذلك الفعل، وجعلت له رتبتهم، فإذا تقرر في هؤلاء أن الرسول يدعوهم، وأنهم ممن أخذ ميثاقهم، فكيف يمتنعون من الإيمان.

﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ بالإيمان حين الإخراج من ظهر آدم على ما مضى في سورة الأعراف. قرأ أبو عمرو: (أُخِذَ) بضم الهمزة وكسر الخاء مجهولاً، (مِيثَاقُكُمُ) بالرفع فاعل، وقرأ الباقون: بفتح الهمزة والخاء، ونصب (مِيثَاقَكُمْ) مفعولاً[1]، والآخذ على كلِّ قول هو الله تعالى.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إن دمتم على ما بدأتم به.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يُنْزِلُ) بإسكان النون وتخفيف الزاي، والباقون: بفتح النون وتشديد الزاي[2] ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعني: القرآن.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٧٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٠).

﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ الله بالقرآن[1] ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث نبَّهكم بالرسل والآيات. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (لَرَؤُوفٌ) بالإشباع على وزن فَعول، والباقون: على وزن فَعُل[2]، والرأفة: أشد الرحمة.

* * *

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وأنتم تموتون وتتركون أموالكم ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه زيادة تذكير بالله وعبرة، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله والجهاد فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾ نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة أنفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجراً من كل من أنفق قديماً، فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل الفتح أعظمُ أجراً، والمراد: فتح مكة الذي أزال الهجرة، وهذا هو المشهور الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «لا هجرةَ بعدَ الفتح، ولكن

---

(١) «الله بالقرآن» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٠).

جهادٌ ونية»[1]، وروي أنها نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ونفقاته[2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المنفقون قبل الفتح ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ أي: من بعد الفتح.

﴿وَكُلّٗا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ المثوبةَ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهي الجنة. قرأ ابن عامر: (وَكُلٌّ) بالرفع مبتدأ، خبره (وَعَدَ)، وكذلك هو في المصاحف الشامية وقرأ الباقون: بالنصب، وكذلك هو في مصاحفهم[3]، وهي الوجه؛ لأن وعد ليس يعوقه عائق عن أن ينصب المفعول المتقدم[4].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ يعلم ظاهره وباطنه فيجازيكم عليه.

* * *

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ من ذا الذي ينفق في سبيل الله رجاء أن يعوضه؟ والقرض الحسن: الإعطاء لله.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ فيعطيه أجره أضعافاً مضاعفة. قرأ عاصم. (فَيُضَاعِفَهُ) بإثبات الألف بعد الضاد مخففاً ونصب الفاء، وقرأ ابن عامر، ويعقوب:

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣١)، كتاب: الجهاد، باب: فضل الجهاد والسير، ومسلم (١٣٥٣)، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٤٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٠ـ٨١).

(٤) في «ت»: «المقدم».

بحذف الألف وتشديد العين ونصب الفاء، وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر: بحذف الألف وتشديد العين ورفع الفاء، وقرأ الباقون: بإثبات الألف مخففاً ورفع الفاء[1]، فالقراءة بالنصب جواب الاستفهام؛ كأنه قال: أيقرض الله أحد فيضاعفه له؟ وبالرفع؛ أي: فهو يضاعفه.

﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾ هو الذي يقترن به رضا وإقبال.

***

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ العامل في (يَوْمَ) قوله: (وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)، والرؤية في هذه الآية رؤية عين.

﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ وهو نور حقيقة؛ لأن كل مؤمن يُعطى يوم القيامة نوراً، فيطفأ نور كل منافق، ويبقى نور المؤمنين.

﴿بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وخص بين الأيدي بالذكر؛ لأنه موضع حاجة الإنسان إلى النور.

﴿وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ أي: وعن أيمانهم، خص ذكر جهة اليمين تشريفاً، وناب ذلك مناب أن يقول: وفي جميع جهاتهم، وقيل: وبأيمانهم: كتبهم بالرحمة، وتقول لهم الملائكة:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨١-٨٢).

﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ ﴾ أي: دخولُ جنات.

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ مخاطبة لمحمد ﷺ.

***

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] وتبدل من ﴿ يَوْمَ تَرَى ﴾ ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ قرأ حمزة: (أَنْظِرُونَا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء؛ بمعنى: أمهلونا، وقرأ الباقون: بوصل الهمزة وضم الظاء[(1)]؛ أي: انتظرونا نستضيء من نوركم، وابتداؤها لهم بضم الهمزة.

﴿ قِيلَ ﴾ أي: فيقول لهم المؤمنون: ﴿ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ ﴾ طرداً لهم وتهكماً.

﴿ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ فاطلبوا لأنفسكم نوراً؛ فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم ليلقوهم.

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ أي: حائل بين الجنة والنار، وقيل: هو الأعراف ﴿ لَّهُۥ ﴾ أي: ولذلك السور ﴿ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ ﴾ أي: داخل الباب من جهة المؤمنين

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٣).

﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ خارجه ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ أي: من جهة شقه الخارج نحو الكفار ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ وهو النار.

وقال عبد الله بن عمر، وكعب الأحبار، وعبادة بن الصامت، وابن عباس: هو سور بيت المقدس الشرقي، وفيه باب يسمى باب[١] الرحمة، باطنه فيه المسجد الأقصى، وظاهره من جهة المشرق واد يقال له: وادي جهنم[٢].

قال ابن عطية: وهذا القول في السور بعيد[٣]، والله أعلم.

* * *

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا؟

﴿قَالُوا۟﴾: يعني المؤمنين رداً عليهم:

﴿بَلَىٰ﴾ كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ محنتموها بالنفاق.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في أمر الله

---

(١) «يسمى باب» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٨٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٥).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٦٢).

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ الكاذبة بطول الأمل. قرأ أبو جعفر: (الأَمَانِي) بإسكان الياء، والباقون: برفعها مشدداً[(١)].

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ الموتُ، ودخولُ النار. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَمْرُ اللهِ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِك السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ أي: غركم الشيطان بأن الله لا يعذبكم.

* * *

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ بدل؛ بأن تنقذوا[(٢)] أنفسكم من العذاب. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (تُؤْخَذُ) بالتاء على التأنيث، والباقون: بالياء على التذكير[(٣)]؛ لأن الفداء بمعنى الفدية.

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم[(٤)] المشركون، والخطاب الأول للمنافقين.

﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: أولى بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ النارُ.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٤).

(٢) في «ت»: «تفدوا».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٦_٣٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٤_٨٦).

(٤) «وهم» ساقطة من «ت».

﴿ ۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ونزل عتاباً للمؤمنين: ﴿ ۞أَلَمْ يَأْنِ ﴾ أي: يَحِنْ؛ من أنى يأني: إذا جاء إناه؛ أي: وقتُه.

﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ تعالى إذا ذكر، وتلين وتخضع؟ قال ابن عباس: «إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاثَ عشرةَ سنةً من نزول القرآن»(١) ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو القرآن. قرأ نافع، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (نَزَلَ) بتخفيف الزاي، والباقون: بالتشديد(٢).

﴿ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل القرآن، وهم اليهود والنصارى. **قراءة العامة**: (وَلاَ يَكُونُوا) بالغيب عطفاً على (تَخْشَعَ)، **وقرأ** رويس عن يعقوب: بالخطاب(٣) التفاتاً أو نهياً للمؤمنين عن مماثلة أهل الكتاب فيما حُكي عنهم.

﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ ﴾ أي: الزمانُ بطول أعمارهم ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ بميلهم

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٦ـ٣٢٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٤٩).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٦).

إلى الدنيا، وإعراضهم عن مواعظه تعالى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة.

***

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هذا ضرب مثل، واستدعاء إلى الخير؛ أي: لا يبعد عنكم أيها التاركون للخشوع رجوعُكم إليه؛ فإن الله يحيي الأرض بعد موتها، فكذلك يفعل بالقلوب، يردها إلى الخشوع، وترجع هي إليه بعد نفورها منه؛ كما تحيا الأرض بعد أن كانت غبراء.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كي يكمل عقلكم.

***

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: بتخفيف الصاد فيهما؛ من التصديق بالإسلام، وقرأ الباقون: بتشديدها منهما(١)؛ من التصدُّق، وأصلُه: المتصدقين والمتصدقات، أدغمت التاء في الصاد.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٧).

﴿ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ هو الصدقة بطيب نفس، وصحة نية على مستحقيها[1].

﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمْ ﴾ القرض. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (يُضَعَّفُ) بتشديد العين وحذف الألف قبلها، وقرأ الباقون: بإثبات الألف والتخفيف[2].

﴿ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ ﴾ والصدِّيق: الكثيرُ الصدق، وهم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب، ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته، وتم الكلام عند قوله: (هُمُ الصِّدِّيقُونَ)، ثم ابتدأ فقال:

﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ ﴾ مبتدأ، ظرفه ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ خبره ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ أي: أجر ما عملوا من العمل الصالح ﴿ وَنُورُهُمْ ﴾ على الصراط، وهم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم.

---

(١) في «ت»: «مستحقها».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٧).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة.

* * *

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ولما ذكر حال الفريقين في الآخرة، حقَّر أمر الدنيا، فقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: إن الحياة الدنيا، و(ما) صلة؛ أي: الحياة في هذه الدار.

﴿ لَعِبٌ ﴾ باطل ﴿ وَلَهْوٌ ﴾ فرح، ثم ينقضي ﴿ وَزِينَةٌ ﴾ منظر يتزينون به ﴿ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ ﴾ يفخر به بعضكم على بعض.

﴿ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ فازهدوا فيها، فما مثلها إلا.

﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ ﴾ أي: الزراع؛ لأنهم إذا ألقوا البذر في الأرض، كفروه؛ أي: غطَّوه ﴿ نَبَاتُهُۥ ﴾ الهاء للغيث؛ أي: أعجب الكفارَ ما نبت بالمطر.

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ ﴾ ييبس ﴿ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾ بعد خضرته.

﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ﴾ فتاتاً ويفنى.

﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ للكافرين ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ﴾ للمؤمنين.

قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرُضْوَانٌ) بضم الراء، والباقون: بكسرها[1].

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ لمن ركن إليها، ولم يشتغل بطلب الآخرة.

* * *

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارعوا ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: السموات ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ لو وصل بعضها ببعض، ولم يذكر الطول؛ لأن عرض كل ذي عرض أقلُّ من طوله.

﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ قوله (أُعِدَّتْ) دليل على أنها مخلوقة الآن معدة.

﴿ ذَٰلِكَ﴾ الموعود ﴿ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من غير إيجاب.

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فلا يبعد منه التفضل بذلك، والمراد منه: التنبيه لأعظم[2] حال الجنة، وذلك لأن ذا الفضل العظيم إذا أعطى عطاء مدح به نفسه، وأثنى بسببه على نفسه، فإنه لابد أن يكون ذلك العطاء عظيماً.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٨).

(٢) في «ت»: «على عظم».

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ ﴾ أي: ما حدث من حادث.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من قحط ونقص في النبات والثمار ﴿ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ كمرض وفقد ولد.

﴿ إِلَّا ﴾ مكتوبة ﴿ فِي كِتَٰبٍ ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ أي: نخلقها؛ يعني: المصيبةَ والأرضَ والأنفسَ.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يعني: تحصيل الأشياء كلها في كتاب.

* * *

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ معناه: فعل الله هذا كله، وأعلمكم به، ليكون سبب تسليمكم وقلة اكتراثكم بأمر الدنيا، فلا تحزنوا على فائت ﴿ وَلَا تَفْرَحُواْ ﴾ الفرحَ المبطِرَ ﴿ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ منها. قرأ أبو عمرو: (أَتَاكُمْ) بقصر الهمزة؛ لقوله: (فَاتَكُمْ)، فجعل الفعل له، وقرأ الباقون: بالمد[1]، أي: أعطاكم الله.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ ﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿ فَخُورٍ ﴾ به على الناس، فيه دليل على أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٨-٨٩).

والفخر، وأما الفرح بنعم الله، المقترنُ بالشكر والتواضع، فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه، ولا حرج فيه.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بأموالهم وأفعالهم الحسنة من إيمانهم وغير ذلك، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال، وقيل: هو رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ وهذا غاية الذم أن يبخل الإنسان، ويأمر غيره بالبخل. **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (بِالْبَخَلِ) بفتح الباء والخاء، والباقون: بضم الباء وإسكان الخاء[١].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المحمود في ذاته. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَإِنَّ اللهَ الْغَنِيُّ) بغير (هو)، وكذا هو في مصاحف المدينة والشام، **وقرأ** الباقون بزيادة (هو)، وكذلك هو في مصاحفهم[٢].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٩).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٢٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٨٩-٩٠).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ .

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكةَ إلى الأنبياء. قرأ أبو عمرو: (رُسْلَنَا) (بِرُسْلِنَا) بإسكان السين فيهما، والباقون: بضمها[١] ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج القواطع.

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الوحي ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ العدلَ.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ ليتعاملوا بينهم بالعدل.

﴿وَأَنزَلْنَا﴾ أخرجنا ﴿ٱلْحَدِيدَ﴾ من المعادن؛ لأن العدل إنما يكون بالسياسة، والسياسة مفتقرة إلى العدة، والعدة مفتقرة إلى الحديد.

﴿فِيهِ بَأْسٌ﴾ قتال ﴿شَدِيدٌ﴾ لأنه يقاتل به ويمتنع ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فيما يحتاجون إليه.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ أي: يعلمه موجوداً، فالتغيير ليس في علم الله، بل في هذا الحادث الذي خرج من العدم إلى الوجود ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي: دينه بآلات الحرب في مجاهدة الكفار ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ أي: وينصر رسله ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه، فآمن بها؛ لقيام الأدلة عليها، قال ابن عباس: «يَنصرونه ولا يُبصرونه»[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ في أمره ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩٠).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٤٧٨).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ ذكر رسالتهما؛ تشريفاً لهما بالذكر، ولأنهما من أول الرسل، ثم ذكر نعمه على ذريتهما، فقال ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: الكتب الأربعة؛ فإنها جميعاً في ذرية إبراهيم عليه السلام. قرأ هشام (أَبْرَاهَام) بالألف، والباقون: بالياء، وقرأ نافع (النُّبُوءَةَ) بالمد والهمز، والباقون: بتشديد الواو بغير همز.

﴿ فَمِنْهُم ﴾ فمن الذرية ﴿مُّهْتَدٍ﴾ روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (مُهْتَدِي) ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة.

* * *

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ أتبعنا وأَرْدفنا؛ مأخوذ من القفا؛ أي: جاء بالثاني في قفا الأول ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ وكان آخر نبي من بني إسرائيل، وأول أنبيائهم موسى عليه السلام.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ﴾ وهي أشد الرحمة، وكانوا متوادِّين بعضهم لبعض؛ كما قال تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]. قرأ قنبل بخلاف عنه: (رَآفَةً) بالمد

مثل: رَعافة ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ والرحمة في القلب لا تَكَسُّبَ للإنسان فيها.

﴿وَرَهۡبَانِيَّةً﴾ هو ترهبهم في الجبال والصوامع، ورفض النساء، والرهبان: الخائف؛ مأخوذ من الرهب، وهو الخوف، (ورَهْبَانِيَّةً) عطف على (وَرَحْمَةً).

﴿ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ نعت؛ أي: جعلنا عليهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة، والمعتزلة تعرب (ورَهْبَانِيَّةً) أنها نصب بإضمار فعل يفسره (ابْتَدَعُوهَا)، وليست بمعطوفة على الرأفة والرحمة، ويذهبون في ذلك إلى أن الإنسان يخلق أفعاله، فيعربون الآية على مذهبهم، ابتدعوها من قبل أنفسهم، روي أنهم افترقوا ثلاث فرق: ففرقةٌ قاتلت الملوك على الدين فقتلت وقتلت، وفرقةٌ قعدت في المدن يدعون إلى الدين ويبينونه ولم تقاتل، فأخذَتْها الملوك فنشرتها بالمناشير، وقتلوا، وفرقةٌ خرجت إلى الفيافي، وبنت الصوامع والديارات، وطلبت أن تسلم على أن تعتزل، فتركت، ولذلك تسمت بالرهبان، فهذا هو ابتداعهم.

﴿مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: لم نفرض الرهبانية عليهم ﴿إِلَّا﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكنهم ابتدعوها.

﴿ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ وهو امتثال أمره تعالى، واجتناب نهيه. وتقدم مذهب أبي بكر في ضم الراء من (رُضْوَانِ).

﴿فَمَا رَعَوۡهَا﴾ ما حفظ الرهبانية هؤلاء المعتدون ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ لأنهم قصروا فيما ألزموا أنفسهم من الرهبانية، ورجعوا عنها، ودخلوا في دين ملوكهم، ولم يبق على دين النصرانية إلا اليسير، فآمنوا بمحمد ﷺ

قال ﷺ: «مَنْ آمنَ بي وصدَّقني، فقد رعاها حقَّ رعايتها، ومن لم يؤمنْ بي، فأولئك هم الهالكون»(١).

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمحمد ﷺ ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي: من العيسيين.

﴿أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ من العيسيين التاركي الرهبانية الكافرون بمحمد وعيسى عليهما السلام ﴿فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن حال(٢) الاتباع

وفي هذا التأويل لزوم الإتمام لكل من بدأ بتطوع ونفل، وأنه يلزمه أن يرعاه حق رعايته، واختلف الأئمة فيما إذا أنشأ صوماً أو صلاة تطوعاً، فقال أبو حنيفة: لم يجز له الخروج منه، فإن أفسده، فعليه القضاء؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال مالك كذلك، إلا أنه اعتبر العذر، فقال: إن خرج منه لعذر، فلا قضاء، وإلا، وجب، وقال الشافعي وأحمد: متى أنشأ واحداً منهما، استحب إتمامه، فإن خرج منه، لم يجب عليه قضاء على الإطلاق، وأما إذا كان التطوع حجاً أو عمرة، فيلزم إتمامه، فإن أفسده، وجب قضاؤه بالاتفاق؛ لوجوب المعنى في فاسده.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بموسى وعيسى ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣١)، وفي «المعجم الصغير» (٦٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٧٧)، من حديث أبي مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٣): فيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث.

(٢) «حال» زيادة من «ت».

محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ حظين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ بالإيمان بالكتابين.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٢٩)﴾.

[٢٩] ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم[١] ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ و(لا) صلة. قرأ ورش عن نافع، وأبو جعفر بخلاف عنه: (لِيَلاَّ) بإبدال الهمزة ياء مفتوحة، والباقون: بالهمز، والمراد: أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا.

﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: لا ينالون شيئاً ﴿مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

روي أنه لما نزل هذا الوعد للمؤمنين، حسدهم أهل الكتاب على ذلك، وكانت اليهود تعظم دينها وأنفسها، وتزعم أنها أحباء الله، وأهل رضوانه، فنزلت هذه الآية معلمة أن الله فعل ذلك، وأعلم به؛ ليعلم أهل الكتاب أنهم ليسوا كما يزعمون[٢].

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ في تصرفه وملكه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ لا اعتراض عليه؛ فإنه قادر مختار، يفعل بحسب الاختيار.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، والعظيم[٣] لا بد أن يكون إحسانه

---

(١) «أي: ليعلم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٦٨).

(٣) «والعظيم» زيادة من «ت».

عظيماً، والمراد منه: تعظيم حال محمد ﷺ في نبوته وشرعه وكتابه.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «واسم الله الأعظم في أول سورة الحديد في ست آيات من أولها، فإذا علقت على المقاتل في الصف، لم ينفذ إليه حديد»[1]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/٢٥٦). قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير»: اشتمل هذا المقدار من أول السورة على معاني ست عشرة صفة من أسماء الله الحسنى، وهي: الله، العزيز، الحكيم، الملل، المحيي، المميت، القادر، الأول، الآخر، الظاهر الباطن، العليم، الخالق، البصير، الواحد، المدبِّر. وقول ابن عباس يعني مجموع هذه الأسماء.

سُورَةُ المُجَادِلَةِ

مدنية، وحكى النقاش أن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ الآية، مكي[1]، آيها: اثنتان وعشرون آية[2]، وحروفها: ألف وسبع مئة واثنان وتسعون حرفاً، وكلمها: أربع مئة وثلاث وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (١)﴾.

[١] ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ أي: علم[3] ﴿قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ تحاورك.

﴿فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وقالون عن نافع، وعاصم، ويعقوب: (قَدْ سَمِعَ) بإظهار الدال عند السين، والباقون: بالإدغام.

نزلت في خولة بنت ثعلبة لما ظاهرَ منها زوجها أوسُ بن الصامت، وكانا من الأنصار، فأرادها، فأبت عليه، فقال: أنت علي كظهر أمي، فكان

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٧٢).

(٢) في «ت»: «عشرون وآيتان».

(٣) «أي: علم» زيادة من «ت».

أولَ ظهار في الإسلام، ثم ندم، وكان الظهار في الجاهلية يُحَرِّم، فأخبرت رسولَ الله ﷺ بذلك، فقال لها: «قَدْ حرمْتِ عليه»، فقالت: واللهِ ما ذكر طلاقاً، وراجعَتْه في الكلام، وشكت إلى الله الفاقة وشدة الحال[1]، فهذه مجادلتها.

﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ أي: مراجعتكما القول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ لما تناجيه ﴿بَصِيرٌ﴾ لمن يشكو إليه.

***

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ عاصم: (يُظَاهِرُونَ) بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين؛ من ظاهرَ يُظاهر، وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها، وتخفيف الهاء وفتحها، أصله: يَتَظاهرون، أدغمت التاء في الظاء، وقرأ الباقون: بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء بلا ألف قبلها، أصله: يتظَهَّرون، أدغمت التاء في الظاء[2]،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٣٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٧٣)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٧٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٨ـ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٣٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩٧ـ٩٨).

والمعنى على القراءات كلها؛ أي: يحرِّمون أزواجَهم بالظهار، والظهار: أن يشبه امرأته أو عضواً منها بظهر من تحرم عليه على التأبيد، أو إلى أمد، أو بها، أو بعضو منها، فإذا قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، أو كَيَدِ أختي، ونحو ذلك، أو حرام، فيحرم عليه وطؤها حتى يكفِّر بالاتفاق.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ أي: ليس قول الرجل لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، أو كشيء من أعضائها، ويجعلها كأمه في الحرمة بصحيح.

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ حقيقةً ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾ والمرضعات، وزوجات النبي ﷺ ملحقات بالوالدات في الحرمة، وأما المظاهَرات، فأبعد شبهاً بالوالدات. واختلاف القراء في الهمز من (اللَّائِي) كاختلافهم فيه في حرف سورة الأحزاب [الآية: ٤].

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المظاهرون ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ هو جعلُ الزوجةِ أماً تنكره الحقيقة ﴿وَزُورًا﴾ باطلاً.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عما سلف من الظهار ﴿غَفُورٌ﴾ لمن تاب.

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ تقدم اختلاف القراء في (يُظَاهِرُونَ).

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ أي: يريدون العود إلى التَّماسِّ، وهو كناية عن الجماع، فعند الإمام أحمد: العود: هو الوطء، وعند أبي حنيفة ومالك: هو العزم على الوطء، وعند الشافعي: هو أن يمسكها عقب الظهار زماناً

يمكنه أن يفارقها، ولم يفعل، فإن طلقها عقب الظهار في الحال، أو مات أحدهما في الوقت، فلا كفارة عليه.

﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ والكفارة على الترتيب يجب عليه عتق رقبة سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق، مؤمنة عند الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: لا يشترط الإيمان.

﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ يتجامع المظاهِر والمظاهَر منها، فإن أقدم على الجماع قبل التكفير، استغفر الله تعالى، وليس عليه سوى الكفارة الأولى بالاتفاق.

﴿ ذَٰلِكُمۡ ﴾ التغليظ بالكفارة ﴿ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ ﴾ لتنزجروا عن الظهار.

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ لا يخفى عليه شيء.

* * *

﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ ﴾ الرقبة ﴿ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ ﴾ ليس فيهما رمضان، ولا يوما العيدين وأيام التشريق عند الثلاثة، وعند أحمد: إن تخلل صومها صوم رمضان، أو فطر واجب كيوم العيد، لم ينقطع التتابع.

﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ فلو أصاب المظاهر منها ليلاً أو نهاراً عمداً أو سهواً، انقطع التتابع عند الثلاثة، وقال الشافعي وأبو يوسف: إن جامع ليلاً عامداً، أو نهاراً، ناسياً، لم يستأنف، وله وطء غيرها من نسائه بالاتفاق.

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصومَ لعذر ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾.

والمخرج في الكفارة ما يجزىء في الفطرة، فقال أبو حنيفة: لكل مسكين نصف صاع من بر، أو صاع من تمر أو شعير، والصاع عنده ثمانية أرطال بالعراقي، وعند أبي يوسف: خمسة أرطال وثلث، وقال مالك: لكل مسكين مد من عيش أهل البلد، فإن كان الشعير والتمر، أعطي لكل مسكين منه عدل الحنطة بمد هشام، وقدره مد وثلثان بمد النبي ﷺ، وهشام هذا الذي أضيف إليه المد هو هشام بن إسماعيل المخزومي، كان أميراً على المدينة من قبل هشام بن عبد الملك، وقال الشافعي: لكل مسكين مد مما يكون فطرة، وهو البر، والأرز، والشعير، والتمر، والزبيب، والأقط، وقدر المد رطل وثلث بالبغدادي، وهو مد رسول الله ﷺ، وقال أحمد: المخرج في الكفارة ما يخرج في الفطرة، وهو البر، والشعير، ودقيقهما، أو سويقهما، وهو بر أو شعير يحمص، ثم يطحن، والتمر، والزبيب، والأقط، وهو شيء يعمل من اللبن المخيض، ولا يجزىء من البر أقل من مد، وهو رطل وثلث بالبغدادي، ولا من غيره أقل من مدين لكل مسكين، وتقدم ذكر الصاع والمد والكلام عليها مستوفىً بأتم من هذا في سورة المائدة عند ذكر كفارة اليمين، وفي سورة التوبة عند ذكر زكاة الفطر.

فإن دفع الكفارة إلى مسكين واحد في ستين يوماً، جاز عند أبي حنيفة، ولم يجز عند الشافعي ومالك، وقال أحمد: إن لم يجد غيره، أجزأه، وإلا فلا، ولو غداهم وعشاهم، جاز عند أبي حنيفة بشرط شبعهم[1] في الأكلتين، وعند الثلاثة: لا يجوز.

---

(١) «بشرط شبعهم» زيادة من «ت».

ويجوز دفع الكفارة لكافر، وإخراج القيمة عند أبي حنيفة؛ خلافاً للثلاثة.

ومن كفر بالإطعام، جاز له الوطء في خلاله عند أبي حنيفة والشافعي؛ خلافاً لمالك وأحمد، ونقل بعض المفسرين عن مالك أن من كفر بالإطعام، جاز له الوطء قبله؛ لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس، ولم يقل في الطعام: قبل أن يتماسا، ومنقول مذهب مالك خلاف ذلك، فقد جزم علماء مذهبه في كتبهم أنه لا يجوز الوطء في خلال الإطعام كالصيام، فإن وطئ، بطل ما مضى من إطعامه، ولزمه ابتداؤها، وصرح ابن عطية المالكي في «تفسيره» عن مالك أنه قال: إطعام المساكين أيضاً هو قبل التماس حملاً على العتق والصوم[1].

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ لتصدقوا ما أتى به الرسول من الله عز وجل، ثم شدد بقوله:

﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ فالتزموها، وقفوا عندها.

﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: الذين لا يقبلونها.

واختلفوا فيمن ظاهر من أمته، فقال مالك: يصح، وقال الثلاثة: لا يصح، وعليه عند أحمد كفارة يمين.

واتفقوا على صحة الظهار من العبد، ويكفر بالصيام، وقال مالك: إن عجز عنه، فبالإطعام إن أذن له سيده، فإن منعه، انتظر القدرة على الصيام.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٥).

ويصح من الأجنبية عند مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يصح منها، ويصح من الذمي عند الشافعي وأحمد، ويكفر بالمال، وعند أبي حنيفة ومالك لا يصح منه.

ومن كرر الظهار قبل التكفير، فكفارة واحدة عند مالك وأحمد، وعند أبي حنيفة بكل ظهار كفارة، ومذهب الشافعي إن كرره في امرأة متصلاً، وقصد تأكيداً، فظهار واحد، أو استئنافاً، فالأظهر التعدد، وإنه بالمرة الثانية عائد في الأولى، والله أعلم.

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يحاربونهما، ويخالفون أمرهما.

﴿كُبِتُوا۟﴾ أهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم الماضية.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ تدل على صدق ما جاء به الرسول.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ نزلت هذه الآيات في المنافقين، وقومٍ من اليهود كانوا في المدينة يتمنون المكروه في رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويتربصون بهم الدوائر، ويدبرون عليهم، ويتناجون بذلك، فنزلت هذه الآيات إلى آخر أمر النجوى فيهم(١).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٧٦).

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ العامل فيه قوله: (مُهِينٌ).

﴿ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ﴾ توبيخاً لهم.

﴿ أَحْصَىٰهُ ﴾ حفظه ﴿ ٱللَّهُ ﴾ عليهم ﴿ وَنَسُوهُ ﴾ لتهاونهم به.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ شهيد، لا يغيب عنه شيء.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ كلياً وجزئياً.

﴿ مَا يَكُونُ ﴾ قرأ أبو جعفر: (تَكُونُ) بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث النجوى، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير[١]؛ لأن تأنيث نجوى غير حقيقي، وللفصل بـ(من)، المعنى: ما يقع.

﴿ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ وجر (ثلاثةٍ) بإضافة النجوى إليها، وهي التناجي سراً.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٩٩).

﴿ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ بالعلم ﴿ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ وخصوا بهذا العدد؛ لأنها نزلت في المنافقين، وكانوا يتحلقون للمناجاة ثلاثة خمسة غيظاً للمؤمنين.

﴿ وَلَآ أَدْنَىٰ ﴾أقل ﴿ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ ﴾ قرأ يعقوب: (أَكْثَرُ) بالرفع عطفاً على موضع (مِنْ نَجْوَى)؛ لأن التقدير: ما يكون نجوى، وقرأ الباقون: بالنصب عطفاً على العدد المخفوض ﴿ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ عالماً بهم.

﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ لأن علمه تعالى لا يتفاوت باختلاف الأمكنة.

﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ تفضيحاً لهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

* * *

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] كان بين النبي ﷺ واليهود موادعة، فكانوا هم والمنافقون إذا رأوا بعض المسلمين تناجوا، فيظن المسلم أنهم يريدون قتله، فيترك الطريق خوفاً منهم، فنهاهم ﷺ عن التناجي، فلم ينتهوا فنزل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾[١] أي: يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها.

﴿ وَيَتَنَٰجَوْنَ ﴾ قرأ حمزة، ورويس عن يعقوب: (وَيَنْتَجُونَ) بنون ساكنة بعد الياء وبعدها تاء مفتوحة وضم الجيم على وزن ينتهون مستقبل انتجوا، وقرأ الباقون: بتاء ونون مفتوحتين وبعدها ألف وفتح

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

الجيم مستقبل تَناجوا[1]، ومعناهما: الحديث سراً.

﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾ أي: بما هو إثم ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ للمؤمنين ﴿وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ لأنه ﷺ نهاهم فلم ينتهوا. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (وَمَعْصِيَهْ) بالهاء.

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ﴾ أي: اليهود ﴿حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك يا محمد، والسام: الموت، وتقدم حكم سلام الذمي، والرد عليه، ومذاهب الأئمة في ذلك في سورة النساء.

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ إذا خرجوا: ﴿لَوۡلَا﴾ هلاَّ ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبياً، لدعا علينا حتى يعذبنا الله بما نقول له.

﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ جهنمُ.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ (٩)﴾.

[٩] ثم نهى الله المؤمنين أن يفعلوا كفعل المنافقين واليهود، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ﴾ قرأ رويس: (تَنْتَجُوا) على وزن تنتهوا[2].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠١-١٠٢).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٣).

﴿ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ كفعل المنافقين واليهود.

﴿ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ ﴾ وهو ما يتضمن خيراً للمؤمنين ﴿ وَٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴾ أي: اتقاء معصية الرسول.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تذكير بالحشر الذي معه الحساب.

* * *

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾ المحرمة ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ بتزيينه ﴿ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بتوهمهم. قرأ نافع: (لِيُحْزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي، وقرأ الباقون: بفتح الياء وضم الزاي[(١)].

﴿ وَلَيۡسَ﴾ التناجي ﴿ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ بمشيئة الله.

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

قال ﷺ: «إذا كنتم ثلاثةً، فلا يتناجى اثنان دونَ الثالث إلا بإذنه؛ فإن ذلك يحزنُه»[(٢)].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بهذا اللفظ. ورواه البخاري (٥٩٣٢)، كتاب: الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاث فلا بأس بالمسارّة والمناجاة، ومسلم (٢١٨٤)، كتاب: السلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ نحوه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ ﴾ مجلس النبي ﷺ. **قرأ** عاصم: (الْمَجَالِسِ) بألف على الجمع؛ لأن لكل جالس مجلساً، معناه: ليفسح كل رجل في مجلسه، **وقرأ** الباقون: بغير ألف على التوحيد إرادة الجنس(١).

﴿ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ ﴾ في الجنة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ ﴾ ارتفعوا وانهضوا حتى توسّعوا لإخوانكم ﴿ فَٱنشُزُواْ ﴾ **قرأ** الكسائي، وهشام، ورويس: (قِيلَ) بإشمام الضم حيث وقع، والباقون: بإخلاص الكسر(٢)، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، (انْشُزُوا) (فَانْشُزُوا) بضم الشين في الحرفين؛ بخلاف عن أبي بكر راوي عاصم، **وقرأ** الباقون: بالكسر فيهما(٣).

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ﴾ بإيمانهم وطاعتهم النبيَّ ﷺ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٤).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٤).

﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أيضاً على غيرهم من المؤمنين ﴿ دَرَجَٰتٍ ﴾ هنا وَثَمَّ بما جمعوا من العلم والعمل[1].

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ تهديد لمن لم يمتثل الأمر.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ولما أكثر الناس على النبي ﷺ السؤال حتى أسأموه، نزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ ﴾ أي: قبل ﴿ نَجْوَىٰكُمْ ﴾ إذا أردتم مناجاته ﴿ صَدَقَةً ﴾ على مستحقيها.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ التقديمُ ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ لطاعتكم ﴿ وَأَطْهَرُ ﴾ لذنوبكم فلما نزلت هذه الآية، ارتدع الأغنياء عن السؤال شُحّاً، والفقراء عدماً، فنزل رخصة:

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ ﴾ ما تتصدقون به ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لمناجاتكم النبي ﷺ بلا صدقة ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ حيث أباح لكم السؤال، وكان ذلك المنع عشرَ ليال.

* * *

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ أَخفتم الفاقةَ ﴿ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَشْفَقْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ ءَأَنتَ

(١) «والعمل» زيادة من «ت».

فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ في سورة الأنبياء [الآية: ٦٢].

﴿فَإِذْ لَمْ﴾ أي: فإن لم ﴿تَفْعَلُوا۟﴾ ما أُمرتم به.

﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ تجاوز عنكم، ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنبٌ تجاوزَ الله عنه.

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الواجبةَ.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضةَ، ولا تفرطوا فيهما ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في جميع الحالات، فهو كفارة ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ظاهراً وباطناً.

* * *

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ونزل في قوم من المنافقين تولَّوا قوماً من اليهود، وهم المغضوب عليهم: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم﴾[1] أي: المنافقون ﴿مِّنكُمْ﴾ أيها المسلمون.

﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ من اليهود، كما قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ وهو قولهم: والله إنا مسلمون.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٩ـ٣٥٠)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٣٠٧).

﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون في حلفهم.

* * *

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥﴾.

[١٥] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا﴾ نوعاً من العذاب ﴿شَدِيدًا﴾ في غاية الشدة.

﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من المعاصي.

* * *

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦﴾.

[١٦] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ الكاذبة ﴿جُنَّةٗ﴾ ترساً يقيهم السيف ﴿فَصَدُّواْ﴾ المسلمين بحلفهم ﴿عَن﴾ قتلهم ونهبهم؛ فإنه جهاد في ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم.

* * *

﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾.

[١٧] ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ مقيمون؛ لأن الصحبة تدل على الملازمة.

* * *

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨﴾.

[١٨] ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ العامل فيه (أَصحَابُ) ﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي: لله تعالى ثَمَّ إنهم مسلمون.

﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ هنا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ على فعل نافع من أيمانهم الكاذبة كما انتفعوا بها في الدنيا. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (وَيَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها(١).

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ البالغون الغاية في الكذب؛ حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة، ويحلفون عليه.

***

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ غلبَ واستولى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بطاعتهم إياه.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ معناه: تملَّكهم من كل جهة، وغلب على نفوسهم، وهذا الفعل مما استُعمل على الأصل؛ فإن قياس التعليل يقتضي أن يقال: استحاذ، وحكي أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قرأ: (اسْتَحَاذَ)(٢).

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ جنودُه.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لتفويتهم على نفسهم النعيمَ، وعرضها للعذاب.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٦).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٠٦).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ معناه: يكونون في حد غير الحد الذي شرع الله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ المغلوبين.

***

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ أي: قضى ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ بالحجة كُلَّ مَنْ حادَّ الله ورسوله. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (وَرُسُلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ ﴾ على نصر رسله ﴿ عَزِيزٌ ﴾ غالب في مراده.

***

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ونزل في قتل أبي عبيدة بن الجراح أباه عبدَ الله بنَ الجراح يومَ أحد، وأبي بكر حيث أراد مبارزة ابنه يومَ بدر، ومصعبِ بنِ عمير وقتلِه

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/١٠٦).

أخاه عبيدَ بنَ عمير بأُحد، وعمرَ وقتلِه خالَه العاصَ بنَ هشام ببدر، وعلي وحمزة وقتلِهما الوليدَ بنَ عتبة وشيبةَ وعتبةَ ابني ربيعة ببدر:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[1] عاداهما وخالفهما. تلخيصه: من صح إيمانه، لم يواد المشركين، بل يقتلهم، ويقصدهم بالسوء ﴿ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ كأبي عبيدة بن الجراح ﴿ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ كأبي بكر ﴿ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ ﴾ كمصعب بن عمير.

﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ كعمر وعلي وحمزة.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ المذكورون.

﴿ كَتَبَ ﴾ ثبّتَ ﴿ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم ﴾ قواهم.

﴿ بِرُوحٍ ﴾ أي: بنصر ﴿ مِّنْهُ ﴾ هو جبريل عليه السلام.

﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ بطاعتهم.

﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ بقضائه.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ﴾ أنصارُ دينه، والحزب: الفريق الذي يجمعهم مذهب واحد.

﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون ببغيتهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣١٢).

مُحتوى المجلد السادس

* * *

فتح الرحمن

في

تفسير القرآن

الطَّبْعَةُ الأُولَى
مِن إِصْدَارَاتِ
وِزَارَةِ الأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الإِسْلَامِيَّةِ
دَوْلَةِ قَطَر
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة
مِن إِصْدَارَاتِ
دَارِ النَّوَادِر
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٩٧٨ - ٩٩٣٣ - ٤١٨ - ١٦ - ٨ : ISBN
9789933418168

سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَّسَة دار النَّوادر م. ف - سُورية * شَرِكَة دار النَّوادر اللُّبنانيَّة ش. م. م - لُبنان * شَرِكَة دار النَّوادر الكُويتيَّة - ذ. م. م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسَّسَها سَنَة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَامّ وَالرَّئِيسُ التَّنفِيذِي

فتح الرحمن
في
تفسير القرآن

تأليف

الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي

المولود سنة (٨٦٠ هـ) - والمتوفى سنة (٩٢٧هـ)

رحمه الله تعالى

المجلد السابع

اعتنى به

تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً

نور الدين طالب

دار النوادر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحشر

مدنية باتفاق أهل العلم، وآيها: أربع وعشرون آية، وحروفها: ألف وتسع مئة وثلاثة عشر حرفاً، وكلمها: أربع مئة وخمس وأربعون كلمة، وهي سورة بني النضير، [وذلك أن رسول الله ﷺ كان عاهد بني النضير][(1)] على سِلْم ألاَّ يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، وهم يرون أنه لا ترد له راية، فلما جرت هزيمة أحد، ارتابوا ودخلوا قريشاً وغدروا، فلما رجع النبي ﷺ من أحد، تبين له معتقد بني النضير وغدرهم بعهده، وموالاتهم للكفار، فخرج إليهم بالكتائب على حمار مخطوم بليف، وقال: «اخرجوا من المدينة»، فقالوا: الموتُ أقرب إلينا من ذلك، فدسَّ إليهم عبد الله بن أبي وأصحابُه ألا تخرجوا من حصنكم، وإن قتلتم فنحن معكم ننصركم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فدربوا الأزقة، وحصنوها، فحاصرهم ﷺ إحدى وعشرين ليلة، فرعبت قلوبهم، وطلبوا الصلح، فأبى عليهم ﷺ إلا الجلاء، ويحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي، فجلوا عن المدينة إلى أريحاء وأذرعات من أرض الشام، إلا أهل بيتين من

---

(1) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

آل أبي الحقيق وآل ابن أخطب لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة، فنزلت السورة(١).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره في أول سورة الحديد.

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم بنو النضير، وكانت قبيلة عظيمة من بني إسرائيل، موازنة في القدر والمنزلة لبني قريظة، وكان يقال للقبيلتين: الكاهنان؛ لأنهما من ولد الكاهن ابن هارون.

﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ وكانت أرضهم وحصونهم قريبة من المدينة بقرية يقال لها: زهرة، ولهم نخل وأموال عظيمة.

﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ أي: عند أول حشرهم إلى الشام، والحشر: الجمع

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٣٨): غريب، وهو في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٦٧) هكذا من غير سند.

والتوجيه إلى ناحية ما، قال ابن عباس: من شكَّ أن المحشرَ بالشام، فليقرأ هذه الآية»، فكان أول حشر إلى الشام، قال النبي: ﷺ «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر، ثم تحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام[(١)] [(٢)]»، وقيل: معناه لأول الحشر؛ لأنهم كانوا أول من أُجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرَهم عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، وسميت جزيرة؛ لأنه أحاط بها بحر الحبشة، وبحر فارس، ودجلة، والفرات.

﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾ من المدينة؛ لعزهم وقوتهم ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ أي: بنو النضير.

﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من بأس الله؛ لوثوقهم بحصانتها.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمرُه وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ أي: يظنوا.

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوفَ بقتل سيدهم كعبِ بن الأشرف غيلةً قبلَ ذلك، وتقدم ذكرُ قتله في سورة آل عمران. **قرأ** أبو جعفر، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب: (الرُّعُبَ) بضم العين، والباقون: بإسكانها[(٣)].

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ يهدمونها. **قرأ** أبو عمرو: (يُخَرِّبُونَ) بفتح الخاء وتشديد الراء من خَرَّب، **وقرأ** الباقون: بإسكان الخاء مخففاً من أخرب،

---

(١) «إلى الشام» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما نسبه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨٩)، والبزار في «مسنده» كما عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٣)، ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١١).

لغتان[١]، وقرأ ابن كثير، وقالون، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (بِيُوتَهُمْ) بكسر الباء، والباقون: بضمها، ومعناهما واحد[٢].

﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ [كانوا يخربون بواطنها؛ لئلا يتحسروا على بقائها للمسلمين][٣].

﴿وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كانوا يخربون باقيها.

﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾ فاتعِظوا[٤] بمصابهم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ذوي العقول والبصائر.

***

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ أي: حكمَ عليهم بخروجهم من أوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر؛ كقريظة.

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ إن نجوا هنا من القتل.

﴿عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ وكان إجلاء بني النضير مرجعَ النبي ﷺ من أُحد في سنة ثلاث من الهجرة، وفتحُ قريظة مرجعَه من الأحزاب في سنة خمس من الهجرة، وبينهما سنتان.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١١-١١٢).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٢).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٤) «فاتعظوا» زيادة من «ت».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ والمشاقة: كون الإنسان في شق، ومخالفُه في شق ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

* * *

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ولما حاصروا بني النضير، قطعوا بعض نخلهم؛ ليغيظوهم، فتحرَّج بعض المسلمين من ذلك، فنزل: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ من نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئته، فلا جناح عليكم.

﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ اليهودَ، فيه دليل على جواز قطع شجر الكفار وحرقها وهدم بيوتهم إذا قوتلوا، والحكم كذلك بالاتفاق.

* * *

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ولما ترك بنو النضير رباعهم وضياعهم، طلب المسلمون قسمتها كخيبر، فنزل: ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾ ردَّ ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ من أموال الكفار؛ أي: جعله فيئاً يختص به ﷺ.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ أي: سرتم بسرعة ﴿عَلَيْهِ﴾ على طلبه.

﴿ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ إبل خاصة، و(مِنْ) زائدة، المعنى: لم تقاسوا مشقة على أخذ أموال اليهود، فلذلك اختص به ﷺ.

﴿ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ إهلاكه وأخذَ ماله.

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يفعل ما يريد، فجعل أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها بين المهاجرين، ولم يُعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دجانة سماكُ بنُ خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة(١).

* * *

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ثم بين ما يصنع ﷺ بالفيء، فقال:

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ ﴾ أموال الكفار.

﴿ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ وهي قريظةُ والنضير، وفدك، وخيبر، وقرى عرينة.

﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الْقُرَى) و(الْقُرْبَى) و(الْيَتَامَى) بالإمالة، وافقهم أبو عمرو في (الْقُرَى) و(الْقُرْبَى)، واختلف عن ورش، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٧٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٢٠٩).

بالفتح[1]، وتقدم حكم الفيء والغنيمة واختلاف الأئمة فيهما مستوفىً في سورة الأنفال.

﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ ﴾ هو ما يُتداول.

﴿ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ ﴾ المعنى: قسم تعالى هذه الأموال بين المذكورين؛ لئلا يختص بها الأغنياء، ويتداولوها بينهم. قرأ أبو جعفر: (تَكُونَ) بالتاء على التأنيث؛ لتأنيث لفظ (دُوَلَةً)، [و(دولةٌ) بالرفع؛ أي: كي لايقع دولة جاهلية، وافقه هشام على رفع دولة][2]، واختلف عنه في تذكير (يَكُونَ) وتأنيثه، وقرأ الباقون: بالياء على التذكير؛ لأن تأنيث (دُولَة) غير حقيقي، و(دُولَةً) بالنصب[3]؛ أي: لكيلا يكون الفيء دولة، والمخاطبة للأنصار؛ لأنه لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غنى.

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ﴾ أعطاكم ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ أيها المؤمنون من الفيء وغيره.

﴿ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ ﴾ من الغلول وغيره.

﴿ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ وهذا نازل في أمر الفيء، ثم اطَّرد بعدُ معنى الآية في جميع أوامر النبي ﷺ ونواهيه، فما حكم به الشارع ﷺ مطلقاً، أو في عين، أو فعله، أو أقره، لا يعلل بعلة مختصة بذلك الوقت بحيث يزول الحكم مطلقاً عند الحنابلة والشافعية، وجوزه الحنفية والمالكية.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٤).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٤).

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ لمن خالفه.

* * *

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ثم بين مَنْ له الحقُّ في الفيء، فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ فإن كفار مكة أخرجوهم، وأخذوا أموالهم.

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ﴾ رزقاً ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ أي: أُخرجوا إلى دار الهجرة طلباً لرضا الله عز وجل. قرأ أبو بكر عن عاصم: (وَرُضْوَاناً) بضم الراء، والباقون: بكسرها(١).

﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ بأنفسهم وأموالهم.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ في إيمانهم.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ﴾ استوطنوا ﴿ ٱلدَّارَ ﴾ المدينةَ، وهم الأنصار ﴿ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ أي: وأخلصوا الإيمان ﴿ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل قدوم المهاجرين

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٥).

عليهم؛ فإنهم آمنوا، وبنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ والمهاجرين المدينة بسنتين.

﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ من المؤمنين ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ ﴾ لقسم النبي ﷺ أموالَ بني النضير للمهاجرين دون الأنصار ﴿ حَاجَةً ﴾ حزازة وحسداً ﴿ مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي: مما أُعطي المهاجرون دونَهم من الفيء.

﴿ وَيُؤْثِرُونَ ﴾ إخوانَهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم.

﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ فقرٌ إلى ما يؤثرون به.

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾ وشحُّ النفس: هو كثرة الطمع وضبطها على المال والرغبة فيه، وامتداد الأمل، وهو فقر لا يُذهبه غنى المال، بل يزيده، وهو داعية كل خلق سوء ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الفائزون بالثناء والثواب.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يجتمعُ غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنمَ في جوفِ عبدٍ أبداً، ولا يجتمعُ الشحُّ والإيمانُ في قلبِ عبدٍ أبداً»[١].

وقال ﷺ: «من أدَّى الزكاةَ المفروضةَ، وقِرى الضيف، وأعطى في النائبة، فقد برىء من الشح»[٢].

والشح: هو أقبح البخل.

---

(١) رواه النسائي (٣١١٠)، كتاب: الجهاد، باب: فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، والإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣٩٥).

(٢) رواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/٤٥٩)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾.

[١٠] ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني: التابعين، وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، وإعراب (الَّذِينَ) رفع عطفاً على (هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، ثم وصف الله تعالى القولَ الذي ينبغي أن يلتزمه كلٌّ من لم يكن من الصدر الأول، فقال:

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ قوله: (يَقُولُونَ) حال فيها الفائدة، والمراد: والذين جاؤوا قائلين كذا.

﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾ غشاً وحقداً.

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة، ولم يترحم على جميعهم، فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله رتب المؤمنين على ثلاث خلال: المهاجرين، والأنصار، والتابعين الموصوفين بما ذكرهم، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة، كان خارجاً من أصناف[١] المؤمنين، ولهذه الآية قال مالك وغيره: إنه من كان له في الصحابة قول سوء أو بغض، فلا حظَّ له في الغنيمة؛ أدباً له، وتقدم في سورة الحديد [الآية: ٩] اختلاف القراء في (رؤوف).

* * *

---

(١) في «ت»: «أقسام».

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ﴾ أي: أظهروا خلاف ما أضمروا؛ يعني: عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهم اليهود من بني قريظة والنضير:

﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ ﴾ من المدينة ﴿ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا ﴾ سألنا خِذْلانكم ﴿ أَبَدًا ﴾ أي: من رسول الله والمسلمين.

﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ لنعاونَنَّكُمْ.

﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ لعلمِه بعدم فعلهم ذلك.

* * *

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] كما قال: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُواْ ﴾ من ديارهم ﴿ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ ﴾ وكان الأمر كذلك؛ فإنهم أخلفوهم الوعد.

﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ﴾ أي: جاؤوا لنصره.

﴿ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ﴾ منهزمين ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ اليهود؛ لانهزام ناصرهم.

* * *

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿لَأَنتُمْ﴾ يا معشرَ المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ المعنى: خوفُ المنافقين منكم أيها المؤمنون سراً أشدُّ من خوفهم من الله تعالى جهراً، فإن استبطان رهبتكم سببٌ لإظهار رهبة الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الخوفُ منكم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ عظمةَ الله.

* * *

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ اليهودُ والمنافقون ﴿جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين.

﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق، والدروب، فلا يبرزون لقتالكم.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭۚ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: (جِدَارٍ) بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها على التوحيد، وأبو عمرو: على أصله في الإمالة، وقرأ الباقون: بضم الجيم والدال من غير ألف على الجمع(١)، وهما بمعنى الحائط ﴿بَأْسُهُم﴾ حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ﴾ قتالهم لكم من وراء السور شديد، ولكن لا يطيقون مبارزتكم.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ متفقين. وتقدم اختلاف القراء في (تَحْسَبُهُمْ) في

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٦٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٦-١١٧).

سورة الحديد ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ متفرقة ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ ما فيه صلاحُهم.

* * *

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] فمثلُ بني النضير ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾ يعني: مشركي مكة.

﴿ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ سوءَ عاقبة كفرهم، وهو القتل ببدر، وكانت غزوة بدر [في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة][١] بني النضير، والتقدير: ذاقوا وبال أمرهم قريباً من عصيانهم، و(قَرِيباً) ظرف، أو نعت لظرف ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ومثل المنافقين وإغوائهم اليهودَ بقولهم: ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾.

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ إبليس ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ ﴾ فكفر.

﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ تبرأ منه[٢] مخافةَ أن يشاركه في العذاب، ولم ينفعه ذلك.

وحكي أن هذا في شيطان مخصوص مع عابد من العباد مخصوص اسمه

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) في «ت»: «عنه».

برصيصا، استودع امرأة سيقت إليه ليشفيها بدعائه من الجنون، فسول له الشيطان الوقوع عليها، فحملت، فخشي الفضيحة، فسول له قتلها ودفنها، ثم شهره، فلما استخرجت المرأة، وحُمل العابدُ شرَّ حمل، وهو قد قال: إنها قد ماتت، فقمتُ عليها فدفنتها فلما وُجدت مقتولة، علموا كذبه، فتعرض له الشيطان، فقال له: اكفر واسجد لي وأنا أنجيك، ففعل، فتركه عند ذلك، وقال: إني بريء منك، قال ابن عطية[1]: وهذا كله ضعيف، والتأويل الأول هو وجه الكلام[2].

وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ رياء من قوله، وليست على ذلك عقيدته. **قرأ** أبو جعفر بخلاف عنه: (بَرِيٌّ) بتشديد الياء بغير همز، والباقون: بالمد والهمز[3]، **وقرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (إِنِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[4].

* * *

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾.

[١٧] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ آخرَ أمر الغاوي والمغوى.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٦٤)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٠).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٨).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١١٨).

﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وذهب الجمهور من المتأولين إلى أن (الشيطانَ) و(الإنسانَ) في هذه الآية اسما جنس؛ لأن العرف أن يعمل هذا شياطين بناس، كما يغوي الشيطان الإنسان، ثم يفر عنه بعد أن يورطه، كذلك أغوى المنافقون بني النضير، وحرضوهم على الثبوت، ووعدوهم النصر، فلما نشب بني النضير، وكشفوا عن وجوههم، تركهم المنافقون في أسوأ حال.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من العمل.

﴿لِغَدٍۖ﴾ ليوم القيامة، وسماه به؛ لدنوه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تكرير للتأكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي.

* * *

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: نسوا حقه، وغفلوا عنه.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أي: حقَّ أنفسهم بالخذلان حتى لم يقدموا لها خيراً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الكاملون في الفسق، ويعطي لفظ هذه

الآية أن من عرف نفسه ولم ينسها، عرف ربه تعالى، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: اعرف نفسك تعرف ربك(1).

* * *

﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ ﴾ فيه دليل على أن المسلم لا يُقتل بالكافر، وتقدم الحكم في ذلك، واختلاف الأئمة فيه في سورة البقرة.

﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ بالنعيم المقيم.

* * *

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا ﴾ متشققاً.

﴿ مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ قرأ ابن كثير: (القُرَانَ) بالنقل، والباقون: بالهمز(2)، وهذا تمثيل توبيخاً للإنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ ﴾ المذكورات هنا وجميع القرآن.

﴿ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ فيؤمنون.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٩١)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٠).

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ لما قال تعالى: ﴿ مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ تعالى جاء بالأوصاف التي توجب لمخلوقاته هذه الخشية.

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ما غاب عن المخلوقين، ولم يعاينوه.

﴿ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ما شاهدوه وعلموه ﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ذو الرحمة، ولا يوصف به إلا هو سبحانه ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ عظيم الرحمة.

* * *

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ البليغُ في النزاهة، وهو فُعُّول من تقدَّس: إذا تطهَّر، وحظيرة القدس: الجنة؛ لأنها طاهرة، ومنها روح القدس، والأرض المقدسة: بيت المقدس، سمي به؛ لأنه يُتطهر فيه من الذنوب.

﴿ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ الذي سلم من النقائص ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ واهب الأمن ﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ الرقيب على كل شيء ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يوجد له نظير ﴿ ٱلْجَبَّارُ ﴾ العظيم الذي جبر خلقَه على ما أراد ﴿ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ ﴾ المتعالي عن صفات المحدثات وعن كل سوء.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ﴾ المقدِّرُ لما يوجد ﴿ ٱلْبَارِئُ ﴾ المنشىء من العدم. قرأ الدوري عن الكسائي: (الْبَارِىءُ) بالإمالة[1] ﴿ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ الممثِّل لصورة خلقه بالشكل واللون.

﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي: ذات الحسن في معانيها القائمة بذاته سبحانه، وهذه الأسماء التي حصرها رسول الله ﷺ بقوله: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً، مئةً إلا واحداً، من أحصاها، دخلَ الجنةَ»[2]، وتقدم ذكرها والكلام عليها في سورة الأعراف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الآية: ١٨٠].

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ينزهه عن النقائص.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ تقدم تفسيره في أول سورة الحديد.

روي أن اسم الله الأعظم في هذه الآيات من ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ﴾ إلى آخرها[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ٥٦).

سورة الممتحنة

مدنية، وآيها: ثلاث عشرة آية، وحروفها: ألف وخمس مئة وعشرة أحرف، وكلمها: ثلاث مئة وثمان وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾.

[١] لما أراد رسول الله الخروج إلى مكة عام الحديبية، فورَّى عن ذلك بخيبر، فشاع في الناس أنهم خارجون إلى خيبر، وأخبر هو جماعة من كبار الصحابة بقصده إلى مكة، منهم حاطبُ بن أبي بلتعة، فكتب حاطب إلى قوم من كفار مكة يخبرهم بقصد رسول الله، وحذَّرهم، وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب، فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك، فبعث علياً والزبير وعماراً وطلحة والمقداد وأبا مرثد، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ؛ فإنَّ بها ظَعينةً معها كتابُ حاطبٍ إلى أهلِ مكة، فخُذوا منها، وخَلُّوها، فإن أبت، فاضربوا عنقَها»، فأدركوها ثَمَّ، فجحدت، ففتشوا

جميع رحلها فما وجدوا شيئاً، فقال بعضهم: ما معها كتاب، فقال علي: ما كذب رسولُ الله ﷺ، واللهِ لتخرجِنَّ الكتاب، وإلا لأجردَنَّك ولأضربَنَّ عنقَك، فأخرجته من ذؤابتها، قد خبأته في شعرها، فخلوها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فاستحضر حاطباً، وقال: «ما حَمَلَكَ عليه؟ فقالَ: ما كفرتُ منذ أسلمتُ، ولا غششتك منذ نصحتُك، ولكني كنتُ امرأً ملصَقاً في قريش، وليس فيهم من يحمي أهلي، فأردت أن آخذ عندهم يداً يرعوني بها في قرابتي، وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: دعني يا رسول الله أضربْ عنقَ هذا المنافق، فقال رسول الله: ﷺ صدقَ حاطبٌ إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمرُ لعلَّ الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيراً»[(١)].

وروي أن حاطباً كتب أن رسول الله ﷺ يريد غزوكم مثل[(٢)] الليل والسيل، وأقسم بالله، لو غزاكم هو وحده، لنصر عليكم، فكيف وهو في جمع كثير؟! فنزل في شأن حاطب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ﴾[(٣)] مفعولُه الأول ﴿عَدُوِّى﴾ ويعطف عليه ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ والثاني ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ والعدو: اسم يقع للجمع والمفرد، والمراد هنا: كفار قريش.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٨)، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، ومسلم (٢٤٩٤)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل أهل بَدر رضي الله عنهم من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) في «ت»: «في حكم».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٩٣)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٩٠).

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم ﴾ صفة لـ(أَوْلِياءَ) والباء زائدة في ﴿ بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ أي: لا تظهروا مودتكم لهم ﴿ وَقَدْ ﴾ الواو للحال؛ أي: وحالهم أنهم.

﴿ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو القرآن.

﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ﴾ من مكة ﴿ أَن تُؤْمِنُواْ ﴾ تعليل؛ أي: لإيمانكم ﴿ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ وقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ ﴾ شرطٌ جوابه متقدم في معنى ما قبله، تقديره: إن كنتم خرجتم ﴿ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ﴾ فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، و(جِهَاداً) و(ابْتِغَاءَ) مفعولان له، والمرضاة مصدر كالرضا. قرأ الكسائي: (مَرْضَاتِي) بالإمالة، والباقون: بالفتح(1).

﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ بالنصيحة فعل ابتدأ به القول؛ أي: تفعلون ذلك ﴿ وَأَنَاْ أَعْلَمُ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (وَأَنَا أَعْلَمُ) بالمد(2).

﴿ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ ﴾ من المودة للكفار ﴿ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ أظهرتم.

﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ ﴾ أي: الإسرارَ.

﴿ فَقَدْ ضَلَّ ﴾ أخطأ ﴿ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ طريق الهدى.

***

﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ ﴾ يظفروا بكم ﴿ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً ﴾ ولا تنفعكم مودتهم.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٠ـ٢٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٥).

﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالضرب والقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالشتم.

﴿وَوَدُّواْ﴾ كفار مكة ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فتكونون مثلَهم.

* * *

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾.

[٣] ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتُكم.

﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ بمكة الذين بسببهم كتب الكتاب خوفاً عليهم إلى مكة.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار. **قرأ** عاصم، ويعقوب: (يَفْصِلُ) بفتح الياء وإسكان الفاء وكسر الصاد مخففة، **وقرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة، **وقرأ** ابن عامر بخلاف عن راويه هشام: بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة، **وقرأ** الباقون: بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة(١)، المعنى: يفرق تعالى بينكم وبين أقاربكم، فيدخل المؤمنَ الجنة، والكافرَ النار.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم عليه.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٥-١٢٦).

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أُسْوَةٌ ﴾ قدوةٌ ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ قرأ عاصم: (أُسْوَةٌ) بضم الهمزة، والباقون: بكسرها[١].

﴿ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قرأ هشام: (أَبْرَاهَامَ) بالألف، والباقون: بالياء[٢].

[﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ من المؤمنين، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريباً منه، قال ابن عطية[٣]: وهذا القول أرجح؛ لأنه لم يرد[٤] أن إبراهيم كان له أتباع مؤمنون في مكافحة نمرود، وفي «البخاري»[٥]؛ أنه قال لسارة حين دخل بها إلى الشام مهاجراً من بلاد نمرود: ما على الأرض من يعبد الله غيري وغيرك][٦].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٧).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٧).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٥).

(٤) في «المحرر الوجيز»: «لم يروَ».

(٥) رواه البخاري (٣١٧٩)، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾، ومسلم (٢٣٧١)، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

﴿ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ﴾ المشركين ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ﴾ جمع بريء.

﴿ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾ جحدنا دينكم.

﴿ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ فتنقلب العداوة محبة، وهذا أمر لحاطب والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم ومن معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين. واختلاف القراء في الهمزتين من (الْبَغْضَاءُ أَبَداً) كاختلافهم فيهما من (الْمَلأُ أَفْتُونِي) في سورة النمل [الآية: ٣٢].

﴿ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ مستثنى من (أُسْوَة) يعني: لكم أسوة في إبراهيم، إلا في استغفاره لأبيه المشرك؛ فإن إبراهيم عليه السلام كان قد قال لأبيه: ﴿ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ ثم تبرأ منه كما تقدم في سورة التوبة؛ لأن استغفار المؤمن للكافر لا يجوز، قال إبراهيم لأبيه:

﴿ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ما أدفعُ عنك من عذابه ﴿ مِن شَيۡءٖ﴾ إن عصيتُه وأشركتُ.

﴿ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ حكاية عن قول إبراهيم والذين معه: أنه هكذا كان، وقيل: هو أمر للمؤمنين؛ أي: قولوا ذلك.

* * *

﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لا تُظفرهم بنا، فيفتنونا عن ديننا.

﴿ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ ﴾ ما فرط ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.

* * *

﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦ ﴾.

[٦] ثم خاطب الله أمة[1] محمد ﷺ، فقال:

﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ ﴾ في إبراهيم ومؤمنيه ﴿ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ تقدم مذهب عاصم في (أُسْوَة)، فإن قيل: لم كرر الله الأسوة مرتين؟ فالجواب أن الأسوة الأولى غير الثانية، فالأولى أسوة في العداوة، والثانية في الخوف والخشية، فلا تكرار، وتبدل من ﴿ لَكُمۡ ﴾ بدل اشتمال.

﴿ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ ﴾ أي: يخاف الله، ويخاف عذاب الآخرة.

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ﴾ عن خلقه.

﴿ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ في ذاته وأفعاله، لا ينقص ذلك كفرُ كافر، ولا نفاقُ منافق.

* * *

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم ﴾ أي: من كفار مكة.

﴿ مَّوَدَّةٗۚ ﴾ محبة، ففعل الله ذلك؛ بأن أسلم كثير منهم يوم فتح مكة، وتحابوا.

---

(١) «أمة» زيادة من «ت».

روي أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وذلك أن أم حبيبة بنت أبي سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش أسلما وهاجرا إلى الحبشة، فقُبض زوجها، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ، فكتب كتاباً إلى النجاشي، وخطب أم حبيبة وتزوجها، وأحبَّ أن يكون صهرُه مسلماً، فأنزل الله الآية، وأسلم هؤلاء[1] الأربعة لمحبته[2].

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لما فرط منكم في موالاتهم من قبل.

* * *

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ونزل رخصة في برٍّ من لم يعاد المسلمين، ولم يقاتلهم من الكفار ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ وتبدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ تعدلوا فيهم بالإحسان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين، ونسختها ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

* * *

---

(١) في «ت»: «هذه».

(٢) انظر: «تفسير الثعالبي» (٩/ ٢٩٤)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٥٨).

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ ﴾ أعانوا ﴿ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ ﴾ فإن بعضهم سعى في إخراج المؤمنين، وبعضٌ أعان عليه، وتبدل من ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ .

﴿ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ تلخيصه: لم ينهكم عن بر هؤلاء، إنما ينهاكم عن تولِّي هؤلاء. قرأ البزي: (أَن تّوَلَّوْهُمْ) بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[1].

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لوضعهم الولاية في غير موضعها.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام.

﴿ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ فاختبروهن بالحلف إنهن ما خرجن إلا حباً لله ورسوله، فكان رسول الله ﷺ يحلِّف المهاجرة بالله إنها ما خرجت بغضاً لزوج،

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٢٩).

ولا عشقاً لرجل، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحدث أحدثته، ولا لالتماس الدنيا، ولا خرجت إلا رغبة في الإسلام، وحباً لله ورسوله، فإذا حلفت، لم يردَّها، وأعطى زوجَها مهرَها وما أنفقَ عليها، وحكم بإيمانها.

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ فإنه المطَّلع على ما في قلوبهن.

﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٍ﴾ أي: غلب على ظنكم إيمانُهنَّ بالحلف؛ لأن غلبة الظن تسمى: علماً ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ﴾ تردُّوهن ﴿إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ بعدَما أسلمن، وإن كانوا أزواجهن.

﴿لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ أي: لا يحل أحدهما لصاحبه.

﴿وَءَاتُوهُم﴾ يعني: أزواجَهن ﴿مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ من المهر.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ وإن كان لهن أزواج كفار؛ لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار.

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ﴾ مهورهن.

﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب: بفتح الميم وتشديد السين، وقرأ الباقون: بإسكان الميم وتخفيف السين(١)، ومعناهما الإمساك.

﴿بِعِصَمِ﴾ جمع عصمة، وهو ما يعتمد عليه.

﴿ٱلۡكَوَافِرِ﴾ جمع كافرة، المعنى: من كانت له زوجة كافرة، فلا يعتدَّنَّ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٠).

بها؛ لانقطاع الزوجية بينهما، فلما نزلت هذه الآية، طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها معاوية بن أبي سفيان، وهما على الشرك في مكة، والأخرى: أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر، فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن عاصم، وهما على الشرك، وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله، فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها، ففرق الإسلام بينهما، فتزوجها في الإسلام خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وكانت زينبُ بنتُ رسول الله ﷺ امرأةَ أبي العاص بن الربيع، ولحقت بالنبي ﷺ، وأقام أبو العاص بمكة مشركاً، ثم أتى المدينةَ، فأسلم، فردها عليه رسول الله ﷺ(١).

وأما حكم الشرع إذا أسلم الزوجان معاً، أو أسلم زوج الكتابية، فهما على نكاحهما بالاتفاق، وإذا أسلمت المرأة، فإن كانت مدخولاً بها، فأسلم في عدتها، فهي امرأته بالاتفاق، وإن كانت غير مدخول بها، وقعت الفرقة بينهما، وكانت فسخاً عند الثلاثة، وقال أبو حنيفة: يعرض عليه الإسلام، فإن أسلم، فهي امرأته، وإلا فرق القاضي بينهما بإبائه عن الإسلام، وتكون هذه الفرقة طلاقاً عند أبي حنيفة ومحمد، وفسخاً عند أبي يوسف، ولها المهر إن كانت مدخولاً بها، وإلا فلا، بالاتفاق.

وأما إذا ارتد أحد الزوجين المسلمَين، فقال أبو حنيفة ومالك: تقع الفرقة حال الردة بلا تأخير، قبل الدخول وبعده، وقال الشافعي وأحمد: إن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٨)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٦٦).

كانت الردة من أحدهما قبل الدخول، انفسخ النكاح، وإن كانت بعدها، وقعت الفرقة على انقضاء العدة، فإن أسلم المرتد منهما في العدة، ثبت النكاح، وإلا انفسخ بانقضائها، ثم إن كان المرتد الزوجة بعد الدخول، فلها المهر، وقبله لاشيء لها، وإن كان الزوج، فلها الكل بعده، والنصف قبله بالاتفاق.

﴿وَسْـَٔلُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي: واسألوا أهل مكة أن يردوا عليكم مهورَ النساء اللواتي يخرجن إليهن مرتدات ممن يتزوجهن. قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: (سَلُوا) بنقل حركة الهمز إلى ساكن قبله وهو السين، وقرأ الباقون: بإسكان السين والهمز[1].

﴿وَلْيَسْـَٔلُوا﴾ أي: المشركون ﴿مَآ أَنفَقُوا﴾ من المهر على زوجاتهم المهاجرات ممن تزوجوهن.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحكم المذكور.

﴿حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يحكم[2] ما تقتضيه حكمته، ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك.

***

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] فلما نزلت هذه الآية، أقر المؤمنون بحكم الله ـ عز وجل ـ، وأدَّوا ما أُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقروا

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣١).

(٢) في «ت»: «يشرع».

بحكم الله فيما أمر به من أداء نفقات المسلمين، فنزل قوله تعالى:

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ﴾ [1] أي: أحد ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: سبقكم، وانقلب منكم ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾، فلحق بهم مرتدات.

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغنمتم من الكفار.

﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم﴾ منكم إلى الكفار مرتدات.

﴿مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم.

قال ابن عباس: «لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ستُّ نسوة رجعنَ عن الإسلام، فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهنَّ مهورهن من الغنيمة»[2]، وهذا كله منسوخ حكمه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾.

[١٢] ونزل يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ قرأ نافع: (النَّبِيءُ إِذَا)

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧٩).

بالهمز والمد وتسهيل الهمزة الثانية، والباقون: بتشديد الياء بغير مد ولا همز، وتحقيق الهمزة الثانية.

﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ والمراد: وأد البنات الذي كانوا يفعلونه، وهو دفنهن في حياتهن.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: تلتقط مولوداً وتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى؛ لأن الولد إذا وضعته الأم، سقط بين يديها ورجليها. قرأ يعقوب: (أَيْدِيهُنَّ) بضم الهاء، والباقون: بكسرها[1].

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله ورسوله.

﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ إذا بايعنك.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فكان رسول الله ﷺ على الصفا، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمره، ويبلغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء؛ خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها، ثم عرفها، وعفا عنها، وصح أنه ﷺ لم يصافح امرأة في البيعة، وإنما بايعهن بالكلام، وقال: «إني لا أصافحُ النساءَ، وإنما قولي لامرأةٍ كقولي لمئةِ امرأة»[2].

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٢ـ١٣٣).

(٢) رواه النسائي (٤١٨١)، كتاب: البيعة، باب: بيعة النساء، والترمذي (١٥٩٧)، كتاب: السير، باب: ما جاء في بيعة النساء، وقال: حسن صحيح، من حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] وكان بعض فقراء المسلمين يواصلون اليهود لينالوا شيئاً من ثمارهم، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[1] وهم اليهود.

﴿ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ أي: من أن يكون لهم حظ فيها.

﴿ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ أي: من رجوع موتاهم؛ لأنهم لا يوقنون بالبعث، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٥٢٠)، و«تفسير البيضاوي» (٥/ ٣٣١).

سُورَةُ الصَّفِّ

مدنية في قول الجمهور، وقيل: مكية، والأول أصح؛ لأن معانيها تعضده، ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني، وآيها: أربع عشرة آية، وحروفها: تسع مئة وستة وعشرون حرفاً، وكلمها: مئتان وإحدى وعشرون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾.

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم تفسيره في أول سورة الحديد.

* * *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)﴾.

[٢] روي أن جماعة من المؤمنين قالوا: لو أردنا[١] أن نعرف أحبَّ الأعمال إلى ربنا حتى نفنى فيه، ففرض الله الجهاد، وأعلمهم بفضله لديه، وأنه يحب المقاتلين في سبيله كالبنيان المرصوص، وكان إذ فرض تكرَّهَهُ قوم منهم، وفرَّ من فر يوم أُحد، فعاتبهم الله تعالى بقوله:

---

(١) في «ت»: «لوددنا».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1] وقف البزي ويعقوب: (لِمَهْ) بهاء بعد الميم[2].

* * *

﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا ﴾ عظم بغضاً ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ و(مَقْتاً) نصب على التمييز، وفاعل (كَبُرَ): ﴿ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ وهذا مبالغة في المنع عنه.

* * *

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ أي: مصفوفين.

﴿ كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ لاصقٌ بعضُه ببعض، قد أُحكم، فليس فيه فرجة ولا خلل.

وأما حكم الجهاد، فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق، إذا فعله البعض، سقط عن الباقين، وعند النفير العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بغير خلاف.

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٠١).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٧).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾.

[٥] ثم ذكر قصة موسى؛ لأن قومه آذوه في الجهاد، وامتنعوا منه؛ كما أن المنافقين آذوا رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ من بني إسرائيل.

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ بالتكذيب والقذف بما ليس فيَّ. اتفق القراء على إثبات الياء في الحالين في (تُؤْذُونَنِي) و(بِرَسُولٍ يَأْتِي).

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ والرسول يجب احترامه، و(قَدْ) لتحقيق العلم.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ مالوا عن الحق. قرأ حمزة: (زَاغُوا) بالإمالة[1].

﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الإيمان والخير.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الذين سبق في علمه فسقُهم.

* * *

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿وَإِذْ﴾ أي: واذكر إذ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولم يقل:

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٧).

يا قوم؛ لأنه لم يكن له في بني إسرائيل قرابة.

﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا﴾ أي: في حال تصديقي.

﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ يعني: محمداً ﷺ، و(أَحْمَدُ) هو الذي حمدُه لربه أفضلُ من حمد الحامدين غيره، وهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة، وأهل السماء والأرض، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوق عددَ العادِّين سمي باسمين من أسماء الحمد، يقتضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة، فدل أحد الاسمين وهو محمد على كونه محموداً، ودل الاسم الثاني وهو أحمد على كونه أحمد الحامدين لربه، وأن الحمد الذي يستحقه أفضلُ مما يستحقه غيره، وقد أكرمه الله سبحانه بهذين الاسمين المشتقين من اسمه جل وعلا، وتقدم تفسير محمد في سورة (آل عمران)، وفي (الأحزاب)، ولم يُسم بأحمد أحدٌ غيره، ولا دُعي به مدعو قبله، وكذلك محمد أيضاً لم يُسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قُبيل وجوده ـ عليه السلام ـ وميلاده: أن نبياً يبعث اسمه محمد، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك؛ رجاء أن يكون أحدهم هو، وهم: محمد بن أُحيحة بن الجلاج الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمدان الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي، لا سابع لهم[١]، ثم حمى الله كلَّ من تسمى به أن يدَّعي النبوة أو يدَّعيها أحدٌ له، أو يظهر

---

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٢٩٧)، و«فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٥٥٦).

له[1]، أو يظهر عليه سبب تشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ، ولم ينازع فيهما. **قرأ** ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مِن بَعْدِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[2]، وكان بين رفع المسيح ومولد النبي ﷺ خمس مئة وخمس وأربعون سنة تقريباً، وعاش المسيح إلى أن رُفع ثلاثاً وثلاثين سنة، وبين رفعه والهجرة الشريفة خمس مئة وثمان وتسعون سنة، ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ عشر مرات، وأُمَّتُه النصارى على اختلافهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ **قرأ** حمزة، والكسائي، وخلف: (سَاحِرٌ) بألف بعد السين وكسر الحاء، إشارة إلى عيسى عليه السلام، **وقرأ** الباقون: بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف، إشارة إلى ما جاء به[3].

* * *

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحدَ أظلمُ.

﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه تعالى.

---

(١) «أو يظهر له» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٠١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٨).

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ على لسان رسله.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى ما فيه فلاحهم.

***

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ هو توحيدُه وإظهار شرعه، وزيدت اللام في (لِيُطْفِئُوا) تأكيداً للإضافة. قرأ أبو جعفر: (لِيُطْفُوا) بضم الفاء وإسكان الواو بغير همز، وقرأ الباقون: بكسر الفاء والهمز(١).

﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بكذبهم بنسبة الولد والشريك إليه.

﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ بنشره وإعلانه. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُتِمُّ) بغير تنوين (نُورِهِ) بالخفض إضافة، وقرأ الباقون: بالتنوين، ونصب (نُورَهُ) على الأصل(٢).

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إرغاماً لهم.

***

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمداً ﷺ.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٣٩).

﴿ بِٱلْهُدَىٰ﴾ بالقرآن ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الإسلام.

﴿ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه ﴿ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ على سائر الأديان.

﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ لما فيه من التوحيد وإبطال الشرك.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ **قرأ ابن عامر**: (تُنَجِّيكُم) بفتح النون وتشديد الجيم؛ من (نَجَّى)، والباقون: بإسكان النون وتخفيف الجيم؛ من أنجى[1].

* * *

﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ثم بين تلك التجارة فقال: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وهو خبر بمعنى الأمر.

﴿ ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور من الإيمان والجهاد.

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٦/ ١٣٩ـ١٤٠).

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو: (يَغْفِر لَّكُمْ) بإدغام الراء في اللام[١] وجزمه جواب شرط محذوف تقديره: إن تؤمنوا، يغفر لكم، وتعطف على (يَغْفِرْ).

﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ وطيبتُها بسعتِها ودوامِ أمرها.

﴿فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من المغفرة وإدخال الجنة.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

* * *

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي: ولكم في الجهاد خصلة أخرى ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ وتلك الخصلة.

﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على قريش ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ هو فتح مكة.

﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤٠).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (أَنْصَاراً لِله) بالتنوين ولام الجر، وإذا وقفوا، أبدلوا من التنوين ألفاً؛ لأن المعنى المذكور كونوا بعضَ أنصار الله، وقرأ الباقون: (أَنْصَارَ) بغير تنوين (اللهِ) بغير لام الجر على إضافة (أَنْصَارَ) إلى (اللهِ)(١)؛ أي: أنصارَ دينه؛ لقوله: (نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ)، وإذا وقفوا، أسكنوا الراء لا غير، وإذا ابتدؤوا، أتوا بهمزة الوصل.

﴿كَمَا﴾ أي: أقول لكم كما ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ قرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (لِلْحَوَارِيِّينَ) بالإمالة بخلاف عنه، والباقون: بالفتح، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (أَنْصَارِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها، وأمال فتحة الصاد: الدوري عن الكسائي(٢)، المعنى: مَنِ المختص بي، فيساعدني في نصر دين الله؟.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤٠ـ١٤١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، والإمالة في «الكشف» لمكي (١/ ١٧١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤١).

﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ الذين ينصرونه، وتقدم ذكر أسماء الحواريين وتفسير معناهم في سورة (آل عمران).

﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بعيسى؛ لأنهم قالوا: عبد الله، فرفع إلى السماء.

﴿ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ لقولهم: هو ابنه وشريكه، فاقتتلت الطائفتان، فظهرت الكافرة على المؤمنة.

﴿ فَأَيَّدْنَا ﴾ قوينا ونصرنا ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ ﴾ ببعث محمد ﷺ.

﴿ فَأَصْبَحُوا۟ ﴾ يعني: المؤمنين ﴿ ظَٰهِرِينَ ﴾ غالبين أعداءهم بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه، والله أعلم.

* * *

سورة الجمعة

مدنية، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: سبع مئة وثمانية وأربعون حرفاً، وكلمها: مئة وثمانون كلمة، وقيل: إنها مكية، وهو خطأ من قائله؛ لأن أمر اليهود لم يكن إلا بالمدينة، وكذلك إقامة الجمعة وصلاتها والانفضاض بغير خلاف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ﴾ تقدم تفسيره، ومعنى (سبح) بلفظ الماضي، و(يسبح) بلفظ المضارع أول سورة الحديد.

﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحديد، وجرُّ الأسماء الأربعة صفة (لله).

* * *

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ يعني: العرب كانت أمة أمية، لا تكتب

ولا تقرأ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ، المعنى: بعث رجلاً أمياً في أمة أمية نسبهُ نسبُهم.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ مع كونه أمياً ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الشريعة.

﴿وَإِن كَانُواْ﴾ أي: وما كانوا ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل مجيئه.

﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ إلا في ضلال بين(١) يعبدون الأوثان.

* * *

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطف على (الأميين)؛ أي: بعث في الأميين وفي آخرين منهم؛ أي: من بعدهم.

﴿لَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ بالأولين في فضل السابقة، وهم التابعون، أو العجم، وجميع طوائف الناس؛ لأن التابعين لا يدركون شأن الصحابة، و(ما) زيدت في (لم) تأكيداً.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في اختياره.

* * *

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الفضلُ الذي أُعطيَه محمد ﷺ.

﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تبيين لموقع النعمة وتخصيصه بها من شاء.

---

(١) «إلا في ضلال بين» زيادة من «ت».

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ أي: قرؤوها، وكلفوا العمل بما فيها، وهم اليهود.

﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ لأنهم لم يعملوا بما فيها، ولو عملوا، لآمنوا؛ لأن فيها نعته ﷺ، فمثلهم في حملها وعدم الانتفاع بها.

﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ ﴾ الذي ﴿ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ ﴾ كتباً، واحدها سِفْر، لا يدرك منها إلا ما يتعبه، وكل من علم علماً ولم يعمل به، فهذا مثله.

﴿ بِئْسَ ﴾ فاعلُه ﴿ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ﴾ نعت القوم ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الدالة على صدق محمد ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: بئس مَثَلُ القومِ المكذبين هذا المثلُ.

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أنفسَهم بتكذيب الأنبياء. **قرأ** أبو عمرو، والكسائي، وخلف، وابن ذكوان: (التَّوْرَاةَ) بالإمالة حيث وقعت(١)، **وقرأ** أبو عمرو أيضاً، وورش، والدوري عن الكسائي، وابن ذكوان بخلاف عنه (الْحِمَارِ) بالإمالة.

* * *

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٥-٤١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤٥).

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ولما قال اليهود: نحن أولى بالله من غيرنا، نزل: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ ﴾ تهودوا ﴿ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ جميعاً.

﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ أي: اطلبوه؛ فإنه هو الذي يوصلكم إليه.

﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ في زعمكم.

* * *

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا ﴾ لعلمهم بكذبهم، ولكفرهم.

﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ من المعاصي ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فيجازيهم.

* * *

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ ﴾ أي: من تمنيه مخافةَ أن يصيبكم.

﴿ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ﴾ ودخلت الفاء في خبر (إنَّ) لما في (الّذي) من معنى الشرط، تقديره: إن فررتم من أي موت فررتم؛ كقتل وغيره، فإنكم ميتون.

﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ ﴾ بعد الموت.

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وهو الله سبحانه، وتقدم تفسيره في سورة الحشر.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأن يجازيكم عليه.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ﴾ أي: أُذِّنَ[١] ﴿لِلصَّلَوٰةِ مِن﴾ أي: في ﴿يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ وأول من سماه يومَ الجمعة كعبُ بن لؤي، وكان قبل ذلك يسمى عَروبة[٢]، ويسمى جمعة؛ لاجتماع المخلوقات فيه، وتكاملها كما تقدم في سورة (فصلت)، وقيل: لاجتماع الناس فيها في المكان الجامع، أو لأن خلق آدم جُمع فيه.

وأولُ جمعة جمعها النبي ﷺ في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم بعد أن نزل على قباء، وأسس مسجدها، ثم خرج عامداً إلى المدينة، فأدركته الصلاة ثَمَّ، فجمع هناك، وخطب[٣]، والمراد بالنداء: الأذان الذي عند المنبر عند جلوس الإمام للخطبة، وهو الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، فلما كان زمن عثمان، وكثر الناس، وتباعدت المنازل، زاد مؤذناً آخر على الزوراء يؤذن قبل جلوسه على

(١) «أي: أذن» زيادة من «ت».

(٢) «وكان قبل ذلك يسمى عروبة» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٩)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٩٩).

المنبر، فإذا جلس، أذن الثاني، وهو المعتبر في وجوب السعي وترك البيع.

﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ فامضوا ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ هو الصلاة.

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ والشراء؛ لأن لفظ البيع يتناولهما، وسيأتي الكلام عليه مع أحكام الجمعة بعد انتهاء التفسير، والمراد بالسعي: المبادرة بالنية والجد، وليس المراد الإسراع في المشي.

قال ﷺ: «إذا كان يومُ الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكةٌ يكتبون الأولَ فالأولَ، فإذا خرج الإمام، طُويت الصحف، واجتمعوا للخطبة، والمهجِّرُ إلى الصلاة كالمهدي بَدَنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي شاةً، حتى ذكر الدجاجة والبيضة»(1).

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ المذكور ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من المعاملة؛ فإن نفع الآخرة خير وأبقى.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ مصالحَ أنفسكم ومضارَّها.

* * *

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾.

[١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي: فُرِغ منها.

---

(١) رواه النسائي (١٣٨٥)، كتاب: الجمعة، باب: التبكير إلى الجمعة، وابن ماجه (١٠٩٢)، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في التهجير إلى الجمعة، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ للتصرف في حوائجكم.

﴿ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ هو طلب العلم، وكسبُ الحلال.

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ في كل أحوالكم ﴿ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ بخير الدارين.

* * *

﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] وكان قد أصاب المدينةَ قحط شديد، وكان دِحْيَةُ بن خليفة الكلبيُّ يأتيهم بكل ما يحتاجون إليه من بر وشعير وغيرهما من الشام، وكان إذا قدم، ضُرب الطبل، ليعلم به، فقدم يوم الجمعة، وذلك قبل إسلامه، والنبيُّ ﷺ يخطب، فضرب الطبل، فخرج الناس إليه ومن في المسجد؛ خوفاً أن يُسبقوا، ولم يبق عنده ﷺ غير اثني عشر رجلاً وامرأة، فنزل: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً ﴾(١) هي تجارة دحية ﴿ أَوْ لَهْوًا ﴾ هو صوت الطبل.

﴿ ٱنفَضُّوٓاْ ﴾ تفرقوا عنك وذهبوا.

﴿ إِلَيْهَا ﴾ ولم يقل: إليهما؛ رداً للضمير إلى التجارة؛ لأنها كانت مطلوبَهم.

﴿ وَتَرَكُوكَ ﴾ في الخطبة ﴿ قَآئِمًا ﴾ على المنبر.

---

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٢٦٩).

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ فإن نفع ذلك محقق. قرأ أبو عمرو: (مِنَ اللَّهْو وَّمِنَ التِّجَارَةِ) بإدغام الواو في الواو[(١)].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنه موجد الأرزاق، فإياه فاسألوا، ومنه فاطلبوا.

وروي أن النفر الذين أقاموا عند رسول الله ﷺ بعدَ الانفضاض منهم جابرُ بن عبد الله، والعشرةُ المشهود لهم بالجنة، واختلف في الثاني عشر، فقيل: عمار بن ياسر، وقيل: عبد الله بن مسعود، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «لولا هؤلاء، لقد كانت الحجارةُ سُوِّمَتْ على المنفضِّين من السماء»[(٢)].

وأما أحكامُ الجمعة، فهي ركعتان فرض على كل ذكر مكلف حر صحيح مقيم بالاتفاق، وشرطها: الأبنية، أو قربها بالاتفاق، واشترط أبو حنيفة أن يكون بها أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود، زاد بعضهم: وعالم يرجع إليه في الحوادث، ويشترط إذنُ الإمام فيها عند أبي حنيفة؛ خلافاً للثلاثة، ويشترط حضور أربعين ممن تلزمه عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومحمد بن الحسن ثلاثة سوى الإمام، وعند أبي يوسف اثنان سوى الإمام، وعند مالك ليس للجماعة التي تنعقد بهم الجمعة حد محصور، وأولُ وقتها عند أحمد وقت صلاة العيد، وعند

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٤٨).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٠٩)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٣٠٢)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ١٠٩).

الثلاثة وقت الزوال، وآخره آخر وقت الظهر بالاتفاق، وعن مالك يمتد إلى الغروب؛ بناء على أن وقت العصر والظهر عنده واحد.

وإذا وقع عيد يوم الجمعة، سقطت الجمعة عمن حضر العيد مع الإمام سقوطَ حضور لا وجوب؛ كمريض إلا الإمام، فإن اجتمع معه العدد المعتبر، أقامها، وإلا صلوا ظهراً.

وتسقط صلاة العيد بصلاة الجمعة، سواء فعلت قبل الزوال أو بعده عند أحمد؛ خلافاً للثلاثة.

وشرطها تقدم خطبتين بالاتفاق، يجلس بينهما جلسة خفيفة عند الثلاثة، وعند أبي حنيفة ليست الجلسة شرطاً، ويسلم الخطيب إذا صعد المنبر عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك لا يسلم، ويستحب جلوسه للأذان، والقيام في الخطبة بالاتفاق.

وأول من استراح في الخطبة عثمان، وأول من جلس معاوية، وخطب جالساً.

والخطبة مشتقة من المخاطبة، والمنبر من نبر: إذا علا صوته، والخطيب يعلو صوته.

ومن شرط صحة الخطبتين: حمد الله، والصلاة على رسول الله ﷺ، وقراءة آية، والوصية بالتقوى عند الشافعي وأحمد، وعند مالك أقله ما يسمى خطبة عند العرب، وفي مذهبه قول كالأول، وعند أبي حنيفة لو اقتصر على ذكر الله أجزأه، وكذلك التسبيحة ونحوها، وعند صاحبيه لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة.

وتشترط لهما الطهارة من الحدث والخبث عند الشافعي؛ خلافاً للثلاثة، ولا يشترط أن يتولاهما من يتولى الصلاة عند أحمد، وعند أبي حنيفة يجوز للعذر، وعند مالك والشافعي إذا أحدث بين الخطبة والصلاة، استخلف في الصلاة، واشترط الشافعي أن يكون سمع الخطبة؛ لأن من لم يسمعها ليس من أهل الجمعة، ولم يشترطه مالك.

ويجهر في الركعتين بالاتفاق.

ويجوز عند الشافعي وأحمد أكثر من جمعة إن احتيج إليه، وإلا، فالأولى الصحيحة، وهي السابقة بتكبيرة الإحرام، فإن جهلت، أو تساوتا، بطلتا، وعند أبي حنيفة لا يجوز إلا في موضع واحد، وعند محمد بن الحسن تصح في موضعين وثلاثة، وعند مالك لا يصلى في مصر واحد في مسجدين، فإن فعلوا، فالصحيحة صلاة أهل المسجد العتيق.

ويحرم الكلام والإمام يخطب إذا كان منه بحيث يسمعه عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك يسكت ولو كان بعيداً.

ويكره البيع والشراء ممن تلزمه الجمع بعد ندائها الذي عند المنبر عند أبي حنيفة، ولا يفسد به البيع، وقال الثلاثة: يحرم، فلو باع، صح بيعه عند الشافعي خلافاً لمالك وأحمد، ويصح عند أحمد النكاح وسائر العقود غير البيع؛ خلافاً لمالك؛ فإن النكاح والإجارة عنده كالبيع.

وإذا انفضوا قبل إتمامها، استأنفوها ظهراً عند الشافعي وأحمد، وعند أبي حنيفة ومالك إن انفضوا بعد أن صلوا ركعة بسجدتيها، ولم يبق أحد غير الإمام، ولم يجد من يجمعها معه، بنى عليها ركعة، وصحت صلاته جمعة، وإن انفضوا عنه قبل أن يفرغ من الركعة الأولى، يتم ظهراً أربعاً،

وعند أبي يوسف ومحمد إن انفضوا عنه بعد تكبيرة الإحرام، صلى جمعة.

ومن أدرك مع الإمام ركعة، أتمها جمعة بالاتفاق، ومن أدرك أقل من ذلك، أتمها ظهراً إن كان قد نوى الظهر عند مالك وأحمد، وعند الشافعي يتمها ظهراً، لكن ينوي في اقتدائه الجمعة، وأحمد يشترط دخول وقت الظهر احترازاً عمن يصليها قبل وقت الزوال على قاعدته، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف إذا أدرك التشهد، يتمها جمعة، وعند محمد يتمها أربعاً ظهراً.

ويسن الغسل لها، وقراءة سورة الكهف في يومها وليلتها.

وتقدم اختلاف الأئمة في قراءة السجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ في صبحها في سورة آلمّ السجدة، ويستحب أن يكثر الدعاء في يومها، وأفضله بعد العصر؛ لساعة الإجابة.

وفي الحديث: «ما طلعت شمسٌ ولا غربت عليَّ أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مؤمن يدعو الله فيها خيراً إلا استجابَ الله له، أو يستعيذُ من شيء إلا أعاذَه اللهُ منه»[1].

قال الإمام أحمد: أكثر الأحاديث في الساعة التي تُرجى فيها الإجابة أنها بعد العصر، وترجى بعد زوال الشمس.

وذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «شرح البخاري» فيها ثلاثة وأربعين قولاً، ولخصها صاحب «الإنصاف» فيه، الأول: قيل: رفعت، الثاني: موجودة في جمعة واحدة في كل سنة، الثالث: مخفية في جميع

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٩)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البروج، وقال: حسن غريب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اليوم، الرابع: تنتقل في يومها، ولا يلزم ساعة معينة، لا ظاهرة ولا مخفية، الخامس: إذا أذن لصلاة الغداة، السادس: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، السابع: مثله، وزاد: من العصر إلى الغروب، الثامن: مثله، وزاد: ما بين أن ينزل الإمام من المنبر إلى أن يكبر، التاسع: أول ساعة بعد طلوع الشمس، العاشر: عند طلوعها، الحادي عشر: في آخر الساعة الثالثة من النهار، الثاني عشر: من الزوال إلى أن يصير الظل نصف ذراع، الثالث عشر: مثله إلى أن يصير الظل ذراعاً، الرابع عشر: بعد الزوال بشبر إلى ذراع، الخامس عشر: إذا زالت الشمس، السادس عشر: إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة، السابع عشر: من الزوال إلى أن يدخل في الصلاة، الثامن عشر: من الزوال إلى خروج الإمام، التاسع عشر: ما بين خروج الإمام إلى أن تقام الصلاة، العشرون: ما بين خروجه إلى أن تنقضي الصلاة، الحادي والعشرون: ما بين تحريم البيع إلى حله الثاني والعشرون: ما بين الأذان إلى انقضاء الصلاة، الثالث والعشرون: ما بين أن يجلس على المنبر إلى انقضاء الصلاة، الرابع والعشرون: عند خروج الإمام، الخامس والعشرون: عند التأذين والإقامة وتكبير الإمام، السادس والعشرون: مثله، لكن قال: إذا أذن، وإذا رقي المنبر، وإذا أقيمت الصلاة، السابع والعشرون: من حين يفتتح الخطبة حتى يفرغها، الثامن والعشرون: إذا بلغ الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة، التاسع والعشرون: عند الجلوس بين الخطبتين، الثلاثون: عند نزوله عن المنبر، الحادي والثلاثون: حين تقام حتى يقوم الإمام في مقامه، الثاني والثلاثون: من إقامة الصلاة إلى إتمام الصلاة، الثالث والثلاثون: وقت قراءة الإمام الفاتحة إلى أن يقول: آمين، الرابع والثلاثون: من الزوال إلى

المغرب، الخامس والثلاثون: من صلاة العصر إلى غروب الشمس، السادس والثلاثون: في صلاة العصر، السابع والثلاثون: بعد العصر إلى آخر وقت الاختيار، الثامن والثلاثون: بعد العصر مطلقاً، التاسع والثلاثون: من وسط النهار إلى قرب آخره، الأربعون: من اصفرار الشمس إلى أن تغيب، الحادي والأربعون: آخر ساعة بعد العصر، الثاني والأربعون: من حين يغيب نصف قرصها، أو من حين تتدلى للغروب إلى أن يتكامل غروبها، الثالث والأربعون: هي الساعة التي كان ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ يصليها فيها.

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: وليست كلها متغايرة من كل وجه، بل كثير منها يمكن أن يتحد مع غيره، وليس المراد من أكثرها أنها تستوعب جميع الوقت الذي عين، بل المعنى أنها تكون في أثنائه، والله أعلم[١].

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/٤١٦ـ ٤٢١).

سورة المنافقون

مدنية بإجماع، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: سبع مئة وستة وسبعون حرفاً، وكلمها: مئة وثمانون كلمة، نزلت في غزوة بني المصطلق بسبب أن عبد الله بن أبي ابن سلول كانت منه في تلك الغزوة أقوال، وكان له أتباع يقولون قوله، فنزلت السورة كلها بسبب ذلك، وبين الله تعالى فيها ما تقدم من المنافقين؛ من خلفهم، وشهادتهم في الظاهر بالإيمان، وأنهم كذبة، وذكر فيها ما تأخر منهم ووقع في تلك الغزوة على ما يأتي في التفسير إن شاء الله تعالى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه.

﴿قَالُوا۟﴾ بألسنتهم دون قلوبهم:

﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ والشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه،

فهي الإخبار بما علمه بلفظ خاص، ولذلك صدَّقَ المشهود به، وكذَّبهم في الشهادة بقوله:

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما يُضمرون من تكذيبك، وكان ﷺ يقبل من المنافقين ظاهر الإسلام.

وأما حكم الزنديق في الشرع، وهو الذي يظهر الإسلام ويُسر الكفر، فإنه يقتل، ولا يستتاب عند أحمد، والأصح عن مالك أنه إذا جاء تائباً، وظهر من قوله، لا يقتل، بخلاف ما يظهر عليه، قال مالك: لأن توبته لا تعرف، يعني أن التقية من الزندقة، فيقتل، وعند أبي حنيفة والشافعي تقبل توبته.

***

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢﴾.

[٢] وكل ما جاء في القرآن بعد العلم[١] لفظة (أَنَّ) فهي بفتح الهمزة، إلا في موضعين، إحداهما هنا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، والثاني: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ في الأنعام، وإنما كان كذلك في هذين الموضعين؛ لأنه يأتي بعدهما لام الخبر، فلهذا انكسر.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ أي: حلفهم، وما يظهرون من الإيمان ضد الكفر.

﴿جُنَّةً﴾ سترة عن أموالهم ودمائهم.

﴿فَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الإيمانِ والجهادِ.

---

(١) «بعد العلم» زيادة من «ت».

﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ من النفاق.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ القولُ الشاهدُ على سوء عملهم ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ أي: بسبب أنهم.

﴿ ءَامَنُواْ ﴾ باللسان.

﴿ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ أي: استمروا على الكفر بقلوبهم ﴿ فَطُبِعَ ﴾ خُتِم.

﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ بالكفر. قرأ أبو عمرو، ورويس عن يعقوب: (فَطُبِع عَّلَى) بإدغام العين في العين(١).

﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ لا يفهمون حقيقة الإيمان.

* * *

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ ﴾ أي: المنافقين ﴿ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ لجمالها، وكان عبد الله بن أبي جسيماً فصيحاً.

﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ فتحسب أنه صدق ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وقنبل

---

(١) «في العين» زيادة من «ت».

عن ابن كثير: (خُشْبٌ) بإسكان الشين، والباقون: بضمها[1].

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يسمعون صوتاً في العسكر إلا ظنوا أنهم يُرادون بذلك؛ من جبنهم وسوء ظنهم. قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: (يَحْسَبُونَ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[2].

﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فإنهم يُفشون سرك للكفار، وهو جواب قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ لأن الجواب إما أن يكون بالفاء كما هنا، وإما بالماضي؛ كقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [مريم: ٧٣]، ونظائره كثيرة.

﴿قَاتَلَهُمُ﴾ أهلكهم ﴿اللَّهُ﴾ دعاء يتضمن الإقصاء والمنابذة وتمني الشر لهم.

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن الحق بعد قيام البرهان. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (أَنَّى) بالإمالة، واختلف عن أبي عمرو، فروي عنه: إمالتها بين بين، وروي عنه: فتحُها، وبه قرأ الباقون[3].

* * *

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥)﴾.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٢).

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٢).

[٥] روي أن رسول الله ﷺ خرج إلى غزوة بني المصطلق، وخرج معه عبد الله بن أبي ابن سلول، وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة، ونزل بالمريسيع ـ ماء من ماء بني المصطلق ـ، فسبق المهاجرون وكأنهم غلبوا الأنصار عليه بعضَ غلبة، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: قد كنت قلت لكم في هؤلاء الجلابيب ما قلتُ، فلم تسمعوا مني، وكان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب، ثم إن الجهجاه الغفاري غلامَ عمرَ بنِ الخطاب ورد الماء بفرس لعمر، فازدحم هو وسنان بن وبر الجهني حليف الأوس، ودار بينهما كلام، فاقتتلا، وصرخ الجهني: يا معشرَ الأنصار! وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين! فجاؤوا، فاقتتلوا، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «ما بالُ دَعْوى الجاهلية؟!» فلما أخبر بالقضية، قال: «دَعوها فإنها مُنْتِنَةٌ»، فأصلح الأمر قوم من المهاجرين(١).

وروي أن جعالاً ـ رجلاً فقيراً من المهاجرين ـ أعان الجهجاه، فغضب عبد الله بن أبي، وعنده بعض قومه، وكان معهم زيد بن أرقم صغيراً لم يتحفظ منه، فقال عبد الله: أفعلوها؟! نافرونا وكاثرونا في بلادنا؟! فما نحن وهم إلا كما قيل: سَمِّنْ كلبَك يأكلْكَ، ثم قال لقومه: هذا فعلكم بأنفسكم، أحللتموهم دياركم، وقاسمتموهم أموالكم، ولو أمسكتم عن جعال وذويه فضلَ طعامكم، لتحولوا عنكم، ولا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عن محمد، ولئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذهب

---

(١) رواه البخاري (٤٦٢٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ومسلم (٢٥٨٤)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، من حديث جابر رضي الله عنه.

زيدُ بن أرقم إلى عمه، وكان في حجره، وأخبره، فأتى به رسولَ الله ﷺ، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «يا زيد! غضبت على الرجل، ولعلك وهمتَ»، فأقسم زيد ما كان شيء من ذلك، ولقد سمع من عبد الله بن أبي ما حكى، فعاتب رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي عند رجال من الأنصار، فبلغه ذلك، فجاء وحلف، وكذَّب زيداً، وحلف معه قوم من المنافقين، فصدق رسولُ الله ﷺ أيمانَ عبد الله بن أبي، وكذَّب زيداً، فبقي زيد في منزله لا يتصرف حياءً من الناس، فنزلت هذه السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في أثر زيد، وقال له: «لقد صدَّقك الله يا زيد، ووفت أُذُنُك»، فخزي عند ذلك عبد الله بن أبي، ومقته الناس، ولامه المؤمنون من قومه، وقال بعضهم: امض إلى رسول الله ﷺ، واعترف بذنبك، فيستغفر لك، فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي، وقال لهم: لقد أشرتم علي بالإيمان، فآمنت، وأشرتم علي بأن أعطي زكاة مالي، ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد! فأنزل الله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ [1] لابن أبيّ ﴿تَعَالَوْا﴾ إلى النبي ﷺ معتذرين، و(تَعَالَوْا) نداء يقتضي لفظه أنه دعاء الأعلى للأسفل، ثم استعمل في كل داع لما فيه من حسن الأدب.

﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أمالوها استكباراً. قرأ نافع، وروح عن يعقوب: (لَوَوْا) بتخفيف الواو الأولى، والباقون: بتشديدها على تضعيف المبالغة.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ١١٥)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٨).

﴿ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يُعرضون عن الاستغفار ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الاعتذار.

* * *

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

[٦] ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ قراءة الجمهور: (أَسْتَغْفَرْتَ) بهمزة مفتوحة من غير مد عليها، وقرأ أبو جعفر بخلاف عنه: بالمد، ووجهه بعضهم بأنه إجراء لهمزة الوصل المكسورة مجرى المفتوحة، فمد من أجل الاستفهام، وقال الزمخشري: إن المد إشباع لهمزة الاستفهام؛ للإظهار والبيان، لا قلباً لهمزة الوصل ألفاً كما في (آالسِّحْر)(1).

﴿ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ لرسوخهم في الكفر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لانهماكهم في الكفر.

* * *

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من الفقراء.

﴿ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ يتفرقوا عنه.

﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بيده الأرزاق.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٣).

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؛ لجهلهم بالله.

* * *

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ هذا قول عبد الله بن أبي ابن سلول، يعني بالأعز[١]: نفسَه، وبالأذل: رسولَ الله ﷺ، قال أُسيد بن حُضير لما سمعها: «واللهِ يا رسولَ الله تُخرجه إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله! ارفق به، فو الله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً»[٢].

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي؛ لما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً، فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «بل نرفق به، ونحسنُ صحبتَه ما بقيَ معنا»[٣].

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يلبث عبد الله بن أبي إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات.

---

(١) «بالأعز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٨/ ١١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٣).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الغلبة لمن دونه ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ بإظهار دينه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بنصرهم على الكافرين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، ولو علموا، ما قالوا هذه المقالة.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم.

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو الصلوات الخمس.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: اللهو بها.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنهم باعوا الباقي بالفاني. قرأ الدوري عن الكسائي: (يَفْعَل ذَّلِكَ) بإدغام اللام في الذال، والباقون: بالإظهار(١).

* * *

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] و﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ في الطاعة، وقال ابن عباس: المراد: زكاة الأموال(٢).

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٥).

﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ ﴾ هلاَّ ﴿ أَخَّرْتَنِيٓ ﴾ أمهلتني ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ زمان يسير.

﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ فأتصدق وأزكي مالي، قيل: نزلت في مانعي الزكاة.

﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المؤمنين. قرأ أبو عمرو: (وَأَكُونَ) بالواو ونصب[1] النون على جواب التمني، وعطفاً على (فَأَصَّدَّقَ)؛ لأنه نصب بإضمار أن، وقال: إنما حذفت الواو من المصحف اختصاراً، وقرأ الباقون: (وَأَكُنْ) بجزم النون من غير واو عطفاً على موضع (فَأَصَّدَّقَ)[2]؛ لأنه جواب الشرط، تقديره: إن أخرتني، أصدق، وأكنْ، وكذا هو مرسوم في جميع المصاحف.

* * *

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا ﴾ ولن يمهلها ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ ﴾ آخرُ عمرها. واختلاف القراء في الهمزتين من (جَاءَ أَجَلُهَا) كاختلافهم فيهما من ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ في سورة الحج [الآية: ٦٥].

﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فمجازٍ عليه. قرأ أبو بكر عن عاصم (يَعْمَلُونَ) بالغيب على تخصيص الكفار بالوعيد، وقرأ الباقون: بالخطاب على مخاطبة جميع الناس[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) في «ت»: «وفتح».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٥٥ـ١٥٦).

(٣) المصادر السابقة

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مدنية، وقال بعض المفسرين: مكية إلا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ ﴾ إلى آخر السورة، وآيها: ثماني عشرة آية، وحروفها: ألف وسبعون حرفاً، وكلمها: مئتان وإحدى وأربعون كلمة.

قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مولودٍ يولَد إلا وفي شبائِكِ رأسه مكتوبٌ خمسُ آياتٍ من فاتحةِ سورةِ التغابن»[1].

وعن أبي بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأَ سورةَ التغابن، دُفعَ عنه موتُ الفُجاءة»[2].

---

(١) رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٨١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٩٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٣/ ١٥٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٥).
وفي إسناده الوليد بن الوليد الدمشقي، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به فيما يروي. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٧٤): غريب جداً. بل منكر.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٥)، وابن مردويه والواحدي في «تفسيريهما» كما عزاه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٤٤). قال المناوي في «الفتح السماوي في تخريج أحاديث البيضاوي» (٣/ ١٠٤٤): موضوع.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ .

[١] ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ ينزهونه بقولهم: سبحان الله.

﴿ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ ﴾ فهو المختص بهما حقيقة.

﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ وأما ملك غيره، فتسليط منه، وحمده: اعتدادٌ بأن نعمة الله جرت على يده.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ ﴾ .

[٢] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ ثم وصفهم فقال: ﴿ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾ والكفر: فعلُ الكافر، والإيمان: فعل المؤمن، والكفر والإيمان اكتساب العبد؛ لقول النبي ﷺ: «كلُّ مولود يولد على الفطرة»[1]، وقوله ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [الروم: ٣٠]، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار، وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان؛ لأن الله تعالى [أراد ذلك منه، وقدره عليه وعلمه منه،

(١) رواه البخاري (١٣١٩)، كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٢٦٥٨)، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر؛ لأن الله تعالى][1] قدر ذلك عليه، وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيعاملكم بما يناسب أعمالكم.

* * *

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالحكمة البالغة.

﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ بأن جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال.

﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فيجازي كلاً بعمله.

* * *

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾.

[٤] ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من الخلق ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ فلا يخفى عليه شيء ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بضمائر القلوب.

* * *

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥﴾.

[٥] ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ﴾ يا كفار. الألف للاستفهام، و(لم) للجحد، ومعناه التحقيق.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ أي: قبلكم.

﴿ فَذَاقُوا۟ ﴾ في الدنيا ﴿ وَبَالَ ﴾ عقوبة ﴿ أَمْرِهِمْ ﴾ كفرهم.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ العذابُ النازل بهم ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات.

﴿ فَقَالُوٓا۟ ﴾ احتقاراً بهم:

﴿ أَبَشَرٌ ﴾ أراد الجنس، مبتدأ، خبره ﴿ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ ﴾ بالرسل ﴿ وَتَوَلَّوا۟ ﴾ عن الإيمان.

﴿ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ﴾ أظهرَ غناه عن كل شيء.

﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ ﴾ عن جميع خلقه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ على كل صنعة.

* * *

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ثم أخبر عن إنكارهم البعث، فقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ﴾ ومعنى زعم: كذبوا في الحديث، قال ابن عطية[1]: ولا توجد

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٩).

(زعم) مستعملة في فصيح من الكلام إلا عبارة عن الكذب، أو قول انفرد به قائله، فيريد له[1] قائله[2] أن يبقي عهدته على الزاعم، ففي ذلك ما ينحو إلى تضعيف الزعم.

ثم أمر تعالى نبيه بأن يجيب نفيهم بما يقتضي الرد عليه، وإيجاب البعث، وأن يؤكد ذلك بالقسم، ثم يوعدهم بأنهم يجزون بأعمالهم على جهة التوبيخ المؤدي إلى العقاب، فقال تعالى:

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالمحاسبة والمجازاة.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لقدرته عليه.

* * *

﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ هو القرآن ومعانيه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمجازٍ عليه.

* * *

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل فيه ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ قرأ يعقوب: (نَجْمَعُكُمْ)

---

(١) «له» سقط من «ت».

(٢) في «المحرر الوجيز»: «ناقله».

بالنون، والباقون: بالياء[1] ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يعني: يوم القيامة، سمي بذلك؛ لاجتماع الخلائق فيه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يوم الغبن[2]، وهو فوت الحظ، فيظهر يومئذ غبن الكافر بترك الإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان.

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ﴾ عملاً[3].

﴿صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُكَفِّرْ) (ونُدْخِلْهُ) بالنون في الحرفين، والباقون: بالياء فيهما[4] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ﴾ المذكورُ هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لجلبه المنافع، ودفعِه المضار.

***

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)﴾.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن، وتفصيل له.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٠).

(٢) «يوم الغبن» زيادة من «ت».

(٣) «عملاً» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٠٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٠).

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ بقضائه .

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ فيصدِّقْ أنه لا يصيبه شيء إلا بمشيئته تعالى .

﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾ إلى الاسترجاع عند نزول المصيبة .

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ عموم مطلق على ظاهره .

* * *

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ ﴾ عطف على ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ ﴾ .

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ وعيد لهم، وتبرئة لمحمد ﷺ إذا بلَّغ .

* * *

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ تحريض للمؤمنين على مكافحة الكفار، والصبر على دين الله .

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ونزل فيمن منعه أزواجه وأولاده عن الهجرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ ﴾ (١) أن تُطيعوهم في ترك الهجرة، و(مِنْ) تبعيض؛ لأن منهم من ليس بعدو لكم.

﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ هذا فيمن لم يهاجر، ورأى من سبقه قد فقه في الدين، فهم أن يعاقب زوجته وولده، فأمره بالعفو والصفح.

***

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم أخبر تعالى أن الأموال والأولاد فتنة تشغل المرء عن مراشده، وتحمله من الرغبة في الدنيا على ما لا يحمده في الآخرة بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ ﴾ اختبار.

﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر محبته على محبة المال والأولاد.

***

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] روي أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة حتى جاء الحسن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤١٠).

والحسين عليهما قميصان أحمران يجرانهما، يَعْثُران ويَقُومان، فنزل ﷺ عن المِنْبَرِ حتى أَخَذَهُمَا، وصَعِدَ بهما، وقال: «صدق الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ وقال: إني رأيت هذين، فلم أصبر»، ثم أخذ في خطبته، قال ابن عطية[1]: وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء، فأما فتنة الجهال والفسقة، فمؤدية إلى كل فعل مهلك[2]، وجيء بـ(إنما) للحصر؛ لأن جميع الأموال والأولاد فتنة؛ لأنه لا يرجع إلى مال أو ولد إلا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ أطقتم، وهذه الآية ناسخة لقوله: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ وَٱسْمَعُواْ ﴾ ما أُمرتم به سماعَ قبول ﴿ وَأَطِيعُواْ ﴾ الله ورسوله.

﴿ وَأَنفِقُواْ ﴾ المالَ في الطاعة، وآتوا ﴿ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ أي: افعلوا ما هو خير لها.

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ تقدم تفسيره في سورة الحشر.

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٠).
(٢) رواه أبو داود (١١٠٩)، كتاب: الصلاة، باب: الإمام يقطع الخُطبة للأمر يحدث، والنسائي (١٤١٢)، كتاب: الجمعة، باب: نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، والترمذي، (٣٧٧٤)، كتاب: المناقب، باب: مناقب الحسن والحسين، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٣٦٠٠)، كتاب: اللباس، باب: لبس الأحمر للرجال، من حديث بريدة رضي الله عنه.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تصرفوا المال فيما أمر به ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ مقروناً بالإخلاص.

﴿يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ يجعل لكم بالواحد عشراً إلى سبع مئة وأكثر. قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب: (يُضَعِّفْهُ) بتشديد العين وحذف الألف قبلها، وقرأ الباقون: بإثبات الألف والتخفيف[١].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركة الإنفاق ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يشكر لكم ما عملتم.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

* * *

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ السر والعلانية.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بالنقمة ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أمره وقضائه، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٢).

سورة الطلاق

وتسمى: سورةَ النساء القصرى، وهي مدنية، وآيها: اثنتا عشرة آية، وحروفها: ألف وستون حرفاً، وكلمها: مئتان وتسع وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ أفرد ﷺ بالخطاب أولاً تعظيماً لشأنه، وجمع ثانياً مع أمته تشريفاً لهم. قرأ نافع: (النَّبِيءُ إِذَا) بالهمز[1] والمد، وتسهيل الهمزة الثانية، وقرأ الباقون: بتشديد الياء بغير مد ولا همز، وتحقيق الهمزة الثانية[2]، المعنى: إذا أردتم تطليقهن.

﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ أي: لطهرهن الذي يُحصينه من عدتهن، وهو

---

(١) «بالهمز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٥).

أول طهر تعتد به، والمراد: أن يطلقها في طهر لم يُصِبْها فيه، وهو طلاق السنة.

نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، كان قد طلق امرأته في حال الحيض، فقال ﷺ لعمر: «مُرْهُ فَلْيراجِعْها، ثم ليمسِكْها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسكَ بعدُ، وإن شاء طلَّقَ قبلَ أن يَمَسَّ، فتلك العِدَّةُ التي أمَرَ اللهُ أن تُطَلَّق لها النساءُ»(١). قرأ ورش عن نافع: (طَلَّقْتُمْ) (فَطَلِّقُوهُنَّ) بتغليظ اللام، وكذلك كل لام مفتوحة مخففة أو مشددة إذا تقدمها صاد أو طاء أو ظاء بفتح أو سكون، وعنه خلاف في (طَالَ) و(فِصَالاً)، وتقدم حكم الطلاق السني والبدعي ومذاهب الأئمة فيه في سورة الأحزاب عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الآية: ٤٩].

﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ اضبطوها، واحفظوا عدد أقراء العدة ثلاثاً مستقبلات بلا نقصان؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن؛ لأن الرجعة إنما تجوز في زمان العدة إذا كان الطلاق رجعياً بالاتفاق.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في الإضرار بهن.

﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ اللاتي يسكنها إذا طلقتموهن حتى تنقضي عدتهن، فإذا كان الطلاق رجعياً(٢)، فللزوجة السكنى بمنزل الطلاق، وليس لها الخروج منه حتى تنقضي عدتها بالاتفاق، وأما إذا كان الطلاق بائناً، فعند أحمد: الحقُّ في إسكانها للزوج، فيسكنها حيث شاء مما يصلح

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤١٣). والحديث رواه «البخاري» (٤٩٥٣)، كتاب: الطلاق، باب قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، ومسلم (١٤٧١)، كتاب: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، دون ذكر أن الآية نزلت في قصته.

(٢) «رجعياً» زيادة من «ت».

لها؛ تحصيناً لفراشه، ولو لم تلزمه نفقة، وعند الثلاثة: يلزمها التربص بمنزل الطلاق إلى انقضاء العدة.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ بغير اختبارهن.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: زناً، فيخرجن لإقامة الحد، ثم يعدن. قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: (مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بكسرها[1].

﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ لتعريضها للعقاب. قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وورش، وحمزة، والكسائي، وخلف: (فَقَد ظَّلَمَ) بإدغام الدال في الظاء، والباقون: بالإظهار[2].

﴿لَا تَدْرِى﴾ أيها النبي ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطلاق.

﴿أَمْرًا﴾ أي: رغبة في الرجعة، وهذا دليل على استحباب تفريق الثلاث.

***

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا (٢)﴾.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربْنَ انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ راجعوهن.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٥ـ١٦٦).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٦).

﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، فَيَبِنَّ منكم.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الطلاق، وأما الرجعة، فلا يشترط لها الإشهاد بالاتفاق، وروي عن الشافعي اشتراطه، وهو القديم من مذهبه.

واختلفوا في حصولها بالفعل، فقال الشافعي: لا تصح إلا بالقول، فلا تحصل بفعل كوطء، وقال الثلاثة: تصح بالفعل، فتحصل عند أبي حنيفة بالوطء واللمس والنظر إلى الفرج بشهوة فيهما، وعند مالك بالوطء والمباشرة والتقبيل إذا نوى بذلك الرجعة، وعند أحمد بوطئها، نوى به الرجعة أو لم ينو، ولا تحصل بمباشرتها ولا النظر إلى فرجها ولا الخلوة بها لشهوة، ولا خلاف بينهم في حصولها بالقول، واستحباب الإشهاد لها.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أيها الشهود.

﴿لِلَّهِ﴾ لأجل الله تعالى خاصة، ولا تنظروا في المشهود عليه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الحث على الشهادة وأدائها ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فيطلِّقْ للسُّنة ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ إلى الرجعة.

* * *

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ لم يخطر بباله.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ شرطٌ مبتدأ، جوابُه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ يكفيه ما أهمه.

قال ﷺ: «لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حَقَّ تَوَكُّلِه، لرزقَكم كما يرزق

الطير، تغدو خِماصاً، وتَروح بِطَاناً»[1]، والتوكل: سكون القلب في كل موجود ومفقود، وقطعُ القلب عن كل علاقة، والتعلقُ بالله في جميع الأحوال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (بَالِغُ) بغير تنوين (أَمْرِهِ) بالخفض بإضافة (بالغ) إليه، وقرأ الباقون: بالتنوين، ونصب (أَمْرَهُ)[2]، والمعنى على القراءتين: منفذٌ حكمَه.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ نهاية.

* * *

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾.

[٤] ولما نزل ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قال خلاد بن النعمان[3] بن قيس الأنصاري: يا رسول الله! فما عدة من لا تحيض، والتي لم تحض، وعدة الحبلى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤١٦٤)، كتاب: الزهد، باب: التوكل واليقين، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٤) من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٦).

(٣) «بن النعمان» زيادة من «ت».

يَئِسْنَ﴾[1] لكبرهن ﴿مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في حكم عدتهن؛ لانقطاع دمهن لكبرهن.

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ الجملة خبر المبتدأ.

﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن مبتدأ محذوفُ الخبر؛ أي: فعدتهن ثلاثة أشهر، حذف الخبر لدلالة المذكور عليه، فالصغيرة التي لم تحض، والكبيرة التي أيست من الحيض، عدةُ كلٍّ واحدة منهما[2] من الطلاق ثلاثةُ أشهر بالاتفاق، والشابة التي كانت تحيض، فارتفع حيضها قبل بلوغها سنَّ الآيسات، فعند أبي حنيفة والشافعي: لا تنقضي عدتها حتى يعاودها الدم، فتعتد بثلاثة أقراء، أو تبلغ سنَّ الآيسات، فتعتد بثلاثة أشهر، وعند مالك وأحمد: إذا ارتفع حيضها، لا تدري ما رفعه، تعتد به سنةً: تسعة أشهر للحمل، وثلاثة للعدة، فتحل عقب السنة، وإن علمت ما رفعه من مرض أو رضاع ونحوه، فلا تزال في عدة حتى يعود الحيض، فتعتد به، إلا أن تصير آيسة، فتعتد عدة آيسة حينئذ.

وسن الإياس عند أبي حنيفة خمس وخمسون سنة، وعند مالك سبعون، وعند الشافعي اثنتان وستون وعند أحمد خمسون، وأقل سن تحيض له المرأة تسع سنين بالاتفاق.

وعدة المتوفَّى عنها زوجها إذا لم تكن حاملاً أربعة أشهر وعشر بالاتفاق.

واختلاف القراء في (وَاللَّائِي) في الحرفين كاختلافهم في نظيره في سورة الأحزاب [الآية: ٤].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/٣٥٨).

(٢) «منهما» زيادة من «ت».

﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ ﴾ أي: الحبالى، مطلقاتٍ كُنَّ أو تُوفي عنهن أزواجُهن.

﴿ أَجَلُهُنَّ ﴾ أي: انقضاء عدتهن التي يجوز بعدها النكاح، مبتدأ، خبره ﴿ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ وهما خبر (أُولاَتُ)، فإذا كانت المرأة حاملاً، وطُلقت، أو مات زوجها، فعدتها بوضع الحمل بالاتفاق.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ يسهِّلْ عليه أمر الدارين، ويخلِّصْه من شدائدهما.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من الأحكام ﴿ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في أحكامه ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات.

﴿ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ بالمضاعفة.

* * *

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ ﴾ يعني: مطلقاتِ نسائِكم ﴿ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم ﴾ أي: مكاناً من سُكناكم ﴿ مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ قرأ روح عن يعقوب: (وِجْدِكُمْ) بكسر الواو،

والباقون: بضمها[1]؛ أي: من سَعَتكم وهو بيان لقوله: (مِنْ حَيْثُ)، وأبو عمرو يدغم الثاء في السين من قوله (حَيْث سَّكَنْتُمْ)[2].

﴿ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ ﴾ تؤذوهن ﴿ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ﴾ فيخرُجْنَ، وتقدم في أول السورة اختلاف الأئمة في حكم السكنى للرجعية والبائن.

﴿ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ فيخرجن من العدة، فالبائن بالطلاق إذا كانت حاملاً لها النفقة والسكنى بالاتفاق، وأما البائن الحائل، فتستحق النفقة والسكنى عند أبي حنيفة كالحامل إلى أن تنقضي عدتها بالحيض، أو بالأشهر؛ خلافاً للثلاثة، ولا نفقةَ من التركة لمتوفًّى عنها زوجُها، ولا كسوةَ، ولو كانت حاملاً بالاتفاق.

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ ﴾ أي: المطلقات ولداً ﴿ لَكُمْ ﴾ منهن، أو من غيرهن.

﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ على الإرضاع، وتقدم اختلاف الأئمة في حكم إرضاع الأمهات، وأخذِهن الأجرةَ في زمن العصمة وبعد الطلاق في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [الآية: ٢٣٣].

﴿ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ﴾ أي: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف في الإرضاع والأجر.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٨).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٨).

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الرضاع، وامتنع الأب عن إعطاء الأجرة، والأم عن إرضاعه.

﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ امرأة ﴿أُخْرَىٰ﴾ وفيه معاتبة للأم على المعاسرة.

* * *

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿لِيُنفِقْ﴾ لام أمر.

﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ على المطلقات والمرضعات على قدر غناه.

﴿وَمَن قُدِرَ﴾ ضُيّق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ من المال على مقداره.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ أعطاها من المال.

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ عاجلاً أو آجلاً. قرأ أبو جعفر: (عُسُراً) و(يُسُراً) بضم السين فيهما، والباقون: بالإسكان[(١)]، وتقدم في سورة النور اختلاف الأئمة فيمن أعسر بصَداق زوجته وكسوتها ونفقتها، وحكم النسخ بذلك.

* * *

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ تقدم تفسير (وَكَأَيِّنْ)، واختلاف القراء فيه في

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٦٩).

سورة الحج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ [الحج: ٤٥].

﴿ عَتَتْ ﴾ أي: عتا أهلها بالتجبر ﴿ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ﴾ ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾ أي: وأمر رسله.

﴿ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾ أي: لم يغتفر لهم ذلة، بل أُخذوا بالدقائق من الذنوب.

﴿ وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ عظيماً، وهو النار في الآخرة، والتعبير بلفظ الماضي في الحساب والعذاب لتحقيق وقوعهما في المستقبل. قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: (نُكُراً) بضم الكاف، والباقون: بإسكانها(١).

* * *

﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ عقوبة كفرها.

﴿ وَكَانَ عَٰقِبَةُ ﴾ آخِرُ(٢) ﴿ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ خسراناً لا ربح فيه.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٠).

(٢) «آخر» زيادة من «ت».

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ ﴾ تكرير للوعيد.

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ صفة (لأُولي الألْبابِ).

﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ يعني: القرآن.

* * *

﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ رَّسُولًا ﴾ هو محمد ﷺ، والمعنى: بعث رسولاً، لكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول.

﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ صفة (رَسُولاً). قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُبَيِّنَاتٍ) بكسر الياء، والباقون: بفتحها[١]، ثم علل الإنزال والإرسال، فقال:

﴿ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ الكفر ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الإيمان.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٢)، و«الكشف» لمكي (١/ ٣٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٠).

﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (نُدْخِلْهُ) بالنون، والباقون: بالياء[1].

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ حال ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ أي: ما أحسنَ ما رزقه الله! يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

* * *

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)﴾.

[١٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ مبتدأ وخبر.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في العدد، ونصبه عطف[2] على (سَبْعَ) أي: وخلق من الأرض مثلَهن، قيل: ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية، وفي التفسير بين كل سماءين مسيرة خمس مئة عام، وكذلك غلظ كل سماء، والأرضون مثل السموات.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، ثم علل الخلق والتنزيل فقال: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ فلا يخفى عليه شيء، وهو عموم على إطلاقه، ونصب (عِلْماً) على المصدر المؤكد؛ لأن المعنى: وأن الله قد علم كل شيء علماً، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٠-١٧١).

(٢) «عطف» زيادة من «ت».

سورة التحريم

مدنية بالإجماع، وآيها: اثنتا عشرة آية، وحروفها: ألف ومئة وستون حرفاً، وكلمها: مئتان وسبع وأربعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ ﴾.

[١] كان رسول الله ﷺ قد خلا بسُرِّيته مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس ملك مصر في بيت حفصة، وقد مرت لزيارة أبيها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فجاءت حفصة، فوجدتهما، فأقامت خارج البيت حتى أخرجَ رسولُ الله ﷺ مارية، وذهبت، فدخلت حفصة غَيْرى متغيرة، فقالت: يا رسول الله! أما كان في نسائك أهون عليك مني؟ في بيتي وعلى فراشي! فقال لها رسول الله ﷺ متراضياً لها: «هي حرامٌ عليَّ»، وقال مع ذلك: «والله لا أطؤها أبداً، فلا تخبري عائشة»، وقال: «أبوك وأبو عائشة الخليفتان بعدي»(١)، ثم إن حفصة ـ رضي الله عنها ـ قرعت

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٠)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ١٥٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما باختلاف يسير.

الجدار الذي بينها وبين عائشة، وأخبرتها لتسرها بالأمر، ولم تر في إفشائها إليها حرجاً، واستكتمتها، فأوحى الله بذلك إلى نبيه ونزل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [1] تقدم مذهب نافع في المد والهمز في أول سورة الطلاق.

﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾.

وقيل: شرب عسلاً عند حفصة، فواطأت عائشة سودة وصفية، فقلن له: إنا نشم منك ريحَ المغافير[2] ـ وهو صمغ له ريح منكرة، وكان ﷺ يشتد عليه أن يُشم منه ما يكره، فحرم العسل، فنزلت.

قال ابن عطية[3]: والقول الأول أن الآية نزلت بسبب مارية أصحُّ وأوضح، وعليه تفقه الناس في الآية[4].

فإذا قال الرجل لزوجته: أنت عليَّ حرام، أو ما أحلَّ اللهُ عليَّ حرامٌ، فقال أبو حنيفة: هو ما أراد من الطلاق، فإن لم يرد الطلاق، فليس بشيء، وقال مالك: هو ثلاث في المدخول بها، وينوي في غير المدخول بها، فهو ما أراد من الواحدة أو الاثنتين أو الثلاث، ومتى حرم مالاً أو جارية دون أن يعتق، أو يشترط عتقاً أو نحو ذلك، فليس تحريمه بشيء، وقال الشافعي: إن نوى طلاقاً أو ظهاراً، حصل، أو نواهما، تخير، وثبت ما اختاره، وإن

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٤).

(٢) رواه البخاري (٤٦٢٨)، كتاب: التفسير، باب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾، ومسلم (١٤٧٤)، كتاب: الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٠).

(٤) «في الآية» زيادة من «ت».

نوى تحريم عينها، لم تحرم عليه[1]، وعليه كفارة يمين، وكذا إن لم تكن له نية، وإن قاله لأمة، ونوى عتقاً، ثبت، أو تحريمَ عينها، أو لا نية فكالزوجة، وقال أحمد: هو ظهار مطلقاً، ولو نوى الطلاق أو اليمين؛ لأنه صريح في الظهار، فلو قاله لأمته، أو أم ولده، فعليه كفارة يمين كما تقدم في سورة المجادلة في حكم الظهار.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ تفسير لـ(تُحَرِّمُ)، والمرضاة مصدر كالرضا؛ أي: تبتغي رضاهن بتحريم المحلَّل، وليس لأحد تحريم ما أحل. قرأ الكسائي: (مَرْضَاتَ) بالإمالة، ووقف عليها بالهاء[2].

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ سَتور للذنب ﴿رَحِيمٌ﴾ عطوف بالرحمة، غفر تعالى لنبيه ﷺ ما عاتبه، ورحمه.

***

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)﴾.

[٢] ثم أمره أن يكفِّر عن يمينه، فقال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ﴾ أي: بيَّنَ ﴿اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ﴾ أي: تحليل ﴿أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو الكفارة، وتقدم حكمها مستوفىً في سورة المائدة.

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

***

---

(١) «عليه» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٥).

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ ﴾ أي: واذكر يا محمد ذلك على جهة التأنيب والتعتب لهن.

﴿ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ ﴾ هي حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. واختلاف القراء في الهمزتين من (النَّبِيءُ إِلَى) كاختلافهم فيهما من (يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا) أول سورة الطلاق [الآية: ١] ﴿ حَدِيثًا ﴾ هو تحريم مارية، وخلافة أبي بكر وعمر.

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ ﴾ حفصةُ ﴿ بِهِۦ ﴾ عائشةَ ﴿ وَأَظْهَرَهُ ﴾ أطلعه ﴿ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بوحي منه.

﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ ﴾ قرأ الكسائي: (عَرَفَ) بتخفيف الراء؛ أي: عرف بعضَ الفعل الذي فعلته من إفشاء سره؛ أي: غضب من ذلك، وجازاها عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر، قال: «لو كان في آل الخطاب خيرٌ لما طلقك رسولُ الله»، فأمره الله على لسان جبريل بمراجعتها(١). وقرأ الباقون: بتشديد الراء(٢)؛ أي: أعلم به، وأَنَّبَ عليه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٦)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ١٨٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٥-٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٥-١٧٦).

﴿ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾ هو أمر الخلافة؛ لئلا يشتهر.

﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ ﴾ أي: نبأ حفصة بالخبر، وأنها أفشته إلى عائشة، ظنت أن عائشة فضحتها، فثَمَّ ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ﴾ على جهة التثبت ﴿ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

* * *

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] فلما أخبرها أن الله أخبره، سكتت، وسلمت، واعتزل ﷺ نساءه للحديث الذي أفشته حفصة إلى عائشة، وحلف ألاَّ يدخل عليهن شهراً، فلما ذهب تسع وعشرون ليلة، بدأ بعائشة، فقالت: أقسمتَ أنك لا تدخل شهراً، وإنما أصبحتَ من تسع وعشرين، فقال: «الشهر تسع وعشرون ليلة»[(١)]، وكان الشهر تسعاً وعشرين ليلة.

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ خطاب لحفصة وعائشة من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء.

﴿ فَقَدْ صَغَتْ ﴾ مالت ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي: وُجد منكما ما يوجب التوبة بأن سَرَّكما ما كرهه النبي ﷺ من تحريم مارية، وجمع القلوب؛ لئلا يجمع بين تثنيتين في كلمة؛ فراراً من اجتماع المتجانسين، وربما جمع، وتقديره: إن تبتما، قُبلت توبتكما.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٩٥)، كتاب: النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، ومسلم (١٠٨٣)، كتاب: الصيام. باب الشهر يكون تسعاً وعشرين، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ قرأ الكوفيون: بتخفيف الظاء، والباقون: بتشديدها[1]، ومعناهما: تتعاونا على إيذائه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطفاً على الضمير في (مَوْلاَهُ) (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) واحد يُراد به الجمع، وهم من صلح من المؤمنين. قرأ ابن كثير: (جَبْرِيلُ) بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز[2]، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة، وقرأ أبو بكر عن عاصم كذلك، إلا أنه حذف الياء بعد الهمزة، وقرأ الباقون: بكسر الجيم والراء من غير همز.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ أعوان، المعنى: كلُّ المذكورين ينصرون محمداً ويعينونه، وتخصيص جبريل لتعظيمه.

* * *

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝٥﴾.

[٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾ و(عسى) تكون للوجوب في ألفاظ القرآن إلا في موضعين: أحدهما في سورة محمد ﷺ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ)؛ أي: علمتم وتمنيتم، والثاني: هنا ليس بواجب؛ لأن الطلاق معلق بالشرط، فلما لم يوجد الشرط، لم يوجد التبديل.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٧).

﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ رسوله ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ قرأ أبو عمرو: (طَلَّقكُّنَّ) بإدغام القاف في الكاف، والباقون: بالإخلاص، وقرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يُبَدِّلَهُ) بفتح الباء وتشديد الدال، والباقون: بإسكان الباء وتخفيف الدال(١).

﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ خاضعات له بالطاعة ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ مخلصات ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ طائعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ عن الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ متذللات لأمر الرسول ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ صائمات.

﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ أي: مشتملات على الثيبات والأبكار، والآية واردة في الإخبار عن القدرة، لا عن الكون في الوقت؛ لأنه تعالى قال: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾، وهو علم أنه لا يطلقهن، وهذا كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، فهذا إخبار عن القدرة، وتخويف لهم؛ لأنه ليس في الوجود خير من أمة محمد ﷺ.

روي عن أنس بن مالك: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله! لا تكترثْ بأمر نسائك، والله معك، وجبريل معك، وأبو بكر معك، وأنا معك»، فنزلت الآية موافقة نحواً من قول عمر(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، وقراءة (يبدله) في «التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٨).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٣٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٢٨٧). وأصله في «الصحيح».

وروي أيضاً: أن عمر قال لزوجات النبي ﷺ: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن»، فنزلت الآية على نحو قوله[1].

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ ﴾ جنِّبوا.

﴿ أَنفُسَكُمۡ ﴾ بترك المعاصي ﴿ وَأَهۡلِيكُمۡ ﴾ بالنصح والتأديب.

﴿ نَارٗا وَقُودُهَا ﴾ حطبها[2] ﴿ ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ وهي حجارة الكبريت، وقيل: الأصنام، وقرن الناس بالحجارة؛ لأنهم نحتوها واتخذوها أرباباً من دون الله، وقيل من النار نوع لا يتقد إلا بالناس والحجارة كاتقاد هذه النار بالحطب.

﴿ عَلَيۡهَا ﴾ ولاة يعذبون بها الناس ﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ ﴾ هم الزبانية ﴿ غِلَاظٞ ﴾ فظاظ على أهل النار ﴿ شِدَادٞ ﴾ أقوياء، بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، يضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفاً، فيهوون في النار.

﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ ﴾ به ﴿ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ بمحبة وإسراع، وهذه الآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٣٢)، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ ﴾.

(٢) «حطبها» زيادة من «ت».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ويقال للكفار عند دخولهم النار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ونهيهم عن الاعتذار؛ لأنه لا عذر لهم.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ هي ألاَّ يعود إلى الذنب. قرأ أبو بكر عن عاصم: (نُصُوحاً) بضم النون، مصدر كالقعود، وقرأ الباقون: بفتحها[1]، مصدر واسم فاعل بمعنى ناصحة، وصف التوبة بالنصح مجازاً، وإنما هو وصف للتائبين؛ لأنهم ينصحون نفوسهم.

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ ترجية، وروي أن (عَسَى) هنا للوجوب.

﴿ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ عطف على ﴿ يُكَفِّرَ ﴾.

﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﴾ ظرف لـ(يُدْخِلَكُم) ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾ عطف على (النبي).

﴿ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ على الصراط.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٨-١٧٩).

﴿ يَقُولُونَ ﴾ إذا طَفِيءَ نور المنافقين: ﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ يقولون ذلك إشفاقاً على عادة البشرية.

وعن الحسن: مُتَمِّمة لهم، ولكنهم يدعون تقرباً إلى الله؛ كقوله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، وهو مغفور له.

***

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ ﴾ بالسيف ﴿ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ بالحجة وإقامة الحدود ﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ في ذلك ﴿ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ جهنمُ.

***

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ ضَرَبَ ﴾ أي: مَثَّلَ ﴿ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ ﴾ واسمها واعلة ﴿ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾ واسمها واهلة.

﴿ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ ﴾ أي: زوجيهما ﴿ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾ هما نوح ولوط عليهما السلام.

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ بأن أشركتا، لا في الفراش، فقد روي: ما زنت امرأة

نبي قط[1]، وخيانتهما أن كانت امرأة نوح تقول: إنه مجنون، وامرأة لوط تدل على أضيافه.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: زوجاهما ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه.

﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ الكافرين من أمة نوح ولوط، قطع الله بهذه الآية طمع من يركب المعصية أن ينفعه صلاحُ غيره.

* * *

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعاً، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ واسمها آسية بنت مزاحم.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ قريباً من رحمتك، وذلك أنها آمنت، فعلم فرعون، فأوتد يدها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقى على صدرها رحى عظيمة[2]، واستقبل بها الشمس، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾، فكشف لها فرأت بيتها، فسهل الله عليها تعذيبها[3]، وفي معنى

---

(١) جاء من قول ابن عباس وغير واحد من السلف، كما ذكر ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٤٩).

(٢) «عظيمة» زيادة من «ت».

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٣١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه من قوله. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٨): رجاله رجال الصحيح.

قولها: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: الجارُ قبلَ الدار.

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ هو الكفرُ، وتعذيبه إياها.

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ القبط.

* * *

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ (١٢)﴾.

[١٢] ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾ عطف على (امرأةَ فرعون) تسلية للأرامل. وقف ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب: (امْرَأَة) و(ابْنَهْ) بالهاء في الأحرف الأربعة، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (عِمْرَانَ) بالإمالة(١).

﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ من الرجال ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ﴾ أي: الفرج.

﴿مِن رُّوحِنَا﴾ والمراد: قولُ جبريل ـ عليه السلام ـ لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ الآية [مريم: ١٩].

﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه، و(بِكَلِمَةِ رَبِّهَا)؛ أي: بعيسى، والتلاوة بالأول ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحفص عن عاصم: بضم الكاف والتاء بغير ألف على الجمع؛ أي: كتبه المنزلة على إبراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام، وقرأ الباقون: بكسر الكاف وفتح

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤١٩)، والإمالة في «غيث النفع» للصفاقسي (ص: ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٧٩).

التاء وألف بعدها على التوحيد[1]، والمراد: جنس الكتب المنزلة.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لربها، ولم يقل: من القانتات؛ لأن القنوت يعم الذكر والأنثى، فغلب الذكر.

قال ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسيةُ بنتُ مزاحِم امرأةُ فرعون، ومريمُ بنتُ عمران، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمد، وفضل عائشةَ على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٠ـ١٨١).

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٠)، كتاب: الأنبياء، باب قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ومسلم (٢٤٣١)، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل خديجة رضي الله عنها، من حديث أبي موسى الأشعري، بلفظ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وقد رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٣) من حديث أبي موسى رضي الله عنه باللفظ الذي ذكره المصنف رحمه الله.

سورة الملك

مكية، وتسمى: الواقية، والمنجية؛ لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر، آيها: ثلاثون آية، وحروفها: ألف وثلاث مئة وثلاثة عشر حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة وخمس وثلاثون كلمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿تَبَٰرَكَ﴾ تقدم تفسيره أول سورة الفرقان.

﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ﴾ أي: في تصرفه ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عموم، والشيء معناه في اللغة: الموجود.

* * *

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ هما معنيان يتعاقبان جسمَ الحيوان، يرتفع أحدهما بحلول الآخر.

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ أي: جعل لكم هاتين الحالتين ليعاملكم معاملة المختبِر.

﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أخلصُه وأسرعُ إلى الطاعة؛ لأنه لا يُقبل عمل حتى يكون خالصاً لله.

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قلت: يا رسول الله! ما معنى قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾؟ فقال: «يقول: أيكم أحسن عقلاً، وأشدكم لله خوفاً، وأحسنكم في أمره ونهيه نظراً، وإن كانوا أقلَّكم تطوعاً»(١).

وقدم الموت في اللفظ؛ لأنه أدعى إلى حسن العمل؛ لتقدمه في النفس هيئة وغلظة.

﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ لمن تاب.

* * *

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] وتبدل من ﴿ ٱلَّذِى ﴾ قبلُ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ متطابقات بعضها فوق بعض، متباينات بلا علاقة ولا عماد ولا مماسة، وطباقاً: مصدر؛ أي: طُبقت طباقاً.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٥). وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٣٧).

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ اختلاف. قرأ حمزة، والكسائي: (تَفَوُّتٍ) بضم الواو مشددة من غير ألف، وقرأ الباقون: بألف بعد الفاء وتخفيف الواو، وهما لغتان؛ كالتحامُل والتحمُّل[1].

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ كَرِّرْه إلى السماء؛ لتستيقن إحكامَ خلقهن.

﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ صدوع. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام عن ابن عامر: (هَل تَّرَى) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار[2].

* * *

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾.

[٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرةً بعد كرة، ودققه؛ لترى خللاً، وجواب الأمر:

﴿يَنقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً مبعَداً عن إدراك خلل ما. قرأ أبو جعفر: (خَاسِياً) بنصب الياء منوناً من غير همز، والباقون: بالهمز[3].

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ منقطع، لم يدرك ما طلب.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٥).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٦).

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ القُربى إلى الأرض. قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام: (وَلَقَد زَّيَّنَّا) بإدغام الدال في الزاي، والباقون: بالإظهار(١).

﴿ بِمَصَٰبِيحَ ﴾ بنجوم، سميت بذلك؛ لإضاءتها كالمصباح؛ لأنها زينة السماء.

﴿ وَجَعَلْنَٰهَا ﴾ أي: النجومَ ﴿ رُجُومًا ﴾ جمع رجم؛ أي: مرامي ﴿ لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ يُرجمون بها عند استراق السمع، فينفصل الشهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار، والنارُ مكانها، فيقتل الجني، ويخبله، ولا يزول الكوكب عن مكانه.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها في البر والبحر، فمن قال غير ذلك، فقد تكلف ما لا علم له به(٢).

﴿ وَأَعْتَدْنَا ﴾ أي: أعددنا ﴿ لَهُمْ ﴾ يعني: الشياطين.

﴿ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ في الآخرة، واحتراقهم(٣) بالشهب في الدنيا.

***

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٦).

(٢) ذكره البخاري في «صحيحه» (٣/ ١١٦٨) معلقاً. ورواه الحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٩) بإسناده إلى عبد بن حميد في «تفسيره».

(٣) في «ت»: «بعد إحراقهم».

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ ورفع (عَذَابُ)[1] خبر مبتدؤه (وَلِلَّذِينَ).

﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ تضمنت هذه الآية عذاب جهنم للكفار المخلدين، وقد جاء في الأثر: «أنه يمر على جهنم زمنٌ تخفق أبوابها قد أَخْلَتْها الشفاعة»[2]، فالذي في هذه الآية في جهنم بأسرها؛ أي: جميع الطبقات، والتي في الأثر هي الطبقة العليا؛ لأنها مقر العصاة.

***

﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا ﴾ في جهنم[3] ﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا ﴾ لأهلها.

﴿ شَهِيقًا ﴾ هو أقبح ما يكون من صوت الحمار ﴿ وَهِىَ تَفُورُ ﴾ غلياناً.

***

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ ﴾ تنشقُّ ﴿ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ على الكفار. قرأ البزي عن ابن

---

(١) «ورفع عذاب» زيادة من «ت».

(٢) كذا ذكره الثعالبي في «تفسيره» (٤/ ٣٢١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٩). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٦٩)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٠): فيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف.

(٣) «في جهنم» زيادة من «ت».

كثير: (تَكَاد تَّمَيَّزُ) بتشديد التاء على أنها تتميز، وأدغم إحدى التاءين في الأخرى، وقرأ أبو عمرو: بإدغام الدال في التاء[1].

﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ طائفةٌ ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ توبيخاً لهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ رسول يخوفكم هذا العذاب.

* * *

﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩﴾.

[٩] ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا﴾ الرسل ﴿وَقُلۡنَا﴾ لهم: ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ وفرطنا في التكذيب حتى نفينا[2] الإنزال والإرسال.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ أي: وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال، ويحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار حين أخبروا عن أنفسهم أنهم كذبوا الرسل.

* * *

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾.

[١٠] ﴿وَقَالُواْ﴾ يعني: الكفارُ للخزنة في محاورتهم: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ﴾ سماعَ من يعي الحقَّ ﴿أَوۡ نَعۡقِلُ﴾ عقلاً يُنتفع به، ونعي شيئاً، لآمَنَّا، و﴿مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ المستوجبين الخلودَ فيه.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٦).

(٢) في «ش»: «نسينا»، والمثبت من «ت».

﴿ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١ ﴾.

[١١] ﴿ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿ فَسُحۡقٗا ﴾ نصب على جهة الدعاء عليهم ﴿ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ أي: أبعدَهم الله بعداً عن رحمته. قرأ الكسائي، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (فَسُحُقاً) بضم الحاء، والباقون: بإسكانها، وهما لغتان مثل: الرعْب والرعُب(١).

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ أي: إذا غابوا عن الناس في خلواتهم.

﴿ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ الجنة.

***

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ ﴾.

[١٣] ولما كان المشركون ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل بما قالوا، قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كيلا يسمع إله محمد، فنزل: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٢) بالضمائر دون أن ينطق، فكيف إذا نطق به سراً أو جهراً؟

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٧)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٢١٤).

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ أَلَا يَعْلَمُ ﴾ السرَّ والجهرَ ﴿ مَنْ خَلَقَ ﴾ أي: أوجدَ الأشياءَ.

﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ﴾ العالم بما ظهر من خلقه[١] وما بطن ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بهم وبأعمالهم.

* * *

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ مذللة لينة ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ جوانبها.

﴿ وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ الذي خلقه لكم، أمر إباحة ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ المرجع.

* * *

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم خوَّف الكفار فقال: ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وأبو جعفر، وقالون، ورويس، والأصبهاني عن ورش: (أَأَمِنْتُمْ) بتحقيق الهمزة الأولى، وتسهيل الثانية بين الهمزة والألف، واختلف عن الأزرق عن ورش في إبدالها ألفاً خالصة، وتسهيلها بين بين، واختلف عن هشام في تسهيلها بين بين، وتحقيقها، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزتين، وهم الكوفيون، وابن ذكوان، وروح، وفصل بين الهمزتين بألف: أبو عمرو،

---

(١) «من خلقه» زيادة من «ت».

وأبو جعفر، وقالون، واختلف عن هشام، وقرأ الباقون: بغير فصل، ممن حقق الثانية أو سهلها، وقنبل راوي ابن كثير خالف أصله في هذا الحرف، فأبدل الهمزة الأولى منهما واواً؛ لضم راء (النُّشُورُ) قبلها، فإذا وصل، قرأ بواو مفتوحة مع المد، واختلف عنه في الهمزة الثانية، فروي عنه تسهيلها، وروي تحقيقها، وأما إذا ابتدأ، فإنه يحقق الأولى، ويسهل الثانية على أصله[1].

﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وهذا المحل من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، نؤمن به ولا نتعرض إلى معناه، ونكل العلم فيه إلى الله، قال ابن عباس: «أأمنتم عَذَابَ مَنْ في السماء إن عصيتموه»[2].

﴿أَن يَخۡسِفَ﴾ يغوِّرَ ﴿بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كما فعل بقارون.

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تذهب وتجيء مضطربة.

***

﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾.

[١٧] ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ ريحاً ذاتَ حجارة كما فعل بقوم لوط. واختلاف القراء في الهمزتين من (السَّمَاءِ أَنْ) في الحرفين كاختلافهم فيهما من (هَؤُلَاءِ آلِهَةً) في سورة الأنبياء [الآية: ٩٩].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٨٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٨).

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ إنذاري إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم العلم.

***

﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨﴾.

[١٨] ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ قبل كفار مكة من الأمم الماضية.

﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالعذاب، وهو تسلية لرسول الله ﷺ، وتهديد لقومه. **قرأ** ورش عن نافع: (نَذِيرِي) و(نَكِيرِي) بإثبات الياء وصلاً، **وقرأ** يعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وحذفها الباقون في الحالين[1].

***

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾.

[١٩] ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾ المراد: جنس الطيور ﴿فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ﴾ باسطاتٍ أجنحتَها في الجو عند طيرانها كالسابح في الماء ﴿وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ أجنحتها بعدَ البسط.

﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع عند القبض والبسط ﴿إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا على القدرة بثبوت الطير في الهواء؟!

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٢/ ١٨٩).

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ثم استفهم منكراً فقال: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ إن أرسل عليكم عذابه ﴿ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ الشيطانُ يغرهم.

* * *

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ ﴾ الله ﴿ رِزْقَهُۥ ﴾ عنكم باحتباس المطر وغيره من الأسباب؟ فلما لم يتعظوا، أضرب عنهم فقال:

﴿ بَل لَّجُّوا۟ ﴾ تمادَوْا ﴿ فِى عُتُوٍّ ﴾ تكبر ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ تباعُد عن الإيمان.

* * *

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ثم ضرب مثلاً فقال: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا ﴾ واقعاً.

﴿ عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ ﴾ يعثر كل ساعة؛ لوعورة طريقه.

﴿ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا ﴾ قائماً سالماً من العِثار.

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهذا مثل للمؤمن والكافر.

* * *

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ ﴾ خلقكم ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ ﴾ لتسمعوا

المواعظ ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ لتنظروا صنائعه ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾ لتتفكروا وتعتبروا.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: شكركم قليل، والثاني: لا تشكرونه قليلاً ولا كثيراً.

* * *

﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾.

[٢٤] ﴿هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ﴾ خلقكم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تبعثون يوم القيامة.

* * *

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني الكفار للمؤمنين استهزاء: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالعذاب.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تعدوننا به؟

* * *

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ﴾ أي: علم وقته ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يعلمه غيره.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ والنذير يُعَلِّمُ ما عُلِّم، ويخبر بما أُمر أن يُخبر به.

* * *

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ هذه حكاية حال تأتي، المعنى: فإذا رأوه.

﴿زُلْفَةً﴾ قريباً منهم، يعني: عذاب الآخرة.

﴿سِيٓـَٔتْ﴾ قَبُحت واسودَّت[١] ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وبانَ عليها الكآبةُ.

﴿وَقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هَٰذَا﴾ العذابُ.

﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ أي: كنتم بسببه تدَّعون؛ أي: تتمنون أن يُعجل لكم؛ لاعتقادكم أنكم لا تبعثون. قرأ الكسائي، وهشام عن ابن عامر، ورويس عن يعقوب: (سِيئْت) (وَقِيلَ) بإشمام السين والقاف الضم، وافقهم نافع، وأبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر في (سِيئَتْ)، وقرأ الباقون: بإخلاص الكسر فيهما[٢]، وقرأ يعقوب: (تَدْعُونَ) بإسكان الدال مخففة، والباقون: بفتحها مشددة، ومعناهما واحد[٣].

* * *

---

(١) «واسودت» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٠-١٩١).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٣٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩١).

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ ﴾ أماتني ﴿ وَمَن مَّعِىَ ﴾ من المؤمنين.

﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ بتأخير آجالنا.

﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ المعنى: نحن مع إيماننا بين الخوف والرجاء، فمن يجيركم أنتم مع كفركم؟ أي: لا ينجيكم أحد من العذاب، متنا أو بقينا. **قرأ** حمزة: (أَهْلَكَنِي اللهُ وَمَنْ مَعِي) بإسكان الياء فيهما، وافقه في الثاني: الكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون: بالفتح فيهما[١].

* * *

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ الذي نعبده ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ ﴾ وثوقاً به.

﴿ فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ عند معاينة العذاب ﴿ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ منا ومنكم. **قرأ** الكسائي: (فَسَيَعْلَمُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، واتفقوا على الأول أنه بالخطاب، وهو (فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ)؛ لاتصاله بالخطاب[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢)، =

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ غائراً في الأرض لا تصلون إليه.

﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ جارٍ ظاهرٍ تراه العيون، وتناله الأيدي.

حكي أن بعض المتجبرين تُليت عنده هذه الآية، فقال: يأتي به رؤوس المعاول، فذهب ماء عينيه، وعمي، فسمع هاتفاً يقول: قد أغرناها، فاستعمل الآن رؤوس المعاول.

قال ﷺ: «إن سورةً من كتاب الله تعالى ما هي إلا ثلاثون آية شَفَعَتْ لرجل، فأخرجته يوم القيامة من النار، وأدخلته الجنةَ، وهي سورةُ تبارك»[١]، والله أعلم.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٢).

(١) رواه أبو داود (١٤٠٠)، كتاب: الصلاة، باب: في عدد الآي، والترمذي (٢٨٩١)، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، وقال: حسن، وابن ماجه (٣٧٨٧)، كتاب: الأدب، باب: ثواب القرآن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سورة ن والقلم(١)

مكية، وآيها اثنتان وخمسون آية، وحروفها: ألف ومئتان وستة وخمسون حرفاً، وكلمها: ثلاث مئة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ ﴾.

[١] ﴿نٓ﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب، وخلف، وهشام عن ابن عامر: بإدغام النون الذي هو آخر نون في الواو بغنة؛ إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل؛ فإن النون الساكنة تخفى مع حروف(٢) الفم إذا اتصلت بها، واختلف عن ورش، وعاصم، والبزي، وابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالبيان للنون عند الواو، وهم: أبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر، وقالون، وورش(٣)، وأبو جعفر على أصله يقف على (نٓ)(٤).

واختلف في (نٓ)، فقال الجمهور من المفسرين: هو حرف مقطوع،

---

(١) «والقلم» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «نون».

(٣) في «ت»: «وقنبل».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٥).

فيدخله من الاختلاف ما يدخل في أوائل السور، ويختص هذا الموضع من الأقوال بأن قال ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، والسدي، والكلبي: إنه الحوت الأعظم الذي تحت الأرضين السبع، واسمه يهموت(١).

﴿ وَٱلْقَلَمِ ﴾ الذي كتب به اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أي: ما يكتبون: الملائكةُ الحفظةُ من أعمال بني آدم.

* * *

﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ ﴾.

[٢] وهو قسم جوابه: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك بالنبوة ﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾ وهو جواب لقولهم: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦]، فأقسم الله بالنون والقلم، وما يكتب به الأعمال إنه ليس مجنوناً، وقد أنعم عليه بالنبوة والحكمة.

* * *

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ بصبرك على افترائهم.

﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: مقطوع.

* * *

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وسمي خلقه ﷺ عظيماً؛ لامتثاله

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٤٤١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/٣٤٥). وقال أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/٣٠١) بعد ذكره لهذه الأقوال: لا يصح شيء من ذلك، انتهى.

تأديبَ الله تعالى، والخلق العظيم يجتمع فيه مكارم الأخلاق، وهي تجتمع في النبي ﷺ، وقد أمره الله بمكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فأمره بتوبة آدم، وشكر نوح، ووفاء إبراهيم، ووعد إسماعيل، وحلم إسحاق، وحسن ظن يعقوب، واحتمال يوسف، وصبر أيوب، وإنابة داود، وتواضع سليمان، وإخلاص موسى، وعبادة زكريا، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، ففعلها، وهي من مكارم الأخلاق، فأثنى الله عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وسئلت عائشة عن خلقه، فقالت: «كان خلقُه القرآن»(١).

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: إن رسولَ الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «خياركم أحاسنُكم أخلاقاً»(٢).

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ولا امرأة»(٣).

وعنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول(٤): «إن المؤمنَ يدرك بحسن خلقه درجةَ قائم الليل وصائم النهار»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، بلفظ فيه: . . . فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

(٢) رواه البخاري (٥٦٨٨)، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، ومسلم (٢٣٢١)، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩١٦٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٢٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٨٨).

(٤) «سمعت رسول الله ﷺ» زيادة من «ت».

(٥) رواه أبو داود (٤٧٩٨)، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق.

﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ونزل وعداً له ﷺ ووعيداً لهم: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ فستعلم يا محمد، ويعلمون إذا نزل بهم العذاب.

* * *

﴿ بِأَيِيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ بِأَيِيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴾ بأي الجانبين الجنون: بجانب محمد ﷺ وأصحابه، أم بجانب أبي جهل وأصحابه؟

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ وهو المجنون حقيقة.

﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ الفائزين بكمال العقل.

* * *

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ ﴾ .

[٨] ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه، وذكر سوء خلقه، وعدَّ معايبه، فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله(١): ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يعني: قريشاً.

* * *

---

(١) «بقوله» زيادة من «ت».

﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾.

[٩] وذلك أنهم قالوا في بعض الأوقات لرسول الله ﷺ: لو عبدتَ آلهتنا وعظمتها، لعبدنا آلهتك وعظمناها، فأُمر بالتصميم على معاداتهم.

﴿ وَدُّواْ ﴾ تمنَّوْا ﴿ لَوۡ تُدۡهِنُ ﴾ تلين وتُصانعهم في دينك.

﴿ فَيُدۡهِنُونَ ﴾ فيلاينونك بترك الطعن، ورفع (فَيُدْهِنُونَ) وإن كان جواب التمني؛ لأنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فهم يدهنون، وفي بعض المصاحف: (فَيُدْهِنُوا) بلا نون.

* * *

﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ ﴾ كثيرِ الحلف، وهذا نهي عن طاعة من يجترىء على الله تعالى، وكثرة الأيمان منهي عنه ﴿ مَّهِينٍ ﴾ ضعيف الرأي والعقل.

* * *

﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ ﴾.

[١١] ﴿ هَمَّازٖ ﴾ مغتاب عياب للناس ﴿ مَّشَّآءِۭ ﴾ بين الناس ﴿ بِنَمِيمٖ ﴾ ينقل الكلم على وجه الإفساد، وهذه الأوصاف هي أجناس، لم يُرَدْ بها رجل بعينه، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في الأخنس بن شريق، وقيل: في أبي جهل، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: الأسود بن عبد يغوث(١).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٤٧).

قال ابن عطية: وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة، والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمن، لا سيما لولاة الأمور(١).

* * *

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ شحيح بالمال والأفعال الصالحة.

﴿ مُعْتَدٍ ﴾ متجاوز لحدود الأشياء. روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (مُعْتَدِي) ﴿ أَثِيمٍ ﴾ آثم من حيث أعماله قبيحة تكسب الإثم.

* * *

﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ عُتُلٍّ ﴾ غليظ جافي سيء الخلق ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ الذي وصفناه به، فهذا الترتيب إنما هو في قول الواصف، لا في حصول تلك الصفات في الموصوف، وإلا، فكونه عتلاً هو قبل كونه صاحب خير يمنعه.

﴿ زَنِيمٍ ﴾ معلَّق بالقوم وليس منهم.

* * *

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (أَنْ كَانَ) بهمزة واحدة على الخبر؛ أي: إذا كان، ومعناه: لا تطعه مع هذه المثالب ليساره، وقرأ الباقون: بهمزتين على الاستفهام، وهم على أصولهم، فحقق الهمزتين

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٧)، وعنده: «عموم من هذه صفته».

على الأصل: حمزة وروح عن يعقوب، وأبو بكر عن عاصم، وحقق الأولى وسهل الثانية تخفيفاً: ابنُ عامر، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب، وفصل بينهما بألف: أبو جعفر، وهشام، واختلف عن ابن ذكوان(١)، ولهذه القراءة وجهان: أحدهما معناه: لأن كان ذا مال وبنين تطيعه؟ يدل على المحذوف: (وَلاَ تُطِعْ) قبلُ، والوجه الآخر: ألأن كان ذا مال وبنين؟

***

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ كذَّبَ بالقرآن، و ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم، ورفعها بإضمار (هي)(٢) أي: جعل مجازاة النعم التي خُوِّلها من البنين والمال الكفرَ بآياتنا.

***

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

[١٦] ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ سنسوِّدُ وجهه، أو نكويه، والخرطوم: هو الأنف؛ ليكون له علماً يعرف به؛ لأن الكافر يسود وجهه يوم القيامة، وخص الأنف بالذكر؛ لأن الوسم عليه أبشع، وقيل: أبو جهل خُطم أنفه بالسيف يوم بدر(٣).

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٤٨ـ٤٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٦٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٦ـ١٩٧).

(٢) في «ت»: «هم».

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٥٩٣).

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع .

﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ بستان يقال له: ضروان باليمن دون صنعاء بفرسخين، كان لرجل، وكان إذا جذَّهُ، ترك ما يتعداه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وينتثر عند الدياس للمساكين، فمات، فخلفه بنوه فيها، فاحتالوا لمنع حق الفقراء بخلاً منهم .

﴿ إِذْ أَقْسَمُوا۟ ﴾ حلفوا ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ ليقطعن ثمارها وزرعها ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ في أول الصبح آخر جزء من الليل خفيةً على المساكين .

* * *

﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ لا يقولون : إن شاء الله .

* * *

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ ﴾ بلاء وهلاك ليلاً ﴿ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ ولا يكون الطائف إلا بالليل، وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها .

* * *

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ أي: المصرومة؛ لهلاك ثمرها، وكلُّ شيء قُطع من شيء فهو صريم، والليل صريم، والصبح صريم؛ لأن كل واحد

منهما ينصرم عن صاحبه، قال ابن عباس: «كالرماد الأسود»[1].

* * *

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ نادى بعضهم بعضاً.

* * *

﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ أَنِ اغْدُوا ﴾ أي: أقبلوا. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف[2]: (أَنُ اغْدُوا) بضم النون في الوصل، والباقون: بكسرها[3].

﴿ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ نخلكم[4] ﴿ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ قاطعين للنخل.

* * *

﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ فَانطَلَقُوا ﴾ مضوا إليها ﴿ وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ يتسارُّون، يقول بعضهم لبعض:

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٥٠)، و«زاد المسير» لاين الجوزي (٨/ ٣٣٦)، و«تفسير الثعالبي» (١٠/ ١٦).

(٢) «وخلف» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٨)، ولم يذكر خلفاً وأبا جعفر.

(٤) في «ت»: «غلتكم».

﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ وهذا مبالغة في النهي عن التمكين من الثمرة .

* * *

﴿ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ وَغَدَوْا۟ ﴾ عزموا ﴿ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ منعٍ للفقراء، والحرد: المنعُ مع حدَّة وغضب ﴿ قَـٰدِرِينَ ﴾ بزعمهم .

* * *

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا ﴾ محترقةً ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ طريقَ جنتنا، وليست هذه .

* * *

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] فلما تأملوا وعرفوا أنها هي، قالوا :

﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ خيرَها بسبب منعنا المساكين .

* * *

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أعدلُهم وخيرهم؛ كقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا ﴾ هلاَّ ﴿ تُسَبِّحُونَ ﴾ تطيعون الله وتعظمونه، وقيل: تستثنون، وسمي الاستثناء تسبيحاً؛ لأنه تعظيم الله، قال

ابن عطية: وهذا يرد عليه قولهم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾[1].

* * *

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩﴾.

[٢٩] فبادر القوم و﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بمنعنا المساكينَ.

* * *

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠﴾.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين؛ فإن منهم من أشار بذلك، ومنهم من استصوبه، ومنهم من سكت راضياً، ومنهم من أنكره.

* * *

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١﴾.

[٣١] فنادوا على أنفسهم بالويل، و﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ في منعنا حقَّ الفقراء.

* * *

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝٣٢﴾.

[٣٢] ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ ليتوب علينا، ويرد جنتنا، رُوي أنهم تابوا، فأُبدلوا جنة خيراً منها.

قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يُبَدِّلَنَا) بفتح الباء وتشديد الدال، والباقون: بإسكان الباء وتخفيف الدال[2].

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٠).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٤٥)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٧٢)، و«معجم =

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: مثلَ عذاب أولئك ﴿ ٱلْعَذَابُ ﴾ الذي نعذب به أهل مكة بالقتل والأسر والهزيمة في الدنيا؛ لشركهم وكفرهم، وهو راجع إلى قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أعظمُ منه وأشدُّ.

﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ لاحترزوا عما يؤديهم إليه.

* * *

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في الآخرة.

﴿ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الخالصِ.

* * *

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] فقال المشركون للمسلمين: إن بعثنا على زعمكم، فإنا نُعطى أفضلَ منكم، فنزل تكذيباً لهم: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١) الألف للاستفهام على وجه التوبيخ؛ أي: لا نجعل ذلك، وفيه إضمار: أفلا تعقلون، معناه: من كان له عقل يعلم أنه لا يكون ثواب المسلمين كثواب المجرمين.

* * *

= القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٩).

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٣٢٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٥١).

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكمَ الفاسدَ، التفات فيه تعجيبٌ من حكمهم، واستبعادٌ له.

* * *

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ ﴾ منزلٌ من السماء ﴿ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ تقرؤون.

* * *

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ أي: إن لكم ما تختارونه وتشتهونه. قرأ البزي: (لَمَا تَّخَيَّرُونَ) بالمد وتشديد التاء، والباقون: بالتخفيف بغير مد[(١)].

* * *

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ ﴾ نعت (أَيْمَانٌ)؛ أي: ثابتة علينا.

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ لا نخرج من عهدتها إلى يومئذ، ولما تضمن ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا ﴾ معنى القسم، أجابه بقوله: ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ أي: لأقسمنا لكم أيماناً موثقة بما تحكمون به لأنفسكم، فيجب علينا الوفاء بها.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ١٩٩).

﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين؟

* * *

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ لله بزعمهم، وهي الأصنام يكفلون لهم بذلك، فإن كان كذلك ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في زعمهم.

* * *

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ يَوْمَ ﴾ أي: واذكرْ يومَ ﴿ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ أي: يشتد الأمر، قال ابن عباس: «هو أشدُّ ساعة في القيامة»، يقال: كشفت الحرب عن ساقها؛ أي: شدتها.

﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ ويعني: الكفارَ والمنافقينَ على جهة التوبيخ.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ السجودَ؛ لأن ظهورهم تصير كصياصي البقر، كأن سفافيد الحديد فيها.

* * *

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] ﴿ خَاشِعَةً ﴾ ذليلةً ﴿ أَبْصَارُهُمْ ﴾ والمراد: أربابها، و ﴿ خَاشِعَةً ﴾ نصب على الحال، وخص الأبصار بالذكر؛ لأن الخشوع فيها أبينُ منه في كل جارحة[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٣٩).

﴿ تَرۡهَقُهُمۡ ﴾ تغشاهم ﴿ ذِلَّةٞۖ ﴾ تظهر عليهم ظهوراً يخزيهم .

﴿ وَقَدۡ كَانُواْ ﴾ هنا[1] ﴿ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ الصلاةِ .

﴿ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴾ وأصحاء، فلا يأتون، فلذلك منعوا السجود ثَمَّ، وخص السجود بالذكر من حيث هو أعظم الطاعات، ومن حيث به وقع امتحانهم في الآخرة.

* * *

﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ ﴾ وعيد، ولم يكن ثَمَّ مانع، ولكنه كما تقول: دعني مع فلان؛ أي: سأعاقبه، والحديث المشار إليه هو القرآن.

﴿ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ والاستدراج: هو الحمل من رتبة إلى رتبة، حتى يصير المحمول إلى شر، وإنما يستعمل الاستدراج في الشر؛ أي: نجعلهم كلما أحدثوا خطيئة، جددنا لهم نعمة، ونُنسيهم الاستغفار. قرأ أبو عمرو: (بِهَذَا الْحَدِيث سَّنَسْتَدْرِجُهُمْ) بإدغام الثاء في السين[2].

* * *

﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ ﴾ أي: أُمهلهم ﴿ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ وسُمي إحسانه

---

(١) «هنا» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠١).

كيداً واستدراجاً؛ لأنه في صورتهما؛ لأنه سبب هلاكهم، وفي معنى الاستدراج قولُ النبي ﷺ: «إن الله يُمهل الظالمَ، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه»(١)، والمتين: القوي الذي له متانة.

* * *

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ ﴾ يعطونكه ﴿ مُّثْقَلُونَ ﴾ فلا يؤمنون لذلك، والمراد: توبيخ الكفار؛ لأنه لو سألهم أجراً فأثقلهم غرمُ ذلك، لكان لهم بعض العذر في إعراضهم وفرارهم.

* * *

﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ اللوح ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ منه ما يقولون وبه يحكمون.

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ثم أمر الله تعالى نبيه بالصبر لحكمه، وأن يمضي لما أُمر به من التبليغ، واحتمال الأذى والمشقة، ونُهي عن الضجر والعجلة التي وقع فيها

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٩)، كتاب: التفسير، باب قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ﴾، ومسلم (٢٥٨٣)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

يونس ـ عليه السلام ـ، فقال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ في عجلته وغضبه.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ داعياً في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظاً.

* * *

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾.

[٤٩] ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾ أسند الفعل دون علامة تأنيث؛ لأن تأنيث النعمة غير حقيقي، المعنى: لو لم تنله رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ﴾ لأُلقي من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ يُذم ويلام بالذنب، ولكنه رُحم، فُنبذ غيرَ مذموم.

* * *

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

[٥٠] ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اختاره واصطفاه بالنبوة.

﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء.

* * *

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾.

[٥١] ثم أخبر تعالى نبيه بحال نظر الكفار إليه، فقال: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ قرأ نافع (لَيَزْلِقُونَكَ) بفتح الياء، والباقون: بضمها(١)، المعنى: قارب الكفار أن يصيبوك بأعينهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، =

﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ .

* * *

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ .

[٥٢] فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ من الجن والإنس، والله أعلم.

* * *

= و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٥٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٢).

سورة الحاقة

مكية، وآيها: اثنتان وخمسون آية، وحروفها: ألف وأربعة وثمانون حرفاً، وكلمها: مئتان وست وخمسون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: «خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فجئت فوقفت وراءه، فافتتح سورة الحاقة، فلما سمعت سرد القرآن، قلت في نفسي: إنه لشاعر كما تقول قريش، حتى بلغ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ثم مر حتى انتهى إلى آخر السورة، فأدخل الله في قلبي الإسلام»(١).

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ اسم فاعل من حقَّ الشيء يحق: إذا كان صحيح الوجود، والمراد: القيامة؛ لأنها حقت، فلا كاذبة لها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧)، وإسناده ضعيف؛ شريح بن عبيد لم يدرك عمر رضي الله عنه. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٩/ ٦٢).

﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ استفهام تعجيب؛ تفخيماً لشأنها، التقدير: الحاقة أيُّ شيء هي؟! و﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ رفع بالابتداء، و(ما) رفعٌ بالابتداء أيضاً، و(الْحَاقَّةُ) الثانية خبر (ما)، والجملة خبر الأول، وهذا كما تقول: زيد وما زيد؟! على معنى التعظيم؛ ليتخيل السامع أقصى جهده.

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ ﴾.

[٣] ثم زادها تفخيماً فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ أي: إنك لا تعلمها إذا لم تر ما فيها من الأهوال.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (كَذَّبَت ثَّمُودُ) بإدغام التاء في الثاء، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون: بالإظهار(١).

﴿ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾ القيامة؛ لأنها تقرع القلوب بالمخافة، و(ثَمُودُ) اسم عربي معرفة فإذا أُريد به القبيلة، لم ينصرف، وإذا أُريد به الحي، انصرف، وأما (عَادٌ)، فكونه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط فهو مصروف.

* * *

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٥).

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة، وقيل: بطغيانهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ شديدةٍ تصرصر في هبوبها.

﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ شديدةٍ عتت على خزنتها فلم يضبطوها.

* * *

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ سَخَّرَهَا ﴾ أرسلها بشدة وقهر ﴿ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ متتابعة لم يتخللها غير ذلك. روي عن قنبل ويعقوب: الوقفُ بالياء على (لَيَالِي)، وهذه الأيام التي تسميها العرب: أيام[١] العجوز ذاتُ برد ورياح شديدة، سميت بذلك؛ لأنها كانت في عجز الشتاء.

﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا ﴾ في تلك الأيام والليالي ﴿ صَرْعَىٰ ﴾ هَلْكى، جمع صريع.

﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ ساقطة فارغة.

* * *

(١) «أيام» زيادة من «ت».

﴿ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴾ أي: بقاء. **قرأ** أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام: (فَهَل تَّرَى) بإدغام اللام في التاء، والباقون: بالإظهار(١).

* * *

﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ ﴾ **قرأ** أبو عمرو، ويعقوب، والكسائي: (قِبَلَهُ) بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: ومن معه، **وقرأ** الباقون: بفتح القاف وإسكان الباء(٢)؛ أي: من تقدَّمه من الأمم.

﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ ﴾ أي: المنخسفات؛ يعني: قوم لوط ﴿ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴾ أي: بالخطيئة، وهي الشرك. **قرأ** أبو جعفر: (والْمُوتَفِكَاتُ) بإسكان الواو، و(الْخَاطِيَةِ): بفتح الياء بغير همز فيهما، واختلف عن قالون في (والْمُوتَفِكَاتُ)، **وقرأ** الباقون بالهمز فيهما(٣).

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٦).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠ و٣٩٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٧-٢٠٨).

﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ يعني: لوطاً وجميعَ الرسل.

﴿ فَأَخَذَهُمْ ﴾ العذابُ.

﴿ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ زائدة في الشدة.

* * *

﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ثم عدد تعالى على الناس نعمه في قوله: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ في وقت الطوفان الذي كان على قوم نوح، والطغيان: الزيادة على الحدود المتعارفة، روي أنه علا على كل شيء خمسة عشر ذراعاً.

﴿ حَمَلْنَٰكُمْ ﴾ أي: آباءكم ﴿ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ على وجه الماء بسفينة نوح عليه السلام.

* * *

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ ﴾ أي: الفعلةَ، وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿ تَذْكِرَةً ﴾ عظةً.

﴿ وَتَعِيَهَآ ﴾ نصب عطف؛ أي: ولتعيها؛ أي: وتحفظَها ﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ حافظة لما تسمع. قرأ نافع (أُذْنٌ) بإسكان الذال، والباقون: برفعها[١].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٩٩)، و«الكشف» لمكي (١/ ٤٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٠٩).

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ثم ذكَّرَ تعالى بأمر القيامة فقال : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه، وهو من نور، فَمُه أوسعُ من السموات .

﴿ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ هي الأولى التي للفزع، ومعها يكون الصعق، ثم نفخة البعث .

***

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَحُمِلَتِ ﴾ رُفعت[١] ﴿ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ بجميع ما فيها .

﴿ فَدُكَّتَا ﴾ دُقَّتا ﴿ دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ لا تثنى ؛ لشدتها .

***

﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ قامت القيامة والطامة الكبرى .

***

﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ تفطَّرت ﴿ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ ضعيفة بعد قوتها .

***

﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ اسم جنس يريد به : الملائكة ﴿ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ ﴾ جوانبها ؛ يعني : السماء ؛ لأنها إذا انشقت، انتقلت الملائكة إلى جوانبها حتى يأمرهم

---

(١) في «ت» : «وقعت» .

الرب تعالى فينزلون، فيحيطون بالأرض ومن عليها.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: فوق رؤوسهم؛ يعني: الحملة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ من الملائكة.

روي أن حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة، أُمدوا بأربعة، فصاروا ثمانية على صور الأوعال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء[1].

وعن ابن عباس: «أنهم ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدتهم إلا الله»[2].

***

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ العاملُ فيه: ﴿تُعْرَضُونَ﴾ على الله.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرة. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (يَخْفَى) بالياء على التذكير؛ للفصل بـ(مِنْكُمْ)، وقرأ الباقون: بالتاء لتأنيث (خَافِيَةٌ)[3].

---

(١) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ٤٥) بعد أن ذكره: وأبو حيان لم يقل بصحة شيء من ذلك حيث قال: ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة، ضربنا عن ذكرها صفحاً. ثم قال الألوسي: وأكثر الأخبار في هذا الباب لا يعول عليها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٠).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٠).

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ ﴾ سروراً بما فيه خطاباً لجماعة.

﴿ هَآؤُمُ ﴾ اسم الفعل؛ أي: خذوا ﴿ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ الهاء للوقف.

* * *

﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ ﴾ أيقنت ﴿ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أي: أُحاسب في الآخرة. روي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (مُلَاقِي).

* * *

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ في حالة من العيش مرضية.

* * *

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ رفيعة.

* * *

﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ ثمرتها ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ قريبة المتناول للقائم والقاعد والنائم.

* * *

﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] فيقال لهم: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا ﴾ نصبٌ على المصدر.

﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ من الصلاح ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

* * *

﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ بأن تُلوى يسراه إلى خلف ظهره، فيأخذه بها ﴿فَيَقُولُ﴾ حزناً[١] مما فيه: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾.

* * *

﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾.

* * *

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي: الموتةُ التي كانت في الدنيا.

﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ القاطعةَ لحياتي، فلم أُبعث.

* * *

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾﴾.

[٢٨] ﴿مَآ﴾ نفي ﴿أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾ يساري لم يدفع عني شيئاً من عذاب الله.

* * *

---

(١) في «ت»: «خوفاً».

﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ ضلت عني حجتي. قرأ يعقوب: (كِتَابِي) (حِسَابِي) (مَالِي) (سُلْطَانِي) بحذف الهاء منها وصلاً، وأثبتها وقفاً، وافقه حمزة في (مَالِي) و(سُلْطَانِي)، وأثبتها الباقون في الحالين اتباعاً للإمام[١].

***

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] فثَمَّ يُقال للخزنة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغُلِّ.

***

﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ ﴾ نصب بفعل يفسره ﴿ صَلُّوهُ ﴾ أي: أدخلوه النار.

***

﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا ﴾ طولها ﴿ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ نصب على التمييز، قال حذاق من المفسرين: هي بالذراع المعروفة منا، وإنما خوطبنا بما نعرفه ونحصله، وقال الحسن: الله أعلم بأي ذراع هي، وعن كعب: لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها[٢].

﴿ فَاسْلُكُوهُ ﴾ وسلكه فيها أن تلوى على جسده.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٢-٢١٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٨٩).

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ ﴾ .

[٣٣] ثم علل ذلك مستأنفاً فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ المستحقِّ للعظمة، فمن تَعَظَّم تيهاً، استوجب ذلك.

* * *

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ يحثُّ ﴿ عَلَىٰ ﴾ بذلِ ﴿ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ فضلاً أن يبذل من ماله، وأضاف الطعامَ إلى المسكين من حيث له إليه نسبة.

* * *

﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ ﴾ .

[٣٥] ﴿ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴾ قريب ينفعه.

* * *

﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ ﴾ .

[٣٦] ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴾ هو صديد أهل النار؛ لأنه غُسالة قروح وجروح بطونهم.

* * *

﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧ ﴾ .

[٣٧] ﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾ الكافرون، والخاطِىء: الذي يفعل ضد الصواب متعمداً لذلك، والمخطىء: الذي يفعله غير متعمد. قرأ

أبو جعفر: (الْخَاطُونَ) بحذف الهمزة وضم الطاء، والباقون: بكسر الطاء وهمزة مضمومة بعدها[1].

* * *

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿فَلَآ﴾ ردٌّ لكلام المشركين؛ أي: ليس كما يقول المشركون، وتبتدىء.

﴿أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ ترون من الأجسام والأشباح.

* * *

﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ من الأرواح، وما استأثر الله بعلمه.

* * *

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾.

[٤٠] وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوۡلُ﴾ أي: تلاوة.

﴿رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني: محمداً ﷺ يقوله رسالة عن الله تعالى.

* * *

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

[٤١] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ كما تزعمون تارة ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ واتصاف

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٣٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٣).

إيمانهم بالقلة هو الإيمان اللغوي؛ لأنهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئاً؛ إذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ هو حق صواب.

***

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

[٤٢] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ﴾ كما تزعمون أخرى.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ والقلة هنا بمعنى العدم. **قرأ** ابن كثير، ويعقوب، وابن عامر بخلاف عن راويه ابن ذكوان: (يُؤْمِنُونَ) (يَذْكُرُونَ) بالغيب فيهما، **وقرأهما** الباقون: بالخطاب، ومنهم حمزة، والكسائي، وحفص، وخلف على أصله في تخفيف الذال من (تَذَكَّرُونَ)، ورجح أبو عمرو القراءة بالخطاب بقوله: (فَمَا مِنْكُمْ)(١).

***

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

[٤٣] ﴿تَنزِيلٌ﴾ رفع بالابتداء؛ أي: هو تنزيل.

﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نزَّله على لسان جبريل عليه السلام.

***

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٤).

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ ﴾.

[٤٤] ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ ﴾ أي: اختلقَ ﴿ عَلَيْنَا ﴾ محمد ﷺ.

﴿ بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾ وأتى بشيء من عند نفسه.

* * *

﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[٤٥] ﴿ لَأَخَذْنَا ﴾ لانتقمنا ﴿ مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾ أي: بالقوة والقدرة؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه.

* * *

﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

[٤٦] ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ وهو نياط القلب، وهو عرق أبيض غليظ كالقصبة متصل بالقلب، إذا انقطع، مات صاحبه.

* * *

﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

[٤٧] ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ ﴾ عن قتل(١) محمد ﷺ ﴿ حَٰجِزِينَ ﴾ مانعين يحجزوننا، وإنما قال: ﴿ حَٰجِزِينَ ﴾ بالجمع، وهو فعل واحد؛ رداً على معناه؛ كقوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَتَذْكِرَةٌ ﴾ عظة ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين يتقون عقاب الله.

---

(١) «قتل» زيادة من «ت».

﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم ﴾ أيها الناس ﴿ مُّكَذِّبِينَ ﴾ فنجازيهم على تكذيبهم.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ من حيث كفروا به، ويرون من آمن به ينعم، وهم يعذبون.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: إن القرآن ليقين حق.

* * *

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تنزيهاً له.

وروي أن رسول الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية: «اجعلوها في ركوعكم»(١)، فالتزم ذلك جماعة من العلماء، وتقدم ذكر الاختلاف في ذلك آخر سورة الواقعة، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وابن ماجه (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: التسبيح في الركوع والسجود، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٩٨)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

سُورَةُ المَعَارِج

مكية، وآيها: أربع وأربعون آية، وحروفها: ثمان مئة وأحد وستون حرفاً، وكلمها: مئتان وست عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿سَأَلَ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (سَالَ) بألف من غير همز مثل قال، فألف (سَأَلَ) بدل من الهمزة، وهو لغة في السؤال، خففت الهمزة وجعلت ألفاً، وقرأ الباقون: بهمزة مفتوحة من السؤال على الأصل(١).

﴿سَائِلٌ﴾ المعنى: استفهمَ مستفهمٌ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ أي: عن عذاب نازلٍ على من ينزل.

***

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢١٩).

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾.

[٢] فقال الله مجيباً له: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ بالعذاب، قال بعضهم لبعض: مَنْ أهلُ هذا العذاب، ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً، فسألوه، فأنزل الله الآية: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾[1] يردُّه.

* * *

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾.

[٣] ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لتعلُّق إرادته به.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ أي: مصاعد الملائكة، جمع مَعْرَج.

* * *

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾.

[٤] ﴿تَعْرُجُ﴾ أي: تصعد ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الحفَظَة بأعمال بني آدم كل يوم. قرأ الكسائي: (يَعْرُجُ) بالياء على التذكير إرادة الجمع، والباقون: بالتاء على التأنيث إرادة الجماعة[2]، وقرأ أبو عمرو: (ذِي الْمَعَارِج تَّعْرُجُ) بإدغام الجيم في التاء[3].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٠).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٠).

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هو جبريل عليه السلام .

﴿إِلَيۡهِ﴾ [إلى محل قربته وكرامته، وهو السماء][1] .

﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ من سني الدنيا، لو صعد فيه غير الملك ؛ لأن الملك يصعد من منتهى أمر الله من أسفل السفل إلى منتهى أمره من فوق السماء السابعة في يوم واحد، ولو صعد فيه بنو آدم، لصعدوه في خمسين ألف سنة .

* * *

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ .

[٥] ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد على أذاهم ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ هو ما لا جزع فيه، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال .

* * *

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦﴾ .

[٦] ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ﴾ يعني : العذابَ ﴿بَعِيدٗا﴾ لإنكارهم البعث .

* * *

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ .

[٧] ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ سهلاً ؛ لقدرتنا عليه ؛ لأن ما هو آت قريب .

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت» .

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ(قَرِيباً) ﴿تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو عكر الزيت.

***

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ وهو الصوف المصبوغ ألواناً.

***

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قرأ أبو جعفر: (يُسْأَلُ) بضم الياء مجهولاً؛ أي: لا يسأل قريب عن قريبه؛ أي: لا يطالِب به، وقرأ الباقون: بفتح الياء معلوماً(١)؛ أي: يسأل قريب قريباً؛ لاشتغال كلٍّ بشأن نفسه، واختلف عن البزي، فروي عنه الوجهان.

***

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يُرونهم، يعني: يبصر الأحماء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، وليس في القيامة مخلوقٌ إلا وهو نصب عين صاحبه.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩٠)، وذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٦٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٠ـ٢٢١) عن ابن كثير، وقال ابن مجاهد: الرواية بالضم غلط.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ يتمنى المشرك ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر، والكسائي: (يَوْمَئِذٍ) بفتح الميم، والباقون: بكسرها، ومن حيث أضيف إلى غير متمكن، جاز فيه الوجهان ﴿بِبَنِيهِ﴾.

* * *

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢﴾.

[١٢] ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾.

* * *

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ تضمه ويأوي إليها. **قرأ** ابن كثير: (بِبَنِيهِي) (وَأَخِيهِي) و(تُؤْوِيهِي) وشبهه بياء يصلها بهاء الكناية في الوصل حيث وقع.

* * *

﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾.

[١٤] ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يودُّ لو يفتدي بهم جميعاً.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الفداء من عذاب الله.

* * *

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥﴾.

[١٥] ﴿كَلَّآ﴾ لا ينجيه من عذاب الله شيء، ثم ابتدأ تعالى فقال: ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿لَظَىٰ﴾ من أسماء جهنم، سميت بذلك لتلظِّيها؛ أي: لتلهبها عليهم.

﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ نَزَّاعَةً ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (نَزَّاعَةً) نصب على الحال من (لَظَى)؛ لما فيها من معنى التلظِّي؛ كأنه قال: إنها النار التي تتلظى نزاعةً، فهي حال مؤكدة، وقرأ الباقون: بالرفع خبر مبتدأ محذوف[١]؛ أي: هي نزاعة ﴿ لِّلشَّوَىٰ ﴾ جمع شواة، وهي جلدة الرأس وما ليست مقتلاً كالأطراف، تلخيصه: تقتلع النار منهم كل عضو غير مقتل، ثم يعود هكذا أبداً.

* * *

﴿ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ تَدْعُواْ ﴾ قال ابن عباس: «تدعوهم بأسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير[٢] الحبَّ»[٣]، وقيل: معناه: تعذب.

﴿ مَنْ أَدْبَرَ ﴾ عن الإيمان ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الحق.

* * *

﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَجَمَعَ ﴾ المال ﴿ فَأَوْعَىٰ ﴾ جعله في وعاء، ولم يؤدِّ حقَّ الله منه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٢).

(٢) «الطير» سقط من «ت».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٠)، و«تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٨٩).

قرأ ورش عن نافع، وأبو عمرو: بإمالة رؤوس الآيات الأربع؛ بخلاف نهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، **وقرأها** الباقون: بالفتح(١).

***

﴿ ۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ ﴾.

[١٩] ﴿ ۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ هو عامٌّ ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ حال مقدرة، والهلع: أشد الجزع وهو اضطراب يعتري الإنسان عند المخاوف وعند المطامع ونحوها، تفسيره ما بعده.

***

﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ ﴾.

[٢٠] وهو ﴿ إِذَا مَسَّهُ ﴾ أصابه ﴿ ٱلشَّرُّ ﴾ الفقرُ والمرض ﴿ جَزُوعًا ﴾ حال مقدرة.

***

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ ﴾ المالُ والصحة ﴿ مَنُوعًا ﴾ لحقِّ الله تعالى منه.

***

﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ﴾.

[٢٢] ﴿ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ استثناء من الإنسان.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٢-٢٢٣).

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾ لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، ولا يُخِلُّون بالمكتوبة في أوقاتها .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ هو الزكاة .

* * *

﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ لِّلسَّآئِلِ ﴾ الذي يسأل ﴿ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ المتعفف عن السؤال، فيحرم لذلك .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الجزاء .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾ خائفون .

* * *

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴾ نزولُه، اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله، وإن بالغ في طاعته .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾.

* * *

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ ﴾ و(على) بمعنى (من) ﴿ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ تقدم تفسيره في سورة المؤمنين.

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ حافظون، وتقدم تفسيره. واختلاف القراء في (لِأَمانَاتِهِمْ) في سورة المؤمنين أيضاً [الآية: ٨].

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ ﴾ قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (بِشَهَادَاتِهِمْ) بألف بعد الدال على الجمع؛ لاختلاف الأنواع، والباقون: بغير ألف على الإفراد[1].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧١)، و«النشر في=

﴿قَآئِمُونَ﴾ يقيمونها عند الأحكام، فلا يكتمونها.

قال ﷺ: «إذا علمتَ مثلَ الشمس، فاشهدْ، وإلاَّ فَدَعْ»[1].

وتقدم معنى الشهادة في أول سورة المنافقين، وتقدم حكم تحمُّل الشهادة وأدائها وأخذ الأجرة عليها ومذاهب الأئمة في ذلك في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا﴾ [الآية: ٢٨٢].

* * *

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يداومون. واتفق القراء على الإفراد في (صَلاَتِهِمْ) هنا، وفي الأنعام[2]؛ بخلاف الحرف المتقدم في المؤمنين؛ لأنه لم يكتنفها فيهما ما اكتنفها في المؤمنين قبل وبعد؛ من تعظيم الوصف في المتقدم، وتعظيم الجزاء في المتأخر، فناسب لفظ الجمع، ولذلك قرأ به أكثر القراء، ولم يكن ذلك في غيرها، فناسب الإفراد، والله أعلم، وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين: للدلالة على فضلها، وإنافتها على غيرها.

* * *

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٤).

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٩٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف. انظر: «التلخيص الحبير» (٤/ ١٩٨).

(٢) «وفي الأنعام» زيادة من «ت».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾.

[٣٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾ بثواب الله.

* * *

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦﴾.

[٣٦] ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وتقدم اختلاف القراء فيه في سورة الكهف عند قوله تعالى: (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ) ﴿قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ نحوك مسرعين مديمي النظر إليك. نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه، ويستهزئون به فقال الله لهم: مالهم ينظرون إليك، ويجلسون عندك، وهم لا ينتفعون بما يسمعون(١)؟!

* * *

﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾.

[٣٧] ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ فرقاً شتى.

* * *

﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨﴾.

[٣٨] ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ نزلت لأن بعض الكفار قال: إن كان ثم آخرة وجنة، فنحن أهلها وفيها؛ لأن الله لم ينعم علينا في الدنيا بالمال والبنين وغير ذلك إلا لرضاه عنا. قراءة العامة: (يُدْخَلَ) بضم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٨٥). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٢).

الياء وفتح الخاء على بناء الفعل للمفعول، وقرأ المفضل عن عاصم: بفتح الياء وضم الخاء على بناء الفعل للفاعل[1].

* * *

﴿ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ لقولهم وطمعهم؛ أي: ليس الأمر كذلك، ثم أخبر عن خلقهم فقال: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ من النطف والعلق والماء المهين، وهم كافرون، فبم يفتخرون؟!

* * *

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ تقدم نظيره في سورة الواقعة، وهو ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الآية: ٧٥] ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ يعني: مشرق كل يوم من السنة ومغربه، وتقدم الكلام على قوله ﴿ وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ [الصافات: ٥] و﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧] في أول سورة الصافات، وهو قسم جوابه: ﴿ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾.

* * *

﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ أي: نهلكهم ونأتي بقوم أمثلَ منهم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٤).

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي: بعاجزين.

* * *

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ ﴾ في باطلهم ﴿ وَيَلْعَبُواْ ﴾ في دنياهم ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ ﴾ قرأ أبو جعفر: (يَلْقَوْا) بفتح الياء وإسكان اللام وفتح القاف من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح اللام وألف بعدها وضم القاف[(١)].

﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ فيه العذاب، ونسختها آية القتال.

* * *

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] وتبدل من ﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ القبور ﴿ سِرَاعًا ﴾ إجابة الداعي ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم: بضم النون والصاد، جمع نَصْب، وهي الأوثان، وقرأ الباقون: بفتح النون وإسكان الصاد، مفرد (نَصْب)[(٢)]، وهو ما نُصب فعبد [من] دونِ الله ﴿ يُوفِضُونَ ﴾ يسرعون.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٥-٢٢٦).

﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ حال من ضمير ﴿ يَخۡرُجُونَ ﴾ ؛ أي : ذليلة خاضعة . ﴿ تَرۡهَقُهُمۡ ﴾ تظهر عليهم ﴿ ذِلَّةٞۚ ﴾ هوان ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا، والله أعلم .

* * *

سورة نوح

عليه السلام

مكية، وآيها: ثمان وعشرون آية، وحروفها: تسع مئة وتسعة وعشرون حرفاً، وكلمها: مئتان وأربع وعشرون كلمة.

عن أُبي بن كعب(١) ـ رضي الله عنه ـ: قال رسول الله ﷺ: «من قرأَ سورةَ نوح، كان من المؤمنين الذين تُدركهم دعوةُ نوح»(٢).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾.

[١] ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ واسمه عبد الغفار، وسمي نوحاً؛ لكثرة نوحه على نفسه، وصرف نوح مع عجمته وتعريفه؛ لخفته وسكون الوسط من حروفه، وتقدم ذكر نسبه وتاريخ مولده ومحل قبره في [سورة آل عمران، وتقدم ذكر الاختلاف في عمره حين بعثه الله إلى قومه في](٣) سورة

---

(١) «أبي بن كعب» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٣). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ٩٥).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

الأعراف، وتقدم ذكر تاريخ ركوبه في السفينة وخروجه منها وما بين الطوفان والهجرة الشريفة النبوية المحمدية في سورة هود، وتقدم ذكر المدة التي لبثها في قومه ينذرهم في سورة العنكبوت.

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ وكانوا يعبدون الأوثان.

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ نصب؛ أي: بأن أنذر، وهي الناصبة للفعل.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذاب الآخرة والطوفان إن لم يؤمنوا.

***

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾.

[٢] ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أُنذركم وأُبين لكم.

***

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾.

[٣] ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ بطاعته ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من الإيمان. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وخلف: (أَنُ اعْبُدُوا الله) بضم النون في الوصل، والباقون: بكسرها[١]، فمن قرأ بالضم اتباعاً لضمة الباء، وتركاً لمراعاة الحائل لخفة السكون، فهو كأن ليس ثَمَّ حائل، ومن قرأ بالكسر، فهو الأصل في التقاء الساكنين من كلمتين، **وقرأ** يعقوب: (وَأَطِيعُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[٢].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٩).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٢٩).

﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (مِنْ) زائدة؛ أي: يغفر ذنوبكم.

﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ ﴾ معافَيْنَ ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ هو وقت موتكم بلا إهلاك.

﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ ﴾ بتعذيبكم ﴿ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ فبادروا في أوقات الإمهال. قرأ أبو جعفر، وورش عن نافع: (وَيُوَخِّرْكُمْ) (لاَيُوَخَّرُ) بفتح الواو بغير همز، والباقون: بالهمز.

﴿ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ذلك، لآمنتم.

* * *

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] فلما أيس من إيمانهم لما أخبر ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود: ٣٦] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ أي: دائماً متصلاً، نصب بـ(دَعَوْتُ).

* * *

﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ عن الإيمان، مفعول ثان لـ(دعوتُ). قرأ الكوفيون، ويعقوب: (دُعَائِي) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[١].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٠).

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ ذنوبهم[(١)].

﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ لئلا يسمعوا كلامي. قرأ الدوري عن الكسائي: (آذَانِهِمْ) بالإمالة، والباقون: بالفتح[(٢)].

﴿ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ ﴾ تغطَّوا بها ﴿ وَأَصَرُّواْ ﴾ أقاموا على المعصية.

﴿ وَٱسْتَكْبَرُواْ ﴾ عن الإيمان ﴿ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ عظيماً.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ مصدر في موضع الحال؛ أي: مجاهِراً.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ ﴾ صوتي مراراً، وبالغت في إعلاني. قرأ الكوفيون، وابن عامر، ويعقوب: (إِنِّي أَعْلَنْتُ) بإسكان الياء، والباقون: بفتحها[(٣)].

---

(١) «ذنوبهم» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٤/ ٢٣٠).

(٣) انظر: «الكشف» لمكي (٢/ ٣٣٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٠).

﴿ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ ﴾ الكلامَ ﴿ إِسۡرَارٗا ﴾ بأن كلمتهم واحداً واحداً سراً؛ أي: نصحتهم بكل طريق.

***

﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾.

[١٠] وكان قد منع عنهم المطر، وعقمت نساؤهم، وغارت مياههم.

﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ من الشرك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾ للتائبين.

***

﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ ﴾.

[١١] ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾ كثير الدُّرور.

***

﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ ﴾ يكثر أموالكم وأولادكم ﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ ﴾ بساتين.

﴿ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾ جارية، ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء، والاستسقاء: هو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص، فإذا أجدبت الأرض، وقحط المطر، سُنَّ الاستسقاء بالاتفاق.

واختلفوا في حكمه، فقال أبو حنيفة: لا صلاة في الاستسقاء، إنما الدعاء والاستغفار، وإن صلوا فرادى، فحسن، وقال صاحباه: يصلي الإمام بالناس ركعتين بلا أذان ولا إقامة كالعيد بالتكبيرات الزوائد عند محمد، وعند أبي يوسف: لا يكبر سوى تكبيرة الإحرام، وهو المشهور،

ثم يخطب واحدة، وقال مالك: يصلي ركعتين، يكبر في كل ركعة تكبيرة واحدة كسائر الصلوات، ثم يخطب خطبتين كالعيد، ويجعل بدل التكبير الاستغفار، وقال الشافعي: يصلي ركعتين كالعيد، ولا يختص بوقته، يكبر في الأولى بعد استفتاحه سبعاً، وفي الثانية بعد الرفع خمساً، ويرفع يديه في الجميع، ويخطب كالعيد، لكن يستغفر الله بدل التكبير، وقال أحمد: وقتها وصفتها وأحكامها كالعيد، فيصلي ركعتين، يكبر في الأولى بعد استفتاحه ستاً، وفي الثانية بعد الرفع خمساً، ويرفع يديه مع كل تكبيرة، ثم يخطب واحدة يفتتحها بالتكبير كالعيد، ويكثر فيها الاستغفار والدعاء.

والقراءة في الركعتين جهراً بالاتفاق.

ويستحب للإمام تحويل ردائه بعد أن يستقبل القبلة، ويفعل الناس كذلك عند الثلاثة؛ خلافاً لأبي حنيفة، وأجازه محمد بن الحسن للإمام فقط.

وإن خرج أهل الذمة، لم يمنعوا عند الثلاثة، ولم يختلطوا بالمسلمين، ولم يفردوا بيوم، ومنع أبو حنيفة وأصحابه من خروجهم.

***

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ لا تخافون لله عَظَمة.

***

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ تاراتٍ، حالاً بعد حال، نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ أي: مطابقة، جعل كلَّ واحدة طبقاً للأخرى.

* * *

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ وهو في السماء الدنيا؛ لأنه إذا كان في واحدة منهن، فهو فيهن.

قال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص: «إن الشمس والقمر أَقفاؤهما إلى الأرض، وإقبال نورهما وارتفاعه في السماء»(١)، وهو الذي يقتضيه لفظ (السِّراج).

﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ مصباحاً مضيئاً تبصَر فيه الأشياء، وضوء القمر أقوى من نور القمر، وقيل: الشمس في السماء الخامسة، وقيل: في الرابعة، وقال عبد الله بن عمر: «هي في الشتاء في الرابعة، وفي الصيف في السابعة»(٢).

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٧٥).
(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٣٤): وهذا شيء لا يوقف على معرفته إلا من علم الهيئة.

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ استعارة من حيث أُخذ آدم ـ عليه السلام ـ من الأرض، ثم صار الجميع نابتاً منه، وقوله: ﴿ نَبَاتٗا ﴾ مصدر[(١)] واقع موقع إنبات؛ أي: فنبتُّم نباتاً.

* * *

﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا ﴾ مقبورين.

﴿ وَيُخۡرِجُكُمۡ ﴾ للبعث ﴿ إِخۡرَاجٗا ﴾ لموقف العرض والجزاء.

* * *

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾ بسيطة.

* * *

﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا ﴾ طرقاً ﴿ فِجَاجٗا ﴾ واسعة.

* * *

﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] فلما لم يطيعوه، ويئس نوح من إيمانهم ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾ لم يجيبوا دعوتي.

---

(١) «مصدر» زيادة من «ت».

﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ يعني: السفلة والفقراء ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ هم الرؤساء منهم.

﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ ضلالاً في الدنيا، وعقوبة في الآخرة. **قرأ** نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم بخلاف عنه: (وَوَلَدُهُ) بفتح الواو واللام، والباقون: بضم الواو وإسكان اللام، وهما بمعنى(١).

* * *

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ أي: كبيراً عظيماً، وهو كذبهم على الله.

* * *

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ **قرأ** نافع، وأبو جعفر: (وُدّاً) بضم الواو، والباقون: بفتحها(٢).

﴿وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وهي أصنام كانت أعظم أصنامهم، فخصوا بالذكر، وكان الطوفان دفنها، فأخرجها الشيطان لمشركي العرب، فعبدت كلبٌ وَدّاً، وهمدان سُواعاً، ومذحج يغوث، ومراد يعوق، وحمير نسراً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣١).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٢).

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ ﴾ أي: الأصنام، وهو إخبار نوح عنهم، وهو منقطع مما حكاه عنهم، والمعنى: قد أضل هؤلاء ﴿ كَثِيرًا ﴾ من الناس.

روي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا، صَوَّرهم أهلُ ذلك العصر من حجر، وقالوا ننظر إليها، فنذكر أفعالهم، فهلك ذلك الجيل، وكبر تعظيم الآخر لتلك الحجارة، ثم كذلك حتى عبدت[١]، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها إلى قبائل العرب، ثم دعا نوح عليهم إلى الله تعالى فقال: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ هلاكاً، فأهلكوا، وذكر الظالمين؛ لتعم الدعوة كلَّ من جرى مجراهم.

***

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ ﴾ قرأ أبو عمرو: بفتح الطاء والياء وألف بعدهما من غير همز، وضمِّ الهاء مثل عَطاياهُم، وقرأ الباقون: (خَطِيئَاتِهِمْ) بكسر الطاء وياء ساكنة بعدها وبعد الياء همزة مفتوحة وألف وتاء مكسورة وكسر الهاء للإتباع[٢]، وكلا القراءتين جمع خطيئة، و(ما) مزيدة للتأكيد والتفخيم، المعنى: من أجل خطيئاتهم.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٣).

﴿أُغۡرِقُواْ﴾ بالطوفان ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ وجاء بالفاء للإيذان أنهم عذبوا بالإحراق عقب الإغراق ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ أحداً يصرف عنهم بأس الله تعالى.

* * *

﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أحداً يدور في الأرض، وَديَّار أصله دَيْوار، وهو فَيْعال من الدوران؛ أي: من يجيء ويذهب.

وروي أن نوحاً ـ عليه السلام ـ لم يدع بهذه الدعوة إلا من بعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم، وأعقم أرحام النساء قبل العذاب بسبعين سنة[1].

* * *

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح، فيقول: احذر هذا؛ فإنه كذاب، وإن أبي حَذَّرنيه، فيموت الكبير، وينشأ الصغير عليه.

﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا﴾ مائلاً عن الحق.

﴿كَفَّارٗا﴾ عظيمَ الكفر، قال ذلك لما علم حالهم؛ لمكثه ألف

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٧٩)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٧٧).

سنة إلا خمسين عاماً ينذرهم وهم لا يؤمنون، فأجاب الله دعاءه، وأهلكهم كلهم، ولم يكن فيه صبي وقت العذاب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧]، ولم يوجد التكذيب من الأطفال.

* * *

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا (٢٨)﴾.

[٢٨] ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ اسم أبيه لامخ وقيل لمك بن متوشلح، وأمه شمخاء بنت أنوش، وكانا مؤمنين، [وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ من الأمثال الدائرة على ألسن الناس: لا تلدُ الحيةُ إلا حية](١)، قال ابن عباس: لم يكفرْ لنوحٍ أبٌ ما بينه وبين آدم عليه السلام(٢).

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾ أي: داري ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ تعميم بالدعاء لمؤمني كل أمة. قرأ هشام عن ابن عامر، وحفص عن عاصم: (بَيْتِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها(٣).

﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ هلاكاً، وذهابَ رسم، فاستجاب الله دعوته، وأهلكهم، والله أعلم.

* * *

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٣٤٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٤).

سُورَةُ الجِنِّ

مكية، وآيها: عشرون وثماني آيات، وحروفها: سبع مئة وتسعة وخمسون حرفاً، وكلمها: مئتا كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾.

[١] ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أصله وحي؛ من وحي إليه، فقلبت الواو همزة لضمها.

﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وكانوا تسعة من جن نصيبين اليمن، استمعوا قراءة النبي ﷺ، وتقدم ذكر أسمائهم وقصتهم وحكمهم في سورة الأحقاف، والجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية أو الهوائية.

﴿فَقَالُوٓا۟﴾ لما رجعوا إلى قومهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ بليغاً؛ لأنهم تعجبوا من حسنه وغزارة معانيه. قرأ ابن كثير: (قُرَاناً) بالنقل، والباقون: بالهمز(١).

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٧).

﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ .

[٢] ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ يدعو إلى الإيمان ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ بالقرآن .

﴿ وَلَن نُّشْرِكَ ﴾ بعد اليوم ﴿ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ وفيه دلالة على أنه ﷺ لم يرهم، ولم يقرأ عليهم، وإنما اتفق حضورهم وقت قراءته، فسمعوها، فأخبر الله به نبيه .

* * *

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾ .

[٣] ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ أي جلالُ ربنا وعظمتهُ[١]، والجَدُّ: البخت والحظ، والمعنى: تعاظم جلاله وقدرته عن المحدَثات .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ اختلف القراء في (أَنَّهُ تَعَالَى) وما بعدها إلى قوله (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ)، وتلك اثنتا عشرة همزة، فقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بفتح الهمزة فيهن، وافقهم أبو جعفر في ثلاثة: (وَأَنَّهُ تَعَالَى)، (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ)، (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ)، وقرأ الباقون: بكسرها في الجميع[٢]، فمن كسر، استأنف فوقف على أواخر الآيات، ومن فتح، عطف على أنه عطف على (أَنَّهَ اسْتَمَعَ)، واتفقوا على فتح (أَنَّهُ اسْتَمَعَ)، (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ)؛ لأنه لا يصح أن يكون من قولهم، بل هو مما أوحى الله إليه ﷺ، بخلاف الباقي؛ فإنه يصح أن يكون

---

(١) «وعظمته» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٧ـ٢٤٠).

من قولهم، ومما أوحى، والله أعلم. وأبو عمرو يدغم الذال في الصاد من قوله: (مَا اتَّخَذ صَّاحِبَةً)[1].

* * *

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلُنا إبليس ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ كذباً وعدواناً.

* * *

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ حَسِبْنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ المعنى: كان في ظننا أن أحداً لا يكذب على الله بنسبة الزوجة والولد إليه. قرأ يعقوب: (تَقَوَّلُ) بفتح القاف والواو مشددة، والباقون: بضم القاف وإسكان الواو مخففة[2]. إلى هنا تم الكلام.

* * *

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾.

[٦] وابتدأ كلام الله سبحانه، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر،

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٣٩ـ٢٤٠).

فأمسى في أرض قفرة، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح.

﴿فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم.

﴿رَهَقًا﴾ طغياناً وسفهاً؛ بأن قالوا: سُدْنا الجنَّ والإنسَ.

* * *

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ أي: الجنَّ ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا كفار الإنس.

﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

* * *

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ثم رجع إلى قول الجن، وهو قوله: ﴿وَأَنَّا﴾ أي: تقول الجنُّ: إنا.

﴿لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ طلبنا بلوغ السماء، واللمس مستعار من المس: الطلب؛ كالجس.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾ قرأ أبو جعفر: (مُلِيَتْ) بفتح الياء بغير همز، والباقون: بالهمز[1] ﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة يحرسون ﴿وَشُهُبًا﴾ من النجوم محرقة.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤١).

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ﴾ أي: السماء ﴿ مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ فيه إيذان بخلو بعض السماء من الحرس قبل بعثة النبي ﷺ، فلما بُعث، منعوا منها بالكلية، يدل عليه: ﴿ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ المعنى: كنا قبل نستمع.

﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ صفة لـ(شِهَاباً)؛ أي: أُرصد، يعني: أُعِدَّ له ليرمى به.

* * *

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بحراسة السماء.

﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ خيراً.

* * *

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ ﴾ .

[١١] ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ المؤمنون الأبرار ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: قوم دون ذلك، وهم المقتصدون.

﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ ﴾ مذاهب ﴿ قِدَدًا ﴾ فرقاً مختلفة الأهواء، والقدة: القطعة من الشيء.

* * *

﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ ﴾ أيقنا ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ ﴾ كائنين ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أينما كنا.

﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ أي: هاربين منها إلى السماء.

* * *

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ القرآن ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ ﴾ أي: فهو لا يخاف، مبتدأ وخبر، وليس بنهي، ولو كان نهياً، لقيل: فلا يخف.

﴿ بَخْسًا ﴾ نقصاً ﴿ وَلَا رَهَقًا ﴾ ظلماً.

* * *

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾ وهم من آمن بمحمد ﷺ ﴿ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ﴾ الجائرون، وهم الذين جعلوا لله نداً، يقال: أقسط الرجل: إذا عدل، فهو مُقْسِط، وقَسَطَ: إذا جار، فهو قاسِط.

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ ﴾ توخَّوا وتعمَّدوا ﴿ رَشَدًا ﴾ خيراً وهداية.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ توقد بهم يوم القيامة. إلى هنا من كلام الجن.

* * *

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ثم قال الله تعالى إخباراً عن الكفار: ﴿ وَأَلَّوِ ﴾ (وَأَنْ) مخففة من الثقيلة، تقديره: (وَأَنَّهُ لَو) ﴿ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ طريقة الإسلام.

﴿ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ كثيراً، وذلك بعد ما رُفع عنهم المطر سبع سنين.

* * *

﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾ لنختبرهم كيف يشكرون ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ ﴾ عن عبادته ﴿ يَسْلُكْهُ ﴾ ندخله. قرأ الكوفيون، ويعقوب: (يَسْلُكْهُ) بالياء؛ أي: يُدخله ربه، وقرأ الباقون: بالنون التي للعظمة[١] ﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ شاقاً.

* * *

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ ﴾ المبنية للصلاة ﴿ لِلَّهِ ﴾ تُفرد للصلاةِ والدعاءِ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٤).

وكلِّ ما هو خالص لله تعالى، ولا يُجعل فيها لغير الله نصيب، وتقدم الكلام في حكم المسجد وصيانته وتحريم البصاق فيه في سورة التوبة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [الآية: ١٨].

وأما حكم القاضي في المسجد، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يجوز؛ لأن رسول الله ﷺ كان يقضي بين الخصوم في المسجد، وكذا الخلفاء الراشدون بعده، ومذهب الشافعي: يُكره كراهة تنزيه، فلو اتفقت قضية أو قضايا وقت حضوره في المسجد لصلاة أو غيرها، فلا بأس بفصلها، وأما الحدود، فلا تقام في المساجد بالاتفاق.

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فلا تعبدوا فيها غيره سبحانه.

* * *

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ثم رجع عن الإخبار عن الكفار إلى الإخبار عن الجن، فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ قرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الهمزة، والباقون: بفتحها[1] ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبد الله تعالى، ويقرأ القرآن بنخلة عند سوق عكاظ.

﴿كَادُوا۟﴾ يعني: الجن، وهم النفر الذين جاؤوه من جن نصيبين.

﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ أي: يركب بعضهم بعضاً، يزدحمون حرصاً على

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٤-٢٤٥).

سماع القرآن. **قرأ** هشام عن ابن عامر: (لُبَداً) بضم اللام؛ كحُطَم، واحد يدل على الكثرة، **وقرأ** الباقون: بكسرها[1]؛ كمِعَد، جمع لِبْدَة، وهي الجماعة.

* * *

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿قُلْ﴾ **قرأ** أبو جعفر، وعاصم، وحمزة: (قُلْ) بغير ألف على الأمر؛ أي: قل للمتظاهرين عليك، **وقرأ** الباقون: بالألف على الخبر[2]، يعني: قال رسول الله ﷺ، وهو يرجع إلى قوله: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ).

﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ إلهاً معبوداً.

﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ في العبادة وغيرها، فلم تتظاهرون علي؟!

* * *

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ غيّاً.

﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيراً، وإنما هو تعالى المالك لذلك.

* * *

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته.

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٦).

﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

***

﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] وتستثنى من ﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ إلى ﴿رَشَدًا﴾ ﴿إِلَّا بَلَـٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وتعطف على ﴿بَلَـٰغًا﴾ ﴿وَرِسَـٰلَـٰتِهِۦ﴾ المعنى: لا أملك إلا تبليغَ الرسالة.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فلم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جمعه للمعنى.

***

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟﴾ فيه إضمار معناه: انتظرهم يا محمد، وأمهلهم حتى إذا رأوا، يعني: المشركين ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعواناً هم أم المؤمنون.

***

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ أجلاً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير،

وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ رفع على نعت قوله: (رَبِّي).

﴿ فَلَا يُظْهِرُ ﴾ لا يُطْلع.

﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ مما يختص به علمه.

* * *

﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ أي: اصطفى ﴿ مِن رَّسُولٍ ﴾ فإنه يظهره على ما يشاء مما هو قليل من كثير.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ ﴾ يسير ﴿ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ يدي الرسول.

﴿ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ حَفَظَة من الملائكة يحرسونه من الشيطان.

* * *

﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ قرأ رويس عن يعقوب: بضم الياء؛ أي: ليُعلم الناسَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٧).

أن الرسل قد بلغوا، وقرأ الباقون: بفتح الياء[1]؛ أي: ليعلمَ الله.

﴿أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾ أي: الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ والآية مضمنة أنه تعالى قد علم[2] ذلك، فعلى هذا الفعل المتضمن انعطف.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: علم ما عند الرسل، وأحاط علمه به. قرأ حمزة، ويعقوب: (لَدَيْهُمْ) بضم الهاء، والباقون: بكسرها[3].

﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ أي: معدوداً محصوراً، فلم يخف عليه شيء، ونصب (عدداً) على الحال، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٤٨٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٨).

(٢) «قد علم» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٤٨).

سُورَةُ المُزَّمِّل

مكية إلا قولَه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلى آخر السورة؛ فإن ذلك نزل بالمدينة، آيها: عشرون آية، وحروفها: ثماني مئة وثمانية وثلاثون حرفاً، وكلمها: مئة وسبع كلمات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾.

[١] روي أن رسول الله ﷺ لما جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ في غار حراء، وحاوره بما حاوره، ورجع رسول الله ﷺ إلى خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقال: «زَمِّلوني زملوني»، فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾[(١)] أصله: المتزمل، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: معناه: الملتفِّفُ بثوبه، يقال: تزمَّلَ بثوبه: إذا تغطَّى به.

---

(١) انظر: قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٠٨): قلت: غريب. وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٦): جمهور المفسرين والزهري بما في البخاري من أنه عليه السلام لما جاءه الملك في غار حراء وحاوره بما حاوره، رجع رسول الله ﷺ إلى خديجة فقال: «زملوني زملوني»، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. وعلى هذا نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ .

[٢] ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ للصلاة، ونصبه ظرف، وكسر الميم للساكنين.

﴿ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ وكان قيام الليل فريضة في الابتداء.

* * *

﴿ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ ﴾ .

[٣] وبيَّن قَدْرَه فقال: ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ ﴾ ظرف أيضاً.

﴿ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ ﴾ من النصف ﴿ قَلِيلًا ﴾ إلى الثلث.

* * *

﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ ﴾ على النصف إلى الثلثين، خَيَّره بين هذه المنازل. قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب: (أَوِ انْقُصْ) بكسر الواو، والباقون: بضمها[١] ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ أي: بينه تبييناً.

سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مَدّاً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»[٢].

* * *

﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ هو القرآن؛ لما فيه من الأوامر والنواهي والحدود.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥١).

(٢) رواه البخاري (٤٧٥٩)، كتاب: فضائل القرآن، باب: مد القراءة.

وسئل ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحياناً يأتيني مثلَ صلصلةِ الجرس، وهو أشدُّه عليَّ، فيفصم عني وقد وعيتُ ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملَكُ رجلاً يكلمني، فأعي ما يقول».

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فينفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً(١).

والخطاب الخاص بالنبي ﷺ كـ(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) ونحوه عام للأمة، إلا بدليل يخصه، وهذا قول أحمد والحنفية والمالكية، وقال أكثر الشافعية: لا يعمهم إلا بدليل، وخطابه ﷺ لواحد من الأمة هل يعم غيره؟ قال الشافعي والحنفية والأكثر: لا يعم، وقال أبو الخطاب من أئمة الحنابلة: إن وقع جواباً، عمَّ، وإلا فلا.

* * *

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته كلها، وناشئة جمع ناشى، سميت بذلك؛ لأنها تنشأ؛ أي: تبدو، فكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ، وقيل: إن (ناشئة) حبشية معربة.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر (وِطَآءً) بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها؛ أي: أَثبتُ قياماً، وقرأ الباقون: بفتح الواو وإسكان الطاء من غير مد، وإذا وقف حمزة، نقل حركة الهمزة إلى الطاء، فحركها

(١) رواه البخاري (٢)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (٢٣٣٣)، كتاب: الفضائل، باب: عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد، من حديث عائشة رضي الله عنها.

على أصله[1]، معناه: أشد وأثقل على المصلي من صلاة النهار.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أصحُّ قولاً؛ لهدوء الناس، وسكون الأصوات.

* * *

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ تصرُّفاً وتقلُّباً في مهماتك وشغلك كما يتردد السابح في الماء.

* * *

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطعْ إليه عما سواه، وأخلص له إخلاصاً.

* * *

﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾.

[٩] ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ قرأ ابن عامر، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: (رَبِّ) بخفض الباء على نعت الرب في قوله: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ)، وقرأ الباقون: بالرفع على الابتداء[2]، وتقدم

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٩٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٩٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٣-٢٥٤).

الكلام على قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ و﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] و﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [الصافات: ٥] في أول سورة الصافات.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي: فوض إليه أمرك.

***

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني: قريشاً ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ وهو ألاَّ تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، ونسختها آية القتال.

***

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ وعيد لهم؛ أي: لا تشتغل بهم فكراً، وكِلْهم إلي.

﴿أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ بفتح النون: أي: التنعيم، وبكسرها؛ أي: الإنعام، وبضمها: المسرة، والتلاوة بالأول ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ إمهالاً ﴿قَلِيلًا﴾ فلم يكن إلا اليسير حتى قتلوا ببدر.

***

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ قيوداً ثقالاً، كلما ارتفعوا بها في جهنم، استفلَتْ بهم ﴿وَجَحِيمًا﴾ ناراً محرقة.

***

﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ ينشب في حلوقهم، فلا يسوغ فيها .

﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ زيادة على تعذيبهم .

* * *

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ العامل فيه الفعل الذي تضمنه ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ ﴾ المعنى: استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم ﴿ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ ﴾ تتحرك وتتزلزل لهول ذلك اليوم .

﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا ﴾ رملاً ﴿ مَّهِيلًا ﴾ سائلاً بعد اجتماعه .

* * *

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ رَسُولًا ﴾ هو محمد ﷺ .

﴿ شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يوم القيامة بالكفر والإيمان ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ .

* * *

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] نكر الرسول، ثم دخل حرف التعريف في ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ ليعود المعرف على المنكر بعينه، وهو موسى ـ عليه السلام ـ، وتمثيلُه لهم أمرَهم بفرعون وعيدٌ؛ كأنه يقول: فحالُهم من العذاب والعقاب إن كفروا صائرة[١] إلى مثل حال فرعون .

---

(١) في «ت»: «سائرة».

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ شديداً ثقيلاً.

* * *

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ ﴾ أنفسكم ﴿ إِن كَفَرْتُمْ ﴾ بقيتم على الكفر.

﴿ يَوْمًا ﴾ مفعول ﴿ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ لا ظرفاً لـ ﴿ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ ثم لأن الكفر لا يكون يوم.

﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ جمع أشيب، وهو الأبيض الرأس.

* * *

﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ ﴾ منشق ﴿ بِهِۦ ﴾ يعني: باليوم؛ لشدته، وبما عليه من الملائكة؛ كانفطار الخشبة بالقدوم، ولم يقل: منفطرة؛ لأن السماء تذكر وتؤنث، فمن ذكر، ذهب إلى المعنى؛ لأن معناها السقف؛ لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ومن أنث، ذهب إلى اللفظ.

﴿ كَانَ وَعْدُهُۥ ﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿ مَفْعُولًا ﴾ كائناً بلا بد.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ الآياتِ المخوفة ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ عظةٌ.

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ بالإيمان.

* * *

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ ﴾ أقلَّ[(١)] ﴿ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ ﴾ قرأ هشام عن ابن عامر: (ثُلْثَي) بإسكان اللام، والباقون: بضمها ﴿ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ قرأ ابن كثير، والكوفيون: بنصب الفاء والثاء وضم الهاءين عطفاً على (أَدْنَى)؛ أي: وتقوم نصفه وثلثه، وقرأ الباقون: بخفض الفاء والثاء وكسر الهاءين عطفاً على (ثُلُثَي)[(٢)]؛ أي: وتقوم أقلَّ من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه.

﴿ وَطَآئِفَةٌ ﴾ أي: تقوم أنت وتقوم طائفة ﴿ مِّنَ ﴾ أصحابك ﴿ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ يعني: المؤمنين، وكانوا يقومون معه.

﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ ﴾ [فيعرف مقادير جميع ذلك ﴿ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ ﴾ لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ ﴾ فعاد عليكم بالعفو والتخفيف بترك ما فرض من قيام الليل][(٣)].

---

(١) «أقل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٤٩٥-٤٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٥).

(٣) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾ من غير توقيت لصلاة، وقيل: القرآن هنا: الصلاة، عبر عنها به؛ لأنه بعض أركانها، ونسخ بالصلوات الخمس، ثم أومأ إلى علة النسخ فقال: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ ﴾ فيثقل عليهم قيام الليل، و(أَنْ) مخففة من الثقيلة؛ أي: علم أنه سيكون.

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يسافرون للتجارة ﴿ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ أي: رزقه ﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: يجاهدون لا يطيقون قيام الليل.

﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ ﴾ أي: القرآن، كان هذا في صدر الإسلام، ثم نُسخ بالصلوات الخمس، وذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ الواجبة.

﴿ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ ﴾ هو الإنفاق في سبل الخير غير المفروض.

﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ﴾ مما تؤخِّرونه إلى الوصية، ونصب (خَيْراً) (وَأَعْظَمَ) على المفعول الثاني لـ(تَجِدُوهُ)، فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين.

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ ﴾ لذنوبكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ كان السلف الصالح يصلون إلى طلوع الفجر، ثم يجلسون للاستغفار إلى صلاة الصبح، والله أعلم.

* * *

سورة المدثر

مكية، وآيها: ست وخمسون آية، وحروفها: ألف وعشرة أحرف، وكلمها: مئتان وخمس وخمسون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾.

[١] روي أن رسول الله ﷺ قال: «كنتُ على جبل حِراء، فنوديت: يا محمد! إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري، فلم أر شيئاً، فنظرت فوقي، [فرأيت شيئاً، وفي رواية: فنظرت فوقي](١)، فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض ـ يعني: الملك الذي ناداه ـ، فرعبت، ورجعت إلى خديجة، فقلت: دَثِّروني دَثِّروني، فنزل جبريل وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾»(٢)، الكلام فيه كـ(الْمُزَّمِّل)؛ أي: المتلفِّف بثوبه، من الدثار، وهو ما فوق الشعار الذي يلي الجسد، وقيل: هي أول سورة نزلت، والأصح أن أول ما نزل:

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٨)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة المزمل، ومسلم (١٦١)، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه.

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١] كما ورد به الحديث الصحيح[١].

* * *

﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ قُمۡ ﴾ من مَضْجَعِك ﴿ فَأَنذِرۡ ﴾ خوِّف الكفارَ النارَ إن لم يؤمنوا.

* * *

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴾ عَظِّمْه مما يقول عبدة الأوثان.

* * *

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ وَثِيَابَكَ ﴾ أي: نفسك ﴿ فَطَهِّرۡ ﴾ من الذنب، قال ابن عباس: «لا تلبَسْها على معصية ولا غدر، البسها وأنت طاهر»[٢]، وقيل: معناه: ثيابك فقصر؛ لأن تقصيرها طهرة لها؛ لأن العرب كانوا يجرون ثيابهم فخراً وخيلاء، فربما أصابتها نجاسة.

* * *

﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَٱلرُّجۡزَ ﴾ قرأ أبو جعفر، ويعقوب، وحفص عن عاصم: بضم الراء، والباقون: بكسرها[٣]، وهما لغتان معناهما واحد، كالذِّكر والذُّكر،

---

(١) انظر: تخريج الحديث المتقدم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٤٥)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٥٩).

والمراد: الأوثان، وقيل: الضم للصنم، والكسر للنجاسة ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾ لا تقربها.

* * *

﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾.

[٦] ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ لا تُعط مالكَ مصانعةً لتُعطى أكثر منه، و(تَسْتَكْثِرُ) رفع لأنه مستقبل في معنى الحال؛ أي: لا تعط مستكثراً، قال الضحاك: وهذا خاص بالنبي ﷺ، ومباح لأمته، لكن لا أجر لهم فيه(١).

* * *

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ أي: لأمره ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على الطاعة.

* * *

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾.

[٨] ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ نفخ في الصور، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، يعني: النفخة الثانية.

* * *

﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾.

[٩] ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي: وقت النقرة ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يعني: يوم القيامة. ﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد.

* * *

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٣٦٤).

﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ يعسر فيه الأمر عليهم.

﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ هين، تأكيد، وفيه إشعار بيسره على المؤمنين.

* * *

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ونزل في الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يسمى: الوحيد في قومه[١] أي: لا نظير له في ماله وشرفه في بيته ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ أي: خلقته من بطن أمه فريداً لا مال له ولا ولد.

* * *

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ثم أنعمت عليه ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ كثيراً له مدد بالنماء؛ كالزرع والضرع والتجارة.

* * *

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ حضوراً بمكة، لا يغيبون، وكانوا عشرة أو أكثر.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٢). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٢).

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴾ ببسط في[1] العيش وطول العمر والولد بسطاً .

* * *

﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ ﴾ .

[١٥] ﴿ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴾ له من المال والولد .

* * *

﴿ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ ﴾ .

[١٦] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع له عن الطمع ، ثم علل الردع على سبيل الاستئناف فقال :

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا ﴾ القرآن .

﴿ عَنِيدٗا ﴾ معانداً ، فما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك .

* * *

﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ ﴾ .

[١٧] ﴿ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ سأكلفه مشقة من العذاب .

* * *

---

(١) في «ت» : «بسطت له في» .

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ ماذا يقول في القرآن لما سمعه من النبي ﷺ، وكان يقرأ ﴿حمٓ﴾ السجدة، فقال لقومه بني مخزوم: سمعت منه كلاماً ما هو بكلام إنس ولا جن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق[١]، فلم يرض قومه بذلك ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقوله قدحاً[٢] وهيأه.

* * *

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿فَقُتِلَ﴾ لُعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره، واستهزاء به.

روي أنه لما قال ما قال حين سمع القرآن، قالت قريش: صبأ الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال ابن أخيه أبو جهل: أنا أكفيكموه، فقعد إلى الوليد حزيناً، وكلمه بما أحماه، فقام الوليد فناداهم، فقال: تزعمون أنه مجنون، فهل رأيتموه يخنق؟ وتقولون: إنه كاهن، فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه يتعاطى شعراً؟ فقالوا: لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: إنه[٣] ساحر، فقال[٤]: أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢/ ٢٤٥).

(٢) «ما يقوله قدحاً» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «ما هو إلا».

(٤) «فقال» زيادة من «ت».

وولده ومواليه؟ ففرحوا بقوله، وتفرقوا متعجبين منه[1].

* * *

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرير للمبالغة.

* * *

﴿ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه الناس؛ ليعلم ما عندهم.

* * *

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢﴾.

[٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ كلح وجهه وكرَّهه ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في الكلوح.

* * *

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾.

[٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن الإيمان واتباع محمد ﷺ.

* * *

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا﴾ الذي يقول محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ يروى عن السحرة.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٧٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦٥١).

﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴾ يعني: يساراً وجبراً، وهما عبدان من بلد فارس كانا بمكة، وكان رسول الله ﷺ يجلس عندهما، فقال الوليد: ما هذا القرآن إلا قول جبر ويسار.

***

﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ سَأُصۡلِيهِ ﴾ سأدخله ﴿ سَقَرَ ﴾ اسم من أسماء جهنم، وهو بدل من ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾، ولم ينصرف للتعريف والتأنيث.

***

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ هو تعظيم لشأنها.

***

﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان.

***

﴿ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴾ مغيرة للجلد حتى تجعله أسود.

***

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ هم خزنتها: مالك، ومعه ثمانية عشر على بابها، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهيب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة، يدفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد في جهنم. قرأ أبو جعفر: (تِسَعْةَ عْشَرَ) بفتح السين وإسكان العين الأولى والثانية لتوالي الحركات(١).

***

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ولما نزلت هذه الآية، قال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة، وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين، فنزل تجهيلاً لهم: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ ﴾(٢) لا يطاقون، وليسوا كما يتوهمون.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ ﴾ تسعة عشر ﴿ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ ضلالاً.

﴿ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ بأن يقولوا استهزاءً: لم كانوا تسعة عشر؟

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦٢-٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٥).

﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هم اليهود صِدْقَ محمد؛ لأن عددهم في التوراة تسعة عشر[1]، وتعطف على ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ﴾.

﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ من أهل الكتاب ﴿ إِيمَٰنًا ﴾ تصديقاً؛ لموافقة محمد كتابهم، ثم بالغ في نفي احتمال الشك، فعطف على ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ﴾، فقال:

﴿ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة، ثم عطف على ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ﴾ أيضاً.

﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شك بالمدينة ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ بمكة.

﴿ مَاذَآ ﴾ أيّ شيء الذي ﴿ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ﴾ العدد المستغرب ﴿ مَثَلًا ﴾ استبعاداً أن يكون هذا من عند الله، والمراد بالمثل: الحديث نفسه.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي: كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدَّقَ.

﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ ولما قال أبو جهل: أما كان لمحمد أعوان إلا تسعة عشر؟!

نزل: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ ﴾[2] من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ ثم رجع إلى ذكر سقر.

فقال: ﴿ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ ﴾ عظة ﴿ لِلْبَشَرِ ﴾.

* * *

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] وقوله: ﴿ كَلَّآ ﴾ رد على الكافرين وأنواع الطاغين على الحق، ثم

---

(١) «تسعة عشر» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٦).

أقسم تعالى فقال: ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ تخصيص تشريف وتنبيه على النظر في عجائبه، وقدرة الله تعالى في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يخل.

* * *

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣﴾.

[٣٣] ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ قرأ نافع، ويعقوب، وحمزة، وخلف، وحفص عن عاصم: (إِذْ) بإسكان الذال من غير ألف (أَدْبَرَ) بهمزة مفتوحة وإسكان الدال بعدها على وزن أَفْعَلَ، وقرأ الباقون: (إِذَا) بألف بعد الذال (دَبَرَ) بفتح الدال من غير همز قبلها على وزن فَعَلَ[١]، ومعناهما واحد؛ أي: ولى ذاهباً.

* * *

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ۝٣٤﴾.

[٣٤] ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أضاء وتبيَّنَ.

* * *

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥﴾.

[٣٥] وجواب القسم: ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سقر[٢].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦٣).

(٢) «أي: سقر» زيادة من «ت».

﴿ لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ جمع كُبْرى؛ أي: البلايا العِظام.

* * *

﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴾ ونصب (نَذيراً) حال؛ أي: إنها لكبيرة في حال الإنذار، وذكَّر (نذيراً)، لأنه بمعنى العذاب، قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها[١].

* * *

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] وتبدل من ﴿ ٱلْحَيَوٰةُ﴾ ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ أن يسبق إلى الخير.

﴿ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ عنه إلى الشر؛ نحو: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] وهو أمر وعيد وتهديد.

* * *

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ أي: رهنٌ بعملها في النار، والهاء في (رَهِينَةٌ) للمبالغة، أو على تأنيث اللفظ، لا على معنى الإنسان، ولو كانت صفة، لقيل: رهين.

* * *

﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾.

[٣٩] ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ هم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٧٦)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ٨٥).

وهو استثناء[1] ظاهره الانفصال، وتقديره: لكن أصحاب اليمين، وذلك لأنهم لم يكتسبوا ما هم مرتهنون به.

* * *

﴿ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ بينهم.

* * *

﴿ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ ماذا حل بهم؟

* * *

﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] فإذا خرج الموحدون من النار، قال المؤمنون لمن فيها، وذلك أن الله أطلع أهل الجنة في الجنة حتى رأوا أهل النار وهم في النار، فسألوهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ ﴾ أدخلكم.

﴿ فِي سَقَرَ ﴾ قرأ أبو عمرو: (سَلَككُّمْ) بإدغام الكاف، في الكاف والباقون: بالإظهار.

* * *

﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

[٤٣] فأجاب الكفار و﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ لله تعالى.

---

(١) «استثناء» زيادة من «ت».

﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ ولا نحض على إطعامه .

* * *

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ ندخل في الباطل مع المبطلين .

* * *

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ البعث .

* * *

﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ الموت(١) .

* * *

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

[٤٨] قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين .

* * *

---

(١) «الموت» زيادة من «ت» .

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ ﴾ مواعظِ القرآن[(١)] ﴿ مُعْرِضِينَ ﴾ نصب على الحال.

* * *

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ ﴾ جمع حمار ﴿ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: بفتح الفاء؛ أي: استنفرها غيرُها، وقرأ الباقون: بكسرها[(٢)]؛ أي: طلبت النفار من نفسها؛ لشدة خوفها.

* * *

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾.

[٥١] ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ هم الرماة الذين يتصيدون.

* * *

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ ﴾.

[٥٢] ولما قالوا للنبي ﷺ: إن سرك أن نتبعك، فليصبح عند رأس كل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان نؤمر فيه باتباعك، نزل:

---

(١) «مواعظ القرآن» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦٥ـ٢٦٦).

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا﴾[1] قراطيس ﴿مُّنَشَّرَةً﴾ تنشر وتقرأ.

* * *

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾.

[٥٣] ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن اقتراحهم الآيات ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ لأنهم لو خافوا النار، لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة.

* * *

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾﴾.

[٥٤] ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إعراضهم، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآنَ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة.

* * *

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾.

[٥٥] ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ اتعظ به.

* * *

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

[٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ قرأ نافع: (تَذْكُرُونَ) بالخطاب، والباقون: بالغيب[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٧١)، وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٨)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٦٥٥).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦٦).

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ لهم الهدى .

﴿ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ بأن يُتقى ويُطاع ويُحذر عصيانه .

﴿ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ بأنْ يغفرَ لعباده إذا اتقوه ، والله أعلم .

* * *

سورة القيامة

مكية، وآيها: أربعون آية، وحروفها: ست مئة واثنان وخمسون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع وتسعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ تقدم مذهب السوسي في إسكان الميم من (أُقْسِمْ) في سورة الواقعة [الآية: ٧٥]، وقرأ قنبل عن ابن كثير: (لَأُقْسِمُ) الحرف الأول فقط بحذف الألف التي بعد اللام، فتصير لام توكيد، واختلف عن البزي، وقرأ الباقون: بالألف(١)، فتكون لام الابتداء، و(أقسم) خبر مبتدأ محذوف معناه: لأنا أقسم ﴿بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أقسم الله به تنبيهاً منه لعظمته وهوله.

* * *

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ التي لا تزال تلوم نفسها في الدنيا، وإن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧).

اجتهدت في الإحسان، وهو قسم كالأول على الصحيح، ولا خلاف بين القراء في إثبات الألف التي بعد اللام فيه، و(النَّفْس) في الآية اسم جنسٍ لنفوس البشر.

* * *

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾﴾.

[٣] وجواب القسم مضمر فيه، تقديره: لَتُبْعَثُنَّ، يدل عليه: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الذي ينكر البعثَ ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ بعدَ تفرُّقها. قرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر: (أَيَحْسَبُ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[١].

* * *

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾.

[٤] ﴿بَلَىٰ﴾ هو إيجاب ما نفي، والمعنى: بلى نجمعها.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ نصب على الحال ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ والبنان: الأصابع؛ أي: نضمها على صغرها ولطافتها بعضَها على بعض كما كانت من غير نقصان، وقيل: معناه: نجعلها في حياته هذه شيئاً واحداً كخف البعير، فلا يقدر على عمل لطيف كالكتابة، فتقل منفعته بيده، ففي هذا توعُّد ما.

* * *

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ يكذب بما قُدَّامه من البعث.

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧).

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾.

[٦] ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ متى[1] ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ سؤالَ استهزاء وتكذيب.

* * *

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾.

[٧] ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر: (بَرَقَ) بفتح الراء؛ أي: شَقَّ عينَه وفتَحها؛ من البريق، وهو التلألؤ، وقرأ الباقون: بكسرها[2]؛ أي: شَخَصَ عند الموت، فلا يطرف؛ مما يرى من العجائب.

* * *

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ الخسوف والكسوف معناهما واحد، وهو ذهاب ضوء أحد النَّيرين أو بعضه.

وصلاة الكسوف سنة[3] مؤكدة بالاتفاق، فإذا كسفت الشمس أو القمر، فزعوا للصلاة.

واختلفوا في صفتها، فقال أبو حنيفة: صلاة كسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة، ويصلي بهم إمام الجمعة، ويطيل القراءة، ولا يجهر، ولا يخطب، وخسوف القمر ليس له اجتماع، ويصليها الناس في منازلهم

---

(١) «متى» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨).

(٣) «سنة» زيادة من «ت».

ركعتين كسائر النوافل، وقال الثلاثة: الصلاة لكسوف الشمس ركعتان في جماعة، كل ركعة بركوعين، يطيل الأولى، ويقصر الثانية يسيراً، ويقرأ في كل ركعتين مرتين.

واختلف الثلاثة في صلاة خسوف القمر، فقال مالك فيها كقول أبي حنيفة، وقال الشافعي وأحمد: هي كصلاة كسوف الشمس.

واختلفوا في الجهر بالقراءة، فقال مالك: لا يجهر في كسوف الشمس؛ كقول أبي حنيفة، وقال الشافعي: يجهر في كسوف القمر دون الشمس، وقال أحمد: يجهر فيهما، ويخطب لهما عند الشافعي خطبتين بأركانهما في الجمعة، ويحث على التوبة والخير، وعند مالك وأحمد لا يخطب؛ كمذهب أبي حنيفة.

* * *

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أسودين مكوَّرين كأنهما ثوران عقيران في النار.

* * *

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ المهرب.

* * *

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ تتحصن به.

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴾ المصير، فيحاسب الخلائق ويجازيهم .

* * *

﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ ﴾ قبلَ موته من خير وشر عَمِلَه .

﴿ وَأَخَّرَ ﴾ من حسنة وسيئة سنَّها يُعمل بهما بعده .

* * *

﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ إضراب بمعنى الترك، لا على معنى إبطال القول الأول .

﴿ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾ شاهد، والهاء في (بَصِيرَةٌ) للمبالغة، ويراد بالبصيرة : جوارحُه، والملائكةُ الحفظة .

* * *

﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ أي : ولو جاء بكل معذرة، ما قُبلت منه .

* * *

﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] وكان ﷺ إذا لُقِّنَ الوحيَ، يحرك لسانه مسارعة إلى حفظه قبل

فراغ جبريل، مخافة أن يتفلت منه، فنزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾[1] بالقرآن.

﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ حذراً أن يفوتك منه شيء؛ أي: لا تقرأه حتى يفرغ جبريل من قراءته.

* * *

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك.

﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: قراءته عليك وجَريانَه على لسانك.

* * *

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: قرأه رسولنا جبريل عليك ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فاستمع قراءته.

* * *

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بأن نُبيِّنه لك حتى تفهمه، فكان جبريل إذا أتى النبيَّ ـ عليهما السلام ـ بالوحي، أطرق، فإذا ذهب عنه، قرأه كما وعده الله تعالى.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (٤٤٨)، كتاب: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ (٢٠) ﴾.

[٢٠] ﴿ كَلَّا ﴾ رجوع إلى مخاطبة قريش، وردٌّ عليهم وعلى أقوالهم في رد الشريعة بقوله: (كَلاَّ)؛ أي: ليس كما تقولون، وإنما أنتم قوم قد ألهتكم[1] الدنيا بشهواتها، فذلك قوله: ﴿ بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ الدنيا.

* * *

﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ (٢١) ﴾.

[٢١] ﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ فلا تعملون لها. **قرأ** ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: (يُحِبُّونَ) و(يَذَرُون) بالغيب، **وقرأهما** الباقون: بالخطاب على تقدير: قل لهم يا محمد[2].

* * *

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) ﴾.

[٢٢] ولما ذكر الآخرة، أخبر بشيء من حال أهلها بقوله: ﴿ وُجُوهٌ ﴾ رفع بالابتداء، وابتدأ بالنكرة لأنها تخصصت بقوله:

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ظرف لخبر المبتدأ، وهو ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي: ناعمة حسنة من نضرة النعيم.

* * *

---

(١) في «ت»: «غلبتكم».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠ـ١١).

﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ من نظر العين، وحمل هذه الآية جميعُ أهل السنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا كيف ولا تحديد كما هو معلوم موجود، لا يشبه الموجودات، كذلك لا يشبه المرئيات في شيء، فإنه ليس كمثله شيء سبحانه.

قال ﷺ: «إنكم ترون ربَّكم يومَ القيامة كما ترون القمرَ ليلةَ البدر لا تُضامون في رؤيته»[١].

والمعتزلة ينفون رؤية الله تعالى، ويذهبون في هذه الآية إلى أن المعنى: إلى رحمة ربها ناظرة، وإلى ثوابه، أو إلى ملكه، فقدروا مضافاً محذوفاً، وتقدم الكلام على ذلك، واختلاف[٢] الأئمة على رؤيته سبحانه في الآخرة في سورة الأنعام.

* * *

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ عابسة متكرِّهة.

* * *

﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ تَظُنُّ ﴾ تتيقَّن ﴿ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ داهية عظيمة تفقر؛ أي: تكسر فقار الظهر.

---

(١) رواه البخاري (٦٩٩٧)، كتاب: التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾، ومسلم (٦٣٣)، كتاب، المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) في «ت»: «اتفاق».

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦﴾ .

[٢٦] ﴿كَلَّآ﴾ زجر لقريش، وتذكيرهم بموطن من مواطن الهول، وهي حالة الموت والمنازعة ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفسُ ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ جمع تَرْقُوة، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق أعلى الصدر موازية للحلقوم، ولكل أحد ترقوتان، لكن من حيث هذا الأمر في كثيرين، جُمع؛ إذ النفس المرادة اسم جنس.

* * *

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ٢٧﴾ .

[٢٧] ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ أي: يرقيه ليشفى ما فيه. قرأ حفص عنه عاصم: (مِنْ رَاقٍ) بإظهار النون مع سكتة عليها خفيفة، وقرأ الباقون: بإدغام النون في الراء[1]، وروي عن قنبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (رَاقِي).

* * *

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ٢٨﴾ .

[٢٨] ﴿وَظَنَّ﴾ أي: تيقن ﴿أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ فراق الدنيا.

* * *

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩﴾ .

[٢٩] ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦١)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٥٥-٥٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠).

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ أي: مرجع العباد إلى الله يساقون إليه.

* * *

﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ فَلَا صَدَّقَ ﴾ يعني: أبا جهل لم يصدق برسول الله ﷺ.

﴿ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ لله. أمال رؤوس الآي من قوله (وَلاَ صَلَّى) إلى آخر السورة: ورش، وأبو عمرو بين بين بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختلف عن أبي بكر في (سُدَى)، فروي عنه الإمالة والفتح. وقرأ الباقون: بإخلاص الفتح فيهما[1].

* * *

﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ ﴾ بالقرآن ﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الإيمان.

* * *

﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴾ يتبختر في مشيته[2] إعجاباً، أصله يَتَمَطَّطُ.

* * *

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ ﴾ مبتدأ وخبر، معناه: وليكنْ ما تكره.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٥١ و٢١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٢٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١).

(٢) في «ت»: «مشيه».

﴿ فَأَوْلَىٰ ﴾ فهو أولى بك من غيره، فهو وعيد لأبي جهل.

* * *

﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ وعيدٌ ثانٍ كرره تأكيداً، تلخيصه: ويل لك في الدنيا، ثم في القبر، ثم حين البعث، ثم في النار مهملاً.

روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية، أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء، وهزه مرة أو مرتين، ولكزه في صدره، وقال له: «أَوْلى لكَ فأولى، ثم أولى لك فأولى»، فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد؟! والله لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً، وإني لأعزُّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر، صرعه الله شر مصرع، وقتله أسوأ قتلة، وكان رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمة فرعوناً، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل»(١).

* * *

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ هو أبو جهل ﴿ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ مهملاً لا يؤمر ولا ينهى.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٥٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٩٢).

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

[٣٧] ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ تُصَبُّ في الرحم، فيستدل على ذلك بالقدرة على البعث. قرأ يعقوب، وحفص عن عاصم: (يُمْنَى) بالياء على التذكير إرادة المني، وقرأ الباقون: بالتاء على التأنيث إرادة النطفة، واختلف عن هشام(١).

* * *

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

[٣٨] ﴿ ثُمَّ كَانَ ﴾ المنيُّ ﴿ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ اللهُ منها الإنسان، وعدَّل أعضاءه.

* * *

﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ﴾ من المني ﴿ ٱلزَّوْجَيْنِ ﴾ الصنفين.

﴿ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ وهو استدلال آخر بالإبداء على الإعادة.

* * *

﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ ﴾ الذي فعل هذا.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١-١٣).

﴿ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ فيعيد الأجسام كهيئتها للبعث.

روي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحانك اللهم وبحمدك بلى»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، من حديث أبي هريرة.

سورة الإنسان

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: منها آية مكية، وهي قوله: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾، والباقي مدني، وآيها: إحدى وثلاثون آية، وحروفها ألف وأربع وخمسون حرفاً، وكلمها: مئتان واثنتان وأربعون كلمة.

روي أنها نزلت في صنيع علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في إطعامه عشاءه وعشاء أهله وولده لمسكين ليلةً، ثم ليتيم ليلة، ثم لأسير ثالثة، متواليات[1]، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾.

[١] ﴿هَلْ﴾ بابها المشهور للاستفهام المحض، ومعناها هنا: قد.

﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعني: آدم عليه السلام ﴿حِينٌ﴾ مدة ﴿مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة ملقى من طين بين مكة والطائف قبل أن تنفخ فيه الروح.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٠٨).

﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [لا يُذكر ولا يُعرف، ولا يُدرى ما اسمه، ولا ما يراد به، فكان شيئاً، ولم يكن مذكوراً][1]، ولا منوهاً به في العالم.

***

﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾.

[٢] ثم بين خلق بنيه فقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني: بني آدم، والإنسان هنا هو اسم الجنس ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ نعت؛ أي: أخلاطٍ، واحدها مَشَج - بفتح الميم والشين - يعني: ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم، فيكون منهما الولد، فماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا صاحبه، كان الشبه له، وما كان من عصب وعظم، فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر، فمن ماء المرأة.

﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ حال؛ أي: خلقناه مريدين ابتلاءه؛ بأن نختبره بالأمر والنهي.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ ذا سمع وبصر.

***

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾.

[٣] ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ﴾ بينا له ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: الطريقَ إلى الهدى والضلالة.

﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان قسمتهما (إما)؛ أي: بأن يشكر فيؤمن، أو يكفر فيضل.

***

(١) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾.

[٤] ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ هيأنا[١] ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ يسحبون بها في النار. قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، وأبو بكر، ورويس، وهشام: (سَلاَسِلاً) منوناً مصروفاً؛ لأن الأصل الصرف، ووقفوا عليه بالألف بدلاً منه، وقرأ الباقون: بغير تنوين على المشهور عند النحاة، ووقف منهم بالألف صلة للفتحة واتباعاً لخط المصحف: أبو عمرو، وحفص، وروح، والبزي، وابن ذكوان بخلاف عنهم سوى أبي عمرو، ووقف الباقون بغير ألف، وهم: حمزة، وقنبل، وخلف[٢].

﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ في أعناقهم تُشد فيها السلاسل.

﴿وَسَعِيرًا﴾ ناراً مستعرة يُعذَّبون بها.

* * *

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥﴾.

[٥] ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ هم الصادقون المطيعون ﴿يَشۡرَبُونَ﴾ في الآخرة خمراً.

﴿مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿كَافُورًا﴾ وهو اسم عين ماء في الجنة.

---

(١) زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٢٢-٥٢٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٤-٣٩٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩-٢٠).

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ عَيۡنٗا ﴾ نصب بحال (كافور)[(١)] ﴿ يَشۡرَبُ بِهَا ﴾ أي: يشربها، فالباء زائدة.

﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ أي: أولياؤه ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم؛ لأن أنهار الجنة تكون منقادة لأهلها، كما أن الأشجار تكون منقادة لهم، فيتبعهم النهر إلى حيث شاؤوا.

* * *

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ ﴾ .

[٧] روي أن الحسن والحسين مرضا، فنذر علي وفاطمة وفضة جاريتهما إن عوفيا صيام ثلاثة أيام، فعوفيا، فلم يكن عندهم شيء، فاستقرض علي ثلاثة أصواع من شعير من يهودي، فطحنت فاطمة صاعاً، وخبزته خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها قدامهم ليفطروا، فقال سائل: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد أهل[(٢)] الجنة، فآثروه به، وباتوا لم يطعموا شيئاً، وأصبحوا صياماً، فلما قدموا الصاع الثاني، في الليلة الثانية، وهو خمسة أقراص ليفطروا عليه، وقف عليهم يتيم سائلاً، فآثروه ولم يطعموا شيئاً، وأصبحوا صياماً، وفي الليلة الثالثة[(٣)] قدموا الصاع

---

(١) في «ت»: «تبعاً (للكافور)».

(٢) «أهل» زيادة من «ت».

(٣) «وفي الليلة الثالثة» زيادة من «ت».

الثالث، وهو خمسة أقراص ليفطروا عليه، وقف عليهم أسير، فآثروه ولم يطعموا شيئاً فنزل استئنافاً: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾(1) إذا نذروا في الطاعة، وتقدم الكلام في حكم النذر في سورة البقرة.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ منتشراً؛ من استطار الحريق: انتشر.

* * *

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾.

[٨] ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ حب الطعام وشهوتهم له.

﴿مِسْكِينًا﴾ لا مال له ﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يعني: أسارى الكفار؛ فإنه كان ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «أحسِنْ إليه»(2).

* * *

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾.

[٩] ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ لم يقولوا ذلك باللسان، ولكن من اعتقادهم وضميرهم، فأخبر الله بذلك عن قلوبهم.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ على ذلك ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ بأن تشكرونا عليه.

* * *

---

(1) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٩٣)، وقال: وهذا حديث لا يشك في وضعه، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٣٣).

(2) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٧٠): قال الولي العراقي: لم أقف عليه.

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا ﴾ لا انبساطَ فيه ﴿ قَمْطَرِيرًا ﴾ شديداً.

* * *

﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾ الذي يخافون ﴿ وَلَقَّىٰهُمْ ﴾ أعطاهم ﴿ نَضْرَةً ﴾ حسناً في وجوههم ﴿ وَسُرُورًا ﴾ في قلوبهم.

* * *

﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ على طاعته ﴿ جَنَّةً ﴾ أدخلهم فيها ﴿ وَحَرِيرًا ﴾ ألبسهموه.

* * *

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ﴾ نصب على الحال ﴿ فِيهَآ ﴾ في الجنة ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ السُّرُر في الحِجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا، وتقدم في سورة (يس).

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ﴾ يؤذيهم حرُّها ﴿ وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ برداً شديداً.

* * *

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا ﴾ قريبةً منهم ظلالُ أشجارها.

﴿ وَذُلِّلَتْ ﴾ سُخِّرَت وانقادت ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ جمع قِطْف، وهو ما يقطف من الثمار ﴿ تَذْلِيلًا ﴾ المعنى: سُهِّل لهم اجتناؤها.

* * *

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ (١٥) ﴾.

[١٥] ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ ﴾ جمع إناء، وهي الأوعية ﴿ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ الكوب: ما لا عروةَ له ولا أُذُنَ من الأواني ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾.

* * *

﴿ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) ﴾.

[١٦] خبر (كانت) ﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾ وإنما كرر القوارير؛ للتبيين، ومعناه: صفاؤها كالقوارير، وبياضها كالفضة. قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: (قَوَارِيراً قَوَارِيراً) بتنوينهما، ووقفوا عليهما بالألف، وقرأ ابن كثير، وخلف: في الأول بالتنوين، ووقفا عليه بالألف، والثاني بغير تنوين، ووقفا عليه بغير ألف، والباقون: بغير تنوين فيهما، ووقف حمزة، ورويس عليهما[١] بغير ألف، واختلف عن روح، ووقف هشام عليهما بالألف صلة للفتحة، ووقف الباقون، وهم: أبو عمرو، وحفص، وابن ذكوان على الأول بالألف، وعلى الثاني بغير ألف، فحصل من ذلك أن من لم ينون وقف على الأول بالألف إلا حمزة، وعلى الثاني بغير ألف إلا هشاماً[٢]، وهو كـ(سَلاَسِلا) في الصرف وتركه كما تقدم ﴿ مِن فِضَّةٍ ﴾

---

(١) «عليهما» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٣-٦٦٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٥-٣٩٦)، و«معجم=

بيان لأصل القوارير ﴿قَدَّرُوهَا﴾ نعت لـ(قَوارِير) ﴿تَقْدِيرًا﴾ أي: تقدرها لهم الغلمان[1]، قدروا الكأس[2] على قدر ريِّهم.

***

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾.

[١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ اسم عين في الجنة يوجد منها طعم[3] الزنجبيل.

***

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾.

[١٨] وتبدل من ﴿كَأْسًا﴾ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ﴾ أي: توصف.

﴿سَلْسَبِيلًا﴾ يعني: سَلِسَة لينة تتسلسل في الحلق.

***

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ دائمون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانشغالهم[4] بالخدمة ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ من سلكه على البساط واللؤلؤ إذا نُثر من الخيط على البساط، كان أحسنَ منه منظوماً.

***

= القراءات القرآنية» (٨/ ٢٢ـ٢٣).

(١) في «ت»: «قدرها لهم السقاة».

(٢) «الكأس» زيادة من «ت».

(٣) «طعم» زيادة من «ت».

(٤) في «ت»: «وانتشارهم في».

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ ظرف، وليس مفعولاً لـ(رَأَيْتَ)، تقديره: إذا أوجدت الرؤية في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿ وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً[١] .

في الحديث: «أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً مَنْ ينظرُ إلى مُلْكِه مسيرةَ ألفِ عامٍ، يرى أقصاه كما يرى أدناه»[٢] .

* * *

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ عَالِيَهُمْ ﴾ أي: فوقهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ هو ما رَقَّ من الديباج ﴿ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ هو ما غَلُظَ من الحرير[٣] . وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: (عَالِيَهُمْ) بفتح الياء وضم الهاء، والنصب على الحال، والعامل فيه (لَقَّاهُمْ) و(جَزَاهُمْ)، وقرؤوا (خُضْرٌ) بالرفع نعت (ثِيَابٌ)، (وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض نعت (سُنْدُسٍ)، وقرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: (عَالِيَهُمْ) كأبي عمرو[٤]، و(خُضْرٍ) بالخفض نعت (سُنْدُسٍ)، (وَإِسْتَبْرَقٌ) بالرفع عطف على الـ(ثياب)، وقرأ حفص عن عاصم: (عَالِيَهُمْ) كما تقدم (خُضْرٌ

---

(١) «واسعاً» زيادة من «ت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ١٩٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً عليه من قوله.

(٣) في «ت»: «الديباج».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٤ـ٦٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٧/ ٢٦ـ٢٧).

وَإِسْتَبْرَقٌ) بالرفع فيهما، فخضرٌ نعت ثياب، وإستبرقٌ عطف على الثياب، **وقرأ** الكسائي، وخلف: (عَالِيَهُمْ) كما تقدم (خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض فيهما نعت (سُنْدُسٍ)، **وقرأ** نافع: (عَالِيْهِمْ) بإسكان الياء وكسر الهاء على الرفع بالابتداء، و(خُضْرٌ وإِسْتَبْرَقٌ) بالرفع فيهما كحفص، **وقرأ** حمزة (عَالِيْهِمْ) كنافع (خُضْرٍ ووَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض فيهما كالكسائي، **وقرأ** أبو جعفر: (عَالِيْهِمْ) كنافع، و(خُضْرٌ) بالرفع، (وَإِسْتَبْرَقٍ) بالخفض كأبي عمرو.

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي الكهف والحج ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] [الحج: ٢٣]؛ للإيذان بأنهم(١) يحلون من الجنسين معاً، ومفترقاً.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ طاهراً من الأقذار، لم تَدُسْه(٢) الأقدام، ولم تمسه الأيدي الوسخة كخمر الدنيا، ولا يصير بولاً، وذلك أنهم إذا طعموا وشربوا، فيصير ما أكلوا طِيباً(٣) يخرج من أبدانهم كأطيب من ريح المسك، وتضمر بطونهم، وتعود شهوتهم.

* * *

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] فثَمَّ يقال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَآ﴾ النعيمَ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لعملكم.

﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّشْكُورًا﴾ مجازًى عليه.

---

(١) في «ت»: «أنهم».

(٢) في «ت»: «تدنسه».

(٣) في «ت»: «رشحاً».

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ متفرقاً، آية بعد آية، وذكر التوراة[١] بلفظ الإنزال؛ لأنها نزلت مرة واحدة، وهذا تثبيت لمحمد ﷺ، وتقوية لنفسه على أفعال قريش وأقوالهم.

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ عليك بتبليغ الرسالة ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ﴾ من الكفار ﴿ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ هو تخيير في أن يعرف الذي ينبغي ألا يطيعه بأي وصف كان من هذين؛ لأن كل واحد منهم[٢] فهو آثم، وهو كفور، ولم تكن الأمة حينئذ من الكثرة[٣] بحيث يقع الإثم على العاصي.

* * *

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ أي: صَلِّ.

﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ المعنى: دم على الصلاة المفروضة في هذين الوقتين.

* * *

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ ﴾ مصلياً متهجداً.

---

(١) في «ت»: «التورية».

(٢) «منهم» ساقطة من «ت».

(٣) «من الكثرة» ساقطة من «ت».

﴿ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ ثلثيه، أو نصفه، أو ثلثه.

***

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: كفار قريش ﴿ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾ يختارون الدنيا على الآخرة ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ ﴾ بعد موتهم ﴿ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴾ لا ينهضون له، وهو يوم القيامة.

***

﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ ﴾ قوّينا ﴿ أَسۡرَهُمۡۖ ﴾ توصيل أعضائهم[١] بعضِها ببعض.

﴿ وَإِذَا شِئۡنَا ﴾ إهلاكَهم، أهلكناهم، ثم ﴿ بَدَّلۡنَآ ﴾ جعلنا ﴿ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴾ في الخلقة ﴿ تَبۡدِيلًا ﴾ و(إِذَا) هنا موضع إن.

***

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ السورة ﴿ تَذۡكِرَةٞ ﴾ عظةٌ.

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ بأن يتقرب إليه بطاعته.

***

---

(١) في «ت»: «عظامهم».

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ ذلك. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (يَشَاؤونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب[١] ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ لأن الأمر إليه، وفيه دليل على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، خيرها وشرها، جارية بمشيئته على أي وجه كانت.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بالسر والسرائر[٢] ﴿ حَكِيمًا ﴾ حكم عليكم ألا تشاؤوا إلا بعد مشيئته.

* * *

﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ فِى رَحْمَتِهِۦۚ ﴾ بهدايتهم لطاعته.

﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: المشركين، ونصبه بفعل يفسره ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾ في الآخرة، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٢٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٨).

(٢) في «ت»: «بالخير والشر».

سورة المرسلات

مكية في قول الجمهور، وقيل: فيها مدني قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ على تأويل من قال: إنها حكاية حال عن المنافقين في القيامة، وآيها: خمسون آية، وحروفها: ثماني مئة وستة عشر حرفاً، وكلمها: مئة وإحدى وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ يعني: الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه، و﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ نصب على الحال.

* * *

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾.

[٢] ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ﴾ يعني: الرياح الشديدة الهبوب ﴿عَصْفًا﴾ مصدر.

* * *

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ يعني: الرياح اللينة ﴿نَشْرًا﴾ مصدر أيضاً.

﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ يعني: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل.

***

﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ يعني: الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء. **قرأ** أبو عمرو، وخلاد عن حمزة بخلاف عنه: بإدغام التاء في الذال، **وقرأ** الباقون: بالإظهار(١).

***

﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ عُذْرًا ﴾ **قرأ** يعقوب من رواية روح: بضم الذال، والباقون: بإسكانها ﴿ أَوْ نُذْرًا ﴾ **قرأ** أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بإسكان الذال، والباقون: بضمها(٢)، فإسكان الذال فيهما على أنهما مصدران، وضم الذال يصح معه المعنى، ويصح أن يكون جمعاً لنذير وعاذر اللذين هما اسم فاعل، والمعنى: أن الذكر يلقى بإعذار وإنذار، وأما النصب في قوله: (عُذْراً أَوْ نُذْراً)، فيصح إذا كانا مصدرين أن يكون ذلك

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٥ـ١٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٣).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٣ـ٣٤).

على البدل من الذكر، ويصح أن يكون مفعولاً للذكر كأنه قال[1]: فالملقيات أن تذكر عذراً، ويصح أن يكون عذراً مفعولاً من أجله؛ أي: يلقى الذكر من أجل الإعذار، وأما إذا كان عذراً أو نذراً جمعاً، فالنصب على الحال، والواو الأولى للقَسَم، والباقي للعطف؛ لأنه تعالى أقسم بالمرسلات، وعطف عليها الباقي.

***

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾.

[٧] وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث والعذاب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ كائن لا محالة.

***

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾.

[٨] ثم ذكر متى يقع فقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ مُحِيَ نورُها.

***

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ شُقَّت.

***

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ قُطعت من أماكنها[2].

---

(١) «قال»: ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «أساكنها».

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١﴾.

[١١] ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر بخلاف عن الثاني: (وُقِّتَتْ) بواو مضمومة مبدلة من الهمزة، واختلف عن أبي جعفر في تخفيف القاف وتشديدها، وقرأ الباقون: (أُقِّتَتْ) بالهمز وتشديد القاف[1]، وهما لغتان، والعرب تعاقب بين الواو والهمزة؛ كقولهم وَكَّدْتُ، وأَكَّدْتُ، ووَرَّخْتُ، وأَرَّخْتُ، ومعناهما: جُمعت لميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة؛ ليشهدوا على الأمم.

* * *

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢﴾.

[١٢] ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أُخرت، وضرب الأجل لجمعهم، يعجِّبُ العبادَ من ذلك اليوم.

* * *

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣﴾.

[١٣] ثم بين تعالى فقال: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق.

* * *

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾.

[١٤] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ من أين تعلم كنهه ولم تر مثله؟

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٦_٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٤_٣٥).

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾.

[١٥] ﴿وَيۡلٞ﴾ مبتدأ وهو نكرة لما فيه من معنى الدعاء قال ابن عباس: «ويلٌ: واد في جهنم»[1] ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ ظرفه ﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث.

* * *

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾.

[١٦] ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يعني: الأمم الماضية حين كذبوا رسلهم.

* * *

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧﴾.

[١٧] ﴿ثُمَّ﴾ نحن ﴿نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ السالكين سبيلَهم في الكفر والتكذيب؛ يعني: كفار مكة.

* * *

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨﴾.

[١٨] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ فعلنا بالمكذبين ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بكل من أجرم.

* * *

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩﴾.

[١٩] ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ كرره في هذه السورة عشر مرات مبالغةً في التهديد؛ نحو: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٢٠٢)، وقد جاء مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف، والمراد: المني. واتفق القراء على إدغام القاف في الكاف في هذا الحرف، وذكر النقاش أنه في قراءة ابن كثير، ونافع براوية قالون، وعاصم في رواية حفص: بالإظهار، قاله في «الإيضاح».

* * *

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ موضع حريز(١)، وهو الرحم.

* * *

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: مؤخراً إلى مقدار من الزمان ﴿مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة.

* * *

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، والكسائي: (فَقَدَّرْنَا) بتشديد الدال؛ من التقدير؛ أي: قدرناه تقديراً مرة بعد مرة، وقرأ الباقون: بتخفيفها؛ من القدرة(٢).

---

(١) «حريز» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات =

﴿فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ﴾ روى ابن مسعود عن النبي ﷺ: أنه فسر القادرون بالمقدِّرين(١).

* * *

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾.

[٢٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بقدرتنا على ذلك.

* * *

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾.

[٢٥] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ أوعيةً، جمع كافت، وهو الوعاء.

* * *

﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾.

[٢٦] ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ منتصبان بـ(كِفَاتاً) على المفعولية، فالأرض تكفتُ الأحياء على ظهرها، وتكفتُ الأموات في بطنها.

* * *

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧﴾.

[٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ﴿شَـٰمِخَـٰتٍ﴾ مرتفعاتٍ ثوابتَ.

﴿وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ عذباً.

* * *

= القرآنية» (٨/ ٣٧).

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٦٠).

﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ بأمثال هذه النعم.

* * *

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ثم أخبر تعالى أنه يقال لهم يوم القيامة: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ ﴾ من العذاب ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ في الدنيا.

* * *

﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ ﴾ تكرير للأول ﴿ إِلَىٰ ظِلّٖ ﴾ يعني: إلى دخان جهنم. قرأ رويس عن يعقوب: (انْطَلَقُوا) الحرف الثاني بفتح اللام، والباقون: بكسرها[1].

﴿ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴾ لأنه إذا ارتفع، افترق ثلاث فرق؛ لعظمته. قرأ أبو عمرو: (ثلَاث شُّعَبٍ) بإدغام الثاء في الشين[2].

* * *

﴿ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ لَّا ظَلِيلٖ ﴾ نعت (ظِلٍّ)؛ أي: لا كَنينٍ يُظلهم من حر ذلك اليوم.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٧).

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٧٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٣٧).

﴿ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ لا يردُّ عنهم شيئاً من لهب النار.

***

﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿ تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾ جمع شرارة، وهو ما تطاير من النار، كلُّ شرارة ﴿ كَٱلْقَصْرِ﴾ وهو البناء العظيم.

***

﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ثم رد الضمير إلى لفظ النار دون معناها، فقال: ﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: (جِمَالَةٌ) بغير ألف بعد اللام مع كسر الجيم على جمع جَمَل، وقرأ الباقون: بالألف، جمع (جمالة) التي هي جمع جَمَل، ومنهم رويس عن يعقوب: بضم الجيم، والباقون: بكسرها، فمن قرأ بضم الجيم، أراد الأشياء العظام المجموعة، والقراءة بالكسر قال ابن عباس وسعيد بن جبير: «هي حبال سفن البحر، يُجمع بعضُها إلى بعض لتكون كأوساط الرجال»[1] ﴿ صُفْرٌ﴾ جمع أصفر؛ يعني: لون النار؛ فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر، وشبه الشرار بالقصر؛ لعظمه، وبالجمال للعظم والطول واللون، وهذا تشبيه بما يشاهد.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٩)، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١١)، عن سعيد بن جبير.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

* * *

﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ هَٰذَا ﴾ مبتدأ، خبره:

﴿ يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أي: هذا المذكور في يوم لا ينطقون فيه[1] خوفاً ودهشاً.

* * *

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ بالاعتذار[2] ﴿ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ عطف ﴿ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ على ﴿ يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ فلا يعتذرون.

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

* * *

﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين الخلائق ﴿ جَمَعْنَاكُمْ ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ من المكذبين من قبلكم، فتحاسبون جميعاً.

* * *

---

(١) «فيه» ساقطة من «ت».

(٢) في «ت»: «في الاعتذار».

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ حيلة تدفعون بها عنكم العذاب ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ فاحتالوا لأنفسكم. قرأ يعقوب: (فَكِيدُونِي) بإثبات الياء، والباقون: بحذفها[١].

***

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ إذ لا حيلة لهم.

***

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾.

[٤١] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ من الشرك؛ لأنهم في مقابلة المكذبين.

﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ جمع ظل؛ أي: في ظلال الشجر.

﴿ وَعُيُونٍ ﴾ ماء. قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وابن ذكوان: بكسر العين، والباقون: بضمها[٢].

***

﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

[٤٢] ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٠).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٠).

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] ويقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا ﴾ بلا داء ولا تخمة.

﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا بطاعتي.

* * *

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

[٤٤] ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ في العقيدة.

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

[٤٥] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

* * *

﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

[٤٦] ثم قال لكفار مكة: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا ﴾ في الدنيا[١].

﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ كافرون مستحقون للعذاب.

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

[٤٧] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ حيث عرَّضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل.

* * *

(١) «في الدنيا» زيادة من «ت».

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

[٤٨] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ ﴾ صَلُّوا ﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ قال ابن عباس: «إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يُدعون إلى السجود فلا يستطيعون»(١). قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (قِيلَ) بإشمام القاف الضم(٢).

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

[٤٩] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

* * *

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

[٥٠] ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ ﴾ بعدَ القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ إذا لم يؤمنوا به؟! وهذا توقيف وتوبيخ. وروي عن يعقوب أنه قرأ: (تُؤْمِنُونَ) بالخطاب على المواجهة، ورويت عن ابن عامر، قاله ابن عطية في «تفسيره»(٣)، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٥).

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤١).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤١).

سُورَةُ النَّبَإِ

مكية، ليس فيها نسخ ولا حكم، وآيها: أربعون آية، وحروفها: سبع مئة وسبعون حرفاً، وكلمها: مئة وثلاث وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١)﴾.

[١] لما دعا النبي ﷺ أهل مكة إلى التوحيد، وأخبرهم بالبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون: ماذا جاء به محمد؟ فنزل قوله تعالى: ﴿عَمَّ﴾[١] أصله (عَنْ) (مَا) أدغمت النون في الميم، وحذفت الألف فرقاً بين الاستفهام والخبر. ووقف البزي، ويعقوب بخلاف عنهما (عَمَّهْ) بزيادة هاء بعد الميم[٢] ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ هؤلاء المشركون؛ أي: يسأل بعضهم بعضاً، ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه؛ كأنه لفخامته خفي جنسه، فيسأل عنه، وهو استفهام توقيف وتعجيب منهم.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣٠/ ١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٥).

﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ثم بين شأن المسؤول عنه، فقال: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وهو القرآن.

* * *

﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ بأن أنكر(١) بعض، وكذب بعض، وقولهم: سحر، وكهانة، وشعر، وجنون، وغير ذلك.

قال الزجَّاج: الكلام تام في قوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ)، ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول: يتساءلون عن النبأ العظيم، فاقتضى إيجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال والمحاورة اقتضاباً للجواب(٢) وإسراعها إلى موضع قطعهم، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وله أمثلة كثيرة(٣).

* * *

﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ على الكفار في تكذيبهم.

﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ عاقبةَ تكذيبهم، وهو وعيد لهم في المستقبل.

* * *

---

(١) في «ت»: «شك».

(٢) في «ت»: «للحجة».

(٣) نقل كلام الزجاج: ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢٣)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٤٠٣).

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٥] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ كرر الزجر تأكيداً، وجيء بـ(ثُمَّ) ليؤذِنَ أن الوعيد الثاني أشدُّ من الأول، وأن مدته أطول.

* * *

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ ﴾ .

[٦] ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾ فراشاً يُمْهَد للأناسي كالمهد للصبي.

* * *

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ .

[٧] ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ للأرض حتى لا تميد؛ كتثبيت البيت بالوتد.

* * *

﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافاً ذكوراً وإناثاً.

* * *

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ راحة لأبدانكم، وقيل: قطعاً لأعمالكم؛ لأن أصل السبت: القطع.

* * *

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾.

[١٠] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ غطاء يستر كل شيء بظلمته.

* * *

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتَ معاش[١] تتقلبون فيه، وتبتغون من فضل الله ما قسم لكم من رزقه.

* * *

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ أي: سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة؛ أي: قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان.

* * *

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ مضيئاً جامعاً بين النور والحرارة؛ يعني: الشمس.

* * *

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحائب إذا عصرت بالرياح فيُخرج منها.

---

(١) «وقت معاش» زيادة من «ت».

﴿ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ مُنْصَبّاً بكثرة.

* * *

﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿ حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير.

﴿ وَنَبَاتًا﴾ كالتبن والحشيش وما تنبته الأرض مما تأكل الأنعام.

* * *

﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ أَلْفَافًا ﴾ ملتفة الأشجار، واحدها: لِفٌّ ولَفيفٌ.

* * *

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ للثواب والعقاب.

* * *

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ بدل من ﴿ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾، ﴿ فَتَأْتُونَ ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿ أَفْوَاجًا﴾ جماعاتٍ مختلفةً، ونصبه على الحال.

* * *

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ قرأ الكوفيون: (وَفُتِحَتِ) بتخفيف التاء،

والباقون: بالتشديد[1]؛ أي: شُقَّت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي: ذات أبواب مفتحة.

* * *

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ ذُهِبَ بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباءً يُرى كالسراب.

* * *

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ طريقاً وممراً، فالمؤمن يمر عليها ليدخل الجنة، والكافر يدخلها، وقيل: (مِرْصَاداً) مِرْقَباً ترقُب منه الملائكة الخلائقَ، فيُدخلون المؤمنَ الجنة، والكافرَ النار.

* * *

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢﴾.

[٢٢] ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ للكافرين ﴿مَـَٔابًا﴾ مرجعاً.

* * *

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾.

[٢٣] ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ قرأ حمزة، ورويس عن يعقوب: (لَبِثِينَ) بغير ألف بعد اللام، واللَّبِثُ: مَنْ شأنُه اللبثُ والمقامُ في المكان، وقرأ الباقون:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٦-٤٧).

بالألف[1]، واللابث من وجُد منه اللبث، وإن قَلَّ، ونصبه حال مقدرة من الضمير في (الطَّاغِينَ) ﴿فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ جمع حُقْب: ثمانون سنة، كل يوم منها ألف سنة، وليس المراد منه عدداً محصوراً، فكلما مضى حقب، تبعه حقب، إلى غير نهاية، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود.

* * *

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ من حر ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ من عطش.

* * *

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ وهو ما بلغ نهاية الحر ﴿وَغَسَّاقًا﴾ هو الزمهرير. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم: بتشديد السين، والباقون: بتخفيفها[2].

* * *

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿جَزَآءً﴾ مصدر ﴿وِفَاقًا﴾ أي: موافقاً لسوء أعمالهم.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٨٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٨).

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾.

[٢٧] ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ ﴾ لا يخافون ﴿ حِسَابًا ﴾ لأنهم لم يصدِّقوا بالبعث.

* * *

﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ أي: تكذيباً، وهو مصدر بلغة العرب.

* * *

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ ﴾ نصب بمضمر يفسره ﴿ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴾ حال؛ أي: مكتوباً في اللوح، وهذه الآية اعتراض بين (كِذَّاباً).

* * *

﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] وقوله: ﴿ فَذُوقُوا۟ ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا جزاءكم.

﴿ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ فوق عذابكم.

* * *

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ أي: فوزاً بالبغية.

* * *

﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ ﴾ .

[٣٢] ﴿ حَدَآئِقَ ﴾ بيان ﴿ مَفَازًا ﴾ أي: بساتين عليها جدران ﴿ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ تفسير الـ(حدائق)؛ أي: فيها أنواع الأشجار المثمرة.

* * *

﴿ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ ﴾ .

[٣٣] ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ يعني: نساء قد تكعَّبت ثُدُيُهن، وهُنَّ النَّواهد.

﴿ أَتۡرَابٗا ﴾ مستوياتٍ في السن.

* * *

﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ ﴾ .

[٣٤] ﴿ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ﴾ مملوءةً.

* * *

﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ ﴾ .

[٣٥] ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا ﴾ باطلاً من الكلام ﴿ وَلَا كِذَّٰبٗا ﴾ قرأ الكسائي: بتخفيف الذال مصدر كَذَب مخففاً، وقرأ الباقون: بتشديدها[١] مصدر كذَّب مثقلاً، المعنى: لا يسمعون في الجنة باطل الكلام، ولا كلامَ من يكذب ولا يكذِّبُ صاحبه، واتفقوا على تشديد (كِذَّاباً) في الحرف المتقدم[٢] لوجود فعله معه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٤٩).

(٢) «المتقدم» ساقطة من «ت».

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ ﴾ بمقتضى وعده، ونصبه مصدر.

﴿ عَطَآءً ﴾ تفضُّلاً منه، وهو بدل من (جَزَاءً).

﴿ حِسَابًا ﴾ كافياً، ومنه: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: حسبي، ونصبه صفة.

* * *

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبُّ) بالرفع على الاستئناف، و﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ خبره، وقرأ ابن عامر، وعاصم، ويعقوب: (رَبِّ) بالخفض إتباعاً لقوله: (مِنْ رَبِّكَ)، وقرؤوا أيضاً (الرحمن) بالخفض إتباعاً لقوله: (رَبِّ السَّمَوَاتِ) وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (رَبِّ) بالخفض؛ لقربه من قوله: (جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ)، وقرؤوا: (الرَّحْمَنُ) بالرفع؛ لبعده منه على الاستئناف[1].

﴿ لَا يَمْلِكُونَ ﴾ الضمير لأهل السموات والأرض ﴿ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ أي: لا يملكون شفاعة إلا بإذنه تعالى.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤١-٥٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٠).

﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ يَوۡمَ ﴾ ظرف لـ(لاَ يَمْلِكُونَ) ﴿ يَقُومُ ٱلرُّوحُ ﴾ قال ابن عباس عن النبي ﷺ: «الرُّوحُ خَلْقٌ غيرُ الملائكةِ هم حفظة لنا»[١]، وقيل: هو جبريل عليه السلام[٢].

﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ ﴾ أي: متقابلين[٣]، ونصبه على الحال. قرأ أبو عمرو: (وَالْمَلاَئِكَة صَّفّاً) بإدغام التاء في الصاد[٤].

﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ جميع الخلائق ﴿ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ في الكلام.

﴿ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾ أي: حقاً في الدنيا، وهو الشهادة بالتوحيد.

* * *

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ الثابتُ وقوعُه، وهو يوم القيامة.

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ مرجعاً بالإيمان.

* * *

---

(١) ذكره الثعالبي في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢).

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٦١٢).

(٣) «أي متقابلين» زيادة من «ت».

(٤) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٠).

﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٤٠] ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ وهو عذاب الآخرة، وكلُّ ما هو آت قريب.

﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ ﴾ المراد بالمرء[1]: الجنس؛ أي: ينظر ثَمَّ كلُّ امرىء.

﴿ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ من خير وشر.

﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ ﴾ في الدنيا ﴿ تُرَٰبًا ﴾ ولم أر حساباً.

روي أن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة، فيقتص من بعضها لبعض، ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً، فيعود جميعها تراباً، فإذا رأى الكفار ذلك، تمنوا مثله[2]، والله أعلم.

* * *

(١) «بالمرء» ساقطة في «ت».

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سورة النازعات

مكية، وآيها: ست وأربعون آية، وحروفها: سبع مئة وثلاثة وسبعون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع وسبعون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ ﴾.

[١] ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ ﴾ الملائكة التي تَنْزِع أرواحَ الكفار.

﴿ غَرْقًا ﴾ أي: إغراقاً، وهو النزع بشدة.

* * *

﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ ﴾ الملائكة تنشط أرواح المؤمنين.

﴿ نَشْطًا ﴾ أي: تحلُّها حَلاً رفيقاً.

* * *

﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ ﴾ الملائكة بنزولها[١] كالسباحة.

﴿ سَبْحًا ﴾ مسرعين كالفرس الجواد، يقال له: سابح: إذا أسرع في جريه.

---

(١) في «ت»: «نزولها».

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ الملائكة تسبق الشياطين إلى الأنبياء.

﴿ سَبۡقٗا﴾ بالوحي، ونصبها كلها مصدر.

* * *

﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾ الملائكة وُكِّلوا بأمورٍ[1] عرفهم الله العملَ بها من تدبير أمر الدنيا ﴿ أَمۡرٗا﴾ حال؛ أي: يدبرون مأموراتٍ.

* * *

﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] أقسم الله بالمذكورات، وجواب القسم محذوف، تقديره: لَتُبعثُنَّ، وإنما حذف؛ لدلالة ما بعده عليه، وهو: ﴿ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ هي النفخة الأولى، وصفت بما يحدث بسببها؛ لأنها يرجف كل شيء ويتزلزل، ويموت كل الخلائق لشدتها.

* * *

﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ النفخة الثانية، ردفت الأولى، وبينهما أربعون سنة، فيحيا كل شيء بإذن الله سبحانه.

* * *

﴿ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ قُلُوبٞ﴾ مبتدأ ﴿ يَوۡمَئِذٖ﴾ ظرفه صفته ﴿ وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب.

---

(١) في «ت»: «أمور».

﴿ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ ﴾.

[٩] خبره ﴿ أَبْصَـٰرُهَا ﴾ أبصارُ أربابِ القلوب ﴿ خَـٰشِعَةٌ ﴾ ذليلة؛ لهول ما ترى.

* * *

﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ يَقُولُونَ ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار استهزاءً وإنكاراً للبعث: ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾ أي: نعود بعد الموت أحياء؟! والحافرة: اسم لابتداء الأمر وأوله، ومنه: رجع فلان في حافرته: إذا رجع من حيث جاء.

* * *

﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ ﴾.

[١١] ثم زادوا إنكار البعث استبعاداً، فقالوا: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴾ بالية، العامل في (أَئِذَا) محذوف؛ أي: أنبعث؟ واختلف القراء في (أَئِنَّا) (أَئِذَا)، فقرأ أبو جعفر: (إِنَّا) بالإخبار (أَئِذَا) بالاستفهام، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب: (أَئِنَّا) بالاستفهام، (إِذَا) بالإخبار، وقرأ الباقون: بالاستفهام فيهما[١]، فكل من استفهم، فهو على أصله من تحقيق الهمزتين والتسهيل وإدخال الألف كما تقدم في سورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، ورويس:

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٣_٣٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٥).

(نَاخِرَةً) بألف بعد النون، والباقون: بغير ألف[1]، وهما لغتان معناهما واحد؛ مثل: حَذِر، وحاذِر.

* * *

﴿ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ قَالُوا۟ ﴾ أي: منكرو البعث: ﴿ تِلْكَ ﴾ أي: رجعتُنا هذه.

﴿ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ باطلة ذات خسران؛ أي: إن صح أنا نبعث، فلنخسرنَّ.

* * *

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] قال الله عز وجل ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ ﴾ يعني: الرادفة التي يعقبها البعث.

﴿ زَجْرَةٌ ﴾ صيحة ﴿ وَٰحِدَةٌ ﴾ لا تكرر؛ لشدتها.

* * *

﴿ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] فإذا نفخت ﴿ فَإِذَا هُم ﴾ كلُّ الخلائق.

﴿ بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ بوجه الأرض أحياءً بعدما كانوا ببطنها أمواتاً.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٦)، قال ابن مجاهد: كان الكسائي لا يبالي كيف قرأها بألف أم بغير ألف.

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ ﴾.

[١٥] ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ ﴾ أي: قد جاءك يا محمد ﴿ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ أمال رؤوسَ الآي من قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ) إلى آخر السورة: ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، ووافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختص الكسائي دونهما بإمالة (دَحَاهَا)[١].

***

﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ﴾.

[١٦] ﴿ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ تقدم تفسير نظيره واختلاف القراء فيه في سورة (طه)، وكذا اختلافهم هاهنا، والواد المقدس: وادٍ بالشام، قال منذر بن سعيد: هو بين المدينة ومصر.

***

﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ ﴾.

[١٧] ﴿ ٱذۡهَبۡ ﴾ أي: قيل له: اذهب ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ تجاوز الحدَّ في الكفر.

***

﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ ﴾ أي: أدعوك ﴿ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر،

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/٥٦).

وابن كثير، ويعقوب: بتشديد الزاي، والباقون: بتخفيفها[1]، ومعناهما التطهُّرُ من النقائص، والتلبُّسُ بالفضائل.

* * *

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ثم أمر موسى بأن يفسر له التزكي الذي دعاه إليه بقوله: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: أدلك على معرفته بالبرهان.

﴿فَتَخْشَىٰ﴾ الله تعالى، والعلم تابع للهدى، والخشية تابعة للعلم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

* * *

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قلبَ العصا حيةً، واليد بيضاءَ[2]، ووُحِّدَتا؛ لأنهما في حكم آية واحدة.

* * *

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ أنها[3] من الله ﴿وَعَصَىٰ﴾ ربَّه بعد ظهور الآية.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٤٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٥٨ـ٥٩).

(٢) في «ت»: «البيضاء».

(٣) في «ت»: «بأنها».

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

[٢٢] ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ عند رؤية الثعبان رعباً، وقيل: معناه: أدبر عن الإيمان يسعى في الأرض فساداً.

* * *

﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

[٢٣] ﴿ فَحَشَرَ ﴾ جمع قومه ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ فيهم.

* * *

﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

[٢٤] ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ لا ربَّ فوقي.

* * *

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

[٢٥] ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ﴾ أي: عقوبةَ ﴿ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ أخذاً منكلاً في الدنيا بالإغراق، وفي الآخرة بالإحراق، وقال ابن عباس: «نَكالَ كلمتيه[١] الآخرة: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، والأولى: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]، وكان بينهما أربعون سنة»[٢].

* * *

---

(١) أي: كلمتا فرعون.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٠).

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

[٢٦] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ الذي فُعل بفرعون ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ عظةً ﴿ لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ اللهَ عز وجل .

* * *

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

[٢٧] ثم خاطب منكري البعث فقال : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ أصعبُ خلقاً .

﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ مبتدأ محذوف الخبر ؛ أي : أم السماء أشدُّ؟ واختلاف القراء في الهمزتين من (أَأَنْتُمْ) كاختلافهم فيهما من ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ في سورة الأنبياء ، ثم وصف خلق السماء فقال : ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ .

* * *

﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

[٢٨] ثم بين البناء فقال : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ والسمكُ : الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها .

﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ جعلها مستوية بلا عيب .

* * *

﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

[٢٩] ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أي : أظلمه ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾ أبرز نورَ شمسها ، وأضيف الليل والشمس إلى السماء ؛ لأن الليل ظلها ، والشمس سراجها .

* * *

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بعد خلق السماء، ونصب (وَالأَرْضَ) بمضمر[١] يفسره ﴿ دَحَىٰهَآ ﴾ بسطها للسكنى.

قال ابن عباس: «خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك»[٢].

* * *

﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ثم فسر البسط فقال: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا ﴾ بتفجير عيونها ﴿ وَمَرْعَىٰهَا ﴾ أي رِعْيَها ـ بكسر الراء ـ، وهو الكلأ، ونسب الماء والمرعى إلى الأرض من حيث هما منها يظهران.

* * *

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَٱلْجِبَالَ ﴾ نصب بمضمر يفسره ﴿ أَرْسَىٰهَا ﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن.

* * *

﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ أي: منفعة تنتفعون بها أنتم ومواشيكم،

---

(١) في «ت»: «بفعل».

(٢) رواه الطبري في تفسيره» (٣٠/ ٤٥). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٠).

ونصب (متاعاً) بمعنى قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ لأن معناه: أمتع بذلك.

* * *

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾.

[٣٤] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ الداهية العظمى؛ يعني: صيحة القيامة؛ لطُمومها كلَّ هائلة من الأمور، فتعلو فوقها، والطامة عند العرب: الداهية التي لا تستطاع.

* * *

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾.

[٣٥] وتبدل من ﴿فَإِذَا جَآءَتِ﴾ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ عملَ في الدنيا من خير وشر.

* * *

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾.

[٣٦] ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أُظهرت ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ لمن يجب له دخولُها.

* * *

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾.

[٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ في كفره.

* * *

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

[٣٨] ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخرة باتباع الشهوات.

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٣٩] ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ أي: مأواه، والهاء عوض عنها بالألف واللام.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ أي: مقامه بين يدي ربه للحساب.

﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ ﴾ الأمارة بالسوء ﴿ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ ما تهواه من اتباع الشهوات المحرمة.

* * *

﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ ليس له سواها مأوى.

* * *

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ متى ظهورها؟ من مرسى السفينة، وهو حيث تنتهي إليه، وتستقر فيه.

* * *

﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

[٤٣] روي أنه ﷺ لم يزل يسأل عن الساعة حتى نزل: ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن

ذِكۡرَىٰهَآ﴾[1] أي: من ذكر تحديدها؛ أي: لست من ذلك في شيء، وليس عندك علمُها.

***

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤﴾.

[٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ منتهى علمها متى يكون، لا يعلمه غيره تعالى.

***

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ مخوِّف من يخشى القيامة ومن لا يخشاها، فاختص بمن يخشاها؛ مدحاً لهم؛ لأن الإنذار يؤثر فيمن يخشاها، ولا يؤثر فيمن لا يخشاها؛ كقوله: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥]، معناه: ومن لا يخافُ وعيد. قرأ أبو جعفر: (مُنْذِرٌ) بالتنوين، والباقون: بغير تنوين[2].

***

﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾.

[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ يعني: كفار مكة ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا﴾ يعاينون القيامة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣١٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وفي الباب من حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه وغيره. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٥٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٦٧).

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا، أو في القبور.

﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: عشية اليوم[1]، أو ضحى العشية، وهو بكرة ذلك اليوم، فأضاف الضحى إلى العشية من حيث هما طرفان للنهار، وقد بدأ بذكر أحدهما، فأضاف الآخر إليه تجوزاً وإيجازاً، والله أعلم.

* * *

(١) في «ت»: «يوم».

سورة عبس

مكية، وآيها: أربعون وآيتان[1]، وحروفها: خمس مئة وستة وثلاثون حرفاً، وكلمها: مئة وثلاث وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾.

[١] روي أن ابن أم مكتوم ـ واسمه عبد الله بن شريح بن مالك الفهري من بني عامر بن لؤي، وكان أعمى ـ أتى رسولَ الله ﷺ وعنده صناديدُ قريش يدعوهم إلى الإسلام، فقال ابن أم مكتوم: «يا رسول الله! علِّمني مما علَّمك الله»، وكرر ذلك، ولم يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه، وعبس وجهه، وأعرض عنه، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزل قوله تعالى: ﴿عَبَسَ﴾[2] كَلَح ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض بوجهه.

* * *

(١) في «ت»: «أربعون آية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٩).

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ .

[٢] ﴿أَن جَآءَهُ﴾ أي: لأن جاءه ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال: «مَرْحباً بمن عاتبني فيه ربي»، وبسط له رداءه، ويقول: «هل لك من حاجة؟»، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما، وفوض إليه أمر التأذين، قال أنس بن مالك: «رأيته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سوداء»(١).

* * *

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ .

[٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يجعلك دارياً.

﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ يتطهر من الذنوب بما يسمع منك.

* * *

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ .

[٤] ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتّعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ العظةُ التي سمعها منك. قرأ عاصم: (فَتَنْفَعَهُ) بنصب العين على جواب التمني؛ لأن قوله: (أَوْ يَذَّكَّرُ) في حكم قوله: (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى)، وقرأ الباقون: بالرفع عطفاً على (يَذَّكَّرُ)(٢).

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٣)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ٢١٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٢ـ٧٣).

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ ﴾.

[٥] ثم أكد تعالى عتب نبيه محمد ﷺ بقوله: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾ عن الله، وعن الإيمان؛ بما له من المال.

* * *

﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: (تَصَّدَّى) بتشديد الصاد؛ أي: تتصدى، وقرأ الباقون: بالتخفيف على الحذف[١]؛ أي: تتعرض له، وتُقبِلُ عليه.

* * *

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾.

[٧] ثم قال تعالى محقراً لشأن الكفار: ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ ألا يؤمنوا[٢]؛ أي: وما يضرك أن لا يفلح؟ إن عليك إلا البلاغ، وهذا حض على الإعراض عن أمرهم، وترك الاكتراث بهم.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ ﴾.

[٨] ثم قال مبالغاً في العتب: ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴾ يسرع طالباً للخير.

* * *

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) في «ت»: «ألا يؤمن».

﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ اللهَ تعالى.

* * *

﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ تَشاغلُ وتُعرض عنه. قرأ البزي: (عَنْه تَّلَهَّى) بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[١]، وأمال رؤوس الآي من أول السورة إلى (تلَهَّى): ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، وقرأ الباقون: بالفتح[٢].

روي أن رسول الله ﷺ بعد نزولها ما عبس في وجه فقير قط، ولا تصدى لغني[٣]، فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون في تقريب الضعيف من أهل الخير، وتقديمه على الشريف العاري من الخير، بمثل ما خوطب النبي ﷺ في هذه السورة، وهذه الآيات ليس فيها إثبات ذنب له عليه السلام، بل إعلام الله أن ذلك المتصدَّى له ممن لا يتزكى، وفعل النبي ﷺ لما فعل وتصدِّيه لذلك الكافر كان طاعة لله، وتبليغاً عنه واستئلافاً له كما شرعه الله، لامعصية ومخالفة له.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٥).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٤).

(٣) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٧٠٢).

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴾ .

[١١] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردع على[١] المعاتبَ عليه، وعن معاودة مثله ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي: آيات القرآن ﴿ تَذۡكِرَةٞ ﴾ موعظة.

* * *

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ .

[١٢] ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ يتضمَّن وعداً ووعيداً على نحو قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل: ١٩] و﴿ مَـَٔابًا ﴾ [النبأ: ٣٩].

* * *

﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴾ .

[١٣] ثم أخبر عن جلالته عنده فقال: ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴾ يعني: اللوح المحفوظ.

* * *

﴿ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴾ .

[١٤] ﴿ مَّرۡفُوعَةٖ ﴾ رفيعةِ القدر عند الله ﴿ مُّطَهَّرَةِۭ ﴾ من أيدي الشياطين.

* * *

﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴾ .

[١٥] ﴿ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴾ كَتبَةٍ، وهم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافِر.

---

(١) في «ت»: «عن».

﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾ .

[١٦] ثم أثنى عليهم فقال: ﴿ كِرَامٍ ﴾ أي: على الله ﴿ بَرَرَةٍ ﴾ مطيعين، جمع بارّ.

***

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ ﴾ .

[١٧] ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ لُعن الكافرُ ﴿ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ بنعم الله تعالى مع إحسانه إليهْ على طريق التعجب، نزلت في عتبة بن أبي لهب(١).

***

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ ﴾ .

[١٨] ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ لفظه استفهام، ومعناه التقرير.

***

﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ﴾ .

[١٩] ثم فسر فقال: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ أطواراً: نطفة، ثم علقة، إلى آخر خلقه.

***

﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ﴾ .

[٢٠] ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ ﴾ نصب بمضمر يفسره ﴿ يَسَّرَهُۥ ﴾ بيَّنَ له سبيلَ الخير والشر.

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة، كما ذكر السيوطي في «لباب النقول» (ص: ٢٢٧). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٥٥)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٣٨).

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ جعله في قبر يستره، قبرته: دفنته.

***

﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ ﴾ بعدَ القبر ﴿ أَنشَرَهُۥ ﴾ أحياه. واختلاف القراء في الهمزتين من (شَاءَ أَنْشَرَهُ) كاختلافهم فيهما من (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ) في سورة الحج [الآية: ٦٥].

***

﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ كَلَّا ﴾ رد[١] لما عسى أن يكون للكفار من الاعتراضات في هذه الأقوال المسرودة ﴿ لَمَّا ﴾ أي: لم ﴿ يَقْضِ ﴾ الإنسان ﴿ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ ما فرض عليه، نفي مؤكِّد لطاعة الإنسان لربه، وإثبات أنه تركَ حقَّ الله، ولم يقض أمره.

***

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ فليتفكر عُتْبَةُ في أول طعامه الذي يأكله كيف يصير في آخره من حال إلى حال، فكذلك يتفكر في حياته، ثم في آخرها كيف يصير من حال إلى حال.

---

(١) «رَدٌّ» زيادة من «ت».

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ .

[٢٥] ثم بين تحويله فقال: ﴿أَنَّا﴾ قرأ الكوفيون: (أَنَّا) بفتح الهمزة على نية تكرير الخافض، مجازه: فلينظر إلى أَنَّا، وافقهم رويس عن يعقوب وصلاً، وقرأ الباقون: بكسر الهمزة على الاستئناف، وافقهم رويس في الابتداء(١).

﴿صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ من السماء؛ يعني: المطر.

* * *

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ .

[٢٦] ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ بالنبات.

* * *

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ .

[٢٧] ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير مما يتغذى به.

* * *

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ .

[٢٨] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ وهو القَتُّ الرطبُ؛ وسمي به؛ لأنه يُقضب مرة بعد مرة؛ أي: يقطع، واختلف في تفسير القت، فقيل: هو حب الغاسول، وهو

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٧٦).

الأشنان، وقيل: هو حب يابس أسود، يُدفن فيلين قشره، ويزال، ويطحن ويخبز، يقتاته أعراب طيء[1].

* * *

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾﴾.

[٢٩] ﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو ما يُعصر منه الزيت ﴿وَنَخْلًا﴾ جمع نخلة.

* * *

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾.

[٣٠] ﴿وَحَدَآئِقَ﴾ بساتين ﴿غُلْبًا﴾ غلاظ الأشجار، واحدها أغلب.

* * *

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾.

[٣١] ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ يريد: ألوان الفواكه ﴿وَأَبًّا﴾ هو ما ترعاه البهائم.

* * *

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

[٣٢] ﴿مَّتَٰعًا﴾ مصدر؛ أي: منفعة ﴿لَّكُمْ﴾ يعني: الفاكهة.

﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ يعني: العشب.

* * *

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾.

[٣٣] ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ صيحة القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تصخ الأسماع؛ أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تُصِمُّها، وهي النفخة الثانية.

---

(١) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (٢/ ٢٣٢)، وعنه نقل المصنف رحمه الله.

﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ ﴾.

[٣٤] ثم بين وقتها فقال: ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴾.

* * *

﴿ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ ﴾.

[٣٥] ﴿ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴾.

* * *

﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾.

[٣٦] ﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ لاشتغاله بنفسه، وعلمِه أنهم لا ينفعونه.

* * *

﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

[٣٧] ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ ﴾ أي: حال.

﴿ يُغۡنِيهِ ﴾ يَشْغَلُه عن الاهتمام بشأن غيره.

* * *

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ﴾.

[٣٨] ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴾ مضيئة من أثر الوضوء.

* * *

﴿ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ ﴾.

[٣٩] ﴿ ضَاحِكَةٞ ﴾ بالسرور ﴿ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴾ فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل.

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

[٤٠] ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ غبار .

***

﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ .

[٤١] ﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ تعلوها ظلمة كالدخان مع الغبرة .

***

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

[٤٢] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين يُصنع بهم هذا ﴿ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ الذين جمعوا إلى الكفر الفجور، وهو الفسق، فلذلك يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، ولا شيء أقبح من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، والله أعلم .

* * *

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

مكية، وآيها: تسع وعشرون آية، وحروفها: أربع مئة وخمسة وعشرون حرفاً، وكلمها: مئة وأربع كلمات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾.

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ﴾ رفع بفعل يفسره ﴿كُوِّرَتْ﴾ أي: أظلمت، وأصل التكوير: جمعُ بعض شيء إلى بعض، ثم يلف، فإذا فعل بها ذلك، ذهب ضوءها.

* * *

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ تناثرت من السماء، وتساقطت على الأرض، وذلك لأن النجوم معلقة بالسلاسل، والسلاسل في أيدي الملائكة، فإذا مات مَنْ في السماء والأرض، تساقطت تلك السلاسل من أيدي الملائكة، ثم سقطت النجوم وتناثرت.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ ذُهب بها عن وجه الأرض .

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ ﴾ الحواملُ من الإبل التي أتى عليها عشرة أشهر، واحدتها عُشَراء ﴿ عُطِّلَتْ ﴾ تُركت هَمَلاً بلا راع .

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ ﴾ كلُّ دوابِّ الأرض(١) ﴿ حُشِرَتْ ﴾ جُمعت بعدَ البعث؛ ليقتص بعض من بعض، فإذا اقتص منها، صارت تراباً .

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (سُجِرَتْ) بتخفيف الجيم، والباقون: بتشديدها(٢)؛ أي: أُوقدت وصارت ناراً تضطرم .

* * *

---

(١) في «ت»: «البحر» .

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٠)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨١) .

﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ قُرنت بأشكالها.

روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين[١] الرجل السوء مع الرجل السوء في النار»[٢]. قرأ أبو عمرو: (النُّفُوس زُّوِّجَتْ) بإدغام السين في الزاي في هذا الحرف لا غير[٣].

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ ﴾ هي البنت تُدفن حيةً؛ سميت بذلك؛ لما يُطرح عليها من التراب فيؤودها؛ أي: يثقلها حتى تموت، وكان العرب يفعلون ذلك مخافة العار والحاجة ﴿ سُئِلَتْ ﴾ تبكيتاً لقاتلها.

* * *

﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ لم وُئدت؟ فتقول: قُتلت بغير ذنب. قرأ أبو جعفر: (قُتِّلَتْ) بتشديد التاء، والباقون: بتخفيفها[٤].

---

(١) «بين» زيادة من «ت».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٤). وانظر: «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٢).

(٣) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨١).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري =

﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ ﴾ صحفُ الأعمال ﴿ نُشِرَتْ ﴾ فُتحت وبُسطت، فتقع صحيفة المؤمن في يده فيها مكتوب: ﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾، وتقع صحيفة الكافر في يده فيها مكتوب: ﴿ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴾. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب: بتخفيف الشين، والباقون: بتشديدها.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ نُزعت عن أماكنها، وطُويت.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن ذكوان عن ابن عامر، وحفص عن عاصم، ورويس عن يعقوب: (سُعِّرَتْ) بتشديد العين، والباقون: بتخفيفها؛ بخلاف عن أبي بكر راوي عاصم[١].

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ قُرِّبت للمتقين ليدخلوها.

= (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٤).

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] فذكر الله سبحانه اثني عشر شيئاً، وقال: إذا وقعت هذه الأشياء، فهنالك ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ أي: كلُّ النفوس ﴿ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ من خير وشر.

* * *

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ (لا) زائدة، معناه: أقسم ﴿ بِٱلْخُنَّسِ ﴾ الرواجع، جمع خانسة وخانس.

* * *

﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ونعت (الخنس) ﴿ ٱلْجَوَارِ ﴾ السيارة. قرأ يعقوب: (الْجَوَارِي) بإثبات الياء وقفاً، وأمال فتحة الواو: الدوري عن الكسائي[١] ﴿ ٱلْكُنَّسِ ﴾ الغُيَّب، نعت (الْجَوَارِ)، وأصل الخنوس: الرجوع إلى خلف، والكنوس: الاستتار، المراد بها: النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، و[٢]سميت بذلك؛ لأنها تخنس؛ أي: ترجع في مجراها؛ وتكنس[٣]: أي: تستتر بضوء الشمس كما تستتر الظباء في كنسها؛ أي: بيوتها.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/١٣٨)، وذكر الإمالة الدمياطي في «إتحاف فضلاء البشر» (ص: ٤٣٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٥).

(٢) «و» ساقطة من «ت».

(٣) «وتكنس» زيادة «ت».

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ أقبل بظلامه .

* * *

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ انتشر ضوءه بطلوع الفجر ، فشبه ذلك بالتنفس مجازاً .

* * *

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] وجواب القسم : ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي : القرآنَ ﴿ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ على الله ، وهو جبريل عليه السلام ، وأضيف القول إليه ؛ لأنه قاله عن الله سبحانه .

* * *

﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

[٢٠] ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ أي : شديد القوى ﴿ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ ﴾ أي : عند الله .

﴿ مَكِينٖ ﴾ في المنزلة .

* * *

﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ ﴾ .

[٢١] ﴿ مُّطَاعٖ ثَمَّ ﴾ أي : في السموات ، يطيعه الملائكة ، ومن طاعتهم أنهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ ، وطاعة

جبريل فريضة على أهل السموات، كما أن طاعة محمد ﷺ فريضة على أهل الأرض ﴿أَمِينٍ﴾ على الوحي.

* * *

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ خطاب لأهل مكة، وهو أيضاً من جواب القسم، أقسم على أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ﷺ ليس كما يقوله أهل مكة، وذلك أنهم قالوا: إنه مجنون، وما يقوله من عند نفسه.

* * *

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى محمد جبريل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ على صورته التي خُلق عليها. قرأ ورش[1]، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم، وابن ذكوان عن ابن عامر بخلاف عنه: (رَآكَ) و(رَآهُ) و(رَآهَا) بإمالة الهمزة والراء، وأمال الدوري عن أبي عمرو الهمزة بخلاف عنه، وأمال السوسي الراء، وقرأ الباقون: بالفتح فيهما[2] ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ مطلع الشمس الأعلى من ناحية المشرق.

* * *

---

(١) «ورش» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٥).

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: ما غاب عن أهل الأرض من خبر السماء ﴿بِضَنِينٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس عن يعقوب: (بِظَنِينٍ) بالظاء؛ أي: بمتَّهَم، وقرأ الباقون: بالضاد؛ أي: ببخيل بالدعاء به، ورسمُها بالضاد في جميع المصاحف[1].

* * *

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾ مسترِقٍ للسمع ﴿رَّجِيمٍ﴾ مرجومٍ بالكواكب.

* * *

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

[٢٦] ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ توقيف وتقرير على معنى: أين المذهب لأحد عن هذه الحقائق؟

* * *

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

[٢٧] ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآنُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ عظة للخلق أجمعين.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٨ـ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٦).

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾.

[٢٨] وتبدل من ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ باتباع الحق، وخصص من يشاء الاستقامة بالذكر؛ تشريفاً وتنبيهاً منهم، وذكراً لتكسبهم أفعال الاستقامة.

* * *

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾.

[٢٩] ولما نزلت هذه الآية، قال المشركون: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾[١] الاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لأن المشيئة في التوفيق إليه ﴿رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مالكُ الخلائق.

في الحديث: «يا بنَ آدم! تريدُ وأريدُ، فتتعبُ فيما تريد، ولا يكونُ إلا ما أُريد»[٢]، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٨٤)، عن سليمان بن موسى. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٤٥) دون التصريح أو التلميح إلى أنه حديث أو أثر، وإنما ذكره بياناً وإيضاحاً، ومثالاً مناسباً فمعنى الآية. وقد نقله المؤلف هنا على أنه حديث، والعصمة من الله وحده.

سُورَةُ الانفِطَار

مكية، وآيها: تسع عشرة آية، وحروفها ثلاث مئة وسبعة وعشرون حرفاً، وكلمها: إحدى وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾.

[١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقَّتْ، وتشقُّقها على غير نظام مقصود، إنما هو انشقاق لتزول بنيتها.

* * *

﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ تساقطت من مواضعها التي هي فيها.

* * *

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُتح بعضُها إلى بعض، عذبُها ومِلْحُها، فصارت بحراً واحداً.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ بُحثت وأُخرج ما فيها من الموتى، وهذه أوصاف يوم القيامة.

* * *

﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] وجواب (إذا): ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ و(نفسٌ) هاهنا اسمُ جنس، وإفرادها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها، إلا من رحم الله تعالى ﴿ مَّا قَدَّمَتْ ﴾ في حياتها من عمل صالح أو سيىء.

﴿ وَأَخَّرَتْ ﴾ مما سَنَّتْه فعُمل به بعد موتها.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ثم خاطب تعالى جنس ابن آدم، فوقفه على جهة التوبيخ والتنبيه على أي شيء أوجب أن يغتر بربه الكريم فيعصيه، ويجعل له نداً، وغير ذلك من أنواع الكفر، وهو الخالق الموجِدُ بعدَ العدم، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ ﴾ أي: ما دعاك إلى الاغترار.

﴿ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ روي أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ فقال: «جَهْلُهُ»(١)، وهذا يترتب في الكافر.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٦)، عن صالح بن مسمار بلاغاً. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٤٨)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزمخشري (٤/ ١٦٧).

وفي العاصي: روي أن الله سبحانه إنما ذكر الكريم من بين سائر أسمائه، كأنه لقنه الإجابة حتى يقول: غرني كرمُ الكريم، فهذا من لطف الله بعباده العصاة المؤمنين[1].

* * *

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾.

[٧] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ بعدَ أنْ لم تكن شيئاً ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ بأن سوى أعضاءك، وركب فيك العقل، وأنطق لسانك[2].

﴿فَعَدَلَكَ﴾ قرأ الكوفيون: بتخفيف الدال؛ أي: صرفَكَ وأمالك إلى ما شاء، وقرأ الباقون: بالتشديد[3]، أي: قوَّمَك وجعلك معتدلَ الخَلْق والأعضاء.

* * *

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾.

[٨] ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ أي: في قبيحة أو حسنة، أو مشوهة أو سليمة، ونحو هذا.

* * *

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٦٨) عن بعض أهل الإشارة.

(٢) «لسانك» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٨٩ـ٩٠).

﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ كَلَّا ﴾ ردٌّ على سائر أقوالهم، وردعٌ عنها. **قرأ** أبو عمرو، ورويس بخلاف عنه: (رَكَّبَك كَّلاَّ) بإدغام الكاف، في الكاف، والباقون: بالإظهار[(١)].

﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ بالحساب، أثبت لهم تكذيبهم بالدين، وهذا الخطاب عام، ومعناه الخصوص. **قرأ** أبو جعفر: (يُكَذِّبُونَ) بالغيب، والباقون: بالخطاب، ومنهم: حمزة، والكسائي، وهشام يدغمون اللام في التاء[(٢)].

* * *

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ رقباء من الملائكة.

* * *

﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ يكتبون أعمال بني آدم، و[(٣)]وصفهم بالكرم الذي هو نفيُ المذامِّ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٠).

(٣) «و» زيادة من «ت».

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وتقولون ؛ لمشاهدتهم حالَكم .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ ﴾ جمعَ برّ، وهو الذي قد اطَّرد بِرُّهُ عموماً، فبرَّ ربَّه في طاعته إياه، وبرَّ أبويه، وبرَّ الناس في جلب ما استطاع من الخير لهم، وغير ذلك ﴿ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ .

* * *

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ ﴾ يعني : الكفار ﴿ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ بيان لما يكتبون لأجله .

* * *

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ ﴾ .

[١٥] ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يباشرون حرها بأبدانهم ﴿ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ هو يوم الجزاء .

* * *

﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ لا بدَّ من دخولهم إياها .

* * *

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ثم فخم شأن يوم الدين فقال: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾.

* * *

﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ثم كرر تعجباً لشأنه فقال: ﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ والخطاب للنبي ﷺ.

* * *

﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ يَوۡمَ ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: (يَوْمُ) برفع الميم على معنى: هو يوم، وقرأ الباقون: (يَوْمَ) بالنصب على الظرف(١)، والمعنى الجزاءُ يومَ.

﴿ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ من المنفعة ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ إخبار منه تعالى بضعف الناس(٢) يومئذ، وأنه لا يُغني بعضهم عن بعض، وأن الأمر له ـ تبارك وتعالى ـ كما هو له في الدنيا، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٦٩)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩١).

(٢) «الناس»: ساقطة من «ت».

سورة المطففين

مدنية، وقيل: مكية، وعن ابن عباس: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ لأنهم كانوا أشدَّ الناس فساداً؛ أي: في هذا المعنى، فأصلحهم الله بهذه السورة[1]، وآيها: ست وثلاثون آية، وحروفها: سبع مئة وأربعون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع وستون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾.

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ معناه: الثبور والحزن والشقاء الأدومُ، ورفعه على الابتداء، المعنى: ثبت الويل واستقر ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الباخسين في الكيل والوزن.

* * *

﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾.

[٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: منهم، و(مِنْ) و(عَلَى) يتعاقبان.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيلَ والوزنَ.

* * *

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٤٣١).

﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ أي: كالوا أو وزنوا للناس.

﴿ يُخْسِرُونَ ﴾ يُنقصون الكيل والوزن.

* * *

﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ثم أدخل همزة الاستفهام على (لاَ) النافية توبيخاً، وليست (أَلاَ) هذه تنبيهاً؛ لأن ما بعد تلك مثبت، وهذا نفي؛ لأن (أَلا) التنبيهية إذا حُذفت لا يختل المعنى؛ نحو: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾[١] [الصافات: ١٥١] وإذا حذفت (أَلاَ) هذه، اختل المعنى، فقال:

﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ أي: يتحقق ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المطففون ﴿ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾.

* * *

﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هو يوم القيامة، فيُسألون عن كيلهم ووزنهم.

* * *

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ ﴾ من قبورهم ﴿ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأجل أمره تعالى، و(يَوْمَ) منصوب بـ(مَبْعُوثُونَ)، وهذا مما يؤيد أنها نزلت بالمدينة في قوم مؤمنين، وأُريد بها مع ذلك من غَبَرَ من الأمة.

---

(١) في «ت»: «ألا إنهم في سكرتهم يعمهون». قلت: وهو خطأ، وإنما يريد قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ كَلَّآ ﴾ جميع ما في هذه السورة يجوز أن يكون رداً؛ أي: ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا، وتمام الكلام هاهنا، ويحتمل أن يكون استفتاحاً بمنزلة (ألا)، فيتصل بما بعده على معنى: حقاً.

﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾ ما يكتب من أعمالهم.

﴿ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ هي الأرض السابعة، فيها أرواح الكفار توضع فيه إهانة لهم. قرأ أبو عمرو: (كِتَابَ الْفُجَّار لَّفِي) بإدغام الراء في اللام[١].

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ ﴾ .

[٨] ثم فخم شأنه، فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ أي: أيُّ شيء أعلمك.

﴿ مَا سِجِّينٌ ﴾؟ ليس مما كنت تعلمه.

* * *

﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ ﴾ .

[٩] ثم بين الكتابَ فقال: ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ أي: هو كتاب.

﴿ مَّرْقُومٌ ﴾ مسطور فيه أعمالُهم، لا ينسى ولا يمحى، حتى يُجَازوا به.

* * *

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالحق.

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٦).

﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الجزاء، صفةٌ ذامة .

* * *

﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ ﴾ هو الذي يتجاوز حدود الأشياء .

﴿ أَثِيمٍ ﴾ مبالغة من[١] آثم . روي عن قنبل، ويعقوب : الوقف بالياء على (مُعْتَدِي) .

* * *

﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ جمع أُسْطُورَة، وهي الحكايات التي سُطِرتَ قديماً .

* * *

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ ﴾ غطَّى ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ وركبَها كركوب الصدأ الحديد .

﴿ مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ من المعاصي والذنوب. **قرأ** حفص عن عاصم : (بَلْ) بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة، ويبتدىء (رَانَ)، **وقرأ** الباقون : بإدغام اللام في الراء، ومنهم : حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم : يميلون فتحة الراء[٢] .

---

(١) في «ت» : «في» .

(٢) انظر : «السبعة» لابن مجاهد (ص : ٦٧٥)، و«الكشف» لمكي (١/ ١٨٢)، =

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ المؤمنَ إذا أذنب، كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تابَ ونزعَ، واستغفرَ، صُقِلَ قلبُه منها، وإذا زاد، زادت حتى تعلوَ قلبَه، فذلكم الرانُ الذي ذكرَ اللهُ في كتابِه»(١).

* * *

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾.

[١٥] ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ ﴾ يعني: الكفار ﴿ عَن رَّبِّهِمۡ ﴾ أي: عن رؤية ربهم.

﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ فمن قال بالرؤية، وهو قول أهل السنة، وعليه اتفاق الأئمة، قال: إن هؤلاء لا يرون ربهم، فهم محجوبون عنه، واحتج بهذه الآية الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ على مسألة الرؤيا من جهة دليل الخطاب، وإلا، فلو حجب الكل، لما أغنى هذا التخصيص، ومن قال بأن لا رؤية، وهو قول المعتزلة، قال في هذه الآية: إنهم محجوبون عن رحمة ربهم وغفرانه.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ ليلة أربع عشرة من الشهر، فقال: «إنَّكم سترونَ رَبَّكُم كما ترونَ هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته»(٢).

= و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٦).

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥١)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، كتاب: الزهد، باب: ذكر الذنوب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

وتقدم كلام الأئمة الأربعة في ذلك في سورة الأنعام.

* * *

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦)﴾.

[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ بعد ذلك ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ مباشرو حَرِّ النار دون حائل.

* * *

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾.

[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ أي: يقول لهم الزبانية توبيخاً: ﴿هَذَا﴾ العذابُ.

﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

* * *

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨)﴾.

[١٨] ولما ذكر تعالى كتاب الفجار، عقب ذلك بذكر كتاب ضدهم؛ ليبين الفرق، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ جمع بَرّ، وتقدم تفسيره في أواخر السورة التي قبل هذه. قرأ أبو عمرو، والكسائي، وخلف: (الأَبْرَارِ) بالإمالة، ورواه ورش عن نافع بين بين، واختلف فيه عن حمزة وابن ذكوان، فروي عن الأول: الإمالة، وبين بين، وعن الثاني: الإمالة، والفتح، وقرأ الباقون: بالفتح، وأبو عمرو على أصله بإدغام الراء في اللام(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٩٦/٨).

﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ في السماء السابعة تحت العرش.

قال بعض أهل المعاني: علو بعد علو، وشرف بعد شرف، ولذلك جمعت بالياء والنون[1].

* * *

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾.

[١٩] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ تقديره: وما أدراك ما في عليين؟ على التعظيم.

* * *

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ثم بين فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب، وليس بتفسير (عِلِّيِّينَ).

قال ابن عباس: «عملُهم مكتوبٌ في لوح من زَبَرْجَدٍ أخضرَ معلَّقٍ تحتَ العرش»[2].

* * *

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ﴾ يحضره ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وهم سبعة أملاك من مقربي السماء، من كل سماء ملك مقرب، فيحضره ويشيعه حتى يصعد به إلى ما يشاء الله، ويكون هذا في كل يوم.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٥٥).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٧٦).

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾.

* * *

﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

[٢٣] ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ هي السُّرر في الحِجال، وتقدم في سورة (يٓس).

﴿ يَنظُرُونَ ﴾ إلى ما يسرهم، وإلى الكفار في النار كيف يعذبون.

* * *

﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ بهجةَ التنعيم. قرأ أبو جعفر، ويعقوب: (تُعْرَفُ) بضم التاء وفتح الراء مجهولاً، ورفع (نَضْرَةُ)، وقرأ الباقون: بفتح التاء وكسر الراء معلوماً، ونصب (نَضْرَةَ) مفعولاً[١].

* * *

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ ﴾ وهو الشراب الخالص.

﴿ مَّخْتُومٍ ﴾ على إنائها، فلا يَفُكُّ ختمَهُ إلا الأبرارُ.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٧٧)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٧).

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾.

[٢٦] ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ **قرأ** الكسائي: (خَاتَمُهُ مِسْكٌ[١]) بفتح الخاء وألف بعدها من غير ألف بعد التاء، أي: آخره، **وقرأ** الباقون: بكسر الخاء من غير ألف بعدها وبألف بعد التاء: اسم لما يُختم به، ولا خلاف بينهم في فتح التاء[٢].

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله، وأصله: من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس.

* * *

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧﴾.

[٢٧] ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: الرحيق ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾ شراب يُصب عليهم من علو في غرفهم، وهو أشرف شراب في الجنة.

* * *

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾.

[٢٨] ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا﴾ أي: منها ﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ صِرْفاً، ويمزج رحيقُ الأبرار بها، ونصب (عَيْناً) على الحال من (تَسْنِيمٍ).

* * *

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾.

[٢٩] ونزل في الكفار وسخريتهم بالمسلمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾

---

(١) «مسك» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٧٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٧).

اكتسبوا الجرائم ﴿ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾ استهزاءً بهم.

* * *

﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ ﴾ يعني: المؤمنين بالكفار.

﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ والغمز: الإشارة بالجفن والحاجب.

* * *

﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

[٣١] ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ ﴾ أي: الكفار[١] ﴿ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ﴾ ومنازلهم ﴿ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وحفص عن عاصم: (فَكِهِينَ) بغير ألف بعد الفاء؛ يعني: فرحين، وقرأ الباقون: بالألف؛ يعني: مُعْجَبين بما هم فيه، واختلف عن ابن عامر[٢].

* * *

﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

[٣٢] ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ ﴾ أي: رأى الكافرون المؤمنين ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المؤمنين ﴿ لَضَآلُّونَ ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

* * *

﴿ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

[٣٣] فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ ﴾ أي: الكفار.

---

(١) «أي: الكفار» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٤_٣٥٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٨).

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ يردونهم إلى مصالحهم.

* * *

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾.

[٣٤] ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إذا دخلوا الجنة.

﴿مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ كما ضحك الكفارُ منهم في الدنيا، إذا نظروا إليهم من الجنة، وهم في النار يعذبون.

* * *

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾.

[٣٥] والمؤمنون ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ من الدرِّ والياقوت ﴿يَنظُرُونَ﴾ إليهم في النار.

* * *

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾.

[٣٦] قال تعالى: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾ أي: جوزي ﴿ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ أي: جزاءَ استهزائهم بالمؤمنين، والاستفهام تقرير وتوقيف لمحمد ﷺ وأمته. قرأ حمزة، والكسائي، وهشام: (هَل ثُّوِّبَ) بإدغام اللام في الثاء، والباقون: بالإظهار(١)، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٩٨).

سورة الانشقاق

مكية، وآيها: خمس وعشرون آية، وحروفها: أربع مئة وستة وثلاثون حرفاً، وكلمها: مئة وسبع كلمات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ تفطَّرت لهول يوم القيامة، وانشقاقُها من علامات الساعة.

***

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ استمعت وسمعت أمره ونهيه[١].

﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أي: وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع خالقها.

***

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ زالت جبالها حتى لا يبقى فيها عوج وزيد في سَعَتها.

---

(١) «ونهيه» زيادة من «ت».

وفي الحديث: «إن الله تعالى يمد الأرض يوم القيامة مدَّ الأديم العكاظي»[1].

* * *

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ﴾ من الكنوز والموتى إلى ظاهرها.

﴿ وَتَخَلَّتْ ﴾ خلت عما كان فيها، ولم تتمسك منهم بشيء.

* * *

﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ ليس بتكرار الإذن[2]، الأول للسماء، والثاني للأرض، وجواب (إِذَا) محذوف؛ للتهويل بالإبهام، يدل عليه: ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ المعنى: إذا كان يوم القيامة، لقي الإنسان عمله، وقيل: هو على: اذكر إذا السماء انشقت.

* * *

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] وقيل: جوابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ مخاطبة للجنس، والفاء مضمرة؛ كأنه قال: فيا أيها الإنسان.

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥٦)، ورواه نحوه: إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٥٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٢٢)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (ص: ٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث طويل.

(٢) في «ت»: «لأن».

﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ أي: ساع باجتهاد ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ إلى وقت لقائه تعالى، وهو الموت ﴿ كَدْحًا ﴾ والكدح: جهد النفس في العمل.

﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ أي: ملاقٍ جزاءَ عملِك من خير وشر.

* * *

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ ﴾ أي: كتابَ أعماله ﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وهو المؤمن.

* * *

﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ سهلاً بلا مناقشة.

* * *

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ المؤمنين في الجنة بعد الحساب ﴿ مَسْرُورًا ﴾ بما أُعد له فيها.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ وهو الكافر تُغَلُّ يمناه، وتُخلع يسراه، وتُجعل وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

* * *

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] فإذا رأى ما فيه ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴾ ينادي هلاكه.

﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿وَيَصۡلَىٰ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، والكسائي: بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام مجهولاً؛ أي: يُدْخِلُه غيرهُ، وقرأ الباقون: بفتح الياء وإسكان الصاد وتخفيف اللام(١)؛ أي: يدخل هو ﴿سَعِيرًا﴾.

روي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة بن عبد الأسد، وفي أخيه أبي الأسود، وكان أبو سلمة من أفضل المؤمنين، وهو أول من هاجر إلى النبي ﷺ، وأخوه من عتاة(٢) الكافرين(٣).

* * *

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: لأنه ﴿كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾ عشيرته ﴿مَسۡرُورًا﴾ بَطِراً بارتكاب هواه دون معرفة الله.

* * *

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ يرجعَ إلى الله، والظن هنا على بابه بمعنى الحسبان، لا الظن الذي بمعنى اليقين والعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٢).

(٢) في «ت»: «عثاة».

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية(٥/ ٤٥٧)، و«تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٧٢).

﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ أي: ليس كما ظن، بل يحور إلينا ويُبعث.

﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ من يوم خلقه إلى أن يبعثه.

* * *

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ (لا) زائدة، والتقدير: فأقسم، وقيل: (لا) رد على أقوال الكفار، وابتدأ القول (أُقْسِمُ)، وقسم الله بمخلوقاته فإنه على جهة التشريف لها، وتعريضها للعبرة؛ إذ القسم بها[1] منبه منها.

﴿ بِٱلشَّفَقِ ﴾ الحمرةِ التي تبقى في الأفق بعد مغيب الشمس، وبسقوطها يدخل وقت العشاء عند الأئمة الثلاثة، وعند أبي حنيفة: هو البياض بعد الحمرة؛ خلافاً لصاحبيه، وتقدم الكلام في ذلك في سورة الروم، وسمي به؛ لرقته؛ من الشفقة.

* * *

﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ جمعَ وضَمَّ، وذلك أن الليل إذا أقبل، أقبل كلُّ شيء إلى مأواه مما كان منتشراً بالنهار.

* * *

---

(١) «بها» زيادة من «ت».

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ ﴾.

[١٨] ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾ امتلأ في الليالي البيض.

* * *

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ ﴾.

[١٩] وجواب القسم: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف: (لَتَرْكَبَنَّ) بفتح الباء خطاباً للإنسان من (يَا أَيُّها الإِنْسَانُ)، وقرأ الباقون: بالضم خطاباً لجنس الإنسان(١)، المعنى: لتركبن الشدائد: الموت والبعث والحساب.

﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ حالاً بعد حال.

* * *

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استفهام إنكار.

* * *

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ أي: لا يصلُّون. قرأ أبو جعفر: (قُرِيَ) بفتح الياء، والباقون: بالهمز، وقرأ ابن كثير: (القُرَانُ) بالنقل، والباقون: بالهمز(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٣).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٦)، وقراءة ابن كثير في=

وهذا محل سجود عند الثلاثة؛ خلافاً لمالك، وهم على أصولهم في قولهم بالوجوب والسنية، كما تقدم اختلافهم ملخصاً عند سجدة مريم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[1].

***

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾ بالقرآن والبعث.

***

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صدورهم.

***

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استهزاء بهم.

***

= «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٤).

(١) رواه مسلم (٥٧٨)، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ استثناء منقطع.

﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴾ أي: معدود عليهم محسوب منغَّص بالمن، والله أعلم.

* * *

سورة البروج

مكية، وآيها: اثنتان وعشرون آية، وحروفها: أربع مئة وأربع وستون حرفاً، وكلمها: مئة وتسع كلمات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ هي المنازل التي عرفتها العرب، وهي اثنا عشر على ما قسمته، وهي التي تقطعها الشمس في سنة، والقمر في ثمانية وعشرين يوماً، وتقدم ذكرها في سورة يونس، وفي الفرقان.

* * *

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة.

* * *

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ﴾ يوم الجمعة؛ لأنه يشهد على كل عامل بعمله ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يوم عرفة؛ لأن الناس يشهدون مواسم الحج، وتشهده

الملائكة، وقيل في شاهد ومشهود غيرُ ذلك.

* * *

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾.

[٤] وجواب القسم محذوف؛ كأنه قيل: إنهم ملعونون؛ يعني: كفار مكة؛ كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: الجواب.

﴿قُتِلَ﴾ أي: لُعن ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ وهو شق مستطيل في الأرض كالنهر، وجمعه أخاديد، وأصحاب الأخدود كانوا ثلاثة، وهم أنطاليوس الرومي بالشام، وبخت نصر بفارس، ويوسف ذو نواس بنجران، شق كل واحد منهم شقاً عظيماً في الأرض، وكان طوله أربعين ذراعاً، وعرضه اثني عشر ذراعاً، وهو الأخدود، وملؤوه ناراً، وقالوا من لم يكفر، وإلا ألقي فيه، فمن كفر، تُرك، ومن أبى، أُلقي فيه، وقيل: إن القرآن إنما نزل في التي بنجران(١)، وفي ذلك خلاف يطول ذكره.

* * *

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾.

[٥] ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل من ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾ بدل اشتمال ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ والوقود ـ بفتح الواو ـ: ما يوقد به.

* * *

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾.

[٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: حولها على جانب الأخدود على الكراسي.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٠).

﴿قُعُودٌ﴾ يعذبون الناس روي أنه احترق عشرون ألفاً.

* * *

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾.

[٧] ﴿وَهُمْ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من التعذيب ﴿شُهُودٌ﴾ حضور.

* * *

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾.

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ أي: عابوا ﴿مِنْهُمْ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فلذلك أحرقوهم، وهذا الاستثناء نحو:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

ووصفه بكونه عزيزاً غالباً يُخشى عقابُه، حميداً منعماً يرجى ثوابه[١].

* * *

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾.

[٩] وقرر ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أفعالهم ﴿شَهِيدٌ﴾ للإشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد.

* * *

---

(١) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٤/ ٧٣٣).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ﴾ عذبوا ﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ بالإحراق.

﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ بكفرهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أشد من الأول؛ بإحراقهم المؤمنين، وجهنم والحريق طبقتان من النار.

***

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه.

***

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ ﴾ أي: أخذه بالعذاب ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ مضاعف عنفه.

***

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ ﴾ الخلقَ بخلقهم ابتداءً ﴿ وَيُعِيدُ ﴾ خلقهم عند البعث.

***

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤﴾.

[١٤] ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ المتودِّد إلى أوليائه بالمغفرة.

* * *

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥﴾.

[١٥] ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقُه ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ العظيم في ذاته. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (الْمَجِيدِ) بالجر نعتاً للعرش، وقرأ الباقون: بالرفع نعتاً للغفور[1]؛ لأن المجد هو النهاية في الكرم، والله تعالى هو المنعوت بذلك.

* * *

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾.

[١٦] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يمتنع عليه شيء يريده.

* * *

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ١٧﴾.

[١٧] ﴿هَلْ﴾ أي: قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ خبرُ الجموع الكافرة.

* * *

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨﴾.

[١٨] ثم بين تعالى من هم فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وهذا تنبيه لكفار

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٨).

مكة بما جرى للهالكين قبلهم؛ ليتعظوا بهم، فيؤمنوا.

* * *

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ ۝١٩﴾.

[١٩] فلما لم يؤمنوا، قيل إضراباً عنهم: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من قومك يا محمد.

﴿فِي تَكۡذِيبٍ﴾ لك وللقرآن؛ كدأبِ مَنْ قبلهم.

* * *

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠﴾.

[٢٠] ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ قدرتُه مشتملة عليهم، فلا يُعجزه منهم أحد.

* * *

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١﴾.

[٢١] ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: ما كذبوا به.

﴿قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ عظيم القدر. قرأ ابن كثير: (قُرَانٌ) بالنقل، والباقون: بالهمز[1].

* * *

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾.

[٢٢] ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ لا يدركه الخطأ والتبديل. قرأ نافع: (مَحْفُوظٌ)

---

(١) سلفت عند تفسير الآية (٢١) من سورة الانشقاق.

بالرفع صفة لقرآن، وقرأ الباقون: بالجر صفة اللوح[1]، وهو اللوح المشهور بهذه الصفة، وهو في جبهة إسرافيل ـ عليه السلام ـ، قاله أنس، وقال ابن عباس: «هو من دُرَّةٍ بيضاءَ، طولُه ما بين السماء والأرض، وعرضُه ما بين المشرق والمغرب»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٠٩ـ١١٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٢)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٩٨).

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية، وآيها: سبع عشرة آية، وحروفها مئتان وثمانية وأربعون حرفاً، وكلمها: إحدى وستون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ①﴾.

[١] ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ هي السماء المعروفة ﴿وَٱلطَّارِقِ﴾ النجم؛ لأنه يطرق؛ أي: يطلع ليلاً، وكلُّ ما ظهر(١) أو أتى ليلاً، فهو طارق.

* * *

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ②﴾.

[٢] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ عبر عنه أولاً بوصف عام.

* * *

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ③﴾.

[٣] ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه فقال: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ المضيء؛

---

(١) «ظهر» ساقطة في «ت».

لثقبه الظلام بضوئه، وهو الثريا الذي تطلق عليه العرب اسم النجم معرفاً، وقيل: زحل.

* * *

﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] وجواب القسم: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ ﴾ (إنْ) مخففة من الثقيلة ﴿ لَّمَّا عَلَيْهَا ﴾. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (لَمَّا) بتشديد الميم بمعنى (إلا) عليها، وقرأ الباقون: بتخفيفها صلة مؤكدة[١]، مجازه: إنْ كلُّ نفسٍ لَعليها.

﴿ حَافِظٌ ﴾ من الملائكة يحصي أعمالها، ويعدها للجزاء عليها، وبهذا الوجه تدخل الأمة في الوعيد الزاجر.

* * *

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ نظرَ اعتبار ﴿ مِمَّ ﴾ أي: من أي شيء ﴿ خُلِقَ ﴾ وقف البزي، ويعقوب بخلاف عنهما: (مِمَّهْ) بزيادة هاء بعد الميم.

* * *

﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] وجواب الاستفهام: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ أي: مدفوق، ونسبة الدفق

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١٣ـ١١٤).

إلى الماء مجاز، والمراد: ماء الرجل وماء المرأة؛ لأن الولد منهما يكون، فإذا اعتبر أصله، علم أن القادر على ذلك قادر على البعث.

* * *

﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ يَخْرُجُ ﴾ أي: ينزع ﴿ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ ﴾ من الرَّجل، وهو الظهر.

﴿ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ جمع تريبة[١]، وهي عظام الصدر من المرأة.

* * *

﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: الله تعالى ﴿ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ ﴾ أي: ردِّ الإنسان حياً بعد موته.

﴿ لَقَادِرٌ ﴾ يرجعه.

* * *

﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ تُختبر الضمائر.

عن النبي ﷺ: «إنَّ السرائرَ التي يبتليها اللهُ من العباد: التوحيدُ، والصلاةُ، والزكاةُ، والغسلُ من الجنابة»[٢].

---

(١) في «ت»: «تربية».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٥١)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه. انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٦٦).

﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ فَمَا لَهُۥ ﴾ لمنكر البعث ﴿ مِن قُوَّةٍ ﴾ يمتنع بها من العذاب .

﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ينصره منه .

* * *

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝١١ ﴾ .

[١١] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ﴾ تحتمل في هذا القَسَم أن تكون المعروفة، وتحتمل أن تكون السحاب ﴿ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ أي: المطر، وسمي رجعاً؛ لرجوعه في كل أوان وكل وقته .

* * *

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝١٢ ﴾ .

[١٢] ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾ الشق عن النبات، المعنى: أنه تعالى أقسم بهما إيماءً إلى المنة عليهم .

* * *

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣ ﴾ .

[١٣] وجواب القسم: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن ﴿ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴾ محكم بين الحق والباطل .

* * *

﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ۝١٤ ﴾ .

[١٤] ﴿ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾ باللعب، والهزل: ما استعمل في غير ما وضع

له من غير مناسبة، والجد: ضده، وهو أن يقصد به المتكلم حقيقة كلامه.

* * *

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ.

* * *

﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ جزاء كيدهم؛ بإمهالي لهم؛ ثم أنتقم منهم، وسمى عقابهم كيداً على العرف في تسمية العقوبة باسم الذنب.

* * *

﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وعيد من الله، وفيه إشعار أن عقابهم متأخر حتى ظهر ببدر وغيره ﴿ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ قليلاً، ومَهِّل وأمهلَ معناهما: الانتظار، و﴿ رُوَيْدًۢا ﴾ مصدر تصغير رَوْد، وفي هذه الآية موادعة نسختها آية السيف، والله أعلم.

* * *

سُورَةُ الأَعْلَى

جَلَّ وَعَلَا

مكية في قول الجمهور، وقيل: مدنية، وآيها: تسع عشرة آية، وحروفها: مئتان وستة وثمانون حرفاً، وكلمها: اثنتان وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾.

[١] ﴿سَبِّحِ﴾ أي: نزِّه ﴿اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ عن النقائص، وما يقول المشركون، و(الاسم) الذي هو ألف سين ميم تارة يأتي في مواضع يراد به المسمى، وتارة يراد به التسمية نفسها؛ نحو قوله ﷺ: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً»(١)، وهذه الآية تحتمل الوجهين، فعلى الأول يكون صلة كالزائد، تقديره: سبح ربَّك؛ أي: نزهه، وعلى الثاني يكون المعنى: نزه اسمَ ربك عن أن يُسمى به صنم أو وثن، فيقال له: إله ورب، ونحو ذلك، والأعلى يصح أن يكون صفة للرب، وأن يكون صفة للاسم.

وكان ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحانَ رَبِّيَ الأَعْلى»، وفعله جماعة

---

(١) تقدم تخريجه.

من الصحابة، ولما نزلت هذه الآية، قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم»[(١)]، وتقدم اختلاف الأئمة في ذلك آخر سورة الواقعة.

* * *

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ أي: عدل مخلوقه، وأتقنه مستوياً.

* * *

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ ﴾ قرأ الكسائي: بتخفيف الدال؛ من القدرة، والباقون: بتشديدها؛ من التقدير[(٢)].

﴿ فَهَدَىٰ ﴾ كلاً إلى مصلحته، وهو عام لوجوه الهدايات في الإنسان والحيوان.

روي أن الحية تعمى كل سنة في الشتاء من أكل التراب، فتمسح عينيها بورق الرازيانج الأخضر، فتبصر بقدرة الله تعالى[(٣)].

* * *

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴾ أنبتَ العشبَ.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٩٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١٧ـ١١٨).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٦).

﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ فَجَعَلَهُۥ ﴾ بعدَ الخضرة ﴿ غُثَآءً ﴾ هشيماً بالياً ﴿ أَحۡوَىٰ ﴾ أسودَ، نعت (غُثَاءً).

* * *

﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ ﴾ .

[٦] ولما كان ﷺ يسابق جبريل ـ عليه السلام ـ إذا قرأ عليه القرآن؛ خوفَ النسيان، نزل: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ ﴾ نعلمك القرآنَ ﴿ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ فلم ينس ﷺ بعد ذلك شيئاً؛ لأنه إخبار منه تعالى، وإخباره صدق، و(لا) نفي، وليست نهياً.

* * *

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ أن تنساه على سبيل النسخ، وفي هذا التأويل آية للنبي ﷺ في أنه أمي، وحفظ الله عليه الوحي، وأمنه من نسيانه ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ تعالى ﴿ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ ﴾ من الأشياء ﴿ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾ منها.

* * *

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨ ﴾ .

[٨] ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾ نذهب بك نحو الأمور المستحسنة في دنياك وآخرتك؛ من النصر والظفر، وعلو الرسالة والمنزلة يوم القيامة، والرفعة في الجنة.

* * *

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾.

[٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ المعنى: نفعت أو لم تنفع، فاقتصر على القسم الواحد؛ لدلالته على الثاني.

* * *

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾.

[١٠] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ اللهَ والدارَ الآخرة، وهم العلماء والمؤمنون، كلٌّ بقدر ما وفق.

* * *

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١﴾.

[١١] ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: يتجنب الذكرى ونفعَها.

﴿ٱلْأَشْقَى﴾ الذي سبقت له الشقاوة بالكفر.

* * *

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾.

[١٢] ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ الشديدةَ، وهي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.

قال ﷺ: «نارُكم هذه جزءٌ من سبعينَ جزءاً من نار جهنم»(١).

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٠٩٢)، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار، ومسلم (٢٨٤٣)، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

* * *

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ أي: فاز ببغيته ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك بالإيمان. وتقدم مذهب ورش وحمزة في النقل في قوله: (قَدْ أَفْلَحَ) في أول سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾.

[١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ وحَّده ﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصلواتِ التي فرض عليه، وتنفَّلَ بما أمكنه من صلاة وبر.

وروي أن هذه الآية في صبيحة يوم الفطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ هو ذكر الله في طريق المصلى، وتكبيرات العيد، والصلاة: هي صلاة العيد، وقد روي هذا التفسير عن النبي ﷺ، وعن أبي سعيد الخدري في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، قال: «أَعْطى صدقةَ الفطر»(١)، قال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل؛ لأن هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد، ولا زكاة فطر.

قال البغوي(٢): يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال:

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر في «تفسيريهما»، كما ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٥).

(٢) في «تفسيره» (٤/ ٦٠٠).

﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ٢]، فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح، حتى قال ﷺ: «أُحِلَّت لي ساعةً من نهار»(١).

وتقدم الكلام على صلاة العيد، والاختلاف فيها، وصفتها في سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الآية: ١٨٥]، وحكم التكبير ووقته وصفته فيها أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [الآية: ٢٠٣]، وحكم الصلوات الخمس وأوقاتها، والخلاف فيها في سورة الروم، وحكم زكاة الفطر والخلاف فيها في سورة التوبة عند ذكر الزكوات.

* * *

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦﴾.

[١٦] ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ﴾ أي: تقدِّمون وترجون(٢) ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ على الآخرة، فالكافر يؤثرها إيثارَ كفر، يرى أن لا آخرةَ، والمؤمنُ يؤثرها إيثار معصية، وغلبة نفس، إلا من عصم الله. قرأ أبو عمرو: (يُؤْثِرُونَ) بالغيب رداً إلى جنس (الأَشْقَى)، وقرأ الباقون: بالخطاب(٣)، دليله(٤) قراءة

---

(١) رواه البخاري (١١٢)، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، ومسلم (١٣٥٥)، كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «أي: تقدمونه وترجون» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٢).

(٤) «دليله» زيادة من «ت».

أُبي بن كعب (بَلْ أَنْتُمْ تؤْثِرُونَ)، وحمزة، والكسائي، وهشام: يدغمون اللام في التاء، والباقون: يظهرونها[1]، وأمال رؤوس الآي من لدن (الأَعْلَى) إلى (وَمُوسَى): ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، وقرأها الباقون: بالفتح[2].

* * *

﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ أَدْوَمُ من الدنيا وأفضل.

* * *

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ إِنَّ هَٰذَآ ﴾ يعني: ما ذكر من قوله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ إلى هنا [بمعنى فلاح المتزكين والذاكرين والمصلين ومؤثري الآخرة على الدنيا][3].

﴿ لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ المنزلة قبل، لم ينسخ في شرع من الشرائع.

* * *

﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ثم بين الصحف فقال: ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ وصحفُ إبراهيم كانت بالسريانية، وصحف موسى بالعبرانية، وتقدم ذكر عدد الكتب المنزلة

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٢).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١١٧).

(٣) ما بين معكوفتين سقط من «ت».

على الأنبياء في سورة النجم عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ [الآيتان: ٣٦-٣٧] وتقدم هناك ما ذكر في صحف إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وقد نقل من صحف موسى ـ عليه السلام ـ: يقول الله ـ عز وجل ـ: «يا بن آدمَ! اعمل لنفسك قبل نزولِ الموت بك، ولا تغرنك الخطيئة؛ فإن على آثارها السفر، ولا تلهك الحياة وطول الأمل عن التوبة، فإنك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم، يا ابن آدم! إذا لم تخرج حقي[1] من مالي الذي رزقتك إياه، ومنعتَ منه الفقراءَ حقوقَهم، سلطتُ عليك جباراً يأخذه منك، ولا أُثيبك عليه»[2]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «حقي» زيادة من «ت».

(٢) لم أقف عليه.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية، وآيها: ست وعشرون آية، وحروفها: ثلاث مئة وأحد وسبعون حرفاً، وكلمها: اثنتان وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾.

[١] ﴿هَلْ﴾ أي: قد ﴿ءَاتَىٰكَ﴾ وقيل: (هل) على بابها توقيف، فائدتُها تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر، وقيل: المعنى: هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك؟ ففي هذا التأويل تعديد النعمة.

﴿حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى العالم كله بهولها وتغييرها لبنيته.

* * *

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وُجُوهٌ﴾ مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف الخبر، وهو ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة متغيرة بالعذاب، نعت الخبر:

* * *

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ .

[٣] ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تعمل في النار عملاً تتعب فيه؛ لأنها تكبرت عن العمل لله في الدنيا، فأعملَها في الآخرة في ناره.

روي أنها نزلت في القسيسين، وعبَّادِ الأوثان، وكلِّ مجتهدٍ في كفر[١]، وإليه ذهب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في تأويلها.

* * *

﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ .

[٤] ﴿تَصْلَىٰ﴾ قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عن عاصم: بضم التاء مجهولاً، وقرأ الباقون: بفتحها معلوماً[٢]؛ أي: تدخل ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾ شديدة الحر.

* * *

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ .

[٥] ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ قد انتهى حرها. قرأ هشام: (آنِيَةٍ) بإمالة فتحة الهمزة[٣].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٣)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٧٢)، و«تفسير الثعالبي» (٤/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٧ـ١٢٨).

(٣) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٥٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٩).

﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ هو نبت ذو شوك يقال لرطبه : الشبرق ، وهو مرعى سوء لا تعقد السائمة عليه شحماً ولا لحماً ، فإذا يبس ، سموه ضريعاً ؛ أي : مضعِفاً للبدن مُهْزِلاً .

***

﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ والمقصودُ من الطعام أحدُ الأمرين .

***

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ ﴾ .

[٨] ولما ذكر تعالى وجوه أهل النار ، عقب ذلك بذكر وجوه أهل الجنة ؛ ليبين الفرق ، فقال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ أي : ذات حسن وبهجة .

***

﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ ﴾ .

[٩] ﴿ لِّسَعْيِهَا ﴾ لعملها في الدنيا ﴿ رَاضِيَةٌ ﴾ لما رأت ثوابه في الآخرة .

***

﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ علية المحل .

***

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وورش: (يُسْمَعُ) بياء مضمومة على التذكير مجهولاً فاعله (لاَغِيَةٌ) بالرفع، وذكَّر الفعل؛ للفصل، ولأن لاغية ولغواً واحد، وهو ساقط الكلام وهذيانه، وقرأ نافع كذلك، إلا أنه بالتاء على التأنيث، وقرأ الباقون: بالتاء مفتوحة معلوماً خطاباً للنبي ﷺ ونصب ﴿لَٰغِيَةً﴾ مفعولاً به(١).

* * *

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

[١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾ أي: عيون ﴿جَارِيَةٌ﴾ بالماء لا تنقطع، والتنكير للتعظيم.

* * *

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾.

[١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ذاتاً وقدراً.

* * *

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾.

[١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ هي أوانٍ كالأباريق، لا عرا لها ولا آذان ولا خراطيم. ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ بأشربتها مُعَدَّة.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٢٩-١٣٠).

﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥﴾ .

[١٥] ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائدُ ﴿مَصۡفُوفَةٞ﴾ بعضُها إلى بعض .

* * *

﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦﴾ .

[١٦] ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بُسُطٌ عِراضٌ ﴿مَبۡثُوثَةٌ﴾ مبسوطة .

* * *

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧﴾ .

[١٧] ثم أقام تعالى الحجة على منكري قدرته على بعث الأجساد؛ بأن وقفهم على مواضع العبرة في مخلوقاته، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ﴾ نظرَ اعتبار ﴿كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ والمراد: الجمال المعروفة؛ فإنها مع عِظَم خلقها طَيِّعة منقادة لما يراد منها، ويحمل عليها، وتنهض به، ولم يذكر الفيل؛ لأنه لم يكن بأرض العرب، فلم[1] تعرفه، ولا يحمل عليه عادة، ولا يُحْلب دَرُّه، ولا يؤمَن ضرُّه.

* * *

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨﴾ .

[١٨] ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ بلا عَمَد .

* * *

﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩﴾ .

[١٩] ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ فهي راسخة لا تزول .

---

(١) «فلم» ساقطة من «ت».

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾.

[٢٠] ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ بُسطت للسير فيها، والاستقرار عليها، وقرنت الإبل مع السماء والجبال والأرض؛ لأن الآية نزلت استدلالاً على مخلوقات الله تعالى، وهم كانوا أشد ملابسة لهذه الأشياء من غيرها.

* * *

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾.

[٢١] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ ليس عليك إلا البلاغ.

* * *

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

[٢٢] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ بمسلَّط تُكرِههم على الإيمان، ونسخت بآية السيف. قرأ هشام: (بِمُسَيْطِرٍ) بالسين، وحمزة: بين الصاد والزاي؛ بخلاف عن رواية خلاد، والباقون: بالصاد[١].

* * *

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿إِلَّآ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالقرآن.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٢).

﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

[٢٤] ﴿ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ عذابَ جهنم، والأصغرُ: ما عُذِّبوا به في الدنيا من الجوع والقتل والأسر.

* * *

﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾.

[٢٥] ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ رجوعَهم. **قرأ** أبو جعفر: (إِيَّابَهُمْ) بتشديد الياء، مصدر أيَّبَ، وأصله أَوَّاب فَعّال، ثم قيل: أَيْواب، ثم قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، **وقرأ** الباقون: بتخفيفها[1]، أصله إِواب، قلبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها.

* * *

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ جزاءَهم على أعمالهم، والحساب: المكافأة، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٣).

سورة الفجر

مكية على الأصح، وآيها: ثلاثون آية، وحروفها: خمس مئة وسبعة وستون حرفاً، وكلمها: مئة وسبع وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ①﴾.

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ هو انفجار الصبح كلَّ يوم، أقسم الله تعالى به كما أقسم بالصبح.

***

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ②﴾.

[٢] ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي العشر الأوائل[١] من ذي الحجة. روي عن يعقوب، وقنبل[٢]: الوقف بالياء على (لَيَالِي).

***

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③﴾.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ﴾ الخلْق، خُلقوا أزواجاً ﴿وَالْوَتْرِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي،

---

(١) في «ت»: «الأول».

(٢) في «ت»: «قنبل ويعقوب».

وخلف: بكسر الواو، والباقون: بفتحها[1]، ومعناهما: الفرد، وهو الله سبحانه؛ إذ هو الواحد محضاً، وسواه ليس كذلك.

* * *

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ مقبلاً ومدبراً. قرأ نافع، وأبو جعفر، وأبو عمرو: (يَسْرِي) بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً، والباقون: بحذفها في الحالين، حذفت تخفيفاً، واجتزىء عنها بالكسرة لاعتدال رؤوس الآي؛ إذ هي فواصل كالقوافي، قال اليزيدي: الوصل في هذا وما أشبهه بالياء، والوقف بغير ياء، على خط المصحف[2].

* * *

﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المقسَمِ به ﴿ قَسَمٞ ﴾ مقنعٌ ومكتفى ﴿ لِّذِي حِجۡرٍ ﴾ أي: عقلٍ، فيزدجر وينظر في آيات الله، وسمي العقل حِجْراً؛ لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٣ـ٦٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٠٨ـ٦٠٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٨)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٣٨ـ١٣٩).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ثم توعد قريشاً[١]، ونصب المثلَ لها، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ هي قبيلة من عاد نسبوا إليه، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم قوم هود، سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه.

***

﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ إِرَمَ ﴾ عطف بيان لـ(عاد) على تقدير مضاف؛ أي: سبط إرم، ولم ينصرف؛ للتعريف والتأنيث، وإن جعل اسمَ رجل، فلم يُصرف لعجمته وتعريفه.

﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ ذات البناء الرفيع؛ أي: إن مدينتهم كانت ذات أساطين، وقيل: المراد بالعماد: الأعمدة؛ لأنهم كانوا أصحاب عمد وخيام، يطلبون الكلأ حيث كان، وقيل: إرم ذات العماد: اسمُ مدينتهم دمشقُ أو الإسكندرية.

***

﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا ﴾ مثلُ قبيلتهم أو مدينتهم ﴿ فِي الْبِلَادِ ﴾.

روي أن شدَّاد بنَ عاد بنى مدينة عظيمة لم يُر مثلُها حسناً وعظماً، بناها في ثلاث مئة سنة، وعاش تسع مئة سنة، وملك جميع الأرض بعد موت

---

(١) «ثم توعد قريشاً» زيادة من «ت».

أخيه شديد، فلما تم بناؤها، قصدها ليدخلها هو وأصحابه، فلما قربوا منها، صيح بهم، فهلكوا جميعاً(١).

* * *

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾.

[٩] ﴿وَثَمُودَ﴾ عطف على (عاد) ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟﴾ قطعوا ﴿ٱلصَّخْرَ﴾ واتخذوها بيوتاً ﴿بِٱلْوَادِ﴾ وادي القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام. قرأ ورش: (بِالْوَادِي) بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير، ويعقوب: بإثباتها وصلاً ووقفاً؛ بخلاف عن قنبل في الوقف، والباقون: بحذفها في الحالين(٢).

* * *

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠﴾.

[١٠] وتعطف على (عاد) أيضاً ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ سمي بذلك؛ لأنه كان يَتِدُ أربعةَ أوتاد يشد إليها من يعذبه بأنواع العذاب.

* * *

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١﴾.

[١١] ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟﴾ يعني: عاداً وثمود وفرعون ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ عملوا في الأرض بالمعاصي والطغيان، وتجاوزوا الحدود.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤١).

﴿ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ ﴾.

[١٢] ﴿ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴾ بالكفر والقتل.

* * *

﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ ﴾.

[١٣] ﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴾ يعني: لوناً من العذاب، واستعمل الصَّبُّ في السوط؛ لأنه يقتضي سرعة في النزول، وخصَّ السوط بأن يستعار للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره.

* * *

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤ ﴾.

[١٤] وجواب القسم قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴾ يرى ويسمع، لا يعزُب عنه شيء، فيجازيهم بما يصدر منهم، واعترض بين القسم وجوابه قولُه تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾، يخوف أهل مكة كيف أهلكهم، وكانوا أطول أعماراً، وأشد قوة.

* * *

﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ ﴾.

[١٥] ونزل في كل كافر: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ ﴾ اختبره ﴿ رَبُّهُۥ ﴾ بالنعمة ﴿ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴾ بكثرة المال ﴿ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴾ بما أعطاني، ودخلت الفاء في (فَيَقُولُ)؛ لما في (أَمَّا) من معنى الشرط.

* * *

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ ﴾ بالفقر ﴿ فَقَدَرَ ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر: بتشديد الدال، والباقون: بتخفيفها[(١)]، ومعناهما: ضَيَّقَ.

﴿ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ أذلني بالفقر. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو: (رَبِّيَ) بفتح الياء في الحرفين، والباقون: بإسكانها فيهما، وقرأ نافع، وأبو جعفر: (أَكْرَمَني) (أَهَانَنِي) بإثبات الياء فيهما وصلاً، وخير فيهما أبو عمرو، وقياس قوله في رؤوس الآي يوجب حذفهما، وأثبتهما يعقوب، والبزي في الحالين، وقرأ الباقون: بحذفهما في الحالين[(٢)].

* * *

﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردعٌ للإنسان عن قوله: الغنى إكرام، والفقر إهانة، فحق من ابتلي بالغنى أن يشكر ويطيع، ومن ابتلي بالفقر أن يشكر ويصبر، وأما إكرام الله، فهو بالتقوى، وإهانته، فبالمعصية، ثم أخبر بأعمالهم فقال:

﴿ بَل ﴾ فعلُهم أسوأ من قولهم، وأدلُّ على تهالكهم بالمال، وهو أنهم.

﴿ لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ بالإحسان إليه مع غناهم، واليتيم من بني آدم:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٤ـ٦٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦١٢)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠ـ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤١ـ١٤٣).

هو الذي فقد أباه وكان غير بالغ، ومن البهائم: ما فقد أمه.

قال ﷺ: «أَحَبُّ البيوتِ إلى الله تعالى بيتٌ فيه يتيمٌ يُكْرَم»(١).

* * *

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴾ أي: يحثون أنفسهم ولا غيرهم.

﴿ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ وطعام في هذه الآية بمعنى: إطعام، وتقدم الكلام في الفقير والمسكين، والخلاف فيهما في سورة التوبة في ذكر الصدقات.

* * *

﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ ﴾.

[١٩] ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ ﴾ أي: الميراثَ، أصلهُ وراث، قلبت الواو تاء؛ أي: ويأكلون كل ما يرثون.

﴿ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ أي: شديداً، واللمُّ الجمع؛ لأنهم كانوا لا يُوَرِّثون النساء، ولا صغارَ الأولاد، وإنما كانوا يأكلون(٢) جميعَ الميراث مع أموالهم، فيأكلونها جميعاً.

* * *

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ كثيراً، فلا ينفقونه. قرأ أبو عمرو،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» (٢/ ٨٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٤٣٤)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٨/ ١٦٠).

(٢) في «ت»: «يلمون».

ويعقوب بخلاف عن الثاني: (يُكْرِمُونَ) و(يَحُضُّونَ) و(يَأْكُلُونَ) و(يُحِبُّونَ) بالغيب في الأربعة، والباقون: بالخطاب، وأثبت الألف بعد الحاء (تَحَاضُّونَ) مع فتح الحاء: أبو جعفر، والكوفيون، ويمدون للساكنين[1]، أصله: تتَحاضَضُونَ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً؛ أي: لا يحضُّ بعضُكم بعضاً عليه.

***

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ ﴾.

[٢١] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ لأفعالهم هذه، وتوطئة للوعيد؛ أي: سيرون أن أفعالهم ليست على قوام ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ مرةً بعد مرة، ودكُّها: تسويتها؛ بذهاب جبالها، وهدم كل بناء عليها بالكلية، والناقة الدكاء: التي لا سنام لها.

***

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾.

[٢٢] ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [قال الإمام أحمد: معناه: جاء أمرُ ربك][2].

﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ اسم جنس، يريد: جميع الملائكة؛ لأنهم ينزلون فيصطفون حول الأرض ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: صفاً خلف صف، وهم سبعة صفوف، ونصبه على الحال.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦١٣)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٤).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

[٢٣] ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ مزمومةً بسبعين ألفَ زِمام، كلُّ زمام بيد سبعين ألف ملك، لها زفير وتغيُّظ. قرأ الكسائي، وهشام، ورويس: (وَجِيءَ) بإشمام الجيم الضم، والباقون: بإخلاص الكسر(١).

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (يومئذ) قبلُ، وهما بدل من (إِذَا دُكَّت) العامل في (إِذَا).

﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافرُ عصيانَه وطغيانه، وينظر ما فاته من العمل الصالح.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ﴾ ومن أين له نفعُ ﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

* * *

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾.

[٢٤] ثم أخبر تعالى عنه أنه ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان.

﴿لِحَيَاتِى﴾ هذه، وهي حياة الآخرة.

* * *

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾.

[٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ بالنار ﴿عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٧٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٦).

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ .

[٢٦] ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ بالسلاسل والأغلال ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب: (يُعَذَّبُ) و(يُوثَقُ) بفتح الذال والثاء مجهولاً، أضيف الفعل إلى الكافر، فـ(أَحَدٌ) فاعل المجهول، والهاء في (عَذَابَهُ) و(وَثَاقَهُ) للكافر، والمراد به: الإنسان، وقيل: هو رجل بعينه، وهو أمية بن خلف، المعنى: لا يعذَّب أحدٌ مثلَ تعذيبه بالنار، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثلَ إيثاقه، وقرأ الباقون: بكسر الذال والثاء[1]، فالضمير لله تعالى، المعنى: لا يعذِّبُ أحدٌ أحداً كعذاب الله، ولا يوثقه في السلاسل كإيثاقه تعالى.

* * *

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ .

[٢٧] ويقال للمؤمن عند الموت: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي: الآمنة التي لا تخاف، وهي التي اطمأنت بذكر الله.

روي أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال له[2] : «إنَّ الملَكَ سيقولُها لك يا أبا بكرٍ عندَ موتِكَ»[3] .

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦١٤)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٤٦ـ١٤٧).

(٢) «له» زيادة من «ت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ١٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٠) عن سعيد بن جبير، قال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٢): وهذا مرسل حسن.

﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾.

[٢٨] ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ إلى أمره وإرادته.

﴿ رَاضِيَةٗ ﴾ بالثواب ﴿ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ عند الله، ونصبه على الحال.

* * *

﴿ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ ﴾.

[٢٩] ﴿ فَٱدۡخُلِي فِي ﴾ عِدادِ ﴿ عِبَٰدِي ﴾ الصالحين.

* * *

﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾.

[٣٠] ﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ معهم، وقيل: هذا النداء يكون عند قيام الأجساد من القبور، فقوله: ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ معناه: بالبعث من موتك ارجعي إلى الله، والله أعلم.

وقد أحببت أن أتكلم في هذا المحل على صلاة الوتر[١]؛ لما فيه من المناسبة للسورة، فأقول وبالله التوفيق: الوتر واجب عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وعند صاحبيه، وعند الأئمة الثلاثة ـ رضي الله عنهم ـ هو سنة، ووقته بين صلاة العشاء والفجر بالاتفاق، وصفته عند أبي حنيفة: ثلاثُ ركعات كالمغرب، لا يسلم بينهن، ويقنت في الثالثة قبل الركوع بعد أن يرفع يديه مكبراً، وعند مالك: هو ركعة بعد شفع لا حدَّ له، منفصل منها بتسليمة، وعند الشافعي وأحمد: أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة، وأدنى الكمال ثلاثٌ بتسليمتين، ويقنت في الثالثة بعد الركوع في النصف الأخير

---

(١) «على صلاة الوتر» زيادة من «ت».

من رمضان عند الشافعي، وعند أحمد: في جميع السنة كأبي حنيفة، ولا يقنت فيه عند مالك مطلقاً على المشهور من مذهبه، والقراءة عند مالك في الشفع مطلقةٌ غيرُ معينة، ويستحب عنده أن يقرأ في ركعة الوتر الإخلاص والمعوذتين، وعند الثلاثة: يستحب أن يقرأ في الأولى من الثلاث[1] بعد الفاتحة: ﴿سَبِّحِ﴾، وفي الثانية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثة: الإخلاص والمعوذتين، وعند الشافعي: كقول مالك، وعند أبي حنيفة وأحمد: الإخلاص فقط، وتقدم ذكر مذهب مالك والشافعي في القنوت في صلاة الصبح في سورة البقرة، والله أعلم.

* * *

---

(١) «من الثلاث» زيادة من «ت».

سُورَةُ البَلَدِ

مكية في قول الجمهور، وقيل: مدنية، وآيها: عشرون آية، وحروفها: ثلاث مئة وستة وثلاثون حرفاً، وكلمها: اثنتان وثمانون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (١)﴾.

[١] ﴿لَآ﴾ صلة زائدة مؤكدة، المعنى ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: مكة.

* * *

﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢)﴾.

[٢] ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ﴾ أي: حلال في المستقبل ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أي: تصنع فيه ما تريد من قتل وغيره، ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم، وذلك أن الله سبحانه وعد نبيه ﷺ أن يفتح مكة على يده، وأن يحلها له، ففتحها، وأحلها الله له يوم الفتح حتى قاتل وقتل، وأمر بقتل ابن خَطَل وهو متلعق بأستار الكعبة، ومقبس بن صبابة، وغيرهما، فأحل دماء قوم، وحرم دماء قوم، فقال: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ»، ثم قال: «إنَّ اللهَ حرَّمَ مكة يومَ خلقَ السمواتِ والأرضَ، ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي، ولن تحلَّ لأحدٍ بعدي، وإنما أُحِلَّتْ لي ساعةً من نهار، فهي حرامٌ بحرمةِ اللهِ إلى يومِ

القيامة»[1]، وتقدم ذكر اختلاف الأئمة في دخولها بغير إحرام في سورة البقرة، وتعطف على ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

* * *

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يعني: آدم ـ عليه السلام ـ وذريته، وقيل: الوالد إبراهيم، والولد محمد عليهما السلام، فتتضمن السورة القسمَ به في موضعين.

* * *

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾.

[٤] وجواب القسم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ المرادُ: جنسُ الإنسان.

﴿فِى كَبَدٍ﴾ نَصَبٍ وشدة، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

* * *

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أي: أيظنُّ ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ لقوته. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم، وحمزة: (أَيَحْسَبُ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[2].

روي أن هذه الآية وما بعدها نزل في أبي الأَشَدَّين، واسمه أسيد بن

---

(١) تقدم تخريجه عند تفسير الآية (١٥) من سورة الأعلى.

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٣٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥١).

كلدة الجمحي، وكان شديداً قوياً، يضع الأديمَ العُكاظي تحت قدمه فيقول: من أزالني عنه، فله كذا وكذا، فلا يُطاق أن يُنزع من تحت قدميه إلا قطعاً، ويبقى موضع قدمه، وقيل: نزلت في غيره[1].

* * *

﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ ﴾ أنفقتُ ﴿ مَالًا لُّبَدًا ﴾ أي: كثيراً في عداوة محمد ﷺ. قرأ أبو جعفر: (لُبَّداً) بتشديد الباء على جمع اللابد، مثل راكِع ورُكَّع، وقرأ الباقون: بتخفيفها على جمع لبدة[2] ومعناهما: الكثرة؛ أي: ملتبداً بعضُه فوق بعض، وكان قول هذا الكافر: أهلكت مالاً لبداً كذباً منه، فلذلك قال تعالى:

* * *

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ أَيَحْسَبُ ﴾ تقدم اختلاف القراء فيه، ﴿ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ أيظن أن الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار ما أنفقه؟ قرأ أبو جعفر، ويعقوب: (يَرَهُ) باختلاس ضمة الهاء بخلاف عنهما، والباقون: بالإشباع[3].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٨)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٠٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦١٨)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥١).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣١٠ـ٣١١)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٣٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٢).

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ ﴾ .

[٨] ثم عدد تعالى على الإنسان نعمه التي تقوم بها الحجة، وهي جوارحه، فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ يبصر بهما.

* * *

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] ﴿ وَلِسَانًا ﴾ يتكلم به ﴿ وَشَفَتَيْنِ ﴾ يطبقهما على لسانه إذا أراد السكوت.

* * *

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ بيّنا له طريق الخير والشر، وهذا قول الأكثر، والنجد: الطريق المرتفع، وقيل: المراد: ثَدْيا الأم.

* * *

﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ فهلاَّ سلك الطريق التي فيها النجاةُ، والعقبة في هذه الآية على عرف كلام العرب: استعارةٌ لهذا العمل الشاق على النفس، من حيث هو بذل مال، تشبيه بعقبة الجبل، وهي ما صَعُب منه، وكان صعوداً، والاقتحام: الدخول في الشيء بشدة.

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ثم بين ما هي، وعظم أمرها في النفوس، فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾ .

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ .

[١٣] ثم فسر اقتحام العقبة بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أعتقَها، ومن أعتقَ رقبةً، كان فداءه من النار.

* * *

﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ .

[١٤] ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: (فَكَّ) بفتح الكاف، (رَقَبَةً) بالنصب، (أَطْعَمَ) بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها، فعلان ماضيان، (فَفَكَّ رَقَبَةً) تفسير (لاقْتَحَمَ العَقَبَةَ)، و(أَطْعَمَ) عطف على (فَكَّ)، ويكون (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ) اعتراضاً. وقرأ الباقون: برفع (فَكُّ) وخفض (رَقَبَةٍ) لإضافة (فَكُّ) إليها؛ لأنه مصدر مضاف إلى المفعول، (إِطْعَامٌ) بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها عطفاً على (فَكُّ) مصدر أَطْعَمَ[١].

﴿فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ أي: مجاعة؛ من سَغِبَ: جاعَ.

* * *

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ .

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ صاحبَ قرابة.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٢).

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ .

[١٦] ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أي : لصق بالتراب ؛ لفقره ، وتعطف على ﴿ ٱقْتَحَمَ ﴾ :

* * *

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

[١٧] ﴿ ثُمَّ كَانَ ﴾ ومعناه ؛ أي : كان وقت اقتحامه العقبة .

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وليس المعنى أن يقتحم ، ثم يكون بعد ذلك ؛ لأن هذه القُرَب إنما تنفع مع الإيمان ، والاقتحامُ من غيرُ مؤمن غير نافع .

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ ﴾ وصَّى بعضُهم بعضاً ﴿ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على الإيمان ، وعن المعاصي .

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ برحمة الناس .

* * *

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ .

[١٨] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ أي : اليمين .

* * *

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

[١٩] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ الشمال .

* * *

﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾.

[٢٠] ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ مطبقة عليهم أبوابها. **قرأ** أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، وخلف، وحفص عن عاصم: (مُؤْصَدَةٌ) بالهمز؛ من أَصَدْتُ البابَ: أطبقته، **وقرأ** الباقون: بإسكان الواو بغير همز(١)؛ من أوصدتُ ومعناهما واحد، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٣-١٥٤).

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية، وآيها: خمس عشرة آية، وحروفها: مئتان وتسعة وأربعون حرفاً، وكلمها: أربع وخمسون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ ضوءها إذا أشرقت، و(الضُّحَى) بضم الضاد والقصر: ارتفاع الضوء وكماله، وبفتح الضاد والمد: ما فوقَ ذلك إلى الزوال.

* * *

﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ تبعَها طالعاً عند غروبها.

* * *

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ يعني: جلَّى الظلمة كناية عن غير مذكور؛ لكونه معروفاً، الواو الأولى للقسم، والباقي عطف عليها.

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ يغشى الشمسَ حين تغيب، فتظلم الآفاق، و(إِذَا) معمولة القسم.

* * *

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ و(ما) في المواضع الثلاثة بمعنى الذي؛ أي: والذي بناها؛ يعني: خلقها.

* * *

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾.

[٦] ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ بسطَها.

* * *

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ ﴾.

[٧] ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ عدل خلقَها، والمراد: جميع النفوس، ونُكِّرت للتكثير.

* * *

﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ فَهَّمَها خيرَها وشرَّها، وجعل لها قوة يصحُّ معها اكتسابُ الفجور، واكتسابُ التقوى.

* * *

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ .

[٩] وجواب القسم: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ فاز ببغيته.

﴿ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ طَهَّرها بالطاعة، وتقدم مذهب ورش وحمزة في النقل في قوله.

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ [الآية: ١] في أول سورة ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ .

* * *

﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَقَدۡ خَابَ ﴾ خسر ﴿ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أخفاها وحقرها بالفجور والمعاصي، أصله: دَسَّسَها، أُبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً.

* * *

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ﴾ رسلَها ﴿ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ بطغيانها، لما ذكر تعالى خيبة من دسَّ نفسه، ذكر فرقةً فعلت ذلك؛ ليُعتبر بهم، ويُنتهى عن مثل فعلهم، وهم قوم صالح.

* * *

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ ﴾ أي: بادرَ إلى عقر الناقة ﴿ أَشۡقَىٰهَا ﴾ أشقى القبيلة، وهو قدارُ بن سالف، والانبعاث: هو الإسراع في الطاعة للباعث.

* * *

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ هو صالح عليه السلام ﴿ نَاقَةَ ﴾ نصبه تحذيراً ﴿ وَسُقْيَـٰهَا ﴾ عطف؛ أي: و[1]احذروا عَقْرَ الناقة ومنعَها من شربها، فتُعذَّبوا.

***

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ في قوله ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ وقدم تعالى التكذيب على العقر؛ لأنه كان سبب العقر، وقوله: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ والعاقر واحد؛ لكونهم متفقين على ذلك، وتقدم ذكر القصة في سورة الأعراف.

﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ أي: دمر عليهم بالعذاب ﴿ بِذَنۢبِهِمْ ﴾ أي: بسببه ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ فعمهم بالدمدمة، فلم يفلت منهم أحد.

***

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا ﴾ أي: عاقبتها، المعنى: فلا دَرَكَ على الله في فعله بهم ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. قرأ نافع، وأبو جعفر، وابن عامر: (فَلَا) بالفاء على العطف؛ أي: (فَكَذَّبُوهُ) (فَعَقَرُوهَا) (فَدَمْدَمَ) (فَلَا يَخَافُ)، وكذا هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون: بالواو[2]،

---

(١) الواو سقطت في «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٢٦)، =

فمحل (لاَ يَخَافُ) حال؛ أي: وهو لا يخاف، وكذلك هي في مصاحفهم، وأمال رؤوسَ الآي في هذه السورة: ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختص الكسائي دونهما بإمالة (تَلاَهَا)، و(طَحَاهَا)(1)، والله أعلم.

* * *

= و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٦٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٥٧).

سُورَةُ اللَّيْلِ

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: فيها مدني، وآيها: إحدى وعشرون آية، وحروفها: ثلاث مئة حرف، وكلمها: إحدى وسبعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١)﴾.

[١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يغطِّي الأرضَ وجميع ما فيها بظلمته.

* * *

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢)﴾.

[٢] ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: ظهر وضوَّأ الآفاق.

* * *

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣)﴾.

[٣] ﴿وَمَا﴾ أي: والذي ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ يعني: آدم وحواء.

* * *

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤)﴾.

[٤] وجواب القسم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ جمع شتيت؛ أي: إن عملكم

لمختلفٌ، بعضُه في رضا الله، وبعضه في سخطه.

* * *

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) ﴾.

[٥] ثم قسم تعالى السَّاعِين فقال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴾ حقَّ الله ﴿ وَاتَّقَىٰ ﴾ اللهَ تعالى.

* * *

﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) ﴾.

[٦] ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ هي كلمة التوحيد.

* * *

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) ﴾.

[٧] ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ نهيئه للعمل الصالح، وهو الطاعة.

* * *

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) ﴾.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ بالنفقة في الطاعة ﴿ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ بلذات الدنيا عن نعيم الآخرة.

* * *

﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) ﴾.

[٩] ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ بلا إله إلا الله.

* * *

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ نهيئه لعملٍ يستوجبُ به النارَ، وسميت العسرى؛ لإفضائها إلى العسر. قرأ أبو جعفر: (لِلْيُسُرَى) (لِلْعُسُرَى) بضم السين فيهما، والباقون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾.

[١١] ﴿ وَمَآ ﴾ نفي بمعنى ليس ﴿ يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ ﴾ الذي بخل به.

﴿ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ أي: سقط في النار.

* * *

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾.

[١٢] ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ أي: تبيينَ طريق الهدى والضلالة، ثم كل أحد بعدُ يكتسب ما قُدر له.

* * *

﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾.

[١٣] ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٧٠).

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾.

[١٤] ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ تلتهب. قرأ البزي، ورويس: (ناراً تَّلَظَّى) بتشديد التاء وصلاً، والباقون: بتخفيفها[1].

* * *

﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾.

[١٥] ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾.

* * *

﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾.

[١٦] ﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ ﴾ النبيَّ ﷺ.

﴿ وَتَوَلَّىٰ ﴾ عن الإيمان، وهو أبو جهل، أو أمية بن خلف.

* * *

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ﴾.

[١٧] ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾.

* * *

﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

[١٨] ﴿ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ يطلب أن يكون عند الله زاكياً، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٠)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٧٢-١٧٣).

﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ ﴾.

[١٩] روي أن أمية بن خلف كان إذا حميت الظهيرة، يطرح بلالاً على ظهره ببطحاء مكة، ويضع على صدره صخرة عظيمة، ويقول: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، فيقول: أَحَدٌ أَحَد، فقال أبو بكر: اتق الله فيه، فقال له: أنت أفسدته، فأنقذْه مما هو فيه، فاشتراه وأعتقه، فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده، فنزل: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴾ يد يكافئه عليها[١].

* * *

﴿ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ ﴾.

[٢٠] ﴿ إِلَّا ﴾ أي: بل هو مبتدأ، خبره[٢]: ﴿ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ وطلب رضاه.

* * *

﴿ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١ ﴾.

[٢١] ﴿ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾ بما يعطيه الله في الآخرة من الثواب، هذه عِدَة من الله تعالى لأبي بكر رضي الله عنه. ومذاهب القراء في إمالة رؤوس الآي في هذه السورة كالتي قبلها، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٣٠)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٨٨).

(٢) «خبره» ساقطة من «ت».

سورة الضحى

مكية، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: مئة وثمانية وخمسون حرفاً، وكلمها: أربعون كلمة.

الكلام في التكبير:

اختلف في سبب وروده، فروي أن النبي ﷺ انقطع عنه الوحي، فقال المشركون: قلا محمداً ربُّه، فنزلت سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ فقال النبي ﷺ: «اللهُ أكبرُ»، وأمر أن يكبر إذا بلغ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ مع خاتمة كل سورة حتى يختم، فكبر شكراً لله تعالى لما كذَّب المشركين(١)، وقيل: قال: الله أكبر تصديقاً لما أنا عليه، وتكذيباً للكافرين، وقيل: فرحاً وسروراً بنزول الوحي، وورد(٢) في ذلك أقوال كثيرة غير ما تقدم.

وأما من ورد عنه، فقد صح التكبير عن أهل مكة قرائهم وعلمائهم،

---

(١) روى حديث التكبير عند بلوغ القارىء سورة الضحى: الحاكم في «المستدرك» (٢٣٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٧٧)، من طريق أبي الحسن البزي المقري. قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٢): فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذل أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث. ثم قال بعد كلام: ولم يرو ذلك ـ أي: التكبير ـ بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، والله أعلم.

(٢) في «ت»: «وروي».

وصح أيضاً عن أبي جعفر، وأبي عمرو، وورد عن سائر القراء عند الختم، وهو سنة مأثورة عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين في الصلاة وخارجها، لكن من فعله، فحسن، ومن لم يفعله، فلا حرج عليه[1].

وأما ابتداؤه، فاختلف فيه، فروي أنه من أول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ وروي أنه من أول ﴿وَالضُّحَىٰ﴾.

واختلف أيضاً في النهاية، فروي أن انتهاءه آخر سورة الناس، وروي: أولها، وقد ثبت نصه عن الإمامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما، ولم يستحبه الحنابلة؛ لقراءة غير ابن كثير، ولم أطلع على نص في ذلك لأبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما.

ولفظه: (الله أكبر[2]) في رواية البزي، وقنبل، وروي عنهما: التهليل قبل التكبير، ولفظة: (لا إله إلا الله والله أكبر)، والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهوران مستعملان.

وصفة التكبير في رواية ابن كثير بين كل سورتين أربعة عشر وجهاً:

الأول: قطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة، ووصل البسملة في أول السورة الآتية، وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) صل[3] (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَالضُّحَىٰ﴾.

---

(١) قال البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٧١ـ ٣٧٢) بعد أن ذكر الأقوال السالفة: قال أحمد: وقد روي عن النبي ﷺ في دعاء الختم حديث منقطع بإسناد ضعيف؛ وقد تساهل أهل الحديث في قبول ما ورد من الدعوات وفضائل الأعمال، متى ما لم تكن من رواية من يعرف بوضع الحديث أو الكذب في الرواية.

(٢) «أكبر» ساقطة من «ت».

(٣) قوله: «قف» و«صل» زيادة من «ت».

الثاني: قطعه عن آخر السورة، ووصله بالبسملة، والوقوف على البسملة، ثم الابتداء بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) صل (بسم الله الرحمن الرحيم) قف ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

الثالث: وصله بآخر السورة، والقطع عليه، ووصل البسملة بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ صل (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

الرابع: وصله بآخر السورة، والقطع على البسملة، وهو ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ صل (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) قف ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

الخامس: قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة، ووصل البسملة بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

السادس: وصل التكبير بآخر السورة، والبسملة بأول السورة، وهو ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ صل (الله أكبر) صل (بسم الله الرحمن الرحيم) صل ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

السابع: قطع الجميع؛ أي: قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة، وقطع البسملة عن السورة الآتية، وهو: ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ قف (الله أكبر) قف (بسم الله الرحمن الرحيم) قف ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.

فهذه السبعة صفته مع التكبير، ويأتي مع التهليل مثل ذلك، وبقي وجه لا يجوز، وهو وصل التكبير بآخر السورة، وبالبسملة مع القطع عليها، وهو ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ (الله أكبر) (بسم الله الرحمن الرحيم) بالوصل في الجميع، ثم يسكت على البسملة، ثم يبتدىء ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، فهذا ممتنع

إجماعاً؛ لأن البسملة لأول السورة، فلا يجوز أن تجعل منفصلة عنها متصلة بآخر السورة قبلها.

واعلم أن القارىء إذا وصل التكبير بآخر السورة، فإن كان آخرها ساكناً، كسره للساكنين؛ نحو: (فَحَدِّثِ اللهُ أكبرُ)، و(فَارْغَبِ اللهُ أكبرُ)، وإن كان منوناً، كسره أيضاً للساكنين، وسواء كان الحرف المنون مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً، نحو: (توَّاباً اللهُ أكبرُ) و(لَخَبِيرٌ اللهُ أكبرُ)، و(مِنْ مَسَدٍ اللهُ أكبرُ)، وإن كان آخر السورة مفتوحاً، فتحه، وإن كان مكسوراً، كسره، وإن كان مضموماً، ضمه، نحو: قولِه: (إِذَا حَسَدَ الله أَكبرُ)، (والنَّاسِ اللهُ أَكبرُ)، و(الأَبْتَرُ اللهُ أكبرُ)، وشبهه، وإن كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو، حذف صلتها للساكنين؛ نحو: (رَبَّهُ اللهُ أكبرُ) و(شَرّاً يَرَهُ اللهُ أكبرُ)، وأسقطت ألف الوصل التي في أول اسم الله ـ عز وجل ـ في جميع ذلك استغناءً عنها، والله أعلم.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾.

[١] ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ هو سطوعُ الضوء وعِظَمُه، وتقدم ذكرُ وقته أول سورة الشمس، أقسم الله به، وأراد به النهارَ كلَّه؛ بدليل أنه قابله بالليل.

* * *

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

[٢] فقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أقبل بظلامه.

* * *

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] وجواب القسم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾ ما قطعك[١] ﴿ رَبُّكَ ﴾ قطعَ المودِّعِ.

﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ أي: ما أبغضَكَ، وحذفت الكاف من قلاك؛ لدلالة الكلام.

***

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَلَلْآخِرَةُ ﴾ وما أعدَّ لك فيها من الكرامة ﴿ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ لأن الآخرة باقية، والأولى فانية.

***

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَسَوْفَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: ولأنت سوف.

﴿ يُعْطِيكَ رَبُّكَ ﴾ في الآخرة عطاء ﴿ فَتَرْضَىٰ ﴾.

عن ابن عباس، وعلي، والحسين: «هو الشفاعة»[٢].

و(سَوْفَ) إذا كان في قصة المؤمنين، فمعناه الوعد، وإذا كان في قصة المشركين، فمعناه الوعيد.

وقال الأزرق[٣]: ومما يرضيه بعد إخراج كل مؤمن من النار ألاَّ يسوءَهُ في أمه وأبيه، وإن منع من الاستغفار لهما، وأذن له في زيارة قبرهما في وقت دون وقت؛ لأنهما من أهل الفترة، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، ومن لم يقنعه هذا، فحظ المؤمن منهما الوقف

---

(١) «ما قطعك» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٣٤).

(٣) في «ت»: «الفهري».

فيهما، وألاَّ يحكم عليهما بنار إلا بنص كتاب أو سنة أو إجماع الأمة، بخلاف ما ثبت في عمه أبي طالب[1].

***

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ ﴾.

[٦] ثم عدَّد تعالى نعمه على نبيه ﷺ، فقال: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴾ مات أبوك ﴿ فَـَٔاوَىٰ ﴾ أي: آواك إلى عمك بعد موت أبيك.

***

﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾.

[٧] وقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ ﴾ معناه: قد وجدك، ودليله عطف قوله: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ عن معالم الشرع[2] ﴿ فَهَدَىٰ ﴾ أي: فهداك إليها.

***

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا ﴾ فقيراً ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾ فقنَّعك بما أعطاك من الغنائم والرزق.

قال ﷺ «ليس الغِنى عن كثرةِ العَرَض، ولكنَّ الغِنى غِنى النَّفْس»[3].

---

(١) **قلت**: قد ثبت في «صحيح مسلم» (٢٠٣) وغيره قول النبي ﷺ لذاك الرجل الذي أتى يسأل عن أبيه، فأجابه النبي ﷺ بأنه في النار، ثم قال له: «إن أبي وأباك في النار». قال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٧٩): فيه أنه من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار.

(٢) في «ت»: «الشرائع».

(٣) رواه البخاري (٦٠٨١)، كتاب: الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، ومسلم (١٠٥١)، كتاب: الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾ .

[٩] ثم أوصاه باليتامى والفقراء، فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ بأخذ ماله.

* * *

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ .

[١٠] ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ لا تزجر، فإما أن تطعمه، وإما أن ترده رداً ليناً.

* * *

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ .

[١١] ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ عليك بالنبوة وغيرها من الصلاح ﴿ فَحَدِّثْ ﴾ به الناس.

قال ﷺ: «التحدُّث بالنعم شكرٌ»(١) .

أمال رؤوس آي هذه السورة ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، واختص الكسائي دونهما بإمالة (سَجَى)(٢) .

وأما حكم صلاة الضحى، فهي سنة بالاتفاق، ووقتها إذا علت الشمس إلى قبيل وقت الزوال، وهي عند أبي حنيفة ركعتان، أو أربع بتسليمة،

---

(١) رواه بهذا اللفظ: ابن أبي الدنيا في «الشكر» (ص: ٢٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٤)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٧٩).

وعند مالك: لا تنحصر، وعند الشافعي وأحمد: أقلها ركعتان، واختلفا في أكثرها، فقال الشافعي: اثنتا عشرة، وقال أحمد: ثمان، وهو الذي عليه الأكثرون من أصحاب الشافعي، وصححه النووي في التحقيق، والله أعلم.

* * *

سورة الم نشرح

مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وحرفان، وكلمها: سبع وعشرة كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾.

[١] عدَّد الله نعمه على نبيه ﷺ، فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وشرحُ الصدر المذكور هو تنويرُ قلبه بالحكمة، وتوسيعُه لتلقي ما يوحى إليه.

* * *

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ إثمك الماضي في الجاهلية، والوزر أصله: الثقل، فشبهت الذنوب به، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وكان رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل النبوة وزرهُ صحبةُ قومه، وأكلُه من ذبائحهم، ونحو هذا، وهذه كلها جرها المنشأ، وأما عبادة الأصنام، فلم يتلبس بها قط بإجماع الأمة(١)، وتقدم في الشورى.

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٩٦).

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أثقلَه حتى سُمع له نقيض؛ أي: صوت، وقيل: المعنى: أنه حُفظ قبل النبوة منها، وعُصم، ولولا ذلك، لأثقلت ظهره.

* * *

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ نوَّهْنا باسمك بأنه إذا ذُكر الله، ذكرتَ معه، والاستفهام في كلها بمعنى التقرير؛ أي: قد فعلنا ذلك كله.

* * *

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ ﴾ أي: مع ما تراه من الأذى ﴿ يُسْرًا ﴾ فرجاً يأتي.

* * *

﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ كرره مبالغة وتثبيتاً للخير، وذهب كثير من العلماء إلى أن مع كل عسر يسرين بهذه الآية؛ من حيث (العسرُ) معرف للعهد، فيكون الثاني الأولَ بعينه، و(اليسر) منكَّر، فالأولُ غيرُ الثاني، وقد روي في هذا التأويل حديثٌ عن النبي ﷺ أنه قال: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»(١)؛ أي: لن يغلب عسرُ الدنيا يُسري الدنيا والآخرة. قرأ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠١٣)، عن الحسن مرسلاً.

أبـو جعفـر: (الْعُسُـرِ يُسُـراً) بضـم السيـن فـي المـوضعيـن، والبـاقـون: بإسكانها[1].

* * *

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ من الصلاة والعبادات ﴿ فَٱنصَبْ ﴾ فاتعبْ فيما ينجيك من العذاب، والمعنى: أن يدأب على ما أُمر به، ولا يفتُرَ.

* * *

﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ تضرَّعْ إليه، وتوكل عليه، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٨٧ـ١٨٨).

سُورَةُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ

مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وتسعة وخمسون حرفاً، وكلمها: أربع وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١)﴾.

[١] ﴿وَالتِّينِ﴾ هو الجبل الذي عليه دمشق ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ هو طور زيتا الجبل الذي ببيت المقدس من جهة المشرق، وذلك أن التين ينبت كثيراً بدمشق، والزيتون بإيلياء، وقيل: المراد بالتين: الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر، وأكل النبي ﷺ مع أصحابه تيناً أهدي إليه، فقال: «لو قلتُ إن فاكهةً نزلَتْ من الجنة، لقلت هذه؛ لأن فاكهةَ الجنة بلا عَجَم، فكلوا، فإنه يقطعُ البواسيرَ، وينفع من النِّقْرِسِ»(١).

وقال ﷺ: «نعمَ السواكُ الزيتونُ من الشجرةِ المباركةِ، هي سواكي وسواكُ الأنبياء من قبلي»(٢).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/٢٣٨)، وأبو نعيم في «الطب»، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، بإسناد مجهول، كما قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/١١٠٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٧٨)، وفي «مسند الشاميين» (٤٦) قال=

﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾ .

[٢] ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ـ عليه السلام ـ بلا خلاف، ومعنى سينين: حسن مبارك، وقيل: معناه: ذو الشجر.

* * *

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ أي: الآمن؛ يعني: مكة بلا خلاف؛ لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً، أقسم الله بهذه الأشياء تشريفاً لها.

* * *

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ﴾ .

[٤] وجواب القسم: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ والمراد به: الجنس.

﴿ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ أعدلِ قامة، وأحسن صورة، وذلك أنه تعالى خلق كل شيء مُنكبّاً على وجهه، إلا الإنسان.

* * *

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ ﴾ بعد القدرة والكمال ﴿ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ إلى الهرم وأرذل العمر حتى ينقضي عمره، ويضعف بدنه، ويذهب عقله.

* * *

= الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٠٠): وفيه معلل بن محمد ولم أجد من ذكره. وانظر: «التلخيص الحبير» لابن حجر (١/ ٧٢).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ منهم، فإنه يكتب لهم بعد الهرم مثل حال الشباب.

قال ابن عباس: «هم نفر رُدُّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى عذرهم، وأخبر أن لهم أجرهم مثل الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم»[١]، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ محسوب يمنُّ عليهم به[٢]، وثبتت الفاء في (فَلَهُمْ) هنا، ولم تثبت في (لَهُمْ) آخر الانشقاق؛ جمعاً بين اللغتين.

* * *

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾.

[٧] ثم قال إلزاماً للحجة، وتوبيخاً للكفار: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ ما سببُ تكذيبك أيها الإنسان ﴿ بَعْدُ ﴾ أي: بعد هذا الدليل القاطع ﴿ بِٱلدِّينِ ﴾ بالحساب والجزاء، يقال: أكذبته: وجدتُه كاذباً، وكذَّبته مشدداً: قلت له: كذبت.

* * *

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ بأفصل الفاصلين، فيفصل بينك وبين مكذبيك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٤). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٤٤).

(٢) «محسوب يمن عليهم به» زيادة من «ت».

قال قتادة: كان النبي ﷺ إذا قرأ هذه الآية، قال: «بَلَى، وأنا على ذلك من الشاهدين»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٥٠). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٤٥).
ورواه أبو داود (٨٨٧)، كتاب: الصلاة، باب: مقدار الركوع والسجود، والترمذي (٣٣٤٧)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التين، من طريق إسماعيل بن أمية، عن أعرابي، عن أبي هريرة، به. قال الترمذي: إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى.

سورة العلق

مكية، وآيها: تسع عشرة آية، وحروفها: مئتان وتسعة وعشرون حرفاً، وكلمها: اثنتان وسبعون كلمة، وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى على الأصح، وعليه الأكثر، وتقدم التنبيه عليه في سورة المدثر، نزل صدرها وهو خمس آيات إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ في غار حراء، كذا ورد به الحديث الصحيح، والترتيب في أخبار النبي ﷺ يقتضي ذلك، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أولُ ما بُدِىء رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فَلَق الصبح، ثم حُبِّب إليه التحنُّثُ في غار حراء، فكان يخلو فيه، فيتحنَّثُ فيه الليالي ذوات العدد، ثم ينصرف، حتى جاءه الملَكُ وهو في غار حراء، فقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني، ثم كذلك ثلاث مرات، فقال في الثالثة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، قالت: فرجعَ رسولُ الله ﷺ يرجُفُ فؤادُه» الحديث بطوله[1].

---

(١) رواه البخاري (٣)، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم (١٦٠) كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ .

[١] ومعنى الآية: ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ هذا القرآن مفتتحاً ﴿ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ كما قال ﴿ ۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا ﴾ [هود: ٤١]، ودخلت الباء في بسم لتدل على الملازمة والتكرير، ولما ذكر الرب، وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأصنام أرباباً، جاء بالصفة التي لا شركة للأصنام فيها، وهي قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ .

* * *

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ﴾ .

[٢] ثم مثل لهم من المخلوقات ما لا مدافعة فيه، فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ أي: جنس الإنسان[١] إدريسُ عليه السلام.

﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ جمع علقة، وهي القطعة الصغيرة[٢] من الدم، وخلقةُ الإنسان من أعظم العبر، وليس المراد آدم عليه السلام؛ لأنه خُلق من طين.

* * *

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ .

[٣] ثم قال على جهة التأنيس: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ الذي لا يلحقه نقص، فليس هو كهذه الأرباب، فهو ينصرك ويظهرك.

* * *

---

(١) «أي: جنس الإنسان» زيادة من «ت».

(٢) في «ت»: «اليسيرة».

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ .

[٤] ثم عدد نعمة الكتابة بالقلم على الناس، وهي موضع عبرة، وأعظم منفعة، فقال: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ ﴾ الخطَّ ﴿ بِٱلْقَلَمِ ﴾ وأولُ من خط بالقلم إدريس عليه السلام[١] .

* * *

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ والمراد: الجنس؛ أي: علمهم ما لم يكونوا عالمين به من مصالحهم وصناعاتهم.

* * *

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ ﴾ .

[٦] ونزل بعد ذلك في شأن أبي جهل بن هشام، وذلك أنه لما طغى؛ لغناه ولكثرة ناديه من الناس، فناصبَ رسولَ الله ﷺ العداوةَ، ونهاه عن الصلاة في المسجد ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ على أقوال أبي جهل وأفعاله[٢] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ أبا جهل[٣] ﴿ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ ليتجاوز حدَّه كِبْراً.

* * *

﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ أَن ﴾ أي: لأن ﴿ رَّءَاهُ ﴾ أي: رأى نفسه ﴿ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ مفعول له؛ أي:

---

(١) «إدريس عليه السلام» سقط من «ت».

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٧)، كتاب: صفة القيامة الجنة والنار، باب: قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «أبا جهل» زيادة من «ت».

يطغى لذلك. قراءة العامة: (رَآهُ) بالمد على وزن رَعَاهُ، وقرأ قنبل عن ابن كثير: (رَأَهُ) بالقصر على وزن رعه، لغة مشهورة بحذف الألف من يرى، لا لجازم، بل تخفيفاً، ولأن الفتحة تدل عليها[1]، والرؤية هنا بمعنى العلم لتعديها إلى مفعولين، الأول: الهاء، والثاني: (اسْتَغْنَى)، وتقدم اختلاف القراء في الفتح والإمالة في (رَآهُ) في سورة التكوير [الآية: ٢٣].

***

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: إلى حسابه وجزائه ﴿ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ أي: الرجوع.

***

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ ﴾.

[٩] ونزل في أبي جهل ونهيِه النبيَّ ﷺ عن الصلاة، وقولِه: لو رأيتُ محمداً ساجداً، لوطئتُ عنقه، فجاءه، ثم نكص على عقبه، فقيل له: مالَكَ؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴾[2].

***

﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾.

[١٠] ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي، والدلالة على كمال عبودية المنهي.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩٦).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ .

[١١] ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ ﴾ المصلي ﴿ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ .

* * *

﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ ﴾ .

[١٢] ﴿ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴾ .

* * *

﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ .

[١٣] وجواب الشرط الأول محذوف؛ لدلالة جواب الشرط الثاني عليه في ﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ ﴾ الناهي عن الصلاة.

﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ عن الإيمان. قرأ نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة التي بعد الراء، وعن ورش: إبدالها ألفاً، والكسائي: يسقطها أصلاً[١].

* * *

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ .

[١٤] وجواب الشرط الثاني: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ فعلَه، فيجازيه به. أمال رؤوس الآي من قوله (لَيَطْغَى) إلى قوله (يَرَى): ورش، وأبو عمرو بخلاف عنهما، وافقهما على الإمالة: حمزة، والكسائي، وخلف، وفتحها الباقون[٢].

---

(١) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩٧).

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: =

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥﴾.

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردعٌ للناهي، ثم توعَّده فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ الكافرُ عن تكذيب محمد ﷺ.

﴿لَنَسْفَعًا﴾ لنأخذَنْ بشدَّة وقهر ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: ناصيته، وهي شعر مقدَّم الرأس، فيجر إلى جهنم ذليلاً، ورسمت (لَنَسْفَعاً) في المصحف بألف بعد النون.

* * *

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾.

[١٦] ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل من ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾، ثم وصفها بقوله: ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ مجازاً، والمراد صاحبها. قرأ أبو جعفر: (خَاطِيَةٍ) بفتح الياء، والباقون: بالهمز.

* * *

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧﴾.

[١٧] ولما نهى أبو جهل النبيَّ ﷺ عن الصلاة، فانتهره النبيُّ ﷺ، فقال: أتنهرني؟! فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خَيْلاً جُرْداً، ورجالاً مُرْداً، وإنك لتعلم أن ما بها نادٍ أكثر مني، نزل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾[١] عشيرته، فلينتصر بهم.

= ٤٤١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ١٩٥).

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٤٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٠٨).

﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ ﴾ .

[١٨] ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ لإهلاكه، وهم زبانية جهنم؛ مأخوذ من الزَّبْن، وهو الدفع.

* * *

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾ .

[١٩] ﴿ كَلَّآ ﴾ ردٌّ على قول الكافر وأفعاله ﴿ لَا تُطِعْهُ ﴾ لا تلتفتْ إلى نهيه وكلامه ﴿ وَٱسْجُدْ ﴾ لربك ﴿ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ أي: تقرَّبْ إلى الله بطاعته.

قال ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ إلى ربه إذا سجدَ، فأكثروا من الدعاء في السجود»(١).

وهذا محل سجود عند الثلاثة؛ خلافاً لمالك، وهم على أصولهم بالقول بالوجوب والسنية، كما تقدم اختلافهم ملخصاً عند سجدة مريم.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سجدْنا معَ رسول الله ﷺ في ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾، و﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾(٢)، والله أعلم.

* * *

(١) رواه مسلم (٤٨٢)، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

سورة القدر

مدنية، وقيل: مكية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: مئة وخمسة وعشرون[1] حرفاً، وكلمها: ثلاثون كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾.

[١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ الضميرُ للقرآن، ولم يتقدم ذكرُه؛ لدلالة المعنى عليه.

﴿ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا جملةً، ثم نزل به نجوماً إلى الأرض على محمد ﷺ في عشرين، أو ثلاث وعشرين سنة، وسميت ليلة القدر؛ لأنها تُقَدَّر فيها آجالُ العباد وأرزاقُهم، ويأتي الكلام عليها بعد انتهاء التفسير.

* * *

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ثم عجَّبَ الله تعالى نبيَّه ﷺ فقال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾

---

(١) في «ت»: «عشر».

لأنها ليلة تقدير الأحكام والأمور، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة؛ لقوله ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

* * *

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾.

[٣] روي أن رسول الله ذُكر له رجلٌ من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألفَ شهر، فعجب رسولُ الله ﷺ، وتمنى ذلك لأمته، فقال: «يا ربِّ جعلْتَ أمتي أقصرَ الأممِ أعماراً، وأقلَّ أعمالاً»، فأعطاه الله ليلة القدر[١]، فقال: ﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: قيامُها والعبادةُ فيها.

﴿ خَيْرٌ مِّنْ﴾ عمل ﴿ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلةُ القدر، وهي ثمانون سنة، وثلاثة أعوام، وثلث عام[٢].

وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال حين عوتب في تسليمه الأمرَ لمعاوية: «إن الله تعالى أرى نبيَّه في المنام بني أمية ينزون على منبره نزوَ القردة، فاهتمَّ لذلك، فأعطاه الله ليلة القدر خير له ولذريته ولأهل بيته من ألف شهر»[٣]، وهي مدة ملك بني أمية، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدرَ من الزمان، ثم كُشِفَ الغيبُ أن كان من سنة الجماعة إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٥٨).

(٢) «وثلث عام» ساقطة من «ت».

(٣) كذا ساقه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٥)، وقد روى أبو يعلى في «مسنده» (٦٤٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الذهبي في «السير» (٢/ ١٠٨) في ترجمة الحكم بن أبي العاص: ويروى في سبه أحاديث لم تصح. فذكر هذا الحديث منها.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ هو جبريل عليه السلام ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في ليلة القدر. قرأ البزي (شَهْر تَّنَزَّلُ) بتشديد التاء حالة الوصل[١].

﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ أي: بأمره ﴿ مِّن كُلِّ ﴾ أي: بكل ﴿ أَمْرٍ ﴾ من الخير والشر.

* * *

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ أي: سلام على أولياء الله وأهل طاعته، وسميت سلاماً؛ لكثرة السلام فيها؛ لأن الملائكة لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلَّمت عليه، فـ(حَتَّى) متعلقة بـ(سَلاَمٌ)؛ أي: إن الملائكة تسلم من غروب الشمس.

﴿ حَتَّىٰ ﴾ أي: إلى وقت ﴿ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ أي: طلوعه. قرأ الكسائي، وخلف: (مَطْلِعِ) بكسر اللام، والباقون: بفتحها[٢]، وهما لغتان في مصدر طَلَع، والأزرق عن ورش على أصله في تفخيمها.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «من قامَ ليلةَ القدر إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدَّمَ من ذنبِه»[٣].

---

(١) انظر: «الغيث» للصفاقسي (ص: ٣٩١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٠٣).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٥٩)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٠٣ـ٢٠٤).

(٣) رواه البخاري (٣٥)، كتاب: الإيمان، باب: قيام ليلة القدر من الإيمان، ومسلم=

والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة، وقد أبهمها الله ـ عز وجل ـ على الأمة؛ ليجتهدوا في الدعاء والعبادة لياليَ شهر رمضان؛ طمعاً في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، واسمَه الأعظم في الأسماء، وأخفى قيامَ الساعة[1]؛ ليجتهدوا في الطاعات؛ حذراً من قيامها.

واختلف الأئمة فيها، فعند أبي حنيفة: هي في شهر رمضان تدور فيه، وعنه رواية تدور في كل السنة، وعند صاحبيه: هي منكَّرة؛ أي: غير معينة، ولكنها دائمة في شهر رمضان؛ أي: ثابتة لا تتقدم ولا تتأخر، وعند مالك: هي في شهر رمضان في العشر الأخير لتسع بقين، أو سبع أو خمس، وميل الشافعي إلى أنها ليلة الحادي والعشرين، أو الثالث والعشرين منه، وعند أحمد: هي في العشر الأخير منه، والوتر آكد، وأرجاه ليلة سبع وعشرين.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في «شرح البخاري»[2] فيها خمسة وأربعين قولاً، ولخصها صاحب «الإنصاف» فيه: الأول: قد رفعت، والثاني: خاصة بسنة واحدة وقعت في زمنه عليه أفضل الصلاة والسلام، الثالث: خاصة بهذه الأمة، الرابع: ممكنة في جميع السنة، الخامس: تنتقل في جميع السنة، السادس: ليلة النصف من شعبان،

= (٧٦٠)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح.

(١) «الساعة» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «فتح الباري» (٤/ ٢٦٢).

السابع: مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه، الثامن: أول ليلة منه، التاسع: النصف منه، العاشر: ليلة سبع عشرة، الحادي عشر: ثماني عشر، الثاني عشر: تسع عشر، الثالث عشر: حادي عشرين، الرابع عشر: ثاني عشرين، الخامس عشر: ثالث عشرين، السادس عشر: رابع عشرين، السابع عشر: خامس عشرين، الثامن عشر: سادس عشرين، التاسع عشر: سابع عشرين، العشرون: ثامن عشرين، الحادي والعشرون: تاسع عشرين، الثاني والعشرون: ليلة الثلاثين، الثالث والعشرون: أرجاها ليلة إحدى وعشرين، الرابع والعشرون: ثلاث وعشرين، الخامس والعشرون: سبع وعشرين، السادس والعشرون: تنتقل في جميع رمضان، السابع والعشرون: في النصف الأخير، الثامن والعشرون: في العشر الأخير كله، التاسع والعشرون: في أوتار العشر الأخير، الثلاثون: مثله بزيادة الليلة الأخيرة، الحادي والثلاثون: في السبع الأواخر، وهي الليالي السبع من آخر الشهر، الثاني والثلاثون: أو هي آخر سبع من الشهر، الثالث والثلاثون: منحصرة في السبع الأواخر منه، الرابع والثلاثون: في أشفاع العشر الأوسط والعشر الأخير، الخامس والثلاثون: مبهمة في العشر الأوسط، السادس والثلاثون: أول ليلة أو آخر ليلة، السابع والثلاثون: أول ليلة أو تاسع ليلة أو سابع عشرة أو إحدى وعشرين أو آخر ليلة، الثامن والثلاثون: في سبع أو ثمان من أول النصف الثاني، التاسع والثلاثون: ليلة ست عشرة أو سبع عشرة[1]، الأربعون: ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة أو

(١) «أو سبع عشرة» ساقطة من «ت».

إحدى وعشرين، الحادي والأربعون: ليلة تسع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، الثاني والأربعون: ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، الثالث والأربعون: ليلة اثنين وعشرين أو ثلاث وعشرين، الرابع والأربعون: ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، الخامس والأربعون: الثالثة من العشر الأخير أو الخامسة منه، والله أعلم[1].

* * *

(١) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٣/ ٣٥٥ـ ٣٥٦).

سُورَةُ البَيِّنَةِ

مكية على الأشهر، وقيل: مدنية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: أربع مئة وثلاثة أحرف، وكلمها: أربع وتسعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود والنصارى، وتعطف على ﴿أَهْلِ﴾ ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وهم عبدة الأوثان، فـ(الذين) اسم كان، وخبرها ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: زائلين عما هم عليه من الدين.

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة، وهو محمد ﷺ؛ أي: تمسكوا بدينهم إلى أن بُعث ﷺ، فدعاهم إلى الإيمان، وأنقذهم من الضلال، وهذه الآية فيمن آمن من الفريقين.

* * *

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾.

[٢] ثم فسر البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟﴾ يقرأ[١] ﴿صُحُفًا﴾ كتباً

---

(١) «يقرأ» ساقطة من «ت».

﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ من الباطل والكذب، والمراد: يتلو مضمونَ مكتوبِ الصحف، وهو القرآن، لا نفس المكتوب؛ لأنه ﷺ كان يتلو عن ظهر قلبه؛ لأنه كان أمياً، ولما كان تالياً بلسانه ما في الصحف، فكأنه تلا الصحف.

* * *

﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ فِيهَا ﴾ أي: في ﴿ كُتُبٌ ﴾ أي: أحكام مكتوبة ﴿ قَيِّمَةٌ ﴾ مستقيمة.

* * *

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ثم بين تعالى أن اختلافهم إنما وقع بعد بعثه ﷺ، فقال: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ في أمر محمد ﷺ ﴿ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أي: بعدما رأوا الآيات الواضحة، وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته، فلما جاء من العرب، حسدوه، واختلفوا في أمره، فآمن بعضهم، وكفر آخرون.

* * *

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ هؤلاء الكفار ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ لا يشركون به شيئاً ﴿ حُنَفَاءَ ﴾ مستقيمين؛ أي: ما أُمروا في كتابيهما إلا بهذا الوصف، و(مُخْلِصِينَ) و(حُنَفَاءَ) نصب على الحال من ضمير (يَعْبُدُوا).

﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ وكون الزكاة مع الصلاة في هذه الآية مع ذكر بني إسرائيل فيها يقوي قول من قال: السورة مدنية؛ لأن الزكاة إنما فرضت بالمدينة.

﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ﴾ الملةِ ﴿ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ أي: المستقيمة.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ ﴾.

[٦] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ ﴾ يوم القيامة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ والبرية: جميع الخلق؛ لأن الله تعالى برأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ ﴾.

[٧] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ قرأ نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر: (الْبَرِيئَةِ) في الحرفين بالهمز والمد على الأصل؛ لأنه من برأ الله الخلق كما تقدم، وقرأ الباقون: بياء مشددة أبدل من الهمزة ياء تخفيفاً، ثم أدغمت في الياء[١].

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٦٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٠٨).

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ﴾ أي: سُكْنى جنات ﴿عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ والعدن: الإقامة والدوام، وقال ابن مسعود: «عدن: بطنانُ الجنة»؛ أي: وسطها[١].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ تأكيداً للخلود بالتأبيد ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [ورضاه: هو ما أظهره عليهم من أمارات رحمته وغفرانه][٢] ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ ورضاهم: هو الرضا بما قسم لهم من الأرزاق والأقدار.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الجزاء والرضوان ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ وخص أهل[٣] الخشية بالذكر؛ لأنها رأس كل بركة، تنهى عن المعاصي، وتأمر بالمعروف. قرأ قالون عن نافع بخلاف عنه: (رَبَّهُ) باختلاس ضمة الهاء حالة الوصل بالبسملة، والله أعلم.

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٣٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٨٤٠) وغيرهم.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) «أهل» زيادة من «ت».

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مدنية، وقيل: مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وخمسة و خمسون حرفاً، وكلمها: خمس وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١)﴾.

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ حُرِّكَت ﴿الْأَرْضُ﴾ بعنف لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾ تحريكَها الشديد.

* * *

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢)﴾.

[٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ موتاها وكنوزها، فتُلقيها على ظهرها.

* * *

﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣)﴾.

[٣] ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا لَهَا﴾ زلزلت حتى أخرجت ما فيها؟!

* * *

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)﴾.

[٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من (إِذَا)، والعامل في (إِذَا) جوابها، وهو:

﴿ تُحَدِّثُ﴾ الخلقَ ﴿ أَخْبَارَهَا ﴾ بأن تشهد بعمل العاملين عليها، فتشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها؛ بأن تقول: عمل[1] كذا وكذا يوم كذا وكذا.

* * *

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ بِأَنَّ ﴾ أي: تحدث بسبب أنَّ ﴿ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أمرها بأن تخبر بما عليها.

* * *

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بدل من (يَوْمَئِذٍ) قبلُ ﴿ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ ﴾ ينصرفون من موقف الحساب بعد العرض. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، ورويس عن يعقوب: (يَصْدُرُ) بإشمام الصاد الزاي[2] ﴿أَشْتَاتًا ﴾ فرقاً مختلفين، فالمؤمنون إلى الجنة، والكافرون إلى النار، ونصبه على الحال.

﴿ لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ أي: جزاءها، واللام في (لِيُرَوْا) متعلقة بـ(يَصْدُرُ).

* * *

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ وزنَ نملةٍ صغيرة ﴿ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾.

---

(١) «عمل» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٢٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢١١).

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾.

[٨] ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ فيرى الخير كلَّه من كان مؤمناً، والكافر لا يرى في الآخرة خيراً؛ لأن خيره قد عجل له في دنياه، وكذلك المؤمن أيضاً تعجل له سيئاته الصغائر في دنياه[١] في المصائب والأمراض ونحوها. قرأ هشام عن ابن عامر: (يَرَهْ) بإسكان الهاء في الحرفين، وروي عن أبي جعفر ثلاثة أوجه: الإسكان كهشام، واختلاس الضمة، وإشباعها، وروي عن يعقوب: الاختلاس والصلة، وقرأ الباقون: بالإشباع في الصلة[٢].

وروي أنه كان بالمدينة رجلان، أحدُهما لا يبالي عن الصغائر يرتكبها، وكان الآخر يريد أن يتصدق، فلا يجد إلا اليسير فيستحيي من الصدقة، فنزلت الآية فيهما؛ كأنه يقال لأحدهما: تصدَّقْ باليسير؛ فإن مثقال ذرة الخير يُرى، وقيل للآخر: كف عن الصغائر؛ فإن مثقال ذرة الشر يُرى[٣]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «في دنياه» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٤)، و«الكشف» لمكي (٢/ ٣٨٦)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣١١)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢١٢).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٦٧)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٥١٢)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٥١).

سورة العاديات

مختلف فيها كالتي قبلها، وآيها: إحدى عشرة آية، وحروفها: مئة وثمانية وستون حرفاً، وكلمها: أربعون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)﴾.

[١] ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ هي خيل الغزاة؛ لأنها تعدو بالفرسان ﴿ضَبْحًا﴾ وهو صوت أنفاسها عند العدو، ونصبها مصدر.

روي أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً إلى بني كنانة سرية، فأبطأ أمرها حتى أرجف بهم بعضُ المنافقين، فنزلت الآية معلمة أن خيله ﷺ قد فعلت جميع ما في الآيات(١).

***

﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)﴾.

[٢] ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ الخيل توري النارَ بحوافرها إذا سارت في الحجارة.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٥٥).

﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ ﴾ غاراتها[١] ﴿ صُبْحًا ﴾ هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح. قرأ أبو عمرو، وخلاد عن حمزة: بإدغام التاء في ضاد (ضَبْحاً)، وصاد (صُبْحاً)، والباقون: بكسر التاء وإظهارها[٢].

* * *

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ فَأَثَرْنَ ﴾ أي: هَيَّجْنَ ﴿ بِهِۦ ﴾ بمكان سيرهن ﴿ نَقْعًا ﴾ غباراً.

* * *

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ دخلنَ به وسطَ جمع العدو، والفاء للعطف؛ أي: واللاتي عَدَوْنَ فأورَيْنَ فأغرْنَ فأثرْنَ فوسطْنَ، وجواب القسم:

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ لكفورٌ لنعم الله.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تدرون ما الكنودُ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: هو الكفورُ الذي يأكلُ وحده، ويمنعُ رِفْدَه، ويضرِبُ

---

(١) في «ت»: «ظرفها».

(٢) انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٨٦)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢١٥).

عبدَه»[1]، وقد يكون في المؤمنين الكفورُ بالنعمة، فتقدير الآية: إن الإنسان لنعمة ربه لكنود، وأرضٌ كنودٌ: لا تنبت شيئاً[2]، ويقال للبخيل: كنود.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: الإنسانَ ﴿ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أي: شاهدٌ على نفسه بذلك.

* * *

﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾ المالِ ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ أي: لشديدُ الحبِّ له.

* * *

﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ﴾ قُلِبَ وأُخْرِج ﴿ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ توقيف على المآل والمصير؛ أي: أفلا يعلم مآلَه فيستعدَّ له؟ وهذه عبارة عن البعث.

* * *

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَحُصِّلَ ﴾ أُظْهِر ﴿ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ وكُشف؛ ليقع الجزاء عليه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/٢٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٧٨)، وغيرهما من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وإسناده ضعيف. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٢/٧٨)، و«المجروحين» لابن حبان (١/٢١٢).

(٢) «شيئاً» زيادة من «ت».

قال ﷺ: «يُبْعثون على نِيَّاتهم»[1].

* * *

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

[١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ وهو تعالى خبير دائماً، ولكن خصص يومئذ؛ لأنه يوم المجازاة، وفي هذا وعيد مصرح، وجمع الكناية؛ لأن الإنسان اسم جنس، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٠١٢)، كتاب: البيوع، باب: ما ذكر في الأسواق، ومسلم (٢٨٨٤)، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، من حديث عائشة رضي الله عنها.

سورة القارعة

مكية، وآيها: عشر آيات، وحروفها: مئة وستون حرفاً، وكلمها: ست وثلاثون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ۝١ ﴾.

[١] ﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ هي القيامة نفسُها؛ لأنها تقرع القلوبَ بهولها.

* * *

﴿ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ تهويلٌ وتعظيم لأمرها.

* * *

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ الكلام في ذلك وفي إعرابه كما تقدم في (الحاقة).

* * *

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرفٌ العامل فيه : القارعة ﴿ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ﴾ شبه البعوض التي تراها تتهافت في النار ﴿ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ المفرَّق ، شبهوا به ؛ لكثرتهم وانتشارهم واختلاطهم بعضِهم ببعض عند البعث .

* * *

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ كالصوف[١] ﴿ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ والنفشُ[٢] : خلخلة الأجزاء وتفريقُها عن تراصِّها .

* * *

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ رَجَحَتْ بالحسنات ، وميزان القيامة بعمود وكِفَّتين ؛ ليبين الله أمرَ العباد بما عدوه ، ويتيقنوه ، وجمعت الموازين للإنسان ؛ لما كانت له موزونات كثيرة متغايرة .

* * *

﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أي : مرضية في الجنة .

* * *

---

(١) «كالصوف» زيادة من «ت» .

(٢) «والنفس» زيادة من «ت» .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴾ بعدم الحسنات.

***

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ فَأُمُّهُۥ ﴾ أي: مسكنه ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ اسمٌ من أسماء جهنم، وهي المهواة.

***

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ ﴾.

[١٠] ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ المعنى: أيُّ شيء أعلمك ما الهاوية؟ قرأ حمزة، ويعقوب: (مَا هِيَ) بغير هاء في الوصل، وقرأ الباقون: بالهاء في الحالين؛ لثبوتها في المصحف، ونقلها، والهاء للسكت(١).

***

﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾.

[١١] ثم فسر (الهاوية) فقال: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ شديدة الحرارة، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٤٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٢٢).

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مكية، وآيها: ثماني آيات، وحروفها: مئة وتسعة عشر حرفاً، وكلمها: ثمان وعشرون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾.

[١] ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ شغَلَكم ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ المباهاةُ والمفاخرة بكثرة الأموال والرجال عن طاعة الله.

* * *

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فَعَدَدْتم قبور موتاكم، وذلك أن جماعة تفاخروا، فتعادُّوا الأحياء والأموال، وزاروا القبور فتعادُّوا الأموات تفاخراً، فنزلت[١]، وهذا خبر فيه تقريع وتوبيخ، وقيل: معنى (حَتَّى زُرْتُمُ) يعني: متُّم ودُفنتم في المقابر.

* * *

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٥٠٥).

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ كَلَّا ﴾ زجراً؛ أي: ليس الأمر بالتكاثر ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة تفاخركم إذا حل بكم الموت.

* * *

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ كرَّرَ الوعيدَ ثانياً(١) تأكيداً.

* * *

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ﴾ الأمرِ ﴿ ٱلْيَقِينِ ﴾ وجواب (لَو) محذوف، تقديره: لو تعلمون ماذا يُفعل بكم يوم القيامة علمَ يقين لا شك فيه، لشغلكم عن التفاخر والتكاثر.

* * *

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ القسمُ مضمر فيه، معناه: والله لَتَرَوُنَّ. قرأ ابن عامر، والكسائي: (لَتُرَوُنَّ) بضم التاء مجهولاً من أَريتُه الشيء(٢). وقرأ الباقون: بفتح التاء(٣)، وهي الأرجح؛ أي: ترونها بأبصاركم عن بعيد(٤).

---

(١) «ثانياً» ساقطة من «ت».

(٢) «الشيء» ساقطة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٧٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٢٥).

(٤) «عن بعيد» زيادة من «ت».

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾.

[٧] ثم كرر الرؤية تهويلاً لشأنها، فقال: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ الرؤية التي هي نفس اليقين بالمشاهدة، وذلك حين يؤتى بالصراط، فينصب بين جسري جهنم.

***

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ أيها الناس ﴿يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ في الدنيا.

روي أنها خمس: شبع بطن، وبارد الشراب، ولذة النوم، وظلال المساكن، واعتدال الخلق[١].

وأكلَ رسولُ الله ﷺ هو وبعض أصحابه رُطَباً، وشربوا عليه ماءً، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تُسألونَ عنه»[٢]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٨١).

(٢) رواه النسائي (٣٦٣٩)، كتاب: الوصايا، باب: قضاء الدين قبل الميراث، والترمذي (٢٣٦٩)، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، وقال: حسن صحيح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سُورَةُ العَصرِ

مكية، وآيها: ثلاث آيات، وحروفها: أحد وسبعون حرفاً، وكلمها: أربع عشرة كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ ١ ﴾.

[١] ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ هو الدهر، وقيل: هو ما بعد الزوال إلى الغروب.

* * *

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ٢ ﴾.

[٢] وجواب القسم: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ اسمُ جنس ﴿ لَفِى خُسْرٍ ﴾ نقصانٍ وسوءِ حال، والمراد: الكافرُ العاملُ بغير طاعة الله؛ لأنه استثنى بعده المؤمنين.

* * *

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣ ﴾.

[٣] فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي:

أوصى بعضهم بعضاً بالإقامة على التوحيد والإيمان ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ على الطاعة، وعن المعصية، فليسوا في خسران.

وخطب ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ على المنبر فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾: أبو جهل، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: أبو بكر، وعملوا الصالحات: عمر، ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾: عثمان، ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾: علي رضي الله عنهم»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٨٤)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٨٠).

سُورَةُ الهُمَزَةِ

مكية، وآيها: تسع آيات، وحروفها: مئة وثلاثون حرفاً، وكلمها: ثلاث وثلاثون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ يعم الشرَّ والحزن، وقيل: هو اسم واد في جهنم.

﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ هو العَيَّابُ الطَّعَّان.

﴿لُّمَزَةٍ﴾ بمعنى الأول، وأصل الهمز: الكسر، واللمز: الطعن، والمعنى: أنه يكسر من أعراض المسلمين، ويطعن في أنسابهم، والهاء فيهما للمبالغة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين ويقع.

* * *

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾.

[٢] ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح عن يعقوب: (جَمَّعَ) بتشديد الميم، والباقون: بتخفيفها[١].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٢)، و«النشر في=

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أحصاه، وجعله عُدَّةً لحوادث الدهر.

* * *

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهلهِ ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ في الدنيا، فلا يموت. قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم[١]، وحمزة: (يَحْسَبُ) بفتح السين، والباقون: بكسرها[٢].

* * *

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿كَلَّآ﴾ ردٌّ له عن حسبانه، ثم ابتدأ مقسماً، تقديره: والله ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ لَيُطرَحَنَّ.

﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ من أسماء جهنم؛ لأنها تحطم كل ما ألقي فيها؛ أي: تكسره.

* * *

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥﴾.

[٥] ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ ما النار التي لها هذه الخاصية؟

= القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٣٣-٢٣٤).

(١) «وعاصم» زيادة من «ت».

(٢) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٣٤).

﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ﴾.

[٦] ثم عظَّم شأنها وأخبر أنها ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ المسعَّرة[١].

* * *

﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ ﴾.

[٧] ﴿ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ ﴾ تُشْرِف ﴿ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ بإطلاع الله إياها، فتدخل في أجوافهم فتحرقها، فتكون أشدَّ لعذابهم؛ لأن الفؤاد محل العقائد والنيات.

* * *

﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ ﴾.

[٨] ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ تقدَّم تفسيره واختلاف القراء فيه آخر سورة البلد.

* * *

﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩ ﴾.

[٩] ﴿ فِي عَمَدٍ ﴾ جمع عمود. قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر عن عاصم: بضم العين والميم، والباقون: بفتحهما[٢] ﴿ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ مطوَّلة، فتكون أرسخ من القصيرة.

---

(١) في «ت»: «العسرة».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٢)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٣٥).

قال ابن عباس: «أدخلهم في عمد، ومدت عليهم بعماد، في أعناقهم السلاسل، وسدت عليهم بها الأبواب؛ استيثاقاً على استيثاق، وزيادة في العذاب»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٢٩٥). وانظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٢ـ٦٨٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٨٠٣).

سورة الفيل

مكية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: سبعة وتسعون حرفاً، وكلمها: ثلاث وعشرون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

روي أن الحبشة ملكوا اليمن بعد حِمْيَر، فلما صار الملك إلى أبرهة منهم، وكان نائب النجاشي بصنعاء، بنى كنيسة عظيمة، وقصد أن يصرِف حجَّ العرب إليها، ويُبطل الكعبة الحرام، فجاء شخص من العرب وأحدث في تلك الكنيسة، فغضب أبرهة لذلك، وسار بجيشه ومعه الفيل، وهي فيل النجاشي بعثه إليه بسؤاله، وكان فيلاً لم يُر مثلُه عِظَماً وجسماً وقوة، وكان يقال له: محمود، قصد مكة ليهدم الكعبة، فلما وصل إلى الطائف، بعث الأسودَ بنَ مقصود إلى مكة، فساق أموال أهلها، وأحضرها إلى أبرهة، وأرسل أبرهة إلى قريش، فقال لهم: لستُ أقصد الحرب، بل جئت لأهدم الكعبة، فقال عبد المطلب: والله ما نريدُ حربه، هذا بيت الله، فإن منع عنه، فهو بيته وحرمه، وإن خلَّى بينه وبينه، فو الله ما عندنا مِن دفع، ثم انطلق مع رسول أبرهة إليه، فلما استأذن على عبد المطلب، قالوا لأبرهة: هذا سيد قريش، فأذن له أبرهة وأكرمه، ونزل عن سريره وجلس معه،

وسأله عن حاجته، فذكر عبد المطلب أباعِرَه التي أُخذت له، فقال له أبرهة: إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبةَ التي هي دينُك، فقال عبد المطلب: أنا ربُّ الأباعر فأطلبُها، وللبيت ربٌّ يمنعه، فأمر أبرهة بردِّ الأباعر عليه، فأخذها عبد المطلب وانصرف إلى قريش، ولما قرب أبرهة من مكة، وتهيأ لدخولها بجيوشه، ومقدمها الفيل، بقي كلما قَبَّل فيلَه مكة، ينام ويرمي نفسه إلى الأرض، ولم يسر، فإذا قبَّلوه غيرَ مكة، قام يهرول.

وبينما هم كذلك، إذ أَرسل عليهم طيراً أبابيل أمثالَ الخطاطيف، مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فقذفتهم بها، وهي مثل الحِمِّص والعَدَس، فلم تصب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلَّهم أصابت، ثم أرسل الله تعالى سيلاً، فألقاهم في البحر، والذي سلم منهم ولَّى هارباً مع أبرهة إلى اليمن يتبدر الطريق، وصاروا يتساقطون بكل مَنْهَل، وأصيب أبرهة في جسده، وسقطت أعضاؤه، ووصل إلى صنعاء كذلك ومات، ولما وقع ذلك، خرجت قريش إلى منازلهم، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ في نصف المحرم، وولد ﷺ في شهر ربيع الأول، فبين الفيل وبين مولده الشريف خمس وخمسون ليلة، وهي سنة ستة آلاف ومئة وثلاث وستين من هبوط آدم ـ عليه السلام ـ على حكم التوراة اليونانية المعتمدة عند المؤرخين، وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة[١].

* * *

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٦٨٨).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ .

[١] قال الله تعالى مُعَجِّباً من قصتهم، مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أي: تعلم ﴿ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ نُسبوا إليه؛ لأنه كان مقدَّمهم.

* * *

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ ﴾ .

[٢] ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ ﴾ مكرَهم فيما أرادوا من تخريب الكعبة.

﴿ فِى تَضْلِيلٍ ﴾ تضييع وإبطال.

* * *

﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ﴾ لها خراطيمُ كخراطيم الطير، وأَكُفٌّ كأكفِّ الكلاب، وكانت سوداً ﴿ أَبَابِيلَ ﴾ جماعات في تفرقة يتبع بعضُها بعضاً.

* * *

﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ تَرْمِيهِم ﴾ أي: الطيرُ ﴿ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ طينٍ مطبوخ بالنار، فصاحت الطيور، ورمتهم بالحجارة، وبعث الله ريحاً فضربت الحجارة، فزادتها شدة، فما وقع حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دبره.

* * *

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ ﴾ ورق الزرع، وهو التبن ﴿ مَّأْكُولٍ ﴾ أكلته الدواب فراثَتْه فيبس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم تفرق أجزاء الروث، والله أعلم.

* * *

سورة قريش

مكية، وآيها: أربع آيات، وحروفها: أربعة وستون حرفاً، وكلمها: سبع عشرة كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾.

[١] ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ اللام متصلة بما قبلها، والمعنى: فجعلهم كعصف؛ أي: أهلك الله أصحاب الفيل؛ لتتألف قريش، ويؤيده أنهما في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة. (لإِلاَفِ) بهمزة مكسورة بعد اللام من غير ياء بعد الهمزة مثل: لِعِلاف مصدر أَلِفَ ثلاثياً، يقال: ألف الرجل إلفاً وَإِلافاً، وقرأ أبو جعفر: (لِيْلاَفِ) بياء ساكنة من غير همز على وزن دينار، وقرأ الباقون: بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن لِعِيلاف.

* * *

﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

[٢] ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾ بدل من لإيلاف، قرأ أبو جعفر: (إِلاَفِهِمْ) بهمزة مكسورة من غير ياء على وزن عِلافِهم، ووجهها أن تكون مصدرَ ثلاثي؛

كقراءة ابن عامر الأول، وقرأ الباقون: (إِيلاَفِهِمْ) بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن عِيلافهم[1].

﴿رِحْلَةَ﴾ نصب بـ(إِيلافِهِمْ) مفعول به، أصل الرحلة: السير على الراحلة، ثم استعمل لكل سير، المعنى: أهلك أصحاب الفيل؛ لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة.

﴿ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ لئلا يقدم أحد على أذاهم إذا سافروا، وكان لهم رحلتان: في الشتاء إلى اليمن، لأنه أدفأ، وفي الصيف إلى الشام للتجارة، وسائر أغراضهم يستعينون بها على المقام بمكة، وسموا قريشاً تشبيهاً لدابة تكون في البحر يقال لها: قرش، تقهر دواب البحر، وتأكلهم ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلى، فشبهوا بها لشدتهم ومنعتهم، وقريش من ولد النضر بن كنانة، ومن لم يلده، فليس بقرشي، فمعنى الآية: لأن فعل الله بقريش هذا، ومكَّنهم من الفهم هذه النعمة.

* * *

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ وذكرُ البيت هنا متمكن؛ لتقدم حمايته في السورة قبلُ.

* * *

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٩١)، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٤٣).

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ لأنهم قاطنون بواد غير ذي زرع، عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى.

﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ فجعلهم بحرمة البيت مفضَّلين على العرب، يأمنون والناس خائفون، ولولا فضل الله تعالى في ذلك، لكانوا بمدرج المخاوف، وقيل: أمنهم من خوف الجذام، فلا يصيبهم جذام ببلدهم، والله أعلم.

* * *

سورة الماعون

مكية، وقيل: مدنية، وقيل: نصفها مكي ونصفها مدني، وآيها: سبع آيات، وحروفها: مئة واثنا عشر حرفاً، وكلمها: خمس وعشرون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١)﴾.

[١] ﴿أَرَءَيْتَ﴾ المعنى: هل عرفت ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ أي: بالجزاء والحساب. **قرأ** نافع، وأبو جعفر: (أَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، **وقرأ** الكسائي: بحذفها، والباقون: بتحقيقها[1]، المعنى: إن لم تعرفه.

* * *

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)﴾.

[٢] ﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يدفعه عن حقه بعنف؛ لأنهم ما كانوا يورِّثون الصغار.

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٣٩٧-٣٩٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٤٩).

﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ .

[٣] ﴿ وَلَا يَحُضُّ ﴾ نفسَه ولا غيرَه ﴿ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ وتقدم الكلام عليه في سورة الفجر.

* * *

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ﴾ .

[٤] ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ تقدم تفسيره في أول (الهُمَزَة) ﴿ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ .

[٥] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ مؤخِّروها عن وقتها.

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ ﴾ .

[٦] ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ هم المنافقون، يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس، ويصلونها إذا حضروا.

* * *

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ .

[٧] ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ الزكاةَ المفروضةَ، وقيل عاريَّةَ المتاع.

واتفق الأئمة على عدم جواز تأخير الصلاة عن وقتها لمن وجبت عليه بغير عذر.

واتفقوا على أن من جحد وجوبها كفر، وقُتل مرتداً، ومن تركها تهاوناً

وكسلاً، دُعي إلى فعلها، فإن أبى، فعند أبي حنيفة يحبس أبداً حتى يصلي، وقيل: يضرب حتى يسيل الدم، وعند الثلاثة: يقتل.

واختلفوا، فقال أحمد: يقتل كفراً، وقال مالك والشافعي: يقتل حداً.

ووقت قتله عند الشافعي: إذا ضاق وقت الصلاة الأولى، وأخرجها عن وقت الضرورة، وعند أحمد: إذا ترك صلاة، وتضايق وقت التي بعدها، وعند مالك: لا يرخص له بتأخيرها عن وقتها، فإن أتى بها، وإلا قتل.

وأما الزكاة إذا منعها جاحداً وجوبَها وهو جاهل؛ كحديث إسلام ونحوه، عُرِّفَ وبُصِّر، فإن لم يُقر، قُتل كفراً بعد استتابته بالاتفاق.

واختلفوا فيمن منعها بخلاً أو تهاوناً، فقال أبو حنيفة: يأخذها الإمام كرهاً، ويضعها موضَعها، وقال مالك والشافعي: يُعَزَّر، وتؤخذ منه، وافقهما أحمد، وقال: إن غيب ماله، أو كتمه، ولم يمكن أخذها، استُتيب ثلاثة أيام، فإن تاب وأخرج، وإلا قتل حداً، والقتل من مفردات مذهبه؛ خلافاً للثلاثة، والله أعلم.

* * *

سورة الكوثر

مكية، وآيها: ثلاث آيات، وحروفها: اثنان وأربعون حرفاً، وكلمها: عشر كلمات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾.

[١] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ اسم نهر في الجنة.

روى أنس: «أن رسول الله ﷺ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أُنزلت علي آنفاً سورة، وقرأها، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وَعَدَنيه ربي، هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيتُه عددُ النجوم، فيختلج العبدُ منهم، فأقول: ربِّ إنه مني، فيقول: ما تدري ما أحدثَ بعدَكَ»(١).

***

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة العيد يوم النحر، وتقدم الكلام على صلاة

---

(١) رواه مسلم (٤٠٠)، كتاب: الصلاة، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

العيدين والخلاف فيهما في سورة البقرة.

﴿وَٱنْحَرْ﴾ البدن بمنى، وقيل: إن ناساً كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فأمر الله نبيه أن يصلي وينحر لله تعالى.

وتقدم في سورة الحج حكم الأضحية، والمجزىء منها، والأفضل، واختلاف الأئمة في ذلك، وفي ذبح الكتابي لها، وغير ذلك من أحكامها.

وأما وقت الأضحية، فأوله عند أبي حنيفة: طلوع الفجر يوم النحر، إلا أن أهل المصر لا يضحون قبل صلاة العيد، بخلاف أهل القرى، وعند مالك: بعد الصلاة والخطبة، ولا يجوز لأحد أن يذبح قبل الإمام متعمداً إن كان الإمام ممن يظهر النحر، وإلا فلينحر الناس وقتَ ذبحه، أو ذبح أقرب أئمة البلدان إليهم، وعند الشافعي: وقتها إذا طلعت الشمس يوم النحر، ثم مضى قدرُ ركعتين وخطبتين خفيفتين، وعند أحمد: يوم العيد بعد الصلاة أو قدرها، وأيام النحر عند الشافعي: يوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة، وعند الأئمة الثلاثة: يوم النحر، ويومان من أيام التشريق.

* * *

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾.

[٣] ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك. قرأ أبو جعفر: (شَانِيَكَ) بياء مفتوحة، والباقون: بالهمز[١] ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ الأقلُّ الأذلُّ.

روي أن العاص بن وائل كان إذا ذُكر رسول الله ﷺ قال: دعوه؛ فإنه

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٣).

رجل أبتر لا عقبَ له، فإذا هلك، انقطع ذكره، فأنزل الله السورة[1].

وكوثر بناء مبالغة من الكثر، ولا محالة أن الذي أعطى الله نبيه ﷺ من النبوة والحكمة والعلم بربه، والفوز برضوانه، والشرف على عباده، هو أكثر الأشياء وأعظمها، فكأنه يقال في الآية: إنا أعطيناك الحظَّ الأعظمَ، والله أعلم.

* * *

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (٥/ ٢٥٢)، عن يزيد بن رومان. وروى الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٢٩) عن قتادة وابن زيد نحوه.

سُورَةُ الكَافِرُون[1]

مكية، وآيها: ست آيات، وحروفها: أربعة وتسعون حرفاً، وكلمها: ست وعشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾.

[١] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ سبب نزولها أن جماعة من المشركين قالوا للنبي ﷺ: اعبد آلهتنا سنة، ونعبدُ ربك سنة، فقال: «معاذَ الله أن أشرك به غيره»، قال: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد آلهك، فقال: «حتى أنظر ما يأتي من ربي»، فأنزل الله السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقام على رؤوسهم، ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك، وآذوه وأصحابَه[2].

***

---

(١) وتسمى هي والإخلاص: المقشقشتان؛ أي: المبرئتان من النفاق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٣١)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٧٥١)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

[٢] ومعنى ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ لا أعبد الأصنام التي تعبدون.

* * *

﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ ﴾.

[٣] ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ هو الله عز وجل؛ لإشراككم به، واتخاذكم معه الأصنام، فإن زعمتم أنكم تعبدونه، فأنتم كاذبون؛ لأنكم تعبدونه مشركين به.

* * *

﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ ﴾.

[٤] ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾ و(ما) هنا مصدرية، وكذا في الذي بعده؛ أي: لا أعبد مثل عبادتكم.

* * *

﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ ﴾.

[٥] ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ أي: لا تعبدون مثلَ عبادتي التي هي توحيد، تلخيصه: أنه ﷺ نفى أن يكون على مثل حالهم، أو يكونوا على مثل حاله، وهذا الترتيب ليس بتكرار، بل هو بارع الفصاحة، وفيه التأكيد والإبلاغ. قرأ هشام عن ابن عامر: (عَابِدٌ) و(عَابِدُونَ) في الحرفين بالإمالة، والباقون: بالفتح(١).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٩٩)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٧).

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾.

[٦] ثم زاد الأمرَ بياناً وتبرؤاً منهم بقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الشركُ.

﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلامُ. قرأ نافع، وهشام، وحفص، والبزي بخلاف عنه: (وَلِيَ) بفتح الياء، والباقون: بإسكانها[١]، وقرأ يعقوب: (دِينِي) بإثبات الياء في الحالين، والباقون: بحذفها فيهما[٢]، وفي هذه الألفاظ مهادنة ما، وهي منسوخة بآية القتال، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٤)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٥٧).

سورة النصر

مدنية، وآيها: ثلاث آيات، وحروفها: تسعة وسبعون حرفاً، وكلمها: تسع عشرة كلمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

لما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية على وضع الحرب على الناس عشر سنين كما تقدم في سورة الفتح، دخل بنو بكر بن عبد مناف في عقد قريش، ودخل بنو خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، فعدَتْ بنو بكر على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وتظاهرت قريش مع بني بكر، وأعانوهم بالرجال والسلاح بعد أن وعدوهم، ووافوهم متنكرين، فبيتوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم عشرين، ثم ندمت قريش على ما فعلوا، وعلموا أن هذا نقض العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه، فقدموا على رسول الله ﷺ مستعينين به، فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد، وأنشده أبياتاً يسأله أن ينصره، فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرْت يا عَمْرَو بنَ سالمٍ»، ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة على النبي ﷺ، وأخبره، فقال: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد العقد، ويزيد في المدة»، فكان كذلك، ثم قدم أبو سفيان المدينة، فدخل

على ابنته أم حبيبة أم المؤمنين زوجِ رسول الله ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ، طَوَتْه عنه، فقال: ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش، أم رغبتِ به عني؟ قالت: بل هو فِراشُ رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، قال: والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر.

ثم خرج وأتى النبيَّ ﷺ، فكلمه، فلم يردَّ عليه شيئاً، فذهب إلى أبي بكر، ثم إلى عمر، ثم إلى علي ـ رضي الله عنهم ـ على أن يكلموا النبي ﷺ في أمره، وتشفَّع بهم، فلم يفعلوا، فقال لعلي: يا أبا الحسن! إني أرى الأمور قد اشتدت علي، فانصحني، قال: والله لا أعلم شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، والحقْ بأرضك، قال: أو ترى ذلك يغني عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظن، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس! إني قد أجرتُ بين الناس، ثم ركب بعيره وانطلق.

فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ فقص شأنه، وأنه قد[(١)] أجار بين الناس، قالوا: فهل أجاز محمد ذلك؟ قال: لا، قالوا: والله إن زاد الرجل على أن لعب بك.

ثم أمر رسولُ الله ﷺ بالجهاد، وأمر أهله أن يجهزوه، ثم أعلم الناس أنه يريد مكة، وقال: «اللهم خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريش حتى نَبْغَتَهم في بلادهم»، ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة كلثوم بن الحصين الغفاري، فخرج لعشرة مضين من شهر رمضان، ومعه المهاجرون والأنصار، وطوائف من العرب، فكان جيشه عشرة آلاف، فصام وصام

---

(١) «قد» زيادة من «ت».

الناس معه، حتى إذا كان بالكديد، وهو الماء الذي بين قديد، أفطرَ، وبلغ ذلك قريشاً، فخرج أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار، وكان العباس ـ رضي الله عنه ـ أسلم قديماً، وكان يكتم إسلامه، فخرج بعياله مهاجراً، فلقي رسولَ الله ﷺ بالجحفة، أو بذي الحليفة.

ثم حضر أبو سفيان على يدي العباس إلى النبي ﷺ بعد أن أستأمن له، فأسلم هو وحكيم وبديل، وممن أسلم يوم الفتح: معاوية بن أبي سفيان، وأخوه يزيد، وأمه هند بنت عتبة، وكان معاوية يقول: إنه أسلم يوم الحديبية، فكتم إسلامه من أبيه وأمه، وقال العباس: يا رسول الله! إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه فقال: «مَنْ دخلَ دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ، ومن دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمنٌ، ومن دخلَ دارَ حكيمِ بنِ حزام فهو آمنٌ».

ثم أمر رسول الله ﷺ أن تُركز رايةُ سعد بن عبادة بالحجون لما بلغه أنه قال: اليومَ يومُ الملحمة، اليومَ تُستحل الكعبة، فقال: «كذبَ سعدٌ، ولكن هذا يوم يعظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ، ويومٌ تُكْسى فيه الكعبة»، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء في بعض الناس، وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا؛ لأن النبي ﷺ نهى عن القتال؛ إلا أن خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش، فرموه بالنبل، ومنعوه من الدخول، فقاتلهم خالد، فقُتل من المشركين ثمانية وعشرون رجلاً، فلما ظهر النبي ﷺ على ذلك، قال: «ألم أَنْهَهُ عن القتال؟»، فقالوا له: إن خالداً قوتل فقاتل، وقُتل من المسلمين رجلان، ودخل النبي ﷺ من كداء على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح، يُرَجِّع.

وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة الشريفة، وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة، ثم خرج إلى هوازن وثقيف، وتقدم اختلاف الأئمة في حكم فتحها، هل هو صلح أو عَنوة؟ وحكمُ بيع دورها في سورة الحج.

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة، كان على الكعبة ثلاث مئة وستون صنماً، قد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص، فجاء ومعه قضيب، فجعل يومي إلى كل صنم منها، فيخرُّ لوجهه، فيقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، حتى مر عليها كلِّها، وكان على رأسه ﷺ عِمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: «لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه، صدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، ألا إن كل مأثورة أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدميَّ هاتين، إلا سدانةَ الكعبة، وسقايةَ الحاج»، ثم قال: «يا معشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟»، قالوا جميعاً: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ الآية [يوسف: ٩٢]، ثم قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، فأعتقهم رسول الله ﷺ، ثم طاف بالبيت سبعاً على راحلته، واستلم الركن بمِحْجَن كان في يده، ودخل الكعبة، ورأى فيها الشخوص على صورة الملائكة، وصورةَ إبراهيم[(١)] وفي يده الأزلامُ يستقسم بها، فقال: «قاتَلَهُمُ الله! جعلوا شيخنا يستقسِمُ بالأزلام، ما شأنُ إبراهيمَ والأزلام؟!»، ثم أمر بتلك الصور فطُمست، وصلَّى في البيت، ثم جلس على الصفا، وعمرُ بنُ الخطاب أسفلَ منه يأخذ على الناس، وبايع الناس على السمع والطاعة لله ورسوله،

---

(١) من قوله: «وتعلو ولا تعلى» (ص: ٤٣٩) إلى هنا سقط من «ش».

فبايع الرجال ثم النساء، ولما جاء وقت الظهر، أذن بلال ـ رضي الله عنه ـ على ظهر الكعبة، وقام علي ـ رضي الله عنه ـ ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسولَ الله! اجمع لنا الحجابةَ مع السقاية صلَّى الله عليك، فقال ﷺ: «أين عثمانُ بنُ طلحة؟»، فدُعي له، فقال: «هاكَ مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بِرٍّ ووفاء، وقال: خذوها تالدةً خالدةً، لا ينزِعُها منكم إلا ظالم، يا عثمان! إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصلُ إليكم من هذا البيت بالمعروف»[1].

***

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾.

[١] قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ لكَ يا محمدُ على من عاداك وناوأك ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن.

***

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾.

[٢] ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ نصب على الحال من فاعل (يَدْخُلُونَ) أي: جماعات متفرقة؛ لأنه ﷺ لما فتح مكة، جاءه العرب من أقطار العرب طائعين بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً، واثنين اثنين، وما مات ﷺ وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام.

***

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٤٢)، و«الثقات» لابن حبان (٢/ ٣٢)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٠٥ـ ٧٠٧).

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾.

[٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد، حامداً له عليه ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ ترجية عظيمة للمستغفرين.

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ لمن استغفر، فإنك حينئذ[١] لاحق به، وذائق الموت كما ذاق مَنْ قبلك من الرسل، وعند الكمال يُترقب الزوال.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «لما نزلت هذه السورة، علم النبي ﷺ أنه قد نُعيت إليه نفسه»[٢]، وكان ﷺ بعد نزولها يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه[٣]، فعاش بعدها سنتين، لم يُرَ ضاحكاً مستبشراً[٤]، وحج ﷺ فنزل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فعاش أحداً وثمانين يوماً، فنزل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]، فعاش خمسين يوماً، فنزل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فعاش خمسة وثلاثين يوماً، فنزل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فعاش أحداً وعشرين يوماً، وتوفي ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وفرغ من جهازه يوم الثلاثاء، ودفن ليلة الأربعاء في سنة إحدى عشرة من الهجرة الشريفة، وكان مرضه ثلاث عشرة

---

(١) «حينئذ» ساقطة من «ت».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٤٤). وروى البخاري (٤٦٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما نحوه.

(٣) رواه مسلم (٤٨٤)، كتاب: الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١) عن مقاتل.

ليلة، ودفن في الموضع الذي توفاه الله فيه، وله ثلاث وستون سنة، ولم يترك درهماً ولا ديناراً.

قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: «لما كانَ اليومُ الذي دخلَ فيه رسولُ الله ﷺ يعني: المدينة أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلمَ منها كلُّ شيء ﷺ»[1] وشَرَّفَ وكَرَّم.

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٦١٨)، كتاب: المناقب، باب: في فضل النبي ﷺ، وقال: صحيح، وابن ماجه (١٦٣١)، كتاب: الجنائز، باب: ذكر وفاته ودفنه ﷺ، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٣٤)، وغيرهم.

سورة المسد

مكية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: أحد وثمانون حرفاً، وكلمها: ثلاث وعشرون كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

[١] ﴿تَبَّتْ﴾ أي: خسرت ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: هو، أخبر عن يديه والمراد بهما: نفسُه؛ على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله، وأسند ذلك إلى اليدين؛ من حيثُ اليدُ موضع الكسب والربح، وأبو لهب هو عبدُ العزى بنُ عبد المطلب، وهو عم النبي ﷺ، وكني لشهرته بكنيته دون اسمه[١]. قرأ ابن كثير: (لَهْبٍ) بإسكان الهاء، والباقون: بفتحها[٢]، وهما لغتان، ولا خلاف في الحرف الثاني أنه بالفتح.

﴿وَتَبَّ﴾ فالأول دعاء، والثاني خبر؛ كقولهم: أهلكه الله تعالى، وقد هلك.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٥١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧١٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٦٥).

وسبب نزولها: لما دعا رسول الله ﷺ قومه إليه، وقال لهم: «إِنِّي نَذيرٌ لكم بينَ يَدَي عذابٍ شديدٍ»، قال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا[١]؟! وروي أنه أخذ حجراً ليرميه، فافترقوا عنه، فنزلت السورة[٢].

***

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾.

[٢] ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ و(ما) نافية؛ أي: ما يغني ﴿عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ أي: ما يدفع عنه عذابَ الله ما جمعَ من المال، وكان صاحب مواشي ﴿وَمَا﴾ أي: والذي ﴿كَسَبَ﴾ من عَرَض الدنيا من عقار ونحوه، وقيل: المراد بما كسب: بنوه، فكأنه قال: ما أغنى عنه مالُه وولده.

وقال ﷺ: «خيرُ ما كَسَبَ الرجلُ من عملِ يدِه، وإن ولدَ الرجلِ من كَسْبِه»[٣].

***

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ ﴾.

[٣] ثم أوعده بالنار فقال: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ صاحبةَ تلهُّب وتوقُّد.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٧)، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ من حديث ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٥٤٤).

(٣) كذا ساقه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣٤)، وعنه نقله المصنف رحمه الله. وقد رواه أبو داود (٣٥٢٨)، كتاب: الإجارة، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، والنسائي (٤٤٤٩)، كتاب: البيوع، باب: الحث على الكسب، وابن ماجه (٢١٣٧)، كتاب: التجارات، باب: الحث على المكاسب، من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وولده من كسبه».

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ ﴾.

[٤] وتعطف على ضمير ﴿ سَيَصۡلَىٰ ﴾ ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾ أمُّ جميل بنتُ حرب أختُ أبي سفيان ﴿ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ أي: الخطايا.

وقال ابن عباس: كانت تجيء بالشوك، وتطرحه في طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه؛ لتعقرَهم بذلك، فسميت: حمالة الحطب. **قرأ عاصم**: (حَمَّالَةَ) بالنصب على الذم؛ كقوله: ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ ﴾، وقرأ الباقون: بالرفع[١]، وله وجهان: أحدهما: سيصلى هو وامرأتهُ حمالةُ الحطب، والثاني: وامرأته حمالةُ الحطب في النار أيضاً.

* * *

﴿ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ عنقها ﴿ حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴾ سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً، وأصله من المَسْد، وهو الفتل الشديد، فبينا هي ذات يوم حاملة حزمة، فأعيت[٢]، فقعدت على حجر تستريح، فأتاها ملَكٌ فجذبها من حلقها[٣]، فأهلكها الله[٤]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧١٧)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٦٦ـ٢٦٧).

(٢) «فأعيت» زيادة من «ت».

(٣) في «ت»: «خلفها».

(٤) لفظ الجلالة «الله» لم يرد في «ت»، وانظر «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٣٢٧).

سورة الإخلاص

مختلف فيها، وآيها: أربع آيات، وحروفها: سبعة وأربعون حرفاً، وكلمها: خمس عشرة كلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾.

[١] عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن صفة الله(١) ـ سبحانه وتعالى عما يقول الكافرون(٢) ـ، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ﴾(٣) (هو) ضمير الشأن ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ معناه: واحد فرد من جميع جهات الوحدانية، ليس كمثله شيء، وهو ابتداء، و(اللَّهُ) ابتداء ثان، و(أَحَدٌ) خبره، والجملة خبر الأول.

***

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾.

[٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ الذي لا جوف له؛ لأنه تعالى ليس بجسم

---

(١) في «ت»: «نسب ربه».

(٢) في «ت»: «الجاهلون».

(٣) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٤٥٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٥٣٦).

ولا مركب؛ لأنه لو كان مركباً، لكان له باطن، والصمد في كلام العرب: السيد الذي يُصمد إليه في الأمور، و(اللهُ الصَّمَدُ) ابتداء وخبر، والقراءة وصلاً (أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ) منوناً مكسوراً لالتقاء الساكنين، وكان أبو عمرو في أكثر الروايات عنه يسكت عند (هُوَ اللهُ أَحَد)، وزعم أن العرب لا تصل مثل هذا، وروي عنه أنه قال: وصلُها قراءة موضوعة[1]، وروي عنه أنه قال: أدركت القراء كذلك يقرؤونها (قُلْ هُوَ اللهُ أَحد)، وإن وصلت، نونت، وروي عنه أنه قال: أحبُّ إليَّ إذا كان رأس آية أن يسكت عندها، وذلك لأن الآية منقطعة مما بعدها، مكتفية بمعناها، فهي فاصلة، وبها سميت آية، وأما وقفهم كلهم، فيسكتون على الدال[2].

* * *

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾.

[٣] ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لعدم المجانسة؛ لأنه لم يكن له من يجانسه فيتوالد[3] ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود محدَثٌ وجسمٌ، وهو تعالى ليس بجسم ولا محدَث، وهو رد على إشارة الكفار في النسب الذي سألوه.

* * *

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ خبر (كان)، واسمها ﴿أَحَدٌۢ﴾ قرأ حفص عن عاصم: (كُفُواً) بضم الفاء وفتح الواو من غير همز، وقرأ حمزة،

---

(١) في «ت»: «محدثة».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٥٣٦).

(٣) في «ت»: «فيتوالدا».

ويعقوب، وخلف: بإسكان الفاء مع الهمز، وإذا وقف حمزة، أبدل الهمزة واواً مفتوحة اتباعاً للخط، **وقرأ** الباقون: بضم الفاء مع الهمز[1]، وكلها لغات صحيحة، ومعناها: المثل، المعنى: لا أحد يكافئه، ولا يماثله في شيء ما، وقد احتوت هذه السورة على كل صفاته تعالى.

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثلثَ القرآن»[2]؛ لما فيها من التوحيد، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٦)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٧٢٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٧٢).

(٢) رواه مسلم (٨١١)، كتب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، من حديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ.

سُورَةُ الفَلَق

مدنية، وآيها: خمس آيات، وحروفها: ثلاثة وسبعون حرفاً، وكلمها: ثلاث وعشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

روي أن بنات لَبيد بنِ الأعصم اليهودي كنَّ ساحرات، وهن اللواتي سحرْنَ مع أبيهن[1] رسولَ الله ﷺ، وعَقَدْنَ له إحدى عشرة عقدة، فروي أنه لبث فيه ستة أشهر، واشتد عليه، حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه فعلَ الشيءَ وما فعلَه، وكان تسلُّط السحرِ على ظاهره وجوارِحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، فأنزل الله إحدى عشرة آية بعدد العقد هُنَّ المعوذتان، وأمره أن يتعوذ بهما، فجعل كلما يقرأ آية، انحلت عقدة، ووجد ﷺ خفة حتى انحلت عنه العقدة الأخيرة، فقام كأنما أنشط من عقال[2].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾.

[١] فقال تعالى[3]: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أستجير ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح؛ لأن

---

(١) «أبيهن» ساقطة من «ت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/٣٣٨)، و«روح المعاني» للألوسي (٣٠/ ٢٨٣). وروى قصة سحر لبيدٍ النبيَّ ﷺ: البخاري (٥٤٣٣)، كتاب: الطب، باب: السحر، ومسلم (٢١٨٩)، كتاب: السلام، باب: السحر، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) في «ت»: «قوله تعالى».

عموده يتفلَّق بالضياء عن الظلام، ومنه: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

* * *

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

[٢] ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (ما) بمعنى الذي يعمُّ كلَّ موجود له شر. وقرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر (مِنْ شَرٍّ) بالتنوين[1] (ما خَلَقَ) على النفي، وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل، فالله[2] خالقُ كلِّ شيء.

* * *

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

[٣] ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ هو القمر ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ خسفَ واسودَّ.

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أخذ رسولُ الله ﷺ بيدي، فأشار إلى القمر، فقال: يا عائشة! تعوَّذي بالله من شرِّ هذا؛ فإن هذا الغاسِقُ إذا وَقَبَ»[3].

* * *

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾.

[٤] ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ السواحر اللواتي ينفثْنَ في عقد

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٥٣٠)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٧٧).

(٢) في «ت»: «الله».

(٣) رواه الترمذي (٣٣٦٦)، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المعوذتين، وقال: حسن صحيح، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٦١)، وغيرهما.

الخيط إذا رَقَيْن. قرأ رويس عن يعقوب بخلاف عنه: (النَّافِثَاتِ) بألف بعد النون وكسر الفاء مخففة من غير ألف بعدها، وقرأ روح عن يعقوب أيضاً بخلاف عنه: (النُّفَاثَاتِ) بضم النون [وتخفيف الفاء جمع نُفَاثة، وهو ما أنفثته من فيك، وقرأ الباقون: بتشديد الفاء وفتحها وألف بعدها من غير ألف بعد النون[1]، وأجمعت المصاحف على حذف الألفين، فاحتملتها][2] القراءات، والكلُّ مأخوذ من النفث، وهو شبهُ النفخ يكون في الرقية، ولا ريقَ معه، فإن كان معه ريق، فهو الثفل، يقال منه: نفث الراقي ينفُث وينفِث ـ بالضم والكسر ـ، فالنفاثات في العقد ـ بالتشديد ـ: السواحر على مراد تكرار الفعل والاحتراف به، والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره أيضاً، فالقراءات كلها ترجع إلى شيء واحد، ولا تخالف الرسم.

* * *

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ إذا أظهر حسده، وعمل بمقتضاه، والحسد أخبثُ الطبائع، وهو تمني زوال النعمة عن مستحقها، سواء كانت نعمة دين أو دنيا.

قال ﷺ: «الحسدُ يأكلُ الحسنات كما تأكلُ النارُ الحطبَ»[3].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٤٠٤ـ٤٠٥)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٧٧).

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

(٣) رواه أبو داود (٤٩٠٣)، كتاب: الأدب، باب: في الحسد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده ضعيف. انظر: «فيض القدير» للمناوي (٣/ ١٢٥).

وقد روي عن الله ـ عز وجل ـ أنه قال: «الحاسدُ مُضادٌّ لقضائي، جاحِدٌ لنَعْمائي»[1].

قال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: «ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد، غَمٌّ دائم، ونفسٌ متتابع»[2].

وأول ذنب عُصي الله تعالى به في السماء: حسدُ إبليس لآدم، فأخرجه من الجنة، فطرد[3]، وصار به شيطاناً رجيماً، وفي الأرض: حسدُ قابيل لأخيه هابيل، فقتله.

وعين الحاسد في الأغلب لا تضر، قال بعضهم: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد؛ فإنه لا يُرضيه إلا زوالُ النعمة عنك.

وأنشد بعضهم:

فَكُلٌّ أُداريهِ على حسبِ حالِهِ ... سِوى حاسدٍ[4] فَهْيَ التي لا أَنالُها
وكيفَ يدُاري المرءُ حاسدَ نعمةٍ ... إذا كانَ لا يُرضيه إلاَّ زَوالُها

قال الحسين بن الفضل: ذكر الله تعالى الشرور في هذه السورة، ثم ختمها بالحسد؛ ليظهر أنه أخس طبع[5].

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ١٩)، عن وهب بن منبه.
(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٣٥) لكن عن الخليل بن أحمد.
(٣) «فطرد» زيادة من «ت».
(٤) في «ت»: «حاسدي».
(٥) انظر: «تفسير الثعالبي» (٤/ ٤٥٣).

[قال ﷺ: «لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٍ أتاه الله مالاً، فسَلَّطَهُ على هلكته في الحق، ورجلٍ آتاه الله حكمةً، فهو يقضي بها، ويُعَلِّمُها»[(١)]][(٢)].

وروي أن المراد بالحاسد إذا حسد: اليهود؛ فإنهم كانوا يحسدون النبي ﷺ، والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٧٣)، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، ومسلم (٨١٦)، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ما بين معكوفتين زيادة من «ت».

سُورَةُ النَّاسِ

مدنية، وآيها: ست آيات، وحروفها: ثمانون حرفاً، وكلمها عشرون كلمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾.

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ قرأ ورش عن نافع في السورتين: بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهو اللام، وقرأ الباقون: بتحقيق الهمزة مع إسكان اللام قبلها[١] ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ الذي يملك عليهم أمورَهم، وهو إلههم ومعبودهم، وخُصُّوا بالذكر وإن كان ربَّ كل مخلوق[٢]؛ تشريفاً لهم.

* * *

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢﴾.

[٢] ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) «قبلها» زيادة من «ت». وانظر: «مختصر القراءات الشاذة» لابن خالويه (ص: ١٨٣)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٨١).

(٢) «وإن كان رب كل مخلوق» زيادة من «ت».

﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾.

[٣] ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ عطف بيان لربِّ؛ لأنه قد يقال لغيره: ربُّ الناس؛ كقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]، وقد يقال: ملكُ الناس، وأما إلهُ الناس، فمختصٌّ به تعالى، لا شركة فيه، فجعل غاية للبيان، وتكرير الناس؛ لما في الإظهار من مزيد البيان، وعطف البيان للبيان، فكأنه مَظِنَّة للإظهار دون الإضمار.

* * *

﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ﴾.

[٤] ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ﴾ اسم من أسماء الشيطان، سمي به؛ لكثرة ملابسته إياه، وهو أيضاً ما توسوس به شهواتُ النفس وتسوِّلُه.

﴿ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ الكثيرِ التأخرِ، له رأس كرأس الحية، يحتم على القلب، فإذا ذكرَ العبدُ ربه، خنس؛ أي: تأخر، فإذا غفل عن ذكر الله، رجع فوضع رأسه على ثمرة القلب، فمنَّاه وحدَّثه.

* * *

﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾.

[٥] ﴿ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ إذا غفلوا عن ذكر ربهم، والوسوسة: الصوت الخفي.

* * *

﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾.

[٦] ﴿ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ يعني: يدخل في الجني، ويوسوس له؛

كما يفعل بالإنسي، وقيل: هو بيان لمن يوسوس؛ لأن الشيطان إنسي وجني؛ لقوله تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]؛ أي: من شر وسوسة الإنس والجن، ويعضد هذا القول قول ابن عطية رحمه الله: ويظهر أيضاً أن يكون قوله: (وَالنَّاسِ) يراد به من يوسوس بخدعه من البشر، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كالشيطان[1].

وسمي الجن جناً؛ لاجتنانهم؛ أي: استتارهم، والناسُ ناساً؛ لظهورهم؛ من الإيناس، وهو الإبصار، كما سموا بشراً؛ من البشرة، وهو وجه الجلد.

قرأ أبو عمرو، والكسائي: بإمالة فتحة النون من (النَّاسِ)[2] حيث وقع هذا الاسم مجروراً في جميع القرآن، وروي عن الأول: الفتح، والوجهان صحيحان عنه من رواية الدوري، وقرأ الباقون: بالفتح[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٤٠).

(٢) «الناس» زيادة من «ت».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٧٠٣)، و«إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٤٤٦)، و«معجم القراءات القرآنية» (٨/ ٢٨١).

فصلٌ في ختم القرآن العظيم

روي عن ابن كثير ـ رحمه الله ـ أنه كان إذا انتهى في آخر الختمة إلى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ قرأ سورة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وخمسَ آياتٍ من أول سورة البقرة على عدد الكوفي، وهو إلى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ لأن هذا يسمى الحالَّ والمرتَحِلَ، ومعناه: أنه حلَّ في قراءته آخر الختمة، وارتحل إلى ختمة أخرى، وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين في قراءة ابن كثير وغيرها.

وورد النص عن الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ أنه إذا قرأ سورة الناس، يدعو عقب ذلك، فلم يستحب أن يصل ختمته بقراءة شيء، وروي عنه قول آخر بالاستحباب(١).

وقد ورد الحديث الشريف عن النبي ﷺ: «أفضلُ الأعمالِ الحالُّ المُرْتَحِلُ»(٢).

وروي عن ابن عباس: «أن رجلاً قال: يا رسول الله! أيُّ الأعمال

---

(١) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/٤٥٨) وقال: ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصير إليه.

(٢) انظر تخريج الحديث الآتي.

أفضل؟ قال: «عليكَ بالحالِّ المرتحل» قال: وما الحالُّ المرتحلُ؟ قال: «صاحب القرآن، كلما حلَّ ارتحل»(١).

وروي أيضاً عن ابن عباس بزيادة، وهي: يا رسول الله! وما الحالَّ المرتحل؟ قال «فتح القرآن وختمه، صاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى أوله، كلَّما حلَّ ارتحلَ»(٢).

وعنه ﷺ: «أنه أمر عليَّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء، وهو: «اللهمَّ إني أسألك إخباتَ المُخْبِتين، وإخلاصَ الموقنين، ومرافقة الأبرار، واستحقاق حقائق الإيمان، والغنيمةَ من كلِّ بِرّ، والسلامةَ من كل إثم، ووجوبَ رحمتك، وعزائمَ مغفرتك، والفوزَ بالجنة، والخلاصَ من النار»(٣).

وروي عن مجاهد: أن الدعاء عند ختم القرآن مستجاب.

وعن سفيان بن حبيب بن عميرة: إذا ختم الرجل القرآن، قَبَّلَ الملَكُ بين عينيه(٤)، وبلغَ ذلك الإمامَ أحمدَ، فاستحسنه.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٤٨)، كتاب: القراءات، باب: (١٣)، وقال: حديث غريب، وإسناده ليس بالقوي، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٨٨)، وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الحال المرتحل». قال: وما الحال المرتحل؟ قال: «الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حلَّ ارتحل».

(٢) انظر تخريج الحديث المتقدم.

(٣) رواه ابن النجار في «تاريخه» عن زر بن حبيش - رضي الله عنه -، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٤٤).

(٤) انظر: «إتحاف فضلاء البشر» للدمياطي (ص: ٦١٨).

وعن الإمام البخاري أنه قال: «عندَ كلِّ ختمٍ دعوةٌ مستجابة»[1].

ونص الإمام أحمد على استحباب الدعاء عند الختم، وكذا جماعة من السلف، فيدعو بما أحب مستقبلَ القبلة، رافعاً يديه، خاضعاً لله عز وجل، خاشعاً بين يديه، محسناً التأدُّبَ مع الله تعالى، ولا يتكلف السجع في الدعاء، بل يجتنبه، ويثني على الله ـ عز وجل ـ قبل الدعاء وبعده، ويصلي على النبي ﷺ، ويدعو وهو متيقن الإجابة، ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء.

قال الشيخ أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: إذا سألتَ الله حاجةً، فابدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم ادع بما شئت، ثم اختم بالصلاة عليه ﷺ؛ فإن الله سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما[2].

قال ابن عطاء: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح، فأركانه: حضور القلب، والرقة، والاستكانة، والخشوع، وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب، وأجنحته: الصدق، ومواقيته: الأسحار، وأسبابه: الصلاة على النبي ﷺ[3].

اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهمَّ صلِّ على جميع الأنبياء والمرسلين، حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ١٢).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري (٣/ ٢٠).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٣١١).

*** قال جامعه الفقير إلى رحمة ربه عبدُ الرحمن بنُ محمد العمريُّ الحنبلي، ستره الله بحلمه، ولطف به في مواقع قضائه وقدره:**

جمعته بالمسجد الأقصى الشريف ـ شرفه الله وعظَّمه ـ بقبة موسى ـ عَمَرها الله بذكره ـ تجاه باب السلسة أحدِ أبواب المسجد الشريف في نحو ثمانية عشر شهراً، وكان الفراغ منه في بكرة يوم الجمعة الغراء، السابع من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته من شهور سنة أربع عشرة وتسع مئة، ثم بيضته بالمحل الشريف المشار إليه، وكان الفراغ من تبييضه عند أذان الظهر من يوم الأحد الثاني(١) والعشرين من شهر شوال المبارك سنة سبع عشرة وتسع مئة من الهجرة الشريفة النبوية المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبيَّ بعده، ورضي الله عن أصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته أجمعين(٢) (٣).

---

(١) «الحادي» في «ت».

(٢) جاء في آخر النسخة الخطية «ت»: «وقد وافق الفراغ من هذا الكتاب في ثامن عشر شهر رمضان المعظَّم قدرُه من شهور سنة ست عشرة وألف، أحسن الله ختامها، على يد أضعف العباد، الراجي عفوَ مالك المحامد، الفقير يحيى بن حامد، وذلك بالمسجد الأقصى الشريف المعظَّم قدرُه، نسأله حسن الخاتمة، والموت على الإسلام، إنه قريب مجيب من دعاه، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين».

(٣) يقول الفقير إلى الله تعالى: نور الدين بن صلاح الدين طالب الدومي الحنبلي: تم الفراغ من النظر الأخير في تحقيق هذا الكتاب المبارك ليلة الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ، وذلك في مكتبتي العامرة، في مدينة دومة الزاهرة، من أعمال غوطة دمشق، من بلاد الشام، حامداً ومصلياً ومسلماً على النبي محمد وآله وصحبه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس الموضوعات والسور

السورة	الصفحة

المجلد الأول

[فتح الرحمن في تفسير القرآن]

المجلد الثاني

المجلد الثالث

المجلد الرابع

المجلد الخامس

المجلد السادس

المجلد السابع

* * *